الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

المحرم ١٤١٠ هـ
اغسطس ١٩٨٩ م
الجزء الاول
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

بالهجرة قامت أمة وتأسست دولة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

جميل ان يحتفل المسلمون بالأيام الخالدة فى تاريخهم ، وان يستعيدوا ما كان لتلك الأيام من مآثر فى الإسلام .

وجميل أيضاً ان يقف المسلمون فى إجلال وإعجاب أمام يوم اتخذوه مبدأ لتأريخهم ، وذلك هو يوم هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى يثرب ، هذه الهجرة التى غيرت مجرى التاريخ لأمة الإسلام وكانت فاصلا بين عهدين ، عهد المسالمة والترقب والقلة المعذبة المطاردة ، وعهد المنعة والكثرة والسلطان والمباداة كان ذلك يوما من أيام شهر ربيع الأول ، كما كان مولده ﷺ فى ذات الشهر ، ولكن الرجال الذين أرخوا للمسلمين وللإسلام بالهجرة احتسبوا بدء التاريخ بالمحرم الذى هو أول العام على المشهور عند العرب وكان ذلك من أولئك الابرار الأحرار ذوى القلوب التى صقلها الإسلام يرون الأثر الأكبر للهجرة ، ميلاد امة الحق والتوحيد ويأخذون من هذا الحدث عزما وعزيمة على السير قدماً نحو عزة الإسلام والاعتزاز به ، ويحتفون بذكرى الهجرة لا فى غرة المحرم من كل عام فحسب ثم ينسون او يتجاهلون هذا التاريخ

كحال الأمة - الإسلامية اليوم ، وإنما كانوا دائمى الذكر للهجرة وصاحبها محمد رسول الله ﷺ خاتم الرسل والأنبياء ، رسول الله بالإسلام وبالسلام إلى الناس كافة .

ذلك لأن واقعاتها وآثارها قد وقرت فى انفسهم منذ أن كانت تحولا بالإسلام من أرض أجدبت ورغبت عن استقبال الغيث الذى أنزل عليها إلى أرض استقبلت الإسلام عقيدة ، وشريعة وأدبا وعلما ، ونما فيها الغراس الطيب وأثمر وانتشر ، وتخطى الحدود والسدود لأنه غيث الحياة لبنى الإنسان ونعمة الرحيم الرحمن .

ولم كان التأريخ بالهجرة ؟ ..

يروى شيخ المؤرخين الطبرى أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بأنه تأتينا منك خطابات ليس لها تاريخ ، فجمع عمر القوم للتشاور فقال بعضهم نؤرخ لمبعث رسول الله وقال آخرون نؤرخ لهجرته ، فقال عمر : بل نؤرخ لهجرته لأنها فرقت بين الحق والباطل .

وهناك روايات أخرى رواها الطبرى وأبو الفداء فى تأريخهما وغيرهما ، وكلها تشير إلى أن الحاجة دعت إلى اتخاذ تاريخ لدولة الإسلام فكانت المشورة والحوار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأصحابه ، وكانت الهجرة هى العلم البارز والحدث المؤثر وأحسب أنهم استظهروا أن للهجرة معالم ينبغى أن تتذاكرها الأمة الإسلامية فى مستقبل حياتها ، وتستنبط منها الدروس والعبر والأحكام والحكم .

ولعل من أبرز ما ارتآه مجلس هذه المشورة أنهم بحثوا عن حدث انفرد به الإسلام ورسول الإسلام ﷺ تعرف به الأمة ، ولا تكون تبعاً لغيرها فكانت الهجرة تاريخا يذكّر المسلمين بأن عقبات الحياة ومعوقات نجاح أية دعوة ، وبالتالى أى عمل لا تواجه باليأس والاستسلام ، أو بالارتجال فى المواجهة دون تفكير وتدبير وتنظيم ، وإنما يكون التغلب على تلك العقبات والمعوقات بالمشورة بين أصحاب الفطنة والرأى الذين صقلتهم التجارب حتى لا يكون الرأى خطيراً صادراً عن رعونة وغرور ، وبعد الاستقرار على الرأى السديد يأتى دور التخطيط والتنفيذ ووسائله وتبعاته ، وأعبائه .

وحين يؤرخ كل مسلم بالتاريخ الهجرى الذى نحتفى به اليوم يستفيد من الهجرة - ذلك الدرس الرشيد ، فيفكر قبل أن يقدم ويخطط لما فكر ، ويتدبر آثار وتبعات وأعباء هذا العمل الذى استقر أن يبدأ به ، ويتجاوز أية عقبات أو معوقات تصرفه عما فكر ودبر ثم يكل الأمر لله ويستعين به ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وعملاً بذلك القول الكريم ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ صاحب الهجرة (اعقلها وتوكل) .

لقد أجدبت مكة فلم تثمر فيها الدعوة إلى الإسلام ، ووقف أكابرها مستكبرين قائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فكان لابد وأن تتحول الدعوة إلى أرض مثمرة مغدقة .

ومن هنا لم تكن الهجرة النبوية أمرا أوحت به المصادفة أو تقرر فجأة ، ولكن تمت الهجرة بعد تدبير وتخطيط سليم أمد الله به رسوله ﷺ فكانت له لقاءات ممهدات لهذه الهجرة مع حجاج البيت من قبائل العرب ، وكان ممن التقى بهم وعرض عليهم دعوته وفود الحج من الأوس والخزرج بيثرب ، فالتقى أول مرة بستة منهم ، أصغوا إليه وهو يتلو عليهم بعض آيات القرآن الكريم الذى أنزل عليه وبه نزلت السكينة على قلوبهم وقالوا : والله إنه النبى الذى تهددنا به اليهود وسوف لا نتركهم يسبقوننا إليه وقالوا للنبى ﷺ : « إنا تركنا قومنا الأوس والخزرج وبينهم من العداوة ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وإنا مقدمون عليهم وداعوهم إلى أمرك - وعارضون عليهم الذى أجبناك إليه من هذا

الدين » ، وفى موسم الحج التالى تضاعف العدد من هؤلاء القوم ودخل الإسلام اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج ، ثم كانت البيعة الثانية فى الموسم التالى حيث بايع النبى ﷺ ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من أهل يثرب .

يهذا بدأ التخطيط للهجرة عمليا ، ومن ثم لم تكن أمراً مفاجئاً ، وإنما كان بذل الجهد فى التخطيط والتمهيد باعتبار أن الهجرة إصرار على النضال وتصعيد للجهاد وكانت الهجرة بعد إذ نجحت دعوته لأهل يثرب واستوثق ممن اتبعوه وبايعوه منهم .

ولقد درج المسلمون فى هذا العصر على الاحتفاء بالأيام الغر فى تاريخ المسلمين بما لا يفيد جديداً ، فمازال الكثير من كتابنا وخطبائنا يرددون خط سير الهجرة وواقعاتها يعيدون ويزيدون وينقصون ، دون أن يسبروا غور هذا الحدث الأغر ، وينفذوا به إلى توجيهات الإسلام وتعميق مدلولاتها ، والوصول بها إلى أكبر عدد من الناس ، كل الناس فى كل موطن ، ومهما اختلفت الألسنة والمدارك والنوازع ، باعتبار أن حدث الهجرة النبوية كان فى سبيل الحق والعقيدة ، وقد أصلت كثيراً من المبادىء التى برزت واستقرت فى العصر الحديث ، قواعد دستورية وحقوقاً للإنسان بمعيار الثقافة الغربية المبهرة الآن .

ولاشك أن توجه الكتاب والعلماء المسلمين إلى استظهار ما يحتويه حدث الهجرة وسيرة المهاجر ﷺ من فضائل ومناقب ، ومن تفرد عقلى ونفسى وما فيها من اللمسات الاجتماعية والإنسانية يضيف إشعاعات جديدة من نور الوعى بالدعوة الإسلامية أو بالداعى الأول مبلغ الرسالة ﷺ ، بلغة هذا العصر ومنطقه ، وأساليبه ..

وحبذا لو تتبع كتابنا وعلماؤنا وخطباؤنا أوزار وسيئات المستشرقين وغيرهم ، وعقبوا عليها بما يظهر زيفها وتزويرها من واقع هذه الأحداث الإسلامية الغراء والتى لم تستظهر ولم تدرس ـ بعد ـ من العلماء كل من زاوية تخصصه ، ومن ثم تصبح لدى الشباب المسلم بل لدى الأمة الإسلامية دراسات إسلامية متكاملة مصدرها القرآن الكريم وسيرة وسنة رسول الله ﷺ ، موائمة لما استحدث فى العصر الحالى من ميادين للعلم أفردت بنوعيات مجددة كعلم الاجتماع وعلم التربية وعلم الإدارة ومشتقاته من التخطيط والتنظيم والعلاقات الإنسانية .

ولا نغفل فى هذا المجال أن كتابات قد سبقت فى هذه المجالات يذكر أصحابها بكل التقدير ، ولكن المتون تحتاج دائما إلى شروح وتحقيق وهذه تحتاج إلى تعليق ، إذ الهجرة النبوية حدث تاريخى ونموذج حى متجدد وبهذا الاعتبار تكون الهجرة النبوية منبعاً للإلهام بأعظم الأعمال وأروع القيم والمثل وأحكم التدابير التى تكفل نجاح من يلتزمها ذلك لأنها كانت تخطيط وتنظيم النبى ﷺ وضعه بوحى من الله سبحانه ، فنجحت الخطة ، وبلغ الرسول محمد ﷺ مأمنه ، وخاب ظن أعدائه وصدق الله وعده لرسوله ﷺ ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

لنأخذ من الهجرة التوجيه إلى الإصرار على الانتصار على أنفسنا وعلى أعدائنا وعلى مصاعبنا ومتاعبنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ولكن بعد أن ندرس هذه المصاعب ونصل إلى جذورها وبمعنى آخر أن نحدد الداء ثم نصف الدواء .

ولنأخذ من لقاء الرسول ﷺ بوفود الحجيج العرب إبلاغاً لدعوته ، أن نتحرك لنتخلص من العقبات ، وأن نستوثق ممن يعرض العون مع بعد النظرة ووئيد الخطوة ، ومع أخذ أسباب الحيطة والحزم والكياسة وحسن السياسة كما فعل رسول الله ﷺ مع الوفود التى تبعته وبايعته من الأوس والخزرج ،

فلم يتعجل ولم يهن ، واستوثق لدينه ولنفسه ، واطمأن إلى رسوخ الإسلام فى قلوبهم وإلى صدق وعدهم بأن يمنعوه مما يمنعـون منه أولادهم ونساءهم ونحن نستشرف هذه الأيام عودة الوعى الرشيد إلى الأمة الإسلامية شعوباً وحكاماً وحكومات فى التلاقى والتعاضد والتساند والتعاون على البر والتقوى والتكامل فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية والخدمية نأمل أن يتم الله نعمته على أمة الإسلام جميعا على اختلاف ألسنتها وألوانها ومواقعها بوحدة الكلمة وقوتها ، وعزمتها على أن تجمع صفوفها وتتساند أمام الأحداث الجارية ، والموجة العارمة التى تتغيا النيل من الإسلام ومن المسلمين ، وأول أسباب القوة إنهاء آثار الحرب الإيرانية العراقية وإطلاق سراح الأسرى جميعاً وإتمام الصلح ، وإنهاء الحرب الأهلية فى لبنان وإعادة الاستقرار إليه وعودة أموره إلى أبنائه واستمرار التأييد بحزم للمجاهدين فى افغانستان وللانتفاضة فى فلسطين ، ومساندة الأقليات الإسلامية المضطهدة حفاظا على حقوق الإنسان التى تتنادى بها ديمقراطيات هذا الزمان ، والتى يحلونها مرة ويحرمونها مرات فقد فارقوا بين جراءة إسرائيل على القتل والطرد والتشريد وهدم المساكن والمساجد وتعديها على المسجد الأقصى فى القدس ومنع أهله من إقامة شعائر الإسلام فيه ، فلم يعترضوا ولم ينتفضوا ولم تتحرك العواطف الإنسانية ، وفقط تحركت واجتمعت جموعهم حين دب الخلاف فى منطقة أخرى ليست عربية ولا إسلامية ، خلاف داخلى بين شعب وحكومته ، وليس بين دولة محتلة الأرض ومغتصبة العرض ومهددة لكافة حقوق الإنسان تلك هى إسرائيل وما تحدثه على أرض فلسطين وبأهل فلسطين بل وبالجيران المسالمين ، اللهم لا عدل إلا عدل الإسلام .

لكن صاحب الهجرة محمد ﷺ قد أعلن حقوق الإنسان منذ بعثته فى مكة وإلى أن أدى حجة الوداع وقد احتوى هذه الحقوق القرآن الكريم وكان مما قال ﷺ (الناس سواسية كأسنان المشط ..) حقوق لكل الناس دون نظر إلى نسب أو جنس أو لون ، تميط الأذى عن كل الناس وتحمى كرامة كل إنسان حتى ولو كان من غير المسلمين .

فى هذه المناسبة العظيمة يوم الهجرة النبوية يحيى الأزهر الشريف كافة شعوب الأمة الإسلامية وأصحاب الجلالة والفخامة وأمراء العرب والمسلمين ، ويسأل الله أن يجعل هذا العام عام يسر ورخاء وصفاء ونقاء لأمة الإسلام .

وصلى الله وسلم على صاحب الهجرة ورضى الله عمن به اهتدوا واقتدوا وفكروا وقدروا حين أرخوا للمسلمين بالهجرة النبوية حدثاً فريداً فى تاريخ الإنسانية به قامت أمة ونشأت دولة ، وحتى يكون هذا التاريخ حافزا لأمة المسلمين حكاماً ومحكومين أن يلتزموا به وتذكرة وحافزاً إلى الإفادة والاستزادة من مغزى نظام المؤاخاة الذى أقامه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار إثر هجرته إلى المدينة على نحو لم يسبق فى المجتمعات الإنسانية وكانت منة الله على المسلمين فى سورة الأنفال ﴿ .. هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

المال
حلاله وحرامه

د. على أحمد الخطيب

قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (البقرة - ١٨٨)
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (النساء - ٢٩)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

« الا لا تَظلِمُوا ، الا لا تظلموا ، الا لا تظلموا ، إنه لا يَحِلُّ مالُ امرىء إلا بطيب نفس منه » .

رواه أحمد ٥/٧٢ الميمنية

١ - هاتان الآيتان الكريمتان والحديث الشريف يشيران إلى مال مصدرُهُ طيِّب ، وإلى مال مصدره خبيث ، فأما ما كان من مال طيب فله حُرْمَة ؛ لأن صاحبه امتلكه عن كسب مشروع من عمل فى تجارة أو مشاركة فيها ، أو « راتب » من عمل شرعى ، ومثله مال يُرْزَقُهُ المرءُ من ميراث ، أو من حيث لا يَحْتَسِب كهدية ، أو هبة ، أو منحة سيقت إليه على وجه من المحبة الخالصة ، أو لجهد مشكور ، ولم تدفع إليه استمالة له إلى عمل غير مشروع .

وخير ذلك كله ما اكتسبه المرء من عمل يده ، ولقد كان نبي الله داود - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - يأكل من عمل يده .

٢ - وحرمة هذا المال الطيب تتمثل في اثنتين :

أولاهما : أنه له حق الصيانة من العدوان عليه ، فمالكه يصونه ، ومؤسسات الدولة المختصة

تصونه ، وتمنع من العدوان عليه بسرقة أو غصب أو غيرهما من الوان أكل أموال الناس : مسلمين أو غير مسلمين ـ بالباطل الذي تشير إليه الكلمات القرآنية العزيزة ، وما « الباطل » إلا « السبب الحرام » الذي يتخذ ذريعة لأخذ أموال الناس في غير « مقابل شرعي » من نهب وغش وغرر ، وما إلى ذلك من مكاسب غير مشروعة تظهر ـ في بعض الأحيان ـ في صور صنوف الحيل التي يقول عنها الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه :

« وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا » حتى قال ابن جرير : حدثني ابن المثنى ، حدثنا عبدالوهاب ، حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في الرجل يشترى من الرجل الثوب فيقول : إن رضيتهُ أخذتهُ ، وإلا رددتَ معه درهما قال : هو الذي قال الله ـ عز وجل فيه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ وفي الآية الأولى عن علقمة عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ قال :
« إنها محكمة ما نُسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة » ا.هـ

وكتب ابن كثير ـ عن الرجل يتخذ حكم القضاء سببا في أكل أموال الناس ، وذلك حين يأخذ المال من إنسان ولا توجد بينة تدل على أخذه له ... « فيجحده ، ويخاصم إلى الحكام ـ وهو يعرف أن الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم أكل للحرام » فيتخذ القضاء ذريعة لإسقاط حق صاحبه ، قال : وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إنما أنا بشر ، وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هى قطعة من نار فليحملها أو ليذرها » كذا رواه ابن كثير .

أي أن حكم الحاكم لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ، وليس يُحِلُّ حراما أبدا ، أو يحرم حلالاً ، قال : وإنما هو ملزم في الظاهر ، فإن طابق في نفس الأمر فذاك ، وإلا فللحاكم أجره ، وعلى المحتال وزره ...

ثانياً : أن يصرف منه في مباح بغير تبذير ولا مَخِيلَة ؛ فليس لصاحب المال أن يعمل فيه ما شاء كما شاء ، فينبغى أن يصونه عن إسراف بتبذير فيما هو حلال ، إذ فى ذلك شروع لإنفاقه في حرام ، و يحوطه عن المخيلة فلا يصرفه فيما هو حب للظهور المؤدى إلى الكِبْر أى المخيلة . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

كُلْ ما شئت ، واشرب ما شئت ، والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان : سَرَفٌ ومخيلة .
وواضح بيِّن أنه لا يجوز أن يصرف المال في حرام ، فلا تُطلَب ـ بواسطته ـ رِشْوة ، أو شهادة زور ، أو يُسْتَعَى به للذة حرام ، ومالها من ضروب شتى ، أو كسباً لحرام كأن يقرضه بـ « ربا » أو يشتري به أوراق « اليانصيب » أو في «رهان» حرام .. إلخ

وله أن يبذل منه في معروف من صدقة ، وهبة ، وهدية ، فذلك من مكارم الأخلاق التي هي عماد الدين .

** ** **

ثم في هذا المال حق :

حدَّث به الكتاب العزيز ، وتكلم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأجمعت عليه الأمة .

ذلك الحق هو الزكاة ، فزكاة المال حق الله عز وجل ، نَوَّه به الكتاب العزيز في اكثر من آية ، فقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة ـ ٤٣)

وروى ابن ماجه ـ بسنده ـ قال ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : إذا أديتَ زكاة مالك فقد قضيت ما عليك .

وعلى ذلك إجماع الأمة ، والقَدْرُ من المال الذي يتمثل فيه هذا الحق هو لله ـ عز وجل ـ وليس ملكاً لصاحب الأصل ، فإنكاره ـ بضمه إلى أصل المال ـ يعتبر من الكسب الحرام ، إذ فيه عدوان على حق الله ، لذا كان منع أدائه دون ضرورة جريمة لها حكمها المعروف بكتب الفقه والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

د. على أحمد الخطيب

الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاة الإمام الطبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ..

وبعد :

فإنه لأمر محمود أن تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، متعاونة مع الشعبة القومية لليونسكو بمصر ، بالدعوة إلى ندوة علمية فى ذكرى مرور احد عشر قرناً على وفاة الإمام الطبرى*.

إن الاحتفاء بأئمة المسلمين ، وكبار علمائهم والكشف عن تاريخهم والتنويه بشأنهم ومكانتهم ، تعريفاً بآثارهم الباهرة فى تاريخ الإنسانية ، وحفظاً لتراثهم وعلمهم ، وهو تراث عزيز علينا ، يصلح به شأن هذه الأمة - إن شاء الله - ويبرز معالم حضارتها وثقافتها وقدرتها على ارتياد مناحى العلم المتنوعة .

إن الإمام الذى نحتفى به اليوم هو : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى ، من أهل « آمل » بطبرستان ، توفى سنة ٣١٠ هـ وكان إماماً جليلاً ، ومجتهداً مطلقاً .

قال عنه السبكى[1] : « هو أحد أئمة الدنيا علماً وديناً » ..

وقال الخطيب البغدادى[2] : « كان ابن جرير أحد الأئمة ، يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ، بصيراً بالمعانى ، فقيهاً فى أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها وناسخها

---

(١) الإمام تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ . و طبقات الشافعية الكبرى جـ٣ ص ١٢٠ ط الحلبى .

(٢) الحافظ أبو بكر ، أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٣٩٢هـ صاحب تاريخ بغداد - انظر تاريخ بغداد ١٦٣/٢ وطبقات الشافعية الكبرى ١٢٢/٣ .

* الندوة من ٢٥ حتى ٢٨ يوليو ٨٩ .

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فى الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، عارفا بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور فى « تاريخ الأمم والملوك » وكتاب فى التفسير لم يُصَنِّف أحد مثله ، وكتاب سماه « تهذيب الآثار » لم أر سواه فى معناه ، إلا انه لم يتمه ، وله فى اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة ، واختيار من الأقاويل للفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه » .

قال عنه الإمام الذهبى[٣] : « هو الإمام الجليل أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة ـ عالم العصر ـ من كبار ائمة الإسلام ـ مات فى شوال سنة عشر وثلاثمائة ، وله ست وثمانون سنة ، رحمة الله عليه » [٤] .

هذا ماعرف به كبار علماء الرجال هذا « العالم الجليل » المحتفى بذكراه ، والذى لم يسلم من الأذى والابتلاء ، بسبب الاشتراك فى الاسم واللقب ، مع رجل آخر عاصره ، هو : محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبرى ـ الشيعى المتهم بالرفض ـ فالتبس الأمر ، ولحق الإمام الطبرى : صاحب الذكرى أذى شديد من جراء هذا اللبس ، وقد نبّه الإمام الذهبى فى ـ ميزان الاعتدال ـ إلى هذه الواقعة .

لقد ترك الإمام الطبرى تراثا مشهورا ضخما ، نبهت إليه كتب التراجم والرجال ، ثم ضاع شيء من هذا التراث ، وبقى منه شيء آخر ، يستوجب منا أن نهتم به فنجمعه ونوفر الرعاية له .ومن هذا الذى بقى من تراث الطبرى :

أولاً : كتاب « أخبار الرسل والملوك » وهو كتاب معروف ذائع الصيت ، وقد صدر مع التحقيق والتعليق عليه من المستشرقين ومن فضلاء المحققين المسلمين .

لكنا نجد لهذا الكتاب توابع وضعها أصحابها ، على سبيل الصلة له والتكملة فى التاريخ بعد .

ومن هذه التكملات تكملة له من كتابه : عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغانى المتوفى سنة ٣٦٢هـ ـ تلميذ الطبرى وصاحبه .

وتكملة ثابت بن سنان بن ثابت الصابى المتوفى سنة ٣٦٣هـ ..

وتكملة هلال بن المحسن الصابى المتوفى سنة ٤٤٨هـ .. وما أضافه ولده محمد بن هلال بن المُحسِّن المتوفى سنة ٤٨٠هـ .

ثم تكملة تاريخ الطبرى حتى ٤٨٧ لمحمد بن عبد الملك الهمدانى المتوفى سنة ٥٢١ هـ .

وغير هذه التكميلات والتوابع ..

ثانياً : كتاب ـ جامع البيان عن تأويل القرآن ـ وهو الكتاب الذى قال عنه السيوطى : « فإن قلت : فأى التفاسير ترشد إليه ، وتأمر الناظر ان يعول عليه ؟ قلت : تفسير الإمام ابى جعفر بن جرير الطبرى ، الذى أجمع العلماء المعتبرون على انه لم يؤلف فى التفسير مثله .. قال النووى فى تهذيبه كتاب ابن جرير فى التفسير لم

(٣) الحافظ محمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ .

(٤) ميزان الاعتدال ٤٩٩/٣ وكتاب دول الإسلام صفحة ١٨٧ .

الاحتفال

يصنف أحد مثله[٥] ولهذا التفسير مختصرات وترجمات بين أيدينا ، وهى فى حاجة إلى التحقيق ، والإصدار .

ثالثا : كتاب « تهذيب الآثار وتفصيل معانى الثابت من الأخبار » وهو مرتب على نظام المسانيد لصحابة النبى - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، ويمتاز هذا الكتاب بأنه كتابة مبتكرة فى علوم الرواية والأسناد وعلل الحديث

رابعا : كتاب - الجامع فى القراءات من المشهور والشواذ - وقد أورد فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ومصر ، وذكر فيه القراءات من المشهور والشواذ ووجه كل قراءة ، واختياره منها ، ولم يخرج بها عن المشهور .

هذا الكتاب موجود بمكتبة الأزهر ٧٤/١ قراءات ١١٧٨ وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ، وياقوت فى معجم الأدباء ، والذهبى فى طبقات القراء ، وابن الجوزى فى الطبقات أيضا ، مما ينفى عنه شبهة الشك فى صحة نسبته إلى الإمام الطبرى .

خامسا : كتاب - اختلاف الفقهاء - وهو كتاب يكشف عن اختيارات الطبرى الفقهية ، وقد أخرج المستشرقون ماعثروا عليه من أوراق هذا الكتاب ، ولا يزال فى حاجة إلى الجمع والتحقيق .

* إن تكريم الإمام الطبرى .. والاحتفاء بذكراه ، إنما يكون بنشر هذه النفائس التى أورثنا إياها .

* وحبذا لو أعانت على هذا العمل وأسهمت فيه : المنظمات والمؤسسات الإسلامية ، بل والمنظمات العالمية التى تهتم بثقافة الإنسان ، وتراث الشعوب .

* وإذا كان كثير من العلماء يصفون الإمام الطبرى بأنه : مجتهد مطلق .. بمعنى أنه صاحب مذهب مستقل فى الفقه ، وقد اكتملت له الأداة من الحفظ للحديث والمعرفة برجاله ، وعلله ورواته ، ومن الدراية باللغة وأسرارها ، وفنون التعبير بها ، ومن الفهم لكتاب الله ، وإدراك المقاصد القرآنية ، ومن العلم بأصول العقائد والأحكام ..

* إذا كان كثير من العلماء يصفونه بالاجتهاد المطلق ، فهو جدير بهذه الصفة .. وإذا رأى آخرون من العلماء أنه مجتهد فى المذهب ، وله اختيارات لا تتقيد بمذهب معين ، فإنه حرى بهذا الوصف أيضا .. ولا يغض من شأنه فى شىء أنه مجتهد فى المذهب .

* إن الحاجة إلى التأصيل الفقهى داعية إلى جمع تراثه المنثور فى كتبه المتداولة وفى غيرها مما نقله العلماء رواية عنه ، حتى تتضح معالم مذهبه الفقهى ، ويُنتفع بتراثه الثرى فى هذا المجال ، إماما من أئمة الفقهاء المسلمين أصحاب المذاهب التى انتشرت أو تلك التى توارت سطوره فى بطون الكتب ..

* وبذلك : نحفظ له مكانه ، وتتجلى مكانته البارزة فى التحصيل والتأليف والاجتهاد فى فنون العلم المتنوعة .

* هذه المهمة تنتظر جهود المنظمات الإسلامية وترتقب همماً عالية بصيرة بالفقه خاصة وبسائر مدوناته المتنوعة ..

* وعلى الله قصد السبيل ، والله ولى التوفيق .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

(٥) الإتقان جـ٢ ص ١٩٠ ط ٣ مصطفى الحلبى .

من أمثال الكتاب العزيز

للأستاذ الدكتور

محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى عن المنافقين ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

لما تحدثت الآيات السابقة عن صفات المنافقين ، ضرب الله لهم مثلين : نارى ومائى ، وذلك لإبراز المعقول فى صورة المحس ، والمتخيل فى صورة المتيقن ، وضرب الأمثال عموماً لإيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى على أبلغ حال ، ولتثبيت العبرة لمن يعتبر . ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ . .

والمثلان النارى والمائى أراهما وكأن المنافقين صنفان رئيسيان تحتهما صور عديدة :

الصنف الأول : منافق أقبل على الإيمان ، ثم ارتد ولم يعلن ردته ، وهؤلاء قال الله فيهم : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ .

والصنف الثانى دخل الإسلام ظاهرا ، وأبطن الكفر ، وظل على ذلك وهؤلاء قال الله فيهم : ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ . .

والفريق الأول فيما أرى مثلهم نارى ، والفريق الثانى مثلهم مائى . شبه الله حال الصنف الأول وصفتهم وقصتهم بحال من استوقد ناراً لينتفع بها ، فلما أضاءت تلك النار ذهب الله بمنفعتها وترك أصحابها لا ينالهم إلا ما يصيبهم من أضرارها .

←

مثالان من الكتاب العزيز

فإن قلت : كيف يشبه الجماعة بالواحد الذى استوقد ناراً ؟ قلتُ : ذلك من تشبيه قصة بقصة والذى استوقد ناراً فى معنى الذين استوقدوا ناراً لأنه وإن كان مفرداً فى لفظه ، فإنه فى قوة الجمع فى معناه ، والموصول قد يراد به الجنس ، فيفيد المجموع ، والمثل هو القصة ، و « الكاف » للتشبيه ، فقد شبه قصة بقصة و « الذى » اسم موصول يؤتى به لزيادة معرفته بالصلة . و « الهمزة » و « السين » و « التاء » للطلب . والتنكير فى قوله « ناراً » للتنويع .

والمنافقون كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله .

ويمكن أن تكون النار فى قلب المنافق مثلاً لما يدعيه من إيمان ، فالنار بما تحتويه تطهر النجس وتمحو الخبائث كما يمحو الإيمان ما يعلق فى القلب منها ، وكان هؤلاء يمكنهم أن ينتفعوا بالإيمان الذى لم يتغلغل فى نفوسهم إلا أنهم لم يكونوا أهلاً لذلك .

و « الفاء » هنا للتفسير ،

و « لما » حرف وجود لوجود . وانظر إلى قوله ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ فهى لم تضىء صاحبها ، بل أضاءت ما حوله من أماكن كالشمعة تضىء ما حولها وتحرق نفسها ، ويحتمل فى « أضاء » أن تكون متعدية ، أضاءت المكان ويحتمل أن تكون لازمة ، فالضوء لم يتعد المكان .

فالإيمان ضياء ، وهو أقوى من النور ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ لأن الذهاب بالقليل ، والإزالة له ، ذهاب وإزالة للأكثر ، ولو قال : (ذهب الله بضيائهم) لأمكن أن يُدّعى أن الذاهب هو الكمال ، والباقى نور ، وفرق كبير بين (أذهب) الذى معناه (أزال) ، وبين (ذهب بنوره) أى (صحبه معه) إذ الإيمان نعمة من الله ، وهو يستلبه بسوء اختيار صاحبه . والحالة بعد الذهاب بالإيمان أنه أبقاهم وصيرهم إلى ظلمات لا إلى ظلمة واحدة ، فإنها ظلمات بعضها فوق بعض .

(لا يبصرون) أىْ شيئاً ، فالمفعول محذوف لعمومه أو هو متروك أصلاً ، وكأنهم فاقدوا البصر ، فبعض الناس ينظر ولا يبصر كما قال : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وبعضهم لا ينظر أصلاً ، وقد أفصح عن حالهم بقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ جُرِّد هؤلاء المنافقون من سماع ما ينتفعون به ، ومن كلام يعبرون به عما يجول فى صدورهم ، ومن بصر يمتع أعينهم ، وهم لا يرجعون إلى الصواب لعنادهم ، فهم فى حيرة يتخبطون ولا يدرون إلى أين يتجهون .

والوجهة السليمة من خصائص الإيمان ، فالأمة المؤمنة تتحد فى المبدأ والسلوك والغاية ، إذ هى بنية حية تقوم العلاقات بين أحادها على التجاوب والتفاعل ، وتجرى وظائفها على التضامن والتكافل ..

أما المثل الثانى فهو المائى ، وهو أبلغ من المثل الأول ، فقد تدرج سبحانه من البليغ إلى الأبلغ ، و « أو » هنا ليست للشك من المتكلم ، بل هى بمعنى « بل » ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ .

و (الصَيِّب) مشترك بين المطر والسحاب ، وجاء هذا المطر من جهة السماء ، وهى ما علاك ، وإن كان أصله بخار تصاعد من الأرض ثم تكثف كما هو معروف ، فإذا قال القرآن (من السماء) فقد أراد الجهة ، وإذا قال (السموات) فقد أراد الصفات . ونحن نؤمن كما قال الله

﴿ والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ وإنها فى اللغة كل ما علاك .

ونكرَّ لفظ (صيِّب) لأنه نوع مخصوص ومطر ضار ، ووصفه بالجار والمجرور لأنه متساقط من كل الجهات . (فيه ظلمات) ظلمة المطر بكثافته وظلمة السحاب بغمامه وظلمة الليل بسكونه ، والرعد هو ما يُرعد الأجسام بصوته المزعج وافرده لأنه اراد المصدر اى فيه إرعاد يزلزل القلوب ، وفيه إبراق يخطف الأبصار ، وهم من هول ما هم فيه ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .

والمراد من الأصابع الأنامل ، فأطلق الكل وأراد الجزء كأنهم يريدون إدخالها بالكلية لهول ما يسمعون ، و « من » للتعليل ، والصواعق جمع صاعقة وهى كقذيفة النار ترسل فيدرك من ارسلت عليه الموت فيحذره ويخافه .

ومعنى إحاطة الله بالكافر : علمه به ، فقد احاط بكل شىء علماً وهو قادر عليه ، فهو محيط من ورائه .

ومنه قول يعقوب ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ والله سبحانه بكل شىء محيط ، وخص الكافر هنا لإرهابه ، واما إحاطته ـ سبحانه ـ بالمؤمنين فلتثبيتهم ، وتأمل رهبة البرق فى قوله : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ فهو لم يكن للإضاءة المنتفع بها .

وكذا حيرة المنافق يمشى فى صفوف المؤمنين كلما اضاء له الإيمان ويقف إذا حُرم وانكشف امره ، وقد استعمل « كلما » لأمل ما يتوقعون من انهم سينتفعون بما هم عليه وتصادمهم الحقيقة .

﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ اى وقفوا ، وكأنهم خشب مسنَّدة يحسبون كل صيحة عليهم ، وحرف « لو » للتلازم بين شيئين : مشيئة الله وذهاب السمع والبصر .

لكنه سبحانه لم يشأ أن يسلب وسائل الإدراك إذ لو سلبها لكان لصاحبها عذر ، فأعطاهم سمعاً وبصراً قد أبطلوه بسوء اختيارهم ، فهو سبحانه قادر لا يعجز كل تحت قدرته ، لو أجبر الناس على الخير لم يكن فى استطاعتهم أن يكونوا اشراراً ، ولو اجبرهم على الشر ، لم يكن فى استطاعتهم ان يكونوا أخياراً .

وأجل ما يتميز به الإنسان ما وهبه الله من اختيار وإرادة وقدرة وعقل حتى يصادف التكليف من هو أهل له .

وإذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب .

القرآن العظيم يستدعى التأمل والنظر وهكذا يجب على المتدبرين أن يتدبروا كلامه ، وقد أُنزل لتكون لكل نفس سامية نسخة من معانيه ، فهو كتاب ، ولكنه مجموع العوالم النفسية كلها .

وإن كل ما يرويه الناس عن الناس باسم التاريخ ليس إلا (رُغْوَة) متطايرة فوق بحر الحياة الإنسانية .

وقد استدفأ المنافقون فراش الشهوات وهو بارد ، واستنعموا لحاف الملذات وفيه مناخس .

وقد طالت حياة النفاق فى الدنيا لأنها لهو ولعب وويل لمن يصافح الموت بيد ملوثة بالآثام ، مغلولة بالشهوات فإذا يد الموت أبرد من الجليد وأقسى من الحديد .

والمؤمنون لا يضللون العقول ، والمنافقون لا يعرفون معنى التضليل إذا كانوا يعبرون عن حقائق الحيلة بلغة واحدة لا تقبل التنويع ، فيكذبون إذا حدثوا ، ويخونون إذا ائتمنوا ، ويفجرون إذا خاصموا ، ويغدرون إذا عاهدوا . ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وما أحفل الكلمات القليلة بالأسرار حينما ترتلها القلوب ، وفى الصلاة التى يكسل عنها المنافقون ، إذا قاموا إليها يراؤن الناس ، عليهم أن يعلموا ان قلباً فى الصلاة بلا كلام خير من كلام فيها بلا قلب ، إذ الكلام مقيد بالفكر ، والفكر لا ينطلق من كل القيود . والله أعلم .

فوائد القروض والبنوك حرام بيّن فكيف يطرح للمناقشة !

في جريدة الأهرام يوم الخميس ٢٧ من شوال ١٤٠٩هـ ـ ١/٦/١٩٨٩م كتب الدكتور عبد المنعم النمر ـ وزير الأوقاف الاسبق ـ كلمة تحت عنوان : حول تحديد ربح القرض والوديعة الاستثمارية .

وبعد مقدمة استغرقت ثلاثة أرباع الكلمة طرح موضوعا للرأى . والمقدمة تتصل بالاجتهاد ولا نريد أن نناقشها هنا ، وإنما نقف عند الموضوع الذى طرحه .

وحتى نوجز إيجازاً شديداً أحدد النقاط الرئيسة التى أناقشها ، وهى :

أولا : الموضوع الذى طرحه لإبداء الرأى .

ثانيا : سبب التحريم : ويرى أن مرده إلى تحديد الفوائد ، وأن الدائن هو الذى يحدد وأن المقترض قد يعجز ولا يحقق ربحاً من القرض فيقع عليه الظلم من المقرض .

ثالثا : سبب التحريم لا ينطبق على البنوك .

وأبدأ المناقشة مستعينا بالله عز وجل .

النقطة الأولى :

الموضوع الذى طرحه فضيلة الدكتور النمر ليس جديداً ، فحكم فوائد القروض استقر منذ أربعة عشر قرناً ، وفوائد البنوك استقر حكمها أيضا ولكن منذ ربع قرن فقط .

ففوائد القروض محرمة بالكتاب والسنة والإجماع .

فأى زيادة على رأس المال يحرمها قوله تعالى : ﴿ وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ ، وهذا خاص بالمدين الموسر ، أما المدين المعسر فيبين حكمه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

وعند قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . .

روى الطبرى عن السدى قال : « نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة ، كانا شريكين فى الجاهلية ، يسلفان فى الربا إلى أناس من ثقيف » . « انظر تفسيره جـ ٦ ص ٧ .

وقال الجصاص فى أحكام القرآن (١/٤٦٥) :

« الربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على مايتراضون به » .

وقال فى موضع آخر (١/٤٦٧) :

« معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضاً

لفضيلة الأستاذ الدكتور

علي السالوس

مؤجلاً بزيادة مشروطة ، فكانت الزيادة بدلا من الأجل فأبطله الله تعالى وحرمه » .

وقال الفخر الرازى فى تفسيره (٩٢/٤) :

« ربا النسيئة هو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفاً فى الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ، ويكون رأس المال ، ثم إذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال » .

والسنة المطهرة بينت أن « من زاد أو استزاد فقد أربى » ونهت عن قرض جر منفعة .

وأما الإجماع فهو ثابت ، قال ابن قدامة فى المغنى (٣٦٠/٤) :

« كل قرض شرط فيه أن يزيده فهو حرام بغير خلاف . قال ابن المنذر : أجمعوا على أن المسلف إذا شرط على المستسلف زيادة أو هدية فأسلف على ذلك أن أخذ الزيادة على ذلك ربا » .

وقال القرطبى فى تفسيره (٢٤١/٣) :

« أجمع المسلمون نقلا عن نبيهم ﷺ أن اشتراط الزيادة فى السلف ربا ولو كان قبضة من علف . كما قال ابن مسعود أو حبة واحدة » .

فتحريم فوائد القروض يعتبر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، فكيف يكون عنواناً لموضوع يطرحه لأخذ الرأى ؟ وقد قال ربنا عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

وأما فوائد البنوك فكان الاختلاف حول حكمها قبل ربع قرن ، حيث لم يدرك بعض الفقهاء طبيعة عمل البنوك : حدثنى فضيلة الشيخ سيد سابق موضحا موقفهم ، فقال : إنهم بنوا فتواهم على أساس أن البنك يستثمر بطريقة دقيقة محسوبة أمكن معها حساب نصيب صاحب رأس المال ، ولم يدركوا أن البنك لا يستثمر ، وإنما يقرض بربا ، وأنه من الممكن أن يتحول إلى منهج إسلامى يتفق مع شروط المضاربة .

وفى سنة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م كان المؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية ، وشارك فيه كبار علماء من خمس وثلاثين دولة إسلامية ، وضم المؤتمر الفقهاء والاقتصاديين ، فاتضحت الرؤية ، بالإجماع ، نعم بالإجماع ، صدرت الفتوى بأن فوائد البنوك من الربا المحرم .

وتلاه مؤتمرات كثيرة انتهت إلى الفتوى ذاتها ، وبعض هذه المؤتمرات غلب عليه طابع الفقه ودعى إليه رجال الاقتصاد وبعضها غلب عليه طابع الاقتصاد ودعى إليه رجال الفقه وأذكر من هذه المؤتمرات على سبيل المثال : المؤتمرات العالمية للاقتصاد الإسلامى ، ومجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامى . ومجمع الفقه المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى ، وذكرت نص فتاوى هذه المؤتمرات فى الطبعة الثانية من كتابى « المعاملات المالية المعاصرة فى ميزان الفقه الإسلامى » ، طبع دار الاعتصام » .

إذن : الموضوع ليس جديداً ، فقد بحث وحسم خلال ربع القرن الأخير ، فلماذا يثار من جديد وهو يتعلق بأكبر الكبائر من السبع الموبقات ؟

وكيف يلقى المسلم ربه إذا ترك فتاوى هذه المؤتمرات والهيئات مجتمعة وأخذ برأى فرد كائناً من كان ؟

←

النقطة الثانية :

قال فضيلته : إن علماءنا جميعاً متفقون على تحريم هذه المعاملة بسبب تحديد ربحها ويقولون إن التحديد جعلها رباً محرماً .

قلت : من الذين أجمعوا واتفقوا ؟ إن سبب التحريم هو مجرد الزيادة أو المنفعة المشروطة فى عقد القرض سواء أكانت الزيادة محددة أو غير محددة ، وكلام الجصاص يبين هذا . وماذكره ابن قدامة وابن المنذر والقرطبى واضح كل الوضوح فى تحريم أى زيادة ، أو هدية ، ولو قبضة من علف أو حبة واحدة ، فضلا عن ٩٪ أو ١٠٪ وما الربا المحرم إذن لو كانت هذه النسبة زيادة على القرض فى مقابل الزمن حلالا غير حرام ؟

وابن قدامة بعد أن ذكر إجماع الأمة بغير خلاف قال :

« إن شرط أن يؤجره داره بأقل من أجرتها ، أو على أن يستأجر دار المقرض بأكثر من اجرتها ، أو على أن يهدى له هدية ، أو يعمل له عملاً ، كان ابلغ فى التحريم » . اهـ

وقال فضيلته أيضا : إن التحديد هو الذى فرضه الدائن على المدين ، لينتهى بعد هذا إلى أن التحديد لو كان من المدين فهو حلال ؟

قلت : عندما بقى شىء من الربا على القبائل لا الأفراد ، وحرمه الله تعالى على لسان رسوله ﷺ : افكان الرسول يسأل أولا : من الذى حدد الفائدة ؟ فإن كان المقرض حرمها ، وإن كان المقترض أحلها ؟ تفرقة عجيبة لم يقل بها أحد من قبل ، وإنما كما قال الجصاص آنفا « .. على ما يتراضون به » . فالمقرض قد يحدد ويرضى المقترض،والمقترض قد يبدأ هو بالتحديد فيرضى المقرض ، وكل منهما يرضى بما يراه محققا لمصلحته ، ومع هذا يأذن كل منهما بحرب من الله ورسوله .

ويبقى هنا ماقاله فضيلته من أن التحديد الذى فرضه الدائنون قد يظلم المدينين ويقصم ظهورهم ، وينتهى بعد هذا إلى أن علة التحريم هى الضرر ، ومتى انتفى الضرر فلا تحريم .

قلت : العلة وصف ظاهر منضبط ، وهى هنا الزيادة المشروطة التى سبق بيانها ، أما الضرر فلا يصلح علة البتة لتحريم الربا ، فالضرر حرام وإن لم يكن من الربا « لاضرر ولا ضرار » ..

« والربا محرم وإن لم يؤد إلى الضرر . وكثير من ربا الجاهلية المحرم كان لا يؤدى إلى ضرر بالمقترض فمعظم القروض كان يستخدم فى التجارة الدولية بالمفهوم الحديث ، حيث كان التجار الكبار الذين يذهبون إلى الشام واليمن يتوسعون فى تجارتهم عن طريق القروض إن لم يرغبوا فى القراض ، أى شركة المضاربة ، وعلى هذا قد نجد صاحب الملايين يقترض من صاحب المئات وقد يكسب أضعاف أضعاف الفوائد الربوية . كما أن هذا التعليل يتنافى مع فقه النصوص فلو كان الأمر هكذا فكيف تلحق اللعنة المقترض ويستوى مع المقرض ؟

حيث لعن الرسول ﷺ : آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه وقال :

هم سواء » .

كما جاء فى الحديث الصحيح المشهور وفى حديث صحيح آخر : « فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، الآخذ والمعطى فيه سواء » .

النقطة الأخيرة :

قال فضيلته : إن التحديد الذى اعتبرناه علة لتحريم التعامل مع الأفراد لا يصلح أساساً لتحريم التعامل مع المصارف لعدم وجود أى ضرر عليها منه .

ومادامت علة التحريم فى التعامل مع الأفراد ـ وهى الضرر ـ غير موجودة فى التعامل مع

المصارف فيكون الإيداع فى المصارف وأشباهها من المؤسسات وتقدير ربح منها ، محدد مقدماً حلالاً غير حرام ، مادامت تستثمر الأموال فى أعمال جائزة شرعا .

قلت : بينت من قبل علة التحريم وليست هى التحديد ولا الضرر .

ولكن نقف هنا عند ختام حديثه : فبكل المقاييس والشروط والعلل التى ذكرها هو نفسه تعتبر الفوائد التى يحددها البنك فى حالة الإقراض ، ويأخذها من الأفراد المقترضين ، من الربا المحرم شرعا . والبنك كما عرفه الاقتصاديون : هو المنشأة التى تتاجر فى الديون ، فهو يقترض بفائدة حددها ، ليقرض بفائدة أكبر حددها البنك أيضا ، وليس المقترض من الأفراد .

ولولا الفائدة التى يأخذها لما استطاع أن يحدد الفائدة التى يعطيها .

والمقترض إن لم يربح يطالبه البنك بالدين والفوائد ، وإذا تأخر عن موعد الأداء يطبق عليه القاعدة الجاهلية المشهورة : إما إن تقضى وإما أن تربى ، وإذا اقترض الأفراد للاستهلاك الضرورى لا للتجارة يلزمون بالقرض وفوائده .

وإذا نظرنا إلى الميزانية الختامية لأى بنك نجد أن دخله أساسا من الفرق بين فوائد القروض التى يأخذها والفوائد التى يعطيها ، بل نجد البنوك بعد أن وصلت إلى مايعرف بمرحلة خلق النقود ، تقرض مالا تملك ، وما لاوجود له ، وتأخذ فوائد عليه ، فهى تقرض أكثر مما لديها من ودائع ، وهذا أمر يعرفه رجال الاقتصاد ، ولذلك فإن الفوائد التى تأخذها البنوك أسوأ من ربا الجاهلية بكثير .

والذى أقرض البنك بفائدة ١٠٪ أقرض البنك أمواله بفائدة ١٥٪ مثلا ، فالبنك إذاً وسيط ربوى بين المقرض والمقترض ، والإقراض فى الواقع للمقترض الأخير ، والبنك هو الذى يحدد كلا من الفائدتين . فالمودع والبنك شريكان فى إقراض الأفراد بالربا ، فكيف يقول فضيلته بأن البنوك تستثمر الأموال فى أعمال جائزة شرعاً ؟ ..

إن هذا ينطبق على البنوك الإسلامية فقط ، ولا يستطيع أى بنك إسلامى أن يحدد الأرباح لأنه لا يعلم الغيب ، ولايعرف ما سيحققه من الأرباح ، ولا ماسيصيبه من الخسائر .

نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً ، وأن يجنبنا الحرام .

التأييد بغير الحق :

بعد نشر موضوع الدكتور النمر بأربعة أيام فقط نشر الأهرام كلمة تحت عنوان : « حكم الشرع فى فوائد القروض والودائع المصرفية » لكاتب يدعى : الدكتور جمال مرسى بدر ، قيل إنه أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة نيويورك .

وقال الكاتب : « إنى أتفق مع فضيلته كل الاتفاق فى الرأى الذى قال به ، وإن كنت اقترح تبريراً آخر للوصول إلى النتيجة نفسها .

ثم قال الكاتب بعد هذا : أرى أن هناك منهجا آخر أقرب منالاً وأقوى حجية للوصول إلى الرأى نفسه ، ذلك أن القاعدة فى الفقه الإسلامى أن الأحكام المانعة التى تقضى بالتحريم لا يتوسع فى تفسيرها ولا يجوز سحبها على مالم يرد به النص ومن ثم فإن الحديث الشريف الذى يحرم أى زيادة فى تبادل الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة لا يجوز أن نعتبره منطبقاً على نقود من غير هذين المعدنين » اهـ ..

قلت فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ النص على تحريم قول كلمة اف للوالدين ، افيقف الحكم عندها ؟ ولا يجوز سحبها على الضرب الذى لم يرد به النص ؟ أو أى لون من ألوان الإيذاء ؟ فمن أين جاء الكاتب إذن بهذه القاعدة ؟

←

أما الحديث الشريف الذى أشار إليه فهو حديث الأصناف الستة المشهور : روى مسلم فى صحيحه عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه ، عن الرسول - ﷺ ، أنه قال : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد » .

قال ابن رشد فى بداية المجتهد (٢/١٢٩) : « اختلفوا فيما سوى هذه الستة المنصوص عليها ، فقال قوم منهم أهل الظاهر : إنما يمتنع التفاضل فى صنف من هذه الأصناف الستة .

فهؤلاء جعلوا النهى المتعلق بأعيان هذه الستة من باب الخاص أريد به الخاص ، وأما الجمهور من فقهاء الأمصار فإنهم اتفقوا على أنه من باب الخاص أريد به العام .. الخ .

وجمهور الفقهاء إذن لا يجعلون حكم التحريم يقف عند الأصناف الستة ، وإن اختلفوا فيما يلحق بها ..

وهنا أمر هام وضرورى وهو أن الاختلاف هنا إنما هو فى البيع لا فى القرض ، أما القرض فله حكم آخر أجمعت عليه الأمة ، وبيناه من قبل ، وسيأتى مرة أخرى ، ونذكر رأى أهل الظاهر الذين خالفوا الجمهور فى حكم البيع .

ولو أمكنا التوسع هنا لتحدثنا عن المنطوق والمفهوم ، وبينا المراد بمفهوم الموافقة ، ومفهوم المخالفة ، وأيهما ينطبق على النقود الورقية . وهذا الموضوع تناولته بالتفصيل فى كتابى « النقود واستبدال العملات دراسة وحوار » وأثبت بالأدلة المختلفة أن أحكام النقود لا تقف عند نقود عصر التشريع ، بل هى باقية ما بقيت النقود . بعد أن قدم الكاتب هذه القاعدة غير الصحيحة انتقل إلى ماهو أبعد من هذا ، حيث قال : « ولهذا فرق الفقهاء بين النقود بالخلقة ، وهى الذهب والفضة فقط ، وبين النقود بالاصطلاح ، وهى ماعدا ذلك . ولما ظهرت فى بلاد الإسلام العملات المسكوكة من المعادن الخسيسة كالنحاس أو البرونز أجمع الفقهاء على أن حكم الربا لا يسرى عليها فأجازوا مثلا أن يقرض زيد عمرا ألف قطعة نقدية من النحاس مشترطا عليه أن يردها ألفا ومائتى قطعة ولم يقل أحد من الفقهاء القدامى من مختلف المذاهب أن المائتى قطعة الزائدة تعتبر من قبيل الربا . ولما كانت النقود الورقية هى المثل البارز للنقود بالاصطلاح ، فإن القاعدة التى طبقها القدامى على غيرها من النقود بالاصطلاح تنطبق على النقود الورقية من باب أولى وأحرى ، ولذلك لا تكون الفوائد فى عصرنا هذا من قبيل الربا المحرم » أ هـ ..

قلت : هذا هو المنهج الذى رأى الكاتب انه أقرب منالاً وأقوى حجية للوصول إلى أن الفوائد ليست من الربا المحرم ، وللأسف الشديد أن هذا منهج لا يعتمد على أصل صحيح أو قول صادق .

انظر مثلا إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما الدرهم والدينار فما يعرف له حد طبعى ولا شرعى ، بل مرجعه إلى العادة والاصطلاح ، وذلك لأنه فى الأصل لا يتعلق المقصود به ، بل الغرض أن يكون معياراً لما يتعاملون به . والدراهم والدنانير لا تقصد بنفسها ، بل هى وسيلة إلى التعامل بها ، ولهذا كانت أثماناً .. والوسيلة المحضة التى لا يتعلق بها غرض لا بمادتها ولا بصورتها يحصل بها المقصود كيفما كانت » (انظر مجموع الفتاوى جـ ٢٩ ص ٢٥١) .

واقرأ معى ماجاء فى المدونة الكبرى للإمام مالك (٣/٣٩٥ - ٣٩٦) :

(قلت) : أرأيت إن اشتريت فلوسا بدرهم فافترقنا قبل أن يقبض كل واحد منا ؟ (قال) لا يصلح هذا فى قول مالك ، وهذا فاسد . قال لى مالك فى الفلوس . لا خير فيها نظرة بالذهب وبالورق ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى يكون لها سكة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة .

(قلت) : أرأيت إن اشتريت خاتم فضة أو خاتم ذهب أو تبر ذهب بفلوس فافترقنا قبل أن نتقابض أيجوز هذا فى قول مالك ؟ (قال) لا يجوز هذا فى قول مالك : لإن مالكا قال : لا يجوز فلس بفلسين ولا تجوز الفلوس بالذهب والفضة ولا بالدنانير نظرة . (ابن وهب) عن يونس بن يزيد عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن أنه قال : الفلوس بالفلوس بينهما فضل فهو لا يصلح فى عاجل لآجل ولاعاجل بعاجل ، ولا يصلح بعض ذلك ببعض ، إلا هاء وهات . (ابن وهب)

قال الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد وربيعة أنهما كرها الفلوس بالفلوس بينهما فضل أو نظرة ، وقالا : إنها صارت سكة مثل سكة الدنانير والدراهم (ابن وهب) عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى حبيب وعبيد الله بن أبى جعفر قال :

« وشيوخنا كلهم إنهم كانوا يكرهون صرف الفلوس بالدنانير والدراهم إلا يدا بيد (قال ابن وهب) قال يحيى بن أيوب ، قال يحيى بن سعيد : إذا صرفت درهما فلوسا فلا تفارقه حتى تأخذها كلها » ا هـ ..

ومع هذا نأتى مثلا إلى الحنفية القائلين بخلقة النقدين ، فنراهم فى الفلوس الرائجة وهى العملة النحاسية ـ يحرمون بيع فلس بفلسين ويقولون : « لأن الفلوس الرائجة أمثال متساوية قطعا لاصطلاح الناس على إهدار قيمة الجودة منها ، فيكون أحد الفلسين فضلاً خالياً عن العوض مشروطا فى العقد وهو الربا » (انظر شرح العناية على الهداية ومثله فى شرح فتح القدير ٦/١٦٢) .

ومن الفقهاء من أجاز بيع الفلس بالفلسين إذا كانت الفلوس غير رائجة ، أى تباع باعتبارها قطعاً من النحاس وليست نقوداً . ولا نريد أن نقف هنا لأن الخلاف فى حكم البيع وليس هذا موضوع البحث ، وإنما البحث يتعلق بالقرض ، وهو موضع إجماع بلاخلاف كما سنبين لاكما ذكر الكاتب .

وماذكره الكاتب من أن الفقهاء أجمعوا على جواز اشتراط المقرض على المقترض أن يرد مقداراً زائداً على القرض مادام هذا من النقود غير الذهبية أو الفضية ، وأن الفقهاء القدامى من مختلف المذاهب لم يقل أحد منهم أن هذه الزيادة المشروطة تعتبر من قبيل الربا هذا القول بعيد كل البعد عن الفقه ويكفى لنقضه ما نقلته آنفا من المدونة الكبرى وفتح القدير ، وقد نص الحنفية على أن الزيادة من الربا ، ويزيد هذا تأكيد النصوص التالية :

قال الإمام مالك فى المدونة (٤/ ٢٥) : « كل شىء أعطيته إلى أجل فرد إليك مثله وزيادة فهو ربا » .

وقال الدردير فى الشرح الصغير مع بلغة السالك (٢/٢٣) : وإن بطلت معاملة من دنانير أو دراهم أو فلوس ترتبت لشخص على غيره من قرض أو بيع ، وتغير التعامل بها بزيادة أو نقص ، فالواجب قضاء المثل على من ترتبت فى ذمته إن كانت موجودة فى بلد المعاملة .

وقال أيضا (٢/١٠٦) : « ورد المقترض مثله قدراً وصفة أو رد عينه إذا لم يتغير فى ذاته عنده » .

وقال ابن رشد الجد فى مقدماته (ص٥٠٧) : « وأما الربا فى النسيئة فيكون فى الصنف الواحد

وفى الصنفين . أما فى الصنف الواحد . فهو فى كل شىء من جميع الأشياء ، لا يجوز واحد باثنين من صنفه إلى أجل من جميع الأشياء » .

وقال الإمام الشافعى فى كتاب الأم (٣/٢٨) : « ومن سلف فلوسا أو دراهم أو باع بها ثم أبطلها السلطان فليس له إلا مثل فلوسه أو دراهمه التى أسلف أو باع بها » ..

وقال الشيرازى فى المهذب : ويجب على المستقرض رد المثل فيما له مثل لأن مقتضى القرض رد المثل (المجموع شرح المهذب ١٢/١٨٥) .

وقال النووى فى روضة الطالبين (٤/٣٧) : « ولو أقرضه نقداً فأبطل السلطان المعاملة به فليس له إلا النقد الذى أقرضه » .

وقال ابن قدامة فى المغنى (٤/٣٦٤) : « المستقرض يرد المثل فى المثليات سواء رخص سعره أو غلا أو كان بحاله » .

وفى مجلة الأحكام الشرعية وهى فى الفقه الحنبلى جاء فى المادة (٧٥٠) : إذا كان القرض فلوسا أو دراهم مكسرة أو أوراقا نقدية فغلت أو رخصت أو كسدت ولم تحرم المعاملة بها وجب رد مثلها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « لايجب فى القرض إلا رد المثل بلا زيادة » .

وقال : « وليس له أن يشترط الزيادة عليه فى جميع الأموال باتفاق العلماء ، والمقرض يستحق مثل قرضه فى صفته » .

مجموع الفتاوى (٢٩/٥٣٥) .

وأهل الظاهر الذين وقفوا عند الأصناف الستة فى البيع لم يخرجوا على الإجماع فى القرض .

قال ابن حزم فى المحلى (٨/٤٦٢) : ولايجوز فى القرض إلا رد مثل مااقترض لا من سوى نوعه أصلا .

وقال فى موضع آخر (٩/٥٠٩) : والربا لا يجوز فى البيع والسلم إلا فى ستة أشياء فقط فى التمر والقمح والشعير والملح والذهب والفضة .

وهو فى القرض فى كل شىء فلا يحل إقراض شىء ليرد إليك أقل ولا أكثر ولا من نوع آخر أصلا لكن مثل ما أقرضت فى نوعه ومقداره على ماذكرنا فى كتاب القرض من ديواننا هذا ، فأغنى عن إعادته وهذا إجماع مقطوع به . هذا كلام الفقهاء السابقين ، وهذا إجماعهم الذى يحكيه ابن تيمية وابن حزم : فالزيادة المشروطة محرمة فى القرض فى كل شىء ، أى لا يشترط أن يكون من الأصناف الستة أو مايلحق بها .

وفي مناقشاتي السابقة للدكتور النمر بينت أن الزيادة المشروطة علي القرض محرمة بالكتاب والسنة والإجماع ، وأن هذا من المعلوم من الدين بالضرورة ، فكيف يأتي هذا الكاتب لينسب للفقهاء خلاف ما ثبت عنهم ويقول بأنهم أجمعوا على حل ما علم تحريمه من الدين بالضرورة ؟

وينتقل الكاتب من تقوله على الفقهاء ما سبق ليقول بأن ماطبقوه على النقود الاصطلاحية ينطبق على النقود الورقية ، ولذلك لاتكون الفوائد فى عصرنا هذا من قبيل الربا المحرم ..

وقد رأينا إجماعهم على أن الزيادة المشروطة فى القرض فى النقود من غير الذهب والفضة بل فى كل شىء تعتبر من الربا المحرم والنتيجة تكون حتما عكس ماانتهى إليه هذا الكاتب .

واضيف إلى إجماع السابقين ماانتهت إليه كل المجامع الفقهية من أن النقود الورقية نقد قائم بذاته له ما للذهب والفضة من الأحكام .

وما جاء بأقوال هذا الكاتب من أن القرض يرد بقيمته الحقيقية لا بقيمته العددية ، وأن الدنانير الذهبية والدراهم الفضية فى القرض كانت ترد بالوزن لا بالعدد نتيجة التآكل أو نقص

الوزن فيمكن أن يقرض مائة ويأخذ مائة وخمسين ، ولم يقل أحد من الفقهاء السابقين أن الخمسين الزائدة تعتبر من الربا المحرم .

قلت : يكفي للرد ذكر بعض ماجاء في كتب الفقة حسبما سبقت الإشارة إليها .

وقد ذكرت من قبل قول الدردير : « ورد المقترض على المقرض مثله قدراً وصفة » .

وقال الصاوى في شرحه لقول الدردير : « فالواجب قضاء المثل ، أى لو كان مائة بدرهم ثم ألفا بدرهم أو بالعكس ، وكذا لو كان الريال حين العقد بتسعين ثم صار بمائة وسبعين وبالعكس ، وكذا إذا كان المحبوب بمائة وعشرية ثم صار بمائتين أو بالعكس وهكذا » (بلغة السالك٢/٢٣) .

وجاء في المدونة (٨/٥٣) :

قلت : أرايت إن أتيت إلى رجل فقلت له سلفني درهم فلوس ففعل ، وفلوس يومئذ مائة فلس بدرهم ، ثم حالت الفلوس ورخصت حتى صارت مائتا فلس بدرهم ؟ قال أى الإمام : إنما يرد مثل ما أخذ ولا يلتفت إلى الزيادة وقال ابن قدامة في المغنى (٤/٣٥٦) ؛ وإن كانت الدراهم يتعامل بها عدداًفاستقرض عددا رد عدداً ، وإن استقرض وزنا رد وزنا .

وقال في موضع آخر (٤/٣٦٤ ـ ٣٦٥) : « ولو أقرضه تسعين دينارا بمائة عددا والوزن واحد ، وكانت لا تنفق في مكان إلا بالوزن جاز ، وإن كانت تنفق برءوسها فلا ، وذلك لأنها إذا كانت تنفق في مكان برءوسها كان ذلك زيادة ، لأن التسعين من المائة تقوم مقام التسعين التى أقرضه إياها ويستفضل عشرة ، ولا يجوز اشتراط الزيادة ، وإذا كانت لاتنفق إلا بالوزن فلا زيادة فيها وإن كثر عددها » .

ثم قال بعد هذا : المستقرض يرد المثل من المثليات سواء رخص سعره أو غلا أو كان بحاله ... وأما رخص السعر فلا يمنع ردها سواء كان كثيراً مثل إن كانت عشرة بدانق فصارت عشرين بدانق أو قليلا لأنه لم يحدث فيها شيء إنما تغير السعر فأشبه الحنطة إن رخصت أو غلت : في هذا وماسبقه الكفاية وهل الكاتب اراد من هذه الدعوى أن يصل إلى موضوع مثار منذ سنوات وهو أن الفوائد عوض عن التضخم ومعلوم أن الفائدة في مقابل الزمن ، وليس التضخم ، والمرابون يأكلون الربا حتى لو زادت قيمة العملة المقترضة ، ولو كانت مرتبطة بالتضخم لوجب رد الأقل من القرض وليس الأكثر عند ارتفاع قيمتها ولوجب النص على أن الزيادة أو النقصان يرتبط بقيمة النقود من حيث الارتفاع أو الانخفاض ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، بل إن القوانين الوضعية التى تحكم أعمال البنوك الربوية تبين أن الفوائد مرتبطة بالزمن ، وأن القرض يرد بمثله عدداً لا بقيمته ومن نصوصها :

« إذا كان محل الالتزام نقودا التزم المدين بقدر عددها المذكور في العقد دون أن يكون لارتفاع قيمة هذه النقود أو لانخفاضها وقت الوفاء أى أثر » .

(انظر الوسيط للسنهورى ١/٣٨٧ ، وانظر شرح هذه المادة من القانون المدنى ، ومايتصل بها) ومن المعلوم أن خلق البنوك للنقود ساعد على التضخم .

وإن تعجب فعجب ختام كلمة هذا الكاتب حيث يقول :

فليتق الله الذين يريدون إلغاء الفوائد بدعوى أنها من الربا المحرم هكذا ينهى كلمته الباطلة وهو وأمثاله قد قالوا من قبل . إن ودائع البنوك تدخل في شركة المضاربة الإسلامية ، والفوائد أرباح حلال غير حرام .

فلما سفه رأيهم ، وظهر خطؤهم واضحاً

←

جلياً ، وثبت جليا من واقع عمل البنوك وقوانينها أن ودائع البنوك عقد قرض شرعا وقانونا ، اعترفوا بأن الفوائد فوائد قرض لا مضاربة وكان عليهم أن يرجعوا إلى الله عز وجل مستغفرين تائبين ، بعد أن احلوا إحدى الكبائر الموبقات ، والتحريم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة ولكنهم تمادوا فى خطئهم ، فخطوا خطوة اقبح من الأولى ، وأحلوا الحرام البين .

ثم يأتى هذا الكاتب فى جراة نادرة فيعتبر تحليل هذا الحرام البين من تقوى الله .. ويدعو المجامع الفقهية وخيرة العلماء الذين بينوا حرمة الفوائد كما حرمها الله عز وجل إلى تقوى الله بالتوقف عن الدعوة إلى إلغاء الفوائد ..

وأحب أن أذكر الكاتب بأن الإمام البخارى ذكر فى كتاب الإيمان من صحيحه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه » .. الخ .

وجعله البخارى تحت باب فضل من استبرأ لدينه .

قال الحافظ بن حجر : قوله باب فضل من استبرأ لدينه :

كأنه أراد أن يبين أن الورع من مكملات الإيمان ، فلهذا أورد حديث الباب فى أبواب الإيمان . فإذا كانت فتوى تحريم الفوائد قد استقرت كما بينا ، أفتكون التقوى بارتكاب هذا الحرام البين أم باجتنابه ؟ ولو سلمنا جدلا بأن هذا ليس من الحرام البين ، أفيمكن أن يقول أى فقيه بأنه ليس من الشبهات ؟

وعندئذ تكون التقوى الأخذ بقول الرسول ﷺ : « فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه » ، وليست التقوى الاجتراء على الشبهات فضلا عن الحرام .

كما أحب أن أذكر بقول الرسول ﷺ فيما رواه الدارمى فى سننه : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » .

ثم ذكر هذا الكاتب أن رأيه يؤيده فتوى صدرت من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر وقت أن كان مفتياً للجمهورية وذكر رقم الفتوى وتاريخها .

وبالبحث عن هذه الفتوى فيما نشرته دار الإفتاء (الفتاوى الإسلامية) تبين أن هذه الفتوى واردة فى المجلد العاشر رقم ١٢٩٧ ـ ص ٣٥٥٢ من مجموع الفتاوى الإسلامية التى أصدرتها دار الإفتاء المصرية ونشرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، وقد انتهت الفتوى إلى أن مبادلة الذهب بالذهب يقتضى التساوى فى القدر اى الوزن دون نظر إلى العدد فى الموزون لعلة الثمنية .

ولم تتعرض هذه الفتوى لما تقوله السيد الدكتور الكاتب فيمانشرته له الأهرام فى الكلمة المشار إليها آنفا ، ولاتفصح الفتوى تصريحاً أو تلميحاً إلى تناقص القيمة الحقيقية للنقود فى هذا العصر ، أو مايسمى بتآكل الدنانير والدراهم .

ثم الحديث عن موضوع التضخم والاستعاضة عنه بالفوائد وماجاء بهذه الفتوى مؤيد بأقوال الفقهاء التالية والسابق ذكرها .

قال ابن قدامة من قبل : « وإن كانت الدراهم يتعامل بها عددا فاستقرض عددا رد عددا وإن استقرض وزنا رد وزنا » .

وما ذكره أيضا فى موضع آخر : « ولو اقرضه تسعين ديناراً بمائة عدداً والوزن واحد ، وكانت لا تنفق فى مكان إلا بالوزن جاز . وإن كانت تنفق برءوسها ـ أى بالعدد ـ فلا ، وذلك » .. الخ .

ومعلوم بداهة أن النقود الورقية يتعامل بها

عددا لاوزنا ، وأماالقيمة من حيث الرخص والغلاء فقد سبق قول الفقهاء : « المستقرض يرد المثل من المثليات سواء رخص سعره أو غلا او كان بحاله » ..

هذا ويبدو أن فضيلة الدكتور الشيخ النمر مازال مصرا على استمرار العرض فقد عاد إلى طرح الموضوع بجريدة (أخبار اليوم) الصادرة فى ١٩٨٩/٧/١٥ الذى اضاف فيه إلى ماسبق نشره بالأهرام (حسبما جاء فى مقدمة هذا المقال) . إن مجمع البحوث اخذ برايه ، ان شهادات الاستثمار ليس فيها استغلال فليس فيها ربا .

وواقعة الحال كما هى ثابتة فى محاضر لجنة البحوث الفقهية ولدى الإدارة المختصة بالبنك الأهلى - شهادات الاستثمار - حسبما اخبرنى عدد من السادة اعضاء تلك اللجنة قد بحثوا تصحيح التعاقد فى هذه الشهادات الوارد فى القرارات الوزارية المنظمة لإصدارها وتوقف الأمر من جانب مندوبى البنك الأهلى حيث لم يقبلوا التصحيح الذى عرضته اللجنة .

ومن ثم فإن ماجاء بالمقال الأخير من أن المجمع وافق على رأى فضيلة الدكتور بشرعية فوائد هذه الشهادات خلاف الواقع ، وأنها ماتزال محل البحث ، أو على الأقل التوقف من جانب البنك الذى يريد أن يلوى العلماء النصوص الفقهية المشار إليها واسانيدها الشرعية لتجرى مع مايريد دون أن يفكر رجال البنك فى النزول عند حكم الشرع .

ثم أعاد فضيلة الدكتور النمر فى ذات المقال الأخير موضوع تحديد ربح القرض والوديعة الاستثمارية وردد موضوع خلو التعامل مع البنك من الاستغلال ، وكأن عليه ربا الزيادة هو الاستغلال مع أن هذا غير صحيح إذ الاستغلال ليس علة منصوصة ولا مستنبطة تدخل فى نطاق العلة المنضبطة حسبما سبق تحديد معنى العلة التى تجرى مع الحكم الشرعى وجودا وعدما .

وما ألمح فضيلته من أن الحكمة قد يبنى عليها الحكم ، وما ذهب إليه فى كتابه الاجتهاد ترجيحا لهذا الفهمّ لا يتسع المقام لبيان مخالفته للقواعد المتفق عليها للاجتهاد وأصوله .

وقد عجبت من تبرير عمل المصارف والتوجيه إلى أنها تستثمر أموال الإيداع التى لديها فى أعمال مشروعة وإنتاجية ، واعتقد أن المعلومات التى قدمت لفضيلة الدكتور عن عمل البنوك التجارية قد شابها الكثير من التدليس ، إذ أن عمل هذه البنوك هو الاتجار والوساطة فى الإقراض والإقتراض فهى تعمل على توليد النقود نقوداً مع انها عقيم لا تلد لو اغلقت عليها الخزائن ، وإنما ولادتها الشرعية تكون بالاستثمار المباشر فى أعمال إنتاجية ، زراعية وصناعية وتجارية .

أما التوليد العقيم غير المشروع فهو هذه الفوائد التى تأخذها من الإقراض ثم تعطى القليل منه للمقرض - أصحاب الودائع . -

ومن عجب مرة أخرى أن يقول فضيلة الدكتور النمر أن البنك لم يطلب من الناس أن يقرضوه فهلا قرأ إعلانات الإغراء الصادرة عن البنوك المختلفة بالدعوة إلى الإيداع لديها بفوائد منشورة - ومحددة ، أليس هذا طلباً ودعوة إلى المزيد من التعامل بالربا ؟ والتى تمتلىء بها الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والجوائز التى رصدها ..

وماذكره فضيلته فى ختام مقال أخبار اليوم من أن هيئة كبار العلماء (فى أى جهة لم يقل) قد

←

فوائد القروض والبنوك

وافقت على جواز الإيداع لدى شركات الكهرباء والنقل الجماعى لحاجتها إلى السيولة المالية وجعلت ربحاً مقدماً لمن يودع مقداره ١٥٪ ولم يقولوا إنها ربا ، وفات فضيلة الدكتور - إن كان هذا واقعا - أن شركات الكهرباء والنقل الجماعى شركات إنتاجية ذات عمل وليست بنوك توليد نقود بالإقراض بالفائدة .

واعتقد أن هيئة كبار العلماء التى أشار إليها لابد أن تكون قد وضعت أو أقرت مواصفات عقد الإيداع لدى هذه الجهات حتى لايقع فيها شرط لم يرد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ .

ولاشك أن هناك فارقاً كبيراً بين هذه الصورة التى أشار إليها عن شركات الكهرباء وشركات النقل الجماعى وبين ودائع البنوك والاقتراض والإقراض المتبادل بينها هو الفارق بين الحلال والحرام .. وفيما تقدم من نصوص الفقهاء التى لايرضى عنها فضيلة الدكتور - كما هو باد فى مقاله الأخير - مايقطع بذلك - ويؤكد الفرق الكبير من البون الشاسع بين الحلال وبين الحرام .. أما ماعرضه فضيلته واختتم به المقال وهو :

ماذا يكون الحكم والموقف لو كتب المصرف وقال ١٠٪ تحت الربح والخسارة ، ماحكم العلماء ورجال المصارف ؟

وليأذن لى فضيلة الأستاذ الدكتور النمر :
إذا كان عمل البنوك التجارية هو التجارة فى النقود بالفوائد المحددة سلفاً ، والتى تدخل تحت ربا الزيادة ، فهل تكون هذه الفوائد من المال الحلال أو أنها الربا المحرم ؟ لأن هذه البنوك لا تتداول المال ولا تستثمره بطرق مشروعة وإنما تتداوله بالربا المحرم بنص القرآن والسنة وإجماع الأمة ، ومن ثم كان هذا السؤال المطروح فى ختام المقال مردوداً لأنه فى الربا الموضوع بنص خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع ..

وأسترعى نظر القراء الأفاضل إلى أقوال العلماء فى القرض والوفاء به التى سقناها فى الصفحات السابقة وأتلو عليهم قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَاتَظْلِمُونَ وَلَاتُظْلَمُونَ ﴾ . .

يعلم الناس جميعا أننا تلقينا نظام البنوك السائد من الغرب وهم يستحلون الربا ويصدرونه إلى الناس ، وفى الإسلام أن استحلال الحرام خروج من الإسلام ، وخير للمسلمين أن يصححوا معاملاتهم إسلامياً فيما بينهم دون أن يتأولوا النصوص على غير وجهها ..

والأمل ألا نكون ممن قال الله فيهم فى سورة البقرة : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَاعَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .
أسأل الله لنا جميعا أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجنبنا الزلل فى القول والعمل .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾
﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

الائتمان في البنوك التجارية
وآثاره الربوية

بقلم: ا.م.خ
د. فوزى محمد طايل

أشرنا فى مقال الشهر الماضى عن الفوائد الربوية فى البنوك التجارية وثمّة ظاهرة أخرى تنشأ عن عمليات الإقراض (البنكية) تسمى «خلق الائتمان» DEPOSIT CREATION وهى عملية مالية اقتصادية معقدة بعض الشىء : فعلى الرغم من ادعاء كل بنك تجارى على حدة أنه لا يستطيع أن يقرض سوى جزء مما يحوزه من ودائع ، فإن الحقيقة تخالف ذلك ، فأى «نظام مصرفى» فى العالم يتعامل بالإقراض «بفائدة» يمكنه - عملا - أن يوسع من نطاق القروض التى يمنحها بما يعادل «أضعاف الودائع الأصلية» (الحقيقية) التى تودع فى ذلك النظام المصرفى .

ولتبسيط الأمر وتوضيحه نفترض أن البنك (أ) تلقى وديعة قدرها ١٠٠٠ جنيه ، وأن القانون يفرض أن تُودع البنوك التجارية ١٠٪ من الودائع التى تصلها فى البنك المركزى كاحتياطى قانونى ، فإن البنك (أ) المذكور سوف يستطيع أن يقرض ٩٠٪ من الوديعة (الحقيقية) ، أى : يقرض ٩٠٠ جنيه بوضع هذا المبلغ تحت تصرف المقترض .

قد يقوم المقترض بسحب هذا المبلغ فيودعه بنكا آخر «ب» إلى حين استخدامه فى الغرض الذى اقترض من أجله .. وهنا يقوم البنك (ب) بإرسال ١٠٪ من مبلغ الـ ٩٠٠ جنيه هذا إلى البنك المركزى كاحتياطى قانونى ويقرض الـ ٩٠٪ أى ٨١٠ جنيهات إلى شخص ثالث .

قد يقوم المقترض الجديد بسحب مبلغه (٨١٠ جنيهات) التى اقترضها ليودعها بنكا ثالثا (هـ) .. وهذا الأخير يفعل مثل سابقيه .. وهكذا .

وقد لاحظ علماء الاقتصاد (الربويون) هذا الأمر فوضعوا له «قانونا» مؤداه أنه بدخول وديعة (حقيقية) إلى الجهاز المصرفى المذكور فإنه يمكن إجراء سلسلة من القروض (الربوية) المتوالية تبلغ قيمتها (عشرة أضعاف) الوديعة

الائتمان فى البنوك التجارية

(الحقيقية) فى مثالنا هذا ، وهذا القانون كما يلى :

$$1000 \times \left(\frac{1}{1 - \frac{9}{10}} \right) = \frac{1000 \times 1}{\frac{1}{10}}$$

$$= 1000 \times 10$$

$$= 10000$$ جنيه .

هذه المبالغ التى تم خلقها من الهواء «Out of thin air» يعتمد النظام المصرفى فى خلقها على مجرد اطمئنان الأفراد على ودائعهم ، وعلى ثقتهم فى الجهاز المصرفى !

فالبنوك التجارية وهى تتلقى الودائع ، وتمنح القروض ، وتخصم الأوراق التجارية (الأسهم والسندات) ، وتسعى إلى تحقيق أكبر ربح ممكن ، إنما تقوم «بخلق الائتمان» بطريقة تلقائية ، يحكمها القانون المذكور ؛ فالوديعة المبدئية (الحقيقية) ينشأ عن تداولها بتلكم الكيفية مجموعة من (الودائع المشتقة) ، وفى نفس الوقت يزداد الاحتياطى القانونى لدى البنك المركزى بمناسبة كل عملية إيداع .

وإذا كانت هذه هى الفكرة الرئيسية فإن الأمر يحتاج إلى مزيد من البسط والإيضاح :

١ ـ من المنطقى أن كل مقترض لن يقوم بإيداع كل ما اقترضه فى الجهاز المصرفى وإنما قد يستخدم جزءا منه فى غرض استثمارى أو استهلاكى ، وهذا القدر يطلقون عليه «تَسَرُّباً» Leakage ، وهذا قد يقلل من القدرة على خلق الائتمان فتصبح فى مثالنا تسعة أضعاف أو أكثر قليلا أو أقل قليلا .

٢ ـ عادة ما يحتفظ كل بنك تجارى بسيولة نقدية لمقابلة الطلبات العادية للسحب اليومى تكون فى حدود ٢٪ أو أقل قليلاً فى حالة ارتفاع سعر (الفائدة) ، وزيادة ثقة الأفراد فى النظام المصرفى .

٣ ـ قد يفرض البنك المركزى (وهو بنك الحكومة) احتياطياً كبيراً يودع لديه قد يصل إلى ٢٥٪ من الودائع فى حالات عدم الاستقرار الاقتصادى .. فإذا طبقنا القانون سالف الذكر فإن «خلق الائتمان» سوف يكون مساويا :

$$1000 \left(\frac{1}{1 - \frac{75}{100}} \right) = 4000$$

جنيه أى أربعة أضعاف الوديعة (الحقيقية) .

ومع أخذ الظروف المذكورة فى الاعتبار ، وغيرها مما هو أكثر تعقيداً فإن أى جهاز مصرفى (ربوى) يستطيع «خلق ائتمان» لا يقل عن أربعة أضعاف قيمة الودائع (الحقيقية) .

والآن نتساءل : ماذا لو أقبل المودعون على سحب ودائعهم بشكل مفاجىء ؟

لقد وقع مثل هذا الافتراض فى الفترة السابقة على إنشاء البنوك المركزية ـ فلم يكن هناك احتياطى قانونى ـ وكانت النتيجة إفلاس البنوك التى واجهت هذا الموقف ، إذ لم تستطع أن تدفع للمودعين قيمة ودائعهم !! وعلى سبيل المثال فقد فشل (٦٥٩ بنكا) أمريكيا فى رد الودائع المستحقة لديهم عند طلبها عام ١٩٢٩ م .

أما بعد إنشاء البنوك المركزية فقد أصبحت تمتلك من الوسائل ما يمكنها من تقليل فرص حدوث مثل هذا الانهيار عند «الطلب الجزئى» ، وإن كان حدوث مثل هذا الأمر مازال «غير مستحيل» not an impossible خاصة فى «الدول النامية» ، وبخصوصية أكثر فى مجال

«العملات الحرة» ، إذ لا يستطيع البنك المركزى أن يوفى بها كلها دفعة واحدة ، كما لا يمكنه إصدار «عملات حرة» كما يفعل فى مثل هذه الظروف إذا كان الطلب على العملات المحلية .

والبنك المركزى ما هو إلا بنك يتعامل فى «الائتمان» شأنه شأن البنوك التجارية ، لكنه مملوك للحكومة ، أو على الأقل تمتلك الحكومة جزءاً كبيراً من رأسماله للسيطرة عليه وتوجيه عملياته ، وضمان تنفيذه لسياستها ، كما أن له وظائف أخرى ، يهمنا منها الآن دوره (كبنك) يتحكم فى «الائتمان» تحكما «كميًا» من خلال تحديده لنسبة الاحتياطى القانونى الواجب أن تودعها البنوك التجارية لديه ، والحد الأدنى من السيولة التى يجب على البنك التجارى الاحتفاظ بها لمواجهة الطلبات اليومية ، كما يحدد سعر إعادة خصم الأوراق التجارية ، ويتعامل فيها ، ويصدر العملات المحلية . وكلها عمليات تتحكم فى «القدرات الائتمانية» للبنوك التجارية ، وتعالج الاضطرابات الاقتصادية التى تنشأ من جراء المعاملات «الربوية» يقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة/ ٢٧٥) .

لئن كان هذا النظام قد لاقى نجاحاً ظاهرياً ـ حتى الآن ـ فى «الدول الصناعية المتقدمة» ، فإنه قد لاقى فشلاً ذريعاً فى «الدول النامية» ، التى تعانى من التضخم المقرون بضعف الإنتاج وقلة حجم الصادرات ، وتعانى غالبيتها من ظاهرة «الركود التضخمى» ويرجع هذا إلى عدة أسباب لعل أهمها :

١ ـ نجحت الدول «الإمبريالية»[1] منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فى ربط عملات الدول التى كانت تسيطر عليها (والتى تسمى الآن بالدول النامية) بعملاتها تدريجيا ، بحيث أصبحت العملات الأجنبية هى غطاء عملات الدول النامية (عوضا عن الذهب) ، وأطلق على الأولى ـ العملات الأجنبية ـ لذلك وصف (العملات الحرة أو العملات الصعبة) ، فأصبحت هى المستودع الحقيقى للقيمة ، وصارت العملات المحلية للدول النامية خاضعة ـ بشكل غير مباشر ـ لقرارات البنوك المركزية للدول «الإمبريالية» ، فصارت «الأجهزة المصرفية» فى الدول النامية تدعم الأجهزة المصرفية للدول الصناعية الكبرى من حيث لا تدرى .

٢ ـ نظراً لضعف القدرات الاستثمارية للدول النامية فإنها تلجأ إلى إيداع قدر كبير من أرصدتها (الحرة) لدى البنوك الأجنبية فى الخارج ، فتدعم هذه الأخيرة وتزيد من قدراتها على «خلق الائتمان» وبالتالى على الإقراض ، والاستثمار ، بل وعلى منح المعونات «المشروطة» .

٣ ـ إن القروض التى تمنحها الدول الصناعية الكبرى للدول النامية هى فى حقيقتها قروض وهمية إذ تحتسب عليها الفوائد من يوم توقيع عقودها ، ثم تحتجز فى البنوك الأجنبية ، ربما لسنوات قبل أن يفرج عنها ، فيعاد إقراضها (بنظام خلق الائتمان) إلى دولة ثانية ، وثالثة ورابعة .

هذا فضلاً عن استهلاك قدر كبير من هذه

←

(١) آثرنا إطلاق هذا الوصف على ما يسمى خطأ (بالدول الاستعمارية) ، لأن اللفظ الأخير لا يدل على حقيقة تلك الدول التى تعمل على استغلال الشعوب ونهب ثرواتها وإذلالها ، واللفظ المستخدم مشتق من كلمة (امبراطورية) بمعنى قهر الشعوب وضمها بالقوة .

← الائتمان فى البنوك التجارية

القروض فى تقديم خبرات أجنبية إجبارية غالبا مالا تكون الدولة المقترضة فى حاجة إليها ، ويستخدم ما يتبقى من القرض فى بيع سلع بعينها من خلال «عقود إذعان» تُغلب فيها الدولة المقترضة على أمرها .. وتلزم الدولة الدائنة - غالبا - الدولة المدينة باستخدام وسائل نقل تابعة للأولى لنقل السلع المباعة ، فلا تكاد الدولة المقترضة تحصل على شيء من أصل الدين .

ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد ، بل يتم استيفاء القروض وفوائدها الباهظة فى فترة لاحقة تكون فيها العملة المحلية قد تراجعت بشدة أمام العملة الأجنبية ، وأسعار خامات الدولة النامية انخفضت .. وعند التأخر عن موعد سداد الديون تعاد جدولتها فتضاف الفوائد إلى أصل الدين ، ويصبح الربا أضعافاً مضاعفة .

وبعد .. فهذه إشارة سريعة لنظام «خلق الائتمان» وآثاره . ولنا كلمة أخيرة فإن الله تعالى قد أنزل على رسوله شرعاً متكاملاً ومنهاجاً يحتوى على أسس ودعائم اقتصاد إسلامى صالح لكل زمان ومكان . قال تعالى : ﴿ . . . لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة/ ٤٨) .. فمن اتبع هدى الله فقد اهتدى ، ومن تنكب الطريق السوى فقد ضل وغوى ، وعلينا أن نذكره بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾ (طه/ ١٢٤) .

إن علماء الاقتصاد المسلمين المؤمنين لمكلفون ببيان المنهاج الاقتصادى الإسلامى والدعوة له ، وترسيخ قيمه فى نفوس الأمة ، حتى لا نضل فنشقى . ولنتذكر جميعاً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/ ٢٨١) .

طموحات روحية

تثيرها الهجرة

للأستاذ : عبد الحفيظ فرغلى القرنى

تتجدد ذكرى الهجرة المباركة كل عام وتتجدد معها معانٍ روحية ، تثير فى نفوس المؤمنين إشراقات نحو عالم افضل ، وطموحات لآمال عظمى ، ويودون لو عاد الزمن القهقرى حيث كانت هذه الإشراقات فى متناول الأيدى ، وحيث كانت هذه الطموحات واقعاً يعيشه المسلمون ، يحيون فى ظله ، ويتنفسون عبيره النقى واريجه الزكى .

عالم اليوم :

فنحن الآن فى عالم متطاحن يموج بالآلام ، ويزخر بالاضطرابات ، وهذه هى الصراعات الدامية فى كل مكان ، وهذا هو المجتمع الذى نعيش فيه قد أصبح مجتمعاً مادياً ، لا يعنى أصحابه إلا بالدرهم والدينار ، ولا يقاس فيه الناس إلا بمقياس الثروة والجاه والترف والاقتناء ، ولا سؤال لهم عن أحد إلا : كم يكسب ؟ وكم يملك ؟ وما منصبه ؟ وما هوايته ؟ إلى غير ذلك من المقاييس المادية التى لا قيمة لها فى نظر الإسلام الذى يقيس الناس بالتقوى والعمل الصالح ، والتى لا تغنى عن صاحبها شيئاً غداً يوم العرض على الله .

مجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة :

هذا المجتمع الذى نعيش فيه اليوم لم يكن له وجود يوم هاجر المسلمون مع نبيهم ﷺ إلى المدينة المنورة .

كان المسلمون يعيشون فى ظل وحدة كريمة شعارها الإيثار والوفاء ، واهتماماتهم تدور حول الإسلام ومبادئه وتطبيقه ، ولنلتقط من هذه المبادىء مبدأ الإيثار مثلاً ، لنرى كيف طبقه المسلمون فى حياتهم الأولى ، وعاشوا فى ظله الوارف أسعد حياة وأكرمها ، وكيف كانوا جميعاً إخوة أوفياء بررة .

النبى يؤاخى بين أصحابه :

ومنذ هاجر النبى ﷺ إلى المدينة عقد ميثاق الأخوة الصادقة بين المهاجرين والأنصار قائلاً لهم : تآخوا فى الله اثنين اثنين . ثم اتسعت دائرة الأخوة حتى شملتهم جميعاً .

←

طموحات روحية

قال السهيلي ـ في الروض الأنف : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله ـ سبحانه ـ ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ـ الأنفال ٧٥ ـ أعني الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة ، يعني في التواد وشمول الدعوة .

وقال ابن اسحاق ـ فيما يرويه ابن هشام في سيرته ـ : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال ـ فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ـ : تآخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي ، فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب أخوين ..

وكان حمزة أسد الله وأسد رسوله وعم رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ـ وإليه أوصى حمزة يوم أحد ، حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت .

وكان أبو بكر الصديق وخارجة بن يزيد الخزرجي أخوين ، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجي أخوين .

وكان أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين ..

وهكذا كانت الأخوة على مبدأ الإسلام الذي نسى المسلمون جميعاً في ظله العنصر والأصل والجنس والحسب ..

ماترتب على هذه الأخوة :

وترتب على هذه الأخوة أن كان الأخ يؤثر أخاه على نفسه ، ويقدمه على خاصة أهله وولده وذوي قرباه .

وضرب الأنصار المثل الأعلى في ذلك حتى نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ـ الحشر ٩ ـ .

قال القرطبي في سبب نزول هذه الآية : كان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم ﷺ أموال بني النضير دعا الأنصار ، وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم وإشراكهم في أموالهم ، ثم قال : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليَّ من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ماهم فيه من السكنى في مساكنكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم . فقال سعد بن عبادة وسعد ابن معاذ : بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا . وقالت الأنصار : رضينا وسلمنا يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار » . وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً سوى ثلاثة منهم كانوا في حاجة .

هذا المثل من الإيثار الكريم هو الذي يعز وجوده في مجتمع المادة الذي يلفحنا الآن هجيره ويحرقنا لظاه .

إنه مظهر الرحمة والإيمان والحب في الله الذي تهون في سبيله التضحية وتهون الدنيا بأسرها .

ومازالت الذكرى تحفظ لنا من قصص الإيثار مايطمئن النفوس إلى جلال عالم المثل الذي عاشه المسلمون الأوائل ـ رضوان الله عليهم ـ

روى الترمذي عن أبي هريرة ـ والقصة يذكرها القرطبي في تفسيره ـ : أن رجلاً بات به ضيف ، فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ، فقال لامرأته : نومي الصبية وأطفئي السراج

وقربي للضيف ماعندك .. فنزلت هذه الآية ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . قال الترمذى : هذا حديث صحيح حسن ، وخرجه مسلم أيضا .

وروى هذه القصة ابن كثير أيضا فى تفسيره بأسلوب آخر جاء فيه : حين أصبح هذا الرجل غدا على رسول الله ﷺ ـ فقال له الرسول : لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة .

وكذا رواه البخارى والنسائى من طرق عن فضيل بن غزوان .

وقيل :إن هذا الأنصارى الذى ضاف الرجل هو أبو طلحة ، وقيل :إن هذا الضيف كان ضيف رسول الله ﷺ ـ ولم يكن عند النبى ما يقريه به ، فأخذه أبو طلحة وقراه وآثره على نفسه وزوجه وولده .

الإيثار مظهر الوفاء :

ويتصل بالإيثار الوفاء فهما إلفان لا يتخاصمان ، وما الإيثار إلا مظهر الوفاء وإن شئت فقل : هما وجهان لحقيقة واحدة هى الإسلام .

وقد أصبح الوفاء فى عالمنا هذا أندر من الكبريت الأحمر .

ويلتقى مع الوفاء التناصح والتناصر وعدم الغش . فكل هذه المناقب من معين واحد هو معين الإسلام الصافى الذى لا تنضب مكارمه ولا تنتهى مآثره ، وقد جاء ليطهر النفوس ، ويحيى الأرواح وينقى القلوب .

ومن القصص التى تروى فى ذلك ، وهى تثير الغيرة فى النفوس ما يقصه ابن كثير فى تفسيره ، ويرويه الإمام أحمد فى مسنده .

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » .

فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد تعلق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى .

فلما قام رسول الله ﷺ ، تبع عبد الله بن عمرو بن العاص الرجل فقال : إنى لاحيت أبى فأقسمت الا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى فعلت .

قال : نعم . قال أنس : فكان عبد الله يحدث انه بات معه تلك الليالى الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير أنه إذا تَعَارَّ وتقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر .

قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أحتقر عمله ، قلت : ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرار : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة . فطلعت أنت الثلاث مرار .

فأردت أن أوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به ، فلم أرك تعمل كثير عمل . فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟

قال : ماهو إلا مارأيت .

فلما وليت دعانى فقال : ماهو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله .

قال عبد الله : هذه التى بلغت بك ، وهى التى لا تطاق .. ورواه النسائى « فى اليوم والليلة » .

إن ما حدَّث به هذا الصحابى الجليل عن نفسه كان صورة صادقة لمجتمع المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها ..

وهو ما نفتقده فى عالمنا اليوم الذى يغص بالغش والخداع والغيرة المذمومة والحسد والحقد والدس والتآمر .

←

طموحات روحية

المسلمون إخوة فيما بينهم يد على من سواهم :

حقاً كان المجتمع لا يخلو من صراع ، ولكنه لم يكن صراعاً بين المسلمين انفسهم ، ولكنه كان صراعاً بينهم وبين طوائف ثلاث هم أعداء لهم .

فالمنافقون من جانب ، وهم الذين أظهروا الإسلام وابطنوا الكفر ، وهؤلاء لا يحسبون على المسلمين ، ولكنهم يحسبون على انفسهم ، لأنهم يمثلون قطاعاً كان ومايزال ينخر فى جسم أى مجتمع فى أى مكان وزمان .

والمشركون من جانب آخر ، وهم الأعداء التقليديون الذين أَمَرَ النبى ﷺ صحبه بمفارقتهم إلى المدينة . ولم تنطفىء نار الحقد والكفر والعداوة فى نفوسهم بهجرة المسلمين ، بل ازدادت ضراوة وحدة ، ونشبت معارك ضارية بين المسلمين وبينهم ، ولم تنته إلا بفتح مكة الذى قضى على الكفر نهائياً فى الجزيرة العربية .

واليهود من جانب ثالث ، وقد حسدوا النبى ﷺ - على ما آتاه الله من فضله ، وغذوا الطائفتين الآخريين بالتآمر والأحقاد ..

أما المسلمون فيما بينهم فكانوا مُثلا صادقة كاملة فى الحب والمودة والرحمة والإيمان وقوة العقيدة وبذل الروح والمال فى سخاء وسماحة واريحية فى سبيل الله .

وقد كان استقبال الأنصار للنبى ﷺ - فى المدينة صورة نادرة للحب ، تعلمنا كيف تكون العلاقة بين المسلمين وقائدهم الأعلى ، وكيف تكون صورة القائد الأعلى كذلك .

ولقد صنع حب المسلمين لنبيهم وفيما بينهم الأعاجيب ، وصنع للإسلام مستقبله المشرق الزاهر .

ماذا يجب علينا ؟

إننا ننظر الآن من خلال خمسة عشر قرنا خلت إلى الهجرة ، ومابذل المسلمون فيها من تضحيات جسام ، فنأسى لما نحن فيه من تواكل وتعادٍ وتقاطع وتصارع فى كل مكان . حتى لا يكاد البيت الواحد الذى تربط أفراده أصرة الرحم يخلو من ذلك الداء الوبيل ، داء الشقاق والنزاع والأثرة والأنانية . وماتزال الصحف اليومية تطالعنا كل صباح بأخبار محزنة عن هذا الصراع .

وماذلك إلا لأن المسلمين بعدوا عن مثلهم ، ونأوا عن موضع العبرة فى تاريخهم ، واستخفوا بما فى تاريخهم من قيم ومبادىء ، وسرت إليهم عدوى المادة من الشرق والغرب ، فصبغت نفوسهم بصبغة قاتمة ، وحولت طريقهم عن منهج الإسلام الواضح صاحب المبادىء الكريمة إلى طريق وعر متعسف ملىء بالأشواك والعقبات ..

فلنقرأ تاريخنا .. ولنستهد أحداثنا مثلها ، ولنُعِر لأخبارنا الأولى آذانا واعية لعلنا نتذكر والذكرى تنفع المؤمنين .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

حكمة التشريع القرآنى

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد أنيس عبادة

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ ﴾ الآية التحريم ٥ .

الموضوع الذى نزلت فى شأنه الآية هو بيان علاقة النبى صلى الله عليه وسلم بأزواجه أمهات المؤمنين وذلك أن عمر رضى الله تعالى عنه اتفق مع جار له من الأنصار على أن يتناوب كل منهما الحضور عند النبى صلى الله عليه وسلم فعمر يحضر يوما وفى اليوم التالى يحضر جاره على أن يلم كل منهما بأخبار اليوم وما ينزل من الوحى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتشريع والهداية التى يمتلىء بها مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يفوت أحدهما شىء من الأخبار وما يكون من الشئون وجاء الأنصارى - يوما - إلى عمر بطرقات شديدة وكثيرة على باب داره فأفزعته فنهض ليلقى صاحبه فوجده مكفهر الوجه وهاله منظره فابتدره بالسؤال : هل أغارت قبائل غسان من الشام على المدينة غازين وتذكر مع هذا الخاطر أن فرصة جديدة للجهاد فى سبيل الله قد أتيحت وقاطعه جارة ليقول له : إن أمرا أعظم من ذلك كان ، ثم قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه[1] وردد عمر فى نفسه أن هذا الأمر كان يبدو وقوعه وأن أول ماكان يلاحظ نظره هو ابنته حفصة وهى إحداهن ، وكان يملك أن يمنعها من هذه الفاجعة فأسرع بمصاحبة جاره إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حديث بينه وبين ابنته حفصة فى هذا الأمر منذ أيام قد وقع لعمر بسبب عادى يحصل كثيراً بين الأزواج فقد لطم زوجته وراجعته القول فهم أن يكرر ما وقع فرفعت صوتها قائلة له : لماذا تنكر أن تراجعك زوجتك ووالله إن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم يراجعنه ، وأن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل ما تكلمه،وكان عمر يحب النبى صلى الله عليه وسلم فوق حبه لنفسه ، لأنه حب عقل وهو أعظم الحب وما كان يود أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حزين وكان عمر كثير الملاحظة لأمهات المؤمنين لتكون كل واحدة منهن موئل راحة ورضا وبعداً عما يكدره ويغير خاطره

(١) راجع القرطبى ٤٤/٦ - ٥٢ ط الشعب .

وبذلك كانت موافقاته الوحى أن قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم مُرْ نساءك يحتجبن فإنه يدخل عليهن البار والفاجر فنزلت الآية راجع البخارى كتاب الاستئذان باب آية الحجاب ، ثم خرجت سودة لبعض شأنها فنادى :عرفناك ياسودة وكانت أطولهن » ويقصد بقوله: عرفناك ياسودة أن يكون الحجاب أكثر مما كان عليهن حتى استكثرت ذلك السيدة زينب بنت جحش فقالت ! وإنك علينا يابن الخطاب والوحى ينزل علينا فى بيوتنا .

ثم قال عمر : بعد سماع نبأ صاحبه : قد خاب من فعل ذلك منهن ، وجمع ثيابه عليه ودخل على ابنته حفصة وسألها ! أَتُغضِبُ إحداكن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى يوم إلى الليل فقالت : نعم فقال عمر : خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله،لا تراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء،ولا تهجرينه وسلينى مابدا لك،ولا يغرك أن كانت جارتك هى أَرْضًا منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد اهمه أن تطالب ابنته كغيرها ببعض متع الحياة وزينتها،وهذه هى نظرة عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خاتم النبيين ، وهو فى هذا المقام تعلو مكانته وتسمو مهمته فوق كل شىء من زينة الحياة وفتنتها ، ذلك شأن رسول الله ومقامه عند مولاه يقضى بألا ينشغل عن مهمته بهذه الصغائر،وهذا خصوص موقعه من هداية البشرية والصعود بها أعلى الدرجات من طاعة الله،وطلب ما عنده من نعيم لم يخطر على قلب بشر لم تَرَهُ عين ولم تسمعه اذن ولكن أولئك الأمهات،وإن تشرفن بزوجيته لهن ـفهن بشر وبحكم البشرية لهن تطلع إلى ماق الحياة من متع

ولذلك فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتحمل ما يظهر منهن من ضعف البشر ويغفر لهن ذلك .

وماذا كان ليلة شاع فى المدينة أن الرسول طلق نساءه دون استثناء،وكان عمر فى المسجد مصليا خلف النبى ـصلى الله عليه وسلم ـفجر اليوم ولم ينتظر الرسول بعد الصلاة بل بادر بعد الصلاة إلى مشربته الخاصة يعتزل فيها،وعاد عمر إلى ابنته فوجدها تبكى بكاء مرا،وسألها: ما يبكيك يابنتى؟ولحظة رؤيته لها باكية تجمعت على نفسه عوامل الحزن والألم،وهى عوامل لا تكاد تحتمل فى قلبه صاحب رسول الله الذى أحبه حب عقل فإنه أحبه لنفسه وحب أب لابنته التى نالت شرف زوجيتها لخاتم الرسل وخير الأزواج وأعظم الرجال ، وقد نال عمر من هذا الشرف أنه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شاعر بأن ابنته خسرت وخابت لأنهامع الباقيات فى هذه الخسارة مهددات بغضب الله لغضب رسوله أو أوشكن على هلاك .

وقد شعر عمر بالألم يغزو قلبه ويقتحم نفسه من نافذتين : الكبرى أَلَمُهُ لوحدة النبى صلى الله عليه وسلم،والأخرى:لطلاق ابنته من أكرم زوج ثم حديث بينه وبين ابنته : ألم أكن حدثتك فى ذلك،وكرر الأب السؤال المحزن : طلقكن رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـوقالت الإبنة،التى كادت تخسر أمومتها للمؤمنين،قالت:لا أدرى ماأقول وكأنها تحيل الأب على مكان الرسول ليقف على الخبر،أو ليدلى بدلوه فى إصلاح الأمر ، وجلس عمر يفكر ولكنه عاد إلى المسجد فوجد الكثير من المسلمين باكين قد غلبهم الحزن الطاحن لما حدث لأن ماحدث يهم جماعة المسلمين لأنهم جماعة المسلمين . لأنهم جميعا تهمهم راحة الرسول وهدوء حياته ليتفرغ للمهمة العظمى وهى الدعوة

إلى الله وأمهات المؤمنين رَبَطْنَ كبار الصحابه برسول الله،وفي الصدارة الشيخان،وهما وزيراه وكان تصور انقطاع السيدتين عائشة وحفصة من بيت النبوة تصوراً يمس أمل الشيخين ويحرم كل منهما شرف الارتباط به صلى الله عليه وسلم .

وسبب هذه المحنة كثرة الأحاديث التى جاءت بهذا الحادث من أوله فرواية تحكى أن النبى صلى الله عليه وسلم أهديت إليه فوزعها على زوجاته فرفضت السيدة زينب نصيبها من الهدية فزادها مثله فرفضت فقالت عائشة : لقد أَقْمَأَتْ وجهَك،أى أزلته . أن ترد عليه الهدية فقال-صلى الله عليه وسلم : « لأنتن أهون على الله من أن تقمئنـى»وكانت العبارة الخطيرة:لا أدخل عليكن شهراً،ثم اعتزلهن فى مشربته . القرطبى جـ ٨ ص ٦٦٦٩ ط الشعب .

التحقيق فى المسالة :

الواقع أن محمدا-عليه الصلاة والسلام-نبى ورسول يوحى إليه،وذلك مقام يرفع الأمهات فوق مستوى البشر المجرد من شرف المصاهرة ، ولكن ملازمة كل واحدة منهن فى صحبة الرسول فى الغزوات اطلعهن على ما يرفل فيه النساء من متاع وحطام فيما يلبسن ويأكلن،وقد أثار فى أنفسهن التطلع إلى ما فى حياة الآخرين،وهن تحت أعظم الرجال ، وأين الملوك والحكام مهما بلغن من مكانة؟ وإنهم دون سيد المرسلين فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن نبياً بالثروة ولم يبعث رسولاً إلى العالمين بالقصور والذهب وإنماهى المكانة التى أعدها الله له فى الجنة ، ففى الجنة نعيم دائم وهو صلى الله عليه وسلم اختار أن يكون نبياً عبداً لا نبيا ملكاً . لقد رفض الجبال من ذهب لعلمه بما هو أولى وأبقى وأعظم ، لقد نسى الأمهات فى لحظة ما أعد لهن معه،ولابد من درس يصلح هذه الغفلة لتبقى لهن المكانة التى أعدت لهن ولم يكن هناك أعظم من الحرمان من الأنس برسول الله-صلى الله عليه وسلم-والسماحة معه واللطف فى المعاشرة لا فى يوم أو أيام فكان الدرس:لا أدخل عليكن شهراً ليوقظ فيهن المثل الأعلى والقدوة الحسنة والكمال اللائق بمقامه ومقامهن معه فطلب عمـر أن يستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال عمر:إن كنت كرهت شيئاً من حفصة فطلقها فأنت والله أحب إلىَّ من أهلى ومالى . فقال الرسول : ياعمر لايؤمن عبد حتى اكون أحب إليه من نفسه « متفق عليه » ، ويتضح هذا عندما رحب عمر للنبى صلى الله عليه وسلم حتى آثر حبه للرسول على نفسه؛لأن نفس العبد تدعوه دائماً إلى مالا ينفعه ونبى الله يدعوه إلى ماينفعه ، وانصرف عمر من عند النبى-صلى الله عليه وسلم وفى نفسه انه لا يقدر مخلوق على مراجعة النبى ومخالفته فما الظن بمن تهجره اليوم كله إلى الليل لا تكلمه ويتحامل عمر على أمهات المؤمنين من اجل حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ورغبته الدائمة فى أن يكون هادىء البال طيب الخاطر ساكن القلب منشرح النفس بالسكن فى المودة والرحمة،وكان يقترح ويتحمل ما يقال له ويعترض به عليه وربما شعر فى نفسه بالآلام على تدخله فى أمور نساء الرسول-صلى الله عليه وسلم-ويغفر له هذا القصد انه يريد تخليص حياة النبى المنزلية من شوائب الكدر ومن شبهات الخلاف والنزاع .

وقد شاهده يعتزلهن شهراً ووحدته فى هذا الشهر تعز على عمر وتشغل باله وتكدر صفو من أحبه فوق حبه لنفسه التى بين جنبيه فأخذت الأيام تمضى يوماً بعد يوم والحجرات خالية من النور محرومات من لطف العشرة ومشاهدة أنوار

←

حكمة التشريع القرآنى

الرسول وبركات التنزيل ونفحات جبريل بالوحي وغاب عنهن حديثه وبره وحنانه فى طوافه عليهن كل يوم حتى يستقر عند من لها ليلتها وشغفهن جميعاً اللقاء من جديد،وفى الانفس كم مضى وكم بقى حتى يشرق النور عليهن من جديد ونزلت الآية : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الاحزاب (٢٩) .

واخذ-صلى الله عليه وسلم-فى التخير فبدأ بالسيدة عائشة،وافسح لها الاختيار لتستشير اباها،وجاء الجواب بدون أن تستأذن اباها:أريد الله ورسوله والدار الآخرة .. البخارى فى التفسير حـ ٨ ص ٣٧٩ . ثم يمضى النبى الكريم إلى حفصة ويخيرها كما خير عائشة وتسأل ماذا قالت عائشة فاختارت كما اختارت عائشة،ثم إلى بقية الأمهات يخيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة،وتلالأت الأنوار فى الحجرات من جديد ولم تخل العودة الحميدة من ملاحظة وتدلل فلقد كان النطق الكريم لا ادخل عليكن شهراً وقد عاد بعد تسعة وعشرين يوماً،فقالت عائشة : ألم تكن اقسمت على شهر فقد قال : لا ادخل عليكن شهراً وقد أصبحت على تسعة وعشرين يوما .

قالت انها تعدها عداً ومن التى تمضى عليها نيران الهجر وهجر من .. هجر محمد صلى الله عليه وسلم كريم الأخلاق،المعلم الذى يلقى على الدنيا دروس الإسلام . إن الأمر بمحمد يحمل كل معالم الدين والرحمة صاحب الشفاعة العظمى وإن السعيدات بالزواج هن المعلمات عنه بحقوق الزوجة وواجبات الزوجية وهن اللائى نقلن عنه المبادىء التى سادت الأسرة بما أعطى الله للزوجات من حقوق ، ولقد طبق الله شريعته مع أكمل الرجال واسعد الزوجات فذقن بذلك الحادث ليعلم بنات جنسها قدر الزوج وفضله . وقال مطمئنا لعائشة: الشهر تسع وعشرون والشهر ايضا ثلاثون !!

ومن حسن الحظ أن شهر الفراق كان تسعا وعشرين ، واستقبلت الزوجات الأمهات طلعة البهاء والأنوار فعادت لهن الفرحة التى لا تعوضها زينة الحياة خالية عن عشرة الرسول ولطف حديثه وبركات مكارمه،فكيف هى مع ابتسامة النبوة وإشراق وجهه وانشراح صدره وطيب خاطره عليه صلاة الله وسلامه يا خير خلق الله ولك من الأمهات الحب الكامل؛حب العقل والقلب وكل الولاء ولاؤهن بزوجيتك وولاء النبوة الهادية بالشوق الذى اشعله نور وجهك مرحبا يا نبى الإسلام بسماحتك واهلا بك فى الحجرات التى بذت قصور الملك بالفضل والبركات فيها وعلى الرحب والسعة وفى النفس ما تحمله لك الأمهات السعيدات بعشرتك الموقرات بالانتساب إليك عند الله وعند الناس بأقصى ما ينال مؤمن فى جماعته وقد خففت عنهن فراقك جوارك وآنستهم فى غيابك عن المضاجع سماعهن صوتك تتلو كتاب الله مصليا وداعيا وهاديا فكان صوتك فى آذانهم نغمة شدت أوتارها إلى القلوب الواجفة فاطمأنت وإلى النفوس المضطربة فسكنت وإلى العيون الشاخصة فأزكاها نورك وإلى الوجوه الشاحبة فتوردت آية آية من كتاب الله يتحرك بها لسان الهادى البشير كانت لهن وللمسلمين الغذاء والدواء ..

محمد أنيس عبادة

الفتوة في القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ:
أحمد عزت محمد البرادعي*

« الفتوة» كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها ، فهي عند أصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة أعضاء ، وقوة أطراف .

وهي عند رجال « الكشافة » مروءة وإيثار ، ومعاونة للغير وخدمة للمجموع .

وهي عند أهل «الفروسية» طائفة من خصال البطولة والسماحة والرقة في المعاملة .

وهي عند « الصوفية » مجموعة من خلال البر والخير ، مثل إسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس ... الخ .

وقد تحدث الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه : « الفتوة عند العرب » حديثاً مبسوطاً في الموضوع ، مما جعله مرجعاً مهما في هذا المجال .

ومن الخير ـ قبل التعرض لحديث الفتوة في القرآن الكريم ـ أن نتعرف إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتوة عن طريق المعاجم .

فنجد القاموس المحيط يقول : « الفَتَاءُ كسماء : الشباب ، والفتى الشاب والسخى والكريم ... والفتوة الكرم » .

وفي مفردات القرآن للأصفهاني : « الفتى : الطرى من الشباب ، والأنثى فتاة ، والمصدر فتاء » .

وفي أساس البلاغة للزمخشري : هذا فتى بين الفتوة ، وهى الحرية والكرم . قال عبدالرحمن بن حسان :

إن الفتى لَفَتَى المكارم والعلى
ليس الفتى بمفلّج[1] الفتيان

وقال آخر :

يا عز هل لك في شيخ فتى أبدا
وقد يكون شبابٌ غير فتيان

وتقول العرب : « فتى من صفته كيت كيت ، من غير تمييز بين الشيخ والشاب» .

ولدلالة مادة (الفتوة) على معنى القوة والثقة والمضاء ، اشتق العرب منها كلمة (الفتوى)

←

* الكاتب : مفتش بالأزهر الشريف.

(١) المفلج : الذي لا يثبت على حال.

الفتوة في القرآن الكريم

ومن هنا جاءت هذه العبارة في تفسير المنار : «والاستفتاء في اللغة : السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكماً ، وقد غلب [يعني اللفظ] في الاستعمال الشرعي في السؤال عن الأحكام الشرعية ، ومن الشواهد على عمومه : ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾ وهى مشتقة من الفتوة الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة ».

ومن النصوص اللغوية السابقة وأمثالها ندرك أن الفتوة توحى بالقوة ؛ لأن الفتوة هي الشباب ، والشباب عنوان النشاط والاشتداد ، كما ندرك أن الفتوة في أصلها تعني قوة الجسم والبدن ، ثم انتقل معناها إلى بعض الصفات المعنوية ، كحب الخير والأريحية والسخاء ، ثم انتقل معناها عند أهل التصويف إلى حالة نفسية فيها مزاج من صفات سلبية وصفات إيجابية ، ولعل الصوفية هم أكثر الناس حديثاً عن « الفتوة » وعناية بأمرها ، ما بين مقتصد منهم ومسرف ، وقد يكون من الاستئناس نحو البحث أن نعرف جانباً من آرائهم في « الفتوة » وتصويرهم لها:

فابن عربي يحدد عمر « الفتى »ويصف أخلاقه ، فيقول : « الفتى ما بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر ، ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة ، ويستخدم قوته في خدمة الله ونصرة الضعيف ، وليس له عدوٌ، ولكن له حسادٌ ومنافسون[٢] »، ويتوسع في تصويره شعراً فيقول من أبيات له :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها
مقدماً عند رب الناس والناس
إن الفتى لـه الإيثار تحلية
فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهْوَا[٣] بقوتها
لكونه ثابتاً كالراسخ الراسي
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغلهُ
عن المكارم حال الحرب والباس

ويقول القشيري : « أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره ».

ويقول الكرخى : « للفتيان علامات ثلاث : وفاء بلا خلف ، ومدح بلا جود ، وعطاء بلا سؤال ».

ويقول الوراق : « أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثاني الوفاء ، والثالث الشكر ، والرابع الصبر ، والخامس الرضا ».

وسئل أبو حفص النيسابورى : هل للفتى علامات؟ فقال : نعم ، من يرى الفتيان ولا يستحى منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى .

وسئل البلخى : ما الفتوة فأجاب : حفظ السر مع الله على الموافقة ، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة ، واستعمال الخلق .

ويقول الشبهى : الفتوة حسن الخلق ، وبذل المعروف .

وسئل البوهنجى عن الفتوة فقال : حسن المراعاه ودوام المراقبة ، وأن لا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك .

(٢) طبقات الصوفية.
(٣) أي الأهواء ، حذف الهمز لضرورة الوزن والأبيات من البسيط .. مجلة الأزهر.

وقال البيروني : «حُدُثٍ الفتوة بأنها بِشْرٌ مَقْبول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف ».

وقال المحاسبى : الفتوة أن تُنصِفَ ولا تُنْصَف.

وسأل مشايخُ بغدادَ أبا حفص النيسابوري عن الفتوة؟ فقال : تكلموا انتم فلكم العبارة واللسان فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية ، وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندي: أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، وبين أيدينا من أمثال هذه التعريفات عشرات وعشرات ، جمعناها من هنا ومن هناك ، وهي مما يضيق به المقام .

والإسلام يحب الفتوة بمختلف معانيها الطيبة المقبولة ، فهو يحب الفتوة في البدن ، لأنه دين القوة حِسًا ومعنى ، ويحبها في الخُلُق ، لأنه دين مكارم الأخلاق ، ويحبها في معاونة الناس ، بل يحب أن تكون المعونة من ذى الفتوة معونة قوية موصولة . ومن هنا جاء الحديث في الأضحية يقول : « جذعة أحب إلى الله من هرمة ، الله أحق بالفتاء والكرم » ، والجذعة : الفتية . والهرمة : العجوز . والفتاء : الشباب . والكرم: الحسن[4].

***

وقد تتبعت المواطن التي وردت فيها مادة « الفتوة » في القرآن الكريم ، فوجدتها عشرة مواطن ، ولا حظت أن هذه المادة تذكر في القرآن المجيد بالخير وفي مواضع الخير . وكأن القرآن يرمز بهذا إلى أن شأن الفتيان أن يكونوا دائماً في مواطن الحمد وأماكن الثناء ، وفي ذلك ما فيه من توجيه وتقويم .

يقول القرآن الكريم على لسان قوم إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾[5]. والفتى المراد هنا ـ كما هو واضح ـ هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد عقد صاحب « الفتوة عند العرب » فصلا بعنوان « سيد الفتيان ». ثم قال معلقاً على ذلك العنوان : « هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس في وصفنا له عليه الصلاة والسلام بسيد الفتيان تطاول على مقام النبوة الكريم ، فقد قال تعالى في سيدنا إبراهيم : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ .

ويقول التنزيل المجيد عن أهل الكهف : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾[6].

وأنت ترى أن الفِتْيَةَ هنا مؤمنون قد اعتزوا بربهم ، واتجهوا إليه ، واعتمدوا عليه . يقول عنهم القرطبي : « وكان بها ـ أي مدينة أفسوس ـ سبعة أحداث يعبدون الله سراً ، فرفع خبرهم إلى الملك ، وخافوه فهربوا ليلاً ». ويقول أيضاً : « فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس ، فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله[7] . ويوالى القرآن الحكيم قص أمرهم بما يزيده علوا وتكريماً ، فيقول: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

(٤) النهاية لابن الأثير جـ ٢ ص ١٨٣ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٦٠.
(٦) سورة الكهف آية ١٠.
(٧) تفسير القرطبي جـ ١ ص ٣٥٩.

الفتوة في القرآن الكريم

﴿ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا . هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾(٨).

وحينما تعرض القرطبي لتفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ . . . ﴾ قال : « اي شباب احداث ، حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة ، كذلك قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى ، وكف الأذى ، وترك الشكوى . وقيل: الفتوة اجتناب المحارم ، واستعجال المكارم . وقيل غير هذا . وهذا القول حسن جداً ، لأنه يعم معنى جميع ما قيل في الفتوة ».

ولما بلغ قوله تعالى : ﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ قال : « أي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع إلى الله تعالى ، ومباعدة الناس ، والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة على الإيمان .

ولما بلغ قوله : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. قال : « هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته ، وشكروه* لما أولاهم من نعمه ونعمته ، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم ، خائفين من قومهم ، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء ....»(٩)

وهذه عبارات ناطقة بفضل الفتوة ومجد الفتيان ، وشاهدة بتعطير ذكرهم في خير البيان وهو القرآن الكريم :

يقول الله تبارك وتعالى في التنزيل الحميد : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾(١٠).

وفي هذه الآية تكريم لهؤلاء الفتيات المؤمنات وترغيب فيهن ، وقد أشار إلى ذلك السيد رشيد رضا ـ عليه الرحمة والرضوان ـ حيث تحدث عن وصف الإماء هنا بالفتيات فقال : « وفي التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد إلى تكريمهن ، فإن الفتاة تطلق على الشابة ، وعلى الكريمة السخية ، كأنه يقول : لا تعبروا عن عبيدكم وإمائكم بالألفاظ الدالة على المِلْك ، بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ، ومن هنا أخذ مُبَلِّغُ القرآن ومُبَيِّنُهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : (ليقل احدكم عبدي وأمتى ، ولا يقل المملوك : ربي . ليقل المالك : فتاى وفتاتي ، وليقل المملوك : سيدى وسيدتي ، فإنكم المملوكون ، والرب هو الله عز وجل . رواه الشيخان ».

ويقول القرآن الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾(١١) وقد قيل : إن الفتى هو (يوشع بن نون) ، وإنما قيل له : فتى ؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه ، وقيل : كان يأخذ منه العلم ، وهما

(٨) سورة الكهف آية ١٣ ـ ١٦ .

* مجلة الازهر

(٩) تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦ .

(١٠) سورة النساء آية ٢٥ .

(١١) الكهف آية ٦٠ .

امران يشرفان ؛ لأن خدمة النبي عمل كريم ؛ ولأن طلب العلم مقصد عظيم ، وقيل : إن الفتى هو (يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام)، فهو إذن من سلسلة النبوة ، وأكرِمْ بالفتوة إذا تحدرت من هذا النبع الطهور .

وإذا كان فتى موسى قد نسي الحوت ، وقال عن نفسه : ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فإن البيضاوي يعلل هذا النسيان تعليلاً مشرفا »، فيقول : « ولعله نَسيَ ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره[١٢] ، إلى الجانب القدسي بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة ، وإنما نسبه إلى الشيطان هضما لنفسه ؛ أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها ».

ومع هذا أدى نسيان (يوشع) إلى خير مطلوب . ألم يقل القرآن عن موسى عليه السلام : ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ الكهف(٦٤).

ويقول القرآن : ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور (٣٣).

وقد نزلت هذه الآية في عبدالله بن أُبَيّ راس النفاق ، لأنه أكره جواري له على البغاء ، وضرب عليهن ضرائب ، فذهبت اثنتان منهن وشكتا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا شك أن هذا التحصن واللجوء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في طلبه مما يحمد عليه أهلوه .

هذا حديث الفتوة في القرآن الكريم لا يرد إلا في مجال محمود .. نسوقه إلى شبابنا أملا في الخير وطلباً للحمد .. والله من وراء القصد.

(١٢) شراشره : لفظه الجمع ومعناه الواحد وهو :النفس . جاء في اللسان : الشراشر : النفس والمحبة جميعاً .. والقى عليه شراشره ، وهو أن يحبه حتى يستهلك في حبه .

النبى عربى صلى الله عليه وسلم

زارنى فى مكتبى بالسفارة ذات يوم على غير موعد كهل وقور يرتدى الملابس الوطنية ، وهى (الجراند بوبو) والطاقية وفى يده عصا يتوكأ عليها ، وقال : إن اسمه (ألفا إيدا حسن مايجا) وانه يعمل فى المركز النيجرى لأبحاث العلوم الإنسانية ، وأضاف انه يحفظ القرآن الكريم ، ويقرأ العربية بالإضافة إلى الفرنسية وهو يريد أن أطلعه على بعض كتب الفقه شريطة أن تكون على مذهب الإمام مالك - رضى الله عنه .

ورحبت بالضيف كعادتى مع زوارى الذين أعرفهم والذين لا أعرفهم ، وأعطيته كتاباً أخذه ومضى به إلى أريكة فى ركن الحجرة ليقرأ فيه على مهل ، وطلبت له الشاى وانصرفت لعملى . وبعد لحظات رفع صوته مستفسراً عن كلمة فى الكتاب ، ورفعت بصرى إليه فإذا به قد خلع نعليه ، وتربع على الأريكة فى جلسة مريحة ، وراح يرتشف الشاى وهو فى غاية (الانسجام) ، فابتسمت لمظهره هذا البسيط وأجبته إلى مطلبه ، ومضت ساعة انصرف الضيف بعدها شاكراً واستأذن فى العودة لزيارتى مرة أخرى ...

وبعد أسبوع عاد الأخ مايجا وطلب منى نفس الكتاب أو كتابا آخر لا أذكر ، وصار هذا دأبه معى لعدة أسابيع ، حتى أصبحت زياراته عادة عندى قبل أن تكون عادة عنده هو لذا فقد افتقدته حين انقطع فترة عن زيارتى فقد كان رجلا ، بسيطاً ، وقد أحببته فى الله ... ورحت أسأل عنه ، وإذا بى أكتشف أنه رجل هام جدا ، وأنه المترجم الخاص والصديق الصدوق للرئيس بوبوهاما !! ...

وكنت أعلم أن بوبوهاما من كبار المفكرين ، وقد رأيت عنده يوم زرته فى مكتبه بالبرلمان مكتبة عربية تضم آلاف الكتب القديمة النادرة والتى جمعها من المكتبات القديمة ومن الأهالى الذين كانوا يخفونها من الفرنسيين خشية إحراقها . وقد تمنيت على حكومتى وقتها إيفاد من يستطيع أن يطلع عليها للاستفادة مما فيها من كنوز مجهولة ، وتحدثت بذلك بالفعل مع الدكتور مختار العبادى مستشارنا الثقافى فى مدريد ومدير المعهد الاسلامى هناك ، وكان بوبوهاما عنده نهم للقراءة والاطلاع ، وكان يطمع أن يكون فيلسوف افريقيا السوداء مثل ليوبولد سنجور رئيس السنغال ، فكتب عن الشخصية الإفريقية وعن الإسلام وعن الاستعمار ، وكان يحضر مؤتمرات الفكر الإسلامى ويناقش فيها آراءه وفلسفته ..

ويوم عاد بوبوهاما من ندوة للفكر الإسلامى فى الجزائر راح يقول لى : إن العلماء العرب هم المسئولون عن تصحيح الفكر الإسلامى ونشر مناهجه لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - عربى والقرآن نزل بلغة العرب ، وقال : إن الدول الإسلامية العربية هى القدوة ، وهى المثل الأعلى الذى ترنو إليه الدول الإسلامية غير العربية وتهتدى به .

وأضاف بوبوهاما : انه يحيى السفارة المصرية « التى ضربت المثل الذى يحتذى فى السلوك الإسلامى الصحيح » ، وقال لى : إن

للسفير جمال الدين محمود أبو العيون

مهمتنا فى افريقيا سهلة وميسرة بإذن الله ، فلدى هذه الشعوب من الشوق إلى الإسلام وإلى اللغة العربية مايجعل التلاقى بيننا وبينهم حميماً وبلا حدود ... يكفى أنهم يشعرون أن الإسلام هو الدين الذى لا يفرق بين الأبيض والأسود ، ولا بين الغنى والفقير ... ويكفى أن بلالا مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام كان منهم ، وأن أسماءهم أسماء عربية سليمة ، وإن كانت محرفة لتناسب لهجاتهم ، وعلى سبيل المثال فإن سومايلا عندهم وهو (إسماعيل) وهاما فى (عبد الرحمن) والزوما (جمعة) والفا (الفقيه) وايدى (إدريس) ولاسانيتى (حسنين) وفاتى (فاطمة) وديجا (خديجة) وهكذا ... وكانوا ينطقون اسم زوجتى أمينتا (أمينة) .

وأحسست بالحسرة الشديدة حين تذكرت أن وزارة الخارجية فى بلد إسلامى كبير مثل مصر تحرص على تلقين الجدد من دبلوماسييها كل شىء عن السياسة والاقتصاد واللغات الأجنبية والسلوك ... وتهمل أهم شىء .. اللغة العربية والشخصية الإسلامية... إن الافارقة - مسلمين أو غير مسلمين - يحترموننا مادام الإسلام فينا . قد يسمحون لأنفسهم بالتجاوز فى بعض الفرائض الدينية ولكنهم لا يسمحون بذلك قطعاً للمصرى لأنه مصرى ، والمصرى عربى ، والعربى مسلم ... وقد قال لى أحد الأفارقة - ذات ليلة - وفى يده الكأس : أنا أشرب ... إذن فأنا مذنب .. وأنا أعترف بذلك .. ولكن أن يشرب السفير (فلان) وهو عربى مسلم فليس هذا من حقه ... إننا ننظر إليكم كمثل أعلى ، فإذا تحطم المثل الأعلى فبمن نهتدى ؟ ..

وتحضرنى هنا واقعة حكاها لى زميل فاضل كان يعمل سفيراً بالخارج ، وحل شهر رمضان فنوى الصيام ، وتصادف أن دعى للعشاء فى سفارة أجنبية . ولما كان العشاء فى الثامنة تماماً ، والمغرب بعد الثامنة بدقائق ، فقد جلس معهم على المائدة وأمامه طبق الحساء ، وظل - كما يقول - يتشاغل بالحديث إلى جاره وهو محرج حتى مرت الدقائق وصار المغرب فمد يده وبدأ تناول الطعام دون أن يشعر الحاضرون بأنه كان صائماً ... هكذا اعتبر زميلى تصرفه قمة فى الكياسة والدبلوماسية ... وأتساءل وأنا فى دهشة شديدة فيم الحرج ؟ ... يستطيع صديقى أن يطلب من الداعى تأخير العشاء بضع دقائق حين يحين موعد إفطاره ... وسوف يلبى رغبته مسروراً وبدون أى حرج .... ففى الخارج يحترمون جدا الشخصية الملتزمة .... أنا شخصيا لا أوجه دعوات ولا أقبل دعوات فى رمضان وأنا بالخارج إلا أن تكون دعوة إلى مأدبة إفطار ... وأذكر هنا بمزيد من الفخر مسلك كثير من دبلوماسيينا بالخارج الذين يحترمون إسلامهم ويوقرونه ، وأن عدداً من أبناء المشايخ قد وصلوا إلى مراكز السفراء وتقلدوا مراكز مرموقة فى السلك الدبلوماسى ، وفى مقدمتهم أيضا المشايخ حسونة والمراغى وأبو العيون والظواهرى وعبد الرازق واللبان ومخلوف ودراز وعيسى وغيرهم كثيرون ...

وهذا نداء أوجهه من فوق هذا المنبر إلى وزارة الخارجية ، ليس فى مصر فقط ، بل فى سائر الدول العربية والإسلامية ... أن اتقوا الله فى إسلامكم ... وانظروا مافعلته دولة مثل الهند ، وهى دولة غير إسلامية ، من تحريم الخمر فى مآدبها الرسمية ، واذكروا قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . . .

الفتاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإنه إجابة لما ورد إلى مشيخة الأزهر من استفسارات عما نشر من جواز قتل مريض نقص المناعة الطبيعية « الإيدز » أو عزله عزلاً تاما حتى يموت - دفعا للضرر - على حد تعبير تلك الاستفسارات .

نقول ، وبالله التوفيق :

إن الله تعالى حرم قتل النفس بغير حق : ثبت هذا بالكتاب ، والسنة الصحيحة ، وإجماع أئمة المسلمين وعلمائهم ، سلفا وخلفا .

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الآية ١٥١ من سورة الأنعام) .

ويقول عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴾ (الآية ٣٣ من سورة الإسراء) .

ويقول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الشيخان : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وعلى هذا فدم الإنسان أى إنسان معصوم لا يجوز إهداره إلا بحق ، كأن يرتكب مايستوجب القصاص أو الحد .

ولم يُبِحِ الإسلام دم المريض إنهاء لحياته فهو معصوم الدم عصمة كاملة ، لا تمس .

ولا يأس من رحمة الله ، ولا يُستبعد شفاء هذا المريض ، فقد جاء فى الحديث الشريف الصحيح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : « ياعباد الله تداووا فإن الذى خلق الداء خلق الدواء » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لكل داء دواء إلا الهرم ، فإذا أصاب الدواء الداء برىء بإذن الله » .

ومن هنا فلا يصح القطع بعدم البرء ، فإن البرء أمر وارد دائماً ، والله قدير ، والأمل فى رحمته سبحانه لا ينتهى ، وقد نهينا عن اليأس يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

هذا : ويجب أن تتخذ أسباب الوقاية من العدوى ، فقد ورد فى الصحيح :

« فر من المجذوم فرارك من الأسد » لكن لا يصح أن تكون الدعوة إلى الوقاية ، أو يكون الخوف من العدوى سببا لإهمال المريض أو إيذائه ، أو التقصير فى رعايته ، على مايشير إليه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لا عدوى ، ولا طيرة » والمعنى : لا عدوى ولا تشاؤم .

إعداد: على حامد عبد الرحيم

والحديثان يدعوان فى الجملة إلى أن تتخذ الاحتياطات المناسبة لمنع العدوى ، ولكن لا يجوز التشاؤم ، أو الفزع من المريض ، مما يؤدى إلى تركه دون خدمته أو معالجة ، اعتذارا بالخوف من العدوى .

ذلك أن المرض قد يصيب الإنسان وإن لم يخالط مريضا ، وقد يهب الله المرء حصانة مع المخالطة ، كما يدعوان إلى الإيمان بأن الإيمان بأن المرض والشفاء من الله سبحانه .

وبناء على هذا : فإنه من حق المريض أى مريض أن يعالج مع اتخاذ الأسباب المعهودة طبيا للوقاية من العدوى .

ولا يجوز شرعاً عزل المريض عزلًا تاما دون علاج كاف أو رعاية كافية حتى يموت فإن هذا يعنى قصد القتل ، وهو جناية .

وقد نقل الإمام القرافى الإجماع على تحريم قتل المريض مما يسمى اليوم بالقتل يأسا من الشفاء أو يسمى بقتل الرحمة ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ،

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

فى الزكاة

س ١ : ما الحكم فى زكاة الأموال المجمدة فى بعض الجهات وقد مضى عليها أكثر من عام .

ع . ى الجيزة

جـ ١ : هذه الأموال المجمدة تعتبر ديونا على الجهة التى جمدتها ، وفى هذه الحالة فإن زكاتها يجب إخراجها على صاحب المال عند زوال التجميد .

وتزكى عن العام الأخير فقط عند الإمام مالك .

الذبح للمسكن الجديد

س ٢ : إذا سكن إنسان فى سكن جديد : فكثيرا مانسمع أنه يجب عليه أن يذبح ذبيحة . فما الحكم فى ذلك .

سيد مرسى
ـ أبو حماد ـ

جـ ٢ : لم يرد نص صريح بوجوب الذبح لمثل هذه الحالة فليس بواجب على الإنسان أن يذبح ذبيحة عند دخوله مسكنا جديداً .

ولكن إذا كان مستطيعا ، وأراد أن يقوم بواجب الشكر لله المنعم على ما أنعم . وَذَبَحَ وقدم للفقراء فهذا عمل صالح ، نسأل الله قبوله ـ فلا مانع من الذبح ـ مع عدم تلطيخ الجدران بالدم كما يفعل بعض الناس .

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد العزيز جاويش

في نضاله مع المستشرقين

ومع الدارسين في جامعة اكسفورد

■ **الشيخ جاويش يواجه شبه الدارسين في بلاد الانجليز :**

أشرنا في مقالنا السابق إلى أن الشيخ عبد العزيز جاويش سافر إلى انجلترا للمرة الثانية استاذاً للغة العربية بجامعة اكسفورد حيث شاهد الطلاب هناك نموذجاً حياً للمدرس البحاثة المستنير ، وعز عليهم كما صور لهم تفكيرهم المتأثر بموروثات الصليبيين المضللين أن يكون هذا النابغة الموهوب مسلماً يدين بدين الخرافات والأساطير كما يلقنون فأخذوا يتحلقون حوله في أوقات الفراغ ويناقشونه فيما يعتقد من الآراء فإذا اتجه الحديث إلى الإسلام أسهبوا فيما يأخذونه عليه من مآخذ فهو في رأيهم : دين الاسترقاق والعبودية والقتال والسيف وتعدد الزوجات والطلاق ، وأن المسلمين يعبدون محمداً كما يعبد النصارى المسيح ابن مريم ، والمجامل منهم من يرى أنه لا يصلح إلا للقبائل الصحراوية والأمم البدائية في أزمنة ماقبل العصور الوسطى دون أن يحمل عناصر الرقي للقرن العشرين ومايليه .

■ **إجابات الشيخ جاويش تكشف أباطيل ماكتبه أعداء الإسلام :**

كان الشيخ عبد العزيز جاويش يستمع إلى أراجيف الدارسين وطلبته في تلك الجامعة الانجليزية ثم يجيب عنها بما يكشف ظلمات الباطل حتى سطعت شمس الإسلام على يده في عقول الكثير من تلاميذه ولم يكد ينتهي من دحض تلك الأراجيف حتى انطلق أحدهم قائلاً : يخيل إليّ ، أيها الشيخ ، أن هذا الدين لا ينافي الفطرة في شيء ، فأجابه الشيخ جاويش بما تذكره من حديث رسول الله ﷺ : إذ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه **كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا تجدعونها » وترجمت لهم ذلك الحديث** (١) .

---

(١) أورده الإمام المحدث عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الربيع الشيباني الزبيدي الشافعي في كتابه تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول في الفصل الثالث من الباب الثاني من الجزء الأول صفحة ٢٤ ونصه « مامن مولود إلا يولد على الفطرة ، ثم يقول اقرءوا ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها » أخرجه الستة إلا النسائي وهذا لفظ الشيخين وللباقين بنحوه ـ طبع في المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦ هـ .

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

وقد جمع الشيخ عبد العزيز جاويش هذه الشبه والرد عليها فى بحث سماه « الإسلام دين الفطرة » تلاه فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد بمدينة الجزائر سنة ١٩٠٥[٣] ، ولا بأس أن نلقى بعض الضوء ولو بصفة موجزة على بعض ماتضمنه من عناصر بما يناسب المقام .

■ **الفطرة والتوحيد :**

يقول الشيخ جاويش : كل إنسان يشعر بفطرته ان ثمة واحداً قد نظم هذا العالم ودبره لا يمكن أن يشابه الممكنات فى شىء من صفاتها فليس بجسم ولا عرض ولا محدود ولا متحيز ولا يستطاع إدراكه إلا بآثاره الشاخصة وهو غير قابل للحلول ولا للصعود ولا للنزول ، إلى ذلك اهتدى الأعرابى بفطرته فقال : البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير فسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج كيف لا تدلان على اللطيف الخبير .

فجاء الإسلام مصدقاً لما اقتضته الفطرة السليمة ولم يزد فى الاستدلال شيئاً سوى أن أيقظ العقول ونبهها إلى النظر فى آثار الله تعالى فما عليك إلا أن تتصفح القرآن الكريم فتجد ذلك فى أكثر من آية من آياته ، كما وأن الإسلام فى وصفه الحق وإثباته جاء بما يطابق مقتضى الفطرة والعقل تمام المطابقة أفلاتدبرت قول الله تعالى : ﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

الشيخ عبد العزيز جاويش

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ البقرة ـ ٢٥٥ ، ولقد جمعتنى المصادفة برجل مسلم من الانجليز لم يَرْجُ من إسلامه شيئاً من حطام الدنيا ولا أن ينال جاها يتخذه عدة لنيل شىء من الرغائب السياسية فقال لى : إن فى القرآن الكريم آية لا أمل تكرارها ولا من ترديد النظر فيها ، جاءت فى وصف الله تعالى بما ليس فى استطاعة أحد من أئمة الأديان الأخرى أن يأتوا بها ، ثم تلا تلك الآية الكريمة آية الكرسى .

ويذكر الشيخ جاويش تتميماً لموضوع التوحيد كلمات عثر عليها « للورد ماكولى » وذلك قوله : (إن السواد الأعظم من العامة معظم افكارهم وقضاياهم إما خيالية او وهمية او

←

(٣) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش ـ كتاب الهلال ذو الحجة ١٣٧١ هـ سبتمبر ١٩٥٢ م .

شعرية فلا يكادون يبنون شيئا من مذاهبهم ومعتقداتهم على نظر صحيح وفكر سليم ، ومن هنا نشأت كما يظهر الأديان الوثنية فى كل أمة وفى كل جيل وفى كل زمن فاختلفت لذلك صور الآلهة باختلاف ما صوره خيال معتقديها ، ولطالما أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً فى دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال (٣)

■ **القرآن الكريم والفطرة البشرية :**

نزل القرآن الكريم على النبى محمد ﷺ معجزة خالدة أبدية ليؤدى ما قصد منه حسب الفطرة البشرية والسنة الإلهية للهداية من الضلالة والشفاء من الجهالة ، ومازال القرآن إماما يتبع وفيصلاً يحكم فى النوازل ينادى أرباب العقول بتدبر آياته ، ولقد عاش نبى الإسلام ماعاش ثم مضى السلف الصالح من بعده فما سمع أن أحداً منهم فهم من القرآن إلا مايدل عليه من حيث هو كتاب عربى مبين مما يقتضى من المفسرين الا يكلفوه من التأويل ما يخرجه عن الهدف الذى أنزل لأجله قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٤) .

■ **هل أسس الإسلام على القتال والسيف :**

لهج معظم الأوروبيين بدعوى أن الإسلام لم ينتشر ولم ترسخ قدمه فى عالم الوجود إلا لأنه سعى ، والسيوف أمامه تمهد له السبيل وتذل بين يديه العظماء ، وتلجىء المستضعفين إلى اعتناقه حقنا لدمائهم وصيانة لأملاكهم ، ونسى هؤلاء أن نبى الإسلام لما بعث بالهدى ودين الحق كان يُبَشِّرُ بدعوته إلى من يثق بتوقد فكره وتمكن الإنصاف من قلبه ، فلم يَسُلَّ لتأييد رسالته إلا كلمة الهدى والحجة الفاصلة فدخل فى الإسلام لفيف من أهل مكة غير مهددين ولا ملجئين ولكن طائعين منصفين مدركين الفرق بين ما كانوا عليه من الضلال ، وما أتاهم به هذا الدين الحنيف « من الهدى » ، ولما جهر رسول الله ﷺ بالدعوة سخر منه المعاندون والكافرون ولقى هو والمسلمون أذى ومناواة واعتسافا فأشار إليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، واستمر هو **ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعوته ، حتى آمن** بها نفر من قبائل الأوس والخزرج أهل المدينة ، ثم أخذ الإسلام يفشو سريعاً بينهم ، فأجمع المشركون وأتباعهم أمرهم على قتل نبى الإسلام فأذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة فخرج هو وصاحبه أبو بكر الصديق إلى المدينة لينزل فيمن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، ومن هذا العرض يتبين أنه من بداية دعوة الإسلام حتى تمت الهجرة إلى المدينة وقد بلغت هذه الفترة ثلاثة عشر عاماً لم يشرع فيها قتال أو يمتشق فيها السيف ، ثم شرع القتال دفاعاً بلا عدوان ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(٥) فلما تمالأ على المسلمين غيرهم من قبائل العرب أباح الله لرسوله ﷺ أن يقاتل كل معتد عليه فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(٦) وقال جل شانه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾(٧) وهذا

(٣) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش نقلا عن The essay on Milton
(٤) سورة فصلت ٣ ، ٤ .
(٥) سورة الحج ٣٩ ، ٤٠ .
(٦) سورة التوبة ٣٦ .
(٧) سورة الأنفال ٥٨ .

مايسمى فى زماننا المعاصر بقتال المدافعة عن النفس ، ومع كل ذلك فلقد نهى الله المسلمين عن الاعتداء ولم يبح لهم إلا مقاتلة الظالمين البادئين بمقاتلتهم وهذا مايشير إليه قول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٨] وخلاصة القول أن البصير بالتاريخ يشهد بأن رسول الإسلام لم يسل فى حياته سيفاً لإرغام أحد من الناس على الدخول فى دينه ولكن الهدى هدى الله يهدى به من يشاء من عباده .

■ تعدد الزوجات فى الإسلام وإباحة الطلاق :

حشا الأوروبيون كتبهم طعنا فى الإسلام متمسكين بما قررته شريعته من إباحة التزوج بأكثر من واحدة ، ولو كانوا يعرفون اللغة العربية ويفقهون كتاب الله وقواعده ماستطاعوا أن يلصقوا بالإسلام ماليس من شيمه .

حقيقة جاء القرآن وأباح أن يتزوج المسلم مثنى وثلاث ورباع ولكن الله تعالى شرط لإباحة التعدد وجوب العدل وذلك فى قوله : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[٩] والحكمة فى ان القرآن الكريم لم يصرح بتحريم تعدد الزوجات . ان الله أرسل رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً ولا ريب أن ثمة أحوالاً يحسن أو يجب فيها تعدد الزوجات ولا يمكن لأحد الفرار من الاعتراف بوجود كثير من الأحوال التى تقتضى[١٠] ذلك كإصابة الزوجة بالعقم أو بمرض مزمن وماشابه ذلك ، فتعدد الزوجات أسلم عاقبة من إتيان الفاحشة ، وماجاء به محمد ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل فإن يعقوب وداود عليهما السلام تزوجا كثيراً من النساء وهما الرسولان اللذان لايسع يهودي ولا نصراني إنكار نبوتهما .

واما عن إباحة الطلاق فبسبب ما قد تدعو إليه الضرورة إلى الفرقة فإذا لم تكن ثمة ضرورة فهو أبغض الحلال إلى الله يقول رسول الله ﷺ : « ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق » وفى رواية أخرى : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »[١١] وهو ، وإن كان حقاً من حقوق الرجل ، إلا ان الإسلام مع ذلك لا يجيز له أن يسيء استعماله فعليه الا يوقعه إلا حيث يراه الشرع حسنا صالحاً مع تفصيلات كثيرة مبسوطة فى كتب الفقه الإسلامى .

لأنه يعرف أن الإنسان مفطور على البحث عن علل ما تدركه حواسه من الأحداث والكائنات فزاد تلك الغريزة تنشيطاً وإنعاشاً قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[١٢] ويقول جل شأنه : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[١٣] فكيف يزعم الزاعمون أنه لا يحمل عناصر الرقى والتقدم ؟ إن القرآن ما انفك يقرع الجامدين على المنقولات المحصورين فى مضايق التقليد فلا يكاد يخلو له مقام من دعوة إلى تدبر وتفكير يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[١٤] .

---

(٨) سورة البقرة ١٩٠ .
(٩) سورة النساء ٣ .
(١٠) اباحت الكنيسة تعدد الزوجات فى افريقيا .
(١١) اخرجه ابو داود كما جاء فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول فى الفصل السابع من الجزء الثالث صفحة ١٦٦ طبع المطبعة السلفية ١٣٤٦ هـ تأليف المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الربيع الشيبانى .
(١٢) سورة البقرة ١٦٤ .
(١٣) سورة الذاريات ٢١ .
(١٤) سورة البقرة ١٧٠ .

من أعلام الأزهر

■ **الإسلام والرق الحضارى :**

لما كان الإسلام دين الفطرة لذلك نجد القرآن الكريم يسير بالعقل البشرى فى سبيل حرية الفكر ولما كان عقل الإنسان معرضاً للإفلاس والزلل فى معالجة النواحى التشريعية والأدبية والعلمية لذلك جاء وحى الله العليم جامعاً مافيه صلاح شأن البشر وإسعاد حياتهم ، والفطر السليمة فى قبولها له يكون دافعها الطمأنينة إليه والاعتقاد بأنه يسلك بها سبل السلامة والرفعة والرقى .

■ **شريعة الإسلام والرق :**

عندما ظهر الإسلام كان الرق نظاماً معترفاً به بين أمم الأرض فهو من الأوضاع البشرية التى تضرب إلى رواسب الأزمان السحيقة وقت أن كان محض إرادة القوى وسلطانه هو القانون السارى بتسخير غيره من الضعفاء يستخدمه ويستمتع بقواه الجسمية بلا أجر ، فلما كان الإسلام عمل ما وسعه على تحرير الرقيق بوسائل عدة منها .

أولاً : سَوَّى الإسلام بين شعوب الأمم من غير اعتبار لاختلاف أصنافها وألوانها وأجناسها فسوى بين الأبيض والأسود والبدوى والمتحضر والرعايا والمرعيين والرجال والنساء قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١٥) .

ثانياً : لم يبح الإسلام أن يسترق مسلم أصلاً .

ثالثاً : كما وأنه لا يبيح بعد ذلك إلا استرقاق أسرى « حرب شرعية » ، لم تقم إلا لإعلاء كلمة الله تعالى مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين على المسلمين .

رابعاً : وقد كرم الإسلام الأسرى فشرع أن كل من أسلم من الأسرى عصم نفسه وماله .

خامساً : جعل الإسلام العتق كفارة لبعض الخطايا ، والحنث فى بعض الإيمان .

سادساً : إن مكاتبة الرقيق مستحبة بالإجماع بين فقهاء الإسلام ، بل إن الإمام أحمد يرى فى بعض مروياته أنها واجبة متى دعا الرقيق سيده إليها .

سابعاً : اتفق الأئمة على أنه لو كان فى يد إنسان غلام بالغ عاقل وادعى عليه أنه عبده فكذبه الغلام ، فالقول قول المكذب مع يمينه أنه حر ، وفى هذه الصورة نرى أن قاعدة « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » قد خولفت مراعاة لحالة الرقيق فجعل الشرع القول للمنكر بيمينه ، ولا يخفى مايدل عليه هذا من شدة حرص المشرع الإسلامى على تحرير الرقاب ما وجد لذلك سبيلاً .

ثامناً : جعل المشرع الإسلامى من مصارف الزكاة العون على عتق الرقاب فيعطى للرقيق المكاتب مايستعين به على فك رقبته وللحاكم أن يشترى العبيد المملوكين ويعتقهم .

سابعاً : لو جاءت امرأة من الرقيق بأولاد من سيدها اعتبرها المشرع الإسلامى أم ولد لا يجوز له أن يبيعها ، وبموت سيدها تصبح حرة(١٦) .

عاشراً : لقد استوصى النبى ﷺ بالأرقاء خيراً فجعل حقوق العبد على سيده كحقوق المترافقين والمتجاورين والمسافرين فلا يجوز للسيد أن يكلف رقيقه مالا يطيق من العمل أو أن يدعوه بألقاب الازدراء والتحقير .

فأين هذا مما كانت عليه حال الأرقاء فى الأمم السابقة على الإسلام كأمة الرومان وشعب اليهود وغيرهم حيث كان الرقيق كسقط المتاع للسادة

البقيـة ص ٨٤

---

(١٥) سورة الحجرات : ١٠ .

(١٦) وكثير من الفقهاء يرى أن حمل الأمة يمهد لحريتها ، وكذلك لو أسقطت .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

عبرة الهجرة

الرسول المهاجر

عبرة الهجرة

ترك الرسول وراءه أمَّ القُرى ... لما راى فيها الضلال مسيطرا

والبطش بالضعفاء سُنَّة حكمها ... وسراتها فى الجهل قد بلغوا الذُرا

وراى أساطين الضلالة سادَةً ... لم يتركوا للحق فيها مظهرا

لا يدفعون بغير سيف قالةً ... والحرب متجرهم .. وساءتْ متجرا

وسيوفهم فى الصدر تغمد غيلةً ... اما السهام .. فتصرع المستدبرا

وراي قوارينَ التجارة دأبهم ... مص الدماء من الفقير إذا اشترى

والناس تنحت ربَّها من صخرةٍ ... لا تسمع الداعين منهم أو ترى

والبعض يصنع ربَّه من عجوةٍ ... إن جاع ياكله .. ويصنع آخرا

وعبادة الأوثان ديناً سائداً ... وعبادة الرحمن أمراً منكرا

والراي .. راي الحاكمين .. وغيره ... مهما يكن .. رَأيٌ كريه مزدرى

رفضوا النبى المصطفى .. وهو الذى ... كان البشير لهم وكان المنذرا

●●●

قد راح ينشر دينه من يثرب ... حتى يقوم كما أراد ودبرا

درس بليغ للذى ضاقت به ... ارض .. ولم يجد السبيل ميسرا

لابد يهجرها .. لأرض غيرها ... ليذيع منها مايشاء وينشرا

●●●

وبيثربٍ .. الفى النبى حفاوةً ... بقدومه مع صحبه فاستبشرا

وعلى الوجوه وضاءة من نوره ... وعلى الثغور سرى النشيد معبراً :

ياايها المبعوث .. انت نبينا ... انت المطاع .. فَعُدْ مِنَّا العسكرا

إنا .. لك الأنصارُ .. آمنَّا بما ... اوحى إليك الله .. ياخيرَ الورى

●●●

فَأعَدَّ جيشاً لاجباً مُتمرساً ... ضم النصير ومن اتى مستنصراً

الكل بالإسلام صاروا اخوةً ... وإخاؤهم فى الدين من اقوى العُرَى

شعر: أحمد فهمي خطاب

حمل النصير مع المهاجر رايةً / في ظلها سار الخميسُ مُكَبِّراً :
الله أكبر .. حان يأم القرى / عود الرسول إلى الجهاد مؤزرا

●●●

عاد المهاجر آزراً ومُؤَزراً / ومضى لمكة فاتحاً ومُحَرِّرا
وأتاه نصر الله والفتح الذي / قد كان حُلماً .. صار صبحاً مُسْفِرا
عاد النبي محرراً لا غازياً / عَوْدَ الحبيب إلى الحبيب مُظَفَّرا
وسعى إلى البيت الحرام مسبحاً / و(مُحَمْدِلاً) و (مُحَوْقِلاً) مستغفرا
من حوله الأخيار .. قد حفوا به / مثل النجوم .. تحوط بدراً نَيِّرا
الله أكبر .. أعلنوا إسلامهم / والله يهدي للحقيقة من يَرى
ووراء خير الخلق .. ساروا جحفلاً / ملأ البطاح .. كأنهم أسد الشَّرَىٰ

●●●

سَوَّىٰ النبي صفوفهم وأعدَّهمْ / للسلم أو للحرب جيشاً كاسرا
إن القتال - إلى السلام - وسيلةٌ / إن لم يكن بدٌ .. وكان المعبرا
ومحمدٌ .. وهو الرءوف بقومه .. / من رحمةٍ .. رَغِبَ السلام وآثرا
فأصار مكة للسلام مثابةً / لم يُبقِ فيها للصِّدام مُعَسْكرا
نشر السلام على الربوع جميعها / ودعا الأنام إلى الوئام وبشَّرا
وأقر للإنسان آمْناً سابغاً / من بعد خوفٍ قد نفى عنه الكرىٰ
واستنقذ الأنثى التي قد أكثروا / من دَسِّها - من غير ذنبٍ - في الثرىٰ
وأعاد للأغماد أسياف الرَّدى / ومضىٰ يُفيض من المحبة كوثرا
وعن الظَّالم عفا .. فلم يقتل ولم / ياسِرْ .. ولم يشهر عليهم خِنجرا
ودعاهم الطلقاء .. إذ قال : اذهبوا / وأراهمُ عفوَ القدير وحَذَّرا

●●●

ودعا إلى الإسلام دعوةَ قادر / وأقام حُجَّته على من أنكرا
لم يدع للإسلام إلا بالحجا / والسيف يدفع عن حماه من اجترا
تلك الحقيقة لامِراء .. وغيرها / محض افتراءاتٍ .. وخابَ من افترى

الرسول المهاجر

صلى الله عليه وسلم

شعر : أحمد المنشاوى الوردانى

ابدر سرى ؟ أم ذا رسول مهاجر ؟ ... بركب يجوب الليلَ والليلُ ساتر
ومن حول هذا الركب قامت ملائك ... تصاحبه فى سيره وتُساير
اجل : أذِن الرحمن ان يترك الحمى ... رسولُ الهدى لا عَنْ قِلىً ويُهاجرُ
ليفتح آفاقاً لِنشر رسالةٍ ... بها ضاق مافونٌ ووغْدٌ وفاجرُ
فيالك من هادٍ تألّبَ قومُهُ ... عليه ، وراموا قتله وهو صابرُ
لقد جئتهم بالحق لكن تمردوا ... وقالوا : امجنون يُطاع وساحرٌ ؟!!
ومانت إلا من سلالة معشر ... تدين لها - فيما تقولُ - العشائرُ
ويرتجف الصديق حين يرى العِدَا ... وقد عظمتْ فى مقلتيه المخاطِرُ
فقال له المعصوم - قولةَ واثق : ... الا ايها الصديق مِمَّ تحاذرُ ؟
على جنبات الغار قامت عناكبٌ ... ومن فتحات الغارِ مُدّت ستائرُ
تحدى كبارَ المشركين نسيجُها ... كأن المنايا من سَداه فواغرُ
وفى كل خيط فى الخيوط صواعق ... وسيقانها منها سيوف بواترُ
إلى يثربٍ حيثُ الصدورُ رحائبٌ ... لأكرم هادٍ والقلوبُ طواهرُ
على كل ثغرٍ فى الوجوه بشاشةٌ ... وفى كل دربٍ فى الدروب بشائر
يودون لو تُطوى الطريق ليلتقوا ... بأفضل من ترعى خُطاه المقادرُ
وهلَّ إمام المرسلين عليهمُ ... فدوّتْ هُتافاتٌ وغنّتْ حناجرُ
وطافت به الأنصار بيضاً وجوههمُ ... كما طاف بالبدر النجومُ الزواهرُ
لقد خرجوا يَشْدُون ماسَطّر الهوى ... صغارهمُ فى فرحةٍ والأكابرُ
هنالك ارسى للحنيف منارة ... بأنوارها ياتمّ بادٍ وحاضرُ

حرارة الجو

إلى أين ؟

ا. د. أحمد فؤاد باشا

كلما زاد إحساس الناس بحرارة الصيف أو برودة الشتاء تساءلوا عن السبب العلمي لتلك التغيرات الدورية أو الطارئة التى تحدث فى مناخ الأرض .. ويذهب العلماء فى تفسيرها كل مذهب ، فمنهم من يعزى السبب إلى ظواهر النشاط الشمسى ، ومنهم من يشير بأصابع الاتهام إلى تأثيرات النشاط الإنسانى ومصادر التلوث البيئى ، ومنهم من يلجأ إلى افتراض حدوث تغيرات دورية فى هندسة المدار الأرضى أو إلى تفسير طبيعى فى ضوء التاريخ الحرارى للكون .

وسوف نتناول فى هذا المقال ظاهرة الحرارة من حيث مصدرها وطبيعتها واحتمالات ارتفاعها أو انخفاضها فى طبقات الغلاف الجوى ، حسبما تصورها لنا بعض النظريات العلمية الحديثة والمعاصرة .

الشمس مصدر الحرارة :

الشمس نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على خلقه ، هيأها وسخرها لعباده لكى تكون من أهم مقومات حياتهم وقوتهم ، فهى التى تمدنا بالطاقة والدفء والضياء ، وبدونها تنتهى كل مظاهر الحياة على الأرض .. لهذا كان طبيعياً أن تشغل اهتمام الإنسان منذ قديم الزمان .. ويحدثنا التاريخ أن العالم الإغريقى « أرشميدس » استخدم أشعة الشمس فى إحراق بعض سفن العدو وذلك باستخدام دروع الجنود فيما يشبه المرايا الحارقة لتركيز أشعة الشمس على صوارى السفن .. وفى عصر الحضارة الإسلامية درس الفلكيون كلف الشمس الذى تطور فيما بعد إلى علم البقع الشمسية « Solar Spot » كما اهتموا ببحث الظواهر الجوية المختلفة ودراسة أحوالها وتأثيراتها فى أماكن متفرقة من الأرض ، وتوصلوا إلى أن الغلاف الجوى يحيط بالأرض من جميع الجهات إلى ارتفاع يقرب من طول قطر الأرض .

وجاء فى رسائل إخوان الصفا أن توزيع الإشعاع الشمسى على سطح الأرض يتوقف على الموقع

←

حرارة الجو

النسبى للشمس بالنسبة لأجزاء الأرض فى الفصول المختلفة . وفى عصر النهضة الأوروبية الحديثة تمكن العالم الفرنسى « لا فوازيه » من الحصول على درجات حرارة عالية تكفى لصهر الحديد والبلاتين ، وذلك بتركيز أشعة الشمس من خلال جهاز يتكون من عدد كبير من العدسات . ثم توالى بعد ذلك كشف الكثير من المعلومات التفصيلية عن الشمس وحرارتها والظواهر المتعلقة بها . كما ساعد التقدم العلمى « والتقنى » على الارتقاء كثيرا بأجهزة الرصد وطرق القياس والحساب .

والشمس عبارة عن نجم هائل يزيد قطره على المليون وثلث مليون كيلو متر ، وتنشأ الحرارة فى باطنها من الطاقة المتولدة من التفاعلات النووية التى تحدث عند درجات حرارة مرتفعة ارتفاعا كافيا ، حيث تأخذ هذه الطاقة طريقها إلى سطح الشمس ، ثم تنطلق بلا انقطاع إلى الفضاء فى جميع الاتجاهات . ويعترض سطح الأرض قدراً ضئيلا جداً لايزيد على جزء من ألفى مليون جزء من الطاقة الكلية التى تشعها الشمس فى الفضاء ، وذلك لصغر حجم الأرض وبعدها الكبير عن الشمس .

ولكى نتصور المدى الهائل لدرجات الحرارة الموجودة فى الكون يكفى أن نعلم أن درجة حرارة الشمس عند السطح تبلغ ٦٠٠٠ م° ، أى أشد حرارة ستين مرة من الماء المغلى ، بينما تصل درجة حرارتها عند المركز إلى حوالى ١٥ مليون درجة مئوية . وهناك فى الكون نجوم أخرى أسخن من ذلك بكثير ، ويبدو أنه لا حدود لمدى السخونة الممكن حدوثها .

من ناحية أخرى ، توجد مناطق فى الفضاء الكونى بين الكواكب والأجرام السماوية تقترب درجة حرارتها من الصفر المطلق[1] . وتشير البيانات التجريبية المتاحة حاليا إلى أن متوسط درجة حرارة الكون بأجمعه ، على أنه يشبه باطن فرن هائل ، يقترب من ثلاث درجات مطلقة .

انتقال الحرارة من الشمس إلى الأرض :

من المعروف أن الفراغ الهائل بين الشمس والأرض لا يحتوى تقريبا على أى جزئيات مادية ، ولذا فإن الحرارة التى تصل إلينا من الشمس لا تنتقل بالتوصيل أو الحمل اللذين يتطلبان وجود وسط مادى ، ولكنها تنتقل خلال الفراغ الكونى عن طريق الإشعاع . فحين يصير جسم ما ساخنا فإن ذراته وجزئياته المتحركة تبعث الطاقة الحرارية على هيئة موجات غير مرئية تسبب الإحساس بالحرارة وتسمى بالأشعة تحت الحمراء Infra - red radiation ويتكون الإشعاع الشمسى الذى يصل إلى الغلاف الجوى من أشعة الضوء المرئى التى نستطيع بواسطتها

---

(١) الصفر المطلق يقل عن الصفر المئوى بمقدار ٢٧٣,١٦°م ، وأى درجة حرارة على التدريج المطلق تزيد نفس المقدار عن نظيرتها على التدريج المئوى . فإذا كانت درجة حرارة الغرفة ، على سبيل المثال ، هى ٢٧°م فإنها تساوى ٣٠٠ درجة مطلقة تقريبا . ومن الناحية العملية ، يستحيل الوصول إلى درجة الصفر المطلق التى تنعدم عندها طاقة الحركة لذرات المادة وجزئياتها ، إلا أن وسائل « التقنية » الحديثة قد مكنت العلماء من إجراء تجارب هامة لاستقصاء سلوك المادة عند درجات حرارة قريبة جدا من الصفر المطلق .

رؤية الأشياء وألوانها بالعين المجردة ، بالإضافة إلى أشعة الضوء غير المرئى المتمثلة فى الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء . ويمكن تحليل أشعة الضوء المرئى خلال منشور زجاجي إلى ألوان « قوس قزح » السبعة وهى : الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى . وعندما حاول العلماء معرفة المزيد عن طيف الضوء المرئى بوضع (ترمومتر) عند كل لون يخرج من المنشور الزجاجي وجدوا أن درجة الحرارة ترتفع ارتفاعاً طفيفاً حين يتحرك الترمومتر من الطرف البنفسجى إلى الطرف الأحمر ، ثم تأخذ درجة الحرارة فى الارتفاع بصورة ملحوظة حين يوضع الترمومتر تحت اللون الأحمر مباشرة حيث توجد الأشعة الحرارية غير المرئية (تحت الحمراء) ..

ويحتل الإشعاع الشمسى الحرارى جزءاً صغيراً من المدى الكامل للطيف الكهرومغناطيسى Electromagnetic spectrum الذى تنتشر جميع موجاته بسرعة ثابتة تساوى سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر فى الثانية) . ولا تختلف مكونات هذا الطيف الكهرومغناطيسى فيما بينها إلا فى أطوالها الموجية ، ويتركز مايقرب من ٩٣٪ من الطاقة الحرارية للإشعاع الشمسى فى نطاق الأطوال الموجية من ٠,٤ إلى ٤٠ ميكرون[٢] . وتجدر الإشارة إلى أن طيف الضوء المرئى يشغل حيزاً ضئيلاً من طيف الإشعاع الحرارى فى المدى من ٠,٤ إلى ٠,٧٥ ميكرون ، لكنه يحتوى على حوالى نصف الطاقة الحرارية الكلية للطيف الكهرومغناطيسى القادم من الشمس .

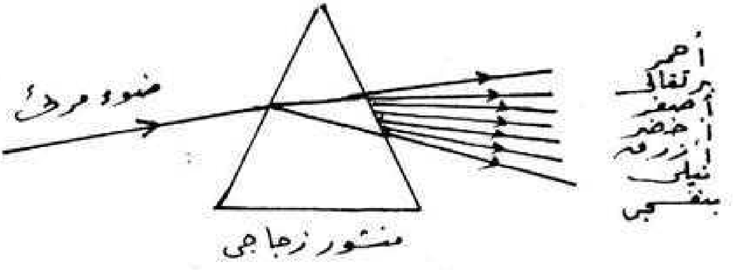

(٢)

(٢) الميكرون يساوى جزءاً من المليون من المتر ، اى $١٠^{-٦}$ متر .

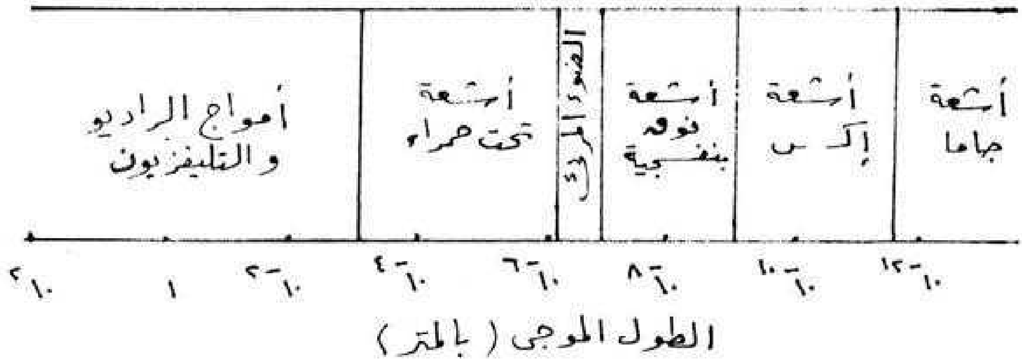

(ب)

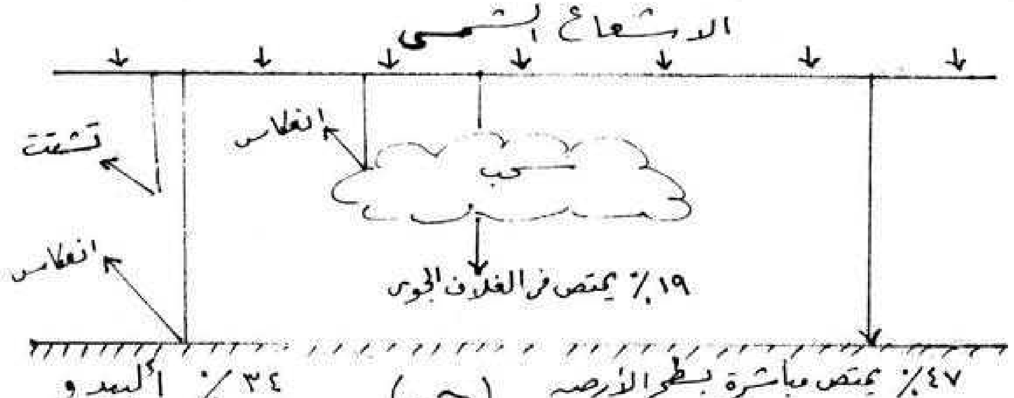

(جـ)

رسم يوضح : (أ) تحليل الضوء المرئي بواسطة منشور زجاجي .
(ب) الطيف الكهرومغناطيسي .
(جـ) توزيع الطاقة الحرارية للإشعاع الشمسي .

القادم من الشمس :

من ناحية أخرى ، تشكل الأشعة فوق البنفسجية ذات الطول الموجي في المدى من ٠,١٧ إلى ٠,٤ ميكرون نسبة ٧٪ تقريبا من طيف الشمس الحراري . ويسمح الغلاف الهوائي للأرض بنفاذ ضوء الشمس المرئي وقليل من الأشعة دون الحمراء القريبة من الأحمر وقليل من الأشعة فوق البنفسجية القريبة من البنفسجي ، لكنه يمتص الأطوال الموجية الكبيرة من الأشعة تحت الحمراء ، كما يمتص الأطوال الموجية القصيرة من الأشعة فوق البنفسجية .

وقد أمكن الاستدلال على أن الأشعة فوق البنفسجية القصيرة تسهم في تسخين الجو على ارتفاع ما بين ٢٠ و ٥٠ كيلومتراً بسبب وجود

جزيئات غاز الأوزون (ورمزه الكيميائى أ٣) الذى يمتص هذه الأشعة ويحرر قدراً من الطاقة الحرارية بعد أن يتفكك إلى مركبتيه : الأكسجين الجزيئى العادى (أ٢) والاكسجين الذرى النشط (أ) ، حسب المعادلة الكيميائية :

أ٣ + اشعة فوق بنفسجية ← أ٢ + أ + حرارة .

ومن فضل الله على عباده أن هذا التفاعل من شأنه أن يسمح فقط بنفاذ الأشعة فوق البنفسجية اللازمة لاستمرار الحياة على الأرض ، بالإضافة إلى أن الطاقة الحرارية المتولدة من التفاعل لازمة لتعويض الفاقد بواسطة الإشعاع الحرارى فى تلك الطبقة من الغلاف الجوى[٣] .

وبصورة عامة ، أوضحت القياسات التى أجراها العلماء أن حوالى ١٩٪ من الإشعاع الكلى القادم من الشمس إلى الأرض يمتص مباشرة بواسطة مكونات الجو والسحب ، وأن سطح الأرض يستقبل حوالى ٤٧٪ من هذا الإشعاع . أما النسبة المتبقية ، وهى حوالى ٣٤٪ ، فتنعكس أو تتشتت بواسطة الجو والسحب وأسطح البحار واليابسة ، ويطلق عليها الفلكيون اسم « القدرة العاكسة » ، وهى تختلف باختلاف طبيعة السطح العاكس وظروفه[٤] .

وتعتمد كمية الإشعاع الشمسى التى تصل إلى مكان ما على عدة عوامل مثل زاوية ميل أشعة الشمس والثابت الشمسى[٥] وطول النهار وغطاء السحب والشوائب العالقة فى الجو وكميات « الألبيدو » المنعكسة أو المشتتة من مناطق مختلفة . لهذا نرى أن هناك تبايناً واضحاً فى مدى درجات الحرارة على سطح الأرض ، حيث تبلغ درجة حرارة أبرد الأماكن حوالى ٨٨°م تحت الصفر المئوى ، بينما تصل درجة الحرارة فى أشد المناطق حرارة على سطح الأرض إلى حوالى ٥٧,٧°م . ولولا وجود الغلاف الجوى للأرض لما حدثت دورة الحرارة المتولدة من الشمس بهذه الصورة الرائعة التى تفى باحتياجات الحياة وتنسجم مع نواميس الكون ،

فتبارك العلى القدير الذى خلق كل شىء بقدر معلوم . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[٦] صدق الله العظيم .

ولازال للموضوع بقية بإذن الله

أ . د . أحمد فؤاد باشا

---

(٣) لمعرفة المزيد عن خصائص الاشعة فوق البنفسجية واثرها على غاز الاوزون فى طبقة « الاوزونوسفير » ، راجع مقالنا فى مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٤٠٩ هـ ـ مايو ١٩٨٩ م .

(٤) يستعمل الفلكيون اصطلاح « القدرة العاكسة Albedo» للدلالة على معدل انعكاس الضوء من سطح ما بالنسبة للضوء الساقط عليه ، وتقاس بأجهزة تسمى الالبيدومترات Albedometers .

(٥) الثابت الشمسى من الثوابت الفيزيائية الهامة ، وخاصة فى موضوع الطاقة الشمسية ، ويعرف بأنه كمية الطاقة الحرارية التى تسقط من الشمس عموديا على وحدة المساحات من سطح الأرض فى وحدة الزمن . وبديهى أن قيمته تتوقف على المكان الذى يقاس عنده ، وأيضا على العوامل الخارجية المؤثرة . وقد وجد أن القيمة المتوسطة لهذا الثابت هى ١٤٠٠ واط لكل متر مربع ، كما أمكن بواسطته تقدير درجة حرارة سطح الشمس بحوالى ٦٠٠٠م° .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية ٣٣ .

طرائف

« خير الأمور أوسطها »

يروى أن الصديق ـ رضى الله عنه ـ كان يخافت فى صلاته بالليل . ولا يرفع صوته بالقراءة ، وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ يجهر بها ، فسأل رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بكر عن فعله ، فقال : من أناجيه يسمع كلامى ، وسأل عمر فقال : أوقظ الوسنان [النائم] وأطرد الشيطان ، وأرضى الرحمن ، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بكر برفع صوته قليلا ، وأمر عمر بخفضه قليلا .

« رعاية حرمة الصديق »

نزل بعض الخوارج على بعض إخوانه مستتراً من الحجاج ، فشخص المضيف لبعض حاجاته وقال لزوجته : أوصيك بضيفى خيراً !!

وكانت المرأة من أجمل النساء .

فلما عاد بعد شهر ، قال لها : كيف كان ضيفك ؟

قالت : ما أشغله بالعمى عن كل شىء !

ولم يكن الضيف أعمى ، ولكنه أطبق جفنيه ، فلم ينظر إلى المرأة ، ولا إلى منزلها حتى عاد زوجها !!

« الرفق بالحيوان »

من روائع حضارتنا الإسلامية ، هذه الروح الرحيمة التى استظل بظلها الإنسان والحيوان .

● روى أن أبا الدرداء الصحابى الجليل ـ رضى الله عنه ـ كان له بعير ، فلما حضرته الوفاة ، قال يخاطبه : ياأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك ، فإنى لم أحملك فوق طاقتك .

وكان الإمام إسماعيل الشيرازى يمشى فى الطريق ، ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ ، وقال له : أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه !

« طرائف لغوية »

لاحظ علماء اللغة ، مابين الحروف والمعنى من مناسبة ، ومما لاحظوه ، أن « الحاء » إذا أتت فى آخر الكلمة دلت على الاتساع والانتشار مثل « ساح » ، « باح » ، « صاح » ، « شرح » ، « مرح » .

وأن الكلمة المبدوءة بحرف « الشين » تدل على التشتت والتفرق مثل : « شطر » ، « شتت » ، « شعث » ، « شبح » .

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

وأن الكلمة المبدوءة « بالغين » تدل على الغموض مثل : « أغمض » ، « غابت الشمس » ، « غار الماء » ، « غطى الشيء » .

« حب الدنيا »

قال الإمام مالك : حب الدنيا يخرج حلاوة الإيمان من القلب .

وقيل لبعضهم : إن فلاناً كان عابداً زاهداً ثم رجع إلى الدنيا .

فقال له : لا تعجب ممن رجع ، واعجب ممن يستقيم .

وقال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه : الدنيا عدوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله ، أما أولياء الله فأهمتهم ! وأما أعداء الله فغرتهم .

« العائد والمريض »

مرض صديق لحامد بن العباس ، فأراد أن ينفذ إليه ابنه ليعوده ، فأوصاه ، وقال : إذا دخلت فاجلس فى أرفع الموضع ، وقل للمريض : ماتشكو ؟ فإذا قال : كذا وكذا فقل : سليم أن شاء الله ، وقل له : من يجيئك من الأطباء ؟ فإذا قال : فلان ، فقل : مبارك ميمون ، وقل له : ماغذاؤك ؟ فإذا قال : كذا وكذا ، فقل طعام محمود .

فذهب الابن فدخل على العليل ، وكانت بين يديه منارة فجلس عليها لارتفاعها ، فسقطت على صدر العليل فأوجعته ، ثم جلس ، وقال للعليل ، ماتشكو ؟

فقال بضجرة : أشكو علة الموت ، فقال سليم : إن شاء الله ، قال : فمن يجيئك من الأطباء ؟ قال : ملك الموت ، قال : مبارك ميمون .

قال : فما غذاؤك ؟ قال : سم الموت ، قال : طعام طيب محمود .

« أين هو الآن ؟ »

لا شك أن الحياة رحلة تحتاج إلى رفيق ، أو صديق شفيق ، وما أجمل قول الإمام الشافعى - رضى الله عنه - فى هذا المعنى :

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها
صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وقالوا قديما :

تمسك إن ظفرت بذيل حر
فإن الحر فى الدنيا قليل

« دعاء »

اللهم بك توسلت ، ومنك سألت ، وفيك لا فى سواك رغبت ، لا أسأل منك سواك ، ولا أطلب منك إلا إياك .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

سيد الأنبياء

فى شعر : أمير الشعراء

إن حب سيد الانبياء ، محمد صلى الله عليه وسلم ، والإشادة بالدين الذى جاء به فطرة فى النفس الشاعرة إذا كانت تَنْفَتح عن عقيدة سليمة وخلق قويم .

وأمير الشعراء واحد من اعلام الناس الذين يقدرون عظمة الممدوح حق قدرها لعلمهم بقيمتها الفذة فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم هو إلى جانب ذلك يضع نفسه فى منزلتها امام جاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتفيض شاعريته بتصوير عظمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيمتها الفريدة ، ثم يعرج إلى نفسه فيلتمس لها الرضا والغفران .

يعالج الموضوع ايضاً استاذ عظيم هو فضيلة الدكتور عبدالحميد عنتر احد أساتذة كلية اللغة العربية فى الخمسينات ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ يقول :ـ

اعتقد أنه لم يحفل شاعر من شعراء النهضة الحديثة ، فى مصر أو فى الشرق العربى ، بمدح رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثلما حفَل بذلك أمير الشعراء أحمد شوقى بك . هنأ الله روحه ، وأمطر جدثه شآبيب رحمته ، وأفاض عليه من سجال رضوانه !

كما أعتقد أن هذه الحفاوة البالغة بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شاعر مُلهَم مجيد ، اثر من آثار محبة هذا الشاعر للممدوح ، ولما جاء به من شريعة مُحكمة ، جمعت إلى التوحيد محاسن الخصال ، ومكارم الأخلاق ، ونظاماً كاملاً للحياة الإنسانية الهنيئة السعيدة !

وقد ظهرت هذه المعانى واضحة جلية فى شعره الذى سنعرض لذكر أبيات منه عند المناسبة .

ولئن تأثر شاعرنا فى هذا الغرض الشعرى بشعر مادح رسول الله فى عصر المماليك ، الإمام المحب للحضرة النبوية ، الشاعر الذائع الصيت ، سيدى محمد البوصيرى ، فإن لشعر أمير الشعراء ديباجة شعرية خاصة ، ومعانى خيالية مُلهمة ، وأساليب من السهل الممتنع ،تكاد تضارع أساليب الشعر فى العصر العباسى الأول !

وحسبى أن أورد على دعواى هذه دليلين من أدلة كثيرة أضرب عنها صفحاً لطول الكلام :

١ ـ قال البوصيرى فى مطلع همزيته :

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ
يا سماءً ما طاولتها سماءُ ؟!

وقال شوقى فى افتتاح همزيته النبوية :

وُلد الهُدى فالكائنات ضياءُ
وفَم الزمان تبسمٌ وثناءُ !

فالقارىء الأديب يحس الفارق الكبير بين

لفضيلة الشيخ :

عبد الحميد عنتر

إعداد وتقديم :

عبد الفتاح حسين الزيات

المعنيين ، ويدرك بوضوح تجلى الروح الشاعرية الفنية فى بيت شاعرنا ، وظهور الحقيقة الواقعية المتسمة ببعض الخيال فى بيت الإمام .

ب - قال البوصيرى فى مطلع البرءة ، أو البردة :

أمِن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعاً جرى من مُقلة بدم ؟!

وقال شوقى فى مطلع نهج البردة :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم[1]

المعنى فى بيت البردة مطروق بين الشعراء القدامى والمحدثين ، وهو فى بيت النهج مبتكر جديد ، أودع فى ثوب من جوهر اللفظ قشيب . ومع هذا فإليك ما يقوله أمير الشعراء تواضعاً منه وتأدباً مع الإمام البوصيرى :

يا أحمد الخير لى جاهٌ بتسميتى
وكيف لا يتسامى بالرسول سمى[2] ؟!
المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم[3]
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط وليَّك لا يُذمم ولا يُلم

وبعد ، فليس هذا المقام مقام موازنة أدبية بين البوصيرى وشوقى ، وإنما هو مقام تجلية المدائح النبوية فى شعر من شهد له شعراء المشرقين بالزعامة والإمارة على جميع شعراء هذا العصر . فلنسر فى هذا الطريق فنقول :

تجلى مدح شوقى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أربع قصائد من قصائده الغر ، جاءت كل قطعة منها صورة فنية رائعة ، تمثل المعانى التى تضمنتها أبدع تمثيل ، وتسمو بقارئها وسامعها من التخيل إلى التحقيق ، حتى كأنه يلمس المعنى من اللفظ بدون كدّ أو عناء !

١ - اختير أمير الشعراء ممثلاً للحكومة المصرية فى المؤتمر الشرقى الدولى ، الذى عقد فى مدينة جنيف بسويسرة عام ١٨٩٤ م فأنشد قصيدته الهمزية العصماء ، التى عنوانها : « كبار الحوادث فى وادى النيل » .

وهى تُربى على ثلاثمائة بيت من حُر الشعر وخالص القريض : طرق فيها موضوعات شتى ، ثم أفاض فى مولد المسيح عيسى عليه السلام . وفى هرم دولة القياصرة ، وانتشار الظلم والضلال

←

---

(١) الريم بالياء : أصله الرئم بالهمز ، وهو ولد الظبى ، والقاع : لأرض المستوية ، والبان : شجر ، والعلم : الجبل .
(٢) من أسماء الرسول عليه الصلاة والسلام أحمد ، واسم شوقى أحمد ، فهو سمى الرسول ، ويتسامى : يتعالى .
(٣) أى التقدم والمنزلة .

من روائع الماضي

والفساد فى انحاء العالم شرقاً وغرباً ، وانغماس اكثر الناس فى عبادة الأوثان ، واستيلاء الجهل على النفوس ، حتى اظلم الشرق والغرب ، وعمت الفوضى ، وتطلعت القلوب إلى السماء متضرعة أن تنقذها من تلك الفوضى العاتية ، وأن تبدد عنها ذلك الظلام الحالك ، ثم قال عفا الله عنه :

أشرق النور فى العوالم لما
بشرتها بأحمد الأنباء
باليتيم الأمى والبشر المو
حى إليه العلوم والأسماء
قوة الله إن تولت ضعيفاً
تعبت فى مراسه الأقوياء
أشرف المرسلين آيته النطـ
ـق مبيناً وقومه الفصحاء
جاء للناس والسرائر فوضى
لم يؤلف شتاتهن لواء
وحمى الله مستباح وشرع الله
والحق والصواب وراء
فلجبريل جيئة ورواح
وهبوط إلى الثرى وارتقاء
يحسب الأفق فى جناحيه نورا
سلبته النجوم والجوزاء
تلك آى الفرقان ارسلها الله
ضياء يهدى بها من يشاء
نسخت سنة النبيين والرسل
كما ينسخ الضياء الضياء

وهاك ماقاله فى إنصاف عمرو بن العاص الذى تولى فتح مصر ، فجلب لأهلها العدل والنصفة ، وجلب للإسلام بها الخير والبركة ؛ وقد أشاد الشاعر بالنيل العظيم ، وأبان بأن من يستولى عليه فقد استولى على قارة افريقية ، وأن أفريقية يعلو شأنها ، ويستقيم أمرها إذا حرر وادى النيل من منبعه إلى مصبه ، بجلاء الأعداء عن أراضيه ، وأن فى استرقاق النيل رق هذا القسم من اليابسة ؛ وذلك إزراء شائن ، وعيب فاضح ! قال :

فابك عَمْراً إن كنت منصفَ عَمرو
إن عَمراً لنيِّر وضّاء
جاد للمسلمين بالنيل
والنيل لمن يقتنيه أفريقاء
فهى تعلو شأناً إذا حرر
النيل وفى رقِّهِ لها إزراء

رحم الله أمير الشعراء ! لقد كان وطنيا مخلصاً لوطنه ، قبل أن يكون شاعرا خياليا مجيداً لشعره !

٢ ـ تنقل معى أيها القارىء إلى روضة أخرى من رياض شوقى فى مدح فخر الكائنات ، لترى كيف يكون التفنن فى القول ، ولتعرف مقدرة هذا الشاعر على إبراز شاعريته وإبداع تفننه فى مقام واحد ، بأساليب شتى ، وأفانين مختلفة .

قال من قصيدته فى ذكرى المولد النبوى :

تجلى مولد الهادى وعمت
بشائره البوادى والقصابا(٤)
وأسدت للبرية بنتُ وهب
يداً بيضاء طوقت الرقابا
لقد وضعته وهاجاً منيراً
كما تلد السموات الشهابا
فقام على سماء البيت نوراً
يضىء جبال مكة والنقابا(٥)
وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً
وفاح القاع أرجاء وطابا(٦)

---

(٤) المدن الكبيرة ، ومفردها قصبة .
(٥) جمع نقب وهو الطريق فى الجبل .
(٦) ضاعت رائحة المسك : تحركت ، ويثرب مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأرجاء النواحى مفردها رجا بوزن سبب .

ثم قال مخاطباً الرسول عليه الصلاة والسلام ، يذكر تفرق المسلمين ، وينعى عليهم تضييع سنة الرسول وطريقته المثلى ، وهجرهم أخلاقه وأخلاق أصحابه التى سادوا بها الأمم :

وما للمسلمين سواك حصن
إذا ما الضُر مسهم ونابا !
ولو حفظوا سبيلك كان نوراً
وكان من النحوس لهم حجاباً
بنيت لهم من الأخلاق ركناً
فخانوا الركن فانهدم اضطرابا !
وكان جنابهم فيها مهيباً
وللأخلاق أجدر أن تهابا !
فلولاها لساوى الليث ذئباً
وساوى الصارم الماضى قرابا[٧]

أظنك أيها القارىء ترى معى أن هذا الشعر غنى بوضوحه عن الشرح والبيان ، وأنه جمع إلى جمال الأسلوب الشعرى فى المديح نصاعة الحكم والنصائح الغالية ، وتدرك منه تجلى روح الشاعر لإبراز محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومحبة شرعه المحكم وما اشتمل عليه من أخلاق فاضلة !

٣ - وهذا نوع آخر من الافتتان السحرى ، والفيض الشعرى الذى يبهرك نوره ، ويفوح من بين ثناياه عبيره ! يحيى به النبى عليه الصلاة والسلام ، ويمتدح شريعته وأصحابه ، قال من همزيته النبوية :

يا خير من جاء الوجود تحيةً
من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بيت النبيين الذى لا يلتقى
إلا الحنائف فيه والحنفاء[٨]
خير الأبوة حازهم لك آدم
دون الأنام وأحرزت حواء
هم أدركوا عز النبوة وانتهت
فيها إليك العزة القعساء[٩]
خُلقت لبيتك وهو مخلوق لها
إن العظائم كفؤها العظماء
بك بشر الله السماء فزينت
وتضوعت مسكاً بك الغبراء[١٠]
وبدا محياك الذى قسماته
حق وغرته هدى وحياء[١١]
وعليه من نور النبوة رونق
ومن الخليل وهديه سيماء
أثنى المسيح عليه خلف سمائه
وتهللت واهتزت العذراء[١٢]
يوم يتيه على الزمان صباحه
ومساؤه بمحمد وضاء !
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت
وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب بينهم
خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآى تترى والخوارق جمة
جبريل رواح بها غداء
نعم اليتيم بدت مخايل فضله
واليتم رزق بعضه وذكاء
فى المهد يستسقى الحيا برجائه
وبقصده تستدفع البؤساء

لعلك أيها القارىء ، وقد وصلت إلى هنا ، تحس باستنشاق نسمات معطرة بريا مدح محمد - صلى الله عليه وسلم - فى صغره ، وأن الله

←

---

(٧) الصارم : السيف الماضى القاطع ، وقراب السيف : غمده .
(٨) الحنائف : الطاهرات ، والحنفاء : الذين هم على ملة إبراهيم عليه السلام .
(٩) القعسناء : الثابتة .
(١٠) الأرض .
(١١) ما بين الوجنتين والأنف .
(١٢) مريم أم المسيح عليه السلام .

اختاره من أشرف الرجال وأطهر الأمهات ، وأن أمارات النبوة قد بدت عليه وهو طفل يتيم ، إلى غير هذا مما تبينته فى نفحات أمير الشعراء العطرة !

وهذا روض آخر من الشعر يتعطر الكون كله بشذاه ، وتتسمع الدنيا كلها نغماته الساحرة ، التى تهتز لها أوتار القلوب ، وتحن إلى سماعها النفوس . قال يصف أخلاقه عليه الصلاة والسلام :

بسوى الأمانة فى الصبا والصدق لم
يعرفه أهل الصدق والأمناء
يا من له الأخلاق ما تهوى العُلا
منها وما يتعشق الكبراء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويُولع الكرماء
أما الجمال فأنت شمس سمائه
وملاحة الصديق منك أياء
والحسن من كرم الوجوه ، وخيره
وما أوتى القواد والزعماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت مالا تفعل الأنواء(١٣)
وإذا عفوت فقادراً ومقدراً
لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة
فى الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته
ورضى الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزة
تعرو النَّدِىّ وللقلوب بكاء !

وتمد حلمك للسفيه مُدارياً
حتى يضيق بعرضك السفهاء

ثم انتقل ـ عفا الله عنه ـ يصف منزلته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العلم ، ويذكر معجزته الخالدة ، وشريعته الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة ، فقال :

ياأيها الأمىُّ حَسْبُكَ رتبةً
فى العلم أن دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التى
فيها لباغى المعجزات غناء
نُسخت به التوراة وهى وضيئة
وتخلف الإنجيل وهو ذُكاء
بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من ملل الهُدى غراء
بُنيت على التوحيد وهو حقيقة
نادى بها سُقراط والقدماء
ومشى على وجه الزمان بنورها
كُهان وادى النيل والعُرفاء !
لما دعوت الناس لبّى عاقلٌ
وأصم منك الجاهلين نداء
أبوا الخروج إليك من أوهامهم
والناس فى أوهامهم سُجناء !
ومن العقول جداول وجلامدٌ
ومن النفوس حرائر وإماء !

ثم وجه شاعرنا الخطاب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ متخلصاً إلى وصف حال المسلمين ، فقال :

أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة
فى مثلها يُلقى عليك رجاء
أدرى رسول الله أن نفوسهم
ركبت هواها والقلوب هواء ؟!

البقية ص ٧٤

(١٣) الأنواء جمع نوء ، وهو النجم الساقط أو الطالع ، وكانت العرب تزعم أن الأمطار والرياح والحر والبرد من فعلها ! .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

زينب رضي الله عنها

كتاب الوحوش

لأبى سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعى
١٢٢ - ٢١٦ هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى اله وصحبه اجمعين ، وبعد :

فمنذ صنف الاصمعى كتاب « الوحوش » ، وتوفى عنه تاركا إياه ضمن ثروة فكرية ضخمة ، والكتاب ينتقل من وَرَّاقٍ إلى آخر ، ومن خزانة كتب فى الشرق إلى اخرى فى الغرب ، يجوب الآفاق شرقا وغربا محطما حواجز الزمان والمكان ، متحديا كل عوامل الفناء التى التهمت رُكاما هائلاً من تراثنا القديم ... حتى تلقفه المستشرق الألمانى رودلف جاير «RuDolf Geyer» ذاك الرجل الشغوف بعلوم العرب فعكف عليه ، ثم قام بنشره فى مجلة «SBWA» العدد ١١٥ ، لعام ١٨٨٨م نشرا يعكس اهتماما منقطع النظير ، وجهدا مشكورا بذله الرجل .

وبعد فترة تتجاوز القرن من الزمان ، خلالها ظل الكتاب غريب الموطن ، غريبى الثياب ، تتحلقه الأعين الخضر والزرق ، وتحتضنه خزائن الكتب بأوروبا ، رايت أن أعيده إلى موطنه الأصلى ، وأن انزع عنه تلك القُبَّعَةَ الغربية وذاك الهندام ، وأوشحه بالإزار العربى والسَّرَوَال .

إن ثمة دوافع كثيرة ، دفعتنى إلى تحقيق هذا الكتاب ، والإصرار على إخراجه ، نذكر منها :

ــ أن نشرات المستشرقين لأمهات كتبنا كانت قليلة العدد ، ضيقة الانتشار ، يقتصر تبادلها على علماء الغرب ممن لهم اهتمام شديد بالشرق وعلومه ، ومراكز الاستشراق المتناثرة هنا وهناك بين أصقاع أوروبا ، ومايصاقبها من بلدان وأقطار .

ــ وأن مقدمة « جاير » وتعليقاته صيغتا باللغة الألمانية التى لا عهد لكثير من الباحثين العرب بها .

ــ يضاف إلى هذا وذاك أن « جاير » ـ على سعة علمه ـ وقع فى شىء غير قليل من التصحيف والتحريف والسقط ، وأخطاء الضبط ، وأوهام القراءة ، وسوف نشير إلى هذه الأخطاء فى هوامشنا كلما سنح ذلك .

وبَيْنَا أنا مشغول بالبحث عن نسخ الكتاب الخطية واستجلابها ، وتخريج روايات شواهده

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان*

الشعرية وتحقيقها ، ومناقشة الآراء التى يثيرها الأصمعى وتوثيقها ، أثارت انتباهى إشارةً للمستشرق « كارل بروكلمان » فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » تفيد أن نسخة خطية للكتاب فى باريس ، لم يطلع عليها « جاير » ومن ثَمَّ لم يستفد بها فى نشرته .

وعلى الفور سارعت بالكتابة إلى الزميل الأستاذ : عبد الباقى محمد حسين ، المدرس المساعد بقسم الدراسات الأدبية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - والمبعوث إلى جامعة السربون ؛ لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب ، استحثه ضرورة استجلاب مصورة لهذه النسخة الخطية . والله أشهد أن الرجل لم يتردد لحظة ، ولم يتوان برهة .

وماهى إلا بضعة أشهر توالت ، بعدها ثوت المصورة - فى رضى - بين أصابع يدى ، وراحت عيناى تنقراها بشغف المُحِبِّ ، وتحلق المشوق .. ولَحْظَتها .. ابتسَمتْ فى أعماقىَ سنوات ثلاث قضيتها أجمع جذاذات هذا الكتاب ، وأحبر بطاقاته ، تارة تنتابنى حالة من التردد حيال إتمامه ، والشك فى جدوى نشره ، وتارة تهيمن علىّ حالة من التفاؤل تدفعنى إلى نفض الغبار عن قصاصاته ، والعكوف عليه مرة ثانية .. إذ ثبت لدى صدق ماذهب إليه « كارل بروكلمان » ، فقد افتقرت نشرة « جاير » إلى فوائد كثيرة وردت فى النسخة الخطية بباريس ، ولم ترد فى نسخته .. يضاف إلى هذا أن نسخة باريس الخطية - والتى اعتمدت أصلاً فى نشرتنا - تعد أقدم نسخة خطية وصلتنا للكتاب .

وفى النهاية .. فإنِّى لم أضن على هذا الكتاب بوقت أو جهد ، فإن أكن قد وفقت إلى بعض ماصبت النفس إليه ، فذاك فضل من الله وحده ، وإن كان المسعى قد انقطع بى دون إدراك غاية الطريق ، فحسبى أنى أخلصت النِّيَّة ، وبذلت غاية جهدى .

وصف نسخ الكتاب
اعتمدنا فى نشر كتاب « الوحوش » للأصمعى على النسخ الآتية

١ - (الأصل) : مخطوطة محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٣١٣١ وهى عبارة عن ١٩ ورقة ضمن مجموع ، تشغل فيه الأوراق من ١٢١ - ١٣٩ ومسطرتها ١٣ سطرا ، فى كل سطر منها نحو ٨ كلمات فى المتوسط ، كتبت بخط النسخ المضبوط ضبطا كاملاً ، ولا تحمل المخطوطة تاريخا للنسخ أو اسما للناسخ .

٢ - (نسخة ت) : مخطوطة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٣١ لغة تيمور ، مقاسها ٢٤ × ١٧ ، وتقع فى ١٥ ورقة من ٧٥ إلى صفحة ١٠٥ ضمن مجموع يقع فى ٢١٢ صفحة ، ويتضمن الكتب التالية :

١ - الشاء ، للأصمعى ص ١ .
٢ - الإبل ، للأصمعى ص ١٧ .
٣ - الخيل ، للأصمعى ص ٤٣ .
٤ - أسماء الوحوش ، للأصمعى ص ٧٥
٥ - ماخالف فيه الإنسان البهيمة فى أسماء

←

(*) المحقق : معيد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

كتاب الوحوش

الوحوش وصفاتها لقطرب ص ١٠٦ .

٦ ـ الفرق ، للأصمعي ص ١٢١ .

٧ ـ النبات والشجر ، للأصمعي ص ١٣٩

٨ ـ الدارات ، للأصمعي ص ١٦٧ .

٩ ـ اللِّبأ واللبن ، لأبي زيد سعيد بن أوس ص ١٧٣ .

١٠ ـ البئر ، لابن الأعرابي ص ١٨١ .

١١ ـ أَيْمان العرب ، لأبي اسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي ص ١٩٧ .

وهذا المجموع خطه نسخي غير مضبوط بالشكل ، فيما عدا الرسالة الأولى (كتاب الشاء للأصمعي) فهي بخط الرقعة ، وبآخرها : « كتبه الفقير أحمد تيمور في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣١٩ هـ وبأول المجموع صفحة للفهرس كتب في أعلاها : (كتبت سنة ١٣١٩هـ) .

وفي أول الكتاب كتب : « هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها .. » وبآخره كُتِبَ : « تَمَّ كتاب الوحوش عن الأصمعي .. تَمَ .. تَمَ .. تَمُ » .

٣ ـ (نسخة ج) : نشرة المستشرق الألماني «R. Geyer» ونشرت في مجلة «SBW» بليدن ١٨٨٨ في العدد ١١٥ الصفحات ٣٥٣ ـ ٤٢٠ وهي نشرة جيدة إلا أن «R. Geyer» اغفل الاعتماد على النسخة الخطية الكائنة بالمكتبة الوطنية بباريس ، ففات نَشْرَتَهُ شيء غير قليل من نص الكتاب ومابها من فروق مهمة للروايات ، كما أن الناشر وقع في شيء غير قليل من التصحيف والتحريف والسقط ، وأخطاء الضبط وأوهام القراءة ، والتي سنشير إلى بعض منها في هوامش نشرتنا .

منهج التحقيق

١ ـ اتخذت من النسخة الخطية بباريس أصْلاً في التحقيق كما أشرت في حديثي عن أصول الكتاب ، واستأنست إلى جانبها بنسخة تيمور الخطية ، ومطبوعة « جاير » ، وقمت بمقابلة هاتين النسختين بالأصل ، مُشِيرًا إلى مابينها من اختلاف ، من حيث التقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان .

فما ورد في الأصل وسقط من ت ، ج ، أو إحداهما وُضِعَ بين قَوْسَيْن ، وما ورد في ت ، ج ولم يرد في الأصل وُضِعَ بين معقوفتين . كما كنت اثبتُ كُلَّ زيادةٍ يَسْتَدْعيها السِّيَاقُ وتتفق كلُّ النسخ على ضرورة إثباتها ، واضعها بين معقوفتين .

٢ ـ حرصتُ على إخراج نَصّ الكتاب صحيحاً متكاملاً ميرأ من الخطأ والتحريف والتصحيف ، وقمت بضبط النص ضبطا كاملاً على ضوء ماجاء في الأصل ، مع تصحيح ماوقع فيها من خطأ في التشكيل وغيره .

٣ ـ نسبت كثيرا من شواهد الرجز والشعر التي جاءت مجهولة النسبة ، وحققت ما تعددت الأقوال حول نسبته .

٤ ـ عمدت إلى تفسير بعض الألفاظ التي تبدو غريبةً ، مُظَلَّلَةً بمِظَلَّةٍ من الضبابية والغموض ، وفي سبيل ذلك كنت أعود مرة بعد أخرى إلى كتب الاختيارات والشروح ودواوين الشعراء والرُّجاز .. انتقي منها ما اراه ضرورياً لاستجلاء آفاق الشاهد ، وتوضيح غامضه ، مع عزو كُلِّ عبارة إلى المصدر الذي انتقيت منه .

وعندما تَصْمُت المصادر حيال تفسير الفاظ شاهدٍ ما ، كنت أتولى مهمة شرح مفرداته ، مستعيناً بالمعاجم اللغوية . وإذا ما استشعرت أنّ ثَمَّة غموضا لازال يوشح الشاهد رغم تفسير كلماته ، رُحْتُ اشرحه شرحاً موجزاً وَمُبَسَّطاً .

٥ ـ قمت بتوثيق الآراء اللغوية التي وردت في حنايا الكتاب .

٦ ـ ترجمت للأعلام ، شعراء ، وعلماء لغة .. ترجمة موجزة ، مزيلة ببعض مصادر الترجمة ..

زينب

رضي الله عنها

والقلادة

للاستاذ: السيد حسن قرون

خطب ابو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس زينب بنت محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - وكان كما يقول ابن هشام من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد، وكانت خديجة خالته، فسألت خديجة رسول الله أن يزوجه وكان رسول الله لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي فزوجه، وكانت خالته خديجة تعده بمنزلة ولدها، فلما اكرم الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - بنبوته آمنت به خديجة وبناته، فصدقنه وشهدن أن ما جاء به الحق ودِنَّ بدينه وبقي ابو العاص على شركه.

وكان رسول الله قد زوج ابنتيه رقية وام كلثوم لابني عمه: عتبة بن ابي لهب وعتيبة بن ابي لهب ولم يدخلا بهما، فلما دعا قريشاً إلى الإسلام وبين فساد اعتقادهم مكروا مكراً جسيماً، فقالوا: إنكم قد فرغتم محمداً من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن، فماذا فَعَلوا؟ مشوا إلى أبي العاص بن الربيع، فقالوا له: فارق صاحبتك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش، وكان رسول الله يثنى عليه في صهره خيراً ومن كلام الرسول عنه: «ماذممنا صهر أبي العاص»، قال أبو العاص لرجالات قريش: لا والله إني لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش.

كان أبو العاص يحب زينب حباً كبيراً، وكانت تبادله الحب والمودة، ومن قوله فيها حين غاب عنها في بعض أسفاره:

ذكرتُ زينبَ لما وَرَّكَتْ إرما
فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة
وكل بَعْلٍ سيثنى بالذي علما

والأمين لقب رسول الله في قريش قبل أن يعلن النبوة، وقد ذكر زينب وهي بين أهلها في قبيلتها.

ثم مشوا إلى عتبة بن ابي لهب فقالوا له: طلِّق بنت محمد ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتموني بنت سعيد ابن العاص فارقتها. فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، وكذلك فعل عتيبة وأساء إلى

←

زينب رضى الله عنها

ابيها رسول الله ، فدعا عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فاجيبت دعوته وافترسه أسد من بين أصحابه وهم نيام حوله في رحلة لهم .

ولكن رقية خطبها عثمان بن عفان وهاجر بها إلى الحبشة ، وهاجرت ام كلثوم مع ابيها ثم كانت لعثمان بعد وفاة رقية .

لم تخرج زينب من دار زوجها ، وثبتت على إسلامها ، وبقى هو على شركه ولم يفرق النبي بينهما ، وجاءت الهجرة فجمعت الهجرة بين النبي وبين بناته في المدينة ما عدا زينب فكانت مع ابن خالتها وزوجها في مكة .. وتطورت الأحداث ، وطفح الكيل ، وأخذت قريش اموال المهاجرين وديارهم ، واتت تستثير أبناء جحش في حليفهم ابي سفيان بن حرب لأنه استولى على ديارهم وباعها .

وكانت غزوة بدر فشارك فيها ابو العاص بن الربيع ضالعاً مع كفار قريش ، وانتهت المعركة بأسره مع من أُسِرَ من قريش ، وكانت مشورة اخذ فيها رسول الله بالفداء ، وكان فداء الرجل أربعة آلاف درهم ، فلما بعث اهل مكة في فداء أسَاراهم قدم في فداء ابى العاص أخوه عمرو بن الربيع ، وبعثت معه زينب بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهي يومئذ بمكة ـ بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار ، وظفار جبل باليمن ، وكانت خديجة قد اهدتها لابنتها يوم زفت إلى أبي العاص ، فبعثت بها في فداء زوجها ابى العاص . فلما رأى رسول الله « القلادة » عرفها ورقّ لها وذكر خديجة وترحم عليها . وقال لأصحابه : إن رايتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم . قالوا : نعم يارسول الله فأطلقوا أبا العاص بن الربيع ، وردوا على زينب قلادتها . وأخذ النبي على أبى العاص عهدا أن يخلى سبيل زينب ويردها إليه ، ووعده ذلك وَفَعَل .

فمادا حان ؟ بعث رسول الله زيد بن حارثة ورجلاً من الانصار وقال لهما كونا ببطن « يأجج » حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تاتيانى بها ، والاتفاق مع ابي العاص على هذا ان يبلغ بها مكان زيد وصاحبه من يأجج ـ كان ذلك بعد موقعة بدر بشهر او قريب منه . وأخذت زينب تتجهز للرحيل من مكة إلى المدينة ..

تقول زينب ـ رضى الله عنها ـ : بينما أنا اتجهز بمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة (وهند زوج ابي سفيان ، وأبوها عتبة رأس الكفر قتل ببدر) فقالت اي هند : يابنت محمد ، الم يبلغني انك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت : ما اردت ذلك . فقالت : أي ابنة عمي لا تفعلي ، إن كانت لك حاجة بمتاع بما يرفق في سفرك ، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك فلا تستحي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال ، تقول زينب : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ، ولكن خفتها ، فأنكرت أن اكون أريد ذلك وتجهزت .

وحقيقة الأمر أن ما بين هند وبين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يوجب عدم الاطمئنان لها ، فقد قتل أبوها عتبة وعمها شيبة وأخوها الوليد بن عتبة في بدر ، والمعركة لم يمض عليها إلا شهر او اكثر بأيام .

وأن لزينب ان ترحل او بمعنى ادق أن تهاجر إلى المدينة حيث أبوها ورجاله فخرجت مع اخى زوجها واسمه كنانة بن الربيع في عدة من سلاحه نهاراً يقود جملها وهي في هودج لها ، واثار خروجها نهاراً ثائرة قريش ، وتحدثت الأندية ، وغلت الصدور بالحقد والغيظ ، وأسلموا أنفسهم للغضب ، فخرجوا في طلبها حتى ادركوها « بذى طوى » ، فكان اول من سبق إليها هبار بن

الأسود بن أسد بن عبدالعزى وهو من أسرة امها خديجة ومعه آخر فروّعها هبَّارُ بالرمح وهي في هودجها ـ وكانت حاملا ـ فلما ريعت أسقطت جنينها .. وحمى كنانـة بن الربيـع الذي يصحبها ، فبرك على الأرض ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهما ، فخاف القوم وتقهقروا ..

واتى أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه . ثم قال : إنك لم تُصِبْ ، خرجت بالمراة على رءوس الناس ، علانية وقد عرفتَ مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانية على رءوس الناس ومن بين اظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا .. وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، ومالنا في ذلك ارب من ثأر . ولكن ارجع بالمراة حتى إذا هدات الأصوات ، وتحدث الناس أنْ قد رددناها فسلها سراً ، والحقها بأهلها وأبيها .. ووافق كنانة أبا سفيان (كنانة وأبو سفيان يجتمعان في عبدشمس) رجع كنانة بها إلى مكة فأقامت ليالى حتى إذا هدأت النفوس خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وفي خروج زينب من مكة وما جرى في شأنها قيلت أشعار من أهل المدينة ومن شعراء مكة ، من ذلك سخرية هند بنت عتبة بمن خرجوا لإيذاء زينب ومنعها من الهجرة إلى أبيها تقول لمن لقيته منهم :

أفى السلم أعيار جفاء وغلظةً
وفي الحرب أشباه النساء العوارك

والأعيار الحمير ، والعوارك الحيض من النساء .

وقال كنانة بن الربيع أخو أبى العاص يعبر عن موقفه ومبادئه :

عجبتُ لهبـارٍ وأوباش قـومـه
يُريدون إخفـارى ببنت محمد
ولست أبالى ما حييت عديدهم
وما استجمعت قبضا يدى بالمهند

والرجل يومئذ على كفره لم يدخل الإسلام . وقد كان الرسول بعد ذلك يتربص بهبار وصاحبه الدوائر ، ويبعث في طلبهما الرجال ليثأر منهما .

إسلام ابى العاص زوج زينب :

يقول الرواة : إن أبا العاص اقام بمكة ، وأقامت زينب بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام ، وكان أبو العاص رجلا من قريش" له اهتماماته وطموحه ، ومنذ أن كانت لقريش رحلتان فأبناء قريش في تجارة رابحة أنزل الله فيهما سورة من القرآن الكريم « سورة قريش » فخرج إلى الشام في تجارة لقريش أبضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وباع واشترى أقبل راجعاً يريد مكة فلقيته سرية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هارباً ، فلما رجعت السرية بماله إلى المدينة لم ييئس أبو العاص فيعود إلى مكة وإنما تسلل ليلاً إلى زينب بنت رسول الله فاستجار بها فأجارته .

تقول الرواية : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج لصلاة الصبح فلما كبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فلما سلم رسول الله من الصلاة أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعت . إنه يجير على المسلمين أدناهم ويروي في ذلك الموقف أن الرسول قال : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » ولكن كتب السيرة تقتصر على « يسعى

زينب رضى الله عنها

بذمتهم أدناهم » ثم انصرف رسول الله فدخل على ابنته فقال : أي بنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، فقد بعث الرسول إلى السرية التي أصابت مال أبى العاص فقال لهم : إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم ، أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك ، وإن أبيتم فهو فَىْء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا : يارسول الله بل نرده عليه . فردوه عليه لم يضنوا على شيء منه ، ثم احتمله إلى مكة ، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله . ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا اني اردت ان اكل اموالكم ، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها اسلمت ، ثم خرج يريد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى قدم عليه . كان ذلك سنة سبع من الهجرة ، فرد الرسول عليه زينب بذلك النكاح الأول ، وكان لقاء جديد بين الزوجين لم يدم لهما اكثر من عام . توفيت زينب أول سنة ثمان من الهجرة – رضى الله عنها – فقد كانت امراة مسلمة لها مكانتها .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر . بقية

متفككون فما تضم نفوسهم
ثقة ولا جمع القلوب صفاء !
رقدوا وغرهم نعيم باطل
ونعيم قوم فى القيود بلاء !
ظلموا شريعتك التى نلنا بها
ما لم تنل فى رومة الفقهاء
مشت الحضارة فى سناها واهتدى
فى الدين والدنيا بها السعداء
صلى عليك الله ماصحب الدُّجى
حاد وحنت بالفلا وجناء(١٤)

هذه قطع من همزية أمير الشعراء فى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهى ترينا ما يكنه صدر هذا الشاعر من حب سيد الأنبياء . والإشادة بالدين الذى جاء به . والقطعة الأخيرة تنعى على الأمة الإسلامية موقفها من الشريعة ، وتُهيب بها أن تتنبه بعد الخمول ، وأن تستيقظ بعد طول الرقاد .

فهل آن للمسلمين والعرب أن يستجيبوا لداعى الوطنية ، فيتحللوا من قيود الاستعباد ، ومن قيود الأهواء ؟! لعل هذا يكون قريباً : ولا سيما أنهم قد رأوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم ما حل بفلسطين « المجاهدة » ولا أقول « الشهيدة » لأنها تجاهد الآن وتستبسل فى سبيل حريتها ، وستنتصر على جميع أعدائها بإذن الله ؛ والله مع الصابرين !

أيها القارىء الكريم ! أرى أن أقتصر فى هذه المناسبة على ما سقته إليك من شعر شوقى فى مديح المصطفى ؛ وهو قطرة من بحر مما جادت به قريحته الوقادة فى هذا المقام . وسأعود إلى إتمام الحديث فى فرصة أخرى ، إن شاء الله ..

(١٤) الوجناء : الناقة الفتية .

دراسة فى كتاب

المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا

تأليف : د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم

عرض بقلم : أحمد تقى الدين

وجد أبناء القارة الأفريقية انهم هدف تلك الغزوة الاستعمارية الأوروبية التى جاءت لاحتلال أراضيهم واستعمار أوطانهم وتدمير حضارتهم ، وتركزت هذه الحملة الاستعمارية فى المقام الأول على المسلمين مما أعطى حركات التوسع الاستعمارى صبغة صليبية من أجل القضاء على الإسلام .

ومن ثم كان لابد من التصدى لهذه الغزوة دفاعاً عن شرف الإسلام وكلمة التوحيد ، وصار الجهاد أمراً حتمياً ومطلباً فرضه الله على المسلمين الذين أحسوا ما يرمى إليه الغزاة من احتلال ديارهم وتحطيم مقدساتهم وتدنيس حضارتهم الزاهية عبر العصور .

من هنا شهدت مختلف مناطق القارة الأفريقية ملاحم بطولية حقق المسلمون فيها انتصارات باهرة على جيوش المعتدين الأوروبيين المدججين بأحدث الأسلحة وفنون الحرب الحديثة .

وأغفل الأوروبيون وهم يسجلون تاريخ استعمار القارة هذه البطولات وأشاروا إليها فى ثنايا مؤلفاتهم باعتبارها حدثاً عارضاً لا قيمة له ، بل أنكروا على هذه البطولات تلك الانتصارات ووصل الأمر بهم إلى حد اتهام القيادات الإسلامية بالجنون ، وركزوا على وسائل القضاء على هذه الزعامات الإسلامية ، فجاءت كتاباتهم تتويجاً لبطولات أبنائهم من القادة العسكريين ، واتسمت أعمالهم بالتحيز والبعد عن الموضوعية .

ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى صدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ضمن سلسلة « عالم المعرفة » لمؤلفه الدكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم الأستاذ المساعد بجامعة قطر .

يقع الكتاب فى « ٢٨٨ » صفحة من القطع المتوسط تضم مقدمة ، وتمهيداً ، وستة فصول ، وخاتمة .

فى المقدمة يحلل المؤلف أهداف الاستعمار الأوروبى للقارة الأفريقية فيؤكد على أن القارة الأفريقية قد شهدت مع إشراقة العصور الحديثة

المسلمون والاستعمار الأوروبي

موجة من الصراع الاستعمارى بعد خروج المسلمين من الأندلس وسقوط آخر معقل لهم فى غرناطة عام ١٤٩٢ م ، وكان الهدف من هذه الحركة الاستعمارية هو تعقب المسلمين القادمين من الأندلس والقضاء على آخر معاقلهم بالساحل الإفريقى ، ثم إجهاض أى محاولة للتفكير فى العودة إلى هذه البلاد ، وترتب على هذه الغزوة الاستعمارية محاولة تطويق المسلمين وذلك بالاتصال بالمملكة المسيحية فى بلاد الحبشة بزعامة برسترجون « Prester John » وادت هذه الحركة إلى قيام الكشوف الجغرافية التى انتهت بالدوران حول أفريقيا والوصول إلى شاطئها الشرقى ودخلت فى صراع دموى مع الإمارات والممالك الإسلامية سواء فى شمال القارة أو فى شرقها أو غربها .

واتخذت هذه الموجه صبغة صليبية ذلك لأن البابوية باركت هذا العمل العدائى ضد المسلمين ، واعتبرت كل من يستشهد فى سبيل تحقيق هذا الهدف من شهداء الكنيسة ، وبالتالى أيد الملوك والأمراء فى كل من أسبانيا والبرتغال هذا العمل ، ورصدوا مبالغ ضخمة للإنفاق منها على الحملات التى توجه ضد المسلمين . فكانت موجات الغزو الأوروبى تحت هذا الستار الصليبى عاملاً كبيراً فى تقويض جزء من الحضارة الإسلامية فى القارة الأفريقية .

وشهد البحر المتوسط والدول الإسلامية المطلة عليه ذلك الصراع الاستعمارى الذى لم يشهده تاريخ المنطقة من قبل ، فلم يحدث فى التاريخ أن استمرت موجة استعمارية مثل ما حدث فى القارة الأفريقية ولم يحدث أن استنزفت موارد قارة بشرية وطبيعية لصالح أوروبا مثل ما حدث لأفريقيا ، كما لم يحدثنا التاريخ من قبل عن قارة قسمت لإشلاء ودويلات قِزْمية بأيدى الأوروبيين مثل ماحدث فى افريقيا .

وتحت عنوان « الاستعمار الأوروبى للقارة الأفريقية » جاء الفصل التمهيدى وفيه تناول الباحث بالدراسة أحوال القارة الأفريقية قبل الغزو والتفاعلات السياسية فى القارة الأوروبية التى واكبت هذا الغزو فيقول : شهدت منطقة أفريقيا جنوب الصحراء فى أوائل القرن التاسع عشر عدة حركات إصلاحية هدفها الأساسى الرجوع بالدين الإسلامى إلى بساطته الأولى ونشره بين السكان الوثنيين فى غرب القارة ، ولقد استهل هذه الحركات الإصلاحية الشيخ « عثمان ابن فودى » فى شمال نيجيريا حيث انشأ فى سوكوتو خلافة إسلامية استمرت قرناً من الزمان طبق المسلمون فيها الشريعة الغراء وأقاموا نظاماً إسلامياً قوياً ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وامتد اثر نشاط هذا الداعية المسلم إلى مناطق أخرى من غرب القارة حيث تأثرت به كل حركات الإصلاح .

من ابرز هذه الحركات حركة المجاهد الحاج عمر الفوتى التكرورى الذى عاش فترة فى سوكوتو ، ثم انتقل إلى بلاد « فوتاتور » لتأسيس دولة إسلامية فى منطقة بلاد السنغال ، وقد ساعد هذا على نشر الدين الإسلامى وتشجيع المجاهدين على القيام بحركات إصلاحية جديدة فى تلك المناطق الشاسعة ، فظهر « الحاج محمد الأمين » و« الإمام ساموری توری » الذى بذل كل ما فى وسعة لبناء دولة إسلامية .

وساعدت هذه الحركات على إحياء مجد الخلافة الإسلامية فى تلك المناطق من القارة الأفريقية ، وامتد النشاط الإسلامى إلى قلب

القارة حيث منطقة تشاد التى كانت منذ زمن مركزاً للدين الإسلامى فظهر زعيم آخر هو « رابح فضل الله » الذى حاول بناء دولة إسلامية .

ولم يتوقف المد الإسلامى عند هذا الحد بل ظهرت الحركة المهدية فى السودان ونجحت فى تأسيس دولة إسلامية قوية فيها . وفى شرق القارة ظهر الزعيم والمجاهد « السيد محمد عبد الله حسن » الذى نجح فى تأسيس مجتمع إسلامى فى هذه المنطقة .

ولسوء حظ هذه الحركات أنها تزامنت فى قيامها مع الموجة الاستعمارية التى اجتاحت القارة الأفريقية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ففى ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ عقد المؤتمر الدولى فى « مدينة برلين » واستمر انعقاده إلى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ وحضره مندوبو أربع عشرة دولة هى : النمسا ، المجر ، وألمانيا ، وبلجيكا ، وإيطاليا ، وهولندا ، والبرتغال ، وروسيا ، واسبانيا ، والسويد ، وتركيا ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا،وفرنسا .

ونتج عن هذا المؤتمر تقسيم القارة الأفريقية بشكل يتلاءم مع مواقف الدول الأوروبية حيث بدأت الدول بعد المؤتمر فى التكالب على القارة بشكل سريع وهذا التكالب يعنى بالضرورة الاحتكاك بالقوى الوطنية الأفريقية التى كانت هى الأخرى تسعى لتوحيد الكلمة حول حركات إصلاحية إسلامية ، فشهدت أفريقيا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر تلك السلسلة المستمرة من الحروب بين القوى الإسلامية والدول الأوروبية التى سعت من أجل الاحتلال الفعلى لأقاليم القارة على نحو ما ذهبت إليه قرارات مؤتمر برلين .

وكان الالتحام أمراً محتماً ، وكان الصدام بين المسلمين والصليبيين ظاهرة بارزة فى تاريخ أفريقيا فى أواخر القرن التاسع عشر ولم يتوقف الصدام حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، ومن هنا تظهر قيمة الكفاح الأفريقى المسلح وتتضح الجهود التى بذلها قادة الجهاد الإسلامى فى مقاومة هذه الهجمة الاستعمارية على كل أرجاء القارة .

وجاء الفصل الأول بعنوان : « المسلمون والغزو الأوروبى لا مبراطورية الفولانى » فنتيجة لقرارات مؤتمر برلين وما أصدر من قرارات لتقسيم القارة الأفريقية وتطبيق مبدأ الاحتلال الفعلى قبل إعلان السيادة على أى إقليم وضعت مناطق نيجيريا الجنوبية والشمالية حسب قرارات المؤتمر ضمن مناطق النفوذ البريطانى بعد أن نجحت شركة النيجر الملكية ـ وهى شركة بريطانية ـ فى بسط نفوذها على هذه المناطق ابتداء من عام ١٨٨٦ م . وحصولها على براءة ملكية لممارسة التجارة فى هذه المناطق من جنوب نيجيريا وظل الأمر كذلك حتى ألغت الحكومة البريطانية مرسوم الشركة وأنشأت قوات حدود غرب أفريقيا لبسط النفوذ البريطانى على كل مناطق المسلمين ، ويعنى ذلك بسط السيطرة البريطانية على دولة الخلافة فى سوكوتو والقضاء على زعماء المسلمين فى هذه الجهات ، وتوالت سلسلة من الحروب المستمرة والمناورات العسكرية والدبلوماسية التى استخدمت فيها بريطانيا كل الوسائل المتاحة شرعية أم غير شرعية وفى المقابل تصدى الخلفاء المسلمون من سلالة الشيخ عثمان بن فودى لتلك الموجة الاستعمارية ودارت المعارك طاحنة كان للمسلمين فيها نماذج مشرفة من الكفاح والنضال والفداء حتى استشهد الخليفة « محمد الطاهر الأول » الذى رفض الاستجابة لكل ماعرضته عليه بريطانيا من

المسلمون والاستعمار الأوروبي

إغراءات وكان إصراره على المقاومة حتى الشهادة مثلا لكل من آمن بالله تمام الإيمان .

ولم يكن سقوط دولة الخلافة فى سوكوتو نتيجة تقاعس المجاهدين المسلمين فى الدفاع عن بلادهم وعن الإسلام فلقد بذلوا كل ما فى وسعهم وحاربوا عن كل شبر من أراضيهم حتى ضج بهم البريطانيون واشعلوا النار فى كل مقدسات المسلمين للتنكيل بهم وإجبارهم على الاستسلام لكنهم صمدوا وانتصروا فى معارك قليلة وظلوا حتى النهاية رجالا مخلصين أمناء على العقيدة .

ويأتى الفصل الثانى (المسلمون) والغزو الأوروبى لـ « امبرطورية التوكولور » ليعرض سيرة رجل صلب لا يلين هو « الحاج عمر بن سعيد التكرورى » الذى كانت لديه آمال عراض لبناء امبراطورية تتخذ من الشريعة الإسلامية أساسا لها ومنهاجا ، وما كان يدرى أن الطريق ملىء بالأشواك .

فى البداية بدأ الحاج عمر جهاده ضد الوثنيين فى السودان الغربى واستطاع فى خلال عشر سنوات أن يسيطر على كل السودان الغربى من حدود مدينة « تمبكت » حتى حدود السنغال الفرنسية وكانت منطقة تكتظ بالمشكلات الداخلية فضلا عن الصراع الأوروبى طمعاً فيها ، ولذا فقد كان على « الحاج عمر » أن يعمل بشكل مستمر على استتباب الجبهة الداخلية ومواصلة الجهاد ضد الوثنيين وفى الوقت نفسه مقاومة أطماع فرنسا التى كانت تتطلع إلى السيطرة على غرب القارة الأفريقية .

ومن هنا طال أمد النضال الشديد وعانى الحاج عمر من القبائل الإسلامية التى لم يتضح الهدف تماما لتخلص له فتحالفت مع القبائل الوثنية حيث اعتبروه غازيا وهو فى أمس الحاجة للمعاونة وحاصروه فى « حمد الله » وهو يناضل ضد الفرنسيين ، وسقط هذا الزعيم شهيدا برصاص المسلمين يوم الجمعة الثالث من رمضان عام ١٢٨٠ هـ عن عمر ناهز السبعين عاما حاول خلالها مقاومة التوسع الفرنسى بكل ما أوتى من قوة .

وما لبث الخلاف أن دب بين أبناء الحاج عمر الذى كان قد أوصى بأن يتولى ابنه « الشيخ أحمدو » الحكم من بعده إلا أن بقية أبناء الحاج عمر اعتبروا « أحمدو » أقل منهم شأنا وحاولوا إقصاءه من الحكم ، إلا أن أحمدو نجح فى إنقاذ الامبراطورية من هذا الصراع واستطاع القضاء على مؤامرات إخوانه الثائرين .

توسعت القوات الفرنسية فى منطقة غرب القارة ودخلت فى صراع مع قادة الجهاد الإسلامى فى تلك المنطقة من أمثال « ساموري توري » و« محمد الأمين » فى أعالى السنغال ، وقام الفرنسيون بحملات تأديبية ضد « جيوديماكا » التى اعتبرها « الشيخ أحمدو » جزءاً من امبراطوريته فكان رد فعله عنيفاً إذ قام بمهاجمة القوافل الفرنسية فاشتعلت الحرب ، واستمر القتال قرابة نصف قرن من الزمان أرهق فيها المسلمون الفرنسيين فاضطروا إلى تغيير القيادة أكثر من مرة ، وتحملت الميزانية الفرنسية نفقات كثيرة ، وتكبدت القوات الفرنسية أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى غير أن السلاح الحديث قام بدوره فى هذه المعارك وحسم الموقف لصالح الفرنسيين الذين نجحوا فى اقتحام « باندياجارا » عاصمة « الشيخ أحمدو » الذى شق طريقه إلى منطقة النيجر حيث وجد الملجأ الأخير فى « دولة الفولانى » و« سوكوتو » ومات هناك فى سكون عام ١٨٩٥ م .

يتبع بالجزء الأخير فى العدد القادم إن شاء الله .

من خير ما نشر

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

عيد الأسى
عيد الصفاء والنقاء

بقلم :
صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ /
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

يوم الأضحى يوم من أيام الله التى اختارها الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عيداً للمسلمين ، فهو يوم سلام وبشر وسرور ، ويوم وفاء وإخاء يوم للزينة بالثياب الجديدة أو النظيفة ، إشعاراً بأن الناس فى هذا اليوم جددوا إنسانيتهم ، فذهبت الأنانية ، وانزوى الجشع والحسد وحل بين الناس الرفق والتراحم ، والصفاء والنقاء ، فكان التزاور وسرت المودة كلمات مبشرة بالخير المرتقب ، وهدايا وصلات ومبرات تأسر القلوب ، وتجلو ما ران عليها من مأسى الحرمان ، وفقد المسرات ، وشيوع النكران للمأثر والمعروف .

يوم عيد الأضحى يوم جديد تعم الناس فيه كلمات الدعاء و التهانى تنطلق بقوة من القلوب والأفواه حتى تعلو بل وتطمس منازعات الحياة .

هذا يوم ينبغى أن ينظر الإنسان - لاسيما المسلم الذى هو عيده إلى نفسه نظرة تلفها السعادة بطاعته لربه ، واجتهاده فيما قبل بأداء واجباته ، كما ينظر فيه إلى أهله نظرة تبصر بالإعزاز والتقدير ، وإلى داره أيا كانت هذه الدار نظرة تدرك ما فيها من جمال أعلاه نعمة الله عليها بالقرار ، وأن ينظر إلى الناس نظرة تفيض مودة ومحبة وصداقة .

بهذا كله فى يوم الأضحى تتكامل النظرة إلى الحياة وإلى العالم فتزداد النفس بهجة وإقبالاً على الحياة السوية وحرصاً على سلام الأسرة والمجتمع .

فى هذا العيد نرى بهجته بادية على الأطفال والشباب ، وهم قرة العيون يسعى الكبار ويجدون من أجل إسعاد حياتهم .

وما أشد حاجة المسلمين إلى أن يفقهوا الأعياد التى شرعها الله ، حتى يستقبلوها بما يجعلها

←

من خير ما نشر

أيام سعادة ومسرة ، فتجدد النفوس بمعانيها ، إذ العيد إنما هو المعنى الذى يكون فى اليوم ، وليس اليوم نفسه .

وقد كان العيد المشروع فى الإسلام هو عيد الفكرة العابدة ، وليس عيد الفكرة الغائبة .

وكان العيد أن تثبت الأمة وجودها وذاتها بشعائر ومراسم الإسلام فى أجمل آدابه ومعانيه ، وليس إثبات وجودها الحيوانى فى أبرز معانيه كان يوم المبدأ فانقلب إلى يوم المادة .

ليكن العيد إشعاراً للأمة المسلمة بأن فيها قوة التغيير ، إنه يوم تعرض فيه الأمة جمال نظامها الاجتماعى ، فتتوحد فيه المشاعر فى نفوس الجميع ، وتتعلم الأمة كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصبح البلد الكبير وكأنه لأهله دار واحدة وسيعة يتحقق فيها الإخاء بالمعنى العملى ، وتظهر فضيلة الإخلاص سمة للجميع ، ويتبادل الناس هدايا القلوب المخلصة الودودة المحبة .

وليكن العيد مبرزاً القوة الاجتماعية للأمة ذات السمات المميزة تعيش من عمل وجهد أبنائها ، معتزة باستقلالها الذاتى فى إنتاج حاجتها من الزراعة والصناعة ، مستمدة جهادها فى سبيل ذلك من قوة إيمانها ، مقبلة على غدها تاركة سلبيات أمسها .

ما أحلى هذا العيد وأهناه إذا أخذناه نموذجاً لمثوبة المجدين والمجددين فى العلم والتعليم ، فى تشخيص المذاهب التى ارتادت حياتنا ، ورانت على بصائرنا قبل أبصارنا فشغلتنا بتوافه الأمور عن عظائمها ، وصرفتنا عن النظر فى إنقاذ أنفسنا وبلادنا من الغرق فى ذل الحاجة التى نعانيها ، وجرفتنا إلى طرق متشعبة ملتوية ضلت فيها أقدامنا ، وغابت الهداية عن قلوبنا ، بعد إذ ذهبنا نطوع نصوص الإسلام الجلية الواضحة لتساند أهواءنا أو إلى ما يسوقنا إليه أعداؤنا طلبا للمباعدة بيننا وبين الأصلين الكريمين العظيمين اللذين قال عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما إن تمسكتم بهما أبدا كتاب الله وسنتى) .

إن هذا العيد ـ عيد الأضحى ـ يذكرنا بأننا يجب أن نضحى بالشهوات والأهواء وحب الذات ، لتعود أمتنا الإسلامية إلى ذاتيتها مستظلة بالإسلام عقيدة وشريعة ، دينا ودنيا ونظام حياة .

هاهو عيد الأضحى يهل على الأمة وهى فى سبيل تجاوز خطاياها وأخطائها .

وإن الأزهر الشريف إذ يقدم أخلص التهانى وأجملها إلى شعوب الأمة الإسلامية وإلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء بهذا العيد ليدعو الله أن يجمع قلوب الجميع على مافيه العلاج والإصلاح للأمة فى كل شئونها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى تكتمل أو تتكامل وحدتها .

والأزهر الشريف إذ يحيى جهاد وجهود الانتفاضة الفلسطينية ليحث أطفالها ورجالها ونساءها على استدامة وحدة الصف والهدف والتعاون حتى يتحرر المسجد الأقصى وسائر المساجد فى فلسطين وذلك قدرهم ويدعو كل المسلمين لمساندتهم ودعمهم .

والأمل الذى يراود المسلمين جميعاً أن تنزل إيران حكومة وشعباً عند حكم الإسلام فتطلق

سراح الأسرى بالتبادل مع العراق ، فإنه لا فائدة ترجى من احتجاز الأسرى وحرمانهم من العودة إلى ذويهم وقد وضعت الحرب أوزارها ولعل إيران وقد أدركت ثقل تبعة الحرب التى دمرت وشردت تسارع إلى إبرام الصلح النهائى ، ولها فى الحروب العالمية السابقة عبرة وتذكرة فها هى دول أوروبا شرقية وغربية تتبادل المصالح والأعمار فى بلادها ، بعد ماكان بينهما من حربين عالميتين لم تنته كل منهما إلا بالتدمير والتخريب لكل تلك البلاد ، ومع هذا فها هى تتزامل فى السعى لإسعاد شعوبها و عمار بلادها واستثمار كنوزها وخيراتها لصالح شعوبها ، ونحن المسلمين أولى بهذا وأجدر .

والأزهر الشريف إذ يذكر المسلمين جميعا بالتعاون على البر والتقوى يأمل أن يذكر المسلمون المجاهدون فى كل مكان دفاعاً عن بلادهم ودينهم وعرضهم ، وأنهم فى حاجة إلى المزيد من الإمدادات التى تعينهم على الصبر والمثابرة .

والله نسأل أن يؤيد بنصره المسلمين المجاهدين فى أفغانستان وفى فلسطين وفى كل مكان وأن يجمع كلمة أولى الأمر ، حتى تكون كلمة الله هى العليا ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

شيخ الأزهـــر
(جاد الحق على جاد الحق)

إسرائيل دفعت ثمنا كبيرا للانتفاضة وستدفع أكثر

للأستاذ : على الدجانى

فشلت جميع الآراء والتوقعات الإسرائيلية بأن الانتفاضة كانت تقترب من نهايتها وأن وقودها أوشك أن ينفذ ولم يعد بين الإسرائيليين المسئولين سياسيا أو إداريا أو عسكريا من يجاسر برأى بأن الانتفاضة أوشكت أو توشك أن تنتهى أو تنطفىء جذوتها . ففى أكثر من صحيفة إسرائيلية يبرز سؤال كبير مآله : هل انتهت الانتفاضة ؟

ومن متابعة ما نشر فى الصحف الإسرائيلية تتفق الآراء الإسرائيلية على أن الانتفاضة مستمرة وأن عنفوانها فى شهر نيسان « أبريل » الماضى دليل على قوة اندفاعها وزخم قدرات أبنائها .

ولقد ظفرت الانتفاضة بتثبيت الهوية الفلسطينية فلم يعد الفلسطينيون كما دأب القادة الإسرائيليون يصفونهم بـ « السكان الذين يقيمون على أرض فلسطين » بل « شعب فلسطين » وما كان هذا الظفر ليتحقق لولا الانتفاضة وكماتها وحماتها .

وفى صحيفة « البوست » الإسرائيلية بتاريخ ١٩٨٩/٥/٢٢ مقال للكاتب اليهودى الأمريكى الجنسية مارك هيللر يقول فيه : « إن إسرائيل تدفع ثمنا باهظا للانتفاضة ليس فحسب من ناحية الإصابات فى الإسرائيليين بل وأيضا فى المجالين الدبلوماسى والاقتصادى .. فالحياة اليومية قد اضطربت، وزادت الأعباء على جيش إسرائيل وتخلخل الإحساس بالطمأنينة الفردية والعامة .. وتعرضت النواحى المعنوية فى الحياة لضغوط لا يوجد معيار مادى لقياس مداها أو حجمها .

إن الانتفاضة آمنت بأن كلمة الله هى العليا فكان الجهاد بالنفس والنفيس .

والله تعالى ناصرهم فى جهادهم يصبرون ويصابرون ويناضلون بوحى عقيدتهم السماوية السمحاء وما تعلموه ويتعلمونه من تاريخ أمتهم المجيدة عن الشرق الأوسط .

أنباء وآراء

بيان من الأزهر الشريف

قد وردت الأنباء بحدوث انفجارات بساحة الحرم المكى الشريف وبالقرب منه ، مما تسبب فى حدوث إصابات بين حجاج بيت الله الحرام .

والأزهر الشريف يأسى لهذا الذى حدث ، ويراه اعتداء على قدسية البيت العتيق وصَدًّا عن سبيل الله والمسجد الحرام ، يقول الله سبحانه : ﴿ ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ .

لقد جعل الله تعالى هذا البيت الحرام مثابة للناس وأمنا ، يقول سبحانه : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ فلا يسمح لكائن من كان أن يروع أمن الآمنين فى رحاب بيت الله ، أو يعتدى على حرمته .

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ .

وأنه مع ثقة الأزهر الشريف فى أن المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين : الملك فهد بن عبد العزيز قادرة بعون الله سبحانه على صون وضمان أمن البيت الحرام ، وحرمة دماء الحجاج والطائفين والركع السجود فى رحابه . ليهيب بالمسلمين جميعاً حكومات وشعوبا أن يحرصوا على صون قدسية وأمن الحرم الشريف ، وعلى الحجاج وزوار البيت المقدس ، وأن يعملوا على استتباب الأمن به ، فتلك فريضة على كل مسلم ، وليحذر هؤلاء الذين غلبتهم شقوتهم فارتكبوا هذا الإثم العظيم أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ .

شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يستقبل مرشح الرياسة الأمريكية السابق والوفد المرافق له

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يوم الأحد ٦ من ذى الحجة ١٤٠٩هـ الموافق ٩ يوليو ١٩٨٩م القس جيسى جاكسون مرشح الرئاسة الأمريكية السابق وقطب الحزب الديمقراطى الأمريكى والوفد المرافق لسيادته .

وقد جرى الحديث حول مبادىء الإسلام فى الإخاء الإنسانى العام ، وفى المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ، كما جرى الحديث حول وجوب احترام حقوق الإنسان ، والسعى لإقرار حق الشعب الفلسطينى فى وطنه ، وإنهاء حرب لبنان ، ونصرة الشعوب والأقليات المضطهدة ، وأن يعم احترام حقوق الإنسان كل بنى الإنسان على اختلاف الألسنة والألوان والوقوف ضد سياسة التمييز العنصرى فى بعض مناطق العالم .

إعداد: عبدالمنعم فـــودة

وقد أبان الضيف عن رغبته فى زيارة بعض الجرحى من أطفال الحجارة فى فلسطين فطلب إليه فضيلة الإمام الأكبر أن ينقل للشعب الأمريكى صورة هؤلاء الأطفال الجرحى والمصابين العزل الذين كانوا ضحية الاعتداءات الآثمة للقوات والمستوطنين الإسرائيليين على أرض فلسطين ، فقد يتحرك الضمير الإنسانى فيعمل على إيقاف هذا العدوان .

وقد أجاب الضيف بأنه ذاهب بهذا القصد وسينقل ما يراه من أحوال الشعب الفلسطينى .....

اللغة العربية فى أندونيسيا

عقدت فى العاصمة الأندونيسية (جاكرتا) ندوة لتطوير تعليم اللغة العربية فى المعاهد الإسلامية بأندونيسيا وذلك لربط المسلمين بلغة القرآن الكريم .

المسلمون ومساجدهم فى بريطانيا

ذكر الكتاب السنوى الرسمى البريطانى أن هناك أكثر من ألف مسجد ومركز للعبادة خاص بالمسلمين فى مختلف أنحاء بريطانيا بما فى ذلك المركز الثقافى الإسلامى الرئيسى الواقع فى وسط لندن .

ويعتبر أهم مركز إسلامى فى العالم الغربى كما وصفه الكتاب . وقد ذكر الكتاب أن عدد المسلمين فى بريطانيا أكثر من مليون ونصف المليون مسلم وأن عدد المسلمين المولودين فى بريطانيا يتزايد كل عام بالإضافة إلى تزايد أعداد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام .

والحمد لله رب العالمين

المسلمون فى بولندا

يفتتح مع بداية العام القادم عام ١٩٩٠م مسجداً جديداً بشمال بولندا يسمى مسجد جرانسك ، ويعد المسجد أحد ثلاثة مساجد فقط فى بولندا .

كما وضعت مشاريع أخرى لبناء مساجد فى العاصمة وارسو (بيالستوك) حيث تقيم غالبية المسلمين .

● لا تتخذ بولندا دينا رسميا للدولة .

خبير أمريكى للبترول يشهر إسلامه

أعلن أحمد بريان خبير المضخات البترولية بولاية أكلاهوما بأمريكا إسلامه فى الأزهر الشريف . وقد جاء إلى القاهرة خصيصا من بلاده لإشهار إسلامه . وقال أحمد بريان: إنه اعتنق الإسلام بعد أن قرأ عن مبادئه وتعاليمه السمحة التى تجعل من المسلم إنسانا سويا فى هذا العالم الذى تتحكم فيه الماديات .

« حكومة إسرائيل تزيل ٣٠٠ أثر إسلامي »

صرح الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف الأردنى بأن إسرائيل أزالت ٣٠٠ أثر إسلامي بسبب الحفريات الإسرائيلية فى منطقة المسجد الأقصى .

←

أنباء وآراء

وقال : إن إسرائيل قامت مؤخراً بعمل حفر على عمق أربعة عشر متراً لاستكمال نفق كانت قد حفرته تحت المسجد الأقصى للدخول إليه من باب المغاربة وباب الغوانمة .

محاولة لهدم مسجد أجوكو بارك :

بدأت السلطات البلدية فى سنغافورة أعمال الحفر الخاصة بهدم مسجد (أجوكو بارك) وهو أحد أكبر المساجد التاريخية الهامة فى سنغافورة .

وقد أبرق عشرات المسلمين من أبناء سنغافورة المقيمين بها إلى المنظمات الإسلامية للتدخل لإيقاف عملية الهدم . وناشد الحاج أشعرى عضو الجمعية الإسلامية فى سنغافورة المجلس العالمى للمساجد ومنظمة المؤتمر الإسلامى أن يسعيا لدى الحكومة السنغافورية للحيلولة دون هدم المسجد الواقع فى الحى التجارى بقلب العاصمة التى تريد الحكومة السنغافورية أن تنشىء مكانه موقفاً للسيارات .

التعليم العربى الاسلامى فى السنغال

صدر مؤخراً كتاب بعنوان (التعليم العربى الإسلامى فى السنغال) من إعداد ممادو ندياى من خريجى الأزهر الشريف .

يتناول الكتاب تحليلاً عميقاً مفصلاً لعملية إدخال التعليم العربى الإسلامى إلى السنغال ويعطى صورة واضحة للصراع بين هذا النوع من التعليم والتعليم الذى دخل السنغال على يد الاستعمار الغربى .

من أعلام الأزهر . بقية

حق التصرف فيهم كما يشاءون حتى وصل الأمر إلى قتلهم دون أدنى مسئولية على سادتهم فضلاً عن تسخيرهم ومعاملتهم أقبح من معاملة الحيوانات العجم وتحقيرهم وامتهانهم وازدرائهم(١٧) .

وبعد ..

فنكتفى بما قدمنا من أمثال كشف فيها الشيخ عبد العزيز جاويش ببيانه الواضح عما فى الإسلام من سمو ورفعة ، وما فى أحكامه من علم وحكمة ، وما فى روحه من مثل عليا ومعانٍ إنسانية رفيعة ، فرحم الله ذلك الشيخ المجاهد فقد ظهر فى آفاق الحياة المصرية ثم قضى كما يظهر الشهاب فى ظلمات الليل البهيم يبرق وميضه لحظات ثم يتوارى سريعاً ، لكن يكفيه فخراً أنه كان شامخاً بعقيدته صلباً بإيمانه ، شديداً فى وطنيته وكفاحه ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾(١٨) .

---

(١٧) بتصرف واختصار عن كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبد العزيز جاويش .

(١٨) سورة القمر الآية ٥٥ .

الفهـــرس

- كلمة الهجرة لفضيلة الإمام الأكبر ١
- المال .. حلاله .. وحرامه
  د. علي أحمد الخطيب ٥
- الاحتفـــال
  للإمام الأكبر شيخ الأزهر ٨
- مثالان من الكتاب العزيز
  د. محمد عبدالمنعم القيعي ١١
- فوائد القروض والبنوك حرام بين
  د. علي السالوس ١٤
- الائتمان في البنوك
  لواء أ.ح فوزي محمد طايل ٢٥
- طموحات روحية تثيرها الهجرة
  للأستاذ عبدالحفيظ فرغلي القرني ٢٩
- كلمة التشريع القرانى
  د. محمد أنيس عبادة ٣٣
- الفتوة في القرآن الكريم
  للأستاذ أحمد عزت البرادعي ٣٧
- النبي صلى الله عليه وسلم عربي
  للسفير جمال الدين محمود أبو العيون ٤٢
- الفتـــاوى
  للأستاذ علي حامد عبدالرحيم ٤٤
- مـــن أعـــلام الأزهـــر
  للمستشار محمد عزت الطهطاوي ٤٦

الشعـر والشعـراء

إشراف د. حسن جاد

- عبـــرة الهجـــرة
  شعر: أحمد فهمي خطاب ٥٢
- الرسول المهاجر ﷺ
  شعر: أحمد المنشاوي الورداني ٥٤
- من العلوم الكونية «حرارة الجو إلى أين»
  د. أحمد فؤاد باشا ٥٥
- طرائـــف ومواقـــف
  أ. عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٦٠
- من روائع الماضي بمجلة الأزهر
  إعداد عبدالفتاح حسين الزيات ٦٢
- كتاب الوحوش لأبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي
  تحقيق: أيمن محمد ميدان ٦٨
- زينب رضي الله عنها والقلادة
  للأستاذ السيد حسن قرون ٧١
- المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا
  عرض: أحمد تقي الدين ٧٥
- مـــن خيـــر ما نشـــر
  عادل رفاعي خفاجة ٧٩
- أنبـــاء وآراء
  عبدالمنعم فودة ٨٢

القسـم الانجليـزى

اشراف د. أنس النجار

- المقالة الثانية
  للأستاذ فتحي محمود يوسف ٩٠
- المقالة الأولى
  د. أنس النجار ٩٤

justice to the articles of Faith and Belief, to obey its tenets and doctrines, to give them the proper place in our lives.

The inherent potentials of Faith make Islam the brightest path to human salvation, its illustrious doctrinal teachings are noble and enlighting. The brilliant precepts reveal the Reality and Truth, into light, and expose the depths of dark ignorance in the mind of mankind. Islam is the Divine Science of human creation, life and death. No knowledge is gained except by learning with genuine honest effort to know. We entreat and beseech the human race to study and learn the real genuine undefiled articles and doctrines of Islamic Faith, then with rational honest unprejudiced thinking choose the path to seek and follow in life.

Through these processes of belief and the attainment of values, there comes a state of self enlightment, mental levels of perception and differentiation between virtue and vice, between right and wrong, between harm and benefit. The more knowledge and practice of Quranic teachings, and the adoption of Prophetic traditions, the individual will adhere and optmize his conduct and behaviour in compliance with the requirements of Islamic teachings. One of the basic elements of Islamic Theism is human equality regardless of colour, race, origin, wealth, sex or social status. This equality is fully manifested in all rituals of Islamic worship, and in all aspects of Islamic doctrines. This sense of equality brings about a state of communal respect and cohesion of love as individual components of structural unity. It also achieves a paradigm of ecumenical universality, and establishes self integrity and confidence.

There is no equality without justice and therefore justice is another basic element of Islamic Theism. One of the attributes of Allah is The "Just"; and the Muslim individual upholds justice with the most heightened respect bearing true witness of Allah, even if it is detrimental to his own interests. Justice in Islamic conceptualization searches out the innermost depths of the self, and challenges their most intimate motives. It is the sword of the naked soul which extorts for itself reverence and obedience before whom all greedy apetites of the self become paralysed and dumb. In every action of ritual worships in Islam, and in every injunction of Islamic teachings, humble modesty, equality and justice, prevail as dominant characters in the culture of every Muslim. Social justice and welfare is also optimized in Islamic Theism by the institution of Zakah; a fully quantized social fiscal system, which guarantees warranty of economic sufficiency to all ranks of the population. This pillar of Islam comes about as a Divine command.

Imam Ali ibn Abi Talib describes Islam as the religion founded on Reality and Truth, the fountainhead of knowledge, the source of learning and wisdom, the Light that guides mankind to virtue, health and righteousness. Islam is a set of doctrines and beliefs that lead to the sublime path of the highest order of worship and obedience of the Creator. Islam features the most noble precepts, exalted principles, rational arguments, unchallengeable supremacy, and deep wisdom. It grants to its adherents eminence in equality, confidence in justice, dignity in modesty, potentials in faith, tranquility in belief. It is upto mankind thoughout the ages and generations to study and seek the knowledge, granted by Allah The Creator of universe and man, to do

are to Allah; the totality of human life and existance are essentially to Allah. From this state of mind and belief, the whole human creation, life, work, death are from Allah and to Allah. The completeness and integrated harmony of such faith is the origin of the latent energy in mankind. This energy and power are exponential with the intensity of true faith in the mind, heart and spirit of the individual. When mankind becomes totally liberated from fear of any kind, because of his direct link and bond to Allah; the inherent potency of faith and power in belief becomes the dominant manifestation characterizing that individual. These are the true elements of freedom; the liberation from all fears, anxiety, stress, tension; because the bondage link, and self subjection is only to Allah. Within the Will and Knowledge of Allah are the precise times of individual life and death, fortunes, the visions seen, the sounds heard, the syllables uttered, paces trodden. Every individual action of mankind is very accurately quantized by Divine Will. In fact, every minute event occuring in the whole cosmic creation is recorded with utmost precision, equilibrum and harmony. In the Holy Quran, it is stated "With Him are the Keys of the Unseen, the treasures that none knoweth but He. He knoweth, also, whatever there is on the earth and in the sea. Not a leaf doth fall but with His knowledge: There is not a grain in the darkness (or depths) of the earth, nor anything damp or dry (green or withered), but is inscribed in an exact Record. (Surat Al-Anaam, VI, 59).

With this maxim of understanding, the purpose of human life is to worship and obey in faith and comprehensive understanding the Will of Allah. With this, the inherent potentials of mankind will be energized in order that mankind will deserve his place and purpose in creation to be the vicegerent of Allah on Earth. The elements of Islamic teachings and doctrinal culture are all justified and optmized into an effort on the path to the attainment of that purpose. Allah endowed mankind with knowledge, and granted him the ability to utilize, innovate, and promote that knowledge for the prosperity of human life. Mankind was also given the mind to think rationally; through thought, he would choose to believe or to disbelief. Rational thinking will certainly lead to belief. This is the first phase of human mental justification and rationality. The second phase must follow, which is the phase of implementation and practice of the Divine ordinances to the best of one's ability; there must be an effort spent (Jihad) for continuous self betterment on the path of Allah, the establishment of steadfast belief, and more solid faith.

Muslims to Allah, most humbly submitting with absolution of conviction to the Oness of the Deity.

The Revelation of the Holy Quran as the Message to the Prophet Mohammad was the delivery of the final and last Divine Message to Mankind. It contained the details, the components, the ingredients, the composite structure and elemental constituents of the final Divine Message to be delivered to Mankind for their guidance in life, and for their redemption in the Hereafter - on the Day of Judgement. No Divine Message is known to constitute such a consort association of cohesive doctrinal teachings, as does the Message of the Holy Quran carried by the Prophet Mohammad to expound and deliver to mankind at large throughout the ages. The Islamic Theism provides in its teachings a pattern example, a model prototype, a Quranic or Prophetic precedent, an ideal representation of every specific aspect of human life. There is no particularity or instance in the life and performance of mankind which is left out from identification and exemplary modelling in the Holy Quran.

The Canon Laws of Islamic Shariah are the specific codes of practice which formulate the basic legislative and Administrative constitution in governmental judicial and tribunal matters in an Islamic community. Human rights, social justice, family integrity, sovereignty of property, royalty of human respect, and all matters dealing with individual and social functions are the basic elements of Islamic Shariah. The sources of Islamic Shariah are the Holy Quran as the Divine Message, and the Prophetic practices and Traditions of the Prophet Muhammad. The Muslim nation is not in need to derive or adopt man - made laws of legislative ordenance, they have their own divine doctrines to implement and practice as their life style. These divine doctrines are certainly the inherent potency of faith in Islam. They lead mankind to confidence, self respect, spiritual clarity, physical strength, mental stability, freedom, potentials of performance, selective determination, and refusal of submission and humility to none other than Allah. The gain of these qualities will promote the inherent potencies of mankind. These potencies are beyond recognition without the attainment of the attributes derived from true faith. These potencies are the hidden powers of human physical, mental and spiritual faculties.

The fundamental axiom of this status of belief is that all power is from Allah; all love is to Allah; all fear and submission are to Allah; all actions, deeds, conduct, behaviour, work, activity, deovtion, sincerity, truth, values

THE INHERENT POTENCY OF FAITH

By : Fathy Mahmoud Yousef

The Islamic faith is basically structured on values that are elemental to the promotion and elevation of the spiritual decorum and mental elegance of mankind. The attributes of truthfulness, chastity, virtue, justice, freedom, social rights, sincerety, love, discretion and sagacity are examples of islamic cultural teachings. These attributes are fundamental qualities for education and life conduct of the individual and society in an Islamic community.

The implementation of the Canon Laws of Islamic Shariah necessitate that such laws become the basic code of practice for the governmental administration and legistation in an Islamic state. Since Islam in its overall patterns of concept is essentially an individual and social performance in life; it becomes imperative and prescriptive for every Muslim to become educated, trained and cultured to understand the fundamental injunctions of Islamic Theism and to practice them with all ability of optimization.

The nucleus and most energizing basic elemental criterion in Islamic faith is the absolute belief in the Oness of the Diety - the belief in Allah. This belief must be with total conviction and perfect impeccable submission to the transcendant omnipotent will and divine knowledge and wisdom of the Creator - Allah. From this infinite source of power belief (Al-Yaqqin) springs and radiates all the energy required to energize human potency of excellence and maximal efficiency in every performance. The basic teachigns of Judaism and Christianity at the times of the Prophet Moses, and the Prophet Jesus Christ, were the doctrines of true belief in the Oness of the Creator; and to that belief, they submitted with conviction and genuine submission. Islam is the arabic syntax for the word "submission", and with this understanding, the Prophets Ibrahim, Moses, Jesus were all

to the more intelligent teachings of faith; not because of his love or firm belif in paganism, but because of his great fear that communal group system of the tribal life of the Quraysh and other clans would fracture and collapse. This strict blindly conservative attitude on the part of Omar remained to master his thoughts for sometime. His main concern was that those individuals who turned their backs to paganism and looked ahead for more realistic trends of belief were the cream of the Arab intelligentsia and mentally illuminated elite. Among them were Omar's own cousin Zayed ibn Amre ibn Al-Khattab, Waraqa ibn Nofal, Osman ibn Al-Huwayrith, Abdullah ibn Jahesh and several others. Omar feared that these individuals would propagate their thoughts and beliefs among others of the Quraysh; and based on these fears Omar and those that shared his ideas and thoughts stood firm against everything that was contrary to the social system of the tribal life of Macca. They made sure that the new trends of thought remained only in the minds of the very few, who carried their thoughts only to themselves. Omar was very cruel to those individuals and treated them with extreme enmity. The preservation of the social system of the Meccan pagan community was the principle issue occupying the optimal importance in the mind of Omar ibn Al-Khattab.

Inspite of his knowledge, learning, wisdom and sagacity of mind, Omar's thoughts remained for sometime absolutely determined that the most vital objective in his thinking was the stability of the tribal structure of the Quryash and the integrity of its social system. He did not analyze the absurdly stupid pagan system of worship, he did not adhere to it nor did he practice it with belief. He was only concerned that the Quraysh would remain the most opulent Arab tribe with undisputed supremacy in wealth and man power. This could not be maintained except through the stability of its social system, and the integrity of its tribal structure.

The tribe of the Quraysh remained with their minds in the pitch darkness of Jahiliyah of paganism. Omar ibn Al-Khattab fiercely challenged with emphatic stubborness every trend of thought that was contrary to the tribal patterns and life style of the Quraysh. However, alone and in the silence of his educated rational mind, he revised the issues that were perturbing his innermost self. What was the Reality and Truth . The tide of time that was to carry to all humanity the enlighting light of the renaissance of true belief was yet to come.

society of Macca. He was also well known among the other tribes of the Arab Peninsula, and also in the markets of the neighbouring trade centres. The basic features of his character and personality were well known to all who knew him. He was strong in physique, tall in stature, sharp in temper, candid in opinion, prompt in decision, scupulous in action, simple, trustrowthy, dependable, and bluntly straight forward. The integrity of these characteristics were manifested in an unyeilding stubborn self respect, confidence of opinion and an intense capacity of patience and persevering challenge.

The beliefs and practices of the pagan society of the Quraysh in Macca did not hold a major portion of the interests of Omar. He accepted them as facts of communal practices associated with the structural built up of that tribal society. He did not think it was necessary or important to put that issue into analytical thought and rationale reasoning. His most paramount concern was the perpetual unity and integrity of the Quraysh as the opulent Maccan society with the undisputed supremacy of wealth and man power, amidst all the other tribes inhabiting the Arab Peninsula from the Syrian borders north, to the Indian Ocean south; and from the Arab Gulf east, to the Red Sea west.

The pagon beliefs of the Quraysh and other Arab tribes were not the only creedal practices in the Arab Peninsula. Judaism and Christianity were established forms of faith among some tribal groups resident at Al-Madinah, Khaybar, and in Negran; and in the Roman occupied territories north of the Peninsula in Syria and Palestine. These tribal groups believed in more rational comprehensive prophetic doctrines of faith. They refuted paganism and totally rejected its practices, and considered it degrading to the human mind. They achieved an intellectual civilization which they related to the doctrines of their faith, which the Arab pagan tribes failed to accomplish in their Jahiliyah of paganism and darkness of mind. Some Arabs who came in contact with Christianity succumbed to the influence of Christian missionary activities, believed in Divinity and rejected pagan practices and beliefs. They developed a much more intelligent and more logical system of belief. Omar ibn Al-Khattab was very antagonistic to this trend, and refused to reconcile with any understanding in this direction. He flatly considered such trend as a breech of tribal unity and group integrity. The issue at hand was the perpetual conflict between individual freedom, and communal group system. The individual cannot live without freedom and the society cannot survive without a cohesive system and pattern of life. Omar ibn Al Khattab was against those who diverted from paganism

of his age. He walked with a rapid stamping stride. His skin was white with a shade of redness. He developed great skills in physical activities, wrestling, and horsemanship. He excelled in speech dialogue, rational thought and decision making. For such qualities, he was deputized by the Quraysh to settle differences with other clans, and his embassy was well respected. Omar had a natural talent for poetry and literary sciences which he could compose with elegant fluency and gifted talent. Like most men of the Quraysh, Omar indulged in drink was fond of frequenting places where drink was liberally served. He was also pleasure seeking and pursued the satisfaction of his carnal desires by developing promiscuous relations with unchaste women.

Omar was always an eminent popular figure in all the tribal and communal gatherings and ceremonies of the Quraysh and other Arab clans. These profligate wanton actions were not particular to Omar ibn Al-Khattab; they were part of the prevelant life style of the very greater majority of the masculine elements of the Quraysh in these days of (Jahiliyah).

Omar inherited the stiffness of character and hard personality of his father Al-Khattab. For those characteristics, Omar was well reputed as a distinctive part of his personality. Like all other young men of the Quraysh, Omar took part in the trade activities of his tribe. He joined the trade convoys north to Syria in summer, and south to Yemen in winter. He also participated in trade convoys to Persia and parts of the Roman Empire. These travels of Omar did not increase his wealth as much as they increased his cultural faculties and abilities. His knowledge to read and write and his command of rational reasoning, argument and dialogue were assets that made him gain more sagacity and wisdom. Through these various foreign contacts and interactions, Omar developed a wider focus of understanding, and his mind grew more intellectually comprehensive, intelligent and ecumenical. Omar pursued the channels of knowledge and learning with perspicuous insistence and constant endurance. His mental faculty helped him to absorb, rationalize, differentiate, and finally construe a structural understanding of a paradigm of integrated discretion and candidness. The impact of such mental growth and maturity of Omar ibn Al - Khattab was optmized by the very basic inherent characteristics of the man. He became more desiring for perceptive wisdom, and less wanting for worldly lavish prodigality.

At the age of twenty five, Omar became an outstanding figure of the Quraysh and in the pagan idol-worshipping

OMAR IBN EL-KHATTAB

THE EARLY YEARS

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Omar ibn Al-Khattab descends from the tribe of Adii ibn Kaab, one of the tribes of the Quraysh. However, the tribe of Adii did not enjoy the same social class nor the standard of wealth and opulance that the other tribes of the Quraysh possessed. This made the tribe of Adii seek knowledge and learning. The knowledge and wisdom they attained made them hold the function of envoys for the Quraysh, and as judges in disputes between the tribes of the Quraysh, and between the Quraysh and other clans. They were masters of speech and oration, skillful at discources. Their wisdom induced some of them to shun and avoid the practice of idol worship and paganism.

The father of Omar was Al-Khattab ibn Nufayl ibn Abd Al-Uzza ibn Rabah ibn Abd Allah ibn Qurt ibn Razah ibn Adii ibn Kaab. Adii ibn Kaab is the brother of Murrah, the eighth grandfather of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). The mother of Omar was Hantamah bint Hashem ibn Al-Mughirah ibn Abdullah ibn Omar ibn Makhzoum. Al-Khattab was a chieftain in his tribe, with no wealth or grandeur.He was characterized by a stiff personality, hard at heart, cruel and sharp in conduct. He was intelligent, adamant, courageous and highly respected among his people of Bani Adii, and among tribes of the Quraysh.

The early years of Omar ibn Al-Khattab were not well documented. He grew up as an ordinary youngster of the Quraysh; however, he learned to read and write an asset, which distinguished him among his age group at that time. During his adult age, Omar looked after the camels of his father Al-Khattab in the environs of Macca. When Omar grew into the age of youth, he developed the strong physique and muscular form in stature and tallness more that the average

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 62, Part I

Moharam, 1410, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab.

The Early Years.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Inherent Potency of Faith.

By: Fathy Mahmoud Yousef.

Preparation of Prints by : Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

صفر ١٤١٠ هـ
سبتمبر ١٩٨٩ م
الجزء الثاني
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

المال حلاله وحرامه

٢

يرى « بعض » المصرفيين : أن عمل « البنوك » التجارية ، في المال حلال كله لا « ربا » فيه .

و « مقدمات » أولئك لهذه النتيجة التي يحبون ليست هي - بحال - الوسائل الشرعية لاستنتاج الأحكام الدينية .

وإني لشديد الحرص حين أقول : « بعض المصرفيين » فليسوا - جميعاً - في الأمر سواء ، ذلك أن منهم - وقد أذكر اسمه حين يسمح لي - مَنْ « فقُهَ » الأمر في ضوء دراسة شرعية تيسرت له ، فقال - في إحدى الجلسات : ما عمل البنك إلا « إقراض » و « اقتراض » بفائدة فهو ربا .. أي هو حرام .

فأما الذين يحبون « الحِلَّ » فلا ندري : كيف أجازوا لأنفسهم هذه « الرؤية » ، وهم لم يتخصصوا في دراسة الكتاب العزيز ، وبخاصة آيات الأحكام ، ولم يدرسوا الحديث الشريف أو « الفقه » أو « علم الأصول » ، وإنها لأسباب أوَّلية تؤهلهم لأن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام !!

←

← المال حلاله .. وحرامه

أليست هناك مسائل ـ من أعمال « البنوك » ينبغي أن تدرس ، هاك بعضها على سبيل المثال :

(أ) خصم الأوراق المالية ،

وفيها يتنازل العميل للبنك عن ورقة مالية لَمْ يُحلَّ موعدها ليحصل على قيمتها الاسمية ناقصة ما يسمى بـ « الأجيو Agio» .

فهل خلا هذا الأمر من « الربا »؟

(ب) فتح الاعتماد وما يقترن به من سلسلة أعمال .

(جـ) الائتمان .. أليس ينطوي على عملية « تكوين نقود » لا أقول « خلق نقود » لا حقيقة لها .. هل خلا من غرر ؟

(د) التأمين على الحياة .. شروطه .. موقف « البنك » من أقساطه .. ربح « البنك » من أمواله .

(هـ) إقراض « البنك » للأشخاص : حقيقيين أو اعتباريين :

هل هو قرض حسن ؟..

أم قرض بفائدة نظير الأجل ؟

وهل يمكن للمقترض ـ في كل الأحوال ـ أن يتسلم ما اقترض كاملاً دون حسم (فائدة) منه ابتداء ؟

أم تحسم ؟ أم تحسم في بعض الأحوال دون بعض ؟ وما فائدة المقترض ؟

(و) الوديعة المالية التي لا يطلب أصحابها « فائدة » عنها .

هل يحتفظ « البنك » بعينها شأن الوديعة الشرعية ؟

أليس تقضي الدراسة الواعية الهادفة أن يترك لكل متخصص أن يعمل في ميدانه دون أن يقحم نفسه فيما لا علم له به ثم يأبى أن يستجيب لأبسط الأمور التي تقتضي الحِلَّ وترفع الحرمة .

إن مجمع البحوث الإسلامية ، وهو ـ هنا ـ جهة الاختصاص لم يأل جهداً ، أو يَدَّخر وسعاً ـ في سبيل دراسة النظام المصرفي حتى انتهى منه إلى أمور أعلنت في مؤتمره العالمي المنعقد في القاهرة عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م .

وفي هذا المؤتمر تم البت في أمور عدة بَيَّنَ المؤتمر ـ فيها ـ ما يحل وما يحرم ، ثم دعا العلماء ورجال المال والاقتصاد إلى إعداد دراسة لبديل إسلامي يحل محل النظام المصرفي .

فعل ذلك دون ضجيج من إعلام صحفي له إثارته وتناقضه وتحامله وبلبلته بما يستكتب من فكر بعيد المنطق غريب المدار .

ولقد لاح البديل ، والحمدلله ما ضاق به السبيل نعم .. وهو موجود .

والحمد لله .

ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلا إياه ؟

د. علي أحمد الخطيب

بيان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

فيما يتداول من حديث البنوك

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعــــــد :

فإن بعض الصحف نشرت كلمات حول « الفوائد المصرفية » و « الشهادات البنكية » ، وانعقدت ندوات هنا وهناك للحديث في هذه الأمور بمعايير متباينة دون دراسة عميقة لواقع تلك المعاملات متناسين أو متجاهلين أن الحكم الشرعي المنتسب إلى أصول الإسلام وقواعده في القرآن والسنة قد أوضحه العلماء في أقطار المسلمين وجرت في شأنه فتاويهم الجماعية حتى صار في حكم الأمر المعلوم من الدين بالضرورة ويعلو على الأمور المختلف عليها .

وقد وقع القول الفصل من مؤتمر علماء المسلمين المنعقد في شهر المحرم ١٣٨٥ هـ - مايو ١٩٦٥ م بهيئة مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الذى من مهامه بحكم قانون الأزهر بيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية والذى شارك فيه العديد من رجال القانون والاقتصاد والاجتماع من مختلف الأقطار حيث كان من قرارات هذا المؤتمر إجازة بعض صور التأمين التعاوني ونظام المعاش الحكومي وماشابهه من نظم الضمان الاجتماعي وفي شأن المعاملات المصرفية كان نص القرار :

١ - (الفائدة) على أنواع القروض ربا محرم ، لافرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي ومايسمى بالقرض الإنتاجي ؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة بتحريم النوعين .

٢ - كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ .

٣ - الإقراض بالربا محرم لاتبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ولايرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة . وكل امرىء متروك لدينه في تقدير ضرورته .

←

● نشر موجز من هذا البيان في صحيفة الأهرام الصادرة صباح الجمعة : - ١٦ من المحرم ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩/٨/١٨ م .

بيان الامام الاكبر شيخ الازهر

٤ـ أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التى يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك فى الداخل كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة وما يؤخذ فى نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

٥ ـ الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية .

٦ ـ أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها إلى أن يتم بحثها .

أفبعد هذا تُدَبَّجُ المقالات طلبا للحوار ، وتعقد الندوات للبحث فيما انتهى فيه الرأى الجماعى لعلماء المسلمين مستنداً إلى القرآن والسنة .

إن هذا الذى تناقلته الصحف من أنباء وآراء إثارة لموضوعات قد حُسِمَتْ واستبان فيها الحكم الشرعى على هذا الوجه ، وكان الأولى بهؤلاء وأولئك أن يكتبوا ويجتمعوا للمداولة فى أمور لم تحسم بعد كشهادات الاستثمار التى أصر مصدروها على عدم التعرض للقرارات الوزارية المنظمة لها والتى هى بمثابة العقد لها ، وتوقفوا عن قبول أى تعديل للصيغة لتتوافق مع العقود الشرعية وتخلو من الفائدة الربوية الصريحة ، وهم مع هذا الموقف يتنادون إلى إسباغ حكم إسلامى عليها بالحل دون أن يدرسوها كعقد من العقود التى وضع الرسول ﷺ قاعدتها فى قوله الشريف الذى رواه الترمذى وجاء فيه :

(... والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً أو أحل حراما ..).

إن الأزهر الشريف يضع أمام الناس جميعا قرارات مؤتمر علماء المسلمين الجماعية فى عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م فيما يحل ومايحرم فى شأن الفوائد على القروض وبعض أعمال البنوك على الوجه المفصل آنفا .

وقد دعا هذا المؤتمر علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد إلى إعداد ودراسة بديل إسلامى للنظام المصرفى الحالى فهل تداولت هذه الندوات فى هذا الشأن وهل تصدت تلك المقالات لما أرجىء البت فيه لمزيد من الدراسة والبحث .

ذلك مالم يحدث .

وإنه من الحق أن نلتمس الهداية إلى الصواب من الله سبحانه الذى قال فى كتابه الكريم فى سورة النور من الآية ٦٣ ـ

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وفى سورة التوبة الآية ١٢٩ ـ

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

وحدانية الله

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

لما ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ شيئاً عن المؤمنين والكافرين والمنافقين خاطب البشر وناداهم بما أوجبه عليهم من عبادتهم له .

وكان النداء من الله للخلق بحرف « يا » ، لأن هذا الحرف هو عمدة النداء لباقى حروفه من نحو « الهمزة » ومن نحو « أيا » وماشابههما ، وهو دال على التوسط تنبيها للعبد إلى موقعه فلا ييأس من بعده عن ربه ، ولا يغتر بقربه من ربه ، وكذا فى نداء العبد لربه وهو أقرب إليه من حبل الوريد ليكون العبد بين الخوف منه والرجاء فى فضله .

ومناداة الله للعبد تشريف له .

والعبد يزهو على مقدار مولاه .

وقوله : « أيها الناس » منادى تفصيل بعد إبهام وتبيين بعد إجمال ليتنبه الإنسان إلى ماسيؤمر به وقد نادى العبد بإنسانيته ليحقق العبد وجوده فليس هو بالجماد ، ولا هو بالملك ، بل هو إنسان فى جسده وروحه يلتقيان ثم ينفصلان .

أمره بالعبادة تنبيهاً له إلى العنصر الأساسى فيه وهو العنصر الروحى ، فالجسد يحيا بغذاء مادى ، والروح يحيا بغذاء نورانى . فكن بأوصاف الربوبية متعلقاً ، وبأوصاف العبودية متحققاً . منعك من أن تدعى ماليس لك من أوصاف المخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين ؟!

والعبادة فى الإسلام عامة تشمل كل نشاط إنسانى يأتى به فاعله ابتغاء وجه ربه ، وخاصة عرفية كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

وكل عادة تتحول بالنية إلى عبادة كالأكل والشرب والعبادات فى الإسلام أدوية لأمراض القلوب مختلفة المقادير يدعى إليها من حصل أصلها التى تفرعت عليه الا وهو الإيمان فلاعبادة صحيحة بغير إيمان ، ومن لم يؤمن فهو مسئول عن الإيمان ومايتفرع عليه .

والتوحيد الذى جاءت به الرسل إنما هو إفراد

←

وحدانية الله

الله بالعبادة ، إذ جميع البشر أو أكثرهم معترفون له بالتأثير ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ إلا أن المشركين اعترفوا بالتأثير وأشركوا معه غيره في العبادة ، فما سلم توحيدهم ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ .

وأمر هنا بعبادة الرب تنبيهاً للخلق بأنه مستحق لها لفضله عليهم حيث أوجدهم من العدم ، وأولاهم عنايته ، فرباهم التربية الكونية والتربية الخلقية : « نعمتان ماخرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد » .

وفقرك إليه أمر ذاتي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .

ثم أخذ سبحانه يلفت نظر الخلق إلى الأدلة الدالة على وجوده ، فقال : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ويسمى هذا بدليل الخلق ، مع أنه في الحقيقة يقال عنه : « متى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي الموصلة إليه » :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
إلا على أكمه لا يعرف القمر
فقد بطنت بما أظهرت محتجباً
وكيف ينكر من بالعرف قد ستر

فهو سبحانه الخالق الرازق أوجدنا بعد أن لم نكن : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ، وكلفنا بعد أن أوجد فينا أهلية التكليف ليؤدى كل إنسان رسالته في الحياة .

وسل نفسك أيها الإنسان : ألك رسالة فيها أم لا ؟ فإن اعترفت فاعلم أنها التكاليف ، وإذا انكرت فلا تحزن على إعدامك أو إلحاقك بالجمادات والعجماوات .

والتكاليف الشرعية موجهات إلى الإنسان لتنظيم حياته ، فهو « عبد » باعتباره منعم عليه ، و« سيدٌ » على ماسخر له .

وعلاقته بالمنعم أن يعبده .

وبأمثاله من البشر أن يعاملهم بما يجب أن يعامل به .

وبما سخر له أن يستنطق أسراره ، ويحصل على منفعته لمن سخر لهم .

أمرك بالطاعة ونهاك عن المعصية لما سيعود عليك أنت فلا تنفعه سبحانه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العصاة ، وسيعذبهم على الإخلال لأنهم خرجوا عن رسالتهم وكرامة الإنسان ناشئة عن إحساسه بمسئوليته وتحمله تبعة أعماله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا . لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

وقوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ متعلق إما بالأمر بالعبادة والمعنى عليه : العبادة وسيلة لتحقيق غاية ، ولابد منهما ، والغاية هى التقوى وهى جماع الخير ، ومن زعم أنه يقوم بها من غير حاجة إلى القيام بوسائلها فهو معتوه سفيه ، لأنه يفعل شيئاً ويترك أشياء برأيه وهواه ، وقد أهدر علاقته بربه ، ومن أين للمدعى أنه يحقق الغاية بدون وسائلها الشرعية ، ولن تكون الغاية غاية إلا بوسائل حددها الشرع .

وإما أن يكون قوله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ متعلقاً بقوله ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ والمعنى عليه أن الغاية من الخلق هى التقوى فقد خلقنا لنتآلف ونتحاب ونتعرف على الله فنقوم بعبادته ، ونحتكم إلى أوامره ونواهيه .

والفرق بين المعنيين .

أن التقوى سر العبادة فى الاحتمال الأول، فليست العبادات أعمالاً «روتينية».

أما المعنى الثانى فإن الغاية من الخلق هى القيام بعبادته على أوسع معانيها كقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

- قال ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾ وهذا هو دليل العناية، (الجعل) معناه (الصيرورة) وإن كان (الجعل) يقع موقع (الخلق) فيكون معناه الإيجاد، إلا أنه هنا جاء بعد الخلق فكان الأنسب له (الصيرورة). وقد ذكر هنا السكن والساكن وسقف السكن ومايحتاج إليه الساكن فأمده بكل مايحتاج له، مهد له الأرض ليمكنه التحرك عليها، وأظله بسمائه ليتأكد انه دائما فى قبضة خالقه: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وانزل ماء ليبنيه إلى أصل خلقته وإلى امتداد بقائه ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

ثم قال: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾.

والمعنى: أن كل شىء بسبب، وارتباط المسببات بأسبابها هى سنة الله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ فالله خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببا لذاك، وموافقة حكم الله لحكمته لا تستوجب إضطرارا إذ الحكمة صادرة عن اختيار.

وتأمل قوله ﴿رِزْقاً لَكُمْ﴾، والرزق: مابه انتفع الإنسان حراما كان او حلالا، فـ (التقوى رزق) كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ﴾ و (والتكذيب رزق) حرام كما قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فالرزق هو حظ الإنسان، وكثير من الناس يقصرونه على الرزق المادى.

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا
وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ
تغـن الملـوك بدنيـاهم عن الدين

وعقيدة التوحيد عندنا - نحن المسلمين - ملاذ جسد وروح تغنينا عن عصبية الدول والتفاخر بالأنساب، ولا فضل لأحد فيها إلا بالعمل الصالح: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

و(الروحانيون) لا يضللون العقول.

أما (الماديون) فإنهم لا يعرفون للتضليل معنى حتى يحذروه، يطلبون العدالة وهم لا يثقون بالعدل نفسه، يرتكبون الظلم باطنا ليتصفوا بالعدل ظاهراً.

والإحسان بغير عقيدة، لن يكون وسيلة للخلاص. وغلبة النفس عسيرة لكن إذا تيسرت فكل شىء مغلوب، ومن جمع حياته فى روحه لم يرهبه الموت إلا كما يرهب المرء من تبديل كساء بكساء

والنتيجة بعد سياق الأدلة: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

«الند» هو الشريك، والإشراك فى الكتاب والسنة اعتقاد أن لغير الله أثرا فوق ماوهبه الله من الأسباب الظاهرة، وأن لشىء ما سلطانا يفوق قدرة المخلوقين.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هو القصد الجنائى فى لغة القانون، والمعنى: وأنتم تعلمون أن ليس له شريك ومع ذلك عبدتم غيره معه ولم تفردوه بالعبادة.

أو المعنى جعلتم لله شريكا وانتم من أهل العلم فكانت جريمتكم مزدوجة.

وزهو الماديين بالتقدم الآلى وعداؤهم للجانب الروحى نكسة لاتقدم وتدهور لا تطور، فالصناعة التى تسخر الإنسان للآلة المادية هى شر على ملكات الروح فى الإنسان، أما الصناعة التى تسخر فيها المادة لخدمة الإنسان فهى خير لملكاته وكيانه، والإخاء العالمى لا يصلح إلا بين

←

وحدانية الله

أخوة أحرار ، وأين توجد الحرية فى عالم جعل الإنسان يعمل كآلة صماء لها الوقود والزيت ، ويكفيه الشحم واللحم ، وكل ما يرويه الناس باسم التاريخ ليس إلا رغوة متطايرة فوق بحر الحياة الإنسانية ، والناس فى حاجة إلى قوة تنشط بهم من عقال المعيشة المحدودة إلى حياة روحية غير محدودة .

وَسِعك الكون من حيث جسمانيتك ولم يسعك من حيث روحانيتك ، والمهمة الأساسية التى تقع على عاتق المفكر هى التمييز بين ماهو نافع وماهو ضار .

والعقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز المتشابهات ويوازن بين الأضداد ، والمحك الحقيقى لقوة الإنسان المعنوية فى سلوكه فى الميادين التى تمتحن فيها مصالحه .

وأركان التوحيد الذى تدعو إليه الآيتان تنحصر كلماته فى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » . نفى وإثبات .

وشروط صحتها : العلم ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص ، والمحبة ، والقبول والانقياد . وللصمت المفعم بالشعور حكم أقوى من حكم الكلمات .

والحقائق العالية تقصر دون بلوغها الحروف والعيون والآذان . وماأحفل الكلمات القليلة بالأسرار حين ترتلها القلوب وخير فى العبادة قلب بلا كلام من كلام بلا قلب ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ .

أ . د محمد عبد المنعم القيعى

الربا في القانون الإسلامي

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد الله دراز
"رحمه الله"

مقدمة تاريخية

قبل أن أعرض على أنظاركم وجهة نظر الإسلام في الربا [1] ، إئذنوا لي ياجناب الرئيس وياحضرات السادة والسيدات ، أن أقول كلمة موجزة عن وضع المسألة في طائفة من التشريعات السابقة ، مدنية كانت أم دينية .

مصر في عهد الفراعنة :

يلوح أن قدماء المصريين لم يكونوا يحظرون الربا حظراً صارماً ، بل وضعوا له نظماً وقواعد تحد من أضراره ؛ ونحن ، وإن لم يصل إلينا نبأ هذه القواعد في جملتها ، فقد نعلم بعض الشيء عنها .

هذا (ديودور) المؤرخ الأغريقي يحدثنا مثلاً عن القانون الذي وضعه الملك (بوخوريس) من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ، والذي يقضي بأن الربا مهما تطاولت عليه الآجال لا يجوز أن يصل إلى مقدار راس المال .

أثينا وروما :

أما في الدولتين الإغريقية والرومانية فإن الربا - قبل ظهور الإصلاحات التي وضعها (صولون) المشرع الإغريقي ، وقبل الإصلاحات التي وضعها مؤلفو (الألواح الاثني عشر) في روما - كان شائعاً بدون قيود ولا حدود ، وكان العرف [2] الجاري في كلتا المملكتين أن المدين إذا لم يوف دينه أصبح هو نفسه ملكاً للدائن . فجاء تشريع (صولون) قاضياً على هذه العادة الشنيعة ، حيث قرر أن تكون مسئولية المدين في ماله وذمته ، لا في شخصه ورقبته ، كما أنه حدد النهاية القصوى التي يمكن أن تبلغها فوائد الدين (يقال إنه حددها بنسبة ١٢٪ من راس المال) . وكذلك صنع واضعو الألواح الاثني عشر في روما ، وبقيت هذه النسبة محفوظة في التشريع الروماني حتى جاء (جستينيان) فجعلها تدور بين ١٢٪ للتجار وأمثالهم و٤٪ للنبلاء .

(١) نص محاضرة ألقاها بالفرنسية فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز مندوباً عن الأزهر في مؤتمر القانون الإسلامي المنعقد بباريس في ٧ من أغسطس عام ١٩٥١ ، وقد التزمنا في العنوان بالنص الفرنسي : Lusure En Droit Musueman .. الخطيب .

(٢) وكذلك جرى العرف في كلتا الدولتين بأن الفائدة السنوية يؤديها المدين على أقساط شهرية . قارن هذا بعادة العرب في الجاهلية أيضاً ، كما سيأتيك نبؤه قريباً .

الربا في القانون الاسلامي

هذه التشريعات كلها لم تظهر إلا فى أعقاب اضطرابات وحروب داخلية مستمرة بين الأغنياء والفقراء فى تلك الشعوب ، فكانت هذه الإصلاحات علاجاً وقتياً لتلك المشاكل الاجتماعية الخطيرة التى ولدتها هذه الوضعية الربوية .

هكذا مهما نصعد بنظرنا فى تاريخ التشريعات المدنية القديمة ، نجد أن مبدأ التعامل بالربا كان سائغاً فيها ، وأنه كانت توضع له فى بعض الأحيان نظم تحميه إذا لم يجاوز حداً معلوماً .

إسبارطة :

غير أن مدينة إسبارطة تبدو لنا فى صورة استثناء من هذه القاعدة العامة ؛ إذ لا يعرف فى تاريخها أنها تعاملت بالربا أو أنها نظمته . وقد يرجع السر فى ذلك إلى أنها - من جهة - لم تكن ذات طابع تجارى واضح ، حتى إنها لم يكن لها نظام نقدى ، بل كانت عمدتها الرئيسية فى التعامل هى المبادلة والتقايض ، ومن جهة أخرى فإن قانونها لم يكن يخول للغرباء الذين يحملون نقود بلادهم أن يدخروا الذهب والفضة ، ومن عرف عنه انه يكتنز شيئاً منها كان جزاؤه الإعدام .

اليهودية والنصرانية :

فإذا ما انتقلنا الآن من المنظمات المدنية إلى التشريعات الدينية ، فإننا نشهد ظاهرة جديدة فى تاريخ التشريع فى هذا الشأن . فبعد أن كنا نرى التعامل بالربا فى الشرائع غير الدينية أمراً سائغاً فى حدود واسعة أو ضيقة . نرى التشريعات السماوية تتجه به نحو الحظر والتحريم الكلى .

هكذا نقرأ فى كتاب العهد القديم : « إذا أقرضت مالا لأحد من أبناء شعبى . فلا تقف منه موقف الدائن : لا تطلب منه ربحاً لمالك » (الآية ٢٤ من الفصل ٢٢ من سفر الخروج) ، وفى موضع آخر : « إذا افتقر أخوك فاحمله .. لا تطلب منه ربحاً ولا منفعة » (الآية ٣٥ من الفصل ٢٥ من سفر اللاويين) .

وكذلك نقرأ فى كتاب العهد الجديد : « إذا أقرضتم لمن تنتظرون منهم المكافأة فأى فضل يعرف لكم ؟ .. ولكن .. افعلوا الخيرات وأقرضوا غير منتظرين عائدتها . وإذاً يكون ثوابكم جزيلا » (الآيتان ٣٤ و٣٥ من الفصل ٦ من إنجيل لوقا) . ولقد أجمع رجال الكنيسة ورؤساؤها كما اتفقت مجامعها على أن هذا التعليم الصادر من السيد المسيح عليه السلام يعد تحريماً قاطعاً للتعامل بالربا . حتى إن الآباء اليسوعيين الذين يتهمون غالباً بالميل إلى الترخص والتسامح فى مطالب الحياة وردت عنهم فى شأن الربا عبارات صارمة ، منها قول سكوبار : « إن من يقول إن الربا ليس معصية يعد ملحداً خارجاً عن الدين » ، وقول الأب بونى : « إن المرابين يفقدون شرفهم فى الحياة الدنيا ، وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم [٣] » .

أوروبا المسيحية :

هذه النظرة الدينية أقرها القانون المدنى الأوروبى فى سنة ٧٨٩ (مرسوم إيكس لاشابيل) وبقيت هى المذهب الوحيد فى أوروبا طوال القرون الوسطى . ولكنها بدأت تفقد مناعتها شيئاً فشيئاً منذ عصر النهضة ، على أثر الاعتراضات المتكررة التى وجهت إليها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر من (كالفان) إلى (مونتيسكيو) . وكان لهذا الضعف مظهران : مظهر عملى . ومظهر تشريعي .

---

(٣) انظر باسكال فى مراسلاته الإقليمية ، الخطاب الثامن — Pascal, Les Provinciales

فأما المظهر العملى فهو أن بعض الملوك والرؤساء الدينيين أنفسهم أخذوا يجترئون على انتهاك هذا التحريم علناً . من ذلك أن « لويس الرابع عشر) اقترض بالربا ليسدد ثمن دانكرك في سنة ١٦٦٢ ، وأن البابا (بى التاسع) تعامل بالربا فى سنة ١٨٦٠ . وأما المظهر التشريعى فهو أنه منذ آخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) وضع استثناء لهذا الحظر فى أموال القاصرين[٤] فصار يباح تثميرها بالربا بإذن من القاضى .

أما الضربة القاضية التى وجهت إلى هذه النظرة الدينية فقد حملتها إليها الثورة الفرنسية حيث احتضنت المذهب المعارض وجعلته مبدأ رسمياً منذ قررت الجمعية العمومية فى الأمر الصادر بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٧٨٩ انه يجوز لكل أحد أن يتعامل بالربا فى حدود خاصة يعينها القانون .

بلاد العرب قبل الإسلام :

لم يكن قد بقى لعرب الجزيرة فى الجاهلية من التراث الديني الذى تركه جدهم ، ابو الأنبياء ، إبراهيم عليه السلام ، إلا آثار قليلة لا تخلو من التحريف . ولذلك لم يفتأوا يتبعون أهواءهم ونزعاتهم المادية فى أكثر عاداتهم ومعاملاتهم . وكان من ذلك تعاملهم بالربا بدون قيد من عرف ولا تشريع . ولعل مرد هذا :

أولاً : إلى نزعة الاستكثار وحب الكسب التى تنمو عادة فى البيئات التى تزدهر فيها التجارة كما كان هو الحال فى مكة .

وثانياً : إلى علاقتهم المستمرة باليهود ، الذين هم جيرانهم وأبناء عمومتهم .

ولعلكم تعجبون أن تكون مجاورتهم لشعب ذى شريعة سماوية تحرم الربا سبباً فى تشجيعهم على التعامل به ، ولكن الذى يزيل هذا العجب ان نعرف أن هذه الديانة نفسها ـ حسبما ورد فى كتب[٥] أهلها ـ تبيح الربا كما تحرمه . نعم لقد سقنا آنفاً شواهد التحريم من نصوص التوراة ، ولكننا واأسفاه نجد فيها نصاً آخر يقيد هذا التحريم ويجعله خاصاً بالشعب العبراني ، بحيث يسوغ لليهودي أن يأخذ الربا من غير اليهودى[٦] (الآية ٢٠ من الفصل ٢٣ من سفر التثنية) . ولما لم يكن فى هذا النص تحديد قانونى لقدر الربا المأذون فيه كان ذلك فتحاً لباب الاستغلال المالي على مصراعيه بحيث يدخله أشد أنواع الربا فداحة وإفراطاً .

هكذا كان هذا النص المنسوب للقانون الموسوى سبباً فيما نرى (أو جزءا كبيراً من السبب) لا فى بقاء التعامل بالربا فى العالم إلى اليوم فحسب ، بل فى تهوين أمره على كثير من النفوس واتخاذها إياه أمراً مشروعاً فى بعض الأحوال .

ومهما يكن من أمر فقد اعتاد العرب فى عصور الوثنية أن يقترضوا بالربا من اليهود وأن يتقارضوا به فيما بينهم ، دون أن يجدوا فيه حرجاً ولا غضاضة .

وقد عرفت لهم فى ذلك أنواع مختلفة من العقود الربوية . وأكثرها انتشاراً فيما بينهم كانت تبدأ المحاسبة فيه ـ على ما يظهر ـ من السنة الثانية : بمعنى أن الدائن لا يطلب من مدينه شيئاً وراء رأس المال إذا وفاه دينه فى أجله المعلوم . فإن لم يستطع أداءه فى ذلك

---

(٤) قارن هذا بالرخصة التى أخذت بها المحاكم فى عهد الدولة العثمانية ، اعتماداً على الفتوى الواردة فى كتب الحنفية .

(٥) يريد ـ والله أعلم ـ الكتب المتداولة بأيديهم .

(٦) معروف رد القرآن (فى الآيتين ٧٥ و٧٦ من السورة الثالثة) على هذه الدعوى التى لا تدع لقانون الفضيلة إلا مجالاً محدوداً للتطبيق : مع أن مبادىء الأخلاق يجب أن تكون عالمية لا حدود لها من جنس ولا لون ولا عقيدة ولا إقليم .

الأجل اتفقا على تأجيله سنة ثانية فى مقابل زيادة يختلف مقدارها على حسب التراضى بينهم ، ونضرب مثلاً : مديناً كان عليه أن يسلم للدائن فى أجل كذا حيواناً سنه ثلاث سنوات . فإذا لم يدفعه إليه فى ذلك الموعد أجله إلى السنة القابلة ، لكن الحيوان يجب أن تكون سنه إذ ذاك أربع سنوات . ولقد كانت تصل الزيادة فى بعض الأحيان إلى قدر رأس المال فى آخر السنة الثانية فتصبح المائة مائتين ؛ فإن لم يؤد تضاعف رأس المال والفائدة معاً فيصيران أربعمائة فى آخر السنة الثالثة وهكذا .

وضرب آخر من هذه العقود أن يدفع الدائن لمدينه قدراً من المال لسنة ، على أن يأخذ منه فائدة معينة كل شهر ؛ فإذا جاء آخر السنة ولم يرد رأس المال اتفقا على فوائد أخرى للتأخير .

البلاد الإسلامية فى العصر الحاضر :

لقد جاهد الإسلام والمسيحية قروناً متطاولة لا لمنع قانونية الربا فحسب ، بل لمنع التعامل به إطلاقاً .

بيد أننا رأينا آنفاً كيف انتهى الأمر بالثورة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر أن قضت على هذه المقاومة فى أوروبا ، وأقرت النظام الذى بقى فيها منبوذاً طوال ألف عام كاملة .

وكان طبيعياً أن تؤدى العلاقات المستمرة بين أجزاء العالم القديم إلى انتشار هذه الفكرة المادية رويداً رويدا وانتقالها إلى خارج أوروبا . وهكذا لم ينتصف القرن التاسع عشر إلا وقد سرت عدواها إلى البلاد الإسلامية ، فبدأ بعض المسلمين يتعاملون بالربا لا إقراضاً ، بل اقتراضاً ؛ ثم اتسع الأمر وشاع عملياً ، مع بقائه محظوراً قانونياً ؛ ثم دخل الإذن به فى دائرة التشريع تحت ضغط السلطات الأوروبية المحتلة للأقطار الإسلامية ؛ وبقيت الشعوب الإسلامية نفسها مدة طويلة متمردة على فكرة تأسيس مصارف وطنية تكون مهمتها التصرف فى جميع المعاملات المالية التى منها القرض بفائدة .

ونذكر فيما يتعلق بمصر على الخصوص أن هذه المقاومة الشعبية بدأت تضمحل فى أول هذا القرن العشرين ، بسبب حادث تاريخى خاص أثار فيها أزمة مالية وأزمة نفسية فى وقت واحد . نعم لقد حدث إذ ذاك أن امتنعت المصارف الأجنبية المؤسسة فى مصر عن مد يدها بالقرض إلى الشعب المصرى ، فأصبح الشعب وقد وجد نفسه أمام محظورين لا مخرج له منهما :

إما أن يلجأ إلى المرابين الذين ليس فى قلوبهم رحمة يقترض منهم بأفدح الربا وأخطره .

وإما أن ينشىء شركة مالية برؤوس أموال وطنية خالصة ، يقترض منها المحتاجون بشروط غير مجحفة .

ومالت بعض النفوس إلى اختيار الشق الثانى غير أنه وقفت أمامها اعتبارات دينية قوية ، إذ كيف تقوم فى بلد إسلامى مؤسسة مالية مخالفة لقواعد القرآن ؟

هنالك فتح باب المناقشة فى الصحف وفى الأندية المختلفة ، وألقيت سلسلة من المحاضرات [٧] عرضت فيها مختلف الآراء فى الموضوع من حيث تحقيق المبدأ الإسلامى : فالتقت آراء أكثر المحاضرين على رفض المشروع من الوجهة الدينية . غير أن فريقاً (منهم الكاتب

(٧) كان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩١٢ م) .

المشهور المرحوم حفنى ناصف ، والزعيم السياسي الوطنى المرحوم عبدالعزيز جاويش) أيدوا الفكرة معتمدين على نص قرآنى فى دعوى أن الربا المحظور فى الإسلام بالنص والإجماع إنما هو الربا الذى يصل إلى رأس المال أو يزيد عليه ، وأن كل ربح ينقص عن مقدار رأس المال ، فهو محل بحث واختلاف فى نظرهم .

ـ ٢ ـ

حقيقة حكم الربا فى الاسلام

أخذاً من المصادر الأولى للتشريع

هكذا نصل من طريق هذه النظرة التاريخية إلى صميم الموضوع القانونى .

ماحقيقة الأمر فى نظر الشريعة الإسلامية ؟

هل الإسلام يبيح الربا اليسير ؟

سأسرد على مسامعكم ، أيها السادة والسيدات ، نصوص الشريعة الإسلامية من منابعها الأولى ، تاركاً لكم أن تستخلصوا منها الجواب بأنفسكم .

(١) القــرآن :

ولقد يكون من المفيد فى صدر هذا البحث أن نذكر أنفسنا بطبيعة المنهج التعليمي فى القرآن ، حينما يكون بصدد محاربة بعض الرذائل التى تأصلت فى العرف العام ، والتى توارثتها الأجيال خلفاً عن سلف ، فى أحقاب متطاولة .

ذلك أن القرآن فى معالجته لهذه الأمراض المزمنة لا يأخذها بالعنف والمفاجاة ، بل يتلطف فى السير بها إلى الصلاح على مراحل متريثة ، متصاعدة ، حتى يصل بها إلى الغاية .

كلنا نعرف ما كان منه فى شأن الخمر ، وأنه لم يبطله بجرة قلم ، بل لم يحرمه تحريماً كلياً إلا فى المرحلة الرابعة من الوحى . أما المرحلة الأولى (التى نزلت فى مكة) فإنها رسمت الوجهة التى سيسير فيها التشريع . وأما المراحل الثلاث (التى نزلت بالمدينة) فكانت أشبه بسلم : أولى درجاته بيان مجرد لآثار الخمر وأن إثمه أكبر من نفعه ، والدرجة الثانية تحريم جزئى له ، والثالثة تحريمه التحريم الكلى القاطع .

فهل يطيب لكم أن تدرسوا معى المنهج التدريجي الذى سلكه القرآن فى مسألة الربا ؟

إنه لمن جليل الفائدة أن نتابع هذا السير لنرى انطباقه التام على مسلكه فى شأن الخمر ، لا فى عدد مراحله فحسب ، بل حتى فى أماكن نزول الوحى ، وفى الطابع الذى تتسم به كل مرحلة منها .

نعم ، فقد تناول القرآن حديث الربا فى أربعة مواضع أيضاً ، وكان أول موضع منها وحياً مكياً والثلاثة الباقية مدنية ، وكان كل واحد من هذه التشريعات الأربعة مشابهاً تمام المشابهة لمقابله فى حديث الخمر .

ففى الآية المكية يقول الله جلت حكمته : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ « سورة الروم آية ٣٩ » هذه كما ترون موعظة سلبية : إن الربا لا ثواب له عند الله . نعم ، ولكنه لم يقل إن الله ادخر لآكله عقاباً . وهذا بالضبط نظير صنيعه فى آية الخمر المكية (١٦/ ٦٧) حيث أومأ برفق إلى أن ما يتخذ سَكَراً [٨] ليس من الرزق الحسن ، دون أن يقول إنه رجس واجب الاجتناب . ومع ذلك فإن هذا التفريق فى الأسلوب كان كافياً وحده فى إيقاظ النفوس الحية ، وتنبيهها إلى الجهة التى سيقع عليها اختيار المشرع الحكيم .

أما الموضع الثانى فكان درساً وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود الذين حرم عليهم

(٨) السكر : بفتح السين والكاف : الخمر المعتصر .. الخ اللسان ..

الربا في القانون الاسلامي

الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم . وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها إلا إذا كان من ورائها ضرب من تحريم الربا على المسلمين ، ولكنه حتى الآن تحريم بالتلويح والتعريض لا بالنص الصريح . ومهما يكن من أمر فإن هذا الأسلوب كان من شأنه أن يدع المسلمين فى موقف ترقب وانتظار لنهى يوجه إليهم قصداً فى هذا الشأن ؛ نظير ما وقع بعد المرحلة الثانية فى الخمر (٢/٢١٩) حيث استشرفت النفوس إذ ذاك إلى ورود نهى صريح فيه ؛ وقد جاء هذا النهى بالفعل فى المرحلة الثالثة ولكنه لم يكن إلا نهياً جزئياً : فى أوقات الصلوات (٤/٤٣) .

وكذلك لم يجىء النهى الصريح عن الربا إلا فى المرتبة الثالثة ، وكذلك لم يكن إلا نهياً جزئياً ، عن الربا الفاحش : الربا الذى يتزايد حتى يصير « أضعافاً مضاعفة » (٣/١٣٠) [٩] .

وأخيراً وردت الحلقة الرابعة التى ختم بها التشريع فى الربا (بل ختم بها التشريع القرآنى كله على ما صح عن ابن عباس) وفيها النهى الحاسم عن كل مايزيد عن رأس مال الدين حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ « البقرة ٢٧٨ ـ ٢٨١ » .

هذه أيها السادة والسيدات نصوص التشريع القرآنى فى الربا مرتبة على حسب تسلسلها التاريخى .

وإنكم لترون الآن أن الفئة التى تزعم أن الإسلام يفرق بين الربا الفاحش وغيره (وهى فئة من المتعلمين الذين ليس لهم رسوخ قدم فى علوم القرآن) ، لم تكتف بأنها خالفت إجماع علماء المسلمين فى كل العصور ، ولا بأنها عكست الوضع المنطقى المعقول حيث جعلت التشريع الإسلامى بعد أن تقدم إلى نهاية الطريق فى إتمام مكارم الأخلاق يرجع على أعقابه ويتدلى إلى وضع غير كريم ؛ بل إنها قلبت الوضع التاريخى . إذ اعتبرت النص الثالث مرحلة نهائية ، بينما هو لم يكن إلا خطوة انتقالية فى التشريع : لم يختلف فى ذلك محدث ولا مفسر ولا فقيه .

على أننا لو فرضنا المحال ووقفنا معهم عند هذا النص الثالث فهل نجد فيه ربحاً لقضيتهم فى التفرقة بين الربا الذى يقل عن رأس المال ، والربا الذى يزيد عليه أو يساويه ؟

كلا ، فإنه قبل كل شىء لا دليل فى الآية على أن كلمة الأضعاف شرط لابد منه فى التحريم ، إذ من الجائز أن يكون ذلك عناية بذم نوع من الربا الفاحش الذى بلغ مبلغاً فاضحاً فى الشذوذ عن المعاملات الإنسانية من غير قصد إلى تسويغ الأحوال المسكوت عنها التى تقل عنه فى هذا الشذوذ ، ومن جهة أخرى فإن قواعد العربية تجعل كلمة « أضعافاً » فى الآية وصفاً للربا لا لرأس المال كما قد يفهم من تفسير هؤلاء الباحثين . ولو كان الأمر كما زعموا لكان القرآن لا يحرم من الربا إلا ما بلغ ٦٠٠٪ [١٠] من رأس المال . بينما لو طبقنا القاعدة العربية على وجهها لتغير المعنى تغيراً تاماً ، بحيث لو افترضنا ربحاً قدره واحد فى الألف أو المليون لصار بذلك عملاً

البقية ص ١٧٩

---

(٩) هذا هو النص الذى اعتمد عليه أصحاب نظرية الرخصة فى الربا اليسير . وسترى تفسيره قريباً .

(١٠) ذلك لأن الربا الذى يكون أضعاف رأس المال [بصيغة الجمع] لابد أن يصل إلى ثلاثة أمثال رأس المال . فإذا ضوعفت هذه الأضعاف الثلاثة كان ستة أمثاله ، وذلك ما لم نره فى معاملة أجشع المرابين ، ولن نسمع به فى تشريع سابق ولا لاحق . فيكون القرآن على رأيهم متخلفاً عن جميع القوانين فى هذا الشأن .

ربح الودائع الاستثمارية

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

هذا المقال جزء من مقال المجلة «من أعلام الأزهر» المنشور بهذا العدد ، تحدث به فضيلة الدكتور إلى «الكاتب» وقد رأت المجلة إفراده للمساهمة به فى مجال الدراسات القائمة حاليا فى الربا لأهميته ، قال فضيلة الأستاذ الدكتور للكاتب :

أريد أن يكون حديثى معك على هامش مقال نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٩/٦/١ م بتوقيع الدكتور/ عبدالمنعم النمر تحدث فيه عن أشياء ، المهم منها كلامه عن فتح باب الإدلاء بالرأى فى أمر آمن به الناس ، وسلموا له وهو : تحريم ربا القرض والوديعة فى المصارف أو تحريم فوائدهما .

●● وأول ما يُلاحظ على مقال الدكتور أنه سمى هذه الفوائد (ربحا استثماريا) على أصل القرض أو الوديعة فهو فوائد لا غير أى زيادة فى مقابلة الأجل .

●● وما من أحد من العلماء علل تحريم الفائدة بأنها ربح محدود ، نعم جرى فى الخمسينيات خلاف بين «الشيخ عبدالوهاب خلاف» وجبهة علماء الأزهر فى أنه : هل تجوز الشركة بالربح المحدود ـ وكانت حجة التحريم ما جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ فى المزارعة ، وخلاصته : أن الناس كانوا يزارعون على أن للمالك ما يخرج من مكان معين ، وللزارع كذلك ، فنهى النبى ﷺ عن ذلك لجواز ألا يخرج الزرع من المكان الذى عُين لأحدهما ، ثم قال : أما شىء معلوم مضمون فلا بأس به .

●● أما حجة تحريم فوائد الربا وبخاصة فى القرض والوديعة فهى :

أ ـ الظلم المستفاد من قوله تعالى : ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ البقرة ـ ٢٧٩ ـ فالمُقْرِض إذا أخذ الفائدة كانت زيادة محققة على رأس ماله ، أما المقترض الذى أخذ المال فإن فائدته من هذا المال مشكوك فى حصولها للشك فى فائدة المشروع الذى أراد القيام به .

●● ب ـ ولحمل المسلمين على القرض الحسن

←

يعث الشيخ الدكتور ابو سنة برده هذا على جريدة الأهرام تنفيذاً لطلبها فى فتح باب المناقشة حول هذا الموضوع ـ وكان ذلك والدكتور ابوسنة فى مكة المكرمة بالبريد الممتاز تحت رقم (٨٢) بتاريخ ٨ ذو القعدة سنة ١٤٠٩ ـ وقد اطلعت على نص مقاله ، والإيصال الدال على ذلك .

ربح الودائع الاستثمارية

الذى جعله الله من باب التعاون ووعد عليه جزيل الثواب .

ولابد بعد هذا من تناسى كلمة (الربح) التى استخدمها الدكتور/ النمر والكلام معه فى جواب السؤال الذى طرحه هل تحل فوائد الودائع فى المصارف ؟

ونجيب : إذا أودع المرء ماله فى مؤسسة مالية ثم أخذ الفائدة سواء حددها الدائن أو المدين فهذه الوديعة قرض عند الفقهاء ، وفائدتها ربا محرم ، وهو ربا الجاهلية الذى نزل القرآن بتحريمه ، والتى كان يقول فيها الدائن للمدين : زد فى المال أزيدك فى الأجل .

●● والفقهاء المتقدمون عن آخرهم جزموا بأن القرض داخل فى هذه المعاملة ، وما الوديعة إلا قرض أذن المودع للمصرف فى التصرف فيها : وإن سُميت وديعة كما أجمع على ذلك الفقهاء .

وقد اعترف الدكتور/ النمر بالحكمة من تحريم الربا ، وهى أن الدائن يأخذ فائدة مضمونة مائة فى المائة ، وأن البنك أو المصرف قد يخسر ، وإذا خسر وجد تعويضا لخسارته من الاحتياطى أو من البنك المركزى ، إذاً الظلم ، واحتمال الخسارة موجود إلا أنه سيجد التعويض عنها .

●● ونحن نقول له : لو أن محمداً مثلا قال لإبراهيم : أقرض عليا ألفا من الجنيهات بفائدة ، وإذا خسر علىٌّ فأنا ضامن له خسارته ، هل تجوز هذه المعاملة ؟! طبعا لا يقول الدكتور/ النمر ولا غيره : إن هذا خارج عن باب الربا .

●● وليس الربا محرماً إذا قصم الظهور فقط ، بل قليل الربا ، وكثيره حرام ، والغرض من ذلك تحقيق العدل بين الناس ، وإبعادهم عن الظلم ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فليس يحل للدائن إلا رأس ماله .

●● ثم نسأل الدكتور : من أين يحصل البنك على الأموال التى يُعْطى منها الفوائد للدائنين أصحاب الودائع ، أليس جلُّ هذه الأموال من الفوائد التى يجمعها من الأفراد الذين أقرضهم أى أنها من الربا الذى اتفقت معنا على تحريمه ، وهو فوائد قروض الأفراد ، فإن صح أن المصرف لا يخسر فذلك لأنه يجمع ماله من طريق مقطوع بتحريمه بقوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ وهذا الربا حرمه الله فى الأديان السماوية غير الإسلام .

●● هذا وكلام الدكتور/ النمر مُنْصَبٌ على الودائع فقط : لأنها هى التى يتصور فيها أن تكون المصارف مدينة ، أما القرض فالمصرف فيه دائن ، والأفراد هم المدينون ، واحتمال الخسارة منهم باقٍ . فلا يستطيع القول أن ما يأخذه المصرف من فوائد القرض ليس بربا ، ولا فرق بين أن يكون المقترض هو الفرد أو الدولة ، فإن الدولة شخص معنوى .

●● ولا أدرى لماذا كل هذه المحاولات ، ويمكن للمصارف وغيرها تحقيق الربح من طريق المضاربات ، وغيرها من الشركات والمعاملات التى شرعها الله ، والله أعلم بأحكامه(١) .

---

(١) ... يستطيع القارىء ـ بمشيئة الله ـ متابعة رأى الشيخ ـ فى هذا العدد ـ فى باب «من أعلام الأزهر» فى حديثه عن مقتطفات من الربا منتشرة بالمقال مثل : حديث الناس عنه حاليا .. ، وشهادات الاستثمار ، والتأمين التجارى على الحياة ، والبديل عنه ، ورده والشيخ أبو زهرة التأمين على الحياة ... مجلة الأزهر

فى البيان القرآنى
الطير الأبابيل

د. محمد رجب البيومى*

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

[سورة الفيل]

توطئة

لا يزال المفسرون منذ نزل الكتاب الكريم ، يتفهمون معانيه ، ويستنبطون مراميه ، فى إخلاص مؤمن ، وصبر شجاع ، ولهم آراؤهم التى تكون موضع النقاش والمساجلة .

ولا حرج على إمام كبير أن يبدى رأياً ما فى تفسير آية ، فيقوم له من كبار الباحثين من يوجه النقد إلى تفسيره ، فى أدب ملتزم ، وعفة نزيهة .

ولدينا فى التراث التفسيرى للقرآن على مد العصور عشرات من الآراء التى كانت موضع الأخذ والرد بين السالفين والخالفين ، دون أن يكون هذا النقد مدعاة للتهكم الجارح السفيه ، إنما الحرج كل الحرج فى أن يصدر إمام كبير - هو رأس العلماء فى عصره - رأياً خاصاً فى تفسير آية كريمة ، ويسوق أدلته التى يراها موضع الترجيح دون أن يجزم ببطلان ما ارتآه السابقون ، ثم نجد بعد أمد بعيد ، من ينهض إلى انتقاص المفسر الكبير بلا علم ولا هدى ، ثم يترك مجال الجدل ليتحدث عمن أعماهم ضياء الغرب عن نور القرآن ، فهرعوا إلى تفسير كلام الله بما لا يعقل ، ثم يمضى فى تجريح من لا يصل إلى فهم كلامه ، فضلاً عن نقده ، وقد ظن أنه بذلك يكشف الستار عن أسماء موهومة خدعت الناس بأباطيلها - كما تجرأ على القول بذلك دون حياء - وقد كان فى أدب القرآن - حين دعا إلى القول بالتى هى أحسن - ما يمنع تلميذاً من التطاول على عالم كبير ، ولكنه التشنج الكريه فى غير مواقف الحماسة والصيال ، فمتى نعترف بمقدرتنا المحدودة ، أمام جهود الأئمة المُصْطَفَيْنَ !

←

* الكاتب : عميد كلية اللغة العربية السابق بالمنصورة - جامعة الأزهر .

الطير الأبابيل

(فقه الموضوع)

لقد كتب الإمام محمد عبده تفسيراً للجزء الثلاثين من كتاب الله ، وحين ألمَّ بسورة الفيل ، فتح الله عليه برأى فى تفسير الطير الأبابيل ، قال بصدده :

« وفى اليوم التالى ، فشا فى جند الجيش داء الجدرى والحصبة ، قال عكرمة : وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب . وقال يعقوب بن عتبة فيما حدّث ، إن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام ، وقد فعل الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذُعر الجيش وصاحبه ، وولّوا هاربين ، وأصيب قائد الجيش ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة أنملة حتى انصدع صدره [أى أبرهة] ومات فى صنعاء .

قال الأستاذ الإمام:

هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به ، وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس ، الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم ، وتساقط لحمه ، وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالميكروب لا يخرج عنها ، وهو فرقٌ وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئُها ، ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الباغين ، على أن يكون الطير فى ضخامة رءوس الجبال ، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فللهُ جند من كل شىء .

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

ثم قال الإمام : « ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعزَّ بالفيل ، وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسماً ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ، ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر ولا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر » .

(تعقيب كاشف)

هذا ما قاله الإمام بنصه وهو فى بدء حديثه لم يخطىء المأثور مما قيل عن حادث الفيل حيث قال : هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به ، ثم قال « ويجوز لك » أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض والذباب ، ولهذا الجواز وجهة نظر صحيحة ، لأن الذباب طير ، والبعوض طير ، والنص القرآنى الكريم قد وقف عند كلمة الطير وحدها ، فلم يجعل الطير ذات أحجام كبيرة ، وذات رءوس ضخام كما جاء فى بعض الروايات التى لم تُسند إلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا إلى أحد من صحابته الأكرمين ـ رضوان الله عليهم ـ فهى مما يسهل ردها لدى من يترجح لديه الرد ، كما يسهل قبولها لدى من يطمئن إليها بدليل آخر يسند ويعين ، وطبيعى أن يلقى هذا الرأى تأييداً

من فريق ، ورفضاً من فريق آخر ، ولكن الرافض من ذوى الأصالة الخلقية ، والعراقة العلمية لا يسمح لنفسه بالتطاول قيد شعره ، لأنه يعرف أن الإمام المفسر مجتهد يخطىء ويصيب ، وله أجره الموفور لدى الله فى الخطأ والصواب معاً ، ونستطيع أن نستشهد برأى المفكر الإسلامى الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد ممثلاً للفريق الذى وافق الإمام وتابعه ، كما نستشهد برأى الشهيد الأستاذ سيد قطب رحمه الله ممثلاً للفريق المخالف على أن نلحظ كيف احترم الشهيد سيد قطب منطق الإمام ، وعلله بملابسات عصره ، وموقف المفكرين حينئذ من قضايا الإسلام فى زمن تكالب فيه الأعداء على رميه ظلماً بالجمود والتمسك بالأساطير ، فكان قطب مثلاً مستنيراً لصاحب الرأى المخالف ، الذى يتحدث بأمانة مخلصة ، وترفع نزيه .

(رأى العقاد)

كتب الأستاذ العقاد بمجلة الرسالة العدد ٧٤٧ فى ١٩٤٧/١٠/٢٧ مقالاً جيداً تحت عنوان (القرآن والنظريات العلمية) نَصَّ فيه على أن من الخطأ البين أن نجعل تفسير القرآن تابعاً للنظريات العلمية التى تَنْقُضُ اليومَ ما ثَبَتَ بالأمس ، والتى يجرى عليها الجدل بين المدارس العلمية على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء .

ثم ضرب العقاد أمثلة للمحاولات المخطئة فى تفسير آيات كريمة لا مجال للحديث عنها الآن ، ولكنه من الوجهة المقابلة ضرب أمثلة للمحاولات المأمونة المعقولة التى لا حرج فى القول بها ، فقال :

« وقد تكون محاولات التوفيق مأمونة معقولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات ، فالميكروبات موجودة لاشك فيها ، والإصابة بها محققة لذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال ، فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام إن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم ، فذلك قول « مأمون » **على سبيل الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد** ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل ، أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول » .

فالعقاد ، لا يمنع قبول هذا التفسير بل يقبله على سبيل الجواز والترجيح ، والأستاذ الإمام لم يقل إن رأيه هو الوحيد الذى يقبل الصواب ، بل أجاز الرأى المقابل كما بدأ تفسيره الجديد بقوله « ويجوز لك أن تعتقد » ولا أدل على الإنصاف من مسلك مفسر يقدر شتى الاحتمالات ، فلا يجزم ببطلان الحكم المخالف ، كما لا يَرَى أن رأيه وحده هو الصحيح .

(رأى سيد قطب)

أما الأستاذ سيد قطب فلم يسترح لرأى الأستاذ الإمام ، ولكنه أبدى ما أكده فى مواضع كثيرة فى تفسيره من أن سنة الله ليست محصورة فيما يعهده البشر وما يعرفونه ، لأنهم لا يعرفون من سنة الله إلا طرفاً يسيراً يكشفه الله لهم قدر ما يطيقون ، وبمقدار ما تتهيأ له مقدراتهم العقلية ، والخوارق من سنة الله وإن كانت غير ما عهدوه .

يقول الأستاذ سيد قطب :

« إن هناك قاعدة مأمونة فى مواجهة النصوص

القرآنية ، لعل هنا مكان تقريرها ، إنه لا يجوز لنا أن نواجه النصوص القرآنية بمقررات عقلية سابقة ، بل ينبغى أن نواجه هذه النصوص لنتلقى منها مقرراتنا فمنها نتلقى مقرراتنا الإيمانية ، ومنها نُكَوِّن قواعد منطقنا ، وتصوراتنا جميعاً ، فإذا قررت لنا أمراً فهو المقرر كما قَرَّرَتْه ، ذلك أن ما نسميه العقل ، ونريد أن نحاكم إليه مقررات القرآن عن الأحداث الكونية والتاريخية والإنسانية والغيبية هو إفراز واقعنا البشرى المحدود وتجاربنا البشرية المحدودة » .

فالشهيد سيد قطب يدعو إلى تقبل الخوارق دون تعليل بشرى يوحى به عقل محدود الإدراك مهما كان صاحبه مجتهداً إماماً ؛ لأن الخوارق خوارق بالنسبة لنا ، ولكنها سنن طبيعية بالنسبة لخالق السموات والأرض ، وحادث الفيل أمر خارق فى بابه ، ومحاولة تقريبه للذهن بتعليل علمى تجعله أمراً طبيعياً لا معجزة فيه ، وهو مع هذه المخالفة الصريحة لمنحى الأستاذ الإمام يقدر كل التقدير دوافع اتجاهاته العلمية فى عصره الممتلىء بالتهجم على الإسلام افتراء وبغياً من قوم ، وبالخرافات الوهمية التى تنسب إليه بغياً وجهلاً من قوم آخرين ، لذلك لجأت مدرسة الإمام إلى الاحتكام إلى العقل لتقنع ذوى الشطط الوبىء .

يقول الأستاذ سيد قطب بصدد رأى الإمام فى تفسير (الطير الأبابيل) :

« إننا ندرك ونقدر دوافع المدرسة العقلية التى كان الأستاذ الإمام رحمه الله على رأسها فى تلك الحقبة ، ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ ، ومحاولة ردها إلى المألوف المكشوف من السنن الكونية ، فقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية التى تسيطر على العقلية العامة فى تلك الفترة ، كما تواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التى حشيت بها كتب التفسير والرواية فى الوقت الذى وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها ، وموجة الشك فى مقولات الدين إلى قمتها ، فقامت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل » .

(خاتمـــــة)

هذه وجهة النظر المخالف لتفسير الأستاذ الإمام ، ونحن نبسطها فى هذا المجال لنعطى درساً لمن يتوجُهُون إلى نقد الكبار بالسفه المتطاول ، وهم بعدُ أشبه بالطلبة المبتدئين ، ولا أدرى كيف جاز لهؤلاء أن يفسروا كلام الله ، ومفسر القرآن لا يرتقى إلى هذا الأوج إلا بعد غوص دقيق فى شتى العلوم الإسلامية ، مع بعد النظر ، وثقوب الفكر ، وشمول الاطلاع ! ثم هو بعد ذلك ملتزم بفضائل النفس الإسلامية تواضعاً وتثبتاً وإنصافاً واعترافاً بالفضل لذويه .

الانتفاع بالوقت

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ «سورة إبراهيم ـ ٣١ ـ» في هذه الآية الكريمة يوجه ربنا رسوله الكريم إلى ان العمر فرصة وحيدة للعقل الصالح لمن شاء ان يكون عبداً شكوراً

إن الله الرءوف بالعباد يكلف رسوله الكريم ـ وهو الحريص على المؤمنين ، الرءوف بهم الرحيم ـ ان يستثمر المؤمنون الوقت لينتفعوا باعمارهم التي هي راس مالهم في حياتهم الدنيا . بإقام الصلاة لانها صلة بين العبد الضعيف وربه القوي . بين العبد الفقير وربه الغنى . لان الإنسان لا يستطيع أن يعيش في معزل عن ربه الذي خلقه فسواه والهمه فجوره وتقواه وخاطبه ربه مباشرة ليستيقظ ويصحو لنفع نفسه بمراقبة ربه سراً وعلانية لكيلا يبتعد عنه فقال جل جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ «سورة الانفطار ـ ٦ ـ ٨» .

اما الإنفاق في سبيل الله من رزق الله فينبعث من قلوب المتقين الذين يؤمنون بأن الزكاة فريضة اجتماعية فرضها ربنا على القادرين وهي حق معلوم للسائل والمحروم . ولا يؤديها إلا من وقاه الله شح نفسه ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .. والعبادات كلها ترسل اشعة النور والهدى إلى قلب المؤمن فيحس في اداتها بالرضا والسرور ويشعر بلمسات نورانية تضيء القلب بإشراقات روحية تتجلى في الامتثال لأمر الله . ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ «سورة البينة ـ ٥ ـ» .

والعبادات المخلصة لله وحده ـ الذى لا يقال لغيره : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ـ تنير القلوب وتطهر السرائر . ولا ريب أن الارتباط بالله يطهر النفس والمال والسلوك . وإنك لتجد الصوم تدريب عملي يومي على فطام النفس من شهواتها الجامحة ونزواتها المتمردة العاتية فهو يهيىء النفس للتقوى . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ «سورة البقرة ـ ١٨٣ ـ» .

←

الانتفاع بالوقت

كذلك الصلاة يقول فيها ربنا : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ « سورة العنكبوت ـ ٤٥ » .

والوقت تباركه الطاعات والعبادات التى هى كل عمل أو قول يرضى الله ويضاعف الحسنات عند الله وبها تحيا القلوب . ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ « سورة الحج ـ ٣٢ ـ » .

العمر فرصة وحيدة للعمل

الوقت هو : عمر الإنسان وليس بعد انتهاء الأجل من أمل إلا فى رحمة الله ، لأن العمل أحصاه الله ونسوه وعند الموت يندم المرء قائلاً : « ياليتنى قدمت لحياتى » وليس ينفع الندم ، فعلينا أن نأخذ من حياتنا لموتنا قبل فوات الأوان والمؤمن يعصم نفسه من التردى فى نقائص الأعمال والأقوال لتسمو منه الأخلاق فلا أثرة ولا أنانية ولا رياء ولا نفاق ، ولكن صفاء ونقاء وسخاء وعطاء ، يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) « رواه الترمذى »

الإنسان مرتبط بالانتفاع بالوقت

يقول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ « سورة الفرقان ـ ٦٢ ـ » . ما أعظم الحياة التى يعيش فيها الناس فى ظل الإيمان بالله ، وما أكمل المجتمعات التى ترتبط بمكارم الأخلاق ومراقبة الله ..

والإنسان والوقت ثروتان هائلتان لكى تعمر بهما الدنيا : وذلك إذا كان الإنسان منتجاً يقظاً قوياً مستثمرا الوقت فيما ينفع الفرد والجماعة ، وأمّا تبذير الوقت فدليل على عدم الإحساس بالزمن ، والحصيف من الناس من يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، والأعمال رصيد كل إنسان حى تنطق بفضله إن كان عملاً صالحاً فى الدنيا ولأجر الآخرة أكبر عند الله ، ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ « سورة القصص ـ ٧٧ ـ » .

ولا يدرك قيمة الوقت إلا من سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم .

وفى الحديث : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ..) « رواه الترمذى » ..

وليس يفلت من المسئولية رجل مسلم بالغ عاقل رشيد أو امرأة مؤمنة كذلك (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) « البخارى » .. ذلك لأن الوقت نعمة والصحة نعمة والمواهب نعمة ، وإن العبء يعظم والمسئولية تتأكد وتتجدد كلما اتسعت آلاء الله على العبد وكلما ثقلت الأمانة التى لا يقدر على حفظها المهازيل من الناس ، ويستطيع كل مسلم أن يجعل حياته كلها أمانة عمل وفرصة عبادة ، لأن كل قول يرضى الله هو عبادة لله ، وكل فعل كذلك ، ويتوقف مصير المرء على إتقان العمل لأن الناقد بصير ..

« عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول

الله الا تستعملنى ؟ (أى الا تسند إلىّ عملا قياديا أقوم به ؟) فضرب بيده منكبى ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذى عليه فيها » . (رواه مسلم) .

والحياة الدنيا مجموعة من الأمانات فى رقاب العباد تراعى فيها حدود الله وحقوق العباد : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . . ﴾ « سورة النساء - ٥٨ - » . فلا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والأمانة صفة الأبرار والخيانة صفة الفجار . ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ « سورة الانفطار - ١٣ - ١٤ » والمؤمنون حريصون على الانتفاع بالوقت أشد الحرص . فقد جعلوا أعمارهم موسماً لفعل الخير وتجنب الشر فأشاعوا المعروف وسارعوا فى الخيرات لعلمهم بأن الإسلام يبنى المجتمعات على التكافل والتعاون وعلى البر والتقوى ويقوم الأفراد فيه - وهم وحدات المجتمعات - بالبناء على التضامن والمساندة والمساعدة وحمل أعباء هذه الحياة فلا خير فى حياة فرد يعيش لذاته وللذاته فقط ، ولكن الإنسان وجد ليعيش لنفسه ولبلده ولوالديه ولولده وللأقربين وللناس أجمعين .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة - ٧١ » .

وتلك هى صورة المؤمنين والمؤمنات كما جاءت فى كتاب الله الخالد وهيئتهم التى ينبغى أن يكونوا عليها .

وهؤلاء المؤمنون هم الذين يدركون أن التقوى تبنى المجتمعات على السماحة والأمانة والصدق والتعاون وحب الخير للغير وليست التقوى هى ذلك اللون الشاحب أو الصوت المتخافت ، ولكن التقوى قوة تدفع بإيجابيتها إلى فعل الطاعات والكف عن الموبقات ، والإنسان إنسان بإنسانيته ، بنبله وفضله ، وعلو همته ، وطهارة ذمته ، وحسن نيته وسلامة طويته واستقامة سلوكه وسيرته ، لأن الفرد هو وحدة البناء فى المجتمع المتكامل المتصف بمكارم الأخلاق الإسلامية والله يقول : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ « سورة العصر - ١ - ٣ » .. وبالإخلاص يحيا العمل المقترن بالإيمان ، والإيمان إحساس داخلى لكل إصلاح اجتماعى خارجى [الا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهو القلب] . وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن غالباً . ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ . وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ . وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ . ﴾ « سورة المعارج - ١٩ - ٣٥ » .

هذه « صفات » المؤمنين التى جاءت فى كتاب رب العالمين ، لأن العبادات إن لم تصل بصاحبها إلى الاتصاف بمثل هذه الفضائل والشمائل كانت مردودة إليه ، لأنها غير مخلصة ، والإنسان الذى

←

الانتفاع بالوقت

يصاب بالهلع والفزع والقلق والجزع لم يرض بالقضاء ولم يصبر على البلاء وهو يعلم أن الزمن مشحون بالمكاره والضوائق ، والله بيده ملكوت كل شيء وهو الذى خلق فسوى والذى قدّر فهدى وهو واهب الحياة ، ومفيض النعم ، وهو على كل شيء قدير ، فلا ينبغى أن يكون المسلم أسيراً للشيطان ولا عبداً للهوى ، فمن أعزه الله لا يذل لأحد سواه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ .. ﴾ « سورة الأنعام ١٦٢ ـ ١٦٣ » .

والمؤمنون كتابهم القرآن الخالد الذى أنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وهو الدواء الشافى لجميع العلل التى تصيب جسم المجتمع الإنسانى فى كل زمان ومكان ، وهو المنهج للحياة الآمنة والله يقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ « سورة الإسراء ـ ٨٢ ـ » . ويقول جل جلاله : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ « سورة فاطر ـ ٢٩ ـ ٣٠ » . والإسلام قد انتشر بقوته الذاتية لأنه يعرض فضائله على الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتى هى أحسن .

و « الدعوة إلى الإسلام » تخاطب العقل والروح بالمنطق والوضوح وتجادل بالتي هي أحسن ، لأن ذلك الدين القيم كتابه خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن منهج الدعوة الإسلامية ، والقرآن يسوق الأدلة تلو الأدلة على وجود الله صانع هذا الكون الواسع الفسيح ومدبر أموره لتتلاقي آيات الله في الأكوان مع آيات الله في القرآن ولتشهد الأدلة والبينات وتتضح البراهين عند أولى الألباب السليمة والعقول القويمة على صدق الرسالات الإلهية ووحدانية الذات العلية ، والله يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا . وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ . [سورة الفرقان ـ ٤٥ ـ ٥٠] .

« الإسلام والعقل »

والإسلام لا يحجر على العقل والفكر ، بل جعل الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض من أولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، والإسلام يقول للعقل اسبح كما شئت ولكن احذر الغرق ، ذلك لأن الإسلام تقوم دعوته كما تقوم عقيدته على الاقتناع العقلي والنظر فى الكون والنظر في النفس بالتفكير العلمي .. ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة الذاريات ٢١] .

وقد اعتبر التقليد الأعمى تعطيلا للعقل وعمله لئلا تورث العقائد الباطلة عن الآباء والأجداد في تبعية عمياء من غير نظر عقلي ولا إدراك فقهي ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ . [سورة البقرة ـ ١٧٠ ـ] .

وقد اعتبرهم القرآن كالأنعام وحكم عليهم بأنهم أحط منها ، وأمثال هؤلاء الألى يعيشون بعقول غيرهم في باطلهم مصيرهم إلى النار

لتقليدهم آباءهم في كفرهم القديم ، والله يقول : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا . وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا . وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا . أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ . [سورة الأعراف ـ ١٧٩ ـ] .

ونحن نسوق هذا كله للذين يقلدون غيرهم فيما يضرهم ولا ينفعهم جريا وراء فكر وافد أو باطل راكد في صدور الجاحدين جاهلين حرية الرأى جاحدين قيمة العقل البشري فبدلوا نعمة الله كفراً ، وكأنهم لم يدركوا مسئولية السمع والبصر والفؤاد : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ . [سورة الإسراء ـ ٣٦ ـ] .

أما المسلمون الذين سلكوا بعقولهم مسالك البحث العلمي السليم فقد وصلوا إلى نتائج علمية هائلة من أمثال الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وغيرهما ممن تقدمت بهم الحضارة والمعارف القيمة التي وعاها التاريخ وحفظها الزمن ..

« الإحسان لا يضيع أجره »

لكل امرىء مقدرة معينة ، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وكل ميسر لما خلق له والصدق دائما هو الطريق إلى مرضاة الله ، وإلى النجاح في هذه الحياة ، وبالإحسان تسمو الحياة الإنسانية الآمنة لأن الإسلام دين الحياة والأحياء ، ودين السعادة والسيادة : دين يعلى الهمم ويسعد الأمم ، ونور الإسلام لا ينطفىء أبداً ، لأن الله يأبى إلا أن يتم نوره : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . [سورة الأحقاف ـ ١٣ ـ] .

والإحسان هو خلو العمل من كل رياء بحيث لا يظهر المرء خلاف ما يبطن ، والإحسان دليل على طهارة القلب وكمال الإيمان ، وذلك لأن الوجه الصحيح للعمل هو إتقانه ، فلا يؤدي بصورة باهتة لا تمتلك قلوب الناس ولا ترضي رب الناس ، وقاتل الله تلكم الآفات الاجتماعية الخطيرة التي تغير المعالم الكريمة في النفوس لتحلَّ محلها ما يعود إلى الهلع والجزع والطمع والرياء والالتواء والغدر والخديعة ، والمظاهر الفاجرة التي لا تصل ما أمر الله به أن يوصل ، وكم كنت أتمنى أن تشمل مناهج التربية كل تنقية وتزكية تطهر سلوك شبابنا من سموم الإهمال والتسيب الكريه والاستهتار البغيض ، وذلك بتوجيههم إلى إيقاظ الوازع الديني بتربية الضمير اليقظ المهيمن على النفوس ، وليت المجال يتسع لبث روح الهداية التي يريدها ربنا بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ . [سورة الإسراء ـ ٩ ـ] .

فماذا علينا لو أنصفنا أنفسنا باتباع منهج الله الذي جاء لتنظيم الحياة على لسان رسل الله ؟ ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ . [سورة الحديد ـ ٢٥ ـ] .

إن المجتمع الذي يريد الارتباط بالله تتأكد شخصيته المعنوية باتباع ما جاء من عند الله على يد رسولنا محمد ﷺ ، فلا عذر لجاهل به أو غافل عنه والله يقول : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . [سورة الأنعام ـ ١٥٣ ـ] .

إن إنساناً يوكل إليه عمل ويأخذ عليه أجراً ثم يستهتر بعمله ، يبيع الوقت ويسرقه ، لهو إنسان

الانتفاع بالوقت

يخون عمله ويضر نفسه بنفسه ويجرها إلى شر مهاوي الخيبة والضياع وهذا يدل على أنه ساهم في إفساد الحياة ، وهذا دليل على اقتراب الساعة ، لأنه لم يكن أهلا لعمل أسند إليه لأنه غير أمين عليه ، فلم يؤد الذي ائتمن أمانته ، فقد جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة ؟ فقال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، فقال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة .

« رواه البخاري »

ذلك لأن المسلم يحسن القيام بكل عمل يعهد به إليه وإن ضاع أجره أو قل عند الناس فلن يضيعَ عند من لا يضيع أجر المحسنين وهو رب العالمين الذي يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ . [سورة الكهف ـ ٣٠ ـ] .

ولقد أعان الله عباده بإرسال الرسل وإنزال الكتب لهداية البشر ليوجهوا وجوههم للذي فطر السموات والأرض يرجون رحمته ويخافون عذابه وطمعا في مرضاته التي هي غاية كل مسلم تقي ، والله يقول : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ . . . ﴾ . [سورة آل عمران ـ ١٩٥ ـ] .

ويقول جل جلاله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَه ﴾ . [سورة الزلزلة ـ ٧ ـ ٨ ـ] .

كل غائب قد يعود
إلا الوقت المفقود

« وخيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » . .

لقد عرف أقوام ـ لا يدينون بالإسلام في أمم كثيرة من أمم الأرض ـ قيمة الوقت فلم يضيعوه في لغو أو ثرثرة لأنهم يدركون أن الزمن ثروة في اليد تأتي بالذهب إن لم يَذْهَبْ سدى ولم يضعْ هباء منثورا في نوم طويل أو لهو عابث أو كسل كريه ، أو خمول بغيض يورث حسرة وغفلة وضياعاً ، ولكن المسلمين يقول لهم دينهم القيم : إن الأيام تطوى والأعمار تفنى . وتمر الأعوام تلو الأعوام . وتمضي الشهور والدهور والدقائق والثواني وكلها محسوبة من الأعمار وكل يوم يقول للإنسان : أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد .

ويقول له : إن عمرك فرصة وحيدة للعمل قبل انتهاء الأجل ، ونحن دائما مأمورون بالانتفاع بالوقت قبل فوات الأوان لكيلا تضيع السنين ولا نحس بمرورها ، ولكن السجل مدون فيه عمل كل عامل وهو « إضمامة » حياته كلها وفيه عمل كل ثانية ودقيقة ، لأن الله لم يخلقنا عبثا ولن يتركنا سدى ، ولكن الله خلقنا لنعبده وعبادته تكون في كل قول أو فعل يرضيه ، وقد أدرك أسلافنا الأولون قيمة الوقت فانتفعوا بأعمارهم وأخلصوا في أداء أعمالهم ، فكانوا إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ، ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات فبنوا حضارات ، وقدموا نماذج صالحة ومدنيات شامخة علمت الدنيا بناء المجد في المشارق والمغارب ، لأن الله قال لأمتهم المحمدية : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وهل يجهل مسلم على ظهر هذه الأرض أن الله هو القائم على كل نفس بما كسبت ، ويعلم ما تكسب كل نفس ، وهو خالق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ، ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ . فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!!

إذاً فماذا يُقالُ .. ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا

وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ وللعمر بداية ونهاية والمؤمن القوى يضع هذه النهاية أمام عينيه دائما فيجد ويكد ويكدح وينتج انتفاعا بالوقت لعلمه بأن الوقت وسيلة لصالح العمل لمن شاء أن يستقيم ..

أما أولئك الكسالى فسيحاسبهم ربهم على إهمالهم فى أعمالهم ، فقد لعب الكرى بمعاقد أجفانهم حينا من الدهر حتى نسوا الله وكانوا قوما بورا . وهؤلاء سوف يُسألون عن كل جزئية من أعمارهم وأعمالهم ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ . [سورة الأنبياء ـ ٤٧ ـ] .

وهذا الميزان دقيق جداً يزن الذرة والخردلة ..

« العمل والضمير »

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

إن كل إنسان يشعر فى أعماق نفسه بحاسة تأمر وتنهي ، تأمر بالخير وتنهي عن الشر فإذا استجاب لهواتف الخير شجعته هذه القوة على الاستمرار فى عمل الخيرات وبهذا تهدأ نفسه ويطمئن قلبه وينشرح صدره ، أما من تحدثه نفسه بالشر والضر وفعل الخبائث والنقائص ، فسوف تحدثه نفسه أيضا ـ إذا أقدم على فعله ـ بالمخاطر والمخاوف وجاءه الهلع والقلق من كل مكان وأحس بعدم الارتياح للعمل المنكر الكريه وأخذ يندم على ما اقترفت يداه من إثم ، ومن ثم يصحو ضميره ويشعر بهذه القوة الآمرة الناهية المحاسبة المعاتبة المؤنبة ، « وهذا هو الوازع الديني » . والنفس البشرية لابد لها من وازع أو رادع فالوازع يربيها ويرقيها ويهذبها ويؤدبها ويحاسبها ويعاتبها ، أما الرادع فيصدها عن غيها وبغيها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ . [سورة الأعراف ٢٠١] .

ولكن القوة الكامنة فى [الضمير] قد تمرض كما يمرض الجسم ، فيهيمن الهوى وتتمرد النفس الأمارة بالسوء فتشقى وتذل وتخزي باتباع الشيطان عدو الإنسان ولا علاج إلا بالعودة إلى الله فلا ملجأ منه إلا إليه ، وبذلك يستقيم الأمر ويستتب الأمن ، والله عفو غفور يقبل التوبة عن عباده ، ومما لا ريب فيه أن الاستقامة سر النجاح وسبب الفلاح ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ . ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

والقرآن يحذر من الانحراف لكيلا يتكالب الإنسان على شهوات الجسد الفانية ، لأن الدنيا كلها لا تساوى جناح بعوضة عند الله . ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ والرشيد من الناس من يدرك جلال الإسلام فيسير في الحياة على سنن واضح وصراط مستقيم فلا يضل ولا يذل ولا يزيغ ولكنه يمشى إلى مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة لأن قلبه ملء بحب الفضائل وبغض الرذائل ، فلم تمرض مداركه بالأنانية البغيضة والانتهازية الممقوته ، بل لقد تحمل من مكارم الأخلاق ما يعصمه من الهواجس والوساوس الضارة ليتجه إلى إخلاص العمل لله ، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ..

لقد قالوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه « إن فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال : أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ فقالوا كلنا يا رسول الله : قال كلكم خير منه » ومن الخير أن يكون المسلم عفيفاً نزيهاً طاهر السيرة ، نقي السريرة ، نظيف اليد والقلب واللسان ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . [سورة الأحزاب ٧٠ ـ ٧١] .

لأن التقوى تهدى الحائر وتؤلف النافر وتشرح الصدر وترفع القدر ...

عمر بن عبد العزيز وأولاده

منهجاً وتربية

الوالد المربى يجعل للحب الأبوى إطاراً يحفظه فى أروع حدوده فلا ينصرف إلى تدليل يفسد الأبناء ، ولا يجعل من عطفه وشفقته سبيلا إلى إهمال يتزلق بهم إلى ما لاتحمد عقباه ، فيكون الضرر أكثر من النفع ، وعندها لا ينفع الندم والتحسر .

إن العاقل هو الذى يضع المنهج التربوى الصحيح أمامه ، ويَعْبُر بأبنائه : بنين وبنات الطريق إلى كل نافع مفيد ، وعليه أن يتأسى بمن سبق فى هذا المجال ، فيظلل بيته الهدوء وتصفو الحياة فى ظل رضوان الله اتباعا لما جاء به الدين الحنيف .

وممن كان له منهج من ظلال رضوان الله ودينه خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - لم يصرفه عن ذلك صارف سواء أكان قبل توليه الخلافة أم بعدها ، وماكان عظم المهام وثقل المسئولية والخوف من الله لتصرفه عن رعاية أولاده : بنين وبنات وعن التعرف على أحوالهم ، فيقدم إليهم ما يقتضيه واجب العناية والتربية ، ولم يَدَعْ عبأهم مع كثرتهم على كاهل غيره ، ولو كان أقرب الناس إليه .

أشرف بنفسه عليهم ، وخصص لهم جزءا من وقته ؛ ليطلع على أعمالهم فيقوّم معوجهم ، ويوجه أساتذتهم فى تربيتهم ، فيضع بهذا منهجا إسلاميا يصلح لأبنائه ، وهو فى نفس الوقت قاعدة أساسية لتربية أبناء المسلمين . وإن فى رسالته إلى مولاه سهل ، وقد اختاره ليؤدب أولاده منهجا قويما ينشىء الأمة الصالحة التى تكون درعاً ووقاية للبلاد والإسلام والمسلمين .

منهج عمر بن عبد العزيز فى تربية أولاده :

يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - لسهل مولاه ومؤدب أولاده :

« أما بعد : فإنى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالىّ ، وذوى الخاصة بى ، فحدثهم بالجفاء ، فهو أمعن لإقدامهم ، واترك الصحبة ؛ فإن عادتها تكسب الغفلة ، وأقل الضحك ، فإن كثرته تميت القلب .

وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بَدْؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف ، واستماع الأغانى ، واللهج بها ينبت النفاق فى القلب ، كما ينبت العشب الماءُ .

ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه ، وهو حين يفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شىء مما ينتفع به .

وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن يتثبت فى قراءته ، فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافيا ، فرمى سبعة

لفضيلة الشيخ
إبراهيم محمد الجمل

ارشاق ، ثم انصرف إلى القائلة ، فإن ابن مسعود ـ رضى الله عنه كان يقول :

« يابنى قيلوا ؛ فإن الشياطين لا تقيل » .

رسالته فى التربية :

هذه الرسالة تضع أسس التربية الصحيحة فى كل زمان ومكان ، فهى تضع امامنا أول ما تضع اختيار المعلم ، واختيار المعلم يخضع لأسس ومقاييس ينبغى أن تراعى فليس كل إنسان صالحا لهذه المهمة ، وليس لنا أن نلقى بها على عاتق العامة من الناس ، وإنما نلقى بها على من كان منهم على خلق ودين وعلم حتى يتمكنوا من أن يصلوا بعلمهم وتأثيرهم إلى قلوب من يعلمونهم فيكونوا قدوة ونبراسا .

●●●

على المعلم والمربى والمؤدب أن يلتزم بالجد فى القول مع تلاميذه والدارسين عليه ، فلا يكون كلامه جزافا يقصد به التسلية ، وإنما يضع لكل كلمة معناها وما تؤدى إليه بعيدة عن الثرثرة واللغو من الحديث ، وليس للمعلم أن يتخذ من تلاميذه أصدقاء يودعهم أسراره ، ويشاركهم وقته وحياته ، فقد يكون ذلك أدعى إلى الاستهانة به ، وقد لا تعجبهم مواقفه ، فيؤدى ذلك إلى السخرية منه والاستهزاء به وعدم الاستجابة لما يطلب منهم .

وليس له أن يرويهم النكات والمواقف الهزلية ، وأن يكثروا من الضحك واللعب أحيانا ، لأن ذلك ادعى إلى صرف القلب عن الصالح والجاد من الأعمال ، وفى الحديث الشريف نهى عن كثرة الضحك لتأثيره على القلوب .

« لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب [1] » .

إن الانزلاق فى هاوية الملاهى ، والحرص على حضور المعازف والمغانى عظيمة الأثر السىء فى حياة الإنسان ، وإن الأضرار التى تلحق بالإنسان من جراء ذلك قد لا يوجد لها علاج شافٍ ، ولقد وجدنا أنه مامن شر يقدم عليه الشخص إلا كان من أثر ملازمة الملاهى ، والحرص على حضور المغانى والمعازف ، لذلك فقد كان أمير المؤمنين على حق واضح فى دعوته إلى البعد عن ذلك .

وإذا كانت التربية الروحية المستمدة من تعاليم الإسلام لها أكبر الأثر فى ميزان الحياة فإن القرآن الكريم هو الدعامة الكبرى لهذا الدين وله الأثر الفعال فى التوجيه والقيادة إلى سواء السبيل . لأنه يورث المسلم الخلق الفاضل ، والهداية إلى الطريق المستقيم .

المنهج التعليمى :

ثم يأتى بعد ذلك المنهج التعليمى الذى يرغب فيه الإنسان ، وفى مقدمته التدرب على الجهاد والقتال . والتمرين على ما يتخذ لأجله ، فعلى الطالب أن يمارس ذلك ، وإذا كانت الخيل هى السبيل فى الماضى ، فإن للحاضر أداته لإعداد العدة للدفاع عن النفس والوطن والدين .

ولم تنس رسالة أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز وقت الراحة اليومى للإنسان فجعلها وقت القيلولة ، فله أن يستريح ويقيل ، فهذا أدعى إلى راحة البدن والنفس والقلب ، ليعاود العمل المثمر والجد والاجتهاد .

←

(١) أخرجه الترمذى فى الزهد ، وابن ماجه عن أبى هريرة قال فى الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

عمر بن عبد العزيز وأولاده

وقد استدل على ذلك بما روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فإنه كان يقول :
« يابنى قيلوا فإن الشياطين لا تقيل » .

●●●

كان لعمر بن عبد العزيز من البنات : « أمينة » و« أم عمار » و« أم عبد الله » .
ومن البنين : « عبد الله » و« أبو بكر » و« إبراهيم » و« إسحاق » و« يعقوب » و« موسى » و« الوليد » و« عاصم » و« يزيد » و« عبد العزيز » و« عبد الملك » عاشوا معه فترتين من حياته .
الأولى : قبل أن يتولى الخلافة ، وقت كانت حياته حياة ترف ونعيم مقيم لم يره أموى من اراض وقصور غير ما ورثه من ضياع منتشرة فى كثير من الآفاق .
وكان عمر نفسه مرفها قبل الخلافة ، وبلغ من رفاهيته أن الناس كانوا ينتظرون يوم أن تؤخذ ملابسه إلى المغسل لتغسل ملابسهم بعد ملابسه ، حتى ينالها الكثير مما نزل منها من الطيب فى الماء .
الثانية :
وهى التى تبدل كل شىء فيها ، وكانت عقب الخلافة ، وتوليه أمر المسلمين ، فكان أول ما فعله بأهل بيته وأولاده ، أن نادى زوجته بنت الخليفة عبد الملك بن مروان ، ابنة عمه سليلة الملك والعز والجاه والسلطان والأصل والجمال ، وقال لها :
الآن تغيرت الأمور ، وسوف نعرض لشظف العيش وجفافه ، ولن نتملك منه إلا لقمة لقمة ، فإن رأيت أنك ستتعودين على ذلك فأهلا ومرحبا ، وإن رأيت أنك تنشدين العز والرفاهية والنعيم فأنت فى حل من أمرك .
لكنها ـ رضى الله عنها ـ فضلت أن تعيش مع عمر زاهدة عابدة مطيعة ، وعلى ذلك رضى أولاده من البنين والفتيات الذين نعموا بالعناية والتوجيه والتربية واستجابوا له ، ووقفوا بجانبه على سمع وطاعة .

●●●

كان رضى الله عنه يصلى العشاء ، ثم يدخل على بناته ، فيسلم عليهن ، دخل عليهن ذات ليلة فلما أحسسنه ، وضعن أيديهن على أفواههن ثم تبادرن الباب .
قال عمر للحاضنة : ما شأنهن ؟
قالت : إنه لم يكن عندهن شىء يتعشينه إلا عدس وبصل ، فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن .
فبكى عمر ، ثم قال لهن :
يابناتى ما ينفعكن أن تتعشين الألوان ، ويمر بأبيكن إلى النار ، فبكين حتى علت أصواتهن ، ثم انصرف .

●●●

مرت أمينة ابنة الخليفة عمر بن عبد العزيز يوما عليه ، وهو جالس ، فدعاها الخليفة :
يا أمينة .. يا أمينة ..
فلم تجبه ، فأمر إنسانا فجاء بها فقال :
ما منعك أن تجيبى ؟
قالت : إن ملابسى ليست حسنة !
فقال : يامزاحم ـ وزيره ـ انظر إلى تلك الفرش التى فتقناها ، فاقطع لها منها قميصاً .
فذهب إنسان إلى أم البنين عمتها فقال :
ابنة أخيك ليس عندها من الملابس ما تستحسنه ، وأنت عندك ما عندك ، فأرسلت إليها بتخت من ثياب وقالت :
لا تطلبى من عمر شيئاً .
ويروى أن ابنته أرسلت إليه بلؤلؤة وقالت له :
يا أبتى إن رأيت أن تبعث لى بأخت لها حتى أجعلها فى أذنى ؟
فأرسل لها جمرتين ، ثم قال لها :
إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها !
إن كثرة البنين من أولاده لم تقصر به عن

نصحهم وتدريبهم وتوجيههم إلى ما ينفعهم فى دنياهم وآخرتهم .

حكى ابنه عبد العزيز[٢] - أن أباه كان دائم الوصية له ولإخوته ومما كان يقول له :

« يابنى إذا سمعت كلمة من أمرىء مسلم فلا تحملها على شىء من الشر ما وجدت لها محملا على الخير » .

ومما روى أن ابنه عبد الله ذهب إليه ، وقال له : اكسنى ياأبت فقال له : اذهب إلى الخَيَّار بن رباح البصرى ، فإن لى عنده ثيابا ، فخذ منها ما بدا لك .

قال : فذهبت إلى الخيار بن رباح ، فقلت له : استكسيت أبى ، فأرسلنى إليك ، وقال : إن لى عند الخيار بن رباح ثيابا .

قال : صدق أمير المؤمنين ، فأخرج إليه ثيابا رخيصة ، رأى عبد الله ابن الخليفة أنها لا تناسبه ، فسأل الخيار : هل عندك غيرها له ؟

قال : ما عندى غيرها لأمير المؤمنين فخذ منها ما بدا لك .

لم يأخذ عبد الله منها شيئا ، ورجع إلى أبيه عمر ، فقال : يا أبتاه استكسيتك ، فأرسلتنى إلى الخيار بن رباح ، فأخرج لى ثيابا ليست من ثيابى ، ولا من ثياب قومى ، قال : فذاك ما لنا عند الرجل . فانصرف عبد الله حتى إذا كاد يخرج ناداه فقال له :

هل لك أن أسلفك من عطائك مائة درهم ؟

قال : نعم يا أبتاه .

فأسلفه مائة درهم ، فلما خرج عطاؤه حوسب بها . فأخذت منه . قال مسلمة بن الخليفة عبد الملك يذكر عطاء عمر لأولاده : « رحم الله عمر والله لقد هلك ، وما بلغ ابن له قط شرف العطاء » .

ويروى أن بعض أولاد عمر اتخذ خاتما ، واشترى له فصا بألف درهم ، فكتب إليه عمر :

اما بعد فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم فبعه . وأشبع الف جائع ، واتخذ خاتما من حديد صينى واكتب عليه « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .

كان عمر يكره أن يلى أحد أولاده ولاية أو منصبا ، مكتفيا بنفسه راغبا عن الحسابة لولده متأسيا بجده الخليفة الثانى عمر بن الخطاب حيث خوطب فى تولية ابنه عبد الله بن عمر ، فأبى وقال أعمر وابنه ؟!

روى أن عمر بن عبد العزيز قال لبنيه :

« أتحبون أن أولى كل رجل منكم جندا فينطلق تصلصل به جلاجل البريد ؟ فقال أحد أبنائه : لم تعرض علينا شيئا لست صانعه بنا .

فقال عمر رضى الله عنه :

إنى لأعلم أن بساطى هذا يصير إلى البلى ، وإنى لأكره أن تدنسوه بخفافكم فكيف أقلدكم دينى تدنسوه فى كل جند » !!

ثم مرض عمر بن عبد العزيز ، وكان آخر ماتكلم به عمر أن قيل له : لقد تركت أولادك صغاراً ، وهم كثير ، وليس لهم مال ، ولم تولهم إلى أحد .

قال رضى الله عنه :

ماكنت لأعطيهم شيئا ليس لهم ، وماكنت لآخذ منه حقا لهم ، أولى فيهم الذى يتولى الصالحين ، إنما هؤلاء أحد رجلين رجل أطاع الله ، ورجل ترك أمر الله وضيعه .

ورُوى أن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر فى مرض موته ، فقال : إنك أفقرت ولدك من هذا المال فتركتهم عيلة لا شىء لهم ، فلو أوصيت بهم إلىّ وإلى نظرائى من اهل بيتك .

فقال عمر رضى الله عنه : اسندونى ثم قال :

اما قولك إنى أفقرت أفواه ولدى من هذا المال ، فو الله إنى مامنعتهم حقا هو لهم ، ولم اعطهم ماليس لهم .

اما قولك : لوأوصيت بهم إلىّ أو إلى نظرائى من اهل بيتك ، فإن وصيتى فيهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

البقية ص ١٧٩

(٢) تولى عبد العزيز هذا إمارة مكة والمدينة على عهدى : يزيد بن عبد الملك ، ومروان بن محمد .

الربا فى عمليات البنوك

انتهينا فى المقالين السابقين إلى أن النشاط الأساسى للبنوك هو التعامل فى الأموال ، عن طريق القيام بدور الوسيط بين من يمتلكون فائض أموال فيودعونها لدى هذه البنوك ، وبين المقترضين ، وأن عمليات الإيداع والإقراض تتم جميعها مقابل « فائدة » ، يكون « الزمن » عنصرها الرئيسى ، فهى عين « ربا النسيئة » الذى استقر حكم تحريمه منذ نزلت الآيات الدالة على ذلك . وقد أوضحنا الآثار الربوية المدمرة التى تنتج عن أسلوب عمل البنوك باستخدام « سعر الفائدة » .. فهدف البنك التجارى هدف غير مشروع منذ البداية .

واود أن أوضح هنا أن حرمة عمليات البنوك ، وآثارها الربوية تدور وجودا وعدما حول الإقراض « بفائدة » ؛ أى حول التعامل فى المال لزيادته دون أن تكون هناك « عملية إنتاجية » أو « خدمة مشروعة » يستفيد منها أطراف التعامل أو المجتمع ، وهذا هو المعيار الدقيق للتفرقة بين « الربا » وبين « البيع » .. ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وبتطبيق هذا المعيار على أهم عمليات البنوك ـ خلاف عملية الإقراض « بفائدة » والسابق معالجتها ، وبيان حرمتها ـ من خلال العرض لهذه العمليات يمكننا التوصل إلى النتائج التالية .

١ ـ الحسابات الجارية :

وهى المبالغ التى يودعها العميل « بالبنك » ويكون له حق سحبها كلها أو بعضها عن طريق « الشيك » أو « أمر الصرف » ، « بمجرد الطلب » ، فى أى وقت يشاء ، أو بعد مرور مدة زمنية من الإيداع يتفق عليها ، أو بعد أن يخطر العميل البنك بأنه مقدم على السحب .

وقد يكون « الحساب الجارى » « دائنا » ، وفى هذه الحالة يتقاضى المودع « فائدة » إذا كانت وديعته « مشروطة » بأن ينتظر وقتا معينا أو بإخطار البنك قبل سحبها ، ولا يحصل المودع على « فائدة » إذا كانت وديعته « تحت الطلب » ، مهما طالت مدة الإيداع ، مالم يتفق بين الطرفين على غير ذلك فى حال المبالغ الكبيرة التى يأمن البنك عدم سحبها دفعة واحدة .. لكن البنك يحصل على « فائدة » من صاحب الحساب الجارى إذا ما أصبح حسابه « مدينا » ، ويكون سعر « الفائدة » الأخيرة هو سعر فائدة « القروض » بينما يكون سعر « الفائدة » فى الحالة الأولى هو سعر فائدة « الإيداع » .

وبطبيعة الحال فإن البنك يستخدم الأموال التى فى حوزته فى عمليات « الائتمان بالطريقة وبالشروط التى أوضحناها فى المقال السابق .

وتعتبر عمليات « الإدخار » المختلفة من صور الحسابات الجارية « المشروطة » فمن ذلك : « دفاتر التوفير » بأية عملة كانت مقابل الحصول على فائدة فقط ، أو فائدة وإيراد شهرى ، أو فائدة وجوائز ..

ومنها « الإيداع مقابل شهادات تعطى حاملها حق الحصول على دخل شهرى ثابت ، إذ يحتسب هذا الإيراد الشهرى الثابت على أساس سعر الفائدة « الربوية » السائد .

بقلم لواء أ.ح
فوزى محمد طايل

ومن أشهر عمليات « الإدخار » الحديثة « شهادات الاستثمار ». فإن ربوية شهادات المجموعتين « أ » و « ب » واضحة لوجود سعر « الفائدة » فى كل منهما .

الفائدة فى كل منهما :

خلاصة هذا : أن « الحسابات الجارية » ، وهى تمثل حوالى ٧٠٪ من عمليات البنك تدار بالاعتماد على « سعر الفائدة » ، فهى « ربا » يستوى فى ذلك « دفاتر التوفير » أيا كان وصفها ، و« شهادات الادخار » ذات « الإيراد الثابت » ، و« شهادات الاستثمار » بمجموعاتها . فكل الأموال المودعة دون استثناء تستخدم عند الإقراض « بفائدة ربوية » ، ومعظم هذه الأصناف تحصل على « فائدة ربوية » ، أو على دخل ، أو جائزة ، دون وجه حق ، فهى ضرب من أكل أموال الناس بالباطل .. حتى من لا يحصل على شىء من تلك الجوائز فإنه قد وظف أمواله فى العملية « الربوية » يقول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى .. » .

٢ ـ خصم الأوراق التجارية :

تقوم البنوك بالتعامل فى الأوراق التجارية : « الكمبيالات ـ السندات الإذنية » التى يقدمها العملاء بإحدى الصور التالية :

١ ـ تحصيل الأوراق التجارية لحساب العملاء مقابل « عمولة » ، أى أجر عن العمل أى « الخدمة » التى يقوم بها البنك ، وهذا عمل مشروع بحسب أصله شريطة الا يستخدم البنك حصيلة هذه الأوراق فى « عملية ائتمان » لحين استلام صاحب الأوراق التجارية لقيمة أوراقه نقدا ، وهذا الاستخدام هو ما تقوم به البنوك عملا ، ومفاده أن البنوك التجارية يمكنها أن تقرض أى مبالغ تصلها ، ولو لبضعة أيام وأحيانا لبضع ساعات ـ المبالغ الضخمة ـ مقابل « فائدة » ، فتتحول عملية تحصيل الأوراق التجارية من عملية مشروعة إلى « ربا محرم » من هذا الباب .

ب ـ إيداع الأوراق التجارية كضمان للسُّلف ، وهذا الضمان فى حد ذاته عمل مشروع ، لأنه من قبيل « الرهان المقبوضة » فى الديون « الآية ٢٨٣ / سورة البقرة » ، إلا أن القرض الذى يمنحه البنك التجارى ليس قرضا حسنا ، لكنه دين أفضى إلى ربا النسيئة ، كما ذكرنا من قبل فكانت « هذه العملية محرمة » من هذه الناحية .

جـ ـ خصم الأوراق التجارية : ويعد هذا العمل من أهم أعمال « البنوك » إذ يقوم العميل بالتنازل عن الورقة التجارية ـ التى لم يحل موعد تحصيلها بعد ـ للبنك ، فيحصل العميل على « قيمتها الأسمية » المدونة فيها ، ناقصا ما يسمى « بالاجيو » وهو عبارة عن : « عمولة البنك » ومصاريف التحصيل ، و« الفوائد الربوية » التى تحسب على أساس « المدة الزمنية » المتبقية من تاريخ تسليم الورقة للبنك حتى تاريخ استحقاقها المدون فيها .. وعلى هذا

الربا في عمليات البنوك

فعملية خصم الأوراق التجارية هى « عملية ربوية » لاشك فيها ، إذ هى لا تعدو إقراضا بفائدة مع تسليم الورقة التجارية كرهان يتولى البنك الحصول على قيمته فى وقت لاحق .

وحتى يضمن البنك التجارى زيادة ربحه « الربوى » ، فإنه يقوم بإعادة خصم نفس الأوراق لدى البنك المركزى بفائدة أقل « ١ ـ ٢٪ » من الفائدة التى خصم بها الأوراق من العملاء فيحصل على « ربا » إضافى مقداره الفرق بين سعرى « فائدة الخصم » .. ثم يقوم بإقراض ما حصل عليه من أموال سائلة بفائدة ربوية وهكذا وعلى هذا فإن الأهداف الربوية للبنك تغلب على هذا النوع من أنواع التعامل ، والذى يشكل نسبة عالية من عمليات البنك ، بعد عمليات الحساب الجارى ، فتحيله إلى تعامل محرم .

٣ ـ تحويلات البنوك :

من الخدمات التى تقدمها البنوك التجارية لعملائها قيامها بتحويل مبالغ من حسابات العملاء ، بناء على أوامر تحويل منهم ، إلى بنوك أخرى فى داخل البلاد أو خارجها ، بأية عملة كانت ، مقابل حصول البنك على « عمولة » تراعى فيها قيمة المبالغ المحولة و« المكان » المحول إليه .. وهذه عملية مشروعة بحسب الأصل ، فلا شبهة « فائدة ربوية » فيها ، شريطة ألا يقوم أى من البنك المحول أو المحول إليه باستغلال الأموال المحولة بإقراضها « بفائدة ربوية » خلال المدة الزمنية الواقعة بين تاريخ التحويل وتاريخ استلام المبلغ بالأسلوب السابق توضيحه فى بند « ٢ ـ أ » .

ومن صور التحويلات المشروعة قيام البنك بتحويل مبالغ العملاء من عملة إلى أخرى لقاء « عمولة » يستحقها البنك نظير ما قام به من عمل ، شريطة أن تتم هذه العملية مع مراعاة السعر السائد فى السوق للعملات المختلفة ، وأن تتم هذه العملية فورا ، « يداً بيد » فلا يكون « الزمن » عنصرا فيها ، وذلك للحديثين اللذين رواهما أبو داود فى سننه :

أ ـ عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدينار بالدنيار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما : من كانت له حاجة بورق[1] فليصرفها بذهب ، وإن كانت له حاجة بذهب فليصرفها بورق هاء وهاء .. أى يداً بيد .

ب ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت أبيع الأبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم ، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير ، آخذ هذه من هذه وأعطى هذه من هذه ، فأتيت النبى ﷺ فى بيت حفصة فقلت : يارسول الله رويدك أسألك : إنى ابيع الإبل بالبقيع فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير ، آخذ هذه من هذه ، وأعطى هذه من هذه . فقال رسول الله ﷺ : « لا بأس أن تأخذها بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شىء » .

فَحِلُ هذه الصورة من صور التعامل مشروط بشرطين : الأول التسليم الفورى ، والثانى مراعاة السعر السائد فى السوق ، حتى لا يغبن

(١) الورق بكسر الراء ، هى العملة المضروبة من الفضة ، أى « الدراهم » ، أما الدنانير فهى العملة المضروبة من الذهب .

أى من طرفى التعامل .. والبنك كوسيط وهو يقوم بتسهيل التعامل بين الطرفين دون مراعاة مصلحة أى منهما على حساب الآخر يكون قد قام بخدمة يستحق الأجر عنها .

ويدخل فى عموم مفهوم التحويلات قيام « البنك » بصرف « الشيكات » ، أو « كوبونات » الأسهم ، نيابة عن عملائه مقابل « عمولة » .. وهذا أمر لا غبار عليه بشرط الا يستخدم البنك هذه المبالغ فى عملية إقراض « ربوية » بالأسلوب السابق شرحه .

٤ ـ فتح الاعتمادات المستندية :

فى التجارة الدولية ، بل والداخلية ـ فيما يتعلق « بالبنوك » يوجد « نظام فتح الاعتمادات المستندية » ، وهو عبارة عن تعهد كتابى يصدره البنك الذى يتعامل معه المستورد ، يتعهد فيه بسداد قيمة الاعتماد المستندى للبائع عند وصول « مستندات الشحن » مستوفاة الشروط الواردة بالاعتماد .

وبطبيعة الحال يكون لدى البنك فاتح الاعتماد مبالغ مالية سبق أن أودعها المشترى لتغطية قيمة الاعتماد ، كما يتقاضى البنك « عمولة » نظير إصداره لهذا الاعتماد .

وهذا التعامل لا غبار عليه فى الأصل لكن أسلوب البنوك التجارية قد قرن بين هذا التعامل وبين أعمال أخرى غير مشروعة كما يلى :

أ ـ يقوم البنك التجارى بإدخال المبالغ المحجوزة ، مقابل فتح الاعتماد المستندى ضمن الأموال التى يقرضها بالفوائد الربوية لحين دفعها لمستحقها .

ب ـ تقتضى عملية التبادل التجارى باستخدام الاعتماد المستندى ، أن يقوم البائع بالتأمين على البضاعة ، وأن يرسل ضمن « مستندات الشحن » سالفة الذكر « بوليصة التأمين » .

ومن الأمور التى استقرت فى الفقه الإسلامى حديثا أن التأمين التجارى « لايحقق الصيغة الشرعية للتعاون والتضامن » لأنه لا تتوافر فيه الشروط الشرعية التى تقتضى حله » ، ولأنه « ليس خاليا من الربا والغرر »[٢] .

وبذا تتحول عملية فتح الاعتماد المستندى « المشروعة بحسب الأصل » ، والتى لا تعنى سوى ضمان وفاء طرفى التعامل التجارى بالتزاماتهما كل تجاه الآخر فى وقت واحد ، تتحول إلى عملية مشوبة بالربا .

٥ ـ إصدار خطابات الضمان :

تقتضى المعاملات التجارية وأعمال الإنشاءات ، التى تكون الجهات الحكومية طرفا فيها ، أن يقدم الطرف الآخر ما يعرف « بخطاب ضمان » ، وهو مستند يتعهد بمقتضاه « البنك » بضمان قيام عميله بسداد أى مبالغ قد تطلب منه ـ فى حدود المدون بخطاب الضمان ـ بمناسبة تعامله مع الجهة الحكومية المذكورة .

وحكم هذا النوع من المعاملات « البنكية » هو نفس حكم فتح الاعتماد المستندى فهو مشروع شريطة الا يستخدم البنك المبلغ المحجوز مقابل خطاب الضمان فى عمليات إقراض « بفائدة ربوية » ، وهو شرط يصعب تصور مراعاته من جانب البنك التجارى .

هل حقيقة تساهم البنوك التجارية فى الاستثمار والتنمية ؟

ـ يحاول البعض إيهام المسلمين بأن البنوك إنما هى الصيغة الحديثة لتجميع المدخرات

(٢) هذا هو نص عبارات توصيات المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى الذى انعقد بمكة فى المدة بين ٢١ ـ ٢٦ صفر عام ١٣٩٦ هـ ، فبراير ١٩٧٦ م » .

← الربا في عمليات البنوك

وتوجيهها إلى أوجه الاستثمار فتتحقق بذلك مصلحة المجتمع ، لذا فعلى المسلمين أن يتغاضوا عن مسألة ربوية « الفوائد البنكية » رعاية للمصلحة !!

ذلك قولهم بأفواههم .

وللرد على ذلك نحيل أنفسنا على الميزانية المجمعة للبنوك التجارية في جمهورية مصر العربية التي يصدرها « البنك المركزي » سنويا والتي تنشر عادة في المجلة الاقتصادية فنجدها تحوى الحقائق التالية :

أ ـ نسبة رأس المال المدفوع والاحتياطي والأرباح غير الموزعة حوالي ٩ ـ ١٠٪ فقط من إجمالي خصوم البنك ؛ أي أن البنوك التجارية لا تتعامل في أموال تمتلكها ، ولكنها تمارس العملية الربوية بأموال المودعين التي تبلغ ٦٥ ـ ٧٠٪ ، وهي بذلك لا تستطيع استخدام هذه الأموال في الاستثمار أو التنمية ، وإنما تستخدمها في عمليات الإقراض المتراكمة والمتتالية التي تؤدي إلى « خلق الائتمان » وبالتالي إلى أكل الربا أضعافا مضاعفة .

ب ـ تبلغ نسبة الاستثمارات أو مايسمى « بحافظة الأوراق المالية » ٣,٥ ـ ٤٪ على أقصى تقدير من جملة الأصول .. وهذه الحافظة نفسها تشمل « أسهما » تصدرها الشركات إلى نوع من النشاط ذي ربح كبير من الأنشطة التي تمارسها ، كما تشمل « سندات » وهذه الأخيرة ليست سوى « قروض ربوية » ، إذ تقوم بعض المؤسسات الاقتصادية بإصدار صكوك ذات قيم مختلفة ولمدد متباينة ، مع تحديد « فائدة ثابتة » يراعى فيها « عنصر الزمن » ، مع ضمان قيمة هذه الصكوك والفائدة المحددة عليها .. فإن كانت هذه هي « السندات » فهي عين الربا ! هذه الاستثمارات برغم ضآلتها ليست إلا وسيلة يستخدمها البنك في الحصول على السيولة إذ يتعامل في هذه الأوراق بالشراء والبيع لا لإقامة المشروعات فأين إذن الاستثمار الذي تقوم به البنوك ؟ ولا يغيب عنا :

أن البنوك التجارية « الأجنبية » و« المشتركة » لا تستهدف سوى المعاملات الربوية . وتحقيق أكبر ربح ينتقل إلى بيوت المال الأجنبية التي يسيطر اليهود على معظمها ، هذا فضلا عن أنها تسهم في زيادة تبعية الاقتصاد في الدول الإسلامية للدول الغربية ، وتزيد من تحكم الأخيرة في مقدرات المسلمين .. وتجعل الاقتصاد متصفاً بالسيولة معرضا للتقلبات .

(هل مازال لدى دعاة حل « الفوائد الربوية » وعمليات البنوك التجارية حجة ؟)

إن عمليات البنوك التجارية التي تود حِلَّ الربا لتهدم أهم قيم المجتمع المسلم ، وأعني بأهم القيم « تحريم الربا » فما الربا ، إلا إحدى الموبقات السبع التي توعد الله ـ سبحانه ـ فاعلها بأشد العقاب ، بل جعل التخلص من الربا دلالة إيمان فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

فماذا يعني الإبقاء على الربا ـ إذا في مفهوم هذا القول الكريم لرب العالمين ؟!

إن على المجتمعات الإسلامية أن تطهر معاملاتها الاقتصادية من الربا فإنه مفسدة ممحقة ، وعليها أن تستبعد من كل معاملاتها ـ التعامل بالفائدة بكل صورها فهي عين ربا النسيئة .

وإنما ينبغي أن توجه أموال المسلمين المودعة لدى البنوك إلى « الاستثمار المباشر » في المشروعات الإنتاجية المشروعة ، أو المشاركة فيها ، وما نطالب به إنما هو جوهر التعامل الاقتصادي في الإسلام .

والله غني عن عباده .

حصاد الدعوة الإسلامية

في جنوب أفريقيــة

للدكتور عبد الله نجيب محمد

تحظى القارة الافريقية منذ اوائل النصف الثانى من القرن الحالى بالأولوية فى مخططات الهيئات التبشيرية العالمية وعلى راسها مجلس الكنائس العالمى ، فافريقية من وجهة نظرهم هى قلب العالم ، كما انها الظهر الذى يستند إليه العالم العربى الذى هو مركز القلب من العالم الإسلامى ، ولو امكنهم مواجهة الحزام الإسلامى العريض الممتد فى الشمال من مصر شرقا إلى السنغال غربا ، بحزام آخر نصرانى إلى الجنوب منه ، فإنهم بذلك يحصرون المسلمين بين حزامين احدهما أوروبى فى الشمال والآخر افريقى فى الجنوب .

ولا ينسى المسلمون – بل يجب أن لاينسوا – محاولات الصليبيين فى العصور الوسطى الاستعانة بمملكة الحبشة المسيحية للضغط على المسلمين من الخلف ، بينما هم يهاجمونهم من الشمال ، ومحاولاتهم ايضا لاكتساب المغول (التتار) وإدخالهم فى النصرانية لحصار المسلمين من الشرق بالمغول ومن الغرب بأوروبا ، ولكن خاب سعيهم بدخول المغول فى الإسلام ، ووقوف ملوكهم مدافعين عن الإسلام ، وناشرين لعقيدته فى أصقاع بعيدة فى شرق آسيا ، وأوروبا نفسها .

يعاود الأوروبيون المحاولة من جديد ، ويبذلون جهوداً مضنية لتحقيق هذه الغاية التى فشلوا فى تحقيقها فى العصور الوسطى ، وهو يعملون ليل نهار وبكل الوسائل فى غفلة من المسلمين بما يدبر لهم فى الخفاء .

وقد نجح الغرب فى تكوين مراكز نصرانية قوية فى غرب أفريقية ووسطها وجنوبها وخاصة حول البحيرات العظمى ، ومنابع النيل ، وعلى امتداد الساحل إلى « كيب تاون » . وهم يرغبون فى تحويل وسط وجنوب أفريقية كله إلى النصرانية وإقصاء الإسلام نهائيا من هذه المنطقة .

والإسلام لا يقف جامداً مكتوف اليدين ، بل ينتشر بقوته الذاتية وبجهود قلة من أبنائه المخلصين فى القارة ويتم ذلك دون تخطيط ودون تنسيق من الهيئات المعنية بالدعوة الإسلامية فى بلاد الإسلام ، ودون معرفة كافية بحجم المشكلة التى يواجهونها ، وما يجب عليهم من التسلح بأسلحة جديدة أساسها : علم دقيق بأحوال الشعوب الافريقية ونظمها وثقافتها وتقاليدها ولغاتها (وهو ما يحققه علم الأنثروبولوجيا)

حصاد الدعوة الإسلامية

ويتواجه الإسلام والنصرانية الآن على أرض القارة ، خاصة فى الجزء الأوسط والجنوبى منها ، ويحاول كل منهما اكتساب بقايا الوثنيين فى هذا الجزء الهام من القارة.

وللنصرانية الآن مستقرات قوية فى « أنجولا » « والجابون » « وزامبيا » « وموزمبيق » « وزيمبابوى » « وجنوب أفريقية » .

أما الإسلام فله أيضا بعض المستقرات وإن كانت قليلة وضعيفة ، إلا أن هناك عناصر أساسية تعمل لصالح الإسلام ، وعلى رأسها قوته الذاتية وإنسانيته وعالميته وبعده عن التمييز العنصرى فى حين يشعر الأفريقيون فى هذه المناطق بارتباط النصرانية بالاستعمار والعنصرية ، ويتذكر الأفريقيون دائماً ولا ينسون بل لا يمكنهم النسيان ـ أن الغرب قد استخدم المبشرين لا لمصلحة النصرانية ، وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية.

ويدعى الاوروبيون أن جنوب افريقية كانت خلوا من السكان قبل مجيئهم ، والحقيقة أن جماعات من الخوسيين « البوشمن والهوتنتوت » كانت تسكن البلاد منذ ازمان سحيقة ، ثم وفدت عليهم جماعات أخرى من شعب البانتو الزنجى ، ومنهم « السوثو » و « النجونى » والأخيرون كانوا يقطنون الأراضى الساحلية شبه الاستوائية فى « ناتال » الحديثة ، ثم عبروا جبال « دراكنز برج » من الترنسفال ، وافترقوا مجموعات اربع ، فأقام « السوازى » فى الشمال الشرقى ، واستوطن « الزولو » و « البوندو » و « الاكسوسا » على امتداد الساحل فى اتجاه رأس الرجاء ، ووصلوا إلى نهر « كى Kei » سنة ١٧٠٠ وبقى « السوثو » فى الداخل بين جبال « دراكنزبرج » وصحراء « كلهارى » ووصل الفرع الجنوبى منهم خلال القرن السابع عشر إلى ولاية « أورنج » الحديثة ، وظل « السوثو » الشماليون فى « الترنسفال » .

وبحلول القرن السابع عشر أخرج الخوسيين إلى صحراء « كلهارى » .

وفى بداية عهد الاستعمار ، لم يجد البرتغاليون ولا الهولنديون إغراء فى هذه البلاد ، ولم يستعمروا غير قليل من الجزر مثل « سانت هيلانة » مقر شركة الهند الغربية الهولندية ، ثم انشأ « جان فان ريبيك Jan Van Ricbeeck » مدينة الرأس ، ولم تكن سوى مركزاً امامياً ومحطة لمشروعات الغرب التجارية ، ولهذا نادراً ما توافر رجال الدين والمعلمون ، واختلطت اللهجات الهولندية بلغات السكان الأصليين ولغات البحارة ولغات المسلمين المقيمين من الملاويين وسرعان ما ظهرت لهجة خاصة بمدينة الرأس عرفت باسم « تال Taal » ومذهب دينى نصرانى قائم على فكر«كلفن » والجدل الأرمنى ، ثم قرر المجمع الكنسى المنعقد فى « دوردت Dordit » عام ١٦١٩ ان هذا الشعب « البوير » هو الشعب المختار واستقر فى اذهانهم أنهم أرقى من غيرهم : افريقيين ومسلمين .

وفى عام ١٦٨٥ الغى « لويس الرابع عشر » ملك فرنسا مرسوم « نانت » الذى كان يحمى البروتستانت فتعرض « الهيجونوت » (على مذهب كلفن) للاضطهاد ، فهاجر الوف منهم إلى « الرأس » فرحب بهم « البوير » .

وسرعان ما اصطدم هؤلاء الاوروبيون بشعب « البانتو » الزنجى (اطلقوا عليه اسم Kaffir ـ أى كفار) سنة ١٧٧٥ عند نهر « فش » ودارت رحى حرب واسعة النطاق استمرت قرنا من الزمان ذاق خلالها الاوروبيون مرارة وقوة سهام « البانتو » على يد زعيمهم المشهود « شاكا » الملقب بنابليون الأسود .

وعندما قامت الثورة الفرنسية سبقت انجلترا

فرنسا (التى احتلت هولندا) إلى الراس واحتلتها ، وبدات نشاطاً تبشيريا واسع النطاق بين غير البيض ، كما بدات الخلافات العميقة بين المذاهب النصرانية المختلفة ، واستمرت الحروب والخلافات فترة طويلة من الزمان ، وفرضت بريطانيا رجال الدين الاسكتلنديين على كنائس (البوير) ، وكذلك فرضت على الكنائس اللغة الانجليزية فى الصلوات والمجامع المقدسة والمدارس والمحاكم ، فسحب الكثيرون من البوير أطفالهم من المدارس ، وابتعدوا عن الكنائس ، وظلوا يستخدمون قانونهم الهولندى الرومانى فى المنازعات المدنية ، ولكن القانون الجنائى والتجارى أصبح انجليزيا ، واضطر كثير من (البوير) إلى الهجرة فيما يسمى بالهجرة الكبرى ، وتكونت عدة جمهوريات مستقلة فى « الترنسفال » .

وفى ميدان الدين استمر تعارض الآراء بين مختلف الجماعات البيضاء ، ففى عام ١٨٤٣ - اى بعد الهجرة الكبرى - بوقت قصير تخلى البريطانيون عن الإشراف على الكنيسه المصلحة الهولندية مما جعل كنيسة « الراس » مجمعاً مستقلاً يتمتع بالحكم الذاتى ، وبدأ العداء لرجال الدين الاسكتلنديين وأفكارهم . واعدت برامج للإرساليات .

وفى عام ١٨٦٠ تم توحيد دول الترنسفال الأربع لتكوين جمهورية جنوب افريقية ، وظلت البلاد فى حالة من العزلة والاضطراب والمنازعات الدينية الشديدة ، وسيطرت الخلافات على حياة الترنسفاليين السياسية والاجتماعية واستبد الجدل حول مسائل من قبيل « الوهية المسيح » و « شخصية الشيطان » ... الخ .

وفى عام ١٨٤٣ انقسمت الكنيسة المصلحة الهولندية إلى ثلاثة مجامع لكل منها إستقلاله ، وهى مجامع : « الترنسفال » و « بلاد نهر أورنج » و « الراس » واطلق على المجامع الثلاثة اسم Nederlands Gerefoormeerde kerk (NGK) .

ثم انشق الكثيرون ممن يشتركون فى العشاء الربانى عن المجامع الثلاثة فى عام ١٨٥٣ وكونوا مايعرف باسم Nederlands Hevoormde Kerk (N H K) . ويعارضون التأثير الاسكتلندى واستخدام اللغة الانجليزية والميول الإنجيلية او المنهجية ، واستخدموا اللغة الهولندية كلغة رسمية للكنيسة ، واصبح هذا المجمع المقدس هو دين الدولة فى الترنسفال .

وظل موقف المجمع الأخير (النهيك) من التفرقة العنصرية ثابتاً ، وكون افراده جماعة (كلفنية) [1] ثالثة فى عام ١٨٥٩ بقصد تأكيد التمييز العنصرى وتفسير القدر تفسيراً جامداً ، وتفسير الإنجيل تفسيراً حرفياً ، وعارضوا استخدام الموسيقى فى الكنيسة ، كما رفضوا استخدام رجال الدين الاسكتلنديين فى كنائسهم ، ورفضوا ايضا بعثات التبشير واللغة الانجليزية وعارضوا فكرة أن للبانتو الزنوج أرواحا بشرية،بل وذهبوا إلى أن « البوير » هم وحدهم شعب المسيح المختار . وان الزنوج الذين هم من نسل « حام » لا يصلحون إلا لحمل الماء وصقل الخشب ؛ وجعل « النهيك » من كنائسهم مراكز لاهوتية فريدة ، واعتقدوا انهم وحدهم هم الذين أُنقذوا من « الخطيئة الأولى » وهاجموا التسامح الاجتماعى والمساواة بين الأجناس فى كافة النواحى السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية .

هذا الوضع الشائن قد جعل التبشير بين الأفريقيين فى موقف بالغ الحرج والصعوبة حتى لقد قال أحد كبار القسس (من مدينة بانتون) فى اجتماع سرى فى « جوهانسبرج » : « يزداد الأمر صعوبة يوماً بعد يوم فى ان اقنع الناس بالتزام عقيدتهم النصرانية التى هى دين حكومة

←

حصاد الدعوة الإسلامية

« البوير » الذين يعاملونهم على انهم ليسوا بشراً » .

هناك بالفعل عوامل كثيرة وعميقة تشكل ثورة ضد التبشير بالدين النصراني ، وهى تعمل فى ذات الوقت لمصلحة الإسلام ، وقد استجاب بالفعل عدد من البيض لدعوة الإسلام ، ودخلوا فى دين الله ، واصبحت لبعضهم مدارس ومساجد فى بلادهم ، وتأسست أول جمعية إسلامية لهم سنة ١٩٧٦ فى « جوهانسبرج » تحت اسم « الدواء Da,wah » وهم حريصون على تعلم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم والصلاة والعلم بمبادىء الإسلام وتعاليمه .

ويقدر عدد المسلمين فى جنوب أفريقية الآن بأكثر من نصف مليون نسمة .

وأول من هاجر إلى تلك البلاد من المسلمين اقوام من جزر الملايو واندونيسيا حوالى سنة ١٨٨٥ م .

ووصل إلى « ناتال » ايضاً عدد آخر وقد استقر اكثرهم فى تلك البلاد ، وخاصة حول مدينة « دربان » الجميلة .

وتلاهم عدد آخر من المسلمين القادمين من « زنجبار » ، وأقاموا ايضاً حول « دربان » .

ومن مشاهير علماء المسلمين فى جنوب أفريقية الشيخ « ابو بكر النجار » مؤلف كتاب « انا مسلم » Iam a Muslim ويقع فى جزءين وكتب اخرى ، وهو إمام مسجد « زيناتول Zinatul فى شارع « موير Muir » فى مدينة « الكاب » ، وهو ايضاً رئيس الرابطة الإسلامية بالكاب .

ومنهم ايضاً « البروفيسير سليمان الندوى » (الحاصل على الدكتوراه من شيكاغو) وهو رئيس قسم الدراسات الإسلامية فى جامعة « دربان » ، وله عدد كبير من المؤلفات ، ودور فعال فى نشر رسالة الإسلام .

ومنهم الدكتور « J.A.Naude » الذى درس فى جامعة Tubingen بالمانيا » ، وهو الذى قعّد قواعد اللغة « الأفريكانية » ، وكتب لها كتاباً بالعربية ، وكذلك « مولانا عبد الحميد إسحق الذى درس فى جامعة Deoband بالهند » ، وهم يهتمون فى هذا المركز بتدريس اللغة « الأردوية » و « السواحيلية » إلى جانب اللغة العربية

ومن أقدم المؤسسات الإسلامية الإسلامية أيضاً « المعهد الشرقي الإسلامي » فى « دربان » و « رابطة العالم الإسلامي » و « حركة الشباب المسلم Mym » والأخيرة تأسست عام ١٩٧٠ ، ولها الآن ٢٥ فرعاً فى جنوب أفريقية ، ولها علاقات وثيقة بمراكز شبابية أخرى فى البلاد المجاورة خاصة « موريشيوس » و « سوازيلاند » ، و « بتشوانا » ، و « جنوب غرب افريقيا (ناميبيا) » .

وشعارها : « كل المسلمين اخوة » وسياستها : « الصداقة مع الجميع دون تفريط فى المبادىء »

ومن مشروعاتها المحلية : « مؤسسة الزكاة » و « معهد السلام » ، و « معسكر الشباب » . و « مكتبة إسلامية » ، و « مؤسسة علاجية » .

يشهد كل هذا بنهضة إسلامية وليدة فى اقصى جنوب القارة ، يوشك أن يكون لها دور فعال فى حياة البلاد

ومن وجهة نظري كدارس فى الشئون الأفريقية ، أرى أن نجاح الدعوة الإسلامية فى هذه البلاد يتوقف على جهود أهلها ، ولذلك يجب أن تركز هيئات الدعوة الإسلامية فى العالم الإسلامي على تقديم العون لمسلمي هذه البلاد ، وإعداد « كوادر » الدعاة منهم انفسهم ، لأنهم اقدر على الدعوة بين مواطنيهم ، وأكثر فهماً لثقافتهم وتقاليدهم ـ والله ولى التوفيق .

الفتاوى

إعداد: على حامد عبد الرحيم

عقد الزواج وحل المرأة به

س ١ : تزوجت بفتاة ، ولم يتم الزفاف ، وكلما اردت الجلوس معها منعنى من ذلك بعض أهلها . س ـ م . شربين .

جـ ١ ـ بمقتضى عقد الزواج لك الاجتماع بزوجتك والجلوس معها إلا ان العرف العام فى بلادنا الإسلامية أن ذلك لا يتم إلا بعد إتمام الزفاف ، وإعداد منزل الزوجية والعرف العام يعتبر شرعاً مخصصاً لهذا الحكم .

والواجب حينئذ على السائل أن يتريث إلى المدة المحدودة لإتمام الزفاف ، كما ننصح أهل الزوجة بتسهيل الأمر وتقصير المدة إلى الزفاف بالقدر المستطاع حتى يتم الزفاف فى جو من المودة والمحبة والوئام التى هى أساس كل زيجة والله الموفق .

عن صلاة الجمعة والظهر والعصر

س ٢ : لماذا كانت صلاة الجمعة ركعتين ـ وتؤدى جهراً ـ وما الحكمة فى صلاة الظهر والعصر سراً ؟ .

محمد على طاهر .

جـ ٢ : روى أحمد وغيره : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : الجمعة ركعتان تمام من غير قصر ، على لسان نبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد خاب من افترى .

ومعنى ذلك أن الجمعة لم تكن اربعاً كالظهر ثم قصرت ركعتين ، بل فرضت كذلك .

وركعات الصلاة أمر توقيفى لا مجال لنا فيه ـ فهى تعبديه لا زيادة فيها ولا نقص ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، وقد صلاها كذلك .

وقد صلى الظهر والعصر سراً لم يجهر فيهما ، فما علينا إلا الاتباع ، وقد تحدث بعض العلماء عن حكمة الجهر والإسرار : بأن ذلك استصحاب لأصل مشروعية الصلاة فى مكة حيث كان الأعداء يؤذون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إذا ظهر لهم أنهم يصلون ، أما الصلاة الليلية ، وهى الصبح والمغرب والعشاء فهى تؤدى جهراً لغفلة المشركين عنها غالباً .

ولما كانت الجمعة تؤدى جماعة ، وقد صلاها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الهجرة ، وكان الأمن متوفراً للبعد عن موطن الشرك ـ حينئذ ـ مكة ، فلهذا صليت جهراً .

البقيـة ص ١٨٠

للأستاذ

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

طرائف ومواقف

« هكذا أمرنا »

حكى الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا منه عبد الله بن عباس ، فأخذ بركابه فقال له : لا تفعل يابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد : أرنى يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

« نصيحة »

ينبغى للعاقل إذا أصبح أن ينظر فى المرآة ، فإن رأى وجهه حسناً لم يشنه بقبح ، وإن رآه قبيحاً لم يجمع بين قبحين .

« سبعة قبلى »

قال رجل لشريح القاضى : قضيت على بالجور وليدخلنك الله النار ، قال : إذن يدخلها سبعة قبلى :

من ولانى .

ومن علمنى هذا الحكم .

ومن جاء بك مدعياً والشاهدان .

والمزكيان .

« العفو عند المغفرة »

تغيظ عبدالملك بن مروان على رجاء بن حيوة فقال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا وكذا ، فلما صار بين يديه ، قال له رجاء بن حيوة : ياأمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله ، فعفا عنه وأمر له بصلة .

« الأخذ بالثأر »

دخل طريف على قوم يأكلون السمك ، وقال : هذا والله عدوى ، ولى عليه ثأر ، فقد مات أبى غريقاً فأكله السمك .

قالوا : هوّن عليك نحن ننتقم لك .

فقال : لا بل الابن أحرى بأخذ الثأر .

« أدب الصغير »

ينبغى للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ، ويُحسّن عنده الحسن ، ويقبح عنده القبيح ، ويحثه على المكارم ، وعلى تعلم العلم والأدب ، ويضربه على ذلك قال بعضهم .

لا تسه عن أدب الصغير
وإن شكا ألم التعب
ودع الكبير وشأنه
كبُرَ الكبير عن الأدب

« دعاء »

اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

من عجائب صنع الله

عد يا ربيع

من عجائب صنع الله

سبحان من بالعقل قد أولاكا
واضاء قلبك بالتقى وهداكا

سبحان من رفع السماء وزانها
فتلألأت بنجومها دنياكا

يا أيها الإنسان دعك من الهوى
والجأ إلى الله الذى سواكا

وانظر إلى أسراره فى كونه
واكشف لنا عما إليه دعاكا

قل للأشم من الجبال وقد رسا
ياثابت الأركان مَنْ أرساكا ؟

سبحت لله الذى خلق الورى
لكننا لم ننتبه للغاكا

وانظر إلى الزرع النضير تخالُهُ
فى الأرض بُسُطاً حاكها مرنّات

بل قل لورد الروض فاح عبيره
من ذا الذى قد صاغ فيك شذاكا ؟

واساله حين تعددت الوانه
ياورد من ذا بالجمال كساكا

دنياك بالحسن العجيب تكلمت
وتحدثت عن سره شفتاكا

الله أودع فيك ماسحر الورى
وعلى عروش الحسن قد ولاكا

وانظر إلى الشجر البهيج وقل له
من بالثياب الخضر لف لحاكا

وثمارك الحسناء ياتى بعضها
حلواً وياتى بعضها أشواكا

شعر: صلاح عبده الحناوي

والماء ماء واحد سقيتْ به
والأرض واحدة هنا وهناكا
وانظر بحار الأرض: بعضُ مياهها
ملح اجاج ليس يبلغ فاكا
والبعض منها ماؤه من طيبه
عذب فرات سائغ رواكا
بل كيف أعطت لؤلؤا وجواهرا
بل أعطت الحيتان والأسماكا
وسل الجوار المنشات وقد جرت
فوق المياه تسابق الأفلاكا
واسأل شراب النحل طاب مذاقه
من بالحلاوة هذه حلّاكا؟
قل للهواء وقد جرى مستخفياً
عن أعين الرائين من اخفاكا؟
لولا وجودك ياهواء لمات من
في الكون وانقلب الوجود هلاكا
وانظر تجد ثدياً تدفق نبعه
سبحان من في المهد منه سقاكا
فيه الحنان وفيه مطعم جائع
والله مِن شهد به غذّاكا
وإذا رأيت الليل البس ثوبه الد
نيا فقل ياليل من اغشاكا؟
وإذا تنفس صبحه وتألقت
أنواره فاسأله من جلّاكا؟
واسأل شعاع الشمس يشبه عسجداً
من ياشعاع الشمس حاك ضحاكا؟
ياحي ياقيوم مالك مشبه
أبداً، وملكك ما بَراهُ سواكا
يارب الهمنا الصواب وقوِّنا
وامنن علينا كي نحوز رضاكا
انا قد وقفت أمام بابك داعياً
فاغفر ذنوبي واهدني بهداكا

عد يا ربيع

شعر: رشاد محمد يوسف

عد ياربيع إلينا بالأزاهير — واملأ مشاعرنا بالبشر والنور
واسكب شذاك رفيفاً طيباً عبقا — اشهى إلى النفس من عطر القوارير
اعد إلينا اهازيجاً محببة — ايام كنا شباباً فى البواكير
ايام كنا نناجى الفجر فى مرح — ونشرب النور من كف العصافير
كان المدى يحتوينا فى تالقه — ونحن نمرح فى يسر وتيسير
والأرض باسمة الانوار مشرقة — تتيه فى حسن إبداع وتدبير
والعيش طلق المحيا لاتجول به — سحائبٌ من معاناة وتكدير

****

عد ياربيع ولكن الف معذرة — إذا التقيت بمحزون ومذعور
اقبلت والنفس غرقى فى هواجسها — تحار مابين إغراء وتحذير
إن اقدمت تتوقى فى تقدمها — خوف المخاطر او تشقى بتاخير
والعيش فى صخب ، والخطو مرتعش — والناس أهواؤهم مثل الأعاصير
تقودنا خطوات للصبا مرقت — وخلفت فى الحشا انّات محسور
وذكريات الهوى فى القلب نائمة — كلؤلؤ فى حنايا البحر منثور

****

عد ياربيع عسى تصفو مواردنا — عسى قدومك ان ياتى بتغيير
عسى تطهر اقلاماً وافئدة — عاشت على الزيف والتضليل والزور
عسى يثوب دعاة الشر من سفه — فلا يزيدون من هم الجماهير
عد للعطاشى تناجيهم وتغمرهم — فيضاً من الوجد او فيضاً من النور

عد ياربيع إلينا بالازاهير
واملا مشاعرنا بالبشر والنور

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور
أحمد فهمي أبوسنة

للأستاذ: ناصر محمود وهدان

علمٌ من أعلام الأزهر الشريف ، وسفير من سفراء مصر بالخارج ، وعطاء ممتد على مدى خمسين عاماً في خدمة الشريعة الإسلامية ..

تخرج به كثير من علماء عصره ، وجُلُّ أساتذة الشريعة في الأزهر والبلاد العربية والإسلامية . أشرف وناقش ما يربو على خمسين رسالة « للدكتوراه والماجستير » في العلوم الإسلامية ، وله العديد من المؤلفات المطبوعة ، والتي لم تطبع بعد . بالإضافة إلى حضوره الكثير من المؤتمرات ، والمشاركة في العديد من الندوات في أنحاء العالم الإسلامي ..

برز في علم الأصول والفقه والاقتصاد ، وشارك في علم التصوف ، وحلّ المسائل المعضلة بما فتح الله عليه من فضله ..

وهو لازال يواصل العطاء في مصر والعالم الإسلامي ..

إنه العالم الجليل الثبت الفقيه الدكتور/ أحمد فهمي أبوسنة ، عضو مجمع البحوث الإسلامية . التقيتُ به في منزله بحي حلوان فور عودته إلى القاهرة فأملى عليّ طرفاً من تاريخ حياته ، وأذن لي في نشره ، وختمه بتوقيعه فقال لي :

* مولده ونشأته

اسمي أحمد فهمي أبوسنة ، ولدت في محافظة الجيزة ، مركز الصف سنة ١٩٠٩م ، حفظتُ القرآن الكريم على يد جدي الشيخ/ محمود خليفة أبوسنة - رحمه الله - وتلقيتُ عليه مع القرآن الكريم بعض الكتب الصغيرة في علمي التجويد والنحو . وكان (للكتاتيب) - على أيامنا - دور بارز في نشر كتاب الله تعالى ..

* تعليمه (الابتدائي والثانوي)

ولما جاوزت السنة الحادية عشرة من عمري التحقتُ بالأزهر سنة ١٩٢١ ، وقطعتُ مرحلتيه (الابتدائية والثانوية) في القاهرة ، تلقيتُ فيهما

←

● الكاتب بوزارة التربية والتعليم .

← من أعلام الأزهر

العلم على يد كثير من كبار علماء الأزهر في ذلك الوقت مثل الشيخ/ يوسف حجازى في الفقه ، والشيخ/ عبد الرءوف الرفاعى في النحو والصرف ، والشيخ/ طه البيبانى في التفسير ، والشيخ/ محمد المدلل ، وغيرهم كثير ..

وأذكر أنه قد أُلْغِيتْ الدراسة في الأزهر ، وأنا في السنة الأولى من القسم الابتدائى بسبب قيام المظاهرات ضد الاحتلال الانجليزى ، واشتراك طلاب الأزهر فيها ، وبطبيعة الحال لم يُحصِّلوا علماً ، فتَعطَّلتْ الدراسة ، وألغيت الامتحانات ثم عادت الدراسة مرة أخرى في العام التالى ١٩٢٢/١٩٢٣م .

.. أذكر من زملائى - في الفترة - على سبيل المثال الدكتور/ حسن عون الأستاذ بجامعة القاهرة قسم الدراسات العربية ، والحاصل على الدكتوراه من فرنسا ، والأستاذ/ محمود الأزرق الذى عمل بالقضاء الشرعى بعد ذلك ، والشيخ/ شعبون ، وغيرهم كثير وكثير ..

.. أما عن نظام الدراسة في هذين القسمين ، فقد كانت محببة للجميع ، وكنتُ مع دراستى أحب الاطلاع على الكتب ، ولاسيما كتب الفقه والأدب .

.. ومع بداية التعليم الثانوى سنة ١٩٢٧/٢٦ نشأ على عهدنا منهج في الأزهر متطور جُمع فيه بين علوم الأزهر المتعارفة القائمة على المتون والشروح ، وبين العلوم الحديثة ، كالطبيعة والكيمياء ، والرياضيات والجغرافيا والتاريخ فكان الطالب يدرس دراسة مزدوجة في عهد مشيخة الشيخ/ محمد أبو الفضل الجيزاوى . ثم أدركنا مشيخة الشيخ/ محمد مصطفى المراغى الأول سنة ١٩٢٨ ، ثم مشيخة

أحمد فهمى ابو سنة

الشيخ/ الأحمدى الظواهرى سنة ١٩٢٩ ، وكان ذلك في آخر القسم الثانوى ..

* القسم العالى وكلية الآداب

ثم انتقلنا إلى السنة الأولى من القسم العالى في سنة ١٩٣١م ، وهى ذات دراسة على النظام القديم ، حضرناها في الجامع الأزهر على يد كثير من العلماء أمثال الشيخ/ أحمد عبد السلام في الفقه ، والشيخ/ حامد جاد في التفسير وغيرهما ..

وفي هذا الوقت بدأت كلية الآداب جامعة القاهرة تفتح أبوابها لطلاب الأزهر ، ودار العلوم ، وكنتُ من الذين تاقت أنفسهم للتعرف على التعليم الجامعى ، فجمعتُ بين النظامين الأزهرى والجامعى ، وكنتُ أتلقى العلم هنا وهناك ساعدنى في ذلك تشجيع الأساتذة لى في كلية الآداب الذين درستُ على أيديهم أمثال الدكتور/ أمين الخولى في الحديث . والدكتور/ أحمد أمين في قاعة البحث ، والدكتور/ إبراهيم مصطفى في النحو ، والدكتور/ أحمد الشايب في الأدب ،

وكان ذلك على عهد الدكتور/ طه حسين الذى فتح باب الالتحاق بكلية الآداب ، وشجع عليه الطلاب وبخاصة طلاب الأزهر ودار العلوم .

.. وما هى إلا شهور معدودة ، وقد أوشك العام الدراسى على الانتهاء ، وعلم والدى ـ رحمه الله ـ وكان من أقران أساتذتى فى كلية الآداب .

برغبتى فى المضى فى التعليم الجامعى على حساب دراستى فى الأزهر فأقنعنى ، وأقنع أساتذتى ـ لمعرفته بهم باعتبار أغلبهم من دار العلوم أو القضاء الشرعى ـ بعودتى للأزهر والتفرغ للدراسة الشرعية فيه وحده فأكرمنى الله بسبب بُعد نظر والدى ـ رحمه الله .

.. وبعد نجاحى فى السنة الأولى من القسم العالى وبداية السنة الثانية منه افتتحتْ الكليات الأزهرية النظامية وهى (الشريعة ـ أصول الدين ـ اللغة العربية) فى عهد مشيخة الشيخ/ محمد أحمد الظواهرى .

* كلية الشريعة

وبعد اطلاعى على مناهج الكليات الثلاث السابقة اخترتُ الالتحاق بكلية الشريعة ، فكان الطالب الذى أمضى سنة بالقسم العالى من أمثالى يلتحق بالسنة الثانية بكلية الشريعة مباشرة ، بخلاف الطلاب الحاصلين على الثانوية الأزهرية فإنهم عند التحاقهم بالكلية يدخلون السنة الأولى كطلاب جُدد على الدراسة الجامعية .

ولذلك كانت الدراسة بالنسبة لنا شاقة فقد وزع علينا منهج الكلية على مدى ثلاث سنوات بدلاً من أربع ، أما عن أساتذتى فى هذه المرحلة فهم ـ على سبيل المثال ـ الشيخ/ حسن البيومى ، والشيخ/ يوسف المرصفى ، والشيخ/ محمد عبد الفتاح العنانى ، أولئك الذين درسوا لى علم الأصول ، والشيخ محمد عرفه فى التفسير ، والشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر بعد ذلك ..

وأذكر أننى قطعتُ سنوات الكلية بجد وحزم حتى تخرجتُ ، ونلت الشهادة العالية منها .

والحق يقال : أن الذى وضع نظام الإصلاح بالأزهر ، وإنشاء الكليات هو الشيخ المراغى ، ولكن الذى نفذ هذا الإصلاح هو الشيخ/ الأحمدى الظواهرى ، ثم عاد الشيخ المراغى فى سنة ١٩٣٦م ، وواصل إصلاحه للأزهر ، وتخرج على عهده أول فوج من طلاب الدراسات العليا قسم الأساتذة .

* الدراسات العليا

وفى سنة (١٩٣٥م) التحقت بالدراسات العليا بالكلية ، وكانت مدتها طويلة ، وبلا مكافآت تشجيعية فى هذه المدة فلما جاء الشيخ المراغى قرر منح طلاب هذا القسم مكافآت أعانتهم على الاستمرار فيه .

وفى سنة ١٩٤٠ نجحت فى الدراسات العليا وحصلتُ على الشهادة العالمية من درجة أستاذ (دكتوراه)كمتخصص فى الفقه والأصول ، وتاريخ التشريع .

.. وكان نظام التخصص على عهدنا قسمين :

(أ) القسم الأول :

١ ـ تخصص للحصول على العالمية مع إجازة التدريس ، وكانت مدته سنتين يعمل بها صاحبها مدرساً فى المعاهد الأزهرية .

٢ ـ تخصص للحصول على العالمية مع إجازة القضاء ، وكانت مدته ثلاث سنوات فقط يتخرج بعدها صاحبها ليكون قاضياً فى المحاكم الشرعية ..

أحمد فهمي أبو سنة

(ب) أما القسم الثاني من التخصص فهو :

تخصص المادة للحصول على العالمية من درجة أستاذ ، وكانت مدته ست سنوات متواصلة ، يُنتقى طلابه من الأوائل ليعملوا فور تخرجهم ونجاحهم مدرسين في الكلية نفسها .

.. كان موضوع رسالتي « العُرف في رأى الفقهاء والأصوليين » وأذكر أنها كانت أول رسالة قُدمت على هذا النظام الجديد ، فقد كنت أول من نوقش في القسم على النظام الجديد للحصول على (الدكتوراه) . وهذه الأولية هي أولية زمانية بمعنى كوني الأول في القسم الذي نوقشت رسالته لأن اسمي يبدأ بالهمزة ، والهمزة أول حروف العربية كما تعلم .

كان معي في الدراسات العليا من الزملاء : المرحوم الشيخ/ محمد أبو النور زهير ، والشيخ/ أحمد ندا ، والشيخ/ طه العربي ، والشيخ/ سيد جهلان .

.. وعن نظام (امتحان العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه ») فكان يتكون من مرحلتين على الطالب أن يجتازهما بنجاح ، وكانت المرحلة الأولى عبارة عن :

١ ـ إلقاء محاضرة عامة .

٢ ـ مناقشة في مسألة علمية يسمى الامتحان فيها بالامتحان في التعيين .

٣ ـ امتحان تحريري .

وكانت اللجنة المؤلفة لتقييم المحاضرة والتعيين مؤلفة من سبعة أشخاص برئاسة الشيخ/ المراغي ، وعضوية الشيخ/ عبد المجيد سليم مفتي مصر ، والشيخ/ إبراهيم الجبالي ، والشيخ/ أحمد أبو النصر ، والشيخ/ محمد عبد الفتاح العناني . والشيخ/ عيسى منون ، والشيخ/ محمود أبو دقيقة ـ رحمهم الله جميعاً ـ فإذا اجتاز الطالب هذا الامتحان بنجاح يتأهب بعد ذلك للمرحلة الثانية وهي إعداد رسالته تمهيداً لمناقشتها وتقييمها بعد كتابتها عن طريق لجنة أخرى وهي اللجنة الخماسية وكانت مؤلفة من الشيخ/ المراغي رئيساً ، وعضوية الشيخ/ عبد المجيد سليم ، والشيخ/ الفقيه الحقوقي/ أحمد إبراهيم ، والشيخ/ محمود شلتوت شيخ الأزهر بعد ذلك ، والشيخ/ يوسف المرصفي ، وكانت رسالتي للدكتوراه أول مناقشة علنية في ظل نظام الشيخ/ المراغي الذي ظل معمولا به حتى سنة ١٩٦١ ، وقد دعا الشيخ/ المراغي إلى هذا الامتحان كبار الشخصيات ، وعلية القوم من أمثال لطفي السيد باشا وغيره .

أما عن مكان مناقشة الرسالة فهو نفس مبنى كلية الشريعة القديم قبل إنشاء المبنى الجديد بالدراسة ، وهذا المبنى القديم في الأصل كان مدرسة للقضاء الشرعي قبل إلغائها ، وقيام كلية الشريعة مكانها ، وهذا المبنى يعرف الآن بمعهد البرموني الأزهري ..

وقد اكتظ المبنى بالحاضرين من الضيوف والطلاب يوم المناقشة واستحال تنظيم الجلسة حتى خشي المنظمون لها من تصدع المبنى فقال الشيخ/ المراغي ـ رحمه الله ـ بالحرف الواحد كما رأيت في مجلة (الاثنين والدنيا) : « لولا أن يقال إن مشيخة الأزهر لم تستطع ضبط النظام في امتحان عقد لأحد أبنائها لفض هذا الاجتماع »[1] . وانتهت المناقشة بحصولي على لقب (العالمية من درجة أستاذ) في الفقه

---

١ ـ اطلعت بنفسي على الجريدة وصورة المناقشة وحضور الشيخ/ عليش عضو هيئة كبار العلماء وغيره الكثير ـ عدد (٣٤٦) ص ١٩ .

لأول مرة .. درجة أستاذ .. فى الأزهر

فى يوم الاثنين الماضى ، احتفل الأزهر بفناء كلية الشريعة ، بامتحان أول طالب يتقدم للحصول على لقب « أستاذ » بعد أن أنهى قسم التخصص فى المادة . وقد اجتمع كبار شيوخ الأزهر ، وطائفة من رجال التعليم فى وزارة المعارف تحت رئاسة فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الأزهر ، وقد كان الزحام بالغا حده ، حتى ان اضيكت عدد الطلاب فى كلة الافتتاح ، بأن لولا أن يقال أن مشيخة الازهر لم تستطع ضبط النظام فى امتحان عقد لأحد أبنائها ، لفض هذا الاجتماع

يتردد فى اجاباته

كان الطالب الشيخ احمد أبو سنة – وهو [redacted] – يجيب بتدقيق وإفاضة وهو واقف ، على الاسئلة الموجهة إليه من موضوع رسالته « العرف والعادة » . وقد التف حوله فريق من الأزهريين

وقار الشيخوخة

دفعت فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن عليش عضو هيئة كبار العلماء إلى شهود هذا الامتحان برغم وقرة سنه ، فهو يتوكأ على عصاه الطويلة ، مصغيا باهتمام بالغ إلى ما يدور من مناقشات

يناقش الطالب

لقد تولى فضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ مصطفى المراغى امتحان الطالب الأزهرى ، المتقدم للحصول على درجة « أستاذ » ، فألقى على الطالب سؤالا دقيقاً ، ثم تركه يجيب ، وأخذ يصغى فى اهتمام

ع ٣٤٦ (الاثنين والدنيا) ص ١١

ورقة عن « الاثنين » التى سجلت جانبا من حفل المناقشة فى وقتها

وأصوله ، وتاريخ التشريع ، وللعلم ظل هذا اللقب معمولا به فى الأزهر لمدة ثلاثين عاما حتى تغير إلى لقب « الدكتوراه » الذى ظهر فى عام ١٩٦٥ م .

←

← أحمد فهمي أبو سنة

* التدرج الوظيفى والاعارات الخارجية

.. وفى سنة ١٩٤١م عُينتُ مدرساً فى كلية الشريعة فأستاذاً مساعداً فأستاذاً وظللتُ بها حتى سنة ١٩٧٤ وهو سن الإحالة إلى المعاش ، غير أنه ابتداءً من سنة (١٩٦٠ م) كثرت إعاراتى إلى الجامعات العربية مثل جامعة دمشق سنة ٦٠/١٩٦١ م ، وجامعة ليبيا ـ كلية الحقوق سنة ١٩٦٢ م ، وجامعة بغداد سنة (١٩٦٧ م) وأخيراً جامعة الملك عبد العزيز ـ أم القرى الآن ـ سنة (١٩٧٢ م) ، ولازلت بها أستاذاً للدراسات الشرعية حتى الآن ، وأحضر لمصر فى الإجازات الصيفية .

.. ومنذ تخرجى وعلى مدى خمسين عاماً تقريباً وأنا مَعْنىٌّ بالدراسات الشرعية المختلفة بما فى ذلك تخصصى فى الفقه وأصوله وتاريخ التشريع ، فقد درستُ فى هذه المدة كثيراً من العلوم .. مثل السياسة الشرعية ، والاقتصاد الإسلامى ، ومقاصد الشريعة ، ومصطلح الحديث ، والتفسير ، وأخيراً التصوف الذى اضطررتُ إلى تدريسه فى الجامعة الليبية بسبب تغيب أستاذ المادة الدكتور/ عُمر الشيبانى وكان ذلك أثناء فترة تدريسى بالجامعة الليبية ..

* بين مجمع البحوث الاسلامية ورابطة العالم الاسلامى

وفى مشيخة الشيخ/ بيصار ، وبالتحديد فى سنة ١٩٨٠ عُينتُ عضواً فى مجمع البحوث الإسلامية أثناء إعارتى لجامعة (أم القرى) بمكة وبرغم إعاراتى لكثير من الجامعات العربية فقد حضرت العديد من جلسات المجمع خاصة ما ينعقد منها فى الإجازات الصيفية .

ـ ومن مظاهر التكريم التى حظيت بها طول فترة حياتى العلمية أننى حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر الشريف سنة ١٩٨٣ م . وفى نفس الوقت عينت عضوا بمجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامى حيث نجيب على الفتاوى التى تعرض علينا فى مؤتمرات مجمع الرابطة فى صورة قرارات .

ـ وهذه المجامع مثل مجمع البحوث ، ومجامع الفقه الإسلامى الأخرى يجب أن تظل قائمة وأن يَعْظُمَ نشاطها فى بيان شرع الله وإصدار الفتاوى العلمية الصحيحة فيما يحتاج إليه الناس ، وفيما يختلف فيه الكاتبون فى الصحف فإن الناس لا يطمئنون إلا إلى أمثال هذه المجامع وعلى رأسها مجمع البحوث فى الأزهر حتى نمنع أى مفتات على الشريعة ـ بغير علم ـ بذكر أحكام فى الصحف ماأنزل الله بها من سلطان وها نحن الآن نسمع فى الربا أفكاراً غريبة ينسبها الناشرون إلى الشريعة بتعليلات واهية لا تستند إلى الحق فى شىء . والذى ينبغى أن يُسْأل فيه أهل الذكر وهم القائمون بهذه المجامع حتى يطمئن الناس على دينهم ومعاملاتهم .

.. أما عن نشاطى فى مجمع البحوث الإسلامية فأذكر أنه فى مرة استفتانى المجمع وأنا بالسعودية فى حكم شهادات الاستثمار فقلت بحرمة المجموعة (أ ، ب) منها معللا ذلك بالأدلة والأحكام فى حينها ، أما المجموعة (ج) منها فذكرت رأيى وهو أن فيها شبهة ربا . لأنها ليست نوعاً من المضاربة ، فالذى يدفع للبنك ليس من أجل المساهمة فى مشاريع الدولة ، وإنما من أجل الكسب فالدافع إنما يدفع انتظارا ليوم السحب ، فإن ظهر اسمه بين الفائزين نال الجائزة وإلا فلا . فهذا المال الذى يأخذه وقت السحب عند فوزه يأخذه مقابل ماذا ؟! ولهذا ليست شهادات الاستثمار المجموعة (ج) ربا

صريحاً ، وإنما فيها شبهة ربا بناء على ذلك .

وفى مؤتمر الاقتصاد الإسلامى بمكة المكرمة المنعقد سنة ١٩٧٦ عرضت علينا مسألة التأمين التجارى على الحياة فرفضناه كما رفضناه فى الستينيات لأنه باطل لما فيه من ربا وغرر وقمار ، وإن كنا قد أجزنا بديلا عنه التأمين التعاونى القائم على إيداع مجموعة من الأفراد مقداراً معينا من المال لخدمة الأعضاء من علاج وإعانة وما إلى ذلك من أنشطة للأعضاء بشرط أن مايتبقى فى الصندوق عند نهاية العام لايرد ويجوز أن يستثمر عن طريق المضاربة ، والشركات ذات الربح الحلال ، ثم يوزع الربح على المودعين كل بمقدار نسبة مساهمته فى المشروع .

* الجهود العلمية ومنهجه فيها

من أهم المؤلفات والبحوث التى نشرت لى :

١ ـ كتاب العرف فى رأى الفقهاء والأصوليين ـ وهى رسالتى للدكتوراه كما ذكرت آنفا .

٢ ـ كتاب الوسيط فى أصول الفقه .

٣ ـ كتاب نظرية الحق فى الفقه الإسلامى .

٤ـ بحث حقوق المرأة السياسية فى الإسلام .

وهناك كتب تحت الطبع من أهمها :

٥ ـ نظرية العقد فى الفقه الإسلامى .

٦ ـ عقد الزواج .

٧ ـ مقاصد الشريعة .

٨ ـ الاقتصاد الإسلامى .

٩ ـ محاضرات فى أصول الفقه .

١٠ ـ نظرية العقد ونظرية الملك ونظرية الضمان .

١١ ـ إلقاء المحاضرات وحضور الندوات المختلفة فى الفقه والاقتصاد الإسلامى منها : محاضرة ألقيتها فى جمعية الشبان المسلمين فى سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ بعنوان « حقوق المرأة فى الإسلام » وكانت رداً على دعاوى القائلين ـ وقتها ـ بأحقية المرأة فى الحكم والقضاء . ولكن ماوصلت إليه من البحث والاطلاع بَيَّنَ لى أن المرأة لا تصلح للولايات العامة مثل الخلافة ـ كرئيس أعلى للدولة ـ أو القضاء ـ كقاضية ـ وإن كانت تصلح للولايات الخاصة ، وعلى أثر ذلك استُفْتِى الأزهر .

١٢ ـ تحرير بحوث ومقالات بمجلة الأزهر ، ومجلة رابطة العالم الإسلامى ، من بينها على سبيل المثال بحث فى الإشهار فى العقود ، وآخر باسم حماية الفقه الإسلامى .

١٣ ـ أحاديث إذاعية بغرض التعريف بالإسلام على هيئة فتاوى فقهية ، بدأت فى إذاعة بغداد أثناء إعارتى لجامعة بغداد سنة ١٩٦٨ م .

.. أما عن منهجى فى بحوثى وكتبى فيقوم على الأدلة الشرعية الصحيحة من كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، وسنة رسوله المصطفى ـ ﷺ ـ وإجماع علماء المسلمين ، والقياس ، والمصالح المرسلة . وأن يدون الفقه بأسلوب القواعد والنظريات .

* جبهة علماء الازهر والشيخ أبو زهرة

أما معرفتى بالشيخ أبى زهرة فقد تعرفت عليه حينما دعانى للاشتراك معه فى إصدار موسوعة السنة ، وكان ذلك فى الخمسينيات حوالى سنة ١٩٥٧/٥٦ ، ثم تقابلنا معاً بعد ذلك فى جبهة علماء الأزهر وهى هيئة من كبار علماء الشريعة بمصر عددهم ما بين عشرين إلى ثلاثين عالما ، وقد تكونت بغرض الدفاع عن الدين ،مايصدر عن العامة من الشبه والانحرافات التى تنشر أو تُفعل اعتداء على الشريعة . وكان مقر هذه الهيئة أحد المساجد الموجودة بشارع

← أحمد فهمي أبو سنة

« نوبار » بالقاهرة ، والواقع أن الشيخ أبا زهرة كانت ميزته التى تبزه عن أقرانه هى كثرة مؤلفاته فما من موضوع يمت إلى الشريعة ويشغل الناس إلا وكتب فيه كتاباً مثل كتاب العلاقات الدولية فى الإسلام ، « والتكامل الاجتماعى فى الإسلام »وكتب فى الأعلام من الفقهاء وغير ذلك ، والحق أن كتاباته جيدة وبخاصة الكتب التى درَّسها فى الجامعة . مثل كتبه عن الائمة الأعلام ، فالشيخ أبو زهرة ـ ماقصر فى حياته فقد صرف أيامه فى الدفاع عن الشريعة ، واذكر قوله لى : « مما من الله علىّ أنى كنت خاملا فرفعنى طلب العلم » رحمه الله تلك كانت عبارته وكان وهو يستقل القطار لإلقاء المحاضرات فى جامعة الأسكندرية وغيرها من الجامعات يقطع وقته فى الاطلاع لذا أثرى المكتبة الإسلامية ، أضف إلى هذا شجاعته فى الحق فكان لايخاف فيه لومة لائم ، فقد اعترض على الربا ، ورفض التأمين التجارى على الحياة ، واعلن رأيه صراحة ، وكنا فى مؤتمر الفقه الإسلامى الذى انعقد فى دمشق إبان الوحدة بين مصر وسوريا . وقد حضرت المؤتمر مندوباً عن الأزهر ، وحضر الشيخ أبو زهرة مندوباً عن الجامعة المصرية ، وكان مقرر المؤتمر الشيخ على الخفيف ، وأراد الشيخ الخفيف ، والدكتور/ مصطفى الزرقا جواز إباحة التأمين على الحياة فاعترضت مع الشيخ ابى زهرة على ذلك معتمدين على بيان الأدلة الشرعية فى ذلك فرفض المؤتمر إجازته .

* الرسائل الجامعية

بدأت التدريس فى الدراسات العليا فى الستينيات وبخاصة لطلاب الجزء الأول منها وهو الدراسة المنهجية للفقه وأصوله من الناحية النظرية تمهيداً لإعداد الطالب للجزء الثانى والأخير وهو تحضير الرسالة ومناقشتها . ثم شاركت وأشرفت على كثير من الرسائل العلمية . أذكر منها :

رسالة بعنوان « الرخصة والعزيمة » وكانت فى آخر الستينيات ، وأخرى بعنوان « طرق القضاء » سنة ١٩٧٤م ، ورسالة « فقه عمرُ » ورسالة « مقاصد الشريعة » ورسالة « دلالة السكوت » لطالبة سعودية و « رفع الحرج » سنة ١٩٨٦ ، و نظرية الخطأ »،« تطور النقود فى الإسلام » ورسالة « السياسة المالية فى الاقتصاد الإسلامى » وأخرى حول « العمل فى الإسلام » .

.. وهناك رسائل أخرى للدكتوراه قيد المناقشة منها « الحقوق المقدمة عند التزاحم » للطالبة السعودية/ شادية الكحكى ، ورسالة « الأجل فى عقد البيع » للطالب التركى/ عبد الله أزجان ورسالة « الأثار الإسلامية للوقف » للطالب الكويتى/ عبد الله الصُميت .

* مواقف وذكريات لا تنسى

من الذكريات التى لا تنسى مشاهد الحج لبيت الله الحرام ، وكانت بالنسبة لى وبخاصة فى سنة ١٩٤٩ ميلادياً ذكريات لا تنسى ، كنت وقتها مدرساً فى كلية الشريعة بالقاهرة ، وذهبت مع بعثة الأزهر للسعودية لأداء مناسك الحج لأول مرة ، ولا أستطيع أن أصف أو أعلل لك مدى فرحى وسرورى وبهجتى وقتها .

الموقف الثانى يوم تعيينى مدرساً فى كلية الشريعة التى مكننى فيها الله سبحانه وتعالى أن أفضى إلى طلابى بكل ما حذقت من العلم ، وما منحنى الله من مواهب تساعد على ذلك فما بخلت على طلابى بشىء أشعر انه ينفعهم ..

البقية ص ١٨١

الإيدز

.. وباء وبلاء

للأستاذ : محمد مهدى يوسف*

قال تعالى :

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَالَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَالَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ .. « الشورى ٤٧ » .

ارتبط انتشار وباء الإيدز - آفة العصر - بالشذوذ الجنسى ، وإدمان المخدرات ، والبغاء والإباحية وكافة أشكال السلوكيات السيئة .. لهذا كان مجيىء الإيدز ليكشف عن مواضع الخلل فى الحضارة الغربية الراهنة ويلقى الضوء من جديد على الأسئلة المتعلقة بالقيم والأخلاق والدين ويضع المجتمع الإنسانى كله أمام وجوب مراجعة شاملة للسلوكيات والممارسات العامة .

ثم قد كان هذا المرض تحدياً سافراً لغرور العقل العلمى المعاصر ونشوته بالإنجازات العلمية المتعددة التى صاحبها عجزه البليد أمام سطوة « الإيدز » فارتد إلى حجمه الطبيعى ، وأصيب بوجوم أقرب إلى الفشل ، فهجوم هذا المرض كان اكبر حجماً من كل ما قد وصل إليه العلماء فى « علم المناعة » ، و(البيوتكنولوجى) و(الفيروسات) والهندسة الوراثية .

وظل مرضى الإيدز يتساقطون أمام أعينهم كأوراق الخريف على الرغم من معامل حوت من الأجهزة العلمية كل مدهش مثير ، ومن أموال تدفقت عليهم تدفق السيل ، فما أدى جهدهم إلا إلى نزر يسير عرفوا به عن (فيروس) هذا المرض : تركيبه وتشريحه ، وتخصصه فى إتلاف جهاز المناعة فى الإنسان وحده من بين كل مملكة

←

(*) كاتب المقال : بكتريولوجى بهيئة المواد النووية .

الإيدز وباء وبلاء

الحيوان ، ولازال التحدي قائماً يصم العقل العلمي بالقصور حتى حين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

ماذا تعنى كلمة إيدز AIDS

مرض الإيدز يسببه فيروس من نوع خاص له طبيعة مراوغة والضحية الأصلية لهذا الفيروس هو جهاز المناعة فى الجسم البشرى المسئول عن الدفاع وحماية الجسم البشرى من أى غزو خارجي من قبل الأحياء الدقيقة من الميكروبات والجراثيم .

وذلك لما لهذا الجهاز من القدرة الفائقة على ملاحقة اى جسم غريب يغزو جسد الإنسان فيهاجمه ويحاصره ، ولكن عندما يصاب هذا الجهاز بفيروس الإيدز فإنه يفقد قدرته على الحماية ، بينما يقوم هذا الفيروس بدقة متناهية وخطة محكمة بتخريبه تدريجياً حتى يهلك ويفقد خواصه . ويصبح عاجزاً عن تمييز الجسيمات الغريبة التى تغزو الجسم : فإذا هو فريسة سهلة أمام أى إصابة ميكروبية . وهنا تستأسد الجراثيم والفطريات التى لم تكن تستطيع إحداث اى ضرر بالجسم فى حالة سلامة الجهاز المناعى فتصول وتجول منتهزة فقد الجسم لمناعته وتسبب له العديد من الأمراض الخطيرة ، وهذا ما يسمى بالعدوى الانتهازية Opportunistic Inpection التي يصاحبها ظهور بعض الأورام .

وهذه المرحلة الأخيرة من الإصابة بالفيروس المسبب لهذا المرض ، والتى تتميز بالعدوى الانتهازية وظهور الأورام هى ما تسمى بالإيدز AIDS وهى الأحـرف الأولى من اسمـه Acpvired Immune Deficiency Syndrome

متلازمة العوز المناعى البشرى المكتسبة .

ويعنى ذلك انهيار وسائل المناعة الطبيعية فى الجسم البشرى .

العامل المسبب للمرض : فيروس هيف : (HIV)

يسمى فيروس هيف (HIV) وهى كلمة مكونة من الحروف الأولى من الاسم الانجليزى Human Immuno Deficiency Virus

ومعناه : فيروس العوز المناعى البشرى .

تعتبر جميع الفيروسات طفيلية داخلية ، وتظل خاملة كأنها بلورة كيميائية لا حياة فيها طالما كانت خارج الخلية الحية المستهدفة بالإصابه .

[خلية العائل Host Cell] .

فهى لا تسبب اية اضرار أو امراض ، إلى أن يدخل الفيروس الخلية العائلة المستهدفة بالإصابة ، عندئذ ينشط الفيروس ويصبح كأى كائن حى داخل الخلية فيقوم عندئذ بعملية قرصنة يستولى بها على (الجينات الوراثية) للخلية العائلة ويُغير من وظيفتها ويستخدمها لتكاثره فيزداد عدد الفيروسات ، وبالتالى يزداد عدد الخلايا المصابة ، وعندما يكثر عدد الخلايا المصابة يقع المرض بجسم الكائن الحى .

إذاً الفيروسات اجسام خاملة لا حياة فيها طالما هى خارج الخلية الحية فأما عندما تدخل الخلية الحية فإنها تتحول إلى كائنات حية .

وفيروس (هيف) شأنه كشأن جميع الفيروسات الأخرى عبارة عن عبوة من المادة الكيميائية المسئولة عن نقل الصفات الوراثية [الأحماض النووية] [1] تقع فى وسط الفيروس

---

(١) الأحماض النووية هى التى تحمل البيانات الوراثية لجميع الكائنات الحية من الفيروسات حتى الإنسان وهى نوعان حمض الديزوكسى ريبوز ، DNA وحمض ، ريبو نيو كليك ، RNA ويوجدان معا فى جميع (انوية) الكائنات الحية ماعدا الفيروسات . يوجد بهما إما (DNA) او RNAولكن لا يوجد النوعان فى جزىء فيروسى واحد .

وهى الحمض النووى RIVA ومعها بعض جزئيات (انزيم المنتسخة العكسية Reverse Transcriptase) وانزيم المنتسخة العكسية مع الحمض النووى RIVA يمثلان لب الفيروس . ويحيط بهذا اللب غلاف من (بروتين) سكرى على شكل زمرة من المسامير وكل مسمار يتألف من وحدتين ، هما : رأس المسمار ، وهو بروتين سكرى هو أولى الوحدتين . والثانية منطمرة فى الغشاء الدهنى ثنائى الطبقة ، وهى أيضاً بروتين سكرى . وهذا البروتين السكرى هو الذى يؤدى الدور الحاسم فى إصابة خلايا العائل [انظر شكل (١)]

و(فيروس هيف) هو نوع خاص من الفيروسات يسمى الفيروسات القهقرية retro-virus ؛ وسميت كذلك لأن لها القدرة على عكس السير الطبيعى لانتقال المعلومات الوراثية . يبدأ بالحمض النووى DNA إلى الحمض النووى RNA الرسول ـ Messenger RNA ولكن فى الفيروسات القهقرية يحدث العكس حيث يتحول RNA الفيروس إلى الحمض النووى DNA ويتم ذلك بواسطة أنزيم المنتسخة العكسية ثم يندمج DNA الفيروس بالحمض النووى DNA الخلية العائلة حيث يظل كامنا مدة قد تصل إلى ثمانى سنوات ويصبح الفيروس جزءاً مستمرا من خلايا الشخص المصاب ، وعندما تنشط الخلايا المصابة بفيروس (هيف) فهى تعمل على تنشيط الجينات الفيروسية الكامنة فتجعل جينات الخلية العائلة تعمل لتكاثر الفيروسات .

طرق العدوى بفيروس (هيف) :

الإيدز مرض معد يختلف عن باقى الأمراض المعدية فى أن الإنسان هو المستودع الوحيد للفيروس (هيف) المسبب لمرض الإيدز ، بمعنى أن فيروس هيف ينتقل وينتشر عن طريق الإنسان الذى يحمله فقط وليس ثم لحشرة أو أى عامل حيوانى آخر أىُّ دور فى عملية الانتقال من إنسان مصاب إلى آخر سليم . كما أنه ليس هناك أية شروط بيئية أو مناخية خاصة لانتقاله .

وفيروس (هيف) يوجد فى خلايا الدم والمنى للشخص المصاب فيحولهما عن كونهما مصادر للحياة ويجعل منهما مصادر للموت .

وهناك ثلاث طرق رئيسية يمكن للفيروس هيف أن ينتقل بواسطتها من شخص مصاب إلى آخر سليم وهى :

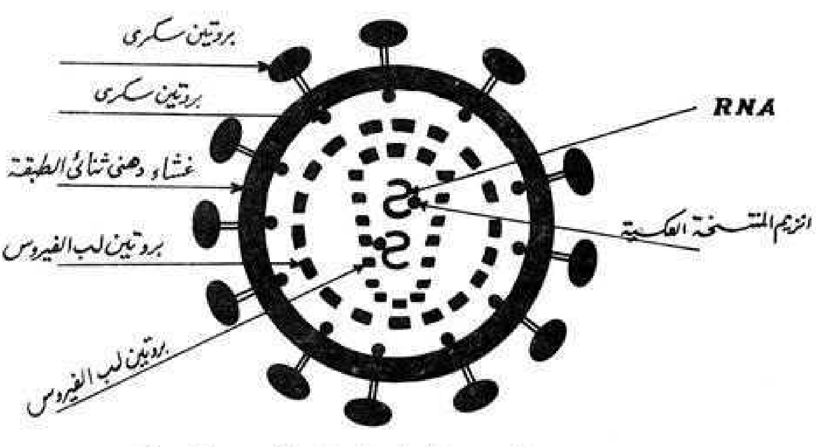

شكل " ١ " يبين هذا الرسم المقطع العرضى للجسيم الفيروسى

الايدز وباء وبلاء

١ ـ الجنس : قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف : ٨٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ٣٢ .

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .. الترمذي . الشذوذ الجنسى عمل قوم لوط يعتبر أوسع وأكثر الطرق لانتشار المرض ويمثل المصابين بفيروس الإيدز عن طريق اللواط ٧٣٪ من مجموع الحالات التى اكتشفت حتى الآن ، لذلك أطلق على مرض الإيدز (طاعون الشذوذ الجنسى) ، ويحدد عدد الشاذين جنسياً معدل انتشار المرض فى مجتمع معين .

كذلك يعتبر البغاء إحدى قنوات انتشار المرض ؛ فالزانى يمارس الزنا كلما تيسر له وهذا ـ أيضاً ـ يضاعف من احتمال الإصابة كلما ازداد عدد من يتعامل معهم من رجال ونساء .

٢ ـ الدم : قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الشورى : ٣٠ .

تزداد احتمالات الإصابة بين مدمنى المخدرات بالحقن الوريدية ، حيث انهم يستعملون حقنة واحدة بالتناوب وتزداد احتمالات الإصابة كلما ازداد عدد المشاركين فى حقنة واحدة إذا كان احدهم مصاباً بفيروس (هيف) . كذلك ينتقل الفيروس (هيف) خلال الدم عن طريق استعمال مشتقات دم ملوث كوسيلة للعلاج كما يحدث فى مرض الناعور (الهيموفيليا) .

٣ ـ من الام لجنينها : أثناء الحمل أو الرضاعة إذا كانت الأم مصابة .

والنسب الآتية تعتبر أحدث معدلات إحصائية معروفة لطرق الإصابة :

- اللواط والزنا ٧٣٪ ، مدمنى المخدرات بالحقن الوريدي ١٧٪ .
- نقل الدم ٢٪ ، مرض الناعور ١٪ .
- آخرون ٦٪ .

وبالتالى يشكل اللواط والبغاء ومدمنى المخدرات بالحقن الوريدية من ٩٢ ـ ٩٥٪ من مجموع الحالات التى تم تشخيصها حتى الآن .

هل من عـــلاج ؟

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما انزل الله داء ، إلا وجعل له شفاء » البخارى . حققت اللقاحات ضد الأمراض الفيروسية نجاحات أسطورية مثل (لقاح شلل الأطفال) و(الجدرى) ، كما أن انحسار الحمى الصفراء والحصبة والنكاف يرجع ـ إلى حد بعيد ـ إلى التلقيح .

وتحضير لقاح مضاد لفيروس العوز المناعى البشرى المكتسب ـ (فيروس هيف) أصبح أضخم تحدٍ يواجه علماء الفيروسات والطب اليوم . وهناك ثلاثة أمور استثنائية ثبطت من همم هؤلاء العلماء ، وجعلتهم يتوقعون عدم وصولهم إلى لقاح مضاد لفيروس هيف قبل نهاية هذا القرن والأمور الاستثنائية الثلاثة هى :

١ ـ الطبيعة المراوغة لهذا الفيروس الذى يستطيع أن يختبىء داخل خلايا العائل ، وأن يدخل (جيناته) ضمن (جيناتها) فتصبح العدوى كامنة .

٢ ـ عدم العثور على طراز حيوانى تلائم دراسته المرض حيث أن الفيروس (هيف)

لا يسبب أى مرض لأى حيوان فى المملكة الحيوانية فيما عدا الإنسان .

٣ ـ نقص عدد المتطوعين لإجراء التجارب عليهم من المصابين .

ولم يتوافر حتى الآن علاج أو لقاح لمرض الإيدز ولا يزال الوباء مستمراً فى الانتشار ، ولن يستطاع الحد من انتشاره إلا بسد سبل انتقاله الرئيسية . فموارد الدم أصبحت الآن شبه آمنة بفضل توافر الفحص المناسب لها للتأكد من خلو الدم من فيروس هيف ، وأحد المداخل لبلوغ هدف وقف انتشار المرض يجب أن تكون بمراجعة السلوكيات الأخلاقية التى تعرضنا لخطر الإصابة والوقوف ضد عادات وقيم مجتمع المخدرات والجنس .

نحـــن والإيـــدز :

قال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ الشورى : ٤٧ .

إن الانخفاض النسبى الحالى لانتشار هذا الوباء فى العالم العربى والإسلامى لا يبرر حالة الأمن والرضا التى تسود هذا العالم ، فقد يكون أمناً كاذباً ، وطالما لدينا مدمنو مخدرات فلسنا بعيداً عن الإصابة ، كذلك لسنا بعيدين عن كثير من المنغمسين فى سلوكيات مجازفة بعيدة عن شرع الله تعرضهم لاحتمالات الإصابة بالفيروس ، وقد تكون حالات الإيدز فى العالم العربى اكبر بكثير من المُبَلَّغ عنها . ولهذا يعتقد أن حالات الإيدز الحقيقية تفوق بكثير الأرقام الرسمية المعلنة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الشورى ٣٠ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ « الأنعام : ٦٥ » .

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا » رواه ابن ماجه والحاكم وهو صحيح .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا ظهر السوء فى الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض » رواه الطبرانى .

اســـانيد المقـــال :

١ ـ مجلة العلوم : الترجمة العربية لمجلة العلوم الأمريكية ـ الكويت ـ المجلد ٦ العدد ٣ مارس ١٩٨٩ م .

٢ ـ مجلة الثقافة العالمية ـ الكويت .
العدد ٣٨ المجلد السابع يناير ١٩٨٨ م .
ــ مرض نقص المناعة المكتسبة (الايدز) صفحة ١٣٠ ..

٣ ـ غضب الله تعالى يلاحق المتمردين على الفطرة ـ الكويت .
سلسلة نصائح إسلامية
الإيـــدز
فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعى

A Colour Atlas Of AIDS ـ ٤
Woife Medical Publica Tions tor 1987

الأشهر الحرم

لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد المونى ـ رحمه الله .

قضت سنة الله فى خلقه أن يفضل بعضه على بعض لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى ، من ذلك تلك الشهور الأربعة : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب .. اصطفاها الله ـ سبحانه ـ فجعلها أشهراً حراما تمتاز بالأمن التام .

قال ـ رحمه الله :

كان فيما ورثه العرب من ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، احترام أشهر أربعة من شهور السنة القمرية ، وتقديسها تقديساً عظيما ؛ فإذا كانوا فى شهر منها تركوا القتال إن كانوا فى قتال ، وأجَّلوا التِّرات إن كانت لهم ترات ، ونشروا الأمن والسلام فى ربوع الجزيرة وأرجائها ، حتى كان الواحد منهم يلقى فى الحرم وغيره قاتل أبيه أو أخيه ، على خلوة وتمكن ، فلا يمد يده إليه بسوء ، وهم القوم الذين عرفوا بالضراوة فى سفك الدماء والتمسك الشديد بالأخذ بالثأر .

ورثوا ذلك عن ملة إبراهيم وإسماعيل وعاشوا عليه زمانا لا يعبثون به ، ولا يغيرون فيه ؛ فلما طال عليهم الأمد ، وبعُد العهد بينهم وبين هذه الملة الأولى ، وهانت عليهم ـ فى سبيل أهوائهم ومنافعهم ـ مناسكهم ومشاعرهم ، كان فيما عبثوا به ، وبدلوا فيه ، هذه الأشهر الحرم ، فأفسدوها بالنسىء ، وأحلوا منها ما حرَّم الله ، يلغونها تارة ، ويؤجلونها أو بعضها تارات أخرى .

وليس من غرضنا الآن بيان النسىء ، وما كان من شأنهم فيه ، وإنما نريد أن نقول : إن الشريعة الإسلامية قد أقرت هذا التشريع المتوارث عن إبراهيم وإسماعيل ، الثابت بطريق التواتر القولى والعملى إلى عهد النبى ﷺ جريا على سنتها فى الإبقاء على كل صلاح ، وعدم التعرض بالإلغاء أو التعديل إلا إلى ماكان من فساد ، أو اقترن به فساد .

يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[1] وقد بين النبى ﷺ هذه الأشهر الأربعة فى خطبته التى خطبها فى حجة الوداع ، فقال بعد أن تلا هذه الآية : « ثلاثة متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان »[2] . وبذلك أصبحت السنة القمرية الإسلامية التى انبنى على حسابها كثير من أحكام التشريع مبدوءة بشهر حرام ، هو المحرم ، ومختومة بشهر حرام ، هو ذو الحجة ، ويتخللها فيما بين ذلك شهران آخران .

قضى الله ـ جلت حكمته ـ أن يفضل بعض ماخلق على بعض ، لأسرار يعلمها هو ، ولا سبيل لنا إلى إدراكها على صورة من الجزم والتحديد ، تلك سنته فى الأشخاص والأماكن والأزمان ، يفضل بعضا على بعض ، ويميز بالتشريع

(١) الآية ٣٦ من سورة التوبة .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبى بكرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قاله فى منى عام حجة الوداع .

إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

والتعبد شيئا على شيء ؛ ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾(٣) : فكما أنه فى أصل الخلق والتكوين مختار ، يخلق القوىّ والضعيف ، والذكى والغبى ، والجميل والدميم ، وذا الجراءة والشجاعة ، والجبان الفروقة ، ويميز بلاداً عن بلاد بما فيها من جبال عالية ، أو أنهار جارية ، أو عيون صافية ، ويجعل بعض الأرض خصبا ، وبعضها أجاديب ، ويطوى بعضا على ماشاء من معادن وثروات وكنوز ، ويجعل بعضا خلاء عفاء ، إلى غير ذلك مما نرى بأعيننا فى جميع نواحى الحياة ؛ كذلك هو مختار فيما وراء الخلق والإبداع من التمييز والتفضيل ، يجعل لبعض الأماكن حرمة وقداسة ، ولبعض الأزمان حرمة وقداسة ، فيكون ذلك اصطفاء لها واختياراً ، بمثابة اختياره واصطفائه تعالى لبعض من خلق من الأشخاص .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا المعنى الذى من شأنه أن يطمئن قلوب المؤمنين فى كثير من المواضع التى تكلم فيها عما خلق الله وعما شرع : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾(٤) ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥) ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً ﴾(٦) ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾(٧) ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾(٨) .

وقد أرشد إلى هذا المعنى أيضا فى شأن الشهور وما اصطفاه الله منها ، فذكر لنا أن عدة الشهور عند الله ، أى فى حقيقة الأمر وواقعه ، اثنا عشر شهراً ، وأن ذلك هو شأنها فى كتاب الله ، أى فى نظام خلقه وما قدره للدنيا من سنن تكوينية يوم خلق السموات والأرض ، وإنما سُمى هذا النظام كتابا لأنه ثابت متقرر ثبات مايكتب ويسجل : وذكر بعد هذا أن الله قد اختار من بينها هذه الأشهر وميزها ، وساق اللفظ الدال على ذلك مساقا يشعر بأن هذه الإرادة وهذا التفضيل كانا منذ الأزل ، فخلقت الشهور عامة ، ومُيز « منها أربعة حرم » بميزة خاصة .

هذا هو الأصل الذى يجب أن يكون عليه المعول فى تعليل امتياز هذه الأشهر بما ميزها الله به ، وأن يصار إليه فى تعليل كل امتياز فى الخلق أو تفضيل جرت به حكمة العليم القدير ؛ ولكن هذا لا يحول بيننا وبين النظر فيما يصاحب هذه التدبيرات الإلهية العليا من فوائد للبشر نراها ونحس بها ، وتدركها عقولنا فنزداد بها إيمانا على إيمان ، ويقينا إلى يقين .

فإذا أردنا أن نطبق هذا على « الأشهر الحرم » ، وأن نعلم الفوائد التى ترتبت على هذا التشريع فى شأنها : برزت لنا فائدتان جليلتان ، كلتاهما تعود على بنى الإنسان بالتهذيب والسمو ، وتقلم فى المجتمع اظافر الشر والفساد إلى حد بعيد :

فأما الفائدة الأولى : فهى التهيئة لأعظم العبادات التى شرعها الله لعباده وهى حج البيت واعتماره .

لقد ذكر الحج بين أركان الإسلام الخمسة فى حديث « بنى الإسلام على خمس » وجاء ذكره فى آخرها ، وليس ذلك لأنه آخر هذه الأركان منزلة ، وأقلها شأنا ، ولكن لأنه أعلاها فى مراتب الترقى

(٣) الآية ٦٨ من سورة القصص .
(٤) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .
(٥) الآية ٦٦ من سورة آل عمران .
(٦) الآية ١١ من سورة النساء .
(٧) الآية ٤٩ والآية ٥٠ من سورة الشورى .
(٨) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

والوصول إلى الكمال ، فإن أركان الإسلام الأربعة التى تقدمته كلها تمهيد له وإعداد بالتطهير والتزكية ، حتى إذا أقبل المرء إليه كان صافى النفس ، مطمئن القلب ، راسخ الإيمان . ولذلك كان الحج المقبول عند الله بمثابة خلق الله لصاحبه من جديد : « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه »[٩] فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هى الخطوة الأولى التى يتقدم بها المؤمن فيعترف بأصل العلاقة بينه وبين ربه وبرسول ربه ، ومع ما لهذا الاعتراف من قيمة فى ذاته فهو لا يكلف صاحبه بذلا ولا تضحية ، ولا يستغرق منه جهداً ولا وقتاً ، بل إن فيه لذوى البصائر وأولى الألباب لذة هى لذة العرفان ، وجمالا هو جمال الإدراك للحق . فإذا أمن بذلك قلبه كانت الخطوة التالية لهذا الإيمان أن يتوجه إلى هذا الإله الذى آمن به ، واعترف بوحدانيته ، خاشعامناجيا فى صلاة رسمها له ، وحدد له أركانها ووسيلتها ، وشرع له قبلتها ، وهذه عبادة مع سموها ، وجلالة شأنها ، لا تكلف صاحبها جهداً كبيرا ، ولا تأخذ منه وقتا طويلاً ، فإن ادنى ماتصح به صلاة الفريضة لا يتجاوز بضع دقائق ، ومازاد على ذلك فهو كمال . ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الثالثة ، وفيها شىء من التضحية والبذل ؛ ذلك أن يؤدى زكاة ماله فيقتطع منه جزءاً معينا طيبة به نفسه ليعطيه للفقراء والمساكين ؛ وبهذا الركن الثالث تكون أول تربية إيجابية ، وتزكية نفسية من الشح والاستئثار يطهر الله بها القلوب ، ولكنها على ذلك ليست إلا تضحية مالية بنسبة ضئيلة تقل عن أصغر ضريبية مرن أهل الأموال على ادائها فى أى بلد من بلاد الله وهم لا يشعرون . ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الرابعة ، وهى صوم شهر كامل متتابعة أيامه ، يتخلى فيه المؤمن عن طعامه وشرابه وشهوته إيماناً بالله ، واحتساباً لثوابه ، ويصبر فيه على كثير مما يقاسى : وتلك منزلة من التضحية أعلى من التضحية فى الزكاة ؛ لأن التضحية بشىء من النفس أعز وأغلى من التضحية بشىء من المال !

اما الفريضة الخامسة وهى الحج ، ففيها ذلك كله على أبلغ وجه ، وأكمل صورة : فيها الاعتراف بالله والإيمان به وبرسوله إلى حد الترك لكل ماسواهما من المال والأهل والولد والمتاع ؛ فيها التوجه إلى الله ، لا بواسطة قبلة بينه وبينها الاف الأميال ، ولكن بالرحيل إلى هذه القبلة نفسها ؛ فيها بذل الكثير من المال عن رضى وسخاء ؛ فيها التضحية بالنفس ، واحتمال مشاق السفر والأغتراب ، والتحلل من سلطان العادة فى متع العيش ولذاته ؛ فيها خلع ثياب الدأب والعمل والكدح ، وارتداء ثياب التطهر والإحرام والتسليم ؛ وفيها إلى ذلك كله زيارة الله فى بيته ، والمثول بين يديه فى المكان الذى قدسه ، والزمان الذى قدسه .

هكذا شأن فريضة الحج ؛ كل ماقبلها بمثابة التمهيد لها ؛ مثل العبد فيها كمثل امرىء أحب ملكا عظيماً ، ودان له وهو فى طرف من أطراف ملكه بالخضوع والولاء ، ينفذ أوامره ، ويخلص فى خدمته ، ويقوم بكل ماعليه من واجبات فى سبيله ، ثم يستدعيه هذا الملك العظيم ، فيهرول إليه مسرعاً ، ويخلع نفسه من كل ماهو فيه ، ويأخذ لهذه الزيارة التى ستتم فى بيت الملك اهبتها ، فيتزين ويتطيب ، ويقطع المراحل الطوال حتى يصل إلى غايته ، ويحظى بأمنيته ! ولله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم .

فإذا كان للحج هذه المنزلة الكبرى من بين أركان الإسلام ، وكان الوافدون إلى المسجد الحرام من كل فج عميق هم ضيوف الله وزواره ، فما أجدر الأشهر التى تقع فيها هذه الزيارة بأن تحرم وتقدس ، ويبلغ الأمن فيها مداه ، كما جعل البيت مثابة للناس وأمنا !

---

(٩) اخرجه الشيخان من حديث أبى هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

دراسة التاريخ

المسلمون والاستعمار الأوربي

كتاب الوحوش

لأبى سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعى

١٢٢ - ٢١٦ هـ

* قـــــراءة فـى كتــاب الوحــوش

كتاب الوحوش للأصمعى واحد من عشرات الرسائل اللغوية الصغيرة التى استقى الرعيل الأول من اللغويين العرب مادتها من افواه البدو ، والتى تُعَدُّ نُواة المعجم العربى ، فقد انكب عليها علماء العربية فى عصور لاحقة ، مُصنفين إياها بطرقٍ مختلفة ، وانماط متباينة .

اقتصرت المصادر التى تعرضت لذكر مؤلفات الأصمعى على تسمية كتابه هذا « الوحوش » . وانفردت النسخة الخطية بالمكتبة التيمورية ونشرة « جاير » بتصديره بعبارة « هذا كتاب اسماء الوحوش وصفاتها » ، على حين خُتِمَ الكتاب فى كل منهما بعبارة : « تمّ كتاب الوحوش عن الأصمعى .. تمَّ .. تمَّ .. تمَّ » .

وقد آثرنا نحن هذه التسمية « الوحوش » ، لأنَّها عنوان النسخة الخطية المعتمدة أصلاً لدينا ، ولأنها تتفق وإجماع علماء العربية الذين ارّخوا للاصمعى ومؤلفاته .

اهمية الكتاب :

يعد كتاب الوحوش واحداً من المصادر الهامة التى لا يستغنى عنها باحث أو محقق : فالكتاب عامر بالشواهد الشعرية لحشدٍ كبير من شعراء العربية والرجَّاز ، من بين هذه الشواهد مالم يرو فى دواوين الشعراء من ذلك قول رؤبة :

تَجْتَرِهْنَ الْجَيْئَلُ الشُّرَابِثُ[1]

وقول الأعشى :

عِلْجٌ أَقَبُّ مُقَلَّصُ الأَقْرَابِ

الذى لم يرد فى ديوانه ، وورد فى « الصُّبْحِ المُنِيرِ » ٢٣٧ ضمن « مجموعة ما أُنْشِدَ للأعشى ميمونٍ من شعر غير موجود فى ديوانه » وهو مأخوذ عن كتابنا هذا .

---

(١) الوحوش ق ١٢٦ ، والشطر فى ديوانه ضمن الزيادات ، مأخوذ عن كتابنا هذا ، وفيه روى برواية :
تُجِيْرِهْنَ الجَيْئَلُ الشُّرَابِثُ
وفى المذكر والمؤنث ٨٠ : « ومما يقع على المذكر والمؤنث الجَيْأَلُ ، وهو الضَّبُعُ ؛ قال رؤبة :
تَجْتَرِهْنَ الجَيْأَلُ الشُّرَابِثُ » .
تختزهن : تخدعهن ، من الختر ، وهو اسوأ الغدر واقبحه . وفى لسان العرب (شربث) : « والشرابث القبيح الشديد ، وقيل : هو الغليظ الكفين . وفى الصحاح : والرجلين . وفى المحكم : والقدمين ، الخشنهما » .

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

والكتاب عامر أيضاً ببعض الإشارات المتفرقة عن اللهجات العربية من ذلك قوله : « وَالسِّرْحَانُ فى لغة هُذَيْلٍ الأَسَدُ ، وفى لُغَةِ غيرهم الذِّئْبُ ؛ وقال عمرو بن معدى كرب :

تَرَىٰ السِّرْحَانَ مُفْتَرِشاً يَدَيْهِ
كَأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ الصَّدِيعُ »[2]

وقوله : « الهِجْرِسُ فى لغةِ أَهْلِ الحجاز القِرْدُ ، وفى لُغَةِ غيرِهم الثَّعْلَبُ » .

وقوله : « الخِشْفُ والغزالُ ، وَالْجَحْشُ فى لُغَةِ هُذَيْلٍ .. قال أبو ذؤيب فى الجَحْشِ ، وهو يذكر الظَّبْيَةَ :

بِأَسْفَلِ ذَاتِ الدَّيْرِ أُفْرِدَ جَحْشُهَا
فَقَدْ وَلِهَتْ يَوْمَيْنِ فَهْىَ خَلُوجُ »[3] .

وللكتاب ـ فوق هذا وذاك ـ اهميةٌ أخرى تتمثل فى أنه أنموذج رائد لهذا الضرب من ضروب البحث ، وعلى ضوئه نستطيع أن نقف على مراحل التطور التى طرأت على الصناعة المعجمية من بعده .

وهذه بعض الملاحظات التى تتعلق بمنهج الأصمعى ، والمآخذ التى ارتضيناها :

١ ـ الكتاب زاخر بالشواهد الشعرية التى تعكس التزاماً دقيقاً بمبدأ « الاصطفائية اللغوية » ـ على حد تعبير بلاشير ـ الذى اتخذه اللغويون العرب القدامى معياراً للاستشهاد .

هذه الشواهد الشعرية كثر ماتناولها الأصمعي بالتفسير والتعليق من ذلك تفسيره لقول أبى النجم العجلى :

وراعت الرُّبْدَاءُ أُمُّ الأَرْؤُلِ[4]

بقوله : « راعَتْ إبلى الرُّبْدَاءُ أم الأرؤل ؛ أى إنَّا أعِزَّاءُ فلاَ نخاف على إبلنا أن تؤخذ » .

على أننى أسارع فأقرر أن تفسير الأصمعى لشواهده ـ فى الغالب ـ كان تفسيراً لغوياً ، بمعنى أنه يتناول شرح بعض الألفاظ شرحاً لغوياً ، نرى هذا فى شرحه لرجز قاله العجاج ،

---

(٢) الوحوش ق ١٢٩ . ورد البيت بلا نسبة فى لسان العرب « فرش » . وورد منسوبا لعمرو فى لسان العرب (صدع) ، برواية : « ... صديع » . السرحان : الذئب ، وفى لغة هذيل الأسد . وافترش يديه : بسطهما على الأرض . واللَّبَّةُ : موضع الذبح . والصديع : الضجر لا نصداعه .

(٣) الوحوش ق ١٣١ . ورد البيت برواية : « ذات الدَّيْر » فى الجبال والأمكنة والمياه ٩٧ ، والإبل ١٠٥ . وروى البكرى فى معجمه ٥٤١/٢ : « قرىء يوماً على الأصمعى من شعر أبى ذؤيب : بأسفل ذات الدير ـ بالياء ـ فقال أعرابى بالحضرة للقارىء : ضَلَّ ضلالك إنما هو الدبر ـ بالباء ـ وهى ثنية عندنا ، فأخذ الأصمعى بذلك بعد » .

وفى الصحاح ولسان العرب (دبر) ، نقلاً عن ابن الأعرابى : « وقد صَحَّفَه الأصمعى فقال : ذات الدير » . وورد البيت فى ديوان الهذليين برواية :

« بِأَسْفَلِ ذَاتِ الدَّبْرِ أُفْرِدَ خِشْفُهَا
وقد طُرِدَتْ يومين فهى خَلُوجُ »

الدبر : النحل . والخلوج : التى نزع عنها ولدها ، واختلج عنها إما بذبح وإما بفصال . والخشف : ولد الغزال . ولهت : ذهب عقلها من شدة وجدها .

(٤) ورد البيت فى نظام الغريب ٢٠٢ برواية : « فراعت الربداءُ أمُّ الارؤل » راعت : أفزعت . والربداء : أنثى النعام . والأرؤل : مفردها رَأْل وهو الفرخ من النعام .

كتاب الوحوش

وهو ينعت أتانا :

تواضخ التقريب قلوا محلجا(٥)

فيقول : « والمواضخة أن تعدو مثل عدوه ، والوضوخ من الماء : القليل مر وإنما هذا مثل من المواضخة ، والمواضخة أن يستقى اثنان من ركية واحدة »(٦) .

- وفي تفسيره لألفاظ الشاهد الشعرى - لم يلتزم - في الغالب - بإيراد الألفاظ حسبما وردت في البيت ، ويتضح هذا جليا في شرحه لقول الأعشى :

لاحَـهُ الصَّيْفُ والْغِيَارُ وإشْفَـا
قٌ على سَقْبَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ(٧)

فيقول : « والضال من السدر ماكان بالبر ، والعبرى ماكان في القرى فأسقى الماء ، وقوله : لاحه أي غيره الصيف من العطش في الربيع ، والغيار : مُغَايَرَةُ الْفُحُولِ »(٨) .

- وفي تفسيره لبعض الألفاظ كثر ما استطرد في الاستشهاد للفظة أو مرادفها بالشعر ؛ من ذلك قوله : « والنَّحُوصُ : الحائل لم تحمل في عامها ، يقال : حالت فهي حائل .. قال ذو الرمة :

يَتْلُو نَحَائِصَ أَشْبَاهًا مُحَمْلَجَـةً
قودًا سَمَاحِيجَ في أَلْوَانِهَا خُطَبُ(٩)

والخطبة : الخضرة ، وقال ساعدة بن جؤية في الخطبة :

خَرِقٌ غَضِيضُ الطَّرْفِ أَحْوَرُ شَادِنٍ
ذُو حُوَّةٍ انفُ المَسَارِبِ أَخْطَبُ(١٠)

ومن مثل ذلك أيضا قول الأعشى :

---

(٥) ديوان العجاج ٣٧١ .
القلو : الخفيف من الحمر . والمحلج : الذى يشبه المحلج من الحمر . وتواضخ يعنى أن هذه الأتان لا تجتهد مع فحلها في الجرى .

(٦) الوحوش ق ١٢٣ .

(٧) الصبح المنير ٨ ، وديوان الأعشى ٧ ، برواية :

لاحـه الصيـف والصِّيَـالُ وإشفـا
ق عـلى صـعـدة كقـوس الضـال

لاحه : أضمره وغيره الصيف ، لأنه وقت الجفاف ويبس الكلا . والصيال : مصاولة الفحول من حمر الوحوش . والغيار من الغيرة . والصعدة : الأتان . وفي اللسان « سقب » : « السقب » : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة ... الجوهرى : ولايقال للأنثى سقبة ولكن حائل ، واستعمل الأعشى السقبة للأتان ، فقال .... البيت » . وفي الصبح المنير ٨ : « قال الأصمعى لما جاء الصيف ، ويبس الكلا وعطش تغير » .

(٨) الوحوش ق ١٢٣ .

(٩) ديوان ذى الرمة (أوربا) برواية :

يحـدو نحـائص أشبـاهـا محملجـة
وُرْقَ السرابيـل في الـوانـهـا خطـب

يحدو : أى يسوق بصوت كصوت الحادى . والنحائص : واحدها النحوص ، وهى الأتان التى لم تحمل في عامها . والسماحيج : واحدها السَّمْحج وهى الأتان الطويلة على وجه الأرض وليست بطويلة في السماء . والمحملجة الشديدة الطى والجدل . وُرْق السرابيل : أى وبرها يشبه الرماد ، وقوله خطب : أى خضرة تضرب إلى سواد .

(١٠) ديوان الهذليين ١/١٦٨ وشرح أشعار الهذليين ١٠٩٩ .
الخرق : الصغير من الحمر الذى إذا ما فاجأته فزع وانقبض . وغضيض الطرف : فاتر . والشادن : المتحرك . ذو حوة : فيه خطوط تضرب إلى السواد . والأخطب : الأخضر في لونه .

يُعَـادِى النُّحُـوصَ وَمِسْحَلَهَـا
وَعِفْوَهمَا قَبْـلَ أَنْ يَسْتَحِمْ[11]

يريد قبل أن يعرق .

قال : والحميم : العرق ؛ قال زهير :

كَـأَنَّ سَحِيلَـهُ فِى كُـلِّ فَجْـرٍ
عَلَى أَحْسَاءِ نمؤودٍ وَدُعَـاءُ[12]

ويروى : فى كل فج

قال أبو ذؤيب :

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ
إِلَّا الْحَمِيمُ فَـإِنَّهُ يَتَبَضَّـعُ[13]

اى يجرى ويسيل .

والعرق ايضا يقال له : المسيح ، قال العجاج :

وَفِى الـدُّهَّاسِ مِضْبَـرٌ ضَرُوحُ
إِذَا الْجِيَادُ فِضْنَ بِالْمَسِيحِ[14]

والنجد : العرق من الكرب ؛ قال النابغة :

يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمـاً
بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الأَيْنِ وَالْنجدِ[15]

ـ وقد يتضمن التعليق إيراد رواية أخرى للبيت ، من ذلك تعليقه على قول زهير بن أبى سلمى :

كَـأَنَّ سَحِيلَـهُ فِى كُـلِّ فَجْـرٍ
عَلَى أَحْسَاءِ نمؤودٍ وَدُعَـاءُ[16]

بقوله : « ويروى : فى كُلِّ فَجٍّ » .

٢ ـ ولم يكن الأصمعى حاطب ليل ضجر ، بل كان يعمل حاسته النقدية فيما يتناول من شواهد ، ويتضح هذا جليا فى تفسيره لبيت زهير ابن أبى سلمى :

كَمَا اسْتَغَاثَ بِسَىْءٍ فَزُّغَيْطَلَةٍ
خَافَ الْعُيُونَ فَلَمْ يُنْظَرْ به الحَشَكُ[17]

حيث علق بقوله : « وإنما هو الحَشْكُ فاحتاج

(١١) ديوان الأعشى ٣٩ ، والصبح المنير ٣٢ ، برواية :

بصيـد النحـوص ومسحلـهـا
وجحشـهـا قبـل أن يستحـم

النحوص : الحائل التى لم تحمل فى عامها ، وهى أسرع جريا ؛ لأن بطنها لا تثقلها . والمسحل : الحمار الوحشى . والعفو : ولد الحمار ويستحم : أى يعرق من كثرة الجرى .

(١٢) ديوان زهير ١١ ، وشعر زهير لثعلب ٦٢ ، وشعر زهير للأعلم الشنتمرى ٣٣ برواية : « يمؤود » .

يقول الأعلم الشنتمرى : « السحيل : صوت الحمار وبه سمى مسحلا ، ويمؤود : اسم موضع . والأحساء : جمع حس ، وهو موضع يكون به الماء ، وقوله : « دعاء » شبه صوت الحمار بصوت إنسان يدعو صاحبه ، ويناديه ، وإنما يريد انه فى وقت هياجه فهو يدعو الاتن ، ويجاوب الحمر » .

(١٣) شرح أشعار الهذليين ١ / ٣٤ ، وفيه أشار السكرى إلى أن الأصمعى كان يرويه : « تأبى بدرتها إذا ما استغضبت » . والدِّرَّةُ : أوج العدو يقول : تأبى أن تدرك بما عندها من الجرى إذا استغضبتها ... والتبضع : السيلان . وعلق الأصمعى على هذا البيت بقوله : « وهذا مما لا توصف به الخيل ، وقد أساء ، وإنما أراد بهذه شدة نفسها ، إلا انه كان لا يجيد فى صفة الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به » .

(١٤) ديوان العجاج ١٧٠ ـ ١٧١ . الدهاس : اللين . ومضبر : وثاب .

(١٥) ديوان النابغة الذبيانى ٢٧ . الضمير فى « خوفه » عائد على الفرات ؛ لاضطراب أمواجه ، وشدة هوله . والمعتصم : المستمسك . والخيزرانة : سكان السفينة . والأين : الفترة والإعياء .

(١٦) ديوان زهير ٥٠ ، وشرح شعر زهير لثعلب ١٣٤ ، وشعر زهير للأعلم ٨٦ .

(١٧) وفى لسان العرب (سيأ) الذى أشار إلى أن البيت يروى على الوجهين لكلمة « السَّىْءُ والسِّىْءُ » .

والسىء : اللبن . والفزّ : ولد البقرة . والغيطلة : البقرة . والحشك : الدفع والاجتهاد ، ولكن ضرورة الشعر دفعته للتحريك ، فقال « الحشك » بفتح الحاء المهملة والشين المعجمة .

فَحَرَّك ... والحَشْكُ : دفع اللبن والاجتهاد »

٣ ـ كثرما اقتصر الأصمعى على موطن الشاهد من البيت ، فزخر الكتاب بأنصاف الأبيات ، والتى كانت ـ فى الغالب ـ عجز البيت من ذلك قوله : « والحزابية : كل قصير غليظ من الرجال والحمر ، وأنشدنا :

حَزَابِيَةٌ قد كَدَّمَتْهُ الْمَسَاحِلُ

فموطن الشاهد عجز لبيت ورد منسوبا للنابغة الذبيانى فى ديوانه ١١٦ ، وصدره :

أَقَبَّ كَعَقْدِ الأَنْدَرِىِّ مُسَحَّجٍ [١٨]

ومن ذلك قوله :

« وَيُقَالُ للثعلب الهِجْرِسُ
وَيُقَالُ لَهُ سَمْسَمُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَشْبَاهُ الْهَجَارِسِ فى القِتَالِ

فمواطن الشاهد عجز لبيت ورد منسوباً لحسان بن ثابت الأَنْصَارى فى شرح ديوانه ٣٤١ ، وصدره : « ثَقِيفُ شَرُّ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا »[١٩] .

وإذا كان موطن الشاهد كثر ما ورد فى عجز البيت ، فإنه ورد أحياناً فى صدر البيت ، من ذلك قول أبى دؤاد الإيادى :

أَوْحَشَتْ مِنْ سُرُوبِ قَوْمِى تِعَارُ

فموطن الشاهد صدر لبيت ورد منسوباً لأبى دؤاد فى شعره ٣١٦ ، وفى صفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، وعجزه فى كليهما :

« فَأَرُوم فَشَابَةٌ فَالسِّتَار »[٢٠] .

٤ ـ كان الأصمعى إذا ما وجد اختلافاً ـ لم يُحْسَمْ ـ حول نسبة أحد الأبيات بين شاعرين لا ينتميان إلى قبيلة واحدة أورد الشاهد بلا عزو ، اما إذا انتمى الشاعران إلى قبيلة واحدة أورد الشاهد معزواً إلى القبيلة بإطلاق ، من ذلك قوله : « وقال الهذلى »

صَعْبُ الْبَدِيهَةِ مَشْبُوبٍ أَظَافِرُهُ
مُوَاثِبٍ أَهْرَتُ الشِّدْقَيْنِ هِرْمَاسُ »[٢١]

والبيت فى ديوان الهذليين ٥/٣ ، ورد منسوباً لمالك بن خالد الخناعى الهذلى من قصيدة مطلعها :

(١٨) ديوان النابغة الذبيانى ١١٦ .
الاقب : الخميص البطن . والاندرى : حبل منسوب إلى « اندر » وهى قرية بالشام ، شبه الحمار فى طيه وشدة خلقه بهذا الحبل المضفور . والمُسَحَّج : الذى قد عَضَّتْه الحمر وزَمَحَتْهُ . والمَسَاحِلُ : جمع مِسْحَلٍ ، وهو الذكر من الحمير .

(١٩)شرح ديوان حسان بن ثابت ٣٤١ .
ثقيف : قبيلة عربية لها ماض مشرق ، وتاريخ حافل فى الجاهلية والإسلام انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ومعجم قبائل العرب لعمر كحالة ... والهجارس : مفردها الهِجْرِس ، وهو الثعلب ، اراد أنهم يروغون فى القتال ،ولا يثبتون كما تروغ الثعالب » .

(٢٠)شعر ابى دؤاد ٣١٦ ، وصفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، وبرواية ثانية فى : معجم ما استعجم ٣١٣/١ هى : « سَرُوب » بفتح السين .
اوحشت : اقفرت . وسروب : جمع سرب ، وهو المال السَّارح . وتعار : جبل لا ينبت فيه شىء . واروم وشابة والستار كلها اماكن .

(٢١)البيت لمالك بن خالد الخناعى فى ديوان الهذليين ٥/٣ .
صعب البديهة : اى معالجته شديدة . ومشبوب اظافره : اى قويت كما تشب النار ، وتذكى به ، واهرت : واسع : والهرماس : الأسد الشديد .

يَـامَيّ إنْ تَفْقدى قَـوْمًا ولـدتهم
أَوْ تخلسيهم فَإنَّ الدَّهْـرَ خَلَّاسُ

وَعَلّقَ المحقق أنَّ القصيدة نسبها السكرى لأبى ذؤيب ، وعزاها الحلوانى إلى مالك بن خالد الخناعى » . وربما يكون هذا سبب نسبة الأصمعى للبيت إلى الهذلى بإطلاق دونما تحديد .

٥ ـ يلفت نظر القارىء أن بعض الآراء المنسوبة للأصمعى فى كتابه وردت منسوبة لغيره من اللغويين فى مصادر لغوية أخرى ومثال ذلك قول الأصمعى : « وَالصَّيْدَنُ : الثَّعْلَبُ ، ولم اسمعه إلَّا فى شعر كُثَيِّر »(٢٢) .

هذا الرأى ورد منسوباً لابن خالويه فى كتاب « ليس فى كلام العرب » ٥٤ . وفى لسان العرب (صدن) : « قال ابن بَرِّى : ... قال ابن خالويه لم يجىء الصَّيْدَنُ إلا فى شعر كُثَيِّرٍ ، قال الأصمعى : وَلَيْسَ بِشَىْءٍ » .

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قول الأصمعى : « الفُورُ : الظباء ، ولم اسمع لها بواحد »(٢٣) . وورد هذا الرأى منسوباً ليعقوب ، ففى لسان العرب (فور) : « الفُورُ بالضم الظباء ، لا واحد لها من لفظها ، هذا قول يعقوب ، وقال كُرَاع : واحدها فائر » .

٦ ـ فى الكتاب بعض الأمثال العربية التى استعان بها الأصمعى ليفسر بعض مواده اللغوية ؛ مثل قوله : « .. يقال فى مثل من أمثال العرب : أنت كَبَارِحِ ألأَرْوَى قلِيَلاً ما تُرَى »(٢٤) . وتناوله بالشرح ، والتفسير ، فقال : « يُقَالُ ذَلِكَ للرجلِ إِذَا أُسْتُبِطىء فى الزيارة » .

٧ ـ كان منهج رواة كتب الأصمعى بصفة خاصة ، وعلماء القرنين الثالث والرابع الهجريين بصفة عامة أنَّهم يزيدون فيما يروون من كتب ورسائل ، مما يَرَوْنَهُ مُفيداً ومتمماً لمادة الكتاب ، ويتبلور هذا ـ جَلِيّاً ـ فى كتاب « الوحوش » ، الذى حققناه . وهذه بعض النماذج .

قال : « والعائط التى اعتاطت رحمها سنتين أو ثلاثاً فلم تحمل ، وجمع عائط عوائط وعيط مخففة وعوط .. قال أبو سعيد النفاط : عُيَّط مثقل ، وبالتخفيف خطأ ، وإنما هو مثل سَاجِدٍ وَسُجَّد ، فَيُقَالُ : عَائِط وَعُيَّط . قال أبو بكر بن دريد : قد قالوا حائل وحول ، وعائط وَعُيَّط وعيط الوجه »(٢٥) .

« قال أبو سعيد : كان فى كتابى البَرْغَزُ

البقية ص ١٨٠

(٢٢) الوحوش ق ١٣٩ .
(٢٣) الوحوش ق ١٢٩
وردت كلمة « الصيدن » فى بيت شعر لكثير عَزَّة فى ديوانه ٢٤٩ ، هو :

كَأَنَّ خَلِيفَىْ زَوْرِهَا وَرَحَاهُمَا
بُنَى مَكَوَيْنِ ثُلِّمَا بَعْدَ صَيْدَنِ

خليفا الناقة : ما تحت إبطيها . والرحى : الكركرة ...
والمكوان : مثنى مكا وهو جحر الثعلب والأرنب وغيرهما . بعد صيدن : اى بعد رحيله عنهما ، والصيدن الثعلب .
(٢٤) المستقصى فى امثال العرب ١/٣٧٩ .
الأروى : الوعول ، ومساكنها الجبال ، فقل ما تمر بالناس ، يُضْرَبُ هذا المثل للمبطىء الزيارة ، ويروى : كخارج الاروى قليلاً ما ترى فيضرب فيما لا يقدر عليه ، ولا يكاد يدرك .
(٢٥) الوحوش ق ١٢٢ .

دراسة التاريخ

نلاحظ ان ما يكتبه العرب والمسلمون عن تاريخهم مصدره الاعتزاز القومى والإسلامى ، ولا شك ان ذلك يترك اثره واضحاً قوياً فى نفوس القارئين ، ويزداد هذا الأثر إذا كانت الاقلام مشهوداً لها بالحيدة والنزاهة والصلاح ، بينما هناك اقلام ـ بكل اسف ـ وقعت تحت تاثيرات لونتها وجهات النظر المتعصبة او المفروضة او المشوهة .

وتاريخنا العربى ـ وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام ـ يشهد الآن حركة تقليب فى صفحاته ، وقد صدرت هذه الصيحة من بعض المفكرين فى بداية هذا القرن الهجرى الجديد ، بدافع الحرص على التراث العريق والرغبة فى الوصول إلى مستوى جدير بهذا التراث العريق ، حتى تكون هناك صلة واضحة بين الماضى والحاضر على اساسها تكون الخطوات للمستقبل ..

وإننا لنرجو مخلصين أن يكون هذا القرن بداية لنهضة شاملة يعتز فيها المسلمون ويرتفع شانهم ، وتاريخنا ـ ولله الحمد ـ ملىء بالمفاخر والمآثر التى يمكن أن تمد المسلمين بكل ما يحتاجون إليه من قوة واعتزاز ..

التاريخ دروس :

والتاريخ مطلقاً دروس وعبر وعظات ، وقديما قال الشاعر العربى :

ومن وعى التاريخ فى صدره
اضاف اعمارا إلى عمره ..

والدعوة إلى قراءة التاريخ الإسلامى والعربى ليس مبعثها التحسر بل مبعثها التذكر ، ﴿والذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِين﴾ كما يقول القرآن الكريم ، إن تلفتنا إلى الماضى يدعونا إلى أن نأخذ منه زادا للمستقبل ، والإسلام كله دروس .

اولى التواريخ بالدراسة :

واحق التواريخ بالدراسة لنا هو تاريخنا ، ففى صفحاته كثير من الغناء والفائدة ، وفى سجلاته أمجاد خالدة ، تشهد بما لنا من أياد بيضاء ومواقف عظيمة وقيم نبيلة ومثل عليا وأهداف سامية ، وتأتى بعدها تواريخ الأمم الأخرى للمقارنة والاستفادة فإن بناء الحضارة لبنات يكمل بعضها بعضا .

للإسلام تاريخ :

والإسلام له تاريخ ، ولم يصبح هو تاريخا ولن يصبح تاريخا ، بل هو أيام موصولة متجددة ممدودة إن شاء الله حتى يطوى الله الأرض وما عليها ..

مضى جزء من تاريخه وتتبعه أجزاء هى حلقات متصلة فى سلسلة مديدة مضيئة ، قد تخبو إحدى حلقاتها احيانا ويحتجب ضوؤها وراء سحب تتجمع ولكنها تنجلى وهى غالبا سحب صيف عن قليل تقشع ..

والامم لا تقاس اعمارها بالسنين ولكنها تقاس بالقرون .. وإذا تلفتنا إلى أمتنا ذات الأربعة عشر قرنا نجد حلقاتها فى اغلبها ناصعة فيما عدا اجزاء منها نعيش حاضرها الآن ولكنها لا تبعث على التشاؤم بقدر ما تبعث على التفاؤل ، فالإسلام لا يعرف اليأس . وهو جوهر صقيل

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

لا يخبو حتى إذا خبا أبناؤه ، وهو لا يوصف بالضعف ، ولكن المنتسبين إليه هم الذين يضعفون ، ويوصفون بالضعف حين يتخلون عن منهجه .

الإسلام كالزمان الذى يقول فيه الشاعر :

نعيب زماننـــا والعيب فينـــا
ومـــا لـزمـاننـــا عيـب ســوانا

ورحم الله شوقى حين يقول :

من عـــادة الإسلام يرفع عاملا
وَيُسَـوِّدُ المقدام والفعّـــالا
ظَلَمَتْهُ أَلْسِـنَةٌ تؤاخِــذه بكم
وظلمتموه مقصرين كســـالى ..

كتب التاريخ : واعود من حيث بدات لاقول : إن اولى الكتب بالدراسة التاريخية هى كتبنا العربية التى كتبت باقلام نزيهة محايدة . هى التى يجب ان تعرض امام انظار الجماهير وتيسر لهم بمختلف اوجه التيسير لياخذوا منها العبرة والمثل ويستفيدوا منها الاستفادة الكفيلة ببعث الحياة فى النفوس .

وليس معنى ذلك ان نرفض كل ما يكتب عنا ، بل من الواجب قراءته ودراسته ، وإذا قرانا ما كتبه غيرنا عنا فلابد ان نقراه بعين فاحصة وعقل مفتوح ، قراءة متانية ، فقد يكون مدسوساً بين السطور مالا يمت إلى إشراقة هذا التاريخ بصلة . فمن المعروف ان هناك محاولات كثيرة بذلت لتحجب الضوء الحقيقى عن عيون الناس وبخاصة حينما يكون العداء مستشريا ..

وانا لا ازعم أن التاريخ العربى كله فى جميع عصوره لم تشبه بعض الأحداث المؤسفة أو الهفوات من رجال كان لهم وزنهم ، فالمعروف أن التاريخ يصنعه رجال ، وهم بشر يتعرضون للخطأ والصواب ، وفى كل عصر أعداء للإسلام ومتظاهرون به لايبعد أن يزيفوا ويضيفوا ويحملوا الأمور مالا تحتمل ..

وشتان بين من يقدم أحداث التاريخ بنزاهة وبين من يسلط عليها مجهرا بقصد تجسيم الأخطاء ، أو يعمل فى الحوادث مبضعه فيقدم لنا اشياء مشبوهة أو محرفة عن مواضعها ..

مثال من الكتب غير المحايدة :

ومن امثلة هذه الكتابات كتاب يحمل عنوان « العرب تاريخ موجز » لمؤلف اسمه فيلب حِتِّى(1) ، وقد طبع هذا الكتاب طبعات عدة وبلغات مختلفة ، تشير إلى ذلك عبارته فى مقدمة الطبعة الرابعة بالعربية « إن هذه الطبعة الرابعة باللغة العربية يقابلها بالانجليزية ست عشرة طبعة أصدرتها دور نشر عالمية متعددة ـ ذكرها ـ فضلا عن طبعات يصعب حصرها فى لغات أخرى من البرتغالية والأسبانية غربا إلى الأندونيسية شرقا ، ويمكننا أن نقول : « إن عدد النسخ فى مجموع هذه اللغات لا يقل عن أربعمائة نسخة » وقد نشرت هذا الكتاب فى طبعته الرابعة المشار إليها دار العلم للملايين فى بيروت .

والكتاب بهذه المقدمة المثيرة التى تلفت النظر إلى أهميته يعطينا أيضا صورة عن اهتمام دور النشر الغربية بتقديمه للقراء ، لاحبا فى العرب بالطبع ولكن لتقديم العرب فى صورة المغتصبين الطامعين فى غير حقوقهم كما يبدو فى أثناء الكتاب ..

البقيـة ص ١٨١

(١) حتى : بكسر الحاء والتاء ، عربى الأصل ، متجنس بالجنسية الأمريكية

المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا

- ٢ -

تناولنا في الحلقة السابقة من هذا الكتاب «المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا» عرض التحليل التاريخي الذي أورده المؤلف حول أهداف الاستعمار الأوروبي للقارة الأفريقية ، وحركات «الإحياء الإسلامي» في أفريقيا وأثر مؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) في التكالب الأوروبي على استعمار القارة الأفريقية ، وما كان من الاجتياح الأوروبي لامبراطوريات «الفولاني» و«التوكولور» .

ونوالي في هذه الصفحات عرض وتقديم بقية فصول الكتاب والتعقيب عليه إن شاء الله تعالى .

وفي الفصل الثالث تحت عنوان «المسلمون والغزو الأوروبي لمنطقة سانجامبيا» شهدت سانجامبيا ظهور الشيخ المجاهد (محمد الأمين) الذي تولى قيادة الحركة الإسلامية بها وكانت حركته جهادية ضد الوثنيين وضد الفرنسيين الذين كانوا قد استقروا وطاب لهم المقام في المنطقة .

على أن العداء ما لبث أن دب بين الشيخ (الأمين) وبين السلطان (أحمدو بن عمر التكروري) ولقي هذا العداء حفاوة وترحيباً من الفرنسيين الذين تطلعوا إلى مساندة الشيخ (الأمين) ضد السلطان (أحمدو) فأمدوه بالسلاح إلا أن الشك ما لبث أن ساور قادة القوات الفرنسية في النوايا الحقيقية للشيخ (الأمين) فتوقفوا عن إمداده بالسلاح ، وعملوا على تقليص جيشه .

وبرغم ذلك استطاع (الأمين) الهرب إلى «بالو» حيث وضع لبنات مقره الرئيسي وعمد إلى تقوية نفوذه وساعده في ذلك عاملان رئيسيان :

الأول : أن فرنسا اضطرت إلى إرسال قوات إلى منطقة النيجر لمواجهة جهاد الإمام «ساموري توري» .

والثاني : انهيار الموقف السياسي في السنغال الأعلى بعد موت إمام «بوندو» المدعو (أبا بكر سعدا) وخلفه أخوه (عمر سعدا) الذي تحالف مع الفرنسيين ؛ وطلب (الأمين) من (عمر سعدا)أن يسمح له بالمرور في «بوندو» إلا أن الأخير رفض وأجبر (الأمين) على الانسحاب بقواته .

وقام الشيخ (الأمين) باحتلال القرى حول المركز الفرنسي في «باكل» كما قام بحرق القرى التي تحالفت مع الفرنسيين ، وألحق خسائر فادحة بالقوات الفرنسية . فأغار الفرنسيون على قريته «جونديورو» وقبضوا على أسرته وأخذوها رهينة ، وكان رد (الأمين) هو احتلال منطقة «جوي» وكثف هجماته على المراكز الفرنسية ، وفي «كونجويل» دار قتال شرس لم تستطع القوات الفرنسية إزاءه أن تفعل شيئا سوى الهرب مخلفة وراءها الأسلاب والقتلى والجرحى ، فعمدت إلى إثارة مخاوف السلطان (أحمدو بن

تأليف : دكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم
عرض وتقديم : أحمد تقى الدين

عمر التكرورى) تجاه الشيخ (الأمين) بتصوير انه يتطلع إلى إنشاء امبراطورية واسعة تضم «بلاد التكرور» ، اى أن الاستعمار الفرنسى عندما اعيته الحيل فى مواجهة المسلمين عمد إلى دفعهم إلى ان يقاتل بعضهم بعضا .

وفى اواخر فبراير ١٨٨٧ حاصرت قوات السلطان (احمدو) الشيخ (سويبو ابن الشيخ الامين) فى مدينة «جورى» وتمكنوا من هزيمته وقبضوا عليه وسلموه إلى الفرنسيين الذين اعدموه .

وفى ديسمبر دارت المعركة الأخيرة فى «توباكو» واستبسل (الامين) فى مواجهة الفرنسيين حتى هزم واخذ اسيراً ومات .

بعد أن ادى الواجب وجاهد فى سبيل الله .

وفى الفصل الرابع «المسلمون والغزو الأوروبى لامبراطورية ساموري تورى» و (ساموري تورى) هو من الزعماء الأفارقة الذين ادوا دوراً هاماً فى القارة الأفريقية قبل الاستعمار الأوروبى ، وقد استمر فى مقاومة الغزاة الفرنسيين حوالى سبعة عشر عاما بدءا من عام ١٨٨١ حتى القبض عليه عام ١٨٩٨ وبعد أن اسس دولة إسلامية فى منطقة أعالى النيجر ، وكانت رسالته الكبرى فى الحياة هى الدفاع عن امبراطورية قامت من اجل نشر الإسلام فى غرب أفريقيا ولمواجهة التوسع الاستعمارى ومقاومة التوغل الصليبى فى القارة وبلغ عدد سكان الامبراطورية فى عهد (ساموري) حوالى مليون ونصف مليون نسمة وكان عدد الجيش ما بين ثلاثة وثلاثين الفا ، وخمسة وثلاثين الف جندى فى عامى ١٨٨٧ و ١٨٨٨ .

وناقش الفصل الخامس موضوع «المسلمون والغزو الأوروبى لدولة رابح فضل الله» و(رابح فضل الله) هو من الزعماء المسلمين الذين لعبوا دورا هاماً فى نشر الحضارة الإسلامية فى وسط افريقيا وغربها بالإضافة إلى مقاومة الاستعمار الأوروبى فى مرحلة التكالب على القارة .

وبدا (رابح فضل الله) جهاده بنشر الإسلام بين قبائل الوثنيين حول نهر «شارى» وكان من الطبيعى ان يصطدم ببعض القبائل الوثنية ولذلك سعى إلى بناء جيش مزود بأحدث الأسلحة ، وعمد إلى توسيع مناطق نفوذه حتى دانت له كل بلاد «برنو» وتوسع فى امبراطوريته حتى أنه فكر فى غزو امبراطورية «الفولانى» فى «سوكوتو» فهاجمها اوائل عام ١٨٩٧ إلا أنه اضطر للاتجاه شرقا لمواجهة بعثة فرنسية كانت قد تقدمت نحو «برنو» من الجنوب ودارت معركة عنيفة عند تلال «تجباو» انتصر فيها (رابح فضل الله) واطلق على تلك المعركة «مذبحة تجباو» حيث ابيدت القوات الفرنسية فيها عن آخرها .

وقد اثارت هذه المعركة غضب فرنسا إلى قمته وجعلها تتطلع إلى الانتقام فدارت بينه وبينهم معركة عنيفة انسحب فيها رابح بقواته نحو «لوجون» ، لكن الفرنسيين تمكنوا من محاصرته ودار بين الفريقين قتال رهيب استخدم فيه السلاح الأبيض وقتل فى هذه المعركة قائد القوات الفرنسية (لامى) برصاص (رابح فضل الله) الذى اصيب هو الآخر بجرح مميت وكان استشهاده يوم ١٢ أبريل سنة ١٩٠٠ .

وفى الفصل السادس «المسلمون والغزو الأوروبى لدولة رابح فضل الله» نرى صورة جديدة من صور الجهاد الإسلامى ، فإن الصليبية كانت قد وطدت مراكزها فى الحبشة منذ

المسلمون والاستعمار الأوروبي

ظهور الأسرة السلمانية عام ١٢٧٠ ، تلك الأسرة التى كانت تعمل على نشر المسيحية وتطلعت إلى السيطرة على الإمارات الإسلامية المجاورة ، فتحولت منطقة شرق أفريقيا وبلاد الصومال إلى مسرح لحركة صليبية ضخمة خاصة بعد أن تحالف البرتغاليون - وهم فى فورة حماسهم الدينى بعد طرد المسلمين من أسبانيا - مع (هيلانة) ملكة الحبشة التى كتبت إلى ملك البرتغال تطلب منه إمدادها بسفن لنقل قواتها لغزو مكة وإغلاق البحر الأحمر عند باب المندب .

وقد تزعم الجهاد ضد هذه القوى الصليبية الزعيم المسلم (أحمد بن إبراهيم) فاستطاع أن يهزم الأحباش الذين حاولوا غزو إمارة «هرر» الإسلامية عام ١٥٢٧ بل وبدأ يستعد لغزو «الحبشة» نفسها ونجح فى السيطرة على جنوب بلاد الحبشة عام ١٥٣٥ إلا أنه اضطر إلى الاستنجاد بالوالى العثمانى فى (زبيد) عند اشتباكه بالقوات البرتغالية فى «تيجرى» فأمده الوالى العثمانى بالمال والرجال والعتاد لكنه هزم قرب بحيرة «تانا» ثم مات ، لكن حركة الجهاد لم تتوقف بل تواصلت بشخصية مجاهدة مناضلة أخرى هى شخصية الزعيم المسلم (محمد عبدالله حسن) الذى قاد جهاد المسلمين ضد القوى الاستعمارية من الأحباش والإيطاليين والبريطانيين .

وعمد الشيخ (محمد عبدالله) إلى محاربة الأعمال المنافية للشريعة الإسلامية فطالب بإلغاء استيراد الخمور ، وطالب بعدم إرسال الأطفال إلى المدارس النصرانية .

وحدث أن قام قس بإطلاق النار على مؤذن بأحد مساجد «بربرة» بحجة ان الاذان يؤرق مضجعه فاشعل بذلك غضب المسلمين فقاموا بهدم المركز التبشيرى فى «ديمول» ولاحقوا القسيس للفتك به. ولما زاد الموقف اشتعالا اضطرت الحكومة البريطانية إلى طرد المبشرين وترحيلهم إلى (عدن) وتعهدت بعدم السماح لهم بالعودة إلى الصومال ومنع بناء الكنائس وعدم فتح محلات لبيع الخمور .

وفى مارس ١٩٠٠ حاول بعض الجنود الأحباش جمع الضرائب من الصوماليين فى «أوجادين» فشن أتباع السيد (محمد عبدالله) هجوماً عنيفاً عليهم وعلى المعسكر الحبشى فى «جكجكة» واستولوا على كمية كبيرة من الأسلاب ، وكانت تلك الواقعة هى بداية تحالف امبراطور الحبشة (منليك) مع البريطانيين من أجل ضرب حركة الشيخ (محمد عبدالله) الذى اعتبر تحالف الأحباش مع العناصر الأوروبية بمثابة إعلان حرب على المسلمين فبادر إلى إعلان الجهاد المقدس ودارت المعارك بين المسلمين من جانب وبين تحالف القوى الصليبية التى ضمت الحبشة وبريطانيا وإيطاليا وكان النصر فيها حليف المسلمين .

عند ذلك سعت بريطانيا إلى مسلك آخر هو تشكيك المسلمين فى صحة عقيدة الشيخ (محمد عبدالله) وهو ما نجحت فيه إلى حد بعيد فحدث انقسام خطير فى صفوف المسلمين وحاولت بريطانيا بعد ذلك التفاوض مع الشيخ (محمد عبدالله) إلا أن المباحثات تعثرت بين الطرفين وانتقل الشيخ (محمد) إلى منطقة «دوليا هنت» وبدأ فى بناء الحصون والقلاع فى «تاليح» .

وفى ٩ اغسطس ١٩١٣ دار قتال عنيف بين قوات الشيخ (محمد) وبين القوات البريطانية قرب «تاليح» ، قضى فيها الدراويش (قوات الشيخ محمد) على القوات البريطانية .

وهنا اتخذت الحكومة البريطانية قرارا بضرورة وضع حد نهائى لهذا الثائر المسلم الذى كبدهم من الخسائر ما لاتطيقه الخزانة

البريطانية فقامت الطائرات البريطانية فى ٢١ يناير ١٩٢٠ بقصف مواقع الدراويش فى «مدنش» واضطر السيد محمد عبدالله إلى الالتجاء إلى (أوجادين) وفى أثناء ذلك سقط أفراد أسرته فى الأسر، فلم يتخل عن جهاده إلا إن القدر لم يمهله فقد توفى فى ٢٣ فبراير، وقام أتباعه بدفنه فى مقبرة صغيرة فى مدينة (إيمى)، ولما علم تلاميذه بأن الانجليز يبحثون عن جثته ليمثلوا بها قاموا بفتح المقبرة واستخراج جثته ودفنوها فى مكان مجهول.

وفى الخاتمة استعرض المؤلف ظروف وملابسات هذه الحركات الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء وأرجع أسباب فشلها إلى الصراعات بين زعماء المسلمين فى وقت كانوا فيه أحوج إلى الاتحاد أمام عدو يتربص بهم من كل جانب.

وتشابهت حركات الجهاد والمقاومة الإسلامية فى أفريقيا جنوب الصحراء فى أنها رفضت جميعا الحماية الأجنبية كما رفض زعماء هذه الحركات الاستسلام للقوى الأوروبية رغم العروض المادية والمعنوية التى عرضها الغزاة عليهم وفضلوا القتال والصمود حتى الموت وكبدوا الأوروبيين خسائر فادحة.

وأكد المؤلف على أن القارة الأفريقية بحاجة إلى مزيد من الدراسات حول القيادات الإسلامية فى أفريقيا ودورها فى النضال ضد الاستعمار الأوروبى، والأمل معقود على أبناء القارة الأفريقية فى إعادة كتابة تاريخ الإسلام والمسلمين فى أفريقيا ودحض الكتابات الأوروبية التى ركزت اهتمامها فى تمجيد الدور القيادى الأوروبى فى نشر الحضارة الصليبية بين سكان أفريقيا.

وبعد :

فالكتاب يعد بداية محاولة طيبة لإعادة كتابة تاريخ جهاد المسلمين فى أفريقيا، ولإلقاء الضوء على جهود زعماء المسلمين داخل إطار من الموضوعية والتحليل الواقعى والدراسة المقارنة بين حركات الجهاد فى أفريقيا جنوب الصحراء وتشابهت فى أسلوب جهادها برغم عدم التنسيق بينها، وإظهار ما فيها من فدائية مثالية وإنكار للذات ونلاحظ أن المؤلف قصر بحثه على :

جهاد جزء من المسلمين الأفارقة ضد الاستعمار الذى انطلق طبقا لقرارات مؤتمر برلين.

وأن البحث تناول الاستعمار فى جبهة محددة ليست هى كل أفريقيا ويبدو العنوان الذى اختاره المؤلف ـ من وجهة نظرى ـ أوسع رقعة مما تناوله هذا البحث الجيد.

كما كان ينبغى للمؤلف كذلك أن يُضمن عنوان مؤلفه كذلك تحديداً زمنياً للمرحلة التى يقوم بدراستها، والتى تشمل تاريخ الجهاد الإسلامى فى أفريقيا جنوب الصحراء من عام ١٨٨٦ إلى عام ١٩٢٠.

ونشكر للمؤلف حرصه على التعرض لأثر التطورات السياسية فى أوروبا على الحركة الاستعمارية التى شهدتها أفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر وذلك عندما حرص على تناول مقررات مؤتمر برلين ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ فى فصل تمهيدى مستقل باعتبار أن هذا المؤتمر هو الذى نظم حركة الاستعمار الأوروبى لأفريقيا.

وكنا نود ـ حتى بالنسبة للأجيال الجديدة ـ أن يقدم الكاتب بين يدى بحثه ذكر معابر الإسلام إلى القارة الأفريقية ووسائل نشره وهى ضرورية للغاية وذلك لبيان الفارق الشاسع بين وسائل انتشار الإسلام فى أفريقيا وبين الأسلوب الأوروبى فى نشر النصرانية بالمدفع والبندقية.

وهذه الملاحظات لا تسقط من قيمة الدراسة العلمية الثارة التى احتواها الكتاب والتى نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يثيبه عليها خير الجزاء.

من خير ما نشر

قرآن وسنة

للأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى

العبور إلى «آيات شيطانية»*

فى الحوار الذي أجرته جريدة الأحرار مع صاحب جائزة نوبل الأستاذ نجيب محفوظ كثير من التهرب والالتواء الذى لم نكن نتوقعه من رجل بلغ القمة واصبح فى مأمن ، واقف فقط عند حديثه عن رواية «أولاد حارتنا» واذكر قبل التعرض لحديث المؤلف أننى يترجح لدى أنها كانت وَحْياً لرواية «الآيات الشيطانية» فرواية «أولاد حارتنا» بعد أن صودرت منع توزيعها فى مصر فقط ، ولكنها طبعت عدة مرات فى بيروت وبيعت فى كثير من البلاد العربية ، ولم يشتد بها الاهتمام إلا بعد حصول الكاتب على الجائزة وبعد إعلان المرحوم الخومينى إهدار دم سلمان رشدى .

وأولاد حارتنا مترجمة إلى اللغة الانجليزية وإلى الفرنسية ، وفيما قيل لى ترجمت إلى اللغتين : الروسية ، والعبرية ، وسلمان رشدى قرأها باللغة الانجليزية ، وكانت وحيا له به نسج على منوالها روايته .

والتشابه بين الروايتين ظاهر جداً فى ترتيب الفصول وطريقة عرض المعلومات ، ولا يستبعد ان يكون سلمان رشدى قد حاكاها .

وخلاصة كلام الأستاذ نجيب محفوظ أنه توقف عن الكتابة حين فقد المجتمع المصرى شخصيته قبيل الثورة حتى فقد الكاتب أحلامه ، ولم يجد ما يدفعه إلى نقد جسم ميت وبدءا من سنة ١٩٥٧ بدأت أحلامه وأمانيه فى الثورة تهتز ، إذ لم ينته عهد المنافقين والانتهازيين بل زاد وانتشر الفساد الذى كان يحسبه قد قضى عليه فأخرج فى هذه الظروف «أولاد حارتنا» وهذه الرواية فى شكلها الواقعى خطاب موجه لحكام مصر .

هل كانوا يريدون أن يكونوا (اطهارا) مكملين للرسل والعلم أم (فتوات) ؟

هذا لأن العالَم كان دائما نزاعا بين أهل الخير ويمثلهم (الفتوات) .. وهو يريد بالرواية أن تكون سؤالا لحكام مصر فى هذا الوقت من اى النوعين يريدون أن يكونوا ؟ هذا ما كان يريد أن يقوله ولكن الكثيرين قد أزالوا الخطاب الجماعى ، وأتوا بالتشبيه وظنوا أنه هو المقصود .

وهذه فيما يبدو طريقة لبقة أراد القصاص الفيلسوف أن يتخلص بها ، ومع أن قصصه الأخرى ـ وبها رمزيات أولاد حارتنا ـ بعيدة عما يقول .

اشنع ما فى رواية «اولاد حارتنا» تمثيل (رب العزة) بـ«شخص» مستبد رهيب ينفذ ما يريد حقا أو باطلا ، ثم تصوير (الملائكة) فى صورة زمرة متبطلة ، لا عمل لها إلا الشرب واللهو

---

* ليسمح لى استاذى الدكتور عبدالجليل شلبى بهذه الإضافة .. الخطيب .

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

والعربدة وصور (الأنبياء) فيها واضحة جداً ، وقد جامل المؤلف فى حديثه عن موسى بنى إسرائيل كثيرا .

وهذه نزعة يخففها ما جاء فى القرآن الكريم من أن فرعون كان يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم ولم يأت فى القرآن شىء يفيد أن بنى إسرائيل كانوا ذوى نفع وفائدة لمصر .. وجاء فى كتب التاريخ أنهم يعملون جواسيس على مصر لأعدائها وأن هذا سبب منع فرعون خروجهم من مصر .

وسخر الكاتب من شعيب حَمِى موسى - وهو من الأنبياء المرسلين إذ صوره فى صورة (حَاوٍ) يدخر الأفاعى عنده ، وقال : إن موسى تعلم منه معاملة الأفاعى ، وأخفى المعجزة الإلهية فى قلب العصا حية ثم عودتها سيرتها الأولى .

وقد جعل عيسى عليه السلام ابنا شرعيا ليوسف النجار ثم جعله يموت قتيلا من خصومه .

فإذا كان حقا يريد بعرض الأنبياء فى هذه الصور تمثيل معركة الخير والشر فقد جعل الخير هنا ينهزم على عكس ما يفعله كتاب القصة الكلاسيكيون .

وبوجه عام كان تَأَثُّره بالكتاب المقدس ، وبأقوال مُؤَرِّخى الأديان واضحا ، ولم يلتفت إلى أن القرآن الكريم ينفى قتل المسيح وصلبه .

واخيراً أمات الجبلاوى - الذى هو رمز للذات العليا ، وكنا نفهم من ذلك انه رمز لتغلب الشيوعية ، ونسيان حق الله - سبحانه - معبوداً ومشرعاً ومثيبا ومعاقبا ، لكنه يقول : إنه يرمز بالرواية كلها إلى معركة الخير والشر وفى هذا الموقف نصر الكفر على التدين .

وليس فى الرواية - فيما رأيت - شىء يمثل الرئيس جمال عبدالناصر ولا استبداده ، ولا شيوع النفاق أو فشو الفساد وكثرة المنافقين والانتهازيين وكان فى استطاعة القصاص القدير أن يدس فى أى موقف من مواقف الرواية ، وليس فيها على طولها نقد لمجتمع أفسده الاستبداد حتى فشا فيه الفساد ، **ولكنها كلها زراية بالدين وبالخالق ورسله .**

بقى من اطراف الحوار الذى اجرته جريدة الاحرار مع صاحب جائزة نوبل اتهامه الازهريين بانهم لا يقراون ، وأن بعض أعدائه المجهولين قدم الرواية للأزهر بأنها ضد الدين ، وقرأها الأزهريون على أنها تاريخ وقد أغضبهم **ما وصف به سيدنا موسى بانه ابن حارة يدخن الحشيش** . ولم يكن الحشيش قد عرف على أيامه ، فقاموا باتهام الرواية وطلبوا منعها ، ووافقت الحكومة من أجل الالتفات إليها وإثارة الضجة حولها ، وبهذا قاموا بهجمة شرسة لا مبرر لها على مدى ثلاثين عاما .

وقد كانت تنشر فى جريدة الأهرام أسبوعيا ، وكان الأزهريون يقرأونها والأزهر بعد أن أصبح به كليات متخصصة يدرس القصة الحديثة

←

من خير ما نشر

ويدرك ما يريد كاتبها ، وقد صورت الحياة المصرية من جوانب عديدة مختلفة ، صورها د . طه حسين فى رواية «شجرة البؤس» وصورها يحيى حقى فى «قنديل أم هاشم» وفى «دماء وطين» وصورها توفيق الحكيم تصويرا أوسع فى «يوميات نائب فى الأرياف» وفى أقاصيص أخرى كثيرة .

وهذه القصص تدرس كلها فى الأزهر فى منهج القصة الحديثة وثلاثية نجيب محفوظ ، وثرثرة على النيل ، ودنيا الله ، وأيضاً ربما درست قصص إحسان عبدالقدوس ، وعلمت من بعض الرفاق .. توضيح هذه النقاط وليس من الحتم أن ندرس كل هذه القصص فى عام واحد . ولكنها تدرس ضمن الأدب الحديث .

وقصة «اولاد حارتنا» قراها المرحوم الدكتور محمود حب الله بنفسه وطلب مصادرتها . والدكتور حب الله امين عام لمجمع البحوث الإسلامية . واشهر واكبر امين ولى هذا المنصب وكانت له شخصيته وعقليته ، وكان اكبر من ان يملى عليه راى .. ولم يكن على الأزهر ان يطلب مؤلف اى كتاب ليناقشه ، وكيف يناقش نجيب محفوظ فى سخرية واضحة من الدين وعلى الاخص من القرآن .

وقد كان على المؤلف ـ لو كان واثقا من كلامه ـ ان يتقدم هو إلى الأزهر ليقول له : باى وجه صادرت هذه الرواية ثم يدافع عن وجهة نظره التى بنى عليها روايته ـ ولا يزال باب الدفاع والمناقشة مفتوحا فليتقدم إلى الأزهر لطلب المناقشة وابداء دفاعه وما اظنه يجد دفاعا ولا ان جائزة نوبل تجدى شيئا فى هذا المجال .

عن «الجمهورية»

فوائد التأخير . الربوية

للأستاذ زكريا عامر*

جاء فى أعلام الموقعين وغيره :

إن الدائن فى الجاهلية كان يقول للمدين عند حلول أجل الدين : أتقضى أم تربى ؟ فيزيد أصل الدين بسبب هذا الأجل فيقع ربا النسيئة .

اعلام الموقعين لابن القيم ٢/٢٠١ ـ الموافقات للشاطبى ٤/٤٥ .

وهذا هو الربا لما فيه من مقابلة الأجل بالزيادة وهو الذى نصت عليه المادة ٢٢٦ من القانون المدنى تبيح فوائد التأخير وقد جاء فى مجموعة الأعمال التحضيرية لهذه المادة ص ٥٨٤ الجزء الثانى أنه يستحق الدائن فوائد تأخير لا من تاريخ الإعذار للمدين ، ولكن من تاريخ المطالبة القضائية تمشيا مع (النزوع إلى مناهضة الربا واستنكاره) .

وعبارة «مناهضة الربا واستنكاره» دليل قاطع على أن فوائد التأخير ربا محرم حتى لدى القانونيين انفسهم كذلك فإن القانونيين انفسهم قرروا أن الفوائد الربوية تتعارض مع الأصول القانونية ولا تستقيم مع مبادىء العدالة ذلك أن

* الكاتب : مدير قضايا جامعة الأزهر .

(الربا عقد على منافع موهومة وغير معلومة المقدار) ، وإذا تم العقد على محل محتمل الوجود وغير معلوم المقدار اضحى باطلا ، وكذلك كان الربا «نظرية الأجل في الالتزام» ص ٢٨٧ للدكتور عبدالناصر العطار عميد كلية الحقوق بأسيوط .

يقول الإمام الفخر الرازى في تفسيره المسمى مفاتح الغيب ٢/٣٥٧ .

«إن زيادة الدرهم على انتفاع المدين بمال الدائن أمر موهوم قد يحصل وقد لا يحصل ، وأخذ الدائن الدرهم الزائد أمر متيقن فتفويت الأمر المتيقن لأجل أمر موهوم لا ينفك عن نوع ضرر» والجهالة تمنع الصحة لاحتمال الربا .

وعلماء الشريعة الإسلامية يقررون أن الدائن يرد المال الذى اقترضه كامل الأوصاف والعدد ذلك أن النقود أموال مثلية فالمقترض ملزم برد مثلها أى من جنسها ونوعها وبقدر عددها ذلك انه بالجنس والنوع والعدد يتحقق (المثل) ولا يضمن ما نقص من قيمته بسبب انخفاض الأسعار لأنه لم يفت شيء من أجزائه ولا من أوصافه . طالع في ذلك .

الفروق للقرافي جـ ١ ص ٢١٤ تهذيب الفروق لابن شاط جـ ١ ص ٢١٢ .

وجاء في المغنى لابن قدامة ٤/٣٦٤ : ان المستقرض يرد المثل في المثليات سواء رخص أو غلا أو كان بحالته .

ولما كانت الشريعة الإسلامية السمحاء من اصولها انه « لا ضرر ولا ضرار » وأن الضرر يُزال وأصل ذلك قوله - ﷺ - «لا ضرر ولا ضرار»[1] .

الشحات

للأستاذ : فيص القناعى

«الشحات»[1] الذى تم اكتشاف جثته بعد وفاته في إحدى العمارات السكنية في مصر وثبت انه يملك أربع عمارات سكنية منها العمارة التى توفى بداخلها .. هذا «الشحات» المليونير ليس وحده الذى يعيش دون الاستمتاع بثروته .. فهناك العشرات من اصحاب الملايين الذين يعيشون كالشحاتين !! وكأن الله كتب عليهم الحرمان مما يملكونه .

النقود والأموال ليست طوابع بريد أو فراشات أو ادوات اثرية يجمعها بعض الناس ويضعها في «ألبومات» أو خزائن .. ويستمتع بالنظر إليها من بعيد !!

والذى ينعم الله عليه بمزيد من هذه النقود عليه أن يشارك الفقراء والمساكين في بعض منها ، ويتقرب إلى الله سبحانه وتعالى عن طريق هذه النعمة .

فما الذى استفاده هذا المليونير بعد أن عاش حياته كلها متسولا ؟ وما الذى استفاده عندما حانت لحظة الموت ؟

لم نسمع أن أحد الأغنياء استطاع أن يشترى الحياة أو الصحة أو السعادة أو حتى محبة الناس !

بنصف دينار زيادة تستطيع أن تنام في فندق أفضل .

ولكنك لو دفعت مائة مليون دينار لا تستطيع أن تنام في قبر أفضل .

عن

جريدة «الهدف» الكويتية

---

(١) رواه سعد بن مالك بن سنان الخدرى - رضى الله عنه . انظر الاشباه والنظائر لابن نجيم ص ٤٢ والاشباه والنظائر للسيوطى ص ٧٥ .

(١) جاء في اللغة : شَحَذَ - في التَّسَوُّل : أَلَحَّ فيه يقال هو : يَشْحَذُ الناس اى يسألهم مُلِحا فهو شَحَّاذ . والعامة في مصر يقولون : شحات بتاء .

←

أنباء وآراء

اقيم يوم الأربعاء ٧ من المحرم ١٤١٠ هـ الموافق ٩ من اغسطس ١٩٨٩ م برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل تكريم للسادة الدعاة الفائزين فى المسابقة العامة لرجال الدعوة بالأزهر ، وتكريم الأوائل الناجحين فى الشهادات الأزهرية .

اقيم الحفل فى قاعة الاحتفالات بمجمع المعاهد الأزهرية بمدينة نصر ، وقد القى فضيلة الإمام الأكبر كلمة حث فيها رجال الوعظ وطلاب المعاهد الأزهرية على بذل المزيد من الجهد لتحصيل العلم ، وأن يكون العالم دائماً كالماء الجارى ؛ طاهراً مطهراً متجدداً ينتفع بالعلم وينفع الناس بعلمه ، وقدوة حسنة وأسوة طيبة .

وقد بلغت قيمة المكافآت التى وزعت على الفائزين من رجال الوعظ نحو ثلاثين الف جنيه ، كان نصيب الفائزين الأوائل فى حفظ القرآن الكريم وإجادة ترتيله مبلغ خمسمائة جنيه لكل فائز ، كما كان نصيب الفائزين الأوائل فى العلوم الإسلامية تحريرياً مبلغ اربعمائة جنيه لكل فائز . وهذه أسماء الأوائل فى كل :

اوائل القرآن الكريم اصحاب الفضيلة :

١ ـ الشيخ محمد محمد عبد الباقى ـ المنيا .
٢ ـ إبراهيم احمد عبد العال ـ الغربية .
٣ ـ فتحى السيد عبد الرازق ـ الغربية .
٤ ـ السيد موسى عبد الشافى ـ الغربية .
٥ ـ إبراهيم عطا الفيومى ـ الدقهلية .

اوائل المسابقة العامة فى العلوم الإسلامية ، اصحاب الفضيلة :

١ ـ الشيخ/ محمد الأمين إبراهيم عطيفى ـ اسيوط .
٢ ـ الشيخ/ شعبان محمد عوض ـ أسيوط
٣ ـ الشيخ/ عاطف عبد الحفيظ على ـ الفيوم .
٤ ـ الشيخ/ محمود عبد الحميد محمد ـ اسيوط .
٥ ـ الشيخ/ فرج عبد الله عبد الوهاب ـ سيناء الجنوبية .

● ● ●

اصدر فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٤٣٦) لسنة ١٩٨٩ م بالموافقة على سفر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الودود إبراهيم شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية إلى كل من استراليا ، وتايلاند فى المدة من ١٩٨٩/٨/١٠ م حتى ١٩٨٩/٨/٢٧ م .

يلقى الدكتور اثناء ذلك عدة محاضرات بالمؤسسات الإسلامية إلى جانب تفقده لأحوال المسلمين فى كل من البلدين .

المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة يقرر مقاطعة البضائع البلغارية

قررت هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى اختتام اجتماعاتها بالأردن فى خلال شهر المحرم ١٤١٠ هـ مقاطعة البضائع

إعداد: عبدالمنعم فـــودة

والسلع البلغارية بسبب موقف بلغاريا من المسلمين وحملات الاضطهاد المستمرة ضدهم وطردهم من ديارهم وإجبارهم على التخلى عن دينهم وأسمائهم مما أدى إلى نزوح الآلاف المؤلفة من المسلمين إلى تركيا خلال شهر مايو ويونيو عام ١٩٨٩ م .

وقد سبق للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر أن وجهت عن طريق وزارة الخارجية المصرية مذكرة إلى الحكومة البلغارية تحثها على حسن معاملة المسلمين ببلغاريا .

كما قررت هيئة المجلس إقامة دعوى امام محكمة العدل الدولية فى (لاهاى) بهولندا لوضع حدٍ للممارسات والاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية .

* * *

اذاعت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية من (أبى ظبى) أن السيد / شكر الله شابين مفتش أذربيجان بالاتحاد السوفيتى ذكر أن عدد المسلمين بالاتحاد السوفيتى قد بلغ ٤٠ مليون مسلم ترعاهم اربعة مراكز إسلامية كبيرة .

وأن إنشاء المدارس الإسلامية والمساجد فى الاتحاد السوفيتى يتم بالجهود الذاتية وتعاون المسلمين هناك . وأن الحكومة لا تقدم اية مساعدات مالية لإنشاء مثل هذه المؤسسات .. ﴿ والله غالب على أمره ﴾ (صدق الله العظيم)

* * *

صدر أول إحصاء رسمى فى موسكو عن تكاليف الحرب ضد مسلمى افغانستان قال المصدر : إن التكاليف بلغت قرابه ما يعادل (٧٠) مليار دولار أمريكى .

واستطرد نيكولاى ريكوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فقال : إن روسيا انفقت ما يعادل ٧,٨ مليار دولار فى العام الواحد لدعم القوات المسلحة السوفيتية التى تساند قوات حكومة كابول الشيوعية فى حربها ضد المقاومة الإسلامية الأفغانية التى تحمل أسلحة بدائية .

وقد ذكر نيكولاى ريكوف أن هذه التكاليف الباهظة هى التى أرغمت حكومة موسكو على الانسحاب من الأراضى الأفغانية بعد حرب دامت ثمانى سنوات .

●●●

تعليق مجلة الأزهر :

إن تكاليف الحرب ليست هى السبب فى انسحاب القوات الروسية فقط بل إن السبب الرئيسى والجوهرى هو استبسال المقاومة الأفغانية وإيمانها بالله وإيقاظ روح الإيمان فى نفوس الجنود السوفييت من أصل إسلامى فى سبيل الله .. الأمر الذى فقدت معه موسكو الكثير من جنودها ، فلم يحمل السلاح من أجلها وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ .

* * *

الإسلام هو الدين الثانى فى إيطاليا

ذكرت صحيفة إينا الإيطالية التى تصدر فى روما أن عدد المسلمين يحتل المكانة الثانية بعد عدد النصارى فى إيطاليا فقد بلغ عدد المسلمين (٥٠٠) الف نسمة فى بداية هذا العام معظمهم من أصل عربى وبعضهم أوروبيون وأسيويون وذكرت الصحيفة أن ١٠ آلاف من المواطنين

أنباء وآراء

الإيطاليين اعتنقوا الدين الإسلامى خلال السنة الماضية .

وأضافت أن عدد المسلمين الإيطاليين فى تزايد مستمر بسبب النشاط المتزايد للمنظمات الإسلامية فى مدن ميلانو فى شمال إيطاليا وأن هذه المنظمات قد نشرت ١٠ بحوث جديدة عن الإسلام .

تعليق مجلة الأزهر :

وقد سعت إيطاليا من جانبها لدراسة هذا الأمر فعقدت مؤتمراً كبيراً بالعاصمة الإيطالية روما لبحث مسألة تزايد المسلمين فى إيطاليا فى الفترة ٢٤ ـ ٢٦ فبراير الماضى .

* * *

ذكرت مجلة (تايم) الأمريكية أن الإسلام بدأ ينتشر بازدياد داخل الولايات المتحدة الأمريكية وأكدت الصحيفة أن رجال الكنيسة قد فشلوا فى مواجهة هذا الاجتياح الإسلامى بسبب قصور المسيحيين فى التمسك بمبادىء المساواة بين البشر وتسامحهم إزاء التفرقة العنصرية وعجزهم عن بث روح الخشوع فى النفوس .

* * *

تم تشكيل مجلس إسلامى للمساجد بمدينة مونتريال بكندا ، تكون مهمته تقديم المساعدات للمسلمين القادمين إلى كندا ورعاية المساجد الموجودة فيها .

* * *

خمسة من قساوسة السودان يشهرون إسلامهم

ذكر السيد/ منقو أجاك الوزير الأقليمى لأعالى النيل بالسودان أن خمسة من القساوسة فى مدينة بورسودان قد أشهروا إسلامهم بعد مناظرة استمرت ٣ أيام بينهم وبين جماعة من رجال الدعوة الإسلامية بالسودان .

وأن المناظرة قد تمت فى حرية تامة .

كما ذكر الوزير أن (٤٦٦) رجلا وامرأة أشهروا إسلامهم بمنطقة جنوب كردفان على يد دعاة منظمة الدعوة الإسلامية ومعتمدية العاصمة القومية بالمنطقة .

* * *

أعلن مفتى الدولة الفلسطينية الجديدة الشيخ رجب التميمى أن الدولة الفلسطينية الجديدة تستمد دستورها من الشريعة الإسلامية لأنها ستكون دولة إسلامية وليست « علمانية » .

عمر بن عبد العزيز. بقية

بَنِيّ أحد رجلين : إما رجل يتقى الله فسيجعل الله له مخرجا ، وإما رجل مكب على المعاصى ، فإنى لم أكن أقويه على معصية الله .

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا ؛ فنظر إليهم فذرفت عيناه فبكى ثم قال : بنفسى الفتية - كما يقولون - تركتهم علية (٣) لا شىء لهم ، فإنى بحمد الله قد تركتهم بخير .

أى بنى إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ، ولا من المعاهدين إلا ان لكم عليهم حقا .

أى بنى إن اباكم ميل بين أمرين : بين ان تستغنوا ويدخل أبوكم النار ، أو تفتقروا ويدخل ابوكم الجنة ، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله !!

ومات الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ولقد بلغ أولاده منزلة كبيرة بعد وفاته ، فكان ابنه عبد العزيز بجانب ولايته على مكة والمدينة فى عهد يزيد بن عبد الملك والخليفة مروان بن محمد راوياً للحديث .

وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والياً على الكوفة ، وكان منهم العلماء والتجار ، فكانوا أغنياء ومتصدقين مجاهدين فى سبيل الله.

روى أحد المؤرخين قال :

مات الخليفة هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا ، فقسمت تركته وأصاب كل واحد من تركته الف الف دينار ، ورأيت رجلا من ولد عمر ابن عبد العزيز قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ، ورأيت ولد هشام يتصدق عليه، رحم الله المعلم المربى العظيم عمر بن عبد العزيز وأولاده ورضى عنهم أجمعين .

---

(٣) كذا وردت بالمقال ، ولعلها ، عَيْلة ، أى مفتقرون . فاما علية فقد وردت بكسر فسكون ففتح وتعنى أشراف القوم ووجوهم وقد يكون ذلك مقصوداً بمعنى : تركت أولادك من أشراف الناس ووجوههم ، وهم لا يملكون شيئا .....

الربا فى القانون الاسلامى. بقية

محظوراً غير مشروع بمقتضى النص الذى يتمسكون به .

أما القول بأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يعرفون إلا الربا الفاحش الذى يساوى راس المال أو يزيد عليه فإنه لا يصح إلا إذا اغمضنا أعيننا عما لا يحصى من الشواهد التى نقلها اقدم المفسرين وأجدرهم بالثقة . ولقد كان الشعب العبرانى - الذى يعيش والشعب العربى فى صلة دائمة منذ القدم - يفهم من كلمة الربا كل زيادة على رأس المال ، قلت أو كثرت . وهذا هو المعنى الحقيقى والاشتقاقى للكلمة ، أما تخصيصها بالربا الفاحش فهو اصطلاح أوروبى حادث ، يعرف ذلك كل مطلع على تاريخ التشريع .

وبعد فإننا لا نستطيع أن نطيل الوقوف عند هذا النص الانتقالى ، لأن الذى يعنى رجل القانون فى تطبيق الشرائع إنما هو دورها الأخير . وقد بينا أن الدور الأخير فى موضوعنا إنما تمثله الآيات التى تلوناها آنفاً من سورة البقرة . كما راينا ان الشريعة القرآنية تتجه كلها منذ البداية إلى استنكار كل تعويض يطلب من المقترض . افلا يكون من التناقض ان هذه الشريعة التى تضع الإحسان إلى الفقير فى أبرز موضع من قانونها والتى تحث على إنظار المعسر ، أو على ترك الدين له ، تعود فتأخذ منه بالشمال ما منحته باليمين ، إذ تأذن للغنى بأن يطالبه ببعض الزيادة على الدين ؟

الفتاوى. بقية

حق مهدر الدم فى الجنسية

س ٣ : إذا حكم الإمام بإهدار دم امرىء مسلم وخروجه عن الأمان فى الدولة الإسلامية ـ هل يؤثر ذلك عليه فى الإقامة والتوطن فى الدولة الإسلامية ، وخاصة حقه فى الجنسية .

د . أسامة كامل عمارة

جـ ٣ : إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » رواه البخارى ومسلم وغيرهما

بذلك فإذا زنى المحصن وثبت ذلك بالبينة الشرعية أو الإقرار وحكم الحاكم الشرعى بثبوت الزنا كان جزاؤه الرجم حتى الموت ، وكذلك إذا قتل مسلماً عمداً وثبتت جريمة القتل وحكم الحاكم الشرعى بذلك كان جزاؤه القتل قصاصاً .

وأيضاً إذا ترك دين الإسلام وأصر على ذلك مع إعطائه الفرصة للرجوع إلى الإسلام ، وحكم الحاكم الشرعى بردته قتل كفراً .

هؤلاء الثلاثة إذا حكم شرعاً بجريمتهم كان جزاؤهم القتل ، وبذلك لا حق لهم فى الحياة فضلاً عن الإقامة فى الدولة الإسلامية أو التوطن فيها أو جنسيتها .

وعلى كل مسلم أن يساعد الحاكم الشرعى فى تنفيذ حد الله ولا يعمل على إيواء من وجب عليه الحد أو التستر عليه ، وإلا كان مشاركاً فى الإثم مجافياً لأمر الله ـ حيث أمرنا بالتعاون على البر والتقوى . والله أعلـــم ..

قراءة فى كتاب الوحوش. بقية

وَالبُرْغُزُ جميعاً ، فقال لى الرياشى : أيهما سمعت من الأصمعى ، الفتح أم الضم ؟

فقلت له : فأيهما تختار ؟ . فقال : مثل البَرْغَزِ الفَرْقَدُ ، ومثل البُرْغُزِ الجُؤْذُر . فقلت : فى كتابى جميعاً . فقال : لا تغيره ، فإنى سمعت أبا حاتم يقول : البَرْغَز بالفتح . قال أبو بكر بن دريد : جميعاً بَرْغَز وبُرْغُز » .

٨ ـ هذا ويؤخذ على الأصمعى فى كتابه « الوحوش » خمسة مآخذ هى :

(١) خلو الكتاب من مُقَدِّمَة تُميطُ لنا السِّتَارَ عن دوافع تأليفه أو تكشف لنا النِّقَابَ عن المنهج الذى ارتضاه الأصمعى أداةً للتَّحَكُّم فى ترتيب مادته وتصنيفها .

(٢) افتقار الكتاب إلى تَوَفُّرِ عنصر المنهجية ، فقد حشد الأصمعى أسماء الوحوش وصفاتها ، دون مراعاة أى نمط من أنماط الترتيب بين هذه الأسماء وتلكم الصفات .

(٣) حصر الأصمعى لأسماء الوحوش وصفاتها لم يكن حَصْرَاً شاملاً ودقيقاً .

(٤) بعض الشواهد الشعرية جاءت بلا عزو ، مع أنَّها لشعراء ذائعى الصيت ، ثابتة فى دواوينهم ، ومجاميع شعرهم ، مثل أبى دؤاد الإيادى ، وأبى ذؤيب ، وأمرىء القيس ، وزهير ابن أبى سلمى وساعدة بن جؤية الهذلى ، وعنترة ابن شداد ، والنابغة الجعدى والنابغة الذبيانى ..

٥ ـ القصور فى الاستدلال على المعنى بالشواهد أحياناً ، من ذلك قوله : « وَالصَّيْدَنُ: الثعلب ، ولم أسمعه إلا فى شعر كُثَيِّر »

أعلام الأزهر. بقية

* أمنية الشيخ

... إن أعز أمنية لى ، وليس لى فى الحياة بعدها حاجة هى إخراج كتبى التى كتبتها ، وهى قيد الطبع الآن . أما أمنيتى العامة هى أن يعود الأزهر إلى عهده الأول من إنهاضه لعلوم الإسلام ، وترقية الناحيتين الدينية والعلمية فى أذهان طلابه حتى يكونوا مؤهلين لنشر دعوة الإسلام فى الداخل والخارج .

وبعـــــد ....

فهذا هو العالم العلامة الشيخ الجليل/ أحمد أبو سنة ، وتلك نبذة مختصرة عن حياته ، ومشواره العلمى ، وجهاده فى خدمة الدعوة ، واستمر - ولايزال - فى التلقى عليه أجيال وأجيال بارك الله فيه ، ومدّ الله فى عمره ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ..

أجرى اللقاء :

ناصر وهدان

١٩٨٩/٨/١ م

مراجـــع اللقـــاء :

١ - لقاءان شخصيان تما مع الشيخ الدكتور بمنزله الأول بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢٩ والثانى بتاريخ ١٩٨٩/٨/٢ ..

٢ - صورة من مقال الدكتور - من ثلاث صفحات فلوسكاب - مرسلة لجريدة الأهرام بتاريخ ٩ ذو القعدة سنة ١٤٠٩ هـ .

٣ - مقال من صفحتين كتبهما الشيخ الدكتور للمجلة .

٤ - سجل مجمع البحوث الإسلامية ، فصل بعنوان نبذة عن أعضاء المجمع الحاليين - دورة (٢٤) ، ص ٢٦ ....

دراسة التاريخ. بقية

فعلى الرغم من مقدمته التى يقول فيها : « لم تمض على وفاة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - مائة سنة حتى أصبح العرب أسياد دولة أعظم من دولة الرومان فى أوج عزها ، دولة امتدت أرجاؤها من بحر الظلمات غربا إلى حدود الصين شرقا ومن جبال أورال شمالا إلى حدود السودان جنوبا ، وردد المؤمنون فى كلمتى الشهادة اسم الجلالة والرسول من رءوس المآذن فى جنوبى أوروبا وشمال افريقيا وأواسط آسيا فرجعت جبال الأندلس وسهول الهند والصين ومجاهل الصحراء الكبرى أصداءها ، ودخل فى دين العرب وفى لسانهم ودمهم من الشعوب والأجناس مالم يعهده التاريخ من قبل حتى فى أخبار اليونان والرومان » .

على الرغم من هذه المقدمة - وهى أيضا مشوبة بالريبة فالدين دين العرب وليس دين الله فى نظره ، فإن القارىء لا يكاد يمضى فى قراءة الكتاب بإمعان حتى يصطدم ببعض أفكار عن العرب والمسلمين تبدو وكأنها جاءت طبيعية غير مقصودة لذاتها ، ولكنها وضعت ببراعة فائقة بهدف يعرفه المطلعون على الكتابات الوافدة التى ازدحمت بها المكتبات العربية منتهزة فرصة التعطش للقراءة تارة والشغف بهمزة الوصل بين الشرق والعرب تارة أخرى .

وليس فى هذه العجالة الإمكان بتقديم مقتطفات من هذه الأفكار ، ولكنى أود لو اتسعت دائرة أقلام الباحثين والناقدين لتجلية الأمور التى يقدمها الكتاب المغرضون وبخاصة فيما يرد إلينا من دور نشر مختلفة تعنى بالمظهر الجذاب فى تقديم طبعاتها حتى تُغرِى القراء بما تقدمه إليهم من مطبوعات ..؟

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

الفهـــرس

● المال .. حلاله .. وحرامه
د . علي أحمد الخطيب ٩٧

● بيان لفضيلة الإمام جاد الحق علي جاد الحق
فيما يتداول من حديث البنوك
للإمام الأكبر شيخ الأزهر ٩٩

● وحدانية الله
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعي ١٠١

● الربا في القانون الإسلامي
لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله ١٠٥

● ربح الودائع الاستثمارية
لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة ١١١

● الطير الأبابيل
للدكتور محمد رجب البيومي ١١٣

● الانتفاع بالوقت
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١١٧

● عمر بن عبد العزيز وأولاده
منهجاً وتربية
لفضيلة الشيخ إبراهيم محمد الجمل ١٢٤

● الربا في عمليات البنوك
لواء أ . ح . دكتور فوزي محمد طايل ١٢٨

● حصاد الدعوة الإسلامية
الدكتور عبد الله نجيب محمد ١٣٣

● الفتاوى
للأستاذ علي حامد عبد الرحيم ١٣٧

● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٣٨

باب الشعر والشعراء

اشراف د . حسن جاد

● من عجائب صنع الله
للشاعر صلاح عبده الحناوي ١٤٠

● عد يا ربيع
للأستاذ رشاد محمد يوسف ١٤٢

● من إعلام الأزهر
الأستاذ الدكتور أحمد فهمي أبو سنة
للأستاذ ناصر محمد وهدان ١٤٣

● العلوم الكونية
« الإيدز وباء وبلاء »
للأستاذ محمد مهدي يوسف ١٥١

● من روائع الماضي
الأشهر الحرم
لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد المدني ـ رحمه الله
عرض وتقديم الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ١٥٦

باب اللغة والأدب والنقد

● قراءة في كتاب الوحوش
تحقيق الأستاذ أيمن محمد ميدان ١٦٠

● دراسة التاريخ
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني ١٦٦

● المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا
تأليف دكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم
عرض وتقديم أحمد تقي الدين ١٦٨

● من خير ما نشر
الأستاذ عادل رفاعي خفاجة ١٧٢

● أنباء وآراء
إعداد عبد المنعم حافظ فودة ١٧٦

القســم الانجليـزى

اشراف د . أنس مصطفى النجار

● المقالــة الثانيــة
للأستاذ مجدي عبد الحميد بشير ١٨٦

● المقالــة الأولــى
د . أنس مصطفى النجار ١٩٠

Precepts of the Creator. The only concern and demand of the Creator from mankind is the faithful use of the freedom granted by Him to humanity. The conceptualization of this thesis standardizes the deeds and intentions of mankind into values. The discrimination between the various grades of values from the most vicious to the most virtuous is through the function of the mind. Knowledge is the energizer of the mind to think with the honesty of the spirit in order to discriminate. This leaves the spirit of the human individual as the real safeguard of human action. From hence is the great need for spiritual purification and salvation from evil.

The need for spiritual purification is most justified in this age of materialistic mania in which mankind is blindly indulged. The avaricious covetousness of human desires have disorganized the rational and logical sequence of mental functions, undermined with disruption the natural human property of discrimination of values. Human intentions, actions, and deeds are becoming more and more inadequate and blemished, perverted, malignant and detrminental to the natural inborn qualities of human acme of goodness and decency. If humanity wants to survive the predition in this life, and the inferno in the Hereafter; there must be a return to the path. The path of purity, salvation, self respect, human excellence, spiritual elevation, redemption and atonement. This comes about only by freedom from the slavery bondage of avaricious covetousness carnal desires of all ego and bodily demands and capricious fantasies.

Mankind is summoned to recognize the grave need for salvation of humanity by purification of the spirit, awakening of the conscious, knowledge of the truth and reality. This is achieved by the development of strong faith and true belief founded on knowledge and understanding of the Divine Commandments.

actions have no value other than the intentions which direct them and these intentions to be virtuous must originate from strong faith; and strong faith is the natural outcome of true knowledge. The Holy Quran as the Message of Islam presents the roots and essentials of all knowledge both material and spiritual that are necessary for the build up of strong faith.

Salvation is essentially a process of self purification, which according to Islamic teachings is subject to certain requirements. First, the purity of the body, the garment, and the food; then the purity of the senses, abstinence from sins and transgressions, and the development of genuine love and liniency; then the purity of the heart by the renunciation of all evil trends and qualities, such as envy, malice, hatred and ill will. These are the steps on the path to turn from impurity to purity, to amend, regenerate and blend with the Divine Power. The rituals of worship in Islam are all elements to optimize the process of self purification. The performance of Salat (prayers) is a continual process of remembrance and submission to the Transcendant Being; with the purity of garment and body by ablution, and the purity of the self by devotion. The institution of Zakat is a socio-economic system of perfection and supreme communal respect. It is not a charity, but a human right that is decreed by Divine precept. The mandate of Fasting is an injunction of worship of the highest order of self discipline, spiritual orderliness and training.The act of Pilgrimage is a representation of obedience, endurance, patience, humbleness and total resignation to the Divine power in absolute genuine devotion. Every act of worship in Islam is essentially characterized by being congregational and associated with collective rather than individual practice. The practice of these sacraments of worship institute a condition of continuous awareness of the Divine Milieu, and the individual becomes in a perpetual state of consciousness of the Creator. With the Transcendant Divine as the consort and guardian of mankind, we become certain of the salvation of our souls, and the attainment of spiritual purification.

The understanding of such concepts manifests in the conviction that human actions and deeds can be sanctified, if whatever we do is done in the name of the Creator. The totality of human life and existance down to the most primitive human function and intention are in the name of the Creator. The material world around us is vanity and ashes, and the wise do not draw up from it except what suffices their bodily needs. Nothing of man's deeds in life is really of value in the Eternal Existance, and nothing will endure except the acts and deeds that conform with the Will and

struggle to survive, a strive to attain a standing of spiritual distinction that is elemental to human nature, Jihad of the human ego, an effort during the path of life to accomplish spiritual purification, self betterment, the delicacy of grace and decorum of soul. The control and fruitful harness of body machine and its physical efficiency are the material products of spiritual purification.

Divine scriptures are relayed to mankind through selected chosen Messengers. The original thesis of all Divine teachings to mankind are the same in root and origin. However, some Divine doctrinal teachings have deviated from the root to the shoot, and branched away to make religious doctrinism more commonplace requiring no effort for their implementation. The Jews are confident of salvation as an inborn trait considering themselves the Divinely chosen race; and are therefore making belief of their assurance of Paradise in the Hereafter under any form of conduct in life. Christians have developed a self constructed priest hierarchy that can offer dispensations at will, to grant impunity and freedom from punishment by offering sacrificial oblation as an expiation of wrong action and deed. Such ideas for salvation and redemption are very easy, attractive, fallacious and commonplace. There is no hardship, no effort, no strive, no jihad, no blending of man's systems of mind body and soul into one energy quanta to surpass the total mass of the material being and to blend into the spiritual arena, the Divine Milieu inherent in mankind, to attain the state spiritual purification and salvation. This state of spiritual elevation in Judaism and Christianity is the requirement of the very few, the selected scholars of Divinity, the hermits in seminaries, and priests in the sanctuary of monasteries. The ordinary man is much less restrictive and very much less committed. This standing practice discriminates between the basic requirements of belief and the real process of individual endeavour for salvation.

The doctrinal teachings of the Islamic faith follow a very different theme for human salvation. There is absolutely no hierarchy in Islam, there is no intermediary of any kind or class between the human individual and the Creator. Those who gained academic knowledge in Islamic theism can only teach and guide; however, under no condition can they offer dispensations or expiations for any individual. The process of salvation is totally a property of each individual that is dependant only on the individual's relation with the Divine Transcendant Being. The fundamental requirements for salvation are strong faith, good deeds, truthfullness and the practice of devotion and patience. The individual utilizes his potentialities and own free will to blend with the Divine Power, and reaches beyond what is purely material. Human

ISLAM AND HUMAN SALVATION

By : Magdi Abdel Hamid Basheer

Salvation is the spiritual purification of mankind to regenerate into a new way of life that enriches the human soul into a state of grace, self respect and exaltation. The attainment of such condition is gained through the perpetual process of justification of deeds, actions, and the optimization of faith. Like any other process, spiritual purification is the product of a self maintained behavioural paradigm involving the mind, body and soul of the individual. The integrated capacities of the infinite capabilities of mankind should be energized, educated, trained and programmed to justify human actions and optimize faith. This standing of distinction that is elemental to human nature is achieved through knowledge as an essential requirment of strong faith.

All systems of sciences and knowledge available to man are infinite and become cognitive to the human mind. However, the mental psychological aptitudes and inclinations of mankind deviate from true commitment, to channels that are less restrictive, and more mundane and prosaic. Of all the systems of knowledge and sciences; the theological eschatological theistic doctrinal knowledge appear to be the only discipline which most people are less concerned about and thereby most really ignorant of. Inspite of that ignorance, most people are antagonistic and argumentative without knowledge of the basic foundations of religous doctronism. This is unaccepted in any other discipline of science.

The mind should be educated, trained and clutured to conceptualize the basic elements of true faith. This is attained by the proper understanding of the pure basic fundamentals of blief. The science of religious doctronism is the one concerned with the ultimate spiritual purification of mankind to attain eternal salvation. Since death is inevitable, so what lies beyond is the exciting unknown, which is really the fruit of our conduct, behaviour, and endeavours in life. With this understanding, the journey of life is the workshop of deeds, the campilation of our actions and intentions; it is the path on which everything is engraved on our minds and concealed within our subconscious; it is the account book for which we receive the ultimate verdict on the Day of Judgement in the Hereafter. To attain and accomplish success, an effort during life must be made, a

mental, psychological, cultural, conceptual systems of the man were integrated to make him a man of deep steadfast intelligent belief.

The above narrative appeared in all chronicles related to how Omar ibn Al-Khattab submitted to the faith of Islam. Another statement presented a more reasonable, logical account which confirms more with his persevering forbearing character. The revelation of the new faith caused much disturbance and confusion in the social tribal structure of the Quraysh. The most intense impact was upon the mental aptitudes of every individual mind; some accepted the new theism as the most rationale and immediately associated themselves as followers of the new faith; others processed the matter through a procedure of thought and deliberation; and a third group remained without rational thought dogmatically recalcitrant and opposing. Omar ibn Al-Khattab gave the matter much speculative thinking and rationalization. Inspite of his intense resistance to any change in the tribal structure of the Quraysh, his cultural constitution, ecumenical mind, and liberal personality motivated him to learn about the realities of the new faith. Omar secretly followed the Prophet, and heard from him the versus of the Holy Quran as the Prophet recited them during prayers at the Kaaba. Omar was inspired to excercise his faculty of intellect in cognitive reasoning. Gradually, he perceived the reality of the doctrinal teachings of the new faith, the curtains of blind chauvinism were withdrawn to allow the Light of truth to shine into the mind of the man whose inner self was seeking the deep elements of certainty and absoluteness. Omar went to the Prophet and witnessed that "There is no god save Allah, and Muhammad is the Messenger of Allah".

Omar with his strong candid character, declared in the circles of the Quraysh that he had followed the Messaoe of Islam. He became an enemy to thè pagans, and was subject to their desposition and affliction that inflicted all followers of the new religion. Omar ibn Al-Khattab was offered protectorship by Al-Aas ibn Wail Al-Sahmii. However, the hostile contrariety between Muslims and idol worshippers grew more obstinate, Omar suffered in that enmity of difference, the same as other Muslims. His mind grew more organized, his thinking manifested into sound rationality, his conviction to the faith became more established and concrete, his perception developed into sagacity and wisdom. His whole being was integrated to become solid in character, sharp in justice, adamant in belief, and adherent close companion to the Messenger (prayers and peace from Allah upon him).

to members of your own family, and straighten them". Omar asked "who of my family". Naim answered, "Said ibn Zayed ibn Amre ibn Al-Khattab, who is the husband of your sister Fatimah bint Al-Khattab; who have both followed Muhammad and embraced the new faith". Omar became very upset indeed, mentally disturbed afraid and uncertain of the new faith, his mind heated up and wrestling with contradicting ideas of thoughts. His inherent candidness, culture, ecumenic concepts, knowledge, made him recognize the possibility of a way of life other than the pagan idolatory system of the Quraysh. A way of life that his cousin, his sister, and several other ranks of the Quraysh had embraced and followed.

Omar ibn Al-Khattab hurried in the direction of his sister's home, his mind agitated ,confused in thoughts resolved to straighten his sister and her husband out from their new belief. At the home of Omar's sister was Khabab ibn Al-Arat reading verses from the Holy Quran. Omar confronted them with what he learned about them following the new faith and when they confessed, Omar struck Said, and as Fatimah advanced to defend her husband, Omar hit her on the head and wounded her. Omar asked them to hand over what they were reading. Omar took the manuscript and read the versus from the Holy Quran;"Ta-Ha, We have not sent down the Quran to thee to be for thy distress. But only an admonition to those who fear (Allah). A revelation from Him who created the earth and the high heavens. (Allah) The Merciful is firmly established on the Throne of Authority. To Him belongs what is in the heavens and in the earth, and all between and all beneath the soil. If thou pronounce the word aloud (it is no matter); for He knoweth what is secret and what is more hidden. Allah, there is no god but He, to Him belong the most magnificent Names." (Surat Ta-Ha, XX, 1-8).

The words of the Holy Quran had a micraculous effect on the mind of Omar ibn Al-Khattab. He recognized in them the whole Truth, and the deep Reality of the whole cosmic creation. He instantly perceived the Eternal omnipotence of the Transcendant Being and the Absolute Divine. All the mental systems of thought and understanding of Omar ibn Al-Khattab were metamorphosed and readjusted to oscilate into the exact frequency of understanding of true faith. Omar requested Khabab ibn Al-Arat to take him to Muhammad and his companions. When Omar reached the door, everybody inside the house of Al-Arqam was very concerned, thinking that Omar came for some evil purpose. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) advanced and held Omar firmly by his garment and said "what brought you here, is it not time that you end your evils " Omar answered "I came to confess and wittness that "There is no god but Allah, and that Muhammad is the Messenger of Allah". This was the moment that Omar ibn Al-Khattab accepted Islam as his faith; the whole physical,

→

character; Omar and the rest of the Quraysh practiced the most severe measures of tyranny and oppression for the subjugation of the followers of the new creed, and the erradication of its teachings. The obstinate hostile contrariety was ingrained between the very few followers of the new theism, and the masses of idol worshipping pagans of the Quraysh. Omar ibn Al-Khattab was most determined to preserve the unity of the Quraysh and its distinction among the tribes of the Arab Peninsula; if necessary by force of the sword.

The dilemma of Omar ibn Al-Khattab was to reach a suitable solution to this problem without provoking a split of overt hostility in the tribal relations of the Quraysh. The followers of the new creed were members of several clans of the Quraysh. Abu Bakre and Talha ibn Abdullah were from the clan of Bani Tamim, Abdul-Rahman ibn Aof and Saad ibn Abi Waqqas were from Bani Zuhrah, Osman ibn Affan was from Bani Abd Shams, Abu Ubaydah ibn Al-Garah was from Bani Fihre, and Al-Zubayr ibn Al-Awam was from Bani Assad. These individuals were men of status, in their respective clans who would stand up against any harm done to these men. The other followers of the new creed were from among the common people, and those were the ones that carried the brunt of the persecution and flagrant behaviour of the pagans. The Prophet himself was a continuous target of affliction and maltreatment.

The followers of the new creed were instructed to emigrate to Ethiopia, fleeing from the tyranny subjected on them. Among those that emigrated were notables in their clans. Omar considered that this emigration was a breach in the solidarity and pride of the Quraysh; resolved to take action by killing Muhammad the Messenger and Prophet of the new Divine Faith. Such an action would end this turbulent ordeal that has befallen the Quraysh. Omar ibn Al-Khattab was determined to kill the Prophet; however, Divine Providence rules the destiny of people. That man who was adamantly determined to kill the Prophet of Islam; transmuted with resilient suppleness to become cognizant of the truth and with a rational mind and firm invigoration of spirit, follows the Light that guides mankind to excellence of achievement.

Omar ibn Al-Khattab determined to kill, took his sword and walked through the lanes of Macca towards the house of Al-Arqam ibn Abi Al-Arqam where the Muslims secretly assembled with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). On the way to his destination, he was met by Naim ibn Abdullah who asked Omar of his destination and the reason for his serious angry temper. Omar replied that he was out to kill Muhammad, the cause of all that has afflicted the Quraysh and disrupted its unity. Naim answered Omar "you are vain and pretentious; would it not be more appropriate to go

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE SUBMISSION TO ISLAM

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

Omar ibn Al-Khattab and those like him from the pagans of the Quraysh remained to consider that the most vital objective was the stability of the tribal structure of the Quraysh and the integrity of its social system. Such disposition on the part of the strong hands and majority of the Quraysh preserved the tribal traditions against any alien ideas or beliefs. Omar was very antagonistic to those individuals who carried those beliefs, and was in enmity and opposition of hostility to any social system that was not of the same matrix as that of the Quraysh.

The only ideologies different to tribal paganism were Judaism and Christianity which were ecumenical creedal systems based on Divine scriptures. These were resident in some parts of the Arab Peninsula, Syria, and Palestine to the north. Across the Arab Gulf in Persia, was fire worship and idolatory incendiarism; a ritual of worship not at all appealing or understood. The institution of a new system of belief came through a Divine Message of Islam appearing in the form of Revelation of the Holy Quran received by a chosen Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). This final Divine Scripture was guidance to all mankind being decreed by a Divine Message relayed on the tongue of a man from Bani Hashem, a tribe of the Quraysh. The initial summons of the Message of Islam, and the impact of the Revelation of the Holy Quran, had a pounding effect on the whole Maccan community,and on the Quraysh in particular. The Divine Message called for Monotheism, the Oness of The Creator; total prohibition and denouncement of paganistic idolatory worship.

The attitude of Omar ibn AL - Khattab towards the new system of belief was provocative antagonism with adamant abnegation. He considered that proliferation of the new creed appearing from within the Quraysh itself, and summoned for by a man from Bani Hashem of the Quraysh; would have very devastating effect on the social system, power, stability of the Quraysh. Omar believed that this new doctrine of faith should be blatantly suppressed with force, absolutism and measures of dispotism. With his rough stoic trends of

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 62, PART II
SAFAR, 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab
The Submission to Islam.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and Human Salvation.
By: Magdi Abdel Hamid Basheer.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ربيع الأول ١٤١٠ هـ
اكتوبر ١٩٨٩ م
الجزء الثالث
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل لقارئ أن يشاركنا النظر..!؟

.. فى دعوة نسوقها إليه نتبين بها - فى دراسة مُحْكَمَةٍ - وَجْهَ « الفتوى الشرعية القانونية » التى نستهدى بها الطريق فتدفعنا إلى صراطه المستقيم، وتناى بنا عن بُنَيَّاته[1] ففيها الشر الاثيم، وبعد :

فإن « مجمع البحوث الإسلامية » بالأزهر الشريف - وهو فى تعبير استاذنا الدكتور محمود حب الله - رحمه الله : « الوريث الشرعى لهيئة كبار العلماء » - هذا المجمع اعتبره القانون رقم (١٠٣) لسنة (١٩٦١) م « الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث » .

وجاء فى اللائحة التنفيذية الخاصة بالمجمع فى الباب الثالث فيما يختص بواجبات المجمع - بشان الواجب الخامس :

« ٥ ـ بيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية » أى أن مجمع البحوث الإسلامية هو الجهة الشرعية القانونية صاحبة الكلمة فى هذه الشئون ومنها الشئون الاقتصادية .

ودراسة المجمع لقضاياه يقوم بها أعضاؤه المختصون فى إطار « اجتهاد جماعى »، لذا تصدر « فتاواه » عن دليل ـ يقول بشأنه الفقهاء :

« دليل قوى سالم عن المعارض .

فهى فتاوى لا تصدر عن « أصوات » تقل وتكثر فترفع وتخفض .

فإذا أضفنا إلى هذا « الاجتهاد الجماعى » ماللجمع من وضع قانونى يُفْرِدُه بالنظر فى الشئون الإسلامية صارت فتواه كحكم القاضى « ترفع الخلاف وتلزم الخصم » .

فى إطار هذين الأمرين صدرت دراسات المجمع فى دورته الثانية متناولة من « أعمال البنوك » ما أعلنه فضيلة الإمام الأكبر وأعاده على الأذهان ، ونشرته مجلة الأزهر كما نشرته صحف أخرى .

وتلك الفتاوى ـ وحدها ـ وهذه الدراسات هى التى يلتزم بها الأزهر الشريف ، وليس الأزهر مسئولاً عما سواها من فتاوى ليست لها حصانة فتاوى المجمع .

ثم الأزهر ـ من قبل ومن بعد ـ ليس جهة « تنفيذية » ، وإنما هو جهة « دارسة » تدعو إلى كلمة الله ـ سبحانه ـ وَهَدْىِ رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

من شاء أخذ بتلك الكلمة .

ومن شاء تركها .

وحساب كُلٍّ إلى الله .

أليس ذلك أمر الأزهر فى « الربا » كما هو أمره فى « الخمر » و« الميسر » و« الملهى » .. والحلال والحرام ؟!

وفى الكتاب العزيز أَمْرُه ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإرشاد أمته .

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[2] ..

فاسْتَبِقُوا الخيرات إنما يتقبل الله من المتقين .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) صراط الطريق ما استقام منه واتضح . وبُنَيَّات الطريق ماتفرع منه فى غير استقامة ولا نظام .
(٢) النساء ٧٧ .

نعم .. وا .. أزهراه

الأزهر الحاضر والمستقبل

للإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

نعم .. وا .. ازهراه .. فإن فى جنابه الأمان والسكينة لمصر وللمجتمعات الإسلامية من حولها .. بل وللعالم اجمع ، وإن فى رايه الأمين المخلص سبيل الرشاد ..

لقد نادى الأستاذ ثروت اباظة فى مقاله بصحيفة الأهرام ليوم ١٩٨٩/٨/٧ .. وا ... أزهراه .. ونحن نقول :

« لبيك .. فإن الأزهر لم يتغير ، ولا يزال على العهد به عَلَماً عِلْمِيًّا لمصر ، حافظاً لتراث الإسلام ، وفياً للأمانة التى حملها ـ منذ كان ـ قادراً على أدائها ، بفضل وعون من الله سبحانه ، باذلاً من أجل دينه وأمته غاية الجهد .

لقد جاءت كلمات الأستاذ ثروت أباظة فى مقاله ، نداء وربما عتاباً للأزهر الذى يرحب بندائه وعتابه المخلص ، فهو صديق قريب .. يكتب عن إيمان وغيرة على الأزهر .

وكنت قد عزمت أن أتحدث إلى الأستاذ ثروت فى لقاء خاص به أفضى إليه بما يطمئنه ، وبما يدفع التساؤلات التى عرضها المقال ، فإنى لا أستحسن أن تكون أمور الأزهر وسياسته ـ بصفة عامة ـ مكشوفة مطروحة للمناقشة على صفحات الصحف يتلقفها من يحسن قراءتها ، ومن يَزْوَرُّ عنها لذات نفسه ، ويحرف الكلم عن مواضعه .

لكنى ألفيت فيما بعد قوماً استغلوا المقال وجعلوه سبيلاً لِلَمْز الأزهر ، والعيب له ، والتَنَقُّص منه .

والذين يلمزون الأزهر قوم يظلمون انفسهم ، ويظلمون دينهم ووطنهم ؛ فالأزهر ـ فى سمو مكانته ـ يخطو بثبات ووقار ، فى الألف الثانية من عمره المديد المفيد ، يشيع الأمن والأمان فى نفوس هذا الشعب الذى هو منه وله ، ويمتد نفعه ونفحاته إلى شعوب الإسلام كافة وللعالم جميعاً .

وإنما يعرف الفضل من الناس ذَوُوه ، فها هو الأزهر الشريف فى ماضيه التليد وحاضره المجيد ينهض بأعباء كبيرة جداً ، تتسع دوائرها ومجالاتها ، ولا تقتصر على مجرد عمل تعليمى ، أو توجيه إرشادى ، أو رأى فى الدين ـ وهذا فى ذاته عبء ضخم يحمله الأزهر ويؤدى حقه بعون الله . ولله .

إن من مسئولية الأزهر وعمله حفظ الكيان المعنوى . لهذا الوطن ولأمة المسلمين ، وبث الطمأنينة فى هذا الكيان ، ليبقى عامراً بالإيمان نابضاً بالحياة قوياً أمام الأحداث والمحن التى

نعم .. وا .. أزهراه !

تتربص به . ويربط الأزهر بين مصر والعالم الإسلامى ويجعلها مطمح أنظار المسلمين ومهوى قلوبهم وآمالهم من كل مكان . يؤدى كل هذا وغيره دون مَنٍّ أو تفاخر ، يؤديه فى وَقار يليق بمكانته ، يقول ما يفعل ، وهو دائب على العمل لله ، عاكف عليه .

وإن من نعمة الله على هذا البلد أن حباه الأزهر وباركه به وبارك له فيه . فأصبح رمزاً له وجزءاً عزيزاً من كيانه .

ولقد تغيب هذه الحقائق أو بعضها عن بعض الصادقين المخلصين من أبناء هذا الوطن ، فيسارعون باللوم كلما ساورهم القلق ، أو أخذتهم الغيرة على الأزهر ، ويتوجهون إليه بالعتاب : الْهَيِّن تارة ، والعنيف أحياناً أخرى ، لظواهر رأوها أو أقوال سمعوها ، أو قرعوها وهى فى الواقع حديث إفك يحب بعض الناس أن يشيع عن الأزهر لغرض أو مرض .

ونحن نشكر لأولئك الصادقين حسن نواياهم وسلامة مقاصدهم ، ونأسف لموقف هؤلاء الذين يفصحون بإفكهم عن دخائل نفوسهم .

وليس بين الأزهر وأصدقائه ـ مثل الأستاذ ثروت ـ أستار نبعد بها عنهم فالنفوس حفية بهم . والتواصل قائم بإذن الله .

أما الشباب ممن وصفهم المقال « بأنهم حسبوا الإسلام لحية وجلبابا ، والذين اشتدوا بالرأى فى الدين ، وخاصموا جمهور أمتهم على غير بينة ، فإن الأزهر يعالج أمر هؤلاء بجهود علماء الدعوة وعلماء المعاهد الأزهرية المنبثين فى ريف مصر وحواضرها ، بل فى كُفُورها وعِزَبِها[1] وبواديها ، وإن كان لا يلاحقهم التليفزيون أو الصحافة ، لأنهم يؤدون العمل حسبة لله ، وفى الله ، لا للإعلام والإعلان يتحدثون لكل بيئة بما يناسبها . وأعتقد أن هذا يرضى الأستاذ ثروت وأمثاله من الغيورين على حماية الإسلام وأمن هذا الوطن .

وينبغى الا ننسى أن الأزهر للجميع : للمخطىء والمصيب ، وسيظل الأزهر ـ إن شاء الله وبعونه ـ على نهجه هذا يقيل العثرة ، ويرشد الضال ويعين على الخير ويهدى إليه .

هؤلاء الأبناء لا يستطيع الأزهر أن يخاصمهم مهما اشتدوا فى النفرة والبعد عن جادة الطريق ، ولا أن يتخلى عنهم أو يبرأ منهم ؛ فإن مخاصمتهم تقطع الأمل فى أن يسمعوا النصح ، أو يعملوا به أو يعودوا إلى الحق والرشاد الذى نرجوه لنا ولهم .

بهذا المنهج وبالصبر والمصابرة والمثابرة بعث الأزهر بعلمائه إلى المساجد والمصانع والجامعات ، والمدارس فى المدن والقرى ، بعث إليها كبار الدعاة وقادة الوعظ ، وعلماء المعاهد يختلطون بهم ، ويجلسون إليهم فى شتى مجتمعاتهم ويجرى بينهم الحوار حرا طليقا ، يرشدونهم إلى الحق فيما يثار من قضايا ، وهكذا يجرى الحديث على تواصل لإقناع الشباب ، وإقناع أهليهم بوجه الحق .. وصحيح الرأى فى الدين ، دون تشهير بهم بين المواطنين .

هذا خط ارتآه الأزهر أجدى وأنفع فى علاج هذه المسائل ، حيث شاع أن هؤلاء الشباب لا يحضرون الندوات ، التى تعقد وتحشد لها وسائل الإعلام المتنوعة ، ويديرون ظهورهم للعلماء إشارة إلى كراهية الحضور والاستماع إليهم ، لأنهم يرون أن فى هذا إثارة لهم ولغيرهم ،

وليس هذا غضا من قيمة هذه الندوات فى توعية الشباب بوجه عام لا سيما أولئك الذين لم يتورطوا فيما نسب إلى بعض الفئات من الغلو فى الدين ، ومحاولة فرض آرائهم بالقوة والعنف .

ومن ثم فالأزهر مع الأستاذ ثروت أباظة فى تقديم التحية والتقدير لصاحبى الفضيلة مفتى

(١) العِزْبة ـ فى التعبير المصرى : مَزْرَعة يمتلكها شخص أو عائلة .

الجمهورية ووزير الأوقاف على ما يبذلان من جهد فى هذه الندوات .

لكنه ينبغى أن يلاحظ أن وجوه العمل فى هذا المجال كثيرة ، وأنها لا تنحصر فى أسلوب واحد . وقد اختار الأزهر لنفسه مهامّ أخرى هى أصعب المهام فى هذا المجال ، تحمل الأزهر وحده عِبْئَها ، وهو يرى أنها هى السبيل الأساسى لعلاج هذه المشكلة .

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ .

إن المهمة التى اختارها الأزهر لمواجهة هذا الموقف وأمثاله تُعْنَى بأمرين :

الأمر الأول : حماية المفاهيم الإسلامية ـ بصفة عامة ـ أن يتسرب إليها هذا الخلل أو التشدد ، وحماية الأجهزة الحيوية بهذا البلد أن تضطرب مفاهيمها أو يهتز كيانها المعنوى .

الأمر الثانى : محاولة اللقاء بهذا الشباب المتشدد والقرب منه ، وإجراء الحوار معه إجراء مباشراً دون إثارة أو تشهير أو مصادرة ، وإنما بالإيضاح والإقناع .

وفى سبيل تنفيذ هذه المهمة فى شقها الأول يعنى الأزهر عناية خاصة بجهاز العلماء والدعاة الذين يبعث بهم للقيام بمهمة التوجيه المعنوى لرجال الجيش والشرطة بالذات ، والشعب بوجه عام .

ثم يقف بالمرصاد لكل فكر يتهدد استقرار هذا الوطن فى معنوياته وعقائده وما يطمئن إليه من أحكام الشرع الحنيف ، فيما يحرر أو يصدر من كتب ونشرات .

وقد حشد الأزهر لهذه المهمة مجموعة واعية من الباحثين والفاحصين ، تقودهم إدارة متخصصة ، ويشرف عليهم عالم على درجة كبيرة من المسئولية والخبرة ، فلا يأذن لفكر دخيل أو رأى متشدد أو عدو مهاجم ، أو ذى هوى مفسد ، أن ينفذ إلى ضمير الأمة ، أو يحرف عقائدها ، أو يوقد الفتنة بين طوائفها لتتفجر من داخلها .

ويعلم الله ثم المنصفون من أولى البصر ـ أن ما يدفع الأزهر خطره من هذا النوع عن الوطن ، كَمٌّ رهيب من المحررات والكتب والنشرات : رهيب فى مقداره ، رهيب فى مكره وخبثه ، رهيب فيما يبثه من أفكار ، رهيب فيما يتذرع به من حجج ، رهيب فى خطره . يدفع ذلك بالكلمة الهادفة والعمل الصادق المخلص .

ويقف الأزهر مدافعاً ، محتسباً ، فيواجه الحجة بالحجة أقوى منها ، ويدفع البرهان بالبرهان يدمغه فإذا هو زاهق . ويرد هذه التيارات خاسئة خاسرة ، حتى سلمت ساحة مصر بوجه خاص وشعوب الإسلام بوجه عام مما أصاب غيرها من دوار اختلت به موازين الفكر ، فلم تعد تميز الخبيث من الطيب .

وأما الجانب الثانى من المهمة التى اختارها الأزهر لنفسه فى معالجة مشكلة الشباب المتشدد ـ فهو القرب من الشباب والصبر عليه ، والحوار معه مباشرة ، واللقاء به فى مدارسه ومصانعه ، ومساجده ، بل وفى قراه ، وبين عشيرته ، وفى المؤسسات الاجتماعية والسجون ودور الإصلاح وغيرها .

وقد أعد الأزهر لهذه الغاية دراسات كاملة فيما يتحدث عنه هذا الشباب من مسائل ، وعهد بهذه الدراسات إلى علماء مشهود لهم بالكفاءة ممن تجلهم مجتمعاتهم وتوقرهم ، وتحترمهم ليواجهوا بها حجة الشباب ويناقشوه على ضوئها .

وهذا فى رأى الأزهر أجدى الوسائل فى معالجة فكر هذا الشباب وتصرفاتهم وهو ناجح ـ بعون الله ـ فى الطب لهذه المشكلة مع الأيام . ولاسيما إذا اتخذ هذا منهجاً مدرسياً فى مراحل التعليم المتنوعة .

على أنه ينبغى ألا ننسى أن العلماء الأفاضل الذين يحاضرون فى الندوات التى تحدث المقال عنها هم من الأزهر : أصلا وانتماء ، وحضورهم

←

نعم .. وا .. أزهراه !

فيها حضور للأزهر ، وبهذه الصفة وحدها يتلقى الناس منهم التوجيه والإرشاد الدينى .

وإنه لافتراق بين المؤسسات الإسلامية فى مصر بقصد أو بغير قصد فى حقل الدعوة وطرائقها وإن افتقدت التنسيق بينها و « أهملت » مؤسسات مؤثرة فى حقل الدعوة وواقعها ، ولكل أن يختار السبيل الذى يناسبه من سبل العمل لخير الوطن وخدمة الدين ، وإن كان الأولى التنسيق والتكامل بين كافة المؤسسات ..

أما مشكلة المخدرات ومشاركة الأزهر فى حربها ، فمن المعلوم أن البيئة الإسلامية لم تعرف هذه المواد المخدرة إلا فى نهاية القرن السادس الهجرى ، أى الثانى عشر الميلادى . ومنذ ذلك الوقت بَيَّنَ العلماء حكمها ، وقد كانوا يسمونها بالمخدرات ، وبالمفسدات والمُفَتِّرات ، والمرقدات ، على اختلاف نظراتهم إلى أثرها فى البدن أو الجهاز العصبى ولكنهم اتفقوا على تحريمها .

وهذا الاتفاق القائم بين العلماء فى حكم المسألة يأخذ قيمة الإجماع من حيث القطع بتحريمها ..

ولقد نشر هذا الحكم ، واعترف به الكافة وأصبح أقرب مايكون إلى المعلوم من الدين بالضرورة ، وأصبح إنكاره بمثابة الخروج على الإجماع يكسب صاحبه إثما ومعصية فهو بمثابة الخروج على حكم شرعى متفق عليه ..

إن الأزهر لم يتوان ولن يتوانى عن التعريف بالحكم الشرعى بتحريم المخدرات بيانا بعد بيان ، وكتابا ، بعد كتاب ، منذ عشر سنوات وحتى اليوم ..

على أن كتابه فى هذا الشأن نشر أكثر من مرة ونفدت طبعاته ، فضلا عن أحاديث علماء الأزهر فى شأنها .

وإن من المعلوم أن مشكلة المخدرات اليوم مشكلة عالمية تتهدد أمن كثير من الدول والمجتمعات ، وأنها حرب تساندها جيوش وأساطيل ، ويقودها أباطرة المال ، وربما رؤساء دول ، وقادة عسكريون ، وهى من وسائل الحرب والتخريب للشعوب الآن .. وأصبحت أكبر بكثير من أن يعالج أمرها طب الطبيب ، أو عظة الواعظ ولابد من الردع ، فإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ..

بقى لنا أن نتناول نقطة بارزة ، فى مقال الأستاذ ثروت أباظة وهى مقولة أن خريجى الأزهر لايحفظون القرآن الكريم ، ولايحسنون الحديث باللغة العربية وهو تعميم فيه الكثير من التهويم ، وهذه المسألة يعرفها الخبراء والعلماء وذوو البصر بمجريات الأحداث ونتائجها وآثرها فى المجتمع ..

وإنه لامراء فى أن دوافع الكتابة فى هذه المسألة بهذا المقال إنما هى تعبير عن غيرة على الأزهر ، ورغبة فى إزجاء الخير له .

لكن قوما يتخذون من هذه المسألة شعارا ، وسيفا يشهرونه على الأزهر كل يوم ويجعلونها سبيلا للتعريض به ، والنيل منه ، والكيد له ..

إنهم يتذرعون بهذه المسألة مثلما تذرع قوم من قبل للانتقاض على الإمام على ـ رضى الله عنه بمقولة : « لاحكم إلا لله ياعلى » : شعار : يستتر به من يريد الطعن على الأزهر .

إن حقيقة هذه المسألة انه حدث بعد الحرب العالمية الثانية بهذا الوطن كما حدث بغيره حركة اجتماعية واضحة من حيث التحول إلى الصناعة ، وتغير أنماط الكسب والعمل والسلوك ، واستهداف الوظائف .. مما أدى إلى انصراف المحفظين عن مهنة تحفيظ القرآن ، وانصراف الآباء عن الحاق أبنائهم بالكتاتيب بالريف أو الحضر لحفظ القرآن الكريم .. وكان صدور القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بتعديل قانون الأزهر ، وصاحب هذا توسع من الأزهر فى إنشاء المعاهد الأزهرية ـ الأمر الذى أدى إلى قبول

دفعات من ضِعاف حاملي الإعدادية العامة ، بل ومن راسبيها للالتحاق بالمعاهد الثانوية ، ومن حملة الثانوية العامة الذين لم يقبلوا بالجامعات الأخرى ، للالتحاق بجامعة الأزهر مما كانت حصيلته بعض هذا النتاج الذي يُلمز به الأزهر ويُغمز .

ولم يكن في مكنة أحد ممن حملوا أمانة الأزهر بعدئذ أن يحذف هذه الدفعات ويلقى بها بكاملها في الشارع بحجة أنهم لايصلحون للدراسة الأزهرية .

ولم يكن هذا ممكنا من الناحية العملية ، ولقد سهر الأزهر لعلاج آثار هذا الخطأ وتفادى أن يقع فيه مرة أخرى فقرر إغلاق الباب فلايسمح لحاملي الاعدادية العامة او الثانوية العامة ، وما في حكمهما بالالتحاق بالدراسة بالأزهر بكافة المراحل ، هذا بالرغم من المعارضة الشديدة لهذا القرار ..

كما قرر حفظ القرآن الكريم بكامله بالمرحلة الابتدائية ، ثم يراجع الطلاب حفظ القرآن الكريم بالمراحل التالية من التعليم الأزهري ..

ورفع الأزهر مكافآت المحفظين إلى مثل مرتب حاملي الشهادات الجامعية وجعل حفظ القرآن الكريم شرطا اساسيا لكل ترقية بين وظائف المعاهد الأزهرية والوعظ . كما جعله شرطا للابتعاث إلى الخارج ، ورصد جوائز حسنة للفائزين في مسابقات حفظ القرآن في دورات شتوية ، وصيفية ، وعقد دورات تـدريبية للمدرسات في تجويد تلاوة القرآن بمعاهد الفتيات . وعزز نظـام الإشراف والتوجيـه للمدرسين ، وحفزهم للإجادة بحوافز سخية ، وأجرى بينهم مسابقات دراسية .

واتخذ الأزهر إجراءات تنظيمية وإصلاحية بالغة العمق : من أبرزها تعديل خطط الدراسة بالمعاهد ، وتعديل المناهـج ، وتغيير الكتب الدراسية ، وغير هذا كثير مما لايتسع المقام لبسطه .

والإصلاح التعليمي إنما يجرى على أساس من الدراسة المتأنية ، ولاينفذ إلا متدرجا وفي حذر ومع مراعاة الظروف الاجتماعية للطلاب ، وللعاملين بالحقل التعليمي ، فلا يتصور أن يؤخذ التعليم بالإصلاح فجأة ، وأن تأتى النتائج فورا ..

هذه إشارات محدودة لجانب واحد من جوانب الاصلاح والخدمة للأزهر ، جرى تطبيقها الآن واقعا عمليا ، ولكن اكثر الناس لايعلمون .

أما أن الأزهر لايتصدى لما يجرى في لبنان ، ومايجرى في أفغانستان فهذه قضايا دولية ، تمسك بزمامها قوى عظمى ، تتحكم في مصير العالم ، وتتنازع مناطق النفوذ فيه ، وتوجه حركات الشعوب ، فهل يكون للأزهر في هذا المضمار مجال .. ؟؟

ومع هذا وللحقيقة فإن الأزهر لم يتخل عن اداء واجبه تجاه لبنان وتجاه افغانستان وهو حاضر بأرضهما ومع شعوبهما في احلك الظروف ، لم يقطع صلته بهما في يوم من الايام .

والتلميح هنا أولى وأوفى من التصريح ..

وبعد :

فهل يكون مناسبا أن يكشف الأزهر عن عمله وسياسته على صفحات الجرائد ؟

وهل يجمل أن يُسْتَجْوبُ الأزهر هكذا ويستباح عرضه ..؟

وهل نفع هذه المساءلة من أحبائـه ، وأصفيائه ؟ الذين من حقه عليهم أن يحفظوا له مكانته ، وأن يوقروه ، ويعزروه ، ويقدروا جهوده ، وجهاده ، وينصحوا له في رفق وأناة ..

وإن من شأن الأصفياء النصح الرفيق والحمد لله على كل حال ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

المولد النبوى والإعجاز القرآنى

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

لما أقام الله ـ تعالى ـ الدلائل على ربوبيته وألوهيته ، أردف ذلك الحديث عن القرآن الكريم والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليست معرفة المؤمن بوحدانية الله إلا بمقدار ما تمثله له عقيدته ، إيماناً وفكراً وشعوراً ، إذ لا يكفى أن يُوَحِّدَ الله باللسان ، ويُعبد غيره بلسان الأطماع .

وقد صدّر الله ـ سبحانه ـ الآية بجملة شرطية ، ومثل هذه الجمل مقصود بها جوابها ، ألا وهو التحدى بسورة من أقصر سور القرآن .

والتعبير بـ « إن » وهى لا تدخل فى بعض أحوالها إلا على الموهوم ، كان ارتيابهم فى القرآن وهما من الأوهام وإن كان له ظل فى مخيلتهم .

وعبر بـ « فى » الظرفية ليبين مدى تخبطهم ، وبيهم فى الحقيقة كـ«لاريب» لانه فى غير محله . فإذا ارتاب الإنسان ، فيما هو واضح جلى ، نُزِّل ذلك منزلة العدم ، والريب هو مقدمة الشك ، ولأى شىء يرتابون ؟ والقرآن ماثل أمام الأبصار والبصائر ، يغزوها فيفتح عيوناً عُميا ، وآذاناً صُما ، وقلوباً غُلفا ، إذ هو مُنَزَّل من عند الله ، وليس بمخترع يقدر على اختراعه أحدٌ من الإنس أوالجن أو الملائكة .

والتنزيل والإنزال سواء فى الهبوط من أعلى إلى أسفل ، وفرّق بعض المفسرين بينهما ، فجعل الفعل مضعَّف العين (نزّل) للتفريق ، ولفظ (أنزل) لعدم التفريق ، وباستقرائنا للقرآن وجدنا خلاف ذلك ، ففيه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ فعبروا عن إرادتهم بنزوله جملة بالفعل المضاعف ، والمختار أن التضعيف فى الفعل المتعدى يُراد به التفريق ، تقول : [قطَّعته أى فرقت أجزاءه] . والتعبير بلفظ « على » لبيان علو المُنَزَّل ، وأنه جاء للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جهة واحدة ومصدر واحد هو الله رب العالمين ، لا دخل فيه لأحد سواه .

وعبر عن المُنَزَّل إليه ، بأنه عبد لمولاه ، والعبد وماملكت يمينه لسيده ، ومن هنا نفقه ما خُيِّر فيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أن يكون ملكاً رسولاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ، فاختار

العبودية لأنها أحب صفة إليه ، ولأنها تعنى منه تفويض كل شيء إلى خالقه . ومن المصادفات السعيدة لى أن يكون مقالى هذا فى شهر مولده - صلى الله عليه وسلم - ففي الجاهلية كان العالم الإنسانى يكابد فى هيكله المُنحل عوامل البِلىٰ من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية تُرهق الجسد ، وعند ميلاد محمد - صلى الله عليه وسلم - كأنما هتف من الغيب هاتف يقول : « إنما العبادة لله ، والقيادة لرسوله ، والسيادة لدينه ، والحُكم لشريعته ، والدنيا للجميع » ، ثم انبثق روحه القدسى فى مجاهل البدو ، ومعالم الحضر مبتسماً كما يبتسم الأمل فى قطوب اليأس ، وتومض المنارة فى ظلام المحيط .

وكأن الطبيعة المشغوفة تنتظر انبثاق الروح المبدع والعمل الإنسانى ليملأ العالم نوراً وضياء ، ثم كانت الومضات تنعقد هالات مشرقات على شِعب بنى هاشم ، وكانت الخليقة المؤوفة ترتقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله ، تجد كل هذا فى المولود العظيم ، الذى استوعبت شخصيته كل ما تميزت به الشخصيات المحيطة به ، فلا جرم أن كان قدوة للجميع بإنسانيته ونبوته ورسالته .

فحقيقة النبوة ، قوة من الوجود فى إنسان مُختار ، جاءت لتُصلح الوجود الإنسانى . بدلالتها على النظام بدل الفوضىٰ ، وعلى الرُقى بدلاً من الانحطاط وبالكمال بدلاً من النقص ، وبالإشراق الروحى بدلاً من الظلمة المادية فهو - صلى الله عليه وسلم - مُعجم نفسى حى ، وضعته الحكمة الإلهية بعلم من علمها ، وقدرة من قَدَرها ، لتتخرج على يده الإنسانية إلى العدل والرحمة والقوة والتقدم فى بحر الحياة وعتو أمواجها ، فجاهد وكابد ، وَعَفَا وأصلح ، وما انتقم لنفسه بل حصر غضبه لله لا لسواه ثم قال تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ من مثل القرآن أو من مثل محمد ، وهيهات أن يقترب منهما شيء ، فضلاً عن أن يكون لهما مثل ، اللهم إلا أن يكون فى خيالهم الجامح الذى لا تضبطه عاطفة ، ولا يُقيده منطق .

فالقرآن الكريم شامخ بتحدّيه ، منتظم بألفاظه ومعانيه ، آياته مُنزلة من حول العرش ، الأرض بها سماء ، وهى منها كواكب ، أغلقت دونه القلوب ، فاقتحم اقفالها ، لفظه ومعناه روحان مُتآلفان يتبع كل منهما الآخر ، صَفَّى اللغة من اكدارها ، وأجراها فى ظواهرها وبواطنها على حقيقة أسرارها ، فجاء بها فى ماء الجُمان ، أملأ من السحاب ، وفى تَرَاءةِ الخلق أجمل من الشباب .

ووجه إعجازه لا يحد ، وكل ماذكره العلماء من وجوه إعجازه ، قطرات من بحر لا ساحل له ، أعجز العرب بأسلوبه وفصاحته وبلاغته ، وأعجز العجم بتشريعه المُحكم ، ومبادئه الخالدة ، وأعجز الجن بأخباره الغيبية ، وكان القرآن - ولم يزل - معجزة تحمل الخلود تخاطب العقل فتقهره ، وتحاور القلب فتأسره ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

وزاد من تحديه أن دعا الناس أن يستعينوا بمن يشاءون ، وبما يشاءون من معبوداتهم وسدنتهم إن أرادوا البرهنة على صدقهم فى دعواهم ، ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وقد عبر عن منزلة المستعان بهم أنهم « من دون الله » فلفظة « دون » لا تعنى مجرد الغيرية ، بل تُضيف إليها انحطاط المنزلة فى الدناءة والخسة .

ولأن القرآن من عند علّام الغيوب ، ذكر ما هو كائن ، وما سيكون فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ ، وما كان لبشر أن يصل إلى تلك الثقة

إلا محمد - صلى الله عليه وسلم - بالوحى الإلهى ، وقد وصل إلينا من محاولاتهم مجاراة القرآن سخافات ، يمقت النظر إليها كل ذى عقل رشيد وقلب سليم ، وحيث ثبت عجزهم بعد تحديهم ، أمرَهُم أن يتخذوا لأنفسهم وقاية من عذاب الله وسخطه بالالتجاء إلى طاعة الله ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

فإن قلت : الحجارة لا تؤثر فيها النار .

قلت : فى هذا التعبير تلويح بحقارة كل معبود غير الله ، وأن أى شىء لا تثبت صلابته أمام النار حجراً كان أو حديداً ، وأن هذا المعبود متى رَضِيَ بأن يُعبد كان كالحجر ، لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغنى شيئاً ، ثم قال : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ وهنا وقفات ، تساءل الناس عنها قديماً وحديثاً .

سئلوا أولاً : هل النار والجنة موجودتان أو ستوجدان بعد ؟

قال النصّيون بالأول ، والعقلانيون بالثانى ، والقرآن يحتمل كل تخريج معقول تشهد له القرائن .

وهناك قول ثالث : يرى أن أجزاءها موجودة ، وتركيبها سيُوجد عند الجزاء ، حيث الآن لا جزاء ، كالمنزل تُحضَر له لبنات البناء وما يحتاج إليه ثم يُبنى بعد ويُقام .

ثانياً : إن أى حُكم هو مُعلل ببواعثه ودواعيه ، فما استحق - النارَ - أهلُ النار إلا لكفرهم ، وما استحق - الجنة - أهل الجنة إلا بإيمانهم وعملهم ، وقد نازع قوم فى التعليل على اختلاف حفلت به كتب الأصول والتفسير .

ثالثاً : إذا كان التكليف بما يُطاق ، وطلب الإتيان لا يُطاق ، فكيف طُلِبَ منهم ذلك ؟ والجواب : أن العبد فى رحمة من الله وفى سعة مادام خاضعاً ، فإن عصى نيط به مايعجز عنه ليكشف لنفسه حقيقة أمره ، حتى لا يتطاول ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ .

وعلى الإنسان أن يعرف نفسه ، وما أتيح لها مما يقدر عليه ، وأن يلزم حدوده ، فالعبد عبد ، والرب رب .

وإذا خرج الإنسان عن عبوديته ، ناله من الحيرة والتحدى ما هو أهلٌ له ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ ، وليعلم ذلك العبد أن ما أخذه لنفسه من حقوق هى منحة من الله له ، وإلا فليس له استحقاق شىء ، لا بذاته ولا بعمله .

وأين كنت حين واجهتك عنايته ، وقابلتك رعايته ؟ ، لم يكن فى أزله إخلاص أعمال ، ولا وجود أحوال ، ومع ذلك تفضل عليك عبداً له ، لا رباً تجادله وتحاسبه .

واعلم أن فى أسلوب القرآن تنزيلا وتضمينا ، فقد يُنزل الموجود منزلة المعدوم ، ويُضمِّن شيئا معنى شىء آخر ، فشك المتشكك فيما لا داعى له يُعتبر كلا شك ، وإن الإقناع المنطقى لا يكفى وحده لتعليل ظواهر الاجتماع ، وظواهر التاريخ ، فيما له اتصال بأطوار السرائر على الخصوص ، وليس من المنطق الصحيح أن نتخيل الناس جميعاً منطقيين حين يؤمنون ، أو حين يكفرون ، ومنطقيين فى تمييز الحق والباطل من الدواعى والأسباب .

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾ و - صلى الله عليه وسلم - على مُعلم الناس الخير .

من روائع المخطوطات فى البشريات بالمصطفى

كتاب
خير البشر بخير البشر
للعلامة ابن ظفر

للأستاذ: عبد الحفيظ فرغلى القرنى

لم يكن مجيء المصطفى ﷺ إلى الدنيا فجاة بدون مقدمات ، ولكن سبقته إرهاصات وبشارات ، اخبرت بها الكتب السابقة ، واشار إليها الانبياء السابقون ، بل إن الله - جل وعلا - قد اخذ الميثاق على النبيين جميعاً ان يؤمنوا به وينصروه ويبشروا اممهم برسالته وياخذوا عليهم العهد ان يؤمنوا به وينصروه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ - آل عمران ٨١ -

ومن الكتب الجامعة فى الإخبار بكل ذلك كتاب « خير البِشْر بخير البَشَر » للعلامة ابن ظفر ، وهو مخطوط فى دار الكتب المصرية ، وقد أتيحت لى فرصة قراءته ومقابلته بغيره ونسخه وتصوير صفحات منه تمهيدا لنشره بعد تحقيقه بتوفيق الله - تعالى - .

من هو ابن ظفر ؟

أما ابن ظفر فهو الإمام العالم العامل أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن محمد ابن ظفر الصقلى الحموى .

ولد فى صقلية سنة ٥٠٠ هـ - ونشأ فى مكة المكرمة ، ثم ارتحل إلى مصر وأفريقيا ، وأقام بالمهدية فترة من الزمن ، ثم عاد إلى مسقط رأسه « صقلية » ، ولكنه لم يلبث أن استأنف رحلاته إلى كثير من البلاد ، فقصد مصر مرة أخرى ، ومنها إلى حلب . وجال فى الأندلس والمغرب ، واستقر به المقام فى حماة وبها توفى سنة ٥٦٥ هـ . بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتأليف .

من روائع المخطوطات

وترك مؤلفات عديدة جامعة فى مختلف فروع المعرفة منها ـ عدا الكتاب الذى نحن بصدد ـ : « التفسير الكبير فى القرآن الكريم » ـ « ينبوع الحياة » (تفسير ايضاً) « الاشتراك اللغوى » ، « المطول فى شرح مقامات الحريرى » ، « حاشية على المقامات » استدرك فيها على الحريرى فى عدة مواضع منها . وله كتاب : « أنباء نجباء الأبناء » ، وغيرها

كتاب خير البشر :

أشار ابن ظفر فى مقدمة كتابه إلى هدفه من تاليفه فقال :

هو كتاب صنفت فيه ملح البشارات المقدمات بين يدى مبعث سيدنا المصطفى محمد ﷺ هو كتاب صنفت فيه ملح البشارات إلى اربعة اقسام :

قسم يدور حول البشارات التى جاءت فى كتب الله السابقة مجيئا لا منكر له .

قسم يدور حول ما جاء على السنة الأحبار .

قسم يدور حول ما جاء على السنة الكهان .

وقسم يدور حول ما جاء على السنة الجان .

وفى الكتاب براعة وطرافة ودقة تسترعى الانتباه وتثير الالتفات ، وهو جدير بأن نقدم للقراء بعض ملحه ليقفوا منها على مدى ما وصلت إليه خطط الكتابيين فى إخفاء ما أمروا بإظهاره ، وكتمان ما ألزموا بتبيانه تمشيا مع طبيعتهم التى اخبر عنها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ آل عمران ١٨٧ .

لقد كان الذين أوتوا الكتاب يعرفون النبى ﷺ معرفة وثيقة بناء على ما أخبرت به كتبهم ، ولكنهم كانوا ينكرون هذه المعرفة حسدا من عند انفسهم ، وقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ـ البقرة ١٤٦ .

وكان ابن ظفر دقيقا حين أتى بالشواهد الناطقة بالبشارة من كتب أهل الكتاب التى بأيديهم ويعترفون بها ، ويقول فى ذلك : « وإنما نذكر ما اظهروه ورضوا للتفسير له باللغة العربية بما حكيناه عن تراجمهم بلفظهم الذى اختاروه واثبتوه فى كتبهم ليكون ذلك اقطع لغدرهم واحسم لروغانهم » .

واقدم للقارىء الكريم الآن امثلة مما أورده ابن ظفر فى كتابه من البشارات .

مما ورد من البشارات فى الكتب السابقة .

قال ابن ظفر : ومما رضوا ترجمته من الانجيل قولهم : « إنه إذا جاء « الفارقليط » الذى ارسل إليكم من عند أبى . روح الحق الذى يخرج من الآب فهو يشهد لى ، وأنتم تشهدون لى ايضاً لكينونتكم معى فى أول أمرى » .

وهذا النص الذى ذكره ابن ظفر ، وارد فى انجيل يوحنا من الإصحاح الخامس عشر بعبارة : « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الرب ينبثق يشهد لى وتشهدون لى أنتم ايضاً لانكم معى من الابتداء » .

وواضح مافى العبارة من تلفيق الألوهية والبنوة لعيسى ـ عليه السلام ـ قال ابن ظفر :

فقوله روح الحق الذى يخرج من الآب كناية عن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ .

وقوله : يشهد له تصريح بنبوة محمد ﷺ إذ لم يشهد للمسيح بالنبوة والنزاهة مما افترى عليه ، وبأنه روح الله وكلمته وصفيه ورسوله كتاب سوى القرآن ؛ ولم تزل الأمم تكذب المتبعين للمسيح ـ عليه السلام ـ واليهود يفترون فى أمره العظائم من البهتان حتى بعث الله محمداً ﷺ فشهد للمسيح بما شهد له أصحابه وحواريوه الذين كانوا معه .

أما لفظ « الفارقليط » فهو ترجمة يونانية لكلمة « بيركليتوس » الواردة فى الإنجيل بالعبرية ، وهم يقولون : إن معناها عندهم « المُعزِّى » ولكن معناها الدقيق : الذى له حمد كثير ، وبأسلوب التفضيل « أحمد » وهذا ما ورد فى القرآن الكريم على لسان عيسى ـ عليه السلام : ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ ـ الصف ٦ ـ

وقد استطرد ابن ظفر ـ رحمه الله ـ فاستقرأ ماورد من عبارات تشير إلى النبى المبعوث فى آخر الأمم سواء ماجاء فى العهد القديم أو العهد الجديد .

مثال مما ورد على السنة الأحبار :

ذكر ابن ظفر قال : من ذلك ماروى عن وهب ابن منبه أنه قال : قرأت فى بعض الكتب المنزلة على نبى من بنى إسرائيل أن قم فى قومك وقل : ياسماء اسمعى ، وياأرض انصتى ، لأن الله ـ تعالى ـ يريد أن يقص شأن بنى إسرائيل وأنى ربيتهم بنعمتى ، وآثرتهم بكرامتى ، واخترتهم لنفسى ، وأنى وجدت بنى إسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها ، فرددت شاردتها وجمعت ضالتها وداويت مريضها وجبرت كسيرها ، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها ، فقتل بعضها بعضا ، فويل لهذه الأمة الخاطئة وويل لهؤلاء القوم الظالمين .. إنى قضيت يوم خلقت السماوات والأرض قضاء حتما وجعلت له أجلا مؤجلاً لا يدفعه .. فإنى باعث رسولاً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا قوال بالهجر والخنا ، اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ..

قال ابن ظفر : وروى الواقدى عن ثعلبة بن ابى مالك أن عمر ـ رضى الله عنه ـ سأله ـ وكان من أحبار اليهود ـ عن صفة النبى ﷺ ـ فى التوراة . فقال : إن صفته فى توراة بنى هارون التى لم تبدل ولم تغير : أحمد من ولد إسماعيل ابن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبى العربى يأتى بدين ابراهيم الحنيف ، يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ، فى عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة .

واستقصى ابن ظفر فى ذلك أخباراً كثيرة .

ومما ورد من البشارة على السنة الكهان .

والفرق واضح بين الأحبار والكهان ـ فالأحبار هم علماء أهل الكتاب ـ أما الكهان فهم الذين يتعرفون الغيب عن طريق الاتصال بالجن وكان للعرب اعتقاد خاص فيهم ، وكان هؤلاء الكهان ينتشرون فى بلاد العرب وغيرها . وقد ذكر ابن ظفر فى كتابه كثيراً أخبار الكهان التى تبشر بالنبى ﷺ .

ومن ذلك ماوراه عن لهيب بين مالك اللهبى ـ وقد ذكر خبره ابن الأثير فى أسد الغابة ـ قال : قال لهيب : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة فقلت : بأبى أنت وأمى يارسول

من روائع المخطوطات

الله ، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم .

وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر ابن مالك ، وكان شيخاً كبيراً قد اتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان أعلم كهاننا ، فقلنا له : ياخطر هل عندك علم من هذه النجوم التى يرمى بها ؟ فقال : عودوا إلىّ السحر ، أخبركم الخبر .

قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد فى وجه السحر فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص إلى السماء بعينيه ، فناديناه .. فأومأ إلينا أن امسكوا . فأمسكنا ، وانقض نجم عظيم من السماء ، فصرخ الكاهن بأعلى صوته قائلاً : اصابه أصابه ، خامره عقابه ، عاجله عذابه . احرقه شهابه ، زايله جوابه ..

ثم أمسك طويلاً ، ثم قال : يامعشر قحطان ، اخبركم بالحق والبيان ، اقسمت بالكعبة ذات الاركان والبلد المؤتمن السكان ، لقد منع السمع عتاة الجان ، بثاقب بكف ذى سلطان ، من أجل مبعوث عظيم الشان ، يبعث بالتنزيل والقرآن ، والهدى وفاضل الفرقان ، تبطل به عبادة الأوثان .

وأخبر عن أوصاف النبى ﷺ . وأسرته الهاشمية ، ومبعثه ، ودعا قومه إلى اتباعه .. وكان فى ختام قوله : الله اكبر ، جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر ، ثم سكت وأغمى عليه فما أفاق إلا بعد ثلاث فقال : لا إله إلا الله .

فقال رسول الله ﷺ : لقد نطق عن مثل نبوة وإنه ليبعث يوم القيامة امة وحده .

مثال مما ورد على السنة الجان :

وبعد أن تحدث ابن ظفر عن الجن واصنافهم وبيان من أسلم منهم وكيفية إسلامه ووفادة الجن على النبى ﷺ ذكر أخباراً تدور حول إشارة الجن على بعض الجاهليين بضرورة الإسلام واتباع النبى الذى بعث محطماً للأصنام .

وكان الجن كثيراً مايظهرون ويتحدثون حول هذه الأصنام التى كانت تعبد من دون الله تعالى . ومن القصص التى أوردها ابن ظفر قصة إسلام وائل بن حجر ـ وقد ذكر ابن الأثير فى اسد الغابة هذه القصة ـ

قال ابن ظفر ـ رحمه الله ـ :

كان وائل بن حجر ملكا مطاعا ، وكان له صنم من العقيق الأحمر يعبده ويحبه حبا شديداً ، ولم يكن يكلم منه إلا انه كان يرجو ذلك . فيكثر السجود له ويعقر عنده العقائر وبينما هو قائم فى الظهيرة أيقظه صوت منكر من المخدع الذى فيه الصنم ، فقام من مضجعه وأتاه فسجد بين يديه ، وإذا قائل يقول :

واعجبا لوائل بن حجر
يخال يدرى وهو ليس يدرى
ماذا يرجى من نحيت صخر
ليس بذى عرف ولاذى نكر
ولا بذى نفع ولا ذى ضر
لو كان ذا حجر أطاع امرى

قال وائل : فرفعت رأسى واستويت جالساً ثم قلت : قد سمعت أيها الناصح فبماذا تأمرنى ؟ قال :

ارحل إلى يثرب ذات النخل
وسر إليها سير مشمعل
قبل تقضى العمر المولى
يدن بدين الصائم المصلى
محمد المرسل خير الرسل

ـ المشمعل : السريع ـ

قال وائل : ثم خر الصنم لوجهه وانكسر أنفه واندقت عنقه ، فقمت إليه فجعلته رفاتا ، ثم سرت مغذا - مسرعا - حتى أتيت المدينة . وأتيت المسجد ، فلما رآنى رسول الله ﷺ أدنانى وبسط لى رداءه فجلست عليه ، ثم صعد المنبر وأقامنى دونه ثم قال : أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغباً فى الإسلام .

فقال وائل : يارسول الله ، بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم ، فمنَّ الله على أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله .

قال : صدقت . اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده .

فما لقينى أحد من أصحابه إلا قال لى : بشرنا بك رسول الله ﷺ قبل قدومك بثلاث .

وبعد ، فهذه بعض أمثلة مما ورد فى هذا الكتاب الذى يدور حول البشارات بالنبى المصطفى ﷺ وهى شذرات لا تغنى عن قراءته كله والانتفاع بما فيه ، وأرجو الله تعالى بتوفيقه وفضله أن يعيننى على تقديمه محققا قريباً إن شاء الله - تعالى - وهو وحده ولى التوفيق .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

اعلان الاشتراكات

تطلب - راسا - من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام شارع الجلاء - القاهرة ، ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر

قيمة الاشتراك سنويا

- جمهورية مصر العربيه :

مليم	جنيه
٦٠٠	٣

- اتحاد البريد العربى الافريقى (بالبريد الجوى) :
٢٥ خمسة وعشرون دولارا أو ما يعادلها

- باقى دول العالم :
٥٠ خمسون دولارا أو ما يعادلها

إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للصراع

فى شبه الجزيرة العربية

ونتائجه الاستراتيجية

١

لـواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

عبرة التاريخ :

● لقد اصبح من الحقائق التاريخية التى لا تنازع ان الامم التى تتقاعس عن بناء قوتها ، والاستعداد لدفع العدوان عنها ، تقع فريسة لأمة اقوى منها ، وتستباح حرماتها ، وتغتصب حقوقها ، وتسلب مواردها ، ولا يكون لها وزن ولا قيمة فى المحيط الدولى .

● وليس من شك فى ان التحديات الجسام التى تواجهها امتنا الإسلامية تشكل أخطر تهديد يمكن أن تواجهه أمة ، وتضعها أمام موقف تاريخى حاسم ينبغى أن تتخذ منه منطلقا لإبراز كل ما لديها من الملكات الإنسانية والذخائر المادية والحضارية ، وهى واعية كل الوعى لكل ما يهدد أمنها وسلامتها من أخطار ، وحريصة كل الحرص على بناء قوتها وقدرتها على هزيمة الخطر الذى يتهددها . حتى تخطو إلى عزتها وتشق طريقها إلى نهضة حضارية ، تعيدها إلى سابق عهدها ، أمة قوية مرهوبة الجانب ورائدة للحضارة الإنسانية ، وتبوئها مكانتها اللائقة بها بين الأمم .

● من أجل ذلك ينبغى أن تفتح الأمة الإسلامية صفحات تاريخها الحافلة بالدروس النافعة ونخص بالذكر تاريخ عصر النبوة لكى تتأمل فى منهج الرسول ﷺ فى إدارته للصراع مع أعدائه والنتائج الاستراتيجية التى حققها ثم تستخلص منها الدروس والعبر ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود ١٢٠) .

● وسوف نحاول فى هذا البحث عرض عناصر المنهج الذى اتبعه الرسول ﷺ فى إدارته للصراع مع أعدائه .

اولا : دراسة العدو

● إن معرفة العدو ودراسة أحواله ضرورة حيوية لأمن المسلمين والدفاع عنهم ، وهو ما يتضح من « الربط الوثيق » بين الأمر بإعداد القوة والمرابطة وبين التعريف بالأعداء فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) .

ففى هذه الآية تعريف للمسلمين بأعدائهم الظاهرين وأعدائهم الأخفياء الذين عليهم أن يعدوا لهم من القوة والمرابطة ما يوقع الرهبة فى قلوبهم ، وأول مقتضيات هذا الإعداد دراسة الأعداء واستطلاع أحوالهم ، لأن على أساس هذه الدراسة يتم بناء القوة الكفيلة بتحقيق الهدف الذى حدده الإسلام .

من أجل ذلك كانت للرسول ﷺ عيون وأرصاد داخل شبه الجزيرة وخارجها يحصلون على المعلومات عن نوايا الأعداء وحركاتهم ويحققون له الإنذار المبكر بتدابيرهم وتجهيزهم للعدوان على المسلمين .

١ ـ ففى المدينة : كانت له عيون وأرصاد يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين فى السلم والحرب على حد سواء ، فاختار مثلا حذيفة بن اليمان العبسى ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

٢ ـ وفى مكة : كان عمه العباس وبشير بن سفيان العتكى ، وكانت أيضا قبيلة خزاعة ، قال الزُّهرى : « وكانت خزاعة عَيْبَة نُصح رسول الله ﷺ (أى خاصته وأصحاب سره) مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئا كان بمكة »(١) .

٣ ـ وفى القبائل العربية الأخرى : كانت له عيون ، ومنها مثلا عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فى قبيلة هوازن يوم حنين .

٤ ـ أما خارج شبه الجزيرة فكانت له عيون وأرصاد فى بلاد فارس والروم .

● وعنى الرسول ﷺ بأن يتعلم المسلمون لغة العدو ، ومن ذلك أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، يقول زيد : « أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : إنى والله ما آمن يهود على كتابى ، ثم يقول زيد : فوالله ما مرَّ بى نصف شهر حتى تعلمته وجُدْت فيه فكنت اكتب له إليهم ، واقرأ له كتبهم إليه » (رواه البخارى) وصدق من قال : « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » .

● وفى الوقت الذى كان فيه الرسول ﷺ معنيا بالحصول على كافة المعلومات عن الأعداء ، فقد كان حريصا على حرمان أولئك الأعداء من الحصول على معلومات عن المسلمين ونواياهم وحركاتهم .

● ومن أمثلة نشاط رجال الاستخبارات أن الرسول ﷺ كان على علم بخروج قريش لقتاله فى « أحد » وفى « الخندق » عن طريق عمه العباس ، ولعل أبلغ دليل على أن الإنذار كان يأتيه مبكرا جداً هو أن المسلمين تمكنوا من حفر الخندق وهو عمل يستغرق حوالى عشرين يوما « قبل » أن تصل قريش التى « فوجئت » به فقال قائلهم : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثانى « جـ ٣ ، ٤ » ص ٢١٢ « ط الحلبى ١٣٧٥ هـ » .

تكيدها ، وهذه الواقعة لا تدل على كفاءة أرصاد النبى ﷺ فحسب ، بل تدل – فى الوقت نفسه – على عجز قريش عن الحصول على المعلومات عن نظام الدفاع عن المدينة بحفر الخندق بدليل مفاجآتها به ، كما تدل على نجاح المسلمين فى كتمان أسرارهم وأسرار خططهم وحرمان العدو من كشفها .

● ثم إن هذه العيون والأرصاد بنجاحها فى تحقيق الإنذار المبكر مكنت المسلمين من « إجهاض تدابير أعدائهم لمهاجمة المدينة » كما سيأتى بيانه .

ثانيا : إقامة جبهة داخلية صلبة

● كان أول ما عمد إليه الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة إقامة جبهة داخلية صلبة :

١ – فعمد إلى ربط المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بالأنصار أهل المدينة الأصليين ، فآخى بين الفريقين بصلة الأخوة لتصبحا فئة واحدة مترابطة وملتحمة وليكون الجميع متعاونين على أسباب العيش ، ويدا واحدة تعمل لهدف واحد .

٢ – وعمد إلى توحيد صفوف الأنصار أنفسهم حيث إنهم كانوا أوسا وخزرج ، وكانت بين الفئتين خلافات مستمرة وعداوات سابقة ، فأراد الرسول ﷺ – وقد جمع بينهم الإسلام – أن يشكلوا قوة واحدة متضامنة ، وأن يقضى على كل شبهة قد تثير العداوة القديمة بينهم .

٣ – وعقد معاهدة بين المسلمين من جهة ، وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى ، كانت نتائجها من الناحية العسكرية قيادة الرسول ﷺ – لسكان المدينة مسلمين ومشركين ويهود كافة ، وتعاون أهلها جميعا فى رد كل اعتداء يقع عليها من الخارج وأنه فى حالة الحرب لرد العدوان عن المدينة تتولى كل طائفة الإنفاق على نفسها .

● بهذا العمل البارع ، حقق الرسول ﷺ وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية ، وجعل أهلها جميعا على اختلاف دينهم يدا واحدة على أعدائهم كما وضع لمجتمع المدينة نظامه الاجتماعى والاقتصادى والعسكرى ، وقد حرص – عليه الصلاة والسلام – على التصدى لمحاولات تفتيت هذه الجبهة الداخلية من جانب اليهود والمنافقين مثل أساليب التشكيك والتخذيل وإشاعة البلبلة ، وأساليب التفرقة والقضاء على وحدة الأمة كمحاولة اليهود الوقيعة بين الأوس والخزرج .

● وأصبحت المدينة « قاعدة الإسلام الوطيدة » – كما يقول رجال الاستراتيجية – التى تنطلق منها القوات للدفاع عن الإسلام . وقد سجل التاريخ صلابة هذه القاعدة وقدرتها الفائقة على الصمود فى مواجهة مختلف الأخطار والتحديات :

١ – فقد بلغ عدد العمليات العسكرية فى عهد النبى ﷺ قرابة السبعين ما بين غزوات وسرايا فى خلال سبع سنوات فقط .

٢ – وحاربت القاعدة أكثر من عدو فى أكثر من جبهة ، فواجهت المشركين واليهود والروم ، وتعرضت للغزو المباشر ، وتعرضت للغدر من داخلها بينما كان أبناؤها يحاربون العدو خارجها ، وكان التفوق فى العدد والعدة فى جانب الأعداء .

٣ ـ لكنها ـ مع كل ذلك ـ بقيت قاعدة وطيدة صلبة ـ حتى تمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة ، وأمن الرسول ﷺ كل عادية عليها ، وأقبل سائر أهلها وفودا عليه يقدمون الطاعة ويعلنون الإسلام .

ثالثا : تطبيق استراتيجية الردع

تتمثل استراتيجية الردع الإسلامية فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) وقول الرسول ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » « رواه البخارى عن جابر » .

● فالهدف من إعداد القوة والمرابطة هو إيقاع الرهبة فى قلوب الأعداء وإخافتهم من عاقبة عدوانهم ، ويفهم من الحديث « نصرت بالرعب » أن الأعداء كانوا يرهبونه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويخافونه مع بعدهم عنه بحيث لو أراد حربهم لقطع المسافة التى هي بينه وبينهم فى شهر بسير الإبل ، كما يفهم ايضا أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم يحقق النصر عليهم .

● وتدل إحصائيات معارك عصر النبوة على تطبيق نظرية الردع عمليا ، فالرسول ـ ﷺ قاد بنفسه ثمانى وعشرين غزوة ، حققت تسع عشرة غزوة منها اهدافها بغير قتال حيث آثر الأعداء الا يواجهوا قوة المسلمين فى اغلبها ، ولم ينشب القتال إلا فى تسع غزوات فقط هى « بدر وأحد والخندق وبنى قريظة وبنى المصطلق وخيبر وفتح مكة ، وحنين والطائف » ويلاحظ اننا ذكرنا غزوة الفتح رغم أن القتال الذى وقع فيها لا يكاد يذكر .

صور الردع الإسلامى

● ويستخلص من سنة الرسول ﷺ فى إدارته للصراع مع أعدائه أن هناك أربع صور للردع هى كما يلى :

الصورة الأولى : الردع بإظهار القوة

● وقد تمثلت هذه الصورة فى عدة غزوات وسرايا مثل « سرية حمزة فى رمضان سنة ١ هـ ـ سرية عبيدة بن الحارث فى شوال سنة ١ هـ ـ سرية سعد بن أبى وقاص فى ذى القعدة سنة ١ هـ ـ غزوة ودان فى صفر سنة ٢ هـ ـ غزوة بواط فى ربيع الأول سنة ٢ هـ ـ غزوة ذى العشيرة فى جمادى الأولى سنة ٢ هـ ـ غزوة بدر الأولى فى جمادى الآخرة سنة ٢ هـ » .

● هذه العمليات بدأت بعد ثمانية أشهر فقط من مقام الرسول ﷺ والمهاجرين بالمدينة ، ويلاحظ انها وقعت بتركيز شديد فى معدلها الزمنى (سبع عمليات فى عشرة أشهر) . وأن الرسول ﷺ حرص على أن يتولى بنفسه قيادة أكبر عدد منها ، وأن معظمها كان بعيد المدى (من ١٥٠ إلى ٢٠٠ كيلو متر تقريبا) على طريق التجارة إلى الشام على ساحل البحر ، وأنه لم يقع فيها قتال بالمعنى المفهوم .

● وقد حققت هذه العمليات عدة أهداف من بينها إيقاع الرهبة فى قلب قريش بإشعارها بأن المسلمين « قادرون » على الإيقاع بتجارتها وإيصاد طريقها فى وجهها وقد عبر عن ذلك قول صفوان بن امية : « إن محمدا وأصحابه قد عوَّروا علينا متجرنا .. فما ندرى أين نسلك ؟ » ،

● ثم يضاف إلى هذه العمليات غزوة فتح مكة وهى اكبر عملية طبقت فيها نظرية الردع عن طريق إظهار القوة إلى الحد الذى جرد قريشا كما جرد زعيمها أبا سفيان من إرادة القتال فدعاها إلى الاستسلام بقوله : « يامعشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

الصورة الثانية : الردع بإجهاض تدابير العدوان :

● وقد تمثلت هذه الصورة فى سبع غزوات هى « بنى سليم ـ ذى أَمَرٍّ ـ بحران ـ ذات الرقاع ـ دومة الجندل ـ بنى المصطلق ـ بنى لحيان » « انظر الجدول » .

● ويكشف التحليل العام لهذه الغزوات عما يلى :

١ ـ كان سببها أن الرسول ﷺ بلغه أن تلك القبائل تتجمع بهدف العدوان على المدينة .

٢ ـ خرج الرسول ﷺ ـ على الفور ـ إلى مواضع القبائل لمهاجمتهم فى عقر دارهم .

٣ ـ كانت القبائل عند شعورها بحركة المسلمين ، تفر تاركة أموالها وديارها .

٤ ـ كان المسلمون لا يعودون مباشرة إلى المدينة ، بل كانوا يبقون فى ديار تلك القبائل الهاربة مدداً تراوحت بين بضعة أيام إلى شهرين لتحقيق الردع .

٥ ـ كانت النتيجة النهائية « إجهاض تدابير العدوان » وردع المدبرين لها حتى لا يعودوا إلى التفكير فى العدوان مرة أخرى .

● وهذه الصورة تؤكد أن الإسلام لا يقف مكتوف الأيدى أمام تدابير العدوان ، بل يتحرك فورا للقضاء عليها فى مهدها ، وبذلك يحرم العدو من مزية المفاجأة ، ومن المباداة أو حرية العمل ، لأننا « نسبقه » فى التصرف والحركة إليه ، ولا ننتظر حتى يتصرف هو ويتحرك إلينا ، وبذلك تصبح كل أعماله بمثابة « رد فعل » لما نقوم به .

● ثم إن حرص الرسول ﷺ على « أن يتولى بنفسه » قيادة هذه العمليات كلها ، يؤكد ما لها من شأن كبير وخطير فى تقدير الإسلام وأن المبادرة بالقضاء على العدوان فى مهده ، ضرورة حيوية لأمن المسلمين والدفاع عنهم .

● ويكشف نجاح عمليات إجهاض تدابير العدوان عن عدة مقومات كان المسلمون يملكونها وأهمها ما يلى :

١ ـ الإنذار المبكر بنوايا الأعداء مما يدل على يقظة وكفاءة العيون والأرصاد كما ذكرنا .

٢ ـ امتلاك « القدرات الهجومية » فالمسلمون فى هذه العمليات « خرجوا » من قاعدتهم بالمدينة ، و« ساروا » إلى مواضع أعدائهم « لتوجيه ضربتهم » إليهم ، ولولا ذلك لما استطاعوا إجهاض تدابيرهم للعدوان ، وهنا لابد أن نصحح ما فى بعض الأذهان من فهم معنى « الهجوم » على أنه مرادف للعدوان أو ينطوى على نواياه ، فالهجوم « علميا » هو حركة نحو العدو لتوجيه الضربة إليه ، وظروف المعارك قد تدعو إلى القيام بالهجوم حتى فى إطار العمليات الدفاعية .

ثم إن « إيقاع الرهبة » فى قلوب الأعداء الذى هو الهدف من إعداد القوة فى الإسلام لا يتحقق إلا إذا أدركوا أن لدينا القدرة على التحرك إليهم وضربهم لرد عدوانهم أو القضاء على تدابيرهم فى

مهدها ، والمدهش أن ما قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، يقترب منه ما أجمع عليه رجال الاستراتيجية الحربية فى عصرنا حين يقولون[٢] : « إن العقيدة العسكرية ذات الطابع الدفاعى البحت لن تكون لها إلا قيمة ضعيفة فى الردع ، إلا إذا توافرت لديها القدرة الهجومية ، لأن مفتاح الردع هو القدرة على التهديد » .

وتظهر القدرة الهجومية وآثارها فى قول الله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (العاديات ١ ـ ٥) ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو « الضبح » من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح ليأخذوه على غرة ، والتى يكون من شدة جريها أنها تثير غبار الطرق فى وقت الصباح فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته .

الصورة الثالثة : الردع بالقتال

● إذا لم يتخل العدو عن التفكير فى العدوان ، وركب رأسه واعتدى ، فإن المسلمين يقاتلونه « مدفوعين بفكرة الإرهاب » أيضا ، وذلك بأن تكون ضربتهم التى يوجهونها إليه على النحو الذى يردعه ويرهبه ويمنعه من التفكير فى العدوان مرة أخرى . وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ « التوبة ١٢٣ » وقوله سبحانه : ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ « النساء ٩١ » .

● ففى غزوة بدر مثلا استطاع الرسول « ﷺ » إحداث خلل كبير فى « التوازن النفسى » لقريش ، فقد حرص « منذ اللحظة الأولى » على اختيار أفضل المبارزين من أصحابه لمواجهة مبارزى قريش فصرعوهم جميعا ، ونظم جيشه ووجهه للقتال ماديا ومعنويا حتى كتب الله له النصر بأقل الخسائر على عدوه المتفوق الذى فقد من رجاله سبعين قتيلا ، وسبعين أسيرا .

قال ابن إسحق : « ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تستأنوا بهم (أى تؤخروا فداءهم) لا يأرب (أى لا يشتد) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء[٣] » .

الصورة الرابعة : ردع الأعداء الأخفياء

● من أمثلة هذه الصورة إحراق مسجد الضرار ، فقد بنى جماعة من المنافقين بذى أوان (وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار) مسجدا كانوا يحاولون فيه أن يحرفوا كلام الله عن مواضعه ، وأن يفرقوا بذلك بين المؤمنين ضرارا وكفرا ، فلما عرف الرسول ﷺ أمر هذا المسجد وحقيقة ما قصد إليه من إقامته ، فأمر بهدمه وتحريقه[٤] (للبحث صلة) .

(٢) اندريه بوفر : مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية ـ تعريب أكرم ديرى والهيثم الأيوبى ـ دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٨ ص ١٧٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية : القسم الثانى ص ١٤٨ .

(٤) نفسه : ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠ .

غزوات إجهاض تدابير العدو للعدوان

رقم مسلسل	اسم الغزوة	التاريخ	المكان	الأعداء	قوة المسلمين	النتائج
١	بني سليم	شوال عام ٢ هـ	قرقرة الكدر بين المدينة ومكة	بنو سليم وغطفان	٢٠٠	فرار بني سليم وغطفان تاركين أموالهم للمسلمين
٢	ذي أمَرّ	المحرم عام ٣ هـ	ذو أمر موضع في نجد	بنو ثعلبة ومحارب	٤٥٠	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقى المسلمون في ديارهم حوالى شهر
٣	بحران	ربيع الأول عام ٣ هـ	بحران على طريق المدينة مكة	بنو سليم	٣٠٠	فر بنو سليم فبقى المسلمون في ديارهم حوالى شهر
٤	ذات الرقاع	شعبان عام ٤ هـ	ذات الرقاع بنجد	بنو محارب وبنو ثعلبة من غطفان	٤٠٠	فرار بنى ثعلبة وبنى محارب
٥	دومة الجندل	ربيع الأول عام ٥ هـ	دومة الجندل	قبائل دومة الجندل	١٠٠٠	فرت القبائل
٦	بنى المصطلق	شعبان عام ٥ هـ	المريسيع	بنو المصطلق	١٠٠٠	فر بنو المصطلق بعد معركة قصيرة ضد المسلمين
٧	بنى لحيان	جمادى الأولى عام ٦ هـ	غُران	بنو لحيان	حوالى ٣٠٠٠	فرار بنى لحيان

الربا حول مقالين

لفضيلة الإمام الأكبر
عبد الرحمن تاج (رحمه الله)

« كتب فضيلة الإمام الأسبق مقاله هذا رداً على دراسة كتبها فضيلة الشيخ خلاف ، ورأى فضيلة الإمام ما فى الدراسة من فكر ينبغى رده بالرد عليه وبيان خطأ ماورد فيه .. جزى الله الشيخين خير الجزاء ، وعوض الإسلام عنهما خيراً .... ونهس التحرير »[1] .

يقول فضيلة الأستاذ خلاف فى مقاله الأولى : « وسألنى طالب ما المراد شرعاً بربا الفضل وربا النسيئة ؟ فأجبته بأن الفضل معناه الزيادة ؛ والنسيئة معناها الأجل ، وربا الفضل شرعاً هو الزيادة المشروطة لأحد المتعاقدين فى عقد المعاوضة بغير مقابل ، كما إذا اقرض إنسان آخر مائة جنيه على أن يرد له مائة وعشرين ، وكما إذا أعطى إنسان آخر إردب قمح على أن يرد له إردباً ونصفاً من القمح ، وأما ربا النسيئة فهو الزيادة فى مقابل الأجل لا فى عقد المعاوضة ؛ وقد كان الرجل فى الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل فإذا حل الأجل ولم يكن المدين واجداً ما يسد دينه قال له الدائن زدنى فى المال حتى أزيد فى الأجل فربما جعله مائتين ، ثم إذا حل الأجل الثانى حصل مثل ذلك ثم آجال كثيرة فيأخذ بدل المائة أضعافاً مضاعفة . وهذا هو ربا الجاهلية الذى عناه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله فى خطبته يوم حجة الوداع : « ألا وإن ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبدالمطلب » أ هـ .

ونحن نوافق فضيلة الأستاذ على بيانه فى ربا الفضل أنه الزيادة المشروطة لأحد المتعاقدين بغير مقابل . ولا بأس أن يمثل له بما أورده من المثالين ؛ فإن الزيادة فيهما ليست فى مقابلة مال يملكه المقترض ، وليست مشروطة فى مقابلة تأجيل الدين إلى أجل ؛ وإنما هى فى مقابلة انتفاع المقترض بما اقترضه ؛ فهى فى الحقيقة استغلال لحاجة المقترض وضرورته التى الجأته إلى الاقتراض ، وهذا المقترض قد التزم بالشرط أن يدفع الزيادة على ما اقترضه ولو تيسر له سداده عقيب عقد القرض .

لكن من ربا الفضل أيضاً ـ وهو أظهر من المثالين السابقين فى هذا الباب ـ أن يعقد الطرفان

←

(١) عن « لواء الإسلام » .

الربا حول مقالين

عقد معاوضة حاضرة على مالين ربويين من جنس واحد مع زيادة في أحدهما ؛ كأن يدفع أحد الطرفين لصاحبه جنيهاً ذهباً قطعة واحدة ويأخذ منه اربع قطع من الذهب المضروب ايضاً تعدل كل منها خُمس جنيه ؛ وهو تصرف لا غرابة فيه ، ويصح أن يصدر من العقلاء ، فإنه قد تتعلق رغبة بعض الناس بالحصول على هذه القطع الصغيرة فيدفع فيها قطعة من جنسها أكبر منها وزناً وأعظم قيمة .

ومن ربا الفضل كذلك المبادلة الحاضرة على خمسة أرادب من القمح بخمسة ونصف من قمح اقل من الأول جودة .

ومن هذا القبيل ماجاء في صحيح البخارى عن ابي سعيد الخدري وأبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جَنِيب (هو الجيد المنقى من الردىء والحشف) ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أكل تمر خيبر هكذا »؟ قال : « لا والله يارسول الله ؛ إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ». فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تفعل ، بع الجمع (وهو التمر المخلوط جيده برديئه) بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا ».

فهذا كله من ربا الفضل .

أما ربا النسيئة فإنا لا نوافق فضيلة الاستاذ خلاف على ما قرره فيه ؛ **فإن هذا الربا قد يتحقق من غير زيادة مال من احد المتعاقدين في مقابلة الأجل ؛ فإن معاوضة بعض الأجناس الربوية ببعض مع تعجيل احد العوضين وتاجيل الآخر هو من ربا النسيئة ولو لم تكن هناك زيادة في أحد العوضين .**

هذه ناحية ، وناحية أخرى لا نوافق فضيلة الأستاذ على ماقرره فيها مادام يشترط في الزيادة التي جعلها ربا النسيئة أن تكون غير مشروطة في العقد . والذي نعرفه في هذا النوع أنه تأجيل أحد العوضين مع تعجيل الآخر على نحو ما قدّمنا ؛ أو أنه زيادة مال في مقابلة الأجل مطلقاً ، سواء أكانت هذه الزيادة مشروطة في صلب عقد المعاوضة أم كانت بعده عند حلول الأجل مثلا . لا بل الأصل فيه أن تكون الزيادة مشروطة في العقد أو معروفة عنده . ومن أجل هذا لا ندرى السر في تقييد الأستاذ هذه الزيادة بألا تكون مشروطة في عقد المعاوضة .

ثم إذا كان هذا القيد ضرورياً ليكون الربا ربا نسيئة فما هو حال الزيادة إذا شرطت في العقد في مقابلة أجل ؟ ومن أي باب من أبواب الربا تكون أم أنها ليست من الربا بحال ؟

لا ، لا ... هي ايضاً من ربا النسيئة ولا مناص . ولعل فضيلة الأستاذ خلاف قد تأثر في زيادة هذا القيد بما يقوله المفسرون عند تفسير آية الربا من سورة آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ وهو ما شرح به فضيلة الأستاذ ربا النسيئة ههنا ؛ فإنهم يقولون : إن الرجل في الجاهلية إذا كان له على آخر دين إلى أجل فإذا حل الأجل قال لمدينه : إما أن تقضى وإما أن تربى ، أو قال المدين لدائنه : زدني في الأجل أزدك في المال . فهؤلاء المفسرون يصورون المسألة هكذا ، لا يعرضون فيها لكيفية المداينة الأصلية ، وإنما يعرضون لما كان يحصل عند حلول الأجل الأول وما يكون بعده من آجال من التخيير بين أداء الدين والزيادة في مقداره إذا اريد تأجيله إلى أجل آخر..

قد يكون هذا هو منشأ الوهم في تحديد معنى

ربا النسيئة على النحو الذي قرره فضيلة الأستاذ خلاف . ولكن صنيع المفسرين ليس معناه أن ربا النسيئة لم يكن في الجاهلية إلا على هذا الوجه الذي يأتي فيه اشتراط الزيادة عند حلول الأجل فحسب . ثم هو ليس نصاً في أن المداينة الأولى إلى الأجل المعين كانت دائماً خلواً من اشتراط الفائدة للمقرض حتى يصح مايراه الأستاذ من لزوم أن تكون الزيادة غير مشروطة فى العقد .

على أن كلام المحققين من المفسرين صريح فى غير هذا الذى يقرره فضيلة الأستاذ ، وهاهو ذا الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره آيات الربا من سورة البقرة يقول : « اعلم أن الربا قسمان : ربا النسيئة ، وربا الفضل . أما ربا النسيئة فهو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفاً فى الجاهلية : وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على ان يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقياً ، ثم إذا حل الدين طالبوا المديون برأس المال ، فإن تعذر عليه الأداء زادوا فى الحق والأجل . فهذا هو الربا الذى كانوا فى الجاهلية يتعاملون به » .

وهذا صريح فى أن المداينة الأصلية فى الجاهلية كانت تشترط فيها الزيادة على أصل الدين فى مقابلة تأجيله الأول .

اما فى تفسيره آية آل عمران : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ فقد اقتصر على الجزء المهم الذى هو سبب مضاعفة الدين فقال : « كان الرجل فى الجاهلية إذا كان له على إنسان مائة درهم إلى أجل فإذا جاء الأجل ولم يكن المديون واجداً لذلك المال ، قال زد فى المال حتى أزيد فى الأجل ، فربما جعله مائتين ، ثم إذا حل الأجل الثانى فعل مثل ذلك ، ثم إلى آجال كثيرة ، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها .

فهذا هو المراد من قوله أضعافاً مضاعفة » أ . هـ .

ومن هذا يتبين أن العرب فى الجاهلية كانت مدايناتهم الربوية تشترط فيها الزيادة على المال فى مقابلة الأجل ، وهذه الزيادة قد يتقاضاها الدائن على نجوم قبل حلول أجل الدين ، وربما اجلها مع الدين إلى أجله ، فإذا حل الأجل اشترط الدائن شرطاً آخر هو زيادة الدين أو اداؤه ؛ وهذه زيادة أخرى غير الزيادة الأولى التى كانت مشروطة فى عقد المداينة .

والنتيجة انه لا مناص كما قدمنا من أن تدخل فى ربا النسيئة صورة المداينة التى اشترطت فيها من اول الأمر زيادة مال للمقرض فى مقابلة الأجل .

فإذا كان فضيلة الأستاذ خلاف لا يزال مصراً على رأيه فى ربا النسيئة أن الزيادة فيه يلزم أن تكون غير مشروطة فى العقد فليسمح لنا فضيلته أن نقول :

ـــ إن هذا ليس هو ربا الجاهلية الذى نزل فى شأنه القرآن ، وليس هو الذى قال فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم حجة الوداع : « الا وإن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا اضعه ربا العباس بن عبدالمطلب » .

وبعد : فإن ما قدرناه مبعث الغلط فى تحديد معنى ربا النسيئة وتقييده أن تكون الزيادة فيه غير مشروطة فى العقد ، هو مبعث الغلط ايضاً عند بعض الناس الذين يذهبون إلى أن ربا الفضل لم يكن معهوداً عند العرب فى الجاهلية أو زمن نزول آيات الربا فى القرآن الكريم ؛ فإنهم توهموا من تقرير المفسرين الذين اشرنا إليه أن الربا الذى كان معهوداً حينذاك إنما هو الربا الذى نزلت فيه الآيات الكريمة وهو ظاهر فى ربا النسيئة .

←

ولكن هذا توهم محض وليس من المنطق السديد فى شىء ؛ فإنه لا يلزم من اتجاه الآيات القرآنية فى تقريرها إلى ربا النسيئة أن يكون ربا الفضل غير معروف عند العرب وغير جار فى بعض معاملاتهم . على أن المحققين من المفسرين وشراح الحديث يقولون : نزلت آيات الربا على ماكان شائعاً فاشياً عند العرب . وكون ربا النسيئة هو الشائع الفاشى فى المعاملات الربوية عندهم لا يفيد أن ربا الفضل كان غير معروف لهم ، وانهم لم يجروا عليه أصلاً فى معاملاتهم . ثم إن أصحاب هذا الرأى قد غفلوا عن حديث البخارى الذى قدمناه فى تمر الجمع وتمر الجنيب ، وهم غافلون أيضاً عما يدل عليه حديث الأصناف الربوية الستة الذى سنعرض له فى هذا البحث إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق .

صـــندوق التوفـــير

ويقول الأستاذ خلاف فى المقال الأول أيضاً : « وسألنى موظف هل يحل لى الربح الذى أخذه من صندوق التوفير ؟ فأجبته بأن السؤال والجواب عنه واردان بالمجلد ال سادس من مجلة المنار سنة ١٩٠٣ ، وقد نقل صاحب المنار فى ص ٣٣٢ ح ٩ سنة ١٩٠٦ عن الأستاذ الإمام محمد عبده ـ عليه رحمة الله ـ العبارة الآتية :

« ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يُشك فيه من يعطى آخر مالا يستغله ، ويجعل له من كسبه حظاً معيناً ، لأن مخالفة قواعد الفقهاء فى جعل الحظ معيناً قل الربح أو كثر لا يدخل ذلك فى الربا الجلى المركب المخرب للبيوت ؛ لأن هذه المعاملة نافعة للعامل ولصاحب المال معاً ، وذلك الربا ضار بواحد بلا ذنب غير الاضطرار ، ونافع لآخر بلا عمل سوى القسوة والطمع ؛ فلا يمكن أن يكون حكمهما فى عدل الله واحداً » .

قال الأستاذ خلاف : « وخلاصة هذا أن الإيداع فى صندوق التوفير هو من قبيل المضاربة ؛ فالمضاربون هم أصحاب المال ، ومصلحة البريد هى القائمة بالعمل ؛ والمضاربة عقد شركة بين طرفين على أن يكون المال من جانب والعمل من جانب والربح بينهما ، وهو عقد صحيح شرعاً ؛ واشتراط الفقهاء لصحة هذا العقد الا يكون لأحدهما من الربح نصيب معين اشتراط لا دليل عليه ؛ وكما يصح أن يكون الربح بينهما بالنسبة ، يصح أن يكون حظاً معيناً .... ولا يدخل (هذا التعامل) فى ربا الفضل ولا ربا النسيئة ؛ لأنه نوع من المضاربة اشترط فيه لصاحب المال حظ معين من الربح ، وهذا الاشتراط مخالف أقوال الفقهاء ولكنه غير مخالف نصاً فى القرآن أو السنة » ا . هـ .

وهذه الإجابة عن سؤال أرباح صندوق التوفير تشتمل على أخطاء فى ناحيتين : ناحية الشكل ، وناحية الموضوع .

أما الأولى فما كنا نود ولا ننتظر من فضيلة الأستاذ خلاف أن يسير فى جواب المسألة على هذه الطريقة فينتقل بالسائل إلى مجلة المنار فى مجلدها السادس ، أو إلى كلام الأستاذ الشيخ محمد عبده فى المجلد التاسع ، مادام هو لا يقنع بآراء الفقهاء المجتهدين أمثال مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم ، ولا يرتاح إلى ما قرروه فى أبواب التركات والمضاربات من شروط وأركان لم يعتبروها شروطاً وأركاناً بمحض جعلهم وتقديرهم وإنما وصلوا إلى الحكم بها هكذا بعد الاجتهاد والنظر فيما وردت به مصادر الشريعة من أحكام فى هذه الأبواب ؛ فالشروط والأركان فى

الأمور الشرعية معاملات وغير معاملات ، لم تكن شروطاً وأركاناً إلا بجعل الشارع واعتباره ، وهو شيء يستخلصه الفقيه المجتهد بما عنده من أدوات البحث والاستنباط .

هذا والأمر في هذه الناحية هين لا نحتاج فيه إلى أكثر من هذه الإشارة لننتقل إلى ناحية الموضوع .

خطأ الجواب في هذه الناحية من وجهين :

(الأول) : هو تحويل مسألة صندوق التوفير إلى عقد مضاربة بين أصحاب الأموال ومصلحة البريد .

(الثاني) : هو كسر قيود المضاربة وإلغاء ما اعتبر فيها من شروط شرعية .

أما عن الأول فإنه لا مجال للشك في أن إيداع المال في صندوق التوفير مع اشتراط زيادة معينة غير نسبية من الربح هو من باب القرض بفائدة .

وإذا كان يعبر عنه بالإيداع والوديعة فهو وديعة مضمونة ، ومضمونة مع اشتراط فائدة للمودع ، فهو لا محالة « قرض » وهو من القرض غير الحسن ، وليس من المضاربة في شيء ، ولا فرق بين هذه المسألة وما ضربه الأستاذ خلاف مثالاً لربا الفضل وهو أن يقرض إنسان آخر مائة جنيه على أن يرد له مائة وعشرين ، وليس هذا فحسب بل هي من ربا النسيئة أيضاً ؛ فإن الزيادة المشروطة فيها إنما هي في مقابلة الأجل على نحو ما كان يتعامل به أهل الجاهلية في ربا النسيئة .

إن عقد المضاربة هو ضرب من عقود الشركة ، فهو شركة بين صاحب المال والعامل يبذل الأول فيه ماله ، ويبذل الثاني جهده ونشاطه وما يستطيع من وسائل الاستثمار في هذا المال على أن يكون ربح ذلك بينهما على حسب ما يشترطان ، وعلى أن يكونا شريكين أيضاً في الخسارة ؛ فإذا ربحت الشركة كان الربح بينهما أنصافاً أو أثلاثاً أو أخماساً على حسب الشرط ؛ وإذا لم تربح الشركة لم يكن لصاحب المال غير رأس ماله ، وليس له قِبل العامل شيء ؛ كما أنه ليس للعامل قِبله شيء ؛ وضاع على هذا العامل كده وما بذله من جهد في العمل ، لأنه لاحق له إلا فيما يحصل من ربح كما تقضي به طبيعة عقد المضاربة .

أما إذا خسرت الشركة بأن نقص رأس المال عما كان عليه في ابتداء العمل كانت هذه الخسارة على صاحب المال لا يضمن العامل منها شيئاً مادام لم يخن ولم يفرط ، وكان نصيبه في الخسارة هو ضياع كده وجهده طوال مدة العمل في رأس المال الذي لم ينل منه أدنى شيء في معيشته ونفقاته الخاصة .

وهذه هي العدالة التامة بين الشريكين ؛ يكون لكل منهما نصيب في الربح ، كما يكون عليه طرف من الخسارة ؛ وهذا هو القانون الفطري والشرعي في سائر الشركات وأعمال التجارات ؛ وهو ما أجمع عليه فقهاء الإسلام اتباعاً لما جرى عليه العمل زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فهل الإيداع في صندوق التوفير من هذا القبيل حتى يمكن إلحاقه بباب المضاربة ؟ هل بين صاحب المال ومصلحة البريد اتفاق على أن تعمل هذه في المال الذي تأخذه منه بالتجارة وغيرها ليكون لكل منهما نصيب في الربح وعليه كفل من الخسارة ؟

لا شيء من هذا ؛ فإن المودع صاحب المال له حق مقرر على مصلحة البريد ، وذلك هو المال الزائد المشروط في مقابلة الأجل ؛ وهذه الزيادة

الربـا حـول مقـالين

يستحقها بمقتضى عقد الإيداع متى تم الأجل سواء عملت المصلحة فى هذا المال أم لم تعمل ، ربحت فى عملها أم خسرت . وهذا شىء لا تعهده الشركات الشرعية فى أى لون من ألوانها سواء أكانت شركات مالية من الطرفين أم كانت فى صورة مضاربة أو مساقاة أو مزارعة .

إذاً البون شاسع بين مسألة صندوق التوفير ومسائل المضاربة ، ولا ينبغى الجدال فى هذا .

ثم هو جدال لا يجدى مادام يرفضه النظر إلى الواقع فى هذه المسائل .

والتعلق بأن مصلحة البريد عاملة حتماً فى المال المودع .

ورابحة قطعاً فى عملها فى هذا المال .

وأنّ ربح صاحب المال من أجل ذلك مضمون لا يتخلف .

هو تعلق بسبب واهٍ لا يقوى على إلحاق مسألة التوفير بباب المضاربة فإن صاحب المال فى

المسألة الأولى لا نظر له ولا تفكير فيما عسى أن تعمله مصلحة البريد بالمال الذى تأخذه منه ، كما أن من يقرض إنساناً أو شركة مالا بفائدة مقررة يستحقها كل شهر أو كل سنة لا يفكر فى مصير هذا المال المقترض ولا ما يصنع به ، ولا يرتبط بنتائج تصرفات هذا الإنسان أو هذه الشركة .

وبعـــد :

فكيف يعترف الأستاذ خلاف بأن مسألة القرض هذه فيها ربا الفضل المحرم ـ وقد قدمنا أنها من ربا النسيئة أيضاً ـ ثم يعمد إلى مسألة صندوق التوفير وهى أختها من غير فرق فيحاول عزلها عنها من غير حجة ليلحقها بمسائل الشركة والقِراض !!

هذا ولا نظن أن اللَّجأ إلى كلمات الأستاذ الشيخ محمد عبده يفيد من يحاول جر مسألة صندوق التوفير إلى باب المضاربة ؛ **فإن الأستاذ الإمام لم يصرح فى هذه الكلمات بشىء فى موضوع الصندوق ، وكلماته لا تصلح إلا جواباً لسؤال عن حكم المضاربة ؛ بل أغلب الظن أنها فى الواقع لم تكن جواباً إلا لذلك ، وأن السؤال الذى وجه إليه قد وضع فى صورة مضاربة صريحة ، وأنه قد أجاب عليه بما يستند إليه الأستاذ خلاف من قوله :**

« ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يشك فيه من يعطى آخر مالاً يستغله ويجعل له من كسبه حظاً معيناً » الخ .

غير أنه ـ رحمه الله ـ كان يرى أن اشتراط مقدار معين غير نسبى من الربح لصاحب المال لايفسد المضاربة ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يشك فيه ، وهذا موطن آخر سنتكلم عليه فيما بعد .

هو موطن آخر غير ما نحن فيه الآن من إلحاق صندوق التوفير بالمضاربة .

قد يتساءل ماذا ياترى كان رأى الشيخ محمد عبده فى صندوق التوفير ؟

وهل كان يعلم أن المقصود من الاستفتاء الذى وجه إليه فى صورة مضاربة صريحة كما قلنا هو الحصول على فتوى تشجع أصحاب الأموال على إيداعها فى هذا الصندوق غير أنه لم

يعرض لذلك واكتفى بأن يكون جوابه طبقاً لظاهر السؤال .

أو أنه كان لا يعلم ذلك ؟

هذا شىء لا ندريه ؛ وهو على كل حال لا تأثير له فى موضوعنا ، كما لا يعوقنا عن البحث الآتى فى موضوع اشتراط جزء معين من الربح لصاحب مال المضاربة .

لكنا قبل الدخول فى بحث هذا الموضوع نلاحظ أن كلمات الأستاذ الإمام التى استند إليها الأستاذ خلاف لا يسعد بها كثيراً رأيه فى موضوع الربا ، وهو ما سجلناه له مع الشكر .

فإن الشيخ عبده يقول : « ولا يدخل فى الربا المحرم الذى لا يشك فيه من يعطى آخر مالاً يستغله ويجعل له من كسبه حظاً معيناً » وهذا ظاهر فى أنه ـ عليه رحمة الله ـ يريد بالربا المحرم الذى لا يشك فيه ربا الجاهلية ، ربا الأضعاف المضاعفة . ويؤيد هذا الظاهر قوله عقب ذلك « لأن مخالفة قواعد الفقهاء فى جعل الحظ معيناً قل الربح أو كثر لا يدخل ذلك فى الربا الجلى المركب المخرب للبيوت » فإن الربا الجلى المركب المخرب للبيوت هو من غير شك ربا المضاعفات الذى كان عليه أهل الجاهلية .

أليست هذه الكلمات تعطى بمفهومها أن الربا لا يكون محرماً إلا إذا كان جلياً صريحاً وكان مركباً مخرباً للبيوت ؟ فهل يتفق هذا مع ما يراه الأستاذ خلاف ـ ونحن معه ـ من أن الربا محرم مطلقاً بلا فرق بين مركبه وبسيطه ولا بين مضاعفاته الثقيلة المخربة ودرجاته الخفيفة المعتدلة ؟ لا . ثم لا نظن الأستاذ خلاف يحاول الدفاع عما تدل عليه كلمات المرحوم الشيخ محمد عبده فيقول إنه ليس ضرورياً أن نأخذ عبارات الأستاذ الإمام على هذا الوجه ونجعل لها (مفهوم مخالفة) يعطى ذلك المعنى ، وإنما المراد بها تقرير أن اشتراط صاحب مال المضاربة جزءاً معيناً من الربح ليس فى الحرمة بمنزلة الربا الجلى المركب المخرب للبيوت .

لا نظن الأستاذ خلاف يعمد إلى هذا الدفاع ؛ فإن رده جلى واضح من حيث إنه لم يزعم أحد أن الحرمة والإثم فى هذا النوع من المضاربة يعدلان حرمة ربا المضاعفات وآثامه ، ولكن عدم تساوى هذين النوعين فى درجة التحريم لا يسلب أصل الحرمة عن الأول الذى هو موضوع الحديث . هذا إلى أنه غير خاف أن فهم عبارات الأستاذ محمد عبده على هذا الوجه الأخير ينقض لصاحب الرأى فى مسألة صندوق التوفير رأيه ، ويهدم له بنيانه من الأساس .

إلى هنا تم ما أردنا بيانه عن النقطة الأولى الخاصة بمسألة صندوق التوفير . وقد تبين خطأ إلحاقها بمسائل المضاربة « القِراض » ....

يتبع

الربا في القانون الإسلامي

د. محمد عبد الله دراز

٢

السنة :

إلى جانب هذه النصوص القرآنية نجد في بيان السنة النبوية ما هو أكثر تفصيلا وأشد صرامة ، فإن الرسول - صلوات الله عليه - لم يكتف بتحريم الربا على أكله كما ورد في القرآن الكريم ، ولم يكتف بجعل المعطي والآخذ والكاتب والشاهد سواء في اللعن والإجرام ، بل إنه أحاط هذه الجريمة بنطاق من الذرائع والملابسات جعلها حمى محرما تحريم الوسائل الممهدة إلى الحرمة الأصلية .

والطريف في أمر هذه الإضافة أنه جعل التحريم فيها على مراتب متفاوتة في تدرج حكيم يتنقل من الحظر الكلي إلى الإباحة التامة رويداً رويداً مارا بكل المراتب المتوسطة بينهما .

هذه القاعدة الجديدة ليس موضوعها القروض ، ولا الديون المتقررة ، بل عقود البيع أو بالأحرى المقايضات . فبعض هذه المقايضات حظر الرسول الحكيم أن تكون مؤجلة ، ولو بدون ربح ؛ وأن يؤخذ فيها ربح[1] ولو كانت يداً بيد . وبعضها منع التأجيل فيها دون التفاضل ؛ وبعضها لم يمنع فيها واحدا منهما .

وإليكم نص التشريع المذكور في شأن المقايضات .

يقول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة[2] والقمح بالقمح ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، يداً بيد ، سواء بسواء . فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» .

وقف أهل الظاهر بهذا الحظر عند الأنواع الواردة في الحديث . وذهبت سائر المدارس الفقهية إلى اعتبار هذه الأنواع أمثلة من قاعدة عامة تنطبق على سائر المواد التي تقوم عليها

---

(١) هذا المحظور [الذي يسميه الفقهاء ربا الفضل ، ويسميه ابن القيم الربا الخفي] كان موضع اختلاف بين الصحابة وكان جمهورهم على القول بحرمته . أما بعض الباحثين العصريين الذين ظنوا أن هذا الاختلاف كان في شأن الربا القليل فقد انتقل نظرهم والتبس عليهم الأمر التباسا يؤسف له ..

(٢) وفي رواية أخرى : « الدرهم بالدرهم والدينار بالدينار الخ » ويلوح أن هذه الرواية هي التي اعتمد عليها معاوية في فتواه . انظر الحاشية الآتية قريبا .

الحياة والتى مردها - فى الرأى الراجح عند الفقهاء - إلى نوعين : الأثمان والمطعومات .

ومهما يكن من أمر فى شأن هذا الاختلاف الفرعي ، فإن هذه القاعدة تقضى بتقسيم الأشياء التى يراد تبادلها إلى ثلاثة أضرب : «الضرب الأول» : أن يكون البدلان من نوع واحد ، كالذهب بالذهب ؛ فهاهنا يخضع التبادل لشرطين اثنين : التساوى فى الكم ، والفورية فى التبادل ، أعنى عدم تأجيل شىء من البدلين .

«الضرب الثانى» : أن يكونا من نوعين مختلفين من جنس واحد ، كالذهب بالفضة وكالقمح بالشعير ؛ فهنا يشترط شرط واحد ؛ وهو الفورية ، فلا يضر اختلاف الكم .

«الضرب الثالث» : أن يكونا من جنسين مختلفين كالفضة والطعام ، فلا يشترط فى هذا شىء من القيدين المذكورين ، بل يكون التقايض فيهما حراً .

هكذا كلما كان البدلان من طبيعتين مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا توجد شبهة القصد إلى القرض بفائدة ، فإن الشريعة لا تضع أمام حرية التبادل حداً من الحدود ، اللهم إلا المبدأ العام فى المعاملة ، وهو تحرى الصدق والأمانة . فإذا ما أخذت طبيعة البدلين تتقارب ، بدون أن تتحد ، نرى عند المشرع شيئاً من الحذر المعقول ، المبنى على احتمال أن يكون المتعاملان يقصدان إلى معاملة ربوية ؛ ولذلك نجده مع ترخيصه لهما بتفاوت البدلين فى الكم يحظر عليهما تأجيل أحد العوضين ، سداً للطريق أمام فكرة القرض المحرم تحت ستار البيع . أما إذا اتحدت طبيعة البدلين (مع التفاوت فى الأوصاف والقيم طبعاً ، وإلا لما كان هناك معنى للتبادل) فإنه من السهل أن نفهم الحكمة التى من أجلها منع تأجيل البدل ، وذلك أن من شأن هذا التأجيل أن يحمل فى طيه فكرة محظورة ، وأن يكون القصد هو القرض باسم البيع .

ولكن الذى يصعب فهمه هنا هو إلزام المتبادلين فى حال الدفع على الفور بأن تتساوى الكميتان المتبادلتان بينهما . فهل معنى ذلك أن الشريعة تتجاهل - إلى هذا الحد - فروق الكيفيات التى فى كُل من العوضين ؟

إن الجواب على هذا السؤال نجد مفتاحه فى الحديث الذى رواه مسلم فى جامعه الصحيح . يروى لنا هذا الإمام أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ بشىء من التمر . فقال له النبى : «ما هذا من تمرنا» . فقال الرجل : يارسول الله بعنا تمرنا : صاعين بصاع . فقال ﷺ : «ذلك الربا . رُدُّوه ، ثم بيعوا تمرنا ، ثم اشتروا لنا من هذا» .

هاهنا تلمح الهدف الذى ترمى إليه القاعدة، وتطمئن إلى أنه ليس من شأنها أن تفرض على المتبادلين - اعتباطا أو تعنتا - تساوى الكمية بين صنفين مختلفين من نوع واحد ، بل إنها على العكس من ذلك فتحت لهما باب الاختيار بين أمرين يمتنع معهما كل قهر وإلزام ؛ ذلك أنها خيرتهما بين أن يتغاضيا عن الفروق الطفيفة التى بين الصنفين ، أو أن يلجأ فى تقدير تلك الفروق إلى حكم القيمة النقدية .

ونحن إذا تأملنا فى هذا الوضع نجده ينطوى على حكمة عميقة ويقوم على مبدأ سليم من مبادىء التشريعين المدنى والاقتصادى . ذلك أنه حيث يكون هناك كميتان متساويتان من نوع واحد ولكن إحداهما تمتاز بجودة أوصافها ، لا يكون هناك مجال للتردد : أى المتبايعين أوفر حظا ؟ فالذى يقبل الصنف الأقل جودة يقبله بملء حريته عن سماحة نفس وكرم طبع ، وهو عالم بما يفعل . وليس الأمر كذلك فى الحال التى تكون فيها الجودة من ناحية يقابلها وفرة فى الكم من الناحية الأخرى ؛ إذ نرى هاهنا تقابلا بين أمرين ليس بين طبيعتيهما مقياس مشترك ثابت ،

صالح لتقويم كل منهما بالنسبة إلى هذا الحد المشترك ، ثم بالنسبة إلى الطرف المقابل . والواقع أنه فى هذا النوع من التبادل يلجأ كل من المتعاملين فى نفسه إلى فكرة غامضة ، وهى إرادة التضحية بما هو أدنى فى سبيل ما هو خير منه . وهكذا يصبح قبولهما الظاهرى للصفقة قبولا زائفا ، وقد ينكشف عن خيبة أمل ولا مخرج من هذا اللبس إلا بالرجوع إلى القيمة الثمنية لكل بضاعة على حدة ، ثم إلى المقارنة بينهما على ضوء هذا المقياس الثابت . وهذا (الرجوع إلى المقياس الثابت) هو المعنى الذى قصد التشريع الإسلامى إبرازه حتى يكون كل من طرفى العقد على بينة فى معاملته المالية ، وحتى يجتنبا التدليس ، ويتطهرا من السحت المأخوذ بالحيلة والمكر .

فإذا صح ما ذهبنا إليه فى تفهم مقاصد الشريعة من هذا الحكم لم يبق هناك حرج قط - كما أوضحه ابن القيم [٣] فى أعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٧٣ - فى أن تباع المصوغات الذهبية بأكثر من وزنها ذهبا ، أو المصوغات الفضية بأكثر من وزنها فضة . ذلك لأن قيمة الصنعة قد قدرت هنا بمعيارها الواضح المحدد ، الذى لا يدع مجالا لتزييف تراضى المتبايعين .

على أن هذه الرخصة فى المبادلة بين الصياغة والنقد لا ينبغى أن تسرى على التبادل بين نقدين من نوع واحد مع اختلافهما فى الأوصاف ؛ بل الاعتماد فى النقدين على تساوى العوضين وزنا (بدون اعتبار لجمال الضرب أو جدته أو عدد قطعه أو غير ذلك) هو الحل العادل ، أو هو أعدل الحلول ؛ إذ لو اعتبرت هذه الصفات ونحوها فى النقود مبررة لزيادة قيمتها فى المبادلة ، إذاً لأصبحت النقود نفسها بضاعة ، وصارت معرضاً للمضاربة وتقلب الأسواق ، وعادت محتاجة إلى معيار آخر لتقدير قيمتها ، بدل أن تكون هى المعيار لغيرها .

ولكى تلخص فكرتنا عن القواعد التى وضعها التشريع النبوى فى باب التبادل والتقايض نقول : إن هذه القواعد تهدف إلى غرض مزدوج :

فهى من إحدى الجهتين تريد أن تحمى النقود والأطعمة ، وهما أهم حاجات الجماعة وأعظم مقومات حياتها ، وذلك بمنع وسائل احتكارهما أو اخفائهما من الأسواق ، أو تعريضهما للتقلبات الثمنية المفاجئة .

وهى من الجهة الأخرى تحرص على حماية الفقراء والأغرار من طرق الغبن والاستغلال التى يتبعها بعض التجار الجشعين .

وواضح أن تسمية الربح المجتلب من طريق هذا التبادل الذى تنقصه الصراحة والأمانة باسم «الربا» إنما هى تسمية مجازية قصد منها إلى إبراز ما فيه من مخالفة لقانون الأخلاق ومجافاة لقواعد الرحمة الإنسانية . وذلك بتشبيهه بالربا الحقيقى الذى هو مثل فى السحت وأكل المال بالباطل .

- ٣ -

وجاهة التشريع القرآنى من النواحى الثلاث الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية

ونعود الآن إلى موضوعنا الأصلى ، وهو الربا الحقيقى ، لنعالج فيه الجواب عن سؤالين مهمين :

---

(٣) سلفه فى هذه الفتوى معاوية بن أبى سفيان . ويخالفه فيها عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو الدرداء . راجع الموطأ فى كتاب البيوع ، باب بيع الذهب والفضة . ويرى ابن القيم أن هذا الاختلاف إنما هو فى الصياغة المحرمة كصياغة الآنية . وعلى هذا تكون الصياغة المباحة محل اتفاق على جواز الفضل فيها نقداً .

«أحدهما» : ما هى الأسباب المعقولة لهذا التحريم الصارم للمعاملة الربوية ؟

«الثانى» : هل الحياة الاقتصادية فى حالتها الحاضرة تعد ظرفا استثنائيا يترخص فيه بمخالفة هذا القانون ؟

أما مسألة معقولية النهى أو عدم معقوليته ، فإنها قد أثيرت فى عهد النبوة على لسان العرب أنفسهم فقد استنكروا هذه التفرقة بين البيع والربا قائلين : إذا أنتم منعتم ربح القرض ، فامنعوا كذلك كل ربح يجتلب من طريق البيع ، إذ هما سواء .

وكان رد القرآن على ذلك بتلك الكلمة الحاسمة ، التى لا تقبل مراء ولا جدالا : كلا ، ليس البيع مثل الربا : فقد ﴿ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٢/٢٧٥) على أنه لا يمكن أن يفهم من هذا الأسلوب أن أمر التشريع هنا يصدر عن إرادة جبروتية تقضى أحكامها تحكما وتعنتا ؛ فقد علمنا القرآن فى غير موضع أن الأوامر الإلهية أنزه شىء عن هذا الحرج والعنت : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ (٧/٣٣) ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ (٥/٤) ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥/٦) .

يجب إذن أن تكون لهذا النهى دعائم قوية وأسباب معقولة تجعله فى محزه من الصواب والحكمة . فما تلك الدعائم ؟

١ ـ الدعامة الأخلاقية :

أول ما يكشفه الباحث من أسرار التشريع فى هذا الباب هو بواعثه الأدبية الخلقية .

إن الضمير الإنسانى ليدرك بنوع من الحدس المباشر مدى الفرق بين الربح من طريق المعاملة (البيع) والربح من طريق المجاملة (القرض) . أنه ليدرك ذلك ويحسه حتى فى الوقت الذى لا يستطيع فيه التعبير عن هذا الفرق . فإن لم ندركه فى أن ما فإنما هى غشاوة الهوى وحب الأثرة ، أو الغفلة وعدم التدبر ، هى التى تخفيه عن أعيننا . على أن الأمر يبلغ من الوضوح إلى حد تحسه كل الضمائر والوجدانات فى عملية «الإعارة» (للأشياء التى ترد بأنفسها إلى معيرها) . أليس كل واحد منا يستنكف حقيقة من أن يطالب بتعويض مالى عن ماعون يعيره لمن يحتاج إليه ، أو عن مساعدة أدبية كائنة ما كانت يقدمها للغير ، عملا بقواعد حسن الجوار وأدب الاجتماع ؟ فلماذا يختلف النظر فى الأمر حينما تكون المعاونة على وجه «القرض» (للأشياء التى يمكن أن ترد بمثلها) ؟ مع أن الشأن فى الحالين واحد ، وهو أنهما يختلفان عن البيع اختلافا جوهريا ؛ ذلك أن الأمر فى البيع يتعلق بمالين مختلفين لكل منهما قيمته التى قد تزيد أو تنقص عن قيمة الآخر إما بسبب اختلاف الرغبات ، وإما بحسب قانون العرض والطلب . بينما المقصود فى القرض كما فى الإعارة هو استرداد الشىء نفسه ، إما بعينه أو بشىء مماثل له تماما من جنسه . فليس هاهنا أدنى قصد للمبادلة بين مالين ؛ ولذلك ليس للمقرض أن يرفض قبول شيئه نفسه إذا أعاده له المقترض عند الأجل بحالته التى تسلمه عليها .

سيقول قائل : سلمنا بوجود هذا الفرق الجوهرى بين الوضعين . ولكن أليس كل صنيع جميل «له حق» فى المكافأة ؟

نقول : بلى ! ولكن لا ينبغى أن يلتبس علينا الأمر بين سلطان «الحق» وسلطان «الواجب» .

←

الربا في القانون الإسلامي

إن سلطان الواجب أعلى ؛ وإن له لحقا فى معارضة حقوقنا الطبيعية وفى تحديد مداها . وأى شىء أدخل فى باب الحقوق الطبيعية من حقنا فى المحافظة على حياتنا ؟ ومع ذلك فإن الواجب قد يفرض علينا أن نتنازل عن هذا الحق وأن نضحى بأنفسنا تضحية تامة فى سبيل قضية نبيلة : أدبية أو وطنية أو دينية أو غيرها .

سيمضى السائل فى اعتراضه قائلا : إن هذه كلها اعتبارات أخلاقية . وقضيتنا قضية حق وقانون .

أما أنا فأجيب بأن كل مشرع له الحق كل الحق فى أن يجعل من القانون الأخلاقى قانونا مدنيا ، بل قانونا جنائيا إن شاء . وهذا بالضبط هو ما صنعه القرآن حين أعلن حرباً حقيقية على أكل الربا .

٢ ـ الدعامة الاجتماعية :

ولو أننا نظرنا إلى القضية من ناحيتها الاجتماعية لظهرت لنا حكمة هذا التشريع وسداده فى أجلى مظاهرهما .

لا أقول فقط إن حياة المجتمع تصبح حياة لا تطاق لو أن كل فرد تمسك بحقه فى أدق حدوده ، ولم يجعل على نفسه سلطانا لفكرة البر والتعاون والتضامن والتراحم ؛ بل أقول إن مجرد تقرير ربح مضمون لرب المال ، بدون أن يكون فى مقابل ذلك ضمان ربح للمقترض ، ـ أقول إن هذا الوضع وحده فيه ما فيه من محاباة للمال ، وإيثار له على العمل ؛ وإن الضرر الذى ينجم عن ذلك ليس من نوع الأضرار الأدبية أو الأغلاط النظرية فحسب (وأعنى بها قلب موازين الأشياء بوضع القيم الإنسانية موضعا نازلا وتفضيل القيم المادية عليها) ؛ بل إنه يمس بناء الجماعة مسا عنيفا عميقا . ذلك أننا بهذه الوسيلة نزيد فى توسيع المسافة وتعميق الهوة بين طبقات الشعب بتحويل مجرى الثروة وتوجيهها إلى جهة واحدة معينة ، بدلا من أن نشجع المساواة فى الفرص بين الجميع ، وأن نقارب بين مستوى الأمة حتى يكون أميل إلى التجانس وأقرب إلى الوحدة .

إن اللمحة البارزة فى التشريع القرآنى ، وكذلك فى كل تشريع اجتماعى جدير بهذا الاسم ، هى الحيلولة دون هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ، والسعى لتحقيق نوع من التجانس والمساواة بين أفراد الأمة .

إنها لكلمات قصيرة ولكنها ذات مدى بعيد ، تلك التى يرسم فيها القرآن دستور هذه السياسة ، حيث يقول : ﴿ ..... كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ .

٣ ـ الدعامة الاقتصادية :

وأخيرا هلم بنا لننظر إلى القضية من وجهة العدالة الاقتصادية البحتة .

يقول لنا أنصار مشروعية الربا ـ ولهم بعض الحق فيما يقولون ـ :

إن الربح الذى يحصل عليه المقترض من عمله فى المال الذى اقترضه إنما ينشأ وليدا من التزاوج بين العمل ورأس المال ؛ فكيف تخولون للعمل حقا فى الربح ، ولا تخولون للمال حقه فيه . مع أنه زوجه وشريكه فى هذا النتاج ؟

هاهو ذا ـ فيما أرى ـ جواب هذه الشبهة :

أما أن الربح ليس ثمرة عنصر واحد بل ثمرة

عنصرين متزاوجين فذلك حق لا شبهة فيه ، وليس لنا أن نتلكأ فى قبوله . غير أن المعارضين قد فاتهم شىء جوهرى ، وهو أنه بمجرد عقد القرض أصبح العمل ورأس المال فى يد شخص واحد ، ولم يبق للمقرض علاقة ما بذلك المال ، بل صار المقترض هو الذى يتولى تدبيره تحت مسئوليته التامة ، لربحه أو لخسره . حتى إن المال إذا هلك أو تلف فإنما يهلك أو يتلف على ملكه . فإذا أصررنا على إشراك المقرض فى الربح الناشىء وجب علينا فى الوقت نفسه أن نشركه فى الخسارة النازلة ؛ إذ كل حق يقابله واجب أو كما تقول الحكمة النبوية : «الخراج بالضمان» ، أما أن نجعل الميزان يتحرك من جانب واحد فذلك معاندة للطبيعة .. ومتى قبلنا اشتراك رب المال فى الربح والخسر معا ، انتقلت المسألة من موضوع القرض إلى صورة معاملة أخرى ، وهى الشركة التضامنية الحقيقية بين راس المال والعمل .

وهذه الشركة لم يغفلها القانون الإسلامى ، بل أساغها ونظمها تحت عنوان «المضاربة» أو«القراض» . غير أنه لكى يقبل رب المال الخضوع لهذا النوع من التعامل يجب أن يكون لديه من الشجاعة الأدبية ما يواجه به المستقبل فى كل احتمالاته . وهذه فضيلة لا يملكها المرابون ؛ لأنهم يريدون ربحا بغير مخاطرة ؛ وذلك هو مايسمى تحريف قواعد الحياة ومحاولة تبديل نظمها .

هكذا إذا سرنا وفقا للأصول والمبادىء الاقتصادية فى أدق حدودها كانت لنا الخيرة بين نظامين اثنين لا ثالث : فإما نظام يتضامن فيه رب المال والعامل فى الربح والخسر ؛ وإما نظام لا يشترك فيه معه فى ربح ولا خسر . ولا ثالث لهما إلا أن يكون تلفيقا من الجور والمحاباة .

هذه ـ فيما أرى ـ هى الأسس الأدبية والاجتماعية والاقتصادية التى قامت عليها وجهة نظر الإسلام فى قضية الربا .

وأما المسألة الثانية وهى حكم الربا فى وقتنا هذا فإنها ليست قضية «مبدأ» وإنما هى قضية «تطبيق» وإنى أخشى أن أطيل فيها فأعتدى على موضوع زميلى وصديقى الدكتور الدواليبى رئيس مجلس النواب السورى . وهى فوق ذلك ليست فيما أرى من الشئون التى يقضى فيها فرد أو بضعة أفراد ، بل ينبغى أن يتداعى لها طوائف من الخبراء فى القانون والسياسة والاقتصاد من كل جانب ، وأن يدرسوها دراسة دقيقة مستفيضة من جميع نواحيها الحاضرة والمستقبلة .

وكل ما أريد أن أقوله الآن يتلخص فى جملتين صغيرتين ، أرجو أن يتخذا أساسا للبحث فى التفاصيل .

«الأولى» : هى أن الإسلام قد وضع إلى جانب كل قانون ، بل فوق كل قانون قانونا أعلى يقوم على الضرورة التى تبيح كل محظور ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١١٩/٦) .

«الثانية» : هى أنه لأجل أن يكون تطبيق قانون الضرورة على مسألة ما تطبيقا مشروعا ، لا يكفى أن يكون المرء عالما بقواعد الشريعة ، بل يجب أن يكون له من الورع والتقوى ، ما يحجزه عن التوسع أو عن التسرع فى تطبيق الرخصة على غير موضعها ، كما يجب أن يبدأ باستنفاد كل الحلول الممكنة المشروعة فى الإسلام ؛ فإنه إن فعل ذلك عسى ألا يجد حاجة للترخص ولا للاستثناء ، كما هى سنة الله فى أهل العزائم من المؤمنين ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٦٥/٢-٣) .

المعاملات المصرفية

بين الحلال والحرام

للأستاذ : أحمد أمين فؤاد

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(صدق الله العظيم)

لعلنا في تناولنا لموضوع المعاملات المصرفية بين الحلال والحرام ، أن تحكمنا ابتداء المبادىء الآتية :

– الأمانة في العرض ، القائمة على الفهم لما نقول ونكتب .

– البعد عن الانفعال حتى تسيطر على الكلمة روح الحق وشرف القصد .

– التمسك بشرع الله واليقين بعلو مقاصده وعموم منافعه وذلك عن فهم واستيعاب وتدبر .

– التعرف الصادق والموضوعي على مانحن فيه ونتائجه .

– التعرف الصادق والموضوعي على البدائل الشرعية لصيغ التعامل الربوى وميزاتها .

– أن يكون التطويع للأنظمة والأساليب والخدمات بما يتفق وشرع الله إن اختلفت معه ، لا أن يكون التطويع لشرع الله أو التبرير لما يخالفه .

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ .

– أن تكون الحسنى كلمتنا ، والحقيقة منطلقنا ، والحق رائدنا ، والا تأخذنا في الحق لومة لائم ، ولا شنآن قوم .

ولابد لنا ونحن نتناول هذا الموضوع وحتى تكون الصورة واضحة أن نتعرض وبإيجاز شديد للنقاط الآتـية :

– طبيعة عمل المصارف ... وهل يختلف النظام المصرفي القائم عن النظام المصرفي العالمي المؤسس على محور الفائدة عطاء وأخذا .

– طبيعة العلاقة بين المودعين والمصارف .

– طبيعة العلاقة بين طالب التمويل والمصارف .

* تعمل المصارف أساسا في المتاجرة في النقد مقابل فائدة مدفوعة للمودعين ، وفائدة مقبوضة من المقترضين ، والنظام المصرفي سواء محليا أو عالميا يعتمد على اجتذاب الودائع مقابل فائدة وإقراضها أي الودائع (وما يخلقه اعتماداً عليها من ودائع مصرفية) لمجالات النشاط المختلفة مقابل فائدة .

* والودائع مقابل فائدة تعتبر من الناحية القانونية قرضاً من المودع للبنك واجب الأداء عند الطلب أو الأجل دون انتقاص منها ، ويد البنك عليها يد أمانة .

* ولا صلة للمودع بسياسة البنك بتوظيفه لهذه الأموال أو بنوعية هذا التوظيف سواء اتخذ صورة القروض الربوية أو إعادة

الإيداع بفائدة لدى البنوك المحلية والخارجية بفائدة أعلى أو غيره من صور التوظيف .

* **ولا صلة للمودع ايضا بنتائج هذا التوظيف** ربحا كان أم خسارة ، فما يحصل عليه المودع فى صورة فائدة سواء كانت محددة قدما او متغيرة (معومة) إنما هو التزام واجب الأداء فى الأجل ، ربح البنك أم خسر ، ولا صلة له بتوظيفات البنك أو أرباحه أو خسائره ، وهو ما يعتبر فى حكم الشرع ربا لا شك فيه .

* ولا يقبل فى محاولة التنصل من هذا الحكم القول بمقاصد البنك أو بوطنيته أو بإسهامه فى التنمية .

فأساس عمل البنك الاقتراض من المدخرين مقابل فائدة ، والإقراض للأفراد والهيئات والمشروعات فى مختلف مجالات الأنشطة ذلك مقابل تقاضى فائدة .

أما كون هذه الأنشطة تتناول مجالات للتنمية أو غيرها أو كون البنك (بنكا) وطنيا فهذا لايغير من الأمر شيئا وهو أنها تمويل بالربا ، وقد أوضحت الشريعة الحلال والحرام ، ولا يتعلل من يرتكب الحرام ويكسب من حرام بوطنيته ، أو بأنه يهدف من وراء الكسب الصرف فى أوجه حلال أو عمل الخير سواء للفرد أو المجتمع وذلك بإسهامه فى التنمية .

فما أشبه هذا القول بمن باعت نفسها وتصدقت « فليتها ما ... وما تصدقت » ، والله سبحانه وتعالى يأمرنا ليس فقط بالامتناع عن الحرام ، وإنما أيضا باجتناب الشبهات حتى لا نقع فى الحرام .

* والقاعدة الإسلامية فى توظيف المال حتى يكون حلالا هى « الغنم بالغرم » اى لا يحل الربح للمال إلا إذا تحمل المخاطر ، مخاطر الخسارة .

* ولا يحتج هنا بالقول ـ خطأ ـ بأن البنوك تتحمل المخاطر وتتعرض لها وهى تكسب وتخسر ، لأنه لا صلة بين أرباح البنوك أو خسائرها وما قد تتعرض له من مخاطر فى عملها ، وبين الفوائد التى تدفعها للمودعين على أموالهم المودعة لديها ، فالفوائد تحسب أولاً بأول وتدفع أولا بأول وتسدد للمودعين أولاً بأول ، يوما بيوم وأسبوعا بأسبوع وشهراً بشهر سواء ربح البنك أم خسر وسواء ربح كثيرا أم قليلاً ، خسر كثيرا أم قليلاً حيث تُرَحَّل هذه الفوائد أولاً بأول كمصاريف فى الجانب المدين فى حساب الارباح والخسائر ، ولا تنتظر حتى نهاية السنة المالية أو المركز المالى الشهرى لتحسب على أساس ما يتحقق من أرباح فعلية ، بل هى واجبة السداد للمودع فى تاريخ الأجل لوديعته التى تعتبر قرضا من المودع للبنك بفائدة .

* ولا يقبل القول بأن المودع والبنك لا يقصدان عقد القرض ولا يناقشان شروطه وليس لكل منهما حرية تحديد الفائدة ، وأن البنوك تستثمر الأموال وتحقق ربحاً ، ذلك لأن الأمر كله يحتويه نظام متكامل قائم على محور الفائدة ـ المدينة والدائنة (المدفوعة والمقبوضة) ويعمل وفق أساليب وشروط واضحة ومعلومة .

ولطول التطبيق واستقرار هذا التعامل الربوى لفترة طويلة ، لم تعد ثمة حاجة إلى مناقشة شروطه وإنما أصبح مستقرا فى أذهان ووعى المتعاملين سواء كانوا مودعين أو بنوك أو عملاء مقترضين .

فضلا عن أن تلك الشروط مدونة ومكتوبة فى طلبات ـ أو بمعنى أصح ـ فى عقود فتح الحسابات (لقبول الودائع) وفى عقود منح القروض ، وكل منها عقود لابد للمودع (المقرض

←

للبنك) والعميل المقترض من البنك أن يوقع عليها .

ولا نتصور هنا (انتفاء القصد) فى (عقد) فيه (عرض وقبول) ، وفيه (توقيع) على شروط واضحة لمعامله ، ومناقشة أحيانا ومساومة على سعر الفائدة ، إلا إذا افترضنا غيبة العقل والإدراك وبالتالى فقدان الأهلية للتصرف ! وهو ما يقتضى فى هذه الحالة إبطال العقد وتجريم المعاملة إن تمت ! .

*** والقول (باختلاف المقاصد) بين البنوك الوطنية والبنوك الأجنبية أو النظام المصرفى الوطنى والأنشطة المصرفية الخارجية (قول فيه تجاوز للحقيقة) من حيث الموضوع محل البحث ، فكُلٌ من البنوك الوطنية والبنوك الأجنبية محلية وخارجية تقوم على نفس الأساس وهو المتاجرة فى النقد والعمل على محور الفائدة .**

ونظرة واحدة إلى ميزانيات البنوك الوطنية والأجنبية وإلى إيراداتها ومصروفاتها ترينا التطابق الكامل حيث يمثل (بند) الفوائد المدفوعة (للمودعين عن ودائعهم) الجانب الأعظم من المصروفات ، والفوائد المكتسبة (المقبوضة) من العملاء المقترضين الجانب الأعظم للإيرادات ، أى أن أرباحها معظمها يأتى من (ربا) قاطع لاشك فيه ، يتساوى فى ذلك البنوك الوطنية والأجنبية سواء فى الداخل أو الخارج .

*** أما القول بما تعانيه بعض البنوك الإسلامية** من مشاكل فهو أمر طبيعى فى هذه المرحلة من نشأتها ونموها والتى تعمل فيها فى مجتمعات تتعامل ربويا وفى أرضية استقرت فيها المعاملات الربوية لفترة طويلة .. ولا يتصور بحال أن تستطيع هذه البنوك على قلة عددها وإمكانيتها النسبية ، و (ما يفرض عليها أحيانا من قيود وتحجيم) أن تغير واقع الأرضية التى تعمل عليها بين يوم وليلة ، أو أن تعمل بدون مشاكل أو أن تحل مشاكلها ـ التى هى فى حقيقة الأمر مشاكل مجتمعاتها ـ بسهولة وبسرعة . ومع هذا فليس الأمر مقصورا على البنوك الإسلامية ، فبنفس المنطق نقول إن البنوك الربوية تعانى من المشاكل ما لا حصر له برغم أنها تعمل فى أرضية ممهدة لها من فترة طويلة ، ولا تقابل المعاناة التى تواجهها البنوك الإسلامية محليا وخارجيا .

ولكن ما حققته البنوك الإسلامية حتى الآن وبرغم كم المشاكل والصعوبات والتحديات التى تواجهها يعتبر نجاحا كبيرا .

فالمشاكل والصعوبات والتحديات عديدة ، ويجب الا تكون مثبطا أو مبررا للتقاعس عن طلب الحلال والسعى لاعماله ، أو التبرير للحرام ، وانما يجب أن تكون دافعا لمزيد من الجهد الخلاق المخلص لبحث الأسباب وتقديم العون والعلاج ، بل وحافزا لتخطى الصعاب والانطلاق وتحقيق مزيد من النجاح ، فالصخور عقبة تقف فى طريق الضعفاء ، ويتسلقها الأقوياء ليصلوا إلى القمة .

*** أما عن الخدمات المصرفية الأخرى** (كفتح الاعتمادات) أو (إجراء التحويلات) و (المدفوعات) و (التحصيلات) أو (إدارة محافظ الأوراق) أو (القيام بوظيفة مدير استثمار لأموال العملاء) أو (القيام بخدمات للعملاء) للوفاء بالتزاماته قِبَلَ عديد من الجهات وتحصيل مستحقاتهم .. الخ وذلك مقابل أجر أو

أتعاب أو مصاريف فذلك لا حرج فيه مالم تتضمن قروضا بفائدة .

* أما (خطابات الضمان) فلها حكم شرعي يمنع تقاضي (ثمنا) للضمان ، ولكنها إذا كانت جزاء متكاملا من عملية يشارك فيها البنك فإن ربح العملية إذا تحقق يجزيها .

* وأما (الاستثمار المباشر) في صورة القيام بإنشاء مشروعات أو الاشتراك في إنشائها بالإسهام في رأس مالها سواء كانت تابعة أو مستقلة وسواء كان هذا الإسهام دائما أو مؤقتا ، فهو أمر مرغوب ومحمود ويجب التوسع فيه ، وإن كان حتى الآن هو الاستثناء من (القاعدة التي تحكم البنوك) ، ويخضع لقيود كثيرة تحد من انطلاقة البنوك في هذا المجال ، كما يفتقد لحوافز كثيرة تدفع البنوك للتوسع فيه .

وهذا الاستثمار بالإسهام في رأس المال للمشروعات حلال ، وإن كان استكمال البنوك للتكلفة الاستثمارية لتلك المشروعات بإقراضها بفائدة لباقي التكلفة الاستثمارية وهي ما يطلق عليها رأس المال المقترض تمييزاً عن رأس المال المملوك (المساهمين) ، مايخلط الحلال بالحرام .

* كما تقوم البنوك بالاستثمار لجزء من أموالها وودائع العملاء لديها في شراء أوراق مالية في صورة أسهم وسندات وأذون خزانة وشهادات ودائع ..الخ وهو ما يطلق عليه : « تكوين محفظة أوراق مالية » . ويتكون عائدها من أرباح الأسهم وفوائد السندات والأذون والشهادات وهي بصورتها الحالية (ربا محرم) .

وقد يرى البعض لأول وهلة استثناء الاستثمار في الأسهم من التحريم ، ولكننا إذا تبينا أن الشركات التي نشتري أسهمها شركات تتعامل بالربا وأن أرباحها بالتالي ليست أرباحا حلالا ، سقط هذا الاستثناء إلا أن تكون معاملات هذه الشركات خارج دائرة الربا .

* وبرغم حسم مجمع البحوث الإسلامية في عام ١٩٦٥ م لموضوع الفوائد المصرفية وقراره القاطع بأنها بمختلف أنواعها ربا لاشك فيه ، وبرغم تأكيد هذا الأمر من جانب كثير من المجامع الفقهية ، فلايزال البعض بين الحين والحين يثير ماسبق أن أثاره سلفهم تارة بالقول بالاجتهاد وتارة بحرية الرأي وتارة بالتقدمية ورمي الآخرين بالجمود والحجر على الآراء .

* وليس معنى أن « الفوائد المصرفية هي ربا لا شك فيه ، وأن غالبية معاملات المصارف القائمة ربا محرم » أننا أمام باب مسدود وأن الأخذ بهذا القرار لمجمع البحوث الإسلامية والفتاوى المماثلة فيه هدم للبنوك القائمة وإبعاد للجمهور عن الادخار والإيداع لدى البنوك وبالتالي حرمان الاقتصاد القومي من دعامة أساسية وهي المدخرات .

* فمن نعم الله الكبرى أنه ـ سبحانه وتعالى ـ ما حرم شيئاً ، إلا أوجد البديل بال البدائل العديدة الحلال التي تحقق أضعاف مايمكن أن يحققه الحرام فضلاً عن اجتنابها للأضرار التي تنشأ عن الحرام وتصاحبه .

* بل وباب الاجتهاد في الحلال مفتوح على مصراعيه لنضيف ونبتكر من الأساليب والخدمات ماينفع الناس ويتفق وشرع الله وحاجات العصر ، فهل نعي « علة التحريم » وهل « نتدبر القدر المذهل من الأضرار المصاحبة

←

المعاملات المصرفية

لصور الربا المعاصرة » ، وهل نتبصر القدر المذهل من المنافع للبديل أو البدائل الحلال ؟!

* فهل نعي أن الإسلام حينما حرم الربا إنما جاء يؤكد ماسبق أن انزله الله في رسالاته السابقة على موسى وعيسى ـ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ حيث حرمت التوراة والإنجيل الربا .

* وهل نعي أن الربا في القروض الشخصية وعلى قدر جسامة أضراره إنما هو ابسط أنواع الربا أضراراً ، لأن ضرره ينحصر في دوائر فردية أو عائلية .

* وهل نعي القدر المذهل للأضرار والتخريب الذى للربا العام وهو الموجه في صورة قروض للمؤسسات والشركات والهيئات والحكومات ومايطلق عليه تجاوزاً « القروض الإنتاجية » « تمييزا له عن القروض الشخصية الاستهلاكية » أى الموجه للشركات ومؤسسات إنتاجية بهدف تمويل الإنتاج أو عناصره حيث لا تقتصر أضرار هذا الربا على فرد أو عائلة وإنما تمتد وتتسع دوائره لتشمل المجتمع بأسره بجميع فئاته بل البشرية بأسرها .

فالتمويل الربوى بالقروض بفائدة سواء من البنوك المحلية أو البنوك الخارجية أو من مؤسسات التمويل الدولية إنما يؤدى ابتداء إلى زيادة أعباء وتكلفة قيام المشروعات أساسا بل ويمنع ويثبط عزائم الكثيرين عن القيام بمشروعاتهم .

ولا يقتصر الأمر على المشروعات ومعاناتها وإنما ينتقل العبء إلى المستهلك ، حيث تعيد المشروعات تحميل تكلفة التمويل وأعباء الفوائد للمستهلك بإضافته لسعر السلع والخدمات التى تنتجها ، الأمر الذى ينعكس على الأسعار بالزيادة والتى بدورها تتسع دوائر تأثيرها المتبادل لتشمل كافة ، المجالات فندخل في حلقة التضخم الجهنمية وانخفاض قيمة النقود ويعانى المجتمع بجميع فئاته من ارتفاع الأسعار وانخفاض القيمة الشرائية للنقود وبالتالى انخفاض مستوى المعيشة وارتفاع وطأة تكاليفها وأعبائها ، وتصبح المنتجات بعيدة عن تناول الكثيرين فندخل في حلقة الكساد والبطالة .

ويرتد السهم إلى راميه ، فتعانى البنوك ومؤسسات التمويل من إعسار المدينين من مشروعات وهيئات وأفراد وإفلاسهم وعدم قدرتهم ، ليس فقط على رد أقساط ديونهم ، وإنما على دفع فوائدها وتتعثر وتدور في حلقة مفرغة هى الأخرى وهو ما نلمسه ونعيشه ونعايشه جميعاً ، و لانعرف كيف نواجه « التضخم » وكيف نواجه « الكساد » وهما يجتمعان في وقت واحد ويصاحبهما « البطالة » التى تزداد رغم وجود التضخم عكس ماتنادى وتبشر به النظريات الاقتصادية الوضعية .

وهكذا تتناقض النظريات الاقتصادية الوضعية وتتخبط وتسقط وتصيبنا الضربات من هنا وهناك وتتناقض وتتضارب الحلول وتتحير العقول ، ويصدق فينا قول ربنا سبحانه وتعالى في أكلي الربا ﴿ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ .

* ونظرة إلى القروض الدولية للدول النامية على مدى الأربعين أو الخمسين سنة الأخيرة لنرى ماذا أنتجت ؟ ..

هل أدت إلى دفع عجلة التنمية والتقدم ؟ ..

هل ساعدت على تحقيق معدلات أفضل للنمو ؟ ..

هل أدت إلى تحسين اقتصاديات تلك الدول ؟

أم أنها ـ كما شاهدنا وكما نرى وكما أثبتت الدراسات المعلنة وغير المعلنة للمؤسسات الدولية ـ أنها قد أودت بالتنمية وباقتصاديات تلك الدول ، وأنها قد أثقلتها بأعباء الديون وفوائدها حتى أصبحت ليست عاجزة فقط عن سدادها وعن سداد فوائدها وإنما أصبحت عاجزة عن السير فى التنمية وعاجزة عن تدبير أمورها وتوفير احتياجات حياتها الأساسية وحياة أفرادها وأصبحت مقدراتها وحياتها رهينة دائنيها .. وما أشبه الليله بالبارحة ! .

وفى نفس الوقت يرتد السهم عاجلا أو آجلا إلى الدائنين محليين وخارجيين وتلك حكمة الله وحكمه القاطع ﴿ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا ﴾ .

ولايقتصر الأمر والمعاناة على الدول المتخلفة والنامية وحدها وإنما يمتد إلى الدول المتقدمة فنراها تخرج من أزمات لتدخل فى أزمات ، وتتكون اللجان والمؤتمرات ويحشد لها جهابذة الفكر الاقتصادى الوضعى ورجال المال والبنوك بحثا عن علاج ودواء ، وتتعدد العلاجات وتزداد قائمة الأدوية وتزداد الأمراض وتتعدد وتتكاثر وتتوطن بل وتظهر أجيال وأنواع مرضية غير مسبوقة (كالركود التضخمى) المصحوب فى نفس الوقت (بالبطالة) ! .

وتكثف الجهود وتحشد العقول على امتداد الخمس والعشرين سنة الأخيرة على وجه أخص للبحث عن نظام اقتصادى ونقدى عالمى جديد دون جدوى ودون أن يصل المجتمع الدولى لصيغة تنقذ هذا المجتمع من التردى فى الأزمات المتلاحقة أوتهىء له استقراراً وأمانا .

* فتحريم الفائدة ووجود البديل الشرعى لها ، وهو الإسهام المباشر بالمشاركة فى رأس مال المشروعات ، أو فى تمويل باقى تكلفتها الاستثمارية ، أو فى تمويل رأس المال العامل أو فى تمويل توسعاتها بطريق الإسهام المؤقت وهو ما استحدثناه وأطلقنا عليه المساهمة المتناقصة Redeemable Pariicipaiion كبديل شرعى للقروض المشتركة Syndicated Loans والتى يشترك فى تقديمها أكثر من بنك أو مؤسسة تمويلية ، أو تمويل رأس المال العامل أو دورات إنتاجية كاملة بالمشاركة فى الإنتاج ، أو بعقود مصانعة (تصنيع) وهو مايشمل تمويل شراء الخامات أو استيرادها والأجور وأرباح التصنيع .. الخ الصيغ العديدة الحلال القائمة على تحمل رأس المال للمخاطر دعما للمشروعات وإلغاء لعبء التمويل وتكلفته ابتداء وتخفيفا لصالح جميع فئات المجتمع انتهاء .

* فتحريم الفائدة يقضى على الخمول والسلبية لدى الأفراد ويدفع بالمدخرات ورءوس الأموال للبحث عن فرص ومجالات الاستثمار ، ويقدم لها رأس المال المتحمل للمخاطر ، والتمويل المشارك فى المخاطر .

* وبالتالى يلغى تماما (تكلفة التمويل) التى تثقل كاهل المشروعات وتعثر خطاها بل وتمنع قيام الكثير من المشروعات حيث لاتتحمل مجالاتها أعباء الفائدة الضخمة التى تتقاضاها البنوك وغيرها من مؤسسات التمويل الربوية .

ولايقتصر الأمر على المشروعات ، وإنما يمتد إلى المستهلك وهو جموع الشعب بأكمله حيث تصله نفس السلعة بأسعار أقل ، فالتمويل بالمشاركة المتحمل للمخاطر والقائم على المشاركة فى النتائج ربحا أو خسارة ليس له (تكلفة مسبقة) كما فى القروض بفائدة ، وبالتالى لاتتحمل المنتجات أية تكلفة تمويلية .

البقية صـ ٢٩٣

شهادات الاستثمار أ، ب
فى ضوء حقائق الفقه الإسلامى وأدلته

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

قرات فى جريدة الاهرام عدد الجمعة بتاريخ ١٩٨٩/٩/٨ م ـ راى فضيلة الدكتور المفتى فى حكم هذه الشهادات ، وقد حمدت له اقتراحه على المسئولين إصدار شهادة استثمار رابعة ربحها متغير ، على ان يكون العمل المستثمر فيها تجارياً ، وانا معه فى المقدمات التى ذكرها . لكنى اخالفه فى استمداد الحكم من راى لجنة الشيخ السنهورى ؛ لان المفتى المجتهد يعمد إلى الدليل ، والمفتى المقلد يعمل براى المجتهد ؛ لان التقليد هو العمل براى المجتهد لا براى المقلدين .

.. وعلى كل حال فسأناقش ما بنى عليه الجواز وهو احد امرين :

الأول : أن شهادات الاستثمار مجموعة (أ ، ب) مضاربة . فما هى المضاربة فى الفقه الإسلامى ؟

المضاربة التى أجمع الفقهاء على إباحتها أخذاً من الأدلة ، وما ورد من آثار الصحابة هى ما يأتى : ـ

وليكون الجواب مقنعاً ننقل معناها الموجود ـ فى باب المضاربة أو القِراض ـ من كتب المذاهب الفقهية .

قال فى المغنى لابن قدامة الحنبلى : « المضاربة هى أن يدفع الرجل ماله إلى آخر يتَّجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطا »[1] .

وقال النووى الشافعى ـ كما جاء فى مغنى المحتاج للخطيب الشربينى : « القِراض أو المضاربة أن يدفع رب المال إلى العامل مالاً يتَّجر فيه ، والربح مشترك بينهما »[2] .

وقال خليل المالكى : « القِراض أى المضاربة ، توكيل من رب المال للعامل على تجارة بجزء من الربح . والتجارة هى البيع والشراء لتحصيل الربح »[3] .

وقال الكاسانى الحنفى فى كتابه البدائع ما

---

(١) المغنى والشرح الكبير ، شركة المضاربة .
(٢) مغنى المحتاج ، جـ ٢ ، باب القِراض .
(٣) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقى ، جـ ٣ ، باب القراض .

معناه : للمضارب أن يعمل فى المال كل ما يؤدى إلى الربح كشراء الأرض برأس المال ، وزراعتها بالشجر .(٤)

وهكذا تأتى النصوص فى كتب المذاهب ، وكلها تدل على أن عمل المضارب فى المال هو التجارة لتحصيل الربح سواء كانت بالشراء "بيع أم بشراء أرض وزراعتها ، أو بنائها عمائر وبيعها إلى غير ذلك من طرق التجارة ..

وبعد ذلك نأتى إلى جواب السيد رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى عندما سأله فضيلة المفتى : فى أى الوجوه تستخدم حصيلة شهادات الاستثمار ؟

أجاب : بأن الحصيلة تستخدم فى تمويل مشروعات التنمية المدرجة فى الميزانية ، وتؤدَّى الحصيلة لوزارة المالية : أى أن الحصيلة تؤدى للدولة لتمويل خطة التنمية .

وأجاب أيضاً : بأن وزارة المالية هى التى تتحمل الفوائد التى تدرها شهادات الاستثمار .

ومن هذا الجواب يتضح أن العلاقة بين الدولة والمشترى للشهادة علاقة دائن ومدين ، وأن الدولة المدينة تُموِّل بحصيلة هذه الشهادات مشاريع التنمية فى الوزارات المختلفة كالتعليم والصحة والعدل والزراعة والتجارة إلى آخر الوزارات .

وطبيعة عمل الدولة فى هذه الوزارات هى الإنفاق على هذه المشروعات لتنتج النتائج المطلوبة منها كالتعليم بأنواعه والعلاج بأنواعه ، والدفاع فى البر والبحر ، والفصل فى الخصومات وخلافه ، وهذه ليست أعمالاً تجارية ، بل هى أعمال مطلوبة من الدولة لرعاية مصالح الشعب كرعاية الفرد لمصالح أبنائه !

فأين العمل التجارى هنا لكى تكون مضاربة ؟!

لهذا يتبين أن الدولة تأخذ هذا المال قرضاً للقيام بهذه المشاريع ثم تدفع لأصحاب الشهادات الفوائد كما قال رئيس مجلس الإدارة ، ولا يمكن أن تُسمى ربحاً ؛ لأن الربح مايكون عن تجارة .

وفوائد القرض المشروطة فى الشهادات من ربا الجاهلية المعلل بأنه مال قابل للزيادة أو التضعيف فى مقابلة الأجل .

نعم للدولة بعض مؤسسات للقطاع العام تشارك فى النهوض بالاقتصاد ، وأعمالها تقوم على أسس تجارية : لكن لا يُقصد بها التجارة ، بل محاربة الغلاء فضلاً عن أن أموالها لا تساوى نصفا فى المليون من أموال الدولة .

ثم نأتى بعد هذا إلى الكلام فى ربح المضاربة - وإن كُنا قطعنا بأن هذه الشهادات ليست من باب المضاربة - وقد أجمع الفقهاء عن آخرهم بأن الربح فى جميع الشركات يجب أن يكون شائعاً ، ويبطله التحديد ، والدليل على ذلك ماورد فى بعض الشركات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

أخرج البخارى ومسلم عن رافع بن خديج قال : « أخبرنى عمَّاى أنهم كانوا يُكرون الأرض على عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - بما ينبت على الأَرْبِعاء (٥) ، أو بشىء يستثنيه صاحب الأرض ، فنهانا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك ، فقلت لرافع : فكيف هى بالدراهم والدنانير ؟ فقال : ليس بها بأس ، وكان الذى نُهى عن ذلك ما لو نظر فيه ذوو الفهم بالحلال والحرام لم يجيزوه ، لما فيه من المخاطر » متفق عليه(٦) .

---

(٤) انظر جـ ٨ ، كتاب المضاربة ، مطبعة الإمام .

(٥) والأَرْبِعاء : جمع ربيع ، وهى القنوات التى يجرى فيها الماء فى الحقل .

(٦) انظر كتاب الحرث ، باب ١٩ ، فتح الباب جـ ٥ ، صـ ٢٥ .

شهادات الاستثمار (أ ، ب)

وعنه قال : كُنا أكثر أهل المدينة حقلاً ، وكان أحدنا يُكرى أرضه فيقول : هذه القطعة لى ، وهذه لك فربما أخرجت هذه ، ولم تخرج هذه فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - متفق عليه (٧) .

دل الحديثان على وجوب أن يكون الربح شائعاً بين المزارع والعامل ، وعلله راوى الحديث بأن الربح إذا كان محدداً يؤدى إلى المخاطرة أى إلى الغَرَر وانقطاع الربح عن أحد الشريكين ولا ينص على الحديث .

ثم ألحق الفقهاء جميعاً كل أنواع الشركات بالمزارعة بطريق مفهوم الموافقة أو دلالة النص غير أن بعضهم يكتفى بالتعليل بأن تحديد الربح يؤدى إلى انقطاعه عن أحد الشريكين .

لكن الشيخ عبدالوهاب خلاف - رحمه الله - مع احترامنا له غاب عنه هذا الدليل ، وخالف إجماع الفقهاء على اشتراط الشيوع فى المضاربة . فبأيهما نعمل : بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبإجماع المسلمين أم بقول الشيخ / عبدالوهاب خلاف ؟!

الأساس الثانى : لجواز من أجاز شهادة الاستثمار هو : القاعدة الأصولية القائلة : « الأصل فى المنافع الإباحة » . قال المفتى . تبعاً لرأى بعض الأعضاء : « إن شهادات الاستثمار معاملة حديثة لم ينص على حكمها الفقهاء السابقون ، وهى منفعة فليكن الحكم فيها الجواز » .

فما مراد الأصوليين بهذا الأصل الوارد فى قولهم : الأصل فى المنافع الإباحة ؟

قال علماء الأصول المراد به : أن الأصل فى المنافع الإباحة إلا ما ثبت بالدليل وجوبه كالزكاة ، وما ثبت بالدليل حرمته كالأموال المملوكة للغير ، وكالنساء لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « وإن الله تعالى حرّم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا »(٨) . وكالمعاملة المشتملة على الربا أو القمار أو الغبن الفاحش أو الرشوة أو الغرر .

وكذلك قولهم : « الأصل فى المضار التحريم » ، وهذا الأصل لا يُعمل بعمومه بل المراد به : مالم يرد الدليل بإباحة الضرر كالحدود والتعزير والقصاص .(٩) فإنه ضرر أجازه الشارع .

ولهذا جرى الفقهاء على عرض المعاملات الحديثة على القواعد الفقهية ، فإن ورد فيها دليل بالتحريم أو اشتملت على محرم حُكم فيها بالتحريم كحسم (الكمبيالة) على أن يأخذ الدائن أقل مما فيها من الدَّيْن ، وشراء السندات ، لما فى المعاملتين من الربا وإلا أبيحت كأكل المانجو الذى لم يرد اسمه فى الكتاب والسنة ، وكذلك شراء أسهم الشركات ، لخلوها من المحرم .

فشراء شهادات الاستثمار هو شراء ، وبيع فى الظاهر ، لكنه فى الواقع إعطاء مال للدولة على سبيل القرض كما أثبتنا ذلك بالدليل ، وأخذ فائدة على هذا القرض ، وهو النص على أن مشترى الشهادة (أ ، ب) يأخذ من الدولة كذا فى المائة كل عام .

---

(٧) هذا الحديث وما سبقه مرويان فى مشكاة المصابيح ، انظر شرحه مرقاة المصابيح جـ ٣ ، باب المساقاة والمزارعة ، صـ ٣٥٨ .

(٨) البخارى ، كتاب الحج .

(٩) راجع جمع الجوامع ، والكاتبين عليه ، والموافقات للشاطبى ، وغيرهما من كتب الأصول .

هذه هى القاعدة التى تطبقها الآن المجامع الفقهية ، وعلماء الفقه الذين يُفتون فى شئون المصارف ، ولهذا نعلن ان هذه الفتوى على فضيلة المفتى ان يعيد النظر فيها إبراء للذمة ، وإحقاقاً للحق .

هذا ويحسن أن ننبه على أمور وردت فى بيان المفتى :

الأول : أن كلمة التنمية والاستثمار فى الاقتصاد لا يراد بها (الربح) بل المراد من التنمية (الإنتاج) فى أعلى مستوى له ، والمراد من الاستثمار هو (إبقاء المال للزيادة فيه) كشراء الأرض ليزرعها ، وتربية الحيوان للحصول على منتجاته ، فإن كانت التنمية والاستثمار عن بيع وشراء سمى ربحاً عند الفقهاء وإلا لا يسمى ربحاً .(١٠)

الثانى : أن الوديعة عند الفقهاء إذا أعطيت للمُودع على أن يحفظها سمِّيت « وديعة » ، وإن أعطيت له على أن يتصرف فيها لنفسه سميت « قرضاً » ، وإن أعطيت له على أن يتجر فيها سميت « مضاربة » ، لأن العبرة فى العقود للمعانى ، ولكل حالة حكم .

الثالث : الكلام فى فوائد صناديق التوفير قديم ، وكان البحث فيه حول : هل البريد يتجر فى هذا المال فيكون مضاربة أو لا يتجر فيه فيكون قرضاً ؟ ، ومع ذلك فبالنظر إلى تحديد ثلاثة فى المائة نجد الذين قالوا بجوازه قد بنوه على أن التحديد فى ربح الشركات جائز ، وقد علمنا مما تقدم بطلانه .

ثم لا تشابه بين شهادات الاستثمار ، وصناديق التوفير كما يقول المفتى لأن المال فى شهادات الاستثمار قرض تُموَّل به مشاريع ميزانية الدولة .

الرابع : قول المفتى : « ولم يرد فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يمنع تحديد الربح مادام قد تم بالتراضى بين الطرفين» ، بعيد كل البعد عن الحقيقة .

فقد ورد فى السنة مايمنع من التحديد كما فى حديثى المزارعة السابق ذكرهما ـ وأجمع الفقهاء على أن التحديد يُبطل جميع الشركات ، ولا عِبْرة بقول المرحوم الشيخ خلاف بعد ما قدمنا .

الخامس : الخسارة فى المضاربة تُحتسب على رب المال ، لا على العامل خلافاً لما قاله المفتى .

السادس : ليست أعمال الناس مبنية على النيات الطيبة فقط ، بل عليها ، وعلى الموافقة لأحكام الشارع لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » (١١) .

وليست كل مكافأة مطلوبة بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من صنع إليكم معروفاً فكافئوه » ، كما ذكر المفتى ، بل المكافأة المنصوص عليها هى : الحلال الخالية عن الربا .

وللحديث بقية إن شاء الله ..

أ . د . / أحمد فهمى أبو سنة

---

(١٠) بهذا يتبين أن سؤال المفتى فى وادٍ ، وجواب رئيس مجلس إدارة البنك الأهلى فى وادٍ آخر .

(١١) البخارى ، جـ ٨ ، صـ ١٤٧ ، الباب الخامس ، مبحث ما ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ما وراء
فوائد البنوك

لـــواء ا.ح
د. فـوزي محمد طايل

حملت لنا صفحات الجرائد التي تصدر في مصر على مدى اربعة اشهر مناظرات هامة حول موضوع « فوائد البنوك ». وبرغم وضوح الحكم الشرعي لهذه الفوائد ، وانها « ربا نسيئة » ، وانها تشبه من كل الوجوه « ربا الجاهلية » الذي كان يعقد لأغراض التجارة والاستثمار ، وقد حرمه الله تعالى بآيات قرانية صريحة الدلالة ، جاءت تأكيداً لسابق تحريم الله تعالى له في كتبه ، لما لهذا النوع من التعامل من ضرر يقع على المقرض والمقترض ، وعلى قيم المجتمع ، وعلى النواحي المادية والاقتصادية فيه ، واكد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرمة هذا التعامل (قولاً) اتبعه (فعلاً) بإسقاط الربا عن كل مدين ولم يبق للدائن إلا رأس ماله ، وفي مقدمة أولئك الدائنين العباس ـ رضي الله عنه ـ.

وقد توالت الاجتهادات الفقهية في كل العصور الإسلامية تؤكد حرمة الربا وحرمة التحيّل من أجل الوصول إليه مهما كانت المسميات أو الصور المتحيل بها . وظل الأمر كذلك إلى أن تطورت أعمال المرابين في أوروبا ، فتمخضت عن « البنوك » التي تتخذ من التعامل في الديون « بفائدة » ، هي عين الربا ، نشاطاً رئيسياً لها . وتبنى الفكر « الرأسمالي » في أوروبا فكرة التعامل بالربا ، « وقد نُهُوا عنه » ، لظروف اجتماعية وسياسية وتاريخية خاصة أدت بهم إلى تبني أفكار تقوم على « فصل الدين عن الدولة » ، « وفصل الأمور السياسية والاقتصادية عن الدين والأخلاق ». وقد تم تصدير فكرة « البنوك » بأسلوبها الربوي ضمن ما صدرته أوروبا إلى الأمة الإسلامية ـ التي كانت قد أصابها التخلف والوهن ـ بسبب حبها لقشور الحضارة الممزوجة بالكثير من المفاسد واللاقيم والأساليب التي لا تتفق والنموذج الإسلامي في التعامل في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية .

على أن فقهاء الأمة الإسلامية المعاصرين قد اجتهدوا من أجل التوصل إلى الحكم الشرعي لمعاملات البنوك باعتبارها صورا جديدة للتعامل لم تكن معلومة تحت هذه المسميات لدى السلف الصالح ، أو حتى لدى من جاء بعدهم من الفقهاء حتى القرن التاسع عشر الميلادي . ومن هؤلاء وأولئك من استوفى جوانب البحث من النواحي الاقتصادية والفقهية الإسلامية ، فصار

واضحاً جلياً أمامه ، فجاء الحكم مقرراً أن بعض معاملات البنوك مستكمل لأركان الربا المحرم شرعاً بنصوص قطعية الثبوت والدلالة ، وتعد حرمته من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، فلا يجوز لمسلم أن ينكرها أو يناقشها جرياً وراء مصلحة موهومة ، امتثالاً لأمر الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور / ٥١).

ومن آراء المتأخرين من الفقهاء الذين استكملوا جوانب البحث في هذا الموضوع على سبيل المثال لا الحصر : فضيلة الدكتور « محمد عبدالله دراز » إذ قدم بحثاً إلى مؤتمر القانون الإسلامي الذي عقد بباريس في شهر يوليو عام ١٩٥١ م ، وفضيلة الإمام الدكتور « عبدالحليم محمود » من قبل أن يصبح شيخاً للأزهر ، وفضيلة الشيخ « محمد أبو زهرة » ، والدكتور « محمد عبدالله العربي » ، وفضيلة الدكتور « أحمد فهمي أبو سنة » ، والدكتور « حسين حامد حسان » ، والأستاذ الدكتور « عيسى عبده » ، وفضيلة الدكتور « يوسف قاسم » ، والدكتور « علي السالوسي » .. وغيرهم . ويتوج هذا الجهد كله أن ائمة الجامع الأزهر كلهم ، وآخرهم الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق قد حسموا الأمر فقضوا بأن « فوائد البنوك » هي « ربا » محرم شرعاً .

هذا ، وقد صدرت دراسات متعمقة كثيرة سواء عن مجمع البحوث الإسلامية ، أو عن مراكز البحوث التابعة للجامعات الإسلامية في مصر والسعودية وباكستان وغيرها ، أو كرسائل علمية ، أو كتابات عديدة ، تجمع كلها على أن أكثر المعاملات البنكية بالصورة المعروفة في عصرنا هذا ، لا تعْدُو كونها تعاملاً بالربا منهياً عنه شرعاً .. وقد أسهمت مجلة الأزهر في هذا المجال ، ولما تزل تقوم برسالتها من أجل إظهار الحق ..

هذا ، وقد تم « اجتهاد جماعي » في مؤتمر « الفقه الإسلامي » الذي عقد في الرياض عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) قام به جمع كبير من علماء الفقه الإسلامي وعلماء الاقتصاد المسلمين ، اجمعوا فيه على أن « الفائدة » على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي .. وأن « الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ..».

وحتى تستكمل كل جوانب الموضوع ، فإننا لا ننكر أن هناك من الفقهاء من اجتهد فلم يستكمل جوانب البحث العلمي ، ولم يستفرغ غاية الجهد في التوصل إلى معرفة كل جوانب الموضوع ، إما لعدم تطابق معلوماته الاقتصادية مع واقع عمل البنوك ، وإما لانه استشار من وضع أمامه إجابات غير دقيقة أو محرفة عن حقيقة وطبيعة عمل البنوك ، فجاء اجتهاد هؤلاء العلماء ـ وفقهم الله ـ وقد جانبه الصواب ، وكان أولى بهم أن يلتزموا قرارات مجمع البحوث الإسلامية وغيره من المجامع .

ومن هؤلاء الذين اجتهدوا فلم يصيبوا من لم تثبت صحة نسبة الفتوى إليهم كالإمام محمد عبده ، ومنهم من رجع عن فتواه بعد ما تبين له الحق كالأستاذ الشيخ عبدالوهاب خلاف ، والإمام الأكبر محمود شلتوت ـ رحمهم الله .

ذلك ولم تكن فتاوى بعضهم تتعلق بفوائد

←

ماوراء فوائد البنوك

البنوك ؛ فقد كانت الفتوى التي ينسبها البعض للإمام محمد عبده متعلقة بتحديد « فوائد » عند الإيداع في مكاتب البريد ، وهي جهات لا تتعامل في الديون وإن كانت غير جائزة أيضاً ، وكانت فتوى الإمام محمود شلتوت متعلقة باقتراض الدولة من جهات أجنبية للضرورة ، أما الأستاذ الشيخ عبدالوهاب خلاف فقد رجع عن رأيه في نفس الجلسة التي صدرت منه الفتوى فيها ، فما بالنا نرى قوماً يجتهدون ويبذلون غاية جهدهم ، ويضيعون غالي وقتهم في بحث موضوع حسم أمره واتضح حكمه ؟

ألفنا النقص وعايشناه :

لقد كان عام ١٨٩٨ م أول عهد مصر بالبنوك التجارية التي تتعامل « بالفائدة » الربوية إذ أنشيء « البنك الأهلي المصري » على غرار البنوك الأوروبية ، فكان مصرياً بحسب مقره ، أجنبياً من حيث الإدارة ، والسياسة ، وملكية رءوس أمواله . وكان بمثابة أداة لترسيخ التبعية الاقتصادية الكاملة لبريطانيا آنذاك .

وفي مقابل هذا النظام الربوي الخالص جرت محاولة إنشاء « نظام مختلط » يهدف أساساً إلى الاستثمار ودعم الاقتصاد ، فكان إنشاء بنك مصر عام ١٩٢٠ م ليعمل كشركة قابضة ، تسهم في إقامة المشروعات ، بجانب تقديم الخدمات المصرفية والتعامل في القروض « الربوية » عن طريق تحديد سعر « الفائدة » . وبمرور الوقت صدر من القوانين ما فصل بين هذه الشركات وبين البنك فصار هو الآخر يدار على نفس النمط « الربوي » المستورد ، وتوارى هدف الاستثمار . وسارت الأمور على هذا المنوال .. فأنشئت بنوك أخرى مصرية ، وأجنبية ، نشاطها الرئيسي هو التعامل في « الديون » .

لم يعد أحد من الخاصة أو العامة يجهل الحكم الشرعي لفوائد البنوك ، وما في أكثر المعاملات البنكية من (ربا) ، لكن الخطورة عين الخطورة أن أكثر الناس قد ألفوا النقص وعايشوه ، وأصبح أيسر الأمرين لديهم استقرار الخطأ ، وأصعبهما السير في طريق الإصلاح ابتغاء وجه الله .. وأصبح أكثر الناس تضيق صدورهم حرجاً ويصمون آذانهم عندما يذكرهم أحد بحكم الله في معاملات البنوك التي أودعوا فيها أموالهم ويتقاضون عنها « فوائد » هي عين الربا .

حجتهم داحضة :

لقد حاول البعض ـ ولما يزل ـ يحاول إضفاء الشرعية على هذا الوضع الخاطيء الذي يستباح فيه ما نهي الله عنه ، بحجج متباينة وردت في وسائل النشر المختلفة ، وكلها لا تستند إلى الدليل الشرعي أو الحقيقة العلمية ، ويمكن الرد عليها إجمالاً فيمايلي : لقد أنزل الله تعالى شريعته هدى ونوراً ، وجاءت الآيات القرآنية دالة على وجوب اتباع ما أمر به الله والانتهاء عما نهى عنه قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء / ٦٥) .

لذا فإنه لا يجوز التراضي أو الاتفاق بين الأفراد على مخالفة أحكام الله ، فشريعة الله حاكمة غير محكومة ، وهي تخاطب الإنسان من حيث هو إنسان على أي حال كان هذا الإنسان ، ودون نظر إلى الزمان أو المكان ؛ **فما لا يجوز**

التعامل به بين الأفراد ، غير جائز التعامل به بين الدولة وبين الأفراد ، فلا يجوز لأي طرف التعامل بالربا أو غيره من المحرمات ، لما في ذلك من أكل أموال الناس بالباطل ، وما كان حراما كان تنظيمه بأي لون أو شكل لا يجوز كما لا يجوز الإعلان عنه .

إن القول بأن الشريعة الغراء صالحة لكل زمان ومكان لا يعني تغير أحكامها قطعية الثبوت وقطعية الدلالة كحرمة الربا ، مهما كانت مسميات التعامل به .. وما أغلق الله تعالى باب مفسدة ، إلا وفتح ما هو أفضل منه وأكثر نفعا للناس ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ . ويقول ـ عز من قائل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٢٨) .

إن التعامل في الديون ، والذي يشكل جل معاملات البنوك ، لا يسمى استثماراً بحال ؛ ولو قلنا ذلك لكنا كمن قال : « لا .. إنما البيع مثل الربا » ، ذلك لأن الاستثمار يعني إحداث التزاوج بين المال والجهد البشري بغرض إعمار الأرض وإحداث التقدم والتنمية في مجالات الزراعة والصناعة والخدمات وغيرها ، ولا يكون ذلك من خلال سلسلة من الاقتراض والإقراض ، ولكن من خلال الاستخدام المباشر للمال في العمل الإنتاجي ، فيتحمل كل من العامل وصاحب المال المخاطرة ويقتسمان العائد ، فلا يجوز الضمان المسبق ولو من جانب بنك حكومي ، فذلك يدفعنا إلى أن نتساءل : من أين أتت أموال الضمان هذه ؟ أليست من أموال الضرائب وموارد الدولة الأخرى ؟ .. وهل تجمع الضرائب وتحصل لتعطى ضماناً لأموال فئة المودعين بالبنوك دون باقي المواطنين ، والأصل في الضرائب أنها تجمع لسد النقص في موارد الدولة ، وإنفاق كل هذه الموارد في أوجه الإنفاق العامة كالتعليم والصحة والدفاع وما إليها ، فيستفيد منها الفقير الذي لا يودع مالا بالبنوك ، والغني صاحب المشروع الخاص الذي يسهم في تنمية موارد الدولة .

لقد ضاق بعض الكتاب بالفكر المفتوح الذي عالج قضية تعامل البنوك بالفائدة فلجأ إلى أسلوب غير نزيه إذ يقول : إنه سياسة نقدية كأنما يريد أن يصادر فكر الناس ، وكم من سياسة عولجت قضاياها فحصاً ودراسة دون أن تتدخل الدولة ، بل خطت الدولة ـ في النهاية ـ مع الحق حين تبين الحق ، ولم تضع (حرمة وضعية) لباطل والدولة ودينها الرسمي الإسلام لا يسعها إلا أن تكون تابعة لشريعة الله .

كذلك من يبرر التعامل البنكي « الربوي » بأن البنوك المحلية تقوم بدور يرتبط « بالنظام الاقتصادي العالمي » المستقر ، قد فاته أن ما يسمى « بالنظام الاقتصادي العالمي » قائم على المعاملات التجارية بين الدول « الرأسمالية » ودول « العالم الثالث » ، ومنح الأولى للثانية القروض والمعونات ، وربط عملات « الدول النامية » بالعملات « الحرة » للدول الرأسمالية ، وقد أصبح واضحاً فشل هذا النظام ، وعبر عن ذلك كل قادة العالم ، ومنظمة الأمم المتحدة نفسها ، فضلاً عن أنه جر علينا من الأضرار في كل المجالات ما لا تحمد عقباه .. ومع ذلك فوجود نظام اقتصادي إسلامي مبرأ من الربا لن يحول دون التبادل التجاري الدولي ، لكنه يدفع إلى الاستغناء عن القروض بالربا الفاحش ، وعن المعونات (المشروطة). ولله در الإمام « محمد عبده » الذي قال مخاطباً الدول الأجنبية في لندن عام ١٨٨٤ م : « لا تحاولوا منحنا المزيد من

المعونات فقد أذتنا معوناتكم بالفعل إيذاء بالغاً » .. ولقد اعجب بعض كتاب العلاقات الاقتصادية الدولية بهذه العبارة فوضعها في صدر أحد فصول كتاب بعنوان : « الولايات المتحدة في الثمانينيات » .

« The United States in the 1980s »

وقد جاءت العبارة على رأس فصل بعنوان : « المعونات الخارجية والعالم الثالث » .

« Foreign Aid and the Third World » pp.559

ونص العبارة كما ورد بالانجليزية كمايلي :

« Do not attempt to do us any more good. Your good has done us too much harm already » (Sheik M.Abduh)

الآثار الاجتماعية للفوائد الربوية :

سبق أن عالجنا في مقالات سابقة(١) الآثار الاقتصادية المدمرة التي تسببها معاملات البنوك باستخدام سعر الفائدة ، من تقلبات اقتصادية حادة ، وتراجع لمعدلات الاستثمار والتنمية ، وإن الآثار الاجتماعية « للفوائد الربوية » لتفوق أضرارها الآثار الاقتصادية بكثير ..

ولا غرو فقد قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . . ﴾ (البقرة / ٢٧٥)... وياله من تصوير معجز !

فالتعامل بهذه الصورة يهدم الكثير من القيم والمثل العليا التي هي قوام المجتمع الإسلامي ويحيله إلى مجتمع فاقد الهوية ، لا معيار له يميز به الخبيث من الطيب ، ويفصل به بين الخير والشر ، ويقيس به كلا من العدل والظلم .

إن في هذا المسلك محاباة لقيمة المال وإهداراً لقيم العمل والإخلاص والجدية والكفاح ، وفيه قضاء على السلوك الإنتاجي الذي يكون عادة محفوفاً بتحمل المخاطر والمصاعب والرغبة في إسعاد الآخرين . فما خلق الله الإنسان إلا ليعمر الأرض ويعبد الله .. وأي إعمار للأرض ، وأي عبادة هذه والأموال تجمع بغرض الإقراض « بالربا » ؟

إن فكرة « الفائدة المضمونة » ـ خاصة إذا ارتفعت وصحبها الركود(٢) ـ تؤدي إلى عزوف الكثيرين عن الاستثمار ، وتحولهم إلى طفيليين ، ينتظرون الكسب السهل فيتحول المجتمع إلى مجتمع مريض مليء بالمتعطلين عن العمل الذين تضمن لهم البنوك أرزاقهم ! .. حاش لله ..

إن الترويج لسعر « الفائدة الربوية » التي استقر في ضمير المسلمين أنها حرام ، والإعلان عنها في وسائل الإعلام ، في أبرز الأماكن ، وأهم الاوقات ، ليصيب المسلم الحق بحرج شديد يمس ضميره وقيمه ومثله العليا ، فضلاً عن أنه يفقده الثقة في وسائل الإعلام وفي كثير من قيم المجتمع التي كان من المفروض أن تحظى بقدر أكبر من الثقة في ظل الهوية الإسلامية للمجتمع .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى الآثار

البقية صـ ٢٦٦

(١) ذو الحجة ١٤٠٩هـ ـ المحرم ـ صفر ١٤١٠ هـ .

(٢) بلغ سعر الفائدة المعلن عنه ١٢ ٪ في الأجل القصير و ١٦ ٪ في الأجل المتوسط في حين بلغ معدل التضخم ٣٥ ٪ مع ركود السوق ، فأصبحت هناك ظاهرة تسمى بالركود التضخمي ، لا تجدي معها السياسات المالية القائمة على تحريك سعر الفائدة .

الطبرى

إمام المؤرخين

أ.د. عبد العزيز غنيم

مدخل :

شهد العالم الإسلامى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين حركة فكرية انتظمت العلوم والفنون والثقافات العربية والأعجمية . وفى هذه الحركة المباركة نشأت العلوم وتمايزت وانفصل بعضها عن بعض ، وأصبح لكل علم أَوْبَةُ[1] الذى يجرى فيه ، وهدفه الذى يسعى إليه وَحَدُّهُ[2] الذى يبرز ملامحه ويبين خصائصه وقانونه الذى يضبط قضاياه ويحكم مسائله . ورجاله الذين يكرسون له الجهد ويحبسون عليه الوقت ، ويؤثرونه على ما فى هذه الدنيا من الزخارف والمتع ، وكان حظ التاريخ فى هذه الحركة أو فى هذه النهضة عظيماً . فقد جُمِعَتْ حوادثه ، واستُقْصِيَتْ جوانبه ، وانقطع له من المشاهير من تصدروا المجالس وترأسوا المحافل وانتهت إليهم الإمامة فى كل علم وفن .

والذى يتابع مسيرة التاريخ من الجاهلية حتى العصر الذى نكتب عنه يلاحظ أنه قد مر عبر مراحل شتى وأحوال متعددة .

ففى العصر الجاهلى لم يكن العرب يدونون التاريخ ، ولا كانوا يسجلون حوادثه ، وإنما كان يرويه منهم الخلف عن السلف والأبناء عن الآباء ، والسبب فى هذا هو أنهم كانوا أميين لا يقرءون ولا يكتبون . هذه واحدة .

والثانية هى : أنهم كانوا ذوى ذاكرة حادة ، وحافظة مشبوبة ، وكان ما يروونه أو يسمعونه لا يُمْحَى من ذاكرتهم إلا بعد أزمنة طويلة وأوقات مديدة .

وفى الإسلام نسج العرب على هذا المنوال نفسه . فكانوا يضمنون قصائدهم ما يصيبهم من الحوادث ويودعون أراجيزهم ما ينزل فى ساحتهم منها ، وكانوا يروون ما يشهدون وما يسمعون . وينقله بعضهم عن بعض لا يزيد فيه ولا ينقص منه . اللهم إلا النذر اليسير الذى لا يأتى عليه ولا يغض من ميمنه . وكان حبهم للنبى - عليه الصلاة والسلام - وحرصهم على سنته وأحاديثه ، يحفزهم على حسن الاستماع منه والتلقى عنه والتحرى فى كل ما ينسب إليه .

←

(١) الأوب : الطريق .

(٢) حده : ملامح شخصيته .

الطــبري إمــام المؤرخـين

وبقى الحال على ذلك حتى اتسعت الفتوحات واشتدت الفتن . وظهرت الفرق المذهبية والسياسية ودخل فى الإسلام من لا وازع له ولا خلق ، وراح أصحاب البدع والأهواء يكذبون متعمدين على النبى - عليه الصلاة والسلام - وينسبون إليه وإلى أصحابه ما لم يقولوه ، هنا دعت الحاجة إلى تدوين السنن ، واقتضت الضرورة تسجيل الأحاديث . وكانت سيرة النبى - صلوات الله وسلامه عليه - ومغازيه هى أول ما دون من ذلك وأنت خبير بأن السيرة ، وإن كانت جزءا من الحديث ، إلا أنها من التاريخ أدنى وإليه أقرب .

ولهذا كان التاريخ أول ما دون من العلوم فى الإسلام وأول ما انفصل منها عن غيره ، وقد كان أهل الحجاز عامة وأهل المدينة منهم خاصة أول من ألف فى السيرة والمغازى . والسر فى هذا هو أن هذا الإقليم هو منزل الوحى ومشرق الرسالة وموطن النبى - عليه الصلاة والسلام - وأصحابه - رضوان الله عليهم - ومجال حروبه وغزواته .

فلا غرابة والحال هذه أن يكون :
«أبَانُ بن عثمان» ، و«عروة بن الزبير» أسبق أهل المدينة إلى التأليف فى السيرة .

وأحدهما ابن ذى النورين[٣] والثانى ابن حوارى[٤] النبى - عليه الصلاة والسلام - وابن عمته صفية[٥] بنت عبدالمطلب رضى الله عنها .

وبعد هذين الرائدين توالى التأليف فى هذا الجانب من التاريخ فظهر عبدالله بن أبى بكر بن حزم الأنصارى ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، وأولهما من المدينة والثانى من مكة .

وفتحت الكتابة فى هذا الجانب الباب على مصراعيه أمام العلماء للكتابة فى التاريخ وظهر : سيف بن عمر وعمر بن شَبَّة وأبو مخنف وغيرهم ممن عشقوا التاريخ وأثروه على غيره ، وقد دفعهم إلى ذلك أمور منها :

وبلغ هذا التأليف أشده واستوى على يدى محمد بن إسحاق وابن هشام وابن سعد والواقدى وغيرهم ممن بلغوا الغاية فى تسجيل سيرة النبى - عليه الصلاة والسلام - ومغازيه .

هذه الحروب التى كانت بين المسلمين وبين غيرهم من الفرس والروم ، وتلك التى كانت بين بعضهم وبعض مثل معركة الجمل ومعركة صِفِّين والمعارك التى كانت بين الأمويين والخوارج وبينهم وبين الزبيريين والشيعة ، ورغبة الناس فى أن يعرفوا أخبار هذه الأحداث والآثار التى ترتبت عليها .

وثانيها : هذه البلاد المفتوحة ومعرفة ما فتح منها صلحا وما فتح عَنْوة لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية .

وأخيراً-وليس آخراً - رغبة الخلفاء والوزراء وغيرهما من ذوى الحكم والسلطان فى معرفة أخبار الغابرين وأنباء السابقين من الملوك ومن دونهم من الحكام للاستفادة من تجاربهم ومعرفة الأسباب التى أعانتهم على سياسة أممهم وإدارة شئون شعوبهم . وقد بدأت الكتابة فى التاريخ باختيار (حَدَثٍ) أو أكثر وتدوينه وذلك مثل «وقعة الجمل» و«وقعة صِفِّين» و«وقعة الحَرَّة» وما إلى

(٣) عثمان بن عفان - رضى الله عنه .
(٤) الزبير بن العوام - رضى الله عنه .
(٥) هى الوحيدة من عمات رسول الله ﷺ - التى لم يختلف فى إسلامها - رضى الله عنها .

ذلك . وقد كان يطلق على المؤرخين فى هذه الفترة اسم «الأخباريين» ، لأن ما كانوا يدونونه قد كان أخبارا لا يتحرى أصحابها الصدق فيها غالباً ، وإنما كانوا يطلقون لأقلامهم العنان فى تصويرها وتدبيجها والتأثير على القارىء تبعا لمشرب المؤلف ونحلته التى ينتمي إليها . ولهذا فإن الخلاف قد كان على أشده بين المحدِّثين والمؤرخين . فالأولون يتحرون الصدق فى من ينقلون عنهم ولا كذلك المؤرخون ، والمحدِّثون يحرصون على إسناد كل قول إلى قائله وكل رواية إلى راويها . وكان من المؤرخين من لا يلتزم ذلك ومنهم من كان يجمع الأسانيد جمعاً ويردفها الروايات من غير نسبة كل قول إلى قائله .

وصفوة القول ، أن التأليف فى التاريخ قبل الطبرى قد كان حول أحداث خاصة أو أشخاص بأعيانهم . أما التاريخ العام من لدن آدم حتى زمن المؤلِّف فإن هذا الميدان لم يَخُضْه أحد قبل ابن جرير ، وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نقطع بأنه كان «الرائد الأول» لكتاب التاريخ العام ، وأن كتابه «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» قد كان ولا يزال هو الإمام فى هذا الجانب من جوانب هذا العلم او هذا الفن .

ولكى نعطى القارىء صورة عن هذا الكتاب فلابد أن نقول كلمة موجزة حول حياة الرجل. ثم نلقى عليه من الأضواء ما يعطى القارىء صورة تتناسب وحجم هذا البحث القصير . وإليك نبذة موجزة عن نشأة هذا المؤرخ الجليل ، وعن كتابه الذى حوى ما قبله من الكتب وتتلمذ عليه واستقى منه ما جاء بعده من المؤلفات المختلفة فى المغازى والتاريخ .

الطبـــــرى :

فى العام الرابع والعشرين[6] بعد المائتين من هجرة النبى - عليه الصلاة والسلام - أو فى العام الذى يليه ، ولد إمام المفسرين وشيخ المؤرخين وعمدة الفقهاء والقراء : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى .

فكانت ولادته ونشأته فى مدينة (آمل) حاضرة (طبرستان) وقصبة العلم والمعرفة فيها ؛ ولأن اباه جرير بن يزيد ، قد كان أحد أثرياء هذه المدينة وأصحاب العلم والفضل من ابنائها فقد نشأ محمد نشأة صالحة على يدى أبيه أولا . ثم على أيدى العلماء والفضلاء ممن اختارهم له .

ويظهر أن الصبى قد كان محببا إلى والده وكانت له منزلة خاصة فى فؤاده . والدليل على هذا ما رواه عنه قال : رأى[7] أبى فى منامه أننى بين يدى النبى - عليه الصلاة والسلام - وأن فى يدى مخلاة فيها حجارة . فأنا ارمى منها يمينا وشمالا . فسأل المعبرين فقالوا : إن يعش هذا الصبى ينصح فى دينه وينفح عن عقيدته .

وسبب ما كان يشد الصبى إلى أبيه ويوثق الوشائج والروابط بينه وبينه هو صفاء فكره ونقاء عقله وذكاؤه المتوقد وعزمه المتوثب . يقول الصبى عن نفسه حفظت[8] القرآن وانا ابن سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمان ورويت الحديث وأنا ابن تسع . وهذه مزايا قل أن تجتمع لصبى فى مثل سنه ، ومن أجل ذلك وهبه أبوه للعلم ووفر له وسائله واسبابه فأعطاه قرية[9] كان يملكها فى طبرستان ، فكانت تأتيه

←

(٦) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٠ ، الأعلام للزركلى جـ ٦ ص ٢٩٤ .

(٧) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٩ .

(٨) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٤٩ .

(٩) البداية والنهاية - لابن كثير ص ١١ ص ١٤٦ .

الطـبري إمـام المؤرخـين

غلتها فى حياة أبيه وبعد وفاته ، فانقطع لطلب العلم وفرغ لتحصيل المعرفة . وكان قانعا فلم تتعطش نفسه لجوائز الخلفاء والأمراء ولم تمتد عينه إلى ما فى هذه الحياة من الغنى والثراء وآثر الحياة المتوسطة بين الكتب والتلاميذ على العيش الهانىء والحياة الراضية فى كنف السلطان وبين خاصته وأعوانه .

ولم يقنع ابن جرير بما حَصّل فى (آمل) فخرج إلى البلاد المجاورة لها يطلب المزيد ممن يتوسم فيهم الفضل ويرجو عندهم المعرفة . وكان نهما لا يشبع من التحصيل ولا يتعب من القراءة والكتابة والاستذكار . تحدث عن حياته فى الرى فقال : كنا نكتب[١٠] عن (محمد بن حميد الرازى) فيخرج إلينا فى الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا وكنا نمضى إلى (أحمد بن حماد الدولابى) وكان فى قرية من قرى (الرّى) بينها وبين الرّى قطعة . ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى (ابن حميد) فنلحق مجلسه .

وجاء فى معجم الأدباء[١١] وغيره أن ما كتبه ابن جرير عن (ابن حميد) وحده يزيد على مائة ألف حديث ومع كثرة ما أخذ عن علماء طبرستان وما حولها فإنه لم يقنع بما تلقى ولم يكتف بما سمع وكتب ، وأعد العدة للرحلة ، شأنه فى هذا شأن غيره من نبغاء عصره وعباقرة زمانه ويمم وجهه شطر مدينة (السلام)[١٢] ويظهر أنه كان يقصد مجلس (الإمام أحمد بن حنبل) ليستمع إليه ويأخذ الحديث عنه ، ولهذا فإنه لم يكد يتلقى نبأ وفاته حتى عدل عن الإقامة فى هذه المدينة ، وولى وجهه شطر البصرة[١٣] وفيها جلس إلى (محمد بن موسى الحرشى) و(عماد بن موسى القزاز) وغيرهما ممن بقى على قيد الحياة ممن انتهى إليهم العلم ووضعوا أيديهم على كنوز المعرفة .

ولما أخذ من هؤلاء الفحول ما كان يبغى واصل الرحلة إلى الكوفة . فكتب عن (هناد بن السرى) و(إسماعيل بن موسى) وكان (أبو كريب) شرس الخلق غليظ الطبع لا يكاد يشهد لأحد غير أنه كان إمام أهل الحديث فى هذه المدينة . قال أبو جعفر[١٤] : حضرت باب دار أبى كريب مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوخة له والقوم يلتمسون الدخول ويضجون فقال : أيكم يحفظ ما كتب عنى ؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلىّ وقالوا : أنت تحفظ ما كتبت عنه ، قلت نعم . فقالوا : هذا فسله . فقلت : حدثتنا فى كذا بكذا وفى يوم كذا بكذا . فأخذ (أبو كريب) فى مسألتى إلى أن عظمت فى نفسه . فقال لى : ادخل إلىّ فدخلت إليه وعرفت قدره على حداثتى ومكننى من حديثه . وقال الناس : إنه قد روى عن أبى كريب وحده مائة ألف حديث .

وغادر (ابن جرير) الكوفة إلى مدينة السلام مرة ثانية ، فجلس إلى من فيها من الفقهاء والقراء والمحدثين واتجهت همته إلى مصر وكانت يومئذ مجمع الأدباء والشعراء والفقهاء من أصحاب الشافعى ومالك بن أنس وغيرهما ممن تشد إليهم الركاب وتهون فى سبيل التلقى عنهم العوائق والصعاب ، وقبل أن تطأ أقدام ابن جرير ثَرَى مصر عَرَّج على أجناد الشام وثغورها

(١٠) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٩ ـ ٥٠ .
(١١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٠ .
(١٢) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥٠ .
(١٣) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥٠ .
(١٤) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٥١ .

وسمع وقرأ على علمائها وفضلائها .

وفى السنة الثالثة والخمسين[15] بعد المائتين دخل ابن جرير مدينة الفسطاط غير أنه لم يلبث بها إلا يسيرا ثم غادرها إلى الشام وفى السنة السادسة والخمسين[16] بعد المائتين عاد إلى مصر مرة ثانية ونزل على (الربيع بن سليمان)[17] فاستأجر له داراً قريبة منه وكانت شهرة الرجل قد سبقته فلم يبق أحد من أدباء مصر وعلمائها إلا لقيه وامتحنه وأكبر ما لديه من الحكمة والمعرفة ، وعلى رأس هؤلاء جميعا (أبو الحسن على بن السراج) و(أبو إبراهيم : إسماعيل بن إبراهيم المازنى) وقد امتحن الأول ابن جرير فى كل شىء حتى شعر الطرماح[18] الذى أملاه عليه ابن جرير وكان الرجل يطرى علم الطبرى ويثنى على فهمه وحفظه ، وحاور المازنى ابن جرير وناظره ولم يستطع الثبات أمام قوة حجته وسلامة منطقه . وقد تسأل : لماذا لم يطُل الطبرى المقام فى مصر حين أتاها فى العام الثالث والخمسين بعد المائتين ؟ والجواب : أن ظروفه فيها لم تكن كما كان يحب ، والدليل على هذا ما جاء فى تاريخ بغداد . قال أبو العباس البكرى من ولد أبى بكر الصديق : جمعت[19] الرحلة بين (محمد بن جرير) و(محمد بن إسحاق بن خزيمة) و(محمد بن نصر المروزى) و(محمد بن هارون الرويانى) فى مصر ، فأرملوا* ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة . فقال لأصحابه : أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى صلاةالخيرة ! قال : فاندفع فى الصلاة فإذا هم بالشموع وخصى من قبل والى مصر يدق الباب ، ففتحوا له فنزل عن دابته وسأل عنهم رجلا رجلا كل باسمه ودفع إلى كل واحد منهم كيسا فيه خمسون دينارا وقال : إن الأمير كان قائلا بالأمس فرأى فى المنام خيالا . قال : إن المحامد طووا كشحهم جياعا فأنفذ إليكم هذه الصرر ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلىّ أمدكم .

ولا جدال فى دلالة هذه القصة على الضيق الذى كان يعيش فيه ابن جرير ورفاقه فى مصر عندما زارها لأول مرة وسواء أصح هذا التعليل أو لم يصح فإن ابن جرير قد أقام فى مصر ما شاء الله أن يقيم ثم غادرها إلى بغداد[20] حيث قضى المدة الباقية له فى عمره . وكان قبل أن يتوجه إليها قد أتى طبرستان وأقام بين ربوعها ردحاً من الزمن لم يحدده الرواة .

وفى عشية الأحد[21] ليومين بقيا من شوال من السنة العاشرة بعد الثلاثمائة من هجرة النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فاضت روح هذا الإمام إلى الرفيق الأعلى حيث الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ووُورِى التراب فى داره فى (رحبة يعقوب) حيث كان يلقى تلاميذه ، ويملى كتبه ، ويفيض على مريديه مما آتاه الله من العلم والفقه ، وقد اختلف الرواة فى دفنه أكان فى الليل

←

(15) المرجع السابق جـ18 ص 52 .
(16) المرجع السابق جـ18 ص 55 .
(17) معجم الأدباء جـ18 ص 55 .
(18) ابن النديم (الفهرست) ص 327 .
(19) تاريخ بغداد 2 : 164 ، 165 .
(20) معجم الأدباء جـ18 ص 57 .
* أرْمَلَ الرجل نَفِدَ زاده وافتقر .
(21) وفيات الأعيان جـ3 ص 332 .

الطبري إمام المؤرخين

ام فى النهار[٢٢] فاختار فريق منهم الاتجاه الأول ، وقالوا : إن السبب فى ذلك هو أن الحنابلة قد شغبوا عليه واتهموه فى دينه[٢٣] ومنعوا من خروج جنازته ، واختار الفريق الآخر الاتجاه الثانى . وقالوا : إن من صلى عليه من المسلمين قد كانوا لا يحصون كثرة وسواء أصح هذا الوجه أم أن الوجه الثانى قد كان هو الصحيح فإن الألوف من الناس قد ظلوا أشهراً يتدفقون على دار ابن جرير ويصلون عليه ويستغفرون الله له .

ثقافته :

وقد أجمع الرواة أو كادوا يجمعون على أن ابن جرير قد احتوى علوم عصره وجمع معارف زمنه وأوتى من العلم ما لم يُتح لغيره مثله ، كان مفسراً ومحدثاً وكان فقيهاً وقارئاً وكان على معرفة تامة بالرياضة والحساب والجبر والمنطق والعروض والشعر والطب والتاريخ والمغازى والأيام وما شئت فقل من الثقافات التى عرفها الإنسان فى عصره وقبل عصره ، وليس معنى هذا ان الرجل قد كانت لديه أَثَارَةٌ من كل علم من هذه العلوم وكل جانب من هذه المعارف وإنما كان متخصصا فيها جميعا ، قال[٢٤] عبدالعزيز بن محمد فى شهادته له :

«وكان أبو جعفر قد نظر فى المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون ابواب الحساب وفى الطب . وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه فى الوصايا ، وكان عازفاً عن الدنيا تاركا لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها ، وكان كالقارىء الذى لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث وكالفقيه الذى لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذى لا يعرف إلا الحساب وكان عالما بالعبادات جامعا للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها»

وليس عبدالعزيز هذا وحده هو الذى شهد لابن جرير وإنما شهد له أكثر ائمة عصره ومنهم على سبيل المثال : أبو العباس[٢٥] وأبو بكر بن كامل[٢٦] .

يتبـــــع

(٢٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٠ ، تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٦ .
(٢٣) البداية والنهاية ـ لابن كثير جـ ١١ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .
(٢٤) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٠ .
(٢٥) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٦٠ .
(٢٦) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٧٥ .

الفتاوى

إعداد: على حامد عبد الرحيم

الوصية الواجبة

س ١ : أليس قانون الوصية الواجبة مخالفا لنص القرآن الكريم الذى قال فيه عز وجل : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ وذلك بتوريث غير الورثة ؟

عامر محمد عبد الوهاب

مدرس مواد اجتماعية ـ الزقازيق

جـ ١ : ليس هناك مخالفة لكتاب الله عز وجل ، فهو القائل فى سورة البقرة ١٨٠ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ومعنى كتب (فرض) ـ وحقا . أى (ثابتا) . وهذا التعبير يدل على الوجوب والإلزام ، والآية تدل بمنطوقها على وجوب الوصية للقريب مطلقا وترك العمل بها فى القريب الوارث عملا بقوله تبارك وتعالى فى آيات المواريث :﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ .. ﴾ ١١ ،١٢ النساء .

وبحديث الرسول ﷺ .. لاوصية لوارث .

فكانت آية ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ : نصا فى القريب غير الوارث ، وكان من حق ولى الأمر أن يحدد الأقربين . بأولاد الأولاد الذين مات مورثهم قبل أصله ـ وأن يأمر بإعطائهم نصيب مورثهم فى الميراث لو كان حيا ـ فى حدود الثلث .

فمن مات وله مال ـ ولم يوص لفرع ولده المتوفى فى حياته ـ فيعطى هذا الفرع نصيب الأب أو الأم ـ كما لو كان كل منهما حيا ـ بما لايتجاوز ثلث التركة . وصية واجبة ـ والله أعلم

حكم تعليق الصور

س ٢ : لقد انتشرت عادة تعليق الصور فى المساجد فما حكم ذلك ؟

جابر محمود صبيح

جـ ٢ : تعليق الصور فى المساجد يعد من المكروهات لأنه يشغل المصلى عن الخشوع والتفكير فى عظمة الله عز وجل .

والحديث الوارد فى النهى عن التصوير خبر آحاد وخبر الآحاد ـ عند الحنفية ـ لايثبت به التحريم ، وإنما يثبت بالنص الصريح القاطع .

غير أن الفقهاء اجتهدوا فحرموا المجسم منها إذا كان كامل الأعضاء .

فى الميراث والوصية

س ٣ : توفيت سيدة عام ١٩٨٩ عن ابنين ـ وابنتين ـ وأولاد ابن وأوصت لأولاد الابن بجزء من المال قبل وفاتها ، وكذلك أوصت بالذهب

←

للبنتين والحفيدة فما الحكم ؟ وما حكم جهاز الشقة ؟

ع القاهرة

جـ ٣ :إن فى تركة المتوفاة وصية واجبة لأولاد الابن ، بمقدار ماكان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة وقت وفاة المورث فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول اغسطس عام ١٩٤٦ بشرط الا تكون الجدة قد اعطت أولاد الابن من مالها حال حياتها مايعادل قيمة الوصية بدون عوض فتقسم التركة ثمانية اجزاء ، جزءان منها وصية واجبة لأولاد الابن تنقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، فإن كانت قد أوصت لهم بما يعادل الوصية فلاشىء لهم بعد ذلك ، وإن نقص تكمل الوصية ، والباقى ستة اجزاء ، للابنين والبنتين الأحياء تعصيبا للذكر ضعف الأنثى وجهاز الشقة يضم إلى التركة ويقسم معها .

ومااوصت به من ذهب يعتبر وصية اختيارية ، والوصية الواجبة مقدمة عليها ـ وحيث إن الوصية الواجبة اقل من الثلث فإن كان الذهب يكمل الثلث فهى صحيحة ، وإن كان يزيد فهو متوقف على إجازة الورثة . والله اعلم

حكم طبع الصور على الأقمشة

س ٤ : ارجو التكرم بإفادتى عن موضوعى هذا :

امتلك مطبعة للملابس الجاهزة والأقمشة . فهل يجوز طباعة رسومات تمثل أجزاء من الإنسان أو الحيوان أو الطيور . وهى صور غير كاملة .

أو رسومات تمثل عصر الفراعنة كجسم إنسان ورأس حمار اوجسم أسد ورأس إنسان كأبى الهول وما حكم الدين فى ذلك ؟

محمد . ع .م ـ القاهرة

جـ ٤ : اكثر الفقهاء على أنه يجوز تصوير أو رسم الصور غير الحيوانية ـ كما يجوز رسم اجزاء من الصور الحيوانية . فإن كانت كاملة كره ذلك . اما التماثيل المجسمة فأكثر العلماء على انها محرمة إذا كانت كاملة بحيث لو نفخت الروح فيها لعاشت . اما إذا كانت لاتعيش إذا نفخت فيها الروح ، لأن بها خرقا فى البطن أو الظهر أو الرأس ، فإنها تكون غير محرمة . والله اعلم .

خلاف العلماء فى سنة الجمعة وختم الصلاة

س ٥ : كثيرا مايحدث خلاف بين أهل قريتى فى صلاة الجمعة من حيث الأذان والسنة القبلية وقراءة القرآن قبل الصلاة وختم الصلاة .

ولاندرى بأى الآراء نعمل ؟

عيسى عبد القادر اسيوط

جـ ٥ : إن فى هذا خلافا فى وجهة النظر فى الفروع الفقهية ، وقد تحدث عنه ائمة الفقه من عدة قرون خلت ، ولكل وجهة هو موليها ولو كانت وجهة النظر واحدة ماكان هناك خلاف . فأنت حر فيما تختار من الآراء الفقهية التى لاتعدو ـ فى صلاة الجمعة ـ أن تكون فى المندوبات والمكروهات لافى الواجبات والمحرمات ، ولاينبغى ان يكون الخلاف فى الفروع الفقهية مؤديا إلى الحزبية المقوتة ، فالإسلام لايحب التعصب ، والائمة ـ رضوان الله عليهم ـ كان يحترم بعضهم بعضا ، ومنهم من كان تلميذا للآخر ، وقد اثر عن كثير منهم قوله : رايى صواب يحتمل

البقية صـ ٣٠٧

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

في روضة المصطفى

العلوية

فى روضة المصطفى

شعر: إسماعيل يحيى

يـاسيدى زاد الجـوى عن طـاقتى … وسريـرتـى اشفَتْ عـلى الإعلانِ
فسعيت والأشواقُ تسبق خـافقى … واخـذت بـين الـعـاشـقينَ مكـانى

ووقفتُ بـينَ مصدقٍ ومكـذبٍ … وكـأننـى فى غفـوةِ الـوسنـانِ
عللتُ نفسـاً مـا يـزالُ حنينُـهـا … متلـهفـا والأمنيـاتُ دوانِ

حتـى إذا جـاء النسيمُ مـعطـرا … مـن روضـةٍ فـوّاحـةِ الأفنـانِ
ايقنـتُ انَّ القلـبَ نـال مـرامَـهُ … فـانجـاب عنـه غيـهـبُ الأحـزانِ

إنـى إذا هتـف اللسـانُ بـذكـركم … عـزف الفـؤادُ روائـعَ الألحـانِ
لـولاكَ مـا نَسَـجَ المدادُ قصـائـدى … لـولاكَ مـاخطَّ الـيراعُ بيـانـى

يـامنْ هَـدَيتَ الحـائـريـنَ دروبَهـمْ … فى رحمـةٍ وتجـردٍ وتفـانِ
فسبقتَ صدورُ المـرسـلينَ بِقـومهم … ودَعَـوْتَـنـا بـالـلـيـنِ والإحسـانِ

لم يثنـك الشرُّ العتيـدُ ولا الأذى … مـهـمـا بـدا للشـرِّ مـن اعـوانِ
حمّلـتَ نفسـك مـا ينـوء بحملـه … عـزمُ الـدعـاةِ وطـاقـةُ الإنسـانِ

فلكـم عصـاك المشركـونَ سفـاهـةً … وتقـولـوا بـالإفـكِ والبُـهـتـانِ
قـالوا ـ نظنُّك سلحرا او شـاعـرا … او كـاهنـا مـن سـائـر الكُـهّـانِ

هل يَسْمَعُ الصُمُّ الدعاء ليهتدوا ؟ … هـل يَسمَـعُ الأمـواتُ فى الأكفـانِ ؟
لَـمْ تُلْـقِ بـالاً للـذيـن تـعـنّتـوا … ورحِلـتَ فى نفـرٍ مِـنَ الإخـوانِ

آخيـت بـيـنَ مـهـاجـرٍ ومنـاصـرٍ … إنّ الإخـاء دُعـامـةُ البنيـانِ
فبـرحمـةٍ ألّفـتَ بـيـنَ قـلـوبهـمْ … لابـالكنـوز وصـولـة السلطـانِ

ومضيـت تـرسـى للحيـاةِ قـواعـدا … قـامـت عـلى القسطـاس والميـزانِ
ايهن الأكـاسـرُ والقيـاصِـرُ والأولى … ظنـوا الحصـونَ منيـعـةَ الجـدرانِ

إنّ الـذى وهـب الـوجـود محمـدا … نـوراً يضـىء مسـالـكَ الحـيرانِ
لا يـرتضى للـنـاسِ إلا ديـنـه … ديـنٌ اتـمُّ رسـالـةَ الأديـانِ

العَلَوِيَّة

للدكتور: حلمي محمد القاعود

«علوية محمد عبد المطلب» من القصائد الإسلامية الطوال التى ألقيت بالجامعة المصرية، مَثَلُها في ذلك مَثَلُ «العمرية» لحافظ ابراهيم، و «البكرية» لعبد الحليم المصري، وهي في الترتيب تاتي بعدهما. فقد ألقيت في يوم الجمعة ١٤ من صفر ١٣٣٨ هجرية، الموافق ٧ من نوفمبر ١٩١٩ م، بينما ألقيت العمرية والبكرية في عام ١٩١٨ م.

وقد نشرت «العلوية» في كتيب منفصل، بمقدمة للسيد «محمد الغنيمي التفتازاني» ـ شيخ السادة الغنيمية الخلوتية ـ وقد قام بشرح «غريبها» وبيان معانيها[1]، كما نُشرت ضمن ديوانه الذى قام بنشره وتحقيقه إبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي[2].

ويلاحظ أن «العلوية» لقيت اهتماماً كبيراً عند إلقائها ونشرها، وكانت لها أبعاد زمنية وعَقَدِيَّة، فقد حضر إنشاد «العلوية» في الجامعة المصرية نفر من كبار الشعراء ووجوه المجتمع آنئذ، الذين اهتموا بشاعرها وأنفقوا على طبعها وإقامة الاحتفال بها، وكان على رأسهم شيخ الشعراء: «اسماعيل صبري باشا»، والسيد «أبوبكر راتب بك»، وشيخ العرب «عبد الستار الباسل بك»، وجناب «ميرزا مهدي محمد رفيع مشكي بك».. وكان واضحاً لدى الناس في ذلك الحين أن هذا الجمع يعبر عن توجه واحد، يتحرك باسم الوحدة الإسلامية من خلال فكرة الجامعة الاسلامية التى يلتقي عندها المسلمون طارحين جانباً كل خلاف قومي أو مذهبي أو عنصري ولا ريب أن الأخطار التى أحدقت بدولة الخلافة يومئذ كانت من وراء هذه الفكرة، وتلك اللقاءات. يقول التفتازاني في تقديم «العلوية»: «.. وإن في جمع كهذا ضم إليه الشريف الجليل، والعربي الباسل، والإيراني النبيل، دليلاً بيناً على أن مايرقى به أهل ملتنا البيضاء والشقاق المذهبي لا أثر له ولا وجود، فلا سنّي ولا شيعي،

[1] طبعت بمطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر (القاهرة)، سنة ١٣٣٨ هـ = ١٩١٩ م. وقد أعدت نشرها مع المقدمة بعد ضبطها في القسم الثاني من هذا البحث.

[2] ط ١، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د. ت. والقصيدة على صفحات ٢٣٠: ٢٥٠.

العلـوية ..

ولا علوي ولا عمري ، كلُّ أهلُ قبلة واحدة ، على ملة واحدة ، يدينون بدين نبي واحد ـ صلى الله عليه وآله والنجوم الزهر من صحبه ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين »[٣] .

و« محمد عبد المطلب »[٤] من شعراء عصر النهضة المرموقين الذين أحدثوا أثراً واضحاً في حركة الشعر العربي الحديث ، بالإيجاب أو السلب ، وكانت قصيدته « العلوية » عنصراً من عناصر إثارة الحركة الشعرية بما أحدثته من رد فعل بعد إنشادها ، وسوف نشير بعد قليل إلى أهم صدى تمثل فيما كتبه العقاد حولها .. لقد انطلق « محمد عبد المطلب » من رؤية إسلامية فيما أنشد ونظم ، وكانت هذه الرؤية دافعة إلى البحث عن الأصالة التعبيرية ، فرآها في الصياغة العربية الصميمة والصافية ، كما يفهمها أهل البادية في الجزيرة العربية ، فأغرق في التأسي بالبدو ، أو بمعنى آخر تبدى في تعبيره .. بيد أن .. رؤيته الإسلامية ، كانت وراء شعره بصفة عامة ، تظهر بجلاء في كل قصائده ، وتصبغ كل أبياته بروح الإسلام .. وقد توقف عن إكمال إحدى قصائده عندما اكتشف أن موضوع القصيدة لن يكون لصالح الإسلام ، فقد بدأ في نظم قصيدة يشيد فيها بانتصار الترك على اليونان في « سقاريا » ، قال فيها :

هـذا مقامـك شـاعـر الإسـلام
فقف بالقريض على أجل مقام
عـادت صوارمنـا إلى أغمادها
من بعد ماظفرت بخير مـايرام
هذا الحنيف يسير تحت ظلالها
فخم الجـلالة سـامى الأعـلام
ضحك الهلال لها الغداة وربما
أجـرى مدامعـه شئـون غمـام
قف بالهلال على السنام من العلا
فمكـانـه منهـا بكـل سنـام
وقف الأسنـة والصوارم تحتـه
ظمـأى وكـل مقـذف مـرزام

وقد توقف عند البيت الأخير ، عندما علم بالاتجاه الحقيقي لقادة « تركيا » من الأتراك الكماليين ، وموقفهم من الإسلام .. يقول محمد عبد المطلب : وكان السبب في وقوفي « أي عن اكمال القصيدة » جمود ا القريحة فجأة إذ فاجأتنا أخبار انحراف أولئك النفر .. [٥] .

ولعبد المطلب مطولة أخرى شهيرة هي « ظل البردة » وقد دخل بها مجال التقليد والمنافسة مع البارودي وشوقي وغيرهما ممن قلدوا البردة واستعرضوا قدراتهم الفنية في مجال احتذائها ، وكان له في « ظل البردة » طابعه وخصائصه التي سيظهر لنا بعضها عند تناول العلوية . يقول في مطلعها :

أغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم
سار طوى البيد من نجد إلى الهرم
ياساري الطيف يجتاب الظلام إلى
جفن مع النجم لم يهدأ ولم ينم

---

(٣) علوية عبد المطلب : ص ٣ .

(٤) محمد عبد المطلب (١٢٨٨ ـ ١٣٥٠ / ١٨٧١ ـ ١٩٣١ م) ، ولد في باصونة إحدى قرى جرجا بالوجه القبلي بمصر ـ نشأ بها ، وتعلم في الأزهر ودار العلوم ، واشتغل بالتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم وقسم التخصص باللغة العربية بالأزهر .. وكان عضوا بجمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الإسلامية ، شارك في الحركة الوطنية . وله : تاريخ أدب اللغة العربية (ثلاثة أجزاء) ، كتاب الجولتين في آداب الدولتين الأموية والعباسية ، إعجاز القرآن ، رواية الزباء ، وتوفي بالقاهرة . (الأعلام للزركلي ٧ / ١٢٥ ، معجم المؤلفين : ١٠ / ٢٥٣) .

(٥) ديوان محمد عبد المطلب (تحقيق الابياري وشلبي) ، ص ٢٥٣ .

يغريه بالدمع حَادٍ بات مرتجزاً
يحدو المطي لأجراع بذى سلم
إذا خفا البرق أذكى في جوانبه
ناراً تؤججها الذكرى بـلا ضرم
يابرق مالك لا تحكي جوى كبدي
إذا تـألقت ليـلاً في نـديهـم
يـاصبـا رَوِّحِـي فقـد ذهبت
بها النوى بعد عهدَ البان والعلم
ياساكني البان طال البين في غِيَرٍ
أربت على الصبر فاستعصى على الهمم

واستأسدت نُوَبُ الأيام فاجترات
بنـات آوى عـلى الأشبـال في الأجم..[٦]

وقد جاءت « العلوية » معارضة « للعمرية » و « البكرية » ، ولا أظن أن اختيار شخصية « على بن أبي طالب » له صلة بالتشيع المذهبي لآل البيت ، فعبد المطلب محب لهم ، كما المصريين جميعاً ، ولكنهم لا يتشيعون مذهبياً أو سياسياً .. صحيح أن عبد المطلب كان يرفع في مصر لواء العروبة باعتباره من عرب « جهينة » ، ولكنه كان يرفعها باعتبارها تعبيرا عن الصفاء الروحي الذى يمثل الإسلام في مرحلته الأولى الظافرة والذهبية ، حيث كان المسلمون يلتقون على قلب واحد ، ولعل هذا ماجعله من أنصار فكرة الجامعة الإسلامية التى يتوحد عندها جميع المسلمين دون اعتبار لعناصرهم أو قومياتهم أو مذاهبهم .. وقد رأينا تطبيقاً لذلك في حفل إنشاد العلوية » بالجامعة المصرية ، حيث شاركت فيه جنسيات ومذاهب مختلفة : المصري ، العربي ، الإيراني ..

وعلى غرار العمرية والبكرية ؛ فقد قسم عبد المطلب العلوية إلى مجموعة من الأقسام التى يتناول في كل منها مرحلة من مراحل حياة الإمام .. وتشمل مقدمة ،ثم « صبا » على و « إسلامه » ، واستخلافه ليلة الهجرة ، ودوره في المدينة ، ومعركة أحد ، والخندق ، وخيبر ، وقتله مرحب بن متسية ، وزعامته في المواطن وحديث عنه في السلم يشير فيه إلى قلبه ونفسه ووجهه ووجوده وقيامه الليل ، ثم يتوقف عند مقتل عثمان ودور على في الدفاع عنه ،واختلاف المسلمين في الخلافة بعده ، ثم يركز طويتها على الصراع الذى أودى بعلى ، وبخاصة عند معركة صفين وملابساتها ..

وإذا كانت العمرية والبكرية أقرب إلى التماسك ، ويظهر فيهما ما يسمى « بحسن التخلص » فإن العلوية ، جاءت أقرب إلى التفكك وعدم الانسجام ، بالرغم من أن موضوعها هو شخصية « علي بن أبي طالب » رضى الله عنه .. فلم يستطع الشاعر أن يرتب ملامح الشخصية بحيث يلتزم فيها التزاماً تاريخياً ، أو فنياً يشكل كياناً متكاملاً ومتناسقاً ، ولكنه فيما يبدو كانت تعنيه بعض القضايا في حياة علي ، فجمعها إلى بعضها دون أن يُعَنِّيَ نفسه بتحقيق التناغم فيما بينها .. وإن كان هذا لا ينفي أنه توقف عند قضايا مهمة وأساسية في شخصية الإمام .

ويـلاحظ أن « حـافظ ابـراهيم » في « العمـريـة » ، وعبـد الحليم المصري في « البكرية » ، وكذلك « البارودي » و « شوقي في احتذاء البردة ، كانت عيونهم ـ بالدرجة الأولى ـ على الواقع الذى تعيشه الأمة ؛ فتحولت لديهم شخصيات النبي ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، إلى طوق للنجاة يبحث عنه الشاعر ، أو قناع يتحدث من ورائه عن هموم الأمة وآلامها ، وآمالها وتطلعاتها .. أما عبد المطلب ، فكانت عيناه

(٦) السابق ، ص ٢٥٧ .

- بالدرجة الأولى - على مايسمى بتقليد المحدثين او التجديد في مطلع القصيدة - من وجهة نظره - ثم جلاء تاريخ علي بن ابي طالب والدفاع عن مواقفه ضد أعدائه والمتخاذلين عنه .. وهكذا لم تجد العلوية صدى فكرياً أو سياسياً ، بقدر ماوجدت صداها في قضية التجديد الشعري ، او مايسمى بالتقليد والابتكار .. ولاسيما أن مدرسة « الديوان » آنئذ ، كانت تقود عملية التحديث وفقاً لمفهوم جديد نشأ عن الاحتكاك بنظريات غربية حديثة .. وكان الصراع على أشده بين المحافظين والمجددين ..

(٢)

كان مطلع « العلوية » مثار عملية الاهتمام الشعري بها .. وكانت عادة المطالع التقليدية أن يذكر الشاعر راحلته سواء كانت ناقة او فرساً ، ولكن « عبد المطلب » أراد أن يكون « عصرياً » و « مجدداً » ، فلم يذكر الناقة والفرس ، وإنما ذكر « الطيارة » باعتبارها اختراعاً حديثاً يتناسب مع الشعر الجديد .. وأخذ يصف حركتها في الجو ، ويقارن بينها وبين النياق ، وقطارات البخار ، ويطلب « طائرة » ذات اجنحة لعله يلقى بها على السحاب الإمام علي بن أبي طالب ، يقول :

أرى ابن الأرض أصغرها مقاماً
فهل جعل النجوم بها مراما
زهاه رونق الخضراء لما
تلفت في مجرتها وشاما
على بنت الهواء كأن طيفاً
يشق الجو يقطعه لماما
إذا مافَرَّمت في الجو خلنا
جبال النجم تنهد انهداما
وإن زجر الرياح جرت رخاء
وولت حيث يأمرها الزماما
يُسِفُّ على الثرى طوراً وطوراً
تراه على الذرا شق الغماما
أجدك ما النياق وما سراها
تخوض بها المهامه والأكاما
وما قُطُرُ البخار إذا استقلت
بها النيران تضطرم اضطراما
فهب لي ذات أجنحة لعلي
بها ألقى على السحب الإماما
إمام بني الهدى وهو ابن تسع
وأول مسلم صلى وصاما ...

لقد أثارت هذه المقدمة الأستاذ العقاد ، باعتباره واحداً من كبار المجددين في زمانه ، وواحداً من مدرسة الديوان التى نادت أن يكون الشعر تعبيراً عن الحس والعاطفة والشعور ، وليس وصفاً خارجياً للأشياء ، فعقد العقاد فصلاً تحدث فيه عن معنى التجديد أو المعاصرة في الشعر من خلال علوية عبد المطلب ، ويحكي العقاد أن « عبد المطلب » لقيه بعد إلقاء « العلوية » فقال له مازحاً : مارأيك في القصيدة وموضوعها واستهلالها ؟ ألسنا نعجبكم الآن ياأنصار المذهب الحديث ؟ ! »[٧] . يقول العقاد إنه أثنى على موضوع القصيدة باعتباره ميداناً جديداً من الشعر يتسع للوصف والتحليل ، ثم يعترض العقاد على تمثيل « علي » على طريقة عبد المطلب وليس على طريقة المحدثين .

قال عبد المطلب : « كيف ؟ وأين يذهب بك عن وصف الطيارة ؟ » فقال له العقاد : « إنني أعجب بقوة الأسر في العبارة ، ولكني أراك الآن

(٧) عباس محمود العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، دار الهلال (سلسلة كتاب الهلال) ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٤٠ .

في صميم التقليد ، وأنت تحسب أنك نجوت منه بطيارة ! فلولا أن العرب وصفوا الناقة التي يبلغون بها الممدوح لما وصفت الطيارة التي تبلغ الإمام ، ولولا التخلص والاستطراد هناك لما كان التخلص والاستطراد هنا ، وموطن الخطأ أنكم تحسبون الشاعر العربي يصف الناقة لأنها أداة مواصلات » فتحسبون وصف « أدوات المواصلات » في عصرنا فرضاً على الشاعر الحديث وليس الأمر على هذا الحسبان » .

ويستطرد العقاد في شرح وجهة نظره فيقول : « والواقع أن الشاعر كان يصف الناقة لأنها جزء من حياته يحس بها الأنس في القفار الموحشة ، ويأكل من لبنها ولحمها وينسج ثيابه ومسكنه من وبرها ، ويعرفها وتعرفه كما يتعارف الصحاب من الأحياء ، وينظر إلى مكانها من ضميره وخوالج حياته فإذا هي لا تفارقه ولا تحتجب عنه ولا تبرح ملازمة عنده لخيال من يحب ، وخيال من يمدح ، وخيال من يرجو وما يرجو من الناس والأصقاع ، والأمصار ، فهو شاعر حق الشاعرية حين يصف الناقة ، لأنه إنما يصف في الحقيقة جزءاً من الحياة ، وجزءاً من الشعور وجزءاً من الإنسان ، وهو أشعر ألف مرة ممن يحكيه بوصف الطيارة في العصر الحديث لأنها أحدث أدوات المواصلات ! كأننا لا نعيش إلا لنصف هذه الأدوات ، ونتربص بها على أبواب المصانع نموذجاً بعد نموذج لكي نسابق الدفاتر الصناعية بسرد آلاتها ، وتفصيل حركاتها ...» ثم يتحدث العقاد بعد شرح عن الشرط الأول للشعر الحديث فيقول : « أن يصف الإنسان مايحس ويعي ، لا أن يصف الأشياء مجاراة للأقدمين ، عكساً أو طرداً في أنواع المجاراة[8] .

وواضح أن « العقاد » رأى في مطلع « العلوية » مطلعاً تقليدياً ، لا أثر فيه للجديد أو التجديد ، كل ماهنالك أن عبد المطلب استبدل « الطيارة » بالناقة ، والتجديد كما يراه العقاد ليس مجرد استبدال شيء بشيء ، وإنما التجديد هو وصف ما يحسه الشاعر ويستشعره تجاه الشيء الذي يتكلم عنه أو يصفه ، فالحس والشعور آية الشاعر ومناط الشعر .. فقد كان الشاعر القديم شاعراً بحق حين وصف الناقة لأنها كانت جزءاً من حياته وشعوره وضميره .. أما الشاعر الحديث فلم يكن شاعراً لأن الطيارة لم تكن جزءاً من حياته وشعوره وضميره بل كانت مجرد كيان وصفه من الخارج دون أن يتأثر به أو يتفاعل معه ..

وينبغي أن نشير إلى لمحة ذكية ذكرها العقاد في أثر عبد المطلب بصفة عامة في تنقية الديباجة الشعرية وترقيتها ، حين رأى أن التوجه الديني لعبد المطلب دفعه إلى طلب النموذج الأعلى للصياغة الشعرية من خلال النماذج الأولى للجاهليين والمخضرمين فأبعده ذلك عن المحسنات البديعية المتكلفة التي حفل بها العصر السابق على النهضة الحديثة ، ومن ثم كان لعبد المطلب دوره الممتاز في الابتعاد عن التقليد المرذول للبديعيات المتكلفة أو الأثقال البديعية التي ابتلي بها الشعر العربي قبل النهضة الحديثة ..

ومهما يكن من أمر ، فقد كانت العلوية ، بمقدمتها خاصة ، عنصرا مثيرا في عالم التجديد الشعري الحديث . حين لوت الأعناق إلى قضية مهمة تناقش المفهوم الصحيح للتجديد أو الشعر الحقيقي الذي يخلد في العصر الحديث ، وفي كل عصر : سابق أو لاحق .

(٣)

يلاحظ أن عبد المطلب في مقدمته اتخذ من « الطيارة » وسيلة ليلاقي بها على السحب الإمام

(٨) السابق ، ص ٤٢ .

علياً ، أول مسلم صلى وصام ، وهو ابن تسع ، وفي المقدمة يشير إلى أن المعاني ، نثراً أو نظماً ، لا تفي في مديحه . وأن القوافي النجيبة اقل من مقامه ، ولو كانت مسومة كريمة .. ويعتذر عن تقصيره في عدم الوفاء بحق على الذى ترتفع منزلته فوق الشعر ، وفوق أشياء كثيرة .. وهذا الاعتذار يذكرنا بما قاله الشعراء منذ القدم حين وقفوا أمام شخصية النبي ﷺ ، أو حين وقفوا حديثاً امام عمر ، وابي بكر ، كما فعل حافظ ابراهيم وعبد الحليم المصري .. ويبدو هذا الاعتذار في وجه من وجوهه نوعاً من التمهيد « الفني » الذى ينطلق منه الشاعر لذكر صفات الشخصية ومناقبها وملامحها .. فضلاً عن كونه نوعاً من التعبير عن الاحترام والإجلال للممدوح ومكانته في مدرسة النبوة الأولى ..

وهذا ما فعله عبد المطلب حين أراد أن ينتقل من المقدمة إلى ذكر ملامح عليّ في صباه وإسلامه ، فقد قدم اعتذاره ثم انطلق يتساءل في تفخيم وتهويل :

فحسبك ياأخا الشعراء عذراً
رميت بها مكاناً لن يراما
وما أدراك ـ ويحك ـ ما عليٌّ
فتكشف عن مناقبه اللثاما
ومن هو كلما ذُكرت قريش
أناف على غواربها سناما

ثم يستخدم فعل الأمر ليوقظ سامعه كي يعدد له صفات على منذ كان غلاماً ، فهو يطلب الإسلام قبل أن يبلغ « الفطام » ـ لعله يقصد « الرجولة » ويشارك النبي ﷺ ـ في القيام بأمر الدعوة مع زوجه خديجة ـ رضى الله عنها ، ويسبق إلى الحسنى قبل قريش كلها ، ولذلك سُمي الإمام ، وذلك بعد أن تمهل يوماً بتمامه كي يقتنع بالإسلام عن طريق العقل والحجة ، ويقارن بين موقفه وموقف قريش من الدعوة إلى الإسلام ، فيرى أن قريشاً قد لجت في عمايتها ، وأعلنت العداوة والخصام ، بينما عليّ لا يهاب قريشاً ولا يخافها ، وإنما كان شجاعاً في إيمانه وصلابته ، وظل ينمو في حجر الإسلام ، ويتفوق حتى وصل إلى سن العشرين « وتشهدنا من عظائمه عظاماً » .

وهكذا يرصد عبد المطلب مرحلة ماقبل العشرين في حياة علي من خلال ابيات لا تتعمق المواقف ، وإنما تكتفي بسردها وتسجيلها ، وإن كانت تجهد نفسها في الجانب اللغوي ، وبخاصة فيما يتعلق بالبحث عن الفاظ للقافية التى تأتي غريبة ووحشية ، يقول مثلاً :

ولجَّت في عمايتها قريش
تصارحه العداوة والخصاما
وجاشت بين أضلعها قلوب
على الإسلام تلتهب احتداما
فما فعل الفتى والشر تغلي
مراجله وتهتزم اهتزاما
مضى كالسيف لم يعقد إزاراً
على ريب ولم يشدد حزاما
يروح على مجامعهم ويغدو
كشبل الليث يعترم اعتراما
صغير السن يخطر في إباء
فلا ضيماً يخاف ولا ملاما
ومازالت به الأيام ترقى
على درج النُهى عاماً فعاما
وقد جمع الحجا والدين فيه
خلائق تجمع الخير اقتثاما
فما أوفى على العشرين حتى
شهدنا من عظائمه عظاما

البقية صـ ٣٠٤

من أعلام الأزهر

العالم الجليل الأستاذ الدكتور

أحمد السيد الكومي

إعداد: ناصر محمود وهدان

علمٌ من اعلام التفسير البارزين ، وباحث من خيرة الباحثين فى علوم القرآن الكريم ، جمع بين علوم العربية والعلوم الإسلامية ، وهو مع هذا متقن للعلوم الرياضية والتاريخ ، مارس الحياة الواقعية ، وكابد من المشقات ما كابد ، ولكنه تسامى فوقها جميعا ، لأنه آثر الآخرة على الدنيا ، وتعلقت آماله بالله فلم يعد بحاجة إلى احد سواه .

إذا سمعته قلت : هو خطيب ممتاز ، وإذا قرات له قلت هو مفسر كبير ، وإذا عاشرته قلت : هو قطب من اقطاب الدين ، هذا هو الأستاذ الدكتور/ احمد السيد الكومي رئيس قسم التفسير السابق بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

د . احمد السيد الكومى

التقيت به فى منزله فأملى علىّ طرفا من تاريخ حياته ، وأذن لى فى نشره ، وختمه بتوقيعه فقال عن :

حياته (مولده ونشاته) :

اسمى أحمد السيد على الكومى ، ولدت فى ١٩١٢/٢/٢٥م بـ(اسمانيا) مركز «شبراخيت» ، بمحافظة البحيرة .

حفظت القرآن الكريم على يد معلمى الأول يسمى الشيخ/ أحمد النوفيلى ـ رحمه الله ـ وقد التحقت بالكُتَّاب وعمرى أقل من ثلاث سنوات ، وأتممت حفظ القرآن وعمرى أحد عشر عاماً ، بالإضافة إلى تعلم بعض المعارف الأخرى كالحساب ، والإملاء .

وكان هذا الكُتَّاب يتبع وزارة «المعارف» وهو مقسم إلى قسمين :

قسم لتعليم الكبار ، وقسم لتعليم الصغار ، واذكر أنه لما راى شيخى النوفيلى لدى استعداداً لتعلم الرياضة ، وتفوقاً فيها ، اخذ يدرسها لى مع الكبار ، بل ويجعلنى أقوم بحل مسائل الرياضة على السبورة فى هذه السن المبكرة ، وعمرى لم يتجاوز السابعة بعد ، مما لفت الأنظار إلىّ فى هذه

←

الناحية ، فأقام بعض الناس مقارنة بينى وبين صبى جاوز الاثنى عشر عاما فى هذه المادة ، فتفوقت عليه بحمد الله ، ولم أكد أقوم من هذا المجلس إلا وأنا مريض بالجدرى ، الأمر الذى ترتب عليه فقد بصرى فى يونية عام (١٩١٩ م) رمضان عام (١٣٣٧ هـ) وانقطعت عن المكتب سنتين وكان عمرى سبع سنوات ونصفا .

وبعد سنة ونصف قضيتها فى تمريض وعلاج لم يجدِ ، رأى الوالد - رحمه الله - أنه لا حيلة فى قضاء الله ، ولابد من التسليم لأمره تعالى ، فاستدعى بعض من حفظنى القرآن الكريم وهو معلمى الثانى الشيخ/ محمد مصطفى عبدالله - رحمه الله - فى بيتنا .

فى (القسم الابتدائى بالأزهر) :

ولما بلغت من العمر أحد عشر عاما ، وبعد حفظى للقرآن الكريم ، تقدمت إلى معهد الأسكندرية فى عام (١٩٢٣ م) فالتحقت به وأنا أصغر من السن القانونية سنة كاملة ، وقد ساعدنى فى ذلك أحد مدرسى المعهد من بلدتنا ، وحصلت على الابتدائية فى عام (١٩٢٧ م) .

وكان الطلاب المكفوفون يدرسون بدلا من الحساب والخط «متن الشاطبية ، وعلم القراءات» مع بقية العلوم الأخرى .

وأذكر أن الذين كانوا يحفظوننا (الشاطبية) هم مدرسو الخط ، وكانت مواعيد حصص القراءات بعد انتهاء دروس المعهد ، وكان لى ابن عم يصحبنى ويرافقنى إلى المعهد ، ولكنه يصر على أن يذهب إلى المنزل بعد انتهاء دروس المعهد مباشرة فكنت أترك حصص القراءات مضطرا .

الأمر الذى جعلنى عند امتحان آخر العام أهرب من امتحان القراءات رغم أن مجموع درجاتى فى هذا الامتحان فى السنة الأولى كان ١٠٠٪ فى جميع العلوم عدا مادة القراءات فتقدمت لاختبارها فى الدور الثانى ، وبعد معرفتى - مما حدث - ما ينبغى أن أكون عليه ، ثم تشجيع الأساتذة لى من أمثال الشيخ عبدالسلام العسكرى استطعت أن أحصل على المراكز الأولى فى كل امتحان التحق به بعد ذلك .

فى التعليم الثانوى الأزهرى :

كانت الدراسة فى معهد الأسكندرية بالقسم الثانوى أكثر توسعـاً من دراسة القسم الابتدائى ، صحيح أن غالبية المواد كانت فى القسم الثانوى مع شىء من التوسع إلا أنه قد أضيفت مواد جديدة مثل دراسة التفسير ، وكان يدرسه لنا الشيخ/ عبدالعزيز خطاب ودراسة البلاغة من معان ، وبديع ، وأدب لغة ، وكان يدرسها لنا الشيخ/محمد عرفة ، ودراسة علم العروض وكان يدرسه لنا الشيخ محمد شريف .

وكانت مدة الدراسة بالقسم الثانوى أربع سنوات حصلت فى نهايتها على الثانوية الأزهرية عام (١٩٣١ م) .

ومن زملائى فى هذه الفترة :

الدكتور/ عبدالوهاب غزلان - رحمه الله ، الدكتور/ إبراهيم الصباغ - رحمه الله ، الدكتور/ عبدالجليل شلبى ، الدكتور/ محمود زيادة - رحمه الله - ، الدكتور/ عبدالوهاب البحيرى - رحمه الله - ، الدكتور/ سيد الحكيم أستاذ أصول التفسير ، والدكتور/ جاد محمد رمضان أستاذ التاريخ ، والدكتور/ محمد أبو زهو أستاذ الحديث - رحمه الله - وغيرهم .

مواقف لا تنسى بمعهد الأسكندرية :

من ذكرياتى الشخصية أيام الدراسة التى

لا تنسى ان استاذى ، أستاذ الفقه الشيخ/ عبدالسلام العسكرى ـ رحمه الله ـ كان يصر على ان يمتحننى فى الدرس قبل شرحه لنا ،وذلك بعد أن ظننى نائما على الدرج الذى أمامى خاصة بعد أن قمت من مرضى هزيلا ، نحيف الجسم لا يستطيع جسمي أن يحمل رأسى ، فكنت سنده على يدىّ ، فمشى خفيفا على أطراف أصابعه حتى إذا كان بجوارى صاح فىّ فجأة وقال : استيقظ ، قلت له : إننى متيقظ ، فقال : إذن فماذا كنت أقول ؟ فأجبته ذاكرا له الدرس من أوله إلى آخر كلمة فيه . فأخبر أهلى أننى أحفظ منه الدرس وأنا نائم !!

ولكن الله يعلم انى لم أكن نائما ، وإنما كان عندى صداع دائم ، ولا أستطيع أن أجلس معتدلا بسبب الضعف الذى كنت أعانيه .

وأذكر ـ وأنا بالصف الرابع الابتدائى ـ أن مدرس الفقه الشيخ العسكرى قد غاب يوما ما ، وكنا نحضر فى مسجد القبارى بالأسكندرية بسبب إصلاحات بالمعهد ، فوجدت طالبا يقرأ الفقه ، فدعانى إلى الاستماع معه ، وبعد أن سألنى عن الموضوع الذى كان يذاكره أجبته إجابة دقيقة فى كل ما قرأ وقلت له : أين تسكن ؟ قال : فى حى الأباصيرى . فقلت له : لو سكنت معنا فى المعهد لذاكرت لك الفقه ، وجعلتك تأخذ فيه الدرجة النهائية دائما ، فابتسم وقال : ولكنى أسكن مع أهلى ، ولم يكن هذا الطالب إلا مدرساً لفصل آخر فى نفس مادة الفقه وهو الشيخ/ محمد أحمد العروسى ـ رحمه الله ـ .

والعجيب أنه لم يشعرنى انه مدرس ، المهم حدث أن مرض شيخنا مدرس الفقه فأضيف فصله إلى فصل الشيخ العروسى ، وحين رآنى روى للطلاب قصة مذاكرتى معه ، وقال لهم : لقد أعجبت بتحصيله ، ومازال يتلطف بى حتى رفع عنى الخجل الذى انتابنى بسبب معاملتى له ؛ وأنا لا أعرفه كطالب لانخفاض صوته ونعومته !!

فى كلية أصول الدين :

وبعد أن حصلت على الثانوية الأزهرية التحقت بكلية أصول الدين بعد أن حولت أوراقى إليها من كلية الشريعة فى الشهر الأول من الدراسة بناء على رغبة والدى ، وكان ذلك فى عام (١٩٣١ م) مع نشأة الكليات الأزهرية ـ وقد زودت هذه الكليات الجديدة (الشريعة ـ أصول الدين ـ اللغة العربية) بنخبة ممتازة من أساتذة المعاهد الأزهرية والتى من بينها معهد الأسكندرية الذى تخرجت فيه .

ثم حالت ظروف بينى وبين إتمام الدراسة بكلية أصول الدين ، استمرت لمدة عامين ، ثم عدت إليها فى عام (١٩٣٣ م) مرة أخرى ، ولكنى وجدت مشقة فى التحصيل لما انتاب الذاكرة من خمول ، ثم جددت نشاطى فى السنة الثانية ، وحصلت فيها على المركز الرابع بين الناجحين جميعا مبصرين وغير مبصرين ، ولم يحدث فصل بين الطلاب إلى مبصرين وغير مبصرين ـ فى نتيجة الامتحان ـ إلا فى امتحان الشهادة العالية[1] .

ودخلنا قسم الدراسات العليا ، فكنت أول الناجحين بشعبة التفسير ومن أساتذتى بالكلية فى هذه الفترة :

الشيخ/ الشافعى الظواهرى (ابن شقيق شيخ الأزهر الأحمدى الظواهرى) ، والشيخ/

←

(١) اطلعت على الشهادة العالية للدكتور الكومى ، والمسجلة بالكلية تحت رقم (١٣٨) والموقعة من شيخ الجامع الأزهر ـ آنذاك ـ وكان ترتيبه الاول من مجموع الناجحين ، وعددهم سبعة عشر من المكفوفين المنتسبين .. (الكاتب) .

مرسى جعيصة والشيخ/ أحمد الشاذلى ، والشيخ/ حسن حجازى ، والشيخ/ الشربينى والشيخ/ أمين الخولى ، والشيخ/ أبو زهرة ، والدكتور/ محمد غلاب .

الدراسات العليا وشهادة العالمية :

ثم دخلت شعبة التفسير فور حصولى على المركز الأول فى شهادة العالية بكلية أصول الدين ، وكان من نظام الشعبة ألا يزيد عدد طلابها على خمسة طلاب .

وبعد تخرجى من شعبة التفسير وحصولى على شهادة العالمية[٢] «الدكتوراة» فى علوم القرآن الكريم عام (١٩٤٥ م) عن موضوع تفسير سورة الفتح ، وبيان الفتوح المتصلة بها ، وقد أشرف وناقش رسالتى للدكتوراة من العلماء :

الشيخ/ محمد الشربينى أستاذ شعبة التفسير ، والشيخ/ عبدالعزيز المراغى مناقشا من الخارج ، والشيخ/ عبدالحفيظ الدفتار أستاذ الفقه بكلية الشريعة ، وكذا الشيخ/ عبدالله عامر ، والشيخ/ أحمد على أستاذ التفسير ـ رحمهم الله جميعا .

وكان من نظام الدراسات العليا بعد شهادة «العالية» أن يستمر الطالب فى الدراسة ، والبحث مدة خمس سنوات تنتهى بامتحان تقل يسمى الامتحان التمهيدى فى علوم القرآن وعلوم الحديث . وهذا الامتحان يمهد للدخول فى مرحلة الإعداد لرسالة الدكتوراة فى مدة لا تقل عن سنتين .

وأذكر من أساتذتى فى قسم التخصص الشيخ/ الشربينى ، والشيخ/ القناوى ، والشيخ/ الجبالى والشيخ/ الخضر حسين ـ رحمهم الله جميعا .

وبعد تخرجى من شعبة التفسير رأت إدارة الأزهر توزيعنا مدرسين على المعاهد الدينية ، ، إبقاء خريجى شعبة العقيدة كمدرسين بالكلية !! إلى أن أنصفنا قانون مجلس الدولة عام (١٩٥٤ م) وعدنا إلى الكلية مدرسين فيها .

ومن إخوانى خريجى تخصص الأستاذية الدكتور/ محمد شمس الدين ، والدكتور/ عبد العظيم الغباشى ـ رحمه الله ـ ، والدكتور/ محمد عبدالشافى ـ رحمه الله ـ ، والدكتور/ على خليل ـ رحمه الله ـ وغيرهم كثير .

التدرج الوظيفى :

بعد تخرجى فى كلية أصول الدين عينت مدرسا للفقه فى معهد الاسكندرية ، وقد حرصت منذ اللحظة الأولى على أن أعامل طلابى المعاملة الحسنة التى لاقيتها من أساتذتى .

وقد أثمرت معاملتى الحسنة لطلابى بالمعهد فأدت إلى انتقال معظمهم معى إلى كلية أصول الدين دون غيرها من الكليات الأزهرية ، فور تخرجهم من معهد الأسكندرية ، ومنهم الدكتور/ سيد طنطاوى مفتى الجمهورية الحالى، والمستشار/ سيد عبدالوهاب ، والدكتور/ الأحمدى أبو النور ، وزير الأوقاف السابق ، والدكتور/ صفوت مبارك أستاذ العقيدة بالكلية ، وغيرهم الكثير .

وفى سنة (١٩٥٤ م) انتقلت من التدريس

---

(٢) اطلعت على برامة منح شهادة العالمية من درجة أستاذ «دكتوراة» لفضيلة الشيخ الكومى والمسجلة بالكلية برقم (٦٩) .. (الكاتب) .

المعاهد الأزهرية إلى التدريس بكلية أصول الدين ، فحصلت على درجة أستاذ مساعد فى عام (١٩٦٦ م) ، ثم أستاذ فى عام (١٩٧١ م) ، ثم توليت رئاسة قسم التفسير بعد ذلك .

وفى هذه الفترة أسست قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية ، ولازلت حتى الآن ، أقوم بعملى كأستاذ للتفسير ، وعضو اللجنة الدائمة لترقية أساتذة الجامعة فى التفسير والحديث .

جهوده العلمية ومنهجه فيها :

كان لكثرة الرسائل العلمية التى أشرفت عليها كبير الأثر فى الإقلال من مجال التأليف والنشر ومن أهم مؤلفاتى :

١ - مساهمتى فى التفسير الوسيط . فهو مشاركة بينى ، وبين الدكتور/ طنطاوى مفتى الجمهورية ، وأحد أبنائى البررة ، والذى قام بإتمامه بعد ذلك وحده .

٢ - كتابة بعض أجزاء من التفسير للقرآن الكريم .

٣ - كتب فى التفسير الموضوعى تتناول تفسير بعض الموضوعات منها موضوع نظام الأسرة وغيره فى علوم القرآن .

٤ - بحث بعنوان : فصل الخطاب فى علوم القرآن ، ألف فى عام (١٩٧٧ م) .

٥ - بحث فى نزول القرآن على سبعة أحرف نلت به درجة أستاذ مساعد .

هذا بالإضافة إلى الأحاديث الإذاعية ، وكتابة بعض الأبحاث المتفرقة فى المجلات الدينية كبحث فى (الجهاد) كتبته فى مجلة لواء الإسلام فى أوائل السبعينيات ، وترجع أهمية البحث إلى أننى بينت فيه أنه لا نسخ فى آيات الجهاد التى قيل إنها نسخت بآية السيف ، وتوصلت إلى أن آيات السيف لم تنسخ اى آية من آيات القرآن الكريم ، ذلك لأن آيات العفو كلها من مكارم الأخلاق ، ومكارم الأخلاق لا تقبل النسخ .

أما الرسائل العلمية التى أشرفت عليها فهى تزيد على المائة رسالة ، وأذكر أن أول رسالة أشرفت عليها وكنت أستاذاً مساعداً بالكلية - كانت رسالة الشيخ/ محمد حجازى للدكتوراة تحت عنوان «الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم» ثم توالت الرسائل بعد ذلك ، ومن أواخر الرسائل التى أشرفت عليها فى شهر يوليو الماضى رسالة تحت عنوان «الأمانة كما يصورها القرآن الكريم» .

يبقى أن أذكر لك منهجى فى التفسير فهو يكاد يشبه التفسير الموضوعى : وهو الكلام على موضوع الآية ، وما يتعلق به من الآيات الأخرى فى القرآن الكريم ، ثم بيان أسباب النزول ، وربط التفسير بحالة المسلمين الاجتماعية ، ووقت نزول الآية .

ومن هنا كان لربط التفسير بالتاريخ أثر طيب فى بيان أهداف الآيات القرآنية ، مما لاقى إعجابا لدى الكثيرين من أساتذة التاريخ ، لشدة الربط بين المعانى القرآنية ، وحالة المسلمين الاجتماعية فى هذا الوقت ؛ وقت نزول الآية . الأمر الذى تتضح معه معانى الآيات جلية لتطبيقها على عصر النزول ، وما اشتملت عليه من أسرار تتجلى معها ظروف المسلمين وقت نزولها . هذا بالنسبة للقرآن المدنى .

أما فى القرآن المكى فيكثر أن تربط الآيات الكريمة التى تتعلق بموضوع العقيدة بالحالة العملية للمسلمين فى هذا الوقت ، وما أداهم إليه

من أعلام الأزهر

ما هم فيه من تواكل - لا توكل على الله - وتخاذل عن دينهم بالرغم من أن دينهم يحثهم على أن يكونوا في مقدمة العالم ، بالعلم والمعرفة والبحث في شئون الحياة ، والكون ، وبما أودع الله فيه من أسرار ، لو استطاع المسلمون أن يستغلوها لكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

آراء ونصائح :

هناك مجموعة من التفاسير المعاصرة لكل منها سمتها الخاصة المميزة لها :

فهناك التفسير الواضح للشيخ/ حجازى أحد أبنائي - وهو تفسير يفى بالغرض ، لخلوه من الإسرائيليات .

وهناك تفسير/ عبدالكريم الخطيب وهو عبارة عن مقالات إنشائية حول موضوع الآيات القرآنية ، وكذلك بعض التفاسير التى ظهرت أخيراً مثل تفسير الشيخ/ المراغى .. فهو يدور حول التركيز على استعراض الأسلوب البلاغى للقرآن الكريم .

ويعد تفسير الشيخ/ شلتوت تفسيراً موضوعياً لبعض سور القرآن الكريم أما تفسير الشيخ/ الصابونى فهو تلخيص لبعض آراء المفسرين فى كتب التفاسير وهناك تفسير/ القاسمى ، وتفسير/ عزت دوزه ؛ وهما من المفسرين الشوام فتفسيرهما فيه خير كثير وقليل الانحراف والإسرائيليات ، ولكن الجديد فيهما قليل .

أما تفسير « فى ظلال القرآن » فهو رغم أن كاتبه ذو وجدان إيمانى قوى يسرى من كتابته إلى آذان القارىء والسامع معاً ، بل ويصل إلى شغاف القلوب عن طريق التأثير الوجداني والوعظ ؛ فهو من حيث التحقيق العلمى يعتبر ا الدرجة الثانية لأن كاتبه لم يستكمل وسائل التفسير الحقة ، واعتمد على إثارة الوجدا الإيمانى فقط .

ولعل أحسن التفاسير من وجهة نظرى هو تفسير أبو حيان المعروف باسم (البحر المحيط

وهو يعرض للقرآن الكريم بأسلوب أندلسى أدبى راقٍ ، وترجع أهميته إلى مجموعة من الأسباب منها :

(١) ندرة الإسرائيليات فيه ، وهذا هو منهجه فى تفسيره الذى وضعه فى مقدمة تفسيره وأكد عليه بقوله : «أما عن الإسرائيليات ، فـ ننزه كتابنا عن ذكرها» .

(٢) أن صاحبه عالم نحوى ، ولغوى كبير .

(٣) أنه يفسر القرآن على مقتضى قواعد اللغة بطريقة حديثة تجعله يضارع تفسير الكشاف الذى يعد أبا المفسرين .

وتبقى نقطة بخصوص علم الدخيل ، وهو العلم الذى يبين كيف دخلت الإسرائيليات التفسير ؟ وكيف ننزه القرآن الكريم عنها . وبعد أن كان علم الدخيل فرعا من فروع التفسير أصبح الآن علماً مستقلاً بذاته .

وقد كثرت الرسائل العلمية والكتابات الجيدة والمعاصرة فيه لأبنائنا بالكلية مثل كتابات د/ إبراهيم عبدالرحمن ، د/ سمير شليوه ، د/ أحمد الشحات .

وإذا كان لى من كلمة فإننى أنصح المشتغلين بالتفسير بالآتى :

أولا : التمكن من قواعد اللغة العربية ، ذلك لأن القرآن نزل بلسان عربى مبين .

ثانيا : الاطلاع على أسباب النزول كاملة ومعرفة الصحيح منها من غير الصحيح .

ثالثا : ننصح كل من يتصدى لتفسير القرآن

الكريم أن يدرس أولا السنة ، لأنها بيان لمعاني القرآن الكريم ، كما قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

رابعا : دراسة تاريخ السيرة النبوية وخاصة أن القرآن الكريم تنزل على حوادث في عهد النبي ﷺ - وهذه الحوادث لها ارتباط وثيق بالآيات ودراستها تعين على فهم هذه الآيات .

خامسا واخيرا : الاطلاع على التفسير بالمأثور ، لأن ذلك يعين كثيراً على بيان الأهداف القرآنية .

علاقته بعلماء عصره :

فمع شغفي بدراسة التاريخ الإسلامي ، الدكتور/ عبدالحليم محمود - رحمه الله - حينما كان عميداً لكلية أصول الدين - قبل توليته مشيخة الأزهر - أن يسند إليّ تدريس مادة التاريخ الإسلامي بالكلية على الرغم من أنها ليست من تخصصي الدقيق ، وقد مات - رحمه الله - وهو يكن لي من الود الكثير .

اما علاقتي بالشيخ/ ابى زهرة ، فقد كان مدرساً لنا في كلية أصول الدين فور إنشائها عام (١٩٣١ م) يدرس لنا كتابيه (تاريخ الجدل والخطابة) .

وقد اشترك معي في مناقشة أربع رسائل مع عميد كلية أصول الدين انذاك الشيخ الدكتور/ امين أبو الروس . وهذه الرسائل الأربع هى على ترتيب :

١ - رسالة «الدكتوراة» للدكتور/ محمد الحجازى عام (١٩٦٦ م) .

٢ - رسالة الدكتوراة للدكتور/ أحمد كمال المهدى عام (١٩٧٠ م) .

٣ - رسالة الدكتوراة للدكتور الأردنى/ رمزى نناعة عام (١٩٧٢) .

٤ - رسالتا الماجستير والدكتوراة للدكتور/ محمد عبدالمنعم القيعى عام (٧٠ ، ١٩٧٣ م) .

وأذكر أنه اعترض على الشيخ/ حجازى في بعض مناقشاته على رسالته للدكتوراة حول : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، فمنعت الشيخ/ حجازى من الإجابة وقلت : إن الشيخ أبا زهرة لم يفهم موضوع الرسالة ، وقامت ضجة كبرى في القاعة لهذه الكلمة ، ولكنى ألقيت بيانا بعدها مباشرة وضحت فيه للشيخ ابى زهرة أن موضوع رسالة الطالب لا يتعلق بسؤاله حول التدرج في تحريم جريمتى الربا والزنا ، وأن صاحب الرسالة لم يعرض لهما لأنهما خارجان عن موضوع رسالته .

فَسُرَّ الشيخ أبو زهرة من ذلك ، وقام من فوره ، وعانقنى أمام الحاضرين ، وفي هذه الأثناء همس احد الأساتذة المشاركين في مناقشة الرسالة معنا ملمحاً بأن الشيخ ابا زهرة يُعارض اى وزير ، ولا يجرؤ أن يرد عليه أحد ؛ وانت تعترض على رأيه !! فرد عليه الشيخ ابو زهرة في الحال بقوله : اسكت ، لقد وجهنى إلى ما كنت اجهله .

وله مواقف أخرى كهذه منها موقفه من رسالة د/ نعناعة حول جمع القرآن ، وقد اشترك في مناقشتها معى ، وفيها عارض الطالب صاحب الرسالة في رأيه ، فقمت ابين له : أن القرآن الكريم كتب بحرف قريش في بيت رسول الله ﷺ ، وفي صحف أبى بكر ، وفي مصحف عثمان ، أما بقية الأحرف السبعة فكانت رخصة للقبائل التى دخلت الإسلام حديثا ، ولم يكن لها علم بلغة قريش . وترخّص الرسول - ﷺ - في أن يقرئهم حسب لغاتهم ، فرخص له الله - عز وجل - بذلك ، ونزل جبريل بالحرف الثاني حتى وصل إلى الأحرف السبعة فأتمها .

وليس ذلك في كل القرآن الكريم ، بل ما يحتاجون إليه في إقامة شعائرهم ، وصلاتهم

من أعلام الأزهر

من بعض سور القرآن الكريم ، فكانت كل قبيلة تقرأ جزءاً معينا ، ويقرئها الرسول - ﷺ - بالحرف الذى يناسبها بعد أن تلقَّاه من جبريل - عليه السلام - ولهذا كانت الأحرف السبعة موزعة فى القبائل على مقدار ما تحفظ من القرآن الكريم .

فلما اختلفوا فى فتح «أذربيجان» بين اليمنيين والقيسيين . حتى كاد بعضهم يكفر بعضا ، ركب حذيفة بن اليمان إلى عثمان - رضى الله عنه - وقال : «أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف اختلاف اليهود والنصارى ، فجمعهم عثمان بن عفان على حرف قريش ، وعزم عليهم أن يحرِّقوا ما معهم من الأحرف المخالفة ، فهى وإن كانت قرآنا إلا انه لا يجوز القراءة بها الآن حيث انقطع سندها ، وهى بالطبع غير القراءات السبع التى توجد كلها فى حرف قريش ، ثم ذكرت له أن هذا الذى قلته هو خلاصة بحثى الذى رقيت به إلى أستاذ مساعد ، وكان موضوع البحث : «نزول القرآن على سبعة أحرف» فلما سمع الشيخ ابو زهرة رأيى هذا فى قضية جمع القرآن ، كان كأنه لم يسمع به مدَلَّلاً من قبل ، فقال : اكتبه لى ، فإننى لم اقتنع بما قرات إلى الآن إلا بهذا الرأى .

كان - رحمه الله - رجلاً عالماً لا يضيق صدره عن معرفة الحق - رحمه الله رحمة واسعة

من مظاهر التقدير :

من مظاهر التقدير التى حُظيتُ بها أننى حصلت على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى فى العيد الألفى للأزهر عام (١٩٨١ م)

امنية الشيخ :

اتمنى على الله - سبحانه وتعالى - أن يتزود الناس بالأقوال الصحيحة فى تفسير القرآن الكريم ، وأحسن كتاب خال من الأقوال الضعيفة - كما أعتقد - فى التفسير : هو التفسير الوسيط الذى يصدره مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة . على أمل أن تكتمل مجلداته ليعم نفعه على جميع الناس .

ما وراء فوائد البنوك - بقية

السيئة التي تنتج عن استخدام أسلوب منح الجوائز لجذب الإيداعات للبنوك مثل شهادات الاستثمار .. وحسبنا أن نحيل القارىء إلى تحقيق صحفي قيم نشرته جريدة « الأهرام » يوم ٢٩ أغسطس ١٩٨٩ في الصفحة السادسة بعنوان « حمى المسابقات التي تسيطر الآن على البيت المصري » ، فقد تحدث في هذا التحقيق لفيف من أساتذة علم النفس ، وعلم الاجتماع ، فأوضحوا لنا بجلاء الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية بالغة السوء التي تنجم عن انتظار الأفراد للجوائز التي يحصلون عليها دون قيامهم بعمل يتفوقون فيه فيستحقون عليه المقابل . وقر العلماء أن منتظر الجائزة التي تمنح بهذ الأسلوب ، سوف يصاب بالإحباط والاكتئاب والشعور بالفشل ، إذا ما تكرر إخفاقه فـ الحصول على الجائزة . ويصبح لدينا أجيال من التائهين في بحور الآمال الكاذبة ، والأحلا المزيفة . كما يقررون أن المثل الأعلى الذي يتمنى كل مواطن أن يصبح مثله هو من يسعده الحظ فتهبط عليه الثروة دون عناء أو اجتهاد أو إنتاج فهيهات لمجتمع أن ينتج ويرتقى في ظل هذ السلبيات !

العلوم الكونية

حرارة الجو إلى أين ؟

إراليتريا ومشاكلها

حرارة الجو إلى أين؟

٢

أ . د . أحمد فؤاد باشا

امتصاص الحرارة واشعاعها بين الارض والجو :

هناك عاملان اساسيان يتحكمان فى درجة حرارة الجو هما : كمية الإشعاع الشمسى الذى يستقبله الجو وكمية الإشعاع الشمسى الذى يعترضه سطح الارض . ولهذا فإن الحديث عن عمليات امتصاص الحرارة وإشعاعها بين الارض والجو يتطلب أن نتذكر بعض المعلومات الأساسية عن مكونات الهواء وطبقات الغلاف الجوى .

اولا : مكونات الهواء الجوى :

يشكل الغلاف الجوى جزءا من الأرض ، يتحرك معها كلما دارت وتحركت فى الفضاء وعلى الرغم من أن الامتداد الراسى لهذا الغلاف حول الأرض يبلغ عدة مئات من الكيلومترات ، إلا انه فى حقيقة الأمر لا يعتبر سوى طبقة رقيقة جداً إذا ما قورن بحجم الكرة الأرضية . فإذا تصورنا الأرض بحجم البرتقالة مثلا ، لكانت طبقة الهواء فى سمك اللون الذى يكسوها أو ربما أزيد قليلا . وتتناقص كثافة الهواء بمعدلات كبيرة كلما ارتفعنا إلى أعلى ، فتنخفض إلى نصف قيمتها على ارتفاع بضعة كيلومترات تقريباً من سطح الارض ، وتكاد تنعدم فوق ارتفاع الف كيلومتر تقريباً .

وتتم عملية التحليل الكيميائى لمكونات الهواء بطرق مختلفة تعتمد على الارتفاع الذى تفحص عنده «عينات» الهواء . وعموماً ، تستخدم «بالونات» الرصد العادى للارتفاعات المنخفضة حتى حوالى ٤٠ كيلومتراً ، وتكون مزودة بأجهزة أرصاد جوية خفيفة للحصول على معلومات تتعلق بدرجة الحرارة والضغط وغيرهما حين يحدد ارتفاع «البالون» بواسطة تلسكوب أو رادار . أما المعلومات المتعلقة بطبقات الجو العليا فيستعان للحصول عليها بصواريخ أو اقمار صناعية تحمل أجهزة رصد وتحليل متقدمة .

وتدل القياسات على أن الغلاف الهوائى يكون متماثل التركيب بسبب عملية الخلط الأفقى والراسى التى تحدثها حركة الهواء ، وخاصة عند الارتفاعات المنخفضة ، حيث تظل نسب مكونات الهواء ثابتة تقريباً ولا يطرأ عليها تغير ملحوظ حتى ارتفاع حوالى ٨٠ كيلومتراً ، ويستفادمن هذه الخاصية فى تسمية الغلاف الجوىحتى هذا الارتفاع باسم «الهوموسفير» Homosphere أو «الغلاف المتجانس» تمييزاً له عن «الهيتروسفير» Heterosphere أو «الغلاف غير

«المتجانس» الذى يطلق على طبقات الجو العليا ذات التركيب المختلف بسبب تأثير الجاذبية الأرضية على الترتيب الطبقى لجزيئات الهواء تبعاً لكثافتها . ويتكون الغلاف الجوى من غازات ثابتة النسبة تشمل غازى النيتروجين والاكسجين ا يزيد على نسبة ٩٩٪ من الحجم الكلى ، الإضافة إلى غازات أخرى بنسبة ضئيلة جداً تقترب من واحد فى المائة . كما يحتوى الهواء الجوى على كميات متغيرة من ثانى اكسيد الكربون وبخار الماء وغاز الأوزون بالإضافة إلى غازات أخرى وغبار .

ومن الجدير بالذكر أن التفاعلات الكيميائية العمليات الحيوية تعمل على تثبيت تكوين الهواء الجوى . فالنباتات تستنفد غاز ثانى اكسيد الكربون فى عملية «البناء الضوئى» أو «التمثيل الكلوروفيلى» وتخرج غاز الأكسجين ، بينما تحدث عمليات عكسية كالاحتراق وتنفس الكائنات الحية لاستعادة ثبات نسب التكوين والمحافظة على حالة الاتزان الحرارى بالقرب من سطح الأرض .

النسب المثالية لمكونات الهواء الجوى

الغاز	النسبة المئوية بالحجم
النيتروجين	٧٨,٠٨٤
الاكسجين	٢٠,٩٤٧
الارجون	٠,٩٣٤
ثانى اكسيد الكربون	٠,٠٣١٤
النيون	٠,٠٠١٨
الهليوم	٠,٠٠٠٥
الكريبتون	٠,٠٠٠١
الهيدروجين	٠,٠٠٠٠٥
الزينون	٠,٠٠٠٠٠٨
الأوزون	٠,٠٠٠٠٠١
(بخار الماء)	من ٠,٢ الى ٤,٠

ثانيا : طبقات الغلاف الجوى :

يقسم العلماء الغلاف الجوى للأرض إلى عدة طبقات على أساس التغيرات التى تحدث فى خصائصه الفيزيائية ، وخاصة اختلافات درجات الحرارة التى أمكن تحديدها من متوسطات أرصاد سنين عديدة . ويطلق على الطبقة المغلفة لسطح الأرض مباشرة اسم «الغلاف السفلى» أو «تروبوسفير» Troposphere وتعنى أنها منطقة الحركة الراسية والأفقية للهواء ، نظراً لأنها المجال الرئيسى لتكون الطقس واثارة السحب . وتمتد هذه الطبقة حتى ارتفاع نحو عشرين كيلومترا فوق خط الاستواء ونحو ثمانية كيلومترات فوق القطبين ، وفيها تتناقص درجة الحرارة كلما ارتفعنا عن سطح الأرض بمعدل ٦,٥ درجة مئوية لكل كيلومتر . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن سطح الأرض هو المصدر الفعلى لحرارة الجو وليس أشعة الشمس المباشرة . وقد كان يعتقد حتى نهاية القرن الماضى أن درجة حرارة الجو المحيط بالأرض تأخذ فى النقصان تدريجيا كلما ارتفعنا فى الفضاء حتى تصل الى درجة الصفر المطلق لكن التجارب التى ' العالم الفرنسى «تيسرين دى بور» renc Te de bort فى أوائل القرن الحالى باستخدام «بالونات» الرصد لقياس درجة الحرارة أدت إلى اثبات توقف انخفاض درجة الحرارة فوق ارتفاع ١١ كيلومترا ، وأيدت الدراسات بعد ذلك أن هناك طبقة تتميز بثبات درجة حرارتها حول نهاية صغرى تبلغ فى المتوسط حوالى ٦٠° م تحت الصفر المئوى ، وذلك على ارتفاع ما بين ١١ و ١٨ كيلومتراً تقريباً . ويطلق اسم «تروبوبوز» Tropopause على منطقة ركود درجة الحرارة حول نهايتها الصغرى فى الجزء العلوى من

حرارة الجو.. الى أين ؟!

«التروبوسفير» وهى تعتبر من الناحية النظرية حداً فاصلاً بين طبقتين .

تأتى بعد ذلك طبقة تسمى «الغلاف الطبقى» أو «ستراتوسفير» Stratosphere ، وتعنى أنها منطقة الترتيب الطبقى للهواء نظراً لعدم حركته المؤثرة فى الاتجاه الرأسى . وإن كان هذا لا يعنى الهدوء التام لطبقات الهواء ، فهناك تهب رياح شديدة بسرعات كبيرة . وتمتد هذه الطبقة من الغلاف الجوى من «التروبوبوز» على ارتفاع حوالى ١١ كيلومترا حتى ارتفاع حوالى ٥٠ كيلومتراً ، حيث تبلغ درجة الحرارة نهاية عظمى حول درجة الصفر المئوى بسبب الحرارة المتولدة عن امتصاص غاز الأوزون لجانب من الأشعة فوق البنفسجية ويطلق على الحد الأعلى لهذه الطبقة عند ارتفاع ٥٠ كيلومتراً اسم «ستراتوبوز» Stratopause ومع تناقص تركيز غاز الأوزون فى الجو بعد هذا الارتفاع تأخذ درجة الحرارة فى الانخفاض حتى تصل إلى نهايتها الصغرى مرة أخرى عند حوالى ٩٠° م تحت الصفر المئوى على ارتفاع حوالى ٨٠ كيلومترا .

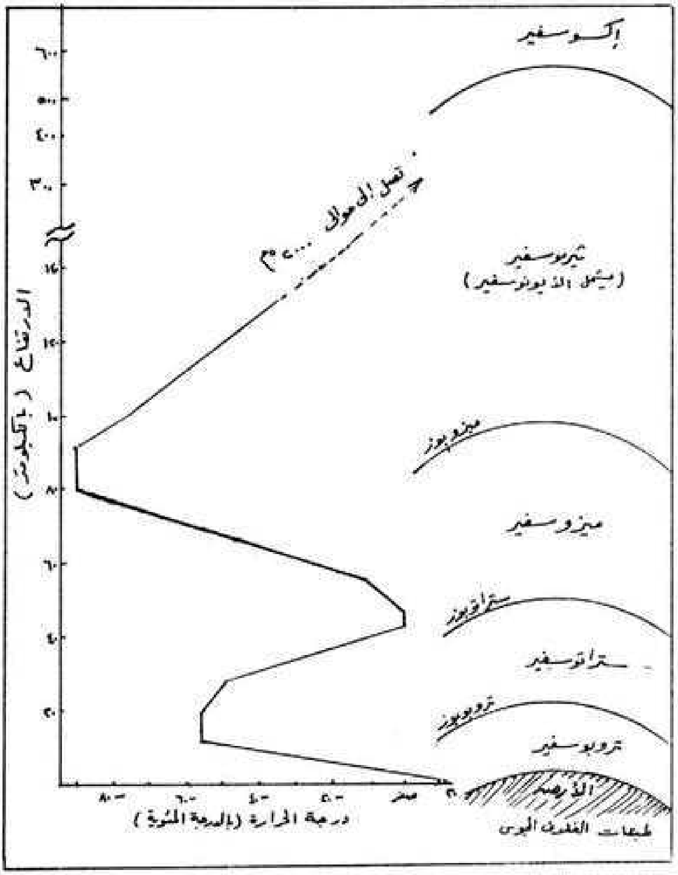

رسم يوضح تغير درجة الحرارة فى طبقات الغلاف الجوى للارض

وتشغل الطبقة الرئيسية الثالثة من الغلاف الجوى موقعاً متوسطاً بين طبقاته على امتداد ٣٥ كيلومترا فوق «الاستراتوبوز» ، ولهذا فإنها تسمى «ميزوسفير» Mesosphere أو «الغلاف الأوسط» . كما يسمى حدها الأعلى «ميزوبوز» Mesopause ، وعنده توجد أقل درجات حرارة الجو وأشد مناطقه برودة ، فهي - على سبيل المثال - تنخفض إلى ١٣٨° م تحت الصفر المئوى فوق دولة السويد .

أما الطبقة الرابعة فتسمى «ثيرموسفير» Thermosphere أو «الغلاف الحرارى» ، وتتميز بارتفاع درجة حرارتها إلى نهايات عظمى تبلغ نحو ٢٠٠٠° م في فترات زيادة النشاط الشمسي . وتمتد هذه الطبقة من ارتفاع حوالى ٨٥ كيلومتراً لمئات الكيلومترات ، وبعدها تصل كمية الهواء إلى قدر ضئيل جداً يصبح معه المسار الحر لجزيئات الهواء كبيرا ، ويصير هروبها من تأثير جاذبية الأرض ممكنا . عندئذ تبدأ الطبقة الخارجية من الغلاف الجوى والمعروفة باسم «اكسوسفير» Exosphere أو «الغلاف الخارجي» وقد لوحظ أن الغلاف الجوى للأرض يتمدد بتأثير الحرارة المصاحبة لفترات حدوث النشاط الشمسي ، وهذا من شأنه أن يجعل تحديد الحد الفاصل تماماً بين جو الأرض والفضاء الخارجي أمراً بالغ الصعوبة .

من ناحية أخرى ، هناك من يفضل تسمية «الثيرموسفير» حتى ارتفاع ٢٠٠ كيلومتر تقريباً باسم «الأيونوسفير» Ionosphere أو «الغلاف الأيونى» ، وذلك بسبب التأثير الأيونى للإشعاع الشمسي . ويغلب أن يتوزع هذا الغلاف في طبقات تعكس أمواج الراديو وتفيد في أغراض الاتصالات اللاسلكية بين الأماكن المتباعدة على الأرض . كذلك تجدر الإشارة إلى أن الغلاف الجوى بأكمله يقع تحت تأثير مجال الأرض المغناطيسى الذى يمتد لآلاف الكيلومترات مكونا ما يعرف باسم «الغلاف المغناطيسى» أو «الماجنيتوسفير» Magnetosphere ، وهو ضرورى بالنسبة لخصائص الوسط الذى تسبح فيه الأرض وطاقات الإشعاع التى تطلقها الشمس .

ولعلنا الآن ، بعد أن عرضنا بايجاز للتعرف على مكونات الغلاف الجوى وطبقاته ، لا نملك إلا أن نسجد شكراً لله سبحانه وتعالى على حكمته السابقة من هذا الخلق العظيم بقدر معلوم .

فغاز الأوزون هو الذى يمتص الجزء المدمر من الأشعة فوق البنفسجية ، وكل من غازى ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء الموجودين بجو الأرض هما اللذان يمتصان معظم الأشعة تحت الحمراء ، وإليهما يعزى السبب الرئيسى لحرارة الجو . أما قطرات الماء وبعض جسيمات الغبار المعلقة في طبقات الجو المنخفضة فتمتص الإشعاع الشمسى أو تشتته في نطاقات موجية مختلفة . وهكذا لا يتلقى سطح الأرض من هذا الإشعاع الشمسى الهائل سوى قدر ضئيل جداً يسهم في تلبية جميع احتياجاتنا على الأرض ، ويعمل الجو بتأثير «البيت الزجاجى» لكى تظل درجة الحرارة دائما عند معدل ثابت على سطح الكوكب .

وللحديث بقية إن شاء الله .

أ.د. احمد فؤاد باشا

إريتريا ومشاكلها

للأستاذ: ماهر زكريا الشيمى

النواحى الجغرافية :

تقع إريتريا شرق السودان ، وشمال اثيوبيا ، مابين دائرتى عرض ١٢° ، ١٨° شمالاً ، وخطى طول ٣٧° ، ٤٣° شرقاً . وتبلغ مساحتها ١١٩ الف كيلومتر مربع وهى تطل على الساحل الغربى للبحر الأحمر إلى الشمال من مضيق باب المندب .

ورغم صغر مساحتها إلا ان تنوع التضاريس والمناخ فيها يجعلها نموذجاً لقارة كاملة ، فمعظم سطحها هضبة متوسطة الارتفاع تعتبر امتداداً لهضبة الحبشة جهة الشمال . يتراوح ارتفاعها من « ٦٠٠٠ » إلى « ٨٠٠٠ » قدم عن سطح البحر ، وينخفض سطح هذه الهضبة تدريجياً نحو الشرق إلى اخدود البحر الأحمر مكونا سهلا ساحلياً قليل الاتساع لكنه يتسع كثيراً فى قسمه الشمالى حيث يعتبر امتداداً شرقيا لسهول السودان ، ويبلغ طول الساحل الإريترى نحو الف كيلومتر مبتدئاً من راس « قصار » عند الحدود السودانية شمالاً وينتهى جنوباً عند باب المندب فى راس « ارحيتا » قرب جيبوتى . وفيه عدد من المراسى الطبيعية ويقع عليه ميناءا « مصوع » و« عصب » . وامام هذا الساحل « ١٢٦ » جزيرة تابعة لاريتريا اكبرها جزيرة « دهلك كبير » . وتوجد السهول فى الأجزاء الغربية من إريتريا وهى تشبه اراضى السافانا فى السودان . اما الأجزاء الشرقية من الهضبة فتوجد بها الصحارى الشرقية وهى تشبه صحارى شبه الجزيرة العربية القاحلة .

وتنعم هضبة إريتريا بطقس ربيعى دائم . ويتراوح متوسط الأمطار فيها مابين ١٥ ، ٢٠ بوصة سنويا . ويسمح اعتدال المناخ وكمية الأمطار بزراعة أنواع كثيرة من الحبوب الغذائية تزيد على أربعين نوعاً أهمها القمح والعدس والفول والذرة الشامية « عفون » ، كما يزرع التبغ على المنحدرات .

وتمد الهضبة السهول الغربية والسهول

* الكاتب : الوكيل الثقافى لمنطقة القاهرة ـ الأزهر الشريف .

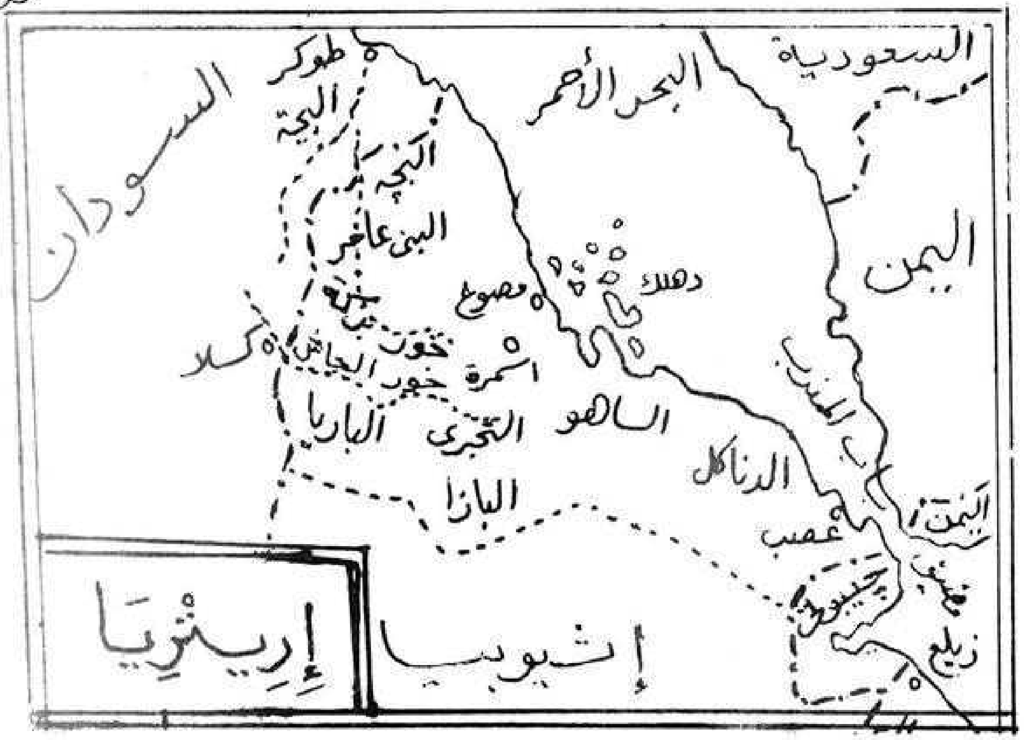

الشرقية بالمياه أثناء موسم الأمطار الذى يمتد أربعة أشهر من يونية إلى سبتمبر . وأهم الأنهار الموسمية « الأخوار » خور « بركة » الذى ينتهى فى السودان مكوناً سهل « طوكر » ويروى مزارع الموز والفواكه المدارية التى يمتلك معظمها الإيطاليون . وخور « القاش » الذى يروى المزارع الواسعة . أما « نهر ستيت » الذى يشكل الحدود بين إريتريا وأثيوبيا فهو النهر الوحيد الدائم الجريان فى إريتريا ويعرف باسم « تكازى » فى اثيوبيا وباسم عطبرة فى السودان ، ويشكل أحد الروافد الهامة لنهر النيل حيث يلتقى به عند مدينة عطبرة .

وتتمثل إمكانيات إريتريا الزراعية فى الدلتا الواقعة بين « خور القاش » و« نهر ستيت » . وهى أرض سهلية خصبة ويقرر الخبراء إمكانية التوسع الزراعى فيها فى حدود مليون ونصف مليون فدان .

وأهم الزراعات فيها القطن . ومما تجدر الإشارة إليه أن الزراعة فى شرق السودان فى سهول طوكر وكسلا وحلفا الجديدة إنما تقوم على مياه الأنهار الإريترية الثلاثة .

الأحوال الاقتصادية

وسكان الهضبة مزارعون ، يعتنق بعضهم المذهب الارثوذكسى المسيحى ، والأرض ملك للقرى بصفة جماعية ، ويسمى هذا النظام

اريتريا ومشاكلها..

« رستى » أما السهول الشرقية والسهول الغربية فمعظم سكانها رحل أو شبه رحل أى يحترفون الرعى أو الزراعة والرعى فى نفس الوقت ، ويدين معظمهم بالإسلام .

ويسكن ٧٨ فى المائة من سكان اريتريا فى الريف . ولذا فإن معظم صادراتها زراعية وحيوانية ، وأهمها الموز ويصدر إلى السعودية وإيطاليا والفواكه المدارية والفول والسمسم . وتصدر معظم اللحوم إلى إسرائيل التى تسيطر شركتها « انكودى » على صناعة اللحوم وفق اتفاقية التعاون بين إسرائيل وبين سلطات الاحتلال الأثيوبية .

وتتمتع إريتريا باكتفاء ذاتى فى المواد الغذائية وتمتلك ثروة حيوانية من الأبقار والأغنام والإبل والخيول تبلغ حوالى عشرة ملايين راس وتوجد بها مراكز للعناية بالماشية ومزارع لتربية الأبقار المهجنة ويصدر الإقليم منتجات الألبان إلى إيطاليا .

وتوجد بإريتريا ثروة خشبية هائلة مصدرها الغابات التى تغطى الأجزاء الغربية والجنوبية من الهضبة . كما تمتلك إريتريا ثروة بحرية هائلة من الأسماك واللؤلؤ والأصداف والملح ، وتزيد جملة صادرات الثروة البحرية على ٣٠ مليون دولار سنوياً تستولى عليها السلطات الأثيوبية .

وأهم الصناعات فى إريتريا تعليب اللحوم والفواكه والأسماك والجلود والسماد والكبريت والأخشاب والسجاد و« الزراير » والصابون والملح والمنسوجات واستخراج الزيوت وصناعات البلاستيك والورق والخمور والحبال والمواسير والأسمنت وصناعة تجميع السيارات والثلاجات . ومعظم هذه الصناعات تتركز فى العاصمة « أسمرة » ويديرها إيطاليون . ويبلغ عدد العمال المشتغلين بالصناعة نحو مائة ألف عامل .

وتمتلك إريتريا ثروة معدنية كبيرة ومتنوعة أهمها الحديد فى جبال « دقى امحارى » ويقدر الاحتياطى بنحو ٢٥٠ مليون طن ، والذهب فى مناجم « تكوميبا » وجبال « قدم » والنحاس والنيكل والميكا ، والبوتاس والاسبستوس والمنجنيز واليورانيوم . ويؤكد الخبراء وجود البترول فى سواحل إريتريا وفى بعض الجزر أمام الساحل ومعظم هذه المعادن لم يستغل برغم نشر الاحصاءات الرسمية عنها بسبب عدم الاستقرار السياسى .

وتوجد فى إريتريا شبكة مواصلات جيدة ، حيث يبلغ طول الطرق المعبدة ٢٠١٦ كيلومترا تربط كل المدن بها . كما يوجد خط سكة حديد يبلغ طوله ٣٠٦ كيلومترات يبدأ من « مصوع » حتى « أغردات » مرورا بأسمرة ويخترق ٣٥ نفقا .

التقسيم الإدارى

وتنقسم إريتريا إداريا إلى تسع محافظات هى :

١ ـ محافظة حماسين : وعاصمتها « أسمرة » وهى عاصمة إريتريا وعدد سكانها « ٣٠٠,٠٠٠ » نسمة .

٢ ـ محافظة البحر الأحمر : وعاصمتها « مصوع » وهى ميناء إريتريا الرئيسى وعدد سكانها « ٥٠,٠٠٠ » نسمة .

٣ ـ محافظة دنكاليا : وعاصمتها « عصب » الميناء الثانى لإريتريا وعدد سكانها « ٣٠,٠٠٠ » نسمة .

٤ ـ محافظة الساحل : وعاصمتها « نقفة » .

٥ ـ محافظة كرن : وعاصمتها « كرن » .

٦ ـ محافظة سراى : وعاصمتها « عدى » و« قرى » .
٧ ـ محافظة أكلى قوزاى : وعاصمتها (عدى قيح) .
٨ ـ محافظة بركة : وعاصمتها « أغردات » .
٩ ـ محافظة القاش : وعاصمتها « بارنتو » .

السكان :

يقدر شعب اريتريا بنحو ثلاثة ملايين نسمة . ويتكون من مجموعات قبلية كثيرة تختلف جنسيا ولغويا ودينيا . ويرجع هذا إلى أن الإقليم كان معبرا لهجرات بشرية متباينة ، أهمها هجرات الشعوب النيلية الزنجية من جنوب السودان وغربه ، وأيضاً هجرات الحميريين والسبئيين من اليمن عبر البحر الأحمر ، وكذلك هجرات الشعوب القوقازية والحامية من الشمال . ويمكن القول بأن تجمعات السكان فى إريتريا إنما قامت وفقاً لاعتبارات اللغة والثقافة والحضارة ، أكثر من الاعتبارات العرقية أو الجنسية ومن ثم نجد قبائل « التجرى » وهى تقيم فى الهضبة وهم فرع من الأحباش وعددهم يزيد على نصف المليون ، ومعظمهم من المسيحيين والقليل منهم مسلمون . وفى شمال وغرب المرتفعات فى سهول خور بركة توجد قبائل تعتبر فروعاً من قبائل « البجة » فى السودان ويبلغ عددهم حوالى نصف مليون نسمة ومعظمهم يدين بالإسلام والقليل منهم مسيحيون . وفى الجزء الجنوبى من السهل الساحلى والصحراء التى تحف به توجد قبائل « الدناكل » وكلها مسلمون وعددهم يزيد على خمسين ألف نسمة . وفى المناطق الساحلية الوسطى بين « البجة » و« الدناكل » توجد قبائل « الساهو » وهم يدينون بالإسلام وعددهم حوالى مائة ألف نسمة . وتعيش قبائل « باريا » فى سهول خور القاش وأغلبهم من المسلمين وعددهم يزيد على عشرة آلاف نسمة .

ويتحدث السكان فى إريتريا ثمانى لغات (لهجات) محلية بخلاف العربية ، وتنقسم هذه اللغات إلى ثلاثة أقسام سياسية هى :

● أولاً : **اللغات السامية** : وتأتى فى مقدمة اللهجات الإريترية من حيث أهميتها ودورها الثقافى والحضارى ومن حيث عدد المتحدثين بها حيث تصل نسبتهم إلى ٨٠٪ من مجموع السكان وتتمثل فى « التجرى » و« التجرينية » .

● ثانياً : **اللغات الحامية** : وإليها تنتمى لغة « الدناكل » و« الساهو » وقبائل « البنى عامر » فى « وادى بركة » الأسفل .

● ثالثاً : **اللغات النيلية (الأفريقية)** : فى أقصى غرب إريتريا وتتحدث بها قبيلتا « الباريا » و« البازا » .

وكل هذه اللهجات « اللغات » غير مكتوبة باستثناء اللغة التجرينية . أما اللغة العربية فهى منتشرة فى إريتريا وبخاصة فى المدن والمناطق الإسلامية . كما كانت لغة الثقافة بالنسبة للمسلمين منذ العهود القديمة . وقد اتخذها البرلمان الإريترى لغة رسمية لإريتريا إلى جانب التجرينية[1] ويساعد انتشارها على انتشار الثقافة فى إريتريا وعلى توحيد السكان الذين يتحدثون لهجات مختلفة ، ومنذ الاحتلال الأثيوبى لإريتريا حاربت السلطات الأثيوبية استعمال اللغة العربية واللغة التجرينية فى المدارس والإدارات الحكومية وأحلت محلها لغتها « الأمهرية » عملاً بسياسة الاحتواء و« التمهير » ويهتم الثوار الإريتريون باللغتين الرسميتين التجرينية والعربية اهتماما بالغا ويعملون على نشرها فى الريف الإريترى .

يتبع

(١) المادة ٣٨ من الدستور الإريترى .

طرائف ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« سؤال العافية »

قال - صلى الله عليه وسلم - : « لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » .

قالوا : فما نقول ؟

قال : « اسألوا الله العافية فى الدنيا والآخرة » ..

« رواه الترمذى وحسنه »

وقال : - صلى الله عليه وسلم - : « من رأى صاحب بلاء ، فقال : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيراً من خلقه وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا لم يضره البلاء » .

« رواه الترمذى والطبرانى »

وقال معاوية : العافية بيت يؤويه ، وثوب يكفيه ، وسلطان لا يعرفه فيؤذيه ، وزوجة ترضيه .

وقال سهل التسترى : أجمع العلماء أن تفسير العافية : « ألا يكل الله العبد إلى نفسه » .

- حقا -

الله أكبر إن دين محمد
وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكر الكتب السوالف عنده
طلع الصباح فأطفىء القنديلا

« تقويم اللسان »

قال الرشيد للأصمعى : ما أحسن ما مر بك فى تقويم اللسان ؟

فأجاب : أوصى رجل بعض بنيه فقال : أصلحوا من ألسنتكم ، فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها ، فيستعير من أخيه وأبيه ، ومن صديقه ثوبه ، ولا يجد من يعيره لسانه ، وأنشد فى ذلك :

وما حسن الرجال لهم بزين
إذا ما يسعد الحسن البيان
كفى بالْحُرِّ عيبا أن تراه
له وجه وليس له لسان

« التهنئة بالمولود »

حدث أبو عبد الله الناجى ، قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : ليهنئك الفارس . فقال : لعله أن يكون بَغّالا ! ولكن قل : شكرت الواهب ، وبُورك لك فى الموهوب ، وبلغ أشدَّه ، ورزقت بره .

« لا شهادة لمن جعل نفسه عبدا »

حضر الفضل بن الربيع ، وزير هارون الرشيد عند القاضى أبى يوسف يوماً ليشهد فى قضية ، ولكن أبا يوسف رد شهادته ولم يقبلها ، فعاتبه

الخليفة قائلاً : لِمَ رددت شهادته ؟؟

فقال أبو يوسف : لأنى سمعته يوماً يقول لك : أنا عَبْدُك ، فإن كان صادقاً فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذباً فكذلك لأنه إذا لم يبالِ بالكذب فى مجلسك ، فلا يبالى فى مجلسى ، فعذره الخليفة .

« اذكر يوم الأذان »

دخل رجل فى جماعة من الناس على سليمان ابن عبدالملك وهو جالس للعامة ، فقال : ياسليمان اذكرك يوم الأذان ، فارتاع لما دعاه باسمه ، وقال : ويحك ، وما يوم الأذان ؟

قال : قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ .

فبكى سليمان ، وقال : ما حاجتك ؟

فقال : أنا جار فى ضيعتك الفلانية وقد ظلمنى وكيلك ، فأضر ذلك بى وبعيالى ، قال : قد وهبت لك الضيعة ، وكتب إلى وكيله بتسليمها إليه .

« لو عاشا إلى زماننا هذا »

قال أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ لمعاصريه من الصحابة والتابعين :

إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق في أعينكم من الشعر ؛ إن كنا لَنَعُدُّها على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الموبقات .

وكانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تنشد بيت لبيد بن ربيعة :

ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

وتقول : رحم الله لبيدا ، كيف لو عاش إلى زماننا هذا ؟

وكان ابن أختها عروة بن الزبير ، وقد عاش بعدها زمنا ينشد البيت ، ويقول : رحم الله لبيدا وعائشة ، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا ؟ .

« أستحى من الله »

لما حج المهدى ودخل الكعبة ومعه منصور الحجبى ، وهو من حجبة البيت قال له المهدى : اذكر حاجتك ؟

فقال : أستحى من الله أن أسأل فى بيته غيره ، فلما خرج أرسل إليه بعشرة آلاف دينار .

« من الغنى ؟ »

قال رجل لإبراهيم بن أدهم ، يا أبا اسحاق كنت أريد أن تقبل منى هذه الجبة كسوة .

فقال له إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها منك .

قال الرجل : فإنى غنى .

قال إبراهيم : وكم مالك ؟

قال الرجل : ألفا درهم .

قال إبراهيم : فأنت تود أنها أربعة آلاف ؟

قال الرجل : نعم .

قال إبراهيم : فأنت فقير ! لا أقبلها منك .

« سياسة الحجاج »

كتب الوليد بن عبدالملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه عن الطريقة التى يتبعها فى حكمه فأجابه بقوله : إنى أدنيت السيد المطاع فى قومه ، ووليت المجرب الحازم فى أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسى ؛ قسماً أعطيه حظاً من لطيف عنايتى ونظرى ، وصرفت السيف إلى النصف المسيىء ، والثواب إلى المحسن البرىء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب .

« دعـــاء »

يامن يرى مد البعوض جناحها
فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته
ماكان منه فى الزمان الأول

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

المحبة وأنواعها

وبعض آثارها الجليلة

لصاحب الفضيلة
الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

المحبة فطرة إلهية يضعها الله فى قلب من يشاء عنوانا للنقاء الروحى الذى يتحلى به . والفطرة الحسنة تنبت وتثمر فطرة مثلها فيعم خيرها الناس ، ويذكو بها صاحبها وينال الثناء الرفيع قال الأستاذ ـ رحمه الله :

« لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا » .

المحبة : ينبئك عنها قلبك أكثر مما تنبئك عنها الحدود والرسوم ، والشىء إنما يحد لخفائه واستتاره كى يظهر ويتبين ، فإذا كان الشىء ظاهرا جليا يعرفه جميع العقلاء لم يحتج إلى حد .

المحبة : سر الله المخزون الذى تشفى به جميع الأدواء القومية ، والترياق الذى تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية . المحبة هى أنجع وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس ، وإبادة أنواع التفنن فيها من العالم البشرى . وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء ، وسارت بهم أسرع ما يكون فى طريق الارتقاء ، ونقلتهم إلى دائرة الأسرة الواحدة ، فكانوا كالجسم الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الجسد .

لو تمت المحبة بين الناس لما رأيت دما يسفك ، ولا عرضا يهتك ، ولا مالا يسرق ؛ ولما رأيت المحاكم الأهلية كالأسواق مزدحمة بكل أنواع القضايا ، ولا وجدت المحاكم الشرعية مكتظة بدعاوى الأقارب لميراثهم والزوجات لنفقاتهن .

لو تمت المحبة بين الناس لبات كل إنسان بين أسرته على أتم ما يكون من الصفاء وأكبر ما يتصور من النعيم ؛ ولكان عيش الناس فى الدنيا أشبه شىء بعيش أهل الجنة فى الجنة . وأظنك كثيرا ما تحركت منك الغبطة عندما ترى

ما بين الأسرة الفقيرة من المحبة التى جعلتهم يتقلبون فى الهناء[1] ولا يحسون بالشقاء.

لو تمت المحبة بين الناس لتمت بينهم الرحمة؛ فانتفع الضعيف بالقوى، والفقير بالغنى، والصغير بالكبير، والصعلوك بالأمير، وامتلأت الأرض خيرا وبركة.

وإجمال القول فى المحبة بعد ذلك كله أنه لولا الحب لم يتم نعيم لمتنعم. وكيف ينعم الإنسان بغير ما يحب. ولهذا ترى المغنين لا يكادون يغنون إلا بما يكون فيه ذكر الحب والمحبين؛ ولا يجد الإنسان سلوة لنفسه ولا نعيما بقلبه إلا بتلك الذكريات اللذيذة والأوقات السالفة التى قضاها فيما يحب ومع من يحب.

وبالجملة فراحة الإنسان وسرور نفسه وبهجة روحه لا تكون إلا لذكر الحب، وشرح الكامن فى الفؤاد المثير للعواطف، مما له سلطان فوق العقل، وسر يدق عن التعبير.

لهذا كله لم يرد فى الكتاب والسنة من الحث على شىء مثل ما ورد فى المحبة، علما منه ﷺ بأنها أساس الخير وجماع الفضائل حتى جعلها شرطا فى الإيمان، فقال: «والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا».. رواه مسلم.

فانظر كيف جعلها شرطا فى الإيمان ولم يكتف بذلك حتى أقسم عليه ﷺ.

وقد ورد فى الحث على المحبة والتحذير من التشاحن والتفرق ما لا يكاد يحصى (وستسمع شيئا من ذلك) وكأنه مرمى الدين الذى لا يريد غيره.

وقد جاء فى الصحيح: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. وقال: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾.

وقال مخاطبا نبيه ﷺ مذكرا إياه تلك المنة الكبرى: ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وقد أثنى على قوم بقوله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وقال: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وقد أمرنا بلين الكلام وإفشاء السلام، ونهينا عن الخصام فوق ثلاثة أيام.

وقد جاء كل ذلك طلبا للمحبة ومحافظة على

---

(١) اشتهر فى هذه الأيام التى كثر فيها الاجتهاد وشغف الناس فيها بالانتقاد أن الواجب أن يقال هناءة لا هناء. وهذا من قصور الاطلاع. ففى كتاب الهمز لأبى زيد الأنصارى المطبوع ببيروت صفحة ٢٥ ما يفيد صحة ذلك ووروده. وكذلك فى كتاب الفلك المشحون ليونس المكى المتوفى فى القرن الثامن صفحة ١٦٣ ما يفيد ذلك أيضاً. ومثل هذا قول الأديب الكبير ابن نباته:

هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

وقول إمام العربية محمد بن مالك فى حروف الزيادة ذلك البيت المشهور:

هناء وتسليم تلا يوم أنسه ... نهاية مسئول أمان وتسهيل

وهو الذى قال إنى قرأت صحاح الجوهرى كله فلم أستفد منه غير كلمتين فقط. فانظر إلى هذا وإلى ذلك التشدق الذى يكثر منه أولئك المتفيقهون!

من روائع الماضي

مباديها ، رجاء أن تنتهي بالناس إلى غايتها فيزول عنهم الشقاء وتتم لهم السعادة . فإن استطعت أن تبيت وليس فى قلبك بغض لأحد فافعل . أزل ما فى قلبك من الحقد للناس كافة ، وتودد إليهم ليصفو عيشك وتطيب حياتك .

تحبب إلى جيرانك وأقاربك بقدر ما يمكنك ، وابذل الوسع فى ذلك (وأصل الحب التحابب) .

وقد قال ﷺ : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» . أخرجه البخارى ومسلم . «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه» . رواه البخارى ومسلم . وقال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت» . رواه مسلم .

صالح أعداءك ، وأرح نفسك من عناء الفكر ، وقلبك من تدبير السوء ، واربأ بعمرك العزيز أن تصرفه فى طرق العناد وأسباب الفساد .

وقد قال ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» رواه البخارى ومسلم .

أسباب المحبة

المحبة : مركوزة فى النفوس ، ولا نعيم للقلوب إلا بها ، حتى إن من ليس له محبوب مخصوص تراه عند سماع النغمات أو هبوب النسيم يئن أنينا ويحن حنينا ، وربما بكى تلهفا أو سرورا إذا كان رفيع الاستعداد رقيق الفؤاد .

وهذا النعيم الذى يجده ، وتلك اللذة التى يشعر بها ، ليس منشؤها التذاذا بالأصوات واستحسانا للنغمات ، بل من أجل أن ذلك حرك من نفسه ساكنا وهيج كامنا ، وإن كان لا يدرى إلى أى شىء يحن أو لماذا يئن ؛ ولكنه مقتضى الغريزة الإنسانية والحكمة الربانية . وليس بلازم أن نأتى على كل ما فى الأمر من سر . فيمكنك أن تهيج تلك الغريزة من نفسك ، فإن أصل الحب التحابب . ولهذا ندبنا الدين الحنيف لكل ما عسى أن يكون وسيلة لذلك من زيارة بعضنا بعضا ، ومودة بعضنا بعضا ، وإهداء بعضنا بعضا ، ومصافحة بعضنا بعضا ، إلى غير ذلك مما جاء فى السنة .

وقد قالوا : إن العشق فى أول أمره يكون اختياريا ثم يصير اضطراريا ؛ فهو بمنزلة الشراب تستطيع أن تشرب وألا تشرب ، ولكن لا تستطيع بعد الا تسكر . ولعلك عاينت من الأسباب التى استعملتها لتحبيب بعض القلوب إليك شيئا كثيرا .

وأما الأسباب الطبيعية للمحبة فأقواها التناسب بين الأرواح ، فإنها جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . كما فى الحديث ، وعلى قدر ذلك التناسب يكون الحب ، وما حشر المرء مع من أحب إلا لكونهما من واد واحد. ولهذا السبب قد تتعجب من محبة بعض الناس لبعض على غير معنى فيه ، غافلا عن هذا التشاكل الروحانى الذى هو أقوى الأسباب وإن كان أخفاها ، وهو السبب الذى لا يلحقه زوال ولا يعتريه اضمحلال ؛ وصاحبه هو المحبوب لذاته لا لعلة ولا غرض .

وأما من أحبك لإحسانك إليه ـ والإحسان من أسباب المحبة ـ فقد تتغير محبته إذا انقطع إحسانك عنه . وربما عاداك وأضرك إذا وجد فى ذلك فائدة أكبر وثمرة أعظم متى كان خبيث

الطبع لئيم النفس ، لأنه ما أحبك إلا لغرضه ، فهو مع الغرض حيث كان . ومحبة الأزواج والأصحاب تارة تكون من قبيل المحبة التى للأغراض وقضاء المآرب وتبادل المنافع وكثرة الفوائد ، وهى المحبة التى لا تدوم ؛ وتارة تكون للمناسبة بين النفوس ، فلا تزداد على مر الأيام وكثرة الحوادث إلا قوة ومتانة . وهذا مما ينبغى الالتفات إليه جدا فيما بين الزوجين حتى تكون بينهما ألفة طبيعية ومحبة ذاتية ، فلا يتطرق إليها انصداع ولا يلحقها انقطاع ، وإلا تعاملوا معاملة التجار اللئام ، وذهبوا إلى المحاكم بعد قليل من الأيام .

ومما يلتحق بسبب التشاكل الذى شرحناه ما تراه من ميل الصانع إلى الصانع ، والزارع إلى الزارع ، حتى إن السارق يرتاح للسارق ، والفاسق يرتاح إلى الفاسق ، لما بينهما من الصفات المشتركة (شبيه الشىء منجذب إليه) ، بل ذلك فى غير أفراد الإنسان .

وقد قالوا : «إن الطيور على أشكالها تقع» وإن كان كثيرا ما يفرق بينهم تنازع البقاء ، فيوقعهم فى الشحناء والبغضاء . وأكثر الأسباب الواقعة بين الناس ما دعا إليه الغرض واقتضته الحاجة حتى قال أبو حيان النحوى :

لا ترجون دوام الخير من أحد
فالشر طبع وفيه الخير بالعرض
ولا تظن امرأ أسدى إليك يدا
من أجل ذاتك بل أسداه للغرض

ولهذا لا تكاد ترى محبة صادقة ؛ غاية الأمر أن صاحب النفس الشريفة لا ينسى ودا ، ولا ينقض عهدا ، ولكنه كثيرا ما يفعل ذلك بمقتضى إحساسه الشريف ، ومروءته الفاضلة ، لا بمقتضى الألفة والمحبة .

وأهل تلك المحبة التى غايتها المنفعة الشخصية أكثر المحبين توددا إليك ، وترددا عليك ، ومسارعة إلى امتثال أوامرك ، ولو كلفتهم نقل الصخور أو نطل البحور ، مادامت إليك حاجاتهم ولديك غاياتهم ، حتى يخيل لك فى تلك الأيام أنك ظفرت بأعظم الناس نفعا وأرقهم طبعا ، فإذا ظفروا بما أرادوه منك ولم يتوهموا لديك شيئا يعود عليهم ، طاروا من حولك طيران الذباب إلى من يبتغون عنده حاجتهم ، حتى إذا نالوا منه بغيتهم فعلوا فعلتهم . فعلى من يريد اتخاذ الأصدقاء أن يبحث عن جوهر النفوس ومالها من الصفات الذاتية والاستعدادات الطبيعية ، ولا يغتر بتلك الألوان البراقة التى يظهر بها الإنسان على حسب الحاجة ، فإنه فى ذلك أبرع من الحرباء وأروغ من الثعلب (والإنسان مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات) .

هذا ومن أسباب المحبة الجمال الظاهرى أو الباطنى ، وبهذا السبب قد أحببنا الأزهار والأطيار ، والصور الجميلة والنقوش البديعة ، فإن الجمال لا يختص بنوع الإنسان أو جنس الحيوان ، بل جمال كل شىء فى أن يصل إلى كماله الذى يراد منه ، وغايته الممكنة له ؛ والجمال محبوب بالطبع لذاته ؛ ولهذا السبب بعينه قد أحببنا الكرماء والفضلاء والعلماء . وإياك أن تكون ممن يقصر الحب على الجمال الحسى والحسن الظاهرى ، فتنكر محبة الله تعالى حبا وجدانيا ذوقيا ، فتكون من العامة لا من الخاصة الذين فهموا قوله تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ حق الفهم فلم يحتاجوا فيه إلى تجوز ولا تأويل .

على أن ذلك غريزة فى الإنسان وإن كانت تحتاج إلى التهييج فى بعض الناس الذين لم تفسد إنسانيتهم بالكلية وأن الذى تجده من محبة العامة لعنترة وغيره من الشجعان ، وتفانى

من روائع الماضى

بعض الناس فى محبة بعض العلماء والعظماء ، وارتياح النفس والتذاذها بسماع أخبار سيدنا عمر بن الخطاب فى عدله ، أو سيدنا على بن أبى طالب فى شجاعته وعلمه وسرعة بديهته وقوة حجته ، أو أخبار السموءل فى وفائه ، أو حاتم الطائى فى سخائه ، ليس إلا بمقتضى تلك الغريزة التى تفضل الجمال المعنوى على الجمال الحسى .

هذا وقد رأينا أن نسمعك بعض ما جاء فى السنة مما يناسب هذا الموضوع ، فنقول : قال رسول الله ﷺ : «من لم يرحم الناس لا يرحمه الله» . رواه البخارى ومسلم . وعنه ﷺ قال : «ليس منا من لم يوقر الكبير ، ويرحم الصغير ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر» . رواه أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وقال ﷺ : «طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة ، وانفق مالا جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة» . رواه الطبرانى .

«لا تنزع الرحمة إلا من شقى» . رواه أبو داود واللفظ له ، والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك ، سره الله عز وجل يوم القيامة» رواه الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم . فقال رسول الله ﷺ : أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك» . رواه البخارى ومسلم .

«دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» . رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «دنا رجل إلى بئر فنزل فشرب منها وعلى البئر كلب يلهث ، فرحمه : فنزع أحد خفيه فسقاه ، فشكر الله له فأدخله الجنة» . رواه ابن حبان فى صحيحه .

«من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ؛ والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» رواه مسلم .

« لايستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» . رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : «صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : «يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله» .

ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : «ما أعظمك وما أعظم حرمتك : والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» . رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم . قيل وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم» رواه الحاكم والطبرانى بإسناد حسن .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : «أوصانى خليلى ﷺ بخصال من الخير : أوصانى ألا أنظر

البقية صـ ٣٠١

اللغة والأدب والنقد

كتاب الواحوش

الدراما إلى أين ؟

اللغة والنحو في مقدمة ابن خلدون

كتاب الوحوش

عن الأصمعي (رحمه الله)

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون ، ولله الحمد(١)

صفة الحمر(٢)

قال أبو سعيد الأصمعي : هو الحمار والعير والمسحل [وجماعة العير أعيار](٣) .

والأخدرية منها ما كان من ولد حمار يقال(٤) له الأخدر ، قال الشاعر(٥) : الكامل(٦)

أمن لعادية كأن أوارها
نقع تعاوره بنات الأخدر(٧)

[العادية : الحاملة](٨) .

[وهو الرَّبَاعي](٩) ، قال الحطيئة : ـ الطويل ـ

---

(١) بعده في ت ، ج : « هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها » .
(٢) عبارة ت ، ج : « هذه صفة الحمار » .
(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٤) عبارة ت ، ج : « يَقُولُ له » .
(٥) عبارة ت ، ج : « قال الحطيئة » .
والحطيئة لقب غلب عليه لقصره وقربه من الأرض ، ويكنى أبا مليكة ، وكان راوية زهير ، وكان هجاء سليط اللسان . انظر ترجمته في : أول ديوانه الذي صنعه أبو سعيد السكري ، والاشتقاق ١٧٠ ، وطبقات فحول الشعراء ٨١ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٥ والشعر والشعراء ٣٢٢ ـ ٣٢٨ والإصابة ٢/ ٦٣ ـ ٦٤ ، والأغاني ٢/ ١٥٧ ـ ٢٠٢ ، فوات الوفيات ١/ ٩٩ وخزانة الأدب (بولاق) ١/ ٤٠٩ .
(٦) تحديد بحر الشاهد ليس من صنعنا ، بل ورد في ت ، ج .
(٧) صدر البيت ساقط من الأصل ، وأضفناه من ت ، ج . والبيت في ديوان الحطيئة ٦٢ برواية : « أَمِنْ لِرَاسِيَةٍ كَأَنَّ وَرَاءَها » .
الأخدري : حمر من حمر الوحش تسمى الأخدرية تكون بسيف البحر ، وهي اشد واعظم واطول اذناباً واعظم حوافر .
(٨) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

ربـاع أبـوه أخـدري وأمــه من الحقب فحاش على العرس باسل(١٠)

ومنها الجأب وهو الغليظ منها ، قال العجاج(١١) : - الرجز -

جأبا ترى تليله مسجحا

والحزابية كل قصير غليظ من الرجال والحمر(١٢) ، وانشدنا(١٣) :

حزابية قد كدمته المساحل(١٤)

ويقال حمار كندر وكنادر وكدر ، وكله واحد وهو الغليظ منها(١٥) ، قال ساعدة بن جؤية(١٦) :

- الطويل -

نجـاء كـدر من حمـير أبيـدة بقـائلـة والصفحتـين كلـوم(١٧)

وقال العجاج :

كأن تحتي كندرا كنادراً(١٨)

[قال] : والعلج منها الغليظ ، [وهو من الرجال كذلك](١٩)

←

---

(١٠) ديوان الحطيئة ١٩ .

والحُقْبُ : جمع أَحْقَب وحَقْبَاء ، وهو الذي بموضع الحقيبة منه بياض . وفَحَّاش : اي كثير النهيق والعضيض . والباسل : الكريه المنظر .

(١١) العجاج هو عبد الله بن رؤبة محمد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان يكنى ابا الشعثاء ، والشعثاء ابنته ، وكان لقي اباهريرة وسمع منه احاديث ... انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٥٩٨ ، والاغانى ١٨/ ١٢٢ ـ ١٢٥ ، ٢١/ ٥٧ ـ ٦١ ، وكتب الصِّحاح .

(١٢) اللفظة في ت ج ، « والحمير » .

(١٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١١٦ . والنابغة الذبياني هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أحد الشعراء الجاهليين البارزين المشهورين ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ١٥٧ ـ ١٧٣ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٥٨ والحماسة البصرية ١/ ٢٣٠ وطبقات فحول الشعراء ١/ ٤٣ وخزانة الادب ١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨ والقاب الشعراء ٣٠٨ .

(١٤) صدر البيت : « اقب كعقد الاندرى مسجج » . الاقب : الخميص البطن والاندرى : حبل منسوب إلى « اندر » وهى قرية بالشام : شبه الحمار في طيه وشدة خلقه بهذا الحبل المضفور . والمسجج : الذى قد عضته الحمر ورمحته . والمساحل : جمع مسحل وهو الذكر من الحمير .

(١٥) عبارة ت ج : « ويقال حمار كدر وكنادر وكندر » .

(١٦) عبارة ت ج : « وقال ساعدة بن جؤية الهذلى » .

(١٧) ديوان الهذليين ١/ ٢٣٥ وشرح اشعار الهذليين ١١٦٤ برواية : « بقائلة والصفحتين كدوم » .

وورد محرف القافية في التاج « كدر » : « ... ندوب » وورد في ت ج برواية :

فجـاء كـدر مـن حمـير عمـايـة بقـائـلـة والصفحتـين كـدوم .

ابيدة : منزل الأسد بالسراة وهو بلد . والقائل : هو عرق يخرج من فوارة الورك حتى يجرى في الفخذ إلى الساق والصفحتان : صفحتا العنق ، وكلوم وكدوم : آثار العض .

(١٨) لسان العرب (كندر) .

(١٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ج .

كتاب الوحوش

قال الشماخ[٢٠] : - الوافر -

كأن الكور والأنساع منها (٢٢) على علج رعى أنف الربيع[٢١]

وأنف الربيع : أوله ، من قولك استأنفت الأمر (من أوله) ؛ أي أخذته من أوله . ويقال : كأس أنف من الاستيناف[٢٣] .

والقلو [هو][٢٤] الخفيف . والمحلج الذي يشبه [منها][٢٥] بالمحلج ، قال العجاج (٢٦) وهو ينعت أتانا :

- الرجز -

تواضخ التقريب قلواً محلجا (٢٧)

والمواضخة أن[٢٨] تعدو مثل عدوه ، والوضوخ من الماء : القليل ، وإنما هذا مثل من المواضخة ، والمواضخة أن[٢٩] يستقي اثنان من ركيةٍ واحدةٍ .

والمكدم (الذي)[٣٠] قد كدمته الحمير

[والمطرد الذي قد طردته الحمير][٣١] (و)[٣٢] قال الشماخ : / - الطويل -

---

(٢٠) الشماخ بن ضرار أحد بني سعد بن ذبيان ، أسلم وحسن إسلامه ، وشهد القادسية ، وتوفي في غزوة « موقان » في زمن عثمان - رضي الله عنه - انظر ترجمته : مقدمة ديوانه الذي حققه الدكتور : صلاح الدين الهادي . وطبقات فحول الشعراء ١٣٢/١ - ١٣٥ ، والشعر ٣١٥ والأغاني ١٥٨/٩ - ١٧٤ المؤتلف والمختلف ٢٠٣ والإصابة ٣٥٣/٢ - ٣٥٧ وخزانة الأدب ٥٢٥/١ - ٥٢٦ .

(٢١) ديوان الشماخ ٢٢٥ ، برواية :

كأن حباله والرحل منه على علج رعى أُنُفَ الربيع

وفي التاج (بدع) برواية الأصل . والعلج : حمار الوحش السمين القوي . والأنف بضم الهمزة والنون - الكلأ الذي لم يرع من قبل ولم تطأه ماشية . والربيع هنا الكلأ أو الغيث وفي ج : أُنُفَ الربيع .

(٢٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٣) عبارة ت : « ويقال كأس أنف من الاستئناف » .

(٢٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٦) عبارة ت : « قال العجاج » .

(٢٧) ديوان العجاج ٣٧١ . وفي ج : « مِحْلَجًا » ، وتواضخ : يعني أنها لا تجتهد مع فحلها في الجرى .

(٢٨) في ج « إن » بكسر الهمزة ، وهو تحريف .

(٢٩) في ج « والمواضخة إن يستقي ... » وهو تحريف أيضاً .

(٣٠) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣١) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٢) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

كأني كسوت الرحل جأباً مطردا　　　من الحقب لاحته الجداد الغوارز[٣٣]

والجداد[٣٤] واحدها جدود

ويقال للأنثى جِمَادَةٌ [واتانة][٣٥] واتان وبيدانة .

والنحوص الحائل التي لم تحمل في عامها ، يقال حالت فهي حائل[٣٦] ، وجمع نحوص نحائص ونُحُصٌ[٣٧] ؛ قال ذو الرمة[٣٨]　　　ـ البسيط ـ

يتلو نحائص أشباهاً محملجة　　　قوداً سماحيج في ألوانها خطب[٣٩]

والخُطْبَةُ : الخضرة ، قال ساعدة بن جُؤَيَّة في الخطبة[٤٠] :　　　ـ الكامل ـ

خرق غضيض الطرف أحور شادن　　　ذو حوة أنف المسارب أخطب[٤١]

مسارب[٤٢] : [جمع مسرب ، وهو الموضع الذي يمشي فيه الوحش][٤٣] (و)[٤٤] القوداء الطويلة العنق ، والسمحج الطويلة على وجه الأرض وليست بطويلة في السماء ، والأشباه / المشتبهة (التي)[٤٥] يُشبه بعضها بعضا .

والمحملجة الشديدة الطَّيِّ والجدل .

والعائط التي اعتاطت رحمها سنتين أو ثلاثا[٤٦] فلم تحمل ، وجمع عائط عوائط وعِيطٌ (مخففة)[٤٧]

←

---

(٣٣) ديوان الشماخ ١٧٥ برواية :

كأن قتودى فوق جاب مطرد　　　من الحقب لاحته الجداد الغوارز

القتود : جمع قتد وهى عيدان الرحل . والجاب : الغليظ من حمر الوحش ، والجداد : التى لالبن فيها ، وكذلك الغوارز .

(٣٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٦) عبارة ت ، ج : « فيقال قد حالت » .

(٣٧) عبارة ت ، ج : « وجمع نَحُوص نُحُصٌ ونحائص » .

(٣٨) ذو الرمة لقب اشتهر به ، واسمه غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة .. انظر ترجمته فى : مقدمة ديوانه بتحقيق دكتور عبد القدوس أبو صالح ، وطبقات فحول الشعراء ٢/٥٤٩ ـ ٥٧٠ ، والشعر والشعراء ٥٢٤ ـ ٥٢٨ وسمط اللآلىء ١/٨١ ـ ٨٢ والاشتقاق ١٨٨ ، وخزانة الادب ١/٥١ ـ ٥٢ .

(٣٩) ديوانه « اوروبا » ١٠ برواية :

يحدو نحائص اشباها محملجة　　　ورق السرابيل فى ألوانها خطب

وفى ج « قودا » يحدو أى يسوق بصوت كصوت الحادى والنحائص واحدها النحوص ، ورق السرابيل اى وبرها يشبه الرماد ، وقوله : خطب اى خضرة تضرب إلى سواد .

(٤٠) عبارة ت ، ج : « وقال ساعدة فى الخطبة » .

(٤١) ديوان الهذليين ١/١٦٨ ، وشرح أشعار الهذليين ١٠٩٩ الخرق : الصغير منها الذى إذا ما فاجأته خرق ، وانقبض ان يعدو . وغضيض الطرف أى فاتر والشادن : المتحرك . ذو حوة : يقول : فيه خطوط تضرب إلى السواد ، الأخطب : الأخضر فى لونه .

(٤٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٤٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٤٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٤٥) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٤٦) عبارة ت : « او ثلاثة » .

(٤٧) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

[وعُوطٌ][48] : قال ابو ذؤيب[49] : — الكامل —

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهماً فخر وريشه متصمع[50]

اي متصم من الدم[51] .

(قال ابو سعيد النَّفَّاط[52] : عُيَّطٌ مُثقَّلٌ ، وبالتخفيف خطأ ، وإنما هو مثل ساجد وسُجَّد ، فيقال عائط وعُيَّطٌ .

قال ابو بكر بن دريد[53] : قد قالوا حائل وحول وعائط وعُيَّطٌ وعِيطٌ الوجه)[54] .

والجدود التي لا لبن لها ، كذلك والغارز ، يقال غرزت الناقة فهي غارز ، إذا ذهب لبنها[55] ، والجماع[56] الغوارز .

(وجمع الجدود الجدائد وجِدَادٌ وجُددٌ)[57] .

والسقبة الخفيفة [وهي أيضاً الطويلة][58] ، قال الأعشى[59] : — الخفيف —

---

(48) مابين المعقوفتين زيادة من ج . وعبارة ت : « وجمع عائط عوائط وعُيَّط وعُوْط » .

(49) ابو ذؤيب ، كنية اشتهر بها ، واسمه خويلد بن خالد .. وهو ممن أدرك الإسلام فاعتنقه وحسن إسلامه .. ولموته قصة طريفة في الاغاني ٦/٦١ . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٦٥٣ ومابعدها ، والمفضليات ٤١٩ وشرحها للانبارى ٨٤٩ ، والاشتقاق ١١٠ ، والاغاني ٦/٥٦ ـ ٦١ وطبقات فحول الشعراء ٢٩ والإصابة ٧/٦٣ ـ ٦٤ وخزانة الأدب ١/٢٠١ ـ ٢٠٣ والمؤتلف والمختلف ١١٩ ـ ١٢٠ .

(50) ديوان الهذليين ٨ ، وشرح أشعار الهذليين ١/٢٢ فرمى يعني القانص . والنحوص : الحائل ، والنحوص أيضا التى ليس في بطنها ولد . ويروى « من تجود عائط » والتجود : الأتان الطويلة على وجه الأرض وقال غير الأصمعي : المتقدمة الجريئة . والعائط التى اعتاطت رحمها فلم تحمل سنتين أو ثلاثا .. والمتصمع : المنضم من الدم ، يقال سهم مصمع إذا كان ريشه قد دقق والطف ، فإذا غلظ ريشه قيل سهم أغضف الريش .. قال الأصمعي : خر العير وريش السهم فيه .

(51) عبارة ت ، ج : أى منضم من الدم .

(52) ابو سعيد النفاط : واحد ممن تلقوا العلم بين يدى الأصمعي ، معاصر لأبى حاتم السجستانى ت ٢٥٠ هـ وأبى الفضل العباسى بن الفرج الرياشى ت ٢٥٧ هـ ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا للأصمعي وتلاميذه .

(53) أبو بكر بن دريد : انظر ترجمته في مقدمة كتاب الاشتقاق التى صنعها محقق الكتاب الشيخ العلامة عبد السلام هارون .

(54) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(55) عبارة ت ، ج : والجدود التى لالبن لها . وكذلك الغارز . ويقال غرزت الناقة فهى غارز إذا ذهب لبنها .

(56) اللفظة في ت ، ج : « والجميع » .

(57) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(58) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(59) الأعشى ، ميمون بن قيس .. من سعد بن ضبيعة بن قيس . كان أعمى ويكنى : أبا البصير .. ويسمى « صناجة العرب » وكثرما كان يفد على ملوك فارس والحيرة ، فكثرت الفارسية في شعره . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٢٥٧ ـ ٢٦٦ والأغانى ٨/٧٤ ـ ٨٣ ومعجم الشعراء ٤٠١ ، ٤٠٢ والمؤتلف والمختلف ١٢ والمعرب ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٤٠ وخزانة الأدب ١/٨٣ ـ ٨٦ .

لاحه الصيف والغيار وإشفا ق على سقبة كقوس الضال[٦٠]

والضال (من)[٦١] السِّدْر ما كان بالبر ، والعُبْرَى ما كان في القرى فأُسْقى[٦٢] لاحه : غيره الصيف (من)[٦٣] العطش في الصيف إذا فُقدت المياه في الربيع[٦٤] والغيار مغايرة الفحول .

قال العجاج : – الرجز –

كأن رحلى فوق طاو مشلل
ذى جُدَدٍ صَتْمٍ أقبَّ الأيطل[٦٥]

وقال الأعشى : – الكامل –

أو قارح يتلو نحائص جُدَّدا[٦٦]

و (القُبُّ جمع)[٦٧] الاقب والقباء اللاحقا البطون ، وقال الشاعر[٦٨] : – الكامل –

[عِلْجٌ][٦٩] أقب مقلص الأقراب[٧٠]

والحقباء والأحقب اللذان في حقويهما بياض ، قال / العجاج : – الرجز –

يتبع

(٦٠) الصبح المنير ٨ وديوان الأعشى ٧ برواية ثانية :

لاحه الصيف والصيال واشفا ق على صعدة كقوس الضال

لاحه : أضمره وغيره الصيف لانه وقت الجفاف وبيس الكلا . والصيال : مصاولة الفحول من حمر الوحش . والغيار من الغَيْرَة . والصعدة : الأتان . وفى اللسان (سقب) : السقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة .. الجوهرى : ولايقال للأنثى سقبة ولكن حائل ، واستعمل الأعشى السقبة للأتان فقال ... البيت ، وفى الصبح المنير ص ٨ « قال الأصمعى ... لما جاء الصيف وبيس الكلا وعطش تغير » .

(٦١) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٦٢) عبارة ت ، ج : « والعُبْرِىّ ما كان فى القرى فاسقى الماء » .

(٦٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٦٤) عبارة ت ، ج : « وقوله :لاحه اى غيره الصيف من العطش فى الربيع » .

(٦٥) ديوان العجاج ١٨٢ برواية : كأن رحلى فوق طاو شُلْشُلِ والطاوى : الحمار الخميص من حمر الوحش . والشُلْشُل : الخفيف السريع .

(٦٦) الصبح المنير ١٥٢ وديوانه ٢٢٩ ، وصدر البيت : وكأنها ذو جُدَّةٍ غِبَّ السُّرَى .
القارح : الناقة اول ماتحمل . والجُدة – بضم الجيم – العلامة والخط فى ظهر الحمار .

(٦٧) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج . وفى ت ، ج : « والاقبُّ » .

(٦٨) عبارة ت ، ج : « وقال الأعشى » .

(٦٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٧٠) عجز لبيت صدره : « اقبلت لا يشتد شدى واحد » ، ولم يرد البيت فى طبعة ديوان الأعشى ، وورد فى « الصبح المنير » ٢٣٧ ضمن « مجموعة ماانشد للاعشى ميمون من شعر غير موجود فى ديوانه » . وورد ايضا ضمن قصيدة تنسب لابى خراش الهزلي ، برواية :

اقبلت لايشتد شدى واحد علج اقب مُسَيَّرُ الاقراب

واشار السكرى انها تروى – أي قصيدة البيت – لتابط شرا ، واضاف محقق شرح اشعار الهذليين ٣ / ١٢٤٠ فى الهامش إلى أن هذه القصيدة من القسم الملفق لابى خراش الذى ليس من رواية الأصمعى .

الدراما.. إلى أين!!

للأستاذ: عاطف شحاته زهران

تعني كلمة « دراما » حالة ، أو سلسلة أحداث تنطوى على تضارب عنيف ، أو ممتع بين قوى مختلفة ، كما تطلق على الفن أو الأدب المسرحي .

وتنقسم إلى :

تراجيديا ، ومعناها : ماساة .

وكوميديا ، ومعناها : ملهاة . (عن المورد)

تعد الدراما من أكثر المواد التى تجذب العدد الأكبر ممن يتعرضون لوسائل الإعلام . بل هى العمود الفقرى لبعض هذه الوسائل كالسينما والمسرح على سبيل المثال . ونسأل : لماذا يتعرض الناس للدراما ؟ فيجيب بعضهم : مجرد تسلية . والبعض الآخر يقول : إن الدراما تنقلنا إلى عالم آخر بحلوه ومره ومشكلاته لمدة معينة بعيداً عن الحياة وضغوطها .

وبين هؤلاء وأولئك تنتشر القيم التى تركز الدراما عليها ، وتسعى إلى دعمها ، ولا يمكن أن تخلو القصة أو التمثيلية أو « الفيلم » أو المسرحية من قيمة معينة تدعو إليها من خلال هذه الوسائل التى انتشرت انتشاراً هائلاً فى عصرنا هذا .

إن متلقى الدراما يعدون بالملايين . وذلك يدفعنا إلى الاستفادة منها فى هذه المرحلة بالذات التى تتعرض فيها الأمة الإسلامية لتحديات خطيرة تهدد أمنها واستقرارها ـ كالإدمان والسرقة والاغتصاب وقبل ذلك وبعده : الفقر والتخلف .

ينبغى أن نبث من خلالها ما يبنى وما يدفع إلى الأمام ويسهم فى عمليات التنمية التى اضحت أولى ضرورات الحياة ، وفى التعليم الفنى وتنمية المهارات لتكوين الفرد الصالح لأنه أساس المجتمع الصالح[1] .

أما الدراما التى تهدم الأخلاق وتقوض المثل وتخدش الحياء وتشيع الباطل وتنشر الفساد فتاثيرها خطير وستدفع بالمتلقين لها إلى الرذيلة والجريمة خصوصاً إذا علمنا أن الشباب هم أكثر المتعرضين للسينما على سبيل المثال ـ وقد

---

(١) فى ضوء (تكوين الفرد الصالح) كان أستاذنا الدكتور محمد البهى يسعى لاختيار المواد التعليمية التى تنتج لنا ـ بمشيئة الله وحده ـ المواطن الصالح .. رحمه الله .

أدرك المنتجون ذلك فعملوا لاجتذاب المزيد منهم مما يضاعف المسئولية على الموجهين لأجهزة الإعلام والمسئولين عن « الدراما » .

قد يتهمنا البعض بالمبالغة . فالمسألة فى رأيهم مجرد ترفيه وضياع وقت لا أكثر .

ولهؤلاء أقول : إن منتجى « الدراما » تنبهوا لأهمية الترفيه ، ومن خلاله تقدموا بما يريدون من إفساد لم تقو عليه أجهزة الاستعمار ، ويعتقد بعض خبراء الإعلام أن بعض أنواع الترفيه فى وسائل الإعلام يمكن أن يدفع ضعيف الإرادة أو غير الناضج إلى ميدان الجريمة وسوء الخلق ، وتعترف مواثيق الشرف للعاملين فى مجال الإذاعة والتليفزيون والسينما بهذا الخطر ، وتحض على عدم تمجيد المجرمين ، أو تصوير الجريمة بطريقة جذابة ، أو تزيين الرذيلة ، وبكلمات بسيطة : يخشى أن بعض الناس وبخاصة الأطفال قد يقلدون أسوأ ما يعرض عليهم فى وسائل الإعلام .(٢) .

وبين الحين والآخر نسمع صيحات نذير من خبراء الإعلام فى الغرب يحذرون من تأثير الدراما على الأطفال والشباب ، ويكرسون أوقاتهم وجهودهم لإجراء الدراسات والبحوث وإعداد التقريرات والإحصاءات التى تحث على ضرورة الاهتمام بما تقدمه « الدراما » ولكنا نغفل ذلك أو نتغافل عنه .

إن وسائل الإعلام الغربية قد تتحرر من كل قيد طلباً للربح ضاربة – فى أحيان كثيرة – بهذه الصيحات والنُذُر عرض الحائط إذا تعارضت مع الربح . (فالأفلام السينمائية والتليفزيون تسمم العقول وتخرب النفوس من أجل الربح ، والمنتجون لا يهمهم شىء كأصحاب المصانع الذين يتركون مخلفات مصانعهم الضارة دون رعاية لآثرها على الناس)(٣) .

إن جاز ذلك هناك فإنه هنا لا يجوز . فنحن أهل مجتمع إسلامى تحركنا دوافع حب الخير والهداية للجميع قبل حب الكسب ، وأى كسب يساوى بناء أمة بشبابها وأطفالها ؟

وتأثير الدراما يرجع إلى أنها تعتمد على عدة عوامل تزيد من فاعليتها هى :

أ – التكرار لهذه المواد . فقد تتكرر إذاعة الفيلم فى السينما لأشهر متتالية ، ثم فى التليفزيون لمرات عديدة ، وفى المسرح قد يستمر العرض ، سنوات مما يرسخ القيم التى تحتويها القصة أو الفيلم أو المسرحية .

ب – الجاذبية : تستخدم الدراما كل الوسائل التى تجذب المشاهدين لمتابعتها من موسيقى وألوان متعددة و (ديكور) ومناظر حية وربط بين المشاهد .. إلخ .

حـ – المشاركة : قد يستلزم الأمر دعوة نوعيات معينة من الجمهور للمشاركة فى المواد المقدمة – نساء – أطفال – عمال .. إلى غير ذلك وهذه المشاركة تربط بين أجهزة الإعلام ومستقبليها حيث تحقق لهم ذواتهم .

د – النماذج : تقدم تلك المادة نماذج معينة تبث خلالها ما تشاء من قيم وآراء ، وقد تكون هذه النماذج موجبة أو سالبة . وعرض هذه النماذج الموجبة فيه دعوة صريحة أو إيحاء باعتناقها أو بتقليدها . وعرض النماذج السالبة يتضمن دعوة صريحة أو إيحاء بتجنبها ..(٤) .

---

(٢) انظر وسائل الإعلام والمجتمع الحديث . وليام ل ريفرز وآخرون . ترجمة د . إبراهيم إمام ص ٣٢٢ .

(٣) الإعلام الإذاعى والتليفزيونى د . إبراهيم إمام ص ٢٣٣ .

(٤) انظر علم النفس الاجتماعى فى المجالات الإعلامية د . زيدان عبد الباقى ص ٢٠٢ بتصرف .

الدراما ... إلى أين ؟!!

ويحسن أن نسوق بعض الصور التى ترينا الحد الذى وصلت إليه الدراما ، عسانا نتدارك ذلك ونعمل على تطهيرها مما يضر بشبابنا وبناتنا وعلمائنا ومربينا . وهذه بعض الصور على سبيل المثال :

أولاً : المحاولة الدائبة لإظهار بعض من يرتدون ملابس علماء الدين بصورة ساخرة لتتكون لدى المشاهدين صورة ذهنية ضاحكة عن كل من يرتدى ذاك اللباس مما يقلل من منزلة علماء الدين فى أعين العامة .

مع أن المسئولين عن وسائل الإعلام فى أمريكا ـ مثلاً ـ يقولون :

(السبب الذى يجعلنا نمتنع عن إظهار القسس فى شخصيات فكاهية أو على أنهم أشرار هو ببساطة أن الاتجاه الذى يكونه الناس عنهم قد يصبح بسهولة اتجاهاً يعتنقه الناس نحو الدين بشكل عام)(٥) . فإذا كان هذا اتجاهاً فى مجتمعات متحررة فما بالنا نحن نهدم ـ بطريقة خفية ـ علماءنا ، ونحث الناس على ازدرائهم !

وللمدرسين والمربين منزلة طيبة ، فَلِمَ تحاول الدراما دائماً هضم حقوقهم والسخرية منهم ؟

فى مشهد من مسرحية نرى بعض التلاميذ يحرجون مُدرِّستهم ومدير المدرسة ويجعلونهما أضحوكة للمشاهدين . ولتكرر هذه المسرحية حفظ التلاميذ ألفاظها وأصبحوا يرددونها ويطلقونها على مدرسيهم علناً أو فى الخفاء حتى يضحكوا ويضحكوا غيرهم . وكأنه لم يبق غير المربين مادة للإضحاك !

ثانياً : ظهور النساء غير محتشمات فى أحيان كثيرة ، لأن المخرج يريد استثارة المشاهدين فتبدو المرأة بلباس البحر أو بلباس الفراش . ثم بعد ذلك نشكو مر الشكوى مما وصل إليه الشباب ناسين أننا قدمنا له (الطعم) ونصبنا له الفخ وألقيناه فى اليم ، وقلنا له : إياك إياك أن تبتل بالماء !

إن هذه المظاهر قد ساعدت على انتشار أزياء يرفضها الدين الرسمى للدولة وعلى انتشار أخلاق تتنافى مع العفة والشرف ومبادىء الأخلاق التى يدعو إليها ديننا وقيمنا .

ومع ذاك العُرى تسمع وتشاهد من المناظر ما يخدش حياءك ؛ من تقبيل متبادل وعناق بين الرجال والنساء والمبالغة فى ذلك حتى أن أحدهم يقول : [فتحناها مَبْوَسة] !

وأسأل : كيف نقنع أبناءنا وبناتنا بأن ذلك مجرد تمثيل فقط وهو ينافى الشرع والآداب أشد المنافاة ؟ كيف نقنعهم وهذه أجهزة الإعلام تلح وتكرر وتركز على هذه المناظر ؟

ثالثاً : تزييف بعض المفاهيم الدينية .

وهذا مشهد صغير يدور فيه حوار بين (البطل) و (البطلة) .

قالت له : وهبت لك نفسى .

قال : وأنا قبلت الزواج منك .

قالت متسائلة : ومن يشهد على ذلك ؟!

فنظر إلى السماء كأنه يشهد الله ـ عز وجل ـ على ما يقول .

البقية صـ ٣٠١

(٥) الأسس العلمية لنظريات الإعلام د . جيهان أحمد رشتى ص ٣١٧ .

المعاملات المصرفية - بقية

كما أن المنتج بهذا الأسلوب الذى يخفض له تكلفة الإنتاج حيث يلغى عبء الفوائد وبالتالى ينتنج نفس السلعة بتكلفة أقل فإنه يكون فى وضع اقتصادى (منافس افضل) سواء داخليا أم خارجيا مما يمكنه من الحصول على مساحة أكبر من السوق وتحقيق أرباح افضل .

وأصحاب المال سواء المساهمين أو مقدمى التمويل الربوى بصوره الشرعية المتعددة والقائمة على المشاركة فى المخاطر يحصلون بدورهم على أرباح أفضل لأموالهم .

وهكذا نرى حكمة الله فى تحريم الربا . فهنا بعيدا عن الربا يستفيد المجتمع بجميع فئاته : المنتجين ، وأصحاب راس المال ، والمستهلكين وهم جموع الشعب بأكمله ، وحقت كلمة الله سبحانه وتعالى ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾ .

* ولعلنا نذكر فى هذا المجال أن الدول المتقدمة حينما تريد أن تنعش اقتصادياتها وتدفع بعجلة النشاط فيها فأنها تخفض الفائدة لأن ذلك يشجع قيام المشروعات الجديدة ويشجع المشروعات القائمة على التوسع والانطلاق .

* فما بالك لو اختلفت الفائدة تماما وشاركت المدخرات والأموال فى تحمل المخاطر مع أصحاب المشروعات فى مجالات الاستثمار المختلفة .

* وهى بمشاركتها تحافظ على قيمة أموالها من التدهور ، لأنها تدفع بعجلة الإنتاج من ناحية ، وتخفض من تكلفته من ناحية فيصبح اقتصادا قويا على المنافسة محققا لأرباح أفضل مما ينعكس على قيمة الأصول بالزيادة وبالتالى تزيد حقوق المساهمين والمشاركين بما يحفظ لهم القيمة الحقيقية لمدخراتهم بل ويزيدها ، ويحفظها من التآكل الذى قد تتعرض له نتيجة التضخم المصاحب للأنظمة الربوية .

أليس هذا هو ماترنو إليه الدوله وتدعو وتسعى إليه ؟

* أما البنوك القائمة فالمطلوب هو توفيق أوضاعها مع أحكام الشريعة ، ودور البنك المركزى فى هذا المجال دور رائد وبالغ الأهمية بقدر مايمكن لهذه البنوك من التحول الواعى المخطط المدروس ، وبقدر مايغير فى نفس الوقت من سياساته ووسائله وأساليبه ، بما يمكن لهذه البنوك من القيام بدور فعال فى دفع عجلة التنمية ، وإعطاء نموذج ناجح للعمل الإسلامى الناضج .

* فهل نحن مهتدون .. وإلى ربنا راغبون .. وعن حرامه معرضون .. وفى حلاله عاملون .. !!

* أم نظل على الحرام عاكفين .. وعن شرع ربنا معرضين ، ويصدق فينا قول ربنا ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ . وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ .

حاش لله فنحن قوم مؤمنون وإن شاء الله بشرع الله عاملون ولدعوته مجيبون .

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ..

الاهل بلغت .. اللهم فاشهد ..

أحمد أمين فؤاد
١٩٨٩/٨/١٥

اللغة والنحو

في مقدمة ابن خلدون

للأستاذ عبد الستار عبد اللطيف سعيد

حياة ابن خلدون في إيجاز :

هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أصله من «أشبيلية» ـ أعظم بلد بالأندلس ـ ولد ونشأ في «تونس» سنة (٧٣٢ هـ) ، كان فصيحا ، جميل الصورة ، عزوفا عن الضيم ، عاقلا ، طموحا إلى المراتب العالية رحل إلى «غرناطة» و«فاس» و«تلمسان» ، وتولى أعمالا ، واعترضته دسائس ووشايات ، فعاد إلى تونس ، ثم توجه إلى «مصر» وأكرم فيها من قبل «الظاهر برقوق» ، وتولى فيها مهنة «قضاء المالكية» ، وكانت وفاته في مدينة «القاهرة» عام (٨٠٨ هـ)[١] .

إنتاجه العلمي :

اشتهر ابن خلدون بعلمه ، وذاع صيته بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» ، والكتاب يتكون من سبعة أجزاء ، منها «المقدمة» التي تعد من أصول «علم الاجتماع» ، وقد ترجمت «المقدمة» مع بعض أجزاء من الكتاب إلى «اللغة الفرنسية» وغيرها من اللغات ، ومن كتبه أيضاً : «شرح البردة» و«كتاب في الحساب» ، و«رسالة في المنطق»[٢] ، ونظرا لعظمة ابن خلدون العلمية فقد تناول شخصيته كثير من الباحثين ، وقد ذكر «خير الدين الزركلي» من الكتب المؤلفة عن ابن خلدون ما يلي : أكثر من ستة كتب[٣] ، هذا فضلا عن «الندوات العلمية» التي تتناول هذه الشخصية العظيمة بالبحث والتحليل .

مقدمة ابن خلدون وعلوم اللسان العربي

إن الذي يقرأ «مقدمة ابن خلدون» يقر له بمكانة علمية باهرة لما تحتويه مقدمته من معارف متنوعة ، وعلى الرغم من شهرته بأنه «فيلسوف» ، ومؤرخ ، و«عالم اجتماعي» فإن إدراكه العميق لـ «علوم اللسان العربي» يبدو واضحا جليا من خلال حديثه عن ذلك مقدمته ، فقد جعل أركان هذه العلوم أربعة «اللغة» ، و«النحو» و«البيان» و«الأدب»[٤] ونوضح فيما يلي حديثه عن «اللغة» و«النحو»

ابن خلدون وتعريف اللغة :

عرف ابن خلدون اللغة قائلا : «اعلم أن اللغة

(١) انظر الأعلام ٤/١٠٦ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) الأعلام ٤/١٠٦ .
(٤) المقدمة ٥١٤ ط الشعب (مصر) .

التعارف هى عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لسانى ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو فى أمة بحسب اصطلاحاتهم[٥] وبالنظر فى هذا التعريف تتضح أمور هامة هى :

١ - اللغة وسيلة يمتلكها متكلم اللغة ، يعبر بها عن آرائه ومتطلباته ، هى وسيلة تميز الإنسان عن غيره من الكائنات ، وتكمن أهميتها كونها تتيح لمستخدمها إتمام عملية التوصل بينه وبين أفراد بيئته ، وتيسر له عملية التعبير عن آرائه ، وأحاسيسه وإيصالها للآخرين .

٢ - اللغة وسيلة تعبير قائمة فى بيئة معينة لاصطلاح معين ، وهذا الطابع الاصطلاحى شئ طبيعى حيث إنه لابد من اصطلاح كل جماعة إنسانية على رموز يتم بها التفاهم والتواصل حتى تؤدى اللغة دورها كوسيلة لهذا الاتصال بين هذه الجماعة الإنسانية .

٣ - اللغة فعل إنسانى يقوم الإنسان بتأديته عبر لسانه ، وهذا الفعل نابع من إرادة فكرية هى القصد بإفادة الكلام ، أى أن الإنسان يستخدم اللغة معبرا بها عن مواقفه من الأحوال المحيطة به عاقلا وقاصدا لكل ما يقول .

٤ - اللغة تصير ملكة فى العضو الفاعل لها وهو اللسان بعد اكتسابها من الآخرين ، أى أن قدرة الإنسان على التكلم تابعة لملكة لسانية اكتسبها الإنسان من البيئة التى عاش فيها[٦] .

علاقة ابن خلدون بغيره من اللغويين فى تعريف اللغة :

لم يكن ابن خلدون منقطع الصلة عن تراث الأمة فى ميدان البحث اللغوى ، فما قاله فى تعريف اللغة قد قال به سابقه : العالم اللغوى «ابن جنى» المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، حيث قال فى تعريف اللغة إنها : «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[٧] ، ولكن يبدو تميز ابن خلدون عن «ابن جنى» ، لأن التعريف «الخلدونى» للغة يظهر أنها ملكة لسانية يكتسبها الإنسان من آخرين يعيشون معه فى بيئته ، ولكن الجدير بالذكر أن وجهة نظر «ابن خلدون»قد قال بها لغويون غير عرب[٨] منهم الألسنى الفرنسى «أندره مارتينه» حيث يقول فى تعريف اللغة : «إن اللغة أداة تواصل ، تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة فى كل تجمع إنسانى ، عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالى ، وعلى عبارة صوتية» .

ويعلق الدكتور «ميشال زكريا» على هذا التعريف قائلا : «يتضح من هذا التعريف أنه يشير إلى ما يلى :

١ - اللغة وسيلة تواصل بين الأفراد .

٢ - تختلف اللغات من مجتمع إلى آخر .

٣ - اللغة قائمة على وحدات صوتية مشتملة على دلالة . ثم يردف قوله : وهذه المسائل تضمنها تعريف «ابن خلدون» إلا أنه أشار إلى مسألتين لم يردا عند «أندره مارتينه» وهما :

١ - أن اللغة فعل لسانى .

٢ - أن اللغة ملكة لسانية[٩] .

رأى ابن خلدون فى تحصيل ملكة اللسان العربى :

لقد كان «ابن خلدون» دقيق الملاحظة للسان أهل عصره ، ولسان العرب الفصحاء السابقين ، وذلك واضح من خلال حكمه على لغة أهل زمنه حيث يقول : «اعلم أن ملكة اللسان المُضَرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة أهل الجيل كلهم مغايرة للغة مضر التى نزل بها القرآن ، وإنما هى

←

(٥) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٥١٤ الشعب (مصر) .
(٦) الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون ص ١١ .
(٧) انظر الخصائص ١/ ٣٣ .
(٨) انظر تفصيل ذلك فى الملكة اللسانية ص ١٤ وما بعدها .
(٩) انظر الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون ص ١٥ .

لغة أخرى مغايرة ناشئة من امتزاج العجمة بها»[١٠] ثم قدم السبيل الناجعة لتحصيل «ملكة اللسان العربى» قائلا : «ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم من القرآن ، والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم وأشعارهم ، وكلمات المولدين أيضاً فى سائر فنونهم ، حتى يتنزل ـ لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور ـ منزلة من نشأ بينهم ، ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك فى التعبير عما فى ضميره على حسب عبارتهم ، وتأليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ، فتحصل له هذه الملكة بعد الحفظ والاستعمال [١١] .

ويتضح من خلال ما سبق مايلى :

١ ـ مقارنة ابن خلدون بين لسان عرب عصره ولسان العرب السابقين .

٢ ـ تقديمه للطريقة الناجحة والمفيدة فى الحفاظ على اللسان العربى المتمثلة فى « حفظ النصوص » من القرآن الكريم والحديث ، وكلام الفحول شعرا ونثرا مع التفهم العميق لطرائق التعبير وفنونه وبيان أسراره مع مطابقته لمقتضى الحال التى يستخدم فيها .

٣ ـ يتضح من كلام « ابن خلدون » أنه يجيز « الاحتجاج بكلام المولدين » فى مجال الملكة اللسانية وذلك حيث أجاز تلقين كلام المولدين لاكتساب ملكة اللسان مع كلام الفحول ، وذلك قول يرتضيه بعض الباحثين فى العصر الحديث حيث يقول : إن قبول الاحتجاج فى اللغة بمن يوثق بفصاحته من أولئك المولدين هو الرأى الصريح لبعض اللغويين والنحاة .. [١٢] وإن علينا أن نفتح السبيل للصيغ والتراكيب والاستعمالات التى يبتكرها أصحاب الملكة اللغوية العربية السليمة من الشعراء والأدباء والعلماء ، وكذلك للمعانى الجديدة التى يحملونها الكلمات والصيغ القديمة ما دامت العلاقة بين المعنى الجديد وأصله مقبولة متكلفة ، وما دام كل ذلك متسقا مع الأصول والضوابط العامة للغة ، إننا بهذا لاننازع القدماء حق تشريع اللغة ووضع أصولها ورسم ضوابطها ولكننا نسعى لتقرير حقنا فى « الإبداع والتجديد » و « الاجتهاد » داخل الأطر التى رسموها [١٣] من واقع اللغة .

قضية « الفصحى » و « العامية » عند « ابن خلدون » :

على الرغم من حرص « ابن خلدون » على سلامة « ملكة اللسان العربي » ، وتقديمه الوسيلة للحفاظ عليه إلا أن له وجهة نظر « فى لغة أهل عصره » ، وهى باعترافه بعيدة عن لسان أهل مُضَر يقول : إنا نجدها فى بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى ـ يقصد الفصحى المضَرية ـ ولم يُفْقَدْ منها إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير ، وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد .... ولا تلتفتن إلى خرفشة « النحاة » أهل صناعة الإعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ـ عهد ابن خلدون ـ ذهبت وان اللسان العربى فسد اعتبارا مما وقع أواخر الكلم من فساد الإعراب الذى يتدارسون قوانينه ، وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم ، وألقاها القصور فى أفئدتهم ... ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد ـ يقصد اللغة

(١٠) المقدمة ص ٥٢٦ ط الشعب مصر .

(١١) المقدمة ص ٥٢٦ .

(١٢) انظر الاحتجاج بالشعر فى اللغة ص ١٩٩ ، ٢٣٧

(١٣) انظر الاحتجاج بالشعر فى اللغة ص ٢٣٦ .

المستخدمة فى عصره ـ واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها بأمور أخرى موجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها ، ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مُضَر [١٤] ، يتضح من هذا القول السابق مايلى :

١ ـ أن لغة أهل عصر ابن خلدون ـ على الرغم من بعدها عن فصاحة لغة مُضَر ـ كانت مبينة مقاصد التى يريدها أصحابها .

٢ ـ عدم التزام لغة أهل عصره بقوانين الإعراب التى قررها النحاة ، مع الاستعاضة عنها بوسائل أخرى .

٣ ـ هجوم ابن خلدون على النحاة واضح من تهامه إياهم بالقصور فى الفهم .

٤ ـ محاولة ابن خلدون رسم الطريق الواضحة لاستنتاج قوانين خاصة بلغة أهل عصره .

وعلى الرغم من إيماننا بأن « ابن خلدون » قد وصف ما كان واقعا فى « لسان أهل عصره » ، فإن ماقاله هنا قد يفهم منه أنه يؤيد ما يراه بعضهم من استخدام « العامية » فى الشئون التى تستخدم فيها « اللغة الفصحى »[١٥] ، ولست أعرف دعوة أثيمة أبعد من الحق وأجلب للخطر والضرر على البلاد العربية من الدعوة إلى « الإلحاد اللغوى » والمروق من حدود الفصحى والعبث بمقدساتها . وقد قمت بتجربة علمية تحت « عنوان » : قاعدة الحال بين لغة الأعراب ولغة العامة تبين لى من خلالها أن لغة العامة فيها هدم لكيان العربية الفصحى فى صياغة « مفرداتها وتراكيبها » التى جاء بها الكلام العربى الفصيح ، ومن الخير لنا أن نصعد بعاميتنا إلى مستوى الفصحى .

ابن خلدون وكشفه عن فضل اللغويين العرب القدماء :

بين « ابن خلدون » فى مقدمته جهد علمائنا العرب القدماء فى مجال « إبقاء اللغة العربية » خالية من « اللحن والتحريف » وذلك حيث يقول : اسْتُعْمِلَ كثير من كلام العرب فى غير موضوعة عندهم ، ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس ، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك وأمْلَوا فيه الدواوين [١٦] يبدو من النص السابق مايلى :

١ ـ إدراك ابن خلدون لفساد اللسان العربى الذى يرجع إلى اختلاط العرب بغيرهم ، أولئك الغير الذين يخالفون العرب فى طرق التعبير .

٢ ـ أظهر «ابن خلدون» غيرة العربى على لغته ، كما أظهر حرصه على القرآن والحديث .

٣ ـ بين «ابن خلدون» أن الغيرة والحرص على لغة القرآن الكريم قد تحول إلى «برنامج عمل» حيث قد هب كثير من أئمة اللغة إلى تدوينها فى الكتب وأمْلَوا فيها المؤلفات الضخمة .

والحق أن التدوين لم يكن هو المظهر الوحيد لدفاع العربى عن لغته ، بل هيأ العرب لأبنائهم الظروف التى تيسر لهم السيطرة على اللغة واكتسابها سليمة نقية من أى تحريف ويظهر ذلك فيما يلى :

ارسال الأطفال إلى مواطن اللهجات العربية الفصيحة لتصير الفصاحة طبيعة لهم .

الدفع بالأبناء صغارا إلى الأدباء والشعراء ليعيشوا معهم ، لينشأوا على تفوقهم اللغوى .

كما ظهر ما يعرف بـ «رواية اللغة» عن العرب الفصحاء الذين يسكنون البوادى ، وأشهر هؤلاء الرواة : أبو عمرو بن العلاء ، والأصمعى ، وأبو زيد ، وغيرهم[١٧]

---

(١٤) المقدمة ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ط الشعب .

(١٥) صرح بذلك د . عبدالواحد وافى فى كتابه «فقه اللغة» ص ١٥٥ .

(١٦) انظر اللغة والنحو ٢٥٢ .

(١٧) المقدمة ص ٥١٦ .

اللغة والنحو

هذا وقد ذكر «ابن خلدون» طائفة من اللغويين الذين دونوا الدواوين حماية لملكة اللسان العربى وهم :(١٨) .

١ ـ الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى ١٧٤ هـ مؤلف أول معجم عربى هو «العين» .

٢ ـ إسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى ٣٩٣ هـ صاحب كتاب «الصِّحَاح» .

٣ ـ ابن سيده الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ صاحب كتاب «المحكم والمحيط الأعظم» .

٤ ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى عام ٣٧٩ هـ الذى الف «مختصر العين» .

٥ ـ ابو بكر محمد بن ابى القاسم الأنبارى المتوفى عام ٣٢٨ هـ صاحب كتاب «الزاهر فى معانى الكلام الذى يستعمله الناس» .

٦ ـ الزمخشرى صاحب «أساس البلاغة» .

وكذلك ذكر من الكتب اللغوية التى تهدف إلى إصلاح اللسان العربى «فصيح» ثعلب (أحمد بن يحيى) المتوفى عام ٢٩١ ، وكتاب «الألفاظ» لـ «ابن السكيت» المتوفى سنة ٢٤٤ .

والجدير بالذكر أن ما ذكره «ابن خلدون» فى مقدمته ليس شاملا لكل ما الف فى هذا الميدان ، وقد تصدى لذلك بعض الباحثين ، منهم الدكتور : حسين نصار صاحب كتاب «المعجم العربى نشأته وتطوره» .

وقد تتبع فيه صاحبه «حركة التصنيف اللغوى» مبينا منهج كل تصنيف وما فيه من مزايا أو عيوب(١٩) .

ابن خلدون وفكرة «نشاة اللغة الإنسانية»

من خلال حديث «ابن خلدون» عن «ملكة اللسان العربى» يبدو انه لم يُشغل نفسه بهذه القضية التى تعددت فيها الآراء وتباينت(٢٠) وبـ ذلك فيما يبدو لى ، أن «ابن خلدون» شغل نفسه بالواقع اللغوى لأهل عصره ، صارفا النظر عن تلك القضية التى لم يصل الباحثون فيها إلى نتائج يقينية ، ومع ذلك نرى بعض المعتدلين من علماء اللغة يسخر من مجرد التفكير فى إدراج موضوع «نشأة اللغة» ضمن بحوث «علم اللغة» وقد قررت الجمعية اللغوية فى «باريس» عد مناقشة هذا الموضوع نهائيا او قبول أى بحث فيه لعرضه على جلساتها(٢١) ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد كان للعلامة «ابن جنى» بحث فى هذه المسألة(٢٢) .

ابن خلدون ونشاة «علم النحو» :

إن علم «النحو» عند ابن خلدون هو : تلك القوانين المطردة المستنبطة من كلام العرب ليقاس عليها سائر انواع الكلام .. مثل ان الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع .. وهكذا(٢٣) .

وقد حصر «ابن خلدون» سبب نشأة ذلك العلم فى العربية فيما يلى :

١ ـ فساد ملكة اللسان العربى بسبب مخالطة العجم ، مما نتج عنه ظهور مخالفات تعبيرية للمتعربين من العجم .

٢ ـ خشية أهل الأناة والعقل من العرب فساد ملكة اللسان العربية ، وكذلك خشيتهم انغلاق

(١٨) انظر المعجم العربى ٦/١ ، الاعراب الرواة ٥١ وما بعدها .

(١٩) المقدمة ٥١٦ .

(٢٠) انظره فى جزءين .

(٢١) انظر هذه الآراء فى كتاب «المدخل إلى علم اللغة ص ١١٠ وما بعدها .

(٢٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٢٣) انظر الخصائص ٤٠/١ وما بعدها .

القرآن الكريم والحديث على (الفهوم)* أى عدم فهم الأسلوب القرآنى والحديث[24] وفى ذلك دليل واضح للرد على من يرى أن «النحو العربى» مأخوذ من لغة غير عربية[25]

تتبع «ابن خلدون» لمسيرة التأليف النحوى :

اشار «ابن خلدون» إلى أن أول «عمل علمى» فى ميدان «النحو» قد قام به «أبو الأسود الدؤلى» بإشارة من الإمام «على بن أبى طالب» رضى الله عنه ، لأنه رأى تغير «الملكة اللسانية» فأشار عليه بحفظها ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاصرة(**) المستقراة[26] ، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى «الخليل بن أحمد الفراهيدى» ، مهذب الصناعة ، وكَمَّل أبوابها ، وأخذها عنه «سيبويه» ، فكَمَّل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها ، ووضع فيها «كتابه» المشهور الذى صار إماما لكل ما كتب فيها من بعده[27] .

ابن خلدون يظهر الخلاف المنهجى بين نحاة البصرة والكوفة :

يقول «ابن خلدون» فى ذلك : «ثم طال الكلام فى هذه الصناعة ، وحدث الخلاف بين أهلها فى «الكوفة» و«البصرة» المصرين القديمين للعرب ، وكثرت الأدلة والحجاج بينهم ، وتباينت الطرق فى التعليم ، وكثر الخلاف فى إعراب كثير من آى القرآن باختلافهم فى تلك القواعد ، وطال ذلك على المتعلمين[28] وقد خصت «مسائل الخلاف» بين مدرستى «البصرة» و«الكوفة» بالتأليف[29] .

ابن خلدون ودرايته بحركة الإصلاح النحوى :

اشهر «ابن خلدون» أن المتأخرين من النحاة قد لجأوا إلى «اختصار» ما ألف «تبذا للتطويل على المتعلمين» مع استيعابهم لجميع ما نقل عن السابقين ومثل لذلك بالعمل العلمى الذى قام به «ابن مالك» فى كتابه «التسهيل» وأمثاله ، كما بين أن بعض النحاة آثر «الاقتصار على المبادىء للمتعلمين» كما فعل «الزمخشرى» فى كتابه «المفصل» ، وربما لجأ بعضهم إلى «نظم قواعد النحو» كما فعل «ابن مالك» فى أرجوزتيه «الكبرى» و«الصغرى» ، الكبرى هى : «الكافية الشافية» ، والصغرى هى : «الفية ابن مالك»[30] .

اعتراف «ابن خلدون» بكثرة المؤلفات النحوية :

بَيَّن «ابن خلدون» ذلك قائلا : «وبالجملة فالتأليف فى هذا الفن أكثر من أن تحصى ، أو يحاط بها ، وطرق التعليم فيها مختلفة ، فطريقة «المتقدمين» مغايرة طريقة «المتأخرين» ، والكوفيون والبصريون ، والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقهم كذلك[31] وقد تناول بعض الباحثين المحدثين «المدارس النحوية» كاشفا عن أعلام كل مدرسة ، ومبينا منهجها العلمى .

ابن خلدون واعترافه بفضل «ابن هشام» وكتابه المشهور «مغنى اللبيب» :

يقول «ابن خلدون» فى ذلك : «وقد كادت هذه الصناعة أن تُؤْذِنَ بالذهاب ، لما رأينا من النقص فى سائر العلوم والصنائع بتناقص «العمران» ، ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من «مصر» منسوب إلى «جمال الدين بن هشام» من علمائها ، استوفى فيه «أحكام الإعراب» مجملة ومفصلة ، وتكلم عن الحروف ، والمفردات ،

←

(*) جمع فهم .

(**) من الحَصْرِ بصاد مهملة .

(24) المقدمة ص ٥١٦ .

(25) المقدمة ص ٥١٦ .

(26) انظر مجلة مجمع اللغة العربية المجلد السابع ص ٢٣٨ .

(27) المقدمة ص ٥١٦ ، المزهر ٢/٣٩٧ .

(28) المقدمة ٥١٦ .

(29) انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى فى جزءين .

(30) المقدمة ص ٥١٦ .

(31) المرجع السابق نفسه .

اللغة والنحو

والجمل ، وحذف ما فى الصناعة من المتكرر فى أكثر أبوابها ، وسماه بـ «المغنى» فى الإعراب وأشار إلى «نُكَتِ إعراب القرآن كلها» ، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد ، انتظمت سائرها ، فوقفنا منه على علم جم ، يشهد بعلو قدره فى هذه الصناعة ، ووفور بضاعته منها ، وقد اغترف من علم «ابن هشام» أبناء العربية فى شتى البقاع ، وخصه بعض الباحثين بالدراسة والتحليل .

هذا وفى نهاية هذا البحث نصل إلى ما يلى :

١ ـ لم تقتصر معرفة ابن خلدون على «الفلسفة» و«التاريخ» و«الاجتماع» بل أضاف إلى ذلك معارف شتى منها : «علوم اللسان العربى» ، وقد كشفنا عن «علمه بالنحو واللغة» .

٢ ـ استمد «ابن خلدون» قوله فى «تعريف اللغة» من اللغويين السابقين ، وقد فاق عليهم ، وقد قال ببعض أقواله بعض اللغويين الغربيين .

٣ ـ بين ابن خلدون أن سبب نشأة «علم اللغة» و«علم النحو» راجع إلى خوف السابقين من فساد ملكة اللسان العربى ، وحرصهم على لغة القرآن الكريم ، وفى ذلك دفع لنا لنسير على الدرب رافعين صرح العربية الشامخ أبد الدهر .

٤ ـ يرى «ابن خلدون» أن الملكة اللسانية تُكْتَسَبُ عن طريق النصوص العربية الراقية وفى مقدمتها القرآن الكريم مع ضرورة التنبه إلى طرائق الأداء والأسرار الكامنة وراء كل طريق وتكرار ذلك حتى ترسخ تلك الملكة فى النفس واللسان .

٥ ـ قرر «ابن خلدون» أن معرفة «أركان اللسان العربى» : اللغة ، النحو ، البيان ، الأدب ـ ضرورة على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة .

هذا قد كان السابقون من العلماء العرب غيورين على «لغة الضاد» ، وبرهنوا على ذلك بتلك الجهود الجبارة فى ميدان «اللغة والنحو» ، وهى «تراث غال ونفيس لهذه الأمة» ولكن من الإنصاف أن نقول : إن ذلك التراث النفيس يحتاج إلى «بعث جديد» يتمثل فى «توظيفه واستخدامه» ويتمثل أيضاً فى «إظهار محاسنه» ـ وهى جد وفيرة ـ ودفع ما علق به ـ عن حسن نية من بعض الهَنَات ، وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين.. وبالله التوفيق .

مراجع البحث

١ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلى .

٢ ـ الزهر فى علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطى .

٣ ـ مقدمة ابن خلدون ط الشعب (مصر) .

٤ ـ الملكة اللسانية فى مقدمة ابن خلدون د ـ ميشال زكريا ـ المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت .

٥ ـ الخصائص ابن جنى تحقيق : محمد على النجار .

٦ ـ الاحتجاج بالشعر فى اللغة د . حسن جبل دار الفكر العربى .

٧ ـ فقه اللغة العربية د . على عبدالواحد وافى دار النهضة مصر .

٨ ـ اللغة والنحو د . عباس حسن دار المعارف (مصر) .

٩ ـ المعجم العربى نشأته وتطوره د . حسين نصار مكتبة مصر بالفجالة .

١٠ ـ الأعراب الرواة د . عبدالحميد الشلقانى المنشأة العامة للنشر والتوزيع الجماهيرية .

١١ ـ المدخل إلى علم اللغة د . رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٢ ـ بحوث ومقالات فى اللغة د . رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية المجلد السابع .

١٤ ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف ابن الانبارى تحقيق : محيى الدين عبدالحميد .

من روائع الماضي - بقية

إلى من هو فوقى وأن انظر إلى من هو دونى ؛ وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم ؛ وأوصانى ان أصل رحمى وإن أدبرت ؛ وأوصانى الا أخاف فى الله لومة لائم ؛ وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا ؛ وأوصانى أن أكثر من «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإنها كنز من كنوز الجنة» . رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .

وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تكونوا إمعة : تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن أساء الناس أسأنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا ألا تظلموا» رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة : من البغى وقطيعة الرحم» . رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، رفعه ، قال : «الطابع معلق بقائمة العرش ، فإذا اشتكت الرحم ، وعمل بالمعاصى ، واجترىء على الله ، بعث الله الطابع فيطبع على القلب فلا يعقل بعد ذلك شيئا» . رواه البيهقى والبزار واللفظ له .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالى : «وجبت محبتى للمتحابين فىَّ ، وللمتجالسين فىَّ ، وللمتزاورين فىَّ ، وللمتباذلين فىَّ» . رواه مالك بإسناد صحيح . وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «لا يزال الله فى حاجة العبد مادام فى حاجة أخيه» . رواه الطبرانى ورواته ثقات .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» . رواه مالك والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى .

وعن أبى موسى أن النبى ﷺ قال : «على كل مسلم صدقة . قيل : أرأيت إن لم يجد . قال : يعتمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : أرأيت إن لم يستطع . قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : قيل له : أرأيت إن لم يستطع . قال : يأمر بالمعروف أو الخير . قال : أرأيت إن لم يفعل . قال : يمسك عن الشر فإنه له صدقة» . رواه البخارى ومسلم .

وسنعود للموضوع مرة أخرى ، إن شاء الله .

الدراما إلى أين - بقية

وفعلاً تم الزواج بهذه الطريقه دون ولى ولا شهود . بلفظ الهبة .

وقد أجمع العلماء على أن هبة المراة نفسها غير جائزة . وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح ..(٦) .

وبعد انتهاء الفيلم الذى عرض فى السينما ثم فى التليفزيون اقتنع بعض المشاهدين بصحة هذا الزواج وقد يمارسه .

إن هذا المشهد قد أشاع مفهوماً خاطئاً يتنافى مع تعاليم الإسلام وقواعد الزواج التى قررها علماء الشريعة الاجلاء واستقوها من كتاب الله ومن سنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وحسبنا هذه الصور التى تعرضها (الدراما) على الناس فيتلقونها راضين ضاحكين . ولا يعنى ذلك اننا أحصينا الصورة المرفوضة ولكن فقط حاولنا تقديم نماذج مصغرة حسبما تقتضى هذه المساحة الضيقة . وأردنا فقط أن نحدد بعض مواطن الداء إذا أردنا لشبابنا الاستقامة ولأمتنا الرقى .

عفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا .

---

(٦) انظر تفسير القرطبى جـ ١٤ ص ٢١١ .

من خير ما نشر

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

شهادات الاستثمار ذات الجوائز

يجمع علماء الاقتصاد على أن ما يطلق عليه « شهادات الاستثمار » بأنواعها المعروفة حاليا أو المقترح إنشاؤها ماهى إلا وسيلة من وسائل « الاقتراض » ، يعمل البنك كوسيط فيها . ولا شك أيضا فى أن عمليتى الاقتراض والإقراض اللتين تتمان باستخدام هذه الوسيلة تحتسب عليهما فوائد « ربوية » تحدد مقدما ، ويكون « الزمن » العنصر الرئيسى فيها ، ولإطالة أمد الدين يلجأ البنك إلى احتساب الفائدة « بالربح المركب » ، فيما يسمى بالمجموعة « أ » ، وإلى زيادة سعر « الفائدة » عن سعر « فائدة » الإيداعات العادية فيما يسمى بالمجموعة « ب » شريطة الا يسحب صاحب الشهادة قيمتها الأصلية قبل عشر سنوات ... فشهادات المجموعتين «أ» و « ب » ماهى إلا سندات « قروض » يمنح حاملها « فائدة » ربوية .

وهناك صورة ثالثة من صور هذه الشهادات هى المجموعة (ج) ، ويكون حافز إطالة أمد الدين هو الوعد باحتمال الحصول على مبلغ مالى كبير يطلق عليه « جائزة » .

إن إطلاق وصف « جوائز » على ما قد يحصل عليه حامل الشهادة ، وكون ما قد يحصل عليه هو مقابل إيداعه البنك قيمة الشهادة ، يخرج مبلغ « الجائزة » ابتداء من دائرة الهبة . فالهبة هى « ما يؤخذ عن رضا من غير عوض »[1] . فما يسمى « بجائزة » لا يمنح إلا تحت شروط منها :

- إيداع مبلغ مالى معين فى البنك .
- والحصول على شهادة ذات رقم .
- وعدم جواز سحب المبلغ المودع إلا بعد زمن معين .
- وضرورة بقاء قيمة الشهادة مودعا بالبنك حتى تاريخ السحب « الاستهام » على « الجوائز » .

كذلك فإن فرصة الحصول على « الجائزة » تتضاعف بتضاعف المبالغ التى يودعها الشخص مقابل شهادات ، وذلك تطبيقا لنظرية « الاحتمالات » .

والجائزة فى اللغة تعنى « العطاء »[2] ، وهو لفظ عام يخصصه العرف الذى يجعل « الجائزة » لا تكون إلا « مقابل عمل معين »[3] . ويزيد الدكتور السنهورى هذا الأمر

---

(١) إحياء علوم الدين ـ باب اصناف الحلال ومداخله ، ص ٨١٩ .

(٢) مختار الصِّحاح ـ جوز ـ (اجازه ـ جائزة) سنية اى بعطاء .

(٣) م ١٦٢/ ١ من القانون المدنى .

وضوحا بشرح ما جرى عليه العرف أن : « الجائزة » تكون : « لمن يعثر على شيء ضائع ، أو يدلى بمعلومات معينة تؤدى إلى الكشف عن جريمة ، أو لمن يضع أحسن بحث فى موضوع معين ، أو أفضل رسم هندسى لبناء معين[٤] .

ولما كان « المعروف عرفا كالمشروط شرطا » كما يقول فقهاء الشريعة الإسلامية فشرط الحصول على جائزة ، غائب عن هذا النوع من المعاملات .

فالمبالغ التى توزع ليست « هبات » ، ولا هى « جوائز » . ولا تسرى عليها أحكام هذه ولا تلك .

فإذا ما حاولنا الوقوف على نية كل من حامل « الشهادة » والبنك ، لوجدنا النيات واضحة لا يخفيها أى من الطرفين : فصاحب « الشهادة » ما أودع ماله بهذه الطريقة إلا بنية الحصول على مبلغ كبير من المال يفوق قيمة الشهادة أضعافا كثيرة .

والبنك ما أخذ المال المودع إلا ليقرضه « بفائدة » ، ثم يخصص جزءا مما يعود عليه من هذه « الفائدة الربوية » ليوزعه « بالقرعة » باستخدام « الحاسبات الآلية » .

يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث المشهور الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ... » رواه الشيخان .

وينحصر الدور المعقد للحاسب الآلى فى عمليتين :

الأولى : يقرر ما إذا كانت الشهادة « تحصل على جائزة » أو « لا تحصل على جائزة » .

والثانية : يحدد ترتيب من يقع سهم الاختيار فى جانبه فيحصل الأول على أكبر مبلغ ، والثانى على المبلغ الأقل ... وهكذا ، لذا يطلق علماء الاقتصاد على هذه المبالغ « جوائز اليانصيب[٥] » ..

هذه الطريقة هى عين ماورد فى القرآن الكريم بمسمى « الأزلام » وحرمه الله تعالى فى قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ .... ﴾ الآية ٣ من سورة المائدة . وفى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الآية ٩٠ من سورة المائدة .

فشهادات الاستثمار المجموعة (جـ) هى فى حقيقتها « سندات قروض » تستخدم المبالغ المدفوعة فيها فى عملية إقراض بفائدة « ربوية » ، وتوزع على بعض حامليها مبالغ مالية تحدد بطريقة « الاستقسام بالأزلام » ، فاستحقاق المال فيها لا يتوقف على سعى أو إنتاج أو مجهود من أى نوع ، وصاحب الشهادة يعيش سنوات جريا وراء سراب ، ووهم ، وأمل كاذب فى أن تهبط عليه ثروة ، فإن لم يحصل عليها ، وهذا هو الغالب الأعم ، فهو لم ينمّ ماله ، وتركه وقد هبطت قوته الشرائية ، وهو مطالب ـ شرعا ـ بأن يدفع عنه الزكاة بعد الحول إن كان مجموع أمواله بالغا النصاب ... ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ←

(٤) الدكتور السنهورى ـ الوسيط فى شرح القانون المدنى . جـ ١ فقرة ٩١٣ .

(٥) أ . د . عاطف صدقى ـ أ . د محمد الرزاز ـ الوجيز فى المالية العامة ص ٢٦٥ .

من خير مانشر

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ . . .﴾ (النساء ٢٩) .

لواء ا . ح د . فوزى محمد طايل .

حلمات

للأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

كنت من اكثر الناس حديثا عن سلبيات مجانية التعليم ...

وللأسف الشديد عرفت اخيرا أن هناك مصروفات أو رسوما أو سمها ما شئت ، يدفعها القادرون والفقراء لمدارس الحكومة التى يقال : إنها تعلّم أبناء الناس بالمجان وترهق الميزانية ، علمت أخيرا جداً أن التلميذ فى المدرسة الإعدادية يدفع حوالى ثلاثين جنيها كرسوم إجبارية ، ومع كل هذا ، وبعيدا عن اهتمامات الناس الحقيقية شغلت صحفنا اليومية والأسبوعية والشهرية ، صفحاتها فى الأسابيع الأخيرة بحادثين فنيين طغت أخبارهما على كل الأخبار والتعليقات والمقالات والتحقيقات ، المسرح التجريبى ومهرجان الأسكندرية السينمائى . وشارك فى ذلك التليفزيون والإذاعة هل تعيش وسائل الإعلام فى وادٍ ويعيش الشعب فى وادٍ آخر ؟ أم أننى إنسان متخلف ؟

عن جريدة « الأخبار »

من ثقب الباب

للأستاذ : كامل زهيرى .

كشفت حرب العراق وإيران عن حركة تنقلات عجيبة بين شركات بيع السلاح ، وبعد أن كانت فرنسا تبيع لإيران أصبحت تبيع للعراق وبعد أن كانت بريطانيا تبيع للعراق انتقلت لإيران ، وهناك دول عديدة باعت للفريقين فى وقت واحد . وكانت أمريكا تقدم المعلومات بالأقمار الصناعية عن مواقع إيرانية للعراق وتقدم لإيران الأسلحة كما كشفت فضيحة الكونترا .

وتاجر الموت ـ كما يقول برنارد‌شو ـ لا يهمه من الذى يموت ولكن يهمه الذى يدفع .

عن جريدة الجمهورية

العلوية . بقية

وكما نرى فإن عبد المطلب يمهد بتصوير على فى شبابه الأول ، كي نراه فى رجولته أهلاً للعظائم التى حققها ، واشتهر بها ، وصارت علماً عليه ، ويبدو الشاعر ملتزماً بالترتيب التاريخي لحياة أمير المؤمنين على حين يتناول ملامح حياته وشخصيته ، فبعد أن عشنا معه مرحلة الشباب الأول ، نجده يتقدم مع خطوات الزمن في تاريخ علي ، فيصف ليلة الهجرة .. ثم أيامه بالمدينة ، وشجاعته فى الغزوات ، ولكنه لا يلتزم الترتيب التاريخي باطراد ، فيعود إلى الحديث عن علي فى السلم ليتكلم عن قلبه ونفسه ووجهه وجوده وقيامه بالليل فى لقطات لا تربطها روابط شعرية بأحداث الغزوات وغيرها .. وإن بدت هذه الخصال الذاتية نوعاً من الاستراحة بين فترتين من حياته .. فترة حياته كجندي من جنود الإسلام ، وفترة حياته كقائد لدولة الإسلام ، وفي كل الأحوال فإن الشاعر يفيض في الحديث ، ويغدق في خلع الصفات على الجندي والإمام ، والمسلم العادي الذى لايحارب ولا يحكم .

وسوف نكتفى بالوقوف عند لقطات دالة على هذه المراحل الثلاث من خلال « العلوية » لنكتشف كيف عبر الشاعر عن ملامح الإمام ، وأسلوبه الشعري في صياغة هذه الملامح .

ـ يتبـع ـ

أنباء وآراء

إعداد: عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد

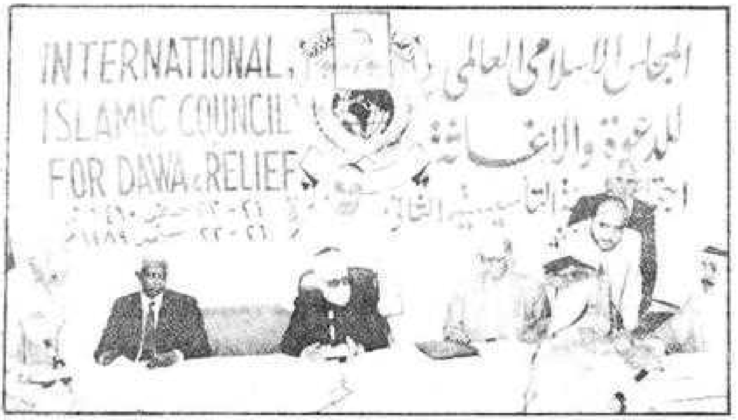

إحدى جلسات المؤتمر يرأسها فضيلة الإمام الأكبر وعن يمينه المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس وعن يساره السيد كامل الشريف أمين عام المجلس .

المجلس العالمى الثانى للدعوة والإغاثة يناقش :

- **تصحيح صورة المسلمين لدى أمريكا وأوروبا من خلال كتب إسلامية**
- **الإعلام الإسلامى ودوره موضوع ندوة تعقد فى العراق**
- **شيخ الأزهر يطالب المسلمين بضرورة توحيد صفوفهم**
- **إنشاء أجهزة للدعم ومركز للمعلومات بمكة المكرمة**

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الاجتماع الثانى للمجلس العالمى الإسلامى للدعوة والإغاثة الذى عقد بالقاهرة ، وطالب فضيلته فى كلمته المسلمين فى شتى أنحاء العالم بتكثيف الجهود لتصحيح المفاهيم الإسلامية ، بخاصة بعد تلك التيارات المضللة التى لحقت بالإسلام والمسلمين . وأكد فضيلته ـ فى كلمته ـ أن الأزهر الشريف يشعر بما تعانى منه الشعوب الإسلامية خاصة تلك الشعوب التى تعرضت للكوارث .

وأكد شيخ الأزهر على تعاون الأزهر الشريف مع مختلف الهيئات الإسلامية .

● أكد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس والأمين العام لمنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم : أن الأمة الإسلامية فى حاجة إلى تجميع جهودها ومواجهة أعداء الإسلام بالتنسيق فيما بينها وأكد (سوار

←

أنباء وآراء

الذهب) في كلمته أن المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة يمثل للمسلمين أملا كبيرا في تغيير نظرتهم للغد فسوف يكون الواقع افضل في ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة ودعا المسلمين إلى ضرورة تكوين الدعم المادى والمعنوى للمجلس حتى يمكن أن يؤدى دوره في مجال الدعوة والإغاثة .

● طالب علماء المسلمين - خلال المؤتمر - بضرورة تجميع الجهود لتصحيح مفاهيم الفكر الإسلامي ودعم الشعوب الإسلامية وإغاثتها ، تلك الشعوب التي تعاني من الكوارث ، كذلك اكد علماء المسلمين خلال المؤتمر على ضرورة دعم الأقليات المسلمة ومواجهة الحملات التي تستهدف عقيدة المسلمين .

كما اكد علماء المسلمين على انه تم إنشاء جهازين لتقديم المساعدات للمسلمين وهما صندوق التضامن وصندوق الأقليات .

كذلك تم إنشاء مركز للمعلومات في مكة المكرمة بمقر رابطة العالم الإسلامي .

ومن ناحية أخرى فقد وجه السيد أحمد الفاين الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الشكر لمصر حكومة وشعبا على دورها الرائد لدعم المنظمة الدائم ، وأكد في كلمته أن لجنة النشر والإعلام أعدت سلسلة من الكتب للتعريف بالإسلام سوف تصدر قريباً .

وفي الجلسة الثانية للمجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة تم الاتفاق على تنظيم ندوة عالمية عن الإعلام الإسلامي سوف تعقد قريباً في بغداد بهدف إعداد الأسس لزيادة تدفق المعلومات بين الدول الإسلامية وتوجيه صورة سليمة عن المسلمين كما ناقش علماء المسلمين المشاركون في المؤتمر إمكانية إصدار سلسلة من الكتب الإسلامية بعدة لغات اوروبية لمخاطبة الرأى العام في دول غرب أوروبا وأمريكا لتصحيح صورة الإسلام .

● تمت الموافقة على اقتراح لجنة النشر والإعلام بضرورة متابعة ما ينشر عن الإسلام والمسلمين في الغرب ومواجهة الحملات التي تريد النيل من الإسلام .

● استعرض السيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الاتصالات التي قام بها المجلس خلال العام الأول من تأسيسه خاصة في مجال رعاية الاقليات .

● شاركت في أعمال المجلس أكثر من أربعين مؤسسة إسلامية وممثلين عن السعودية والكويت والعراق وقطر والإمارات والبحرين والأردن والمغرب وليبيا والسودان .

● قرر ريتشارد فون فايتسكر رئيس جمهورية المانيا الغربية أثناء إلقائه محاضرة للطلاب في جامعة المانية بأن القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الوحيد الذى فسر علم الأجنة بعد أن عجز عن تفسيره العلماء في العالم .

● ينظم المكتب التنفيذى للجمعية المغربية للتضامن الإسلامي مسابقة علمية حول العالم الحافظ المحدث الإمام مالك بن انس ، وذلك بمناسبة مرور ١٢٣٠ سنة على وفاته .

وتهدف الجمعية من تنظيمها لهذه المسابقة إلى إبراز مقدار ما حظيت به الدراسات الإسلامية في مجال علم الحديث وروايته ، وما قدمه الإمام مالك من جهود في هذا المجال العلمي الدقيق .

٣٠ الف مسلم بسنغافورة يتكلمون اللغة العربية

● بدأت جمعية الدعوة الإسلامية في سنغافورة تنفيذ برنامج مكثف لتعليم اللغة العربية

للمسلمين حتى يتمكنوا من فهم معانى القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد انتظم فى هذه الدراسة ٣٠٠ ألف مسلم .

● قررت هيئة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة عقد ندوة إعلامية ببغداد بالعراق لبحث ومتابعة ما ينشر عن الإسلام فى دول الغرب والرد على الأفكار الهدامة التى تحركها التيارات المعادية للإسلام .

آيــات مقدســة

● أصدر الباحث الهندى (ماجد خان) كتابا يرد فيه على كتاب (آيات شيطانية) لسلمان رشدى البريطانى الجنسية الهندى الأصل ، ويتناول الكتاب الذى يحمل عنوان (آيات مقدسة) بسطاً لمبادىء الدين الإسلامى وأسسه مناقشاً فيه مفتريات سلمان رشدى وأكاذيبه .

اول مدرسة للائمة فى روسيا.

● افتتحت فى مدينة (اوفا) بجمهورية روسيا الاتحادية اول مدرسة إسلامية لتخريج الأئمة والدعاة .

وذكر الشيخ نافع الله مدير المدرسة ان الطلاب يتعلمون فى المدرسة أ صول ترتيل القرآن الكريم والفقه الإسلامى والخط العربى والكوفى وأسس الطب واللغتين العربية والانجليزية وغيرها من العلوم الأخرى .

● ذكرت صحيفة (نيويورك تايمز) أن مدن نيويورك وشيكاغو وديترويت تعتبر مراكز المسلمين الكبيرة بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأشارت الصحيفة إلى أن عدد المساجد والمراكز الإسلامية فى تزايد . إذ يوجد (١١٢) مسجدا فى هذه المدن الثلاث ، منها ٧١ مسجداً فى نيويورك وحدها .

● ذكر وزير الأوقاف والشئون الدينية بسلطنة بروناى انه سيتم قريباً إنشاء «المعهد العالى للدراسات الإسلامية» بشرق آسيا وستكون سلطنة بروناى مقرا لهذا المعهد الذى سيقدم خدماته فى مجال التعليم الإسلامى وتخريج «كوادر» لخدمة الدعوة الإسلامية فى هذه المنطقة .

الفتاوى - بقية

الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب ، فلنتأدب بأدب علمائنا الأجلاء ، ولنترك التعصب فعاقبته وخيمة وقبول الطاعات مرهون على الإخلاص فيها ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

ومادام هناك اتفاق على الأصول فلا ضرر فى الخلاف فى الفروع وهو رحمة وتيسير على الأمة ، والله الموفق .

الشراء بالنقد والتقسيط معا

جـ ٦ : اشترى رجل سلعة نقدا ودفع بعض الثمن وطلب من البائع أن يؤجل باقى الثمن على اقساط مع الزيادة فما الحكم ؟

س ٦ : يجوز للبائع أن يحدد للسلعة سعرا بالنقد حالا . وسعرا للبيع إلى أجل بزيادة فى الثمن .

وعلى المشترى أن يلتزم بأحد البيعين . ـ المعجل أو المؤجل ـ ابتداء عندما يقع عقد البيع .

فإذا اشترى سلعة معجلة ، وبعد أن دفع بعض الثمن ، أراد أن يؤجل الباقى مع الزيادة فهذا حرام .

الفهــرس

- الافتتاحية : هل لقارىء أن يشاركنا النظر .. ؟!
د . على الخطيب ١٩٣

- نعم .. وا .. أزهراه «الأزهر الحاضر والمستقبل»
للشيخ جاد الحق على جاد الحق «شيخ الأزهر» ١٩٥

- المولد النبوى والإعجاز القرآنى
د . محمد عبدالمنعم القيعى ٢٠١

- من روائع المخطوطات فى البشريات بالمصطفى ﷺ
«كتاب خير البشر لخير البشر»
للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى القرنى ٢٠٢

- إدارة الرسول ﷺ للصراع فى شبه الجزيرة العربية
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ٢٠٨

- الربا حول مقالين
د . عبدالرحمن تاج ٢١٥

- الربا فى القانون الإسلامى
د . محمد عبدالله دراز ٢٢٢

- المعاملات المصرفية بين الحلال والحرام
للأستاذ أحمد أمين فؤاد ٢٢٨

- شهادات الاستثمار (أ ، ب)
فى ضوء حقائق الفقه الإسلامى
د . أحمد فهمى أبو سنة ٢٣٤

- ما وراء فوائد البنوك
لواء أ.ح د/ فوزى محمد طايل ٢٣٨

- الطبرى إمام المؤرخين
أ . د عبدالعزيز غنيم ٢٤٣

- الفتـــاوى
للأستاذ على حامد عبدالرحيم ٢٤٩

الشعر والشعراء
إشراف د. حسن جاد

- فى روضة المصطفى ﷺ
شعر/ إسماعيل يحيى ٢٥٢

- العنويه
د . حلمى محمد القاعود ٢٥٣

- من أعلام الأزهر (العالم الدكتور أحمد السيد الكومى)
إعداد : ناصر محمود رهدان ٢٥٩

العلوم الكونية

- حرارة الجو .. إلى أين ؟
أ . د أحمد فؤاد باشا ٢٦٨

- اريتريا ومشاكلها
للأستاذ ماهر زكريا الشيمى ٢٧٢

- طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٧٦

- من روائع الماضى بمجلة الأزهر
«المحبة وأنواعها وبعض آثارها الجليلة»
للشيخ يوسف الدجوى
إعداد وتقديم عبدالفتاح الزيات ٢٧٨

اللغة والأدب والنقد

- كتاب الوحوش عن الأصمعى (رحمه الله)
تحقيق الأستاذ أيمن محمد ميدان ٢٨٤

- الدراما .. إلى أين ؟!
للأستاذ عاطف شحاتة زهران ٢٩٠

- اللغة والنحو فى مقدمة ابن خلدون
للأستاذ عبدالستار عبداللطيف أحمد سعيد ٢٩٤

- من خير ما نشر
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٣٠٢

- أنباء وآراء
للأستاذ صفوت عبدالجواد
للأستاذ عبدالمنعم فودة ٣٠٥

القسم الانجليزى
إشراف د. أنس النجار

- المقالة الثانية
للأستاذ لطفى على سلطان ٣١٣

- المقالة الأولى
د . أنس النجار ٣١٨

Many a modern man is in search of a religion that will satisfy both his heart and intellect, and will at the same time offer solutions to the complicated economic, social and political problems which face mankind at present, and will certainly confront the coming generations. Islam deserves the earnest consideration of all such seekers after truth and light. For, Islam is not a religion in the common meaning of the word, confining its scope to the private life of man. It is a complete way of life, catering to all the fields of human existence.

Islam differs from other religions in as much as it forms a considerable part of our daily life, and by it are regulated almost all detials of our homes and families and other businesses. It is the religion of common sense. It is the most practical faith and the one most calculated to solve the world's perplexing problems and prescribe remedies for its maladies, and bring to humanity peace, contentment and happiness. It is the religion of mankind, of all times climes. Its message is for the entire human race.

Of all religions, Islam is by far the most rational, for it demands nothing of man that cannot be brought to agree with the human intellect. It asks us not to take anything for granted, but to use our own minds to discriminate between the right and the wrong, and exhorts us to seek knowledge and discover the laws of nature. Unlike any other religion, it wants to keep itself in consonance with the progress of learning and thought. it is universal in its outlook and approach.

Islam provides guidance for all walks of life : individual and social, material and moral, economic and political, legal and cultural, national and international. It enjoins man to follow Allah's guidance in all fields of life.

creation of heavens ad earth, the sun, the moon and the stars, the rivers; the seas, and the mountains. The amazing order, purposefulness and wisdom prevailing the universe reflected in the faultless operation of laws of nature, all of which point out to the fact that this universe is not a product of mere chance but the design and result of the Divine Will. Divine Universal Intelligence, and Divine Knowledge and Purpose.

But the human intellect which can recognize Reality and reach Truth must indeed be pure, not one burdened by animal lust and base desire. The danger from the present day civilization to mankind is not that it has set the human mind free in its search after truth. On the contrary, the danger arises from the fact that it has crippled the human mind by placing it under the dead-weight of animal passions.

All entertainments, are mostly of low grade art, of shows and dances which are directed at body passions. Bookstalls are full of pornographic literature. Movies, are full of erotic scenes and portrayals of carnal relationships. And to reap the harvest of all this, fullest opportunity for mixing has been provided to members of both the sexes. In this atmosphere, charged with sensual passions, it has become well nigh impossible for a large number of human beings to exercise their intellect with freedom or to respond to their inner voice - the voice of their true honest nature. However, amidst this turbulent disintegration of human values, the voice of reason and conscience finds a positive response in the hearts of those in quest of the Truth. Such people have the insight and vision that helps them see the inner rottenness of the present - day civilization despite its lustrous exterior.

Such people have the true human nature of values, peace of mind and chastity of the soul. It is only in discovering and attuning itself to Reality that human soul can find real peace and contentment. Islam is indeed a practical religion which aims at establishing an equilibrium between the two aspects of life: the material and the spiritual. It holds that everything in the world is for man, but man himself is for the Creator, the Almighty Lord: his mission in life is to fulfill Allah's Will. Islamic teachings cater for the spiritual as well as the temporal needs of man. It enjoins man to purify his soul and also to reform the mundane life, individual and collective, and to establish right over might, and virtue over vice. Thus, Islam stands for the middle path, where real human values dominate the actions and intentions of mankind.

Admitedly one perceives that contemporary progress in the world has to its credit a good many solid impressive achievements: it operates on a very high level of energy and efficiency; it has been able to yoke the forces of nature to the service of man in an astounding manner. All these are, indeed, great achievements, however, they raise a number of serious questions in the objective thinking mind. Has this modern civilization really been able to put man on the road to his self-fulfillment ? Has it really succeeded in enabling man to achieve the real goal of his existence ? Has it been able to provide the contentment, peace, bliss and happiness for which human soul has thirsted throughout the ages ? Has it really been able to lift up mankind from exploitation and the plane of animal existence ? Has it succeeded in the enrichment, refinement and ennoblement of man's life on earth ? Has it achieved the basic elements for peace and love among mankind; has it established an efficient system of social equality security and human rights ? It is really regrettable that quite a number of people are taken in by the glamour and artificial sheen of the modern materialistic civilization. Some are so overwhelmingly impressed that they look upon this false civilization as the apogee of man's creative achievement. That is why they have been robbed of inner faith and spiritual sensation. They have, in fact, developed an attitude of blind adoration for evereything materialistic. Therefore, anything in their own way of life that appears to be out of tune with the precepts or practices of spurious civilization, is thoughtlessly brushed aside as old-fashioned and inapplicable to modern concepts.

Some of these people dimiss all religions, and Divine Doctrines as unsuited to the requirements of the present age, the age of "reason". For, religion, in the opinion of these new-fangled intellectuals, is nothing but a bundle of irrational dogmas and superstitions. Little do they care to pause for a while and reflect that even if their statement could apply to other religions and ideologies, it certainly could not apply to Islam. Islamic doctrines founded on rational principles, and expects man not to take anything for granted, but use reasoning to discriminate between right and wrong and what is basically correct.

Indeed, the revolution brought about by the Prophet of Islam is the history of knowledge and unique and singular in its context. It is only required from mankind to excercise rational thought. For, if man does that without crippling his mind with prejudice, he is bound, with the help and guidance of Allah, to discover the Reality which manifests itself. Everything in the universe around us; in the alternation of days and nights, in the

Islam stands, not for life-denial, but for life-fulfillment. It holds that spiritual elevation is to be attained by living piously in the rough and tumble of life, and not by renouncing the world.

Islam is simple rational and practical without any mythology. Its teachings are simple and intelligible, free from supersitions and irrational beliefs. Unity of Allah Messengership of Muhammad; and the concept of life-after-death, are the basic articles of Islamic faith. All the Islamic teachings follow from these basic beliefs. There is no hierarchy on the path, no abstractions, no complicated rites and rituals. Everybody is to directly approach the Glorious Qur'an, the Book of Allah and implement its dictates into practice.

Islam is a practical religion which does not indulge in empty and futile theorisings. It states that faith is not a mere profession of beliefs; it is the very mainspring of life. Righteous conduct must follow belief in Allah. Religion is belief to be lived; and not an object of mere lip-praise and lip-service. The Prophet of Islam Said: "Allah does not accept belief if it is not expressed in deed; and does not accept deed if it does not conform to belief.

Islamic doctrines have proved the superior middle path between two extremes, one sidedness of many a religion and ideology. Some have laid emphasis on the spiritual side of life but have ignored the material and mundane side. They have looked upon the world as an illusion, a deception and a trap. On the other hand, materialistic ideologies have totally ignored the spiritual and moral side of life and have dubbed it as fictious and imaginary. But these attitudes have spelled disaster. They have robbed mankind of social tranquillity and individual peace. Even today the unbalance is very manifest.

Christianity, in its contemporary erred on one extreme; Modern materialistic Civilization has erred on the other. According to Lord Snell: "We have built a nobly proportioned outer structure, but we have neglected the essential requirement of an inner order; we have carefully designed, decorated and made clean the outside of the cup, but the inside was full of extortion and excess; we used our increased knowledge and power to administer the comforts of the body, but we left the spirit impoverished.

ISLAM : A REFUGE FOR MANKIND

BY : Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed. M.A.

Throughout history of mankind, the human soul has always, through its inherent nature of purity, seeked a system of values by which mankind can code and regulate his life and that of human progeny. Divine scriptures revealed to Apostles and Prophets eversince the time of Adam, have always gained the coherent belief and faith of those who search for Truth and Reality. Through the developmental phases of human mental development and understanding; Divine Doctrines have been revealed to suit human abilities and requirements. The ultimate growth of human understanding and social complexity, necessitated an equally optimal integrated comprehensive system of belief, that would meet with all the complex interwoven patterns of human society and life. A system of belief that would integrate within itself in complete harmony, both the spiritual and material life of mankind.

This Divine System of Doctrines was revealed in the Holy Quran, the scripture of the Muslim Faith. The Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him) was the Messenger of the Divine Message, and his Traditions and Hadith are practical demonstrations and interpretations of the Text of the Holy Quran.

One of the unique features of Islam is that it does not divide life into compartments of matter and spirit. It regards life as a unity and does not admit any separation between material and moral, mundane and spiritual life; and enjoins man to devote all his energies to the construction of life on healthy foundations. It teaches mankind that moral and material powers must be welded together; that spiritual salvation can be achieved by using the material resources for the prosperity and welfare of man. Islam does not believe in total asceticism. It does not ask man to avoid things - material. Allah, Glory be to Him, censures those who refuse to enjoy His bounteis. The Glorious Qur'an states: "Say (to them O Muhammad): Who has forbidden the beautiful gifts of Allah, which He has produced for His subjects and those things clean and pure which He has provided for sustenance". (Surat Al'Araf, VII, 32).

closer to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This closeness energized and harnessed the piety in the character of the man. Abu Bakre Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab were the disciple attendants subservient the needs of the Prophet. This nearness to the Prophet also gained Omar with a deep rooted perceptive justification of the fundamental doctrines of Islamic Theism; and enabled him to built up a coherent infrastructure of knowledge of jurisdication and jurisprudence. All the inner channels of mental and psychological functions, inertia of thought, accumulation and utilization of knowledge, were all highly geared to the service of Islam and Muslims; nothing in the life of Omar ibn Al-Khattab had a higher priority than that ideal. At the very depths of his inner constitution, the man's most gratifying purpose in life was to be instrumental in the service of Islam.

Omar ibn Al-Khattab was certainly the second man after Abu Bakre in his closeness to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Bakre was older, more prudent, more experienced and much earlier in Islam than Omar ibn Al-Khattab. There was absolutely no competition between the two men. Omar realized very well the rank of Abu Bakre and his place from the Prophet, and Muslims. Omar considered Abu Bakre with great esteem, and looked up to him for tuition, edification and enlightment in matters that were obscure. Abu Bakre was by far the closest man to the Prophet; accompanied him during Hijrah, and lead the Muslims in Prayer during the Prophets illness.

Omar ibn Al-Khattab remained in the shadow of events, his most yearning desire was to serve Islam and Muslims, and to die a martyr in the cause of Allah to gain the paradise of the Hereafter.

conceded only to avoid an open issue of disagreement with the Prophet. Omar also crtainly realized in time that Prophetic action was always associated with Divine Inspiration and Providence. This incidence, however, marks the stability of personality, the uncompromising foot-hold in conformity to Truth and Rightness.

Omar decalred his personal opinion regarding intoxicating drinks, and gambling; both of which were popular in tribal Arab life. Omar always wished that the Divine Revelation dictates a final statement regarding those issues. The Divine Revelation finally came to address all believers to abstain from intoxicants and gambling. "O ye who believe! Intoxicants and gambling, dedication of stones, and divination by arrows; are an abomination of Satan's handiwork. Eschew such (abomination) that ye may prosper. Satan's plan is to excite enmity and hatred between you with intoxicants and gambling; and hinder you from the remembrance of Allah, and from prayer: Will ye not then abstain?" Surat Al-Maidah, V, 90 - 91). In several other instances of Omar's life with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the Holy Revelation confirmed and stipulated an opinion or a wish that Omar had previously declared. Examples of such instances are authentically documented in the literature.

The attitude of Omar ibn Al-Khattab when news spread that the Prophet had died was a unique example of how Omar's love to the Prophet which blinded his mind to accept the Prophet's death. His mind simply refused to accept the fact. This temporary mental block was suddenly cleared and straightened by the famous words of Abu Bakre Al-Siddiq. "He who has worshipped Muhammad, Muhammad is mortal and has died; and He who has worshipped Allah, Allah is Immortal and is Everlastingly Omniscient". These words immediately restored the proper angle of perception and understanding to Omar's mind. There was no time lag, no delay, no hesitation. There was an instantaneous complete submission to the Reality and complete truth.

Omar ibn Al-Khattab is epitomized as the guiding spirit of the true Islamic conceptualization. If Abu Bakre Al-Siddiq stipulated the foundations of the Islamic Doctrinal practice after those of the Prophet; Omar has archestrated the integral rhythm of that practice, and put down the definition by which such practice was measured. He fully instituted the exact doctrines of the Holy Quran, and thoroughly implemented the Sunnah of the Prophet.

The mental aptitudes of Omar ibn Al Khattab, his life style, conduct, self discipline in rightness, and genuine cognitive understanding of Islamic theology; brought him

recognized its legislations, preceived the wisdom, admitted its miracle, lived the teachings, and absorbed the elements of Muslim Doctrinism in perpetual graduation of schooling through his companionship to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar completed learning the whole Quran during the Prophet's life, and for that distinction, Omar became very conversant with the intricate profundity of the Divine Revelation. Like Abu Bakre Al-Siddiq and many other companions, Omar ibn Al-Khattab was very close to the Prophet, all were intimate disciples and proteges of Prophethood. Each man with his own inherent personality and mental constructivism assembled a conglomerate understanding of Islam and its Divine conservation that made him excell in a channel of life.

The developmental structural built up of Omar ibn Al-Khattab during the years of companionship to the Prophet culminated into an exemplar norm of wisdom, sagacity of thought, and acme of knowledge. The man became a unique example of a devoted Muslim assimilating the profuse magnanimous bountiful knowledge that was granted by the Prophet to his companions.

At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab took active part in all the activities of the growing Muslim group and their organization. He remained with Abu Bakre Al-Siddiq very close companions to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).Omar shared in the building of the Masjid, and the homes of Muslim families. He developed an opinion in every issue that concerned the life of Muslims. Several of these opinions were later confirmed by Divine Revelations, indicating the true honest pure nature of the man, his extrasensory perception, foreknowledge and clairvoyance. He took part in the formulation of the Adhan "the call for prayers", which was accepted by the Prophet.

Omar had a special opinion regarding the war prisoners from the great battle of Badre, contrary to the opinion of the Prophet and Abu Bakre. The Holy Revelation later on stipulated the opinion of Omar. Omar participated with the Prophet in all confrontations against hostile groups in which the Prophet took part; he was always very close to the Prophet, shielding him against danger.

During negotiations that took place at Al-Hudaybiah between the Prophet and the pagans of the Quraysh; Omar ibn Al Khattab was against the terms of the negotiations, and felt that the Muslim cause was undermined, and that Islamic pride and dignity were degraded. Omar faced the Prophet with his opinion, discussed the matter with Abu Bakre; and finally

perform Muslim rituals of Worship in public. This claim of right of worship soon developed into a continuous display of Mulsim presence; a matter that certianly was very disagreeable to the pagans of the Quraysh. This was the start of overt hostility on the part of the Quraysh against the Muslims. For three years, the Quraysh staged a war of social segreggation and abnegation of all Muslims. During those years, Muslims lived in conditions of extreme oppression and distress; the only link to life and existance was their unfailing faith and true belief. During those years of dire afflication and bitter anguish, Omar ibn Al-Khattab was very close to the Prophet. His strength of endurance and solidity in patience supported many to survive the tribulation of that period of torment and grief.

Then came the Divine sanction for emigration to Yathrib (Al-Madinah). Islam had gained followers and supporters in Yathrib; and Muslims in Mecca were instructed by the Prophet to emigrate north to Yathrib. Omar ibn Al-Khattab like other Muslims left Macca secretly with several friends and members of his family. His emigration came on much later than other Muslims. Omar reached Qubaa, awaited the arrival of the Prophet and Abu Bakre and accompanied their procession into Yathrib (Al-Madinah). At Al-Madinah, there was a totally new life for the Muslim Community.

During the seven years that passed from the time Omar ibn Al-Khattab confessed into Islam, to the time of his emigration; Islamic teachings and culture had given so much to the built up, and formulative differentiation of Omar's personality, perception, candidness, and the inertia of his natural instinct. Omar fully recognized the essentials of the Message of Islam, the purpose of creation, the existance of mankind, the belief in knowledge, faith in the Transcendant Divine Being. The whole interwoven structure of the matrix of Belief became completely integrated into the mind of the man; the mind that had previously metabolized the essentials of knowledge, and formulated the building bricks of rational conceptualization. During those years, Omar was very close to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); and this facilitated the rapid accumulation of knowledge of the roots and essentials of Islamic thought. His whole mental and spiritual functions became molten and reshaped to embody the finest tune of Muslim Theism. The whole integratd personality of the man became totally assimilated into a unidirectional flow of body, mind and spirit; bearing the true knowledge, of rationalization and inertia of thought.

Omar was exposed to the Holy Revelation since the early years. He learned the Quran, understood the meanings,

OMAR IBN AL-KHATTAB

« The Companion »

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The Islam of Omar ibn Al-Khattab was not a surprise to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), or to the few companions around the Prophet at the time. They all Knew that the Prophet had supplicated to Allah to bless Islam with either one of two men; Omar ibn Al-Khattab or Amre ibn Hisham, for their position among the ranks of the Quraysh. It was the Divine Choice that drove Omar ibn Al- Khattab to embrace Islam, and become cognizant of the Transcendant Reality of the Creator; to achieve understanding belief in the Revelation of the Holy Quran, and Messengership of Muhammad as the Prophet of Islam. Amre ibn Hisham, later known as (Abu Jahle), died as a pagan in the Great Battle of Badre.

The most popular chronicle stated that Omar ibn Al-Khattab accepted Islam at the age of twenty six, during the month of Zu Al-Hijjah of the sixth year of the Revelation. The number of Muslims at the time according to the most accepted estimates were twenty two women, and fourty five men. The news of the Islam of Omar spread very quickly amidst the various ranks of the tribes of the Quraysh. It was a very important event indeed both for the pagan society in Macca, and also to the small Muslim group around the Prophet' strictly adherent to the new Faith of Islam. To this very small minority group, the Islam of a man as Omar ibn Al-Khattab was a very great asset and benefit.

Omar ibn Al-Khattab was strong and firm in whatever he believed. He was adamant in Right, and demanding in identity. He convinced the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that Muslims should take their rightful position around the holy shrine of the Kabaah. For the first time, Muslims marched in parade with the Prophet in the middle, Hamzah ibn Abdel Mutaleb and Omar ibn Al-Khattab at the front. They walked into the courtyard of the Kabaah, took their positions and for the first time made their prayers in public, with the pagans of the Quraysh looking on. Omar was determined to oppose the pagans of the Quraysh to justify the rightful presence of Muslims in the precincts of the Kaabah; and to

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART III

RABIE AL AWAL 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Companion"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam: A Refuge for Mankind

By: Loutfi Ali Soultan.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الجزء الرابع
السنة الثانية والستون
ربيع الآخر ١٤١٠ هـ
نوفمبر ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أين المبادئ ؟!

تبصرة للقارئ بما يحيطه من أحداث ، أو بما يَشْغَل المجتمع من آراء ، أو بما يقتضيه العصر من إعلام ـ أجمعت المدارس الصحفية على بضعة أمور هى ـ فى مجملها ـ تؤكد نزاهة الصحفى وشرف صحيفته إن أراد لنفسه شرفا ، وأراد لها سموا .

وما هذه الأمور التى تجعل القارئ على وعى وبصيرة بمجتمعه بل بالعالم ـ إلا :

« الدراسة الواعية للحدث » ، وذلك باستقصاء معرفته من مصادره الأولية .

ثم « الموضوعية التامة فى العرض » مع الأمانة والنزاهة والحياد التام إزاء الموضوع .

←

أين المبادىء

ثم « الصياغة الطيبة بالعبارة الصحفية المباشرة » فيجد القارىء بين يديه زاداً من الخبرة النظيفة التامة التى تحترم إنسانيته وتقدر عقله ، فإذا مداركه مهيمنة على الأحداث من خلال « وجبة » فكريه جيدة لاغش فيها ولا جهل ، وليس من خلال « مصيدة » يظن كاتبها أن باستطاعته أن يخدر عقل القارىء ويسرق وعيه فيؤمن بما يريد من فكر سقيم الروح غريب الدار ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم ﴾ .

والله ـ تعالى ـ يجمع لنا كل ذلك وأكثر فى عبارة غاية فى الإيجاز ، ولاحاجة فيها إلى تفسير ، فيقول : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ .

ولينظر قارىء مايقتضيه العدل من دراسة وموضوعية وأمانة وحياد ، وغير ذلك

لقد طرحت قضية « أعمال البنوك » على المجتمع طلبا لمعرفة أحكام « الشرع الإسلامى » فيها ، واشتغلت بها الصحافة والصحفيون ، فإذا « أقلام » صحفية ـ وهى قليلة والحمد لله ـ تخوض فى هذا الموضوع لا عن دراسة له ، ولا عن رجوع لمصادره ، أو تخصص فيه ، ومع أنها فقدت هذه الأسس انطلقت تفتى بأن « أعمال البنوك حلال كلها » لا ربا فيها ، لأنها نظام عالمى ، ولأن « أرزاق المشايخ من البنوك » ولأنها « سياسة مالية ضرورية » .. الخ ، فإذا بها تلتمس فى قضية « الحلال والحرام » ما لا يحل حلالا ، أو يحرم حراما ، ثم هوت إلى حضيض مسف فصبت شتائمها على العلماء .. وهكذا .

﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ .

والله الذى يعلم خائنة الأعين ، وماتخفى الصدور ، ويقضى بالحق أقرانا وأسمعنا كلمات اقتصاديين مارسوا تدريس مادة الاقتصاد ربع قرن بينوا ما فى « أعمال البنوك » من « ربا » .. لم يصدروا فى ذلك عن أحكام شرعية ، وإنما كتبوا من واقع طبيعة أعمال البنوك ومسارها ، فالتقى « واقعهم » بحكم الشرع فيها ، وليت لأولئك الذين أرادوا أن يقحموا « الحلال » قهرا على أعمال البنوك ـ علْم أولئك الاقتصاديين فضلا عن أن يخنعوا للحلال والحرام على ما عليه كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّاهُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

د. على أحمد الخطيب

بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولدت أُمَّةٌ وقامت دولة

● في يوم من أيام شهر ربيع الأول كتب الله له خلود الذكر ، كانت ولادة طفل ليس له مثيل في الأطفال من قبل ومن بعد ، وقد كانت قافلة الحياة الإنسانية في بيئته جزيرة العرب جائرة عن القصد ، ضلت بها السبل ، وكان العالم الإنساني أجمع يعاني عوامل البلى ، فالوثنية تهلك الروح ، والجهالة توثق العقل بقيود لافكاك منها ، المادية ترهق الجسد وتكاد تمحقه ، وكانت ولايات الحكم من حول جزيرة العرب قد غلب على أهلها الفسوق والعصيان والانغماس في الترف ، ونفر آخر من الحكام تلبستهم الخيانة والطمع وكان عامة الناس آنئذ قد توزعتهم الأنانية وانتابتهم دوافع الهمجية ونوازعها ، وكانت جزيرة العرب تحتوى شعباً اعتصم بالصحراء من هذا الفساد الطاغي والباغي ، نبيل الفطرة ، مازال يعيش على سجاياه المرسلة ، تتلاحق فيه الغزوات والمدافعة ، حتى صارت له تقاليد وعادات هى بمثابة القوانين الحاكمة .

تلك كانت حال الإنسانية يوم ولد محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة بأرض هذه الجزيرة العربية التى اختارها الله موئلاً لرسوله ولرسالته التى بها يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

نعم : كان العالم الإنسانى حين ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعانى تفكك الأخلاق ، بل واندثارها ، وضياع المثل العليا ، وتحلل الرجولة ، فكان هذا المولود الذى يشهد له الوحى الذى تنزل عليه من الله سبحانه بالخلق العظيم ، وخضع له الناس لما انطبع عليه من كمال الصفات النوادر والرجولة الكاملة ، ولما حمل من دين الله الإسلام الذى يجمع إلى سعادة الدنيا نعيم وسعادة الأخرى .

وتلك حكمة الله وسنته إن كانت رسالات رسله عليهم السلام إنما تواجه بظهورها الفساد الذى عم وطم في العالم ، وأن تعالج بالدواء - الداء الذى استفحل فأطاح بكل جميل من الشيم والذمم والأخلاق ..

لقد ولد محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعرب قد انصرفوا إلى نزاع لا ينقطع وصراع لا يتوقف ، فلما حانت رسالته بعد إذ أعده الله ورباه قابلوها بالعناد ، ودافعوها بالكيد والعدوان ، فما وهنت عزيمته ولا لانت قناته ، وإنما واجه الأذى بالصبر ، والسفه بالحلم والغلظة بالرقة .

وهذا هو الخلق الذى أثنى به عليه القرآن فقال الله في وصفه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وبهذا الخلق انتصر هذا الوليد وحده على العرب ، فدخلوا في دين الله الإسلام أفواجا ،

←

بمولد الرسول ﷺ ولدت أمة

مبلغاً رسالة الله إليهم ، تالياً عليهم كتاب الله القرآن ، وبذلك الخلق وبهذا الكتاب ، وما حفظ العرب عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول وفعل وتقرير ، وبما نشاهم عليه من رجولة انتصر العرب من بعده على العالم ، وصارت لهم أمة الإسلام ودولة المسلمين .

الا فلينظر المسلمون أتباع هذا الوليد فى يوم ذكرى ولادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ماذا فى نفوسهم من دينه الإسلام ، وماذا فى أخلاقهم من خلقه ، وماذا فى سلوكهم من مأثوراته وماذا فى أيديهم من تراثه ؟

إنهم ـ إن لم يكابروا ـ سيجدون الدين أصبح رسماً فى نفوس الخاصة ، وأثرا مشوهاً لاقوام له ولا كيان فى نفوس العامة ، وأنهم افتقدوا أخلاق الإسلام التى هى أخلاق هذا الوليد يوم تخلوا عن الحرية التى اكتسبوها ، وأضاعوا الدولة الإسلامية يوم أن تمكنت منهم الأنانية فانقسموا على أنفسهم يتقاتلون على السلطة ويتجاحدون الأمانات ، وقد أصبح تراثهم نهباً فى أيدى شذاذ الشعوب بينما هم يتغنون بماض عجزوا عن أن يكون لهم حاضر مثله ، وأنى لهم ذلك ، وقد انحسروا عن تعاليم الإسلام عقيدة وشريعة وتعلقوا بأذناب الآخرين الذين اتخذوا المادة إلهاً من دون الله فضلوا وأضلوا .

فى ذكرى ميلاد نبي الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغى أن يراجع المسلمون ـ شعوباً وحكومات ـ موقفهم من دينهم الإسلام ، ليفيقوا من هذا النوم ، وليخففوا عن القدر اللوم فإن الله سبحانه عدل لا يظلم الناس مثقال ذرة ، وليعلموا أن من قتل فى نفسه الطموح ورضى أن يكون فى الحياة ظلاً وتبعاً لغيره ، صار كالأثر الذى احتبس فى المتحف ، يستدل به الناس على مُلك قد باد وأمة قد انقرضت ، بعد أن ضيعت الدين وتغافلت عن حماية الوطن وأهله حتى استلبه الآخرون ، وصارت شعوبها ـ الإسلامية ـ فى مقعد الخوالف تتحسر على المجد المفقود وتتعلل بكواذب الأمانى ، وأحلام اليقظة .

إن ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكرى انطلاق الإنسانية من أسر الأوهام إلى حقيقة الإيمان ، فما أجدر النفوس الذاكرة فى هذه الأمة أن تخشع إجلالاً لذكرى ميلاد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الداعى إلى التوحيد والوحدة ، وداعية السلام والوئام والأخوة بين بنى الإنسان .

وماأخلق القادة والمصلحين فى هذه الأمة أن يقرأوا من جديد سيرة وسنة هذا المولود الذى مَنَّ الله به على البشرية ، هادياً وبشيراً وأن يتخذوا من القرآن الكريم ومن هذه السنة والسيرة منهجاً وسبيلاً إلى المجد المؤثل الذى افتقدوه وإلى العزة والمنعة ووحدة الكلمة التى تخلوا عنها أو تخلت عنهم بعد أن ابتأست مما كانوا يصنعون .

فى ذكرى ميلاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغى على المسلمين أن يُجمعوا أمرهم ويعرضوا حالهم على كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن يستقيموا على أخلاق صاحب الذكرى فقد كان صادق الوعد ، وفياً بالعهد ، وبالعقد ، أميناً على رسالته وعلى أمته ، شجاعاً بلغ الرسالة وجمع الأمة على كلمة الله ، وربى صحبه على أخلاقه ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وماستكانوا ، بل جددوا العزم والعزائم ، فعلوا على كل خطب ، وانتصروا على الصعاب وعلى الكثرة وهم قلة فى

العدد والعدة ، ولكنهم كثير بالإيمان وبالإخلاص لدين الله والقصد إلى إقامته عامرة به قلوبهم ، مرتفعة به هاماتهم .

لتكن هذه الذكرى تذكرة للمسلمين بأن رسالة الإسلام خاتمة رسالات الله ، ينبغى أن تصان عن العبث ، وأن تقود المجتمع وتسود ربوعه فى كل شئون الحياة وان يكون كل مسلم ومسلمة حارساً أميناً عليها يؤمن بها وينفذ أحكامها ، ولا يلتفت عنها إلى غيرها فى سره وعلانيته وسلوكه وعبادته ومعاملته مع الآخرين ، وأن يعلمها اهله وبنيه ، حتى يقوم بناء هذه الأمة من جديد قوياً على الأسس التى اقامها عليها الله ، وحتى تستمر رسالة هذا النبى التى رسمت الطريق لإسعاد الناس : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

هذا الصراط المستقيم قد حمل المسلمين مسئولية إقامة المجتمع الصالح فكان الواحد منهم رجلاً أو امراة مسئولاً عن عمله وسلوكه وأخلاقه ، ومسئولاً عمن فى ولايته من أهل وولد : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ .

ينبغى أن يكون الاحتفاء بذكرى ميلاد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يناسبه من إجلال وتكريم ومراجعة لأقواله وأفعاله وأخلاقه لتقتدى به فى الدين والدنيا ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ .

لتكن ذكرى ميلاد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إيماناً بما نقل إلينا من معجزات اظهرها الله على يديه تأييداً لدعوته دون مراء أو جدال مادامت قد ثبتت رواية ودراية ، إذ ماأفاء الله به على رسوله من المعجزات بالنسبة لنا ولمن يأتى بعدنا غيب لم نشهده ، يجب أن نذعن له ، وعلى هؤلاء الذين يلحون على الجدال والمراء فى تلك المعجزات الحسية لمجرد أن عقولهم لم تستوعبها أن يكفوا وأن يتفهموا أن الله قد اختص هذا النبى الأمين بالكثير من المعجزات واخلدها القرآن .

وان الذين يمارون فى معجزاته ، ويتجراون على التحريف والتأويل الفاسد لأحكام شريعته ، عليهم أن يعلموا أن مثلهم كمثل من وصفهم الله فى القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ . فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . .

فى ذكرى مولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسرنى باسم الأزهر طلابه وعلماءه وجميع العاملين به وباسمى .. أن أقدم التهنئة بهذه الذكرى لكافة شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها ولأصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء .. وأدعو الله أن يعيد هذه المناسبة والأمة فى أوج عزها وقوتها موحدة الكلمة .. وقد تخلصت من همومها وتحققت أمالها فى الرخاء مشمولة بفضل الله بالسعادة وبالحسنى وزيادة .

فى ذكرى مولد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذكر سماحته وتواضعه للناس ورفقه ورحمته بالضعفاء .. وصدق الله ربه الذى اصطفاه حيث وصفه فقال : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . . صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً . . .

شيخ الأزهر

د جاد الحق على جاد الحق

بشارة الإيمان والعمل الصالح

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى من سورة البقرة : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ..

بعد أن حذَّر الله بقوله السابق ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ ثم أوعد بقوله ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ عطف فأمر بالبشارة .

ومن سنن القرآن إذا أمر ونهى أردف ذلك بالوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً لحث الإنسان على الخير ومنعه من الشر .

وهناك معرفتان : معرفة بالأشياء وهى مولدة لصورها . ومعرفة بالعلاقات وهى مولدة للمفاهيم والمعانى .

والعلاقة هنا علاقة عطف ولابد فيها من جهة جامعة كما تقول : حضر فلان وفلان ، فالجهة الجامعة هى الحضور ، كما أن الجهة الجامعة لهذه الآية وماقبلها هى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه .

ولنا فى القرآن الكريم مجال للتعلم من مفرداته وأسلوبه ومراعاة الحال . فلكل مقام مقال . ولكل عمل رجال . والمنازل على قدر النازل ، لا على قدر المنازل . والسؤال يجاب عنه مع مراعاة حال السائل ، وليس دقائق المسائل .

فلما كان فى الآيتين السابقتين تحد بالقرآن وإعجاز بأسلوبه ناسب أن يحذر ويخوف . ثم فتح المجال لمن هو مستعد لقبول الخير .

وهكذا يذكر الخائف بغفران الله ورحمته . ويخوف العاصى بشدة عقاب الله وقدرته فإن وضع الحديث فى غير موضعه ضاعت قيمته .. والتبعة على من وضعه فى غير موضعه .

أما « البشارة » فهى ما يظهر بها السرور على الجوارح . وتختلف عن « الإخبار » فى أن الإخبار نقل الكلام إلى سامعه ، فإذا قال الإنسان أُعْطِى مالا لمن بشرنى لا يستحقه إلا الأول وإذا قال : لمن أخبرنى . استحقه كل من أخبره .

وبدء هذه الجملة بالبشارة تعليم للدعاة كيف يكتسبون قلوب الناس . فيأيها الدعاة للإسلام الخالد ، العام المرن . كسروا قيثارتكم التى

لا توقع إلا نغمة واحدة بغيضة تبعث على اليأس ، واستبدلوا بها قيثارة ذات ألحان صنعها طب بأدواء النفوس عليم ، وأكثروا من ألحان تبعث الأمل ، وتدعو إلى العمل ، وتزيد الحياة قوة ، ولا تشهروا برذيلة إلا إذا أشدتم بفضيلة . ولا تسمعونا صوت المعاول إلا إذا أريتمونا حجر البناء .

والإيمان طاقة خلاقة وليس هو كلمات يرددها اللسان ويوصف به ناطقها . فذلك شأن إيمان المنافقين الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم . ولا يستطيع إنسان أن يعيش بغير عقيدة تكمل عقله ، وتغذى وجدانه ، وترقق شعوره ، وترهف حسه . وعقيدة الإسلام كفيلة بتوفير كل هذا لصاحبها .

وإن نحن حللنا كلمة « الإيمان » وجدناها شعباً كما جاء بها الحديث : « **أعلاها كلمة التوحيد ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** » ولعل فى هذا درساً للذين يحملون الإسلام على غير محمله الصحيح فيتوهمون أن النظافة تماد فى الخلاعة . ويتخذون المساجد مباءة لأقذارهم . وفى صحيح مسلم دلالة على أنه ﷺ أمر بإخراج من يؤذى المسلمين برائحته الكريهة ، أمر بإخراجه إلى البقيع .

والمساواة فى الإسلام هى فى كل أوامره ونواهيه . فمن أهمل شيئاً ليس له أن يتمسك بما يبنى عليه .

وفى أول باب من أبواب الفقه دعوة إلى وجوب الطهارة . وهى تعنى النظافة البدنية والقلبية معاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مثار لأفكار العلماء : أهو عطف تكميلى أم هو عطف الجزء على الكل . والخاص على العام . وأيا ما كانت الاحتمالات فى صلة العمل بالإيمان .

فإن المتفق عليه أن العمل الصالح وثيق الصلة بالإيمان الذى هو أصل العقيدة .

فأى عمل لا ينبثق عن الإيمان بمن يعمل من أجله فإنه هباء ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً ﴾ الفرقان ٢٣ .

وصالح العمل هو مايفيد صاحبه ، ويفيد غيره ، وبمقدار مايفيد العمل تتحدد رتبته فى الصالحات ، وخير الناس أنفعهم للناس . وقد مُنح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ماتقصر عن إدراكه القياس والدليل . وفى العقيدة الإسلامية مد خيوط بين العقل والقلب ، وبين الاثمار والاشجار وبين الواقع والحس ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ الغاشية ١٧ ـ ٢٠ .

وهذه الأدلة القرآنية أشد أثراً مما تنتجه أدلة الفلسفة والسفسطة .

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ إشارة إلى أن دار الثواب متعددة المنازل . وكل منزلة منها جنة ، تمتع النفوس . ونكر لفظ « جنات » لتنوعها ـ وعرف الأنهار ، لأن الألف واللام للعهد . ويشار بها إلى ما ذكر فى قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ . محمد ـ ١٥ .

ثم قال : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ . اعلم أن هذا الأسلوب يدل على شيئين : التكرار ، والدوام .

ومن الأولى ابتدائية . لأن ابتداء الرزق من الجنة . أما الثانية « من ثمرة » فبيانية

بشارة الإيمان

ولذائذ الجنة غير لذائذ الدنيا إذ فى الحقيقة أن اللذائذ فى الدنيا قليلة ولا شىء فيها أعظم من طاعة الله جل شأنه .

ولذائذ الدنيا إن وجدت فصاحبها مهدد بزوالها . وأليس عجيباً الا تكون لذة حتى يحدها الألم ، ولا راحة حتى يكتنفها عناءان ؟

أما لذة الجنة فمنها الحسية لتقريبها إلى الأذهان . ومنها المعنوية يشبهها - إلى حد ما - لذة الحكماء بحكمتهم . والرزق السابق فى الجنة يشبه الرزق اللاحق فيها ، وليس كما فى الدنيا كما يرى بعض المفسرين . إذ لاشبه بين الدنيا والجنة ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ وفى الدنيا :

الناس شتى فيعطى المقت صادقهم
عن الأمور ويحبى الكاذب الملق

أما فى الجنة فلا تعطى لذاتها إلا من هو أهل لها . نسأل الله أن نكون منهم والإنسان بأصغريه : قلبه ولسانه . وهل اللسان إلا حاكٍ بكىء لأحط حركات القلب وانفعالاته ؟ وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ والقلب مهبط الإيمان تصلح أوتاره فتفيض رحمة وشفقة وحباً وحناناً ، ومعانى لطافا وشعورا رقيقا . وتفسد أوتاره فينضح قسوة وسوءاً . فالقلب القلب إذ التقوى مستقرة فيه .

ولما كانت متعة الإنسان فى مأكله وبقاء نوعه قال : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ وكلمة الأزواج شاملة للجنسين . بتطهير من الله . وإعداد منه ، لا أن الطبيعة هى التى طهرت الجنسين . بل الله - بتفضله - طهر الجنسين من المعاصى والذنوب كما طهرهما من الأنجاس والأقذار .

تسأل بعضهن عن الحور العين . ومزاحمتهن لهن ، وينسين ، أو يتناسين الا غيرة فى الجنة كما كانت فى الدنيا دار البلاء والابتلاء . وأن الحب هو الذى يسود أهل الجنة فلا يحقد أحد على أحد . وإن تفاوتت فيها المنازل . فأليس خيراً لنا أن يحدونا إلى الخير الحب بدلاً من أن يسوقنا إليه الرعب .

قال : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ قد ينعم الإنسان بشىء ولكن ينغص عيشه قرب فنائه عنه ، أو زوال ذلك الشىء . فضمن الله لأهل الجنة البقاء والخلود الذى لا ينتهى . لذا اشتاق إليها من يطلبها وقال :

لئن بقيت حتى آكل ثمرات فى يدى . إنها لحياة طويلة ، واستشهد قائلاً : « فزت ورب الجنة » . هذه هى تعاليم الإسلام السمح الميسر . يأمر معتنقيه أن يستمتعوا بما امتن الله عليهم من نعم فى الدنيا . وفى الوقت نفسه يلقنهم أن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

قالت عائشة « كلنا يكره الموت . فقال لها : إذا كشف الله الحجب رأى العبد مصيره ، فأحب أو كره ، فيحبه الله أو يكرهه ، وعندما سئل ﷺ عن الساعة ؟ قال للسائل عنها : وماذا أعددت لها ؟ . فتباً لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة .

لا تعجبن من هالك كيف ثوى
بل فاعجبن من سالم كيف نجا

وقد تكون فى غفوة الموت أحلام أجمل من كل ما فى صحوة الحياة وأن العواطف إذا ما فارت ، والأفكار إذا ماثارت ، ضاقت دونها القوالب المحدودة . وغصت بها المجارى المألوفة .

ومادام المعيار الأخلاقى فى الدنيا مزدوجاً من السر والعلانية تحتم أن يسود الحياة نفاق يوجد الهوة السحيقة بين القول والعمل . ولنحذر جميعاً قول الله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

دعابة النبى

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ: عبد الجواد محمد الخضرى *

الدُعابة بالضم اسم لما يستملح من المزاح ، ودعب الرجل إذا مزح ويقال : « المؤمن دعب لعب ، والمنافق عبس قطب » ! وداعبه مداعبة .. ا هـ[1] .

ولا ريب أن الدعابة تزين المجالس بمتعة الحديث ، وتجعل القلوب متآلفة متصافية والأرواح متقاربة متزاوجة ، بيد انها تعبر عن طرافة صاحبها وسرعة بديهيته فى بيان لافت وأسلوب واضح ، وفوائدها جليلة من أهمها تجديد النشاط الحيوى وإزالة الانقباض النفسى ! وقد اختص الله العرب بها فهم أهل العقول الراجحة ، والأفئدة الناضجة ، واللغة الشاعرة التى تمكنهم من فن الكلم وتصريف الكلام حسبما تمليه الحال !!

وحين نتأمل هذا الجانب الإنسانى من حياة محمد ﷺ تطالعنا كتب السيرة بعشرات المواقف التى تبرز عظمة النبى الخاتم الذى اقترب من الناس كلهم فجالس الفقير ، وآثر المسكين ، وهش للصغير ، وبش للكبير ، وافترت أساريره للرضيع ! فضرب أروع الأمثلة فى الفكاهة بلا اسفاف أو تبذل !!

مع الأطفال

من نافلة القول أن النبى كان من أشد الناس تواضعاً ، وربما استوقفه الطفل ليسأل حاجته فيجيبه ويداعبه ، « عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : سمانى رسول الله يوسف ، وأقعدنى فى حجره ، ومسح على رأسى[2] ».

« لا غرو فتبسطه نابع من حبه للصِغار ـ بكسر الصاد ـ وإنك لواجد فى هذه الحادثة ما يؤكد ملاطفته لهم » .

عن أنس بن مالك قال : أرسلنى رسول الله ﷺ يوماً فى حاجته فقلت : والله لا أذهب ! وفى نفسى أنى ذاهب فخرجت على صبيان يلعبون فى السوق ، وإذا رسول الله قد قبض ثيابى من ورائى فنظرت إليه ، وهو يضحك فقال : يا أنيس اذهب حيث أمرتك فقلت : نعم يارسول الله[3] »

←

● الكاتب : مدرس أول بمدرسة شربين ـ التربية والتعليم .

(١) أبو القاسم الزمخشري (أساس البلاغة) ج ١ ص ٢٧١ ط دار الكتب ١٩٧٣ م .

(٢) إبراهيم البيجوري (المواهب اللدنية) ص ١٨٨ ط البهية ١٣٠٥ هـ .

(٣) برهان الحلبي (السيرة الحلبية) ج ٣ ص ٤٤٧ ط الحلبي (بدون)

دعابة النبي ﷺ

انظر إلى سماحة النبى مع خادمه المخطىء ، لقد أدخل على نفسه السرور برغم تباطئه فى قضاء الأمر وانصرافه إلى اللعب ، إن النبى الإنسان لم يعبس فى وجهه أو يوجه للطفل لوماً ، بل أدبه بالابتسامة اللطيفة حيث يشب الطفل على الحب !

ويروى أنه كان يصفُّ أبناء عمه العباس ويقول : من سبق إلىَّ فله كذا .. فيستبقون إليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم ، ويلتزمهم بوجه بَسّام ملؤه السرور والبهجة ! وهاهوذا يعطى درساً فى التربية ليعلمنا كيف نعامل الصبيان ؟

« ذات يوم أخذ بكتفى الحسين ، وقدماه على قدميه ﷺ قائلاً : « ترق .. ترق » فمايزال النبى يرددها حتى وضع قدميه على صدر جده فيقول له : افتح فاك فيفتحه ويقبله ﷺ وهو يقول : اللهم أحبه فإنى أحبه » .

ترى هل نتصور لتلك اللحظات السعيدة تعبيراً على الوجه أقل من ابتسام الثغر !! وربما اتخذت الابتسامة مع الطفل لونا حركيا آخر ليتجاوب فيستجيب له ويضحك للمرح .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان يدلع لسانه (أى يخرجه) على سبيل الدعابة للحسن بن على فيرى الصبى لسانه فيهش إليه « رواه أبو يعلى ويندب الترويح عن الأطفال ففى ذلك إنضاج للعقل ، وانشراح للصدر وإيناس للوحشة ، ولا بأس بإعطاء الطفل « دمية » يلعب بها ناهيك أن الرسول ﷺ كنى غلاماً صغيراً فقال له : ياأبا عمير ما فعل النغير ، وكان النغير طيراً يلعب به الصبى فمات فمازحه النبى إدخالاً للسرور عليه ، وينبغى أن نتودد إلى أطفالنا بالحديث المرح والدعابة الفكهة ، والقبلة الصافية ففيها دواء للجفاء وبلسم للغلظة !

مع النساء !!

المرأة مخلوق ضعيف بطبعه ، خلقها الله لتكون سكناً للرجل يأوى إليه ، ويتمتع به ، وللنساء أخلاق تحتاج إلى الحكمة فقد تضحك لاتفه الأسباب وتبكى لأهونها ، ومن وسائل التربية النبوية ، روح الدعابة إذ أن النبى ﷺ كان يروح عنهن بنكات خفيفة الظل ، سهلة المفهوم ، جاءت إليه عمته صفية بنت عبد المطلب فقالت : يارسول الله ادع الله لى أن يدخلنى الجنة فقال : إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت تبكى فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴾ ـ ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ سورة الواقعة ـ فضحكت المرأة من فكاهته !!

ثم جاءت سيدة أخرى إلى الهادى البشير وقالت : يارسول الله جئتك لتحملنى على بعير . فقال لها : لكنى سأحملك على ولد البعير ، وابتسم فاضطربت المرأة وقالت : يارسول الله ماذا أصنع بولد البعير ؟ إنه لا يستطيع حملى فضحك الرسول من فزعها ، وقال لها : وهل البعير إلا ولد الناقة والبعير ؟! رواه أبو داود .

وذات صباح أقبلت عليه إحدى نساء العرب قائلة : إن زوجى يدعوك . قال : « ياهذه ومن هو ؟ أهو الذى بعينه بياض ؟ قالت : والله ما بعينه بياض . فقال : بلى إن بعينيه بياضا . فقالت : لا والله ! فقال ﷺ « ما من أحد إلا وبعينيه بياض » وأراد به البياض المحيط بالحدقة [٥] .

وسئل عبد الله بن عباس : أكان رسول الله

---

(٤) نشأت المصري (النبي باسما) ص ٤٥ ط مكتبة القرآن ١٤٠٣ هـ .

(٥) أبو حامد الغزالى (إحياء علوم الدين) ج ٩ ص ١٥٧٤ ط الشعب ١٣٨٩ هـ .

يمزح ؟ فقال : نعم ! قالوا : فما كان مزاحه ؟ قال : كان مزاحه أنه كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها : « البسيه واحمدى وجرى منه ذيلاً كثوب العروس »!!

يقول حجة الإسلام : « فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه ﷺ لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل » .

ومع الرجال !

اختص الله نبيه بالرحمة التى تحوى المعانى السامية ليشمل المجتمع بعطفه فجاءت دعابته رافداً من ينابيع رأفته التى زانت مهابته،لذا كان مؤنسا للموحشين من صحابته ، واشتهر منهم « نعيمان الانصارى » الذى أطلق عليه

الأصحاب « مضحك الرسول » ولهطرائف عدة منها :

إنه كان لايدخل المدينة شيء يستحسن إلا اشتراه ثم يأتى به إلى رسول الله فيقول : هذه هدية لك فإذا طالبه البائع بالثمن صحبه إلى دار النبى قائلاً : أعطه الثمن فيجيبه أشرف الخلق : ألم تهده إلىّ ؟ فيقول : ليس عندى ، فيضحك الرسول ﷺ ومن معه ويدفع للبائع الثمن وربما تكرر الموقف مرات ومرات وفى كل مرة يبتسم النبى ولا يبدى ضيقا .

« وجاءه زاهر بن حرام الأشجعى يوماً وهو يبيع المتاع فى السوق فاحتضنه الرسول من خلفه فقال : ارسلنى .. من هذا ؟ فلما عرف أنه الرسول مكنه من ظهره ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : من يشترى العبد ؟ فقال يارسول الله تجدنى كاسداً ، فقال النبى : ولكنك عند الله غال(٦)

خاتمة

مهمة الدعابة تنحصر فى تفريج النفس ليتجدد النشاط ، والمزاح سُنَّة مادام خاضعا للمعيار المحمدى : « إنى لأمزح ولا أقول إلا حقا » رواه السيوطى . ويجب الالتزام بالقيم والوقار ، وقد استن الصحابة به فلم يكذبوا ولم يمزحوا إلا فى حدود الفضيلة ، وافترار الوجه يفتح نافذة القلب فيهفو إلى الكمال فهل من عودة إلى الفكاهة الصادقة حتى تمسح أحزاننا مثلما علمنا النبى الباسم صلوات الله وسلامه عليه اليوم وكل يوم وإلى يوم الدين .

عزيزي القارىء :

يسر مجلة الأزهر أن تقدم هديتها لعدد ربيع الآخر فى موضوع من موضوعات الساعة .. حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار فى الفقه الإسلامي » .

وسوف نواصل تقديم الأجزاء الباقية من كتاب « الانموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل » تباعاً بمشيئة الله ..

...... رئيس التحرير

(٦) برهان الحلبي (المرجع السابق) ج ٢ ص ١٤٤ .

رجل المهام

حذيفة بن اليمان

رضي الله عنه

للأستاذ/زكريا أحمد نور *

كان حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ من السابقين إلى الإسلام في المدينة ومن يوم ان اسلم اخذ ينهل من ادب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن اخلاقه السامية ، وكان له منهج فذّ في الاستفادة من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد ادرك حذيفة بثاقب فكره أن الخير يكاد يكون ظاهراً لكل الناس ظهور الشمس في رائعة النهار بينما الشر قد يخفى ويلتبس ويتلون ومن هنا اهتم حذيفة بالتعرف عليه بقول حذيفة بن حِسْل بن جابر بن عمرو العبسى « كان الناس يسالون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الخير وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني » ولعل هذا المنهج في الدراسة هو الذي يسر لحذيفة من بين أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معرفة الكثير من المنافقين .

حذيفة موضع سر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وموضع ثقة أصحابه

كان حذيفة ـ رضي الله عنه ـ موضع سر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنافقين،لم يعلم بهم أحد إلا حذيفة وبالتالي كان رضىَ الله عنه موضع ثقة أصحابه ـ رضى الله عنهم أجمعين ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ربما يستعين برأيه وأحواله في بعض الشئون . روى ابن الأثير في كتاب أسد الغابة « أن عمر ـ رضى الله عنه ـ كان إذا مات ميت سأل عن حذيفة فإذا حضر الصلاة عليه حضر عمر وإذا لم يحضر حذيفة لم يحضر عمر لأن حذيفة كان يعرف أسماء المنافقين ، اختصه بذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وروى ايضاً أن عمر سأل حذيفة يوماً : أفى عمالى أحد من المنافقين ؟ قال حذيفة نعم واحد . فقال عمر : من هو؟ قال حذيفة لا اذكره . قال حذيفة : فعرفه عمر كأنما دل عليه(١) .

حذيفة وهب حياته لدينه الذي احبه

عندما جاءت غزوة بدر الكبرى خرج حذيفة ـ رضى الله عنه ـ ليشترك فيها ولكنه لم يستطع ذلك ويوضح لنا حذيفة ـ رضى الله عنه ـ السبب فيقول : « ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت أنا وأبي وأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمداً فقلنا : ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتيناه فأخبرناه الخبر فقال عليه السلام : « انصرفا نَفِى بعهدهم ونستعينُ الله عليه » وإذا كان حذيفة قد فاته الاشتراك في غزوة بدر وفاء بعهد أجبره الكفار عليه ، ووفى لهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ به ، ثم لم يتخلف ـ رضى الله عنه ـ

* الكاتب واعظ أسيوط .

(١) أسد الغابة جـ ١ ص ٦٩١ وما بعدها .

بعد ذلك عن غزوة من غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - واستمر يجاهد بعد وفاته - عليه السلام .

حذيفة رضى الله عنه في غزوة الاحزاب

شهد حذيفة - رضى الله عنه - غزوة الأحزاب وكان له فيها موقف يدل على بطولة وفدائية فذة وعلى حبه للرسول - صلى الله عليه وسلم - وامتثاله امره ففي أخريات ايام الحصار الذي ضربته أحزاب الكفر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين في المدينة سمع الرسول - عليه السلام - هرجاً ومرجاً في معسكر الأعداء فأراد أن يتعرف الخبر ، كان الليل مظلماً رهيباً وكان البرد شديداً قارساً وكانت الريح عاصفة عاتية وكان الجوع المضني قد بلغ مبلغاً عظيماً بين الصحابة المحاصرين وعندما قال - عليه الصلاة والسلام [الا رجل يأتينى بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة] سكت المسلمون ولم يجبه احد لإحساسهم بوطأة الجوع والبرد والإظلام الرهيب والريح العاصفة ثم لعظم خطر المهمة التي يريدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويريد أن يكلها إلى من يجيبه فقد كان عليه أن يذهب إلى معسكر الأعداء ويتسلل داخله ويتعرف الخبر « وأعاد الرسول قوله ثلاث مرات وكل ذلك يسكت المسلمون ولا يجيبون » ولم يجد الرسول - عليه الصلاة والسلام - بدا من أن يختار بنفسه فاختار الرسول - عليه الصلاة والسلام - حذيفة فكان هو رجل الاستطلاع الأول . قال عليه السلام : « قم ياحذيفة فائتنا بخبر القوم »(٢) .

يقول حذيفة : فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال - عليه الصلاة والسلام - اذهب فائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ [يعني لا تفزعهم] يقول حذيفة فلما وليت من عنده جعلت كأنما امشي في حمام « في حر » حتى اتيتهم .

الفدائي البطل في معسكر الأعداء

دخل حذيفة - رضى الله عنه - معسكر الأعداء ونتركه يقص علينا ما حدث ، يقول - رضى الله عنه : رأيت ابا سفيان يصلى ظهره بالنار « يدفئه » ، والريحُ وجنود(٣) الله تفعل بالقوم ما تفعل لا تقر لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان : فقال : يا معشر قريش ، لينظر كل منكم : مَنْ جليسه ؟ يقول حذيفة - رضى الله عنه - فأخذت بيد الرجل الذي كان جنبي وقلت له : من انت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان وهكذا امن البطل بعبقريته وجُودَهُ بين جيش الأعداء ، ثم استانف أبو سفيان كلامه قائلًا : .يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . يقول حذيفة فوضعت سهما في كبد قوسى وأردت أن أرميه فذكرت قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « لا تذعرهم عليّ » ولو رميته لأصبته فرجعت وانا امشي في مثل الحمام فلما اتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبرته بخبر القوم وفرغت قَرِرْتُ « بردت » فألبسني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال - عليه الصلاة والسلام - : قم يانومان(٤) .

حذيفة المقاتل في عهد عمر بن الخطاب

في السنة الحادية والعشرين من الهجرة وقعت موقعة (نهاوند) فأسند عمر بن الخطاب قيادة الجيش إلى القائد العظيم النعمان بن مقرن وكان حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - في هذا

(٢) سيرة ابن كثير جـ٣ ص ٢١٩ وما بعدها .

(٣) المقصود بها هنا ما تقدمت الإشارة إليه من الإظلام الرهيب والبرد .. الخ .

(٤) سيرة ابن كثير جـ٣ ص ٢١٩ وما بعدها .

حذيفه بن اليمان

الجيش هو وابن عمر وجرير بن عبدالله البجلى والمغيرة بن شعبة وغيرهم من عظماء الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – وعبأ النعمان جيشه : وكانوا ثلاثين ألفا فجعل على مقدمة الجيش : نعيم بن مقرن وعلى مجنبتيه : حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى الجرد القعقاع بن عمرو وعلى الساقة مجاشع بن مسعود . ثم نشب القتال بين المسلمين والفرس فاقتتلوا يوم الأربعاء والخميس والحرب بينهما سجال ، ثم ما لبث الفرس أن دخلوا خنادقهم متحصنين بها فأقام عليهم المسلمون محاصرين لهم حتى إذا كان يوم جمعة من الجمع ، خرج الفرس مقاتلين فركب النعمان فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يحرضهم ويذكرهم ويمنيهم الظفر ، وقال لهم : إني مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت الثالثة ، فإني حامل فاحملوا فإن قُتلت فالأمير بعدي حذيفة بن اليمان ثم دارت رحى الحرب كأشد ما تكون ، وأقسى ما تكون وما كان يسمع إلا وقع الحديد وصبر لهم المسلمون صبرا عظيما حتى انهزم الأعاجم ولكن النعمان القائد العظيم المظفر ذهب شهيداً في أرض المعركة استجابة من الله – عز وجل لدعاء دعا به النعمان ، فتقدم أخوه نعيم الذي كان على المقدمة فسجاه بثوب ثم أخذ الراية وناولها إلى البطل المغوار حذيفة بن اليمان فأخذها وتقدم إلى موضع القيادة الذي كان به النعمان واستمر القتال حتى انهزم المشركون هزيمة ساحقة وأرسل حذيفة بغنائم هذه المعركة إلى عمر – رضى الله عنه – ليخمسها[٥] .

حذيفة رضى الله عنه في عهد عثمان بن عفان

في سنة ثلاثين من الهجرة وفي خلافة (عثمان بن عفان) – رضى الله عنه – كان حذيفة بن اليمان يجاهد في الميدان الشرقي لفتح فارس ، وحينما صرف من غزوة « الرى » إلى غزوة « الباب » على رأس فيلق من المسلمين مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة – رضى الله عنه – خرج معه سعيد بن العاص على رأس فيلق آخر ليكون ردءاً للفاتحين ، ولما بلغا (أذربيجان) أقام سعيد ومضى حذيفة حتى أنهى مهمته وعادا معا .

حذيفة بن اليمان « وكتابة القرآن » كتاب الله عز وجل

بعد فتح (أذربيجان) وفي أثناء عودة البطل الهمام حذيفة مع رفيق كفاحه سعيد بن العاص – رضى الله عنه – قال حذيفة : لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً ، لئن ترك الناس يا سعيد ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبدا !!

فقال له سعيد : وماذاك ؟ قال حذيفة : رأيت أناسا من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد ، ورأيت أناسا من أهل دمشق يقولون : إن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على ابن مسعود ، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبي موسى ، ويسمون مصحفه لباب القلوب !

ولما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك كله وحذرهم مما يخاف منه – فوافقه أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكثير من التابعين .. فقال له أصحاب ابن مسعود : بِمَ تنكر ؟ ألسنا نقرؤه على قراءة ابن مسعود ؟

(٥) الكامل لابن الأثير جـ٣ ص ٢ – ٧ .

فغضب حذيفة وقال لهم : إنما أنتم أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ ووالله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشين عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك ، فأغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام وتفرق الناس ، وغضب حذيفة وسار من فوره إلى عثمان - رضى الله عنه - وأخبره بالذي رأى وقال : أنا النذير العريان فأدركوا هذه الأمة ؟؟ فأرسل عثمان من فوره كذلك إلى حفصة بنت عمر أم المؤمنين - رضى الله عنها : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ، وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام ابي بكر - رضى الله عنه ؛ فإن القتل لما كثر في الصحابة يوم اليمامة قال عمر لأبي بكر : إن القتل قد كثر وقد استحر بقُرّاء القرآن فأمر ابو بكر زيد بن ثابت فجمعه فكانت هذه عند ابي بكر ، ثم عند عمر ، ثم أخذتها حفصة رضى الله عنها لما توفى عمر فكانت عندها إلى أن أرسل إليها عثمان فأخذها منها وأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال لهم عثمان - رضى الله عنه : إذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا فلما نسخوا الصحف ردها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل افق بمصحف وحرق ما سوى ذلك وأمر الناس أن يعتمدوا على المصاحف التي أرسلها إليهم ويدعوا ما سوى ذلك .

فكل الناس قد عرف فضل هذا الفعل وهكذا كان حذيفة بن اليمان سبباً في هذا الجمع لكتاب الله عز وجل .

حذيفة حب رسول الله وحب اصحابه

كان حذيفة - رضى الله عنه - حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحب أصحابه - رضوان الله عليهم - فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يثق فيه ويوليه الأعمال المهمة لإخلاصه ووفائه ولشجاعته ، وكان صحابته - رضوان الله عليهم - يحبونه ويثقون فيه كذلك فنجد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يوليه أعمالاً مهمة لما يتمتع به من ثقة روى محمد بن سيرين رضى الله عنه قال : كان عمر إذا استعمل عاملا كتب : « وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا » فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب إليهم : إني قد بعثت إليكم فلانا فأطيعوه فقالوا : هذا رجل له شأنه فركبوا ليتلقوه فلقوه على بغل تحته إكاف وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد فلم يعرفوه وأجازوه فلقيهم الناس فقالوا : أين الأمير !؟ فقالوا هو الذي لقيتم فركضوا في أثره فأدركوه وفي يد رغيف وفي الأخرى عرق وهو يأكل ؟؟ فسلموا عليه وقالوا له : سلنا ما شئت ! فقال لهم : أسألكم طعاما آكله وعَلَفَ حِماري ما دمت فيكم ؟ فقام فيهم مدة ثم كتب إليه عمر ليقدم عليه فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق ، فلما رآه على الحال التي خرج بها من عنده أتاه فالتزمه ، وقال له : أنت أخي وأنا أخوك[6] وليس أدل على المكانة الرفيعة التي كان يحتلها هذا الصحابي الجليل بين الصحابة من كلام عمر بن الخطاب عنه وذكره له بكل تبجيل واحترام ، روى ابن الأثير في أسد الغابة : أن عمر - رضى الله عنه - قال لأصحابه تمنوا فتمنوا ملء البيت الذي كانوا فيه مالا وجواهر لينفقوها في سبيل الله - عز وجل . فقال عمر - رضى الله عنه : لكنى أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فأستعملهم في طاعة الله عزوجل .

ثم بعث عمر - بمال إلى أبي عبيدة بن الجراح وقال : انظر ما يصنع فقسمه ابو عبيدة ثم بعث

البقية ص ٤٠٣

(٦) أسد الغابة جـ ١ ص ٣٩٢ وما بعدها - الكامل لابن الأثير جـ ٣ ص ٤٥ - ٤٦ . - صفوة الصفوة جـ ١ ص ٢٤٩ وما بعدها .

الربا حول مقالين

٢

لفضيلة الإمام الأكبر
عبد الرحمن تاج (رحمه الله)

اما عن النقطة الثانية الخاصة باشتراط جزء معين من الربح لصاحب المال في عقد المضاربة فنقول : إن شركات المضاربة والمزارعة والمساقاة كانت معهودة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد نقلت ككتب السنة ، وكتب التاريخ كثيراً من معاملات الناس ، في هذه الأبواب على ذلك العهد ؛ لكنها لم تنقل لنا واقعة واحدة من هذه المعاملات أقر فيها اشتراط أن يكون لصاحب المال ـ في المضاربة ، أو لصاحب الأرض ، أو الشجر في المزارعة والمساقاة ـ جزء معين غير نسبي من الربح أو الزرع والثمر .

ولو كان مثل هذا الاشتراط جائزاً شرعاً لحصل منهم ، ولو في حالات قليلة في هذه الأبواب جميعها أو في بعضها من غير أن ينكر ذلك عليهم من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو من علماء الصحابة وفقهائهم . لا بل قد ورد النهي صريحاً من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذا الاشتراط وهو ما أخرجه البخاري ومسلم عن رافع بن خديج قال : « كنا أكثر الأنصار حقلا فكنا نكرى الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه فنهانا عن ذلك ؛ فأما الورق فلم ينهنا » .

وفي لفظ للبخاري : « كنا أكثر أهل الأرض مزدرعا ؛ كنا نكرى الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض ، قال : فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض ، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك ، فنهينا ؛ فأما الذهب والورق فلم يكن يومئذ » .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي عن رافع أيضاً قال : « إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما على الماذيانات (مسايل الماء) وأقبال الجداول (أوائل المساقي والأنهار الصغيرة) وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، ولم يكن للناس كِرى إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ؛ فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس به » .

ورواه البخاري وأحمد والنسائي عن رافع قال : « حدثني عماى أنهما كانا يكريان الأرض على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما ينبت على الأربعاء (جمع ربيع وهو النهر الصغير) وبشيء يستثنيه صاحب الأرض ، قال فنهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك » .

وروى أحمد عن رافع « أن الناس كانوا يكرون المزارع في زمان النبي ـ صلى الله عليه

وسلم – بالماذيانات وما يسقى الربيع وشيء من التبن ، فكره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كرى المزارع بهذا ونهى عنه ».

ومن هذا يتبين أن اشتراط جزء معين من الخارج لصاحب الأرض في المزارعة لا يجوز ، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد نهى عنه لما يترتب عليه من الظلم وعدم العدل بين الشريكين : صاحب الأرض والعامل فيها ، لجواز ألا تخرج الأرض غير ما اشترطه الأول لنفسه فيضيع عمل العامل وجهده على حين ينتفع الشريك الآخر وحده . فأما كراء الأرض بالذهب أو الفضة أو بشيء غيرهما معلوم ومضمون في الذمة فلا شيء فيه .

هذا هو ما ثبت عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ورواه أئمة الحديث : البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي ، بألفاظ متحدة أو متقاربة ؛ ولا يسع الفقهاء من مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا أن يتبعوه ويقولوا به في المزارعة والمساقاة والمضاربة وسائر الشركات ؛ فإن اشتراط جزء معين من ربح ذلك وثمراته لأحد المتعاقدين قد يؤدي إلى المعنى الذي من أجله ورد النهي ؛ فإنه يخل بالمقصود من العقد وهو الاشتراك في النتائج والثمرات .

وإذا كان اشتراط جزء معين من الخارج لصاحب الأرض في المزارعة قد حظرته الشريعة ونهى عنه الرسول – صلى الله عليه وسلم – لما فيه من الظلم والغبن بأحد الشريكين المتعاقدين على الاشتراك في الربح والخسارة ، فلماذا يردُّ في وجه الأئمة الفقهاء قولهم بلزوم خلو العقد من ذلك الاشتراط الجائر الظالم وهم لم يقولوه إلا تطبيقاً للسنة الصحيحة وعملاً بما تدل عليه نصوصها الصريحة ؟

وكيف يسوغ من مطلع على نصوص الشريعة ومواردها أن يقول في اشتراط ربح محدود لرب المال في المضاربة : إنه جائز غير مخالف لكتاب ولا سنة وإن كان فيه مخالفة لأقوال الفقهاء ! أو لا يكفي النص على حظر ذلك الاشتراط ومنعه في المزارعة فيعلم أنه محظور ممنوع في المضاربة والمساقاة وغيرهما من فروع الشركات ؟ وهل من حسن الظن بالشريعة العادلة أن يقال : إنها تمنع من الظلم والجور في شركة المزارعة وتبيح ذلك في شركة القراض ؟

هذا إلى أن الإمام « مالك بن أنس » قد أثبت في الموطأ ما يفيد حصول الإجماع على أنه لا يجوز اشتراط جزء معين غير نسبي من الربح لصاحب المال في القراض ؛ فإنه « قال في رجل دفع إلى رجل مالاً قراضاً واشترط عليه فيه شيئاً من الربح خالصاً دون صاحبه ، فإن ذلك لا يصلح وإن كان درهماً واحداً إلا أن يشترط نصف الربح له ونصفه لصاحبه ، أوثلثه أو ربعه أو أقل من ذلك أو أكثر ؛ فإذا سمى شيئاً من ذلك قليلاً أو كثيراً ، فإن كل شيء سمى من ذلك حلال **وهو قراض المسلمين** . قال : ولكن إن اشترط أن له من الربح درهماً واحداً فما فوقه خالصاً له دون صاحبه وما بقي من الربح فهو بينهما نصفين ، فإن ذلك لا يصلح ، **وليس على ذلك قراض المسلمين** » اهـ .

ونظن أنه كان ينبغي التريث في الحكم فلا يهجم بغير بينة على الأئمة الفقهاء بما يمس مكانتهم في البحث والاجتهاد ، حتى على فرض أنه لم يعثر بادىء ذى بدء على تلك الأحاديث الصحيحة التي قدمناها . كان يجب قبل هذا الحكم الجرىء أن تدرس المسائل درساً مستوعباً كما كان يفعل أولئك الفقهاء الأعلام فيبحث في نصوص الشريعة عن كل ما يتصل بهذه المسائل وما ورد فيها من أمر أو نهي وقبول أو رد ويفهم ذلك كله فهماً واحداً يجمع أطرافها وتستخلص به النتائج الفقهية الصحيحة ؛ ثم لا يكون على الباحث المستوعب من حرج بعد ذلك إذا هو خَطَّأ

الربا حول مقالين

فقيها من الفقهاء أو خطأهم جميعاً برمية واحدة . وهذا ـ فيما نرى ـ هو أول ما يجب لحرية الرأي وحرية البحث والنقد ، وهو أهم أركان الاجتهاد لمن يرى أنه أهل للاجتهاد .

وننتقل بعد هذا إلى النظر فيما رأى الأستاذ خلاف أن يستكمل به البحث من الكلام على الربا وما ورد فيه من الآيات القرآنية والسنة النبوية وما قرره الفقهاء فيه من الأحكام :

قال الأستاذ إن الربا ذكر في القرآن في أربع سور : الروم والنساء وآل عمران والبقرة : ففي سورة الروم قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ ثم اتبع ذلك بآيات الربا من السور الثلاث الأخرى وقال بعد ذلك : أما آية الروم فهي مكية ، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنها ليست في بيان حكم الربا في المعاوضات ، وإنما هي في الهبات والعطيات والصدقات ... ويؤيد هذا مقابلة ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ﴾ بقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ويؤيده أيضاً استعمال لفظ ﴿ آتَيْتُم ﴾ والتعبير المعهود في القرآن :

﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ .
﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ .

قال : « ومن هذا يتبين أن هذه الآية المكية ليست في الربا والمعاوضات والبيوع وإنما هي في الهدايا والعطايا ، ولفظ الربا فيها مراد به معناه اللغوي أي الفضل » أ هـ .

ونحن هنا لا ننكر على الأستاذ خلاف ما نقله عن كثير من المفسرين أنهم يذهبون إلى أنه ليس المراد من الربا في هذه الآية ربا المعاوضات والبيوع ؛ لكنا نضيف إلى هذا أنه ذهب كثير من المفسرين أيضاً إلى أن المراد منه هو ذلك الربا نفسه . ولا يمنع من صحة هذا تفسير ما ردده الأستاذ خلاف من أن آية الروم مكية مشيراً به إلى أن الآيات المكية ليست آيات أحكام يبين فيها الحلال والحرام من الأعمال وإنما هي آيات نزلت بالعقائد وتثبيت قواعد الإسلام .

ونرى أنه من الإسراف في القول وعدم الدقة في الحكم أن يقال في الآيات المكية جميعها : إنها لا تعرض لبيان حلال أو حرام من الأفعال ، ولا تمس هذه الأحكام ولو على وجه الإجمال ، أو من طريق الإشارة والإيماء . والذي قرره العلماء في هذا الموطن هو الحكم على الكثير الغالب من الآيات المكية ؛ فهم يقولون : إن الطابع الغالب في الآيات المكية أنها لتقرير عقائد الإيمان ، كما أن الطابع الغالب على الآيات المدنية أنها لتشريع الأحكام العملية ، وهم لا يمنعون أن تدل بعض الآيات المكية على أحكام عملية ، كما لا يمنعون تعرض بعض الآيات المدنية لأصول العقائد وأركان الإسلام .

على أن آية الروم لم تنص على حكم الربا نصاً ، ولم تصرح بتحريمه ولا النهي عنه كما فعلت الآيات الأخرى من سورة البقرة أو آل عمران ؛ وإنما جاءت على أسلوب حكيم يعتبر تمهيداً لما يراد إثباته بعد للربا من التحريم القاطع ؛ وكل ما حملته الآية من وصف للربا أو حكم عليه هو أنه لا يزكو ولا ثواب فيه عند الله ؛ وهذا شيء من شأنه أن يضعف ـ إلى حد ما ـ نهم المرابين ، ويحملهم على التفكير في مصيرهم ونتيجة تعاملهم بالربا[1] ، ثم تجيء آيات الحظر

(١) راجع في هذا المقام تحليل استاذنا الدكتور دراز المنشور في عدد صفر ١٤١٠ هـ .

والمنع البات والوعيد والتهديد لتستأصل شأفة هذا النوع من التعامل، وهذه هي طبيعة التشريع الإسلامي وسنته في التدرج بالأحكام كما هو معلوم في اكثر أبواب هذا التشريع.

هذا وليت الأستاذ خلاف قد اقتصر في الكلام على آية الروم على ما ذكره أولئك المفسرون الذين اختار رأيهم في تفسيرها، فلم يضف إليه تلك المؤيدات التي بنى عليها حكمه الجازم بأن الربا في هذه الآية ليس هو ربا المعاوضات المحرم في الإسلام.

ليته اقتصر على ذلك ولم يأت بتلك الزيادات التي ينقضها عليه صريح القرآن؛ فهو يقرر أن مما يؤيد ذلك الرأي **مقابلة الربا بالزكاة** في قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾.

ونحن لا ندري كيف تكون هذه المقابلة دليلاً على أن الربا في الآية هو الربا اللغوي؛ ربا الهدايا والعطايا الحلال، وليس هو الربا الممنوع الذي يكون في البيوع والمعاوضات!!

وماذا يصنع في مقابلة مثل هذه جاءت في سورة البقرة المدنية، قوبل فيها الربا المحرم قطعاً بالصدقة التي هي بمعنى الزكاة؟ أليس يقول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾؟ فهل مع هذا تصلح تلك المقابلة التي استنبطها الأستاذ خلاف مؤيداً لما يقول ودليلاً يسند به كلام العلماء وأهل التفسير؟

ومن العجيب أن هذه الآية التي نقضت على الأستاذ خلاف مقابلته كانت من بين الآيات التي أحصى بها مواطن ذكر الربا في القرآن الكريم ونبه إلى أرقامها من سورة البقرة.

وهناك وجه ثان من التأييد الذي تطوع به الأستاذ خلاف عن العلماء وأهل التفسير؛ ذلك هو التعبير بلفظ ﴿آتَيْتُم﴾ في آية الروم وكيف هذا؟ يقول: إن المعهود في القرآن حين يتحدث عن الربا المحرم أن يعبر في جانبه بالأكل كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾.

وهذا أعجب وأغرب؛ فإن من الآيات التي أوردها بنصها آية النساء وهي لم يعبر فيها بالأكل مع أن الربا الذي تحدثت عنه هو الربا المحظور الممقوت عند الله؛ قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً. وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ ففي آية الروم تنفير من إعطاء الربا، وفي آية النساء نعي على أخذه وتنفير منه، وليس في هذه ولا تلك ما يقرره الأستاذ خلاف تقرير الجازم الواثق من أن القرآن لا يعبر في جانب الربا المحرم إلا بالأكل وجل من لا يغفل، سبحانه لا نحصي ثناء عليه.

الربا والوديعة المصرفية

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبوسنة

نريد بهذه الكلمة أن نبين معنى الربا الذى حرمه القرآن الكريم ، وأن نرد على دعاوى نشرت فى الصحف وجانبت الصواب ونبين موقع الربا من الوديعة المصرفية . كل ذلك فى ضوء حقائق الفقه وأدلته .

قال الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ « سورة البقرة آية ٢٧٥ » .

الربا قسمان : ربا الدين وربا البيع .

وقد أجمع العلماء على أن ربا الدين مراد بهذه الآية وهو الربا الذى كانت تعرفه العرب عند نزول هذه الآية : روى مالك فى الموطأ[1] عن زيد بن أسلم أنه قال :

كان الربا فى الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق إلى أجل فإذا حل الأجل قال أتقضى أم تربى ؟ فإن قضى أخذ وإلا زاده فى حقه وأخر عنه فى الأجل » .

يعنى أتقضى الدين أم تزيد فى الدين وأؤجل لك دينك ، قال : أبو عمر بن عبدالبر شارح الموطأ : ولا خلاف أن هذا هو الربا الذى حرمه الله تعالى ولم تعرف العرب من الربا إلا هذا النوع ، وهو الذى نزل به القرآن .

أما ربا البيع فهو محرم بالسنة ولا حاجة بنا إلى الكلام عنه ؛ لأنه خارج عن المعاملة فى المصارف .

وقد تدرج القرآن فى تحريم هذا النوع من الربا فزهد فيه فى سورة الروم : قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ﴾ « آية ٣٩ » ، يعنى ـ والله أعلم ـ وما أعطيتم من ربا ليزيد فى أموال الناس ، وإن كان زيادة ظاهرة فى المال لا يبارك الله فيه ، ثم نفَّر من الربا المضاعف الذى كان يقع كثيراً بين العرب بقوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ « آية ١٣٠ » ، ثم حرمه الله تحريماً قاطعاً بقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وآيات الربا فى سورة البقرة سبع من الآية ٢٧٥ إلى الآية ٢٨٢ ، بين الله فيها :

أن قليل الربا وكثيره حرام .

كما بين جزاء من تعامل به فى الدنيا والآخرة .

وربا الدين الذى كانت تعرفه العرب عند نزول آيات الربا والذى فهمه الفقهاء من آيات القرآن ،

---

(١) شرح الزرقانى للموطأ ـ جـ ٣ ـ ص ٣٢٤ .

هو زيادة على الدين فى مقابلة تأجيله زيادة قابلة للتضعيف عند عدم الوفاء به فى موعده .

فليس بشرط أن تكون الزيادة عند العجز عن الوفاء كما فهم بعض الكاتبين بل لا فرق بين أن تكون عند الاتفاق على القرض أو عند العجز عن الوفاء ، يدل على ذلك أمران : ـ

الأول : أن العرب كانوا يتعاملون بالقرض بفائدة كما كانوا يتعاملون بهذه الصورة التى رواها زيد بن أسلم ، كما روى ذلك أبو بكر الجصاص وغيره قال : الربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به [1] .

الثانى : أن الفقهاء قرروا أن المراد من السورة المروية هى الزيادة القابلة للتضعيف فى مقابلة الأجل بالقاعدة الأصولية المعروفة (بتنقيح المناط) وهو حذف الأمور التى لا مدخل لها فى علة الحكم فجوهر العلة (جعلهم الزيادة فى مقابلة التأجيل) سواء أكان من أول الأمر كالقرض المتعارف عليه اليوم أو كان ذلك عند العجز .

ويؤيد دخول القرض فى ربا الجاهلية قول الله تعالى فى آيات سورة البقرة ، لما تعاملت قبيلتا ثقيف وقريش بالربا وطالبت ثقيف قريشاً بالقرض والفائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى فاعلموا أنكم محاربون إن لم تتوبوا ثم قال : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ يعنى الذى يحل لكم هو رأس المال ولا يحل لكم الربا لا تظلموا المدينين بأخذ الربا ولا يظلمكم المدينون بالنقص من ديونكم أو بالمماطلة ، فلا يجوز أن يقال : المحرم هى الفائدة التى تؤخذ على وجه الاستغلال دون غيرها .

ومن هنا أجمع الفقهاء قاطبة على أن فائدة القرض المشروط ربا ، وننبه هنا على أمرين : ـ

الأول : أن قول البائع للمشترى هذه السلعة بمائة حالة وبمائة وعشرة مؤجلة ليس من الربا لأن هذه الزيادة ليست قابلة للتضعيف عند العجز ..

الثانى : أن الزيادة على القرض إذا لم تكن فى مقابلة التاجيل بل كانت اجرة تدفع للقائمين على إدارة القرض بلا زيادة : ليست من الربا لأن مصلحة الإقراض متوقفة على عملهم .

ومن هذا البيان الذى قدمنا عن معنى (ربا الدين) تتضح أمور أخطأ فيها بعض الكاتبين : ـ

الأول : أنه لا فرق بين قليل الربا وكثيره فى التحريم لأن آية آل عمران منسوخة بآيات سورة البقرة .

ثانياً : نقطع بأن كتاب الله وإجماع المسلمين يدلان على أن القرض بفائدة ربا لا فرق بين قرض الإنتاج وقرض الاستهلاك .

ثالثاً : بهذا البيان ايضاً (يظهر بطلان ماقاله البعض : إنه لا ربا بين الفرد والدولة كما انه لا ربا بين الأب واولاده فإن نصوص الربا عامة ، وليس فى الشريعة مايدل على هذا الاستثناء ، والحقوق بين الفرد والدولة متمايزة لا يستطيع احدهما ان يدعى ملكية حق للآخر كما هو الحال بين الأب وأولاده فلكل ماله لا يشاركه الآخر فيه ، وإن كان للأب حق الإنفاق على نفسه من مال ابنه عند حاجته لحديث « أنت ومالك لأبيك »[2] ـ والإجماع على أن المال المملوك للابن غير المال المملوك

←

---

(١) أحكام القرآن ـ جـ ١ ـ ص ٤٦٥ .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

للأب وأن المال المملوك للفرد غير المال المملوك للدولة ، والقاطع في ذلك هو الميراث لقوله تعالى : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ وأن المال يؤول إلى الدولة إذا لم يكن وارث : بالميراث أو بولاية بيت المال ، فهذه الدعوى غريبة لا تعرفها الشريعة الإسلامية) .

رابعاً : لا فرق في فائدة القرض بين أن يتفق عليها عند القرض وبين أن تكون معلومة للعاقدين قبل القرض ولا يرد لها ذكر عند تسليمه ، فالذين يودعون المال في المصارف أو يشترون شهادات الاستثمار يعلمون أن لهذا القرض فائدة ويرضون بما تحدده الدولة وهو بالطبيعة ليس ربحاً لأن الدولة تنفق هذا المال على المصالح العامة ولا تتجر :

فدعوى أن تحديد الفائدة يتم بناء على سياسة نقدية كما قال بعض الكاتبين لا يؤثر في أنها فائدة قرض محرمة .

خامساً : لا فرق في فائدة القرض بين أن يتفق عليها صراحة وبين أن تخرج مخرج الشرط كأن يتفق على وفاء الدين في موعد معين ثم يشترط على المدين إذا لم يوف في الموعد أن يدفع مبلغاً من الدين ، لأن هذا وإن كان مؤاخذة للمدين على التأخير لكنه يؤول إلى الربا لأنه في مقابلة التأخير .

ولا صحة لما نشره في الصحف بعض الكاتبين ، وإن فيما شرعه الله من عقوبة حبس المماطل وبيع ماله عليه وفاء للدين : كفاية مابعدها كفاية .

سادساً : **قال هذا البعض إن المملكة العربية السعودية ضمنت للمساهمين في النقل الجماعي ربح عشرة في المائة لكل سهم وهذا يدل على جواز أخذ الفائدة من الدولة ، والواقع أن ما ضمنته الدولة للمساهمين ليس فائدة للقرض ، بل للنقل الجماعي شركة تملك الدولة أكثر أسهمها .**

وقد شجعت على اشتراك الأفراد فيها بأن ضمنت لهم من ربح السهم ١٠٪ إن حدثت خسارة وهذه المعاملة بعيدة عن الربا ولا حرمة فيها بل هي كفالة .

وأخيراً اطلعت في أهرام ١٩٨٩/١٠/١ م على كلمة للدكتور شوقي الفنجري يقول فيها : إن الاختلاف حول شهادات الاستثمار من الاختلاف بسبب الزمان أو المكان ، وأنا أقول له لا بل هو خطأ في التطبيق كما هو واضح مما نشرته في مجلة الأزهر عدد صفر ١٤١٠ هـ .

وأن اشتراط نسبة معينة إن قلنا إن شهادات الاستثمار من باب المضاربة خارج عن الإجماع على وجوب أن يكون الربح في الشركات شائعاً ، وإن لم تكن مضاربة فليست إلا ربا .

وأن الذين عارضوا هذه الفتوى لم يخرجوا عن آداب الإسلام ، بل أعلنوا ما هو الحق ، إذ لو لم يعلنوا لكانوا كاتمين للعلم الذي لعن الله من كتمه ، وما الظن بمن يسفه رأى مائة عالم من علماء الإسلام لأنهم أعلنوا ما هو الحق في حكم شرعي له خطره .

وأنا أرحب بالاجتهاد الجماعي ، لكن اشترط أن يكون من المتخصصين في علم الفقه وعلوم الاجتهاد .

وسأعرض للوديعة المصرفية في كلمة لاحقة إن شاء الله .

الدكتور أحمد فهمي أبو سنة
عضو مجمع البحوث بالأزهر
وعضو مجمع الفقه برابطة العالم الإسلامي

إدارة الرسول ﷺ للصراع

في شبه الجزيرة العربية

ونتائجه الاستراتيجية (٢)

لواء أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

رابعاً : انتزاع المبادأة من أيدى الأعداء

● إن من يملك المبادأة فى الحرب يملك حرية التصرف ويحصر خصمه فى نطاق رد الفعل لما يفعل وذلك من أكبر ما يساعد على التغلب عليه .

● وفى الصراع بين المسلمين والمشركين فى عصر النبوة ، كان المشركون فى البداية يملكون المبادأة ، فطوال الفترة التى قضاها المسلمون فى المدينة من يوم الهجرة إلى ماقبل غزوة الخندق كانوا يتلقون هجمات أعدائهم ويواجهونهم « بمعارك دفاعية » كان أبرزها غزوة بدر فى السنة الثانية للهجرة ، وغزوة أحد فى السنة الثالثة ، ثم كانت غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة التى واجه فيها المسلمون قريشا والقبائل العربية واليهود .

● لكن الرسول ﷺ بعد غزوة الخندق وجد الفرصة سانحة « لانتزاع » المبادأة من أيدى أعدائه ، فكان ذلك نقطة تحول بارزة فى الصراع ، فقد روى الإمام أحمد والبخارى عن سليمان بن صُرَد ، والبزار برجال ثقات ، وأبو نُعيم عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهم - والبيهقى عن قتادة رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال - حين أجلى الله تعالى عنه الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم »[1] .

● إن معنى هذا القرار الخطير أن « يتحول » المسلمون من الدفاع إلى الهجوم ، وأن يسيروا إلى أعدائهم بدلاً من البقاء انتظاراً لضرباتهم ، وبعبارة أخرى أن يتحول المسلمون من حالة « رد الفعل » إلى « الفعل » ، وقد حافظ المسلمون على هذه « المبادأة » التى انتزعوها حتى تم فتح مكة فى رمضان عام ٨ هـ وارتفع لواء الإسلام فوق شبه الجزيرة .

● ومن المفيد أن ندرس ظروف وأسباب هذا القرار الخطير :

←

(١) محمد بن يوسف الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٤ ص ٥٤٩ .

(١) فلقد فشلت قريش ـ برغم امتلاكها للمبادأة ـ فى تحقيق هدفها الأساسى وهو القضاء على الإسلام او القضاء على المسلمين فى موطنهم الجديد بالمدينة .

(٢) وحتى فى تلك الغزوة الأخيرة (الخندق) التى أرادت لها أن تكون « فاصلة » وحشدت لها « كل ما امكنها حشده » من قوى إلى جانب قوتها متمثلة فى القبائل العربية واليهود ، باءت بالفشل .

(٣) والذى يُتصور هو أن قريشاً ـ إزاء هذا الفشل ـ سوف تضعف عزيمتها ويفتر استعدادها للعودة إلى التجربة مرة أخرى .

(٤) وهنا تظهر عبقرية الرسول ﷺ فى فهمه لطبائع البشر ، وفراسته فى « رصد ملامح الضعف فى خصمه » وسرعته الفائقة فى اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت الملائم لتوجيه « الضربة القاضية » : « الآن نغزوهم ، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم » .

خامساً : الضغط الاقتصادى على العدو

● قام المسلمون بعدة عمليات استهدفت تهديد طريق تجارة قريش إلى الشام كما ذكرنا ، فنجحوا فى فرض نوع من الحصار الاقتصادى حتى قال صفوان بن أمية : « إن محمدا وأصحابه قد عوّروا علينا متجرنا ، فما ندرى كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه ، فما ندرى أين نسلك ، وإن أقمنا فى دارنا هذه ، أكلنا رءوس أموالنا ، فلم يكن لها من بقاء ، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام فى الصيف وإلى الحبشة فى الشتاء[٢] .

● فأشار عليه الأسود بن عبد المطلب أن يتخذ طريق العراق ، ففعل ، وتجهز من البضائع والفضة بما قيمته مائة الف درهم ، غير أن الرسول ﷺ بعث زيد بن حارثة فى مائة راكب فاستولى على القافلة وهى فى طريقها عند « ماء » يقال له : « القَرَدة » من مياه نجد[٣] .

● وبهذا الأسلوب فى الضغط الاقتصادى لم يعد أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة ، وكان لذلك أسوأ الأثر على حياتها الاقتصادية .

سادساً : تجريد العدو من الحلفاء

● ليس من شك فى أن تجريد العدو من الحلفاء يحرمه من قوى كان يمكن أن تسانده وتقوى عزيمته ، وقد فعل الرسول ﷺ ذلك مع قريش فكان لذلك اثر كبير فى إقناعها بتغيير موقفها من المسلمين ثم الاستسلام فى النهاية .

(١) فقد عقد الرسول ﷺ اتفاقاته مع مختلف القبائل العربية المجاورة مثل بنى ضمرة (فى غزوة ودان) وبنى مدلج وحلفائهم (فى غزوة ذات العشيرة) وقد كان من نتائج تلك الاتفاقات مايلى :

ـ كفالة حرية المسلمين فى نشر الدعوة مما يشكل تهديداً لحاضر المشركين ومستقبلهم .

ـ كفالة حسن الجوار والمعاملة .

ـ حرمان قريش من محالفة هذه القبائل والحصول على معاونتها سواء بتأمين طريق التجارة ، أو بشد أزرها بالعدوان على المسلمين بالمدينة أو تهديد طرق مواصلاتهم أو تحركاتهم .

ـ « تحييد » القبائل التى بينها وبين قريش موادعة ، ومن أمثلة ذلك ماحدث فى سرية حمزة

(٢) محمد حسين هيكل : حياة محمد ـ ط دار الكتب المصرية ١٣٥٤ القاهرة ص ٢٧٨ .

(٣) ابن هشام : القسم الثانى ص ٥٠ .

فى رمضان سنة ١ هـ ، فقد كان مجدى بن عمرو الجهنى موادعا لقريش وللمسلمين فحجز بين الطرفين ، ومنع نشوب القتال بينهما ، فيكون بذلك قد اتخذ موقف الحياد ولم يناصر طرفا منهما على طرف ، ولو لم يكن المسلمون قد وادعوه من قبل ، فربما ناصر قريشاً على المسلمين .

ـ حرمان قريش من « حرية العمل » وذلك « بتضييق المساحة » التى تستطيع التحرك فيها للعمل ضد المسلمين .

ـ وحرمانها أيضاً من « القواعد الخارجية » التى تسمح لها بأن تقوم بعدوان غير مباشر ضد المسلمين .

(٢) وبالقضاء على اليهود عسكريا فى شبه الجزيرة بعد إجلاء بنى قينقاع وبنى النضير والقضاء على بنى قريظة وبعد غزوة خيبر ، جرد المسلمون قريشاً من حليف كان يشجعها ويشد أزرها ويحرضها على قتالهم .

(٣) ثم إن انتشار الإسلام فى قريش نفسها وفى القبائل العربية الأخرى أضعف من موقفها فى مواجهة المسلمين وجعل من الصعب بل من المستحيل أن تتوحد كلمتها لقتالهم .

سابعاً : استغلال فترات الهدنة والسلام

● كان لصلح الحديبية الذى عقد بين المسلمين وقريش فى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة آثار استراتيجية لصالح الدعوة فى حاضرها ومستقبلها ولتقوية مركز المسلمين فى صراعهم مع أعدائهم :

(١) فقد أصبحت المنطقة التى تقع جنوب المدينة « منطقة أمينة » بالنسبة للمسلمين بعد أن كانت قبل ذلك مصدر الخطر الأكبر الذى يهدد الدعوة ويهدد المسلمين .

(٢) وانحصر الخطر فى المنطقة الشمالية التى تضم خصمين هما اليهود فى خيبر وماحولها ، والأعراب شمال المدينة ، الأمر الذى يمكن المسلمين من القضاء على هذين الخصمين ، ليصبحوا بعد ذلك متفرغين للتحول ـ فى الوقت المناسب ـ نحو الخصم الأكبر : قريش ، وإلى هدفهم الرئيسى : مكة المكرمة .

(٣) وانفتح المجال للرسول ﷺ لعقد محالفات مع القبائل التى أصبحت لا تتهيب الانضمام إلى المسلمين مادامت قريش قد التزمت بتأمين من يدخلون فى حماية الرسول ﷺ وحلفه ، وخير دليل على ذلك إعلان خزاعة حلفها للرسول ﷺ قبل أن يجف مداد العهد ، قال الزُّهْرى : « فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عهد محمد وعهده » .

(٤) وكسب المسلمون عطف كثير من القبائل وكثير من قريش نفسها وكثير من أهل المنطقة المجاورة لقريش ، بسبب صد قريش المسلمين عن زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو الهدف الذى خرج الرسول ﷺ من المدينة من أجله ، وقد كان لهذا التعاطف أثره فى تيسير عملية فتح مكة على المسلمين فيما بعد .

(٥) وفى ظل مناخ الهدنة المستقر زادت قوة جيش المسلمين ، فبعد أن كانت فى غزوة الخندق (عام ٥ هـ) ثلاثة آلاف مقاتل ، وصلت إلى عشرة آلاف عند فتح مكة (عام ٨ هـ) ثم قفزت بعد الفتح إلى ثلاثين ألفاً فى غزوة تبوك (عام ٩ هـ)[٤] « انظر اللوحة » .

(٦) وبعد الحديبية بشهرين بدأ الرسول ﷺ مخاطبة الملوك ورؤساء الدول الأجنبية يدعوهم إلى الإسلام : هرقل وكسرى والمقوقس وملك الحيرة وملك اليمن ونجاشى الحبشة .

←

(٤) ابن هشام : القسم الثانى ص ٣٢٢ .

ثامناً : تطوير وتدعيم القوة الإسلامية

● فى فترة وجيزة لا تتجاوز سبع سنوات تطور جيش الإسلام بقيادة الرسول ﷺ حتى لحق بمقتضيات عصره .

(١) القوة الضاربة من الفرسان :

زادت قوة الفرسان فى التركيب التنظيمى لجيش الإسلام حتى بلغت ثلث قوته ، وذلك خلال زمن قصير نسبيا ، فبعد أن كانت فى أول معركة وهى بدر لا تكاد تذكر (فرسان اثنتان) قفزت إلى عشرة آلاف فارس فى جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل فى آخر معركة وهى « تبوك » والباحث المدقق يلاحظ أن جيش الإسلام قد لحق فى هذا المجال بالعسكرية الفارسية والعسكرية البيزنطية ، إذ كانت كل منهما تقيم التركيب التنظيمى لجيشها على اساس تشكيل القوة الضاربة الرئيسية من الفرسان[٥] .

(٢) ارتفاع مستوى الكفاءة القتالية :

كان مستوى المسلمين فى الرمى فى بادىء الأمر أقل من مستوى الفرس الذين وصفهم الرسول ﷺ لأصحابه بقوله : « هم أكثر منكم رمية »[٦] فبلغ اهتمامه بتدريبهم على الرمى إلى حد أنه جعله « أساس القوة وجوهرها » ، فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر يوماً ، فقرأ قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ثم قال : « الا إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى » (رواه مسلم) وكان عليه الصلاة والسلام يكرم الرماة المهرة من أصحابه ، يقول الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه : « ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك « هو سعد بن أبى وقاص » ، فإنه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى » (رواه الشيخان والترمذى) .

وكان عليه الصلاة والسلام يحذر من الانقطاع عن التدريب على الرمى حتى لا ينخفض مستواهم فيه إلى حد أنه اعتبر ذلك من المعاصى أو جحود النعمة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « من ترك الرمى بعدما علمه فإنما هى نعمة جحدها » (رواه ابو داود وغيره) وقال : « من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو فقد عصى » (رواه احمد ومسلم) .

وقد برع المسلمون فى الرمى نتيجة لهذه العناية الفائقة بتدريبهم عليه حتى استحقوا أن يطلق عليهم « رماة الحدق » أى أن الرامى منهم كان إذا صوب سهمه نحو عين عدوه لم يخطئها .

(٣) دعم تسليح الجيش باسلحة جديدة :

واضاف المسلمون إلى أسلحتهم أسلحة جديدة لم تكن لديهم من قبل وهى أسلحة الحصار ودك الحصون والأسوار وهى المجانيق والدبابات ، قال ابن هشام : « ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غَيْلان ابن سلمة ، كانا بجُرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبُور »[٧] .

(٤) شهادة القادة البيزنطيين :

وقد اعترف للمسلمين بملاحقتهم لعصرهم فى هذه المجالات الامبراطور البيزنطى « ليو » ، فقد ،

---

(٥) موسوعة التاريخ العسكرى من ٣٥٠٠ قبل الميلاد حتى الوقت الحاضر - ط لندن ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٦) الإدريسى : التراتيب الإدارية ط فاس ١٣٤٦ هـ جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٧) ابن هشام : القسم الثانى ص ٤٧٨ والضبور نوع من الدبابات وهى آلة من آلات الحرب تصنع من الخشب المغطى بالجلود ويدخل فيها الرجال فيدبون إلى الأسوار لينقبوها .

نقل عنه فون كريمر قوله : « إن الجندى العربى ما كان يفترق عن الجندى البيزنطى فى المؤن والسلاح » ، كما قال عنهم « إن العرب أمهر الشعوب الأجنبية وأبرعها على الإطلاق فى العمليات الحربية » .

النتائج الاستراتيجية لإدارة الصراع :

وقد كانت النتائج الاستراتيجية لجهاد المسلمين فى عصر النبوة نتائج بعيدة المدى أصبحت من الحقائق التاريخية نذكر منها مايلى ..

١ ـ تأمين الدعوة وقيام الدولة الإسلامية .

● فقريش العدو الرئيسى ، اقبلت على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عاماً تصد عن سبيل الله بكل أساليب الضغط والإيذاء والحرب .

● والمستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، عادوا إلى بلدهم تحت أعلام الإسلام والسلام .

● وأتم الرسول ﷺ فى أول يوم لفتح مكة ـ ما دعا إليه منذ عشرين عاماً وما حاربته قريش أشد الحرب فيه ، أتم تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام .

● وتمت كلمة ربك فى شبه الجزيرة العربية ، وتوفر الأمن والاستقرار للدولة الإسلامية لأداء رسالتها السامية لخير البشرية .

٢ ـ تحويل اتجاهات الأعداء نحو الإسلام :

● لقد برز خلال الصراع أمر بالغ الأهمية ينفرد به الإسلام ولا نظير له فى الصراعات عبر العصور بسبب ما يتصف به من سماحة وعدل ، فالصراع بين المسلمين وأعدائهم لم ينته باستسلام الأعداء فحسب ، بل إنه كان ينتهى بتحول الأعداء وتحول اتجاهاتهم من العداء للإسلام إلى الدخول فيه والحرص عليه ، بل ـ وأكثر من ذلك ـ إلى رفع راية الجهاد فى سبيل الله .

● وقد ظهر هذا الأمر واضحاً فى موقف قريش والقبائل العربية الأخرى بعد الفتح ، ثم ظهر واضحاً أيضاً بعد عصر النبوة فى الفتوحات الإسلامية حتى أن المشير مونتجمرى فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » تنبه إلى هذه الظاهرة وأبدى دهشته منها فقال : « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الإسلامية فى فتح أسبانيا كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين ! »(٨) .

٣ ـ استعداد المسلمين لمواجهة الفرس والروم :

فالرسول ﷺ لم يلق ربه إلا وكان جيش الإسلام معداً لمواجهة القوتين العظميين فى عصره وهما : فارس والروم ، وقد وقعت هذه المواجهة على الفور ومنذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

الإسلام دين قوة وسلام .

● وبعد .. « فإن الإسلام رسالة الخير والحق والمحبة والسلام ، قد ارتضاه الله دينا لتوجيه الناس إلى أقوم السبل ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، ليصلوا منه إلى سعادتى الدنيا والآخرة ، والسلام فى مبادىء الإسلام أصل فى عقيدته ، وتحتل فكرته المقام الرئيسى بين أهداف الإسلام ومقاصده العامة .

● لكن الإسلام ـ فى الوقت نفسه ـ « دين عملى » يأخذ الحياة من واقعها ، فقد راعى طبائع الخلائق وميلها إلى المشاحنات ، من أجل ذلك اقتضت حكمة الله جل شأنه أن يكون

البقية ص ٣٧٨

(٨) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ تعريب فتحى عبد الله النمر ـ القاهرة ١٩٧٢ حـ ٢ ص ١٨٨ .

الطبرى (٢)

إمام المؤرخين

أ.د. عبد العزيز غنيم

وقد رزق الله ابن جرير حسن الاختيار . فكان ينتقى من يسمع منهم ويتلقى عنهم ويضرب فى سبيل الوصول إليهم أكباد المطايا ويستهون المصاعب والعقبات . ولا يأخذ جانباً من العلم إلا من المنقطعين له والمتخصصين فيه .

وعلى سبيل[1] المثال فقد قرأ الفقه الظاهرى على داود .. وأخذ فقه الشافعى عن الربيع بن سليمان بمصر والحسن بن محمد الزعفرانى ببغداد ، وتلقى فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى ، وبنى عبد الحكم محمد وعبد الرحمن وسعد ، وابن أخى وهب ، وأخذ فقه أهل العراق عن أبى مقاتل فى الرى ، وسمع الأسانيد فى مصر والشام وبغداد والكوفة والبصرة .

وصفوة القول أنه لم يدع إماماً نابه الذكر فى عصره إلا أقبل إليه واستفاد منه . وكما كان الرجل ينتقى أساتذته ومعلميه ، فقد كان ينتقى كذلك تلاميذه والمتفقهين على يديه ومنهم على سبيل المثال : عبد الله بن أحمد[2] بن جعفر الفرغانى ، وعلى[3] بن عبد العزيز بن محمد الدولابى ، وأبو بكر محمد أحمد الكاتب ، وأبو الحسن الدقيقى الحلوانى وأبو بكر بن كامل ، وأبو إسحق إبراهيم بن حبيب السفطى ، وأبو الفرج المعنى بن زكريا النهروانى .

ولم يكن ابن جرير نسيجا وحده فى تحصيل العلم وتدريسه وحسب . وإنما كان وحيد عصره . وفريد دهره فى التأليف والتصنيف . فقد لبث أربعين[4] سنة من عمره يكتب فى كل يوم أربعين ورقة . وروى أن جماعة أحصوا ما كتبه وقسموه على أيام عمره الذى بلغ سبعاً وثمانين سنة فخص كل يوم منها أربع عشرة[5] ورقة .. وقد يخيل إليك أن هذه الغزارة التى لا حدود لها فى التأليف قد كان سببها أن ابن جرير كان متساهلا فيما ينقل ومتساهلا فيما يكتب ، وليس كذلك فإن كل كتاب من كتبه التى كانت تربو على الثلاثين ، قد كان هو العمدة فى بابه والمرجع فى مادته وما لا يستغنى عنه فيما تضمنه واحتواه . وأنت إذا قرأت تآليفه فى التفسير والحديث والفقه

---

(١) الفهرست ـ لابن النديم ـ ص ٣٢٦ .

(٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٤ .

(٣) الفهرست ـ لابن النديم ـ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٤) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٣ .

(٥) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٤ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٣٥٦/١٨

والقراءات والرجال والتاريخ وغيرها ، وطالعت تقارير الأئمة المتخصصين لها وثناءهم عليها ، لا يخامرك الشك فى أن الرجل قد كان لا يتلقى علمه عن نفسه . وإنما كان روح القدس يمده ويفيض عليه من علمه .

وقد كانت الصلة وثيقة بين ابن جرير وبين المولى عز وجل . فقد اتفق الرواة على أنه كان ناسكاً زاهداً يخشى الله ويرجو رحمته ، ويقنع بما كان يأتيه من قبل أبيه فى الاستعانة على طلب العلم وتحصيل المعرفة ، ولو شاء العيش اللين والحياة الراضية لنال من ذلك مايحب . فقد كان يرفض المناصب (٦) التى كانت تعرض عليه والهدايا التى كانت تقدم إليه . طلب الخليفة المقتدر أن يكتب له كتاباً فى الوقف (٧) لا يختلف فيه الناس . فلما كان بين يديه قال له : ألك حاجة قال : لا . قال الخليفة : إنه لايقوم مقامك هذا إلا ويعطى جائزة أو تقضى له حاجة وأنت قد ابيت أن تأخذ شيئاً منهما . قال ابن جرير : فإذا كان ولا بد فأرجو أن يحول الخليفة بين السؤال وبين التردد على المقصورة فى المسجد يوم الجمعة حتى تنتهى الخطبة . ومن شدة خشية الرجل وخوفه من ربه أنه لما فكر فى تفسير القرآن طفق يستخير الله ثلاث سنين . ولما تبين له أن عمله هذا سوف يرضى ربه خرج على تلاميذه (٨) وقال : هل لكم فى تفسير كتاب الله ؟ قالوا : فى كم ورقة تريد إملاءه ؟ قال : فى عشرة آلاف . قالوا : إن هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه . فأملاه فى ثلاثة آلاف ورقة وضمنه زبدة ماوصل إليه من تفسير ابن عباس وغيره من أمثال السدى وابن عيينة وابن جريج .. إلى آخره . وأضاف إليه من المسائل اللغوية والنحوية والكلامية ماجعله أفضل التفاسير فى عصره والعصور التالية له ،

وكان ابن جرير ذا صوت ندى وهو يتلو القرآن ، سمعه أبو بكر بن مجاهد وهو يقرأ سورة الرحمن فى صلاة التراويح فقال : « ماظننت أن الله تعالى خلق بشراً يحسن ، يقرأ هذه القراءة » ولم يكن الرجل على زهده وشدة مراقبته لربه متزمتاً متقطبا يحمل هموم الدنيا على كاهله وإنما كان فكهاً طريفاً حسن العشرة(٩) طيب السيرة يؤاكل أصحابه ويفاكههم ويخوض فيما يخوضون فيه من إنشاد الشعر وسماع النوادر بل لقد كان له شعر يفوق شعر العلماء ومنه قوله : ـ

إذا أعسرت لم يعلم رفيقى
وأستغنى فيستغنى صديقى(١٠)
حيائى حافظ لى ماء وجهى
ورفقى فى مطالبتى رفيقى
ولو أنى سمحت ببذل وجهى
لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وقوله : ـ

خلقان لا أرضى طريقهما
بطر الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً
وإذا افتقرت فته على الدهر

وواضح مما كتبه المؤرخون وأصحاب المعاجم والطبقات عن أبى جعفر أنه قد نشأ نشأة دينية وعلمية فى آمل وما حولها من قرى طبرستان والرى وأنه قد ألف الرحلة واعتاد السفر فزار مدن فارس والعراق والشام ومصر ، وأنه لم يدع إماماً مشهوراً ولا عالماً مذكورا فى عصره إلا ووطىء رحابه وطرق بابه وأخذ ماأنضجته قريحته من ثمار العلم وأفاويق المعرفة . فكان من شيوخه ؛ المفسرون والمحدثون والفقهاء والقراء وأصحاب المغازى والمؤرخون وغيرهم من أقطاب

(٧) البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ جـ ١١ ص ١٤٦ .
(٨) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(٩) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٨٩ .
(١٠) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

الطبرى إمام المؤرخين

العلوم النظرية والتطبيقية وأنه لم يكن متعجلاً فى دراسته . وإنما كان يوغل فى كل علم حتى يبلغ الغاية ويتجاوز النهاية وأنه كان لا يتردد فى ذكر الحق إذا عرفه ، لا يهاب فيه سطوة حاكم ولا شوكة أمير ، وقد يكون هذا هو السبب الذى من أجله اشتعل الخلاف بينه وبين الحنابلة[١١] فقد سألوه عن إمامهم أحمد فذكر أنه كان من أهل الحديث ولم يكن من الفقهاء فرموه بالمحابر وقذفوا داره بالحجارة حتى علتها وأغلقت الطرق من حولها . ولولا تدخل الشرطة لأطفأ العامة هذا السراج الذى ما فتىء يضىء للناس سبل العلم حتى اليوم . ورأى ابن جرير من المتعصبين تحاملاً على علىّ ـ كرم الله وجهه ـ وإنكارهم حديث غدير خم[١٢] فألف مجلدين اثنين فى ذكر طرق هذا الحديث وامتحانها غير مبال بما سوف يناله على أيدى العامة من اضطهاد وظلم ، وهكذا جمع أبو جعفر المزايا التى يجب توافرها فى المؤرخ والأسلحة التى ينبغى أن تكون بين يديه والشروط التى لا تؤهله للتأليف فى التاريخ وحسب ، وإنما تجعل منه إماما لايرد له قول ولا يستغنى له عن مؤلف .

● **كتابه فى التاريخ :**

وكما كتب أبو جعفر كتابه الإمام فى التفسير فقد كتب كتابه الإمام كذلك فى التاريخ وسماه : « تاريخ الرسل والملوك » أو تاريخ « الأمم والملوك » وتناول فيه سيرة البشر من لدن آدم : حتى العام الثانى بعد الثلاثمائة من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام .

وجاء فى معجم الأدباء وغيره أن ابن جرير لما عزم على تأليف هذا الكتاب خرج إلى أصحابه وقال لهم[١٣] « أتنشطون لكتابة تاريخ العالم من آدم حتى اليوم قالوا : كم قدره ؟ قال : ثلاثون الف ورقة . قالوا : إن هذا مما يفنى الأعمار قبل أن يتم . فاختصره فى ثلاثة آلاف ، وقال : إنا لله ماتت الهمم » .

وقد وصف العلماء كتاب الرسل والملوك هذا فى عصره . فقال فيه المسعودى[١٤] « وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الزاهى على المؤلفات والزائد على الكتب والمصنفات فقد جمع انواع الأخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته .

ونسج على هذا المنوال نفسه المؤرخون الذين جاءوا بعد هذا العصر فأطروا الكتاب ومدحوه وذكروا أنهم قد أفادوا منه واعتمدوا عليه ومنهم صاحب الكامل فى التاريخ وصاحب البداية والنهاية وصاحب وفيات الأعيان ، والذى يطالع كتاب الرسل والملوك يلاحظ أن صاحبه قد بدأه بالحديث عن الزمان والقلم . ثم انتقل إلى آدم ففصل سيرته وذكر أطرافاً من حياته وانتقل إلى الرسل فتناولهم واحداً بعد الآخر . وتناول الملوك الذين كانوا فى أزمانهم والشعوب الذين خضعوا لحكمهم وهكذا حتى انتهى إلى نسب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ففصل القول فيه وفصل القول كذلك فى سيرته ومغازيه ، وتحدث عن الخلفاء الراشدين وما كان فى ايامهم من الفتوحات والحروب التى دارت بين المسلمين بعضهم وبعض ، وأماط النقاب عن تاريخ بنى امية وتاريخ بنى العباس وانتهى إلى السنة

(١١) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٥٧ ، ٥٨ الكامل لابن الأثير جـ١ المقدمة .
(١٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٨٤ .
(١٣) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٣ .
(١٤) مروج الذهب ـ للمسعودى ـ جـ ١ ص ١٥ .

الثانية بعد الثلاثمائة وقبل وفاته لثماني سنين وقد جمع مادته التاريخية السابقة على الإسلام من القرآن والتوراة وروايات علماء أهل الكتاب من أمثال وهب وكعب وابن جريج وغيرهم وكانت إفادته من محمد بن إسحاق عظيمة .

وأما مادته التاريخية في الإسلام . فقد استقاها من كتب الأحاديث والمغازى ومما ألفه الأخباريون من أمثال سيف بن عمر وأبى مخنف والمدائنى وعمر بن شبه والزبير بن بكار وهشام ابن السائب الكلبى وابنه محمد وأكثر هؤلاء قد ضاعت كتبهم ونسى علمهم . ولولا رواية ابن جرير عنهم . لما بقى لهم ذكر إلا فى صحف التاريخ من أمثال الفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت وكشف الظنون لحاجى خليفة .. وقد انتفع الطبرى كذلك بمن سبقه من المؤرخين الكبار من أمثال اليعقوبى والدينورى وابن قتيبة ، إلى آخره . وقد التزم الطبرى فى الكتابة فى الفترة الإسلامية من تاريخه المنهج الحولى فكان يؤرخ للأحداث حسب السنين التى تقع فيها . فإذا كان الحدث كبيراً جزَّأه حسب أزمنة وقوعه . وربما أشار إليه فى البداية وفصله بعد ذلك . ولا جدال فى أن لهذا المنهج محاسنه ومساوئه فمن محاسنه سهولة البحث عن الحدث إذا عرف عامه الذى وقع فيه . ومن مساوئه بلبلة القارىء وتشتيت ذهنه ، وعدم قدرته على رسم صورة كاملة للحدث لاسيما إذا طال أمده وتعددت أزمنته .

وأشهد لقد قرأت الكثير مما ألف فى التاريخ من قبل هذا الكتاب ومن بعده وقد تبين لى أن تاريخ الرسل والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى هو أهم هذه الكتب وأوثقها وهو أدقها وأصدقها وهو أغزرها مادة وأكثرها فائدة ومرجع هذا فيما أرى إلى أسباب :

أحدها : أنه هو الكتاب الذى انفرد بتفصيل أحداث عصرى الراشدين وبنى أمية وتسجيلها فى دقة وصدق ، وأن الكتب الأخرى التى تناولت هذين العصرين إما ناقصة عنه ، وإما مستقية منه .

وثانيها : أنه لم يسجل هذه الأحداث كما أرادها مؤلفوها كالدينورى واليعقوبى والمسعودى ، وإنما نقلها كما شاهدها رواتها ، وأثبتها كما رواها ناقلوها . وبعبارة أخرى أنه طرَّق الوقائع وأسند الأحداث ونسب كل خبر إلى صاحبه .

وثالثها : أنه لم يرو الحدث من طريق واحد ، ولم ينقله عن راوية بعينه ، وإنما سجله من طرق شتى وبأسانيد مختلفة ، مما يتيح الفرصة أمام الباحث للمقارنة والموازنة والاختيار ، ثم إصدار الحكم التاريخى بعد ذلك على أساس من العدل المطلق والحيدة التامة .

ورابعها : أن رواة هذا الكتاب هؤلاء لم يكونوا ذوى موطن واحد ، ولا مشرب واحد ، وإنما كانوا من أوطان شتى ومذاهب مختلفة ، فكانت له مدرسة فى الحجاز كان منها ابن إسحاق وأبو معشر والواقدى ، وكانت له مدرسة فى العراق كان منها كذلك محمد بن السائب الكلبى وأبو مخنف لوط بن يحيى وأبو على المدائنى ، وكان لكل مدرسة من هذه المدارس منهجها الذى التزمت به وهدفها الذى توخته وسعت إليه .

فمدرسة الحجاز قد كانت تتميز بكتابة التاريخ فى صورة ذكر للأحداث التى وقعت فى كل عام ، وكان ترتيبها لها حسب وقوعها وبأسلوب علمى بالغ الدقة ، غير أنها لم تكن تنقل عن الرواة مباشرة ، وإنما كان اعتمادها على ما حفظه العلماء وسجلوه .

ومدرسة العراق قد كانت على العكس من ذلك ، فكانت تروى الأحداث عمن شهدوها أو عمن رووها عمن شهدوها على الأقل ، ومن أجل هذا فإنها كانت تغفل بعض التواريخ وتخطىء فى

الطبرى إمام المؤرخين

بعضها وتكثر من ذكر التفاصيل التى كانت تسهم فى توضيحها وإزالة الغموض عنها .

وكانت المدرستان كلتاهما لا تميلان إلى الأمويين ، وإن كان التعصب لعلى ظاهرا فى رواة مدرسة العراق .

ولأن أبا مخنف قد كان من أهل الكوفة فإن اهتمامه قد كان واضحا فى تسجيل ما ينسب إلى هذه المدينة أو إلى رجالها ، وقل مثل ذلك فى المدائنى فقد كان راوية بصريا ، وكان اهتمامه ظاهرا كذلك بأخبار البصرة وخراسان .

وقد تسأل : وأين مدرسة أهل الشام ؟

والجواب : أن هؤلاء قد كانت لهم روايات ما فى هذا شك ، لكنها قد نسيت أو اندثرت ، ومن أجل هذا فإن الطبرى قد كان يستقى أخبار هذا الإقليم من راويين غير شاميين وهما أبو على المدائنى وعوانة الكلبى .

ويبقى السبب **الخامس** ، وهو أن تاريخ الرسل والملوك لم يكن ينقل عن كل راوية أو أخبارى هكذا كما يتفق . وإنما كان ينتقى ويختار ، وأنت إذا راجعت قائمة رواته رأيت أن أكثرها قد كانوا عدولا ، بل إن منهم من روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح والمسانيد ، وذلك مثل الزهرى والشعبى .

وحتى الذين تكلم فيهم رجال الجرح والتعديل مثل ابن إسحاق وأبى معشر والواقدى فقد جرحهم فريق ، وعدلهم فريق شأنهم فى هذا شأن الكثيرين من رواة الحديث .

ولأن الطبرى قد كان يروى ما يكتبه كما رأيت عن رواة شتى ، ولأنه قد كان ينقل الحادثة الواحدة على ألسنة فريق من هؤلاء الرواة ، وينقلها بنفسها بوجه آخر وصورة أخرى على السنة فريق آخر ، فإن الأمانة العلمية تحتم علينا فى النقل عنه نسبة كل قول إلى أصحابه الذين رووه ، فنقول مثلا : روى عمر بن شبه أو سيف بن عمر ، ولا نقول روى الطبرى كما هى الحال فى أكثر كتب التاريخ ، فإن النسبة إلى الطبرى تحمل جميع الرواة الذين يروون الحدث تبعة ما فيه ، وقد يكون بعضهم قد أنكر بعضه وانحى باللائحة عليه فيبوء بإثمه وليس له فيه ذنب ولا جريرة .

وقد أتبع ابن جرير تاريخه الكبير هذا بكتاب آخر سماه « ذيل المذيل » وبدأ الكتابة فيه بعد هذا الكتاب مباشرة ، أى من العام الثانى بعد الثلاثمائة . وقد قال فيه ياقوت[١٥] : ومنها كتابه المسمى ذيل المذيل المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله ﷺ فى حياته أو بعده على ترتيب الأقرب فالأقرب منه أو من قريش من القبائل ، ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم وجملا من أخبارهم ومذاهبهم ، وتكلم فى الذب عن ذوى الفضل منهم ، ممن رمى بمذهب هو برىء منه كنحو الحسن البصرى وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر صنف من نسب إلى ضعيف من الناقلين ولينه ، وفى آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه الإخوة أو الرجل وولده ومن شهر بكنيته دون اسمه ، أو باسمه دون كنيته ، وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ .

وأعود إلى تاريخ الرسل والملوك وأذكر أن المؤرخين قد أجلوه وأكبروه منذ خرج إلى هذه الدنيا فوصله فريق واختصره فريق ونقله بعد حذف أسانيده فريق ، وهم جميعا معترفون له بالصدارة وأنه لولاه لذهبت أحقاب بكاملها من التاريخ .

وأعتذر عما يمكن أن يكون فى هذا البحث القصير من القصور أو التقصير .

مشيخة علماء الأسكندرية

د. مجاهد توفيق الجندى

كنت كتبت هذا الموضوع صيف سنة ١٩٨٣ وأرجأ استاذنا الدكتور على الخطيب نشره حتى نزيده توثيقا وتدقيقا، ومن هذا المنطلق وأنا أراجع تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ رشيد رضا، وكذلك كتاب مجلس إدارة الأزهر وبعض الوثائق الأخرى، عثرت على معلومات جديدة سوف تضيف الجديد للدارسين والباحثين والمهتمين بهذا النوع من الدراسة وقد جاءت على هذا النحو التالى:

فى ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٣ صدرت الإرادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الأسكندرية بالجامع الأزهر، ومضمونها (أن الجناب العالي وافقت إرادته العلية أن تكون الأسكندرية ملحقة بالأزهر في التدريس والعلوم والامتحان، وأن مجلس إدارته يضع لها القوانين «و» النظامات» ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة، ويحصر الأماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وأن يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهوريهم الأقدمين) فبلغت نظارة الداخلية الأزهر هذه الإرادة، ولم يكن إلا أن سافر شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية إلى الأسكندرية، وشكلا لجنة تحت رئاسة شيخ الأزهر من اكابر علماء الأسكندرية ودعوا إليها الشيخ أحمد باشا ليعلم هل يقبل أن يكون الجامع الأنور الموقوف للتدريس من قبل جدهم الأعلى خاضعا لهذه النظامات الجديدة فى الأسكندرية أم لا؟ فتردد في الأمر أولا ثم عاد إليهما وأمضى على المحضر بأنه قابل هذه التنظيمات، وأن مسجد جده تسرى عليه الأحكام التى توضع لها « عن كتاب: أعمال مجلس إدارة الأزهر».

حصر علماء الأسكندرية

اشتغلت اللجنة بعد ذلك فى حصر العلماء الموجودين وجعلت عمدتها فى عملها قائمة وقف الغزى الذى اشترط واقفه أن يصرف جزء من ريعه إلى العلماء، ودفتر الجامع الأنور التابع لوقف أولاد الشيخ؛ لأنه لم يكن ليدرج في قائمة وقف الغزي مستحق على أنه من العلماء إلا بعد امتحان وإذن بالتدريس ممن له الولاية في ذلك، ولأن دفتر الجامع الأنور يقيد فيه من يؤذن له بالتدريس على ما وضعه واقفه من القواعد، سواء كان بالامتحان أو الاختيار المصحح لصدور

←

مشيخة علماء الأسكندرية

إذن شيخه للطالب بالتدريس فيه ، فكل من اندرج في أحد هذين النوعين فقد حاز صفة العالمية في ذلك الثغر ، فله حق إطلاق هذا الاسم عليه فيه ، أما ترتيب درجاتهم (أولى وثانية وثالثة) فكانت عمدة اللجنة قد طلبت التثبت من حالة العالم في العلم والاشتغال به ومقدار عمله بالسؤال من أعضاء اللجنة الأسكندريين لأنهم أعرف بأنفسهم ، ودرجة الاشتغال لا تعرف إلا منهم ، فلا يعول في تقدير الدرجة للعالم إلا على أقوالهم ، وخصوصا أنهم من المشهورين ولهم على معظم علماء الثغر المشيخة في العلوم .

أمضى الشيخان في الأسكندرية ثلاثة أيام ، ثم عادا ومعهما محضر عملهما فاشتغل مجلس الإدارة بتقرير العلماء في الأسكندرية وحصرهم في عدد مخصوص ، وترتيب درجاتهم العلمية ، فصدر قراره بتاريخ ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢١ (أواخر يونية سنة ١٩٠٣) قاضيا بحصر عدد العلماء الأسكندريين في سبعة وأربعين عالما : وأن منهم أحد عشر في الدرجة الأولى وتسعة عشر في الدرجة الثانية وسبعة عشر في الدرجة الثالثة ، وتضمن هذا القرار أيضا أن لا يدرج في سلك علماء الأسكندرية بعد أولئك المحصورين إلا من ينجح في امتحان التدريس على القاعدة الجديدة التي يوضع لها النظام الجديد ، وأن هؤلاء العلماء المحصورين يدرسون في الأسكندرية وغيرها من أماكن التدريس في القطر المصري « عدا الجامع الأزهر » وأن من أراد منهم أن يدرس في الأزهر فعليه الدخول في امتحان التدريس فيه ، وأن من يتقدم لهذا الامتحان من علماء الأسكندرية يقدم على غيره من كل طالبيه ، وحدد في هذا القرار ما يدرسه أهل كل درجة في الأسكندرية من العلوم المتداول تدريسها فيها .

الشيخ محمود باشا والشيخ أحمد باشا

ولما كان تنفيذ هذه الأحكام يتوقف على وجود شيخ للعلماء هناك ، وكان لأولاد الشيخ إبراهيم باشا المنزلة الرفيعة بين أولئك العلماء ، لما لهم من الأوقاف ولمكانتهم من الثروة وَقِدَمِ بيتهم في العلم رأى مجلس الإدارة أن يعهد بتنفيذ هذه الأحكام إلى أكبر أولاد الشيخ الثلاثة ، فقرر تعيين الشيخ محمود باشا شيخا لعلماء الأسكندرية وتعيين الشيخ أحمد باشا وكيلا له ، لأنه كان في حالة شيخوخة لا يتمكن معها من ضبط الأعمال ، وأرسلت مشيخة الأزهر هذه القرارات إلى الشيخ ووكيله وعهدت إليهما بتنفيذها وانتظرت الجواب بأنهما سيعملان بما تضمنته هذه القرارات من الأحكام .

ثم اشتغل مجلس الإدارة بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الأسكندرية كما وضع لغيرها من الأماكن الملحقة به ، وبعد الفراغ من وضعه رأى شيخ الجامع تعيين أحد أعضاء الإدارة الأزهرية[1] ليذهب إلى الأسكندرية ومعه هذا النظام الجديد فيتذاكر فيه مع شيخ العلماء ووكيله هناك ، حتى إذا كان لهما عليه ملاحظات أصلح الحال فيها قبل التصديق الانتهائي عليه ، فكان كذلك وذهب هذا العضو في شهر أغسطس أو سبتمبر من سنة ١٩٠٣ واشترك مع الشيخ أحمد باشا في تلاوة ذلك النظام فلم يجد من ملاحظته عليه إلا ما يضمن المحافظة على كيان أوقاف أولاد الشيخ والتوقي من أن تمس

(١) يغلب على ظني أن هذا العضو هو الشيخ عبد الكريم سلمان رحمه الله .

بمحاسبة أو مراقبة من قبل المشيخة الأزهرية ، ثم لاحظوا على قرار حصر العلماء أنه ترك فيه ستة ممن يصح إدراجهم في أولئك العلماء وأن ترتيب درجات العلماء يحتاج إلى التعديل لأن بعضهم أعطى الثالثة وهو يستحق الثانية مثلا .

هذه كل ملحوظات أولاد الشيخ على النظام والقرارات ..... فبحث معهم مندوب المشيخة فيما طلبوه فتبين له بمراجعة دفاتر مسجدهم والتحقق من حالتها ، أن أولئك الستة الذين تركوا في حصر العلماء لهم الحق حقيقة في أن يدرجوا في سلكهم فوعدهم بإدراجهم بمجرد رجوعه إلى مصر . وأما تغيير الدرجات لبعض أولئك المحصورين سابقاً ، فلم يوافقهم عليه لأن التغيير في البعض بلا سبب يستلزم إجابة من يطلب تغيير درجته في المستقبل وإلا كان ترجيحا بلا مرجح ، ثم عاد مندوب المشيخة إلى مصر وعرض الأمر على الشيخ فقدمه إلى مجلس الإدارة وهو أصدر قراره بجعل هؤلاء الستة من العلماء وأن يكون واحد منهم فى الدرجة الثانية والخمسة في الدرجة الثالثة كما اتفق عليه المندوب مع أولاد الشيخ إبراهيم باشا ، فصار عدد علماء الأسكندرية الذين يسرى عليهم حكم القرار السابق ثلاثة وخمسين : أحد عشر درجتهم أولى ، وعشرون درجتهم ثانية ، واثنان وعشرون درجتهم ثالثة ، وتاريخ هذا القرار ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٢١ و ٨ مارس سنة ١٩٠٤ .

إلا أن أولاد الشيخ إبراهيم باشا بدا لهم رفض ما قرره مجلس إدارة الأزهر من جعلهم تابعين له فى إدارته ونظامه وترك استقلالهم وانفرادهم بالرياسة العلمية في الأسكندرية ..... فقرر تعيين شيخ لمعهد الأسكندرية غير الشيخ محمود الباشا[٢] .

سبب تعيين الشيخ محمد شاكر شيخا لعلماء الأسكندرية

إن الله ـ تعالى ـ قد لطف بعباده العلماء وأراد الا يُبقى حالة الأسكندرية على ماهى عليه من الخُلف وتعطيل الأعمال ، فساق الشيخ محمد شاكر قاضى قضاة السودان إلى مصر بالأجازة ، فجاء إليها وليس في نفسه إلا الاستراحة من حر السودان ومن العمل فيه أيام شدة القيظ ، ولم يكن يخطر على فكر أحد من شيخ الأزهر ولا أعضاء مجلس إدارته أنه بمقدمه ينحل هذا المشكل ، لأنه في وظيفة عالية بالسودان مرتبط فيها برأى غير رأي مصر والمصريين ، ولكن الحاجة تفتق الحيلة كما يقال ، ولأجلها فكر فيه بعض أعضاء المجلس وجس نبضه فوجد منه ارتياحا للقبول ، فأشار عليه أن يعمل ليصل إلى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ، ومهد لذلك باسترضاء الجهتين : جهة السودان لتوافق على نقله منها ، وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخا لعلماء الأسكندرية ، وكلل سعيه فيهما بالنجاح ، فقرر مجلس الإدارة فى ١٦ أبريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب إلى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالى بذلك ، فكان ما طلبه المجلس وصدر الأمر العالي بتعيينه شيخا لعلماء الأسكندرية في يوم ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ إبريل سنة ١٩٠٤ وانحل ذلك المشكل العظيم .

عض أولاد الشيخ باشا بعد ذلك بنان الندم ..... ولكن هذا لم يكن بالنافع ، فقد فات وقته وما مضى لا يعود .

←

(٢) هناك تفصيل اكثر ليس هذا محله ، راجع كتاب مجلس إدارة الأزهر ، .

مشيخة علماء الأسكندرية

قام شيخ علماء الأسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام ، لما فيه من الفطنة وشدة الذكاء ، ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر ، وعضده مجلس الإدارة الأزهرية وشيخ الأزهر أكبر التعضيد ، وسهل له الطريق فى استعمال فكرته ، ولم يقيده بنظام سوى نظام الأزهر نفسه ، ونسخ له صور القوانين والقرارات التى يجرى عليها العمل المستمر ، وقرر له كل ما طلبه فى سير الأعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه منهم . فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفى تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس . واستصدر أخيراً من مجلس الإدارة قراراً بحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد ليس مسجد أولاد الشيخ إبراهيم باشا منها .. والحكمة في ذلك ظاهرة جداً ، لأنه يجب الا يوجد معه من يشغله عن الجد في العمل ، وأن تزول عوائق المعارضات من بين يديه ، فأصدر المجلس هذا القرار المطلوب وبه استراح خاطر شيخ العلماء الجديد .....

وفى آخر السنة الدراسية ، الموافق تقريبا لأخريات سنة ١٩٠٤ قدم شيخ علماء الأسكندرية تقريراً إلى مشيخة الجامع الأزهر (نشرته جريدة المؤيد في حينه) فصل فيه أعماله في تلك المدة القصيرة وهي نحو ستة أشهر تفصيلا تضمن بيان أحوال العلماء والطلبة وما كانوا عليه وما صاروا إليه وما قرىء في تلك المدة من العلوم ، وكيفيات التدريس ومواعيده وأمكنته وأنواع العلوم التى قرئت هناك ومن اختارهم من العلماء لتدريس كل علم منها ، وختمه بأن لابد من إيجاد « نقود » كافية لكي يكمل الغرض المطلوب ويتمكن من إلزام العلماء والمتعلمين بالنظام ، لأنه يستحيل تقدم الأعمال بغير نقود . فوقع تقريره هذا عند مجلس الإدارة أحسن الوقع ، وتحقق أن العمل في الأسكندرية سيوصل إلى ما يرجوه من نفع المتعلمين ، وكلف شيخ العلماء بأن يبين حاجته من النقود ويضع لصرفها ميزانية مضبوطة فيعاونه فى تحقيق أمله بطلبها من لدن الجناب الكريم ، ففعل ما كلف به فى أقرب زمن ، وقدم منه نسخة إلى الجناب العالى ثم قدم نسخة أخرى إلى مشيخة الأزهر ، فلم يكن غير قليل من الزمن حتى وردت النسخة المرفوعة من الجناب العالى على الأزهر مع كتاب من رئيس الديوان الخديوى مطلوب فيه نظرها بمجلس الإدارة وتصديقه عليها بعد البحث وتحققه من الحاجة إلى ما فيها ، فبحث فيها المجلس ورآها كلها موافقة للصواب فأقرها على ما وضعت وصدر قراره الرسمي بذلك في يوم ٢٨ شعبان سنة ١٣٢٢ و ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٤ ، وأبلغ هذا القرار في يوم صدوره إلى ديوان الأوقاف ليقرر المبالغ المطلوبة في ميزانية سنة ١٩٠٥ المقبلة ، أما مقدار المبلغ الذي طلبه الشيخ محمد شاكر وأقره مجلس الإدارة فهو ٤٣٧٤ جنيها مصريا فى العام ، وقد أقر عليه المجلس الأعلى بديوان الأوقاف المنعقد تحت رئاسة الجناب العالى حسب العادة ، وأدرج فى ميزانية سنة ١٩٠٥ ، وجاء بذلك كتاب إلى الأزهر وهو أبلغ الخبر إلى شيخ العلماء في أواخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ ، وكلفه أن يضع لصرف هذا المبلغ قاعدة منتظمة حسبما يراه مفيداً للعلم والتعليم .

وضع شيخ علماء الأسكندرية ميزانيته وجعل فيها موضعاً لأربعة من علماء الأزهر ليكونوا عونا له على إدخال العلوم الحديثة التى تعلموها فى

البقية ص ٣٨٥

العمران فى قرطبة زمن الإسلام

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

حالة العمران

وصلت مدينة قرطبة فى عصورها الزاهية إبان دولة الإسلام فى عدد أرباضها - أى ضواحيها - إلى واحد وعشرين ربضا : فى كل ربض منها من المساجد والأسواق والحمامات مايقوم باهله ولا يحتاجون إلى غيره . وكان يتبعها من خارجها ثلاثة الاف قرية فى كل واحدة منها منبر وفقيه ومقلس - أى لابس القلنسوة - (وهو من تكون له الفتيا فى الأحكام والشرائع وتبصير الناس باحوالهم وامور دينهم) .

وكان لا يسمح للقالس باداء هذه الوظيفة إلا لمن حفظ موطأ الامام مالك وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة .

وكان هؤلاء المقلسون المجاورون لقرطبة ياتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون عليه ويطالعونه بأحوال القرية والرعية[1] .

قصور الحكم والأمراء :

وكان بها عدد من القصور الكبيرة الفخمة لإدارة البلاد أو لسكن حكامها وأمرائها أو للراحة والاستجمام من أشهرها :

١ - قصر الإمـارة :

وهو قصر قديم تداوله الملوك السابقون على الفتح الإسلامى كما اتخذه الأمير عبد الرحمن الداخل مقراً للحكم ومركزاً لتصريف شئون

(١) كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تاليف الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمسانى الجزء الثانى الباب الرابع الطبعة الاولى سنة ١٣٦٧هـ سنة ١٩٤٩م المكتبة التجارية الكبرى .

الدولة وكان يغلب عليه الطابع اليوناني والرومي والقوطي[٢] .

٢ ـ قصر الرصافة :

وقد ابتناه الأمير عبد الرحمن الداخل في ضاحية الرصافة شمالي قرطبة منحرفة إلى الغرب وجعله لسكناه أكثر أوقاته ، وسمي تلك الضاحية بالرصافة تيمنا باسم رصافة جده هشام بن عبد الملك، تلك التي كانت ببلاد الشام .

٣ ـ قصر الدمشق :

وهو قصر شيده بنو أمية وأبدعوا بناءه بالصفاح ويقوم هيكله على أعمدة من الرخام وكان ميدان مراحهم وتسليتهم ومضمار أفراحهم حكوا به بعض قصورهم بالمشرق وأطنب الشعراء في وصفه والتغني بجماله وحسنه وقد أنشد فيه ابن عمار أحد الشعراء الأندلسيين قوله :

كل قصر بعد الدمشق يذم
فيه طاب الجنى ولذ المشم
منظر رائق وماء نمير
وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي
عنبر أشهب ومسك أحم

٤ ـ قصر الروضة :

هذا القصر أقامه الأمير عبد الرحمن الناصر على بعض مرتفعات سيرا مورينا الشرقية على نهر الوادي الكبير إلى الشمال الغربي من موضع الزهراء وهي ضاحية من ضواحي قرطبة سماها باسم جارية أثيرة لديه تدعى الزهراء ، لذلك عرف القصر باسم الروضة أو بقصر الزهراء وكان يحوي أربعمائة حجرة عدا الأجنحة التي يأوي إليها آلاف الحراس والعبيد .

وقد أطنب المؤرخون العرب في وصفه وما كان عليه من فخامة وجمال تثير الدهشة فقد ذكروا أن حيطانه كانت من الرخام السميك ومصفحة بألواح لازوردية تثير الدهشة وأن قراميدَهُ[٣] كانت من الذهب والفضة وكانت قبابه تقوم على ثلاثمائة وأربعة آلاف عمود من أنواع الرخام المنقوش نقشا متساويا ، وكانت عيون الماء العذب في ردهاته تنصب وتغيب في أحواض من الرخام الأبيض مختلفة الأشكال .

وكان من عجائب ذلك القصر بركة بها أوزة من ذهب معلق في رأسها لؤلؤة كبيرة وصهريج مملوء بالزئبق فإذا أراد الخليفة أن يفزع أحداً من أهل مجلسه أومأ إلى أحد حراسه ليحرك الزئبق فيظهر في المجلس لمعان كلمعان البرق من النور فيأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل لكل من في المجلس أن المكان قد طار بهم مادام الزئبق يتحرك[٤] .

٥ ـ وكان هناك العديد من القصور الأخرى بقرطبة هي الكامل والمجدد والحائر والمعشوق والمبارك والفارسي والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع وقد اكتفينا بذكر أسمائها خشية الإطالة لكن مما تجدر الإشارة إليه ذكر قنطرة قرطبة التي على نهرها فهي من أعظم آثار الأندلس وأعجبها بناها السمح بن مالك الخولاني عندما

---

(٢) كتاب قرطبة في التاريخ الإسلامي من تأليف الدكتور جودة هلال ومحمد محمود صبح ـ طبعة أول نوفمبر سنة ١٩٦٢ ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .

(٣) القرميد : الحجر المستخدم للبناء .

(٤) كتاب قرطبة في التاريخ الإسلامي المرجع السابق .

كان اميرا للأندلس عصر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ثم زاد امراء بنى امية بعد ذلك فى بنائها وتحسينها مما جعلها إحدى أعاجيب الدنيا فى تلك العصور[٥] .

مساجد قرطبة ومسجدها الجامع :

بلغت مساجد قرطبة فى عددها أيام حكم الأمير عبد الرحمن الداخل أربعمائة وواحدا وتسعين مسجدا[٦] أشهرها المسجد الجامع الذى ابتناه المسلمون زمن فتح الأندلس وزاد فى توسعته عبد الرحمن الداخل ، وفى هذه الزيادة يقول الشاعر وجيه بن محمد البلونى من قصيدة له فى مدحه :

وأنفق فى دين الإله ووجهه
ثمانين ألفاً من لجين وعسجد
توزعها فى مسجد أسه التقى
ومنهجه دين النبى محمد

ومات عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠ هجرية قبل تمامه فأتمه خليفته هشام الأول بن عبد الرحمن الأموى ومن هذا التاريخ أصبح ذلك المسجد موضع اهتمام الخلفاء من بنى أمية ومحل رعايتهم هم ومن جاء بعدهم من غير البيت الأموى فقد تناولوه إما بالزيادة والتجديد أو الزخرفة أو النقش حتى بلغ طول المسجد بعد زيادة المنصور بن أبى عامر ثلاثين وثلاثمائة ذراع وأصبح عرضه ثلاثين ومائتى ذراع وبلغت أعمدته التى كانت من الرخام المكسو بالذهب واللازورد ثلاثة وتسعين ومائتين وألف عمود وأما (بواكيه)[٧] فبلغت تسع عشرة من الشرق إلى الغرب وإحدى وثلاثين من الشمال إلى الجنوب وصارت أبوابه واحداً وعشرين بابا كسيت بالنحاس الأصفر اللماع الرائع الصنع وكان الباب الأوسط منها مرصعا بصفائح من الذهب وبأعلاه ثلاث كرات مذهبة تعلوها رمانة من الذهب .

أما حوائط المحراب فكانت مكسوة بالفسيفساء وتجرى فيه الفضة ، ويذكر المؤرخون عن منبره أنه كان مصنوعا من العاج ونفيس الأخشاب ويتألف من ست وثلاثين الف حشوة (وهى القطعة الصغيرة من الخشب) سمرت بمسامير من الذهب والفضة كما كانت بعض هذه الحشوات محلاة بالأحجار النفيسة .

وإنارة ذلك المسجد العظيم فى الليل كانت تتم بسبعمائة وأربعة آلاف مصباح ويستنفد فى كل سنة أربعة وعشرين الف رطل من الزيت وعشرين ومئة رطل من العنبر والند ـ أى العود ـ أما مصباح المحراب فكان مصنوعا من الذهب الخالص .

وعلى خدمة المسجد كان يقوم بها حوالى ثلاثمائة رجل لإيقاد البخور من العنبر والعود وإعداد الزيت العطر لإضاءة عشرة آلاف فتيل للقناديل[٨] .

ويذكر المؤرخون أنه كان فى بيت منبره مصحف بخط الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه عليه حلية من ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج وكان يوضع على

←

---

(٥) كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المرجع السابق .

(٦) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ـ الجزء الرابع الأندلس الإسلامية ـ تأليف الدكتور أحمد شلبى ط الخامسة سنة ١٩٧٩ مكتبة النهضة المصرية .

(٧) يطلق المصريون كلمة (باكية) على لون من الأعمدة يعلوه بين كل عمودين قوس نصف دائرى .

(٨) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى المرجع السابق .

العمران فى قرطبة

كرسى من العود الرطب المسمر بمسامير الذهب[٩] .

وقد كان بالمسجد أربع ميضات للوضوء اقامها الأمير الحكم المستنصر بدلا من ميضأة المسجد القديمة اثنتان كبيرتان للرجال فى جهتيه الشرقية والغربية واثنتان صغيرتان للنساء ، وكان الماء يجرى فيها جميعهامن قناة تنساب من سفح جبل قرطبة وتصب ماءها الذى لا ينقطع ليلا ونهاراً فى أحواض رخامية وفضل ذلك الماء العذب يجرى إلى سقايات اتخذت على أبواب المسجد بجهاته الثلاث : الشرقية والغربية والشمالية إلى ثلاث جواب من الرخام[١٠] .

وأما صومعة[١١] المسجد فقد بلغ ارتفاعها ثلاثة وسبعين ذراعا فى عهد الأمير عبد الرحمن الناصر[١٢] .

كيف صار المسجد الجامع بعد سقوط قرطبة فى يد النصارى الأسبان :

لقد ظل هذا المسجد كعبة القصاد تهفو إليه القلوب المسلمة ويجذب إليه طلاب العلم والمعرفة من الشرق والغرب مسلمين وغير مسلمين لما ذاع ذكره بين الناس ونافس ما عداه من المساجد والمدارس فى بغداد والقاهرة وغيرهما من البلدان .

حتى إذا ما حلت سنة أربع وثلاثين وستمائة هجرية التى توافق سنة ١٢٣٦ ميلادية سقطت قرطبة فى يد الملك فرديناند الثالث ملك قشتالة من نصارى الشمال فى أسبانيا فبدأ فى محو معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس خصوصاً فى مساجدها الجامعة ومنها مسجد قرطبة إذ أمر بتحويله إلى كنيسة وبناء على ذلك تم إزالة جميع الميضات الخاصة بالوضوء وكذا إزالة قباب المسجد القديمة ماعدا القبة الرئيسية الوسطى وحلت محل القباب سقوف مضلعة على الطراز الكنسى تزينها من الداخل نقوش نصرانية كما انشىء على طول جوانب الجامع الأربعة من الداخل هياكل ونصب فوقها الصلبان وتماثيل القديسين وصورهم وحتى منارة الجامع أزيلت وأقيم على انقاضها برج الأجراس الحالى على نمط يشبه المنارة ثم أزيلت مقصورة الخليفة فى وسط المسجد بسقفها الأندلسى وأقيم مكانها هيكل كبير بمعرفة أسقف قرطبة سنة ١٥٢١ ميلادية مما أثار النقد الشديد من علماء الآثار الغربيين من أسبان وغيرهم ، وقد وصفه بعضهم بأنه أشنع عمل همجى ارتكب لتشويهه ولا أدل على ذلك من أن الامبراطور شارلكان عندما زار الجامع بعد ذلك التغيير أبدى سخطه واحتج على إقامة الهيكل النصرانى على هذا النحو فى وسط هذا الفراغ الرائع الذى تبدو فيه ملامح الفن الإسلامى الرفيع وأعلن بأن هذا التشويه للجامع قضى على ماكان أثرا وحيدا فى العالم[١٣] .

البقية ص ٤٠٣

(٩) كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب المرجع السابق .
(١٠) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى المرجع السابق .
(١١) المنارة .
(١٢) موسوعة التاريخ الإسلامي . المرجع السابق .
(١٣) كتاب الآثار الأندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال تأليف المرحوم الأستاذ محمد عبد الله عنان الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ سنة ١٩٥٦م .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

قوابة

في طريق العودة

العلوية

تُوبَة

للشاعر: عمر موسى البرعي

إنى اتوب إليك من زلَّاتى ... ياماحى الأوزار بالحسنات
يامن يجير المستغيث إذا دعا ... ويجيب فيه خالص الدعوات
مالى سواك به ألوذ واحتمى ... من شرِّ ما اخشى من الآفات
يارب عفوك ارتجيه لمسلك ... اسرفت فيه بكثرة النزوات
وزرى ثقيل اشتكى من حمله ... حتى لقد كثرت به علَّاتى
انا ما تركت من الذنوب صغيرها ... وكبيرها فى سائر الأوقات
وغدوت والآثام تثقل كاهلى ... وتسود المبيضَّ من صفحاتى
إنى اتيت إليك فاقبل توبتى ... واغفر فإنك غافر الزلَّات
ولقد ندمت ولن اعود فهل ترى ... تُجدى لمحو ماثمى حسراتى ؟
إنى رجعت لباب عفوك راجيا ... منك القبول لدعوتى وشكاتى
إن لم تمن علىَّ بالعفو الذى ... شمل الأنام بارحم الرحمات
فبمن ألوذ وانت من اسماؤك الـ ... حسنى تفيض باعظم الخيرات ؟
ومن الذى ارجوه إن لم تعفُ عن ... ذنبى وفضلك ظاهر الآيات ؟
ياخالقى يارازقى يامالكى ... ياعالم الأسرار والهمسات
كيف الخلاص من الذنوب وحملها ... من ذا سواك يقيل من عثراتى ؟
مالى رجاء غير عفوك سيدى ... فيه ألوذ وارتجى لنجاتى
إن لم تسامحنى فإنى هالك ... ومهدَّد بالويل والنكبات
فاجعل طريقى آمناً من عثرة ... حتى اسير بقوة وثبات
وامنح رضاك تفضلاً وتكرما ... فرضاك عندى غاية الغايات
افنيت عمرى بالذنوب فعافنى ... يارب واختم بالقبول حياتى

في طريق العودة

شعر/ رشاد محمد يوسف

أعود إليك ياربي بكل ضراعة القلب
بكل تلهف الوجدان للغفران والتوب
بكل متاهة العصيان كل مرارة الذنب
بكل ضراوة الأيام كل القهر والجدب

●●●

أعود إليك والأوزار يملأ شوكها هدبي
أعود إليك بعد التيه من درب إلى درب
تشد خطاي أوهام من الفتنة والريب
وتمطرني سماواتي بما يدمي ومايصبي

●●●

أعود إليك تواقاً إلى الإيمان والحب
لأغسل بالتقى الوجدان من إثم ومن ذنب
وليس سواك ياربَّاه يكشف ظلمة الكرب
وليس سواك يشملني بكل حنانه الرحب

●●●

أعود بكل أشواقي أتوق لوردك العذب
وتحملني ضراعاتي إلى الأنوار والقرب
وبي أمل يظللني غداة الموقف الصعب
فجُدْ بالصفح والغفران جُدْ بالعفو ياربي

العلوية

٢

للدكتور : حلمى محمد القاعود

(٤)

ولا ريب أن استخلاف عليّ ليلة الهجرة إلى المدينة المنورة ، كان من ابرز المواقف فى حياته ، وحياة الإسلام بصفة عامة ، ولولا نومه مكان النبى ﷺ ليلة الهجرة ، ماتمّ التمويه على مشركي مكة الواقفين بباب النبي ، يترصدون خروجه للقضاء عليه بالقتل ! وقد آثر الشاعر أن يكتفى بسرد القصة منذ طلب النبى ﷺ ، من عليّ أن ينام فى مكانه فداءً له ، فقبل عليّ وارخص نفسه « فدىً لأخيه » ، ولم يخش السيوف التى جاءت تطلبه ، ولم يفزع منها ، « ولم تقلق بجفنيه مناماً » ..

هكذا تبدو الصورة بسيطة وخالية من الحوار الداخلي .. « طالب ومطلوب وشجاع » ويكمل الشاعر الصورة برسم ماجرى بعد نوم على : أغشى الله عيون المشركين عن محمد ، خرج مع صاحبه ، غادر إلى المدينة (الزوراء) ترك علياً في مكة (أم القرى أو البطاح) ليسدّد ماعليه ، وهكذا ينتهى مشهد ليلة الهجرة بالنسبة لعلي من خلال المعجم اللغوي المميز لعبد المطلب :

فلن ينسى النبى له صنيعا
عشية ودع البيت الحراما
عشية سامه فى الله نفسا
لغير الله تكبر أن تساما
فأرخصها فدى لأخيه ولما
تسجى فى حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم والمنايا
لحرب الله تنتحم انتحاما[١]
فلم يأبه لها انفاً علىٌّ
ولم تقلق بجفنيه مناما
وأغشى الله أعينهم فراحت
ولم تر ذلك البدر التماما
عموا عن أحمد ومضى نجياً
مع الصديق يدّرع الظلاما
وغادرت البطاح به ركابٌ
إلى الزوراء تعتزم اعتزاما
وفى أم القرى خلّى أخاه
على وجدٍ به يشكو الأواما[٢]

(١) تنتحم : تخرج نَفَساً عالياً نتيجة لانفعال ما .

(٢) الأوام : شدة الشوق .

أقـام بـهـا ليقضيـهـا حقـوقـاً
عـلى طـه بها كـانـت لـزامـا

الصورة بسيطة ، كما قلنا ، يضاف إليها أنها ترسم من الخارج أو تحكي من الذاكرة قصة قصيرة لموقف كان يمكن أن يكون مليئاً بالحيوية والعمق والتدفق الشعري ، ولأن المفارقة تصنعه وتهيء له ، فهناك القتل يترصد محمداً ﷺ ، على الباب وهناك صبّي صغير قد يتعرض لهجمة مباغتة من القتلة ، ولكن الشاعر آثر أن يسجل شجاعة علي ، دون أن يصوّرها شعريا بالطريقة الملائمة ، ويبدو أنه كان يركز جهده في مواضع أخرى بالمطولة ليبدي التعاطف مع علي الإمام المفترى عليه ، أو قل إنها قدراته التعبيرية التي تشده إلى (النظم) أكثر مما تشده إلى (التصوير) ، لدرجة أننا نستشعر أنه يكمل بعض الأبيات عنوة ،. بالرغم من أنفها لتتساوى في شطريها ، وتأمل مثلاً قوله :

واغشى الله أعينـهـم فـراحـت
ولـم تـر ذلـك البـدر التمـامـا

وقوله :

وفي أم القـرى خـلّى أخـاه
عـلى وجـدٍ بـه يشكـو الأوامـا
أقـام بـهـا ليقضيـهـا حقـوقـا
عـلى طـه بـهـا كـانـت لـزامـا

فالبيت الأول ينتهي عملياً بقوله : « واغشى الله أعينهم » ، وما بعده مجرد حشو دعت إليه ضرورة إكمال البيت ، وكذلك في البيتين الأخيرين عندما يقول : « خلى أخاه على وجد به » ، فإن جملة « تشكو الأواما » تحصيل حاصل للمعنى السابق ، وربما كان المعنى السابق أقوى وأدق .

وكذلك قوله : « ليقضيها حقوقاً » ، فإن بقية البيت تكرار لا يضيف جديداً ، ويبدو أن طابع الإنشاء الذي كان سمة العصر ، كان يدفع الشعراء ـ وبخاصة عند إنشاء المطوّلات ـ إلى النظم الغزير حتى لو جاء على حساب الأداء الفني .. وقد يرتبط بهذه الظاهرة (الحشو) ظاهرة الحذف التي تتكرر عند الشاعر حيث يأتي ببعض المعاني غير كاملة ، ويترك لفطنة المستمع أو المتلقي إدراك المحذوف ، وأظن أن الظاهرتين إذا لم تكونا مبررتين فنياً فإنهما تمثلان عبئاً على الأداء الشعري ، والنص بصفة عامة .

(٢)

وإذا كان الاهتمام بالترتيب التاريخي لسيرة عليّ يبدو جلياً في المراحل الأولى من القصيدة ، فإنه يمثل نوعاً من تشتيت اهتمام المتلقي بالملامح العلوية في المراحل التالية ، فالحديث عن شجاعة علي في ليلة الهجرة كان يقتضي ـ من وجهة نظري ـ استمرار الحديث عن ملامح شجاعته الأخرى ليصور الفارس المقاتل الذي لا يهاب الفرسان والشجعان ، ولكن الشاعر يعود بنا إلى قصّ طرف من حياة الإمام في المدينة ، وزواجه من فاطمة ـ رضي الله عنها ـ وقيامهما بالليل ، وسيرتهما معاً ، ثم يعود إلى الحديث عن غزوة أحد ودور الإمام فيها ، وكذلك غزوة الخندق ، ويوم خيبر ، وقتله « مرحب بن منسية » وزعامته في المواطن والمغازي .. ويترك ذلك كله ليتحدث عن المرحلة التي تفصل بين عهدين : عهد الجندي وعهد الحاكم ، والتي يسميها « علي في السلم » .

لقد كانت المطولة تسير في اتجاه تصاعدي ، كان يمكن أن يبلور صورة الإمام « شجاعاً » بإحكام شديد ، ولكنه ـ أي الشاعر ـ آثر أن يسير وفقاً لخط منكسر ، ولنقرأ هذه الأبيات من حديثه عن علي في المدينة :

فـإن يـك عـهـده فيـهـا وبـالاً
عـلى الطـاغـوت أو داء عُقـامـا

العلوية ..

فكم طابت به للحق نفس
بطيبة حين أوطنها مُقاما
وكم شهدت له الزوراء يوماً
وكم حمد الحنيف له مقاما
فسائل في المواطن عن فتاها
إذا حبكت عواصفها القتاما[3]
إذا لمعت سيوف الله فيها
تقطُ خواصراً وتقدُّ قاما[4]
وخيل الله في الجلبات شعثٌ
تدك السهل أو تَطِسُ الرِّضاما[5]
سَلِ الرايات كم رادت عليًّا
يصرِّف تحتها الجيش اللُّهاما[6]

وبعدئذٍ ينقلنا « عبد المطلب » إلى « الوليد بن عتبة » ومصرعه في يوم بدر، ثم ينقلنا إلى حديث المصاهرة بين عليّ والنبي ﷺ بزواجه من فاطمة رضي الله عنها :

وما صهر النبي إذا تنادوا
كمن يدعو ربيعة أو هشاما
ومن تُهدى البتول له عروساً
بنى في النجم بيتاً لا يسامى
بأمر الله زفوها إليه
عشية راح يخطبها وساما

ويستمر في عرض العلاقة بين علي وفاطمة، حتى يعود مرة أخرى إلى الغزوات وشجاعة عليّ فيها، فيتكلم عن غزوة أحد :

فسائل عنه في أُحُدَ العوالي
وقد حلك العجاجُ بها وأما ..

وإن كان الإنصاف يقتضينا أن نشير إلى توفيق الشاعر في تصوير قتل الإمام علي لمَرْحَب بن منسية اليهودي يوم خيبر، فقد عرض لليهودي الفارس الذى كان يخشاه الفرسان، وتحتمي به يهود، وتعتبره بطل أبطالها، ولكنه يخر صريعاً أمام علي بعد لقاء درامي عنيف .. يصور « محمد عبد المطلب » الفارس اليهودي مرحب، وهو يُقْبل في صلف وكبر، عليه من الدروع مايستطيع أن يواجه به أي فارس آخر، تسبقه شهرته في هزيمة أعدائه « يثنّى في الوغى سيفاً ولاما »، ويشد على الإمام بسيفه حتى يزيل مجنّه، ويكاد يقضي عليه، ولكن علياً يرى باباً ضخماً، لاتستطيع حمله العصبة من الرجال أولى القوة، فيحمله عليّ، ويتترّس به، ويهوى على مرحب بضربة قاصمة تقضي عليه .

وأقبل مرحبٌ في البأس يحبو
وكان البأس صاحبه الأَزاما[7]
يميل إذا انتمى صلفاً وكبرا
كراكب لُجَّةٍ يشكو الهداما[8]
ألم أك مرحباً يوم التنادي
إذا ما الليث من فزع الاما
ألست لآل إسرائيل غوثاً
إذا نشدوا بي البطل الهُذاما[9]
وما علم الفتى أن المنايا
خططن بذى الفقار له مناما
وأن له من الكرَّار يوماً
عبوس الوجه يحتبك الإياما[10]
سلا ابن الخيبرية يوم وافى
وليث الله يرقبه رغاما[11]

(٣) القتام : الغبار .
(٤) تَقُطُّ : تَقُدُّ : تقطع، والمقصود : تهلك وتقتل ـ والقام : القامات .
(٥) تطس : تضرب بحوافرها، الرضام : الحجارة .
(٦) اللهام : الغزير أو الكثير .
(٧) الأزام : الملازم .
(٨) الهُدام : دوار البحر .
(٩) الهُذام : الشجاع .
(١٠) الكرار : يقصد الإمام علي، يحتبك : يعقد، الإيام، الدخان .
(١١) رَغام : يقصد حدّة النظر .

ضفا حلق الحديد عليه مثنى
وظاهر فوق بيضته الرخاما
ولم أر قبل مرحب من كميّ
يثنى فى الوغى سيفاً ولاما
فشدّ على الإمام بذي سطام
نضاه لكل جاحمةٍ سِطاما[١٢]
فزال مجنٌّ حيدر لا بوهنٍ
ولا ضعفت لحمله سُلامى[١٣]
ومال بطرفه فإذا رتاجٌ
هناك تخاله جبلاً تسامى
فسل يسراه كيف تلقفته
وقد أعيا تحمله الفِئَاما[١٤]
يقبله بها ترساً ويغشى
بيمناه الفتى موتاً زُؤَاما
علاه بضربة لو أن رضوى
تلقَّاها لعاد بها هَيَاما
فلم يعصمه من حين رخام
ولم يجد الحديد له عصاما
وليس أخو اللئام وإن تزكى
لسيف الله فى الهيجا لئاما
رأى ابن الخيبرية كيف لاقى
بحيدر ذلك الأسد الزِّزاما[١٥]
وعادت خيبر لِلَّهِ فيئاً
يقسَّم فى كتائبه اقتساما

لقد أعطى « عبد المطلب » لنفسه الفرصة كي يصور مشهد الصراع بين مرحب وعلي ، بأن صور حالة كل منهما ، الأول فى غروره وصلفه وقوته ، والثانى في ترقبه وشجاعته وإصراره .. بل إنه صوّر لنا غرور مرحب من خلال حديثه عن نفسه عندما يهتف به قومه طلباً للنجدة ، باعتباره غوثاً لهم ، وفارسهم البطل الشجاع .. ويضيف إلى ذلك منظره وهو فى دروعه المضاعفة (حَلَقُ الحديد) ، ثم وهو يظاهر « فوق بيضته الرُّخاما » زيادة فى تأمين نفسه أمام عدوّه ، ثم وهو كميٌّ نادر المثال يُثَنّى السيوف وعدّة الحرب التى يلبسها الفرسان .. ولكن هذا الفارس النادر المثال ، يتهاوى أمام عليّ حين يضربه ضربة قوية ، تكاد تزلزل أضخم الجبال ، وتحولها إلى تراب ، ولنتأمل إصرار الشاعر على تسمية عليّ باسم « حيدر » .. وفيه معنى شجاعة الأسد وبسالته ، كذلك ، ليعيد إلى الأذهان ماروى عن « مرحب بن منسية » عندما رأى في المنام أن ليثاً افترسه ، فلما سمع علياً يقول : أنا الذى « سمّتني أمي حيدرة » تحقق تأويل رؤياه ، وخرّ صريعاً ..

وعادت خيبرُ لله فيئاً
يُقَسَّمُ فى كتائبه اقتساما

وربما أراد « محمد عبد المطلب » من ذكر الفيء وتقسيمه ، تأكيد الهزيمة الساحقة التى لحقت باليهود يوم خيبر ، وإبراز الشجاعة الحقيقية النادرة للإمام فى تلك المعركة الخالدة ..

ومهما يكن من أمر ، فالشاعر قد صوّر بهذه القصة لقطة شعرية جيدة وموفقة فى مطوّلته ، أضاءت مَلْمَحاً من شخصية عليّ ، وأضاءت القصيدة أيضاً ..

(٦)

أراد محمد عبد المطلب أن يصوّر علياً إنساناً عادياً يمارس حياته اليومية ، فاختار المرحلة التى أشرنا إليها ،وهى مرحلة مابين الجندي

---

(١٢) ذى سطام : يقصد حدّ السيف ، سطام الثانية : مايقلب به الحداد نار الكير .
(١٣) المجنّ : الدرع أو مايحمي به الفارس نفسه من خصمه ، السّلامى : أصول الأصابع فى اليد .
(١٤) الفئام : الجماعة .
(١٥) الزّزام : البروك على الفريسة .

والحاكم .. وهي تمثل فيما يبدو الوجه المقابل لعلي المحارب المقاتل ، ولذا اختار لها عنوان « علي في السلم » ، بينما الصورة في الحقيقة تنطبق على عليّ في حربه وسلمه معاً ، فهو كمسلم ملتزم بقيم الإسلام ، في كل الأحوال ، ولكن تقسيم الشاعر لمراحل حياته أو ملامح شخصيته ، فرضت عليه أن يُصنِّف هذه الملامح في إطار الترتيب التاريخي الذي لم يطّرد تماماً .

يقدم الشاعر خمسة ملامح لعلي في سلمه هي : قلبه ونفسه ، ووجهه ، وجوده ، وقيامه الليل ، وتستغرق حيزاً قصيراً بالنسبة لبقية الملامح العلوية التي تحدث عنها .. وقد صاغها أيضا أو صاغ معظمها من الخارج ، أو بصيغة الحكاية الموجزة التي تشير خَطْفاً إلى وصف ما أو حالة ما ، دون أن يتغلغل إلى إعماق الملمح الذي يتناوله . فهو مثلاً عندما يتحدث عن « قلب » علي ، فإنه يشير إلى أن علياً يبتدر الناس بالسلام ، وأنه حوى علم النبوة في فؤاده ، وأنه محب للحق ، ولم يضرب مثالاً واحداً لمواقفه التي تكشف عن قلب عليّ ، بالرغم من كثرة هذه المواقف التي تُدَلِّلُ على حبّه للسلام والعلم والحق .. إنه يكتفي بأن يأمر سامعه أن يسأل أهل السلام ليتحقق من حب عليّ للسلام :

وسَـلْ أهـلَ الـسـلام تجـد علـيـاً
أمـام الـنـاس يبتـدرُ الـسَّـلامـا
حـوى عـلـم النبـوة في فـؤادٍ
طَمَـا بـالـعلـم زخَّـاراً فَطَـامَـا
سقـاه الحـق أفـواق المـعـانـي
وهيَّمـه بـهـا حبَّـاً فـهـامَـا
وزوّده اليقـين بـه فكـانـت
أفـاويـق اليقـين لـه قَـوَامـا
رمـى في عـالـم الأنـوار سبْحـاً
إلى سُـوح الجـلال بـه تـرامـى

وعندما يتحدث عن « جوده » ، فإنه يفلت من يده مادة غنيَّةٌ ودسمة ، وهي القصة(*) التي ذكرها القرآن الكريم عن إيثار علي وفاطمة ، وإطعامهما للمسكين واليتيم والأسير ، بالرغم من أنهما كانا صائمين ، فجادا بالطعام ، وواصلا الصّيام ، لأن الجود الذي يصل إلى حد الإيثار طبع في نفسيهما[١٦] .. لقد اكتفى محمد عبد المطلب بالإشارة إلى الجود كصفة ، وطلب من سامعه أو المتلقي أن يسأل القرآن أو جبريل ليعلم المكارم « العَلَويّة » التي لن تَفْنى ، ولن يصل إليها أحد ، دون أن يُجْري معها حواراً شعرياً يكشف عن طبيعة هذه المكارم وأعماقها :

وفيضُ يـدٍ مـن الـوسمـيّ أنـدى
إذا الحـيُّ اشتكى سَنَـةً أزامـا[١٧]
عـلى حـب الطـعـام يصـدُّ عنـه
ليطـعـمـه الأرامـل واليتـامـى
سـل القـرآن أو جبـريـل تـعلـم
مكـارم لـن تبيـد ولـن تُـرامـا
مـن الأبـرار يـغتبقـون كـأسـاً
من الـرِّضـوان متـرعـةٌ وجـامـا

(*) أولا هذا الموضوع بالكتاب العزيز ليس قصة ، ثانيا : لا علاقة له بعلي وفاطمة ـ رضي الله عنهما ـ إطلاقا (الخطيب) .

(١٦) يقول الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا . إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً . فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً . وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . . . . ﴾ (الإنسان : ٧ ـ ١٢ ، وانظر الآيات التالية حتى ٢٢) .

(١٧) الوسمي : مطر الربيع الأولى ، والسنة الأَزَام : الشديدة من الأزم وهو العض .

عـلـيٌّ والبتـول وكـوكبـاهُ
ضيـاء الأرض إن أفـق أغـامـا[١٨]
ثنـاءٌ في الكتـاب لـه عبيرٌ
تُقصِّرُ عنـه أرواحُ الخُـزامـى[١٩]

بيد أن « محمدعبد المطلب » قد يقترب أحياناً من إعطاء الملمح الشخصي لعلي بن أبي طالب أبعاده المتعددّة ، فعندما يتناول علياً وهو يقوم الليل ، فإنه يصوّره دامعاً خوفاً من الله ، ثم يُلقي على المشهد مهابةً وجلالاً حين يشير إلى الملائكة المحتشدة والمحتشمة ، حول المحراب عندما يُصلّي .. وصلاة الليل بالنسبة لعليّ هي السُّحُور الذي يمهّد للصّوم في النهار ، وبين الصبر والقناعة ، والخشوع والطاعة ، يحيا عليّ ويتغذّى ، دون أن تقهره شهوة الطعام أو الراحة .. ولذا فإن علياً قد حوى المجد كهلاً في هيئة شيخ .. وهنا يأسى الشاعر على المظالم التي تعرّض لها عليّ ، ويمهّد بهذا الأسى للأحداث الدّامية التي بدأت عند مقتل عثمان رضوان الله عليه :

وكـم أجـرى عـلى المحـراب دمعـاً
لخـوف الله ينسجـم انسجـامـا
إذا مـا قـام في المحـراب قـامـت
لـه زُمَـرُ المـلائكـة احتشـامـا
صـلاة الليـل يجـعلـهـا سحـوراً
إذا مـا في الغداةِ نـوى الصيـامـا
تـرى صبـر القنـوع لـه غـذاءً
جـرى دمـع الخشـوع لـه إدامـا
رأينـا في الكـهـولـة منـه شيخـاً
حـوى المجـد اشتمـالاً واعتمـامـا
فمـا للـدَّهْـر لـم يعـرف حقـوقـاً
لـه شيخـاً ولـم يُنكـر ظِـلامـا[٢٠]

وفي هذا المقطع يقدم الشاعـر أكثر من صـورة مبتكرة أو متميزة ، فها نحن نرى زمر الملائكة تقوم احتشاما ، متأثراً بالآية الكريمة :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . . ﴾[٢١] .

واستخـدام لفظة « زُمَـر » لتصوير جماعـات الملائكة وهم يقومون على الحفاوة والرعاية لعليٍّ قائم الليل ، الخاشع ، المتبتل ؛ يعطي المشهد حالة من الـوقار والهيبـة التي تضع علياً في منزلـة رفيعـة ونادرة .. ثم انظر تشبيهه لصلاة الليل بالسحور ، ليبيّن مدي زهادة الرجل وقناعته وتواضعـه ، وهو مـا يوضحـه في صورة أعمق وأجمـل حين يصبـح « صبر القنوع غـذاء » ، ودمع الخشـوع إداما ، تدليلاً على طبيعة زاهدة قانعة صابرة .

ثم يكشف الشاعر عن بُعْـد من أبعاد عـلى حين يصير شيخاً وهو كهل ، تعبيراً عن حكمته المبكـرة ورزانته واتزانه ، ولذلك يصوغ جُماعاً لهذه الأبعاد في إطار بدوي « حوى المجد اشتمـالاً واعتمامـاً » معتمداً على الشملة والعمامة كعنصرين من العناصر التي يستعين بهـا البدوي لاتقاء البرد والحر ، وهما في الوقت نفسه الإطار الذي يحوي المجد أو صاحب المجد ..

وكأن الشاعر أراد بهذه الـوقفة المـوجزة أمـام شخصيـة « عـلي في السلم » أن يبـين المبـررات والبراهين على خطأ خصوم علي وانحـرافهم ، وهو ما يلح عليه بعدئذٍ في سياق طويل وفضفاض تبرز فيه أحـاسيس الشاعـر وعـواطفـه ومشـاعـره تجـاه الطرفين : عليّ وخصومه ..

(١٨) البتول : فاطمة ، كوكباه : الحسن والحسين .

(١٩) يشير إلى الآيات الكريمة في سورة « الإنسان » التي تحدثت عن علي وفاطمة وإطعامهما الطعام على حبّه .

(٢٠) ظِلاما : يقصد الظلم .

(٢١) الزمر : ٧٣ ، وقد وردت اللفظة أيضاً في الآية ٧١ .

العلــوية ..

ويجيء البيت الأخير في المقطع السابق ، ليكون رابطاً وصلةً بين ما سبق من حديث عن علي ، وما سوف يأتي - وهو الأهمّ لدى الشاعر - وكأنه يقول : لماذا فعل الخصوم ما فعلوا حتى انتهى الأمر بمصرع الإمام ؟ .. ولذا يشير إلى « الدهر » مجازاً - كرمز للخصوم - في عدم معرفة حقوق الإمام ، وعدم إنكار الظلم الذي تعرض له :

فمـا للـدهـر لـم يعـرف حقـوقـاً
لـه شيخـاً ولـم ينكـر ظِـلامـاً ؟

وواضح أن لفظه « شيخ » هنا تعبير عن المرحلة الأخيرة في حياة عليّ ، التي شهدت مصرع عثمان ، وتوليه الخلافة ، والشاعر يعتمد كما أشرنا على تقسيم حياة عليّ إلى مراحل (عليّ في صباه وإسلامه ، علي بالمدينة ، علي في السلم ، علي في كبره) ، وإن كانت مرحلة السلم ، كما أوضحنا متداخلة مع بقية المراحل ..

والمرحلة الأخيرة ، وهي « علي في كبره » هي مرحلة تَنكُّر الدهر له « شيخاً » ، كما جاء في البيت وهي التي شهدت أخطر الحوادث التي أثرت على مسيرة الدولة الإسلامية كلها ، ونقلتها من حال إلى حال .. ولذا نجد الشاعر يتوقف عند مصرع عثمان رضي الله عنه ، ويشير إلى الفتنة التي اشتعلت وأدت إلى مقتله الدامي والمأساوي ، واستخلاف عليّ ، وظهور الصراع السياسي الذي انتهى باغتيال الإمام .

وفي هذه المرحلة ، يبدو الشاعر ، وقد انتقل من واقع إلى واقع آخر ، ويريد في الوقت ذاته أن يقطع مابين الواقعين ، ليحتشد للواقع الجديد ، ويتهيأ له .. فيعلن لصاحبيه - وفقاً لتقليد فني موروث ، أن يقفا وينتظراه ، بعد أن فقد القدرة على الكلام ، وضلت القوافي ، وما كان فَدْماً ولا حَصِراً .. ولكنه يبرر هذا الموقف بصروف الزمان وحوادثه التي تجعل « الفصيح » « عيياً » و « المُفْلِقُون » « فِداما » !

خليـلي أرْبِعَـا وتنظّـراني
ضللـت القـوافي لا أجـد الكـلامـا
ومـا أنـا بـالـغُلُّـب في القـوافي
ولا حَصِـراً بهـا يشكـو الفُحـامـا
ولكـن الـزمـان لـه صروفٌ
يـعـودُ المُفْلِقُـون بـهـا فِـدَامـا

وهكذا يأسى الشاعر أولاً على ما أصاب الإمام « شيخاً » ، ضاعت حقوقه وكثرت ظلاماته ، ثم يعلن ثانياً عن ذهوله وفقدانه القدرة على التعبير بسبب صروف الزمان وتقلباته ، ويوضح ثالثاً ما أصاب الإسلام والمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ ، وما حلّ بالخلافة من مصائب :

سجـا ليـل الحـوادث بـعـد طـه
فـعـمّ الـديـن والـدنيـا ظـلامـا
وحلّـت بـالخـلافـة مُـرْزِئـاتٌ
طـواحنُ تحتسى النـاس التهـامـا
أهبـن بـهـا فما أجْلَـيْنَ حتـى
رأيت حبيكتهـا سـال انثمـامـا(٢٢)
قـواصم عيَّ ظهـر الـدين عنهـا
ولـولا الله لانقصـم انقصـامـا

إذاً الحديث عن مرحلة « علي في السلم » يقود إلى مرحلة « علي في الخلافة » أو في الحكم ، وهي مرحلة حافلة بالكثير من البطولات والخلافات ، والدّم والدموع .

يتبع

---

(٢٢) انثماما : سيلان مثل الدهن شيئاً فشيئاً ، الحبيك : المعقود .

من أعلام الأزهر

المحدث العلامة الأستاذ

الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي

عضو هيئة كبار العلماء

للأستاذ / محمود عبد الرازق عقباوى

العلامة السمالوطى احد العلماء الأقطاب ، خطيب مفوه ، إذا صعد منبرا تدفَّقَ تدفُّقَ الاتىّ « اى مرتجل مبتدع » يحلق إلى رفيع الأجواء ، ويجتذب القلوب والأسماع .

ومحاضر تشهد موضوعاته بقوة استيعابه لموضوعه ، ووفرة إلمامه به وإتمامه .

لأسلوبه طريقته فى التماس مواطن التأثير فى نفس القارىء والسامع ، يطرقها بلطف فإذا هو يستهوى القلب ويستميل الفؤاد كما يسترعى الابصار ويستوقف الافكار .

ثم له من خفة روحه ، وصدق حديثه ، وبداهة قضاياه ما يثبت قوله ويفسح له لدى سامعيه وقارئيه .

اخلاقه وصفاته: غض الإهاب ، جميل الهندام ، بعيد النظر ، ثاقب الرأى ، سريع الخاطر ، نصير من يستنصره ، معين من يستنجده ، يحب الحق ولايكترث بظالم وسواء عنده أكثر أصحابه أم قلوا يدافع عن الفضيلة ويرد الرذيلة .

حياته : ولد المغفور له شمس الدين محمد بن إبراهيم بن على الحميدى السمالوطى من ابوين شريفين سنة (١٢٧٣) هـ فى سمالوط ـ محافظة المنيا ولم تستمر إقامته بها طويلا فسرعان ماجىء به إلى القاهرة وعمره نحو السنتين فنشأ بها وحفظ القرآن فى صغره وانتسب إلى الأزهر الشريف واشتغل بعلومه ويسرالله ـ تعالى ـ له ، أن يشرف عليه أخوه الشيخ عمر الذى عنى به فى مبدأ حياته العلمية عناية فائقة ، وكان يوصى به اكابر شيوخ عصره ، فحضر عليهم وتلقى منهم ، فجلس إلى الشيخ العلامة المحدث الشيخ سليم البشرى ، وكان بينهما نسب وصهر ، و إلى العلامة شمس الدين الانبابى ، وعنه يروى صحيح البخارى وعلى شيخ المالكية الشيخ محمد عليش وهو شيخه فى الطريق الشاذلى بسنده إلى العلامة الامير ، وبرع فى علوم الأزهر كما برع فى الفقه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن انس ، وانقطع لدروس الوعظ والتفسير والحديث (بالمسجد الزينبى) ، ثم نال شهادة العالمية فى أول شياخة الإمام الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر ـ رحمه الله وواصل العمل بالتدريس فى الأزهر ، وامتاز فى فنون الحديث وغيرها ، فانتخب عضوا بهيئة كبار العلماء .

واشتغل فى آخر أمره بتدريس الحديث والتفسير فى (المشهد الحسينى) وكان شديد الذكاء ، حديد الطبع ، ورث الحدة والغيرة على

←

الدين عن شيخه الشيخ عليش ، وكان قوى العارضة ، حاضر البديهة ، معتزلا ذوى النفوذ وأرباب المناصب ، يخالط الناس فينفعهم ويغشى مجالسهم ليهذبهم ، لايحب إلا فى الله ولايبغض إلا فى الله .

وله تعاليق وحواش على كثير من الكتب التى قرأها وكان كثير السهر للمطالعة والمراجعة والتحصيل والكتابة ، وكثيرا ماكان يغلبه النوم فينام حيث هو دون أن ينتقل إلى مخدعه .

وكان يمارس النظم قليلا وله منظومة لطيفة فى ختم صحيح البخارى .

ومن عادة درسه فى ختم كتب الحديث أن يحتفل المشتغلون بالسماع عليه بيوم الختام احتفالا مهيبا يكثر فيه الزحام وَيَعْبَقُ فيه مسك الختام ، ويحضره القراء والعلماء والخطباء والشعراء يتبارون فى خطبهم وأشعارهم مدحا وتقديراً .

كان طوال حياته ـ عليه الرحمة ـ مصدر خير وبركة وفيض ، لم ينقطع عن الدرس والإفادة والاستفادة إلى أن حبسه مرضه الأخير بضعة أشهر بمنزله فاحتجب عن طلابه ومريديه وأصحابه وعارفيه إلى أن توفى بمنزله فى جزيرة الروضة عشاء ليلة السبت الساعة الثامنة فى الخامس من صفر ١٣٥٣ هـ الموافق ١٨ مايو ١٩٣٤ م واحتفل بتشييع جنازته من الروضة إلى المسجد الزينبى ، حيث صلى عليه هناك ثم إلى المشهد الحسينى حيث صلى عليه فيه أيضا ثم إلى الجامع الأزهر الشريف حيث حضر للصلاة عليه وتشييعه إلى مقره الأخير جموع حاشدة ضاقت بها رحبات الأزهر وجنباته ، ودفن (بالقرافة الصغرى) تجاه مدفن الشيخ محمد أبى الفضل الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر ـ رحمه الله ـ بجوار ضريح سيدى (عمر بن الفارض) رضى الله عنه .

وقد استجازه من أهل المغرب جماعة منهم السيد عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسى قاضى (حدكورت) وقته ، وله تلاميذ الكثيرون من بعده ، رحمه الله رحمة واسعة ، ومن رثائه : قال الأستاذ سليمان الوكيل :

أتودع طيات الثرى يامحمد
وكم كنت تبنى للعلا وتشيد
فطب يافقيد العلم نفسا فإن فى
مآثركم عمراً لكم يتجدد

وقال الأستاذ أحمد محمد سالمان :

إن خطب الإسلام فيك جسيم
أيها العالم الهمام العظيم
نعم أجر المجاهدين جنود الـ
ـعلم رضوان ربهم والنعيم[1]

تصويب

وقع بعدد ربيع الأول ص ٢٧٥ فصل بين كلمتى (عدى وقرى) والصحيح أنهما معاً لتسمية واحدة ..

(١) انظر مجلة « الإسلام » عدد الجمعة ١٢ من صفر ١٣٥٣ هـ ٢٥/٥/١٩٣٤ م و « نور الإسلام » المجلد الأول الخامس من المحرم وصفر ١٣٥٣ هـ مجلة الأزهر حاليا .

العلوم الكونية

حرارة الجو إلى أين ؟

إرليتريا ومشاكلها

حرارة الجو إلى أين؟

٣

ا . د . أحمد فؤاد باشا

● حرارة الجوّ وتأثير « البيت الزجاجي »:

سبق أن علمنا[1] أن جوّ الأرض ، وخاصة في الطبقات المنخفضة ، لا يكتسب حرارته من الإشعاع الشمسي الذي يمر خلاله مباشرة ، لكنه يكتسبها بصورة رئيسية عن طريق الحرارة التي تنتقل إليه من سطح الأرض عندما يسخن ، وأيضاً عن طريق بخار الماء الذي يتصاعد من الأسطح المائية ويتكاثف في طبقة « التروبوسفير » المهيأة لإثارة معظم أنواع السحب . وينبغي الإشارة إلى أن معدل اكتساب أو فقد الأرض للحرارة يكون أعلى في حالة اليابسة منه في حالة الماء . ذلك لأن عملية الخلط الرأسي للمياه ، ناهيك عن شفافيتها ، تعمل على توزيع الحرارة الممتصة وانتشارها إلى أعماق أكبر مما يحدث في سطح اليابسة .

ويعتمد التفسير العلمي لحالة الاتـزان الحراري في الجو بالقرب من سطح الأرض على نظرية هامة تعـرف باسم « تـأثير البيت الزجاجي » أو « الصوبة » Greenhouse effect —

فمن المعلوم أن امتصاص الأشعة الحرارية في وسط مادي يعتمد على درجة سماحه لها بالنفاذ خلاله . ويعتبر الهواء وسطاً شفافاً للأشعة الحرارية إذا ما قورن مثلا بالخشب الذي يعتبر معتماً بالنسبة للأشعة الضوئية . أما الزجاج ، الذي تنسب إليه ظاهرة « الصوبة » التي نحن بصدد الحديث عنها ، فإنه يسمح بنفاذ الأشعة الحرارية الصادرة من جسم مضيء ذي درجة حرارة عالية مثل الشمس أو المصابيح الكهربية ، بينما لا يسمح بنفاذ الأشعة الحرارية الصادرة من الأجسام العادية عند ارتفاع درجة حرارتها ، ويعكسها . فالزجاج شفاف تماماً لإشعاع الضوء العادي وتخترقه موجات الإشعاع الشمسي القصيرة دون صعوبة ، بخلاف الحال بالنسبة للموجات الحرارية الأكثر طولاً فهي لا تستطيع اختراقه . وليست هذه الحقيقة العلمية مثيرة للعجب ، فجلد جسم الإنسان - على سبيل المثال - شفاف إلى حدٍّ ما بالنسبة لأشعة « إكس » ذات الموجات القصيرة جداً والتي تستخدم لتصوير العظام داخل جسم الإنسان ، ولكنه يحجب موجات الضوء المرئي الأكبر طولاً .

(١) راجع الجزءين الأول والثاني من هذا المقال في العددين السابقين من مجلة الأزهر .

وتستخدم هذه الخاصية للزجاج في الاستفادة من الطاقة الشمسية بإنشاء بيوت زجاجية للتدفئة في وقت الشتاء، أو بتجهيز « صوبات » زجاجية لتربية النباتات وحفظها في درجة حرارة مناسبة، حيث يكون الزجاج بمثابة عازل لكمية الحرارة المكتسبة ويحتفظ البيت الزجاجي بداخله بمعظم الطاقة الحرارية التي تصل إليه من الشمس.

ويعتقد العلماء أن جو الأرض يعمل بطريقة مشابهة تماماً لتأثير البيت الزجاجي. فقد أثبتت التجارب والدراسات أن غاز ثاني أكسيد الكربون يمكن أن يكون له هذا التأثير، ورغم وجود هذا الغاز بنسبة ضئيلة في الهواء يبلغ متوسطها ٠٣, ٪، أي ثلاثة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء من الهواء، إلا أن كميته الكلية في الجو تعتبر هائلة، وبذلك تكون له قدرة فائقة على الاحتفاظ بالأشعة الحرارية دون الحمراء الصادرة من مواد سطح الأرض ومنعها من التسرب إلى الفضاء. ومادامت أشعة الشمس تنفذ باستمرار إلى سطح الأرض، فإن درجة حرارته تأخذ في الارتفاع حتى يكون مقدار ما يفقده سطح الأرض من الحرارة إلى الفضاء عن طريق الإشعاع معادلاً ذلك الذي يمتصه من أشعة الشمس. عندئذ تحدث حالة الاتزان الحراري ويعمل غاز ثاني أكسيد الكربون على حفظ كمية الحرارة المكتسبة في جو الأرض وتثبيت درجة الحرارة حول معدلها المناسب بالقرب من سطح الكوكب.

ويعزز هذه النظرية تلك البيانات التي أرسلتها حديثاً مركبات الأبحاث الفضائية عن كوكب عطارد الذي لا جوّ له، وكوكب الزهرة الذي يحتوي غلافه الجوي على ما يقرب من حوالي ٩٠ ٪ من غاز ثاني أكسيد الكربون. فقد وجد أن أعلى متوسط لدرجة حرارة وجه عطارد المواجه للشمس يبلغ ٣٤٣°م، أما درجة حرارة كوكب الزهرة فتبلغ ٣٧١°م بالرغم من أنها تبعد عن الشمس بحوالي ضِعْف بُعْد كوكب عطارد عنها.

من ناحية أخرى يتميز بخار الماء بأن له أيضاً « تأثير البيت الزجاجي » كما هي الحال بالنسبة لثاني أكسيد الكربون، ولكن بنسبة أقل إلا أن تأثيره الشامل في جو الأرض له أهميته نظراً لتوافر كميات أكبر منه في الهواء. ونحن نلاحظ هذا التأثير عندما نشعر بدفء الجو في الأيام التي يزداد فيها تكون السحب شتاء، لأن قطرات الماء المكونة لهذه السحب تعمل على السماح لأشعة الشمس بالنفاذ خلالها إلى سطح الأرض، وينجم عن ذلك ارتفاع في درجة الحرارة يسبب الإحساس بالدفء، كما يمكن ملاحظة تأثير « الصوبة » أو « البيت الزجاجي » لبخار الماء في المناطق ذات الرطوبة العالية عندما لا يسجل مقياس درجة الحرارة (الترمومتر) فروقاً كبيرة بين الليل والنهار.

ولعلنا الآن نستطيع إدراك بعض الحكمة من وجود مكونات الهواء الجوي بنسب ثابتة أو متغيرة في حدود لا تتعداها. ومن الطريف أن أحد العلماء قد تصور أثر زوال ثاني أكسيد الكربون فقط من الجو، فوجد أنه بالنسبة لدرجة الحرارة سوف تنخفض بمقدار يبلغ ٣٨°م ويصحب هذا انخفاض آخر في كمية الرطوبة التي بالهواء ينجم عنه هبوط إضافي مقداره يبلغ ٣٦°م بالنسبة لمتوسط درجة حرارة الأرض. وبذلك يصبح مجموع النقص الكلي ٧٤°م، وفيه ما يكفي لوضع سطح الأرض بكامله تحت درجة تجمد الماء بكثير. وباستطاعتنا أن نتخيل الحال، من ناحية أخرى، عند عكس هذا التصوّر. فالغلاف الجوي بمكوناته وطبقاته يعتبر صمام الأمان الذي يتحكم في حرارة الأرض ويحمي أسباب الحياة عليها.

حرارة الجو إلى أين ؟

حرارة الجوّ وتغيرات المناخ الأرضي :

لا شك أن المناخ الأرضي تركيب معقد تحكمه قوى عديدة ومختلفة ومحاولة التعرف على طبيعة التفاعل بين هذه القوى ليست بالأمر اليسير . فما الغلاف الجوي والغلاف المائي والغلاف الحيوي[٢] إلا أجزاء محدودة من هذا التركيب المعجز ، وما نلاحظه فيها من تغيرات حتى الآن قد يكون ناجماً عن أحداث لم نفهمها بعد . لهذا يدور جدل مثير بين العلماء حول أسباب التغيرات الدورية أو الطارئة التي تحدث في مناخ الأرض . ويصل الخلاف في بعض الأحيان إلى حد التعارض بين النظريات المحلّلة لطبيعة تلك التغيرات . وبالنسبة لحرارة الجو واحتمالات ارتفاعها او انخفاضها في المستقبل القريب او البعيد فالنظريات المطروحة حتى الآن لا تتعدى أن تكون مجرد توقعات علمية ، يؤمل لها أن ترقى إلى مستوى أفضل بفضل الاهتمام المتزايد في مراكز الأبحاث العالمية بقضايا الطقس والمناخ[٣] . وهناك أسباب عديدة يقترحها المتخصصون لتفسير ما يلاحظونه من تغيرات مناخية في جو الأرض عموماً .

وفيما يتعلق باحتمالات ارتفاع حرارة الجو او انخفاضها فإننا سنعرض لأهم أسبابها بإيجاز وتبسيط فيمايلي :

(١) تأثير النشاط البشري :

ويقصد به كل ما تسفر عنه نتائج تلك الثورة الصناعية الهائلة التي حققها الإنسان نتيجة ما احرزه من تقدم علمي و « تقني » في مختلف مجالات الحياة . فهناك كميات هائلة من الطاقة الحرارية التي تنطلق إلى الجو مباشرة من المصانع ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية ، وحرائق الغاز الطبيعي في مناطق البترول ومصافي تكريره ، والمراجل المتنوعة ، ومراكز تحلية المياه ، وأماكن التفجير النووي ، ووسائل النقل ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلي والخارجي ، وغيرها من الآلات الحرارية والنووية . وهذا كله من شأنه ان يسهم بطريقة مباشرة ، ولو بقدر ضئيل ، في رفع درجة حرارة كل من الغلافين الهوائي والمائي للأرض بصورة ضارة تعرف اليوم بظاهرة « التلوث الحراري » لبيئات الأرض .

من ناحية أخرى ، يؤدي التزايد المستمر في حرق كميات هائلة من الوقود الأحفوري (الفحم والنفط والغازات الطبيعية) إلى تزايد مطّرد في نسبة غاز ثاني اكسيد الكربون في الجو ، حيث بلغت التغيرات في تركيزه خلال الثلاثين عاماً الماضية من ٠,٠٣١٥ ٪ في عام ١٩٥٨ إلى ٠,٠٣٥١٪ في عام ١٩٨٨ م. ويتوقع علماء المناخ ان يصل إلى ٠,٠٦ ٪ ، اي ضعف النسبة الطبيعية تقريباً ، خلال القرن المقبل إذا اخذنا بعين الاعتبار معدلات التزايد المطرد في استخدامات الوقود . وينتج عن هذا التزايد في تركيز غاز ثاني اكسيد الكربون أخطار عديدة منها زيادة « تأثير البيت الزجاجي » ، التي تؤدي إلى ارتفاع مستمر في درجة حرارة الغلاف الجوي . ويبدو أن دراسات المناخيين قد كشفت

---

(٢) الغلاف الحيوي مصطلح علمي يقصد به عالم الكائنات الحية فوق سطح الارض .

(٣) الطقس ليس هو المناخ . إذ يتضمن الطقس الاحوال اليومية ، وما إذا كان الجو بارداً أم حاراً ، عاصفاً ام مستقراً ، ممطراً ام جافاً . اما المناخ فهو ما يميز الطقس المميز لمكان ما في فترة زمنية طويلة ، مثل المناخ الاستوائي ومناخ البحر الابيض المتوسط . انظر : الموسوعة المصورة للشباب ، ترجمة د. محمد امين سليمان ود. احمد فؤاد باشا ، ص ٢٨ ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٦ .

بداية مثل هذا الاتجاه عندما لاحظوا زيادة حوالي نصف درجة مئوية في المتوسط الحراري للكون منذ بداية هذا القرن ، وهذا في الحدود المتوقعة بالنسبة لزيادة تأثير « الصوبة ». لكن التأكد من وضوح هذا الأثر يتطلب فترة أطول من الزمن نظراً للارتفاع الهائل في قدرة المحيطات على امتصاص الحرارة بما يعادل ٤٠ ضعفاً لقدرة الغلاف الجوي كله على الامتصاص .

ويحذر علماء البيئة والمناخ المشايعون لهذا التفسير مما يترتب على ارتفاع حرارة الجو من انصهار تدريجي للجليد المتجمع فوق القطبين وعلى القمم الجبلية المرتفعة ، وما يسفر عنه من ارتفاع في منسوب مياه البحار . والمحيطات وغمْر لمراكز الحضارة المنتشرة في السهول الساحلية والمنخفضة[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن غازات أخرى لها تأثير « الصوبة » مثل غاز « الميثان » الذي ينطلق من حقول الأرز ومناجم الفحم وأنابيب الغاز الطبيعي ومن حرق النباتات عند تنظيف الأراضي لزراعتها مجدداً .

(ب) تغيرات النشاط الشمسي :

ويأتي في مقدمتها ظاهرة البقع الشمسية التي أثبتت الدراسات الحديثة أثرها المباشر على تحولات الطقس والمناخ في الكرة الأرضية . وكل ما يعرف من أسباب ظاهرة البقع الشمسية Sun spots حتى اليوم هو أنها عبارة عن « نافورات » من غازات ملتهبة تندلع من الشمس وتمتد لمسافات كبيرة في الفضاء مكوّنة أعاصير جبارة يبلغ قطر الواحد منها حوالي خمسين ألف كيلومتر . وقد تمكن الفلكيون من رصد الاندلاعات المختلفة التي تحدث على سطح الشمس وفي جوّها ، وذلك بواسطة أجهزة خاصة مزوّدة بمرشحات ضوئية معينة تحجز جميع أطوال الموجات الضوئية المنبعثة من الشمس إلا مجموعة معينة ، وهو ما يعرف بطريقة التصوير الطيفي للشمس . وبتحميض هذه الصور ظهرت مناطق براقة أكثر التماعاً من المناطق المحيطة بها ، وأمكن التعرف على مناطق البقع المعتمة نسبياً والتي تبدو كأنها ثقوب داكنة غير منتظمة التوزيع على سطح الشمس ، وحقيقتها أنها « بقع » لا ينال فيها سطح الشمس معدّله الطبيعي من فيضان الطاقة خلال فترة معينة ، قد تكون أياماً أو عدة أسابيع .

وقد أظهرت سجلات النشاط الشمسى منذ حوالي عام ١٧٠٠ م ، مُقاساً عادة بحساب عدد البقع الشمسية المرئية على سطح الشمس ، وجود دورة للتغيرات مداها ١١ سنة تقريباً ، ولم يعرف حتى الآن التفسير العلمي لذلك . كما كشفت أخيراً سجلات تعود إلى ٩٠٠٠ سنة خلت ، وجود تغيرات بإيقاع يصل إلى ٢٣٠٠ سنة ، وأخرى بإيقاع يقل عن ١٠٠٠ سنة إلى جانب الدورات الأقصر التي تستمر ما بين ٨٠ و ٩٠ سنة والدورات التي تدوم ١١ سنة . ومن الطبيعي أن يستدل المرء على وجود علاقة وثيقة بين التغيرات المشاهدة في نشاط جو الأرض

(٤) انظر : د. زغلول راغب النجار ، قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، ص ١٠١ وما بعدها ، كتاب الأمة ، اكتوبر ١٩٨٨ م.

ولحسن الحظ فإن علماء الجليد يعتقدون أن هذا الخطر مازال يكمن في المستقبل البعيد ، لكن الحذر يقضي باستمرارنا في مراقبة تطور الأمور . فقد جاء في مؤتمر عقده برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة في مدينة « سبليت » اليوغوسلافية في مطلع أكتوبر عام ١٩٨٨ أن العلماء يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو بما يتراوح بين ١٣ و ٥٥ سنتيمتراً قبل حلول عام ٢٠٢٥ م، وأن يرتفع بحدود مترين خلال قرن من الزمن . ومن ثم فإن هناك ثلاث مدن مشرفة على البحر المتوسط ستكون - أكثر من غيرها - مهددة بالغرق تقريباً ، وهي مدن الاسكندرية المصرية والبندقية الإيطالية وسبليت اليوغوسلافية (عن مجلة آفاق علمية ، ع ١٧ ، ص ٤٨ ، يناير ١٩٨٩).

حرارة الجو إلى أين ؟

وبين ظهور البقع الشمسية . ذلك لأن تتابع حدوث النهايات العظمى والنهايات الصغرى في عدد البقع الشمسية يؤثر على قيمة الثبات الشمسي من آن لآخر ، ومن ثم يحدث تغير واضح في المناخ .

ويعتقد فريق من العلماء الذين لم يسلّموا بصحة ظاهرة « الصوبة » أن حرارة الجو تقل تبعاً لعودة البقع الشمسية للظهور . وأوضحت دراساتهم على حركة الرياح عند خط الاستواء أن بقع الشمس تكثر في السنوات التي تهب فيها هذه الرياح من الشرق إلى الغرب ، وترتفع حرارة الجو ، بينما تقل البقع في سنوات هبوب الرياح من الغرب إلى الشرق ، وتنخفض حرارة الجو .

(جـ) العصر الجليدي القادم :

فمن المعلوم أن الأرض قد شهدت خلال المليون سنة الماضية عدة عصور جليدية لم يُعرف لحدوثها سبب قاطع حتى الآن . فهناك من كان يعزى سببها إلى انقطاع الإشعاع الشمسي عن مدّ الأرض بالحرارة فترة من الزمن بفعل سحابة من التراب الكوني أحاطت بالمجموعة الشمسية ، أو بفعل سحابة من غبار بركاني أحاطت بالأرض في زمن البراكين العنيفة . وهناك من يعتقد أن ظاهرة الغمر الجليدي للأرض مرتبطة بدورات النشاط الشمسي ، أو أنها تحدث نتيجة تغيرات دورية طفيفة في ميل محور الأرض وفي هندسة مدارها حول الشمس . وأيا ما كان الأمر ، فثمة علامات تشير إلى أن هذا العصر الجليدي الكبير لم يأت إلى نهايته بعد ، ويحتمل أن تأتي فترة إضافية من البرد القارس قبل أن تعود حرارة الأرض إلى حالتها العادية .

لكن التساؤل حول احتمالات ارتفاع حرارة الجو أو انخفاضها لا يزال مطروحاً بإلحاح في ساحة البحث العلمي المكثف ، وأغلب الظن أنه سيظل لفترة طويلة في انتظار إجابات شافية . فصدق الله العظيم حيث يقول في محكم التنزيل : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥].

إدارة الرسول للصراع . بقية

الإسلام « دين قوة أيضا » ليدافع بها عن نفسه ويرغم أعداءه على أن « يلزموا حدودهم » .

● إنه لا يفوت الباحث المدقق أن ذكر الجنوح للسلم ورد « بعد » الأمر بإعداد القوة والمرابطة فى قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال ٦٠ ـ ٦١) فيفهم من ذلك مايلى :

(١) لا جنوح للسلم مع ضعف او قلة ، اى لابد من استمرار وجود « القوة الرادعة » .

(٢) ولا جنوح للسلم مع تهاون او غفلة ، اى لابد من استمرار وجود « الرباط » .

اى إن الجنوح للسلم فى الإسلام يكون مع قوة المسلمين الرادعة ومع يقظتهم التامة ، وان السلام الذى يدعو إليه الإسلام : سلام تحميه القوة والاستعداد ، لانهما اقوى ضمان لتحقيق السلام بمعناه ، ولكى يتوافر له محتواه .

---

(٥) سورة الإسراء : ٨٥ .

قضية إريتريا

٢

للأستاذ : ماهر زكريا الشيمى

المراحل التاريخية

تسمية إريتريا : اطلق اليونانيون فى القرن الثالث قبل الميلاد تسمية « تريكون سينوس إريتريوم Trichone Sinus Erythraeum[1] على البحار الواقعة حول الجزيرة العربية وهى تعنى (البحر الأحمر) . وفسروا هذه التسمية بسبب كثرة الطحالب التى كانت تطفو على سطح مياه هذه البحار ، وكان يشاهدها البحارة اليونانيون تعكس على صفحة الماء لونا أحمر ، كذلك أطلق الرومان اسم (إريتريوم) على البحر الأحمر وسواحله التى سيطروا عليها . وعندما احتل الإيطاليون أجزاء من الساحل الغربى للبحر الأحمر أطلقوا عليها اسم (إريتريا) تجديدا للتسمية الرومانية القديمة .

المجموعات الكوشية : ويعتقد بعض المؤرخين أن أول من سكن السواحل الإريترية هو العنصر المعروف باسم (كوش) نسبة إلى كوش بن حام ابن نوح ، ويرجحون أن يكون هؤلاء هم ايضا الأصول الأولى لقدماء المصريين ، وأنهم اتخذوا سواحل البحر الأحمر التى انتقلوا إليها من جنوب الجزيرة العربية قبل أكثر من عشرة الاف سنة مَعْبراً لهم حتى وصلوا فى انتشارهم إلى وادى النيل واستقروا هناك . على أن أعدادا منهم استقرت فى المنطقة الساحلية عرفت بسواد البشرة مع ملامح غير زنجية ربما لاختلاطهم بأقوام أخرى من أصول أفريقية وبخاصة أن المؤرخين يذكرون انتقال بعض المجموعات البشرية من أعالى النيل ـ وهى المجموعات التى عرفت بالشعوب النيلية ـ إلى سهول (بركة) و (القاش) وأقامت فى غرب إريتريا حضارة زراعية ، واستقرت هناك حتى أجلتها موجات البجة الحامية النازحة منذ نحو الفى سنة من موطنها فى السهول والأودية لتتوغل فى هضبة (بارنتو) بحثا عن مأمن . وتنسب قبيلتا (الباريا) و (البازا) إلى هذه الأصول القديمة للشعوب النيلية .

وقد ظلت معظم المجموعات الكوشية فى سواحل إريتريا ومرتفعاتها تعتمد على الرعى والصيد حتى امتزجت بالنازحين الجدد من جنوب الجزيرة العربية الذين نقلوا منذ القرن

(١) تاريخ إريتريا ـ عثمان صالح سبى .

الخامس ق . م حضارتهم الزراعية وأقاموا ممالك مستقرة فى (اكلى قوزاى) وغيرها ، ويستدل من كتابات الفراعنة على وجود بعض الجاليات الزراعية والتجارية فى السواحل الإريترية فتشير كتابات (تحتمس الثالث) إلى أماكن فى سواحل البحر الأحمر تطلق عليها أسماء (أوتوليت Outoulit) و (حماسو Hamasu) و (تكارو Tekaro) التى يحتمل أن تكون أصول التسميات الحالية لـ (عدوليس) و (حماسين) و (تجرى)[٢]

العرب القدامى : ونقل النازحون من جنوب الجزيرة العربية حضارتهم ودماءهم إلى المنطقة عبر هجرات متواصلة بدأت منذ ثلاثة آلاف سنة حتى مشارف القرن العشرين . كما تلتهم فى العصور الوسطى هجرات لقبائل (البجة) الحامية نازحة من جنوب مصر وشرق السودان . وهكذا فإن سكان إريتريا هم ورثة الدماء المختلطة للشعوب (الحامية ـ السامية) ويظهر ذلك جليا فى عادات السكان ولهجاتهم المختلفة .

المصريون القدماء : وكان (المصريون القدماء) هم أول من خاض مياه البحر الأحمر للوصول إلى سواحل إريتريا والصومال وجنوب الجزيرة العربية للحصول على البخور والعطور وأنواع خاصة من الأخشاب ، وكلها كانت لازمة للمعابد والطقوس الدينية . فاتخذوا البحر الأحمر طريقا للوصول إلى تلك البلاد ، ويذكر التاريخ أن (ساحورع) من ملوك الأسرة الخامسة قد أنشأ مواصلات بحرية مع بلاد (بنت) وجلب منها المر والذهب والفضة . وكانت هذه البلاد على امتداد الساحل الإريترى .

الفينيقيون : وفى أواخر العصر الفرعونى كان الفينيقيون فى مقدمة من نزل حلبة التنافس على طرق التجارة فى البحر الأحمر حيث أرسل (حيرام) ملك صور سفنه إلى سواحل إريتريا لتأتى له بالذهب .

البطالمة : وقد تصارع البطالمة (خلفاء الاسكندر الأكبر فى مصر) مع التجار العرب للسيطرة على تجارة شرق أفريقيا والهند فبذلوا جهودهم ومحاولاتهم الدءوب لتوجيه التجارة من الموانىء العربية فى اليمن والحجاز وتحويلها إلى سواحل إريتريا ثم مصر . وكان بطليموس الثالث (٢٢٧ ـ ٢٢١ ق . م) قد أنشأ ميناء (عدوليس) على ساحل إريتريا (على بعد ٦٠ كم جنوب مصوع) .

الرومان : وفى القرن الأول ق . م قضى (الرومان) على حكم (البطالمة) فى مصر وورثوا اليونانيين وحلوا محلهم فى البحر الأحمر فاستولوا على ميناء (عدن) وميناء (عدوليس) فى إريتريا ووضعوا فى كل منهما حامية عسكرية ، كما وضعوا سفنا تحمل الرماة لمقاومة القراصنة الذين كانوا يتحرشون بالسفن الرومانية .

الفرس : وفى عام ٥٧٥ ميلادية تمكن الفرس بقيادة (وهزر) من غزو اليمن وسواحل البحر الأحمر وأخضعوا (عدوليس) وجزر (دهلك) لسيطرتهم وبنوا فيها الصهاريج التى لاتزال آثارها باقية . كما تحكموا فى مضايق البحر الأحمر .

العرب المسلمون : وجاء دور العرب لبسط سلطانهم على البحر الأحمر ومضايقه . إذ لم تمض خمسون عاما على حكم الفرس حتى اكتسحت الفتوحات العربية بعد ظهور الإسلام منطقة الشرق الأدنى[٣] واضعة بذلك نهاية

(٢) كلمة تجرى الآن تعنى لغة التجرى كما تعنى المتكلمين بها وتطلق أيضا على إقليم (تجراى) فى شمال أثيوبيا .

(٣) الإطلاق المستعمل حاليا على المنطقة ونعنى به (الشرق الأوسط) هو نتيجة اتخاذ المنطقة مركز تموين لقوات الحلفاء فى الشرق الأوسط حيث باكستان والغرب منها فأما منطقتنا هذه فهى منطقة الشرق الأدنى .

الامبراطورية الفارسية . كما انتزعت من الرومان ممتلكاتهم ابتداء من بلاد الشام والرافدين[٤] ثم مرورا بمصرحتى شمال أفريقيا وهكذا سيطر العرب المسلمون على المداخل الجنوبية والشمالية للبحر الأحمر وعلى أهم مواقع التجارة في العالم القديم .

أما الساحل الأفريقي للبحر الأحمر فترجع صلة العرب به إلى بداية ظهور الإسلام . وذلك عندما أشار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن تعرضوا لأذى قريش ، فخرج من مكة المكرمة احد عشر رجلا وقيل اثنا عشر ، أربعة منهم متزوجون ومعهم نساؤهم وعلى رأسهم الخليفة عثمان بن عفان وزوجته أم كلثوم بنت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث حملتهم سفينتان للتجار ، ورستا بهم في بلدة (معدر) على الساحل الإريترى جنوب (عدوليس) ثم ساروا إلى الحبشة حيث اكرم النجاشي وفادتهم . ثم تتابع بعد ذلك المهاجرون المسلمون الفارون بدينهم .

وعندما زاد النشاط التخريبي للقراصنة في البحر الأحمر منطلقين من ميناء (عدوليس) و (جزر دهلك) التى جعلوا منها مأوى لهم ولسفنهم حتى أنهم شنوا غارة على جدة عام ٨٤ هـ (٧٠٢ م) وهددوا بتدمير مكة المكرمة ، لم يكن بوسع الخلفاء الأمويين إلا أن يجردوا حملة بحرية قضت على القراصنة واحتلت (جزر دهلك) و (الساحل الإريترى) وكان احتلال العرب المسلمين لهذا المركز الممتاز بداية لاستيلائهم على بقية المراكز البحرية على الساحل الشرقى لأفريقيا ، وعلى الانتشار التدريجي للإسلام في مناطق شرق أفريقيا .

وقد انصهر العنصر العربى المهاجر مع السكان البجة وغيرهم ، وبرغم احتفاظ القبائل الإريترية بلهجاتها السامية والحامية والكوشية (تجري ـ تجرينا ـ دنكلية .. إلخ) إلا أنها ظلت تدعى انتسابها إلى أصول أولئك العرب النازحين فقبائل (البنى عامر) والبلو تدعى نسبها إلى بنى العباس . كما تنتسب قبائل (الساهو) في الشرق إلى على بن ابى طالب . وتدعى قبائل (الباريا) فى المرتفعات الإريترية الانتساب إلى الأمويين . ويقول (سبنسر ترمنجهام)[٥] في كتابه (الإسلام فى اثيوبيا) « إن إقامة تاجر أو عالم دينى عربى وسط قبيلة ما وانتشار الإسلام بينها بواسطته ، كان يجعل القبيلة تنتسب مع مرور الزمن إلى هذا العربى النازح » .

على أن انتشار الإسلام لم ينحصر في السواحل الإريترية بل امتد عبر إريتريا إلى داخل الحبشة حتى تكونت سبع ممالك إسلامية عربية عرفت ببلاد الطراز الإسلامى[٦] .

ويقول ترمنجهام فى كتابه : (الإسلام فى أثيوبيا) « إن اعتناق هؤلاء للإسلام كان يشعرهم بالانتماء إلى أخوة عالمية دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ عن بيئتهم وعاداتهم التى كان دعاة الإسلام يتسامحون إزاءها » .

الأحباش : غير أن الكراهية والمرارة التى حملها الأحباش لجيرانهم من ممالك الطراز الإسلامى وممالك الساحل الإريترى والصومالى من (زيلع) حتى (سواكن) ، جعلتهم يدخلون ←

(٤) العراق .

(٥) «Islam in Ethiopia» – Spencer Termingham ·

(٦) هذه الممالك السبع هى : ايفات ، داورة ، أرابيني ، هدية ، شرخة ، بالى ، دارة . وقد امتدت من (زيلع) فى الصومال على خليج عدن إلى قلب هضبة (شوا) بالحبشة . وجاء تفصيل ذكرها فى كتاب (مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمرى ، وكتاب (الإلمام بمن فى الحبشة من ملوك الإسلام) للمقريزى .

معهم فى سلسلة من الحروب الدينية ، وفى هذا يقول البصيلى فى مؤلفه[٧] : « إن هذه الكراهية كانت بسبب سيطرة المسلمين على التجارة فى داخل الحبشة وخارجها ، ولأنهم كانوا أيضا يسيطرون على الموانىء وعلى طرق القوافل » .

تم أشد هذه الحروب ضراوة فى عام ١٤٢٠ م عندما اغارت جحافل الملك اسحق بن داود ملك الأمهرا على السواحل الإريترية.

ووصلت إلى ذروتها بتدخل البرتغال والأتراك .

البرتغال وتركيا : كانت البرتغال وتركيا فى ذلك الوقت القوتين البحريتين الأعظم ، وكانتا تطمعان فى السيطرة على طرق التجارة فى البحر الأحمر وبسط نفوذهما على سواحله . فعزم السلطان سليم الأول بعد أن استولى على مصر فى عام ١٥١٧ م على أن ينازل البرتغاليين الذين كانوا قد سيطروا على معظم موانىء الساحل الأفريقى : (سواكن) ، (مصوع) ، (زيلع) وأن يحقق أحلامه فى احتكار تجارة الشرق بعد أن وصلت فتوحاته إلى اليمن واحتلاله (عدن) فى عام ١٥٣٨ م وتمكن من إنزال الهزيمة بالأسطول البرتغالى فى موقع بين (مصوع) و (سواكن) واستولى عليهما فى عام ١٥٥٧ م ، وطرد البرتغاليين من المنطقة نهائيا ، وحلت السيادة العثمانية على طول سواحل البحر الأحمر . وكان مفهوم سكان هذه الجهات بالنسبة للدولة العثمانية أنها دولة تمثل كل المسلمين ، فلم يشعروا إزاءها بأى عداء أو انها دولة محتلة .

مصر وإريتريا فى القرن التاسع عشر : فى يولية ١٨٢٠ م أصبح لمصر نوع من السيادة على ساحل البحر الأحمر . وكذلك استطاع الخديوى اسماعيل بمساعيه الطويلة لدى الباب العالى استصدار ثلاثة (فرمانات) عام ١٨٦٥ م حصلت مصر بمقتضاها على ميناء (مصوع) وميناء (سواكن) و (قائمقامتى مصوع وسواكن) وملحقاتهما . وفى مارس ١٨٦٦ ابتاعت الحكومة المصرية من شركة (إخوان باشترى) حقوق ملكية إقليم (عد) حتى يكون لها مطلق التصرف على الساحل الغربى للبحر الأحمر ، وكان هدف مصر من بسط سيطرتها على سواحل إريتريا أمنيا واقتصاديا بدرجة كبيرة ، ذلك أن حوض البحر الأحمر قد اكتسب أهمية استراتيجية دولية بعد فتح قناة السويس (١٨٦٩ م) ، فخشيت مصر أن تسبقها إلى هناك القوى الغربية الكبيرة وتطوقها من الخلف ، فضلا عن طموح الخديوى إسماعيل فى بناء امبراطورية مصرية ، ورغبته فى الحصول على الذهب الذى كان يسمع عن وفرته فى هذه البلاد لمواجهة أزمة مصر الاقتصادية فى ذلك الوقت . ومع ذلك فإن مصر لم تجن من هذه الفتوحات إلا الخسائر المادية الباهظة التى زادت من غرقها فى الديون . أما هذه البلاد التى دخلت تحت الإدارة المصرية فقد استفادت كثيرا فى المجالات التعليمية والعمرانية ، والاقتصادية والزراعية .

إيطاليا وإريتريا : سلكت إيطاليا مسلك الانجليز والفرنسيين فى الحصول على المستعمرات فيما وراء البحار . فتمكنت عام ١٨٦٩ من ابتياع (عصب) من السلطان إبراهيم باشا . وكانت تأمل بعد افتتاح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩ م أن تؤسس محطة تجارية على ساحل خليج (عصب) . وتمكنت فى عام ١٨٨٥ من الاستيلاء على (مصوع) وأجزاء من الساحل الإريترى ، ولم تأبه بالاحتجاج المصرى على هذه التعديات .

وفى مايو ١٨٨٧ م مدت إيطاليا نفوذها على طول الساحل الإريترى إلى (راس قصار) شمالا على حدود السودان بالاتفاق مع بريطانيا .

(٧) تاريخ حضارات السودان الشرقى والأوسط ـ الشاطر بصيلى عبد العزيز .

وفى يونية ١٨٨٩ احتلت القوات الإيطالية مدينة (كرن) ورفعت عليها العلم الإيطالى بعد أن انزلت العلم المصرى .

وفى أغسطس ١٨٨٩ دخلت القوات الإيطالية (أسمرا) ونقلت الإدارة الإيطالية مكاتبها من (مصوع) إلى (أسمرا) لتصبح عاصمة البلاد . وكانت الإدارة المصرية فى حالة ضعف بعد الهزائم التى منيت بها فى حروبها مع الحبشة خصوصا بعد أن سحبت مصر جيشها من كل هذه المناطق من إريتريا (حيث حل محلها الجيش الإيطالى) وذلك لمواجهة الثورة المهدية فى السودان عام ١٨٨٠ .

وفى أول يناير ١٨٩٠ أصدر ملك إيطاليا[8] مرسوما ملكيا بتأسيس مستعمرة (إريتريا) بعد توحيد الأقاليم المختلفة على ساحل البحر الأحمر والمرتفعات التى احتلها الجيش الإيطالى بعد قمع مقاومة الشعب الإريترى ، وملأت إيطاليا سجون جزيرة (نخرة) الرطبة ـ الموبوءة بالأمراض ـ بالمعتقلين من زعماء الحركة الوطنية .

وفى ١٠ يولية ١٩٠٠ وقعت إيطاليا وأثيوبيا فى اديس أبابا معاهدة لتخطيط الحدود بين إريتريا وأثيوبيا .

وفى ١٦ إبريل ١٩٠١ تم توقيع اتفاقية بين إيطاليا وبريطانيا لتخطيط الحدود بين مستعمرة إريتريا (الإيطالية) وبين السودان (المصرى الانجليزى) . وبذلك تكون حدود مستعمرة إريتريا قد استقرت نهائيا من ناحية السودان ومن ناحية أثيوبيا .

بريطانيا وإريتريا : وبهزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية احتلت قوات الحلفاء إريتريا عام ١٩٤١ . وتولت بريطانيا إدارتها ، فعينت حاكما عسكريا لإدارة البلاد وفق أنظمة عسكرية . وانشأت عددا من المدارس الابتدائية لتوفير الأعداد اللازمة لهذه الإدارة من صغار الموظفين واستعانت فى ذلك بمدرسين من السودان . وجعلت اللغة العربية لغة التعليم فى المناطق الإسلامية ، واللغتين الانجليزية والتجرينية فى المناطق المسيحية . وذلك وفق هدف سياسى إذ أن السياسة البريطانية كانت قد حددت سلفا مصير إريتريا ، وذلك بتقسيمها على أساس دينى ، وذلك بضم المحافظات الإسلامية الثلاث التى اطلق عليها الانجليز (المنطقة الغربية) وهى (اغردات) ، (كرن) ، (نقفة) إلى السودان (المصرى الانجليـزى) ، وضم الهضبـة الإريترية بما فيها (أسمرا) و (السواحل) وميناءى : (مصوع) و (عصب) إلى اثيوبيا حليفة بريطانيا فى الحرب . وظهر ذلك واضحا فى مشروع الحاكم العسكرى البريطانى ، والذى اورده فى كتابه[9] (مختصر تاريخ إريتريا) عام ١٩٤٥ .

ولم تكن فترة الاحتلال البريطانى لإريتريا (١٩٤١ ـ ١٩٥٢) فترة ازدهار اقتصادى ، فقد عاشت البلاد حالة من الركود الاقتصادى بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية ، وانتشرت البطالة نتيجة تسريح اعداد كبيرة ممن كانوا مجندين فى الجيش الإيطالى . ولكن جماهير الشعب الإريتري بدأت تعود إلى استصلاح الأراضى التى هجرتها فى عهد الاحتلال الإيطالى فانتعشت الزراعة . كما ساهمت خبرة رجال الأعمال الإيطاليين المستقرين بإريتريا فى إقامة كثير من الصناعات ومعظم المزارع المتخصصة فى زراعة المحاصيل القابلة للتصدير كالموز ، وبدأ الشعب الإريترى يبنى اقتصاده وسط موجة من الإرهاب الأثيوبى .

يتبع الجزء الثالث والأخير

---

(٨) همبرت الأول .

(٩) «Short History of Eritrea» Brigader General Longrig

طرائف ومواقف

للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حقيقة »

قال حكيم : ليس لثلاث حيلة : فقر يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ، ومرض يمازجه هرم .

« تعاطى فعقر »

كان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام ، رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا ، فلما أعيدت عليه بالغداة قال : من هذا الذى تعاطى فعقر ؟

فقيل له : ابنك الصغير ، فقطع أرزاق بنيه من أجله ، فلما طال ذلك منهم وأضر بهم الحال جاءه أكبرهم ، وقال : يا أبانا أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم إليهم .

« فلنحذر »

قال إبليس ـ لعنه الله :

إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها : إذا أعجب بنفسه ، واستكثر عمله ، ونسي ذنبه .

« حسن البديهة »

دخل المأمون يوما ديوان الإنشاء ، فلقى غلاما صبيح الوجه ، مليح الطلعة ، قد وضع قلمه فوق أذنه ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الناشىء فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل فى خدمتك ، الحسن بن رجاء . فقال المأمون : بحسن البديهة تتفاضل العقول ، ارفعوا هذا فوق مقامه .

« كيف تجدك ؟ »

وقال عبد الملك بن مروان للعريان بن الهيتم كيف تجدك ؟

قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين وقال :

سلنى أنبئك بآيات الكبر
نوم العشاء وسعال بالسحر

وقلة النوم إذ الليل اعتكر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر

وسرعة الطرف وتحميج النظر
والناس يبلون كما تبلى الشجر

« مال الخيرين »

استدعى بعض الخلفاء شعراء مصر ، فصادفهم شاعر فقير بيده جرة فارغة ذاهبا بها إلى البحر ليملأها ماء فتبعهم إلى أن وصلوا إلى دار الخلافة ، فبالغ الخليفة في إكرامهم والإنعام عليهم ، ورأى ذلك الرجل والجرة على كتفه ، ينظر إلى ثيابه الرثة ، وقال : من أنت ؟ وما حاجتك ؟

فأنشد :

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم
إلى بحرك الطامى اتيت بجرتى

فقال الخليفة : املأوا له الجرة ذهبا وفضة . فحسده بعض الحاضرين ، وقال : هذا فقير مجنون لا يعرف قيمة هذا المال ، وربما أتلفه وضيعه .

فقال الخليفة : هو ماله يفعل به ما شاء ، فملئت له ذهبا وفضة وخرج إلى الباب ، ففرق الجميع ، وبلغ الخليفة فاستدعاه وعاتبه على ذلك ، فقال :

يجود علينا الخيرون بما لهم
ونحن بمال الخيرين نجود

« دعاء »

« اللهم اجعلنى شكورا ، واجعلنى صبورا ، واجعلنى في عينى صغيرا ، وفي أعين الناس كبيرا » .

مشيخة علماء الاسكندرية . بقية

الأزهر بالأسكندرية ، فضلا عن تعليم العلوم الدينية المتداولة في الأزهر على الطريقة التى تضمنها قانون الجامع الأزهر وقرارات مجلس إدارته ، فيكون تعليمها مفيدا للطلاب ، وخصص قسما من المبلغ المقرر له ليصرف في « جرايات » للعلماء والطلاب ، وقسما منه لإسكان « المجاورين » وقسما بعنوان مرتب شهرى للعلماء على اختلافهم في الدرجات ، وقسما بعنوان معونة لبعض العلماء الفقراء غير المشتغلين حق الاشتغال ، فجعل مرتب العالم الأزهرى من الأربعة الذين طلبهم منه ثمانية جنيهات في الشهر ، ومرتب العالم من الدرجة الأولى الأسكندرانية خمسة جنيهات ، ومرتب العالم من الدرجة الثانية منهم أربعة جنيهات ، ومرتب العالم من الدرجة الثالثة منهم ثلاثة جنيهات ، ومرتب العالم من ذوى المعونة منهم جنيها واحداً ـ وهذا عدا الجرايات ـ وأرسل ترتيبه هذا مع جدول ببيان الدروس التى تلقى في العام الدراسى المقبل (الذي نحن فيه الآن) وامكنتها ومدرسيها وأوقات تدريسها هناك إلى الأزهر ، فبحث فيه مجلس الإدارة بحثا مدققا وأصدر قراره مصدقا عليه بتمامه في ٨ ذى القعدة سنة ١٣٢٢ و ١٤ يناير ١٩٠٥ ثم انتخب له العلماء الأزهريين من أفضل علمائه الذين تخرجوا منه حديثا بعد دخول العلوم الحديثة فيه ، وقرر أن تبقى مرتباتهم الأزهرية معهم مضمومة إلى المرتب الأسكندرى ، وسافروا إلى الثغر الأسكندري قبيل « مسامحة[٣] » عيد الأضحى ، وهاهم أولاء مع شيخ العلماء هناك يد واحدة يشتغلون ليل نهار فيما يعود على العلم بالترقى والتقدم ، وفيما يعود على المتعلمين بالنجاح إن شاء الله تعالى .

(٣) اى اجازة .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الرفق فى العبادة

لفضيلة الشيخ فكرى ياسين

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

لاجدال فى ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان له مع ربه عز وجل - مثاليات فى عبادته ، وكثيرا ما الح للمسلمين بها ولم يجهد اصحابه فى العبادة حتى لا يشق عليهم ورحم الله سيدنا عبد الله بن مسعود إذ قال : « من كان مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحى لاتؤمن عليه الفتنة . اولئك اصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا افضل هذه الأمة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا . اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على اثرهم وتمسكوا بما استطعتم من اخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، قال الأستاذ رحمه الله :

اخرج الإمام احمد بإسناده عن رجل من باهلة ، قال : « اتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحاجة مرة ، فقال : من أنت ؟ قلت : أما تعرفنى ؟ قال : ومن أنت ؟ قلت : انا الباهلى الذى اتيتك عام اول ، فقال : إنك اتيتنى وجسمك ولونك وهيئتك حسنة ، فما بلغ بك ما ارى ؟ قلت : والله ما افطرت بعدك إلا ليلا . قال : من امرك أن تعذب نفسك ؟ من امرك أن تعذب نفسك ؟ ثلاث مرات ؛ صم شهر الصبر ، قلت : إنى أجد قوة ، وإنى احب ان تزيدنى ، قال : صم يوما من الشهر ، قلت : إنى أجد قوة ، وإنى احب ان تزيدنى ، قال : فيومين من الشهر ، قلت : إنى أجد قوة ، وإنى احب أن تزيدنى ، قال : ثلاثة أيام من الشهر ، قال : وألح عند الرابعة ، فما كاد ، فقلت : إنى أجد قوة ، وإنى احب ان تزيدنى ، قال : صم الحرم وأفطر » .

من هذا الحديث نعلم أن الله - تعالى - نهى عن الإثقال فى الطاعات ، والمغالاة فيها ، وأمر بالرفق واليسر فى العمل بأحكام الدين ، وحث على الا يفعل الإنسان مافعله ذلك الرجل الباهلى ، وما كان يفعله كثير من العباد والمتنسكين الذين كانوا يحمِّلون انفسهم من العبادة ما يضر بأجسادهم ، ويشق على نفوسهم ، فهؤلاء وإن كانوا أهل صدق وجد واجتهاد ، إلا انه ينبغى الا يقتدى بهم فى هذا الإفراط والتشدد ، وإنما يقتدى بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن خير الهدى هديه وقد كان ينهى عن التعسير ، ويأمر

بالتيسير ، ودينه الذى بعث به يسر ، وكان يقول : خير دينكم أيسره ، وكان أكثر تطوعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببر القلوب وطهارتها ، وسلامتها ، وقوة تعلقها بالله ، خشية له ، ومحبة ، وإجلالا ، وتعظيما ، ورغبة فيما عنده ، وزهدا فى الدنيا .

سئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز بعد وفاته عن عمله فقالت : والله ماكان أكثر الناس صلاة ، ولا أكثرهم صياما ، ولكن والله مارأيت أحدا أخوف لله من عمر ! لقد كان يذكر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف ، حتى نقول : ليصبحن الناس ولا خليفة لهم . وقال بعض السلف : ما بلغ من بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بسخاوة النفوس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة .

فالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رأى ذلك الرجل الباهلى ، وقد نهكه الصوم ، وغير هيئته ، وأضر به فى جسده ، أمره أولا أن يقتصر على صيام شهر الصبر ، وهو شهر رمضان ، فلما طلب منه أن يزيده من الصيام ، وأن يأمره بالتطوع ، قال له : صم يوما من الشهر ، فاستزاده ، فقال له : صم يومين ، فاستزاده ، فقال له : صم ثلاثة أيام ، فلما ألح عليه عند الثالثة ، ماكاد يزيده على الثلاثة أيام من الشهر .

وكذلك فعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ ففى صحيح مسلم عنه : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : صم يوما ـ يعنى من الشهر ـ ولك أجر مابقى قال : إنى أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم يومين ، ولك أجر مابقى ، قال : إنى أطيق أكثر من ذلك ، قال : صم ثلاثة أيام ، ولك أجر مابقى .

ووجه ذلك أن الصيام يضاعف ما لايضاعف غيره من الأعمال ، ولا يعلم منتهى مضاعفته إلا الله تعالى ، وكلما قوى الإخلاص فيه ، وإخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات ، كثرت مضاعفته ، فلا يستبعد أن يصوم الرجل يوما من الشهر ، فيضاعف له بثواب ثلاثين يوما ، فيكتب له صيام الشهر كله ، وكذلك إذا صام يومين من الشهر ، فأما إذا صام ثلاثة أيام فالأمر ظاهر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فاليوم بعشرة أيام .

وحديث الباهلى هذا ، يدل على أن التكلف فى العبادة بما يشق على النفس ، ويتأذى به الجسم ، غير مأمور به شرعا ؛ ولذلك قال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من أمرك أن تعذب نفسك ؟ وأعادها عليه ثلاث مرات .

وهذا كما قاله لمن رآه يمشى فى الحج ، وقد أجهد نفسه : إن الله لغنى عن تعذيب هذا نفسه ، فمروه فليركب .

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص ، حيث كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويختم القرآن فى كل ليلة ، ولا ينام مع أهله ، فأمره أن يصوم ويفطر ، ويقرأ القرآن فى كل سبع ، وقال له : « إن لنفسك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا ، فأت كل ذى حق حقه » .

ولما بلغه أن عثمان بن مظعون أراد التبتل قال له : أترغب عن سنتى ؟ قال : لا ، ولكن سنتك أريد ، قال : فإنى أنام وأصلى ، وأصوم وأفطر ، وأنكح النساء ، فاتق الله ياعثمان ، فإن لأهلك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، فصم وأفطر ، وصل ونم .

من روائع الماضي

وعزم جماعة من الصحابة أن يتبتلوا ، فجلسوا فى البيوت ، واعتزلوا النساء ، وحرموا طيبات الطعام واللباس ، وهموا بالاختصاء ، وأجمعوا لقيام الليل ، وصيام النهار ، فنزل فيهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَاأَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَاتَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

وقد ورد النهى عن صيام الدهر ، والتشديد فيه . وهذا كله يدل على أن أفضل صيام التطوع هو الا يضعف البدن ، حتى يعجز عما هو أفضل منه من القيام بحقوق الله تعالى ، أو حقوق عباده اللازمة ، فإن أضعف عن شيء من ذلك مما هو أفضل منه ، كان تركه أفضل ، فالأول مثل أن يضعف صيام التطوع عن الصلاة ، أو عن الذكر ، أو عن العلم . والثانى : مثل أن يضعف عن الكسب للعيال ، أو القيام بحقوق الزوجات ، فيكون تركه أفضل .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يتوسط فى إعطاء نفسه حقها ، ويعدل فيها غاية العدل ، فيصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويأكل مايجد من الطيبات كالحلواء والعسل ، ولحم الدجاج ، وتارة يجوع حتى يربط على بطنه الحجر . وقال : عرض علىّ ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً ، فقلت : لا ، يارب ، ولكن أجوع يوما ، وأشبع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك . فاختار ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعدل الأحوال ، ليجمع بين مقامات الشكر والصبر والرضا .

وقد ورد : « اكلفوا من العمل ماتطيقون ، فوالله لايمل الله حتى تملوا » . وورد : « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » . فمن عمل عملا يقوى عليه بدنه فى طول عمره فى قوته وضعفه ، استقام سيره ؛ ومن تحمل ما لايطيق ، فإنه قد يحدث له مرض يمنعه من العمل بالكلية ، وقد يسأم ويضجر ، فيقطع العمل ، فيصير كالمُنْبَتِّ ، لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى .

وقد ندم عبد الله بن عمرو بن العاص فى آخرة أمره حين عجز عن الاستمرار على ما أخذ بنفسه من قيام الليل وصيام النهار والإفراط فى العبادة وقال : ليتنى قبلت رخصة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقد كان رجل فى زمن التابعين ، يصوم ويواصل ، حتى عجز عن القيام ، وكان يصلى الفجر جالسا ، فأنكروا ذلك عليه ، حتى قال عمرو بن ميمون : لو أدرك هذا أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجموه .

وكان ابن مسعود يقل صيام التطوع ، ويقول : إنه يضعفنى عن قراءة القرآن ، وقراءة القرآن أحب إلىّ .

وأحرم رجل من الكوفة ، فقدم مكة ، وقد أصابه الجهد ، فرآه عمر بن الخطاب ، وهو سيىء الهيئة ؛ فأخذ عمر بيده ، وجعل يدور به الحلق ، ويقول للناس : انظروا إلى ما يصنع هذا بنفسه ، وقد وسع الله عليه ! .

ولعل السر فى مطالبة الإسلام (بالرفق فى العبادة) والاعتدال فى أعمال التطوع واضح كل الوضوح ، فإن الله ـ تعالى ـ خلق الإنسان محتاجا إلى مايقوم به بدنه من مأكل ومشرب وملبس ، وأباح له من ذلك كله ما هو طيب حلال تقوى به النفس ، ويصح به الجسم ، ويتعاونان على طاعة الله ؛ وحرم عليه ما هو ضار خبيث ، يوجب للنفس طغيانها وقسوتها وغفلتها وأشرها وبطرها ؛ فمن أطاع نفسه فى تناول ما تشتهيه

البقية ص ٤٠٠

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

على هامش النقد

كتاب الوحوش ٢

عن الأصمعي (رحمه الله)

تحقيق الأستاذ
أيمن محمد ميدان

(مُكَدَّحٍ من ضرخها بالارجل) يحدو بحقب واسقات دُبَّل[١]

وقال الشماخ : ـ الطويل ـ

كأني كسوت الرحل أحقب سهوقا أطاع له من رامتين حديق[٢]

ويقال للحمير بنات صعدة ، (والصلصال)[٣] والمصلصل الكثير النهاق والصلصلة : الصوت . ويقال للقناة صعدة ، وجماعها صعاد[٤]

(و) قال الأعشى : ـ الخفيف ـ

عنتريس تعدو إذا حرك الصوت كعدو المصلصل الجوال[٥]

(و)[٦] الجوال من الجولان ، من الذهاب والجيئة[٧] .

---

(١) ديوان العجاج ١٨٢ ، بتقديم البيت الثانى على الأول . ومابين القوسين ساقط من ت ، ج . والبيت الاول روى : مُلَدَّحٍ من ضربها بالارجل .

(٢) ديوان الشماخ ٢٤٥ برواية : « أطاع له فى رامتين حديق » انظر تخريج البيت هناك السهوق : الطويل الساقين ، ويستعمل فى غير الرجال ، وأطاع له : أى اتسع له وأمكنه الرعى ورامتان : تثنية رامة . انظر معجم البلدان ٤/ ٢١٠ ، ٢١٢ ومعجم ما ستعجم ٢/ ٦٢٨ . والحديق : ماأعشب والتف من الرياض .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٤) عبارة ت ، ج : « وجمعها صعائد » .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج . والبيت فى ديوان الأعشى ٧ والصبح المنير ٨ برواية : « إذا حُرِّك السوط » . وفى ت ، ج : « إذا مسها السوط » . وعنتريس : صلبة قوية ، والمصلصل صافى الصوت ، والجوال : من جال يجول اى طاف ولم يستقر . وعلق الأصمعى على هذا بقوله « ليس هذا بالوصف الجيد » .

(٦) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٧) عبارة ت : « من الجيئة والذهاب » . وعبارة ج : « من الجياة والذهاب » .

ويقال النهاق والنهيق ، والسحال والسحيل ، والشحاج والشحيج ، وقال الشاعر (٨) : ـ الرجز ـ

كأن في فيه إذا ما شحجا عوداً دوين اللهوات مولجا (٩)

والتعشير أيضاً هو النهاق نفسه ، قال بعض الهذليين (١٠) : ـ المتقارب ـ

فصاح بتعشيره فانتحى جوائلها وهو كالمستجال (١١)

(واستجال : اعتمد عليه ، واستحالته : غيَّرته من القرع . وجوائلها ما جال منها) (١٢) . ومنها التولب ، والجمع التوالب وهي أولادها ، ويقال أيضاً تألب وعفو والجمع عفاء(١٣) .

قال الأعشى (وهو)(١٤) ينعت فرساً : ـ المتقارب ـ

يعادى النموص ومسحلها وعفوهما قبل أن يستحم (١٥)

يريد(١٦) قبل أن يعرق .

قال والحميم : العرق ؛ قال زهير(١٧) ـ الوافر ـ

كأن سحيله في كل فجر على أحساء تمؤود ودعاء (١٨)

[ويروى : في كل فج] (١٩)

---

(٨) عبارة ت ، ج : « قال الراجز » .

(٩) ديوان العجاج ٣٧٤ . « يقول : الحمار الوحشي إذا نهق كان في فيه عودا ، يريد بذلك سعة شدقه ، وهو يستحب من الفرس ، وهو ها هنا يصف حماراً » .

(١٠) عبارة ت ، ج : « قال امية بن ابى عائذ الهزلى » . وامية بن ابى عائذ شاعر هذلى مقدم انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٦٦٧ ، والاغانى ٢٠/١١٥ ـ ١١٦ ، وخزانة الادب ١/٤١٧ ، ٤٢٢ ، والإصابة ١/١١٧ .

(١١) ديوان الهزليين ٢/١٧٩ لامية بن ابى عائذ الهذلى ، برواية : « فطاف بتعشيره وانتحى » وفي شرح أشعار الهزليين ٢/٥٠٢ وفي ت ، ج برواية : « فصاح بتعشيره وانتحى » . والمستجال : الذاهب العقل .

(١٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٣) عبارة ت ، ج : « وعفو والجميع عفاء ، ويقال لولدها جحش وجحشة وجمعها جحاش. وتولب والجميع توالب ويقول تألبٌ ايضاً وعِفْوٌ » .

(١٤) مابين القوسين ساقط من ت .

(١٥) ديوانه ٣٩ . وفي الصبح المنير ٣٢ برواية : يصيد النحوص ومسحلها وجحشهما قبل أن يستحم
واشار إلى رواية الاصل على انها رواية أبى عبيدة ، والنحوص : الحائل التى لم تحمل ، وهى أسرع جريا لان بطنها لا تثقلها . والمسحل : الحمار الوحشى . ويستحم : اى يعرق من كثرة الجرى .

(١٦) عبارة ت ، ج : « اى قبل أن يعرق » .

(١٧) زهير بن ابى سلمى شاعر جاهلى مقدم ، لم يدرك الإسلام ، وادركه ابناه كعب وبجير . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ١٣٧ ـ ١٥٣ ، وطبقات فحول الشعراء ٢٥ والاغانى ٩/١٣٩ ـ ١٥١ والاشتقاق ١١١ ـ ١١٠ ، وخزانة الادب ١/٣٧٥ ـ ٣٧٧ ، بلوغ الارب ٢/٢٧٧ ، ٣/٨٨ ، ٩٧ ـ ١٠١ ، أسد الغابة ١/١٦٤ .

(١٨) ديوان زهير ١١ وشعر زهير لثعلب ٦٢ وشعر زهير للاعلم الشنتمرى ٣٣ وفي ت ، ج ورد البيت فيهم جميعا برواية « يمؤود » . يقول الأعلم : « السحيل : صوت الحمار وبه سمى مسحلا ويمؤود : اسم موضع . والأحساء : جمع حسى ، وهو موضع يكون به الماء ، وقوله « دعاء » شبه صوت الحمار بصوت إنسان يدعو صاحبه ويناديه ، وإنما يريد أنه في وقت هياجه فهو يدعو الأُتُن ويجاوب الحمر » .

(١٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

قال ابو ذؤيب : - الكامل -

تأبى بدرتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فإنه يتبضع[٢٠]

أي يجري ويسيل[٢١] .

والعرق أيضاً يقال له المسيح ، قال العجاج : - الرجز -

وفي الدهاس مضبرٌ ضروح إذا الجياد فضن بالمسيح[٢٢]

والنجد العرق من الكرب ، قال النابغة[٢٣] : - البسيط -

يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد[٢٤]

(والنجد : العرق)[٢٥] .

ويقال للقطيع من الحمير عانة ، و [الجميع][٢٦] عانات وعُونٌ مثل دارة ودور وقارة وقور[٢٧] ؛ قال الشماخ [بن ضرار : - الطويل -

يطرد عانات وينفى جحاشها كما حاز شذان البكار فنيق

وقال الشاعر أيضاً :][٢٨] - الطويل -

---

(٢٠) ديوان الهذليين ، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٣٤ ، وفيه أشار السكرى إلى أن الأصمعى كان يرويه : « تأبى بدرتها إذا ما استغضبت » والدرة : درة العدو . يقول : تأبى أن تدرك بما عندها من الجرى إذا استغضبتها ، والتبضع : السيلان . وعلق الأصمعى على هذا البيت بقوله : وهذا مما لا توصف به الخيل ، وقد أساء ، وإنما أراد بهذه شدة نفسها ، إلا أنه كان لا يجيد فى صفة الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به .

(٢١) عبارة ت ، ج : « يقول يجرى ويسيل » .

(٢٢) ديوان العجاج ١٧٠ ـ ١٧١ يفصل بينهما : بِرِجْلٍ لاكزٍّ ولا أَنْوح .
الدهاس : اللين . ومِضْبَر : وثاب .. وفى ت « ضروخ » وهو تحريف .

(٢٣) عبارة ت ، ج : « وقال النابغة الذبيانى » .

(٢٤) ديوانه ٢٧ . وفى ت : « بين الأين والنجد » والضمير فى « خوفه » عائد على الفرات لاضطراب أمواجه وشدة هوله . والمعتصم : المستمسك . والخيزرانة : سكان الفينة والأين : الفترة والإعياء .

(٢٥) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٦) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٧) عبارة ت : « مثل دارة ودور ، وقارة وقور » .

(٢٨) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وساقط من الأصل بسبب انتقال النظر . والبيت فى ديوان الشماخ بن ضرار ٢٤٦ برواية : « كما كان شذان البكار الفنيق » . شذان الإبل بضم الشين وفتحها ـ ما افترق منها ، والبكار جمع بكر ـ بفتح الباء وهو الفتى من الإبل والأنثى بكرة .

يطـرد عـانـات بـرهبى فبطنـه خميص كطى الزرافية (محنق (٢٩)

ويقال للحمير المعيوراء ممدود ، [والتألب - مهموز - ولد الحمار - وهو التولب أيضاً إذا قوى وطرّد أتنه] (٣٠) .

ومن أسماء البقر وصفاتها(٣١)

يقال للذكر(٣٢) الثور ، والأنثى(٣٣) بقرة ويسمى الثور اللأى مثل (٣٤) الفتى والبقرة لآة مثل فتاة .

ويقال للأنثى ثورة في الشعر ، قال الشاعر (٣٥) : - الطويل -

جزى الله عني الأعودين ملامة وعبدة ثفر الثورة المتضاجم(٣٦)

الثفر : الحياء ، والمتضاجم : الأعوج .

(و) (٣٧) قال زهير : - البسيط -

خلج الأجرة ف أشداقها ضَجَمُ (٣٨)

والبقرة تسمى المهاة والعيناء [لعظم عينها] (٣٩) . ويقال للبقرة نعجة والجميع نعاج (٤٠) ، وقال

---

(٢٩) البيت منسوب لعلقمة بن عبدة التميمى فى معجم ما استعجم للبكرى ٤٢٦ . ولم يرد البيت فى طبعة ديوان علقمة الأوروبية وكذلك فى شرح ديوان علقمة بن عبدة للأعلم الشنتمرى ، ولم يرد فى ديوانه ضمن « العقد الثمين » على أن الشيخ « ابن محمد أبو شنب » الذى عنى بتصحيحه ونشره أضاف البيت إلى الشعر المنحول لعلقمة معتمدا على معجم البكرى ، حيث روى « .. فبطنه .. الرازقية » . رهبى : موضع فى ديار بنى تميم . وخميص : ضامر . والرازقية : ثياب كتان بيض . ومحنق : أى قليل اللحم ، وهو الذى لذق بطنه بصلبه . وروى البيت فى ت : « وبطنه » .
علقمة بن عبدة الفحل ، لقب بذلك لأنه نازع امرأ القيس الشعر . وقصة المنازعة أشهر من أن تذكر قال ابن سلام : « له ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر » . انظر ترجمته فى : طبقات فحول الشعراء ١٣٧ - ١٣٩ ، والشعر والشعراء ١/٢١٨ - ٢٢٢ ، وشرح المفضليات للأنبارى ٧٦٢ ، والأغانى ٨/١٩٠ - ١٩٤ وجمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، والموشح ٢٨ - ٣٢ خزانة الأدب ١/٥٦٥ - ٥٦٦ . والمؤتلف والمختلف ٢٢٧ .

(٣٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣١) عبارة ت ، ج : « أسماء البقر وصفاتها » .

(٣٢) عبارة ت « وللذكور الثور » .

(٣٣) عبارة ت ، ج : « وللأنثى » .

(٣٤) عبارة ت ، ج : « تقديره الفتى » .

(٣٥) البيت للأخطل ، وهو غياث بن غوث من بني تغلب ، ويكنى أبا مالك ، وكان يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبيانى .. انظر ترجمته فى : « الشعر والشعراء ٤٨٣ - ٤٩٦ ومقدمة ديوان الأخطل ، والأغانى ٧/١٧٥ والمحاسن والمساوىء ٢٣٤ ، وشعر تغلب فى الجاهلية . جمع وتحقيق . ونقائض جرير والأخطل .

(٣٦) شعر الأخطل ٢٧٧ ، برواية : « جزى الله فيها .. » وفى الحيوان ٢/٢٨٢ برواية : « جزى الله عنا .. وعبلة ثفر الثورة المتضاجم » .. وفى لسان العرب « ضجم » برواية : جزى الله عنا .. وفروة ثفر الثورة المتضاجم .. والمتضاجم : المعووج الفم .

(٣٧) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣٨) ديوانه ٩٦ ، وشعر زهير « الأعلم الشنتمرى » ١٠٦ ، وصدره : « فهى تَبَلَّغُ بالأعناق يَتْبَعُهَا » وروى العجز فى شرح شعر زهير « ثعلب » ١٢١ : « خلج الأعنة فى أشداقها ضجم » . خلج : جذب ، يقال خلجه أى جذبه وصرفه ، وناقة خلوج إذا ذبح ولدها فذهب به . والأجرة ، جمع جرير وهو حبل من جلود . وضجم : ميل .

(٣٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٤٠) عبارة ت ، ج : « ويقال للجميع نعاج » .

الشاعر [الجعدى](٤١) : - المتقارب -

نعاج مطافيل في ربرب(٤٢)

(و)(٤٣) المطافيل اللاتي معها أولادها ، والواحدة مُطْفِلٌ ، ويقال أطفلت إذا صار معها طفل(٤٤) ؛

[وقال لبيد بن ربيعة الكلابي : - الكامل -

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت ... بالجهلتين ظباؤها ونعامها](٤٥)

والطفل : الصغير .

قال أبو سعيد : والطفل الناعم ، والغضب ، والأرخ والجميع الآراخ(٤٦) .

---

(٤١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وهو النابغة الجعدى ، عبد الله بن قيس .. وكان يكنى ابا ليلى .. واتى رسول الله - ﷺ - فأنشده :

انبئت ان رسول إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله - ﷺ - إلى اين ياابا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة ، فقال رسول الله - ﷺ - إن شاء الله . ومات الجعدى بإصبهان وهو ابن مائتين وعشرين سنة . انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٢٨٩ . والاستيعاب ٢٢٠ - ٣٢٥ واسد الغابة ٥/٢ - ٤ والروض الانف ٥٣/١ ، وتاريخ إصبهان ٧٣/١ - ٧٤ ، والإصابة ٢١٨/٦ - ٢٢١ والمعمرين ٦٤ - ٦٦ وطبقات فحول الشعراء ٢٦ - ٢٨ والاغانى ١٢٧/٤ - ١٣٩ وخزانة الادب ٥٠٩/١ - ٥١٥ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ - ١٤٨ ، ومعجم الشعراء ٣٢١ ، والموشح ٦٤ - ٦٧ .

(٤٢) ورد منسوبا للجعدى فى معجم ما استعجم ١٨٨/١ ، وصدره : « عليهن من وحش بينونة » .
بينونة : موضع بين عمان والبحرين وبىء .

(٤٣) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٤٤) عبارة ت ، ج : يقال : « اطفلت إذا صار لها طفل » .

(٤٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وساقط من الأصل لانتقال النظر . لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى . ويكنى أبا عقيل ، من شعراء الجاهلية وفرسانهم .. قتله بنو أسد فى حرب بينهم وبين قومه .
ادرك الإسلام ، وقدم على رسول الله - ﷺ - فى وفد بنى كلاب فاسلم ورجعوا إلى بلادهم .. ويقال إن وفاته كانت فى أول خلافة معاوية ، وانه مات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة .
انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٢٧٤ - ٢٨٥ والتاريخ الكبير للبخارى ٢٤٩/٤ ، وطبقات ابن سعد ٢٠/٦ واسد الغابة ٢٦٠/٤ - ٢٦٣ والإصابة ٤/٩ - ٥ والاستيعاب ٢٣٥ - ٢٣٧ والمعمرين ٦٠ - ٦٣ ، والاغانى ٩٠/١٤ - ٩٨ وخزانة الادب ٣٢٤/١ - ٣٢٩ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات . وطبقات فحول الشعراء ١٣٥/١ - ١٣٦ وكنى الشعراء ٢٨٨ والاشتقاق ٢٩٦ والمؤتلف والمختلف ٢٦٤ وأمالى المرتضى ١٨٩/١ - ١٩٤ وسمط اللآلىء ٣/١ .
البيت فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٥٢٤ . علا : ارتفع وطال ويروى : فعلا فروع الأيهقان » .. والغين رواية الأصمعى . والأيهقان : الجرجير .. والجهلتان : جبهتا الوادى ، وهو ما استقبلك من حروف الوادى .

(١١٦) عبارة ت ، ج : « والأرخ الثور والجميع اراخ » .

واللهق واللياح : الأبيضان ، [قال ذو الرمة : — الخفيف —

بعد ما آن الظل واكتن اللياح المشهر

و] (٤٧) قال زهير : — البسيط —

كسوتهن شبوبا ناشطاً لهقا (٤٨)

[و](٤٩) قال العجاج :

حتى جلا عن لهق مشهور ليل تمام ثم مستحير بين الفرندادين ضوء النور(٥٠)

والیلق الأبيض [أيضاً](٥١) ، قال أبو ذؤيب [الهذلي] (٥٢) : — البسيط —

في ربرب يلق حور مدامعها كأنهن بجنبي حربة البرد (٥٣)

ويقال ثور مشب ومشبوب (٥٤) وشبب وهو كله المسن (٥٥) ، وقال أبو ذؤيب : — الكامل —

والدهر لا يبقى على حدثانه شبب أفزته الكلاب مروع (٥٦)

أفزته : استخفته وطردته (٥٧)

ويقال للثور ذيال ، أي طويل الذنب (٥٨) ؛ قال العجاج : — الرجز —

يتبعن ذيالاً موشى هبرجا (٥٩)

[والموشى من الشية ، والهبرجة الاختلاط في المشي] (٦٠) ، والهبرج الذي يختلط في الشيء(٦١) .

---

(٤٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وفي ج « كسوتهن ... » .

(٤٨) في كل من شرح شعر زهير لثعلب ٤٤ ، وشعر زهير للأعلم الشنتمرى ٦٩ « كَسَوْتُهُنَّ مُشِبًّا ناشطا لهقا » ، وصدره « كأن كورى وانساعي وميثرتي » ، وهذا البيت ضمن ابيات ستة عشر لم يروها ثعلب والأعلم الشنتمرى ، ورواها صعوداء ، وقال : « لم يروها احد من الرواة غير حماد » . والكور : الرحل ، والانساع : جمع نسع ، وهو سير يشد به الرحل . والميثرة : حشية يضعها الراكب تحته فوق الرحل . والمشب . الثور الوحشى المسن . والناشط الذى يخرج من بلد إلى آخر . واللهق . الشديد البياض » .

(٤٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٥٠) ديوانه ٢٣٢ ، يفصل بين الشطرين الثاني والثالث شطر آخر هو : عكامس كالسندس المنشور » « اللهق : الابيض ، ويعنى به الصبح . مستحير : متحير . وعكامس : متراكب « الفرندادين : رملان مشهوران » .

(٥١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٥٢) ما بين « المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٥٣) شرح اشعار الهذليين ٦١/١ وروى في نظام الغريب ١٩٥ برواية ثانية : « بجنبى جرية البرد » .

(٥٤) اللفظة في ت ، ج : « وشبوب » .

(٥٥) عبارة ت : وهو كله المُغَنَّى .

(٥٦) ديوان الهذليين ١١٤/٢ ، وشرح اشعار الهذليين ٢٦/١ ، وفي ت ، ج روى : « افرته » بالراء . وحدثان الدهر : صروفه ونوائبه . والشبب : الثور المسن الذى قد تمت أسنانه . وافزته : استحفته وطيرته وأذهبت قلبه .

(٥٧) عبارة ت ، ج : « افزته : استخفته فطردته » .

(٥٨) عبارة ت ، ج : ويقال للثور ذيال للطويل الذنب » .

(٥٩) ديوان العجاج ٣٥٤ ولسان العرب « هَبْرَجٌ » . « وقوله موشى في قوائمه خطوط من سواد . قال والهَبْرَجُ الذى يُخَلِّطُ في مشيته يتبختر قال : ولم اسمعه إلا في هذا البيت — اى الأصمعى — » وفي لسان العرب (هبرج) قال ابو النصر : سألت الاصمعى مرة اى شيء هبرج ؟ قال : يُخَلِّطُ في مشيه . الاصمعى ايضا الهبرج : المختال » .

(٦٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . والشِّيَةُ : « سواد في بياض او بياض في سواد الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره » . لسان العرب « وشى » .

(٦١) عبارة ت ، ج : « والهبرج الذى يختلط في مشيته » .

أبو العتاهية وروافد الزهد في شعره

للأستاذ: السيد حسن قرون

لم يدر بخلد كبار شعراء العرب فى الجاهلية والإسلام حكاية السرقات الشعرية التى عرفها العصر العباسى فى أواخره، حين ظهرت مقالات النقد والمؤلفات التى توازن بين شاعر وشاعر، مع أنهم عبروا عن أحاسيسهم نحو المعانى والأفكار، وأنهم سبقوا فيها، من ذلك قول زهير وهو شاعر جاهلى من أصحاب المعلقات:

ما أرانا نقول إلا معارا
أو معادا من قولنا مكرورا

وقول عنترة وهو من أصحاب المعلقات وجاهلى أيضا:

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

ولكن هذا شيء والسرقات الشعرية شيء آخر، ولم ينظر إلى أقوال الشعراء والموازنة بينها إلا بعد أن تحدد التراث الأدبى، وصار الشعر مكتوبا، وأصبح لكل شاعر ديوان، وظهرت صناعة الكتابة والنسخ وظهرت طائفة الوراقين، من هنا يستطيع الناقد المستوعب أن يقف على تراث مبسوط أمام النظر، فيستطيع أن يوازن ويقارن ويخرج بنتائج لها أثرها فى التوجيه الأدبى ورسم صورة للشاعر المجيد والشعر الجيد.

وكان الأمر فى البدء بيان قدرة الشاعر واستفادته من أقوال من سبقه سواء أكان القول شعرا أم نثرا ؟

وقد تنبه محمد بن يزيد المبرد فأعطانا صورة عن أبى العتاهية: إسماعيل بن القاسم فى انتقائه الفكرة واستفادته من الحكمة والمثل والعظة النادرة لتكون فى نتاجه الشعرى ولاسيما زهدياته.

وُلد أبو العتاهية فى أواخر العصر الأموى ونشأ نشأة عباسية فى أسرة من الموالى فقيرة بالكوفة، ولكنه أتقن اللغة العربية فصار عربيا، وعرف طريقه إلى الشعر ونبغ فيه وقال فى كل

اغراضه ، بيد انه حبب إليه القول فى الزهد ، فكان يمثل اتجاها يعارض السرف والترف فى المجتمع الإسلامى ، وكانت وفاته سنة ٢١١ هـ .

والمبرد عربى أصيل من (ثمالة) ، و(ثمالة) من الأزد وهو أديب كبير ولغوى نحوى له تلاميذ ويمثل فى النحو المذهب البصرى فى العصر العباسى ، وكتابه « الكامل » أحد الكتب الأربعة التى جعلها ابن خلدون الغذاء الثقافى والأدبى لمن يريد أن يكون أديبا .
توفى المبرد سنة ٢٨٥ هـ .

وقد عرض فى الكامل شعرا لأبى العتاهية بين لنا فيه كيف استفاد من أقوال من سبقه من العرب وغير العرب . وإليك بعضا من تلك الدراسة الموطئة للدراسة النقدية والبلاغية لأبى هلال العسكرى صاحب « الصناعتين » والإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه « أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز » وصار لنا علم اسمه البلاغة : « المعانى والبيان والبديع » قال أبو العتاهية فى الزهد :

ياعجبا للناس لو فكروا
وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها
فإنما الدنيا لهم مَعْبر

الخير مما ليس هو المعروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الحشر فذاك الموعد الأكبر

لافخر إلا فخر أهل التقى
غدا إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى
والبر كانا خير ما يذخر
عجبت للإنسان فى فخره
وهو غدا فى قبره يقبر
مابال من أوله نطفة
وجيفة آخره يفخر ؟

أصبح لا يملك تقديم ما
يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره
فى كل مايقضى وما يقدر

هذا شعر أبى العتاهية ، فماذا قال المبرد فيه ؟ قال أما قوله :

ياعجبا للناس لو فكروا ـ البيت « مأخوذ من قولهم » الفكرة مرآة تريك حسنك من قبحك ومن قول لقمان لابنه : يابنى لا ينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات : فوقت منها يناجى فيه ربه ، ووقت يحاسب فيه نفسه ، ووقت يكسب فيه لمعاشه ، ووقت يخلى فيه بين نفسه و لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات .

وقوله : « وعبروا الدنيا إلى غيرها » .. البيت « مأخوذ من قول الحسن : اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولاتعمرها » ، و « معبر » بفتح الميم اسم مكان وبكسرها اسم آلة وكلاهما صحيح وقوله « الخير ليس يخفى .. البيت » مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبد الله ، كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم ، وصار الناس هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ فقلت : مرنى يارسول الله ، فقال : خذ ما عرفت ودع ما نكرت ، وعليك بخويصة نفسك وإياك وعوامها ، الحثالة ، ما يبقى من روى الطعام وضربه مثلا ، ومعنى مرجت اختلطت وذهبت كل مذهب .
وقوله :
« ليعلمن الناس أن التقى
والبر كانا خير ما يدخر
مأخوذ من قول أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

على هامش النقد

« إذا حشر الناس فى صعيد واحد نادى مناد من قبل العرش : ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ؟ ليقم المتقون .. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم،إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله « ما بال من أوله نطفة .. البيت » مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : « وما ابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة ، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه » والحتف الموت .

وهنا دخل المبرد فى شعر كثير لشعراء كثيرين يدور شعرهم حول هذا المعنى الذى طرقه الإمام على ووازن بينها .

وأنت ترى مما ذكرنا أن المبرد وضح المأخوذ فى كل بيت وأنه من السلف الصالح وفى المقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وإليك مثالا مما أخذه من غير العرب وسجله المبرد أيضا .

مات صديق أبى العتاهية « على بن ثابت » فأكثر البكاء عليه من ذلك قوله :

يـا علـى بن ثـابت بان منى
صاحب جل فقـده يوم بنتـا
يـا علـى بن ثـابت أين أنتـا
أنت بـين القبور حيث دفنتـا

قد لعمري حكيت لى غصص المو
ت وحركتنى لها وسكنتنا

وفى شعر آخر يقول :

بكيتـك يا أخى بـدمع عينى
فلم يغن البكـاء عليك شيئـا
كفى حـزنـا بـدفنـك ثم إنى
نفضت تراب قبرك من يـديا
وكـانت فى حياتـك لى عظـات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وعلق المبرد على هذا الشعر الباكى فقال : كان إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ، ويسرقه أخفى سرقة ، فقوله « وأنت اليوم أوعظ منك حيا » أنما أخذه من قول الموبذ لقباذ الملك حيث مات فإنه قال فى ذلك الوقت « كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس » .

وأخذ قوله :

قد لعمرى حكيت لى غصص المو
ت وحـركتنـى لهـا وسكنتـا

من قول نادب الاسكندر فإنه لما مات بكى من بحضرته ، فقال نادبه : « حركنا بسكونه » وأنت ترى أن المبرد فى هذا الموضع توسع فى النقد وتأمل الشعر ، وأرجع كل قول إلى صاحبه ، وبذلك أشار إلى موضوع من موضوعات النقد فى العصر العباسى وهو السرقات الشعرية بل إن المبرد مهد السبيل بقوله « فينظم الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة » وأنا لا أرى فى هذا الصنيع سرقة إنما هى الثقافة تغلب على الأديب فيصوغها شعرا أو يرسلها نثرا ، لينير السبيل للمتلقى فيهتدى ويحسن سلوكه ، وما جعل الأدب بجميع أجناسه وأغراضه وفنونه إلا للحفاظ على مكارم الأخلاق والتحلى بها .

من خير ما نشر

تقديم : عادل رفاعى خفاجة

الجبـــن البلغـــارى
للأستاذ : أحمد بهجت

منذ أيام سحبت أمريكا سفيرها فى بلغاريا احتجاجا على معاملة النظام الشيوعى البلغارى للأقلية المسلمة فيه : «الأقلية التركية» .

قبل ذلك اصدرت السعودية بيانا أدانت فيه المعاملة .. أما الكويت فقد سحبت سفيرها احتجاجا .. وباستثناء ذلك لم يقع من العالم العربى أو الإسلامى شىء يواجه ما يحدث فى بلغاريا تجاه المسلمين أو الأقلية التركية .. وما يحدث هناك رهيب

والسؤال الآن : ماذا فعلنا كعرب أو كمسلمين لمواجهة هذا الموقف ؟

إن الحكومات تستطيع أن تحتج بسحب سفرائها أو تقديم مذكرات الاحتجاج .. وهذا أمر مؤثر وهام ، ويبقى ما هو أهم منه واعظم تأثيراً .. يبقى دور الشعوب العربية والإسلامية . إن مقاطعة الجبن البلغارى الشهير والبضائع البلغارية والمصايف البلغارية وأى تبادل تجارى مع بلغاريا .. هذا كله كفيل بأن يقنعهم اننا يجب أن نعامل معاملة أفضل .

إن الشعوب قوة هائلة ولكن الشعوب لا تجربها للأسف .. ولهذا السبب يطمع فينا الآخرون .

إن كمية التبادل التجارى بين الشعوب الإسلامية والعربية وبين بلغاريا تزيد على ٥٠٠ مليون دولار .. كيف يبيدون المسلمين ونقدم إليهم نقودنا ؟

مواقـــف
للأستاذ : أنيس منصور

عندما انتصر المسلمون فى إحدى المعارك قال الرسول ﷺ : عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، وسئل الرسول فقال : إن الجهاد الأكبر هو جهاد النفس[١] .

←

(١) الحديث غير صحيح .. وإن كانت الكلمة ـ بعده ـ طيبة .

من خير ما نشر

ونحن فرغنا من جهادنا الأصغر ضد العدوان والاحتلال الإسرائيلى لأرضنا وعدنا من ١٦ عاما إلى جهادنا الأكبر .

ونحن لا نزال نهون من قدر أنفسنا ونسد الأبواب فى وجوهنا بأيدينا والسبب هو ما أصابنا فى أعمق أعماقنا من هزيمة نفسية . هذه الهزيمة طالت واستطالت ، كأننا أردنا ذلك حتى لا نعمل .

إن الذى قال لنا قبل حرب أكتوبر أن النصر مستحيل لم يكن يعرف أنه يريد أن يهزم جيشنا قبل أن يحارب حتى لا يحارب ، وإنما تنبأ بما حدث لمصر بسبب الهزيمة وبسبب ما قاله هو وأمثاله من (ضاربى الودع السياسى) فقد غرقت مصر فى العجز .

وهذا هو الجهاد الأكبر الذى يجب أن نشارك فيه بكل قلم وكل فأس وكل سلاح .. فهى حرب ضد أنفسنا ومن أجل أنفسنا وإنقاذا لنا من أنفسنا .. فتحت أقدامنا كل ثروات الدنيا ، وفوق أكتافنا يكمن النور ومصدر النور فى كل حضارة .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

بقية

مما حرمه الله عليه ، فقد تعدى وظلم نفسه ، ومن منعها حقها من المباح حتى تضررت ، فقد ظلمها ومنعها حقها ؛ فمن تكلف من التطوع ما يتضرر به فى جسمه ، كما فعل ذلك الباهلى ، أو ما يمنع به حقا واجبا عليه ، كما فعل عبد الله بن عمرو ابن العاص وغيره ممن عزم على ترك المباحات فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فإنه ينهى عن ذلك ؛ ومن احتمل بدنه ذلك ، ولم يمنعه من حق واجب عليه ، لم ينه ، إلا أن يمنعه عما هو أفضل ، فإنه يرشد إلى عمل الأفضل . وأحوال الناس تختلف فيما تتحمله أبدانهم ، وتتقبله نفوسهم ، فيرشد كل واحد إلى ما يناسب حالته .

وهذا كله يدل على سماحة الإسلام وسهولة أحكامه ، وما أصدق مايروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذ يقول : « إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

كما يدل على شفقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورحمته بالمؤمنين ، إذ كان لايترك فرصة إلا تعهدهم فيها بالنصح والإرشاد ، وتوجيههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فى دينهم ودنياهم ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

(المجلد التاسع عشر)

أنباء وآراء

إعداد: عبد المنعم قنـــودة
صفوت عبد الجـــواد

الرئيس حسنى مبارك يكرم خمسمائة فائز فى المسابقات الدينية ويكرم تسعة علماء .

شهد الرئيس حسنى مبارك الاحتفال الدينى الذى أقامته وزارة الأوقاف بقاعة الإمام محمد عبده بجامع الأزهر بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف .. وقد قام الرئيس مبارك بتكريم خمسمائة فائز فى المسابقات الدينية كما قام بتكريم تسعة من العلماء الذين ساهموا بكتاباتهم فى سيرة الرسول محمد ﷺ .

احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية يوم الاثنين ١٦ من ربيع أول ١٤١٠ هـ الموافق ١٦ من أكتوبر ١٩٨٩ باختتام الدورة التدريسية العالمية الثانية للطلبة الوافدين من العالم الإسلامى والتى درس فيها أكثر من مائة وخمسين طالبا من مختلف دول أفريقيا وآسيا ، ومدة الدورة ثلاثة أشهر بدأت أول يوليو ١٩٨٩ وانتهت آخر سبتمبر ١٩٨٩ م

وقد قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتوزيع الشهادات على الطلبة الدارسين بالدورة ، ووجه كلمة إلى الطلبة حثهم فيها على الاشتغال بالدعوة عند رجوعهم إلى بلادهم .

وشكر فضيلته كلا من رابطة العالم الإسلامى فى مكة المكرمة والاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية بالقاهرة على تعاونهما فى تنظيم الدورة مع الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية .

وقد حضر الحفل لفيف من أعضاء السلك الدبلوماسى الأفريقى والآسيوى بالقاهرة .

كلية بنات إسلامية بـالزقـازيق - جمهورية مصر العربية

وافق المجلس الأعلى للأزهر على إنشاء كلية بنات إسلامية بمدينة الزقازيق وطالب المجلس بأن يكون للجهود الذاتية دور بارز فى إنشاء الكلية .

حملات تصفية ضد طلاب بلغاريا المسلمين

مازال مسلسل الاضطهاد البلغارى ضد المسلمين قائما .

تمثل هذه المرة فى جامعة صوفيا ببلغاريا . حيث ذكر حسين مليش أوغلو الأستاذ بجامعة صوفيا ببلغاريا أن السلطات البلغارية مارست ضغوطا عليه خلال عمله بالجامعة ليشارك فى الحملة التى استهدفت تغيير أسماء الأقلية المسلمة التركية .

وأضاف الأستاذ/ حسين أوغلو أن عددا من

أنبـــاء وآراء

الأتراك المسلمين فى مدينة (غضوب) و(كرجعلى) لقوا حتفهم عندما حاولوا مقاومة السلطات .

بلغاريا أخرى فى جنوب شرق آسيا

دخلت أحوال المسلمين فى بورما مرحلة غاية فى الخطورة . فقد ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية بأن الحكومة فى بورما بدأت فى إحراق المساجد ومنع طباعة الكتب الإسلامية وتأميم أوقاف المسلمين وإغلاق المدارس الإسلامية ومصادرة الصحف والمجلات الإسلامية وتقسيم الجنسية إلى ثلاث درجات بحيث لا يمنح المسلم سوى الدرجتين الثانية أو الثالثة . وقد منع الأذان منذ عام ١٩٨٣ م .

وقد أجبرت الحكومة نصف مليون مسلم بورمى على النزوح إلى حدود بنجلاديش

وقد امتلأت السجون فى بورما بآلاف المسلمين دون محاكمة . ثم كانت مجزرة راح ضحيتها مئات المسلمين .

أطفال ضحايا من أفغانستان

شهد أحد مستشفيات بون فى ألمانيا الغربية حالة لطفل أفغانى مصاب من جراء الحرب يدعى (هدايت الله) تهشمت ساقه تماما بعد أن هاجمت إحدى الدوريات السوفيتية السيارة التى كانت تقل هذا الطفل مع أهله فى قرية أفغانية .

وكانت بعثة ألمانية قد زارت المخيم الذى يقيم فيه الطفل (هدايت الله) لمدة خمسة أعوام مع أهله ، وأثارت حالته الصحية السيئة استياء البعثة الألمانية فقررت نقله إلى ألمانيا للعلاج لكى يطلع العالم على النيران الشيوعية التى لا تفرق بين أطفال وشيوخ ونساء .

الإسلام دين رسمى بأسبانيا

اقرت لجنة الحريات الدينية بوزارة العدل الأسبانية اعتبار الدين الإسلامى دينا رسميا إلى جانب الديانات الأخرى . وبهذا الاعتراف يصبح الدين الإسلامى واحدا من أربعة أديان معترف بها فى أسبانيا .

ويبلغ عدد المسلمين الأسبان (٢٠٠) ألف نسمة وينتظر أن يكون العدد أضعاف ذلك .

مؤتمر عالمى عن الصحراء ، تشارك فيه مصر

تشارك مصر فى المؤتمر العالمى للصحراء الذى يعقد يوم ٦ نوفمبر القادم بمدينة تريست الإيطالية حيث توجد أكاديمية العلوم للعالم الثالث ويشترك فيه رؤساء مراكز الصحراء من ست وعشرين دولة وصرح الدكتور/ فاروق الباز بمركز أبحاث الفضاء بجامعة بوسطن الأمريكية بأن المؤتمر الذى سيستمر أسبوعا سيناقش كل مشروعات أبحاث العقد القادم ونقص المعلومات عن الصحارى فى السنوات العشر القادمة وإنشاء شبكة تبادل معلومات مقرها تريست لتغذيتها بالمعلومات اللازمة عن الصحارى

مؤتمر علمى لبحث التلوث وأثره على الحيوان والبيئة !

عقدت الجمعية الطبية البيطرية المصرية أول مؤتمر علمى بكلية الطب البيطرى ببنى سويف لبحث تلوث البيئة وأثره على تنمية الثروة الحيوانية كذلك تم بحث تلوث التربة والهواء والأنهار وأثر ذلك على فقدان كثير من الثروة الحيوانية . وقد شارك فى المؤتمر أربعون أستاذا جامعيا من المتخصصين قدموا أبحاثهم التى أكدت على أهمية الثروة الحيوانية التى يمثل عائدها ٧٥٠ مليون جنيه سنويا .

العمران فى قرطبة . بقية

وفى كلمة بليغة مؤثرة يستهل بها العلامة الأثرى الأسبانى النصرانى (أمادوردى لوس ديوس) كلامه عن تاريخ المسجد الجامع وهى فى الواقع أبلغ رثاء لهذا الأثر الإسلامى العظيم نجتزىء منها هذه الكلمات : (إنه لا الأوضاع النصرانية الفخمة التى تقوم اليوم فى وسط هذه العمد التى لا تحصى ولا ذخائر الفن التى أغدقه عليها أكابر الفنانين الذين أقاموها فى القرن السادس عشر ولا تلك السلسلة من المصلبات التى حشرت بجدران المسجد وشوهتها ولا الصور التى تغطى عقوده فى الجزء المخصص للمحراب ولا أولئك الملائكة ولا الكلمات الإنجيلية فى هذه العقود ذات البناء المحدث يمكن أن تبدد أو تمحى ذرة من جلال هذه الأشباح المتجولة التى تبحث عبثا فى زاوية المحراب عن ذلك الكتاب المقدس الذى غمست صحفه حسبما تقول الرواية المتوارثة بدم عثمان الزكى شهيد الإيمان وإنه بالرغم من كل التشويهات التى عملت وكل التغييرات التى أحدثت فإنه قد ختم عليها وفقا لقانون مختوم بخاتم الفن الذى أوحى بها وروح الأمة التى وضعت خطتها وأقامتها) .

وفى سنة ١٧٦٥ ميلادية زار قرطبة الغزال الفاسى سفير سلطان المغرب إلى ملك أسبانيا كارلوس الثالث وبكى على مسجدها الجامع فيقول : (ومذ عبرنا هذا المسجد لم تفترلنا عبرة مما شاهدنا من عظمته وتذكرنا ما كان عليه عهد الإسلام وما قرىء فيه من العلوم وتليت فيه من الآيات وأقيمت به من الصلوات ، وقد تخيل فى الفكر أن حيطان المسجد وسواريه تسلم علينا وتهش إلينا من شدة ما وجدنا من الأسف ، حتى صرنا نخاطب الجمادات ونعانق كل سارية ونقبل سوارى المسجد وجداره) انتهى كلام السفير المغربى .

والعجيب أنه رغم ما هو ظاهر على جدران ذلك المسجد العظيم وواجهاته الخارجية من آثار الإهمال والقدم فإنه من يجوز إلى داخل فنائه الشاسع ويتأمل مدخله الرئيسى يدرك لأول وهلة أنه يواجه أثرا من أجل وأبدع الآثار الإسلامية الباقية لذلك فهو رغم تحويله إلى كنيسة نصرانية فإنه مازال الأسبان يسمونه حتى اليوم la Mezquita Algama de Cordoba أى المسجد الجامع فى قرطبة[١٤] .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

رجل المهام حذيفة بن اليمان . بقية

بمال إلى حذيفة بن اليمان وقال : انظر ما يصنع فقسمه حذيفة ؟؟ فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ لأصحابه : قد قلت لكم .

وهكذا عاش حذيفة ـ رضى الله عنه ـ حياة حافلة بالجهاد في سبيل الله ـ عزوجل ـ بالنفس والمال والوجدان وظل كذلك حتى حضره الموت فقدم على ربه راضياً مرضياً .

وفاته رضى الله عنه

توفى هذا البطل الهمام ـ رضى الله عنه ـ سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه بأربعين ليلة ولما حضرته الوفاة .. قال : هذه آخر ساعة في الدنيا .. اللهم إنك تعلم أني أحبك فبارك لي في لقائك وبهذا اختتم البطل حياته رضوان الله عليه .

(١٤) كتاب الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال المرجع السابق .

الفهـــــــــرس

● الافتتاحية « اين المبادىء ؟! »
د . على احمد الخطيب ٣٢١

● بمولد الرسول ﷺ ولدت امة وقامت دولة .
شيخ الأزهر ٣٢٣

● بشارة الإيمان والعمل الصالح .
د . محمد عبد المنعم القيعي ٣٢٦

● دعاية النبى ﷺ .
للأستاذ عبد الجواد محمد الخضري ٣٢٩

● رجل المهام حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .
للأستاذ زكريا أحمد نور ٣٣٢

● الربـا حـول مقالين .
د . عبد الرحمن تاج ٣٣٦

● الربـا والوديعـة المصرفية .
للأستاذ أحمد فهمى أبو سنة ٣٤٠

● إدارة الرسول ﷺ للصراع
لواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ ٣٤٣

● الطبرى إمام المؤرخين .
أ . د . عبد العزيز غنيم ٣٤٨

● مشيخة علماء الاسكندرية .
د . مجاهد توفيق الجندي ٣٥٣

● العمران فى قرطبـة .
للمستشار محمد عزت الطهطاوي ٣٥٧

الشعـر والشعـراء
اشراف : د . حسن جاد

● « تـوبة » .
للشاعر عمر موسى البرعي ٣٦٢

● فى طريق العودة .
شعر / رشـاد محمد يوسف ٣٦٣

● العلـــوية .
د . حلمى محمد القاعود ٣٦٤

● من اعلام الازهر « الشيخ محمد ابراهيم السمالوطى » .
للأستاذ محمد عبد الرازق العقباوي ٣٧١

العلـوم الكـونية

● حرارة الجـو .. إلى اين ؟
أ . د . أحمد فؤاد باشا ٣٧٤

● قضية إريتريا .
للأستاذ ماهر زكريا الشيمي ٣٧٩

● طـرائف ومـواقف .
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٣٨٤

● من روائع الماضي لمجلة الازهر .
« الرفق فى العبـادة » .
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ٣٨٦

اللغـة والأدب والنقـد

● كتاب الوحوش عن الاصمعي ـ رضى الله عنه .
للأستاذ أيمن ميدان ٣٩٠

● على هامش النقد « ابو العتاهية » وروافد الزهد فى شعره .
للأستاذ السيد حسن قرون ٣٩٦

● من خير مانشر .
للأستاذ عادل رفاعي خفاجة ٣٩٩

● انباء وآراء .
إعداد : عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجـواد ٤٠١

القسـم الانجـليزي
إشراف : د . أنس النجار

● المقالة الثانية :
للأستاذ سعد مصطفى مصطفى ٤٠٩

● المقالة الأولى :
د . أنس مصطفى النجار ٤١٤

as regards motives, methods, purpose and targets. That precept is fundamental; because if there was no intimate connection between the finite and the Absolute, and between creation and Creator; the whole progress of creation would deviate, disorganize, and be lost. People would become imprisoned in the ignorant devaluated superficial understanding of the affairs, causes, purposes and targets of life.

emotional consitution of love, hate, assistance, opposition, tolerance, resentment; and his personal conduct arising from notion and emotion. Based on such premise, two main forms of personalities emerge, namely, the committed and uncommitted. The former is committed to a specific principle or ideology towards life; and the latter is that personality whose formative elements are not founded on any principle or ideology. The disparity between the two types of personality is great. The committed personality forms an integrated unity of mind, body and soul which governs the symmetry of concepts and emotions, and regulates the harmony of behaviour and actions. There is no place for confused concepts, no struggle between the senses, and no inconsistant behaviour; unless incoherent elements are present in the principles of the ideology itself. The uncommitted personality has no feature of cohesion or conformity to unite its formative elements no precepts for its attitudes or opinions, no symmetry between its emotions, and no harmony between its behaviour and conduct.

The characteristics of the Islamic personality are structured by very well defined formative elements of very coherent commitment to the concepts and percepts of Muslim Theism. These are utilized and implemented as the principle theory of belief, basis for values, source of notion and emotion, and life's programme of all behaviour and all relationships. The secret of Islam's success in embodying its faith and its system of doctrines, is attributable to its simplicity, practicability, ecumenic universalism, and its intimate coherence with the natural disposition of mankind. Islamic precepts strike a just and delicate balance between the spiritual and material forms of life. This balance is perpetual and maintained by the proper comprehensive practice of Islamic teachings. These teachings give mankind his provisions of material life without overflooding the soul to drown it. The axiom of understanding is that the human soul is the master dominant organizer of human notion, emotion, behaviour and conduct. The preservation of the activity and functional faculty of the human soul is absolutely vital to the conservation of human inborn grace, propriety of social convention, and the upholding of values.

The Muslim teachings of understanding life affects the people's view in their living patterns and their involvement with society. Islam provides a real understanding of life, a cultural orientation of virtues, principles and methodologies. Indeed, the progess of mankind must, in the view of Islam, be totally connected with the submission to Allah and commitment to His Ordinances. There must be total coherence

The text of the Holy Quran is magnficently intricate and deep rooted. For the proper understanding of its verses, good knowledge of commentary "Tafsir" and interpretation "Ta'will" is necessary. It is also essential to know the inner and outer meanings of the Quran, that which abrogates "Nasikh" and that which is abrogated "Mansukh"; of that which is absolute "Muhkam", and that which is allegoric "Mutashabihat". Very few individuals are aware of the high stations of spiritual reality of the Holy Quran. Teaching of the Holy Quran should be started to children at an early age, and this forms the sound foundation for an Islamic education.

The recitation of the Holy Quran brings peace and blessings to the place. The Prophet said "Bring light into your homes by reading the Quran". Muslims are taught to strive to learn and teach the Holy Quran and to raise their children on the precepts of its Divine teachings.

The intimate knowledge of Allah is a responsibility of every individual. This knowledge is transformed into a willing obedience with appropriate mannerisms of conduct. The subject becomes in a status of trusting reliance on Allah without reliance on others. The person who realizes that he is fully accountable for his deeds and actions will live through life as a balanced individual, possessed with self knowledge and habituated to proper behaviour and discipline. Intimate knowledge of Allah leads to perfection of belief which is a state produced by spiritual connection to Allah and fulfilling His Commands. Steadfast belief through knowledge of the Divine Transcendant Providence of Allah's attributes, and the teachings of the Canon laws of Islamic Shariah as dictated in the Holy Quran, form the structure of mental, psychological and physical equilibrium and stability. There will be no dispair and breakdown over the random twists and turns of life. There will be no doubts or confusion, no uncertainties or mental dissociation, no parochialism or pigotry. With steadfast true belief through intelligent knowledge of Allah, the human mind and soul experience certainty, mental strength, self-assertion, serenity, patience, peaceful tranquility, and above all, confidence and strength by the intimate association and bond with the Creator.

The variations of religious creeds, philosophical opinions, intellectual attitudes, and political injunctions have a formative influence on the personality of the individual, as regards conceptual functions, emotional attitudes, and behavioural patterns. These aspects of personality will determine the individual's comprehension of theories about creation, universe, life and death; his

Islamic injunctions that deal with human life, aim at the purity of the self, cleanliness of body and soul, gentleness, bravery, compassion, love, friendship, truth, humbleness, contentment, and abstinence from afflicting others. The guidance of Islamic doctrinal teachings command mankind to goodness, gentleness and gratitude. This enlightment admonishes mankind to abandon unworthy attributes such as miserliness, hatred, envy, insincerity, corruption, cruelty, profanity, evil action; and to abstain from conduct which is not worthy of human propriety and decorum. Islamic teachings command the human mind to be ecumenical in thought,with the concept of perceiving the whole human creation as one unity. No distinction or discrimination is found in Islamic teachings, nor in their actual practice. It teaches us to care for loved ones, our neighbours and friends; and to understand well the value and preciousness of time and life. Islamic teachings urge the pursuit of knowledge, humbleness, piety and productive work.

The Islamic Seminary commands self confidence and self respect, maintain proper matrimonial relationships, and to abstain from indecency and flagrant actions. It also commands the Muslim to work hard to earn his living through permitted lawful means. It forbids waste of time, gossip, slander, suspicion, belligerence, arrogance, egoism and vanity. The Islamic religion estalbishes the proper manners, proper behaviour in all paths of human life, and has specified particular principles of conduct to regulate both the inner and outer forms of life. The root of all the Doctrinal teachings of Islam is to seek knowledge of Allah in true devotion and genuine servitude; to give respect to the Holy Quran and the Honorable Sunna of the Prophet, to make them the source of all guidance and all knowledge, which link all the Muslim Ummah to be united into one universal understanding of the true concepts of religion.

The Holy Quran is the primal and Divine Ordinance from Allah. It is for the education and guidance of mankind. It is the supreme criteria to distinguish between good and evil, virtue and vice. The words and letters of the Holy Quran are the light, the cure, the mercy, the proof and the guidance. They are the law and the doctrines, the knowledge and teachings. The Holy Quran has within it parables filled with meaning and chants of praise for Allah. It is a supplication; it is a protection, it is a paragon of doctrines; it is Tawhid, the declaration of the Absolute Being and the Reality; it is the most impeccable illustrious guide for mankind.

→

ISLAM AND HUMAN BEHAVIOUR

By : Saad Moustafa Moustafa, M.D.

The submission to the Will of Allah is the essential and fundamental property of a Muslim, which builds up the structural framework of the manners of Islam as established by the Islamic law of jurisprudence. All Islamic teachings are basically directed to the purification of mankind and the cleansing of the human soul. The practice of Islamic manners will lead to disciplined proper behaviour, refiness of conduct, richness in character, confidence in personality, and beauty of the inner self.

The unfortunate state and disastrous conditions in which many socieities find themselves, as well as the confusion which has taken hold of many people, is the consequence of not following the manners and ways of conduct that are specified in Islamic Doctrinal teachings. Happiness is not related to wealth, position or external might. For many people, regardless of how well-off they live are far from the proper standards of conduct and find themselves in sorrowful and despicable conditions ending their lives in the most bitter of circumstances. The only thing that will bring splendor in this life to mankind and bring to him the light of guidance is the arranging of his life according to the code of proper conduct as established by the teachings of Islam.

The Islamic Doctrinal teachigns are Divine Ordinances that are legalized for the personal life, the life of the individual within the society, for the development of physical and spiritual health, for the culture and up-bringing of children, the education of the ignorant, and for the preservation of human rights, family structure, and the social integration of the female, elderly and juvenile sectors of the community. These Divine Ordinances have been instituted to regulate the relationship between one's self and the stranger, between the friend and the foe, between the old and the young, between the ruler and the ruled. In the precision of an integrated system, these Divine precepts deal with every aspect of human life both spiritual and physical.

to nominate his successor, and formulated the character, the personality, qualifications of the man, who was in his opinion most suitable to govern the affairs of the Muslim Ummah after his death. Abu bakre elected Omar ibn Al-Khattab to be his successor. He could not dictate his choice, he only advised the Muslim Ummah by his nomination of Omar ibn Al-Khattab. It was left to the Ummah of the Muhagereen and Ansars at Al-Madinah to proclaim fealty and allegiance to that man, or to deny it. The Muslim Ummah trusted Abu Bakre and were confident of his sagacity and wisdom in choice. They recognized the need of absolute unity and stability among the various fractions of the Ummah; and realized the great necessity for the continuity of an administration of similar pattern of governance as that of Abu Bakre. The entire Muslim nation was in great need of absolute cohesion projected upon them by that man who was to succeed Abu Bakre. The Muslim Ummah agreed, and gave concensus to the choice of Abu Bakre that Omar ibn Al-Khattab was to be his successor.

In the mind of Abu bakre Omar was the most eligible and qualified man to bear the grave responsibility of administrating the affairs of the Muslim nation after his death. The years that followed with all their major events during the reign of Omar ibn Al-Khattab gave absolute proof of the concrete justification of the choice of Abu Bakre. The foresight, perception, clairvoyance and exactness of choice were certainly beyond ordinary human capability; it was Divine Providence.

frank breach of Islamic law and such action must be controuted with exactness of discipline and remedial measures of punishment to any Muslim even if it was Khalid ibn Al-Walid, the reputed victorious commander that he was. The Muslim teachings in such matters do not at all differentiate between a layman, and a man of rank. Any tolerant leniency in such matters, inspite of all circumstance would undermine the real value of Islamic teachins, and give allowance to the furtherance of similar action. Abu Bakre Al-Siddiq, considered the matter with a different light of understanding. He conceived that the extreme criticality of the circumstances that prevailed at that time could not allow absoluteness of measures in such less important matters as compared to the magnitude of danger that was threatening the whole Muslim nation. Abu Bakre saw that Khalid was indispensible when the Muslim Ummah was at war. Omar ibn Al-Khattab believed that no man was indispensible, and what was correct must be implemented without circumstantial differentiation.

The political aptitudes of Omar ibn Al-Khattab were very different to those of Abu Bakre. Omar was analytically minded and processed every thought, action and decision through a delicate balance of rationality. He weighted matters with a precise judgement and adjustment without any bias or prejudice. There was clarity and simplicity in his thinking that prevented his mind to fall into the fog of distraction. With these unique characteristics of administration, Omar ibn Al-Khattab held the function of counselor to Abu Bakre Al-Siddiq to the level of extreme excellence, which placed him very close to the Khalifah of Rassu Allah, who enrriched him with his undisputed confidence. Differences in opinion in matters of state was never a cause to draw Omar distant from Abu Bakre. He very well conceived that Abu Bakre was the premier disciple of the Prophet; and was cultured, educated, trained, and tutored in Prophetic milieu. As Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre was given all the respect, confidence and esteem he deserved for his unique characters of stoicism, wisdom, and determination. With these characteristics both Abu Bakre Al-Siddiq and Omar ibn Al-Khattab developed a pattern of understanding synergism that was essentially based on the preservation and propagation of Islamic faith and the welfare and prospe ity of the Muslim Ummah. This relationship of mutual respect genuine understanding and unity of purpose remained the tight bond between the two men.

The conservation of Islam Theism was the paramount issue of concern in the mind of Abu-Bakre as be lay on his bed awaiting death. He also thought about the preservation of the theo-political unity of the Muslim Ummah. Abu Bakre decided

thoughts. For his extreme delicacy in justice, Omar ibn Al-Khattab was very renouned. Islamic culture and prophetic life and teaching which Omar expeirenced added to the majestic splendor of the concept of justice in the mind of Omar ibn Al-Khattab.

One of the major achievements during the office of Abu-bakre Al-Siddiq was the compilation of the Holy Quran. It was Omar ibn Al-Khattab who initially perceived the imminent threatening necessity for that action. He discussed at great length with Abu Bakre Al-Siddiq on that issue. Abu Bakre was very resistant to the idea, on the grounds that the Prophet himself did not compile the Holy Quran; how was Abu Bakre to do something the Prophet had not done? .

Omar ibn Al-Khattab finally succeeded in convincing Abu Bakre Al-Siddiq that the compilation of the Holy Quran was of absolute necessity for the intact preservation of the original text of the Holy Revelation. Abu Bakre was finally convinced and eager to act. He commissioned Zayed ibn Thabet the responsibility of that major undertaking. Omar ibn Al-Khattab was the man to recognize the importance of that action, was instrumental in obtaining the approval of Abu Bakre, and accomplishment of the task. The compilation of the Holy Quran is considered as one of the greatest achievements during the office of Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah.

* Omar ibn Al-Khattab functioned as minister to Abu Bakre. In most situations, the opinion of Omar was well taken by Abu Bakre; and in some situations there was difference in opinion. The final decision in all matters of state was left to Abu Bakre alone, bearing all responsibility. One issue of difference between Abu Bakre and Omar that was always a continuous source of disagreement between the two men was the unorthodox personal conduct of Khalid ibn Al-Walid during the wars against the Apostates. Khalid ibn Al-Walid married the widow of Malik ibn Nuwayrah after sentencing her husband to death as an apostate. According to Islamic teachings, this was unorthodox and nonconformist conduct. Later, after the battle of Al-Yammah, Khalid wedded a girl; soon after the battle, while Muslim martyrs were still lying dead on the battlefield. Omar ibn Al-Khattab was of the opinion that Khalid ibn Al-Walid should be releaved from his duties as commander of Muslim forces fighting the apostate tribes. Abu Bakre saw differently. The difference in opinion between the two men regarding that matter, was actually a difference of political standpoint and circumstantial judgement. Omar ibn Al Khattab was a systemic rational justified thinker; considering that the conduct of Khalid ibn Al Walid was a

their mission; and asked Ussamah's permission to allow Omar ibn Al-Khattab to remain behind at Al-Madinah to be an aide to Abu Bakre. Ussamah ibn Zayd agreed to the humble request of Abu Bakre, and instructed Omar ibn Al-Khattab to fall out of the ranks to stay behind. Abu Bakre wanted Omar to assist him in the administration and governance of Muslims during the most crucial and adverse conditions facing the Muslim Ummah after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The allegiance of the Arab tribes to the authority of Al-Madinah suffered greatly after the death of the Prophet. These tribes had given their fealty and obedience to the Prophet as Messenger of Allah, they could not conceive the idea that the authority invested in Abu Bakre by the Muhagereen and Ansars as Khalifah of Rassul-Allah was in fact a continuation of Islamic propagation and the preservation of Islamic doctrinal teachings. Several of these tribes apostated, rejected Islamic practices, and some followed impostors that falsly alleged prophethood. Soon after the dispatch of Ussama's army, the whole Arab Peninsula was ablaze with mutiny against the authority of Abu-Bakre at Al-Madinah. Facing this incumbent situation, Omar ibn Al-Khattab stood firmly in support of Abu-Bakre, inspite of their difference in opinion regarding issues of importance. With immutable stoicism unyielding patient wisdom and piety. Abu Bakre Al-Siddiq succeeded to sudue the tribal insurgence within one year after his proclamation as the Khalifah of Rassul-Allah. During that period, Omar ibn Al-Khattab was the intimate aide of Abu Bakre, supporting by advice, candid in opinion, diligent to serve, didactic to instruct. Abu Bakre had commissioned Omar ibn Al-Khattab the responsibility of judiciary and tribunal affairs; besides consulting him in matters related to policy organization, decision making and issues pertaining to jurisdiction and jurisprudence of the state. At the end of one year, all the territories of the Arab Peninsula had resigned to the authority at Al-Madinah and proclaimed their allegiance and obediance to Abu Bakre as Khalifah of Rassul-Allah. This triumph over the forces of the apostate tribes came about after fierce fighting and much bloodshed. The eminent and reputed Muslim Commander of the campaigns against the apostates was Khalid ibn Al-Walid.

For two years, Omar ibn Al-Khattab was responsible for judiciary and tribunal matters. Omar was very well known for his meticulous justice; the concept of individual and communal justice was very well formulated and optimized in his mental framework. He perceived the Islamic premise of justice to the full dimensions of its meaning; and gave it a dominant functional position to control and govern his

OMAR IBN AL-KHATTAB

"The Counselor"

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had died, and it was imperatively compelling for the Muslim community of the Muhagereen and Al-Ansars at Al-Madinah to decide in agreement on who was to become the successor of Rassul-Allah. The phase of prophethood had ended, and the Revelation of the Holy Quran had been completed; the man to succeed must be granted undisputed unanimous fealty. He must be endowed with unique qualities of wisdom, piety, and knowledge. The clans of Al-Ansars gathered at the Roofing of Bani Saaidah to proclaim Saad ibn Ubadah as successor of the Prophet. Abu Bakre Al-Siddiq, Omar ibn Al Khattab, and Ubaydah ibn Al-Garrah hurried to attend the gathering of Al-Ansars at the Roofing. After much debate between the three men of the Muhagereen, and the large gathering of the Ansars; the resolution was to proclaim Abu Bakre Al Siddiq as successor of the Prophet. Omar ibn Al-Khattab engineered the meeting and was instrumental in the proclamation of Abu Bakre as successor of the Prophet. He presented rational justification that convinced Al-Ansars to agree willingly to give fealty to Abu-Bakre. The following day at the Mosque, Abu Bakre Al-Siddiq was officially proclaimed by unanimous concensus, as Khalifah of Rassul-Allah. It was Omar ibn Al-Khattab who presented Abu Bakre as Khalifah to the Muslim populous.

Inspite of all antagonistic opinions, the first mandate of Abu Bakre was to excute the mission of Ussamah ibn Zayd to lead Muslim warriors to the North borders of the Arab Peninsula. That mission was arranged by the Prophet himself before his death, and was detained due to the illness of the Prophet. Omar ibn Al-Khattab was an ordinary member of the army, under the command of a much younger man Ussamah ibn Zayed. As the contingent marched out of Al-Madinah, Abu Bakre Al-Siddiq advised Ussamah and his men as to the purpose of

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART IV

RABIE AL AKHER 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Counselor"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and Human Behaviour

By: Saad Moustafa Moustafa.

> "Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادى الأولى ١٤١٠ هـ
ديسمبر ١٩٨٩ م
الجزء الخامس
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

ومن منّا في عصمة من اختبار الله - سبحانه - له ؟!
ومن منّا على يقين انه يجتاز اختباره - تعالى - بسلام ؟!

صدق نبي الله موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - في مناجاته ربه ، وهو المعصوم - يقول : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ .

ويقول رسولنا - ﷺ - :
«وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم» .

هذه النبوة ذات المنازل العلا لها هذا الشأن من الحذر .
فأين نحن البشر ؟!!

وما منا إلا خطاء لو استفتح ماضيه ذل .
لولا رحمة الله ، والثقة في فضله ، وظن الحسنى به !!

←

← ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا

نسى قوم اختبار المولى ـ عز وجل ـ فأطلقوا لأنفسهم العنان ، فقال تعالى ـ عنهم :
﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴾ .

نسأل الله ـ سبحانه ـ أن يحفظنا من الجرأة على حرماته ، وأن يهدينا سواء السبيل ، فإن الأمر خطير والنجاة في منهجه تعالى ، وفي الكتاب العزيز استمساك رسولنا ـ ﷺ ـ به :
﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ .
وفيه كذلك تحذيره :
﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ .. ﴾ وهذا خطاب لرسول الله ـ ﷺ .

فكيف بنا مع ما فيه شبهة ، أو زلل صريح !!
وأين منا التقوى .. وأين منا الورع .. ؟!
إن ضعف البشر وارد ، وله رحمة الله !
وحرمات الله واردة ، وفيها سخط الله !

ومن لطفه ـ تعالى ـ أن يقول رسول الله ـ ﷺ :
« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه »[1] .
وفي هذين بمشيئة الله ثبات على النهج وهدى على صراط مستقيم وفيه ـ بمشيئته ـ النجاة من الزلل ، والفوز من العطب ، ففي البلاء «مستور» لا يعلمه إلا الله ، قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ بل يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾ .
وفي «النعم السابغة علينا» التي ترفل على أبداننا بلاء ، نسأل الله ـ في كل ـ حسن العاقبة ، يقول تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ .
وفتنة المال أشد ذلك كله ..

نقص المال فوسوس الشيطان بالرذيلة طلبا لعوض سريع لا يبالى فيه المرء بعرض أو شرف .
أو زاد المال فطرق صاحبه سبل الطغيان وأحب زيادته بكل خبيث من أبواب الربا وسائر المحرمات .
وكل المحرمات مجتمعة لا تبلغ في سوءاتها وسيئاتها ريح الربا .
نسأل الله ـ سبحانه ـ طهارة العرض ، وطهارة المال ، وزيادة الشرف .. إنه سميع قريب .

د. علي أحمد الخطيب

---

(١) سيدنا أحمد بن حنبل ـ المسند ٥٠٨/٢ وانظر صحيح مسلم الحج ٤١٢ .

رسالة إلى الإمام الأكبر وجوابها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ..

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر رسالة من السيد المختار أحمد العيساوى من طرابلس ـ ليبيا ..

وتتضمن هذه الرسالة طلب الإجابة عن السؤالين الآتيين :

السؤال الأول :

هل يجوز لمن يشكو تعطيل البول من مسلكه الطبيعي ، وفتحت له فتحة وضع بها أنبوب بآخره كيس يتجمع به البول يحمله كلما تحرك :

فهل يجوز له أن يصلى بهذا الكيس ، والبول يتسرب من الأنبوب بدون انقطاع لأنه لا يستطيع إيقافه ، أم كيف يفعل والصلاة لا يجوز تركها ؟

السؤال الثانى :

ذكر الشيخ بخيت فى بعض رسائله انه يجوز للمسلم فى بلاد الكفر أن يتعامل معهم بمثل ما يتعاملون به من ربا وغيره ، وأنه يجوز لوكيله أن يرسل المال إليه فى بلاد الإسلام :

ونسب هذا القول إلى أئمة الحنفية ، ربما لأبى يوسف ، أو محمد مع أن أحدهما يخالف رأى الآخر ..

وانتهت الرسالة إلى طلب بيان الحكم الشرعى فى ذلك ؟

(١) عن السؤال الأول :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[١] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور »[٢] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ »[٣] .

←

(١) من الآية ٦ من سورة المائدة .
(٢) رواه مسلم وابو داود .
(٣) رواه البخارى .

وقد استظهر الفقهاء من نصوص القرآن والسنة أن من نواقض الوضوء ما يخرج من أحد السبيلين ـ القبل أو الدبر ـ من بول أو غائط أو ريح .

أما الخارج من غير السبيلين فقد اختلفت فيه كلمة الفقهاء :

فيرى فقهاء المالكية والشافعية أنه إذا انقطع الخروج من السبيلين أو من أحدهما أو انسد المخرج المعتاد لعارض فإن الخارج ينقض الوضوء [٤] .

كما يرى فقهاء الحنابلة أن الخارج من السبيلين أو من أحدهما ينقض مطلقا [٥] .

أما فقهاء الحنفية فيقولون : بأن الخارج النجس من غير السبيلين ينقض الوضوء [٦] إذا سال بحيث تجاوز موضع خروجه ، فإن استمر نزوله كان صاحبه معذورا .

هذا : ويشترط فى نقض الوضوء بالخارج مطلقا أن يكون خروجه فى حال الصحة فإن خرج فى حال المرض ـ كالسلس ـ كان صاحبه معذورا ..

كما أن الخارج من غير السبيلين يأخذ حكم المعذور .

ولقد اختلفت كلمة الفقهاء فى حكم صلاة المعذور .

والمستفاد من آرائهم فى ذلك أن من كان به سلس بول لازمه أغلب الأوقات أو استمر وقتا كاملا للصلاة حكمه أنه يتوضأ لوقت كل صلاة ، ولا يجب عليه الوضوء لكل فرض ، وله أن يصلى بهذا الوضوء ما شاء من الفرائض والنوافل ، كما أن عليه أن ينوى استباحة الصلاة ، لا رفع الحدث ، وأن يتحفظ بما يمنع نزول البول ، وأن من توضأ ثم خرج منه شىء لا ينتقض وضوؤه وله أن يصلى بهذا الوضوء حتى يخرج وقت الصلاة ، ويوالى بين الاستنجاء والوضوء والصلاة ، وإذا كان القيام للصلاة يؤدى إلى نزول البول يصلى قاعدا [٧] .

لما كان ذلك :

وكان الظاهر أن السؤال عن حكم من تعطل البول من مسلكه الطبيعى وفتحت له فتحة وضع بها أنبوب بآخره كيس يتجمع به البول يحمله كلما تحرك ، والبول يتسرب من الأنبوب بدون انقطاع ولا يستطيع إيقافه .

وإذا كان ذلك : فإنه ينطبق عليه حكم من به سلس بول ، وهو أنه يتوضأ لوقت كل صلاة ، ويوالى بين الاستنجاء والوضوء والصلاة ، وله أن يصلى بهذا الوضوء فى الوقت ما شاء من الفرائض والنوافل ، وعليه أن ينوى استباحة الصلاة ، وإذا كان القيام للصلاة يؤدى إلى نزول البول فله أن يصلى قاعدا وينتقض هذا الوضوء بانتهاء وقت الفرض الذى توضأ لصلاته .

---

(٤) المجموع للنووى الشافعى جـ ٢ ص ٦ ـ ٨ .

(٥) المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ١ ص ١٦٣ .

(٦) حاشية الطهطاوى على مراقى الفلاح شرح نور الإيضاح ص ٥٦ وما بعدها .

(٧) فقه المذاهب الأربعة عبادات ط وزارة الأوقاف ص ٨٣ مبحث وضوء المعذور .

(ب) عن السؤال الثانى :

تمهيدا للإجابة عن هذا السؤال ينبغى الإجابة عن تساؤل آخر هو :

* هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ، أم لا ؟
* وهل تسرى وتنفذ عليهم فى دار الإسلام وخارجها أم لا ؟

اختلفت كلمة الفقهاء حول هذا الموضوع ، ومنشأ اختلافهم هو [٨] :

هل يشترط فى التكليف بالفعل أن يكون شرطه حاصلا حالة التكليف به .

فذهب جمهور أهل الفقه وأصوله إلى أنه لا يشترط ، وأنه لا مانع من ورود التكليف بالمشروط ، وتقديم شرطه عليه ، وهو جائز عقلا وواقع سمعا . فإذا تمت شرائط وجوب الفعل وفقد شرطه الشرعى صح التكليف به ، وعليه فيجوز أن يخاطب الكفار بفروع الإسلام ، كما يخاطب المحدث بالصلاة بشرط تقديم الوضوء .

وذهب الحنفية وبعض الشافعية إلى أنه يشترط فى التكليف بالفعل أن يكون شرطه حاصلا وقت التكليف ، ولذا فإنهم يقولون بأن الكفار غير مخاطبين بفروع الإسلام إذ لا تتصور العبادة مع الكفر فكيف يؤمر بها ، فالتكليف بالفروع غير ممكن الامتثال لاستحالة أدائها حال الكفر ، وامتناع أدائها بعد الإيمان لكونه مسقطا لها بالإجماع ، فالكفر مانع مع وجوب العبادات قبل الإيمان .

وقيل : إن الكفار مكلفون بالنهى فقط . وأما التكليف بالعقوبات والمعاملات فاتفاق بيننا وبينهم بمقتضى عقد الذمة ، ولا يلزم منه أن يكونوا مكلفين ديانة حتى يترتب عليه المؤاخذة فى الآخرة بفعل الحرام .

هذا : والأصل فى الشريعة الإسلامية أنها تسرى على كل المقيمين فى دار الإسلام مهما تعددت حكوماتها واختلفت نظم الحكم فى كل منها ، فيستوى أن تكون البلاد الإسلامية كلها خاضعة لحكومة واحدة ، كما كان الحال حتى عهد الدولة الأموية ، أو صارت دولا متعددة كما هو الحال اليوم .

ومن ثم فإن على من يقيمون فى دار الإسلام وإن تعددت حكوماتها الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة فى داخل ديار الإسلام وفى خارجها . ويكون المبدأ الشرعى العام هو سريان الشريعة على كافة الواقعات التى تحدث فى دار الإسلام أيا كان مقترفها ووصفها ، وكذلك على ما يقع فى دار الحرب من مسلم أو ذمى مقيم فى دار الإسلام ..

ولما كان الواقع لا يسمح بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية إلا فى بلاد المسلمين وعلى المقيمين بها اكتفى بتطبيق الشريعة على ما يحدث فى دار الإسلام من واقعات أيا كان فاعلها مسلما أو ذميا لأن ذلك ممكن ، ولا يمكن تطبيقها فى دار الحرب لانتفاء الولاية عليها من المسلمين حسب الواقع . ←

---

(٨) الاحكام فى اصول الإحكام للآمدى جـ ١ ص ٢٠٦ وما بعدها ط بمطبعة المعارف بمصر ١٩١٤ م والمستصفى للإمام الغزالى ص ٩١ ومعه فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت للعلامة عبد العلى الانصارى ص ١٢٨ ط المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٢ هـ .

ومع هذا المبدأ العام اختلفت كلمة الفقهاء فى التطبيق على الوجه الذى نوجزه فيما يلى :

(أ) يرى الإمام أبو حنيفة أن الشريعة الإسلامية تطبق على كل ما يقع فى دار الإسلام ، أيا كانت الواقعة ، وأيا كان فاعلها مسلما أو ذميا ، فكلاهما ملتزم بها ، المسلم بحكم الإسلام ، والذمى بحكم عقد الذمة ..

أما إذا حدثت الواقعة خارج دار الإسلام من مسلم أو ذمى مقيم فى داخل دار الإسلام ثم سافر إلى دار الحرب وعاد أو وقعت من شخص كان يقيم فى دار الحرب ثم أقام بعد ذلك فى دار الإسلام فلا تطبق فى هذه الحال أحكام الشريعة الإسلامية لأن الأمر عند أبى حنيفة ليس مبناه التزام المسلم بإسلامه أحكام الإسلام أيا كان مقامه أو الذمى من دار الإسلام أحكام الإسلام بحكم عقد الذمة ..

وإنما الأمر يرجع إلى أن ولاية الحاكم المسلم فى الحكم فى الواقعات والقدرة على التنفيذ لا تمتد خارج دار الإسلام وإذا انعدمت القدرة لم تجب العقوبة ، ومعنى هذا أن القضاء يعتمد الولاية على محل الجريمة وقت ارتكابها ، ولا ولاية للدولة الإسلامية على محل ارتكاب الجريمة فى دار الحرب ، ومن ثم فقد نقل أن أبا حنيفة أجاز للمسلم والذمى من أهل دار الإسلام إذا دخلا دار الحرب - مستأمنين - أن يتعاقدا بربا مع حربى أو مسلم من أهل دار الحرب ، لم يهاجر إلى دار الإسلام لأن أخذ الربا فى هذه الحال فى معنى إتلاف المال رضاء ، وإتلاف مال الحربى وبرضاه مباح حيث لا عصمة لدمه ولا لماله ..

وقد نقل أبو يوسف عن أبى حنيفة قوله : إن وجوب الشرائع يعتمد العلم بها فمن لم يعلمها ولم تبلغه فإن هذا لم تقم عليه حجة حكمية ، وعلى هذا إذا دخل مسلم أو ذمى دار الحرب بأمان فعاقد حربيا عقد الربا أو غيره من العقود الفاسدة فى حكم الإسلام جاز عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله [9] .

ولعل ما نقل عن أبى حنيفة - آنفا - هو ما يشير السؤال إلى نسبته إليه نقلا عن المرحوم الشيخ بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية الأسبق كما جاء فى رسالته فى أحكام السكورتاه (التأمين) حيث جاء فى هذه الرسالة ص ٧ ط مطبعة النيل بمصر : ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م .

وقد صرح فى شرح السير الكبير أن حكم الحربى المستأمن فى دار الإسلام حكم أهل الذمة إلا أنه لا قصاص على مسلم أو ذمى بقتل المستأمن ، وعلى هذا لا يحل أخذ ماله بعقد فاسد كما لا يحل أخذ مال الذمى به (أى بعقد فاسد) ثم قال : وقد صرحوا فى معتبرات المذهب بأن أخذ

(٩) فتح القدير للكمال بن الهمام الحنفى جـ ٤ ص : ١٥٢ - ١٥٦ وبدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى الحنفى جـ ٧ ص ١٣٠ - ١٣٤ وشرح السير الكبير للسرخسى جـ ٣ باب ما يحل فى دار الحرب مما لا يحل مثله فى دار الإسلام ص ٢٢٣ - ٢٢٥ ، ص ٢٢٩ .

المسلم مال المستأمن فى غير دار الإسلام يحل له أن يأخذ مالهم برضاهم ولو بربا أو قمار فى غير دار الإسلام ، لأن المحرم هو الغدر والخيانة ، فما أخذ برضاهم وليس فيه غدر ولا خيانة يكون حلالا على اى وجه اخذه . وقد صرحوا أيضا بأن دار الإسلام محل إجراء الأحكام الشرعية دون غير دار الإسلام ، ولا يجوز أن يأخذ من المستأمن الذى ليس من دار الإسلام شيئا فيها لا يلزم ذلك المستأمن شرعا وإن جرت بأخذه العادة إلا بسبب صحيح شرعا كالهبة (١٠) .

ومؤدى هذا القول المنسوب إلى ابى حنيفة إقليمية أحكام الشريعة الإسلامية العقابية فلا تمتد إلى خارج دار الإسلام ، وهذا هو ما تقول به القوانين الوضعية المعاصرة من حيث إقليمية القوانين بوجه عام ..

(ب) وقال الإمام أبو يوسف : لايجوز للمسلم فى دار الحرب إلا ما يجوز له فى دار الإسلام ، لأن حرمة الربا ثابتة فى حق العاقدين ، أما فى حق المسلم فبإسلامه ، وأما فى حق الحربى ، فلأن الكفار مخاطبون بالحرمات فقد قال تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ﴾(١١) ..

ولهذا حرم هذا التعاقد مع الذمى والحربى الذى دخل دار الإسلام بأمان ، ويتفق الإمام محمد مع الإمام ابى حنيفة تارة ، ومع الإمام أبى يوسف أخرى فى فروع فصلتها كتب المذهب (١٢) ..

(جـ) ويرى بقية الائمة : مالك والشافعى وأحمد ، أن أحكام الشريعة الإسلامية بوجه عام تطبق فى داخل دار الإسلام على كل ما يقع فيها أيا كان الفاعل مسلما أو ذميا أو مستأمنا لأن المسلم ملتزم بإسلامه أحكام الإسلام والذمى ملتزم إياها بعقد الذمة ، والمستأمن ملتزم كذلك لمنحه الأمان بطلبه ، كما يعاقب المسلم والذمى على ما يرتكبانه فى دار الحرب ولو كان الفعل مباحا فيها كالربا والقمار ، تنفيذا لأحكام الشريعة (١٣) .

لما كان ذلك : كان ما أشار إليه السؤال الثانى قد عثر على ما يشير إليه فى رسالة السكورتاه للشيخ بخيت المطيعى اتباعا لما نقل عن أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله (١٤) .

وقد صرح الكمال بن الهمام فى فتح القدير (١٥) بما يفيد أن وجوب حكم الشريعة على المسلم فى دار الحرب مشروط بالقدرة على تنفيذه عليه بها ولا قدرة للإمام عليه حال كونه فى دار الحرب ، فلا وجوب وإلا خلا عن الفائدة ، لأن المقصود من تطبيق الحكم الشرعى استيفاؤه ليحصل الزجر عند المخالفة والفرض ألا قدرة للإمام خارج دار الإسلام .

هذا : ويبدو انه لا خلاف بين ائمة فقه المذهب الحنفى فى أن إثم التعامل بالزبا يلحق المسلم فى دار الحرب كما فى دار الإسلام وأن الخلاف إنما هو فى إمكان توقيع العقوبة على هذا التعامل إذا

←

---

(١٠) رسالة احكام السكورتاه للشيخ بخيت المطيعى ص ٧ , ٨ .

(١١) من الآية : ١٦١ من سورة النساء .

(١٢) بدائع الصنائع جـ ٧ ص ١٣٢ .

(١٣) اسنى المطالب جـ ٤ ص ٢٠٤ ، ٢١٨ ، ومواهب الجليل جـ ٦ ص ٢٣١ , ٣٥٥ ، ٣٦٠/٣٨٠ والمغنى لابن قدامة جـ ١٠ ص ٤٣٩ ، ٥٢٧ ، ٥٧٨ ، والمهذب جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(١٤) بدائع الصنائع جـ ٧ ص ١٣٢ .

(١٥) جـ ٤ ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

رسالة إلى الإمام الأكبر وجوابها

حدث من المسلم فى دار الحرب على ما تفيده عبارة الكمال بن الهمام سالفة الإشارة .

ومن ثم : فإنى أميل إلى الفتوى فى هذا الموضع بما نقل عن فقه الأئمة أبى يوسف ومالك والشافعى وأحمد على نحو ما تقدم ، فيحرم التعامل بالربا على المسلم أيا كان موقعه فى دار الإسلام أو فى دار الحرب بمقتضى إسلامه وعلى الذمى بمقتضى عقد الذمة كذلك ، إلا إذا كان مقترضا لضرورة أو حاجة ، ولا يحل إذا كان مقرضا ، لأن الإقراض بالربا لا تحله ضرورة ولا حاجة .

ولعل التعلات التى أوردها فقهاء المذهب الحنفى لما نقل عن الإمام أبى حنيفة تشير حسبما استظهر آنفا - إلى أن الخلاف فى التطبيق خارج دار الإسلام بالنسبة للعقوبة والقدرة على تنفيذها فى دار الحرب وأنه لا خلاف على وقوع الإثم على المسلم بارتكابه المحرمات كالربا والزنا والقمار وشرب الخمر سواء كان الوقوع فيها فى دار الإسلام أو فى دار الحرب حيث قد التزم بإسلامه كل أحكام الإسلام من الأوامر والنواهى ..

ففى شرح السير الكبير للإمام محمد بن الحسن وشرحه للسرخسى « ولو كانا مسلمين فى دار الحرب بأمان فعامل أحدهما صاحبه فهذا ، وما لو كانت المعاملة بينهما فى دار الإسلام سواء ، لأن المسلم ملزم بحكم الإسلام حيثما يكون ، ومال كل واحد منهما مال معصوم متقوم فى حق صاحبه لبقاء الإحراز منه حكما ، وإن كان دخل بأمان فلهذا كان حالهما فى دار الحرب كحالهما فى دار الإسلام فى كل معاملة تجرى بينهما(١٦)

ولعلنا دائما نذكر أن الله سبحانه لم يهدد بالحرب من الله ورسوله فى كبيرة كما هدد بالنسبة للربا ، ذلك قول الله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ.فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(١٦) جـ ٤ ص ١٢٨

لقاء فضيلة الإمام الأكبر

ووفد من البرلمان السويدى

تلقى مكتب فضيلة الإمام الاكبر كتابا من السيد/ لارس اولوف سفير السويد بالقاهرة فى ١٩٨٩/١٠/٢٦ يعرب فيه سيادته عن رغبة وفد من البرلمان السويدى فى لقاء فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر وإتاحة الفرصة لهم فى التعرف على التاريخ الإسلامى المشرق فى مصر وكذلك تاريخ الجامع الأزهر الشريف منارة الإسلام فى العالم ..

وقد وافق فضيلة الإمام على إتاحة الفرصة للقاء ، وتحدد الموعد الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الخميس ٣ من ربيع الثانى ١٤١٠ هـ الموافق ٢ من نوفمبر ١٩٨٩ م .

وقد بدأ اللقاء فى تمام الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، ورحب فضيلة الإمام بالضيوف وعلى رأسهم السيد انجمار الياسون رئيس الوفد وعضو البرلمان منذ عام ١٩٨٢ ، والسيد ارلنج باحر عضو البرلمان منذ ١٩٨١ ، والسيد كارل ايريك عضو البرلمان فى الفترة من ٦٥ ـ ١٩٨٨ ، والسيد لارس ليجنبرج عضو البرلمان منذ ١٩٨٥ ، والسيد أولى جراهن عضو البرلمان من ٧٧ ـ ١٩٨٨ ، والسيدة جيردن نوربرج عضو البرلمان منذ ١٩٨٥ ، والسيد بتحت روزن عضو البرلمان ١٩٨٥ وعدد آخر من المرافقين والمرافقات ..

ثم تحدث فضيلة الإمام ملخصا تلخيصا وافيا عن التاريخ الإسلامى ودخول الإسلام إلى مصر وإنشاء الجامع الأزهر ودور الأزهر العلمى قائلا :

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

أرحب بالسادة الحضور فى القاهرة وفى الأزهر ..

الإسلام كما هو معروف بدأ فى مكة حيث بعث النبى صلى الله عليه وسلم .. وكان أول ما أنزل من القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم آيات من سورة العلق :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ..

وهذه الآيات وهى أول ما أنزل من القرآن تدل على مبلغ تقدير الإسلام للعلم والتعليم لا سيما والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يجلس إلى معلم ولم يقرأ ولم يكتب . كما لم يطلع على تاريخ الأمم السابقة ..

وقد استمرت دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإسلام فى مكة نحو ثلاثة عشر عاما . ثم انتقل بدعوته إلى المدينة حيث كان قد التقى فى مواسم الحج بوفود من المدينة عرض عليهم الإسلام وطلبوا منه الهجرة إليهم ، ثم كانت حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة نحو عشر سنوات استقر فيها الإسلام فى جزيرة العرب كلها .

وتم نزول القرآن وانتهى الوحى بوفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكانت دولة المسلمين قد اقيمت من حيث تأسيس كافة السلطات التشريعية والقضائية وغيرها ثم تتابع الخلفاء بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - على نظام الشورى التى شرعها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ونظام الشورى فى الإسلام شبيه بنظام الديموقراطية المعاصر ولكن الشورى أشمل وأوسع وأعدل من الديمقراطية المنتشرة فى بعض دول العالم الآن ومن الأمثلة الجيدة فى الحكم بالشورى فى الإسلام كان عصر الخلفاء الأربعة الراشدين (أبو بكر - عمر - عثمان - على) ثم الخليفة الأموى (عمر بن عبد العزيز) .

والمصدر التشريعى والعقدى فى الإسلام أمران : القرآن الكريم وما أثر عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير وهذا ما يعرف بالسنة النبوية .

وفى القرآن قول الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ومعناه أن القرآن يحوى نظام الأمة والأسرة والأفراد حياة وتشريعا فى كل شىء منذ ميلاد الإنسان حتى وفاته ، وإذا كانت النظم المعاصرة قد اتخذت دساتير للحكم يرجع إليها عند التشريع فالقرآن هو دستور المسلمين ، وذلك لأن القرآن قد حوى القواعد العامة فى شأن التشريع .

ففى العبادات حوى كل أحكام العبادات التى هى أساس الإسلام كما جاء فى الحديث النبوى الشريف : (بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) .

هذه العبادات هى الصلة بين المسلم وبين الله سبحانه وتعالى ، أما ما بين أفراد المسلمين كمجتمع وأحكام الأسرة والمعاملات ، ونظام الحكم وواجبات الحاكم ، وواجبات المحكوم فكل هذا جاء فى القرآن الكريم بقواعد عامة يمكن أن تتفرع الجزئيات لتواكب كل زمان ومكان .

ولقد عنى القرآن الكريم بالتفصيل فى بعض هذه الأمور وبالإجمال فى أمور أخرى ، فبالتفصيل فى أحكام الأسرة حيث أقر الصلة بين الرجل والمرأة على عقد الزواج ، وبين حقوق كل من الزوجين والأولاد والآباء ، وعقد الصلة بين أفراد الأسرة على وجه تتوثق به حياتهم ..

وبعد الوفاة نص على قسمة الميراث ، ونادى بالسلام الاجتماعى فى المجتمع فأوصى بحقوق الجيران وبحسن التعامل بينهم ، وفرض الزكاة على الأغنياء حقا واجبا للفقراء والمساكين ،

وقد أوصى فى الناحية الأخلاقية بالوفاء بالعهد والوعد ، وفى القرآن أصول التشريعات الجنائية والمدنية والتجارية وقد جاءت السنة مبينة للمجمل فى القرآن فأوضحت الكثير من أحكام التعامل فى التجارة والصناعة والزراعة كما حث القرآن على العمل والإنتاج وكذلك السنَّة ..

وقد ساوى الإسلام بنصوص القرآن والسنة بين الناس جميعا ..

والإسلام ساوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ، فكما أمر الرجل بالعبادات أمرت

المرأة بذلك ، وللمرأة فى الإسلام شخصيتها وذمتها المالية المستقلة ، ولقد كرم الإسلام المرأة وأوجب على الزوج أو الاب أو الاخ أن ينفق عليها ويرعاها وأن لا يعطل مهمتها الوظيفية ، كما احترم الإسلام رأى المرأة فى الزواج فلا تزوج إلا بموافقتها ..

والإسلام كما قلت نظم كل أمور الحياة أى أنه للدين والدنيا وحدد المسئوليات للحاكم والمحكوم ، وحدد الحلال والحرام فكان الحرام كل ما فيه ضرر للإنسان ، ومن المحرمات التى نص عليها الإسلام صراحة : القمار ، والخمر ، والزنا ، ومن المطعومات : حرم كل الأشياء الضارة بالإنسان .

ولقد دخلت مصر فى الإسلام فى العام العشرين من الهجرة فى فترة خلافة عمر بن الخطاب وعلى يدى عمرو بن العاص . وهو الذى أنشأ أول مسجد فى مصر فى الفسطاط ومازال جامع عمرو بن العاص فى القاهرة إلى الآن تؤدى فيه الصلوات ويعمره الناس بعبادة الله .

وفى القرن الرابع الهجرى كان الجامع الأزهر أنشأه جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد افتتح هذا الجامع للدراسة والعبادة فدرس فيه أولا فقه المذهب الشيعى الذى يتبعه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، ثم بعد مائتى سنة من هذا التاريخ انتهى حكم الشيعة الفاطمية ، وقام الأزهر على تدريس مذاهب السنة الأربعة (المالكية - الحنفية - الشافعية - الحنبلية) وقد استمر - بحمد الله - الأزهر قائما على دراسة العلوم العربية والشرعية وغيرها من العلوم المتداولة فى كل عصر لأكثر من ألف عام وتوافد عليه علماء المسلمين من الشرق والغرب بعلومهم ومؤلفاتهم ..

ولعله لا يغيب عن الأذهان أن الحضارات الرومانية واليونانية قد اختلطت مع الحضارة الإسلامية وأنبتت أسس الحضارة الأوروبية الحديثة ودراسة الأزهر فى مختلف عصوره لم تكن مقصورة على اللغة العربية ، والعلوم الشرعية وإنما درست به كل المعارف والعلوم المتداولة فى عصره : كالفلسفة ، والطب ، والرياضة ، والفلك ، ولعلمائه العديد من المؤلفات فى كل هذه العلوم تحتويها مكتبة الأزهر الكائنة الآن فى الجامع الأزهر ..

والأزهر وهو المقر للدراسات العربية والإسلامية يفد إليه طلاب العلم من كافة بلاد الأمة الإسلامية ، وضمن مبانى الجامع الأزهر توجد مبانى الأروقة التى كان يسكنها طلاب العلم ، وهى فيما يعتقد الأساس للمدن الجامعية ، ولم تكن هذه الأروقة لمجرد السكن بل أيضا كان فيها إطعام الطلاب والقيام على شئونهم .

وقد استبدل بالأروقة مدينة البعوث الإسلامية لسكنى الطلاب الوافدين ، كما أنه يدرس بالأزهر الآن نحو ١٢ ألف طالب من الوافدين من خارج مصر فى مرحلة ما قبل الجامعة وفى الجامعة ، كما يوفد الأزهر علماءه إلى شعوب الأمة الإسلامية لتعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية .

وقد عرف الأزهر التنظيم الجامعى المعاصر منذ عام ١٩٣٠ حيث انقسمت الدراسة العالية فى الأزهر إلى كليات ثلاث : أصول الدين ، واللغة العربية ، والشريعة ..

←

ثم استحدث فى جامعة الأزهر كليات أخرى تحدد الدراسات التى كانت قائمة ككلية الطب ، والعلوم والزراعة ، والهندسة ، والصيدلة ، والتجارة ، وطب الأسنان ، وتوجد المعاهد الأزهرية (مرحلة الابتدائى ، ومرحلة الإعدادى ، والثانوى) . كما يوجد فرع خاص للبنات بالجامعة . وأيضا معاهد إعدادية وثانوية للبنات تابعة للأزهر تغذى هذا الفرع ..

ولعله معلوم للكافة أن الأزهر يعتبر الأب الشرعى لكافة الكليات والجامعات العربية والإسلامية فى الدول العربية والإسلامية ومازال علماؤه الكبار يعملون فى كافة الجامعات العربية والإسلامية وبين كافة الدول الإسلامية ..

مرة أخرى أرحب بكم .

رئيس الوفد : شكرا لفضيلة الإمام الأكبر على استقباله لنا ، وإنه لشرف كبير لنا أن نأخذ هذا الوقت الثمين ونستمع إلى هذه المحاضرة القيمة عن الإسلام ، وسيظل لقاؤنا هذا ذكرى جميلة طيلة حياتنا وقد ذكرتم فضيلتكم أن من أدوار الأزهر التى يقوم بهاهو العيش فى سلام مع الجيران ، وبصفتكم تمثلون القيادة الدينية فهل من الممكن المساهمة فى إيجاد صيغة للسلام فى هذه المنطقة من العالم ـ وإذا سمحتم بالإضافة ـ فإلى جانب الصراع بين اليهود والمسلمين فهناك صراع بين إيران والعراق فهل لزعماء الدين أن يساعدوا فى إيجاد صيغة سلام ؟

فضيلة الإمام : الإسلام بطبيعته سلام ، ولهذا فإن المسلمين عاشوا دائما تحت راية السلام ويدعون له ومن يتتبع التاريخ فى عصوره المختلفة يجد أن المسلمين اعتدى عليهم من الشرق والغرب دون أن ـ يكونوا معتدين ، ولا يغيب عن البال احتلال الرقعة الإسلامية من الاستعمار الغربى فى بداية هذا القرن وما يحدث الآن سواء بين العرب وإسرائيل أو بين العراق وإيران فهو اثر من آثار الاستعمار .

فوجود إسرائيل كما هو معروف كان بناء على وعد بلفور ، وإذا كان هذا قد حدث بالمخالفة لقواعد حقوق الإنسان فإن الآثار الناتجة عن ذلك يتحمل عبئها الآن المسلمون وما يحدث الآن فى إسرائيل من يلام عليه ؟ المعتدون أم المعتدى عليهم ؟. الذين احتلت أرضهم أم الذين احتلوا الأرض ؟..

ولعلى أضع هذا السؤال لنتحاكم إلى العقل من يلام فى الحرب المعتدى أم المعتدى عليه ؟

أما الحرب بين العراق وإيران فأمر مرجعه الخلاف على الأرض وهذا أمر ينبذه الإسلام ، والإسلام دائما يدعو إلى السلام فالله تعالى يقول : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وبهذا يتضح أن السبب فى النزاع سواء بين إسرائيل والعرب أو بين إيران والعراق كله راجع إلى الاستعمار الذى احتل البلاد .

، والمسلمون والإسلام لا يعادون اليهود بوصفهم يهوداً ، وعلى أرضنا وفى بلاد المسلمين يقيم اليهود فى أمان ولكن إسرائيل بوضعها وبوصفها هى التى اخترقت أمان المنطقة وأمنها ، ومع هذا

فإن الدعوة للسلام قائمة وها هو التنازل عن بعض الحقوق يعرضه العرب وهى تأبى ذلك .

ولا يوجد مسلم يعتدى على معبد أو كنيسة فالإسلام احترم دور العبادة ولكن إسرائيل تهدم المساجد وتحرقها ولا سيما « المسجد الأقصى » و « مسجد الخليل إبراهيم » كما أنها تعتدى أيضا على الكنائس وطردها راعى الكنيسة المصرية إلى الآن قائم وثابت ..

أما دور الأزهر فى السلام فالأزهر دائما ينادى ويوجه النداءات إلى هذه الجهات المتنازعة أن تركن إلى السلام وأن تعترف بحقوق الإنسان .

ولقد عرض شيخ الأزهر أن يتدخل فى الصلح بين إيران والعراق إذا وافقت إيران على ذلك ولم ترد إيران إلى الآن .

وبخصوص إسرائيل فأعتقد أن ما يعرضه القادة العرب والمسلمون الآن لإنهاء النزاع نهائيا أمر واضح على المستوى العالمى والأزهر يؤيد هذه الجهود ويأمل أن تنزل إسرائيل عند رأى المجتمع الدولى فى ذلك ، ولعلنا جميعا نذكر القرارات التى صدرت عن المنظمات الدولية ولم تنفذها إسرائيل .

والمأمول أن نساند جميعا احترام حقوق الإنسان وحق تقرير المصير لكل الشعوب ..

رئيس الوفد : شكرا جزيلا لفضيلة الإمام الأكبر على هذه الإجابة الشافية وعلى هذا التوضيح الشامل وأرجو أن أنوب عن الوفد فى تقديم الشكر على هذا اللقاء ومنحنا كل هذا الوقت الثمين واستماعنا لهذه المعلومات القيمة ..

فضيلة الإمام : مرة أخرى أهلا بكم فى الأزهر ..

سجل اللقاء

أحمد عبد الخالق محمد

المترجم بمكتب شيخ الأزهر

راجعه وصححه الشيخ/عمر البسطويسى على بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر ..

مثل في الكتاب العزيز

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ. الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

لو قرأت كبريات كتب التفسير في هاتين الآيتين ، كالتفسير الكبير للفخر الرازى ، وروح المعانى للألوسى ، لما وجدت فيما يقتضيه هذا العصر من تفسير إلا يسيرا ، مع احتلال صاحبيهما مكانة عليا في التفسير المناسب لعصرهما ، ولعلنا ندرك من هذا أن التفسير يختلف باختلاف العصور ومشاكلها وقضاياها ، وخير ما يفسر به القرآن هو الزمن ، وفى الآيتين قضايا :

١ ـ الحديث عن الله :

وتلك القضية لا حاكم فيها ولا مُكيِّف لها إلا علاّم الغيوب ، وما أوحى به إلى رسله يعلمون الناس ما لا قدرة لهم على إدراكه على وجهه الصحيح ، فالعقيدة والعبادة تنبيه للإنسان إلى العنصر الروحى فيه ، وعروج إلى الموجود الخالد الذى احتوى الأزل والأبد .

وكل من العقيدة والعبادة قد خلا من التشبيه والتعقيد .

عقيدة صافية ، وعبادة مؤثرة لا يبعُد أن يمتد أثرها في الكون كله ، وعلى المنكر أن يثبت ما يفتريه ويدعيه .

وصلة الآية بما قبلها من آيات ضرب فيها المثل للمنافقين بالذى استوقد نارا ، وبالصَيِّبِ ، أمر واضح ، وتوسط ما بين الأمثال ليس غريباً عن ضارب المثل ، وعن القرآن الذى ذكر فيه المثل ، وعن الوعيد والوعد لمن صدّق أو كذّب .

وَنَفْىُ استحياء الله من ضرب الأمثال ، يقتضى إثبات الحياء له سبحانه بما يتناسب معه ، وليس

كمثله شيء فى ذاته وصفاته وأفعاله .

والحياء فى الإنسان مروءة فهو يغاير الخجل الذى هو عيب ينقص من شخصية صاحبه ، وبالتالى يدل على نقص فيه .

٢ ـ ضرب الأمثال :

وذلك لتوضيح المعانى ، وإبراز المعقول فى صورة المحس ، والمتخيل فى صورة المتيقن ، وضرب الأمثال حافز على التفكير : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ، ففى ضرب الأمثال فائدتان :

(أ) تحريك القوى الدافعة للرذيلة ، والحافزة على الفضيلة ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا ﴾ فالعقل وما يشتق منه يرمز به إلى تلك الخاصية فى عقل الإنسان .

(ب) الحض على التفكير ، واستنباط العبرة من المثل ، ويشير إلى ذلك فى القرآن بالفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم .

وخص البعوضة هنا لينبه الإنسان المغرور بصغر شأنه ، وحقارة قدره ، إذ يمثله فى مُصَرَّاة[1] البعوضة وما تحتها من ذرة أو خلية ، وما هو أعلى منها حجما من ذبابة وعنكبوت ونحو ذلك مما ضربه القرآن من أمثال تثبت العبرة : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

٣ ـ موقف الناس من القرآن وضرب الأمثال فيه :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

« الفاء » لترتيب موقف الناس على الموقف[2] ، و« أما » تضمنت معنى الشرط ، ولذا وقعت الفاء فى جوابها .

والمؤمنون لهم موقف يتميزون به عن غيرهم ، فهم يعلمون ثم يعتقدون أنه الحق ، الذى لا يعتريه ريب فى ثبوته ، ولاشك فيما تضمنه من حكم ، فهم يعتقدون بعد علم ، ويتحققون بعد فكر ، وهم ناجون من غائلة الجهل والتقليد ، وعكس ذلك ثابت لغيرهم : ﴿ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

وفرق كبير بين منطق يسوده العقل مبتغيا الوصول إلى الحق ، وبين جدل تطلب به الغلبة والتشهى ، ومن أهم مظاهره الإغراء بالقشور ، وإثارة البغضاء بلا مبرر ، وإشاعة الخلاف فيما لا خلاف عليه ، وتلك مظاهر آفات الجدل الذى لا يريد صاحبه من وراء إثارته إلا إنكار الحق ، فضرب المثل مألوف معروف عند العرب وغيرهم ، وفيه إيجاز لما قد يطول ذكره ، وإبراز لإفحام

←

---

(١) اى ذراتها .

(٢) اى الحدث .

← مثل في الكتاب العزيز

الحس الذى يعتمدون عليه ، وماهو أكثر تركيبا فالحس أقدر على استيعابه ، وما كان بسيطا فالعقل أقوى على دركه .

٤ ـ القضاء والسبب :

﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ .

الإضلال والهداية من الله سبحانه . والضلال والاهتداء من كسب العبد واختياره ، والدواء النافع يقدم إلى المرضى ، فيشفى بسببه من تناوله ، ويموت بسبب إعراضه من رفض تناوله ، فرافض الدواء يموت والدواء فى متناول يده ، ما أماته الدواء ولكن ، أماته الإعراض عن تناوله ، وتأمل قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ ، فالفاسق خرج عن طاعة الله باختياره وكسبه ، وإلقاء التبعة على غيره تنصل من المسئولية التى ناطها الله به ، وحمله إياها فى قوله : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ فالباء الأولى للسببية ، وهى داخلة على محذوف ، والثانية للسببية : أيضا وهى داخلة على الضمير وما يرجع إليه ، والتقدير :

يضل بإعراضهم كثيرا ، ويهدى بالانتفاع من أمثال القرآن كثيرا ، وكثرة الأولين الضالين عددية ، وكثرة الآخرين كيفية وإن كانوا قليلى العدد :

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

٥ ـ العهـــد :

ما أشد حرص الإسلام على الوفاء بالعهود ، وما أشد نكيره من نقضها ، وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة فى الوفاء بالعهد حينما قال نفر من المسلمين : « بيننا وبين من نحارب عهد فى الجاهلية ، ألا نقاتلهم » ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نفى لهم بالعهد ، ونستعين الله عليهم » .

ولشناعة ما عليه الناقضون قال : ﴿ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ أى توثيقه واستقراره ، وما من عهد بين العبد ونفسه ، أو العبد وغيره ، أو العبد وربه إلا والله رقيب فيه ، ينسبه إلى نفسه تأكيدا له ، وإعظاما لحرمته ، والقاعدة فى الإسلام إيجاب ما يتمسك به الطرف الآخر فالسلام مع المسالمين ، والإحسان مع من يستحقون الإحسان ، وفوضى الإحسان جريمة يؤاخذ الإنسان عليها ، إذ الإحسان فى غير موضعه إساءة .

٦ ـ العلاقات الاجتماعية :

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

مانزلت الأديان ، ولا وضعت الشرائع ، إلا لتقرير واجبات ، وتحديد حقوق ، والواجبات تكاليف ، والحقوق مطالب ، وصلات الناس على أساس العدل مطلوبة شرعا ، والتعمير والبناء ـ لا الهدم والتخريب ـ مطلوب كذلك شرعا ، وما أمر الله بوصله ، ونهى عن تقطيع أوصاله وكل من عاملك بمثل ما تعامل به غيرك عدل ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فَبُعْدٌ ، والخير فضل لا تضن به ، ومقابلة الشر بالشر عدل فوقه الإحسان الذى من مقتضاه البعد عنه ، إن لم تستطع أن تدفع بالتى هى أحسن ، فإن استطعت ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

البقية ص ٥١١

رؤية إسلامية للديمقراطيات العربية

بقلم لواء أ . ح
د . فوزى محمد طايل

الأصول التاريخية :

لقد شاع استخدام كلمة « ديمقراطية » فى أيامنا هذه ولبست أثوابا وأقنعة شتى ، وأصبح يعبر بها عن النظام السياسى الصالح من وجهة نظر هذه الفئة أو تلك . واختلطت الأمور فراح البعض يظنون أن وصف الدولة الإسلامية « بالديمقراطية » هو من قبيل تشريفها أو إظهارها بالمرونة والصلاحية لقبول كل الأفكار .

ورغم غموض لفظ « الديمقراطية » واستخدام النظم السياسية فى الشرق والغرب له إلا أنه من الممكن تحديد مضمونه وفحواه ، وتحديد موقف الإسلام منه .

بادىء ذى بدء لنستبعد اصطلاح « الديمقراطيات الشعبية » ونعالج موقف الإسلام منه فى موضع آخر بإذن الله ، ونقصر حديثنا اليوم عن « الديمقراطيات الغربية » ... أى المذهب السياسى الذى تتبعه دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .

لقد اشتق لفظ « الديمقراطية » من العبارة « الإغريقية » Demos Kratos والتى تعنى « حكومة الشعب » ، بمعنى أن يكون الحكام هم « الشعب » . بيد أن الشعب بمفهومه السياسى آنذاك كان لايتعدى معشار الشعب بمفهومه الاجتماعى ، إذ كان يخرج منه النساء والأطفال والعبيد والأجانب وطوائف أخرى . ورغم أن هذه الصورة من صور الحكم تعد هى الصورة المثلى لما يسمى «بالديمقراطية المباشرة» إلا أن «أفلاطون» (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق.م) وهو من يلقب بواضع (علم السياسة) هاجم هذه «الديمقراطية» واعتبرها بمثابة حكم «الرعاع والغوغاء» وفضل عليها حكم «الصفوة» من العلماء والفلاسفة ، كما أن تلميذه «أرسطو» (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) الذى يعتبر أهم أعلام «علم السياسة» القدامى ، رأى أن «النظام

الديمقراطى» نظام فاسد ، بيد أنه كان يقول إن السلطة تنبع من الجماعة ، وأنها للقانون وليست للحاكم .. وكان قوام الجماعة عنده «الطبقة المتوسطة» .

ورثت الامبراطورية الرومانية الفكر السياسى «الإغريقى» .. بيد أن سلطة الدولة كانت شاملة : سياسية ، وعسكرية ، وقضائية .

وقد شهدت الامبراطورية الرومانية فى الخمسة قرون الأولى بعد ميلاد المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - فصلا كاملا بين الكنيسة وبين الدولة ، اتباعا لما جاء فى الإنجيل المتداول : «اعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله» لذا شهد المجتمع سلطتين : إحداهما «دينية» ، والثانية «مدنية» ، وكانت العلاقة بينهما علاقة سلام ، لخضوع السلطة الدينية للسلطة المدنية .

ما لبثت هذه الأوضاع أن تطورت إلى صراع بين السلطتين ، ويرجع ذلك أساسا إلى عدم احتواء «المسيحية» الكنسية على تنظيم شامل لنواحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، كما هو الحال فى الإسلام ، بل إن جماع تعاليم هذه المسيحية كان يقتضى إلغاء الفكر السياسى ، هذا فضلا عن أنه قد نسب للمسيح أنه قال : «إن مملكتى ليست فى هذا العالم» .

عاشت أوروبا فى ظل صراع السلطة عهودا من التخلف والاضطراب فى الفترة التى يطلقون عليها «العصور الوسطى» ، والتى انتهت بنهاية القرن الخامس عشر الميلادى لتبدأ بعدها فترة زمنية مازالت تشهدها أوروبا حتى الآن تسمى «عصر النهضة» والتى يؤرخ لها ببداية القرن السادس عشر الميلادى .

المذهب الفردى الحر وظهور الديمقراطيات الغربية :

شهد القرن السادس عشر تحولات كبرى فى كل مجالات النشاط فى أوروبا : فنشطت حركات الاستكشاف والتجارة الخارجية «والامبريالية»[1] ، وظهر ما سمى «بالإصلاح الدينى» ، الذى كان يرمى إلى كسر القيود التى فرضتها المسيحية الكنسية قرونا طويلة على حرية الفكر وحرية البحث العلمى . وقد نال الفكر السياسى من التطور ما نال غيره فى شتى مجالات النشاط الإنسانى الأخرى .

ولعل أول من قدم فكرا سياسيا فى أوروبا فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى كان «نيقولا ماكيافيل» (١٤٦٩ - ١٥٢٧ م) الذى دعا إلى الحكم الملكى المطلق وإلى فصل السياسة عن الدين ، ووضع مبدأ لا أخلاقيا مازال سائدا فى الفكر السياسى الديمقراطى الغربى حتى الآن وهو : «الغاية تبرر الوسيلة» .

إذ قال إن «الأمير» يستطيع أن يلجأ إلى جميع الوسائل ، لو كانت منافية للأخلاق ومحرمة دينا من أجل تحقيق الغاية التى يهدف إليها . بيد أن فكر «ماكيافيل» لم يكن مبرأ من التناقض إذ أشاد بالحرية كما أنه دعا إلى نبذ النظم الملكية

(١) كلمة امبريالية Imperialism مشتقة من كلمة Imperial بمعنى امبراطورى .. والكلمة المختارة أدق فى التعبير من لفظ «الاستعمار» المتعارف عليه ، لما له من معنى لغوى محمود لا يتفق وجوهر النشاط الغربى القائم على الاستغلال الاقتصادى والقهر الاجتماعى والغزو الثقافى والدينى .

وإقامة النظم الجمهورية القائمة على سيادة الشعب .

●●●

وقد اعتمد الفكر السياسى الأوروبى منذ ذلك الوقت على إعمال العقل المطلق دون الاستناد إلى قواعد أخلاقية أو دينية سماوية .. بيد أن الفلاسفة والمفكرين بعدما أعياهم البحث عن السند الذى يؤيد أفكارهم راحوا يختلقون النظريات الخيالية ، والأفكار الوهمية كفكرة «الحقوق والحريات الطبيعية السابقة على وجود الجماعة» ، ونظرية «العقد الاجتماعى» ، وانقسموا إلى فريقين .

الفريق الأول يحاول تأييد نظام الحكم المطلق مثل «هوبز» فى انجلترا ، و«بوسويه» فى فرنسا .

والفريق الثانى يحاول مستندا إلى نفس الحجج أن يدعو إلى «المبادىء الديمقراطية» مثل «جون لوك» فى انجلترا ، و«فولتير»[٢] و«مونتسكييه» ، و«روسو» فى فرنسا ، وكان ذلك طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين .

وبرغم الصياغات المختلفة لنظرية «العقد الاجتماعى» ـ جوهر الديمقراطيات الغربية ـ إلا أنها تدور حول فكرة أن الإنسان كان يعيش حياة فطرية همجية يتمتع فيها بحقوق وحريات طبيعية ، فاتفق أفراد الجماعة ـ نظرياً ـ على أن يتنازلوا عن قدر من حرياتهم فى مقابل إقامة سلطة سياسية والانتقال إلى العيش فى جماعة يتمتعون فيها بالحقوق والحريات الطبيعية بشكل أفضل ، إذ ستحمى السلطة التى ستنشأ فى الجماعة بموجب العقد الاجتماعي التخيلي ممارسات الأفراد للحريات . ولكى يتم تنصيب السلطة السياسية ، فإن من الضرورى أن ينال الجميع «حق الاقتراع العام» ، هذا الأخير الذى سوف ينتج عنه بالضرورة «أغلبية» و«أقلية» ، و«الأغلبية» هى التى تعبر عن «الإرادة العامة» للجماعة .

وعلى الرغم من أن مقتضى نظرية العقد الاجتماعى أن يمارس الشعب حقوقه السياسية فى شكل «الديمقراطية المباشرة» ، إلا أن النظم السياسية الغربية قد أخذت فى هذه الجزئية بفكر «مونتسكييه» الذى هاجم فكرة «الديمقراطية المباشرة» ونادى بفكرة «الديمقراطية النيابية» ، كما أنه كان أفضل من صاغ مبدأ «الفصل بين السلطات» كضمانة من ضمانات الحفاظ على حقوق وحريات الأفراد .. هذا المبدأ الذى يعد تعديلا جوهريا فى نظرية «العقد الاجتماعى» التى صاغها بصفة نهائية «جان جاك روسو» والذى كان يرفض فكرة «الفصل بين السلطات» !!

لقد تعرضت نظرية العقد الاجتماعى للكثير من النقد الذى قد لا يتسع المقام لتوضيحه تفصيلا وإنما يكفينا أن «جان جاك روسو» واضع كتاب «العقد الاجتماعى» والذى يسمونه «إنجيل الثورة الفرنسية» قد وقع فى تناقضات تهدم نظريته من أساسها ، ولما أعيته الحيلة فى محاولاته لإزالة التناقضات صرح بأن نظريته مجرد «افتراض» لا يستند إلى واقع أو تاريخ أو منطق أو حقائق علمية فهى «محض خيال» !!

وقد شهد الربع الأخير من القرن السابع عشر بدء ظهور ركيزة هامة من ركائز «الديمقراطيات الغربية» الا وهى الأحزاب السياسية التى

←

(٢) فولتير من أعدى أعداء الإسلام الذين هاجموه دون معرفة شىء عنه .

تتنافس فيما بينها للوصول إلى السلطة .. ثم ظهرت فكرة «العلمانية» Secularism التى تقوم على استبعاد الدين من مجالى السياسة والتعليم بمقولة التخلص من القيود الثقيلة التى فرضتها تعاليم المسيحية الكنسية على هذين المجالين فكانت سببا فى تخلفهما قرونا طويلة .

الراسمالية توءم الديمقراطية الغربية :

لئن كانت هذه هى الملامح الرئيسية للفكر السياسى الغربى ، فإن الفكر الاقتصادى «الرأسمالى» يشكل الشق الثانى ، بحيث يمكن القول بأن جناحى المذهب الفردى (الليبرالى) هما «الديمقراطية» ، و«الرأسمالية» . وقد ظهر هذا الفكر الاقتصادى منذ منتصف القرن الثامن عشر على يد «كينيه» فى فرنسا ، و«أدم سميث» فى انجلترا . وقوام هذا الفكر هو إطلاق الحريات الاقتصادية وعدم تقييدها بأى قيود سواء فى الداخل أو الخارج تحت الشعار الشهير «Laissez Faire Laissez Passer» أى «دعه يعمل دعه يمر» ، ولا توجد حدود لهذا المبدأ «فالربا» مباح فى نظرهم ، بل هو جوهر النشاط الاقتصادى الغربى ، والمنافسة لا تحدها أى قواعد دينية ، فهى متروكة للمبدأ الذى أتى به «داروين» : أن «البقاء للأصلح» ، فيجوز للقوى أن يسحق الضعيف ولا يبالى .. وقد كان هذا المبدأ بمثابة المبرر والحجة (الظالمة) لنهب وجلب ثروات البلاد التى احتلوها .. ووصل بهم الحد إلى اعتبار بعض تلكم البلدان أملاكا خاصة لهم يتصرفون فيها كيفما شاءوا .

هذا ، ولم يحتو المذهب الفردى «الليبرالى» التقليدى أية أفكار اجتماعية حتى بداية الثلث الثانى من القرن العشرين إذ بدأت دول الديمقراطيات الغربية تتدخل لتوفير «الحد الأدنى اللازم للمعيشة» للفقراء ومحدودى الرزق .

الديمقراطيات الغربية خارج بلادها :

ذلك ولا تقتصر «الديمقراطيات الغربية» على النشاط الداخلى بل إنها تعتمد بصفة أساسية على النشاط الخارجى الذى يقوم على مبدأين :

١ ـ **الامبريالية** : بمعنى السيطرة على مقدرات وثروات الأمم الأخرى وربطها اقتصاديا بها والعمل على إنهاكها واستنزاف مواردها بالحصول على المواد الخام منها بأرخص الأثمان ثم تصدير المنتجات المصنعة إليها بأفدح الأثمان ، ومنحها قروضا ربوية تفوق فوائدها المتراكمة أصول الديون .. وبذا تمكنت دول الديمقراطيات الغربية من قهر الأمم الأخرى ، ومنها شعوب الأمة الإسلامية ووضعها باستمرار فى موضع التبعية والاستجداء .

٢ ـ **«السيطرة الثقافية والتبشير الكنسى»** : فمن خلالهما يتم تشويه اللغة الأصلية للبلاد «المستَغَلَّة» ، وطمس العقيدة الدينية بها ، وتربية أجيال مغتربة تفكر كما يفكر الغربيون ، ويتبنون أهدافهم ، ولا يرون مصلحة بلادهم إلا فى الارتباط بالغرب والعمل على تطبيق «ديمقراطيته» ، وينقلون دون وعى القيم الغربية دون نظر إلى أنها نبت غريب لا ينمو فى تربة أخرى خارج ذلك العالم الغربى ، فهم بذلك ـ دون وعى منهم ـ وكلاء عن أصحاب الديمقراطية الغربية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

مرتكزات الليبرالية :

خلاصة القول إن المذهب الفردى (الليبرالى) .

الذى تعد الديمقراطيات الغربية شقه السياسى تقوم على المرتكزات التالية :

١ ـ اطلاق الحريات السياسية والاقتصادية للأفراد واعتبار المصلحة الفردية مقدمة على المصلحة العامة .

٢ ـ الدفاع عن حقوق الإنسان .

٣ ـ الدولة شر لابد منه يجب أن تنحصر وظائفها فى الدفاع والقضاء وأن يكون تدخلها فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى بغرض تمكين الأفراد من ممارسة حقوقهم وحرياتهم .

٤ ـ العلمانية بمعنى فصل الدين عن كل من السياسة والتعليم ، حتى لا تعوق المبادىء الدينية مسيرة التقدم ولا تفسد حرية الفكر والبحث العلمى .

٥ ـ تعدد الأحزاب السياسية وتنافسها للوصول إلى السلطة .

٦ ـ الفصل بين السلطات .

٧ ـ الحضارة الغربية هى الإطار الروحى فى الداخل ، والدافع على التحرك الخارجى . وهى حضارة تكونت فى ظل ظروف تاريخية واجتماعية ودينية خاصة بالدولة الرومانية وما أسفرت عنه بعد ذلك من دول أوروبية .

هذا وقد غدت الديمقراطية الغربية منحصرة فى ممارسة الشعب لحق الاقتراع يوم الانتخابات فقط ، وذلك لاعتبارات عملية وبسبب التقدم العلمى التقنى الهائل ، فصارت القرارات السياسية تتخذ بعيدا عن نواب الشعب ، فضلا عن أنها تتخذ بعيداً عن الشعب نفسه ، لدرجة اننا نجد احد كبار علم الاجتماع فى فرنسا ، وهو «جوستاف ليبون» ، يقول : «ليس هناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن فرنسا بلد «ديمقراطى» اللهم إلا فى الخطب والكلمات» . ونجد إحدى المقالات الحديثة نسبيا فى جريدة «الجارديان الأسبوعية» البريطانية التى صدرت فى الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٨٨ م تصف الديمقراطية بأنها «شعوذة القادة السياسيين» incantations of political leaders» .

تأثير الأفكار الديمقراطية فى العالم الإسلامى المعاصر :

ومن عجب أن نجد بعضا من كبار المثقفين وذوى السلطان فى الأمة الإسلامية يتجاوز إعجابهم بالديمقراطيات الغربية الحد ، فيحاولون أن يصفوا الإسلام بأنه «ديمقراطى» ، أو انه جاء بالديمقراطية ، أو أن دولة الإسلام تتسع للتطبيق الديمقراطى على النمط الغربى ، ويحاول البعض تصوير «الشورى» التى جاء بها الإسلام على أنها لا تعدو أن تكون تطبيقا من تطبيقات «الديمقراطية» ، أو هى أساس صالح لإقامة الديمقراطية الغربية فى أرض الإسلام .. لذا كان لزاما أن نتناول فى موضوعية علمية منطقية تحليل مرتكزات «الديمقراطيات الغربية» ، وبيان موقف الإسلام من كل منها حتى يتميز الباطل من الحق ، وحتى لا تلتبس علينا الأمور .. وحتى نلتقى فى المقال التالى لاستكمال الحديث فلنتذكر قول الحق تبارك وتعالى فى سورة المائدة (الآية ٤٨) :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ صدق الله العظيم .

الربا والوديعة المصرفية

في ضوء حقائق الفقه وأدلته (٢)

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمي أبو سنة

كنا كتبنا في عدد سابق تحت هذا العنوان عن ربا الدين المجمع على تحريمه ، وناقشنا ما دار حوله من آراء نشرت في الصحف ، ووعدنا بالكلام عن الوديعة المصرفية لنتبين حكم ما فيها من الفائدة والربح ، وفي هذه الكلمة ننجز موعدنا بإذن الله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ سورة النساء - ٥٨ والآية الكريمة بعمومها تدل على وجوب رد الأمانات إلى أصحابها ومن هذه الأمانات الودائع .

والوديعة هي : المال الذي يدفعه الإنسان إلى آخر ليحفظه له من غير أجر ، والعقد الذي بينهما يسمى عقد ايداع فإن كان الحفظ بأجر ، كان عقد إجارة : فحفظ من أودع عنده المال له وعدم تصرفه فيه : ركن من أركان عقد الإيداع وبتحقيق هذا الركن يسمى المال وديعة .

فإذا تصرف فيه بإذن المودع وكان مما يبقى بالاستعمال كالكتاب والسيارة خرج من أن يكون وديعة وأصبح عارية لها أحكامها .

وإن كان مما يستهلك بالاستعمال : كالأطعمة والنقود صار قرضا ، والنقود منه لأنها تخرج من يده إلى يد غيره ، وحينئذ يأخذ حكم القرض وهو أن هذا المال يصير مملوكا له ويتصرف فيه بأنواع التصرفات المشروعة وعليه رده إلى من كان أودعه عنده .

ذلك لأنه وإن كان وديعة في الظاهر فهو قرض في الواقع إذا الوديعة فقدت ركنها وهو الحفظ وعدم التصرف فيها والعبرة في العقود ، لمعانيها لا لألفاظها ، وهذا قدر متفق عليه بين الفقهاء ، لا فرق في ذلك بين الوديعة تحت الطلب والوديعة لأجل والوديعة الادخارية .

فإذا أودع الشخص ماله في المصرف على نحو من هذه الأنحاء ثم أخذ عن وديعته فائدة ٣٪ أو أكثر كان ذلك ربا صريحا لأنه أخذ فائدة زائدة عن القرض فينطبق عليه تعريف الربا .

وقد ابطلنا في مقال سابق كل المحاولات والتعلات التي ابداها من يحاولون احلال هذه الفائدة ولاسيما الحجة القائلة : إن المصرف يستفيد أكثر مما يعطى ذلك لأن الذي حرم الربا سبحانه لم يقيد التحريم بقيد .

ولو سلمنا أن المصرف يستفيد لا محالة لأنه يعطى المودع ٣٪ ثم يقرض هذه الودائع بـ ١٠٪ أو ١٦٪ فهذه الفائدة محرمة لأنها من ربا الجاهلية الذى قال الله فيه : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ سورة البقرة آية ٢٧٩ .

وقلنا إن هذه الفوائد لا تسمى ربحا لأن الربح ما كان عن بيع وشراء ونحوهما .

أما الوديعة الاستثمارية وهى التى تعطى للمصرف ليقوم فيها بعمل تجارى بنفسه أو بوكيله فالربح المستفاد منها حلال وبالتالى النصيب الذى يأخذه صاحب الوديعة حلال ، لأن هذا العمل وإن كان وديعة فى الظاهر لكنه عقد شركة فى الواقع وهى مشروعة وتسمى هذه الشركة مضاربة ، فإذا قام المصرف بالعمل التجارى بنفسه كان مضاربا وإذا وكل العمل التجارى إلى غيره كان هذا الغير مضاربا من قبل المضارب الأول أى المصرف .

ويشرف على هذه المصارف الاستثمارية مفتون عالمون بأحكام الشريعة الغراء تعرض عليهم معاملات المصرف لتوجيهه إلى ما هو الصحيح أو ما ليس بصحيح وما هو حلال وما ليس بحلال : فالمصارف الاستثمارية بحمد الله فى يد أمينة رغم ما يدعى المدعون لأنهم لا يفعلون ذلك إلا بغية صرف الناس عن هذا الكسب الحلال .

ومن هنا قلنا إنه إذا أريد بشهادات الاستثمار أن تكون عملا مشروعا وكسبه حلالا يجب أن يتوافر فيها أمران :

الأول : أن توظف الأموال المجموعة منها فى عمل تجارى .

الثانى : أن يكون الربح المستفاد منها شائعا بين الدولة وصاحب الشهادة كالنصف والربع .

وقد سمعنا ـ والأمل يملأ صدورنا أن يتحقق بتوفيق الله ما سمعناه ـ أن دار الإفتاء بدأت تنظم هذا النوع من الشهادات مع الوزارة المختصة ، هذا وننبه هنا على أن الوديعة الادخارية التى يحرم أخذ الفائدة عنها ما يسمى بدفاتر التوفير فإذا أخذت عنها فوائد ٣٪ أو أكثر كانت ربا وكما قلنا فى شهادات الاستثمار نقول هنا فلا تحل هذه الفوائد إلا إذا كان العمل فى أموال الدفاتر تجاريا وكان ما يأخذه أصحابها نصيبا من الربح غير محدد .

وبعد فنريد هنا أن ننوه بأمور :

١ ـ إن فوائد ودائع المصارف وشهادات الاستثمار أ ، ب من الربا الثابت بالأدلة القطعية : القرآن والسنة والإجماع ولا يسوغ الاجتهاد فى مقابلة هذه الأدلة ، فكل اجتهاد يدعى فى هذا النوع من الربا مردود .

٢ ـ إن هذا النوع من الربا لا يحل إلا للضرورة التى تبيح أكل الخنزير وشرب الخمر .

٣ ـ إن تنبيه العلماء المختصين بالفقه على الخطأ فى تطبيق هذا الحكم بالحجج النيرة قيام بأمر مفروض عليهم مهما كان شأن المخطىء وليس خروجا على قانون العقائد أو الأحكام أو الآداب ، بل هو امتثال لنهى القرآن الكريم عن كتمان الحق وبُعد عن لعنة الله ، فالعلماء لا يعبأون فى هذا السبيل بلومة لائم

والله يهدى إلى الحق ويحفظ من المحرمات والشبهات .

من تراث الشيخ الطير

كيف يحيي الله الموتى؟

الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... ﴾ الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(البيـــــان)

قال الكسائى والفراء : هذه القصة معطوفة بحرف (أو) على القصة التى قبلها فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ والتقدير : هل رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه ، أو كالذى مرَّ على قرية ؟

وهى والتى قبلها والتى بعدها مسوقة للدلالة على قدرة الله على إحياء الموتى ، وبعثهم للحساب والجزاء .

ولم يرد فى القرآن ولا السنة الصحيحة ما يعين صاحب هذه القصة ولا اسم القرية التى مرَّ عليها ، فلذا اختلف المفسرون فى بيانهما ، روى عن ابن عباس أن بختنصر غزا بنى إسرائيل فسبى منهم اناسا كثيرا ، فجاء بهم إلى بابل وفيهم عزير بن ترخيا ، وكان من علماء بنى إسرائيل ، فخرج عزير يوماً فى حاجة له ، إلى دير هرقل على شاطىء دجلة ، فوصل إلى شجرة هناك ، فربط الحمار تحت ظلها ، ثم طاف بالقرية فلم ير بها ساكنا ، وهى خاوية على عروشها فقال : «أنّى يحيى هذه الله بعد موتها» ؟

وقال ابن زيد : هى القرية التى خرج منها الوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا فمر عليهم رجل وهم عظام نخرة تَلُوح ، فوقف ينظر فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام ثم أحياه .

ويرى ابن عطية أن ما قاله ابن زيد مخالف لنص الآية ، فقد تضمنت الآية أنه مر على قرية خاوية على عروشها ، ولم يرد فيها أنه مرَّ على قوم خرجوا من قريتهم وهم الوف ، وقال آخرون : هى بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر البابلى ، وقيل غير ذلك ونحن نقول : الأولى تفويض الأمر فى علمها وعلم الذى مرَّ عليها إلى علام الغيوب ، والسكوت عما امسك القرآن عن بيانه ، كما سكتت عنه السنة الصحيحة ، والعبرة فى القصة

إنما هى فى إحياء موتاها ، لا فى اسمها وفى اسم الذى مرَّ عليها .

وقد وردت قصة هذه القرية فى الإصحاح السابع والثلاثين من سفر (حزقيا) على نحو ما جاء فى الآية الكريمة .

وسميت القرية قرية لاجتماع الناس فيها ، مِنْ قريت الماء أى جمعته ، والعروش السقوف ، جمع عريش ، وهو سقف البيت ، وكل ما يهيأ ليظل أو لِيُكِنَّ فهو عريش ومعنى (خاوية على عروشها) ساقطة على سقوفها ، بأن سقط السقف ثم سقطت الحيطان عليها ، أو معناها خالية من السكان مع بقاء عروشها عليها ، على حد قوله تعالى : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾ من خوى البطن من الطعام ـ أى خلا ومعنى هذا الجزء من الآية الكريمة : وهل رأيت أيها الرسول مثل ذلك الرجل الذى مر على قرية مات أهلها ، وسقطت حيطانها على سقوفها، أو خالية من أهلها مع بقائها قائمة مع عروشها لم تنهدم ولم تسقط ، فقال فى نفسه متعجبا أو بلسان حاله : كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم ، أو كيف يرد الله الحياة إلى هذه القرية بعد أن خربت بموت أهلها .

﴿ فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ .

أى فجعله الله ميتا مائة سنة ، ثم أحياه مُهَيَّأً للحوار ، حيث أعاد إليه قواه الإدراكية ، ولم يذكر فى الآية الكريمة ما حدث لجسده فى فترة الموت ، هل بقى على حاله ، أم أصابه البلى والتحلل ، فالله أعلم بما كان عليه جسده فيها .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

اختلف العلماء فيمن أجرى هذا الحوار معه بعد بعثه .

فقال بعضهم : إن الله تعالى هو الذى أجراه معه ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ وقال آخرون إن الحوار لم يكن من الله مباشرة ، لأنه تعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا . . . ﴾ وإنما كان على لسان نبى هذا الزمان ، وقيل على لسان ملك ، وقيل كان ذلك إلهاما ـ كما حدث لأم موسى عليه السلام ـ ولا يمنع هذا كله من نسبته إلى الله ، فهو الذى أمر به أو أحدثه فى نفس من يحاوره .

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .

أى قال على حسب ظنه : مكثت نائما وراقدا يوما أو بعض يوم ، ولعله قال ذلك لأنه لم يشاهد فى نفسه تغيرات تقتضى مكثه أكثر من ذلك ، ولهذا بعدت عن ذهنه فكرة الموت تماما .

قال ابن جريج وقتادة والربيع : أماته الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب ، فظن هذا اليوم واحدا فقال لبثت يوما ، ثم رأى بقية من الشمس ، فخشى أن يكون كاذبا فقال : أو بعض يوم ، فقيل له : (بل لبثت مائة عام) ميتا وأنت لا تدرى ما حدث لك ، وقد أردنا بذلك أن نظهر لك ولغيرك قدرتنا على الإحياء بعد الموت ، ولكى يحقق له ذلك قيل له :

﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ .

أى إذا علمت أنك مكثت مائة سنة ثم بعثت ، فانظر فى تلك الآيات البينات : انظر إلى طعامك وشرابك اللذين كانا معك قبل الموت لم تغيره السنون والأعوام التى مضت عليك ميتاً ، بل هو باق على طراوته وسلامته من التلف والفساد ، مع أنه شأنه سرعة التغير والفساد ، وهذا دليل على أن المؤثر هو الله تعالى ، وليست الأسباب بذاتها .

﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ﴾ .

أمره الله أن ينظر إلى حماره الذى نخرت عظامه وتفرقت أوصاله ، على حين بقى طعامه وشرابه على حالهما من الصلاحية للتناول ، وتلك آية أخرى على قدرة الله تعالى والمعنى : وانظر إلى حمارك وقد مات وتفرقت عظامه ، فعلنا ما ذكر من إحيائك وحفظ طعامك وشرابك وإماتة حمارك وتفريق أوصاله ، لتدرك صدق إخبارنا أنك بقيت ميتاً مائة عام ، ولنجعلك انت وهذه الأمور علامة للناس الموجودين وقت بعثك على قدرتنا على إحياء من فى القبور ، وليستدل على ذلك أيضاً من يأتى بعدهم ممن يؤمن بالوحى السماوى الذى يحكى هذه القصة .

﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ .

أمره الله أن ينظر إلى عظام حماره ، كيف يرفع بعضها على بعض ، كُلًّا فى موضعه تمهيدا لإحيائه ، والإنشاز «الرفع» ، والنشز الارتفاع ، ومنه نشوز المرأة ، وهو ارتفاعها عن موافقة زوجها ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا ﴾ اى وإذا قيل ارتفعوا وانضموا فامتثلوا .

والعظام لا تحيا على الانفراد ، حتى يرفع بعضها على بعض ويضم إليه .

والمعنى : وانظر إلى عظام حمارك كيف نرفعها من اماكنها فوق الأرض ، ونرفع بعضها فوق بعض ، على الشكل الذى كانت عليه قبل موت ذلك الحمار ، ثم نكسو بقدرتنا هذه العظام لحما ، ثم ننفخ فيه الروح ، فيعود كما كان جسما وصورة وحركة وصوتا ، ليعرف بالمشاهدة كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها كما سأل .

ويرى بعض المفسرين أن الحمار بقى حيا لم يمت كما مات صاحبه ، وأنه عاش هذه المدة دون أن يأكل أو يشرب ، وأن الله تعالى حفظه حيا كما حفظ الطعام غضا طيب الرائحة ، والشراب سائغا هنيا ، وأن العظام التى أمر الله أن ينظر إليها حين إعادتها وكسوتها باللحم هى عظام أهل هذه القرية التى مر عليها وهى خاوية على عروشها ، لأن التعجب الصادر منه كان بشأن إعادة سكانها إلى الحياة .

وسواء كان الإحياء للحمار أو القرية ، فكلاهما يقتضى قدرة الله على إحياء الموتى ، ولابد أن تكون وفاة هذا الرجل بمخبأ فى جبل لا يراه فيه أحد ، كما صنع الله بأهل الكهف ، حتى يبقى الطعام والشراب بحالهما لا يمسهما أحد ، ويبقى الحمار نائما معه فى كهفه طيلة هذه المدة دون أن يأكل أو يشرب ، على رأى من قال إنه بقى حيا ، ويكون شأنه كشأن كلب أهل الكهف ، حيث بقى نائما باسطا ذراعيه بالوصيد مدة رقود أهل الكهف .

كيف كان هذا الرجل آية

قال الأعمش : موضع كونه آية هو أنه جاء شابا على حاله يوم مات ، فوجد الأبناء والحفدة شيوخا .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : لما أحيا الله عزيرا ركب حماره فأتى محلته ، فأنكر الناس وأنكروه ، فوجد فى منزله عجوزا عمياء كانت أمة لهم ، خرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة ، فقال لها : أهذا منزل عزير ؟ فقالت : نعم ، ثم بكت وقالت : فارقنا عزير منذ كذا وكذا سنة ، قال : فأنا عزير ، قالت : إن عزيرا فقدناه منذ

مائة سنة ، قال : فالله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى ، قالت : فعزير كان مستجاب الدعوة للمريض وصاحب البلاء فيفيق ، فادع الله أن يرد علىّ بصرى ، فدعا الله ومسح عينيها بيده فأبصرت ، ونشطت من عقال العمى ، وقالت أشهد أنك عزير ، ثم انطلقت إلى ملأ بنى إسرائيل ، وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مائة وثمان وعشرين سنة ، وبنو بنيه شيوخ ، فقالت : ياقوم ، هذا والله عزير ، فأقبل إليه ابنه مع الناس ، فقال ابنه ، كانت لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه ، فنظرها فإذا هو عزير .

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

أى فلما اتضح له كيف يحيى الله الموتى ، بعد معاينته تلك الآيات الثلاث التى رأى فيها كيفية إحياء الله الموتى - فلما اتضح له ذلك - قال أعلم قبل مشاهدة هذه الآيات أن الله على كل شىء قدير ، وقد ازددت علما بهذه المشاهدة .

وبالجملة فالسائل كان مؤمنا بقدرة ربه على كل شىء ، ومن جملته إحياء هذه القرية بعد موتها ، ولم تنشىء فيه هذه المعاينة علما جديدا بذلك ، ولهذا عبر بصيغة المضارع (أعلم) المفيد للاستمرار ، وأن الذى تغير عنده هو وصف العلم ، فبعد أن كان ناشئا عن استدلال ، انتقل إلى علم ناشىء عن المشاهدة والعيان .

فسؤاله لا يقتضى أن يكون كافرا - كما ذهب إليه بعضهم - لأنه يقول : «أنى يحيى هذه الله بعد موتها» أى كيف يحيى هذه الله بعد موتها ، فهو سؤال عن الكيفية ، مع إيمانه بإحياء الله للموتى ، يشعر بأنه يريد معرفة طريقة الله فى إحيائهم بعد فناء لحومهم وبلى عظامهم ، ليزدادوا يقينا بقدرة الله على رد الحياة بعد الموت ، على حد قول إبراهيم عليه السلام لربه ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ .

وبعد فليس معقولا أن الإله الحكيم الذى خلق هذا الإنسان فى أحسن تقويم ، وفرض عليه أن يعبده - ليس معقولا - أن يتركه يفنى جيلا بعد جيل ، دون أن يعيده للحياة مرة ثانية ، لكى يجزى المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

عزيزى القارىء

نحمد الله - سبحانه - أن وفقنا لأداء الرسالة العزيزة فطلبات الاستزادة فى طبع كميات اكثر يعتبر إلى حد بعيد المؤشر الصحيح على ان « المجلة » وبفضل الله - ادت دورها الذى اريد لها فى مختلف مجالاتها : الدينية والأدبية والعلمية .

ومعذرة - عزيزى القارىء - فنظراً لارتفاع أسعار الورق والطباعة ارتفاعا كبيرا لم نجد بدأ من مساهمتك مساهمة محتملة ليصبح ثمن النسخة بهديتها « أربعين قرشا » بدلا من « ثلاثين » وذلك ابتداء من الشهر الحالى - جمادى الأولى ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٩ م .

والله الموفق .

العمل للآخرة

للأستاذ: محمد صابر البرديسى

عن سهل بن سعد الساعدى، قال: قال رسول الله ﷺ:

«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».. رواه الإمام احمد.

اولا: اللغة:

(١) اللهم: الميم عوض عن «يا» ولا يجتمعان. أى: ياالله.

(٢) لا عيش: أى لا عيش كاملا، أو معتبرا.

(٣) إلا عيش الآخرة: العيش: الحياة - الآخرة: الباقية.

ثانيا: ما يشتمل عليه الحديث:

(١) الإنسان روح وجسد.

أ - يجب أن نقيد مطالب الجسد.

ب - كما يجب أن نقيد مطالب الروح.

(٢) لا فارق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، إذا قصد به وجه الله.

البيــــان

(١) الإنسان روح وجسد:

الإنسان روح وجسد، ولكل منهما مطالب وواجبات، والجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد يحتاج إلى روية وحكمة، وذلك بأن لا نطلق الحرية والعنان لكل منهما فى مطالبه.

أ - يجب أن نقيد مطالب الجسد:

وذلك بعدم الإضرار والإجحاف بمطالب الروح، قال تعالى:

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ - سورة الكهف آية ٤٦ - وقال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ - سورة القصص آية ٧٧ - والمعنى أن من وسع الله عليه بالغنى بالمال فإن من واجبه أن يتزود من دنياه لآخرته، فإن مال الإنسان ما قدم، وفى الحديث (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر) - رواه البخارى.

اما ما سوى ذلك فإن المرء ذاهب وتارك ماله للورثة، ومن يدرى، ماذا تفعل الورثة به؟ والدنيا مزرعة للآخرة، تزرع فيها الأعمال الصالحة، ومن خرج منها فقيرا من الحسنات، فإنه يرد على الآخرة فقيرا، ومأواه جهنم وساءت مصيرا.

ومن وسع الله عليه بالغنى والمال فجعله أكبر همه، وصرف إليه جل عقله، وعظيم اهتمامه وعمله، وترك لأجله فرائض ربه، ونسى أمر آخرته، فهذا لا يؤجر، بالرغم من غناه بالمال،

فهو فى الحقيقة فقير ، خسر دنياه وأخرته ، وخرج من الدنيا مذموما مدحورا ، فهو عبد الدينار والدرهم ، وقد ورد فى الحديث عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : (تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم) - رواه البخارى - ومثل هذا يندم ، حيث لا ينفعه الندم ، حيث يقول تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ - سورة الحاقة آية ٢٨ .

ب - كما يجب أن نقيد مطالب الروح :

وذلك بالمحافظة على مطالب الجسد .. إن دين الإسلام دين سعى وكد وكسب يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، ومصالح الروح والجسد ، فعلى المسلم أن يتزود من دنياه لآخرته ، وأن لا ينسى نصيبه من الكسب والسعى على الرزق الحلال ، وسائر أسباب الغنى ، والإسلام يمدح الذين يضرعون إلى الله فيقولون ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ - سورة البقرة آية ٢٠١ - فالإسلام يأمر بكسب الأموال وحفظها ، والتوسع فى فنون التجارة من وجوه حلها وفى الحديث : (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) - رواه الترمذى عن أبى سعيد .

ولما سئل النبى (ﷺ) عن أفضل الكسب قال : (عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور) .

وروى الطبرانى عن ابن عمر (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : (إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف) .

إن المال فى نفسه ليس مذموما ، وأن العمل على كسبه فى ذاته ليس محظورا ، وأن زينة الحياة الدنيا سائغة لعباد الله ، إذا كانت طيبة خالصة من شوائب الحرام ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً ﴾ - سورة الأعراف : آية رقم ٣٢ .

فإذا كسب الإنسان المال من الحلال ، وصرفه فى الحلال ، كان ذلك أجدى على المجتمع وأنفع ممن يكتسب القليل لينتفع وحده ، وليكفى به خاصة نفسه ، فإن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس .

وقد صور لنا الرسول (ﷺ) هذا المعنى فقال :

(الدنيا خضرة حلوة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى غير حقه ، أحله الله دار الهوان) - رواه البيهقى عن ابن عمر .

ومن أجل ذلك ، كان الغنى الشاكر ، وهو الذى يصرف المال فى مصارفه المشروعة أفضل من الفقير الصابر الذى لا يجد ما ينفقه .

وهذا معنى حديث رواه الإمام مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ، جاء فيه : إن فقراء المهاجرين أتوا إلى رسول الله (ﷺ) يشكون أن أصحاب الأموال الكثيرة قد فازوا بالدرجات العلا ، والنعيم المقيم ، لأنهم يساوونهم فى العبادات البدنية ، ويفضلونهم بالعبادات المالية : من صدقة وعتق ، فأرشدهم (ﷺ) إلى التسبيح والتكبير والتحميد ، عقب الصلوات المفروضة ، وعلم بذلك الأغنياء ، ففعلوا مثلهم : من تسبيح وتحميد وتكبير ، فعاد الفقراء إلى الشكوى ، فقال رسول الله (ﷺ) : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) .

(٢) لا فرق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة إذا قصد به وجه الله :

إن السعى فى الحياة والجد فى طلب الرزق وزيادة المال من طرقه المشروعة أمر مشروع ومحمود فى نظر الدين لأنه وسيلة الإعمار فى الأرض والنهوض بما على الناس من تبعات نحو أهليهم ، ومن يعولونهم ، ونحو المجتمع فى تخفيف آلام البائسين ، وفى ذلك سعادة الدارين .

العمل للآخرة

إنه لا فارق ولا فاصل فى دين الإسلام ، بين العمل للدنيا والعمل للآخرة مادام كل منهما يقصد به وجه الله ، ومن أجل حياة أفضل ومطابق لتعاليم الإسلام .

وإنما الفارق والفاصل بين الحلال والحرام ، بين الظلم والعدل ، بين المحاباة والمساواة ، بين أن تعيش بكد يمين ، وأن تعيش على حساب الآخرين .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ـ سورة البقرة آية ٢٢٩ .

قال (ﷺ) : (نعما المال الصالح للمرء الصالح) ـ رواه الإمام أحمد عن عمرو بن العاص .

(٣) نظرة الإسلام إلى كسب المال :

روى أن رجلا جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال : يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟

فقال : (ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) .

ـ رواه ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى ـ .

هذا التوجيه من رسول الله (ﷺ) لا يفيد ذم المال ، ولا ينهى عن كسبه ، والرسول (ﷺ) إنما خشى التنافس على المال ، لأنه سبب التقاتل والهلاك ، وحين حث (ﷺ) فى هذا الحديث على الزهد فى الدنيا ، والزهد فيما فى أيدى الناس ، إنما قصد البعد عن التطلع إلى ما فى أيدى الناس ، أو حسدهم عليه ، لأن ذلك يؤدى إلى ارتكاب جرائم الغش والنصب والتلصص والاحتيال قال تعالى :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ ـ سورة النساء : آية ٣٢ ـ .

وليس معنى الزهد كما فهمه بعض الناس بأن يقعد المرء عن طلب الرزق ويتخلى عن الدنيا كما فعل عاصم بن زيد الحارثى ، الذى لبس العمامة ، وتخلى عن الدنيا ، فقال له الإمام على (كرم الله وجهه) ياعدو نفسه ، لقد استهان بك الخبيث ـ الشيطان ـ أما رحمت أهلك وولدك ؟

أترى أن الله أحل لك الطيبات ، وهو يكره أن تأخذ منها ؟

قال سلمان الفارسى لأبى الدرداء :

(إن لربك عليك حقا ، وإن لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط لكل ذى حق حقه) .. فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : «صدق سلمان» ـ رواه البخارى ـ .

إن السعى من أجل النفس والأولاد كله لله والآخرة ، مادام حلالا .

قال رجل للإمام أبى جعفر الصادق إنى احب الدنيا ، قال الإمام تصنع بها ماذا ؟ قال : اتزوج منها وأحج وأنفق على عيالى ، وأنيل إخوانى .. قال الإمام : ليس هذا من الدنيا ، هذا من الآخرة .

وهكذا .. كل ما جاء به القرآن الكريم وبينه رسول الله (ﷺ) فإنه يحقق أملا من آمال الإنسانية ، ويخطو إلى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع وفيه خيرى الدنيا والآخرة .

وفق الله المسلمين لما فيه صلاحهم وفلاحهم .
والله الموفق .

حق المرأة فى الميراث

للدكتور: محمود محمد رسلان

قال الله جل ثناؤه : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء : ٧ .

إن طمع الإنسان فيما لغيره متوقع ، وظلمه لأخيه غير محال ، من أجل ذلك حفظ الله ـ سبحانه ـ الحقوق ، ومن عدله سبحانه أوجب الميراث ، وتولى ـ عز وجل ـ قسمته ـ فى أنصبة معينة ، ليأخذ كل ذى حق حقه من الذكور والإناث على سواء ، ولم يترك ـ جل جلاله ـ هذا التقسيم لملك مقرب ، ولا لنبى مرسل فقال عز وجل ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ . . . ﴾ الآية .

ولقد جاءت النصوص القرآنية لتعمل فى كل جيل من أجيال البشرية ، وفى كل بيئة من بيئاتها فلا يأباها إلا جاحد ، رضى لنفسه الجحود والعصيان ؛ فأما من آمن ؛ فإنه لا يجادل فيها ، ولا يتحرر منها ومضمون هذه الآية الكريمة واجب التنفيذ ، وتوزيع الأنصباء على الورثة ـ على ما أراد الله سبحانه حق ، والتعلل للملص منه حجة داحضة ، وفى الكتاب العزيز : ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ النساء ١١ . ولقد ركن الجاهليون إلى هضم حق النساء فى الميراث كما هضموه فى غيره ، فذكر المولى ـ عز وجل ـ لهن حقوقهن ، وفى الآية بيان لذلك فى الميراث ، فذكر النساء ـ فى الآية ـ مع الرجال إيذان باستقلال حقهن ، وإشعار لكل مسلم بهذا الحق وإعلام له به ، وحث على الاعتناء بأمرهن ، وإلزام بإرثهن ، والإشارة ـ من أول الأمر ـ إلى تفاوت ما بين نصيبى الفريقين ، والتأكيد على إبطال أحكام جاهلية كانت قبل الإسلام . لقد كان لدى العرب فى الجاهلية بعض العادات التى تأباها العقول الراشدة والفطر السليمة كالشرك بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبادة الأوثان ، والتقرب إليها ، ووأد البنات والاستقسام بالازلام إلى آخر ماعاث فى هذا المجتمع حتى هيمن عليه الإسلام .

كذلك كانت لهم بجانب ذلك تقاليد متوارثة فى المعاملات والبيوع والمناكحات والطلاق والمواريث . فلما بعث الله محمداً ﷺ بالإسلام دعاهم إلى الهدى ودين الحق ونبذ تلك المنكرات والضلالات ، وفصل الأحكام وأقام الحدود ، وأرسى القواعد هدى للناس وتبصرة ؛ وكم عانت المرأة من حقوق مضيعة منها الميراث ؛ فقد كانوا فى الجاهلية يتوارثون بالنسب والقرابة ولا يورثون النساء والصغار ، وإنما يورثون الذكور المقاتلين الذين يحوزون الغنيمة ويحمون الذمار ، وبهذه

حق المرأة في الميراث

النظرة الضيقة والأنانية المفرطة استباحوا هضم حق المرأة، فلما كان الإسلام قامت الشريعة العادلة، فقال سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ..﴾ الآية ..

ثم بين الله سبحانه هذا النصيب بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء من الآية: ١١ ـ فأمر الله تعالى بتوريث النساء والصغار، فدال بذلك ما كان في الجاهلية من حرمانهن من الإرث، ولا ريب أن هذا أعدل تشريع وأحكم، وبه انتصف الله ـ تعالى ـ للضعيف، ونالت المرأة حقها في الأسرة والمجتمع وامتعها ـ سبحانه ـ بالملك والمال الموروث كما امتع بهما الرجل[١].

روى أن أوس بن ثابت الأنصارى توفى، وترك زوجته، وثلاث بنات فجمع أبناء عمه ميراثه عنهن على سنة الجاهلية، فجاءت زوجة أوس إلى رسول الله ﷺ فشكت إليه ما حدث من أبناء عم زوجها، فقال لها: ارجعي حتى انظر ما يحدثه الله تعالى فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية.

فأرسل ﷺ إلى ابني عم أوس وأخبرهما أن الله قد جعل للنساء نصيبا ولم يُبَيِّنْ فلا تُفرِّقا من مال أوس شيئا حتى يبين فنزل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ..﴾ الآية فأعطى رسول الله ﷺ الزوجة الثمن، والبنات الثلثين والباقي لابني العم.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل من «ما» الأخيرة بإعادة الجار، وإليها يعود الضمير، وفائدته: دفع توهم تخصيص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل، وآلات الحرب للرجال، وتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل ما جَلَّ ودَقَّ في الميراث.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

نصب على أنه مصدر مؤكد كما في قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أي ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضا أو نصب على الاختصاص، أي: أعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم ولهن، وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه[٢] فعلم أن النصيب المفروض هو الحق المعين المقطوع به، لا محاباة فيه وليس لأحد أن ينقصهم منه شيئا.

يقول الشيخ رشيد رضا: «إن الأوامر والنواهي في آيات المواريث واضحة في بيان حقوق اليتامى والزوجات ومنع ظلمهن فمنع فيها أكل أموال اليتامى بضمها إلى أموال الأولياء، أو بالاستبدال الذي يؤخذ فيه مال اليتيم ويعطى بدله رديئا، كما منع أكل مهور النساء أو عضلهن[٣]. للتمتع بأموالهن أو تزويجهن بغير مهر أو الاستكثار منهن لأكل أموالهن وغير ذلك من ظلمهن. كذلك حرم الله في هذه الآية منع توريث المرأة والصغير[٤].

ومن عجب أن يلجأ اليوم بعض الآباء أو الأمهات، أو الإخوة إلى حيل غريبة ووسائل متنوعة لكي يحرموا البنت أو الأخت، أو الزوجة من حقها الشرعي فمن ذلك: أن يُرْضُوا المرأة

(١) راجع لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف: المواريث في الشريعة الإسلامية ص ٤، ٥.
(٢) راجع تفسير أبى السعود.
(٣) عَضْلُ المرأة: منعها من التزوج ظلما، وفي التنزيل العزيز ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾.
(٤) تفسير المنار ٤/٣٢٤.

اولاً ببعض المال حتى تُوقِّع على تنازل عن نصيبها ، ثم يهملونها ، والأدهى ان ترضى بعض الأمهات بذلك فتتفق مع ابنائها الذكور على حرمان بناتها من الميراث بحجة أن تظل أرض مورثهم فى حوزتهم فلا يتملكها الغرباء ، اى زوج البنت وعشيرته ، وهم يعلمون أن ابنتهم ترث زوجها المتوفى عنها ، فهلا خضعوا لأمر الله !

واخرون يسطون على ميراث النساء لتكثر مساحة ما يمتلكون من ارض حين يطلبون منصبا قرويا بعينه كالعُمُدِيَّة ومشيخة البلد .. إلى حيل تورث الضغائن والأحقاد ، وربما ترتب عليها « زيجات » مصلحة ، لا عن رضا ورغبة فتكون النتيجة دمارا شاملا . فهلا فقهوا قوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فأعطوا كل ذى حق حقه ، لتتاتى العصمة ويحل الترابط .

ومن عجب أن المغتصب إنما يغتصب الضعيف ، طفلا أو امراة ، وفى ذلك من خسة الخلق ، وضيعة الأمانة مايئول بصاحبه إلى حرمانه من الغاية التى يسعى إليها المؤمنون .. الجنة التى هى غاية الغايات ومنتهى آمال العقلاء .

قال ـ عليه الصلاة والسلام :

« من قطع ميراثا فرضه الله سبحانه وتعالى قطع الله ميراثه من الجنة(٥) » وليس من شك أن فاعل هذا الإثم متشبه بأهل الجاهلية من العرب وغيرهم ، من الرومان وبعض قوانين الغرب الحديثة ، راضيا بها ، ومن تشبه بقوم فهو منهم .

مايؤخذ من الآية الكريمة :

١ ـ أن السبب فى الميراث القرابة .

٢ ـ عموم القرابة كيفما تصرف من قريب او بعيد .

٣ ـ تحذير الآباء من ظلم أبنائهم ، أو أخواتهم البنات .

٤ ـ تحرى الحلال الذى حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

والله ولى التوفيق ..

---

(٥) أخرجه سعيد بن منصور عن سليمان بن موسى مرسلا . راجع سنن سعيد بن منصور جـ ١ صـ ٩٦ تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى . دار الكتب العلمية ببيروت ـ ط الأولى ١٤٠٥ هـ .

تعدد الزوجات في الإسلام

والحكمة في هذا التعدد

للأستاذ/ محمد بركات السيد

من المعلوم ضرورة أن الشريعة الإسلامية اباحت تعدد الزوجات ووقفت به عند حد معين وهو الأربع بعد أن كان مطلقا لا يقف عند حد . وانها قيدت هذه الإباحة بشروط إذا روعيت تحققت المصلحة من هذا التعدد ، ولقد كان هذا التشريع مثار نقد وطعن على الشريعة من بعض الغربيين وممن تأثروا بأفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم من المسلمين ، فقالوا : إن الإسلام يعمل على تقويض دعائم الأسرة وإثارة الشحناء بين افرادها بإباحته تعدد الزوجات ـ متاثرين في ذلك بعاداتهم ومخالفتهم لكتابهم وغلوهم في تعظيم النساء وبما يسمعون ويعلمون من حال كثير من المسلمين الذين يتزوجون عدة زوجات لمجرد المتعة من غير تقيد بما قيد القرآن به جواز التعدد .

● نظرة في الماضي :

والواقع أن هذه مسألة من المسائل الاجتماعية الكبرى التى لا يكفى فيها النظر السطحى دون البحث في العوامل التى أدت إلى هذه الإباحة ـ ونحن إذا نظرنا إلى هذه العوامل وجدناها تتلخص فيما يأتى :

اولا : أنه بالبحث في تاريخ نشوء البشر والأمم القديمة نجد الرجل لا يكتفى بامرأة واحدة وكانت النساء ولاتزال في القبائل البدائية حقا مشاعا بلا عدد للرجال وكانت الأم فيما مضى هى رئيسة البيت لأن الأب كان في الغالب غير معين . ولما تقدم الإنسان أخذ يشعر بضرر هذا الشيوع والاختلاط ويميل إلى الاختصاص فكان أول اختصاص في القبيلة أن يكون نساؤها لرجالها دون رجال قبيلة أخرى ، ـ ولدى بنى إسرائيل شىء من ذلك ـ ومازالوا يرفضون حتى اختص الرجل الواحد بعدة نساء من غير تقيد بعدد معين .

● دور الأب :

وبهذا انتقل تاريخ الأسرة إلى دور جديد أصبح الأب فيه عمود النسب وأساس البيت ، ولم يكن هذا التعدد مقصورا على العرب بل كان منتشراً في العالم ، فالعبرانيون كان يجرون عليه والأثينيون كانوا يفاخرون به ومثلهم الفارسيون والبابليون ، كان التعدد شائعا بينهم وقد حاول بعض البابليين تقييده بعدد معين ولكن لم تنجح المحاولة ، بقى التعدد مطلقا غير مقيد .

● مصــــر :

ولم يعرف التاريخ القديم إلا أمة واحدة هى التى كانت نظمها تمنع التعدد وهى مصر ، ويقول بعض المؤرخين إن نظام وحدة الزوجة سرى إلى الأوروبيين من مصر ، فإنه لم يعرف فى أوروبا إلا بعد دخول اليونان مصر واطلاعهم على حال قدماء المصريين فى حياتهم الزوجية والمعاملة بين الزوجين ، وهو قول ليس ببعيد عن الصدق ، لأن الأوروبيين تعلموا كثيراً من الأمور الحسنة فى مصر بعد دخول الاسكندر، إذ اختلطوا بالمصريين ورأوا ما لم يروا فى بلادهم من الأحكام والشرائع والنظم فنقلوا إلى بلادهم ما رأوه حسنا وليس لديهم نظير عندهم(1) .

ولما انتقل إلى أوروبا نظام الزوجة الواحدة وأخذ به الأوروبيون وقيد القانون الرومانى الزواج به اتسعت له الشرائع التى عاصرت هذا القانون فى أوروبا فنهى رجال الدين من اليهود عن التعدد ليتمكن الرجل من الانفاق لا لأن الشريعة تحرمه ، وارتضى رجال الكنيسة نظام الواحدة شرعا كنسيا وإن لم ينص فى الأناجيل الأربعة على منع التعدد ، ولكنه من آثار الآباء وتقاليد الكنيسة ، ولدى القوم أن ما اختطه الآباء له قوة المنصوص عليه .

● الإســـلام :

جاء الإسلام وظهر نوره فى الشرق فسلك مسلكا وسطا بين المبيحين إباحة مطلقة وبين المانعين منعا مطلقا ، فأباح تعدد الزوجات ووقف به عند عدد معين ، وقيده بقيود تتحقق بمراعاتها المصلحة من التعدد . ولاشك أن هذا المسلك الوسط هو الذى يتفق ومصلحة البشر لكل الأجناس والأجيال فى كل الأزمنة والأمكنة .

والشريعة التى يكون لها هذا الجواز لها من السعة والمرونة ما يرضى المعتدل ويهذب مزاج الحاد .

ثانيا : إن من الناس من يغلب عليه سلطان الشهوة فلا تندفع حاجته بزوجة واحدة فلو سددنا عليه باب التعدد لفتح لنفسه باب الزنا واتخاذ الخليلات بدل الحليلات فتنتهك الأعراض وتضيع الأنساب ويوجد الأولاد الذين لا آباء لهم و لاعائل يعولهم ـ وذلك شر عظيم ، لا يرضاه الإسلام ، وأن رضى به نساء الغرب وفضلت الزوجة الخليلة على حليلة تشاركها زوجها ، والإسلام فوق رغبات النساء بل والرجال معا لأنه يشرع للمصلحة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

وإن من يتأمل الشرائع الوضعية التى لا تبيح تعدد الزوجات يجدها اضطرت إلى قبول ما هو شر منه وهو الاعتراف بمشروعية العلاقات الآثمة بين الجنسين وبمشروعية الوساطة فى هذه العلاقات ـ ثم انتهى أمر هذه الشرائع بقبول تعدد الزوجات ولكن تحت ستار المخادنة ، والرجل فى المخادنة لا يتقيد حيال المرأة بأى حق من الحقوق ، فتكون عرضة للطرد هى وأولادها فى أى وقت شاء دون حق لها عند الرجل الذى قد يكون عاشرها سنين عديدة . يقول شوبنهور الفيلسوف : «ولقد أصاب الشرقيون مرة أخرى فى تقديرهم لمبدأ تعدد الزوجات . لأنه مبدأ تحتمه وتبرره الإنسانية . والعجب أن الأوروبيين فى الوقت الذى يستنكرون فيه المبدأ يتبعونه عمليا .

←

---

(1) للاستاذ على جلال الحسينى بحث فى هذا الموضوع هو محاسن آثار الأولين فيما للنساء وما عليهن فى قوانين قدماء المصريين .

تعدد الزوجات فى الإسلام

فما أحسب أن بينهم من ينفذ مبدأ الزوجة الواحدة على وجهه الصحيح» .

ثالثا : إن التعدد قد يكون علاجا اجتماعيا لنقص يعرض للأمة فى رجالها وخاصة فى أعقاب الحروب فقد شاهدنا حربين عالميتين أفنت كل منهما ملايين الرجال - فإذا لم يبح للرجل أن يعول بالزواج أكثر من واحدة بقى عدد هائل من النساء بدون عائل يقوم بشئونهن ومن غير زوج يحصن نفوسهن فيكن عالة على المجتمع وشرا على الأمة .

ولقد نادت كثيرات من كاتبات الغرب بتعدد الزوجات حتى يكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال .

ونقل السيد رشيد رضا طائفة من أقوال الكاتبات فى تفسير المنار جـ ٤ - ص ٣٦٠ ولا مانع هنا من ذكر بعض مما جاء فيه :

قالت كاتبة فاضلة - لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن أسباب ذلك . وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا - وماذا عسى يفيدهن بثى وحزنى وتوجعى وتفجعى وإن شاركنى الناس فيه جميعا ؟ لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع هذه الحالة السيئة - ولله در العالم الفاضل «تومس» فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الشافى وهو إباحة التزوج بأكثر من واحدة . وبهذه الإباحة يزول البلاء لا محالة - وتصبح بناتنا ربات بيوت فالبلاء كل البلاء فى إجبار الرجل الأوروبى على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال . ولابد من تفاقم الشر إذا لم يبح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين الذين أصبحوا كلا وعالة وعارا على المجتمع الإنسانى ؟

فلو كان تعدد الزوجات مباحا لما حاق بأولئك الأولاد وبأمهاتهم ماهم فيه من العذاب الهون ولسلم عرضهن وعرض أولادهن - فإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . ألم تروا أن حال خلقتها تنادى بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأما لأولاد شرعيين .

ونشرت الكاتبة (مس أن رود) مقالة فى جريدة «الايسترن ميل» فى العدد الصادر فى ١٠ مايو سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتى : لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خدما أو كالخدم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المصانع حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . الا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة .

رابعا : إن المرأة قد لا توافق طباعها طباع زوجها - أو تكون عقيما لا تلد أو تصاب بمرض يحول بينها وبين الحياة الزوجية الصحيحة - وتقوم ظروف يحرص الرجل فيها على هذه المرأة ولا يود فراقها - فمن لطف الله بعباده ورحمته بهم أن أباح لهم فى هذه الحال التزوج بأخرى للخلاص من هذا الحرج - حتى لا يلجأوا إلى سلوك طريق آخر .

التعدد للرجال فقط :

وإنما أبيح التعدد للرجال دون النساء لحكمة عالية ومصلحة اجتماعية كبيرة - ذلك أنه لو أبيح للمرأة أن تكون عند زوجين فأكثر لضاعت

الأنساب واشتدت الفتنة بين الرجال وساء حال المرأة التى يتنافس فيها الشركاء المتشاكسون، وفقدت الدليل الذى يثبت أبوة الأبناء.

السر فى الاقتصار على الاربع :

والسر فى الاقتصار على الأربع أن للزوجة حقوقا على الرجل اقتضاها عقد الزواج إذا قصر فيها كان مؤاخذا أمام الله - فإن شارك الزوجة غيرها وجب على الزوج أن يعدل بينهما، وهذا العدد أقرب إلى تحقق العدل مما لو زاد على ذلك، وفى ذلك رحمة بالضرة إذ جعل غاية انقطاع زوجها عنها ثلاثة ثم يعود إليها.

قد يقال : إن التعدد يؤدى إلى فساد الأسرة : لأن العداوة بين الضرائر لا تنقطع. ولها أسوأ النتائج فى حل الروابط بين أفراد الأسرة.

ولأن أولاد الرجل الواحد من أمهات شتى ينشأون متباعدين متباغضين ولأن الرجل فى الغالب لا يستطيع العدل بين الزوجات فتكثر الخصومات والمنازعات ! نقول: إن الشريعة لم تجعل التعدد واجبا ولا مستحبا وإنما أباحته لبعض الحاجات والضرورات اللازمة للطبيعة البشرية فهو تشريع يلجأ إليه عند الحاجة الملحة كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم حيث قيد إباحة التعدد بالقدرة على إقامة العدل بين الزوجات فمن خاف ألا يعدل بينهن فلا يباح له إلا واحدة.

وليس يضير الإسلام أن بعض المسلمين أساء استعمال هذا الحق ولم يطبق قواعده فذاك شأن البشر فى كل زمان ومكان، أكثرهم يمرقون من القيم والقانون.

وجملة القول أن الإسلام أتى فى هذا الأمر بالكمال الذى لا كمال بعده.

محمد بركات السيد

مجلة الأزهر :

لا يقال : إن الإمام محمد عبده - رحمه الله - كان من أنصار تقييد التعدد تطبيقا لشروطه، فإنا نقول : كم من عالم فاضل وشيخ جليل نادى بفكرة عن طيب قصد وحسن نية التوى بعده بها أقوام وخرجوا بها عن مقصدها وجلبوا بها على مجتمع المسلمين التعاسة، وصاحب الفكر برىء من شرهم عار عن نزواتهم، والله من وراء القصد.

عمر بن عبد العزيز

حياته - خلافته

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

نسبه وولادته :

لم يتفق الباحثون على شيء قدر ما اتفقوا على ان عمر بن عبدالعزيز قد كان صنواً لجده لأمه عمر بن الخطاب . فقد كان يشبهه في زهده ونسكه . وكان يشبهه في عمله وخلقه ، وكان يرى في العدل مثل ما يراه فيه الفاروق . وهو انه أساس الملك وعماد الحكم ودعامة الاستقرار والأمن .

ولا خلاف بين النسابين وكتاب السير في أن عمر بن عبدالعزيز قد كان اموياً[1] من جهة ابيه . وكان عدوياً من جهة امه فهو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية وامه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن عدى .

تزوج ثلاث نسوة وهن : لميس بنت علي ، وفاطمة بنت عبدالملك ، وأم عثمان بنت شعيب وأنجب ثلاثة عشر ذكراً وثلاث بنات غير أن هؤلاء الابناء جميعاً لم يكونوا من نسائه الحرائر ، وإنما كان بعضهم كذلك ، وكان البعض الآخر وهو الاكثر من (أمهات أولاد) . ومهما يكن من شيء فإن المؤرخين قد اختلفوا في مكان ولادة عمر . أهو مصر[2] أم المدينة[3] . وفي زمانه أهو التاسع والخمسون من الهجرة أم هو العام المكمل للستين أم الحادي والستون أم العام الذي يليه او الذي يليه . والذي ينعم النظر في هذه الأقوال كافة يتبين له أن ولادته قد كانت في المدينة . لأن أباه لم تسند إليه ولاية مصر إلا في العام الخامس والستين للهجرة . أما زمن الولادة فهو العام الحادي والستون وهو العام الذي استشهد فيه الحسين بن علي ـ رضي الله عنه .

وقد تضاربت الأقوال في نشأته ـ رضي الله عنه ـ فقيل : إنها كانت في المدينة ، وقيل : إنها كانت في مصر ، ومن الرواة من لا يقر هذا ولا ذاك ويرى أنها كانت في الشام . ولا تعارض عندي بين هذه الأقوال ، فإن عمر قد بقي في المدينة بعد ولادته زماناً في حجر خاله عبدالله بن

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى (ط بيروت) ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م ، ٥/٣٣٠ ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) مشاهير علماء الأمصار (ط القاهرة) ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م ص ١٨٧ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣٢٢ ، تحقيق اكرم ضياء العمري (ط بيروت) ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ م .

(٣) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز / ص ٢٠ (ط دمشق) ١٣٧٣ ـ ١٩٥٤ م ص ١٩ ـ ٢٠ .

عمر بن الخطاب . وبعد رحيل أمه ليلى بنت عاصم إلى زوجها عبدالعزيز بن مروان في مصر وبعد فترة غير طويلة ذهب عمر إلى مصر للسلام عليه . فأقام عنده ماشاء الله أن يقيم ، ثم أرسل إلى الشام . حيث قصبة ملك آبائه وأجداده بني امية ، ولما أراد أبوه العودة به إلى مصر : قال له : ياأبت أو غير ذلك لعله يكون انفع لي ولك ؟

قال : وما هو ؟

قال : ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم . فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة وأرسل معه الخدام[٤] . وجاء في إحدى الروايات أن عبدالملك خصص له راتباً شهرياً قدره ألف دينار[٥]

حياته العلمية :

كان عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ ذا ذكاء حاد وذهن متوقد فلم يكد يلقى عصاه في المدينة حتى أتم حفظ القرآن وهو طفل ناعم الأظفار . ثم راح يختلف إلى علماء قريش ويدع شبابها ، وقد كانت المدينة آنذاك مجمع العلماء وملتقى الفقهاء ومهوى الأدباء والشعراء ، فأكب على كل فريق ينهل من علمه ويغترف من ثقافته حتى بلغ المدى وأدرك الغاية ، وقد اختار له أبوه صالح بن كيسان[٦] وهو أحد أئمة الحديث في عصره وفوض إليه أمر تأديبه وتهذيبه وكان نعم المعين له على تحقيق المهمة التي وضعها على عاتقه .

تأخر عمر يوماً عن الصلاة في الجماعة فقال له صالح بن كيسان : ما الذي أخرك ؟ قال : كانت مرجلتي تسكن شعري ! قال له : تقدم ذلك على الصلاة ؟! وكتب إلى أبيه في مصر فبعث إليه رسولاً . فلم يكلمه حتى حلق رأسه . وكان عمر شديد الطاعة لمن يجلس إليهم من العلماء . سمع عبيدالله بن عبدالله ـ وكان أحد أساتذة عمر ـ أنه يعيب عليَّ بن أبي طالب[٧] فسأل عنه . فعلم أنه يصلي . فانتظره حتى فرغ ، وقال له : يا عمر ، متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ . ففهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك والله لا أعود .

قال الرواة : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . ولم يكن صالح بن كيسان ولا عبيدالله بن عبدالله هما اللذان كانا يجلس إليهما عمر في المدينة فقد كان يجلس إلى فقهائها السبعة وهم :

سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبدالرحمن وعبيدالله بن عبدالله ، وخارجة بن زيد ، وسلمان بن يسار ، والقاسم بن محمد وغيرهم كثير ومنهم على سبيل المثال :

عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن جعفر ، والسائب بن يزيد ، وأنس بن مالك ، ويوسف بن عبدالله .

ومن كان هؤلاء هم بعض أساتذته كان جديراً أن يجلس على أريكة العلم ويأخذ صولجان المعرفة . ويكون بين أقرانه كالشمس بين الكواكب . وهذا هو ما كان فقد حذق عمر علوم اللغة وعلوم الدين وقرض الشعر وعرف أيام العرب وشهد له مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما ممن انتهت إليهم الصدارة في الفقه والإمامة في العلم على كر الدهور ومر العصور .

قال عمر : لقد رأيتني وأنا في المدينة غلاماً من الغلمان . ثم تاقت نفسي إلى العلم إلى العربية فالشعر فأصبت منه حاجتي[٨] .

←

(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ مكتبة المعارف جـ ١٩٣/٩ .
(٥) عبد الرحمن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز (ط المؤيد) ١٣٣١ ص ٢٠ ـ ٢١ . مصر .
(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) مجلد ١٣/ورقة ١٣٢ هـ .
(٧) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ١٩٣/٩ .
(٨) عبد الرحمن الجوزى ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ١٣٣١ م ط . مصر .

عمر بن عبد العزيز

وقد عرف الناس عنه ذلك فكانوا يسألونه فيما يعرض لهم وكانوا يستفتونه فيما يشكل عليهم، وكانوا يطمئنون إلى جوابه ويستريحون إلى علمه.

على مسرح السياسة:

وكما بز عمر أقرانه في العلم فقد بزهم كذلك في السياسة والحكم فقد ولاه عمه عبدالملك «خناصرة»[9]. وهي بليدة من أعمال «حلب» تحاذي «قنسرين» نحو البادية، وكان ذلك في العام الخامس والثمانين وقد بقي والياً عليها حتى توفي عبدالملك؛ ولأن هذه الولاية لم تكن ذات شأن. فإن المؤرخين لم يسجلوا من أعمال عمر فيها شيئاً. هذه حقيقة.

وحقيقة ثانية: وهي أن الفترة التي قضاها فيها عمر قد كانت صغيرة جداً فلم تتح له الفرصة لإظهار كفاءته وحسن إدارته، وعلى كل حال فإن الوليد قد نسج على منوال أبيه عبدالملك في حبه لعمر وإيثاره إياه ففي العام السادس والثمانين للهجرة أو العام الذي يليه، وفي شهر ربيع الأول أسند «الوليد» ولاية المدينة[10] إلى عمر وضم إليها بعد ذلك مكة والطائف، فاجتمع له إقليم الحجاز كله، وقد كان على المدينة قبل إسنادها إلى عمر، هشام بن إسماعيل المخزومي، ولأنه كان أحد الحكام الجائرين، فإن عمر بن عبدالعزيز لم يغادر دمشق إلى ولايته الجديدة إلا بعد أن طلب من «الوليد» الا يحاسبه حساب من قبله وأن يُؤَمره على موسم الحج، وقد استجاب الخليفة للأمرين معاً، واقبل عمر إلى المدينة، وقد حمل أمتعته على ثلاثين بعيراً، ونزل دار جده مروان، وبعد صلاة الظهر دعا عشرة ممن انتهى إليهم العلم في المدينة. وهم: عروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبدالرحمن، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة، وخارجة بن زيد، وعبدالله بن عبدالله بن عمر، وسالم بن عبدالله بن عمر، وسلمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وعبدالله بن عامر بن ربيعة. وخطب فيهم قائلاً: «إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه. وتكونون فيه أعواناً على الحق. ما أريد أن أقطع أمراً إلا برايكم. أو براي من حضر منكم. فإن رأيتم أحداً يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرج بالله على أحد بلغه ذلك إلا ابلغني»[11] فأثنى عليه القوم وغادروا مجلسه إلى بيوتهم..

وقد صدق عمر ما عاهد الفقهاء عليه: فكان يشاورهم، وكان لا يقطع أمراً دون رأيهم. فساد العدل وانجاب الجور وعاش أهل المدينة الأعوام السبعة التي حكمها عمر عيشة وادعة آمنة أعاد فيها الرجل بناء مسجد[12] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووسعه وأخذ على أيدي الغواة والمفسدين. ولم يكن يؤخذ عليه - رضى الله عنه - غير تبختره في مشيته وتغاليه في ثيابه وطيبه حتى إن الجواري كن ينظرن إليه وهو يمشي فيقلدنه وحتى إنه كان يعرض عليه الثوب بسبعمائة درهم فيستخشنه، وحتى إن الناس كانوا يغسلون ثيابهم حيث يغسل فينالها من المسك والطيب[13] ما تظل رائحته إلى أوقات طويلة وقد أفاض ابن سعد وصاحب البداية والنهاية وغيرهما فيما كان عليه عمر قبل الخلافة من الترف فليرجع إليهم من يشاء.

---

(9) ياقوت. معجم البلدان ٢/٢٩٠.

(10) أبو زرعة الدمشقي. تاريخ ١/٥١٨ - ٥١٩. الطبرى - تاريخ ٦/٤٢٧.

(11) ابن الأثير - الكامل ٤/٥٢٦.

(12) الطبرى: تاريخ ٦/٤٣٥، احمد بن إسحاق بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤) تاريخ اليعقوبي (ط بيروت).

(13) ابن سعد - الطبقات الكبرى، ص ٣٢٢ جـ ٥ وما بعده.

ويظهر أن رفق عمر وحسن معاملته لرعيته جعلت الناس يقبلون إلى الحجاز ليتفيأوا ظل عدالته وينشقوا عبير إنصافه وحدبه غير أن حكم عمر للمدينة لم يتجاوز العام الثالث والتسعين للهجرة . والسبب في هذا هو أن عمر كتب إلى الوليد[١٤] بن عبدالملك يشكو إليه ظلم الحجاج لرعيته وقسوته على من تحت سلطانه ، وعلم الحجاج ذلك فاطغن على عمر وكتب إلى الخليفة يقول : « إن من قبلي من مُرَّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا إلى المدينة ومكة ، وإن ذلك وهن » فكتب إليه الوليد : « أن أشر عليّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبدالله » . فولى الأول على المدينة ، وولى الثاني على مكة .

وهكذا عزل عمر بن عبدالعزيز وأرخى الستار على نشاطه السياسي حتى تربع على كرسي الخلافة في العام التاسع والتسعين من الهجرة ، ولما حمل أمتعته وغادر المدينة ولى وجهه شطرها وبكى وقال : يا مزاحم[١٥] أخشى أن أكون ممن نفتهم المدينة ، فإنها تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد . فطمأن مزاحم قلب عمر وقال له : ألا تنظر إلى القمر ؟ ما أحسن استواءه في هذه الليلة . فنظر عمر فإذا القمر بالدبران فقال : كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالدبران : يا مزاحم ، إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار » . ومضى الرجل ومولاه حتى بلغوا أرض الشام حيث أبناء عمه عبدالملك ، ويظهر أن العلاقة لم تكن على ما يرام بين الوليد بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز بعد عزله إياه عن الحجاز والدليل على هذا مارواه عمر نفسه : قال : بعث إلى[١٦] الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو عابس ، فأشار إلى أن أجلس ، فجلست فقال : ما تقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل ؟ فسكت ثم عاد فسكت . ثم عاد فقلت : أقتل ياأمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، فقلت : ينكل به ، فغضب وانصرف إلى أهله ، وقال لي ابن الريان السياف : اذهب ، قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه .

وعلى عكس ما كانت عليه هذه العلاقة تماماً . كانت العلاقة بينه وبين أخيه سليمان في خلافته فقد كان يحب عمر ويشاوره ولا يقطع أمراً دونه حتى لقد كان من يرى انصياع سليمان له ونزوله على رأيه يخيل إليه أن الخلافة خلافة عمر وليست خلافة سليمان ، ومرجع هذا فيما أرى إلى أسباب أهمها اطمئنان سليمان إلى صلاح عمر وتقواه وإبائه على الوليد إخراج سليمان من ولاية العهد وإسنادها إلى ولده .

في خلافته ..

ولما دنا أجل سليمان لبس ثياباً خضراً من خز ونظر في المرآة وقال : أنا والله الملك الشاب[١٧] . وخرج فصلى بالناس صلاة الجمعة . فلم يرجع حتى وعك فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابن أيوب ، وهو غلام لم يبلغ : فقال له رجاء بن حيوة - وكان له بمنزلة الوزير : ما تصنع ياأمير المؤمنين ، إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح . وإن أيوب غلام لم يبلغ الحلم بعد . فاستشاره في داود بن سليمان ، فقال له : هو غائب بقسطنطينية وأنت لا تدري أحيٌّ هو أم ميت ، قال : يارجاء فمن ترى قلت : رأيك ياأمير المؤمنين . فاستشاره[١٨]

←

---

(١٤) الطبرى - تاريخ ٤٨١/٦ - ٤٨٢ ، ابن الأثير - الكامل ٥٧٧/٤ .

(١٥) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك وأصحابه - ص ١٧ - المكتبة العربية بدمشق .

(١٦) ابن كثير - البداية والنهاية ١٩٥/٩ .

(١٧) ابن سعد - الطبقات الكبرى ٣٣٥/٥ - ٣٣٨ ، الطبرى - تاريخ ١٢٨/٨ . ط دار القلم بيروت .

(١٨) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ١٢٨/٨ .

في عمر بن عبدالعزيز فأثنى عليه وأطرى دينه وخلقه ، ووافق سليمان رجاء على رأيه في عمر . غير انه رأى إن هو عهد إليه وحده : الا يتركه ابناء عبدالملك حتى ينتزع الملك منه ، وهداه الله إلى استخلاف عمر على أن يكون يزيد بن عبدالملك ولى عهده وكتب سليمان عهده وجمع اهل بيته فأخذ بيعتهم على ما جاء في كتابه ومات سليمان وقبل أن يعلن رجاء نبأ وفاته . أخر الكتاب . وأخذ البيعة عليه من أبناء عبدالملك وغيرهم من بنى أمية ثم أعلن النبأ وفتح الكتاب فاعترض هشام بن عبدالملك[19] وأبى أن يبايع لعمر لولا أن رجاء هدده بضرب عنقه إذا هو لم يبايع فقام يتعثر فى ثيابه وبايع ابن عبد العزيز وجاء فى حديث رجاء بن حيوه : « أن عمر رضى الله عنه طلب منه أن يصرف سليمان عن العهد إليه إذا هو أراد ذلك او أن يطلعه على من جاء فى الكتاب حتى يعتذر للخليفة ، إذا كان قد اختاره . ولكن رجاء لم يكشف له عن هذا السر ولا لهشام الذى كان شديد الطمع فى الخلافة حتى غادر سليمان هذه الحياة ، ولما تمت بيعة عمر جاءوه بمراكب الخلافة فأباها[20] واصر أن يركب بغلته التى كان يركبها قبل أن يفضى إليه الأمر وقد اعتلى - رضى الله عنه - المنبر وخطب المسلمين خطبة جاء فيها :

« اما[21] بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبى ، ولا بعد الكتاب الذى انزل عليه كتاب ، الا إن ما احل الله حلال إلى يوم القيامة ،وما حرم الله حرام إلى يوم القيامة ، الا إنى لست بقاض ولكنى منفذ ، الا إنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، الا إنه ليس لأحد ان يطاع فى معصية الله ، الا إنى لست بخيركم ولكنى رجل منكم غير ان الله جعلنى اثقلكم حملاً » .

والذى يتعم النظر فى هذه الخطبة يلاحظ :

ان عمر - رضى الله عنه - قد أعلن تمسكه بكتاب الله تعالى وسنة نبيه .

وانه ملتزم بتطبيقها بالقول والعمل .

وانه لا طاعة لمن يعصى الله ورسوله ويتعدى حدودهما .

وقد وافى الرجل بكل ما عهد الله والناس عليه ؛ فعزل حكام الجور واختار من العمال من كان شعاره التقوى ودثاره الله والدار الآخرة ، ورفع المظالم[22] عن الناس وبدأ فى ذلك بنفسه واهله والبيت الأموى كافة وأزال الجزية عمن كانت تؤخذ منهم من اهل الذمة الذين دخلوا فى الإسلام فى عهد الحجاج وغيره . وكتب كتبه وأرسل دعاته لنشر الإسلام وشرح تعاليمه ومبادئه ، وكان نعم المثل الأعلى والأسوة الحسنة والقدوة الصالحة فارتفعت فى عهده الوية العدالة وعلت كلمة الحق وسادة الجزية والمساواة فلم يهضم ضعيفاً لضعفه ولم ينصر قوياً لقوته .. وإنما كان الناس فى خلافته سواء أمام شريعة الله وقانونه المنزل من فوق سبع سماوات .

ولما كان رفع الجور وإحقاق الحق قد ألقى على الدولة أعباء مالية ضخمة ؛ فقد كتب إليه أحد عماله يخوفه العاقبة ويطلب منه أن يسير فى المال سيرة من سبقوه . فكتب إليه رضى الله عنه يقول له : قبح الله رأيك فإن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً .

وجاء فى إحدى الروايات : ان عمر أراد أن

---

(١٩) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك . ٨/١٣٠ .

(٢٠) المرجع السابق ٨/١٣٠ .

(٢١) ابن سعد - الطبقات الكبرى ٥/٢٤٠ ، ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ٣٥ - ٣٦ ، ابن الجوزى ، سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٣ - ٥٤ ، ٥٦ .

(٢٢) ابن عبد الحكم - سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٣١ - ٣٢ ، خليفة بن خياط : تاريخ ص ٣١٨ .

يوزع الزكاة فى أحد الاعوام فلم يجد من الرعية من يستحقها ، وهكذا يزول الفقر وينتشر الخير إذا صفت قلوب الناس واشتد عطف بعضهم على بعض وإنما يكون ذلك إذا عدل الحاكم وصلح الراعي وطبق الدين الحق من غير أثرة ولا ظلم ولا محاباة .

والدليل على حَدَب عمر على رعيته وإحساسه بهم وحرصه على رخائهم وأمنهم هذه الخطبة وكانت آخر خطبة له .

« أيها[٢٣] الناس الحقوا ببلادكم فإنى أنكركم فى بلادكم وانساكم عندي ، الا وإني قد استعملت عليكم رجالاً لا اقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هم شر منهم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي ، والله لئن منعت هذا المال نفسي واهلي ثم بخلت به عليكم إني إذن لضنين ، والله لولا أن انعش سنه أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً » .

وإن ينس التاريخ فلا ينس أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قد كرم آل بيت النبى ﷺ ورفع الظلم عنهم وأعاد إليهم حقوقهم وأبطل سب على[٢٤] ـ رضى الله عنه ـ على أعواد المنابر ، وكان الخطباء قد أكثروا منه حتى صار عادة يتمرن عليها الصغير ويشب الكبير حتى لقد قيل : إنه لما توجه إلى عماله بذلك قال الناس إنه قد أحيا البدعة وأمات السنة ، وقد شاء الله ألا يعمر هذا الخليفة الصالح طويلاً فقد اشتكى لهلال رجب من السنة الحادية بعد المائة من الهجرة ولقى ربه بعد عشرين يوماً من بدء مرضه ، وله من العمر تسع وثلاثون[٢٥] سنة وأشهر ، وقد سمع عند موته وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، وقد سئل رضى الله عنه أن يوصى بأهله من يرعاهم ويقوم على امرهم فتلا قوله تعالى ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ .

وسألته امرأته فاطمة بنت عبد الملك عن سبب مرضه فذكر أنه الخوف من الله والخشية من عذابه ولم ينس رضى الله عنه رعيته وهو فى سكرات الموت : فقد كتب إلى ولى عهده والخليفة من بعده يزيد بن عبد الملك يقول « سلام عليك ، اما بعد فإنى لا أراني إلا لما بى ولا أرى الأمر إلا سيفضى إليك ، والله الله فى أمة محمد النبي ﷺ ، فتدع الدنيا لمن لا يحمدك وتفضى إلى من لا يعذرك ، والسلام عليكم »[٢٦] .

رحم الله عمر بن عبد العزيز وأثابه عن المسلمين ثواب من حكم فعدل وعهد فصدق ووضع ربه نصب عينيه حتى أتاه اليقين .

---

(٢٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٣٤٣/٥ ، ٣٤٤ .
(٢٤) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٣٩٢/٥ ، ٣٩٣ .
(٢٥) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٤٠٧/٥ ، ٤٠٨ .
(٢٦) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ٤٠٧/٥ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ٢١٠/٩ .

أضواء على رحلات اليهود من الشرق

للدكتور محمد حسن عبد الخالق

يرجع بعض المؤرخين أصل اليهود الشرقيين (السفارد)* إلى يهود بابل الذين انتشروا في البلاد الآسيوية والأفريقية ، ومع أن انتشارهم قد تم ببطء وبأعداد قليلة إلا انهم انتشروا شرقا عبر وسط وجنوب آسيا حتى بلغوا شرق الصين ، اما انتشارهم غربا فقد كان عبر شمال افريقيا حتى وصلوا المغرب ومنها إلى أسبانيا ، وهناك من يرجع وجود اليهود في أسبانيا إلى أيام الملك سليمان[1] أى منذ القرن التاسع قبل الميلاد .**

في حين يرى البعض الآخر أن وصولهم إلى أسبانيا قد تم عن طريق اختلاطهم بالفينيقيين ، وكما هو معروف فإن الشعب الفينيقي كان شعبا تجاريا بحريا يقيم في كثير من مدنه الفينيقية ، وعندما وصل إلى أسبانيا سكن بعض اليهود الذين كانوا يرافقونهم في رحلاتهم فيها ، وبهذا ترجع إقامتهم في أسبانيا إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، وظلوا بها حتى جاء الرومان وتغلبوا على الفينيقيين وخاصة بعد انتصارهم على «هانيبال» الفينيقي وسقوط «قرطاجنة» واستيلاء الرومان عليها عام ١٤٦ م ، إلا أن اليهود لم يغادروها .

وأخذ عددهم يزداد على مر السنين بأسبانيا ، حتى أصبحت اسبانيا يسكنها اكبر جالية يهودية في أوروبا ، ويرجع إقبال اليهود على الهجرة إلى أسبانيا إلى أن ملوك القوط الوثنيين الذين حكموا أسبانيا قبل دخول المسيحية منحوهم حريات حرموا منها في البلاد الأخرى . وبدخول المسيحية اسبانيا تغيرت المعاملة بالنسبة لليهود وبدأت الاضطهادات ضدهم خصوصا بعد القرارات التى اتخذها المجلس الكنسى عام ٣٠٢ م ، والتى تجددت بعد اعتناق الملك «ريكاردو» المسيحية عام ٥٨٩ م بطليطلة[2] وقد عانى اليهود من الاضطهاد وسوء المعاملة وخاصة في عهد (فسيجوس) الذى قضى عليه

---

* كلمة (سفارد) تعنى أسبانى وشاع هذا اللفظ بعد طرد اليهود من أسبانيا عام ١٤٩٢ م ، واصبح يطلق على اليهود الشرقيين ووردت الكلمة فى سفر عوبديا ١ ـ ٢٠ .

** ويؤكد هذا طقوسهم الدينية التى نقلوها معهم ، والتى تعد استمرارا للتقاليد الدينية التى نشأت وتطورت فى بابل . راجع :

(Cecil Roth : The Concise Jewish Encyclopedia, 1980 , P, 478).

(1) Encyclopedia Judaica, Jerusalem, Vol. (14), 1978, P, 1164.

(٢) عبدالمجيد ، محمد بحر : اليهود فى الأندلس ـ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

نهائيا بفتح العرب لهذه البلاد عام ٧١١ م بقيادة طارق بن زياد .

ويعتبر العصر الإسلامى هو العصر الذهبى لليهود حيث مارسوا الديانة اليهودية فى سهولة ويسر ومزجوا ثقافتهم اليهودية بالثقافة العربية وظهر منهم الشعراء والأطباء والفلاسفة .

وقد ارتبطت حياة اليهود فى اسبانيا بالمراكز المسيحية عام ١١٤٨ م حيث تظاهروا باعتناقهم للمسيحية بسبب تعرضهم للاضطهاد الدينى ، لكنهم حافظوا على يهوديتهم ، وقاموا بالعبادات والطقوس الدينية سرا ، مارس اولادهم نفس الشىء(٣) .

وبعد طردهم من أسبانيا ١٩٤٢ تحول بعضهم إلى العقيدة المسيحية ، أما الذين تشبثوا بعقيدتهم اليهودية فقد هاجروا وتحركوا لبلاد شمال أفريقية وتركيا حيث فتحت هذه البلاد أبوابها لهم وسمحت لهم بالإقامة فيها ،وكانت نتيجة هذا الأمر «دياسبورا* السفارد» كما تسميه المصادر اليهودية .

ولم يكن يعنى اليهود فى تلك الفترة التطلع إلى فلسطين كوطن قومى لهم أكثر مما يعنيهم بالدرجة الأولى الإقامة مرة أخرى فى أسبانيا(٤) فقد حملوا معهم اللغة الأسبانية ورددوا الأغانى الشعبية الأسبانية فى المناطق التى استوطنوها على طول ساحل شمال أفريقيا وخاصة مراكش كما هاجرت مجموعات منهم إلى مصر وفلسطين وسوريا ، وكذلك البلقان والأقاليم المركزية للامبراطورية العثمانية ، وأقاموا مجتمعات فى أماكن عدة مثل سالونيك والقسطنطينية وغيرهما .

وبمرور الزمن اندمجوا مع اليهود الذين جاءوا من أماكن أخرى حيث تعلموا لغتهم وعاداتهم وطقوسهم وأصبحوا جزءا من المجتمع السفاردى كما كوَّن (المارانيون) مجتمعات سفاردية فى أمستردام ولندن وهامبورج وغيرها وأماكن أخرى فى أوروبا وجزر الهند الغربية وأمريكا(٥) .

وأقامت طائفة سفاردية مستقلة فى القدس عام ١٥٠٩ م أيام الحكم التركى حيث بلغ عددها عند بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر حوالى ٢٠٠٠ نسمة لأن الهجرة اليهودية السفاردية كانت قد توقفت ، بمعنى أنه لم تكن هناك هجرات منتظمة شأنها شأن الطائفة الاشكنارية(٦) .

وكان السفارديم فى اقطار البحر المتوسط يفضلون العيش فى عزلة عن بقية الطوائف الأخرى ويتحدثون «اللادينو»* التى كتبوا بها أدبهم . أما المركز الثقافى لحياة السفارديم حتى العصر الحديث فكان فى إقليم «سالونيك» إلى أن دمر على يد النازية ١٩٤٣ م(٧) .

وقد رأى يهود أسبانيا فى أنفسهم أنهم أصحاب مكانة محترمة تعلو على طوائف اليهود السفارد الأخرى(٨) ، حيث كانت لهم الافضلية على بقية أبناء الطوائف الأخرى فى تأليف الأغانى والمقالات المنمقة(٩) .

كما أخذ اليهود السفارد فى التحدث عن

---

(3) Encyclopedia Judaica, P, 1164.

● أى تشتت اليهود السفارد وأهم يهود الشرق .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦٥ .

(5) Roth Cecil : The Stqndard Jewish Encyclopedia, Garden City, New Yorkm 1959, P, 1685.

(٦) دائرة المعارف العبرية (هانسيكلوبديا هعفريت) ـ تل أبيب ١٩٤٩ ، ص ٤١٠ .

● اللادينو وهى عبرية غير خالصة .

(7) Roth Cecil : 1686.

(٨) شاطل . ابراهام : توترات طائفية فى شعب إسرائيل (متحيم بين عدتيم بعم يسرائيل) دار نشر من هموفيد ، عم عوفيد ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ .

(٩) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٤ .

أضواء على رحلات اليهود

أصولهم التاريخية التى تدعم ارتقاءهم على أبناء الطوائف الأخرى ، وأسسوا طوائف خاصة بهم ولم يختلطوا (بالاشكناز) ، أو يسمحوا لهم بالاقتراب من طوائفهم ، وتطلعوا إليهم من أعلى كأصحاب نسب رفيع .

وقد عكست هذه العلاقة بتوالى الأجيال الفروق الثقافية والاجتماعية التى كانت قائمة ، فقد كان السفارد أكثر تضلعا فى اليهودية والعلوم الدينية وكان وضعهم الاقتصادى أسوأ بكثير من وضع الاشكناز(١٠) .

وفى الأماكن التى كانت فيها الطائفة السفاردية كبيرة وقوية ، جاهدت لرفض الاشكناز أو التغلب عليهم ، أما الأماكن التى كانت تضم أقلية فقد حاولت الحفاظ على وضعها واحترامها عن طريق العزلة(١١) .

وتحكم السفارد بعد كفاح فى عديد من طوائف اليهود فى بلاد الشرق ، وأصبحت الطوائف الكبيرة فى الامبراطورية العثمانية وأفريقيا الشمالية «سفاردية» طبقا لطريقة تنظيمها وعاداتها ، وأسلوب صلاتها ولغتها ، ونتيجة لذلك اندمجت طوائف محلية وسط السفارديم ، وانتشر خطأ تسمية كل يهودى غير اشكنازى باسم «سفاردى» حتى وإن كان من تونس أو من العراق ، رغم أن هؤلاء وإن كانوا يمارسون عاداتهم طبقا لأسلوب السفارديم – إلا أنهم ليسوا منهم . وفى أماكن كالقسطنطينية ، وسالونيك والقدس ساد الأساس السفاردى فى العبادات واكتسب اليهود المحليون – أو حتى الذين وصلوا إلى هذه الأماكن بمرور السنين – لغة وعادات السفارديم وتحولوا إلى جزء منهم ، وفى أماكن أخرى ذاب السفارديم بين اليهود المحليين ولم تتحدث ذريتهم السفاردية اليهودية «اللادينو» مثلما حدث فى مصر وسوريا والمنطقة الشمالية من المغرب ، تلك التى كانت خاضعة للحكم الأسبانى لفترات مختلفة(١٢) .

وقد بدأ اليهود السفارد بكافة انتماءاتهم فى الهجرة إلى فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، تحت مسميات مختلفة مثل عملية «البساط السحرى» فى اليمن وعملية «عزرا ونحميا» فى العراق وعمليات الهجرة من المغرب وليبيا وبلاد أخرى فى شمال أفريقيا وهجرة اليهود الإيرانيين .

وحملت هذه الهجرات إلى فلسطين مليونا من السكان : أصحاء ومرضى ، أطفالا وشيوخا ، مبصرين ومكفوفين* وكانوا فى غالبيتهم يخضعون لتقاليد ومعايير دينية معينة ، وفى نفس الوقت محرومين من المهارات التكنولوچية المختلفة(١٣) التى كان يتميز بها اليهود الاشكناز مما أدى بعد ذلك وبمرور الوقت إلى وجود ازدواجية فى الوجود اليهودى تعتمد على الانتماء الحضارى حيث أصبح يهود الشرق فى المرتبة الثانية نتيجة لتخلفهم الثقافى والاجتماعى والاقتصادى عن يهود الغرب .

ولقد وجد مهاجرو الشرق أنفسهم أمام رجال غرباء عنهم لا يعرفون لغتهم ولا عاداتهم ، بعكس المهاجرين فى تلك الفترة من بلاد أوروبا حيث وجد هؤلاء المهاجرون وبسرعة لغة مشتركة

---

(١٠) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١١) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٩ .

(١٢) شاطل : المصدر السابق ، ص ١٦ .

* لم يتحقق ذلك للاشكنازيم ، حيث تمت هجرتهم بموجب اختبارات كثيرة أشرفت عليها القيادة الصهيونية بالتعاون مع الدول الامبريالية .

(١٣) الشامى ، رشاد عبدالله (دكتور) : الشخصية اليهودية الإسرائيلية ، والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآدب – الكويت ١٩٨٦ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

بينهم وهى «البيدش»[١٤]*

وترى هذا واضحا فى رواية «شلومو شوارتس» بعنوان «مكان ليس له اسم» ، حيث يصف فيها الحياة فى معسكرات الانتقال** ويتحدث عن أحد عمالها المدعو «صابر» وهو يحاول تحسين لغة «البيدش» التى سمعها من جدته كى يسهل عليه التعامل مع مهاجرى أوروبا .

ويقول مهاجر من العراق :

(وعندما أسمع لغة «البيدش» التى يرطنون بها يعترينى الاشمئزاز) ومن هنا التصق التعبير «فوس فوس» بالاشكنازى طبقا للنغمة البغيضة التى يتحدثون بها[١٥] .

وكان بعض هؤلاء المهاجرين أصحاب مهارات حرفية وتعليمية واسعة فى حين كان البعض الآخر يعوزه كل شيء ، فاليهود الذين وصلوا من مدن الشرق مثل بغداد ودمشق والقاهرة والأسكندرية ، كانوا أصحاب مهارات وقدرة على التكيف فى المجتمع اليهودى بالإضافة إلى وفرة الأموال لديهم ، إلا أنها قد تناقصت بمرور الوقت .

وهناك عدد من المهاجرين جاءوا من مناطق قروية وجبلية ، ومدن صغيرة حيث كان نظام الحياة بسيطا وبدائيا تقريبا ، وقد قابلتهم ظروف صعبة بعد هجرتهم إلى فلسطين بسبب بساطة حرفهم بالنسبة للحرف الأخرى التى حولهم[١٦] وجهلهم بالعبرية حيث كان ذلك عائقا أمام توليهم المناصب .

وهكذا وجد يهود الشرق أنفسهم أسفل السلم الاجتماعى[١٧] ، وإذا كان عدد منهم قد هاجر إلى فلسطين محاولة منه لحل مشاكله فإن هذه الهجرة قد غمستهم فى حياة الأقلية الطبقية[١٨] .

ويقول الفريد ليلينتال :

«إن اليهود الشرقيين الذين اقتنعوا بعد عام ١٩٤٨ بالهجرة إلى فلسطين سرعان ما وجدوا أنفسهم ضحايا التعصب . ومع أنهم أصبحوا يشكلون فى النهاية حوالى نصف مجموع سكان «فلسطين» إلا أن اليهود المسيطرين من أوروبا الشرقية والغربية يعتبرونهم فئة أدنى[١٩] .

وإذا نظرنا إلى أبناء وبنات المهاجرين من الدول العربية وأحيانا أحفادهم وجدنا الفقر متوارثا بينهم وكل جيل أفقر من الذى يليه حتى ليقول أحد المهاجرين : «وما شعورك عندما تسكن فى بيت تنقصه التدفئة بالإضافة إلى

البقية ص ٤٩٢

---

* البيدش : كانت فى أساسها اللغة الألمانية المستعملة فى القرون الوسطى بعد أن أدخلت عليها بعض المفردات العبرية وغيرها من المفردات الأجنبية وخرجت عن اللهجة الألمانية الأصلية وتكونت لها لهجات اختلفت باختلاف المناطق واللغات الأخرى المحيطة ، وتكتب هذه اللغة بالحروف العبرية لأن هذه الجماعات وهى من السلاف والجرمان اقتبست الدين اليهودى والكتابة العبرية معا ، إذ لم تكن لهم كتابة وقت اقتباسهم الدين اليهودى ، وقد جعل يهود بولونيا منها لغة أدبية ومع ذلك ظلت اللغة العبرية قائمة إلى جانب لغة البيدش

(١٤) شاطل : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

** اختاروا معسكرات الانتقال أو المعابر فى الأماكن التى تتوافر فيها فرص العمل فى ضواحى المدن ، وبعد عام من إنشائها ، بلغ عدد من فيها حوالى ربع مليون مهاجر . راجع .

Jewish Observer and Middle East Review, vol. (13), 1964, p, 23.

(١٥) شاطل : مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(١٦) مشاكل السفارديم فى إسرائيل (بعيوت هسفرديم بيسرائيل) الاتحاد العالمى للطوائف السفاردية ، الإدارة الإسرائيلية ، ١٩٧٦ ، ص ٦ .

(١٧) نفس المصدر ، ص ٧ .

(١٨) بيرس يوحنان : علاقات الطوائف فى إسرائيل (يحسى عيدوت بيسرائيل) ، دار نشر سفريت بوعليم وجامعة تل ابيب ، ١٩٧٦ ، ص ٥٢ .

(١٩) ليلنتال (الفريد) : ثمن إسرائيل ، ترجمة حبيب نحولى ، وياسر هوارى ، دار الآفاق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨١ ، ص ٦٠ .

الفتاوى

للشيخ على حامد

المصارعة وغيرها .. وكشف العورة

س : تنوعت الألعاب الرياضية ، ومنها المصارعة الحرة التى يسمح فيها بارتداء ملابس لا تستر العورة المخففة للرجال .. أعنى من السرة إلى الركبة . فما حكم الشرع الشريف فى هذا الشأن ؟

جـ : أما ما يتعلق بالمصارعة فإن الإسلام لا يقرها بين شخصين ولا بين حيوانين لما فى ذلك من الضرر والتعذيب ، والنبى ﷺ يقول : لا ضرر ، ولا ضرار .

وأما ما يتعلق بستر العورة فقد اختلف الفقهاء فى تقديرها ـ بعد أن اتفقوا على أن جسم المرأة كله عورة ما عدا الوجه والكفين .

فقد ذهب الشافعية والحنفية إلى أن عورة الرجل من السرة إلى الركبة ، وكذلك المالكية .

وللإمام أحمد روايتان: رواية كرواية الجمهور ورواية تقول : إن عورة الرجل السوءتان فقط ـ وبهذه الرواية أخذ الظاهرية .

العمليات الجراحية التى ينسبونها إلى الأولياء

س : انتشرت فى بلدتنا ظاهرة غريبة ، وهى أن الناس ينسبون إلى بعض الأولياء القيام بعمليات جراحية للمرضى والمعوقين . فما موقف الإسلام من ذلك ؟

وجيه يعقوب السيد
المنزلة ـ الفروسات

جـ : لا نقر هذه الدعاوى إلا عن يقين ، ولا يثبت اليقين فى مثل هذه الأحوال إلا عن طريق دراسة دقيقة من قبل لجنة طبية مختصة فى مثل هذه العمليات التى يدعى الناس إجراءها بنجاح . وهذا هو الذى يعول عليه .

ما يؤخذ بدلا عن التأمين الصحى

س : بعض الناس يعطى لغيره حق العلاج بنظام التأمين الصحى . بدلا عنه ـ فى مقابل

سلعة يأخذها كصابون وروائح عطرية وغير ذلك .

افيدونا عن الحكم .

س . ا . ع - الفيوم

جـ : هذا عمل فيه إضرار بالغير ، وغش للدولة والنبي ﷺ يقول : من غشنا فليس منا .

والمؤمن صادق الإيمان لا يلجأ إلى هذه الطريقة لما فيها من مخالفات لمبادىء الإسلام .

لقطة مكة والمدينة

س : رجل كان يؤدى مناسك الحج ، فوقع عليه ثوب جديد مما تلبسه النساء الباكستانيات ، وبحث عن صاحبته فلم يجدها . فأعطاه لأرملة . ثم وجد في المدينة خمسة ريالات وأيضاً أعطاها لمسكينة تجاوره في مصر . فما الحكم ؟

حسن هاشم - روز اليوسف

جـ : هذا كله يعد من اللقطة ، وحكم اللقطة أنه إذا لم يجد صاحبها تصدق بها على فقير محتاج .

ولا يرد على هذا ما يراه بعض الفقهاء من خبر يفيد أن لقطة المسجد الحرام لا تحل لأحد .

التكسب من الأغانى والتمثيل

س : ما حكم الدين في التكسب من الأغانى والتمثيل ؟

س - م - ع القاهرة

جـ : من المعلوم أن الله سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض لنستفيد منه ، وحرم علينا بعض الأشياء لضررها ، وحثنا على تتبع الحلال لنأكل منه فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ وقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ .

ومن وسائل كسب العيش التجارة ، قال تعالى :﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

إن الباب مفتوح لكل نشاط في أى ميدان والواجب هو اختيار الميدان الحلال .

ومعلوم أن بعض الأغانى وبعض التمثيل حلال ، والبعض الآخر حرام فإذا كانت مادة الغناء حلالا كمدح الرسول ﷺ والأداء جديا ليس فيه خروج ، والمغنى ملتزم بالآداب في الملبس والحركة ، ولم يصاحب الغناء محرم كاختلاط الجنسين ، ولم يؤد ذلك إلى فوات واجب كان التكسب منه غير محرم ، فإذا تخلف شرط من هذه الشروط كان حراما .

وكذلك التمثيل إن كان صادقا في مادته ، شريفا في غايته ، خاليا من محرم كعرى وتقبيل ، وغير مؤدٍ إلى التقصير في واجب كان حلالا وإلا فهو حرام .

حكم الكشف عن وجه الميت

س : هل يمكن الكشف عن وجه الميت الذى وضع في قبره ليراه من لم يره من اقاربه .

ناجى يوسف حسن

جـ : لم يرد نص بتحريم النظر إلى وجه الميت غير أن هذا العمل مما يدعو إلى زيادة الأسى والحزن على المتوفى وهو محظور شرعا .

من أعلام الأزهـــر

الشافعي الصغير

الشيخ محمد حسن فقرة

بقلم : حسين خضيري موسى

مقدمـــة :

الحديث عن الأخيار الأبرار ، ليس بالأمر الهين ولا اليسير ، وبخاصة إذا كانوا من هؤلاء الذين عاشوا للمبادىء ، يبذرون بذورها ، ويغرسون أشجارها ، ويتعهدون ما بذروا ويحافظون على ما غرسوا ، وهم بعيدون عن تسلط الأضواء وبمناى عن السمعة وحب الثناء ، يجدون متعتهم وكامل لذتهم فى نمو بذرهم ، ونتاج غراسهم ، أولئك الذين صدقت نواياهم ، وخلصت طواياهم ، فقضوا أيام حياتهم وعاشوا سنى أعمارهم فى بذل وعطاء ، دون التطلع فى الدنيا إلى أجر أو جزاء ، واثقين كل الثقة ، بأن أجرهم الأكمل وجزاءهم الأشمل مدخر لهم فى دار الخلود ، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ .

من هذا النوع المتفرد فى طبعه ، المتميز فى وضعه ، العالم العامل « الشيخ محمد حسن فقره » الذى أسلم قياده منذ نعومة أظفاره للجد والاجتهاد ، ونزل ساحة العلم متعبداً فى جنباته ، متبتلاً فى ردهاته ، لا تستهويه شهوة ، ولا تجرفه نزوة ، يتسامى بروحه وحصافة عقله عن كل مايغرى وجميع مايلهى .

فأخلص له إخلاصه ، وكافأه عمله وكفاحه ، وتوجه بتاج الكمال والجلال ، فبز أقرانه وفاق خلانه ، حتى كان أول دفعته فى الشهادة العالية ، وكان لها آنذاك ماكان ، من رفعة المكانة وسمو المكان .

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ .

نشـــأتـــه :

ولد الشيخ فى قرية ريفية ، من قرى الشرقية تسمى « ميت بشار » مركز منيا القمح من أسرة مكافحة عصامية فى عام ١٩١٦ ميلادية ، وحفظ القرآن الكريم صغيراً ، وقد لازمه هذا الحفظ طول حياته ، ما نسى منه حرفا ، ولا ضاعت من ذاكرته آية ، وكأنه قد سطر على صدره ، ونقش على قلبه ، فكان من أهله وخاصته ، لم يلحن فيه ولم يتلعثم متقنا لتجويده ، ملما بأحكامه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو بهذا قد ظفر ببشارة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الماهر بالقرآن مع السفرة ، الكرام البررة » .

والتحق بمعهد الزقازيق الدينى ، يرتضع من أفاويق العلم ، ويغترف من بحار المعرفة على أيدى كبار العلماء من أمثال الشيخ محمد أبو النجا والشيخ على ندا والشيخ على خاطر

وغيرهم من الراسخين فى العلم ، والمخلصين فى البذل ، فأثروا فيه وتأثر بهم ، ووجد فيهم ضالته المنشودة وغايته المرجوة .

رسـالـة وأمـانـة :

ويتدرج الطالب المبتدىء فى سنوات دراسته بهمة قوية وعزيمة فتية ، يحفزه إلى ذلك ذكاء حاد وعمل جاد ، وفوق كل هذا توفيق من الله وإرشاد إلى أقوم الطرق وأهدى السبل .

وللطالب الريفى انجذاب قلبى نحو قريته ، وانعطاف روحى إلى بيئته ، ولاسيما إذا كانت القرية لا تبعد كثيرا عن المعهد الذى يتلقى فيه تعليمه ، بل هى قريبة منه وإنه ليستطيع العودة إليها يوميا إن هو أراد .

وفى مقتبل حياته ، يحس الطالب بذاته ، ويشعر بأنه قد حمل رسالة بعد أن حمل على رأسه العمامة ، ولابد لهذه الرسالة أن تؤدى بأمانة ، فيجلس فى مسجد القرية بين أهله وذويه ، وأحبابه ومريديه ، وينقل لهم من العلم ما تلقاه عن أشياخه ومدرسيه فتلتف حوله القلوب ، ويظفر باحترام الصغير والكبير ، ويصبح محط أنظار الجميع ، ويذيع صيته ، ويحرص الناس على الحضور لسماع درس ووعظ الشيخ الطالب محمد حسن فقره ، ومنذ هذا الوقت بدأ نجمه يتألق ويتوقع الجميع له مستقبلاً ماجداً راشداً .

وإذا رأيت من الهلال نموه
أيقنت أن سيصير بدراً كاملاً

مـواصلـة المسيـرة :

وعلى درب العلم يواصل الشيخ مسيرته ، وبعد أن يكمل تعليمه الثانوي ينتقل إلى مرحلة التعليم العالية ، وفى كلية الشريعة يظل ممسكا بمقود التقدم ، وتتداح أمامه آفاق جديدة من المثابرة ، فيبدو وقد دانت له الصعاب . ووضحت أمامه المسالك والشعاب ، وتعده مواهبه لأن

يكون فقيه عصره فى غير اعتلاء ولا خيلاء ، ويجد كل تقدير واحترام من أساتذته الذين لمسوا فيه الخير الكثير والنفع الوفير من أمثال الشيخ عبد الله موسى والشيخ الدفتار والشيخ موسى اللباد ، وينهل شيخنا من منابع العلم الصافية فقها وأصولاً وتفسيرا وحديثا وغيرها من العلوم الدينية والعربية وفى عام ١٩٤٢ ميلادية ينال الشيخ محمد حسن فقره الشهادة العالية وكان ترتيبه الأول على دفعته ، لا ينازعه هذا الترتيب منازع ، ولا يسابقه فى تلك المنزلة متسابق ، ثم يلتحق بقسم تخصص التدريس ويقضى فيه عامين ليتخرج منه مدرساً بالمعاهد الدينية مربياً لأبناء المسلمين .

حيـاتـه العمليـة :

انخرط الشيخ فى سلك التدريس وتجول فى معاهد صعيد مصر ، ثم استقر به المقام فى معهد الزقازيق ، والحق يقال ؛ إن الألسنة لم تجتمع على إطراء أحد مثلما اجتمعت على إطراء هذا الرجل ، فكان لا يكل ولا يمل ، مخلصا فى عمله ، وفيا لطلابه ، مراقبا لله حق المراقبة ، واشتهر بالصدق وبذل الجهد فى منفعة طلابه ، وكان ـ إلى علمه ـ مربيا حازما ، حتى إن البعض كان

←

يصفه بالشدة والقسوة ، وكان مرجعا حقيقيا لجميع المستفسرين والمستوضحين عما غمض وأبهم فهمه من أبواب العلم والمعرفة ، وأنشأ لجنة للفتوى ، للرد على أسئلة السائلين وإيضاح الحقائق أمام الحائرين ، كل هذا وهو يحتسب عمله عند الله لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا ومع ما اشتهر به من الشدة والصلابة مع الطلاب ، فقد كان مثالا يحتذى فى التواضع والأدب والحياء مع الزملاء ، وما كان يتطلع أبداً إلى المناصب ولا يجرى وراء المناقب حتى عين وكيلاً لمعهد الزقازيق ، وأخيرا صار شيخا لهذا المعهد ، ولقد سمعته يقول — والله على ما أقول شهيد : لأن أعود مدرساً بجدول كامل خير لى من مشيخة المعهد وهكذا شأن الأخيار الأبرار ، الذين يصدق عليهم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » .

أعماله وعلاقاته الاجتماعية :

كان الشيخ غيوراً على تحفيظ القرآن الكريم ونشر العلم ، فعمل جاهداً على إقامة جمعية تحفيظ القرآن الكريم فى قريته ، وكان يشرف عليها شخصيا ، فخرجت الكثيرين من حفظة كتاب الله ، وآتت ثمارها بسبب إخلاص هذا الشيخ ، ثم سعى لإقامة معهد دينى بها ، وكان يواصل اتصالاته ليلاً ونهارا ، ولم ييأس حتى حقق الله له مطلبه ، وأقيم المعهد فى بلده ، يؤدى رسالته على أكمل وجه وأتم قياس .

وأما عن علاقاته الاجتماعية ، فهو يعتبر أسوة حسنة وقدوة طيبة فى أداء الواجب والمشاركة الوجدانية لجميع معارفه ، وبلدته - ميت بشار - بها الكثير من المسيحيين ، على وُدٌ معهم ، يزورهم فى مناسباتهم فكانوا يقدرونه ويبادلونه هذا الشعور الطيب الكريم .

رحلاته العلمية :

اختير الشيخ فقره مبعوثا للأزهر فى دولة الكويت ، فمثل بلاده وأزهره خير تمثيل وفى عام ١٩٧٥ ميلادية تعاقدت معه الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ليعمل أستاذاً فى كلياتها ، وهناك تجمع عليه جمع غفير من الطلاب المسلمين الوافدين من جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية ، يتلقون العلم على يديه ، فترتبط به قلوبهم وتأنس له نفوسهم ، ويفيض الرجل عليهم مما أفاض الله عليه من العلم ، بإخلاصه المعروف وصدقه المألوف ومع أنه لم يجنح نحو الكتابة والتأليف إلا أنه ترك بحثا قيما فى علم مصطلح الحديث وقد وفاه حقه من الدقة والتفصيل .

نهاية البداية :

ظل الرجل يواصل نشر تعاليم الإسلام ، حتى داهمه المرض وهو قائم يؤدى صلاة الفجر فى حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويقع عن طوله بلا مقدمات ، فتجزع القلوب عليه وتضرع بالدعاء له ، ويظل تحت العلاج المكثف ، والأسى يرتسم على وجوه عارفى فضله من السعوديين والمصريين ، وهو صابر غير متضجر ولا متألم ، بل كان يقول لعواده من أحبابه ورواده ، حينما يرى الوجوم على وجوههم « أتصبرون » حتى لبى نداء ربه فى يوم الخميس الثالث عشر من يناير ١٩٨٦ .

وهكذا طويت صفحة عالم عابد مخلص ، وورى جثمانه الطاهر الثرى ورحم الله « الشافعى الصغير » كما كان يطلق عليه فى حياته .

وما قصدت بكتابة هذه السطور المدح والثناء ، وإنما ابتغيت التأسى وحسن الاقتداء ولو كان الشيخ حيا - فيما نعلم عنه - ماقبل أن يكتب عنه سطر واحد ، لأنه يؤمن بأن ﴿ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ رحمه الله رحمة واسعة .

العلوم الكونية

المدخل الإسلامي للطب

قضية الهستريا

المدخل الإسلامي للطب

تقديم الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تأليف : أ. د. إبراهيم عبد الحميد الصياد
عرض وتحليل : أ. د. أحمد فؤاد باشا

إن الإسلام هو المنهج الإلهي الذى تراعى فيه مصلحة الإنسان فى كل زمان ومكان ، بغض النظر عن فوارق الجنس واللون والموطن والعقيدة . ولذا فإن المنهج الإسلامي هو وحده المؤهل لأن يكون موضع تأمل عميق فى عقلية إنسان العصر ، وتهيئته لاستيعاب كل ماتأتى به حضارة العلم والتقنية فى المستقبل القريب أو البعيد ولا شك أن التصحيح الإسلامى لواقع الفكر المعاصر سوف يفتح الطريق أمام مستقبل أفضل للإنسانية ، وسيكون له أجل الأثر فى تصحيح وِجْهةِ العلوم المعاصرة لدى عقلاء العالم ومفكريه ، إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه واستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم .

وعندئذ سيكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقَّة بوصفه بحثا موضوعيا نزيها ، يعلو على كل ضروب الهوى والتحيّز ، ويزن كل شيء بميزان واحد ، هو ميزان الإسلام ، لكل ميزاته وخصائصه التى قامت عليها قواعده الاعتقادية والعلمية . ونحن نرى أن أى إسهام علمى فى هذا المجال يكون بمثابة خطوة جديدة على طريق الصحوة الإسلامية المنشودة والتطبيق الإسلامى للفكر العصرى المستنير .

من هنا جاءت أهمية اختيارنا لكتاب « المدخل الإسلامى للطب » للدكتور إبراهيم عبد الحميد الصياد ، والذى صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م ، وحظى بمقدمتين لفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر دلّتا على أهمية الموضوع ومكانة الكاتب . ويقع الكتاب فى ٢٤٧ صفحة من القطع المتوسط .

وإذا انتقلنا إلى عرض محتويات الكتاب فإن المؤلف قد أوضح الخطة التى سار عليها فى تمهيد موجز يستند إلى ما تعارفت عليه معاهد التعليم الطبى من اتخاذ الكتاب الطبى والمريض ركيزتين لدراسة الطب . فكتاب الطب هو المرجع إلى فهم تكوين الجسم ووظائفه وما يصيبه من مرض ، وكيف يمكن إعادته إلى حالته الطبيعية .

أما المريض فهو مادة الدراسة وموضوع الفحص والعلاج الذى تطبق عليه ما فى الكتب من

نظريات . لذلك تناول المؤلف فى الباب الأول الأسس الإسلامية التى تقوم عليها دراسة الطب حتى يدرك الطالب المسلم غايته من هذه الدراسة ، ويكون على هدى من أمره فى تناولها .

وفى الباب الثانى تناول المريض من حيث هو إنسان ، فلابد للطبيب أن يعرف مادة دراسته وماله من حقوق حتى يلتزم بها فى تعامله مع افضل مخلوقات الله على الأرض .

وفى الباب الثالث تناول هذا الإنسان بعد أن ألم به المرض ، واستعرض نظرة المريض لنفسه ونظرة الناس له وما يجب أن يكون عليه موقف الطبيب منه .

وفى الباب الرابع والأخير حاول المؤلف أن يتبين موقع الرعاية الصحيـة من النظرة الإسلامية الشاملة للكون والحياة ، وأوضح كيف ترتبط مفاهيم الوقاية والعلاج برسالة الإنسان الذى استخلفه الله فى الأرض ، والصحة من مقومات العبـادة ، وأداة القيام بـواجبات الخلافة . وهذا المفهوم ينقل موضوع الصحة من دائرة ضيقة تشمل الطبيب والمريض إلى النظرة الشمولية الواسعة للطب الإسلامي التى تربط العقيدة بالشريعة بالنشاط الإنسانى بصحة الفرد والبيئة والمحافظة عليهما وإصلاحهما .

ينقسم الباب الأول إلى أربعة مباحث خصصها المؤلف لعرض أربعة مداخل ينطلق منها الإنسان المسلم فى دراسته للطب تطبيقاً لنظرة الإسلام إلى كافة الأنشطة فى الحياة .

أما المبحث الأول فيتناول أهمية الطب باعتباره علما نافعا يهدف إلى صحة العقل والبدن التى تعين على توفير كافة المقاصد الرئيسية للشريعة كما يراها الفقهاء ، وهى بترتيب أهميتها : الدين والنفس والعقل والنسل والمال . وعندما يطلب المسلم علما على النهج الإسلامى يكون فهمه للحياة والكون طريقاً للوصول إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة آل عمران : ١٩١) .

وتكون وجهته دائما لعمل الخير انطلاقا من القاعدة العامة فى ضرورة الربط بين النظرية والتطبيق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الصف : ٢ ، ٣) ويدلل المؤلف على أن قيمة العلم النافع تتسع فى أبعاد كثيرة ، فهى تتعدى حدود العمر ، حيث إن ثواب العلم النافع يصير صدقة جارية بعد وفاة صاحبه ، وهى تتعدى حدود المصدر حيث إن منهل العلم النافع مباح من اى مصدر ، كما انها تتعدى حدود الفضل حيث ترتفع درجة طالب العلم النافع ليحيى به الإسلام حتى يقترب من درجات الأنبياء .

ويعرض المبحث الثانى من هذا الباب لدراسة الطب باعتبارها فرض كفاية يحقق مصلحة الجماعة ويرفع راية الدين . والمكلف فى فرض الكفاية هو المجتمع كشخصية اعتبارية ، فالجميع مؤهل لأداء وظيفته ، كلٌ حسب قدرته وطاقته ، وكل ميسر لما خلق له . والبناء الاجتماعى للأمة يستوجب اختلاف القدرات والمواهب بين الناس ، فيقوم التخصص فى المجتمع بما يؤدى إلى التعاون لتلبية احتياجات المجموع وأداء الفروض الكفائية . وبذلك يجتاز المجتمع تجربة الابتلاء بنجاح .

وكل علم يحتاجه المسلمون فرض كفاية ، فإن لم يوجد بينهم من يحسنه فالكل آثمون . وليست الكفاية أن يوجد من يعرفه ، بل فى وجود المجموعة التى تغطى احتياجات الأمة . ويفند المؤلف خطأ الظن بأن الاشتغال بالعلوم (التقنية) هو من أمور الدنيا فقط وليس من

أمور الدين ، موضحا كيف أدى ذلك الظن إلى إهمال تخصصات هامة تلزم المجتمع المسلم . فبغير أداء المصالح الدنيوية يضعف شأن المسلمين ولا تستقيم أمور الدين ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . لذلك فإن كل أصول الصناعات والعلوم التطبيقية النافعة من فروض الكفاية . والحقوق الكفائية تخدم بعضها البعض ، إذ هى سلسلة من الاحتياجات والضرورات تخدم كل واحدة منها الأخرى ، كما تخدم العلوم الأساسية العلوم التطبيقية . فالتخصصات العلمية المختلفة ضرورية لكل مجتمع ، والإخلال بأحدها يؤدى إلى الإخلال بالواجب الكفائى الأعظم وهو عبادة الله حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض .

وانطلاقا من مفهوم الكفاية يبرز المؤلف جزئية هامة تتعلق بحسن تنظيم العمل الإسلامى ، فلا يجوز أن يتجه كل الدارسين إلى تخصصات معينة طمعا فى ربح مادى أوفر ، أو مركز اجتماعى أفضل ، أو ممارسة فعلية أقل مشقة ، بل يجب أن يكون مفهوم الكفاية هو تجسيد للروح الجماعية والبذل فى سبيل الله . فإذا أقبل عليها المسلم بهذه النيّة فإنه فى دراسته وممارسته يكون عابدا لله حق عبادته .

فى المبحث الثالث انتقل المؤلف إلى موضوع دراسة الطب كمدخل إلى قوة الإيمان بالله ، وناقش هذه القضية من خلال تناوله خمسة جوانب هامة هى :

أولاً : مصادر المعرفة من وجهة النظر الإسلامية تقوم على أساس زوجية الكون الممثلة فى عالم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله تعالى وعالم الشهادة الذى نشهده أمامنا بما فيه من كائنات .

ويتبع هذا أن تصنف العلوم إلى قسمين : يشمل أولهما العلوم البحتة والتطبيقية التى تقوم على المشاهدة والتجربة والتعليل ، مثل علوم الكيمياء والفيزياء والطب والزراعة وغيرها . ويشمل القسم الثانى العلوم التى لا يمكن للمسلم إلا أن يتلقاها من مصدر ربانى ، وهى العلوم المتعلقة بالعقيدة والعبادة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع .

ثانياً : التفسير الإسلامى للحياة البشرية والغاية منها لا تقتصر على حياة الإنسان فى الدنيا ، وإنما يتناول دورة وجوده الكاملة التى لا يمكن للبشر إدراكها إلا بهدى من الوحى الكريم :

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٢٨) .

ثالثاً : الأخطاء البشرية فى تناول مناهج المعرفة أدت إما إلى الشرك بالله أو إلى عصيان أوامره فقد كان من نتيجة خلط الناس لمصادر المعرفة أن حاولوا اقتحام عالم الغيب بالوسائل التى لا تصلح إلا لعالم الشهادة ، ودنسوا الفطرة الحنيفة المؤمنة الموحدة لله . وظهرت العلمانية فى العالم الغربى لتضع حدًّا فاصلاً بين العلم والدين ، وتحصر اللاهوت الكنسى فى جانب محدود من العلاقة بين الفرد وربه . وكان من نتائج هذا الفصل أن فقدت العلوم أساسها الأخلاقى ، وظهرت النظريات والمذاهب الوضعية لتكون منهجاً ودينا للمجتمعات التى تعتنقها . وانتقلت عدوى هذه النظريات إلى الفكر الإسلامى فى عهود الاستعمار للدول الإسلامية ، وخلت الكتب الطبية من أية إشارة إلى حكمة الله فى جسم الإنسان ، وتجاهلت القوة الخالقة التى تسير وظائفه بهذه الدقة البالغة ، ونسبتها إلى مسميات خيالية كالطبيعة والقوة الذاتية والغريزة وغيرها مما لا يتفق مع التصور الإسلامى . كذلك تخلف المسلمون بسبب تخليهم عن النظر فى عالم

الشهادة بالمنهج التجريبى الذى كان للإسلام الفضل فى ظهوره ، وبذلك توقف تقدم العلوم التطبيقية ووقفوا منه موقف المتفرج .

ويرتب المؤلف على هذه النتيجة ظهور اتجاهات مارست صوفية على غير حقيقتها فصرفت جانبا من المسلمين عن الدنيا وسلبت منهم مقومات القوة . وينسب المؤلف بصورة قاطعة - لنا عليها بعض التحفظ - مظاهر ضعف المسلمين وانسحابهم من مجابهة المشاكل العملية فى مجال الحياة ومجال العلم إلى هذا التأثير الذى جعلهم يعتمدون على ما ينتجه غيرهم من غذاء البدن والعقل (راجع : قضية التصوف المنقذ من الضلال ، د . عبد الحليم محمود ، ط٢ ، دار المعارف ١٩٨٥ ، خاصة الفصل الرابع) .

رابعاً : تأثير التقدم العلمى على المفاهيم البشرية .

خامساً : الغاية الإيمانية من دراسة الطب والعلوم الطبيعية . وفى هذين الجانبين يعود المؤلف إلى تكرار الكثير من الأفكار التى سبق له أن عرضها ، ولكننا لا نرى فى ذلك عيبا كبيراً طالما أنه يساعد على تعميق المفاهيم الإيمانية والتصورات الإسلامية .

أما المبحث الرابع من هذا الباب فيخصصه المؤلف للدعوة إلى أن يكون التعليم الطبى المستمر صفة لازمة للطبيب المسلم حتى يقدم للناس أفضل رعاية طبية ممكنة ويكون على صلة بكل جديد فى مجال تخصصه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (سورة طه : ١١٤) . وقد سأل البيرونى من حوله عن مسألة علمية وهو فى فراش الموت ، فقالوا : مالك وهذا وأنت فيما أنت فيه ، فقال : لأن ألقى الله وأنا أعرفها خير من أن ألقاه وأنا أجهلها .

وانتقل المؤلف فى الباب الثانى إلى تناول نظرة الطبيب المسلم للحياة البشرية من عدة جوانب عالجها فى سبعة مباحث هى :

١ - حماية حق الحياة البشرية باعتبارها هبة من الله تعالى ، تكسب قدسيتها من النفخة الإلهية الكريمة ، وبذلك صارت حقا مقدسا لا يجوز لأحد أن يسلبه إلا بحق الله تعالى ، ويتساوى فى ذلك كل البشر فى جميع مراحل حياتهم مهما كان جنسهم ولونهم ودينهم .

وهنا يوضح المؤلف كيف يمتد المفهوم الإسلامى للحياة البشرية إلى الجنين داخل الرحم ، فيجعل له كيانا مستقلاً وحقوقا مستقلة عن حقوق والدته رغم أنه مازال جزءاً منها ، فإذا اعتدى أحد على امرأة حامل فأجهضها فإنه يكون قد ارتكب جريمتين : جريمة الاعتداء عليها وجريمة قتل الجنين .

ومن مظاهر احترام حق الحياة فى الإسلام تفضيل صيانة الحياة على اعتبارات شرعية . ولا يشترط أن يصل الضرر إلى حد الخطر حتى يكون مبررا للتخفيف ، بل إن المشقة تستوجب التيسير تطبيقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج : ٧٨) .

٢ - حماية مقومات الحياة البشرية ومنها تلك الحقوق التى تنعكس على الصحة البدنية والنفسية ، مثل حق العلاج واللباس والطعام والسكن والزواج والتعلم والعمل ، وأيضا حق الكفالة فى أحوال المرض والعجز والشيخوخة وفقد العائل ، ولكل منها أسانيده فى السنة النبوية الشريفة .

٣ - توفير الكرامة البشرية التى منحها الله تعالى للإنسان بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء : ٧٠) . فقد حرَّم الإسلام الإيذاء البدنى أو النفسى بغير وجه حق . بل إن الإسلام يكفل كرامة الجسد حتى بعد خروج الحياة منه ، بل وفى ذكراه أيضا . وقد يستدعى العمل الطبى تشريح الجثة لأغراض الطب الشرعى ، أو

←

المدخل الإسلامى للطب

لدراسة الصفة التشريحية للمرض المؤدى للوفاة ، والأعضاء التى تقطع من الجسد فى عملية التشريح يجب أن تعامل بالطريقة التى حددها الشرع فى معاملة الجسد الكامل بحيث تدفن ولا تلقى كأنها فضلات غير آدمية . وإذا تداول طالب الطب عظام الميت أو أجزاء من جسده بقصد الدراسة النافعة فلابد أن يحفظ لها كرامتها . عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كسر عظم الميت ككسر عظم الحى فى الإثم » (الموطأ ، ابو داود ، ابن ماجه : الجنائز ، أحمد : ٥٨/٦) . وإذا كان العمل الطبى يضع الإنسان وسط أعداد لا تنتهى من المرضى والموتى فيجب الا ينسيه ذلك احترام الموت ومراعاة حرمة الموتى ، ولا يؤدى تكرار مشاهدة الموتى إلى التعود ، بل إلى العبرة والعظة . روى الخمسة إلا الترمذى عن جابر رضى الله عنه : « مرت جنازة فقام لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلنا : يارسول الله إنها يهودية فقال : إن الموت فزع فإذا رأيتم الجنازة فقوموا ، وفى رواية قال : « أليست نفسا » .

٤ ـ الضوابط الشرعية المتعلقة بالحياة فى أمور الانتحار والاعتداء والقصاص تلزم العبد بألا يفرط فى هذه الحياة ، وليس لغيره أن يعتدى عليها أو يعرضها للخطر بفعل إيجابى أو إهمال سلبى . فإذا مات شخص فى الزحام فالدية على جميع من حضر أو على بيت المال ، وإذا مات إنسان جوعا فى بلد مسلم فيؤدى أهل البلد جميعا الدية متضامنين إلى أهل الميت . والعاملون فى الحقل الطبى مسئولون عن ارواح الناس ، وقد يهلك المريض من إلقاء بعضهم المسئولية على البعض الآخر ، ولو استشعر كل واحد منهم أن كثرة العدد لا تخلى من المسئولية لتعامل كل منهم مع المريض كما لو كان هو وحده مسئولا عن حياته .

وكرامة الإنسان لا تسمح للعاملين فى البحث الطبى أن يجعلوه فى موقع حيوانات التجارب إذا كان فى ذلك أدنى خطر عليه ، فليس لهم حق تعريضه للأذى المحتمل وليس له أن يقبل التصرف فى نفسه . وعندما يعرض المؤلف لقضية هامة تتعلق بأصحاب الحقوق فى الجسم البشرى فإنه يدلل على أن سلامة الجسد من الحقوق المشتركة للعبد ولله تعالى ، وليس للفرد أن يتصرف فى جسده أو يأذن لغيره بالاعتداء على نفسه . وكنا نود من المؤلف فى هذا الشأن أن يدلى بدلوه فيما يتعلق ببعض القضايا المعاصرة التى يختلف حولها الفقهاء مثل نقل الأعضاء ومشروعية بيعها أو التبرع بها . وإن كان سيتطرق إليها بإيجاز بعد ذلك .

٥ ـ عناصر المساواة والتفضيل بين البشر ، وانعكاس ذلك على موقف العباد بعضهم من بعض ، يجعل البناء الأخلاقى والاجتماعى فى التصور الإسلامى مرتبطا ارتباطا وثيقا بالعقيدة ، بمعنى أن المسلم يعامل غيره من الناس كما أمره الله تعالى على أساس سلوكهم وأفعالهم الاختيارية ، وليس على أساس صفاتهم الجبرية التى لا اختيار لهم فيها مثل : اللون والغنى والقوة والجنس والوطن والعنصر .. إلخ قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

٦ ـ حماية حق الحياة لغير المسلم انطلاقا من القاعدة العامة « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » .

البقية ص ٥١٥

قضية أريتريا

٣

للأستاذ: ماهر زكريا الشيمي

الحركات الوطنية فى إريتريا

ظهرت الحركات الوطنية والمقاومة الشعبية فى أعقاب كل مرحلة من المراحل التاريخية التى تعرضت لها إريتريا خاصة بعد الغزو الإيطالى وإعلان إريتريا مستعمرة إيطالية عام ١٨٩٠ أما الأحزاب السياسية فبدأت عام ١٩٤٣ حين قام بعض الشبان المثقفين فى اسمرا بتأسيس جمعية اطلقوا عليها (مجر فقرى هجر) اى جمعية حب الوطن[1] وكانت تضم الإريتريين بمختلف طوائفهم واقاليمهم. وكان المؤسسون اثنى عشر شخصا: ستة منهم مسلمون وستة مسيحيون، وقد تعاهدوا على العمل معا لخدمة قضايا الوطن دون تمييز. وركزت هذه الجمعية اهتمامها فى الإصلاحات الاجتماعية والثقافية، وكان من بين منجزاتها إلغاء قانون التمييز العنصرى الإيطالى. وتشجيع الحركة التعليمية والثقافية وتشجيع وحدة الشعب الإريترى بمختلف طوائفه.

ولم تكن هذه الحركة الوطنية الناشئة والتى كانت تفتقر إلى الخبرة والتجربة بعيدة عن المؤامرات البريطانية الأثيوبية فقد كانت (أثيوبيا) تطمع فى ضم إريتريا إليها لتحقيق احلامها التاريخية وأطماعها التوسعية. فقامت الإدارة البريطانية بتدبير المكائد التى تثير العداءات الدينية لتكريس الانقسام وتنفيذ مخططاتها لتمزيق وحدة البلاد ولتحول دون وحدة الشعب الإريترى فى مطالبته بالاستقلال، وتجلت هذه المكائد فى مذبحة (أسمرا) البشعة التى قتل فيها نحو خمسين مواطنا مسيحيا بأيدى القوة التابعة للجيش البريطانى المرابطة فى (أسمرا) كذلك تدخلت أثيوبيا بالعناصر الإرهابية الموالية لها وتمكنت من القضاء على هذه الجمعية فى عام ١٩٤٦ وقد أطلقت الإدارة البريطانية يد أثيوبيا فى إريتريا فتم حشد مئات من رجال العصابات وتنظيمهم وتدريبهم فى أثيوبيا وتزويدهم بالسلاح وإرسالهم بعد ذلك إلى إريتريا ليعملوا فيها قتلا وذبحا وحرقا وتخريبا،

* الكاتب: الوكيل الثقافى لمنطقة القاهرة ـ الأزهر الشريف.

(١) تاريخ إريتريا ـ عثمان صالح سبى.

قضيـــة إريتريـــا

وكانت هذه الأعمال الإرهابية الأنجلو - أثيوبية تتم تحت سمع وبصر أعضاء لجنة التحقيق الدولية التى زارت إريتريا فى عام ١٩٥٠ واتسع نطاق هذه الأعمال أثناء المشاورات التى كان يجريها مندوب الأمم المتحدة مع شعب إريتريا عام ١٩٥١[٢] كذلك جندت أثيوبيا بعض رجال الكنيسة فى (إريتريا) للدعاية لأهدافها التوسعية بضم إريتريا إليها وتمكنت من إنشاء حزب موال لها هو (حزب الاتحاد مع أثيوبيا) قاعدته العريضة من المسيحيين . وكان رد الزعماء المسلمين على ذلك عام ١٩٤٧ أن قاموا بتأسيس (حزب الرابطة الإسلامية الإريترية) وحددوا هدفهم بالاستقلال التام والحفاظ على وحدة التراب الإريترى أى ضد مشروع التقسيم البريطانى . ولم يرفض الحزب فكرة الوصاية الدولية لمدة محددة أقصاها عشر سنوات إذا ما ادعوا أن الشعب الإريترى يحتاج إلى فترة تأهيل تمكنه من تولى زمام أموره واستقلاله . بل إن الحزب فضل أن تكون الوصاية والإشراف لبريطانيا وذلك طمعا فى كسب تأييدهم لهم وتجنبا للاضطراب الذى سينشأ إذا ما تغيرت الإدارة البريطانية التى كانت قائمة آنذاك وجاءت إدارة أخرى لإريتريا .

وهكذا انقسم الشعب الإريترى على أساس دينى طائفى غير أن هذا الانقسام الطائفى لم يكن حادا قاطعا إذ كانت هناك تداخلات تتمثل فى أحزاب صغيرة منها (الحزب التقدمى الحر) ومعظم أعضائه من الأسر الحاكمة القديمة فى (اكل قوزاى) وكان جميع أعضائه مسيحيين .

وقد تحالف هذا الحزب مع ستة أحزاب أخرى صغيرة هى :

١ - حزب إريتريا الجديدة .
٢ - الجمعية الإريترية الإيطالية .
٣ - حزب المحاربين القدماء .
٤ - حزب المثقفين .
٥ - حزب إريتريا المستقلة .
٦ - الحزب الوطنى .

وشكلوا فى عام ١٩٤٩ (الكتلة الاستقلالية الإريترية) مع احتفاظ الأحزاب بكيانـاتها القديمة . وشهدت الأعوام الستة (١٩٤٦ - ١٩٥٢) صراعات سياسية حادة . وانشأت الأحزاب السياسية صحفا خاصة بها بعد أن منحتها الإدارة البريطانية قسطا كبيرا من الحرية ، وكثرت الخصومات السياسية وكثر معها العنف وسالت الدماء . وخضعت بعض هذه الأحزاب لإيطاليا أو لأثيوبيا التى كانت تدعمها ماديا . غير أن هذه الأحزاب تحالفت مع حزب الرابطة الإسلامية عندما أيدت إيطاليا دعوة الاستقلال وذلك لتوافق مصالح الطرفين ، ففى الوقت الذى كانت فيه الرابطة بحاجة إلى مساندة سياسية أمام هيئة الأمم المتحدة كانت إيطاليا تطمع فى أن تجنى من وراء تأييدها للاستقلال بعض الفوائد الاقتصادية والاستراتيجية ، وخاصة أن لها جالية كبيرة فى إريتريا تمتلك الكثير من مصادر الثروة الزراعية والصناعية والصادرات والواردات ، فضلا عن أن أفراد هذه الجالية كانوا يتعرضون لكثير من الهجمات والاغتيالات من قبل حزب الاتحاد .

قضية إريتريا والأمم المتحدة

وقد أحيلت قضية إريتريا إلى الأمم المتحدة فى دورتها العادية الثالثة عام ١٩٤٨ بناء على اتفاق

(٢) «إريتريا» ضحية قرار الأمم المتحدة والعدوان الأثيوبى - جبهة التحرير الإريترية .

الدول الأربع الكبرى المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية وهى : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا ، وذلك بعد فشل لجنة التحقيق التى كونتها هذه الدول لبحث التصفية النهائية لممتلكات إيطاليا الإقليمية فى افريقيا بما فيها إريتريا . وكان هذا الفشل بسبب تضارب مصالح هذه الدول وعدم اتفاقهم حول مستقبل المستعمرات الإيطالية .

واستمر تداول قضية إريتريا فى الأمم المتحدة توجهها المصالح الاستعمارية إلى أن تمت الموافقة على مشروع القرار الأمريكى الخاص بإنشاء «اتحاد فيدرالى اثيوبى وإريترى» فى ٢ ديسمبر عام ١٩٥٠ . فقد استطاعت الولايات المتحدة بما لها من نفوذ هائل فى الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تحصل على موافقة ٤٦ دولة واعترضت ١٠ دول وامتنعت ٤ دول عن التصويت . وأرسلت الأمم المتحدة مندوبها لإريتريا لبحث إمكانية تنفيذ مشروع القرار ، فأعلن المندوب أنه مشروع وسط يرضى هؤلاء الذين يرغبون فى الاستقلال ، وهؤلاء الذين يرغبون فى الوحدة مع اثيوبيا ، وكذلك يرضى اثيوبيا بتحقيق حاجتها لمنفذ على البحر الأحمر .

ومما يبعث على الدهشة أن امبراطور اثيوبيا الذى أعرب عن إصراره على ضم إريتريا إلى بلاده وجعلها جزءا من امبراطوريته يتم اختياره على أنه أفضل شخص أو سلطة مناسبة لتنفيذ مشروع الأمم المتحدة بطريقة محايدة !! وقد كان مشروع القرار يهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين :

الأول : إنشاء حكومة ديمقراطية فى إريتريا .

والثانى : إنشاء كيان (فيدرالى) تكون فيه إريتريا عضوا متمتعا بحكم ذاتى .

وكاد يتم تحقيق الهدف الأول بإصدار دستور إريترى ديمقراطى ، أما الهدف الثانى فكان سيتم تحقيقه بتنفيذ قانون فيدرالى وارد فى مشروع قرار الأمم المتحدة .

ونتيجة لرضا مندوب الأمم المتحدة لإرادة الامبراطور فقد صدر الدستور الإريترى غير متضمن نصوصا محددة لمشاركة الإريتريين فى الفروع الفيدرالية وكذلك لم يتم وضع دستور فيدرالى . كما أصر الامبراطور أثناء صياغة الدستور الإريترى على تعيين ممثل له فى إريتريا برغم أن هذه الوظيفة لم ينص عليها فى مشروع القرار أو فى القانون الفيدرالى . وطلب له سلطات واسعة فى حكومة إريتريا مثل تعيين رئيس الحكومة الإريترية أو الموافقة على تعيينه ، وأيضاً وقف سن القوانين أو الاعتراض على القوانين التى تقرها الجمعية الإريترية أو تأييد تعيين القضاة . وقد احتج ممثلو الجبهة الديمقراطية الإريترية بشدة وأعربوا عن قلقهم الشديد إزاء احتمال مؤكد لاستغلال المندوب الامبراطورى مركزه للتدخل فى اختصاص حكومة إريتريا ذات الحكم الذاتى وإزاء هذه المخاوف وعد الامبراطور مندوب الأمم المتحدة بتقديم الضمانات الكافية ، ولكنه لم يف بوعده بعد أن غادر هذا المندوب البلاد .

لقد أصيب عمل الحكومة الإريترية ونشاطها بالشلل وكذلك شلت جميع الضمانات الديمقراطية للقانون الفيدرالى ذلك لأن ممثل الامبراطور (وهو صهره) قد جاء إلى إريتريا لا كممثل ولكن كحاكم على ولاية بلد أصبح فعلا محتلا بأكثر من عشرين ألفا من أحسن الجنود الأثيوبيين المسلحين بأجود الأسلحة ، فضلا عن أنه قد جمع بيده فى السنوات التالية جميع مقاليد الحكم التى هى من اختصاص حكومة إريتريا . وقد أعلن دستور إريترى ولكن ما لبث أن أصبح أداة عاجزة نتيجة لوجود دستور اثيوبى . وبذلك اغتصب الامبراطور سلطات حكومة إريتريا عن

←

قضيـة إريتريـا

طريق ممثله فى إريتريا الذى يمارس أعماله استنادا على جيش الاحتلال . وبدأ ينفذ سياسة ضم إريتريا إلى أثيوبيا فاستولى على جميع المرافق كالسكك الحديدية والبريد والبرق والجمارك والمطارات والموانى . وقام بحل جميع الأحزاب المعارضة لأثيوبيا وأبقى على الحزب الاتحادى الموالى لها . وحرمت أثيوبيا تدريس اللغة العربية ومنعت دخول الكتب العربية والمدرسين الذين كانت ترسلهم الدول العربية لتعليم الشعب الإريترى . وفى عام ١٩٥٩ أنزل العلم الإريترى وبقى العلم الأثيوبى وحده بعد ان كانا يرفعان معا .

وبدأت أثيوبيا فى توطين المسيحيين فى المناطق الإسلامية والأراضى الزراعية الخصبة وفى ميناءى (عصب) و(مصوع) بسرعة كبيرة . كما قامت بتوثيق علاقاتها بإسرائيل ومنحت اليهود امتيازات كبيرة فى الأراضى الزراعية الخصبة ، وسمحت للسفن الإسرائيلية بالصيد على طول السواحل الإريترية البالغ طولها ألف كيلومتر ، ومنحت إسرائيل تسهيلات كثيرة فى موانيها .

وليس من السهل على شعب أعزل تماما يعيش تحت الاحتلال العسكرى وفى ظل إرهاب واضطهاد مستمرين أن يرد بالعنف اللازم ومن ثم كان الشعب الإريترى مضطرا إلى قصر نشاطه على الشكاوى للمنظمة الدولية والقيام بالمظاهرات ضد الأعمال الوحشية الاستبدادية التى تمارسها حكومة أثيوبيا ضده ، ولذلك بعثت الأحزاب السياسية الإريترية - التى كانت تمارس نشاطها سرا - وفدا إلى هيئة الأمم المتحدة لتقديم شكوى ضد خرق أثيوبيا قرار الأمم المتحدة وطالبها بالتدخل . كذلك أرسلت برقية إلى سكرتير عام الأمم المتحدة (داج همرشولد) تحتج فيها على الوضع فى إريتريا وتطلب إليه اتخاذ تدابير عاجلة لوقف الانتهاكات الأثيوبية المستمرة لقرار الأمم المتحدة والدستور الإريترى غير أن سكرتير عام الأمم المتحدة تجاهل هذه الشكاوى .

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩٦٢ تلا رئيس الحكومة[٣] بيانا مكتوبا على أعضاء الجمعية الإريترية هذا نصه : «إن البيان الذى سأتلوه عليكم هو آخر مسألة فى القضية الإريترية . وليس ثمة ما تستطيعون عمله سوى قبوله على علاته ، لقد اعتبرنا الاتحاد باطلا والغيناه وأصبحنا منذ الآن متحدين تماما مع وطننا الأم» . وقد استخدم نائب ممثل الامبراطور اللغة الأمهرية مع أن غالبية الأعضاء لم تكن تفهمها . ولقد أصيب أعضاء الجمعية بالذهول وانصرفوا بين صفين من الجنود المسلحين دون أن يتفوهوا بكلمة واحدة .

وفى الخامس عشر من نوفمبر ١٩٦٢ أذاع راديو أديس أبابا أن إريتريا أصبحت الولاية الرابعة عشرة فى الامبراطورية الأثيوبية .

الكفاح المسلح :

وكان من الطبيعى بعد أن فشلت جهود الشعب الإريترى المتواصلة لحماية حقه المشروع فى الحرية وتقرير المصير أن يلجأ إلى القوة فقامت الثورة بقيادة جبهة التحرير الإريترية تعبيرا عن استياء الشعب الذى قمعت حقوقه بوحشية . ثم تطور الكفاح المسلح طوال العشرة أعوام التالية لقيام الثورة إلى ثورة شعبية واسعة النطاق

(٣) وهو فى الوقت نفسه نائب ممثل امبراطور أثيوبيا .

شملت جميع السكان . واستمرت أثيوبيا فى سياسة القتل والتخريب بدون تمييز فكانت طائرات السلاح الجوى الأثيوبى ترسل إلى القرى الإريترية لتشن عليها حرب إبادة فتدكها وتسويها بالأرض أو تحرقها بما فيها من سكان وحيوانات ومزروعات . كما كانت تعتقل الآلاف وتملأ بهم السجون ويظلون بها بلا محاكمة لعدة سنوات متعرضين لجميع وسائل التعذيب مستعينين بخبراء إسرائيليين فى هذا المجال . وقد أكد الامبراطور الأثيوبى فى خطاب القاه فى أسمرا فى ٢٨/٦/١٩٦٢ : «إن أثيوبيا لن تتخلى عن إريتريا التى جاءنا الغزاة دوما عبرها» .

ولقد تطور الكفاح المسلح للشعب الإريترى وحاز انتصارات عدة حتى أصبحت قوات التحرير الشعبية تسيطر على معظم الريف الإريترى وتشتبك فى معارك ضارية ضد القوات الأثيوبية مستهدفة تحقيق الاستقلال الوطنى الكامل . حتى أن أثيوبيا أعلنت أن الحرب الإريترية تكلف خزينتها اكثر من ثلث إيراداتها . وقد كانت هذه الحرب احد الأسباب القوية التى قضت على حكم هيلاسلاسى حيث قام (منجستو هيلامريام) عام ١٩٧٤ بالانقلاب ضده ، واقصى الامبراطور عن العرش وأعلن الجمهورية بعد حكم ملكى دام حوالى ثلاثة آلاف عام . وقام بقمع الثورة فى إريتريا التى شهدت مذابح عديدة مما جعل الكفاح المسلح للشعب الإريترى يدخل مرحلة جديدة اكثر عنفا ، ولذا لجأت الحكومة العسكرية فى أثيوبيا إلى الولايات المتحدة التى اقامت جسرا جويا لنقل العتاد الحربى إلى أثيوبيا لإخماد الثورة فى إريتريا ذلك أن السياسة الأمريكية ـ التى ترمى إلى السيطرة على المواقع الاستراتيجية فى العالم ـ كانت ترغب فى دعم أثيوبيا الصديقة وتساعدها على ضم إريتريا إليها منفذها الوحيد على مياه البحر الأحمر ومضيق باب المندب لتضمن بذلك سلامة واستمرار مرور البترول الخارج إلى الغرب ، ولتقضى على دولة إسلامية قد تنشأ .

ورغم الكوارث التى حلت بسكان إريتريا بسبب حرب الإبادة هذه فإن الثورة الإريترية قد قضت على الفرقة بين المواطن المسلم والمواطن المسيحى وأصبح الشعور بالمواطنة الإريترية هو الغالب . وإذا كانت تجربة الاتحاد الفيدرالى المريرة قد علمت الشعب الإريترى درسا فهو أنه لا خلاص له إلا بوحدته الوطنية ويتجاوز تناقضاته الثانوية .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن مشكلة إريتريا قد دخلت فى الصراع العربى الإسرائيلى ، فقد أعلن الأدميرال (ابراهام بوتزر) القائد السابق للبحرية الإسرائيلية : «إنه إذا نالت إريتريا استقلالها فإن كل البحر الأحمر سيصبح بحيرة عربية ولن تستطيع السفن الإسرائيلية أن ترسو فى أى ميناء على طول هذا الممر البحرى الهام» . وبذلك تكون قضية إريتريا قد دخلت فى حزام الأمن العربى وارتبطت بضرورة وقف التسلل الإسرائيلى إلى افريقيا وآسيا عبر باب المندب ، ذلك التسلل الذى استفحل بفضل التسهيلات التى منحتها أثيوبيا لإسرائيل فى جزر وسواحل وموانى إريتريا . ولاشك أن هذا الارتباط يضع أمام الدول العربية مسئولية تأييد حق الشعب الإريترى فى الاستقلال . كما أنه من ناحية اخرى يضع أمام جميع الدول العربية المطلة على البحر الأحمر وعلى مدخله الجنوبى مسئولية وضع استراتيجية أمن موحدة فى هذه البحيرة العربية على حد الوصف الإسرائيلى .

ومازال شعب إريتريا يتطلع إلى الدول الإسلامية ويهيب بالمنظمة العالمية للأمم المتحدة أن تتبنى قضيته وترسل لجنة تحقيق إلى إريتريا .

قضيـــة إريتريـــا

آخر التطورات :

ومما يذكر أن نائب وزير خارجية الاتحاد السوفيتى صرح[٤] فى ١٩٨٩/٧/١٣ بأن مسئولين سوفييت أجروا اتصالات مؤخرا ولأول مرة مع ممثلى جبهة تحرير إريتريا بهدف إنهاء الحرب الأهلية الأثيوبية ، وقال : إن هذه الاتصالات تمت فى لندن وأنها جرت بموافقة الحكومة الأثيوبية .

ونشر[٥] أن مصر قامت مؤخرا باتصالات مكثفة مع قادة الثورة الإريترية لمعرفة مطالبهم وذلك لوضع الخطوط العريضة للمفاوضات التى ستتم مع الحكومة الأثيوبية لوضع حد لمأساة الحرب التى دامت أكثر من عشرين عاما تكبدت خلالها أثيوبيا خسائر مادية وبشرية جسيمة . وكانت أثيوبيا قد طلبت من مصر والسعودية والعراق إقناع الثوار الإريتريين بوقف القتال مع القوات الأثيوبية وبدء حوار غير مشروط لإنهاء حالة الحرب بين الطرفين ، وقد نجحت جهود الدول الثلاث فى الوصول إلى اتفاق بوقف القتال وبدء المفاوضات قريباً .

وكذلك أعلن (هيرمان كوهين)[٦] وكيل الخارجية الأمريكية المساعد للشئون الأفريقية : «إن الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر سيتوجه إلى اديس ابابا (يوم الأربعاء القادم) للتوسط فى النزاع بين الحكومة الأثيوبية وثوار إريتريا». وذكر المسئول الأمريكى «أن أثيوبيا قد وافقت على بدء مفاوضات مع الثوار دون شروط ، وأن واشنطن ترحب بمثل هذه المفاوضات» .

وقد صرح الرئيس الأثيوبى منجستو هيلامريام[٧] لرؤساء تحرير الصحف المصرية المرافقين للرئيس حسنى مبارك فى مؤتمر القمة الأفريقية بأديس ابابا (٢٤ يولية ١٩٨٩)[٨] بالآتى : «تعرفون أن الحكومة الأثيوبية بذلت جهودا مكثفة لحل المشكلة الإريترية ، ولكن لسوء الحظ لم تجد هذه الجهود قبولا من جانب الانفصاليين ، ولكننا الآن كثفنا جهودنا ووضعنا خططا لإزالة كل الأشواك التى كانت تعوق طريقنا وقدمنا نقاط السلام التى وجدت قبولا لدى العالم ولدى الإريتريين ، وعلينا أن نتجه إلى العمل ونحن مستعدون» .

وقد وصل إلى القاهرة «امس»[٩] (اسياس افوركى) أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا . وأشاد بالدور الفعال الذى تؤديه مصر فى علاج مختلف القضايا والصراعات الأفريقية وبخاصة بعد تولى الرئيس محمد حسنى مبارك رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية .

وأعلن افوركى «إن المباحثات بين الحكومة الاثيوبية وجبهة تحرير إريتريا سوف تبدأ يوم ٧ سبتمبر القادم بهدف بحث إمكان التوصل إلى تسوية سلمية وإنهاء النزاع المسلح بين الجانبين» .

---

(٤) الأهرام العدد (٣٧٤٧٣) الصادر فى ١٤ يوليو ١٩٨٩ ص ٤ عمود ٤ .

(٥) جريدة «الحقيقة» العدد ٥٩ السبت ١٩٨٩/٧/٢٢ ص ١ عمود ٤ ، ٥ .

(٦) جريدة «الأهرام» العدد ٣٧٤٨٢ الأحد ١٩٨٩/٧/٢٣ ص ٦ عمود ٤ .

(٧) جريدة «الأهرام» العدد ٣٧٤٨٥ الاربعاء ١٩٨٩/٧/٢٦ ص ٣ عمود ٥ .

(٨) الدورة الخامسة والعشرون لمؤتمر منظمة الدول الأفريقية المنعقد فى أديس ابابا فى الفترة من ٢٤ ـ ٢٦ يوليو ١٩٨٩ برئاسة الرئيس محمد حسنى مبارك .

(٩) جريدة الأهرام العدد ٣٧٥١٣ بتاريخ ٨٩/٨/٢٣ عمود ٤ ، ٥ ص ١

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

يا رب

انتفاضة الأشبال

العلوية

يارب

شعر: أحمد المنشاوى الوردانى

هذى عطايك لا مَنٌّ ولا كدرٌ ... لو جئت احصرها ينتابنى الحصر

كم قد مددت يدا للعبد حانية ... وقد غفرت له ماليس يُغتفر

وحين اكرمته استغنى وحرّضه ... على معاصيك شيطان له خطر

مشى به فى فجاج ليس يسلكها ... إلا غوىّ دنىء ليس يزدجر

اعمته وسوسة منه وورطه ... فى مهلك ليس منجىً منه أو وزر

وحين بان عن المسكين صاحبه ... وضاقت الارض واستشرى به الخطر

لم يلق غيرك ياربّاه فابتدرت ... دموعه ترتجى والقلب منفطر

ومن سواك له يامن له خضعت ... تلك الطبيعة والاملاك والبشر

فى هداة الليل كم عانٍ إليك رنا ... والقلب والدمع اوّاب ومنهمر

مستمطراً فضل من فاضت خزائنه ... للبائسين ومن اضنتهم الغير

قاموا ببابك فى ذل ومسكنة ... وفى الصدور لهيب الذنب يستعر

هيهات يرجع محزونا من ارتفعت ... يداه .. نحوك او يحلل به الكدر

رباه يامالك الأكوان اجمعها ... نحن الضعاف فلا حول ولا قَدَرُ

وقد وسعت البرايا رحمة وقِرَى ... من آمنوا بك ياربى ومن كفروا

انت الغنى فما الابرار إن صلحوا ... هم نافعوك ولا الفجار إن فجروا

مننت بالخير فاشفع ما مننت به ... بالعفو ، واعطف علينا إننا بشر

ووفق الناس للحسنى فكلهم ... إلى جزيل العطايا منك مفتقر

انتفاضة الأشبال

في فلسطين

شعر: عمر موسى البرعي

ضرام ليس يخبو او يرق ... سلاح لغلاه احجار وحرق
تلاقى منه إسرائيل ويلا ... ويدهمها به سحق ومحق
فلسطين بها الاشبال ثاروا ... ولم يقعد بهم لين ورفق
إذا هموا بامر انفذوه ... وليس يخيفهم سجن وشنق
ابادوا بالحرائق كل زرع ... وكان لباسهم فى الحرق طرق
لقد شهروا الحجارة ثم راحوا ... وقد اغراهمو للثار ربق
واوفوا عهدهم لله صدقا ... وكم اخذوا بما لم يستحقوا
شباب فى البلاد لهم حقوق ... وهم بتراب ارضهمو احق
هم الاحرار ضاقوا باصطبار ... وقد اضناهمو قيد ورق
شبول غير انهمو اسود ... إذا زارت اصاب القوم صعق
وإسرائيل ضاقت بالضحايا ... وقد اودى بهم حرق ورشق
هم المستعمرون لها اغتصابا ... وقلب القدس انات وخفق
فهم من دنسوا وجه المغانى ... ومن عدوانهم يسودُّ افق
وبالإرهاب قد هاموا وامسى ... لهم بالفتك والإرهاب عشق
اضاعوا الحق واغتصبوا حماه ... وعز عليهمو فى الحق نطق
فلسطين بها شعب ابى ... له فى ان يعيد الارض حق
وللثوار فيها كل عزم ... كعزم السيف قد جلّاه مشق
وكل ترابها در وتبر ... واهل القبلتين بها احق
سترجع بالكفاح الحر يوما ... فليس يضيع حق مستحق

العلوية

٣

د. حلمي محمد القاعود

يدفع الشاعر عن عليّ مظنة السوء او الإساءة إلى عثمان ، فقد كان عليّ اول من وقاه ، وذاد عنه الردى ، ولكنها الفتنة التى اشتعلت فلم تُبق مكاناً إلا واضطرمت فيه ، واختلف المسلمون بعد عثمان .. طائفة قرت في بيتها واخلدت للسكينة ، واخرى بايعت علياً .. وثالثة رفعت السيف فى وجهه وعندما استبانت الحق بايعت علياً (اهل الجمل) اما (اهل صفين) فقد كان لهم موقف آخر ، ملىء بالصراع والاضطراب ..

وعند هذا الموقف يتروى « محمد عبد المطلب » ويتتبع تفاصيل الفتنة ، ويسهب فى الحديث عن أطماع ابن حرب (معاوية بن ابي سفيان) ، ويشير إلى زخارف الدنيا التى خدعت أتباعه ودفعتهم إلى الخلاف وإشعال الفتنة ، ثم يتوقف بصفة خاصة عند « التحكيم » بعد رفع المصاحف ، ونتيجة هذا التحكيم التى لم تكن على المستوى المطلوب ، أو المنهج المستقيم ، فجاءت على عكس المطلوب منها وهو إنصاف الخليفة الإمام ، لتشق صف المسلمين ، وتنتج فتنة وخوارج .. بالرغم من أن عليا كاد ينتصر على خصومه بحد السيف الذى رفعوه فى وجهه :

فلما كاد حكم السيف يمضي
وولّى الجمع واستبقوا الخياما
أثاب إلى الكتاب دهاءُ عمرو
دهاء يأكل السيف الحساما
وأقبلت المصاحف مُشْرَعاتٍ
يهلّل تحتها الجيش ارتساما
وما هم بالكتاب أبرّ منه
ولا أولى بحكمته ائتماما
عباب البحر تنقص منه قدراً
إذا شبّهته قلبا ذماما(١)
ولكن حيلة جرّت بلاءً
على الدنيا وأياما وخاما
إذا الحكمان بالأمر استقلا
فليتهما على النهج استقاما
لقد قرنوا أبا موسى بعمرو
وما أدراك ما عمرو إذا ما

(١) القلب الذمام : البئر الصغيرة .

ارى فحلاً يقاس به حلامَ
وكيف تقيس بالفحل الحُلاما ؟[٢]

مضى الحكمان ماحسما خلافا
ولافضا لمشكلة ختاما

ولا يُخفى « محمد عبد المطلب » مشاعره وعواطفه تجاه أطراف الصراع ، فهو حانق على « عمرو بن العاص » بسبب خدعته الكبرى حين أمر جنود « معاوية » أن يرفعوا المصاحف عندما بدت هزيمتهم واضحة ، لأنه يعلم أن عليا لن يستمر فى القتال إذا رأى المصاحف ، ويرى « عبد المطلب » أن هذه الخدعة قد جرت بلاءً عظيماً . فقد تبعتها عملية التحكيم التى أُسْنِدت إلى « أبى موسى الأشعرى » و « عمرو بن العاص » ، وهو تحكيم لم يكن موفقاً . ويفسر ذلك بأن عمرو بن العاص لم يكن كفؤاً لأبى موسى ، ولذا جاء التحكيم مائعاً ، مكّن لأعداء عليّ من التقاط الأنفاس وتحقيق كسب معنوى ومادى ، مع إنزال هزيمة معنوية بعلى وانصاره حيث تمزقوا ونشأت طائفة الخوارج التى اقترفت الكثير من المآثم والمجازر ، مما تفيض به كتب السيرة والتاريخ ..

ويلاحظ أن الشاعر يعتمد هنا إلى حدّ ما على « المثل » كعنصر من عناصر تأييد آرائه وتصوراته ، كما نرى فى مقارنته بين البحر الكبير والبئر الصغيرة للتدليل على الفارق بين « على بن أبى طالب » فى علمه بالقرآن ومنزلته وحفاظه على مكانتـه ، وبين أتباع « معاوية » حين زعموا حرصهم على القرآن برفع المصاحف :

عبابُ البحر تُنْقِصُ منه قدراً
إذا شبّهته قلبا ذماما

كذلك يقارن بين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص من خلال « مثل » أو مايشبه « المثل » ، فيصور الأول بالفحل فى ضخامته وفتوته ، ويصور الثانى بالجدى الصغير فى ضآلته وضعفه ..

ارى فحلاً يقاس به حُلامٌ
وكيف تقيسُ بالفحل الحُلاما ؟

ويبدو هذا التصوير فجا ، بل فظا ، حين ندرك مكانة كل من الصحابيين الجليلين وسموهما عن أن يشبها بالفحل والجدى (الحلام) .. ولكنها طبيعة الشاعر الذى يوغل فى عمق التاريخ ليصل إلى اللغة فى صورتها البدوية تشكيلا وتصويرا ، باعتبار هذه اللغة ، هى الفصاحة فى أوضح صورها ، ولكن الذوق اللغوى ، فى أيامنا على الأقل يرفض تصوير الصحابيين الجليلين بالفحل والجدى ..

كذلك يلاحظ أن الشاعر فى الأبيات يلجأ إلى الحذف معتمداً على فطنة القارىء وذكائه ، وإن كنت أرى ذلك نوعاً من القصور التعبيرى الذى فرضته القافية ..

لقد قرنوا أبا موسى بعمرو
وما أدراك ما عمرو إذا ما

يريد أن يقول : وما أدراك ما عمرو إذا ما قرن بأبى موسى ؟ إنه سيكون بجانبه ضئيلا ، ويبدو لى أن حضور العقل القوى والذهن الحاد ، فى أثناء النظم ، قد أفقد الشاعر كثيراً من « الطبيعية » فى الأداء ، وألجأه إلى مثل هذه المآزق التعبيرية ..

ومع إحساسه بالإخفاق والإحباط إزاء ما جرى فى عملية التحكيم باعتبارها « حيلة جرت بلاء » ، فإنه يلتفت إلى أمير المؤمنين « علىّ » ، ويخاطبه فيما يشبه التحسر والتوجع والأسى ، حيث انقلب الزمان واقبل بالوفاء على « معاوية » الذى لا يستحق الخلافة من وجهة نظره ، حتى لو كان ينتمى إلى اصول عظيمة :

أمير المؤمنين أرى زمانا
لحربك هزّ مِخْذَمه وَشَاما[٣]

واقبل بالوفاء على « ابن حرب »
يصافيه المودة والوئاما

←

(٢) الحلام : الجدى الصغير .

(٣) المخذم : السيف ، وشامة = سله .

ولم يك بالإمامة منك أولى
وإن هو فى أرومته تسامى(٤)

ويستطرد فى الإلحاح على الجانب « العائلى » أو جانب الحسب فى ترجيح من هو أحق بالخلافة ، ويقارن بين أصول كل من على ومعاوية ليرى أن علياً أطول باعاً فى هذا المجال ، وأظن أن المسألة أيامئذ لم تكن مطروحة بهذا التصور ، بل كانت قائمة أساساً حول « ثارات عثمان » وضرورة أن يقتص أمير المؤمنين من قاتليه . وكان لها جوانب أخرى عقدية وفكرية ومكانية ، فضلا عن التطلعات السياسية لمعاوية ، وأهل الشام .. ولكن إلحاح الشاعر على جانب « الأرومة قد قلل - فيما يبدو لى - من جلال الموقف الذى وقفه علىّ - وهو يواجه باطلاً - يتوهم أنه حق ..

ولم يمنعه الإلحاح على هذا الجلنب من الإشارة إلى الناحية العقدية عندما أشار إلى ضلال القوم ، وسوء الخلف ، وسيادة الباطل ، وزهو الدنيا ، وانتصار الشيطان :

بلى إن الزمان لفى ضلال
لوى فى الحق وانتهك الزماما
طوى السلف الكرام وجاء قوم
فكانوا بعد من سلفوا قماما(٥)
إذا اخذ الإمام بأمر حرام
رأيت الخلف والرأى الكهاما
زهاهم زخرف الدنيا فهاموا
مع الشيطان بالدنيا غراما
وليس لطالب الدنيا دواء
إذا كانت له الدنيا سقاما ...

ولكنه - نفس الشاعر - يواصل فيما يشبه الأنين والنواح سرد النهاية المأساوية لمصرع الإمام على رضى الله عنه ، منذ ترسخت جذور الانقسام بين المسلمين ، والاحتكام إلى الهوى ، وعدم الانصياع إلى الحق ، بالرغم من سطوعه على لسان الإمام .. ويشير إلى تخاذل أهل الشام عن نصرة الحق ، وموالاتهم للباطل ، ثم يعرض لظهور الخوارج وقيامهم بالدور المشين فى التآمر على أمير المؤمنين ، وقتله بيد عبد الله بن ملجم ، وهنا يرتفع صوت الشاعر بالسخط والحنق على هذه الفعلة الشنعاء ويراها شؤما على الإسلام فقد كانت « غراب بين » أو نحساً يتطير منه الناس (فألا لجاما = سمك تتشاءم منه العرب) ، ويشبه الشاعر ابن ملجم تشبيها طريفاً وساخراً حين يصوره بالحمار المصاب بالحمى فى رأسه :

جرى طير ابن ملجمها علينا
غراب البين والفأل اللجاما
كأنى بالخبيث حمار سوء
يعانى من وساوسه حماما

ويستغرق المشهد الأخير لمصرع الإمام أبياتاً كثيرة ، تئن وتنوح ، حزناً وأسفاً ، ويبرز من خلالها مدى هيبة علىّ وشموخه ، وأن السيف لو كان يعلم أن « القتيل » هو « علىّ » لمات فى غمده خجلا ، ولو كان له خيار لانثلم عن جرح الإمام أو إصابته بأذى .. بل كان قد مضى فى قلب قاتله .. ويستمر فى هذا المنوال يرثى عليا وينوح عليه حتى يصور اللحظات التى نعى فيها الناعى أمير المؤمنين بعد الجريمة الغادرة :

نعى الناعى أبا حسن فمالتْ
رواسى الأرض تندك انهجاما
نعى الناعى أبا حسن فراحتْ
بواكى الدين تلتدم التداما
لقد سلب الحمام بنى لؤى
أبا سلام والشيخ الحماما
بروحى غرة يجرى عليها
دم أزكى من المسك اشتماما

---

(٤) الأرومة : الأصل .

(٥) قمام : جمع قمامة وهى الكناسة .

جبين زاده بالموت نورا
لقاء الله فانطلق ابتساما
بروحي إذ يجود بخير نفس
تخاف على الحنيفة أن تضاما
بنى العدل إن شئتم قصاصا
كفى بكتاب ربكم إماما
كتاب الله لا تغلوا فإني
أخاف عليكم الا يقاما
مضى زين الصحابة في سبيل
إلى ملأ بجيرته استهاما
إلى دار السلام مضى علي
وجاور في منازلها السلاما

ويبدو الشاعر من خلال نواحه على الإمام، يريد أن يكيد لأعدائه، حين يضفي عليه من الصفات ما يحول شهادته إلى خير عميم بالنسبة له، وإن كان الحدث كما صوره من قبل يمثل كارثة، أو قاصمة من القواصم التى عى ظهر الدين بحملها.. بيد أن الصور التى صور بها الإمام الشهيد، تبدو أيضا نوعا من التعزية، تصعه في هالة من النور والألق والأنس يفتقدها الذين قتلوه وغدروا به أو حرضوا عليه أو أثاروا الفتنة من حوله:

جبين زاده بالموت نورا
لقاء الله فانطلق ابتساما

وكأنه يقول لهم: ها هو الشهيد يبتسم سعيداً، لأنه سيلقى ربه، فقد حققتم له أمنية غالية، ويؤكد ذلك حين يعود في بيت آخر ليتحدث عن الجيرة المحبة والمحبوبة.

مضى زين الصحابة في سبيل
إلى ملأ بجيرته استهاما

ثم يكرر المعنى بطريقة ما في آخر أبيات المطولة حين يراه قد ذهب بشهادته إلى دار السلام حيث السلام الأبدى بعيداً عن الصراع والفتن والأحقاد:

إلى دار السلام مضى عليّ
وجاور في منازلها السلاما

وهكذا تنتهى «العلوية» نهاية تحمل الحزن والعزاء معا:

لقد أثارت هذه المطولة العواطف والمشاعر، كما أثارت عند إنشادها مفهوم قضية التجديد في الشعر، لدى فريقين، أحدهما محافظ، يرى في النموذج القديم الموغل في القدم منذ الجاهلية الصورة المثلى للتجديد لفظا وصورة وموسيقى وبناء وهو مايؤمن به صاحب العلوية، وثانيهما: يرى المسألة على العكس من ذلك، مرتبطة بالشعور والحس والتجربة والوحدة العضوية والموضوعية، وهو ماتؤمن به مدرسة الديوان وعلى رأسها العقاد.

وقد كانت القصيدة مناسبة لأن يعبر العقاد عن رأيه في مفهوم التجديد الشعرى على النحو الذى سبقت الإشارة إليه.. وإن كنا نودّ التأكيد على رأى العقاد فيما نسبه إلى عبد المطلب من فضل الابتعاد بلغته عن مزالق البديعيات المتكلفة إلى حضن اللغة الصافية والصياغة المستقيمة من منطلق دينى، يقول العقاد «ولكن عبد المطلب كان وحيدا في مدرسته الأدبية التى استقامت لها صحة الأسلوب من طريق الدعوة الدينية، وكان أوضح دليل على فائدة الدعوة الإسلامية قبل نيف وستين سنة في إراحة العربية من آفات البهارج والطلاوات»(٦).

وإذا كان عبد المطلب قد أراح العربية من آفات البهارج والطلاوات، فإنه بعث كما كبيراً من المفردات المهجورة، والتى لايكاد يخلو منها بيت، وإذا كانت هذه المفردات تدل على قدرته وتمكنه من السيطرة على المعجم العربى، فإنها تثير صعوبة واضحة لدى المتلقى، وبخاصة إذا كان مستمعا،

البقية ص ٥١٥

(٦) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى، ص ٤٢..

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

موطنان

● موطنان ابك فيهما ولا حرج :
طاعة فاتتك بعد أن واتتك .
ومعصية ركبتك بعد أن تركتك .

● وموطنان افرح فيهما ولا حرج :
معروف هديت إليه ، وخير دللت عليه .

● وموطنان اكثر فيهما من الاعتبار :
قوى ظالم قصمه الله .
وعالم فاجر فضحه الله .

● وموطنان لا تطل الوقوف عندهما :
ذنب مع الله مضى ، وإحسان إلى الناس سلف .

● وموطنان لا تندم فيهما : فضل لك جحده قرباؤك ، وعفو منك أنكره عتقاؤك .

● وموطنان لا تشمت فيهما :
موت الأعداء وضلال المهتدين .

● وموطنان أكثر منهما ما استطعت :
طلب العلم ، وفعل المكرمات .

● وموطنان لا تجزع من مشهد البكاء فيهما :
بكاء المرأة حين تتظلم ، وبكاء المتهم حين يقبض عليه .

● وموطنان لا يغرنك الضحك فيهما :
ضحك الطاغية لك ، وضحك المحزون عندك .

لهم لا لك

افتخر بعض الأغنياء عند بعض الحكماء بالآباء والأجداد وزخارف المال المستفاد .
فقال له ذلك الحكيم :

إن كان فى هذه فخر فينبغى أن يكون الفخر لها لا لك . وإن كان آباؤك كما ذكرت أشرافا فالفخر لهم لا لك .

مأثورات عن بعض ملوك الفرس

قال : سرت فى نور الشمس والقمر والمصباح فلم استضىء بشىء أذكى من قلبى .

وقد وقعت من أبعاد مختلفة فلم يرهقنى مثل سقطات لسانى .

ومشيت على الجمر ووطئت الرمضاء فلم أر نارا أحر على من غضبى .

وشربت المر ولعقت الصبر فلم أر أمر من الفقر .

ونقلت الصخور وحملت الأثقال فلم أحمل أثقل من الدين .

وتحملت ذل السجن ، فلم أر أشد إيلاما للنفس من ذل السؤال .

وشُدِدْتُ فى القيود وجلدت بالسياط فلم يهدنى سوى الحزن ، ولم يقهرنى سوى الغم .

وتصدقت بالذخائر وبذلت فى العطايا فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضلالة إلى هدى .

الطـــرب

الطرب : يذهب الناس إلى أنه فى الفرح دون الجزع ، وليس كذلك ، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع ، قال النابغة الجعدى :

وأرانـى طـربـا فى إثـرهـم
طـرب الـوالـه أو كـالمختبـل

وقال آخر :

يقلن لقـد بكيت فقلت كـلا
وهل يبكى من الطرب الجليد

صحيح البخارى

صحيـح البخارى لـو أنصفـوه
لـمـا خط إلا بمـاء الـذهـب
هو الفرق بين الهدى والعمى
هو السد دون العنا والعطب

أسـانيد مثـل نجـوم السمـاء
أمـام متـون كمثـل الشـهب

بـه قـام ميـزان دين النبى
ودان لـه العجم بعد العـرب

حجـاب من النار لاشـك فيه
يميـز بـين الـرضـا والغضب

وخـير رفيـق إلى المصطفـى
ونـور مبـين لكشـف الـريب

الحســد

أول الحساد إبليس ، حسد سيدنا آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الجنة .

قال بعض العلماء : أول ذنب عصى الله به فى الأرض وفى السماء : الحسد .

دعـــاء

بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت ، الله ربى لا أشرك به أحدا ، اللهم أسألك خيرا من خيرك الذى لا يعطيه غيرك ، عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله إلا أنت ، اجعلنى فى عياذك وجوارك من كل سوء ، ومن الشيطان الرجيم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

نظر الإسلام

إلى النفاق والمنافقين

لفضيلة الأستاذ الجليل
الشيخ أبو الوفا المراغى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

النفاق خلق ذميم . يفتح الباب لخصال أشد ذمامة يأباها الدين والذوق السليم . من أجل ذلك أنكر الإسلام النفاق وكره المنافقين . بل وسلكهم فى سمت الكافرين وتوعدهم بشديد العذاب وسوء المآب .

قال الأستاذ رحمه الله :

النفاق داء قديم ابتلى به الناس ، وأغلب الظن أنه نشأ مع الإنسان ؛ فقد فطر الله الناس مختلفى الطبائع قوة وضعفا ، وشجاعة وجبنا ؛ والنفاق فى أكثر الأحيان يلازم ذوى النفوس الضعيفة التى يسهل تلوينها بوسائل الإغراء . وقد عرف العلماء النفاق بعبارات كثيرة .

فعن الحسن :

النفاق اختلاف السر والعلانية ، والقول والعمل ، والمدخل والمخرج .

وعن عبدالله بن جراد : المنافق يملك عينه يبكى كما يشاء . قال المناوى لأنه ذو لونين باطن وظاهر ، ويقين وشك ، وإخلاص ورياء ، وصدق وكذب ، وصبر وجذع . وإن أشهر هذه العبارات وأجمعها ما عرفه به بعضهم ، وهو : أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن . فإذا أظهر الإنسان خلاف ما أبطن من عقيدة التوحيد بالله وبأنبيائه وباليوم الآخر ، فهو منافق كافر ؛ وإذا أظهر خلاف ما أبطن من غير ذلك ، فهو منافق مخادع .

وعلى هذا فالرياء ، والخداع ، والتدليس ، والمصانعة ، والمداهنة : كلها أفراد لهذا الجنس البغيض ؛ أعنى النفاق .

وقد تحدث الإسلام كثيرا عن نوع خاص من النفاق ، وهو النفاق فى العقائد ؛ وهو أن يظهر الإنسان الإسلام ويبطن الكفر ؛ لأنه أشد أنواعه خطرا على الأمة . والمنافقون على هذا الوجه من

شر ما تبتلى بهم الأمم والجماعات ؛ لأنهم يظاهرون أعداءها ، ويدلونهم على مواطن الضعف فيها ، وهم على بينة منها .

وقد قسا القرآن وقست السنة فى عقاب هؤلاء ، وسلكاهم فى نظام الكافرين ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ بل جعلهم القرآن شرا من الكافرين ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ .

وعن النبى ﷺ : «تجد من شرار الناس يوم القيامة ذا الوجهين : الذى يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » . وعن أبى فضالة قال : كان بعض المهاجرين يقول : والله ما أخاف المسلم ولا أخاف الكافر ؛ أما المسلم فيحجزه إسلامه ، وأما الكافر فقد أذله الله عز وجل ، ولكن كيف لى بالمنافق ؟

وقد يصح تسمية هؤلاء «الطابور الخامس» بلغة العصر الحديث . وقد أدركت الأمم شر هذا الطابور وفرضت عليه أقسى العقوبات .

وقد استنكر الإسلام النفاق فى الأقوال والأعمال فى أى صورة من صوره وعلى أى وجه من وجوهه ، لسوء أثره فى حياة الأمم والأفراد . فالنفاق رذيلة اجتماعية خطيرة ، ترفع الثقة بين الناس فى شئونهم ، وبالتالى تذهب بالتعاون بينهم ، وإذا انعدمت الثقة بين الناس وفقد بينهم التعاون ، وقفت عجلة الحياة فيهم ، وركدت ريحهم ، وحل بهم الجمود والبوار . فعلى هذين الركنين ، أعنى الثقة والتعاون ، تقوم صروح التجارة والصناعة والعلم ، ومظاهر الحضارة عامة .

وبهذين الجناحين طارت أمم فى سبيل المجد وعزت وسادت ، وبدونهما تخلف عن ركب الحضارة من الأمم من تخلف .

والنفاق فى ذاته خلق ذميم ، وهو مدعاة لطائفة أخرى من الأخلاق الذميمة ؛ كالغدر والكذب ، والخيانة ، والرشوة ، والتجسس ، والنميمة ، والفجور ، والجبن ؛ وهذه كلها أدواء تفتك بجسم الأمة فتحيلها هيكلا متخاذلا ، لا تنهض برسالتها ، ولا تصلح لمنافسة الأمم ومزاحمتها .

لهذا كله أنكر الإسلام النفاق ، وكره المنافقين ، وصورهم فى أشنع الصور وأقبحها ، وأنذرهم شديد العذاب وسوء المآب ؛ ولم يعتد بأعمالهم لمجانبتها الاخلاص والقصد الحسن إلى ثواب الله وجزائه .

قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

وعن النبى ﷺ : «إن المنافق ليصلى فيكذبه الله عز وجل ، ويصوم فيكذبه الله عز وجل ، ويتصدق فيكذبه الله ، ويقاتل فيقتل فيجعل فى النار» . وعنه عليه الصلاة والسلام : «المنافق يعبد هواه ، لا يهوى شيئا إلا ركبه» . وعن عمر رضى الله عنه : «ما أخاف عليكم أحد رجلين : رجل مؤمن قد تبين إيمانه ، ورجل كافر قد تبين كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره» . وعن عبدالله بن عمر . أنه رأى الناس يدخلون المسجد فقال مستفهما : إن رأوا منكراً أنكروه وإن رأوا معروفا أمروا به ؟ قالوا : لا . قال : فما يصنعون ؟ قالوا : يمدحونه ثم يسبونه إذا خرجوا من عنده . فقال ابن عمر : إن كنا لنعد النفاق على عهد رسول الله فيما دون هذا . وعن بلال بن سعد : المنافق يقول بما يعرف ، ويعمل بما ينكر .

هذا نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين ، وهذا

من روائع الماضى

موقفه منهم ؛ وإنه موقف حازم وصارم هم جديرون به ؛ لأنهم جراثيم فى أجسام الأمم يفتكون بها ويسلبونها أمنها واستقرارها .

وقد راجت سوق النفاق فى هذا العصر ، وساعد على رواجها روح التسلط فى الأمم ، وشهوة الأفراد القوية فى الربح المادى من أى وجه وبكل حيلة ، فأصبحت الأمم القوية تخادع الأمم الضعيفة عن حرياتها ، وتساومها فى مصائرها ، وأصبح الأفراد يخادع بعضهم بعضا ، وشاع النفاق فى كل شأن من شئون الناس ، وصار غير مستغرب ولا مستنكر أن يعد الرجل ولا يفى ، ويستقرض ولا يؤدى ، ويقول ولا يعمل ، ويهنىء وكان من امانيه أن يعزى ، ويتظاهر بالصداقة وقلبه مملوء بالحقد والضغينة .

وقد ضاقت الأمم والأفراد ذرعا بهذه الحال ؛ إذ تجلت لهم أخطارها ، وتكشفت مآسيها ، فساءت علاقات الأمم وساورتها الشكوك والريب ، وقلت ثقتها بالعهود والمواثيق ، ونظر بعضها إلى بعض نظرة الحذر والوجل ، وكذلك نظر الأفراد بعضهم إلى بعض .

وحاولت المدنية الحديثة أن تبرر النفاق وتضفى عليه الوانا براقة تُخفى شَينه وتغطى عيبه ، فسمّته مرة «دبلوماسية» ، ومرة «لباقة» ، وثالثة «مرونة» ، ورابعة «مجاملة» إلى غير ذلك من الأسماء ؛ ولكنها محاولة فاشلة ، فهيهات أن تقلب حقيقته ، وتقى الناس شره وأخطاره ؛ وهيهات أن تغير من نظر الإسلام إليه نظرا يكافىء هذه الشرور والأخطار !

المجلد التاسع عشر

أضواء على رحلات اليهود . بقية

الرطوبة التى تغلف حوائطه ، أو تنام فى سرير مع اثنين من إخوتك ولا تستحم لأوقات قريبة ، لأنه ليس بمقدور والدتك أن تسخن الماء على النار كى يستحم عدد كبير من الأطفال ، فعندما تكبر سوف تكون عصبيا وسريع الغضب نتيجة للظروف التى مررت بها»[٢٠] .

وإنسان كهذا غير مكيف كما يبدو كى يتصارع مع مشاكل الحياة ومن الصعب عليه البحث عن حياة كريمة وظروف معيشية أفضل ، وهكذا أصبحت هذه الطوائف تعيش فى فقر هى ومن جاء بعدها من أجيال .

ومن هنا كان يهود الشرق (السفارد) مادة خصبة تناولها الأدباء اليهود فى انتاجاتهم بالدراسة والتحليل ومن هؤلاء الأدباء يهودا بورلا الذى سنقوم بدراسة يهود الشرق من خلال إنتاجاته الأدبية فى الفصول القادمة .

وفى الجزء التالى من هذه الخلفية سأتعرض لتاريخ ثلاث من طوائف يهود الشرق وهم يهود اليمن ، يهود المغرب ، يهود سوريا حيث إن هذه الطوائف تظهر على نحو مكثف فى أدب بورلا ، فقد كتب رواية «نغمة» عن يهود اليمن ورواية «الزوجة المكروهة» عن يهود المغرب ، وقصتى «الملكة» ، «هبة» عن يهود سوريا حتى يتسنى لنا معرفة مدى صدق الأديب بين الصورة التى وصف فيها هذه الطوائف وما ذكرته المراجع عنهم .

---

(٢٠) مشاكل السفارديم فى إسرائيل (عبرى) ، مرجع سابق ،

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

الإمام علي

المخدرات من القلق إلى الاستعباد

كتاب الوحوش

عن الأصمعي - رحمه الله

تحقيق
أ. أيمن محمد ميدان

ومن اسماء اولادها

البرغز والجميع البراغز ، والجؤذر والجميع الجآذر . ويقال جؤذر .

(وجؤذر)(٦٦) ، وقال ذو الرمة :

- الطويل -

كأنا رمتنا بالعيون التى بدت ... جآذر حوضى من عيون البراقع(٦٧)

(قال ابو سعيد)(٦٨): كان فى كتابى البرغز والبرغز جميعا ، فقال لى الرياشى :(٦٩) ايهما سمعت من الأصمعى ، الفتح أم الضم ؟ فقلت له : فأيهما تختار ؟ فقال : مثل البرغز الفرقد ، ومثل البرغز الجوذر . فقلت : فى كتابى جميعا . فقال : لا تغيره ، فإنى سمعت أبا حاتم(٧٠) يقول : البرغز بالفتح . قال أبو بكر بن دريد :(٧١) جميعا بَرْغَز وبُرْغُز)(٧٢) .

ويقال له الذُّرَعُ والجميع الذُّرْعَان ، قال الاعشى :

- البسيط -

---

(٦٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٦٧) ديوانه ٣٥٧ برواية :

كانا رمتنا بالعيون التى بدت ... جآذر حوضى من جيوب البراقع

وفى ت ، ج برواية : « .... إذا بدت .... » . فى اللسان (حوض) ، برواية : « ... التى نرى ... » .
الجآذر : أولاد البقر ، يقول : كأن عيونهن - أى النسوة - عيون الجآذر من جيوب البراقع . وحوضى : موضع .

(٦٨) يعنى أبا سعيد النقاط .

(٦٩) الرياشى (ابوالفضل العباس بن الفرج الرياشى) . توفى ٢٥٧ هـ . انظر ترجمته فى بغية الوعاة ٢٧/٢ ، وإنباه الرواة ١٩٨/٢ ، ونزهة الألباء ٧٧ ، ووفيات الأعيان ٣٤٤/٢ والانساب للسمعانى ١٤٢ ، وتاريخ بغداد ٤١٠/١٠ واشتقاق الأسماء ١٩ .

(٧٠) ابوحاتم السجستانى (سهل بن محمد بن محمد بن عثمان بن القاسم السجستانى توفى ٢٥٠ هـ . انظر ترجمته فى بغية الوعاة ٦٠٦/١ ، ومصادر ترجمة الرياشى السابق ذكرها .

(٧١) ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد . انظر ترجمته فى مقدمة كتاب الاشتقاق التى صنعها محقق الكتاب الشيخ العلامة : عبدالسلام محمد هارون .

(٧٢) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

كأنها بعدما أفضى النجاد بها   بالشُّيُطَيْنِ مهاة تبتغي ذرعا[73]

وقال آخر[74]   ـ البسيط ـ

إذا نصبنا لقوم لا نَدُبُّ لهم   كما يدب إلى الوحشية الذرع[75]

وقال الحطيئة :   ـ الطويل ـ

(عفا مسحلان من سليمى فحامره)   تمشى له ذرعانه ويعافره[76]

(قال أبو سعيد : أنشدنى الرياشي ذرعانه ، وكان في كتابى ذرعانه على مثال حمل وحملان ، وبرق وبرقان . قال أبو بكر : جميعاً ذِرعانه وذُرعانه)[77] . واليعافر : الظباء .

والبحزج والجمع[78] البحازج ، قال العجاج :   ـ الرجز ـ

وكل عيناء تزجّي بَحْزَجاً[79]

ويقال له العجل والجميع العِجَلة ، ويقال عِجَّول والجميع العجاجيل[80] ويقال له الحَسيل والجميع الحُسْل[81] (والواحدة حَسِيلة ، قال : وهو مثل حصير وحصر و)[82]

قال الشاعر :

ـ الطويل :

تراها كأذناب الحسيل صوادرا   وقد نهلت من الدماء وعلت[83]

ولا يقال ذلك إلا للأهليّ .

ويقال له الفرقد (والخَرُّومة)[84] قال طرفة :   ـ الطويل ـ

---

(٧٣) ديوانه ١٠٥ ، والصبح المنير ٨٤ ، وديوان العجاج ، والمذكر والمؤنث ٩٤ . والنجاد : الارتفاع . والشُّيُطَان : واديان معذبان . ومهاة : بقرة وحشية .

(٧٤) في ت : (وقال الشاعر) ، وفي ج : (قال الشاعر) .

(٧٥) لم نعثر للبيت على قائل ، وورد برواية ثانية وبلا نسبة في لسان العرب (ذرع)

« الذريعة .. جمل يختل به الصيد ، يمشى الصياد إلى جنبه فيستتر به ، ويرمي الصيد إذا أمكنه .. قال ابن الأعرابي .. والذريعة ، سمى بها البعير ، ثم جعلت الذريعة مثلاً لكل شيء أدنى من شيء وقرب منه ، وانشد :

وللمنية أسباب تقربها   كما تقرب للوحشية الذراع » .

(٧٦) ديوانه ١٨٠ ، وصدره ساقط من الأصل ، واضيف من ت ، ج ، وفي ج : « ذرعانه » بكسر الذال . وروى البيت في الديوان :

عفا مسحلان من سليمى فحامره   تمشى به ظلمانه ويعافره

ومسحلان وحامره : واديان في الشام . وتمشى : تكثر المشى .

(٧٧) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

في اللسان (برق) : « البرق : الحمل فارسي معرَّب ، وجمعه ابراق وبِرقان وبُرقان » .

(٧٨) اللفظة في ت ، ج : « والجميع » .

(٧٩) ديوانه ٣٥٢ . تزجي : تدفعه قليلاً قليلاً وتهيئه للمشى .

(٨٠)عبارة ت ، ج : « والجميع العجلة ، والعجُول والجميع العجاجيل » .

(٨١) عبارة ت ، ج : « ويقال لها الحسيلة والجميع الحسيل » .

(٨٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج : وكلمة « الواحدة » مكانها في الأصل كلمة غير واضحة ، واثبتناها هنا اعتماداً على السياق .

(٨٣) البيت للشنفرى ، شاعر جاهلي من الأزد ، والشنفرى اسمه ، وقيل لقب له ، ومعناه عظيم الشفة ، ضرب به المثل فقالت العرب : « أعدى من الشنفرى ، نشر الأستاذ الميمني شعره في مجموعة الطرائف الأدبية . انظر ترجمته في : الطرائف الأدبية ، وجمهرة أنساب العرب ٣٨٦ والاغاني ٦/ ١٧٩ ، وأسماء المغتالين ٢٣١ ، وشرح المفضليات ١٩٥ ـ ٢٠٠ ، وخزانة الأدب ٢/ ١٤ ـ ١٨ ، والبيت في المفضليات ١١١ « شبه السيوف بأذناب أولاد البقر إذا رأت امهاتها فجعلت تحرك اذنابها » .

(٨٤) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

طحودان عوار القذى فتراهما كمَلْمُواتَى مذعورة أو فرقد[٨٥]

أو يقال[٨٦] له الفرير ، والفرير (أيضاً)[٨٧] الخزوف والبقرة ونجرى مجرى النعجة ،

قال لبيد (بن ربيعة الكلابى)[٨٨] : الكامل

رزقت مرابيع النجوم وصابها وَدْقُ الرواعد ، جودها ورهامها

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها[٨٩]

والخنساء التى قد خنس أنفها فى رأسها[٩٠] .

والفرّ ولد البقرة ، قال زهير (بن أبى سلمى) :[٩١] ـ البسيط ـ

كما استغاث بسىء فـزٍّ غيطلة خاف العيون فلم ينظر به الحشك[٩٢]

(السىء : اللبن . والسىء قفر من الأرض . قال :)[٩٣] وإنما هو الحشك ، فاحتاج فحرك ، قال : والسىء : اللبن الذى يكون فى الضرع قبل الدرة .[٩٤] .

والفزولد البقرة (والذى نظر فى)[٩٥] الغيطلة ، قال : إما أن تكون أمه وضعته فى شجر ، ويقول بعض الناس : انها بقرة[٩٦] . والحشك دفع اللبن ، والاجتهاد .

---

(٨٥) عبارة ت ، ج : « وقال طرفة فى ذلك » . والبيت فى ديوانه (على الجندى) ٤٢ برواية : « كمكحولتى مذعورة أم فرقد » . الطحوران : الدفوعان الطرودان . وعوار القذى : قطعة من الرمد ، والقذى : وسخ العين . وقوله « كمكحولتى مذعورة » يريد كعينى بقرة مذعورة ، وإذا كانت مذعورة كان احدُّ لنظرها وابين لحسن عينيها .

(٨٦) فى ت ، ج : « ويقال له الفرير » .

(٨٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٨٨) عبارة ت ، ج : « والبقرة تجرى مجرى النعجة » . ومابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

البيت الاول ورد فى الأصل : « رزقت مرابيع النجوم واطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها » .

وهو خلط وقع فيه الناسخ . والتصحيح من جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ٣٤٩/١ ، وهذا البيت لم يرد فى ت ، ج .

والبيت الثانى ورد فى الأصل مصحّفاً ومحرفاً . وفى ت ، ج : « ... فلم ترم .. عرض .... » .

(٨٩) عبارة ت ، ج : « وقال الخنساء التى قد خنس انفها فى راسها » .

(٩٠) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩١) ديوان زهير ٥٠ ، ديوان العجاج ، وشرح شعر زهير لثعلب ١٣٤ ، وللأعلم الشنتمرى ٨٦ ، وفى لسان العرب (سيأ) . وأشار إلى أن البيت يروى على الوجهين لكلمة السِّئ ، والسَّئ » .

(٩٢) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩٣) فى ت : « الدرة » بكسر الدال .

(٩٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وعبارة ت ، ج قلقة وهى : « والذى نظر فى الغيطلة » .

(٩٥) عبارة ت ، ج : « قال : امّا أن تكون أمه وضعته فى شجرة ، فيقول بعض الناس ... » . ويعنى ببعض الناس اباعبيدة وثعلب ، ففى شرح شعر زهير لثعلب علق على البيت السابق بما يأتى : « والغيطلة : شجر ملتف ، قال الأصمعى : الذى أظن فى الغيطلة أن تكون أمه وضعته فى شجر ملتف . خاف العيون أى خاف أن يراه الناس ... أبو عبيدة : الغيطلة البقرة » . وفى لسان العرب (غطل) : « قال ابوعبيدة : الغيطلة البقرة الوحشية ، وقال ثعلب : هى البقرة فلم يخص الوحشية من غيرها .. » .

(٩٦) ديوانه ٧٥ ، وشرح شعر زهير لثعلب ١٧ ، وشعر زهير للأعلم ١٠ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٢٣٩ وقصيدة زهير المشهورة بالمعلقة مع شرحها للنحاس ٥ . « العين : الواسعات العيون . والآرام : جمع رئم ، وهى الظبى الأبيض الخالص البياض . والأطلاء جمع الطلا ، وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية ويستعار لولد الإنسان ، ويكون هذا الاسم للولد من حين يولد إلى شهر أو أكثر منه » .

والطلا الولد ساعة ترمى به أمه من البقر والظباء ، قال زهير : ـ الطويل ـ

بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[٩٧]

وقوله خلفة أى هذه ثم هذه[٩٨] .

قال ذو الرمة (فى الطلا) :[٩٩] ـ الطويل ـ

وقد خلفت فى السير ناقة صاحبى طلاً موتت أوصاله فهو يشهق[١٠٠]

(يقال شهق يشهق)[١٠١] .

ويقال للبقرة الخزومة ، وجماعها الخزوم ؛ وقال الراجز :[١٠٢]

ـ الرجز ـ

أرباب شاء وخزوم ونعم[١٠٣]

وقال آخر[١٠٤] : ـ الرجز ـ

أهل خزومات وشحاج صحب
وعازب أقلح فوه كالخرب[١٠٥]

العازب يعنى داعيا . والأقلح الذى على أسنانه حبرة وهى الصفرة والخضرة[١٠٦] .

(ويقال لها الخيزمة (والجماع الخيزم)[١٠٧] قال عمرو بن معدى كرب : ـ الطويل ـ

تبدل أدما من ظباء وخيزما فأصبحت فى أطلالها اليوم حابساً[١٠٨]

←

---

(٩٧) عبارة ت ، ج : « خلفة اى تجيء هذه بعد هذه ، اى بعض بعد بعض » .

(٩٨) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٩٩) ديوانه ٣٩٥ ، برواية : « وقد غادرت .. موتت اوصاله .. » .. وفى ت ، ج برواية « وقد غادرت .. مزقت اوصاله .. » . خلفت : غادرت وتركت . وموتت اوصاله :

لاتتحرك من أعضائه شيء فهو يشهق اى ينزع وهو نزع الموت

(١٠٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٠١) عبارة ت ، ج : « جماعها الخزوم ، قال الراجز » .

(١٠٢) البيت بلانسبة لشاعر أو خلاف الرواية فى : ماخالف فيه الإنسان البهيمة فى أسماء الوحوش وصفاتها بقطرب ٣١ ، ولسان العرب (خزم) .

(١٠٣) فى ت ، ج : « قال الآخر » . والبيتان لأبى ذرة الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ٦٢٤ ، وبه بعض أخباره .

(١٠٤) شرح أشعار الهذليين ٦٢٤ ، والبيت الثانى فيه وفى ت ، ج : « أو عازب .. » . الشحاج : الحمار

قال السكرى : « أقلح : مصفر الأسنان بال قد هرم ، وتساقطت أسنانه . أبو عمرو : عازب عبد راع قد عزب عن أهله . ويروى : « كالخرب » وهو ذكر الحبارى » .

(١٠٥) عبارة ت ، ج : « والأقلح الذى على أسنانه عفر الصفرة أو الخضرة » . فى لسان العرب (حبر) : « قال شمر : الحبر صفرة فى الأسنان ، فإذا كبرت وغلظت واسودت واخضرت فهو القلح » .

(١٠٦) مابين القوسين ساقط من ت .

(١٠٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . عمرو بن معدى كرب .. يكنى أبا ثور ، أحد فرسان العرب المشهورين بالقوة والبأس ، قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ارتد بعد وفاته فيمن ارتد من أهل اليمن ثم هاجر إلى العراق ، وعاد إلى الإسلام ، وشهد القادسية ، وأبلى فيها بلاءً حسناً . انظر ترجمته فى مقدمة ديوانه . والشعر والشعراء ١/ ٣٧٢ ـ ٣٥٧ . والاشتقاق ٤١١ . والأغانى ١٥/ ٢٠٨ . والمؤتلف والمختلف ٢٣٤ ، ومعجم الشعراء ١٥ ـ ١٧ ، وعنوان المراقصات ٢١ .

(١٠٨) اللفظة فى ج : « الأجل » بكسر الهمزة وفتحها . وعبارة ت ، ج : « الأجل القطيع من البقر والظباء والجميع الآجال » .

ومن أسماء أقاطيعها

الإِجْل(١٠٩) وهو القطيع من البقر ، وجِماعه الآجال ، وقال ذو الرُّمَّة : (يذكر ذلك) :(١١٠)

ـ الطويل ـ

بها فرق الآجال فوضى كأنها ... خناطيل آجال غُريزية زهر(١١١)

ومنها الربرب وهو القطيع(١١٢) منها ، قال الشماخ :

ـ الرجز ـ

يارب ثور برمال عالج
كأنه طرة نجم خارج
في ربرب مثل مُلاء الناسج(١١٣)

(طرة النجم : حسنه)(١١٤) ، ويقال رجل طرير أي حسن .

(ومنها الصوار) (١١٥) وهو القطيع منها ، (ويقال عن أبي عبيدة إنه قال : الصُّوار والصِّوار)(١١٦) .

والسرب وهو القطيع منها ومن الظباء ؛ قال الشاعر :(١١٧)

ـ الطويل ـ

فلم تر عيني مثل سرب رأيته ... خرجن علينا من زقاق بن واقف(١١٨)

---

(١٠٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١١٠) ديوانه ٢١٢ برواية : « خناطيل أهمال ..... » وكذا في ت ، ج . فرق : قطع . والآجال : الواحد إجل ، وهي قطيع البقر والظباء ، وفوضى : مختلطة ، وخناطيل : واحدها خنطلة وهو القطيع وغريزته : منسوبة إلى غرير حي من مهرة ، وزهر : أبيض .

(١١١) اللفظة في ت ، ج : « قطيع » .

(١١٢) ديوانه ٣٦٢ . «عالج : رمل يقطع بين جبلي طيء وأرض فزارة في الدهناء » صفة جزيرة العرب ١٧٤ . وطرة النجم : رواؤه وحسن منظره . وربرب : القطيع من بقر الوحش لا واحد له وملاء جمع ملاءة : وهي الريطة والملحفة ، و لا تكون الريطة إلا بيضاء . وفي ت ، ج : « من رمال ... »

وعن أرجوزة الأبيات وغيرها من أراجيز ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، يقرر الدكتور صلاح الدين الهادي محقق الديوان أن : « أغلب الظن أن هذه الأبيات إنما نسبت للشماخ خطأ ، وأن الذي نسبها إليه لما رآها في ديوانه دون أن يعرف حكاية هذه الأراجيز الواردة فيه لغير الشماخ ظنها له ، وهكذا كل ما نسب إلى الشماخ في المصادر من هذه الأراجيز » .

(١١٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١١٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١١٥) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١١٦) عبارة ت ، ج : « والسرب وهو القطيع منها ، ومن النساء والظباء ومن الطير ؛ قال هدبة العذري » . هدبة بن خشرم .. من بني عذرة ويكنى أبا سليمان ، شاعر إسلامي متقدم ، كثير الأمثال في شعره ، يقال إنه أول من أقيد في الإسلام . انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ٢/٦٩١ ـ ٦٩٤ والأغاني ٢١/٢٥٤ ـ ٢٧٤ ، ومعجم الشعراء ٤٦٠ ـ ٤٦١ ، وسمط اللآلي ١/٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٢/٦٣٩ ، وخزانة الأدب ٤ ـ ٨٤ ـ ٨٧ والحماسة وشرحها للتبريزي ٢/٤٤ ـ ٥٢ .

(١١٧) الأغاني ٢١/٢٦٧ لهدبة العذري ، وروى في ت ، ج : « ولم تر ...... » . وفي الهامش علق محققا هذا الجزء من كتاب الأغاني : « في البيت إقواء وفي بعض النسخ : « خرجن علينا حين إذ أنا واقف » وعليه فلا إقواء ، ويرجح هذه الرواية قول المؤلف فيما يلي : ليس هناك زقاق يحمل هذا الاسم » .

(١١٨) عبارة ت ، ج : « والجميع الخناطل والخناطيل » .

والخنطلة قطعة من البقر والغنم والخيل ، والجميع الخناطيل والخناطل،[١١٩] (والخنطلة البقرة)[١٢٠] . (والخيط سرب من البقر والنعام)[١٢١]
ويقال بقرة وثورة .

والعرْج وهو القطيع منها ، والجميع عروج[١٢٢] .
والقوط وهو القطيع (منها ومن الغنم أيضاً ، قال أبو دؤاد[١٢٣] : ـ الخفيف ـ
أوحشت من سروب قومي تعار[١٢٤]
(يريد جماعتهم)[١٢٥] .

(١١٩) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .
(١٢٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(١٢١) عبارة ت ، ج : « قال : والجميع عروج وأعراج » . وفى لسان العرب (عرج) : « والعِرج والعَرج ... » بكسر العين وفتحها .. انظر لسان العرب (عرج) .
(١٢٢) هو جارية بن حمران بن بحر بن عصام .... بن إياد ، وهو شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان مرؤ القيس يتكىء عليه فى شعره ، وراوية له . وكانت قبيلة إياد ترى فى أبى دؤاد شاعرها المقدم ، بل أبعدت فزعمت انه أول من قصد القصائد . انظر فى ترجمته : فى مقدمة شعره التى صنعها : غوستاف فون غرنباوم فى كتابه « دراسات فى الأدب العربى » والذى ترجمه كل من الدكاترة : إحسان عباس وانيس فريحة ومحمد يوسف نجم .
(١٢٣) شعر أبى دؤاد ٣١٦ ، وصفة جزيرة العرب ٢٢٣ ، وبرواية ثانية : « سروب » بفتح السين فى معجم ما استعجم ٣١٣/١ .
وعجز البيت :

فأرومٌ فشابةٌ فالستارُ

أوحشت : اقفرت . وسروب جمع سرب وهو المال السارح . وتعار : جبل لا ينبت فيه شىء وأروم وشابة والستار كلها أماكن .
(١٢٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(١٢٥) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

المخدرات من القلق إلى الاستعباد

تأليف : د . محمد محمود الهوارى
عرض وتقديم : أحمد تقى الدين

- الحوادث المفجعة مرتبطة بالحشيش وإدمانه
- بسبب المخدرات .. دولة تفقد ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون ساعة عمل سنويا
- انتشار الإدمان يتعلق بالبيئة التى تحيط بالفرد
- التليفزيون مسئول
- الفقهاء يقولون : كل ما يغيب العقل يحرم

إن سبل الضلالة والغواية كثيرة والداعون إليها بأساليب متنوعة لا يحصون ، وإذا كان لكل عصر آفة ، فآفة عصرنا الحاضر المخدرات ، ومما ينذر بالشر أن تعاطيها منتشر بين الشباب والشابات والمراهقين والمراهقات .

والأسباب التى تؤدى إلى انتشار تعاطيها كثيرة ومتنوعة غير أنه لا يتفاقم خطرها إلا إذا توافر لها واقع اجتماعى معين ، ومناخ أخلاقى محدد على مستوى الفرد والجماعة ، وهذا المناخ الأخلاقى وذلك الواقع الاجتماعى لا يتأتيان إلا عندما يغيب الجانب الفكرى الإسلامى ، وأنئذ يعود الفرد إلى طبيعته الحيوانية ، فإذا انتهى الأمر بالإنسان إلى نقطة الخواء الروحى والفراغ الأخلاقى ، وأصبح قلقا مضطربا وذلك بداية الانحدار إلى الأمراض العصبية والنفسية والسعي وراء المسكرات والمخدرات .

ومن هنا يكتسب الكتاب الذى أعده الدكتور محمد محمود الهوارى مدير المركز الإسلامى بألمانيا وجعل عنوانه : (المخدرات من القلق إلى الاستعباد) أهميته .

يقع الكتاب فى مائتى صفحة من القطع المتوسط ويتألف من مقدمة وثلاثة أقسام .

فى المقدمة بين الباحث الأسباب والدوافع المختلفة التى دفعته إلى اختيار هذا الموضوع بعينه حيث نبه على ضرورة اطلاع الشباب على أخطار هذه السموم ، فيتقوها قبل أن يقعوا فيها ويساهموا مساهمة فعالة فى بناء أمتهم فى عصر

تحتاج فيه الأمة إلى طاقات ابنائها وجهودهم فى عملية البناء والتنمية .

ثم استعرض المؤلف تاريخ ظهور المخدرات وانتشارها عبر العصور التاريخية المتوالية حتى القرن العشرين .

فى القسم الأول من الكتاب تحدث المؤلف عن (المخدرات التقليدية) المعروفة لدى غالبية الناس عموما مثل : الأفيون والمورفين ومشتقاته والحشيش والكوكايين والقات و«المهلوسات» و«المهدئات» و«الامفيتامينات» .. الخ مبينا الأعراض التى ترافق العوز للمدمنين على الأفيونات بصفة عامة والتى تتمثل فى أربع مراحل يمر بها الشخص المدمن وهى :

- الشعور بالجوع .
- الحاجة للعقار .
- القلق .
- فقدان الشهية وانخفاض الوزن بنسبة تصل إلى ٢ كيلو جرام يومياً وقصور كلوى وظيفى وفرط سكر الدم .

ويتحدث المؤلف عن القنب الهندى الذى يعطى المادة المسببة للإدمان وهى : الحشيش فيذكر أن المقادير المرتفعة من هذا النبات المخدر تسبب الهلوسة وتؤدى عند الكثيرين إلى الغثيان والإسهال والخوف والقلق وبعض الاكتئابات المزعجة .

وتشير «حوادث السير» فى أمريكا إلى أن كثيراً من الحوادث المفجعة مرتبطة بالحشيش وإدمانه كما أن زيادة المقادير أو الكميات المأخوذة منه تؤدى إلى القهر والاعتياد والإذعان لما يمليه الغير ، ومن ثم يصل الفرد إلى مرحلة الانحطاط فى المجتمع .

وبالمثل «الكوكايين» «Cocaine» الذى يستخرج من أوراق نبات الكوكا فى أمريكا الجنوبية وهو سام لجميع أنسجة البدن الحى ، ويؤدى إلى الموت السريع إذا تجاوز المقادير الطبية المسموحة .

وكذلك «القات CATH» وهو شجيرة تنمو فى الجزيرة العربية وكذلك فى أفريقيا الشرقية وتشبه كثيرا شجرة الشاى ، ويشكل القات اليوم حالة واسعة المدى فى جنوبى الجزيرة العربية والصومال والحبشة وكينيا وافغانستان .

● **عواقب الإدمان :**

ويوضح المؤلف عواقب الإدمان على القات ويقسمها إلى قسمين : الأول طبى - والثانى اجتماعى .

فبالنسبة للأثر الطبى يشكو مدمن القات من حدوث اضطرابات هضمية تؤدى إلى «شلل القولون الغليظ» وفقدان الشهية والإمساك ، والتهاب المعدة ، وجفاف البراز ، وسيلان اللعاب وهيجان البواسير ، والنوم العميق ، والأرق ، وحدة المزاج ، وكثرة الحزن .

أما النتائج الاجتماعية فتتمثل فى حالات الحرمان والبطالة عن العمل واتجاه المدمن إلى إنفاق كل ما يحصل عليه من مال للحصول على ما يلزمه من «قات» بدلا من إنفاقها فى الحصول على ضرورات الحياة وهو ما يعود على المدمنين بالبؤس والفقر وسوء التغذية .

ويؤكد الدكتور الهوارى على أن الجمهورية العربية اليمنية تخسر سنويا حسب آخر الإحصائيات ما يزيد على ثلاثة الاف وخمسمائة

←

المخدرات من القلق

مليون ساعة عمل ، هى الوقت الهائل الذى يضيع على أبناء اليمن بسبب مضغهم أوراق القات وتخزينه .

● **متفرقات تولد الإدمان :**

ويتحدث الباحث عما أسماه (متفرقات تولد الإدمان) حيث حصرها فى ستة أنواع هى : الغول - المذيبات الطائرة - الصموغ - الأسبرين - جوزة الطيب - السكر - البويرز .
وأشد هذه المتفرقات أو الأنواع خطرا هى الغول والمذيبات الطائرة .

● **الغـــول :**

فالغول يتصدر قائمة العقاقير المخدرة الخطيرة وهو مادة معروفة منذ القدم ومنتشرة فى كل أصقاع الأرض وأنواعه لا حصر لها ، إذ يمكن تحضيره من تخمير جميع أشكال الحبوب والفواكه المعروفة وهو وحده المسئول عن أعداد هائلة من الوفيات تفوق تلك الوفيات الناجمة عن أضرار جميع المخدرات الأخرى الخطيرة .

كما تنسب إليه ما يزيد على نصف وفيات حوادث الطرق فى العالم ، وما يزيد على نصف الحوادث الإجرامية وبشكل خاص حوادث الاعتداء كالاغتصاب والاعتداءات الجنسية المختلفة .

ويؤكد المؤلف على أن الإفراط فى تناول الغول المشروب يؤدى إلى نوع من الإدمان والإذعان الجسمى والنفسى .

● **المذيبات الطائرة :**

ويستنكر الباحث عادة خبيثة انتشرت فى السنوات الأخيرة بين الشباب والفتيات وهى استنشاق بعض السوائل والمذيبـات ومن أشهرها : المركبات الطيارة المشتقة من البترول كالبنزين والإسيتون ، والكلوروفورم ، وغازات العبوات البخاخة ، وبعض مذيبات الصموغ ، والورنيش وغازات «الولاعات» وكثير من مذيبات الدهانات المختلفة .

● **سلوك عدوانى :**

ويبين المؤلف الآثار الجانبية المترتبة على تعاطى المدمنين هذه المركبات الستة وهى : السعال الشديد ، وآلام الرأس والقلب ، والقىء المتكرر والميل الشديد إلى النوم حيث ينتهى الأمر بفقدان الوعى خاصة إذا كان تركيز تلك المركبات عاليا فى «الخلايا الدماغية» للشخص المتعاطى لها.

فضلا عن أن تعاطى هذه السموم يؤدى إلى سلوك عدوانى وأخلاق اجتماعية شرسة جداً ، وقد تنعكس هذه الأخلاق على المرء نفسه ، فيقوم بأعمال طائشة تكاد تقضى على حياته هو نفسه وقد يفضى به الأمر إلى الاعتداء على رفاقه وأعز أصدقائه بل وعلى أفراد أسرته .

ويفجر المؤلف مفاجأة مذهلة حيث أكد على أن أكثر المدمنين لهذا الأنواع هم من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والثالثة عشرة وينتمون إلى مختلف الطبقات الاجتماعية وبصفة خاصة أطفال العائلات المفككة وغير المتزنة .

● **الإدمان ... لماذا ؟**

ويأتى القسم الثانى بعنوان (الإدمان .. لماذا ؟) وفيه يتساءل المؤلف عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة التى تدعو الشباب اليوم إلى إدمان هذه السموم الفتاكة ؟

يقدم الدكتور محمد الهوارى الإجابة على هذا السؤال من واقع ما كشف عنه الخبراء النفسيون من أسباب انتشار الإدمان فمنها ما يتعلق بالبيئة التى تحيط بالمرء وتفعل فيه فعلا شديدا كالبيت والمدرسة وما فيها من عدم مبالاة وانحراف عن القيم الأخلاقية ، والمجتمع وما فيه من شرور ومآس .

فالفشل الدراسى مثلا أخذ يتزايد يوما بعد يوم بين الصغار فى كثير من بلدان العالم مما يؤدى إلى شعورهم بالنقص والضعف وبالتالى يشعرون بالحاجة الماسة إلى ما ينسيهم ما هم عليه فيلجأون إلى هذه السموم الخطيرة ويؤدى ذلك إلى سوء أخلاقهم واحتقارهم لهذه الحياة وكل ما يحيط بهم لأنهم لا يرون فيها إلا السأمة والضجر .

● **اضرار التليفزيون :**

وينبه المؤلف إلى ما تضمنته الإحصاءات الأخيرة التى أكدت أن كثيراً من المدمنين ينتمون إلى ما يزيد على ٩٠٪ من العائلات التى تفككت أواصرها وتلاشت الروابط الزوجية فيها ، وخلفت هؤلاء الأولاد ليكونوا فريسة الفراغ والملل ، وليس لهم من وسائل التسلية إلا التافه منها كالتليفزيون ، الذى يغرق حياتهم بما يقدمه من مشاهد يومية مليئة بصور العنف والإجرام والجنس والحض عليه ، وما يتبقى لهم من الوقت يقضونه مع هذه السموم التى تئد حياتهم وهم فى مقتبل العمر .

● **التدخين أول الطريق إلى الإدمان :**

وفى نهاية هذا القسم يعرض المؤلف بعض نتائج الدراسة الإحصائية التى قام بها فريق من الباحثين الأوروبيين لدراسة مشكلة المخدرات على النحو التالى :

١ ـ الحشيش والماريجوانا هما المخدران المفضلان عند الشباب الذين لم يتجاوزوا الرابعة والعشرين من عمرهم ثم تتجه اهتماماتهم نحو المخدرات الأشد كالهيروين والمورفين .

٢ ـ أخطر الأعمار التى تبتدىء فيها عادة تعاطى المخدرات هى سن البلوغ اعتبارا من سن الخامسة عشرة وتتجلى بصورة أكثر خطورة اعتبارا من سن العشرين ، والذكور أكثر ميلا للتعاطى من الإناث .

٣ ـ ينتمى المدمنون إلى فئات اجتماعية مختلفة ، وتشتد خطورة الإدمان فى الأفراد الذين ينتمون إلى عائلات مفككة اجتماعيا وبخاصة ذات الموارد المحدودة ، ولا يمنع أن تجد نسبة من الأولاد المدمنين ينتمون إلى أسر غنية .

٤ ـ أول الطريق إلى المخدرات هو الحشيش والماريجوانا ولما كان استخدامها يتم غالبا مع التبغ (الدخان) لذا فإن ابتداء الأطفال والفتيان فى ممارسة عادة التدخين سيقودهم إلى حظيرة المخدرات .

● **المخدرات بين الفقه والقانون :**

ويأتى القسم الثالث بعنوان «المخدرات بين الفقه والقانون» فيتناول المؤلف ثلاث جزئيات هى :

١ ـ أقوال الفقهاء فى المخدرات .
٢ ـ الاستعمال الدوائى للمخدرات .
٣ ـ المخدرات والقانون .

● **الفقهـــاء :**

بالنسبة للجزئية الأولى تناول المؤلف بحث أقوال الفقهاء فى مشكلة المخدرات وأحكامهم التى انطلقت من قواعد أصولية تستند إلى الكتاب والسنة .

←

المخدرات من القلق

ويورد المؤلف حديثا أقوال عدد من الفقهاء فى هذا الصدد منهم الإمام القرافى فى كتابه «الفروق» حيث عرف المخدر بقوله «ماغيب العقل والحواس دون أن يصحب ذلك نشوة وسرور ، أما إذا صحب ذلك نشوة وسرور فهو المسكر ، وجعل من فصيلة المرقدات (المسكرات) الأفيون والبنج والشيكران» .

وفى «فتح البارى» لابن حجر العسقلانى استدل بمطلق قوله ﷺ : (كل مسكر حرام) على تحريم ما يسكر ولو لم يكن شرابا فيدخل فى ذلك الحشيشة وغيرها .

وقد جزم النووى وغيره بأنها مسكرة ، وجزم آخرون بأنها مخدرة وهى مكابرة ، لأنها تحدث بالمشاهدة ما يحدث الخمر من الطرب والنشوة والمداومة عليها والانهماك فيها .

وقال النووى فى (المجموع) : «وأما ما يزيل العقل من غير الأشربة والأدوية كالبنج وهذه الحشيشة المعروفة فحكمه حكم الخمر فى التحريم ووجوب قضاء الصلاة ويجب فيه التعزير دون الحد والله أعلم» .

● **كل ما يغيب العقل يحرم :**

ويعقب الدكتور الهوارى على هذه الآراء بقوله : «والذى نراه أن المخدرات بعد أن تعددت مصادرها وتنوعت آثارها وأشكالها منها :

ما تصحبه السكينة والهمود النفسى .

ومنها ما تصحبه الرعونة والشراسة والعدوان .

ومنها ما يرافقه الغيبوبة وفتور الأعضاء .

ولا يزال يطلع علينا كل يوم منها الجديد بمواصفات وآثار جديدة وتشترك جميعها بأنها مفسدة للعقل ومخربة للبدن ومضيعة للمال والجهد والإنتاج ، مخربة للشخصية ومجلبة للضرر ، ولا ريب أن سادتنا الفقهاء لو اطلعوا على آثارها المعاصرة بعد أن تنوعت أشكالها وما تفعله فى الفرد والمجتمع لأجمعوا على تحريمها بلا خلاف ولأجمعوا كذلك على إنزال أشد العقوبات بمرتكبيها ومروجيها وكل من يؤدى بأى سبب من الأسباب إلى تسهيل تعاطيها» ويسوق المؤلف فتوى لشيخ الإسلام (ابن تيمية) يعضد بها رأيه حيث يقول : «إن كل ما يغيب العقل يحرم باتفاق المسلمين» .

الاستعمال الدوائى للمخدرات

إنه لابد من التفريق بين أنواع المخدرات فى هذا المجال فبعضها لا يصلح أن يكون دواء فضلا عن أن يدخل فى تركيب أحد الأدوية كالحشيش مثلا الذى ثبت عدم وجود أية فائدة طبية له .

ومن ثم طالب الدكتور الهوارى المجامع الفقهية المعتبرة بتشكيل لجنة الأطباء الذين يوثق بدينهم وعلمهم تتولى تحديد قائمة بالعقاقير المخدرة ، والأدوية التى يجوز اللجوء إليها عند الحاجة تحت الرقابة الطبية والصحية الشديدة ، ثم تصدر هذه المجامع الفقهية فتواها على ضوء الدراسات العلمية المؤكدة فى هذا المجال وتحديد البدائل إن وجدت .

● **المخدرات والقانون :**

وفى نهاية الدراسة يتحدث الباحث عن (المخدرات والقانون) مشيراً إلى استهجان وتأثيم وما تفرضه القوانين من عقوبات فى أغلب بلدان العالم لعادة تعاطى المخدرات والاتجار فيها أو تسهيل الحصول عليها للراغبين فيها من أماكنها المختلفة .

وقد أجازت بعض البلدان العربية والإسلامية وغيرها تطبيق عقوبة الإعدام للممولين والمهربين والمتجرين بالمخدرات كما أجازت مصادرة أموالهم وممتلكاتهم وخاصة إذا ثبت أنها تضخمت من جراء تهريب المخدرات أو الاتجار بها ، ومن ذلك أن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية قد اقرت وجوب تطبيق عقوبة الإعدام بهذه الفئات من المفسدين في الأرض .

كما أجازت بعض الدول الأوروبية عقوبة الحبس من سنتين إلى عشر سنوات وبالغرامة المالية التى تتراوح ما بين الفى دولار إلى مليونين من الدولارات لكل من خالف القوانين والتشريعات المتعلقة بحيازة وإنتاج ونقل واستيراد وتصدير واستعمال المركبات أو النباتات أو زراعة النباتات المصنعة تحت اسم العقاقير السامة والمخدرة ، وشملت العقوبة كل من يسهل للغير استعمال المركبات أو النباتات المخدرة مقابل المال أو بالمجان أو يهيىء مكانا لتعاطى هذه المخدرات أو بأية وسيلة أخرى ، وأيضاً كل من يقدم وصفه طبية مزورة أو وصفة طبية مجاملة أو كل من حصل أو حاول الحصول على هذه المخدرات .

● **تعقيـــب**

من الواضح أن الكتاب في مجمله يشكل إضافة للمكتبة الإسلامية وكنا نود لو استفاض حديث الباحث عن تدخين التبغ وضرره الذى أجمعت عليه البحوث الطبية من حيث إضعاف الصحة العامة وزيادة الأمراض وبالتالى رفع معدل الوفيات ، يضاف إلى ذلك أن التدخين يعتبر شكلا من اشكال التلوث يلحق الضرر بالبيئة عامة وبالقطاع البشرى منها على وجه الخصوص ، ولا ننسى أن الآثار الضارة للتدخين لا تقتصر على من يمارس التدخين وحده وإنما تتعداه إلى عائلته وزملائه وغيرهم ممن يشاركونه في البيئة ويكرهون على التعرض للتلوث من خلال عملية التدخين القسرى .

ويبدو أن الكاتب لم يسترسل في حديثه عن الخمر مكتفيا ـ والله أعلم ـ بما ورد فيها من نص جعل حرمتها لا خلاف فيها .

وفضلا عن ذلك فقد اتفق الفقهاء على حرمة كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالإنسان عملا بقول رسول الله ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» رواه البخارى وقول الله عز وجل ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة ١٩٥ .

ولذلك فقد كان الواجب على الباحث أن يفرد مبحثا في كتابه يبين فيه هذه الأمور .

كذلك يلاحظ أن المؤلف اهتم بتضمين كتابه العديد من الاحصائيات الغربية التى تتناول أعداد المدمنين فيها في حين لم يذكر إحصائيات حول حجم ومدى انتشار ظاهرة الإدمان في العالم العربي والإسلامى ، ولعل ذلك راجع إلى أن هذه البلاد لم تقدم إحصائياتها من هذا القبيل .

وعلى أى الأحوال فإن هذه الملاحظات لا تعنى الانتقاص من القيمة العلمية للكتاب إذ تميزت الدراسة بغزارة المادة العلمية التى تفتقدها المكتبة العربية والإسلامية .

الإمام علي

كرم الله وجهه

للأستاذ : السيد حسن قرون

نِعَمُ الله على « علي »

مما انعم الله به على علي بن ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ انه كان فى حجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل الإسلام واظله الإسلام وهو فى كنفه .

قال ابن إسحاق : كان من نعمة الله على علي بن ابى طالب ، ومما صنع الله له واراده له من الخير ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة ، وكان ابو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للعباس عمه ، وكان من ايسر بنى هاشم : ياعباس ، إن اخاك ابا طالب كثير العيال ، وقد اصاب الناس ماترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا ، وتاخذ انت رجلا ، فنكفلهما عنه . فقال العباس : نعم ، فانطلقا حتى اتيا ابا طالب فقالا له : إنا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ، فقال ابو طالب : إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئتما ، فاخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى بعثه الله تعالى نبياً ، فاتبعه علي ـ رضى الله عنه ـ وآمن به وصدقه .. ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه .

ويذكر العقاد فى «عبقرية الإمام» أن العباس أخذ طالبا ، وحمزة وجعفرا وأخذ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا وتركوا عقيلا لأبيه .

والروايات المتعددة تذكر أنه أول من أسلم من الذكور وأول من صلى ، وأنه حين عرض عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإسلام أمره أن يأخذ رأى أبيه فأبى قائلا : حين خلقنى الله لم يأخذ رأى أبى وقالوا عنه : إنه مجدود أى محظوظ ، فقد كاد يولد مسلما ، ولد فى داخل الكعبة ، وكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها ، فكأنما كان ميلاده إيذانا بعهد جديد للكعبة والعبادة حولها .

وبنو هاشم أهل رياسة وسيادة ، وقد نال مجد هاشم من طرفيه ، فأبوه أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكان يعتز بهذا النسب ويفخر به مع

تواضع فيه ، وهذا النسب له صفات يقر بها الأعداء كما يعترف بها الأحياء ، وفى مقدمتها الفصاحة والصباحة والسماحة والشجاعة ولقد اجتمع لعلي هذا ومثله معه ، فهو البطل وهو الخطيب وهو العالم وهو أبو القضاء ، انظر إليه يخاطب معاوية بن أبى سفيان حين تلكأ فى الشام عن مبايعته وراسله ليقتسم بلاد المسلمين معه بعد حرب صفين الطاحنة ، فرفع من شأن آبائه وجعل بنى أمية دون بنى هاشم ، ثم وصفه بأنه من الطلقاء .

وكان مع إيمانه المكين وعقيدته الراسخة قوى الجسم شديد الأيْد ، لا فارس يقوم له ، ولاقرن ينازله إلا صرعه .

وفى أيام النبوة اشترك فى الغزوات كلها ماعدا غزوة تبوك ، وكان فى كل معركة الفارس المعلم والبطل المغوار الذى تهابه الأبطال وتنكص عن لقائه الرجال ، وكان يحس ذلك من نفسه ، ويعبر عن شجاعته وشمائله فلو عددت من جدَّ لهم بسيفه فى غزوة بدر لوجدته يضارع أكثر من فارس وفى غزوة أحد أعجب بفعاله ، وتحدث عن خصاله قال لزوجه فاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم - عندما ناولها سيفه : اغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقنى اليوم : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة ، وكان يقال لسيف رسول الله ذو الفقار ورووا فى تلك الغزوة : نادى مناد يوم أحد :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

ومن المشهور عن شجاعته وحسن صحابته وحبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه ليلة الهجرة نام فى فراش رسول الله ليفديه بنفسه فَتَسَجَّى بغطائه ، وهال الكفار أن يروه حيث نظروا إليه ، يقول : لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة فى الهجرة أمرنى أن أقيم بعده حتى أؤدى ودائع كانت عنده للناس ، ولذا كان يسمى « الأمين » ، فأقمت ثلاثاً فكنت اظهر ماتغيبت يوماً واحداً ، ثم خرجت ، فجعلت اتبع طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى قدمت بنى عمرو بن عوف ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقيم ، فنزلت على « كلثوم بن الهدم » وهنالك منزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الراوى : قدم علىّ للنصف من شهر ربيع الأول ورسول الله بقُبَاء لم يَرِمْ بَعْدُ .

وحين كان خليفة المسلمين كان يعامل الخارجين على الشريعة بما تأمر به ، فهو يعمل على استتباب الأمن وكانوا يهربون من وجهه ويخشون عقابه . قال بعض لصوص بنى طيىء :

ولما ان رايت ابْنَىْ شُمَيْطٍ بسكة طيىء والباب دونى
تجللت العصا وعلمت انى رهين مُخَيَّسٍ إن ادركونى
ولو انى لبثتُ لهم قليلاً لجرونى إلى شيخ بطين
شديد مجامع الكتفين باقٍ على الحدثان مُختلف الشئون

فابنا شميط من شرطة الإمام علي رآهما اللص الشاعر فركب فرسه خوف السجن .. « والمخيس » .. اسم حبس بناه على - كرم الله وجهه - فى الكوفة .. والبيتان الأخيران وصف لقوة على وجلده ومتانة جسمه وأنه كبير البطن ، وسئل عنه فقال : أعلاه علم وأسفله طعام ، ومختلف الشئون - هنا المعنى أن طرائقه كثيرة فى

الإمام علي رضي الله عنه

زهده وعلمه وبأسه وإقدامه فى ذات الله تعالى .
قالوا : ولما بلغ عليا قوله هذا قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو ظفرت به لصدقت ظنه .

ولذلك جاء فى وصفه جسميا : كان على ضخم البطن ، ضخم مشاشة المنكب ، ضخم عضلة الذراع ، دقيق مستدقها ، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها .

ومن صفاته النفسية والخلقية العلم والذكاء ومعرفة الكتابة ، وفن الخطابة ارتقى به إلى الأداء الفني - كما يقول العقاد - وله من الحكم والأمثال ما يهدى وينير .

التحكيـــــم :

منى الإمام علي بفكرة التحكيم ، كان له جيش قوى من أهل العراق ومن تابعه ودارت المعارك مع جيش الشام اتباع معاوية وجرى ما جرى من سماحته وبذله وفضله ، فلما كان الماء فى حوزة معاوية منع جيش علي من الشرب واستعمال الماء ، ولما حاز هو الماء سمح لأهل الشام ومعاوية بالشرب والانتفاع به ، وكاد جيش الشام ينهزم ، فأشار عمرو بن العاص بالرأى لمعاوية وهو رفع المصاحف ليجعلوا مافيها الحكم بين المتحاربين ، ولم يقبل الإمام أولاً،وعدها خدعة ولكن أصحابه أجبروه على وقف القتال ، وأداروا الأمر وتداعوا إلى الصلح وحكّموا الحكمين ، فحكّم الإمامُ أبا موسى الأشعرى وحكّم معاوية عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول « بأذرح » فينظروا فى أمر هذه الأمة ، وافترق الناس ، فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام ، وانصرف علي إلى الكوفة بالاختلاف والعداوة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كانوا معه وقالوا « لا حكم إلا لله » وعسكروا بحروراء فسموا « الحرورية » ، وهم أول من تطرفوا فى المسلك العقدى ، واجتمع الناس بأذرح فى شعبان سنة ثمان وثلاثين وحضرها أفاضل القوم وبعض الأخيار ، فقدم عمرو أبا موسى فتكلم فخلع عليا ، وتكلم عمرو فأقر معاوية وبايع له فتفرق الناس ولم يحسم الأمر ، وبعد أن كان هم الإمام علي ، الشام ومعاوية صار همه فيمن خرج عليه وروع الآمنين . بعث إليهم ابن عمه عبدالله ابن عباس فناظرهم وأقام عليهم الحجة ولكنهم لم يرجعوا ، فذهب إليهم بنفسه وناظرهم فاقتنع كثير منهم ولج بعضهم فى العناد وتمادوا فى الشر فكانت الحرب بينه وبينهم وأوقع بهم يوم النهروان وقيعة كبيرة .. ومن يومها وهم يتربصون به الدوائر ...

استشـــــهاده :

روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لعلي : ياعلي مَن أشقى الأولين والآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أشقى الأولين عاقر الناقة (ناقة صالح) وأشقى الآخرين الذى يطعنك ياعلي،وأشار إلى حيث يطعن .(١) وكان حين يضيق بأصحابه وقعودهم عن نصرته يقول : ما يحبس أشقاها لتخضبن أو لتصبغن هذه من هذا (يعنى لحيته من رأسه) ويتمثل بهذين البيتين :

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت آتيكا
ولا تجزع من القتل إذا حلَّ بواديكا

(١) الطبقات الكبرى جـ ٣ « البدريين » .

قالوا : اتفق ثلاثة نفر من الخوارج هم : عبدالرحمن بن ملجم الرادى - وهو من حمير وعداده فى مراد - والبُرَك بن عبدالله التميمى ، وعمرو بن بكير التميمي على قتل علي بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، فاجتمعوا فى مكة وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة ويريحن العباد منهم ، فقال عبدالرحمن ابن ملجم : أنا لكم بعلي ، وقال البرك : وأنا لكم بمعاوية ، وقال عمرو بن بكير أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، واتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذى فيه صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم مايريد ، وتزاور معهم فزار يوماً نفرا من تيم الرباب فرأى امرأة منهم يقال لها « قطام » من تيم الرباب وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فأعجبته فخطبها ، فجعلت مهرها ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبى طالب ، وحلف لها أنه ماجاء إلا لقتله ، وفى ليلة الجريمة صحب معه خارجياً آخر اسمه شبيب بن بجرة الأشجعى ، وفى الفجر كانا فى انتظاره أمام المسجد حيث يصلى .

يقول الحسن بن علي - رضى الله عنهما - : أتيته سحراً فجلست إليه فقال : إنى بت الليلة أوقظ أهلى فملكتى النوم وأنا جالس فسنح لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله مالقيت من أمتك من الأود واللدد أى العوج والعداوة ! فقال لى : ادع الله عليهم ، فقلت : اللهم أبدلنى بهم خيراً لى منهم ، وأبدلهم شراً لهم منى ، ودخل المؤذن على ذلك فقال : الصلاة ، فأخذت بيده فقام يمشى والمؤذن بين يديه وأنا خلفه ، فلما خرج من الباب نادى : أيها الناس ، الصلاة ، الصلاة ، كذلك كان يفعل كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس ، فاعترضه الرجلان فقال بعض من حضر ذلك ، فرأيت بريق السيف ، وسمعت قائلاً يقول : « لله الحكم ياعلي لا لك » ، ثم رأيت سيفاً ثانياً فضربا جميعاً . فأما سيف عبدالرحمن بن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه [٢] ووصل إلى دماغه ، وأما سيف شبيب فوقع فى الطاق ، وسمعت عليا يقول : لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس عليهما من كل جانب ، فأما شبيب فأفلت وأخذ ابن ملجم فأدخل على الإمام فقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا أولى بدمه عفوا وقصاصاً ، وإن امت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين .

وهكذا قضى الخارجى على رجل من عباد الله الصالحين ، أشار إلى فضله ابنه الحسن فى أول خطبة له قبل مبايعته بالخلافة : أيها الناس قد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون ، قد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله فلا ينثنى حتى يفتح الله له ، وماترك إلا سبعمائة درهم أراد أن يشترى بها خادماً .

مكث فى الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر واستشهد وقد بلغ ثلاثا وستين سنة ، سنة أربعين من الهجرة . رحم الله أبا الحسن . فلقد كان كما وصفه الحسن .

---

(٢) القرن من رأس الإنسان جانبه ، وموضع القرن منه .

من خير ما نشر

للأستاذ/عادل رفاعى خفاجة

علامة استفهام

للأستاذ عبد السلام داود

من الأمور المطروحة على الساحة الاقتصادية المصرية مدى مطابقة « الفائدة البنكية » لشرع الله . وهذا الموضوع قديم حديث ، ولعل الأبحاث فى هذا الموضوع تأرجحت بين التحليل والتحريم لكثير من معاملات البنوك التقليدية .

ولا يخفى على دارس اقتصادى مبتدىء الأمور التالية :

١ ـ الأصل اليهودى لنشأة البنوك وارتباط أغلب معاملاتها بهذا الأصل .

٢ ـ الارتباط الوثيق بين نظرية السوق وسعر الفائدة كمحرك للنشاط الاقتصادى ومدى الفشل الذى تواجهه هذه النظرية فى تجنب النظام الرأسمالى مخاطر التضخم والكساد والبطالة والاحتكارات الدولية .

٣ ـ فشل نظرية القيمة لكارل ماركس فى معالجة مساوىء الرأسمالية حيث ثبت بُعْدها عن أرض الواقع ، والدليل مايحدث اليوم فى العالم الشيوعى .

ليس غريباً أن يستخدم المستعمر سلاحه الحديث القديم وهو الفائدة المغرية لأثرياء العالم الثالث لإيداع أموالهم لديه حيث يستخدم نفس هذه الأموال فى إقراض دولهم وإغراقها فى الديون وبالتالى فرض سيطرته على هذه الدول وإلا فسلاح الجوع جاهز لذا أرفع صرخة إنسان عادى لعلمائنا الأفاضل من الاقتصاديين وعلماء الشريعة لوضع النظرية الاقتصادية المتكاملة موضع التطبيق ، من منبركم أدعو لهذا التجمع واضعاً كل جهدى فى سبيل تحقيق هذا الهدف السامى[1] .

أرسل هذه الكلمة المحاسب المعروف
الأستاذ/ عشرى محمد عبد الجليل

تحريض على الفسق

للأستاذ / محمد العزب موسى

تنتشر بين أصحاب السيارات تقليعة سيئة هى فى حقيقتها تحريض علنى على الفسق والفجور ، إذ يلصق بعضهم ـ من

(١) فأما علماء الشريعة وعلماء الاقتصاد والذين اتخذوا من مجلة الأزهر منبراً فقد وضعوا الحل فى بساطة لا يدركها غموض . وقد أشارت مجلة الأزهر إلى ذلك فى مقالاتها حيث رأوْا أن تتحول البنوك إلى شركات تباشر عملها التجارى الشرعى فى السوق لا فى الأوراق المالية ...

الشباب عادة ـ ملصقات على زجاج السيارة الخلفى تحتوى عبارات لا يمكن أن تخرج عن ذلك المعنى البغيض . وهذه العبارات التحريضية ليست مكتوبة بلغة نادرة وإنما هى مكتوبة بلغة إنجليزية بسيطة جداً يستطيع أن يفهمها تلاميذ وتلميذات المرحلة الابتدائية .

والهدف من هذه العبارات أن تكون وسيلة (لجر الكلام) مع شخص من الجنس الآخر . ويعلم الشيطان أى مدى يمكن أن يؤدى إليه هذا الكلام .

وهذه التقليعة مستوردة طبعاً من الغرب وهى تذكرنى بتقليعة أخرى انتشرت بين فتيات الطبقات الشعبية منذ سنوات وهى ارتداء « بلوفرات » عليها عبارات خارجة باللغة الانجليزية ، ومعظمهن بريئات عن معرفة معناها ، إذ لا يمكن أن تبلغ الجسارة بفتاة مهما كانت سيئة الخلق أن تحمل هذه العبارات .

وهذه البلوفرات أصلاً تبيعها محلات معينة فى الغرب جميع روادها من حثالة المجتمع ولا ترتديها بالطبع أى فتاة محترمة . ونحمد الله أن هذه التقليعة المخزية قد انتهت ، ولا أدرى لماذا لا يتصدى رجال المرور للتقليعة الجديدة ؟

أين رجال المرور الآن ليخلصونا من هذه التقليعة التى تحرض على الفسق والفجور .

مثل فى الكتاب العزيز - بقية

وكل من القطيعة والإفساد ، قد يتخذان مظهراً ماديا ، وقد يتخذان مظهرا غير مادى ، كتخريب العقول بوسائل مادية ، أو بأفكار يصبغها أصحابها بصبغة الإصلاح ، وإن المحافظة على المركب تتطلب المحافظة على سائر أجزائه ، والذى يتطلبه الفرد هو الحرية والتبعة ، والذى يتطلبه المجموع هو التعاون والاتصال ، ولا كرامة لقوم يعرفون الإباحة ، ولا يعرفون ضوابط الشهوات ، وحسب العقيدة الصالحة من صلاح ، أنها تنهض بالعقل والقريحة ولا تصدهما عن سبيل العلم والصناعة ، ولا تحول بين معتقديها وبين التقدم فى الحضارة وأطوار الاجتماع ، وهى ضرورة لا غنى للإنسان عنها ، توجهه وتبصره بما يخفى عليه ، وإن أسرارها أعمق وأصدق مما يدور بأوهام المنكرين لها ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾. فهى ذخيرة من القوة وحوافز الحياة التى تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمده من غيرها وقد اختل التوازن فى المدنية الحديثة فى عقلها وضئول قلبها ، سطت عليها المادة ، فسلبتها الروح ، وحرمتها القلب ، وكانت اشبه بسعير الآخرة ، تنضج الجلود . ولا تزهق الأنفس ، والإنسان بملامح وجدانه ، وقسمات ضميره :

هو فى نظر الماديين عملة اقتصادية فى سوق الصناعة والتجارة ، تعلو وتهبط فى طبقاتها بمعيار العرض والطلب وصفقات الرواج والكساد .

وهو فى نظر الإسلام يملكه القصاص لنفسه ، ثم يفاوضه إحسانا بصلة من قطعه ، والإحسان لمن أساء إليه ، وأجره على الله .

أنباء وآراء

إعداد: عبد المنعم فـودة
صفوت عبد الجـواد

اجتماع المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والاغاثة

تم بحضور فضيلة الإمام الأكبر بحث القضايا المتعلقة بدعم الدعوة والإغاثة على مستوى الشعوب الإسلامية إلى جانب قضية مسلمى بلغاريا ومشكلة لبنان وقضية فلسطين والعدوان الإسرائيلى على المقدسات الإسلامية ، وذلك خلال اجتماع هيئة رياسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة المنعقد مؤخرا بالكويت .

كما اتخذ فى ذلك قرارات وتوصيات فى سبيلها إلى التنفيذ من بينها توصية بالشكر إلى السيد محمد حسنى مبارك لرعايته للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وللجهود التى يبذلها لحل مشكلة السنغال وموريتانيا .

اعتراف جريدة بريطانية بأن المسلمين خير أمة

اعترفت جريدة (الديلى ميل) اللندنية بوجود فتح إسلامى جديد للامبراطورية التى كانت لا تغيب عنها الشمس .

فقد قام فريق صحفى من الجريدة بعمل سلسلة من التحقيقات الصحفية مع المسلمين فى بريطانيا والتقوا بهم فى مساجدهم وبيوتهم ومجال اعمالهم .

واكدت التقارير التى وردت من فريق التحقيقات أن المسلمين فى بريطانيا خير فئات المجتمع لأنهم متفانون فى أعمالهم . مخلصون لذويهم وأسرهم . متمسكون بتقاليدهم وشريعتهم عن اقتناع وإيمان . ويعملون ١٤ ساعة يومياً . ولا يزيدهم تفكك المجتمع البريطانى إلا تماسكا .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

انتصار الاسلام ممثلا فى قضية لبس الحجاب فى أوروبا

اخيرا حُسمت قضية طرد الثلاث طالبات من إحدى مدارس شمال فرنسا بسبب ارتدائهن الحجاب .

فقد وافق مؤخرا بعد ضغوط كبيرة من المسلمين فى فرنسا وزير التعليم بفرنسا (السيد / ليونيل جوزبين) على ارتداء الحجاب فى مؤسسات التعليم بفرنسا وأصدر قرارا بعودة الثلاث طالبات المفصولات بسبب لبسهن الحجاب إلى مدرستهن فى شمال فرنسا .

وقد صرح مصدر تعليمى مسئول فى بريطانيا

بأن من حق أى طالب أو طالبة أن يلبس الذى يريده واعفاء الطلبة المسلمين من حضور الدروس التى تخالف تعاليم دينهم .

المجر تعترف بالدين الاسلامى

أعلنت المجر اعترافها بالدين الإسلامى رسميا . ويرجع هذا الاعتراف إلى تزايد عدد المسلمين فى المجر وإلى ماتتطلبه الشريعة السمحة من تمسك كامل بالعقيدة الإسلامية من جانب المسلمين .

التبشير يجتاح أندونيسيا المسلمة

اكدت وكالة الأنباء الإسلامية فى خبر لها من جاكرتا انه لا يوجد فى عاصمة (جاوة الوسطى) سوى مسجدين فى مقابل ٦١ كنيسة ، وحذر الدكتور حيدر بن حيدر رئيس مجلس إدارة مؤسسة السلطان الكبير للدعوة الإسلامية باندونيسيا من نتيجة التهاون فى مواجهة الأنشطة المريبة للإرساليات التنصيرية فى الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وقال الدكتور حيدر إن كثيراً من هذه الإرساليات قد تسللت بالفعل إلى عقول بعض الفقراء من خلال المساعدات الطبية والاجتماعية والثقافية والإنسانية الأخرى .

ملاحظة : للعلم أن المسلمين فى أندونيسيا يشكلون ٩٩,٥٪ من عدد السكان أى حوالى ١٣٠ مليون نسمة .

أول جامعة اسلامية بالمراسلة بألمانيا الاتحادية

وافقت الحكومة الألمانية الاتحادية على إنشاء جامعة إسلامية بالمراسلة فى مدينة أخن . تعد الأولى فى العالم ، وذلك بالتعاون مع الأزهر الشريف .

صرح بذلك الدكتور / نديم إلياس عضو مجلس إدارة المركز الإسلامى فى ألمانيا الاتحادية . وقال إن وفدا من المركز الإسلامى سيقوم بزيارة الأزهر الشريف قريبا للوقوف على المناهج التى تدرس بالجامعة .

ماليزيا تصدر صحيفة باللغة العربية

أصدرت المؤسسة الإسلامية فى ولاية كلنتن الماليزية أول صحيفة باللغة العربية فى ماليزيا بغرض مساعدة مدرسى وطلبة اللغة العربية فى المعاهد الماليزية التى تدرس اللغة العربية وزيادة انتشارها لدى المسلمين فى ماليزيا .

جامعة الأزهر تشارك فى مؤتمر دولي للأمراض الجلدية ..

انعقد المؤتمر الدولي لرابطة الأمراض الجلدية والتناسلية فى الفترة من ١٣ ـ ١٦ نوفمبر بفندق ماريوت ، وقد حضر المؤتمر وفود من جميع الدول العربية ولفيف من أطباء العالم المهتمين بهذا الفرع من الأمراض .

شاركت جامعة الأزهر فى المؤتمر ببحثين ألقاهما الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم عبد العال أستاذ ورئيس قسم الأمراض الجلدية بطب الأزهر . البحث الأول : عن علاقة العلم والطب بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

←

أنباء وآراء

حيث تحدث القرآن في العديد من الآيات التي بها إشارات إلى طب الأمراض الجلدية والتناسلية والتربية الجنسية . والثاني : عن سكر الفيكوز الذى ثبت أنه يحتوى على بعض خواص الكورتيزون ولكن ليست له مضاعفاته .

اكتشاف علمي يوفر لمصر خمسة ملايين دولار سنويا !..

توصل فريق من الباحثين المصريين العاملين بكلية الطب البيطري ـ جامعة القاهرة ـ إلى كشف علمي هام له أثر كبير في القضاء على « البلهارسيا » .

يكمن الكشف في مسحوق نبات الأقحوان الذى أثبتت تجربة نصف حقلية على فعاليته الممتازة في القضاء على قواقع البلهارسيا في الماء فقد وصلت درجة إبادته إلى ١٠٠٪ .

وهو من ناحية أخرى ليست له أضرار « البيلوسين » المستخدم حالياً ضد البلهارسيا ، ويتوافر زراعته في مصر ، مع قلة تكاليفه مما يوفر على الدولة خمسة ملايين دولار سنوياً كانت تستخدم في استيراد البيلوسين من أمريكا .

كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم وتخصيص ٥٠٠ فدان لجامعة الأزهر

طالب المستشار عبد الفتاح علوش محافظ بني سويف بضرورة الاهتمام بكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم والتوسع في إنشائها ، وأضاف إن المحافظة سوف تقدم كل عون من أجل خدمة كتاب الله وتربية النشء تربية إسلامية .. وأضاف إن المحافظة سوف تساهم مساهمة كبيرة من أجل افتتاح كليات لجامعة الأزهر حيث تم تخصيص ٥٠٠ فدان لجامعة الأزهر لتكون ركيزة لإنشاء كليات نظرية وعملية وذلك بالتعاون مع الأزهر الشريف بمشيئة الله .

حجب جائزة المستشار عبدالحليم الجندي هذا العام !

قررت لجنة جائزة المستشار عبد الحليم الجندي لخدمة الدعوة والفقه الإسلامي حجب الجائزة هذا العام لعدم وصول البحوث المقدمة للمستوى المطلوب ، وصرف قيمتها لطلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر بمعرفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقررت اللجنة كذلك تخصيص مبلغ ألفى جنيه مصري لأحسن بحث يخدم الدعوة الإسلامية ، ومثلها لأحسن بحث في الفقه الإسلامي .

العلوية - بقية

لأن القارىء العادى بل المثقف يحتاج إلى معجم كى يكشف عند سماع كل بيت عن اكثر من معنى لأكثر من كلمة ، ويبدو لى أن إيقاع القصيدة هو سبب تلك الصعوبة التى أضعفت من قيمتها ، وقللت من تأثيرها ، وانتشارها أيضا .

تمضى القصيدة على موسيقى بحر « الوافر » (مفاعلتن) ثلاث مرات فى كل شطر ، والتفعيلة الثالثة يدخلها « العطف » (مفاعلتن تتحول إلى مفاعل = فعولن) وواضح أن الرتابة التى يحققها إيقاع البحر (باعتباره من البحور الصافية) لاتتناسب ، من وجهة نظرى ، مع طبيعة الموضوع الحافلة بالأحداث العاصفة ، ولعل بحراً من البحور المركبة كان أقرب إلى الأداء الطبيعى .

كذلك ، فإن القافية ، ولها تأثير عظيم فى صعوبة المطولة ، وقلة تأثيرها ، وعدم انتشارها كانت محور الضعف فى بناء القصيدة ، فأغلب القوافى يبدو وكان الشاعر قد نحته من صخر . ولذا جاءت غريبة بل وحشية .

ويمكن أن نضيف إلى ماسبق حضور عقل الشاعر بصورة حولت القصيدة إلى عمل مصنوع أكثر منه عملا مطبوعا ، فكثر فيها الحشو . والحذف مما أضعف أبياتا كثيرة حتى بدا الشاعر مجهداً ومكدوداً .

وينطبق الأمر على الصورة الفنية فى « العلوية » فهى بأستثناء ذكر الطيارة أوكما سماها «بنت الهواء أوذات أجنحة وقطر البخار ، فإننا نعيش البادية بمفرداتها وملامحها وإيقاعها ، والصورة بصفة عامة « بدوية » تنتمى إلى المحفوظ أكثر مما تنتمى إلى الواقع الذى عاصره الشاعر ، وإن لم يمنعه ذلك من تكوين بعض الصور الجيدة ، و"طريقة التى أشرنا إليها من قبل .

لقد حاول « محمد عبد المطلب » أن يعارض « حافظ إبراهيم » فى عمريته و « عبد الحليم المصرى » فى بكريته ، فلم يستطع التفوق عليهما فنيا وإن كان بحق أول من قدم الإمام على - فيما أعلم - بهذا الاهتمام والتعاطف والنفس الطويل .

وإذا كان « عبد المطلب » لم يحلق كما كنا نود فى « العلوية » فإنه تسامى فى « ظل البردة » التى وقفها على سيدنا محمد ﷺ معارضا للبوصيرى ...

وله فى كل الأحوال فضل الريادة فى الوقوف أمام الشخصية العلوية من زواياها المتعددة ، فجلاها بالشعر ، وخلدها فى مطولة تحمل اسمه إلى يومنا .

المدخل الاسلامى للطب - بقية

ويمتد البر والعدل إلى غير المسلم سواء فى ديار الإسلام أو حتى فى مجال المعركة بين الحق والباطل . فالرعاية الطبية حق للأسير ، وقد أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - أتباعه بعد معركة بدر أن يكرموا الأسرى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغذاء .

٧ - صيانة الحياة غير البشرية فى الحيوان والطير . وإذا كانت التجارب على الحيوانات عاملاً فى تقدم الطب والعلاج ، فإن ذلك لابد أن يتم فى حدود الرحمة التى أقرها الإسلام لكل كائن حى .

وينتهى المؤلف فى هذا الباب إلى تحديد التوجيهات الإسلامية التى يستهدى بها الطبيب المسلم فى سلوكه المهنى ، فلا يقوم بعمل إيجابى من شأنه انتهاك حرمة الحياة ، وتمتد رعايته بالمريض مهما كانت حالته ميئوساً من إنقاذها ، فليس هناك فى الإسلام ما يسمى القتل بدافع الشفقة على المريض الميئوس من شفائه ، فالروح ملك لله تعالى والحياة هبة من الله ، وليس لأى كائن حق التصرف فيها .

فهرس العدد

الافتتاحية « ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً »
د / على الخطيب ٤١٧
مع الإمام الأكبر « رسالة إلى الإمام الأكبر وجوابها » ٤١٩
لقاء فضيلة الإمام الأكبر ووفد من البرلمان السويدى ٤٢٥

مثل فى الكتاب العزيز
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ٤٣٠
رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية
لواء ا . ح د . فوزى محمد طايل ٤٣٣
الربا والوديعة المصرفية
د . أحمد فهمى أبو سنة ٤٣٨

من تراث الشيخ الطير « كيف يحيى الله الموتى »
للشيخ مصطفى محمد الحديدى ٤٤٠
العمل للآخرة
للأستاذ محمد صابر الرديسى ٤٤٤
حق المرأة فى الميراث
د . محمود محمد رسلان ٤٤٧
تعدد الزوجات فى الإسلام
للأستاذ محمد بركات السيد ٤٥٠
عمر بن عبد العزيز « حياته ـ خلافته »
للأستاذ الدكتور عبد العزيز غنيم ٤٥٤
اضواء على رحلات اليهود
للدكتور محمد حسن عبد الخالق ٤٦٠

الفتاوى
للشيخ على حامد ٤٦٤
من اعلام الأزهر «الشافعى الصغير»
للأستاذ حسين خضيرى موسى ٤٦٦

العلوم الكونية

المدخل الإسلامى للطب
تقديم الإمام الأكبر شيخ الأزهر
تأليف : ا . د . إبراهيم عبد الحميد الصياد
عرض وتحليل : ا . د . أحمد فؤاد باشا ٤٧٠
قضيـة اريتـريـا
للأستاذ ماهر زكريا الشيمى ٤٧٥

الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد

يـــارب
شعر : أحمد المنشاوى ٤٨٢
انتفاضة الأشبال فى فلسطين
شعر : عمر موسى البرعى ٤٨٣
العلـــويـــة
د . حلمى محمد القاعود ٤٨٤
طـرائــف .. ومواقــف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٤٨٨
من روائع الماضى بمجلة الأزهر « نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين » .
إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات ٤٩٠

اللغة والأدب والنقد

كتـاب الوحـوش
تحقيق أيمن محمد ميدان ٤٩٤
المخدرات من القلق إلى الاستعباد
تأليف : د . محمد محمود الهوارى
عرض وتقديم : أحمد تقى الدين ٥٠٠
الإمام على كرم الله وجهه
للأستاذ السيد حسن قرون ٥٠٦
مـن خيـر مـا نشـر
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة ٥١٠
أنبـــاء وآراء
للأستاذ عبد المنعم قودة
صفوت عبد الجواد ٥١٢

القسم الانجليزى
إعداد : د . انس مصطفى النجار

المقالة الثانية
بقلم / لطفى على سلطان ٥٢٢
المقالة الأولى
بقلم / د . أنس مصطفى النجار ٥٢٦

universe, and that all mankind equal. Discrimination based on race, colour, class, sex or territory is unfounded and illusory. It is a remnant of the days of darkness and ignorance which had chained men down to servitude. Humanity is ALlah's family, one single family, and there can be no sanction for those barriers. Islam gives the revolutionary concept of the unity and equality of mankind. Islam came to unite humanity on Allah's Word, to restore man's dignity and to establish all the known human values, principles and rights.

The establishment and application of these social rights and precepts were fully developed and practiced long before contemporary civilization began to think of them. Islam established equality, freedom, fraternity, cooperation, and justice, as well as many other principles of human values, fourteen centuries ago. The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) preached them and put them fully into practice.

The unity of mankind was, and still is a fundamental doctrine enunciated by Islamic teachings. Having shown man his rightful place in the scheme of Creation and given him knowledge of his inherent purity and goodness; the universal unity of mankind became a major requirement. The fraternity of man dissolves inequalities and distinctions of race, colour, sect or creed. Some of the cleavages were the result of man's selfishness and arrogance, and his superiority and distinction over others in matters of powers and skill.

Islam is distinguished that it preached effectively that all mankind is an integrated brotherhood, that they are all the progeny of Adam, and that mankind is of clay. A moral obligation is incubent upon every Muslim male or female, to be mindful of the interest and welfare of others. To eliminate friction and to promote unity, love and abiding fraternal relationship between man and man, both the Qur'an and the traditions of the Prophet call upon mankind to develop the sense of catholicity in life and care for each other : "O you mankind ! Surely, we have created you a male and female, and made you peoples and tribes that you may identify and care for each other; surely the noblest of you in the sight of Allah is the one among you most God-fearing and most mindful of his duty (Surat Al-Hijurat, XLIX, 13).

Islam alone enjoins upon its followers to believe in all the previous prophets and apostles - including, of course, Moses and Jesus, without any reservation. Centuries of education and advancement and contact with Islam had led other peoples also to regard man as man, but even today to many, it is only an ideology to which lip service is occasionally paid. The feeling of fraternity is yet to be imbibed by the majority of men.

Islam presents a unified view of the world and offers to vision of an integrated universe. It is not a mere metaphysical concept or just a jumble of barren words. it is a dynamic belief and a revolutionary doctrine. It indicates that all men are the creatures and subjects of Allah, the One, the Almighty, the Creator, the Sovereign of the

state of society and it continued to flourish even when the progress of material civilization had done away with its necessity .... Christianity, as a system and creed, raised no protest against slavery, enforced no rule, inculcated no principle for the mitigation of the evil".

This evil was so intertwinded with the economic and social life of the people that it could not be eliminated only by a decree against the usage or by sudden emancipation of the slaves.

Before the coming of Islam, a large section of mankind gave a very low place to iself in the Scheme of Creation. The age of science and understanding of the forces of nature and their application to man's service had not till then dawned.

The discoveries of science, the harnessing of the forces of nature to man's own service, inventions and mastery of space and the seas. The ingenuity and skill have made mankind more confident of himself and made him realise that he is far superior to all other creatures. Although this fear and reverence of the mighty forces of nature may now seem unbelievably yet even today quite a large section of mankind has not rationally examined its beliefs. The doctrines of Islam raised humanity to the dignity which was its due and proclaimed in a resounding voice "that mankind was the vicegerent of Allah on earth. The human creation was specifically qualified with knowledge, intelligence, innovation, thought, judgement, understanding and initiation. The whole cosmic universe was created to be subservient to mankind.

In several verses of the Glorious Qur'an, Allah revealed to man his true position and status in the Scheme of Creation, and exhorted him not to fear and not to worship anything or anyone save Allah, the Almighty Creator. Mankind should indeed challenge his true inner honesty of thought and build up a rationale justification of the Scheme of Creation, and identify his position and purpose in that collossal structure of the Inifinite Universe. The teachings of Islam devoted a dignified place for man in its message and approach. It is this principle that was the foundation of human rights convenants in the modern age. Islam also incorporated its principles and rules on man's dignity and human justice which are now known as public freedoms and interests. It has further established a tight relation between these ordinances. and the basic belief of the Oneness of Allah. This relationship is the cornerstone for the Islamic message.

his message, he found his countrymen, in general, slaves to the most gross and stupefied idolatry. The paganism of the Sabians had overrun almost the whole nation. From Persia, the eastern tribes had caught much of the superstitions of the Magians. There were indeed numbers of Jews and Christians. The former had several considerable establishments and many whole tribes had embrased the Mosaic Creed or the Gospel; "but their conduct and principles" - writes Professor Standish Grove Grady - " little deserved the titles they assumed." "And the Eastern Churches" continues Prof. Grady, "were divided and convulsed by scholastic disputes in which, instead of the mild and forbearing spirits of Christianity, nothing but mutual rancour, malice and uncharitableness prevailed, whilst the pure and simple worship inculcated by its Divine Author had degenerated into mere outward show, expressive only of a debasing and idolatrous superstition".

Severity, injustice, tribal feuds and wars were rampant everywhere, and assertion of superiority of one over the other was the order of the day. Professor Bosworth Smith remarks "As to the Pagan Arabs, the nice distinctions of property were imperfectly understood; each tribe was governed by its own law and disputed causes were either referred to the determination of the chief or (more frequently) decided by an appeal to the sword. Private revenge was not merely tolerated, but encouraged, and its justice and necessity inculcated. Hence, every dissension was the occasion of either a single combat or of civil war.

Indeed, half pagan half Christian, half civilised and half barbarian, it was given to Muhammad in a marvellous degree to unite the peculiar excellences of the one with the peculiar excellences of the other.

When Islam appeared in Arabia, women held a very low position in the society. They were treated not only as social inferiors but like slaves and chattel. When a man having many wives died, the latter were inherited by his sons as moveable property. It was a mark of dishonour and disgrace for any man to have a daughter, and many preferred to bury alive their female children rather than face social opprobrium.

Slavery with all its attendant evils was a well entrenched institution in the economic and social life of Arabia as in so many other parts of the world. It had existed from times immemorial. As Amir Ali says in his book "Spirit of Islam". The practice of slavery is coeval with human existance. Historically. its traces are visible in every age and in every nation. Its germs were developed in a savage

→

liberty, equality, social justice and human fraternity, at a time when world humanity suffers so terribly at their hands and undergoes disputes, wars, revolutions, poverty and social instability.

Throughout the history of mankind, the human race has always endeavoured to organize a system by which human individuals may live in libery, equality, justice and freedom. Examples of the Magna Charta, the Ancient Egyptians, the Helenic Empire, the Roman Empire, more recently the French revolution and several others and the Declaration of Human Rights proclaimed by the United Nations Organization in 1948. The ultimate result was and remains to be that all these man-made systems always proved impractical, incomplete and a failure. Nothing was permanently achieved and nothing was sustained. Everything collapsed and vanished. Nothing remains of the system except the barren stones of their monuments.

Divine Messages were dissiminated to mankind on the tongues of selected Apostles and Prophets, starting from Adam and ending by Muhammad (peace and blessings from Allah upon them all). Each of these messages comprised a code of practice for the life of mankind at that particular stage. That code was simple and specific in commandment to accomodate to the mental faculty at the time. As the human mental capacity developed; Divine Messages became more elaborate; Judiasm, Christianity were much more constitutive than previous Divine Messages. The genesis of religious development terminated by the Divine Message of the Holy Quran, as the most complete and comprehensively integrated system to govern every detail of human life.

Before the coming of Muhammad, the Prophet of Islam, in 610 A.D., the sixth century was an age of ignorance - in Arabia and elsewhere - in which moral rectitude and the spiritual code had long been forgotton. The tenets of religious codes and divine revelations, which the Prophets had brought to every nation in different ages and climes, had been replaced by superstitious rites and dogmas. The pages of history reveal that the whole world in that age was plunged in barbarism, ignorance, illiteracy, conceit, cruelty, envy, pride, arrogance, power and self-aggrandizement. That was not all. Man was set against man, creed against creed, cause against cause, race against race, and colour against colour. That was the nadir of degradation to which mankind had fallen.

In Arabia, when the Prophet of Islam started to preach

ISLAM AND HUMAN VALUES

BY : Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons), M.Ed., M.A.

The most important values and principles which the enlightened consensus of mankind upholds in the twentieth century are briefly summarized in the following aspects of human life. Equality, Dignity, and Fraternity. Freedom of individual and society, Freedom from slavery and exploitation. The preservation of Feminine rights and their spiritual equality. The integration of mankind in a feeling of unity, irrespective of their differences regarding race, colour, and social rank. The practice of Religious tolerence, the value of universal education and scientific knowledge. The dignity of manual labour, the renunciation of arrogance and false pride, the foundation of society on the priciples of Justice and Human Rights. It is really a great pity that in this age of learning, progress, enlightenment and civilization; one observes that though humanity has achieved vast material progress, yet all this is aimed at as lust for power, conquest and domination. Humanity seems to be reverting to the early ages of ignorance and unprofundity.

Might is held to be the major aim of civilization. It would be quite well and desirable to wield might to prevent oppression, aggression, and persecution, in order to protect and safeguard right and right owners from tyranny and defeat. Unfortunately, this mighty power is used to humiliate the less powerful and exploit their natural resources. This results in humanity falling completely in the grip of the strong whose greed for domination knows no bounds; makers of war machines and destrctive weapons; and designers of space conquest for more sovereignty over the inhabitants of other nations.

Such policy is characteristic of major powers that influence the international relations of nations of the world to their favour, therefore, hampering genuine endevours towards real mutual understanding and actual peaceful co-existence. The catastrophe lies in the fakery that such powers exhibit when they spuriously support the values of

tyranny or any form of subjugation. The Christians of Negran were left free in their faith, free to choose other land, outside the Arab Peninsula and were granted absolute total freedom of worship.

The Muslim populous at Al-Madinah were not surprised that Omar ibn Al-Khattab evacuated the Christians of Negran, and were expecting that Omar would also evacuate the Jews from Khaybar. Such decisions were understood as being towards the total theopolitical unity of the Muslim Nation in the Arab Peninsula. The Muslim populous were, however, surprised that Omar chose Abu Ubayd Al-Thaqafi as commander of the Muslim forces marching to Iraq. They expected that Omar would nominate one of the Muhagereen or Ansars, but Omar insisted to give the command to Abu Ubayd because he was the first to volunteer for the Iraq campaign, when for three days, nobody advanced to volunteer. The Muslim Ummah at Al-Madinah were still were surprised that Omar ibn Al-Khattab removed Khalid ibn Al-Walid from the command of the Muslim forces in Syria, at a time when conditions were very critical against the Roman legions. The Muslims Ummah at Al-Madinah did not welcome the dictate of Omar that all prisoners from the Apostate wars were to be freed and sent to their tribes.

During the very early period of the region of Omar ibn Al-Khattab, certain compelling issues were to be resolved. The directives and decisions resolved by Omar regarding these issues were contrary to all expectations. The Muslim Ummah, however, knew the sagacity, forsight, and strength of Omar. He was correct and just. They rememberd his days as companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), and his days as counselor to Abu Bakre when in the office of Khalifat Rassul Allah. His total devotion, and absolute sincerety were a significant side of his character. They did not challenge his resolutions, they supplicated Allah for his guidance and success; for in his success as the man in office, would be the prosperity of the whole nation.

As Abu Ubayd was marching out of Al-Madinah to Iraq, he stopped at the Masjid to take leave from Omar. Abu Ubayd and several others addressed Omar as "Khalifat Khalifat Rassul Allah". The title was too heavy repetitive and monotonous. As the crowd gathered, someone came up with the title "Ameer Al-Mumineen". This was very much welcomed, and from that day on, Omar ibn Al-Khattab was called Ameer Al-Mumineen.

Syrian Crusades. This would entitle them to have a share in the spoils of wars similar to other Muslim warriors. This dictate was not favourable to the tribes of Quraysh and the Ansars who had fought the battles against the Apostates. However, inspite of their resentment to the instructions of Omar ibn Al-Khattab, they could do nothing but obey. All prisoners from the wars against the Apostates were returned to their tribes.

A fourth issue emerged as an immediate problem during the early phase of Omar's office. That issue was the status of the Christians of Negran. At the time of the Prophet, the Christians of Negran had sent to the Prophet deputies to settle truce terms with Muslims. The main provision of terms was that the Christians would pay a recompense (Jizhiah) to ascertain protection and freedom of faith. During the reign of Abu Bakre, the same conditions of truce continued. When Omar ibn Al-Khattab came to office, he considered the issue from a different prospective. He sent Yailla ibn Ummayah to evacuate them from Negran. Omar instructed ibn Ummayah to evacuate all who remained in the Christian faith, to survey the land taken from those who are evacuated, give them preference to choose other lands for relocation, and do not subdue nor tyrannize them, and inform them that their evacuation is conforming with the injunctions given by Allah and His Messenger that there should not be two faiths in the Arab Peninsula.

This action of Omar ibn Al-Khattab was certainly a resolution of great achievement towards the complete theopolitical unity of the Arab Nation in the Arab Peninsula. It was very essential in the mind of Omar that the legislative constitution of the Muslim Nation should be consolidated into one main constitution without infringement because any particular sect of the population. The Arab nation at that time enjoyed theopolitical unity under the constitution of Islamic Doctrines. This Islamic law was basically different to some Christian precepts. Islam prophibits usury, and Christianity does not; Islam prohibits intoxicants, and Christianity does not; Islam is belief in Monotheism, and Christianity is a belief in Tritheism. These Islamic injunctions at that time were the essential elements of the constitution and the solid foundations of the nations unity. It was vital not to have a sector of the society who were not adherents to these Islamic injunctions. Omar ibn Al-Khattab deserves praise for his action. He excuted his policy to achieve maximum unity and cohesion between the various elements of the society. This was done without despotism,

several hundred men from the people of Al-Madinah. Omar insisted to appoint the first to volunteer to command this contingent of thousand men, who were dispatched to strengthen the Muslim forces at Al-Hirah in Iraq. Omar appointed Abu Ubayd Al-Thaqafi to command the army and advised him, and ordered Al-Muthana back to Al-Hirah to wait the reinforcement. The dispatch of reinforcements to Iraq was the first of the several problems facing Omar ibn Al-Khattab in his new function as head of the Muslim state.

The second problem was the Syrian campaign, where the Muslim forces were making no progress whatsoever against the Roman legions. The situation was stagnant, and Muslim warriors were becoming restless and lossing their enthusiasm. On the other hand, Omar ibn Al-Khattab did not approve of Khalid ibn Al-Walid to remain in command of Muslim troops on the Syrian front. Several instances of unorthodox conduct on the part of Khalid during the wars against the Apostates, were still vivid in the mind of Omar. During the reign of Abu Bakre, Omar was not in a position to take radical action, and Abu Bakre had his justification of weighing issues at the time. Now, Omar was in office and he decided to relieve Khalid from the command of Muslim forces in Syria. Omar wrote to Abu Ubaydah ibn Al-Garrah to command all Muslim forces in Syria and that Khalid was to command only the army which Abu Ubaydah had commanded. Several postulations have been presented to explain the reality of why Omar ibn Al-Khattab removed Khalid ibn Al-Walid from the command of Muslim forces in Syria at a time when Khalid was at the summit of his success as a military commander, and with a full record in battle that supported that eminent reputation. The exact justification could not in reality be conceived, however, the facts were that there was absolute loss of confidence between the two men and lack of mutual trend of thought. Such attitudes could not continue between the head of state and the commander of its fighting forces. Khalid ibn Al-Walid was replaced by Ubaydah ibn Al-Garrah as commander. These orders were dispatched to Abu-Abaydah ibn Al-Garrah by a special courier Mahmiah ibn Zaniem and Shaddad ibn Aus.

The third dictate that took place soon after Omar ibn Al-Khattab came to office; was that he ordered that all men women and children who were taken prisoners during the Apostate wars, to be freed and sent back to their tribes. These tribes had come back into Islam and confessed allegiance to the authority of Abu Bakre at Al-Madinah.

This action was inducive to great jubilation among the tribes who became willing to take active role in the Iraq and

OMAR IBN AL-KHATTAB

COMPELLING ISSUES

By : Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., ph.D

Abu Bakre Al-Siddiq died at sunset on the twenty first of Jummadah Al-Akhira of the thirteen year of Al-Hijrah (22nd August, 632 AD). He was buried in the same place as the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Omar ibn Al-Khattab took part in the burial of the late Khalifah of Rassul Allah. After the interment was complete, Omar walked home alone, thinking of what the morning had to bring. He was now the successor of Abu Bakre in the office as Head of the Muslim State. The following day will witness the throngs of the Muhagereen and Ansars crowding into the Mosque to give him fealty and officially announce him the Head of the State. How was he to face the heavy burden of his new function. There were compelling issues of major importance that had to be given immediate attention. In some, he was to follow the same policy as his predecessor, and in other issues, Omar was to follow his own mental aptitudes and understanding.

Al-Muthana ibn Harithah Al-Shaibani was at Al-Madinah. He had come from Iraq to convene with Abu Bakre to supply him with reinforcements in order to confront the Persian forces that were gathering against Muslim troops in Iraq. The Muslims were at Al-Hirah unable to advance, and in a position where even defence strategy may prove very difficult. Abu Bakre had specifically indicated to Omar to give first priority to the requirements of Al-Muthana, and to send forces in support of Muslim warriors in Iraq. After noon prayer, when the Muslim congregation had ended their prayers, Omar announced his request for volunteers for the Iraq campaign, there was no response. This had a depressing effect on Omar and Al-Muthana. The same request was announced on the following day, again with the same negative response. No body was willing and eager to volunteer for the Iraq campaign. On the third day, both Omar and Al-Muthana spoke to the people motivating and urging them to volunteer to join the Muslim forces at Al-Hirah in Iraq. Finally, Abu Ubayd Amrc ibn Massoud Al-Thaqafi and Saleet ibn Qays, were the first two men to volunteer for the Iraq campaign. They were followed by

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART V

JUMMADAH AL-ULLA 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"Compelling Issues"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and Human Values

By: Loutfi Ali Sultan.

> "Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ
يناير ١٩٩٠ م
الجزء السادس
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جولة جديدة .. !

تردد كثيراً على لسان بعض المصرفيين ، ومن والاهم من رجال الاقتصاد ومحبي اعمال البنوك ان الحديث في اعمال البنوك من وجهة احكام الشرع الشريف في حاجة إلى تؤدة ووقت ودراسة !!

لماذا ؟!

القرآن جديد سوف يَتَنَزَّل ...؟

ام ان دراسة الفقهاء المستمدة من مصدريها الشريفين : الكتاب والسنة ستتغير ..؟

ام لهُدًى يَهْدى به الله ـ سبحانه ـ هذا البعض من رجال الاقتصاد فيجنحون باعمال البنوك إلى الشريعة فتمارس البنوك اعمالها على قواعدها الشريفة فتطهر من رجس الربا ، وذل اقبح المعصية وامقتها إلى المولى ـ جل وعز ..؟!

فأما الأولى فما إليها من سبيل ؛ فقد ختم الله الرسالات ، وصَدَّق على الإسلام بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وختمت النبوة فلا نبى بعد محمد - صلى الله عليه وسلم : فهو « رسول الله وخاتم النبيين » .

إذن لا قرآن جديد ، و « لا تبديل لكلمات الله » .

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ .

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ .

وأما الثانية فلن يُحدِث فيها إلا « زائغ » ، فأما « الفقيه المختص » الذى توفر على شروط العلم بالأحكام ودرس مذاهبها ، وتعمق فى اختصاصه فأحاط بمعالمها بسند المصدرين الشريفين ، فلن يزيغ عن أحكامها ولن يقول لأى الناس ما يرضون ، ثم ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

وهل منعت أحكام الشرع الشريف محبى الربا من التعامل به ..؟!

ما كان ذلك ..؟

فَلِمَ الحرص - إذاً - على كلمة باسم الدِّين تهوى بالناس إلى الجحيم ؟!

لا علينـا !!

فأما الثالثة ..؟

تلك التى نرجوها ، ونتمناها أمنية طيبة تتبدل خلالها (تُرُوس) العمل بالبنوك .. وتتغير معها ممارسة العمل القائمة إلى تطبيقات هذه الشريعة ، فتطمئن القلوب ويرضى الناس .. كُلُّ الناس !

وما المانــع ؟

أليس أولى بالمجادلين أن يتركوا ما فيه هذا العناء إلى الطيب من العمل والحلال من المال ..؟

إن « الغراب » أسود .. ولن يكون « أبيض » بحال ، فذروا ما بقى من الرِّبا إن أردتم رضوان الله ، ولا تطلبوا المستحيل ، ثم إن أردتموه فاطلبوه فى غير كتاب الله - تعالى ، وبعيداً عن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وهل كان نظام البنوك إلا رباطاً فوق رباط من فوق رباط اختنق به العالم الثالث ، وهو صاحب النعمة التى تسيل من تحت قدميه ؟ فضلاً عما فيه من ظلمات بعضها فوق بعض .؟

وبعــد :

أيها السادة : ما تقولون فى « جوائز اليانصيب » ؟

أليست حراماً بلا جدال !!

كذلك هى جوائز شهادات الاستثمار « جوائز اليانصيب » .

ليست تلك شهادتى .

إنها كلمة الدكتور عاطف صدقى والدكتور محمد الرزاز فى كتابهما: « الوجيز فى المالية العامة » ص (٢٦٥) .

د. على أحمد الخطيب

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق

التى ألقاها فى الاجتماع الثالث "للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية" بالكويت فى ٢٦ من شهر ربيع الأول ١٤١٠هـ - ٢٦/١٠/١٩٨٩م

● **الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...**

وبعد ،،

فهذا هو الانعقاد الثالث « للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » الذى عمر بهذا الجمع الكريم من اهل الخير ورواده الذين جاءوا فرحين مستبشرين بما افاء الله به على رجال هذه الهيئة من توفيق إلى عمل الخير الذى استهدفته ، وفى سبيله قد نهضت إلى معاونة اليتامى والفقراء وذوى الحاجة ومن نكبوا فى الكوارث والمجاعات ، كما عملت وتعمل على نشر الثقافة الإسلامية والتعريف بقيم وأخلاقيات الإسلام .

وفى سبيل تيسير تحقيق هذه الأهداف تقوم بإعداد الدراسات العلمية التى تتعرف بها على واقع المسلمين ، وبوضع الخطط والبرامج المناسبة للواقع الذى تستظهره هذه الدراسات .

ولما كان للعلم دوره الفائق فى النهوض بالمجتمعات وكان الإسلام قد حث على طلب العلم والمزيد من التعليم ، نشطت « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى إنشاء المساجد والمؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية والثقافية ودعم القائم منها ماديا ، وتطوير وتنشيط رسالتها ، كما تبادر إلى تقديم المعونات النقدية والعينية فى حالات المجاعات والكوارث ثم تكوين الجماعات العاملة المنتجة المعتمدة فى حياتها على العمل المثمر ، صناعة او زراعة او تجارة ، فلم تشجع على قيام مجتمع اليد السفلى وإنما تقيم دائماً مجتمعات اليد العليا .

وعملا بمبدأ التعاون على البر والتقوى حرصت « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » على التنسيق مع المؤسسات والهيئات العاملة فى هذا الحقل .

وكانت بحمد الله من الهيئات الهامة التى سارعت إلى المشاركة فى تأسيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة الذى انعقدت هيئته التأسيسية لأول مرة فى سبتمبر ١٩٨٨ « بالأزهر الشريف » بالقاهرة .

←

كما تم الانعقاد الثانى لهذه الهيئة فى سبتمبر ١٩٨٩ .

إن المتتبع لنشأة « الهيئة الخيرية » وخططها وبرامجها يجد أنها مع الشعوب الإسلامية فى كل مكان :

فهى تدعم المسلمين فى « سنغافورة » بمشروعات التعليم وتقديم المساعدات كما قامت على دعم « المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية » فى مشروعاته التعليمية الإسلامية ومساندته فى مشروعاته .

وفى « الفلبين » اقامت مستوصفا تابعا لمركز الشباب المسلم فى مدينة « مراوى » .

ولقد امتد نشاط « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى « السويد » حيث ساندت المسلمين هناك فى إقامة المركز الإسلامي بمؤسساته المتنوعة والذى كان أملا ، فصار حقيقة واقعة ـ يقوم بمهامه فى خدمة الإسلام والمسلمين ـ حيث يعمل على حفظ الدين ويعينهم على إقامة شعائر الإسلام فى تلك البلاد .

ولقد توالى بريق « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى « السودان » و« مصر » و« مالى » و« اليمن الشمالى » و« أسبانيا » و« أنقرة فى تركيا » وإلى غير هذا من أوطان المسلمين .

إن الذين احتسبوا أنفسهم وجهودهم لعمل الخير والدعوة إليه والسعى للتعرف على حاجات المسلمين وقضائها وتخفيف الويلات عن المنكوبين وإغاثتهم حفاظا على أنفسهم وعلى دينهم الإسلامى أحق بالتقدير وبالمساندة بالجهد وبالمال وبالفكر المثمر المحقق للأهداف والمقاصد الإسلامية .

وتمتد ثمرات جهد « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » إلى المجاهدين فى « افغانستان » وإلى الأبطال الكبار الصغار الذين فجروا ثورة الحجارة فى « فلسطين » يفتدون المقدسات الإسلامية بارواحهم ويحمونها باجسادهم من اولئك الذين فقدوا مقومات الإنسانية ، وبغوا وافتروا على الله وعلى الناس كذبا ، هؤلاء الأطفال الأبطال فى حاجة ماسة إلى وقفة تشد من ازرهم وتظاهرهم إلى النصر المرتقب بإذن الله .

إن « المسجد الأقصى » وكل « فلسطين » فى حاجة إلى دعم مادى ومعنوى يثبت فيهم الاقدام فى هذه المعركة غير المتكافئة بين أطفال عزل إلا من الإيمان الذى وقر فى قلوبهم فامتلأت صدورهم بالشجاعة والإصرار على طلب حقوقهم ، وقد صبروا وصابروا ومنهم من قضى نحبه راضيا مرضيا ، ومنهم من ينتظر مثابرا محتسبا جهاده فى الدفاع عن حرمات « الأقصى » وسائر المقدسات وللدفاع عن عرض المسلمين عامة .

فكونوا أيها السادة معهم بكل عون وتأييد وناصروهم فى المحافل الدولية فإنهم منكم وإنهم يواجهون عدوا فقد كل المقومات الإنسانية إذ يطارد بقواته المسلحة بكل آليات الدمار والقتل أولئك الصغار الأبطال العزل إلا من الثقة والإيمان بنصر الله .

قولوا للعالم كله أن ينتصر للمظلوم بالتأييد والحماية ، وأن يمنع المعتدى الظالم من الاستمرار فى قسوته وظلمه ، وتدارسوا فى جمعكم هذا ماذا أنتم فاعلون لنصرة « الأقصى » واستنقاذه وصيانة أرواح بنى الإنسان فى « فلسطين » .

إن ميدان أعمال الخير متسع فى حاجة إلى كل جهد يبذل وإلى المال الذى تقضى به الحاجات وتقام المشروعات ويتكاثر الخير ويصل إلى مستحقيه ويعود ثوابه إلى من قدمه خالصاً لوجه الله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ـ التوبة .

إن استباق الخيرات والتنافس فى مجالها يحمده الإسلام لأنه السبيل إلى التواصل والمحبة ، وخير الناس أنفعهم للناس ، ـ وصدق الله فقد أثنى على فريق من أهل الخير ـ أهل الإيثار ـ فقال سبحانه فى سورة الإنسان : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ﴾ .

باسم الوفود التى جاءت شاهدة هذا الانعقاد الثالث « للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » أحيى حضرة صاحب السمو أمير الكويت راعى الخير ومؤيد الخيرين العاملين من مواطنى هذا البلد الأمين .

وباسم هذا الحفل الكريم نقدر خطوات سموه نحو حماية الأقليات الإسلامية المضطهدة فى دينها وسماتها الإسلامية ونأمل أن تتخذ منظمة المؤتمر الإسلامى برياسة سموه إجراءات حاسمة لوقف العدوان الإسرائيلى فى « القدس » وسائر « فلسطين » وحماية الشعب الفلسطينى وتمكينه من إقامة دولته على أرضه .

وباسم هذا الحفل الكريم نحيى ذلك الجهد المثمر الذى قامت به اللجنة العليا الثلاثية فى شأن مشكلة « لبنان » وما انتهى إليه اجتماع النواب اللبنانيين فى « الطائف » بالوفاق وذلك برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

ونأمل أن تنزل كل الأطراف فى « لبنان » عند هذا الوفاق وتلتزم به حتى يعود شعب « لبنان » سيد نفسه على أرضه وعضواً نافعاً فى موقعه من الأمة العربية ، وحتى ينتهى هذا الحال الذى ساد « لبنان » أعواماً مريرة انصرف فيها العرب والمسلمون عن القضية الأولى والهامة « فلسطين » ، وأنصح كل الأطراف فى « لبنان » بأن الصلح خير وأن النزاع يستتبع الفشل والهلاك .

مرة أخرى أشكر حضرة صاحب السمو أمير دولة « الكويت » وحكومته برياسة صاحب السمو ولى العهد على مابذل « الكويت » على أرضه ومن خيراته لصالح الإسلام والمسلمين .

والأمل بفضل الله وتزايد النعم أن تتوحد جهود « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » عطاء للبر والخير متعاونة مع سائر الهيئات والمنظمات العاملة فى مجال الدعوة والإغاثة .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بوفد القساوسة الأمريكي برياسة الأسقف

روجي مايكل ماهوني

يوم الثلاثاء الثامن من ذى الحجة ١٤٠٩ هـ

الموافق الحادى عشر من يوليه ١٩٨٩م

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بوفد القساوسة الأمريكي في مكتب فضيلته وهذا الوفد يتكون من :

١ ـ الأسقف روجى مايكل ماهونى أسقف لوس انجلوس ورئيس الوفد .
٢ ـ القس وليم هنرى كيلر .
٣ ـ القس روبر ايسترن .
٤ ـ القس ابريان هاير .
٥ ـ القس كونيلى .

ثم تحدث فضيلة الإمام الأكبر قائلا : لعل الرحلة إلى المشرق كانت مريحة .

فرد السيد رئيس الوفد قائلا : لقد زرنا العديد من الدول وهذه هى آخر مرحلة فى رحلتنا . وسنغادر القاهرة غدا إلى روما ، ويسعدنا أن نلتقى بفضيلتكم عشية وقفة عيد الأضحى عيد الفداء ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : شكرا لكم ومرحبا بكم فى الأزهر ونحن نفخر أن نكون فى مصر مسلمين وأقباطاً آمنين ، وهم أولاً وأخيراً أخوة مصريون وكل يعبد الله بطريقته ..

وقال السيد رئيس الوفد : إن أحد أهدافنا فى الشرق الأوسط هو البحث عن دور الدين فى إحلال السلام فى منطقة الشرق الأوسط ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : المعروف أن الإسلام من السلام ، وهو لغوياً مشتق من السلم والسلام ، والمسلمون دائما فى مصر وغير مصر يعملون على السلام ، سواء مع الله أو مع الناس ونسأل الله أن تنعم الإنسانية جمعاء بالسلام ، ولا يفوتنى أن أشير إلى أن الإسلام يؤكد على الأخوة الإنسانية كما يؤكد على الأخوة الدينية ..

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . ولكن السلام يجب أن يكون بمنطق العدل فلا يطلب من المظلوم

ما يطلب من المعتدى الظالم وأنتم تعرفون ما أعنى ، ولعل ما أشير إليه أننا فى الشرق - وفى مصر بوجه خاص - سواء كنا مسلمين أو أقباطا نعمل جميعا من أجل السلام ، ونأمل أن يعلم هؤلاء الذين يقتلون ويشردون ويخرجون الناس من ديارهم أن ينضموا إلينا فى الدعوة إلى السلام .

وقال السيد رئيس الوفد : إننا نشارككم الرؤية من أجل ذلك ..

وقال فضيلة الإمام الأكبر : يجب أن تتدخل الشعوب - ليس بالكلام وإنما بالعمل - من أجل السلام وكان بالأمس مستر « جى . سى جاكسون » فى زيارة لى هنا بمكتبى وخرج لزيارة أطفال انتفاضة الحجارة الجرحى الفلسطينيين ، وطلبت منه أن ينقل للشعب الأمريكى صور هؤلاء الأطفال لأننا نعلم أن الشعب الأمريكى على قدر عال من مناصرة الإنسانية ، ومرة أخرى أخاطب الشعب الأمريكى فى أشخاصكم ، أن العلاقة الإنسانية قبل العلاقة الدينية . ومرة أخرى أقول : إنه علينا أن نسعى لإقرار السلام فى جميع أنحاء العالم ..

وقال السيد رئيس الوفد : هذه هى روح الرسالة التى ينادى بها البابا جون بول الثانى وهى الحفاظ على كرامة الإنسان . وفى أثناء زيارتنا لإسرائيل قمنا بزيارة القرى والنجوع وشاهدنا كيف أن الناس متعطشون لإقرار السلام . وعند عودتنا إلى بلدنا سوف ننقل لهم تلك التجربة وكيف يتوق الناس إلى إقرار السلام .

وقال فضيلة الإمام الأكبر : المهم أن يتبادل الناس الرأى والعمل من أجل إقرار السلام بطريقة جدية ، وأعتقد أنه كان جميلا أن تتجمع أمريكا وأوروبا من أجل الاحتجاج على الصين عندما حاولت قمع اضطرابات داخلية بطريقة غير إنسانية حتى أن الأمر وصل إلى حد التهديد باتخاذ إجراءات فى حين أن الانتفاضة التى استمرت أكثر من عام لم يحدث أى - شىء مماثل ضد إسرائيل . مع أن انتهاك حقوق الإنسان فى الصين وفى الأراضى المحتلة أمر واحد فأمريكا عليها عبء أن تقف بجانب المظلومين وليس بجانب الظالمين ، لأنها الدولة العظمى التى على رأس الدول الديمقراطية . وحين يتوجه كل منا إلى مسجده أو معبده يدعو الله تعالى أن ينقذ الإنسانية ، لكن الإيمان بلا عمل لا جدوى فيه . والإيمان بأن هناك ظلما يجب أن نعمل جميعا على رفعه ، وهذا ما آمل أن يقوم به الوفد الكريم باطلاع الشعب الأمريكى على ما رآه ، بل وما سمع به عن كارثة لبنان من مآس يندى لها جبين الإنسانية ..

مرة أخرى أرحب بحضراتكم فى الأزهر الشريف ..

واختتم السيد رئيس الوفد حديثه قائلا : نشكر لفضيلتكم كرمكم وندعو الله أن يعم بركاته علينا ..

حضر اللقـــاء
مجـــدى الأنـــور
المترجم بمكتب شيخ الأزهر
راجعه وصححه / الشيخ / عمر البسطويسى على
بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

من نعم الله علينا

الإحياء .. والتسخير

للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

قال سبحانه وتعالى من سورة البقرة : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

يسأل بـ « كيف » عن الحال ، وهى إحدى أدوات الاستفهام التى بها يطلب المتكلم أن يفهم من السامع أو من المخاطب ، فإن سأل عن الزمان قال : « متى » ، وإن سأل عن المكان ، قال : « أين » ، وإن سأل عن ذوات العقلاء قال ماقاله القرآن : ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَامُوسَى﴾ وإن سأل عن غير العقلاء وصفاتهم ، أو صفات العقلاء قال ما حكاه القرآن فى قصة البقرة : ﴿ مَالَوْنُهَا ﴾ .

فإن ورد الاستفهام من الله انتقل من معنى طلب الفهم إلى معانٍ أخرى كالتوبيخ ، ولفت النظر ، وأهمية المستفهم عنه ، وغير ذلك مما يحدده السياق ، ويقتضيه المقام ..

وباب الاستفهام وأسلوبه وأغراضه من عظائم المهمات ولزوم ذلك لمن يريد أن يتدبر الكتاب العزيز .

وهاتان الآيتان تتحدثان عن نعمتين ، نعمة الإحياء ، ونعمة التسخير والانتفاع ، والمنعم سبحانه هو الذى أمدنا بالنعم فقال : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، وهذا النص الكريم يوضح لنا أن النعمة من الله تفضلٌ على المنعَم عليه وبلا مقابل ، وأين كنا حين قابلتنا عنايته ، وشملتنا رعايته ، ولم يكن فى أزله وجود أعمال ولا شهود أحوال ، بل لم يكن منه إلا محض الإفضال وعظيم النوال ..

وهو سبحانه يوبخ المعرضين عن المنعم عليهم ويذكرهم بنعمته فيقول : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ، وهذا يدل على أن كفر الكافر كان بمحض اختيار العبد ، فالله سبحانه خلق النافع والضار ، وترك للعبد الاختيار بعد أن بيّنهما له وقال : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً

﴿ وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ، ويُطلق الكفر على الكفران بالنعمة ، كما يُطلق على الكفر بالمنعِم وقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، ولا إحسان أنقى من إحسان الله ، إذ العباد كثيراً ما يحسنون في مقابل ما يُعوضون به ، ولو أحسنوا بلا مقابل فإنهم لا يقدرون على أن ينفعوا العبد الذى أحسنوا له ..

والنعم إما مادية كالمال ، وإما معنوية مثل : النعم الكامنة وراء العمل المادى مثل حنان الأبوين ..

والإحياء هنا مادى يتمثل في الإيجاد من العدم ، ومعنوى يتمثل في الإيمان الذى هو حياة القلوب ، وغذاء الأرواح ..

ومعنى قوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ أى منعدمين ، فأخرجكم من العدم إلى الوجود إذ الوجود أشرف من العدم ، وكون بعض الناس يفضلون العدم على الوجود جهلاً منهم فإن ذلك لا يبرر أن يكون العدم أفضل من الوجود ، وما ينسب إلى سيدنا عمر في ذلك باطل لا أصل له ، فكفى الوجود نعمة أن يكون الموجود عارفاً لربه ، عابداً له يكل أعماله وأنشطته ..

والتعبير بـ « الفاء » لسرعة الاقتدار ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ وليس الإيجاد متوقفاً على قول الله : ﴿ كُن ﴾ بل قدرته على التنفيذ أسرع من ذلك وقد أراد بما قاله تقريب المعنى للأذهان ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ قال المفسرون : لما كان الموت يتأخر عطفه بحرف (ثم) بخلاف الإحياء الأول المعطوف بالفاء ، والتعبير عن الموت الذى هو واقع لا محالة التعبير عن ذلك بالفعل المضارع الذى يدل على الحدوث والتجدد أراه بذلك يشير إلى حدوث موتات للقلب بسبب المعاصى التى تسوده وتران عليه . أما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ فإنه يحتمل أن يكون في القبر ، كما يحتمل أن يكون عند البعث والنشور ، وقد ثبت عذاب القبر بالأحاديث الصحيحة ..

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، لا يعنى أن العباد قبل ذلك لم يكونوا في قبضته سبحانه ، وإنما يعنى أن الرجوع هو الحساب والجزاء ، فالدنيا دار ابتلاء واختبار ، وقل ما يكون فيها الحساب العادل ، وإنما هو بين يدى أحكم الحاكمين ، وأصدق القائلين .

والناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وتستعمل (إلى) للغاية المكانية مثل قوله : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، وللغاية الزمانية مثل قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، وللغاية المعنوية كما قال : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ .

وقد خاطب القرآن الإنسان عملاً بظنه وأوهامه ، وإلا متى كان ذلك الإنسان خارجاً عن سلطان الله ، فنحن منه وإليه ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ .

النعمة الثانية : نعمة التسخير ، نراها واضحة في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، وما كان الإنسان ليعرف ما يحتاج إليه لولا أن الله خلقه لنا ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ، ومعنى ﴿ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، أن الأشياء مباحة للإنسان في حدود عدم الإضرار بغيره ، وجعل ما في الأرض مباحاً يلفتنا إلى ما في باطنها من كنوز ، وما على ظاهرها مما هو متاح لنا وعلى المسلمين أن يستنطقوا ما في الطبيعة من كنوز وأسرار أودعها الله فيها للانتفاع بها واستغلالها لا لمجرد التأمل والتنعم بظواهرها ، ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ .

يتأمل المتأملون ثم يأوون إلى فروشهم قانعين

←

من نعم الله علينا

بما استمتعت به أعينهم وغيرهم يجوب الأرض ويغوص فى البحار ، ولا حياة كريمة للمسلم إلا بما أمره الله ، فلا معنى للتسخير ما لم يكن المسلم قادراً على الانتفاع والاستغلال ، ولا مانع من أن يكون لفظ ﴿ جَمِيعاً ﴾ ، لجميع الناس وجميع الثروات ..

وكيف يستوطىء المسلمون العجز وفى أول دينهم تسخير الطبيعة ؟ ، وكيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟ ، وكيف يستمدون الراحة وفى صدر تاريخهم عمل ما كان يعجز عنه غيرهم ؟ ، والحق أن العزة : ما وهبها الله المؤمنين إلا لأنهم أهل لها ، ويوم يكون قوتهم على غيرهم ، وما يحتاجون إليه فى يد سواهم ، فإن طلبهم للعزة ضرب من الخبال والتخبط والإعراض عما طلبه الله منهم وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ، معنى ذلك تمام عناية الله بخلقه ، حيث أواهم وأظلهم ، والبحث فى أيهما خلق أولاً ، الأرض أو السماء لا يعنينا ، فحرف (ثم) كما يحتمل الترتيب والتراخى فى الإيجاد ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك للترتيب الذكرى ومعنى استوى إلى ، قصد ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ..

وتطلق السماء على كل ما علاك ، والتسوية هى الخلق والإبداع على أحسن نظام ، وقد أبهم ثم فسر فى قوله : ﴿ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ وكل ما وصل إليه العلم من تقدم لآراه وصولاً إلى السماء الدنيا ، فقد قال سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ والذى يهمنا هو استغلال ما أتيح لنا لننعم به ولا نشقى على حساب مدنية فى جانب ، وإهمال جوانب أخرى . ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يغيب عن علمه شىء ، فبعلمه كشف ، وبإرادته خصص ، وبقدرته نفذ ، وانظر إلى صيغة المبالغة فى قوله : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لبيان أنه سبحانه أحاط بكل شىء علما ، ماغابت عنه جزئية كما ادعت الفلاسفة ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وقد قال علماء القرآن :

كل عام قابل للتخصيص إلا قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ علم الواجب والجائز والمستحيل ، فهو سبحانه يعلم أن ليس له ولد ، وليس له شريك فى ملكه ، ويعلم كذلك أنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ويعلم كذلك ماكان ، وماهو كائن ، وما سيكون ، وما شاهده الخلق ، ومالم يشاهدوه : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وبعد .. فقد ذكر كلاً من الموت والإحياء مرتين ثم ذكر الرجوع إليه ، لينبه الإنسان إلى أن أهم خصائصه أن يقدر الأشياء حق قدرها ، وأن يشعر بأن أهم ما يميزه عن غيره هو أنه كائن مسئول ، وعليه أن يدرك أن مسئوليته ممتدة إلى الطبيعة التى هُيِّأت وسخرت له ، فإن قصر فى تضييع شىء فهو مسئول لا محالة ، إذ هو مكلف ، وكما أن الأوامر الإلهية تتعلق بأداء الشعائر ، هى كذلك تتعلق باستغلال الثروات المتاحة ، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ وإن الرجاء لغير المسلمين لهو علامة الخراب فى أخلاقهم ، إذ الرجاء يشع فى الراجى

ذل السؤال ، ويشع فى المرجو صلف المتصدق ، وإذا كان الزمن هو المادة (الخامة) لاستغلال المال وتحصيل العلم وكسب الصحة ، فكم أضعنا من كل ذلك ! ، إذ ليس هناك عقل يطلب الغذاء الروحى ولكن معدة تضج بالتخمة ، وغذاء العقول عندنا – فى الإسلام – بالعلم والبحث ، أما المعدة فإنها قد تضج وتصيح من ألم الجوع ، ومن العار أن ينسب ذلك إلى الإسلام الذى يشيع الحياة حتى فى الجامد الأصم ، وليت عندنا نفوس تألم من الجهل بدلاً من أجسام تخلد إلى الراحة .

والخطأ فى فهم السعادة يجىء من جهات : إما من تصورها على غير وجهها الصحيح ، وإما بمقياسها الفردى ، كأن الفرد آلة مستقلة لا أنهم تروس فى آلات ، وقد مُنح المؤمن من الحواس الباطنة والذوق ما قصر عن إدراكه القياس والدليل ، وفى العقيدة مد خيوط بين العقل والقلب ، وبين الأثمار والأشجار وبين الواقع والحس : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ ولن تفلح الأمة من غير ذخيرة تعتز بها ، ومجد تليد تعتد به ، ونعرة دينية تدعوها إلى الفخر والإعجاب ، وتبأ لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة ، وليس لنا من الماضى إلا ما يصلح للمستقبل بعد تنقيته وإبعاد ما فسد منه ، والمصلح يجب أن يرفض لبس تاج الفخر إلا أن يكون من نسيج ما سعى إلى تحقيقه ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنوياً

١ – جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) اربعة جنيهات وثمانون قرشاً .

٢ – اتحاد البريد العربي الافريقي [بالبريد الجوي] (٣٥) خمسة وثلاثون دولاراً او ما يعادلها .

٣ – باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولاراً او ما يعادلها .

وتطلب راساً من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة – ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر ..

الحمد لله .. والشكر لله

للأستاذ: محمد صابر البرديسى

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» .. رواه البخارى، والإمام أحمد ..

أولاً: اللغـــة:

(١) كلمتان: أى عبارتان أو جملتان، وأراد بالكلمة الكلام من قبيل كلمة الشهادة.

(٢) خفيفتان: أى مستعارة للسهولة مع كونها تثقل فى الميزان.

(٣) حبيبتان: أى محبوبتان، والمراد قائلها محبوب.

(٤) الرحمن: أى واسع الرحمة يجازى على العمل القليل بثواب جزيل.

(٥) سبحان الله: أى تنزيهه عما لا يليق.

ثانياً: ما يشتمل عليه الحديث:

(١) معنى الحمد والشكر.

«أ» معنى الحمد «ب» معنى الشكر

(٢) الشكر من دعائم سعادة الفرد والمجتمع.

(٣) شكر النعمة يزيدها.

البيـــــان

(١) معنى الحمد والشكر:

«أ» معنى الحمـــــد:

الحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمهما، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية، وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته.

قال - صلى الله عليه وسلم - «الحمد رأس الشكر، ماشكر الله عبد لا يحمده» .. وإنما كان رأس الشكر لأن فيه اظهار النعمة، والإشادة بها، ولأنه أعم منه، فهو شكر وزيادة.

والحمد لله، هو الشعور الذى يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله، فإن وجود الحمد ابتداء ليس إلا فيضا من فيوضات النعمة الإلهية، التى تحرك فى النفس الحمد والثناء، وفى كل لمحة وفى كل لحظة وفى كل خطوة تتوالى نعم الله على الإنسان وتتجمع وتغمر خلائقه كلها، ومن هنا

كان الحمد لله ابتداء ، وكان الحمد لله ختاما أساسا وقاعدة من قواعد التصور الإسلامي المباشر ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾ ـ سورة القصص آية رقم ٧٠ ـ .

وقد بلغ من فضل الله (سبحانه) وفيضه على عبده المؤمن ، أنه إذا قال الحمد لله كتبها له حسنة ترجح كل الموازين .

روى ابن ماجه ، عن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حدثهم أن عبدا من عباد الله قال : (يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك) فعضلت الملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى الله فقالا : يارينا ، إن عبدا قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ، قال الله : ـ وهو أعلم بما قال عبده ـ « وما الذى قال عبدى ؟ » قالا : يارب إنه قال : لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فقال الله لهما : (اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها) .. أى : اشتدت على الملكين هذه الكلمة فلم يعلما مقدار ما يكتب لها من الثواب ليكتباه لقائلها ، لأن أجرها عظيم لا يعلمها إلا الله تعالى ، ولم يطلعهما على مقداره .

والإنسان يحمد الله على كل حال فى السراء والضراء مع سعة العيش وفى الأمراض والمصائب ، فهو راض من الله تعالى فى كل حال .

ونظر رجل إلى قرحة فى رِجْل ابن واسع فقال : (إنى لأرحمك) ، قال له ابن واسع : (إنى لأحمد الله عليها منذ خرجت ، إذ لم تخرج فى عيني) .

عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أول من يُدْعى إلى الجنة الحمّادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء » . رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى ..

وفى الحديث الذي بدأنا به « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان .. » فى ذلك تعريض بأن جميع التكاليف صعبة شاقة على النفس ، ثقيلة ، وهى (أى الكلمتان) خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل فى الميزان ثقل غيرها من التكاليف فلا يليق تركها .

(ب) معنـى الشـكـر :

عرف العلماء الشكر بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة .

فالشاكر من يكون لسانه مشتغلاً بالثناء على ربه معترفاً له بنعمه ، ويكون قلبه مملوءاً محبة لله على هذه النعم ، وشهوداً بأنها منه فضل وإحسان ، وتكون جوارحه مشتغلة بطاعة الله استسلاما له وانقيادا .

لهذا كان الشكر من مظاهر العبادة التى دعا إليها القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ـ سورة البقرة آية ١٧٢ ـ ..

والشكر طاعة مخصوصة يقدمها الإنسان لله على ماأولاه من نعم وماأجزل له من عطاء وهو شريك الصبر فى الفضل والكرامة ، وقرينه فى الشرف والمنزلة ، ونظيره فى الأجر والثواب ، لأن الإسلام نصفه شكر ونصفه صبر ، ولذلك ذكرهما الله معاً فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سورة لقمان آية رقم ٣١ ـ ..

وإذا كان الصبر من أكرم أخلاق المؤمنين ، فالشكر من أجل صفاتهم ، لأنه عنوان على كمال الإيمان ، ودليل على صفاء النفس ، وبرهان على قوة اليقين ، وتمام التوفيق .

فالشكر مفتاح سعادة الإنسان ، وسبب زيادة النعمة ، والحارس الأمين على دوامها ومن أقوى الروابط التى تربط الإنسان بالله ، قال تعالى :

الحمد لله .. والشكر لله ..

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ - سورة آل عمران آية رقم ١٤٥ -.

وكلمة الشكر من الكلم الجوامع التى تنتظم كل خير، وتشمل كل مايصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه، فالذى لا يحب الله ولا يشهد قلبه بأن مافيه من النعم إنما هو من فضل الله وإحسانه فهو ليس بشاكر.

(٢) الشكر من دعائم سعادة الفرد والمجتمع :

شكر النعمة يوطد دعائم الأمة ويصلح حال الفرد والجماعة.

أما كفران النعمة فيعرض الفرد للضياع والأمة للزوال ويهدد الجماعة، والإنسان الذى يكفر نعمة الله ويكون غير مبال بها ويبددها بدون منفعة ويتلفها فى غير فائدة ويسير على غير المنهج الذى رسمه له الخالق فإنه يؤدى ذلك إلى غضب الله عليه والبعد عن رحمته.

والقرآن يخبر بأن ضياع الفرد والجماعة خراب الأمم كان سببه كفران النعم وعدم الشكر لله، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ - سورة النحل آية ١١٢ -..

فالشكر من دعائم سعادة الأمم، والتنكب عنه يجلب الدمار والخراب..

(٣) شكر النعمة يزيدها :

إن شكر النعمة يزيدها وهذا دليل على صدق الإنسان مع ربه ونحب أن نبين أن زيادة النعمة تكون بالشكر، وزوالها يكون بالجحود والكفر، ثم مايترتب على جحود النعمة من العذاب الشديد ونحب أن تطمئن القلوب أن الله وعد بذلك حيث يقول : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ - سورة إبراهيم آية رقم ٧ -..

ولابد أن يتحقق وعد الله على أية حال، إلا إذا أردنا أن نرى مصداق ذلك فى الحياة فإننا لانَبْعُدُ كثيرا فى تلمس الأسباب، عندما نبحث عن الأسباب.

إن شكر النعمة دليل على اطمئنان النفس البشرية، وإيمانها بالله، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي فى الفطرة المستقيمة ولدى النفس المؤمنة.

إن النفس التى تشكر الله على نعمه تراقبه فى التصرف بهذه النعمة بلا بطر وبلا استعلاء على خلق الله، وبلا استخدام للنعمة فى الأذى والشر.

والإنسان عليه واجب الشكر نحو خالقه فإن لم يفعل كان بذلك مقترفا أشنع أنواع الجحود والنكران، ولا يمكن أن نكون مقربين إلى الله من غير شكره، وهذا ما أمر الله به فى كتابه قال تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ - سورة الجاثية آية رقم ١٢ -..

ولكن الناس أمام هذه النعم قليلا مايشكرون، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ - سورة يونس آية رقم ٦٠ -.

إن الحمد والشكر للمنعم سواء كان قولا أو عملا أو تسبيحا أو صلاة أو صدقة لايعود على الله (سبحانه وتعالى) من ذلك شىء، كما لاتضره (جل شأنه) المعصية، ولا كفر الكافر وإنما فائدة ذلك للعبد الشاكر، والله غنى عن العباد.

البقية ص ٥٩٤

التابعون تلامذة الصحابة

عكرمة - رضى الله عنه

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعد : فلما كان الصحابة - رضى الله عنهم - نجوما لا تخبو أضواؤها ولن تطمس شبهات الضلال أنوارها فقد كثرت الكتابة عنهم، لأنهم خير قرن شاهد رسول الله ﷺ - ثم جاء التابعون الذين رأوا الصحابة ولم يروا رسول الله ﷺ فكانوا على منوالهم فعمهم الخير وكانوا خير قرن يلونهم، أراد الله - توفيقا منه - أن نتحف القارىء بذكر نُبَذٍ ترشد إلى معرفة بعض تراجمهم، لتكون أنيسا عند كثرة الفتن وتذكرة للمقتدين برسول الله ﷺ وصحابته.

وسنتابع - بتوفيق الله تعالى - الحديث عن كبار التابعين من أصحاب عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - ثم أصحاب غيره الذين كان لهم قدم راسخة فى العلم وقدوة حسنة لمن جاء بعدهم فمنهم عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما :

اسمه : عكرمة بن عبد الله، وكنيته أبو عبد الله ولقبه « البربرى » من البربر من أهل المغرب، ثم المدنى الهاشمى، كان مولى لحصين بن أبى الحُرّ جد عبيد الله بن الحسين العنبرى قاضى البصرة، فوهبه لابن عباس حين كان واليا على البصرة فى إمارة الخليفة الراشد على بن أبى طالب - كرم الله وجهه.

روى عكرمة عن أولئك الصحابة وسمع منهم :

عبد الله بن عباس وعائشة، وأبى هريرة، وعبد الله بن عُمَر، وعلى بن أبى طالب، والحسن بن على، وعبد الله بن عَمْرو، وأبى سعيد، وعقبة بن عامر، والحجاج بن عمرو بن غزية ومعاوية بن أبى سفيان وصفوان بن أمية، وجابر بن عبد الله، ويعلى بن أمية، وأبى قتادة وحمنة بنت جحش وأم عمارة، ويحيى بن يعمر.

قال عكرمة عن نفسه : أدركت مائتين من

ـ عكرمة ـ رضى الله عنه

أصحاب النبى ﷺ فى هذا المسجد .

وروى عن عكرمة :

إبراهيم النخعي ومات قبله ، وأبو الشعثاء : جابر بن زيد والشعبى ، وهما من أقرانه ، وأبو اسحق السبيعى ، وأبو الزبير ، وقتادة وسماك بن حرب ، وعاصم بن بهدلة ، وعبد الكريم الجزرى ، وعبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل ، وأيوب ، وخالد الحذاء ، وداود بن أبى هند ، وعاصم الأحول ، وحصين بن عبد الرحمن ، وحميد الطويل ، وإسماعيل بن أبى خالد ، وإسماعيل السُّدى ، وعمرو بن أبى عمر ومولى المطلب ، وموسى بن عقبة ، وعمرو بن دينار ، عطاء بن السائب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ويزيد بن أبى حبيب ، وأبو اسحق الشيبانى ، وهشام بن حسان ، ويحيى بن أبى كثير ، وثور بن يزيد الديلى ، والحكم بن أبان ، والحكم بن عتبة ، وخصيف الجزرى ، وداود بن الحصين ، والزبير بن الخِرِّيت ، وسفيان بن زياد ، والعصفرى ، وعبَّاد بن منصور ، وأبو حريز قاضى سجستان ، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وعبد العزيز بن أبى روَّاد ، وعبد الملك بن أبى بشير المدائنى ، وعثمان بن غياث ، وعثمان بن سعد الكاتب ، وعمارة بن أبى حفصة ، وعمرو بن هرم الأسدى ، وفضيل بن غُزوان ، وأبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، ومحمد بن أبى يحيى الأسلمى ، ومهدى بن أبى مهدى الهجرى ، ومحمد بن على بن يزيد بن ركانة ، وهلال بن خباب ، ويزيد بن أبى زياد ، والحسن بن زيد بن الحسن بن على ، وسلمة بن وهران ، وليث بن أبى سليم ، والنضر أبو عمر الخزاز ، وأبو سعد البقال ، وخلق كثير .

قال ابن منده ـ فى صحيحه :

روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل من البلدان منهم زيادة عن سبعين رجلاً من خيار التابعين ورفعائهم .

منزلته العلمية :

قال أبو نُعَيم عنه : مفسر الآيات المحكمة ، ومنور الروايات المبهمة وكان فى البلاد جوالاً ، ومن علمه للعباد بذالا .

وقال الشعبى : ما بقى أحد أعلم بكتاب الله منه .

وقيل لسعيد بن جبير : تعلم أحداً أعلم منك ؟ قال : نعم . عكرمة .

وكان سفيان الثورى يقول بالكوفة فى روايتين عنه : خذوا التفسير عن خمسة .

عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعطاء ، وعكرمة ، والضحاك .

وقال قتادة : أعلمهم بالتفسير عكرمة ، وأفتى عكرمة فى حياة ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ ..

وقال عكرمة عن نفسه : طلبت العلم أربعين سنة وكان ابن عباس يجعل فى رجلى الكَبْل ـ أى الحديد ـ ويعلمنى القرآن والسنن .

وقال فى رواية أخرى قال لى : انطلق فأفت الناس وأنا لك عون ، قال : فقلت له : لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم . قال : فانطلق فأفتهم ، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته . ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته ، فإنك تطرح عنك ثلثى مؤنة الناس .

وكان خالد الحذاء يسأل عكرمة فسكت خالد . فقال عكرمة : مالك أجْبَلْت[1] ؟ قال : تعبت .

البقية ص ٦١٢

١ ـ أجبل الرجل : أخفق ، وأجبل : فشل ..

الدين
القيم والفكر المستنير

للأستاذ الدكتور السيد تقى الدين

إذا أردنا أن نحدد التدين المطلوب من الإنسان فلا بد من أن نعرف حقيقة الدين ومدى موافقته للفكر المستنير ، وذلك أن الدين في العصر الحديث قد تعرض لهزات عنيفة ، فقامت ضده ثورات رُغْمَ حاولت إطفاء نور الله لكن حدة الثورات انكسرت وظل نور الله ساطعا .

ومن ثم فنحن بحاجة إلى أن نعرف الأساس الذى يقوم عليه الدين القيم ونحن بحاجة إلى أن نعرف أهمية الإيمان بالله ، وكيف يتم الاتصال بين الله والناس ، ونحن بحاجة إلى نظرة تأملية في الكون والطبيعة والإنسان من خلال القرآن الكريم وسيقودنا ذلك إلى الحديث عن العلم والدين والفرق بين المنهج العلمى والمنهج الإيمانى .

إننا إذا استطعنا أن نكشف النقاب عن وجه الحقيقة تجاه هذه القضايا نكون بذلك قد حددنا العلاقة بين الدين القيم والفكر المستنير .

ومن ثم يتضح التدين المطلوب من الإنسان العصرى .

فأولا : يقول الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « الروم ٣٠ »

إلام تدعو هذه الآية ؟

وهل في التاريخ الحديث ما يؤيد هذه الدعوة ؟

هذه الآية تدعو إلى الإيمان بالله وحده ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ وهذه الدعوة تمثل ما ركز في طبيعة الإنسان من إيمان بالإله مهما انحرف العقل وطغى المنطق ولهذا ترى كثيرا من العلماء قد كفرت عقولهم وأمنت قلوبهم ، قد تختلف صورة الإله باختلاف عقلية الأمم واختلافها في البداوة والحضارة والعلم والجهل ؛ ولكنها كلها تشترك في النزوع الفطرى إلى إله له القوة والسلطان وبيده الأمر ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ لقد جاءت الثورة الفرنسية فرأت ما فعله رجال الكنيسة من اضطهاد للعقل ، وغول الفكر والتدخل فيما ليس من شأنهم ، وإظلام الحياة حولهم فثار رجال الثورة عليهم وعلى

←

دينهم ، وأعلنوا أنهم يريدون إلغاء وجود الله ، ولكن ماذا كان ؟ هدأت الثورة وخمدت النار ، ورجع الناس إلى ربهم ، ولم يلغ الله ولكن ألغيت تعاليم الثورة فى هذا الشأن لأنها ضد طبيعة الإنسان .

وحاول بعض رجال الثورة فى تركيا إلغاء الدين وإلغاء عبادة الله ثم ذهبت دعوتهم مع الريح وذهبوا هم وبقى الدين ، وبقى الناس مع الدين .

وجاءت الثورة الروسية أول أمرها داعية إلى إلغاء وجود (الله) وإلغاء الحرية ، وإلغاء فكرة الخلود ثم مالبث الدين أن عاد تغير شكله وبقى جوهره وذهبت تركيبته وبقيت سماحته ويسره ، وعلى كل حال فهو الدين وهو الله ﴿ لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وثانيا : ما الذى لفت الإنسان إلى الله ؟ وهل الإيمان بالله جزء أساسى فى حياة الإنسان ؟

لفته أولا شعوره ، والشعور جزء مهم من تكوينه ، ومصدر صحيح من مصادر معارفه ، وعليه يعتمد فى كثير من شئون حياته فما الصداقة ؟ وما الأبوة ؟ وما الأمومة ؟ وما الحب والكره والإحسان والإنسانية لولا الشعور ولو انعدم الشعور لكانت حياتنا جافة لا طعم لها بل لم تكن حياة أصلا فالشعور بالله جزء مكون لحياتنا كسائر ما ندرك بالشعور .

ثم اهتدى إليه العقل بعدما اهتدى إليه الشعور .

لقد كان من أهم ما استكشفه الإنسان إدراكه أن العالم وَحْدَةٌ ، وأنه يتبع نظاما فى منتهى الدقة يدركه الإنسان أول وهلة فى تعاقب الليل والنهار والصيف والشتاء ، وحركات الشمس والقمر ، ثم كلما زاد تعمقه فى دراسة الطبيعة ازداد إيمانا بالنظام الكونى فالفلكيون أشد الناس إيمانا بنظام الكواكب ، وعلماء الحيوان فى الحيوان ، وعلماء النبات فى النبات ، وعلماء وظائف الأعضاء فى وظائف الأعضاء وأطباء العيون فى العيون ... وهكذا : كل يدرك أنه أتم نظام وأدقه فى نوعه ، والفيلسوف يدرك ذلك فى العالم كوحدة بل يدرك أنه لولا نظام ناحية من نواحى العالم ما كان لها علم ، فالعلم معناه جملة من القوانين المنظمة تتعلق بجانب من جوانب الحياة كالنبات والحيوان والفلك حتى الجسم فى مقاومته المرض يفعل الأعاجيب فى نظامه ، ولولا ذلك ما كان طب ثم كل جزء من أجزاء العالم مرتبط بأجزائه الأخرى ، يخضع هو وهى لنظام علم كعلاقة الخلية فى الجسم بالجسم كله ، وكلها تكون نظاما واحدا وتخضع لقوانين واحدة حتى إن العالم الدقيق النظر لو تعمق فى دراسة جزءمن أجزاء العالم أعانه ذلك على فهم سائر أجزائه لشبه القوانين ووحدة النظام فكيف يسير هذا العالم وفق هذا النظام الذى رأينا ولا يكون له عقل يصرفه وروح ينظمه .

إن الله (عقل) العالم وروحه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ الروم ٢٢ .

كيف يتم الاتصال بين الله والناس ؟ وهل هذا الاتصال مستمر إلى يوم القيامة ؟

كل من وهب نفحة من الروحانية المستعدة

لتلقى الإلهام أظهرها حسب استعداده وميوله كالكهرباء تُكَوِّنُ مرة حرارة ، ومرة تبريدا ومرة ضوءا ، والنبى أرقى إلهاما لأن مايتلقى من الضوء أقوى ونوعه أكمل ونوره الذى يعكسه أعم نفعا وأهدى للحقيقة فى صميمها وهو فوق ذلك كله وكل الذين ادعوا النبوة صادقين كانوا من هذا الطراز ، اختارهم المولى وإن رغمت أنوف ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص ٦٨

وهؤلاء بشر ورسل ، وهم صفوة الله من خلقه وإنما كان للرسول هذا التميز لقرب اتصاله بالروح الأعلى وقوة ضوئه الذى يعكسه فينير مناحى الحياة المختلفة نور كشاف يضىء قلوب من وقعت عليه أشعته ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى ٥٢ .

وأياً ما كان شكل الوحى الذى بينته الكتب المقدسة ، من صوت يسمع ، أو ملك يرى ، أو نحو ذلك فإنما هو القلب المتلقى يرهف حتى تكون له عين تبصر وأذن تسمع وحتى ينجلى بهما الحق أقوى مما يتجلى بالأذن الحسية والعيون فى وجوهنا ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ الشورى ٥١ . هذا هو الرسول الذى يكلف بالتلقى عن ربه بالاستقبال والإذاعة وآخر هؤلاء محمد - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ الأحزاب ٤٠ .

فيموت محمد - صلى الله عليه وسلم - ختم هذا النوع من الاتصال ولكن رب محمد - صلى الله عليه وسلم - حى لا يموت كما قال أبو بكر رضى الله عنه :

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ آل عمران ١٤٤ .

فالله باق وهو ينادى عباده : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر ٦٠ . وعباده يدعونه ومن ثم فالاتصال بين الله والناس على هذا النحو مستمر إلى أن يرث الله الأرض وماعليها .

لماذا كثر حديث القرآن عن الطبيعة ومظاهرها من أرض وسماء وشمس وقمر ونجوم ومطر وزرع وفاكهة ؟ أذلك أدب الطبيعة فى القرآن ؟ أم هو جزء من منهج القرآن فى الدعوة إلى الإيمان ؟

هذه دعوة لطيفة إلى العبادة ، عندما تجد آثار قدرة الله فى جمال الطبيعة ، وتعبده بالنظر إلى سمائه وأرضه وفى جميع خلقه ، تقرأ فى ذلك فنًّا دونه كل فن ، وتشعر بنبض الحياة موسيقى وأنغاما وجمالا وانسجاما وإبداعا فى التكوين ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه ٥٠ .

وكل من أصحاب الفن رأى جمال الطبيعة من زاوية وتعشقه فى نفسه وقلده فى فنه ، وفنى فيه فحيى نتاجه ، ورأى جمال الله فيما تخصص فيه فآمن ولو كان ملحدا وآية إيمانه إقراره بأن جمال الطبيعة فوق جمال فنه ، وجلاله فوق جلاله ، وإحناؤه رأسه علامة الخضوع والإقرار بالعجز عن بلوغ شأوه . غصون وأوراق وأزهار وجبال ووديان وبحار وأسماك ونجوم وسماء كلها تحيا

←

الدين القيم والفكر المستنير

حياة واحدة وإن تنوعت أسماؤها وصفاتها ، نس إنسانية هى أعجب العجب وكل ذلك وحدة تبطة الأجزاء هى أدب الطبيعة فى القرآن وهى الوقت نفسه جزء من منهج القرآن فى الإيمان والتعريف بالمولى عز وجل اقرءوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام ٩٥ ـ ٩٩ .

هل هناك تعارض حقيقى بين العلم والدين ؟ أم ان لكل منهما ميدانه وإن سعادة الإنسان تتحقق حين يتعاون العلم مع الدين

ما هذه الحياة ؟ من اين أتت وإلى اين تصير ؟ لايعرف العلم الطبيعى شيئا ونشأتها محوطة بظلمة البطن ونهايتها محوطة بظلمة القبر وهى نور بين ظلمتين ، ونهار بين لَيْلَيْن ومهما اجتمع « الفيزيقيون » و « الكيماويون » فلن يستطيعوا أن يبعثوا الحياة فى خلية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ الحج ٧٣ .

إن العلم يستطيع أن يشرح لنا بناء الجسم الحى من نبات وحيوان ومم يتكون ؟ ، ويضع لنا المصطلحات لكل جزء ، ولكن إلى هنا ويقف .

أما كيف دبت الحياة إلى الخلية ؟ وكيف تنتج خلايا شجرة الورد خلايا مثلها ؟ ، وكيف تخالفها شجرة الياسمين فتنتج ياسمين ؟ وكيف يختلف الحيوان فى ذلك عن النبات فتكون الخلايا بقرا وغنما وقردا وإنسانا فذلك مالا يستطيعه العلم ، ثم هو عاجز أيضا أن يفسر لنا ظاهرة الموت .

إن الدين هو الذى يفسر لنا الحياة والموت عن طريق العقيدة فالله واهب الحياة ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ الروم ١٩ ـ ٢٠ .

وهو معد الحياة أثناء الحياة وهو سالب الحياة بالموت وهو باعثها من جديد ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ . وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ . وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الروم ٢٥ ـ ٢٧ .

فأما من آمن وعمل لإسعاد نفسه وإسعاد من حوله وإسعاد الإنسانية على قدرما يستطيع فقد فاز برضوان الله ، وسعد بالشعور باتصال حياته بإلهه وبالشعور بخلود النفس وأن الموت ليس إلا ظاهرة مادية كظاهرة الولادة ، وأن الروح التى أتت مع الولادة ستظل الموت وتبقى بعده ، وأما

من اَلْحَدَ فالمستقبل مظلم والفناء سريع ولا شيء يخلد .

إن الدين يقرر إلها واحداً كاملا في صفاته ، ويقرر عظمه الله وحسن الصلة بين الإنسان وربه بإقامة الشعائر ، وحسن الصلة بين الإنسان والإنسان بإتباع القواعد والأخلاق ، وأخيرا يقرر بقاء الروح والحياة بعد الموت .

ماالفرق بين المنهج العلمي والمنهج الإيماني ؟ وهل يمكن تلاقيهما ؟

إن كثيرا من العلماء اعتقدوا أن المنهج العلمي من ملاحظة وتجربة وبرهان هو المنهج الوحيد لكل شيء ، وفاتهم أنهم بمنهجهم العلمي قد اتجهوا صحيحا نحو عجلة العالم يفحصونها ويجربونها ويمتحنونها ولكنهم لم يتجهوا نحو محرك العجلة ، والدقيق النظر الواسع الفكر لا يقف في بحثه عند العجلة ودورانها ، بل يبحث ما وراءها ، لا يقف عند المادة ولكن يبحث ما وراء المادة .

إن العلم الطبيعي منهج صحيح للمادة ولكنه ليس المنهج الصحيح لغير المادة ، هو منهج صحيح من جملة مناهج ولكنه ليس المنهج الوحيد الصحيح إن شئت فانظر إلى (الفنانين) من شعراء ومصورين وغيرهم وكيف يدركون من العالم ما لايدرك العقليون ثم ينقلون إلينا ذلك الشعور بشعرهم وتصويرهم ومختلف فنهم فتهتز عقولنا هزة عميقة لا يبلغها قول علمي ولا بحث فلسفي ، بل أدرك هؤلاء الفنانون من حقائق العالم ما لم يدركه الفلاسفة والعلماء إلا بعد ذلك بأزمان ، وقديما قالوا : إن الفن إرهاص للفلسفة . إن منهج هذه الفنون الاعتماد على الإلهام وصفاء النفس وتفتح القلب ، وهو منهج صحيح أيضا كالمنهج العلمي له دائرته وله سبحاته التي لا تنكر ، والاقتصار على المنهج العلمي في فهم العالم خطأ ، فالمنهج الإيماني القائم على الإلهام وصفاء النفس وتفتح القلب ، جرى عليه الذين ملأ قلوبهم الشعور الديني من أنبياء ومؤمنين صادقين فهؤلاء قد أدركوا بما لهم من إلهام من حقائق العالم وخالقه ومحركه ، ما لايقل شأنا عما أدركه العلماء بمنهجهم وأثروا في تاريخ الإنسان إثراء لا يقل عما أثرى العلم ، وأن هذا الإلهام وسيلة صحيحة من وسائل الوصول إلى الحق كما أن التجربة والملاحظة وسيلتان كذلك ، ولكل دائرته ولكل اختصاصه ، فالعلم ، يكمل الدين والدين يكمل العلم وكلاهما يكشف عن قسم من حقائق هذا العالم ، وكلاهما غذاء صالح لملكات الإنسان المختلفة المتنوعة حتى تتعادل ملكاته كلها وتتوازن وتسير إلى غايتها .

فالعلم الحق والدين الحق كلاهما غايته حب الحقيقة وإن اختلف منهجاهما ووسائلهما ، وكلاهما يصل بالإنسان إلى كماله وإلى فهم ما يحيط به هذا في ماديته وهذا في روحانيته .

الرِّبَا والوَديعة المصرفية

في ضوء حقائق الفقه وأدلته

٣

لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة

نشر فى صحيفة الأهرام ٢ من نوفمبر سنة ١٩٨٩م مقال لصديقنا الدكتور معروف الدواليبى بعنوان « بحث عن الشريعة والبنوك ».

ورأى فى هذا المقال : أن القرض بفائدة فى المصارف جائز للغنى ، وأن المصرف مؤسسة تجارية مع المقترض بفائدة .

وقدم له باستعراض مقدمة جعلها الأساس لرأيه هى : أن فائدة القرض من ربا الفضل الذى ثبت تحريمه بالسنة أى بحديث أبى سعيد الخدرى ، وأبى عبيدة عنه ﷺ انه قال : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة ... إلى ان قال : مثلا بمثل يداً بيد » .

وليس من ربا النسيئة أى ربا الجاهلية الذى نزل به القرآن وقطع العلماء بأنه هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وقال : إن الزيادة الأولى فى القرض عند عقده غيرالزيادة فيه عند عجز المدين ، فالأولى من ربا الفضل أما إذا حل اجل القرض وأجّله الدائن مرة أخرى فى مقابلة الزيادة كان ذلك من ربا النسيئة ، نقل هذا عن الشيخ رشيد رضا ، ثم قال : إن ربا الفضل جائز للمصلحة أى للحاجة ونحن نناقش هذه القضايا فيما يأتى :-

أولا : قررنا فى مقال سابق أن فائدة القرض فى معنى ربا الجاهلية والقطع بتحريمها كالقطع بتحريم الصورة المروية فى ربا الجاهلية : لأن كلا منهما زيادة قابلة للتضعيف فى مقابلة الأجل ، والفرق بأن الزيادة تشترط عند العجز عن أداء الدين أو تشترط فى أول الأمر عند عقد المداينة بالقرض : مقطوع بإلغائه بقاعدة تنقيح المناط كما قالوا فى الأعرابى الذى مس أهله فى نهار رمضان أو هو ملحق به بقياس فى معنى الأصل ، فإن ائمة الفقه أجمعوا على أن الحضرى كالأعرابى فى حكم الكفارة ، وقد اعتبر الدكتور القرض من باب البيع الذى ثبت فيه ربا الفضل وليس من باب الدين الذى ثبت فيه ربا النسيئة ، وأنا وإن لم اظفر بكلام للشيخ رشيد بهذا المعنى فى تفسير المنار لكن كلام ائمة الفقه الذين فهموا القرآن بعقولهم النيرة والذين وصلوا إلى رتبة

الاجتهاد فى استنباط الأحكام من الأدلة قرروا أن القرض بفائدة من ربا الجاهلية لامن ربا الفضل وأنه من باب الدين لا من باب البيع .

وما قاله مخالف لما قرره الفقهاء فى كتبهم أيضا قال : أبوبكر الجصاص فى أحكام القرآن « فمن الربا ماهو بيع ومنه ماليس ببيع وهو ربا الجاهلية وهو القرض المشروط فيه الأجل وزيادة مال على المستقرض وقال أيضا : والربا الذى كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد »[1].

وقال القاضى أبو الوليد الباجى : وتحريم ربا الجاهلية من جهة المعنى اى التعليل انه سلف بنفع لانه يؤخره على أن يزيده فى دينه وذلك مما اتفق على تحريمه كما لو أعطاه عشرة دنانير فى عشرين إلى أجل[2] .

يقول : إن العلة فى تحريم ربا الجاهلية أنه قرض بفائدة سواء شرطت عند عقد القرض أو عند العجز ومثل للقرض بفائدة بإعطاء عشرة ليأخذ عشرين إلى أجل .

وقرر ابن حزم فى المحلى [3] أن القرض من ربا الدين الثابت بالقرآن لامن ربا البيع الثابت بالسنة وأنه لا يجوز إلا رد مثله ولا تجوز الزيادة فيه قال :

« والقرض جائز فى كل مايحل تملكه وتمليكه بهبة أو غيرها سواء جاز بيعه أو لم يجز لأن القرض غير البيع . لأن البيع لا يجوز إلا بثمن ويجوز بغير نوع مابعت ، ولا يجوز فى القرض إلارد مثل مااقترض لاسوى نوعه أصلا » فأثبت بذلك أن القرض من الدين الذى ثبت فى الذمة لامن البيع ومعلوم أن ربا الفضل إنما يكون فى البيع لا فى الدين وبالتالى لا يكون فى القرض وقال محمد بن رشد فى بداية المجتهد : « واتفق العلماء على أن الربا يوجد فى شيئين فى البيع وفيما تقرر فى الذمة من بيع أو سلف أو غير ذلك » فبين أن السلف أى القرض مما تقرر فى الذمة أى من ربا الدين لا من ربا البيع فلا تكون فائدته من ربا الفضل .

بهذه النصوص وغيرها مما زخرت به كتب الفقه والتفسير والحديث تبين : أن القرض من ربا الجاهلية الجلىّ المقطوع بتحريمه لامن ربا الفضل الخفى الثابت بالسنّة .

ومن المعلوم أن المحرم بالأدلة القطعية لايحل إلا للمصلحة الضرورية التى تبيح اكل الخنزير وشرب الخمر سواء اكانت ضرورة إلى طعام أو إلى الكسوة أو المسكن أو غيرها ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّاحَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ ولايجوز لمجرد الحاجة .

هذا وإنى لم أظفر فى تفسير « الشيخ رشيد » بما يدل على أن الزيادة فى القرض من ربا الفضل ، بل ذكر فيه عبارات تدل على أن القرض من ربا الجاهلية منها تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ قال فى تفسيره : « ومن حجتهم أى الذين يسوون بين البيع والربا أن البيع مثل الربا فكما يجوز أن يبيع الإنسان السلعة التى ثمنها عشرة دراهم نقدا بعشرين درهما نسيئة يجوز له أن يعطى المحتاج العشرة الدراهم على أن يرد إليه بعد سنة عشرين درهما لأن السبب فى كل من الزيادتين الأجل هكذا يحتج الناس فى أنفسهم كما تحتج الحكومات بأنها لو لم تأخذ المال بالربا لاضطرت إلى تعطيل مصالحها أو خراب أرضها »[4] .

فتشبيه اليهود البيع مع زيادة الثمن عند

←

(1) أحكام القرآن لأبى بكر الجصاص ـ جـ ١ ص ٤٦٩ .
(2) المنتقى شرح موطأ مالك ـ جـ٥ ص٦٥ .
(3) ابن حزم ـ المحلى ـ المسألة ١١٩١ .
(4) تفسير المنار ـ جـ ٣ ص ١٠٧ .

ـ الربا والوديعة المصرفية

التأجيل : بإعطاء عشرة على أن يرد إليه عشرين ليس إلا تشبيها بالقرض بفائدة ، والذى تقوله الحكومات وتفعله ليس إلا القرض بفائدة .

على أنه نقل عن الأستاذ الشيخ محمد عبده [٥]قوله : « إن بلادنا قد قل فيها الراحم منذ فشى الربا » فما هو الربا الذى فشى فيها إلا القرض بفائدة عند العقد ، وهل اعتاد الناس الآن أن يقولوا إما أن تعطى وإما أن تربى كما كان الحال فى الجاهلية ، وقد أطلت الحديث هنا لدفع شبهة أن فائدة القرض من ربا الفضل لأن الدكتور جعلها أساسا لحل الربا فى المصارف وترددت على السنة كثيرين ممن يكتبون فى الأهرام وغيرها ، أن قرض الإنتاج بالفائدة جائز .

وبعد إثبات أن القرض بفائدة من الحرام المقطوع بحرمته وأنه لا يحل إلا للضرورة لا محل للحديث عن المصالح والمفاسد فإن ماقاله ابن القيم وابن قدامة مسلم لكن على النحو الذى قدمنا .

ثانيا : قسم الكاتب الناس إلى أغنياء وفقراء وقال إن قرض الفقراء بفائدة من الربا الذى حرمه القرآن لأنه من الظلم الذى هو حكمة تحريم الربا والفقير يدفع الفائدة بلا مقابل ـ أما الغنى فإنه يقترض بفائدة من المصارف وهذا من باب التجارة لأن المصارف مؤسسات تجارية .

وكلامه عن الفقراء مسلم إلا أنه تناقض حيث اعتبر القرض بفائدة من ربا الفضل وربا الفضل يجوز للحاجة ثم منعه مع الفقير بحجة أنه من الربا القرآنى المقطوع بحرمته ، ولأنه يدفع الفائدة بلا مقابل ولأن الدائن ينمى ماله على حساب الفقير وجعل القرض مع الغنى بيعا وتجارة ومع الفقير ربا .

وهذا الفرق غير صحيح .

أولا : لعموم النص القرآنى إذ لم يفرق القرآن فى قوله : « وحرم الربا » بين الغنى والفقير وبالتالى لم يخصه بالفقير .

ثانيا : لأن حكمة تحريم الربا وهى الظلم متحققة فيهما ـ أما فى الفقير فلأنها فائدة بلا مقابل وأما فى الغنى فلعدم التعادل بين الفائدة التى يأخذ المصرف والربح الذى ينتظره المقترض من مشروعه الذى اقترض من أجل إنجازه : فإن مايأخذه المصرف المقرض فائدة محققة ومايستفيده المقترض من مشروعه متردد بين وجوده وعدمه وبين قلته وكثرته .

قال الفخر الرازى فى تفسيره : « فإن قيل لم لايجوز أن يكون لبقاء رأس المال فى يده مدة مديدة عوض عن الدرهم الزائد وذلك لأن رأس المال لو بقى فى يده هذه المدة لكان يمكن للمالك أن يتجر فيه ويستفيد بسبب تلك التجارة ربحا فلما تركه فى يد المدين وانتفع به المدين لم يبعد أن يدفع إلى رب المال ذلك الدرهم الزائد عوضا عن انتفاعه بماله . قلنا : إن هذا الانتفاع الذى ذكرتم أمر موهوم قد يحصل وقد لايحصل وأخذ الدرهم الزائد أمر متيقن فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع الضرر »[٦] .

وهكذا كانت فائدة المقرض المتحققة فى مقابلة ربح المقترض الموهوم من الربا الذى حُرِّم الربا من أجله ويأتى له مزيد بيان .

ثالثا : إن المصارف تقرض الفقراء والأغنياء فتصويرها بأنها تاجر صغير يحتفظ بالسيولة ولا يستطيع الاستثمار ، وأن المقترض الغنى تاجر كبير لديه مشاريع ولايجد سيولة ينفقها عليها . هذا التصوير بعيد عن الواقع ، أولا : لأن المصارف تقرض الغنى والفقير وهى فى إقراضها للفقير تستحوذ على فوائد بدون مقابل ومن هنا كانت ظالمة وتحققت فيها حكمة تحريم

(٥) ص ١٠٩ .

(٦) تفسير الفخر الرازى ـ حـ ٧ ـ ص ٨٧ .

الربا ، وهى فى إقراضها للغنى شركة غير متوازنة إذبينما تستحوذ منه على الفوائد هى كسب لها محقق ، يعمل الغنى فى مشاريعه وربحه ليس محققا بل هو متردد بين الربح والخسارة والإفلاس ، وأحاديث المشاريع المتعثرة ليست بعيدة عن العالمين بشئون الاقتصاد ، ومن هنا كانت المصارف أيضا ظالمة ، وتحققت فيها حكمة تحريم الربا .

ونظير ذلك ما حرمه الشارع بالإجماع والسنة من الشركة أو المضاربة مع تحديد الربح وهى المعاملة التى لهج الكتاب البعيدون عن معرفة الفقة الإسلامى بالقول بحلها .

يقول الدكتور : «إن بين المقترض والمصرف عقدا رضائيا : فيجوز » وهذا غير مسلم ولا يحل هذه الشركة بين المصرف والمقترض أن القرض الذى أنشأها عقد رضائى ، إذ ليس كل عقد توفر فيه الرضا يكون صحيحا ، بل لابد من سلامته من المفسدات كالغرر والربا والرشوة والقمار والغبن ، وقد تبين أن هذا عقد رضائى مشتمل على الربا القرآنى المقطوع بتحريمه . وكفى به استغلالا .

والدكتور يقيسه على عقد المضاربة والفرق شاسع بين مقرض الغنى بفائدة من المصارف ، وبين عقد المضاربة ، فإن عقد المضاربة فيه التوازن الكامل بين رب المال والعامل لأن الربح شائع بينهما وكل منهما عرضة للحرمان من الربح وللربح القليل والكثير ، بخلاف القرض بالفائدة ، فإن الكسب فيه محقق للمقرض وهو المصرف ، وكسب المقترض محتمل كما قدمنا .

وبعد هذا كله فدعوى أن إقراض الأغنياء من المصرف تجارة من نوع جديد تعارفها الناس ودعت إليها حاجاتهم مردودة من وجهين :

الأول : أنه تعارف فاسد ، لأنه على خلاف ماشرع الله إذ هو الربا القرآنى كما بينا .

والثانى : أن القول بحاجة الناس إليها مردود إذ يوجد عنها فى الشرع بديل ، بل أكثر من بديل وهو عقد المضاربة بين المصرف وأرباب الأموال ، وشركة العنان وشركة المفاوضة والمعاملات الكثيرة التى طبقتها المصارف الإسلامية ، وهذا يغنينا أيضا عن القياس على السلم وغيره من العقود الواردة على خلاف القواعد العامة ،فاللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، على أن دعوى جواز قرض الإنتاج بفائدة طالما رددها المقلدون للرأسماليين ، ونسبوا الفتوى بحل هذا القرض إلى الشيخ محمد عبده وهو منه براء كما أثبتنا ، وقالوا إنه من ضروريات الحياة الاقتصادية ، وقد ثبت بالقاطع شمول الربا القرآنى لقرض الإنتاج .

وأثبتت تجربة العلماء الاقتصاديين الإسلاميين زيفه وبطلانه بإنشاء المصارف الإسلامية .

وبهذا تبين أن ماسماه الدكتور معاملة تجارية جديدة هو من الربا لا من البيع .

وإذا كنا جميعا نؤكد على جلب المصالح ودرأ المفاسد فمصلحة المسلمين موجودة فى الشركات والمعاملات المشروعة التى تنفذها المصارف الإسلامية توفر ضروراتهم وحاجاتهم وتدرأ عنهم مفسدة الربا القرآنى ، وتريح نفوس أرباب الأموال بإدارة المصارف الحازمة .

وبعد : فقد تبين بما قدمنا :

١ ـ أن القرض بفائدة من ربا الدين أو من الربا القرآنى المقطوع بتحريمه لامن ربا الفضل .

٢ـ أن قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ عام للقرض بفائدة مع الفقراء والأغنياء . وهما أمران أجمع عليهما أهل العلم من المجتهدين وكبار رجال الفتوى من السلف الصالح .

٣ـ أن الأغنياء ليست بهم ضرورة ولاحاجة إلى التعامل مع المصارف على أساس القرض بفائدة .

والله أعلم ..

(يتبع)

وما توفيقي إلا بالله

للأستاذ: عبد الحفيظ فرغلي على القرني

يضرع كل منا إلى الله أن يهبه التوفيق، وتجرى كلمة التوفيق على ألسنتنا حينما ندعو للكبير والصغير قائلين: وفقك الله، وكل منا يقر بأن الله وحده هو ولى التوفيق.

وهذا إقرار صادر من عقيدة المؤمن الذى يعرف أن كل شىء من الله، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، إن تيسر شىء فبتيسيره، وإن تعسر شىء فبتقديره.

ويدعونا هذا إلى أن نتعرف على معنى كلمة «التوفيق» الذى يلمسه المؤمنون ويدركه الناجحون ويطمح إليه الساعون والمجاهدون، ويُحْرَمه المخذولون.

التوفيق فى القرآن واللغة:

وردت مادة «وفق» فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع:

فى قوله تعالى: ﴿ إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ النساء ٣٥.

وفى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً . جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ النبأ ٢٥ ـ ٢٦.

وفى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ النساء ٦٢.

وفى قوله تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ هود ٨٨.

وتؤدى كلمة «وفق» فى اللغة معانى متعددة.

قال ابن منظور فى لسان العرب: الوفاق: الموافقة، والتوافق: الاتفاق والتظاهر، ووفق الشىء مالاءمه، والموافقة المصادفة، والوفق بين الشيئين كالالتحام بينهما، والتوفيق بمعنى الإلهام، تقول: وفقه الله للخير أى ألهمه، وتقول: استوفقت الله أى طلبت منه التوفيق. وفلان وفق فى أمره أى رشد .. هذا بعض ما جاء فى معنى المادة.

ونستطيع أن نتتبع معناها فى الآيات المذكورة:

فمعنى «يوفق» فى الآية الأولى يصلح ويلائم.

ومعنى «وفاقا» فى الآية الثانية: موافقا أى جزاء موافقا وملائما لأعمالهم.

ومعنى «توفيقا» فى الآية الثالثة: إصلاحا وموافقة للحق. وقد وردت هذه الآية فى مناسبة توضح معناها: ذكر القرطبى فى تفسيره قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود

خصومة ، فدعا اليهودى المنافق إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة فى حكمه ، ودعا المنافقُ اليهوديَّ إلى حكامهم من اليهود لأنهم يقبلون الرشوة . فأبى اليهودى إلا الاحتكام للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذهبا إليه فقضى لليهودى ـ فلم يعجب المنافق ، فمضيا إلى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ فقضى لليهودى أيضا ، فلم يعجبْ المنافق ، فمضيا إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ وقصا عليه القصة ، فقال لهما : انتظرا حتى آتيكما ، فدخل وخرج بسيفه فقتل به المنافق ، وهرب اليهودى . وجاء قوم المنافق يطلبون ديته قائلين : ما نريد بطلب ديته إلا الإحسان وموافقة الحق . أو ما أردنا بالعدول عنك فى المحاكمة إلا التوفيق بين الخصوم .

وحديثنا عن التوفيق الذى نقصده ينصرف إلى الآية الرابعة ، التى أوردها القرآن الكريم على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ الذى كان يلقب بخطيب الأنبياء . وقد بعثه الله فى قوم مفسدين يطففون الكيل والميزان ويصدون عن سبيل الله .

فدعاهم إلى الله وقال لهم : أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم .. ولما كان أهل الظلم يستعينون على ظلمهم بتركيب الحجج وذرابة اللسان والقدرة على التمويه والتحيل ، حتى ليكاد يخفى وجه الحق على البصير ، وتعمى سبل الرشد أمام القائد الخبير ، قال لهم ـ عليه السلام ـ وما توفيقى على إصلاح شأنكم إلا بالله ..

والتوفيق هنا : الرشد وسداد الأمر وتحقيق النجح .

وهذا ما نعنيه بالحديث ..

والتوفيق بهذا المعنى ـ وهو إصابة الهدف والرشد إليه ـ لم يرد فى القرآن الكريم إلا فى هذه الآية الكريمة التى وردت على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ .

ويستدل أهل الذوق بذلك على ندرة التوفيق ، وعلى أن الموفقين قليلون .

ويقابل التوفيق الخذلان ـ نعوذ بالله منه ـ وهو الفشل فى إصابة الهدف والنكوص دون تحقيق الغرض ، وسلوك سبل الغي والضلال .

من علامات التوفيق :

وللتوفيق علامات فى حياة صاحبه تظهر فى تيسير أموره ، والوصول إلى قصده من أقرب طريق ، وانبساط الأسباب التى تعينه على بلوغ هدفه ، وفى الاستجابة لدعائه ، ومساعدة القدر له على تحقيق ما يريد من أهداف الخير وغايات الفلاح .

وإنك تستطيع أن تلتمس الأمثلة الدالة على التوفيق فى مسائل الدنيا ، كأن تهدف للقاء شخص فتجده فى طريقك ، أو تلتمس الوسيلة لقضاء مصلحة عند مسئول فتجدك تعرفه بغير وساطة ، أو تتحرك لديك دواعى السفر إلى جهة ما فتتيسر أمامك المواصلات وتتمهد لك الطرق وتطوى المسافات ، أو تدخل الامتحان فى مادة عويصة ، قد تعبت فى استذكارها فتجد أول سؤال هو ماراجعته قبل دخول الامتحان بدقائق ..

قد تجد التوفيق فى صدفة نادرة ، أو فرصة مواتية أو إلهام رائع ، أو تأليف بارع ، وقد تجده فى الخطرة المشرقة واللمحة المثمرة ، والاختراع النافع والاكتشاف المفيد . وقد تجده فى غير ذلك مما نراه ملموسا فى حياتنا ، ونجد أثره طيبا مباركا فى نفوسنا ، حتى نتحدث به أمام أصدقائنا ومعارفنا على أن ما حدث مما يسر الله هو من دلائل التوفيق ومن نعم الله التى لا تعد ولا تحصى .

ولا نتحدث عن أثر ذلك فى نفوسنا ، فإن السعادة التى تملأ جوانح الإنسان حين يجد أمامه أبواب الآمال مفتوحة وسبل الغايات ميسرة ، لا يمكن أن يعبر عنها اللسان .. فما

• وما توفيقي إلا بالله

بالك إذا كان هذا التوفيق مصاحبا للإنسان فى رحلته إلى الله ؟؟

التوفيق للمؤمن :

إن التوفيق هو الذى جعل الصديق - رضى الله عنه - أول من يستجيب لدعوة الهدى ، ويتجنب بذلك عوامل الشقاء والردى .

والتوفيق هو الذى صاحب عمر فهداه إلى الإيمان بعد حيرة الضلالة واستبداد الكفر ، فأسمعه القرآن الذى كان على قلبه شفاء وفى عينه ضياء وفى روحه نورا وضّاء .

والتوفيق هو الذى رفع بلالا الحبشى إلى الدرجات العلى ..

كما أن الخذلان هو الذى أورد أبا لهب موارد الردى والشقاء ..

إن نجاح الإنسان فى الحياة الدنيا لا يعد شيئا بجانب نجاحه فى الآخرة ، وأول علامة من علامات التوفيق هى الإيمان .

فكل مؤمن موفق ، لأن الله هداه برحمته للإيمان . ولما كان التوفيق ليس من صنع الإنسان ، بل هو من هبات المنان قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ﴾ آل عمران ٧٣ .

وقال - تعالى - على لسان المؤمنين فى الجنة : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ الأعراف ٤٣ .

ويزداد التوفيق اتصالاً بالمؤمن إذا قوى إيمانه ، فتسدد خطاه فى طريق الحق ، ويعلو كعبه فى التوكل على الله واللجوء إليه ، كما قال شعيب - عليه السلام - : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

وربما صاحبته الخوارق تكريما وتسديدا لخطاه ، ولا تصيب المؤمن نعمة إلا ردها إلى الله شاكرا له أنعمه ، ولا تصيبه ضراء إلا لجأ إليه طالبا كشفها عنه فيكشفها برحمته عنه .. فالله وحده وليه ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ البقرة ٢٥٧ .

من الآثار فى التوفيق :

جاء فى كتاب « النصائح » لابن ظفر أن أَمَةً لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - اسمها زائدة . وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يازائدة إنك لموفقة » .

فأتته يوما فقالت : يارسول الله ، إنى عجنت عجينا لأهلى ثم ذهبت أحتطب فاحتطبت وأكثرت ، فرأيت فارسا على جواد ، لم أر قط أحسن منه وجها وملبسا وجوادا ، ولا أطيب ريحا ، فأتانى وسلم على ، وقال : كيف أنت يازائدة ؟ قلت : بخير والحمد لله . قال : وكيف محمد ؟ قلت : بخير وينذر الناس بأمر الله .

قال : إذا أتيت محمداً فاقرئيه منى السلام ، وقولى له : رضوان خازن الجنة يقرئك السلام ، ويقول لك : ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به ، فإن الله جعل أمتك ثلاث فرق ، فرقة يدخلون الجنة بغير حساب ، وفرقة يحاسبون حسابا يسيرا ويدخلون الجنة ، وفرقة تشفع لهم فتشفع فيهم فيدخلون الجنة .

قلت : نعم ، ثم ولّى عنى ، فأخذت فى رفع حطبى فثقل علىّ ، فالتفت إلىّ ، وقال : يازائدة ، أثقل عليك حطبك ؟ قلت : نعم بأبى وأمى ، فعطف على وغمز الحزمة بقضيب أحمر فى يده فرفعها ، ونظر ، فإذا هو بصخرة عظيمة ، فوضع الحزمة بالقضيب عليها ، وقال : اذهبى ياصخرة بالحطب معها .

فجعلت الصخرة تدهده - تتدحرج - حتى أتيت .

فسجد النبى - صلى الله عليه وسلم - شكرا وحمداً لله تعالى - على بشرى رضوان ، ثم قال لأصحابه : قوموا لننظر ، فقاموا وانطلقوا إلى الصخرة فرأوها وعاينوها .

وقد أورد هذا الخبر ابن الأثير فى « اسد الغابة » جـ ٧ ص ١٢٢ الترجمة رقم ٦٩٣٧ ولكنه ذكر بأن الذى جاء لزائدة هو الخضر.

كما أورده بالصورة التى ذكرناها الدميرى فى كتابه حياة الحيوان مادة جواد ، والدميرى من أئمة الحديث ومدرسيه كما ذكر ابن شهبة عنه.

ولا غرابة فى رؤية زائدة الملك ، فكثير من الصحابة رأوا الملائكة ، وقد أوردت كتب الصحاح أخباراً فى ذلك . وهذا من علامات التوفيق.

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبى الدنيا والطبرانى وابن عساكر عن العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ وكان شيخا من اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان يحب أن يقبض ـ فكان يدعو قائلاً : اللهم كبرت سنى ووهن عظمى فاقبضنى إليك.

قال : فبينا أنا يوماً فى مسجد دمشق وأنا أصلى وأدعو أن اقبض ، إذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دُوَّاج أخضر . فقال : ماهذا الذى تدعو به ؟ قلت : وكيف أدعو ياابن أخى ؟

قال : قل اللهم حسن العمل وبلغ الأجل.

قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : انا « رتائيل » الذى يسل الحزن من صدور المؤمنين . ثم التفت فلم أر أحداً.

والدواج ـ بوزن رمان وغراب ـ اللحاف الذى يلبس ـ القاموس ـ.

الطاعة توفيق :

وإنك لتستطيع أن تلمس التوفيق العظيم فى حياة من ينشأ على طاعة الله ، فلا تجد له شغلا يلهيه عنه ، وليس كل الشباب كذلك ـ وبخاصة فى هذه الأيام التى كثر فيها اللهو واستشرى الفساد ، ولكن الموفق حقاً من نأى بجانبه عن كل هذه الزخارف الباطلة ، ووجد أنسه كله فى عمله الذى يؤديه مخلصاً لوجه الله ، وفى حبه للتقرب إلى الله بأداء فرائضه ونوافله واجتناب نواهيه ، وفى مصاحبة القرآن الكريم حافظا وتاليا ودارسا ومتدبراً . وفى كل عمل صالح يقوم به.

وقد جعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الشاب ضمن السبعة الموفقين فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، وهؤلاء السبعة اشار إليهم الحديث المشهور : « **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** .... ».

وقد خصصنا هذا الشاب بالذكر تذكيرا لشبابنا الذى أضلتهم هذه المدنية الوافدة ، فاغتروا بها ، وشغلتهم عن كل شىء ، عن ماضيهم التليد وحاضرهم الذى هو فى حاجة إلى جهودهم ، ومستقبلهم الذى يهتف بهم أن يصلوه بالماضى العظيم الذى شيدته سواعد شباب مسلمة موفقة.

الاصمعى يقص قصة :

روى الأصمعى قال : بينا اسير فى طريق اليمن إذا بغلام واقف يهتف شعراً منه :

يـافاطـر الخلق البديـع وكـافـلا
رزق الجميع سحاب جودك هاطل
فاغفر لعبدك مامضى وارزقه توفيقا لما ترضى
ففضلك كامل

قال : فدنوت منه وسلمت عليه . فرد السلام ودعانى إلى خيمته .. فإذا له أخت سمعتها طول الليل تتلو القرآن .. فسألت أخاها عنها فى الصباح فقال : هذه أختى وهذا شأنها كل ليلة ..

فقلت له : ياغلام كنت انت أحق منها بهذا العمل ـ أى بقيام الليل ـ إذ أنت رجل وهى امرأة.

فقال الغلام : ويحك ، أما علمت أنه موفق ومخذول ، ومقرب ومبعد ؟

أجل .. إنه توفيق من الله ..

نرجو الله أن يمنحنا إياه ، وأن يشملنا بعفوه ورضاه ..

فما التوفيق إلا منه ... عليه توكلت وإليه أنيب.

رؤية إسلامية

للديمقراطيات الغربية

٢

بقلم أ.ح د. فوزى محمد طايل

الحقوق والحريات الفردية جوهر الديمقراطيات الغربية :-

ظهر الفكر السياسى ، الديمقراطى ، فى أوروبا كرد فعل وكنتاج لعهود من التخلف والظلم الاجتماعى ، كانت تسود أوروبا بعد انهيار الامبراطورية الرومانية ، وطغيان الاقطاع ، الذى كان فيه السيد يملك الأرض ومن عليها ، وكرد فعل لانعدام حرية الفكر ، واستئثار رجال الدين المسيحى بأسرار العقيدة ، وإدخالهم الكثير من الأمور التى لم يكن يقبلها دين أو عقل ، كإصدار « قرارات الحرمان » ، وكبيع « صكوك الغفران » ، وما إلى ذلك ، واتهامهم بالكفر كل من يلج بابا من أبواب العلم ، وقضائهم عليه بالموت أو السجن . وللتخلص من هذا الواقع الذى أضعف سلطان الدولة ، وأهدر كرامة الإنسان وقيد ملكاته ، ظهرت الأفكار الفلسفية الخيالية عن الحقوق والحريات .

فالحريات والحقوق - فى مفهوم الديمقراطيات الغربية - هى أمور (طبيعية) لصيقة بالإنسان وسابقة فى وجودها على وجود المجتمع .. بل إن الدولة ماقامت ، وما أصبح لها سلطان على الأفراد إلا لتحمى حقوقهم وحرياتهم ولتنسق بين ممارسات الأفراد لحقوقهم وحرياتهم التى كانوا يمارسونها بشكل مطلق فى حياة (العزلة) السابقة على الجماعة ، لذا فإنهم يعرفون الحرية تعريفا « سلبيا » بأنها غياب القيود Con-straints أو العوائق « فالإنسان » « حر إلى أقصى الحدود فى ألا تعوق تصرفاته وخياراته أفعال الآخرين » . كما أنهم يرون أن الإنسان يمكن أن يكون له حق دون أن يقابل ذلك واجب يحمل به شخص آخر : « A person can have a right without there being a corresponding duty upon anyone else » كما أن الحريات غير مرتبطة بالواجبات « Liberties are not corelative with duties » هذا ، ويحد حرية الفرد عندهم عدم جواز الاضرار بالآخرين ، لذا فمن الواجب أن تقتصر سلطة الدولة على وضع القوانين لمنع الاعتداء على حقوق وحريات الأفراد .

إن مفهوم الحريات فى الإسلام جد مختلف ، فالحريات فى الإسلام هى نتاج توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به ، وعدم جواز العبودية إلا لله وحده يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر/ ٦٥) . كما انها نتاج تكريم الله تعالى للإنسان فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ . . . ﴾ . (الإسراء / ٧٠) ، وآية ذلك تسخير الله الكون للإنسان فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (لقمان/ ٢٠) .

ذلك وأن الله تعالى وهو خالق الإنسان لم يتركه هكذا طليقا دون ضابط إذ يقول سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة/ ٣٦) ، فالإنسان منذ نزل إلى الأرض قد دخل فى نظام ربانى كامل محكم ، فلم يعش الفرد حياة عزلة كما تصوره « الديمقراطية الغربية » ، وإنما دخل منذ اللحظة الأولى فى مجتمع اراده الله تعالى له فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات/ ١٣) . وهذه الآية الكريمة تدحض نظريات « العقد الاجتماعى » ونظريات « النشوء والتطور » ومااليها من النظريات الفاسدة التى تقوم عليها الديمقراطية الغربية .. لا لأنها منزلة من لدن عليم خبير فحسب ، بل لأن التاريخ البشرى شاهد على صدقها ، والطبيعة البشرية تثبت صحتها بالدليل العملى .

ولما كان الإنسان قد عاش حياة اجتماعية منذ اللحظة الأولى لوجوده على الأرض فقد كلفه خالقه بتكاليف عليه أن ياتى بها وحرم عليه أمورا عليه أن يجتنبها ، فإذا فعل ذلك فقد مارس فى « إيجابية » عملا من شأنه أن يحفظ على أخيه الإنسان حقوقه وحرياته .. وأكثر من ذلك فإن المسلم مكلف بأن يحفظ أخيه المسلم حفظه لحقوقه .. فعن انس رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » . (متفق عليه) .

فالحرية فى الإسلام هى أن تقوم بعمل « إيجابى » يتناسب مع ماكرم الله تعالى به الإنسان .. والحرية ليست مطلقة دون قيود أو حدود ، فهى لاتتصور فى الإسلام إلا مقيدة ومحددة من قبل مانحها وهو الله تعالى ، وليس من قبل القانون الوضعى كما هو شأنها فى نظر الديمقراطيات الغربية .. فلا يملك ولى الأمر فى الدولة الإسلامية تقييد حريات الأفراد أو سلبهم حقوقهم إلا بسند شرعى من قرآن كريم أو سنة نبوية شريفة .. فلا تتوقف ممارسة الحقوق والحريات فى الإسلام على تقدير أو هوى السلطة الحاكمة ، ولو كانت سلطة سن القوانين .

وعلى قدر اهتمام الإسلام بالحقوق والحريات الفردية جميعا ، والتى تسمى فى الإسلام « تكريم الإنسان وصيانة حرماته » ، من : « دين ونفس وعقل ونسل ومال » ، فإن الإسلام يعطى « الحريات الاجتماعية » أو « التكافل الاجتماعى » وهو التسمية الإسلامية ، أهمية كبرى ، ليس لها مثيل فى الفكر « الديمقراطى التقليدى » ، وقد نجد لها قدرا متواضعا من الاعتبار فى الفكر « الديمقراطى الجديد » بشكل لايرقى ولايقارن بما قرره الإسلام منذ اربعة عشر قرنا فى هذا المجال .. وللحريات الاجتماعية فى الإسلام أو « التكافل الاجتماعى » شقان ؛ الشق المادى ويتمثل فى الزكاة والصدقات والنفقات ومااليها .

والشق المعنوى ويتمثل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وهو أمر لم يعرفه حتى الآن نظام سياسى وضعى .

أما عن « الحريات الاقتصادية » ، فقد سبق أن أوضحنا فى مقال تحت هذا العنوان أن الإسلام قد اقرها بصورة تختلف تماما عن

←

رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية

الصورة التى تصورها « الرأسمالية الغربية » ، فقد برأها الإسلام من كل استغلال وغبن ، ومن كل ما يثير الحقد والضغينة فى نفس الإنسان تجاه أخيه الإنسان ، فلا ربا ولا غرر ، ولا استغلال ، ولا إسراف ، ولا احتكار أو تلاعب فى حرية السوق ، فالاسلام يضمن حرية التعامل الاقتصادى ويحميها من كل مايشوبها من أمور قد تراها « الرأسمالية » من مقتضيات ومسلمات نظامها ... لذا فإن الإسلام قد أتى بأمور لاتعرفها « الرأسمالية » يمكن أن نطلق عليها « أخلاقيات وقيم التعامل الاقتصادى الإسلامى » .

هذا ولايوجد فى التاريخ الإسلامى كله مايشير إلى أن المسلمين غزوا وفتحوا من أجل مصادرة حريات البشر ، أو استغلال الشعوب ، أو قهرهم ، أو استنزاف ثرواتهم ، أو إفقارهم وإذلالهم ، أو إجبارهم على اعتناق الإسلام تحت دعوى نشر الحضارة أو الارتقاء بمستواهم الإنسانى .. الخ من الشعارات المضللة التى تفرض بها « الديمقراطية الغربية » على الشعوب وسوف نستشهد فى هذه المرة بماجاء فى دائرة المعارف البريطانية عن انتشار الإسلام فى مصر (التى كانت من أوائل الشعوب التى فتح الله عليها بالإسلام ، إذ تقول :

« There was no attempt to force or even to persuade the egyptians to convert to Islam, the Arabs even pledged to preserve the christian churches ».

وترجمة هذا أنه « لم تكن هناك أية محاولة لقهر أو إجبار المصريين كى يتحولوا إلى الإسلام ، بل إن (العرب) قد تولوا المحافظة على كنائس المسيحيين » .

وهذا المسلك هو قمة احترام حرية العقيدة بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا .

خلاصة قولنا أن مفهوم ومضمون وممارسة الحقوق والحريات فى الإسلام يختلف عن ذلك الذى تقول به « الديمقراطيات الغربية » ... فهذه الأخيرة تكتفى بأن (يشعر) الإنسان بالحرية ، والحرية فى مفهوم الديمقراطيات الغربية حكر على مواطنى الدولة .. بل على القادرين منهم . أما مواطنو الدول الأخرى فقد تكفلت « الامبريالية » - الوجه الخارجى للديمقراطيات الغربية - بسلبهم كل حقوقهم وحرياتهم . وأما الإسلام فيمنح الفرد « القدرات » و« المكنات » التى تجعله يمارس حياته فى حدود ماشرع الله له ، وتتكفل الدولة وكل المجتمع الإسلامى بأن يتمتع كل فرد فيه بحقوقه وأن تصان كرامته ولا تمس حرماته ، لذا فالحرية فى الإسلام تبدأ من ضبط النفس ومنعها عن الهوى . يقول الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(الشمس /٧ ـ ١٠) ويقول سبحانه : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(النازعات/ ٤٠ـ ٤١) وتنتهى برعاية حقوق الناس والرفق بهم والتعاون معهم . يقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/٧١) ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه (البخارى ومسلم) : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ... إن من مقتضى تكريم الله تعالى للإنسان ... ومن مقتضى

الأخوة الإنسانية أن يحترم المسلمون حقوق وحرمات الآخرين فلا يعتدون عليها امتثالا لقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة/١٩٠) .. فالنفس الإنسانية أيا كانت لها احترامها وتكريمها ، كما أن المسلمين لايعتدون على حرية العقيدة لدى غيرهم لقول الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . . . ﴾ (البقرة/٢٥٦) ويقول جل شأنه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(يونس/٩٩) ... بل إن للمسلمين أن يبروا غير المسلمين ممن لم يقاتلوهم في الدين لقول الله تعالى :﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة/٨) . وتعبير « البر » هنا هو أكثر المعاملات مودة ورحمة فمنه « بر الوالدين » ، وهو أكثر من مجرد العدل في المعاملة .. لذا فالعجب كل العجب أن يمن الله تعالى على المسلمين بهذا المنهاج القويم ، ثم يتخذه البعض وراءهم ظهريا ليستبدلوا به أفكارا وضعية زائفة قائمة على مجرد الظن والافتراض .

موقف الإسلام من فكرة حقوق الإنسان

تحتل فكرة « حقوق الإنسان » منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادى مكانة هامة في الفكر الديمقراطى إذ تمخضت عنها كل من « الثورة الأمريكية »، « والثورة الفرنسية » . وقد تأكدت هذه الفكرة كقيمة سياسية حينما أصدرت منظمة « الأمم المتحدة » مايسمى « بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان » في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م .

ورغم أن تعبير « حقوق الإنسان » هو تعبير محبب إلى نفس المستمع إلا أن مضمونه في « الفكر الغربى » مضمون معيب لايتفق وماجاء به الإسلام ، بل لا يتفق وما جاءت به الشرائع السماوية في أمور جوهرية :ـ

١ ـ تنطلق فكرتا الحقوق والحريات ، وحقوق الإنسان بمفهوميها الغربى من مبدأ « المساواة » التامة بين بنى البشر ، وقد عبر الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عن هذه الفكرة في أكثر من موضع ... ويركز الإعلان على مايطلقون عليه « مساواة المرأة بالرجل » وكأنما لم يخلق الله تعالى الذكر والانثى ! بل واختص كلا من الجنسين بصفات وممكنات وحمّل كلا منهما بمسئوليات تجاه المجتمع ... يقول الله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف / ٣٢)

إن فكرة المساواة المطلقة فكرة وهمية خادعة ، لا تتفق وأهم القيم التى عرفتها الإنسانية ، والتى أمر الله تعالى بها وهى « العدل » ، فالإسلام وسائر الشرائع السماوية أمرت « بالعدل » ، فبالعدل تطمئن النفوس وترضى بماقسم الله لها ، ولا تنازع الآخرين في فضل الله . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ . . . ﴾ (النساء/٣٢) والإسلام لا يقر المساواة المطلقة ، ومرد ذلك إلى الاختلاف بين بنى البشر بطبيعة خلقهم ، وبسبب تفضيل الله تعالى بعض الناس على بعض في الرزق ، وفي القدرة الجسمية ، وفي الذكاء ، وفي العلم والحكمة ، وفي التقوى والإيمان ، لكن هذا التفضيل قد قدره الله تعالى لحكمة مؤداها قيام كل فرد في المجتمع بوظيفة تتناسب وما اختصه الحكم العدل به من قدرات وملكات ، وحتى يتكامل أعضاء المجتمع فيتعاونوا لا أن يتشابهوا فيتصارعوا ، حتى يبلو الله كلا فيما آتاه يقول الله تعالى :

﴿ . . . نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الانعام/٨٣) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الانعام/١٦٥) .

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة/١١) .

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء/٩٥) .

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة/ ١٨) .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر/ ٩) . بل إن الله تعالى لم يسو بين رسله عليهم السلام اجمعين فى قوله تعالى :-

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ (البقرة/ ٢٥٣) ... كما ان الله تعالى لم يسو بين الرجال والنساء فى قوله تعالى :-

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ... ﴾(النساء/٣٤) ، ولكنه سبحانه عدل بين الفريقين فى قوله : ﴿ .... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة/٢٢٨) .

إنه لايتصور أن تسير الأمور فى مجتمع تسوده المساواة المطلقة .. إن مقتضى « العدل » الا تكون المساواة مطلقة ، وإنما تكون هناك فرص متكافئة ، وتكافل اجتماعى فرضه الله تعالى ، واعتبار لمعايير التفضيل التى قدرها الله تعالى بسابق علمه وحكمته ، وهى التقوى ، والعلم ، والجهاد فى سبيل الله ... ويبقى بعد ذلك أن الناس جميعا عباد الله تعالى وأنهم جميعا مخاطبون بأحكام شريعة الله تعالى ... كل حسب قدرته ... ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ (البقرة/ ٢٨٦) .

من هذا يتضح لنا أن الإسلام يعتبر « العدل » - لا المساواة المطلقة - هو القيمة العليا التى أمر الله تعالى بها فى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل/٩٠) .

والعدل فى نظر الإسلام هو العدل المطلق الذى لاتمييز فيه بسبب جنس أو لون أو لغة أو دين أو رأى أو أصل وطنى أو اجتماعى أو ثروة أو نسب بل إن الإسلام بلغ بمفهوم العدل مبلغا هيهام للبشرية أن تدركه وهو العدل مع « الأعداء » لقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة/٨) وقد طبق المسلمون الأوائل العدل بهذا المفهوم .

٢ - تقرر المادة السادسة عشرة من الإعلان المذكور أنه : « للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أى قيد بسبب الجنس أو الدين ، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله » .

وهذه المادة تخالف الشرع والإسلام على التفصيل التالى :-

(ا) يحرم على المسلمة الزواج بغير المسلم مطلقا ، حتى ولو كان من اهل الكتاب (يهوديا او نصرانيا) لقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ . . ﴾ (الممتحنة/ ١٠) وفى هذا صون للأسرة من الانحلال بسبب الاختلاف فى الدين عند عدم احترام الزوج بموجب عقيدته ـ وهو الأقوى فى داخل الأسرة ـ لعقيدة ومقدسات زوجه ، كما أن الاولاد سوف يتبعون اباهم فى الغالب .

(ب) يحرم زواج المسلم بمن لا تدين بدين سماوى .... وذلك لعموم قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ . . . ﴾ (البقرة/ ٢٢١) لأن مثل هذا الزواج يجعل الحياة الأسرية غير مستقيمة إلا على أساس التهاون بأمر الدين .

(جـ) الحقوق المتبادلة بين الزوجين متوازنة تماما لقول الله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ . . ﴾ (البقرة/٢٢٨) لكن الحقوق المتقابلة ليست من جنس واحد لاختلاف مسئولية كلا الطرفين داخل الأسرة .

٣ ـ تقرر المادة الثامنة عشرة من الإعلان : « حرية تغيير الديانة أو العقيدة .. » والإسلام دين لكل البشر لقول الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا . . . ﴾ (سبأ/ ٢٨) ،لكن الارتداد عن الإسلام محرم حفظا للعقيدة وقدسيتها وعدم اتخاذها لهوا ولعبا ... وذلك لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل زنى بعد إحصان فعليه الرجم ، أو قتل عمدا فعليه القود ، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » (رواه النسائى) ، والردة هنا تعنى الرجوع عن الإسلام ... يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة/٢١٧) .

ذلك ولم يستطع المجتمع الإنسان ـ فى ظل هذا الإعلان ـ أن يحصل إلا على قدر ضئيل من حماية كرامته أو حتى حقوقه التى منحها الله تعالى له ، فلم تقر الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ـ على قصورها ـ إلا منذ الثالث من يناير عام ١٩٧٦م .

وما بالنا نبتغى الهداية فى غير كتاب الله وسنة رسوله وقد أرسل الله تعالى رسوله بما ينفعنا فى الدنيا والآخرة ..

إن من يعيد قراءة خطبة حجة الوداع لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليجد فيها تتمة حقوق الإنسان التى اتى بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان بشكل لم تصل إليه الإنسانية إلى الآن .. ولنعرض لبعض ماجاء بهذه الخطبة الجامعة فيما ركزت عليه من اهم امور تصون كرامة الإنسان وتحقق سعادته وأمنه :

١ ـ « أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم .. » .

٢ ـ « فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها » .

٣ ـ « وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون . قضى الله أنه لاربا » .

٤ ـ « ... وأن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم .. » فهذا المبدأ يقرر حق الإنسانية فى أن تعيش فى سلام اربعة اشهر كل عام منها ثلاثة متصلة .. لعل الساسة أن

البقية ص ٥٧٥

عبد الله بن عباس

ترجمان القرآن

للأستاذ الدكتور : عبد العزيز غنيم

في حياة النبي ..

في مكة البلد الحرام وفي شِعْب عبد المطلب بن هاشم ولد حبر الأمة الإسلامية وصدر علمائها وفقهائها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وأمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ، ويكاد يتفق الرواة على أن ولادته قد كانت أثناء مقاطعة قريش للنبي عليه الصلاة والسلام وأقاربه من بني هاشم وبني المطلب غير أنهم قد اختلفوا[1] في العام الذي ولد فيه أهو العام العاشر للبعثة النبوية أم أن هذه الولادة قد كانت قبل ذلك بعامين .

وقد تفرع عن هذا الخلاف خلاف آخر حول سنه عند وفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فذهب فريق إلى أنه قد كان في الثالثة عشرة ، وذهب فريق آخر إلى أنه قد كان في الخامسة عشرة وسواء أصح هذا الرأي أو ذاك فإن ابن عباس قد كان قريبا إلى قلب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان يتوسم فيه الخير ويرى أنه سوف يكون له مكانة في دنيا العلم وعالم المعرفة ، قدموه إليه إثر ولادته فحنكه ومسح على شعره وجسمه وقال : اللهم[2] فقهه في الدين وعلمه الحكمة أو قال : وعلمه التأويل . وقد كان ابن عباس هذا ذا شفافية منذ نعومة أظفاره ، فقد روى عنه أنه رأى جبريل مرتين[3] وهذه منزلة لا يتبوؤها إلا من سلمت نفسه ورق حسه ورفعت الحجب عنه وهيأه الله تعالى لاستكناه أسرار وحيه واستخراج كنوز كتابه ، وهو ما تحقق له

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ٣٣٠/٢ ط / دار الفكر .

(٢) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ٣٦٥/٢ ط دار بيروت للطباعة والنشر .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ـ ٣٣٠/٢ .

بعد ما بلغ أشده ونضج فكره واستوى على أريكة العلم والمعرفة في زمانه ، وسوف نعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى - إن شاء الله - ونحن نتحدث عن منزلته بين علماء عصره وما أشك في أن ابن عباس هذا قد كان شديد الملازمة للنبي - عليه الصلاة والسلام - وكثير التردد عليه والتلقي عنه والسماع منه وهذا هو السر في نبوغه المبكر في الحديث والتفسير والإفتاء وهي الجوانب الثلاثة التي لم يكن يشبهه فيها غيره .

والتي جعلت أصحـاب النبي انفسهم يلجئون[4] إليه وينهلون من علومه ومعارفه ولأن النبي - عليه الصلاة والسلام - قد كان يتوسم في عبد الله هذا التفوق والنبوغ في الدين والدنيا ، فإنه قد كان يتخوله بالموعظة ويتعهده بالنصيحة ويفضي إليه بما ييسر له أمره ويعينه على المهام التي سوف توضع على عاتقه من رعاية كتاب الله وسنة رسوله ، رآه يوماً يمشي في الطريق فأردفه خلفه وقال له : ياغلام[5] إني معلمك كلمات : فاحفظهن « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك . وإن اجتمعوا على أن يضروك . لم يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وواضح من هذه النصيحة البليغة التي نقشها رسول الله في فؤاد ابن عمه أنه قد جعل الله تعالى كل شيء في حياته ، فإذا سأل فلا يسأل إلا الله ، وإذا استعان فلا يستعين إلا به سبحانه فهو وحده الآمر الناهي وهو وحده النافع الضار والناس جميعاً بالنسبة له لا يملكون شيئاً وإن قل ولا يدفعون شراً وإن ضؤل وكل ما هو كائن مكتوب ، وما الناس في جلب النفع ودرء الضر إلا وسائل وأدوات لتنفيذ ما أمر الله أن يكون ومنع ما أراد ألا يكون ، وما في علم الله لا يقبل التغيير ولا التبديل رفعت الأقلام وجفت الصحف .

وإذا كان نشاط ابن عباس وتفوقه في دنيا العلم والمعرفة لم يتضح في حياة النبي - عليه الصلاة والسلام - فقد كان ذلك لأنه كان طفلاً لم تبرز مواهبه ولا كشفت الأيام عن مزاياه وملامح العظمة فيه - أما في عهد الراشدين فإن ابن عباس قد برزت عبقريته ومخايل ذكائه فقد حرص أول ما حرص إثر وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام - على جمع سنته[6] ولأنه كان يعلم أن أكثر أحاديثه عند الأنصار فإنه كان يأتيهم ويسألهم عما يحفظون مما سمعوا من الرسول ، وكان إذا علم أن أحدهم عنده حديث ليس عند غيره بحث عنه حتى يأتيه وكان يضرب أكباد الإبل من أجل ذلك غير مبال بما يعاني من لأيٍ ولا ما يكابد من نصب ، وإذا عرفت أن الأنصار قد انخرطوا في الجيوش التي حشدها الراشدون للفتح وأن الكثيرين منهم قد أقاموا في البلاد التي رفرفت عليها رايات الإسلام من أملاك الفرس والروم تبينت لك الجهود المضنية التي عاناها ابن عباس والمتاعب الشاقة التي قاساها في جمع السنة وحفظها واسمع مارواه عكرمة عن ابن عباس في ذلك :

- قال ابن عباس[7] . لما قبض رسول الله ، ﷺ ، قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، ﷺ فإنهم اليوم كثير ، قال فقال : وعجبا لك يا ابن عباس : أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، من فيهم ، قال فتركت ذلك وأقبلت أسأل

←

(٤) أسد الغابة - ٣/٢٩١ ط/ الشعب .
(٥) أسد الغابة - ٣/٢٩٣ ط/ الشعب .
(٦) الطبقات الكبرى - لابن سعد ٢/٣٦٧ .
(٧) الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢/٣٦٧/٣٦٨ .

عبد الله بن عباس

أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فآتى بابه وهو قائل فأتوسد ردائى على بابه تسفى الريح على التراب فيخرج فيرانى فيقول لى : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ألا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأقول : لا : أنا أحق أن آتيك : فأسأله عن الحديث ، فعاش ذلك الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى ليسألونى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى !

وكما كان ابن عباس أمة وحده فى حفظ سنة رسول الله وجمعها وإصدار الأحكام والفتاوى على مقتضاها فقد كان أمة وحده كذلك فى فهم كتاب الله تعالى وتأويله ومعرفة مافيه من الحلال والحرام وغيرهما ، حتى كان الناس يطلقون عليه فى عصره وفيما بعد عصره ترجمان القرآن[8] وحتى نشأت على يديه مدرسة فى التفسير لها مزاياها وسماتها ولها أساتذتها وتلاميذها . وقد تسأل وكيف أدرك ابن عباس هذا الأوج الذى لا يدرك فى فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام والفتاوى منهما ؟!

والجواب : أن السر فى هذا هو :

أولا : قربه من النبى - عليه الصلاة والسلام - وتأدبه على يديه وهو كنز الحكمة وبحر المعرفة .

ثانيا : ثقافته التى لا حد لها بأشعار العرب وأيامهم مما كان له الأثر الذى لا ينكر فى الاستحواذ على اللغة وامتلاك ناصيتها .

ثالثا : ما آتاه الله تعالى من لسان فصيح وعقل رجيح .

رابعا : جلوسه الطويل إلى كبار أصحاب النبى حتى علم علمهم وخبر فقههم وعرك تجاربهم وخبراتهم وأخيرا وليس آخراً هذا الدعاء[9] الذى خصه به النبى - عليه الصلاة والسلام - أكثر من مرة وهو : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ، وقد كان ابن عباس لا يكتم علمه الذى علمه الله إياه ولا كانْ يتقاضى أجراً على نشره وإذاعته ، فكان يجلس للناس فى المساجد وهى يومئذ مراكز العلم والمعرفة فيتفجر كما يتفجر البحر ويتدفق كما يتدفق السيل وكان هواة المعرفة على اختلاف أهوائهم واختلاف مشاربهم وآرائهم يتحلقون حوله ، فيخوض مع كل فريق منهم فيما يعلم ويخاطبه بما يهوى ويفهم وقد تضافرت الروايات على أنه كان يخصص لكل جانب من العلم يوماً يتحدث فيه ، فللحديث يوم وللتفسير يوم ولأشعار العرب يوم ولأيامهم يوم .. الأمر الذى يدل على أن الرجل قد احتوى ثقافات عصره وجمع معارف زمانه ، وكان إماماً يرجع إليه ونبراساً يستضاء به ودائرة عامة يجد فيها كل راغب ما يحقق رغبته ويشبع هوايته ، وقد شهد له أقطاب عصره وأعلم علماء زمانه ومنهم - على سبيل المثال[10] - عائشة وأم سلمة زوجتا رسول الله ﷺ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم كثيرون من علماء الصحابة والتابعين وعلماء أهل الكتاب . ولأن ابن عباس كما ترى قد كان أحد أقطاب العلم وأعلامه فإن عمر وعثمان - رضى الله عنهما - كانا لا يستغنيان عنه إذا عرضت لهما قضية أو صادفتهما مشكلة ، وكان عمر على سبيل الخصوص إذا أذن لأهل بدر[11] فى

(٨) الإصابة فى تمييز الصحابة ٢/ ٣٣١ .

(٩) البداية والنهاية - ابن كثير ٨/ ٢٩٩ ط/ مكتبة المعارف بيروت .

(١٠) الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢/ ٣٦٩ .

(١١) الطبقات الكبرى - ابن سعد ٢/ ٣٦٥ .

الدخول عليه ، أذن له معهم ويظهر أن بعضهم قد كلمه فى ذلك لحداثة ابن عباس وصغر سنه ، فسألهم فى مسائل من العلم وساله فعجزوا وأجاب ، فقال عمر ولهذا فإنى اذنت له فى الدخول معكم ، وقد كان عمر يفكر فى إسناد إحدى الوظائف الرئيسية فى الدولة الإسلامية إلى ابن عباس غير أنه كف ولم يفعل وقد جرى بين الرجلين حوار حول هذه القضية جاء فيه :

« قال عمر لقد هممت أن استعملك . قال ابن عباس وما الذى يمنعك يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : لقد رأيت النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد ولى الناس ولم يولكم ووالله ماادرى اضن بكم عن العمل فأنتم له اهل أم اخشى من أن تقولوا هلم إلينا ولا هلم إليكم وحدكم .

وواضح من هذا الحوار أن عمر قد كان على اقتناع أن عبد الله بن عباس كفء للعمل وأنه لم يمنعه من إسناد بعض الوظائف الهامة إليه إلا شكه فى السبب الذى من أجله لم يستعملهم النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد اسند عثمان إلى ابن عباس إمرة الحج[12] فى العام الذى استشهد فيه . أما على رضى الله عنه فإنه قد ولاه حكم البصرة[13] غير أنه لم يبق فيها إلا يسيرا حتى نشب الخلاف بين على وبينه فاستقال[14] من عمله وولى إلى مكة فى حماية أخواله وفى خلافه الحسن بن على عاد عبد الله بن عباس إلى العراق وتولى إمرة الجيش الذى أعده الحسن لقتال معاوية وقد ادعى فريق من المؤرخين أنه تخابر مع ابن أبى سفيان وأخذ منه مالاً وصالحه ، وخرج ليلاً حتى انضم إليه ووضع يده فى يده ، والحق أن الذى تولى إمرة الجيش وانضم إلى معاوية ليس هو عبد الله بن عباس وإنما هو أخوه عبيد الله وقد انضم عبد الله بن عباس إلى المعارضين فى ولايته العهد إلى يزيد بن معاوية ورفض بيعته لكنه مالبث أن قبلها ووضع يده فى يده ، وكان ابن عباس يزور معاوية فى دمشق ويقبل جوائزه ولما خرج الحسين وابن الزبير من المدينة ولجأ إلى مكة فراراً من بيعة يزيد ، وقف ابن عباس إلى جوار الحسين ينصحه ويمحضه مشورته ورأيه ، ولما عزم الحسين على الخروج من مكة إلى الكوفة لم يألُ ابن عباس[15] جهدا فى نصح الحسين وتوجيهه وكشف النقاب عن الأخطار التى تنتظره ، وقد عاتب ابن الزبير عتابا شديداً لأنه كان من المشيرين عليه بالخروج إلى العراق .

ولم ينته دور ابن عباس السياسى عند هذا الحد وحسب وإنما كان له موقف من ابن الزبير[16] ذكره الرواة : ونترك القاضى الحسين ابن الحسن يحدث عن جده حول هذا الموقف فيقول : « لما وقعت[17] الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان . ارتحل عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية بأولادهما ونسائهما ، حتى نزلوا مكة ، فبعث عبد الله بن الزبير إليهما : تبايعان . فأبيا وقالا : أنت وشأنك لا نعرض لك ولا لغيرك فأبى وألح عليهما إلحاحاً شديداً ، فقال لهما فيما يقول لتبايعانى أو لأحرقكما بالنار . فبعثا أبا الطفيل إلى شيعتهم بالكوفة وقالا : إنا لا نأمن هذا الرجل فانتدب أربعة آلاف فدخلوا مكة ، فكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة وابن الزبير ، فانطلق هاربا حتى دخل دار الندوة . ويقال : تعلق بأستار الكعبة وقال :

---

(١٢) اسد الغابة ٣/٢٩٤ .

(١٣) اسد الغابة ٣/٢٩١ .

(١٤) الطبرى تاريخ الامم والملوك ٦/٨١ ط دار القلم بيروت .

(١٥) الطبرى ـ تاريخ الامم والملوك ٥/٣٨٣ .

(١٦) الإمامة والسياسة : ٢٧٢ ـ ٢٧٥ ط/ النيل بالقاهرة .

(١٧) اسد الغابة ـ ٣/٢٩٣ .

عبد الله بن عباس

أنا عائذ بالبيت . قال : ثم ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما ، وهم في دور قريب من المسجد ، قد جمع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رءوس الجدر ، لو أن ناراً تقع فيه ما نجا منهم أحد . فأحزناه عن الأبواب وقلنا لابن عباس : ذرنا نريح الناس منه .. فقال : لا هذا بلد حرام حرمه الله . ما أحله عز وجل لأحد إلا النبي ﷺ ساعة ، فامنعونا وأجيزونا قال : فتحملوا وإن منادياً ينادي في الخيل . ماغنمت سرية بعد نبيها ، ما غنمت هذه السرية . إن السرايا تغنم الذهب والفضة ، وإنما غنمت دماءنا . فخرجوا بهم حتى أنزلوهم منى ، فأقاموا ماشاء الله . ثم خرجوا بهم إلى الطائف .

وظاهر من هذا النص الذي نقله ابن الأثير عن القاضي الحسين أن ابن عباس وابن الحنفية كليهما قد رفضا بيعة ابن الزبير والسبب في هذا هو أنهما كانا يريان رأى عبد الله بن عمر . وهو الا يبايع لرجل حتى تدخل الأمة كلها في طاعته وقد كانت الأمة آنذاك منقسمة بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان وعلى الرغم من أن ابن الزبير قد جمع الحطب وهدد بإحراق عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية ، فإنهما رفضا قتال ابن الزبير في مكة وأبيا أن يخليا بين شيعتهما وبينه ليقتلوه ويريحوا الناس منه وآثرا الخروج من مكة والذهاب إلى الطائف على إراقة دماء المسلمين في بلد الله وحول بيته وحرمه ، ولاجدال فيما يدل عليه هذا الموقف من إيثار الرجلين لدينهما وعدم التعلق بأهداب السلطة التي لم تكن تساوي عندهما شيئاً أمام إيثار الله والدار الآخرة ، وبعد سبعين عاماً قضاها هذا الصحابي الكريم عاكفاً على العلم متفرغاً له مكرساً الوقت والجهد في سبيله غادر هذه الدنيا راضية نفسه صافية روحه ، وقد قال لعواده وهو في مرض موته : إني أموت في خير عصابة على وجه الأرض . أحبهم إلى الله ، وأكرمهم عليه وأقربهم إلى الله زلفى ، فإن مت فيكم فأنتم هم . فما لبث إلا ثماني ليال[١٨] بعد هذا القول حتى توفي وصلى عليه محمد بن الحنفية .

ومن دلائل النبوة في هذا الصحابي الكريم أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما علم أنه رأى جبريل أخبر أنه سيؤتى علماً وأنه سيصاب في بصره وكان القول كما أخبر فقد كان ابن عباس أعلم أهل زمانه كما عرفت وقد أصيب في بصره في نهاية عمره وله في ذلك شعر جاء فيه :

إن يأخذ الله من عيني نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نور[١٩]
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وكما بارك الله لعبد الله بن عباس في علمه فقد بارك له في نسله[٢٠] فقد أنجب خمسة ذكور وهم العباس وعلي ومحمد والفضل وعبد الله وابنة واحدة وهي أسماء ، وأمها أم ولد .

ويقول الرواة : إن عبد الله بن عباس قد احتوى علم الصحابة فأساتذته إذن كثيرون غير أن المعهم ثلاثة وهم علي وعمر وأبي بن كعب ، وكذلك كان تلاميذه ومنهم مواليه وأشهرهم عكرمة وشعبة .. ويقول ابن كثير إنه أسند الفين وستمائة وسبعين حديثاً فرحم الله حبر الأمة بن عباس وبحر علومها وترجمان قرآنها وجامع سنة نبيها .

---

(١٨) أسد الغابة ـ ٣/٢٩٣ ـ ٢٩٤ .
(١٩) أسد الغابة ٣/٢٩٤ .
(٢٠) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ٨/٢٩٥ .

الإخلاص روح التقوى

للدكتور: زكي مشعل

سبحانك ربنا اهدنا برحمتك إلى أحسن الأخلاق وأكرمها فلا يهدى إليها إلا أنت سبحانك.

« تقوى الله عز وجل أعظم مصادر الطاقة ».

إن البشرية لم تستطع بعد أن تمتلك أهمَّ مصادر الطاقة المحركة ، التي تبنى الإنسان قبل أن تبنى المصنع فإن عليها أن تبدع الوجدان قبل أن تصنع الصاروخ وأعنى بهذه الطاقة الإنسانية ... طاقة الإيمان الصادق . وهذا كلام لا يفهمه الماديون ... بل إنهم قد يضيقون به ذرعاً ... وربما اتهموا قائله بالرجعية أو الغيبية ...

إن هؤلاء الماديين أعداء ما جهلوا ... وأن الطاقات المادية جميعاً قد عجزت إلى الآن - برغم ازدهارها الجنوني - عن أن تهيىء للإنسان حاجته من السكينة والأمن والسلام وحتى نفجر طاقة الإيمان مُحرِّكة بانية خلاقة لا بد أن نتعهدها بتمهيد التوبة النفسية وهذا التمهيد النفسى لا يتم إلا بتقوى الله تعالى ومعنى التقوى أن يقى الإنسان نفسه من بأس الله وعقابه .. وذلك باجتناب نواهيه وامتثال أوامره ، وقد عرف بعض العلماء تقوى الله تعالى بأنها : « طاعته بلا عصيان وشكره بلا كفران » ، ولما كانت التقوى بهذا المعنى المطلق قد شقت على كثير من الناس فقد اقتضت حكمة الرءوف الرحيم التخفيف عن عباده ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ .

وقد تواترت آيات القرآن الكريم ، تتحدث عن تقوى الله سبحانه ، وتأمر بها وتجلى آثارها كقوة ذاتية دافعة فى حياة الفرد والجماعة يقول الحق جل شأنه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة - ١٩٧) ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٠٢) وإنما تكرر أمر الله سبحانه وتعالى بالتقوى والحث عليها ، للدلالة على أنها تلك القوة البناءة فى تهذيب الحياة وعلاجها من العلل والأوجاع .

ولنتأمل بعض آيات التقوى فى القرآن الحكيم لندرك ما لها من آثار وتجليات ، إنها تنير القلب وتهذب النفس وتكفر السيئة وتغفر الذنب

←

الإخلاص روح التقوى

وتستجلب الرحمة وتصلح العمل وانظر إلى قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحديد ـ ٢٨) والتقوى تفرج الأزمات والضوائق وتستجلب الرزق ، وذلك مصداق قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ وقوله ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ (الطلاق ـ ٤) .

وللتقوى أيضاً أثرها الواضح فى بركة الذرية وحفظها وحمايتها : مصداق ذلك قول العزيز الرحيم : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (النساء ـ ٩) . وإذا كانت التقوى هى أعلى مراتب الإيمان وغاية العبادات ؛ فإن للتقوى مراتب أعلاها التبتيل الذى هو فضيلة من فضائل الإيمان الخالص ، وقد ورد ذكر التبتيل فى آية واحدة من القرآن الكريم ، خاطب الله فيها رسوله محمداً صلوات الحق وتسليمه عليه بقوله :

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (المزمل ـ ٨) ومن أقوال المفسرين فى هذه الآية الكريمة أن الأمر بذكر الله معناه الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى ، والتبتيل معناه الإنقطاع إلى الله والتفرغ لعبادته إذا فرغ المرء من شغله وما يحتاج إليه من أمور دنياه . كما قال الحق سبحانه ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ أى إذا فرغت من اشغالك فانصب فى طاعته وعبادته لتكون فارغ البال عن اشتغالك إلا به .

ويقول الفخر الرازى : أما الذكر فاعلم أنه إنما قال ها هنا ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ وقال فى آية أخرى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾ لانه لا بد فى أول الأمر من ذكر الاسم باللسان مرة ، ثم ذكر المسمى بعد ذلك . وأما التبتيل إلى الله ، فهو الانقطاع عن كل ماسوى الله ، والاشتغال به وحده عما سواه .

التوبة من الذنوب

ومن مراتب التقوى أيضا ، مرتبة التوبة من الذنوب والاستغفار من الآثام والإنابة إلى الله وعدم القنوط من رحمته ، فهذه كلها من دلائل الطاقة والاستقامة والتقوى ، وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا ـ صلوات الرحمن عليه وتسليمه ، أن يبشر الطائعين المستغفرين بأجزل الثواب فى الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران ـ ١٥)

كما أمر الحق سبحانه وتعالى نبيه هوداً ـ عليه السلام ـ أن يهيب بقومه : ﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ هود ـ ٥٢) ولقد وعى سلفنا الصالح ما للاستغفار من فضل ومكانة ، فكان وسيلتهم إلى الله تعالى فى كل ضيق ونازلة ، روى أن رجلاً شكا الجدب إلى سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال له : استغفر الله ، وشكا آخر الفقر ، وشكا إليه ثالث قلة النسل ، ورابع قلة ريع الأرض ، فأمرهم جميعاً بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار ، فتلا عمر قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل

لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ نوح (١٠ ـ ١٢) .

هذه هي تقوى الله ، طريق الإيمان الصادق وثمرته طاقة القوة المحركة المبدعة لأنها من قوة خالق الكون ومحركه ومبدعه ، وخليق بأهل هذا الزمان أن يرتادوا مصادر هذه الطاقة الهائلة إذا أرادوا الفلاح والرشاد ، وإذا أرادوا بناء حضارة حقيقية للإنسان قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف ـ ٩٦) .

واتجاه المسلم إلى الإيمان الحق اليوم مستجيراً به من عاديات الزمن ، مستنجداً به مما يصيبه من أيامه ، مستعينا بإيمانه على حل مشاكله ووضع الحلول الحاسمة لما قد يصادفه منها إنما هو اتجاه لما قد يحدد أمامه الغاية ، ويضع له الهدف فى حاضره ، وفى مستقبله ويجسد له الأمل ويحقق له الأمان فى كل أموره ، بل ويجعل لحياته معنى ، ولخطه المستقيم فيها غاية تجعله يحرص على الخير ويأخذ نفسه به ، ويدرب نفسه على الاستجابة إليه .

والإنسان تحيط به شهوات ، تغريه بتجاوز الاعتدال والوقوع فى المنكرات وكل ما هو ذميم . فإذا راقب ربه فيما وكل إليه وائتمن عليه تحققت الرقابة الحقة يقول الحق تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . (الأنفال ـ ٢٩)

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾. (النساء ـ ٥٨) .

ويقول رسول الحق ـ صلوات الحق عليه وسلامه ـ من غشنا فليس منا[1] يستعيذ رسول الرحمن ـ صلوات الرحمن عليه وسلامه من الخيانة فيقول « اللهم إنى أعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة »[2] فالخيانة رذيلة تدل على خلق سيء ونفس فاسدة شديدة لا تراقب الله ولا تخشاه وضد الخيانة الأمانة وبقدر ما أعد الله للخائن من احتقار فى الدنيا بقدر ما تكفل للأمين بالإجلال والتقدير فى دنياه وحسن الثواب فى أخراه . يقول رسول الحق ـ صلوات الرحمن عليه « اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة ، أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا عاهدتم وأدوا إذا ائتمنتم ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم »[3] .

والأمانة أن يؤدى الإنسان حقوق ربه عليه فالدين أمانة ، والعبادات أمانة ولذلك كان عدم أداء العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع القدرة خيانة وانحرافا قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال ـ ٢٧) ونظراً لأن العبادة أمانة والدين أمانة نجد عمر بن الخطاب يحرص على أداء العبادة وضمان ما عليه من دَيْن عندما أخذت روحه فى العودة إلى خالقها بطعنة أبى لؤلؤة المجوسى .

وصدق الله رب العالمين ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال ـ ٤ . والأمانة أن يؤدى الإنسان حقوق الناس التى هى عليه ولذلك كانت المعاملات أمانة وكانت الأعراض أمانة وكانت الوعود أمانة ، وكانت المجالس بأسرارها أمانة وكانت

←

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه النسائى .
(٣) رواه مسلم .

الإخلاص روح التقوى

الودائع أمانة ، وعدم ردها خيانة ، وعدم أداء الدَّيْن مع القدرة خيانة وعدم الوفاء بالوعود والاتفاقات خيانة .

يقول رسول الرحمن ـ صلوات الرحمن وسلامه عليه ـ « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »(٤) .

والأمانة أن يؤدى الإنسان حقوق النفس عليه فيوجه جوارحه إلى الخير الذى أمر الله به ويبتعد بها عن الشر الذى نهى الله عنه ، فلا يمكن أن يستوى فى التقدير يد عابثة تقتل وتسرق وتظلم ، بيد تساعد المحتاج وتمسح دمعة يتيم أو فقير ، أو مريض ، وصدق قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء ـ ١٠٧) وما أعظم الحكمة : (إذا أمكنتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك) ويقول الرسول صلوات الحق عليه : « اعمل ماشئت كما تدين تدان »(٥) ولا يمكن أن يستوى فى التقدير قدم تسعى إلى المساجد لتؤدى الفريضة وتسعى لتقوية العلاقات بين الناس ، وتمشى لزيارة مريض وتوديع أخ فى الله ، بقدم تمشى إلى الملاهى لترتكب ماحرم الله

يقول رسول الحق صلوات الحق عليه وتسليمه « من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه مناد من قبل الله أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة مقعداً(٦) » .

ولا تستوى عين حاقدة وحاسدة يغريها شيطان فتنظر إلى ما حرم الله ، بعين فاحصة تتدبر فى ملكوت الله بعين راضية تنتج ما يسعد الناس ويرضى عنه الله .

ولا يستوى لسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحمد الله ويشكره على نعمه التى لا تحصى ـ بلسان كذوب يسعى بالغيبة والنميمة وشهادة الزور ويلصق التهم بالأبرياء فيسىء إلى صاحبه ويوقعه فى الإثم والضلال ويسىء إلى الآخرين .

---

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه النسائى .

وأبو داود والترمذى .

(٦) رواه ابن ماجه ومسلم .

الفتاوى

إعداد الشيخ على حامد عبد الرحيم

مكر الله وكيف يكون؟

س ١ : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ كيف يكون مكر الله عز وجل وكيف نأمن هذا المكر ؟

وهل إذا شعرنا بالخوف من مكر الله يعتبر هذا سوء ظن به سبحانه وتعالى .. ؟

يحيى جادالله ـ أسيوط

جـ ١ : هذا جزء من الآية الثلاثين من سورة الأنفال . وفيها يقول عز من قائل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

قال الإمام القرطبى : المكر هو التدبير فى الأمر فى خفية ، والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون .

وجاء فى تفسير المنار : المكر هو التدبير الخفى لإيصال المكروه إلى الممكور به من حيث لا يحتسب ، ووقاية الممكور له من المكروه كذلك ، والغالب فى عادات البشر أن يكون المكر فيما يسوء ويذم من الكذب والحيل ، ولذلك تأول المفسرون ماأسند إلى الله جل شأنه من المكر فى هذه الآية وغيرها بأنه من باب المشاكلة بمعنى أن مكر الله هنا هو تجنب مسعى المشركين ومجازاتهم على أفعالهم .

فالمكر قد يكون سيئاً وشراً كما قال تعالى فى سورة فاطر : ﴿ اسْتِكْبَاراً فِى الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

وقد يكون المكر حسناً كما جاء فى الدعاء المرفوع الذى رواه أبو داود « وامكر لى ولا تمكر علىّ » .

ومن مكر الله الاستدراج بالنعمة ، والمؤمن مطالب أن يكون بين الرجاء والخوف ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

ولا ينبغى للمؤمن أن يسيء الظن بالله تبارك وتعالى فهو القائل فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى » فلا يعتبر عدم الأمن من مكر الله سوء ظن به سبحانه .

←

ـ الفتـــاوى

وقد نهى الإسلام نهياً شديداً عن إساءة الظن بالله تبارك وتعالى .

لك حق التصرف فى ملكك

س ٢ : امتلك منزلين مساحة الاول ١٠٢ متر ومساحة الثانى ٦٠ متر وكلا المنزلين من ثلاثة طوابق . قمت بكتابة البيت الاول لابنى ، فهل يجوز لى ان اكتب المنزل الثانى لابنتى وزوجتى . افيدونى ..

محمد وهيب نوارة ـ كفر العاب ـ دمياط

جـ ٢ : للسائل الحق فى أن يتصرف فيما يملكه الآن بالبيع أو الهبة لوارث أو لغير وارث ، وله حرية التصرف فى أن يخص بعض الورثة بسبب مشروع كمرض الوارث أو كثرة أولاده أو بره بوالديه ، فإن خص أحد الورثة بغير سبب مشروع جاز مع الكراهة عند الجمهور .

وبناء على ماتقدم يجوز لك أن تكتب المنزل الثانى لابنتك وزوجتك ، حيث إن ابنك قد أخذ أكثر من حقه الشرعى .

تـارك الصـلاة

س ٣ : توفيت وهى غير مؤدية للصلاة ، فما حكم الإسلام فى شانها علماً بانها كانت تتصف بحسن الأخلاق ..

ناجى يوسف حسن

جـ ٣ : الصلاة فرض على كل مسلم ومسلمة ، فمن تركها مع العلم بالفرضية حرم عليه ذلك ، وعوقب لترك هذا الفرض عقوبة شديدة ، لأن فرضيته ثبتت بدليل قطعى الثبوت والدلالة وهو قوله تعالى : ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ .. ﴾

ولقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بنى الإسلام على خمس وذكر من بينها الصلاة » ..

فمن مات مع ترك الصلاة فأمره مفوض إلى ربه إن شاء عاقبه بعدله ، وإن شاء عفا عنه برحمته .

فى زكاة التجارة

س ٤ : هل يجوز احتساب نسبة من الارباح فى ميعاد إخراج الزكاة ـ كزكاة المال ـ ام لابد من جرد البضاعة كل عام واحتساب زكاتها كعروض التجارة ؟

وهل تحسب الاصول كالماكينات وقيمة العين المؤجرة ؟

س . خ . م القاهرة

جـ ٤ : الأصول الصناعية والزراعية والتجارية لا زكاة عليها ، وإنما الزكاة على الإيراد إذا بلغ نصابا .

فتقوم العروض التجارية المتحركة كالبضائع والسلع وتضم إلى ذلك مالديك من نقود ومالك من ديون مضمونة التحصيل ، وتخرج عن ذلك كله ٢,٥٪ قيمة الزكاة .

ـ والله اعلـــم ـ

يراجعوا أنفسهم فتسوى أسباب الصراع بين الأخوة من بنى البشر .

« أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق : لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم غيركم ، ولايدخلن أحدا تكرهونه إلا بإذنكم ولايأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لايملكن لا نفسهن شيئا وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا ... » فأى وضوح وتراحم فى علاقات الأسرة بعد هذا ؟

٦ - « أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولايحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه » .

يتكامل هذا المبدأ مع المبدأ الثانى ليقررا الاستقرار والأمن الاقتصادى فى العالم بأسلوب لم ترق إليه الإنسانية بعد .

٧ - أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد . كلكم لآدم وآدم من تراب . أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى .»

إن المبدأ العالمى ينكر التمييز العنصرى والتعالى الذى نشهده بين الشعوب وفى داخلها . إذ يقسمون العالم إلى عالم متقدم يعيش فيه جنس راق ، وعالم متخلف يسمونه بالعالم الثالث يعيش فيه أجناس أقل درجة ... لقد أنكر الإسلام هذا التمايز الذى وضعه بنو البشر ممن أصبحت لهم الغلبة فى أيامنا هذه فأنكروا بذلك خلق الناس من نفس واحدة ، وأصبحوا وهم يستذلون غيرهم تحت راية حقوق الإنسان !

٨ - « أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث » .

٩ - إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصية . ولا يجوز وصية فى أكثر من الثلث . والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه . فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

إن هذين المبدأين ليقران الأمن والسلام داخل الأسرة ، وتثبيت دعائم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فيها ، وعدم ترك ذلك للشهوات ، فيظلم القوى الضعيف أو تختلط الأمور ولا تراعى الأنساب فتهدر قيم التراحم والتكافل .. وباستقرار نظام الأسرة يستقر المجتمع الإنسانى ويتميز عن غيره من مجتمعات الحيوانات أو الحشرات .... فهيهات للإعلان العالمى لحقوق الإنسان أن يصل إلى هذا .

إن مما جاء فى هذه الخطبة العظيمة قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «فإنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنة نبيه . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

يتبع

الشيخ أحمد محمد شاكر

الملقب بشمس الأئمة أبو الأشبال

إمام من أئمة الحديث في هذا العصر

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

قمة عالية من تواضع العلماء كان يبتغى الشاردة من العلم فى ادنى مواقعها ، كما يتطلبها فى اعلى مجاليها درس علوم الإسلام جميعها فكان عالماً فى فنون كثيرة .

فهو فقيه ومحقق واديب وناقد ، لكنه برز فى علم الحديث الذى اولاه من نفسه دراسة وافية حتى صار إماماً من ائمته فى هذا العصر رغم اشتغاله باعمال القضاء الذى تدرج فيه حتى وصل إلى عضوية المحكمة العليا الشرعية

ذلك هو الشيخ احمد محمد شاكر بن العالم الأزهرى الجليل الشيخ محمد شاكر والذى كان وكيلاً للازهر الشريف فى العقد الثانى من هذا القرن الميلادى ، من اسرة ابى علياء عائلة شريفة المحتد تقطن مدينة جرجا من اعمال محافظة سوهاج ، ينتهى نسبها إلى الإمام الحسين بن على بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه .

مولده ونشأته :

كان ميلاد الشيخ أحمد محمد شاكر بعد فجر يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الأخرة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٢ ميلادية بمدينة القاهرة ، حيث كان والده الشيخ محمد شاكر يعمل أميناً للفتوى مع استاذه الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتئذ .

ولما شب الغلام عن الطوق وبلغ من عمره ثمانى سنوات صدرت أوامر الدولة إلى والده بالعمل فى السودان حيث أسند إليه منصب قاضى القضاة هناك بتاريخ ١١ من مارس سنة ١٩٠٠ ميلادية عقب خمود الثورة المهدية .

وفى الخرطوم عاصمة السودان ألحق ابنه صاحب هذه الترجمة بكلية « غوردون » واستمر بها حتى عاد به والده إلى مصر إثر نقله لتولى مشيخة علماء الأسكندرية فى ٢٦ من ابريل سنة ١٩٠٤ ميلادية فألحقه بمعهد الأسكندرية

الدينى والذى كان شيخاً له .

وعندما عين والده وكيلاً للأزهر فى ٢٩ من أبريل سنة ١٩٠٩ ميلادية عاد بابنه إلى القاهرة حيث انتظم ضمن طلاب الأزهر الشريف واستمر فى الدراسة حتى جاز شهادة العالمية فى سنة ١٩١٧ ميلادية .

اساتذته الذين تلقى العلم على ايديهم :

كان من حظ الشيخ أحمد شاكر وقت دراسته بالأزهر الشريف ومعاهده أن التقى فى الأسكندرية وفى القاهرة بالكثير من علماء المسلمين فى هذا العصر مصريين وغير مصريين نذكر منهم :

١ ـ الشيخ محمود ابو دقيقة .

أحد علماء معهد الأسكندرية وعضو جماعة كبار العلماء فيما بعد فقد حبب إليه الفقه وأصوله ودربه وخرجه فيه حتى تمكن منه .

٢ ـ والده الشيخ محمد شاكر :

فقد قرأ له ولزملائه فى معهد الأسكندرية التفسير مرتين ، مرة فى تفسير « البغوى » وأخرى فى تفسير « النسفى » ، كما قرأ لهم صحيح الإمام « مسلم » ، « وسنن » الإمام الترمذى ، و « شمائل » الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشيئاً من صحيح الإمام « البخارى » .

وفى الأصول قرأ لهم « جمع الجوامع » وشرح « الأسنوى على المنهاج » .

وفى المنطق قرأ لهم شرح الخبيص وشرح القطب على الشمسية .

وفى البيان قرأ لهم « الرسالة البيانية » .

وفى فقه الحنفية قرأ لهم كتاب « الهداية » على طريقة السلف فى استقلال الرأى وحرية الفكر ونبذ العصبية لمذهب معين .

الشيخ احمد محمد شاكر

٣ ـ السيد عبد الله بن إدريس السنوسى .

عالم المغرب ومحدثها فقد تلقى عنه الشيخ أحمد شاكر طائفة كبيرة من صحيح الإمام « البخارى » وأجازه بروايته ورواية باقى الكتب الستة .

٤ ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطى .

اخذ عنه كتاب « بلوغ المرام » وأجازه به وبالكتب الستة .

٥ ـ الشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطى .

عالم القبائل الملثمة وقد أجازه بجميع علمه .

٦ ـ الشيخ شاكر العراقى .

سمع منه الحديث فأجازه بجميع الكتب الستة .

←

٧ ـ الشيخ طاهر الجزائرى .
عالم السنة المتنقل .

٨ ـ السيد محمد رشيد رضا .
صاحب « دار المنار » وأحد تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده .

٩ ـ الشيخ سليم البشرى .
والذى كان شيخاً للأزهر أخذ عنه « شرح الموطأ » .

١٠ ـ الشيخ حبيب الله الشنقيطى .
أخذ عنه « زاد المسلم » .

كما لقى خلاف من سبق ذكرهم كثيرا من علماء السنة سمع منهم أو قرأوا عليه فكان من أثر هذا اللقاء المتتابع للعلماء أن مهد له أن يستقل بمذهب فى علم الحديث ، استطاع به أخيرا أن يقف فى منتصف هذا القرن الميلادى من زماننا المعاصر علما مشهورا فى إمامة التحديث .

وكان أعظم ما استفاده من دراسة الحديث هو ذلك المسلك الخلقى النزيه الذى لزمه فى مناقشة الآراء العلمية إذ كان يرجع إلى الصواب حيث رآه ، كما جعل الأمانة العلمية سبيله الأكيد .

بعده عن التعصب لمذهب معين وسعة نظره :

على الرغم من أن الشيخ أحمد شاكر عند طلبه للعلم تفقه على مذهب الإمام « أبى حنيفة » ونال شهادة العالمية من الأزهر الشريف حنفيا ، وولى القضاء الشرعى يحكم فيه على مذهب الأحناف لكنه قام بدراسة السنة النبوية أثناء طلب العلم وبعده مدة ثلاثين سنة ، درس فيها أخبار العلماء والأئمة ، ولم يتعصب لواحد منهم ، ولم يحد عن سنة الحق فيما بدا له ، لذلك فهو يقول عن الإمام محمد بن إدريس « الشافعى » فى مقدمة رسالته التى حققها «فإنى أعتقد غير غالٍ ولا مسرف أن « الشافعى » لم يظهر مثله فى علماء الإسلام فى فقه الكتاب والسنة ونفوذ النظر فيهما ودقة الاستنباط مع قوة العارضة ونور البصيرة والإبداع فى إقامة الحجة وإفحام مناظره ، فهو صحيح اللسان ناصع البيان ، فى الذروة العالية من البلاغة ، تأدب بآداب البادية وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر حتى سما عن كل عالم قبله وبعده ».

وكان الشيخ أحمد شاكر واسع النظر حين درس فقه الشيعة واعتمد عليه فى مسألة خالصة هى وجوب الإشهاد على الطلاق أخذا بقول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ سورة الطلاق آية (٢) ، ومستندا إلى قول الإمام عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ فى تفسيره ثم كشف اللثام عن صحة وقوع الطلاق المثلث مرة واحدة بأدلة حصيفة ذات نظر محكم وهو اجتهاد منه يحسب له .

رأيه فى الحساب الفلكى :

عندما كان المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق رئيساً للمحكمة الشرعية العليا رأى أن يكون الحساب الفلكى بديلاً عن الرؤية الشخصية فى إثبات أوائل الشهور العربية ، فنهض لمخالفته فريق من كبار العلماء كان فى طليعتهم الشيخ محمد شاكر

(والد صاحب الترجمة) وكان الشيخ أحمد شاكر ممن اعتقد بدءا بصواب فتوى والده الكبير فكتب من المقالات ما يؤيد منحاه عن ثقة جازمة .

ثم بدا له بعد التحقيق والتريث ما يخالف وجهة نظر والده ، فلم يفقد أمانته العلمية بل خرج على الناس برسالته التى كتبها فى حياة أبيه ذكر فيها انتصاره لرأى الشيخ محمد مصطفى المراغى ويعلن صراحة أنه كان على صواب ويزيد هو عليه فى وجوب إثبات الأهلة بالحساب الفلكى فى كل الأحوال إلا لمن استعصى عليه العلم .

الكتب التى قام بتحقيقها ونشرها :

كانت هذه الكتب كثيرة ومتشعبة فى فنون كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ رسالة الإمام محمد بن إدريس الشافعى عن أصل تلميذه الربيع بن سليمان الذى كتبه بخط يده فى حياة الشافعى ، ومن إملائه وهو أول كتاب عرف به الشيخ أحمد شاكر فى دنيا التحقيق مع إتقانه لفهارسها والإبداع فيها مما لا يكاد يعرف نظيره وهى فى ثلاثة أجزاء مع المقدمة والسماعات واللوحات والاستدراك وجريدة المراجع والمفاتيح وقد بلغت ثمانية فهارس .

٢ ـ « مسند الإمام أحمد بن حنبل » بذل فى إحيائه وإخراجه أقصى ما يستطيع عالم من جهد فى الضبط والتحقيق والتعليق والتنظيم ، لكن المنية عاجلته دون أن يتمكن من تمام إخراجه كاملاً وإن كان قدم منه خمسة عشر سفرا فقط .

٣ ـ أخرج الجزء الأول من « مسند ابن حبان » وجزءين من « الجامع الصحيح » للترمذى كما شارك فى إخراج تهذيب « سنن أبى داود » .

٤ ـ قام بشرح مستفيض لكتاب « الحافظ ابن كثير » (اختصار علوم الحديث) فى مجلد كبير عظيم النفع لعلماء الحديث وطلابه جلّى فيه الكثير من الغوامض وأزال فيه كثيراً من الشبهات .

٥ ـ وفى مجال التفسير قام بإعداد (عمدة التفسير) تهذيبا لتفسير ابن كثير وقد أتم منه خمسة أجزاء ، كما شارك فى تفسير « الطبرى » فخرج أحاديثه إلى الجزء التاسع وعلق على بعضها إلى الجزء الثالث عشر .

٦ ـ أما فى مجال الفقه وأصوله فقد شارك فى نشر كتاب (الإحكام) لابن حزم الأندلسى ، وجزءين من (المحلى) لابن حزم أيضا وكتاب (العمدة فى الأحكام) للحافظ عبد الغنى المقدسى ، وكتاب « جماع العلم » للإمام محمد بن إدريس الشافعى .

٧ ـ وفى الدراسات الأدبية شارك فى إخراج (المفضليات للمفضل الضبى) و(الأصمعيات للأصمعى) وهما كتابان يحتلان مكانا مرموقا فى الدراسات الأدبية المعاصرة للتراث ، كما أخرج كتاب (الشعر والشعراء لابن قتيبة) وكتاب (لباب الآداب لأسامة بن منقذ) .

٨ ـ وفى مجال اللغة لاينسى اللغويون جهده فى إخراج كتاب (المعرب للجواليقى) نشرا علميا دقيقا .

الكتب التى ألفها :

١ ـ كتاب (نظام الطلاق فى الإسلام) وهو من أهم ماألفه الشيخ أحمد محمد شاكر ، دل فيه على اجتهاد صائب وبحث حر فلم يتعصب

من أعلام الأزهر

لمذهب من المذاهب بل سار على طريقة السلف إذا استخرج نظام الطلاق من نص القرآن الكريم ومن بيان السنة المطهرة فيه .

٢ ـ كتاب (الكتاب والسنة) وهو في الدعوة إلى وجوب أخذ القوانين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٣ ـ كتاب « كلمة الحق » وهو في شئون المسلمين وحرب الوثنية والشرك والدفاع عن القرآن الكريم وعن السنة النبوية ويبدو أنه مقالات كتبها الشيخ أحمد شاكر في مجلة (الهدى النبوى) جمعت بعد وفاته إحياء لذكراه .

٤ ـ كتاب (كلمة الفصل في قتل مدمنى الخمر) وفيه يستحث ملوك المسلمين وزعماءهم ضد الخمور وتجارها ومدمنيها .

٥ ـ وله في جميع ما ألفه أو نشره تعليقات دافع فيها عن أحكام الإسلام وآدابه دفاعا تفرد به ونطق فيه بالحق الذى يراه .

الوظائف التى اسندت إليه حتى تاريخ وفاته :

بعد أن نال الشيخ أحمد شاكر شهادة العالمية من الأزهر الشريف في سنة ١٩١٧ ميلادية كما قدمنا في صدر هذا المقال ، عين بمعهد عثمان ماهر لكنه لم يستمر فيه غير أربعة أشهر فقط إذ ألحق بالوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية ، ثم قاضيا بها ، وظل في ساحة القضاء الشرعى يتدرج فيه إلى أن بلغ في وظائفه درجة العضوية بالمحكمة العليا ثم أحيل إلى التقاعد في سنة ١٩٥١ ميلادية عند بلوغه سن الستين ، لكنه كان في كل يوم من أيام حياته الوظيفية وبعدها لايترك البحث العلمى محققا ومؤلفا في الفقه والحديث واللغة والأدب ، حتى لقى ربه راضيا مرضيا في فجر يوم السبت ٢٦من ذى القعدة سنة ١٣٧٧ هجرية الموافق ١٤ من يونية سنة ١٩٥٨ ميلادية .

من أعلام الثقافة الإسلامية

في نيجيريا

إعداد المحاضر
سليمان موسى

الحمد لله الذى قال فى كتابه العزيز : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(1) . وافضل الصلاة واتم التسليم على أشرف المرسلين القائل « إن العلماء ورثة الأنبياء »(2) .

لقد طلعت شمس الإسلام على الوطن الذى نعرفه اليوم بـ « نيجيريا » قبل القرن الحادى عشر الميلادى . ولم يكن هذا الوطن معروفاً بهذا الاسم فى ذلك القرن ، وإنما يعرفه المؤرخون بارض السودان الغربية . تلك الارض التى تشمل ـ غرب جمهورية السودان ـ تشاد ونيجيريا وما والاها من البلدان اليوم . فكان السودان هو تلك البلاد الواقعة جنوب الصحراء من المحيط الاطلنطى غرباً إلى البحر الاحمر شرقاً .

وفى القرن التاسع عشر احتل المستعمرون البريطانيون الدولة المكتية ومملكة برنو وأزالوا الراية الإسلامية التى لكل منهما وضموا اراضيهما إلى أرض الوثنيين وسموها بما يعرف الآن بنيجيريا . على رغم هذا التجمع بين المسلمين وغيرهم فشعائر الإسلام واضحة فى بعض إمارات نيجيريا حتى الآن .

وقد برز أعلام الثقافة العربية الإسلامية فى نيجيريا وذلك بعد اتصال الوطن بالإسلام .

وفى هذه المقالة نبذة يسيرة عن حياة بعض علماء نيجيريا الذين اشتهر صيتهم فى العلم والتقوى وساهموا مساهمة فعالة فى نشر الإسلام عن طريق الدعوة والإرشاد والتأليف . ومن العلماء الذين أوردنا تراجمهم :

1) الشيخ أبو بكر بن عبد القادر بوبى .
2) الشيخ أبو بكر محمود جومى .
3) الشيخ آدم عبد الله الألورى .
4) الشيخ أحمد الرفاعى .

● الكاتب محاضر بمركز الدراسات الإسلامية ـ جامعة عثمان إبن فودى ـ سكتو ـ نيجيريا .

(1) فاطر 28 .
(2) رواه البخارى وأحمد .

٥) الشيخ محمد بن إبراهيم النفوى .
٦) الشيخ محمد الناصر كبرى .
٧) الدكتور جنيد بن محمد البخارى .

(١) الشيخ ابو بكر بن عبد القادر بوبى :

ومن شيوخ الإسلام الشيخ ابو بكر بن عبد القادر بوبى سكتو . هو العالم المعروف بلقبه (بوبى) . اسم والده عبد القادر ، ولد فى مسام وهى قرية فى شرق (جواندوا) حوالى سنة ١٢٨٨ هـ . وهو من قبيلة الفلانى .

نشأ العالم ابو بكر بوبى فى بيئة تهتم بالعلم والعلماء وتعليم الثقافة الدينية والأدبية . فبلدة (جواندوا) فى ذلك الوقت مركز للثقافة العربية والدراسات الإسلامية ، وهى مدرسة قديمة للشيخ عبد الله بن فودى الأخ الشقيق لمجدد الدين شيخ عثمان بن فودى تغمدهما الله برحمته .

بدأ الأستاذ أبو بكر تعلمه بقراءة القرآن ، كما كانت عادة أهل هذه البلاد . وقد قرأ القرآن على يد عالم يسمى أحمد بن سعد قاضى غندو . تلميذ الشيخ عبد الله بن فودى . ثم تصدى لتعليم علوم اللغة والأدب والدراسات الإسلامية وتعلمها .

وقد تتلمذ عليه كثير من الطلبة . فمنهم من يأتى إليه من مكان بعيد ـ ليأخذ العلم عنه . ومن أبرز تلاميذه العالم عبد القادر بن محمد البخارى وزير سكتو سابقاً الأخ الأكبر للوزير جنيد الحالى ، والعالم إبراهيم بن محمد الطاهر ، وعالم أمين سالامى ، والدكتور جنيد وزير سكتو حالياً .

ولم يكن الأستاذ ابو بكر بوبى مدرساً فقط بل ادى دوراً كبيراً فى السياسة . وقد تولى منصب القضاء والإمامة ثم بعد ذلك عزل لشدة زهده . وبعد ذلك تفرغ ـ للإمامة وكان ذلك فى قرية سنينا وهى قرية تتبع إمارة غندو .

للشيخ أبى بكر بوبى مؤلفات كثيرة وديوان يجمع عدة قصائد فى فنون شتى . ومن أشهر مؤلفاته كتاب الرسوخ .

توفى الأستاذ ابو بكر بوبى فى شهر شعبان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعد الألف (١٣٥١ هـ) الموافق عام ١٩٣١ الميلادى . وكان ذلك فى عهد أمير المؤمنين الحسن بن معاذ تغمدهما الله برحمته .

(٢) الشيخ ابو بكر جومى :

الشيخ أبو بكر محمود جومى من علماء القرن العشرين فى (نيجيريا) بذل إسهاماً كبيراً فى نشر الإسلام والدعوة إليه .

ولد الشيخ فى قرية (جومى) التابعة لحكومة جومى المحلية بولاية سكتو فى نيجيريا يوم الجمعة سنة ١٩٢٢ ميلادية . والده محمود قاضى (جومى) وهو من أشهر العلماء آنذاك فى ولاية سكتو .

بدأ الشيخ تعليمه الابتدائى فى (دوغن داجى) ثم التحق بالمدرسة الوسطى بسكتو وتخرج منها مدرساً بشهادة المعلمين المرتبة الرابعة . وفى سنة ١٩٤٣ م ـ التحق بمدرسة الحقوق المعروفة اليوم بمدرسة العلوم العربية بكنو . وفيها تعلم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لمدة خمس سنوات . وفى السنة ١٩٤٧ م عاد إلى سكتو فعمل قاضياً فى إحدى قراها .

عاد الشيخ إلى مدرسة العلوم العربية بكنو للتدريس فيها عام ١٩٥١ م ومن هناك انتقل إلى (مرو) فى ولاية سكتو للتدريس .

وبعد فترة قصيرة وجد بعثة تعليمية فى (بخت الرضا) بالسودان وقضى فيها ثلاث سنوات وذلك من سنة ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ م .

ادى هذا الشيخ دوراً كبيراً فى التعليم والإدارة . ومن أبرز المناصب التى شغلها :
١) أمير حجاج شمال نيجيريا من ١٩٥٥ ـ ١٩٦٠ م .

٢) نائب رئيس قضاة شمال نيجيريا ١٩٦٢ ـ ١٩٧٥ م .

٣) عضو مجلس جماعة نصر الإسلام بنيجيريا .

٤) عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى نيجيريا .

٥) عضو مجلس رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

٦) عضو مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

ومن الدرجات التى يحملها الشيخ :
١) الدكتوراه الفخرية من (جامعة أحمد بللو) زاريا نيجيريا .

٢) الدكتوراه الفخرية من (جامعة أبادن) نيجيريا .

٣) الدرجة العثمانية التى منحه رئيس وزراء شمال نيجيريا سابقاً المرحوم الحاج أحمد بللو .

٤) جائزة الملك فيصل بن عبد العزيز العالمية عام ١٩٨٧ ميلادية .

٥) الدرجة الفخرية الوطنية من حكومة نيجيريا الفيدرالية .

وللشيخ مؤلفات كثيرة منها :
١) رد الأذهان إلى معانى القرآن الكريم (تفسير القرآن الكريم) .

٢) ترجمة معانى القرآن إلى اللغة الهوساوية .

٣) ترجمة الأربعين حديثاً النووية إلى اللغة الهوساوية .

٤) ترجمة (نور الألباب) تأليف الشيخ عثمان بن فودى إلى اللغة الهوساوية .

٥) العقيدة الصحيحة بموافقة السنة .
٦) الإسلام وما يبطله .

وإضافة إلى هذه الأعمال فالشيخ يقوم بتعليم طلاب العلم فى منزله ، ويقوم بالدعوة والإرشاد . وقد أسلم على يده جمع غفير من النصارى والوثنيين . وشجع عدداً كبيراً من الشبان والكبار على التفقه فى الدين . فمنزله فى (كدونا) مركز من المراكز الإسلامية فى نيجيريا . ترى فيه أجناساً مختلفة من الطلبة الذين جاءوا من أماكن شتى لطلب العلم ، وحتى اليوم يقضى الشيخ معظم أوقاته فى التعليم والإرشاد وحضور الاجتماعات الدينية .

ولا زال الشيخ على قيد الحياة . نسأل الله أن يطيل فى عمره ويجازيه عنا وعن الإسلام خيراً .

(٣) الشيخ آدم عبد الله الالورى :

هو آدم بن عبد الباقى بن حبيب الألورى ،

يتصل نسبه من جهة أمه بالداهومى . تعلم الشيخ على يد مشايخ نيجيريين منهم : الشيخ صالح الواعظ . الحاج عمر الإمام . الشيخ آدم

نماج الكنوى . وقد رحل إلى أماكن كثيرة للتعليم ؛ والتثقيف بهذه البلاد . وفى رحلاته اتصل بشيوخ الإسلام .

وقد اشترك الشيخ فى المؤتمرات الإسلامية بالقدس وصوماليا والحرمين ونيجيريا وغيرها من الدول الإسلامية وقدم بحوثاً قيمة فى معظم هذه البلدان .

وإضافة إلى ذلك فهو مربٍّ ومدرس . عمل مدرساً حتى تخرج على يديه نحو خمسمائة من ابناء نيجيريا والداهومى وغيرها . فالشيخ هو مدير مركز التعليم العربى الذى أسس فى (أغيغى) بـ « لاجوس » . وهو أيضاً إمام مسجد المركز . يخطب فيه الجمعة ويلقى فيه الدروس الدينية فى ليالى رمضان المباركة . وقد كان يحضر مجلس وعظه حوالى ثلاثة آلاف ما بين رجال ونساء .

للشيخ آدم مؤلفات فى اللغة العربية وآدابها وفى الإسلاميات . ومن أشهر مؤلفاته :

١ ـ الإسلام فى نيجيريا .
٢ ـ موجز تاريخ نيجيريا .
٣ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية .
٤ ـ نظام التعليم العربى .
٥ ـ الإسلام اليوم وغداً .
٦ ـ نسيم الصبا فى أخبار علماء بلاد يوربا .

والشيخ ـ والحمد لله ـ على قيد الحياة وهو رئيس رابطة العلماء والائمة فى بلاد (يوربا) بـ (نيجيريا) .

(٤) الشيخ احمد الرفاعي .

ومن شيوخ الإسلام فى نيجيريا الأستاذ أحمد الرفاعي صلاتى الالورى . وهو الشيخ أحمد الرفاعى بن أبى بكر قطب الطريقة القادرية فى جميع بلاد الشرق والغرب فى (نيجيريا) . وهو من أحفاد الشيخ ابو بكر بوبى . وهو مشهور بلقب « اندا صلاتى » وكلمة (نوفاوية) ومعناها (الشيخ الكبير) . وكلمة « صلاتى » مأخوذة من بيت الشعر الذى كان يردده هذا الشيخ فى كثير من الحفلات والمناسبات الدينية وهو يقول :

صلاتى وتسليمى وأذكى تحياتى
على المصطفى المختار خير البريات

نشأ رحمه الله وتربى فى حجر جده لأمه الشيخ محمد خليل . ومنه تلقى مبادئ الدراسات الإسلامية . ثم استمع للشيخ أمين سارومى .

توفى رحمه الله يوم السبت صباحاً فى مدينة الورن سنة ١٩٦٦ ميلادية .

يتبع

مراجع هذا الجزء :

انظر لـ :

شيخو أحمد سعيد غلادنث : حركة اللغة العربية فى نيجيريا وآدابها . المطبعة دار المعارف ، القاهرة . سنة ١٩٨٢ م . ص ٢١ .

يحيى محمد الأمين : أبى بكر بوبى صكة ، حياته وإنتاجاته الشعرية ، أطروحة الليسانس فى جامعة صكتو ـ نيجيريا فى عام ١٩٨٣ ، ص ٣ .

محمد أحمد سنوسى غمبى : سيرة الشيخ أبو بكر محمود جومى ، الجزء الأول ـ ص ٢ .

آدم عبد الله الألورى : الإسلام فى نيجيريا ، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ، ص ٤ .

شافعى محمد الورى : تعليم اللغة العربية فى مدينة (الورن) ، أطروحة الليسانس فى جامعة سكتو ، سنة ١٩٨٢ م ، ص ٧٨ .

العلوم الكونية

المدخل الإسلامي للطب

الانشطار النووي

المدخل الإسلامي للطب

تقديم : فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
تأليف : أ . د . إبراهيم عبد الحميد الصياد
عرض وتحليل : أ . د . أحمد فؤاد باشا

٢

اما الباب الثالث من هذا الكتاب الهام فقد خصصه المؤلف لعرض وجهة نظر الإسلام فى المرض والمريض . فاوضح ان حياة الإنسان سلسلة من التجارب الإبتلائية ، سواء ما كان منها مبهجاً او مؤلماً ، وان المرض ابتلاء من الله تعالى ينفذ بقضائه ، كما ان تجنب المرض إذا وقع او الشفاء منه ، كلاهما من قدر الله تعالى .

وهنا يشير المؤلف إلى ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديثين الشريفين : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » و « لا يورد ممرض على مصح » . فعلى الرغم من أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهى عن اختلاط المريض بالصحيح ، إلا أن ذلك ليس هو السبب الوحيد لحدوث المرض ، وقوله « لا عدوى » ينفى أن يكون مجرد الاختلاط ، هو سبب المرض ، وإنما يدعونا لتدبر أسباب أخرى للمرض غير مجرد الاختلاط . وحيث إن طاقة البشر محصورة فى الأسباب الدنيوية المنظورة ، فعليهم التماس هذه الأسباب للوقاية من المرض أو علاجه .

وعلى المسلم أن يتقبل المرض كأى قضاء ، خيراً كان أو شراً ، ويصبر عليه فقد يكون تطهيراً له وتكفيراً عن ذنوبه فى الدنيا .

روى أبو داود عن أم العلاء قالت : « عادنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا مريضة فقال : أبشرى ياأم العلاء ، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة » . ولا يعنى هذا أن يستسلم المسلم لمرضه ويتقاعس عن علاجه ، بل عليه أن يطرق أسباب العلاج الطبى المتوافر حسب مستوى تقدم الطب فى المجتمع ، وإذا تدهورت صحته إلى حد يعتقد فيه أن شفاءه غير محتمل ، فإن عليه أن يتعلق بالأمل المتواصل .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف : ٨٧) ، وهذا الأمل المتواصل حاجز طبيعى من الانهيار فى أى ظرف من الظروف الدنيوية ، فلا يكون المرض البدنى سبباً فى تولد المرض النفسى أو الاضطرابات العضوية النفسية ، بل إن صلابة النفس كثيراً ما تساعد فى شفاء أمراض البدن .

والمسلم فى حال المرض مأجور بصبره مغفور له بابتلائه .

وفى حال الشفاء مأجور بشكره على نعمة العافية .

وتتجلى هذه المعانى فى دعاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما : « اللهم اقسم لنا من طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن اليقين ما تهون به مصيبات الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا » .

وبعد أن يشرح المؤلف خصائص المجتمع المسلم المتحاب المتكافل ، ويبين التصور الإسلامى لموقف الإنسان المسلم من أخيه المريض ، بدءا بزيارته والاهتمام بأمره وانتهاء بقضاء حاجته ورعاية أسرته ، ينتقل إلى إيضاح موقف الطبيب المسلم من المريض .

وهنا يؤكد المؤلف على الكثير من المبادىء والمعانى والقيم الإسلامية التى يجب أن يقوم عليها فكر الطبيب المسلم وسلوكه تجاه المريض . فإذا كانت الرحمة صفة من صفات المسلم فإنها للطبيب أولى وألزم ، وتقديم الرعاية الطبية للمريض أداء لزكاة العلم والحكمة ، فالله تعالى قد رزق الطبيب علماً نافعاً ومهنته لازمة للمجتمع . ومفهوم الزكاة فى الإسلام أوسع من زكاة المال ، فزكاة المهنة أن ينفع بها الناس وكل القدرات والطاقات التى أنعم الله بها على المسلم لابد أن تسخر لغايتها ، وهى الخير والبر . ولتجسيد هذا المعنى يؤكد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن كل جزء من جسم الإنسان وقدراته عليه كل يوم صدقة يؤديها للناس .

روى الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى (عظام الأصابع) من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ... » . وزكاة العلم النافع ألا يكتمه المسلم بل ينشره وينفع به .

ومهنة الطب تجعل صاحبها معرضاً لاستدعائه لنجدة المريض فى أى وقت ، وإذا كان هذا عبئا على راحته ووقته فى ظاهر الأمر ، إلا أنه يعتبر فضلاً من الله لأنه يرفع منزلة صاحبه عند ربه .

أخرج الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن لله عبادا اختصهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » .

ولا يفوت المؤلف أن يوضح فى هذا المجال أن رعاية الطبيب المسلم لمريض غير مسلم تسهم فى تقديم صورة طيبة للإسلام ، ورعايته للمريض المسلم تعينه على استعادة قوته وعافيته ، فالسلامة البدنية ضرورية للعبادة واستيفاء مقاصد الشريعة ، والطبيب بعلاجه للمريض المسلم يساعده على العبادة وعمل الخير ، وبذلك يكون له أجر الخير الذى يفعله المريض بعد شفائه دون أن ينقص ذلك من أجر المريض شيئاً .

ويختتم المؤلف هذا الباب مؤكداً على أن إدراك الطبيب لمغزى عمله وكنه رسالته السامية يجعل هدفه فى تخفيف آلام المريض أسمى من الرغبة فى الأجر والجزاء الدنيوى ، ويكون دائم الصلة بالله تعالى يسأله التوفيق فى عمله . فذلك يقيه من لذة الشعور بالمهارة فى المهنة عند نجاحه فى عمله لأن ذلك يحبط العمل وينقص الأجر . وعلى الطبيب المسلم أن يكون على دراية بحقيقة موقفه فى العملية العلاجية ، متمثلة فى أنه أداة الرحمة الإلهية والوسيلة التى يخفف الله بها آلام الناس . فعندما قال أبو رمثة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : دعنى أعالج ما بظهرك فإنى طبيب ، قال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أنت رفيق والله طبيب » (أخرجه أحمد فى المسند) .

المدخل الإسلامي للطب

أما الباب الرابع والأخير فيعتبر أهم أبواب هذا الكتاب القيم ، وقد خصص له المؤلف مساحة كبيرة بلغت مائة صفحة ، أى قرابة نصف الحجم الفعلى لمحتويات الكتاب . ولهذا لجأ إلى تقديمه وتقسيمه كما لو كان كتيباً مستقلاً . وجعل عنوانه « الطب فى التصور الإسلامى » ، وذكر فى بدايته الأساس الفكرى الذى اعتمد عليه ، فأوضح أن الإسلام يضع تصوراً عاماً للحياة والكون ، ينبثق من العقيدة ويهتدى بهداها .

وفى ضوء هذا التصور يقدم منهجاً متميزاً للاقتصاد الإسلامى ، والطب الإسلامى ، وكافة أنشطة الحياة ، ومن العسير على الثقافات الغربية والشرقية أن تربط كل عمل يمارسه الناس بالدين ، أما المسلمون فيؤمنون بالتوافق التام بين عقيدة الإسلام وتحقيق سعادة المجتمع ، لذا فهم يحرصون على ربط العقيدة بكل نشاط إنسانى . فالإسلام عند المسلم عقيدة روحية ، ومذهبية اجتماعية ، أى أنها شرعة ومنهاج يسلكه فى أمور دينه ودنياه . وعلى هذا الأساس شرع المؤلف فى استعراض خصائص التصور الإسلامى قبل أن يوضح انعكاسات هذا التصور على النظرية الطبية فى الإسلام . وجعل ذلك فى قسمين كبيرين ينقسم كل منهما بدوره إلى عدة موضوعات ومباحث أو مستويات .

أما القسم الأول وعنوانه « شرعة الإسلام » فيعرض بالتفصيل لما تتميز به المثالية الإسلامية من أنها تفسر للإنسان دوره فى الكون ، والغاية من وجوده ، ووسائل الوجود لهذه الغاية ، لذلك نسميها « شرعة » ، لتمييزها عن المناهج والنظريات الوضعية . يقول تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (المائدة : ٤٨) .

ويتناول المؤلف شرح المبادىء التى تقوم عليها شرعة الإسلام ، متمثلة فى توحيد الخالق ، ووحدة المخلوقات ، ووحدة الأمة ، والاستخلاف فى الأرض ، ثم يركز الضوء على موضوع الاستخلاف فى الأرض من حيث تعريفه ومقوماته وضوابطه ومتطلباته ، مؤكداً على أن وسائل تحقيق الخلافة تتمثل فى العلم النافع والتطبيق العملى لهذا العلم فى استنباط خيرات الأرض وعمارتها وحيازة عناصر القوة . ويرى المؤلف أن عناصر الاستخلاف تقوم على ثلاثة عناصر هى :

١ ـ إعمار الأرض وإقامة الحضارة .

٢ ـ حماية هذه الحضارة من الإفساد .

٣ ـ إصلاح أى فساد قد يطرأ عليها .

وقد أفرد المؤلف لكل عنصر مبحثاً خاصاً ، وخلص من مناقشة هذه العناصر الثلاثة إلى صياغة نظرية إسلامية فى الطب تتطابق مع هذا الإطار العام ، وتتألف من ثلاثة مستويات هى :

١ ـ بناء الجسم وتحسين الصحة .

٢ ـ حماية الصحة أو الحفاظ عليها ، وهو ما يعرف بالطب الوقائى .

٣ ـ إصلاح البدن من الأمراض ، وهو ما يعرف بالطب العلاجى والتأهيل .

وفى القسم الثانى ناقش المؤلف هذه المستويات الثلاثة التى تؤلف إطارا عاما لما أسماه بالنظرية الطبية الإسلامية ، واستشهد بالعديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين بوضوح كيف يرتكز منهج الطب الإسلامى على ضرورة التداوى مع تجنب المحرمات فى العلاج والاهتداء بالقواعد الشرعية التى تحض على اجتلاب المصالح ودرء المفسدة واجتناب المضار . فإذا كانت إزالة الضرر يعقبها أثر يخلفه ، أُجريت الموازنة بين الضررين لاختيار أخفهما ، وإذا كانت هذه القواعد الكلية الفقهية من اختصاص علماء أصول الفقه ، إلا أن الطبيب يلزمه إلمام بما

يحتاج إليه من هذه الأحكام الشرعية فى ممارسة مهنته حتى تتحقق معالم الطب الإسلامى بخصائصه المميزة من نظرة شمولية ، وعدل فى الحكم وإحسان فى العمل . وقد أوضح المؤلف التوجيهات الشرعية للإجراءات الطبية على النحو التالى :

أولاً : قواعد المصلحة :

١ ـ الأصل فى المنافع الإباحة : وهذه القاعدة تجعل كل ما فيه نفع للناس مباحاً ما لم يرد فيه نص بتحريمه ، أو يكون قياساً على محرم . وينطبق ذلك على وسائل العلاج .

٢ ـ الأصل فى المضار التحريم : وهذه القاعدة تحرم أى إجراء علاجى يكون الضرر فيه خالصاً ، أو هو الغالب الراجح . ولا عبرة بالنفع الضئيل المؤقت فى جانب الضرر الغالب الدائم .

ثانياً : قواعد تجنب الضرر :

١ ـ « لا ضرر ولا ضرار » (أخرجه مالك وابن ماجة والدارقطنى) . والضرر هو حصول الأذى ابتداء ، والضرار حصوله على سبيل رد الفعل .

٢ ـ الضرر يدفع بقدر الإمكان : وهذا أساس كافة إجراءات الطب الوقائى .

٣ ـ الضرر يزال : وهذه القاعدة هى أساس العلاج والتأهيل فلا يجوز ترك المرض بلا علاج أو ترك العاهة بلا تأهيل .

٤ ـ الضرر لا يكون قديماً : أى لا يكتسب صورة الأمر الواقع بمرور الزمن ، وهذه القاعدة تجعل حالات العجز والعاهات غير ميئوس منها .

٥ ـ الضرر لا يزال بمثله : فإذا كانت مضاعفات الإجراء العلاجى تؤدى إلى حالة مساوية للحالة قبل العلاج فلا داعى له .

٦ ـ الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف : إذا كانت المضاعفات الناتجة عن العلاج أقل خطورة من حالة المريض قبل العلاج ، يكون العمل الطبى مباحاً .

٧ ـ يختار أهون الشرين : فلا يجوز أن تكون أضرار العلاج أكثر خطراً من المرض نفسه ، وعندئذ فالعلاج لا مبرر له .

٨ ـ إذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما : وهذه القاعدة توجه الطبيب فى الاختيار بين وسيلتين من وسائل العلاج لاختيار أقلهما ضرراً .

٩ ـ يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام : وهذه القاعدة تطبق فى حالة الأمراض الانتقالية ، بحيث تبيح الحجر على حركة مريض إذا كان فيه خطر على الآخرين . ويمكن تطبيقها فى الجسد الواحد لاستئصال عضو إذا كان تركه سيضر باقى أجزاء الجسم .

١٠ ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح : فما أمكن علاجه بالغذاء لا يعالج بالدواء ، وما يعالج بالدواء لا يعالج بالجراحة ، وما يمكن فيه الجراحة لا يجوز فيه البتر . ومن هذه القاعدة يمكن التوسع فى الاستفادة بوسائل العلاج الطبيعى والنباتات الطبية إذا كانت أقل ضرراً من المواد الكيماوية المصنعة .

ثالثاً : قواعد دفع الحرج ومراعاة الضرورة :

١ ـ **المشقة تجلب التيسير** : وهذا يعطى كثيراً من الرخص للمريض فى حدود طاقته .

٢ ـ **الضرورات تبيح المحظورات** : وهذه القاعدة تبيح علاج الرجل للمرأة ، وبالعكس ، وكشف العورة عند الضرورة .

٣ ـ **الحاجة تنزل منزل الضرورة عامة أو خاصة** : فيباح نقل عضو من جسم الميت إذا كان ضرورياً لحياة إنسان آخر .

٤ ـ **الضرورات تقدر بقدرها** : فلا يجوز التوسع فى رخصة إلا فى حدود حجم الضرورة . فإذا لم تكن العملية الجراحية ضرورية لتحقيق درجة كافية من المصلحة ، وخاصة عمليات التجميل ، فلا ضرورة لها . فما يباح لفتاة صغيرة قد لا يباح لرجل مُسِنّ .

٥ ـ ما جاز لعذر بطل بزواله : فإذا توافرت الطبيبة فيفضل أن تعالج هي النساء .

رابعاً : قواعد الحقوق :

١ ـ لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذن : وجسم الإنسان ملك لله تعالى ومع ذلك فيه حق للعبد نفسه . وبذلك لا يجوز التبرع بعضو من جسم إنسان حي إذا أمكن الحصول عليه من جسد ميت ، ولا يجوز إجراء التجارب على جسد الإنسان إذا كان في ذلك ضرر عليه حتى ولو وافق على ذلك .

٢ ـ الاضطرار لا يبطل حق الغير : وهذه القاعدة تضع قيوداً على الإذن الشرعي . فنقل عضو بشرى إلى مريض بدافع الضرورة لايجوز أن يتعارض مع حقوق صاحب العضو الأصلي ، سواء كان حيا أو ميتا .

٣ ـ الجواز الشرعي ينافى الضمان : فإذا حدث للمريض ضرر بدون تقصير أو تعد من الطبيب المؤهل للعلاج فإن الطبيب لايكون ضامنا ، أى لاتقع عليه مسئولية جزائية .

وأخيرا يختتم المؤلف هذا الباب والكتاب بدعوة المسلمين إلى العمل الصحى التطوعى ، موضحا آفاقه العديدة مثل التبرع بالدم ، ورعاية المعوقين ، ورعاية الطفولة والأمومة ، وإسعاف المرضى والمصابين ، وزيارة المرضى ، والإنقاذ في حالات الكوارث ، وإشادات المرور للوقاية من الحوادث ، والإشراف على نظافة البيئة وسلامتها ، وغير ذلك من المجالات . ويشير المؤلف إلى أن تقاعس المسلمين عن الأعمال التطوعية إنما هو نتيجة طبيعية لابتعادهم عن المنهج الصحيح للإسلام . وعجزهم عن استيعاب تعاليمه ، فالإسلام يحاول أن يرفع المسلمين من مستوى الحب السلبى للجماعة إلى مستوى العمل الإيجابى لصالحها .

وفي ختام عرضنا للكتاب نود أن نشير إلى غفلة المؤلف عن تحديد أو تصحيح مواقع بعض الآيات القرآنية في المصحف الشريف (في صفحتى ١٧ ، ١٠٩) ، وإلى بعض الأخطاء المطبعية (في الصفحات ٤٤ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ٢٣٤ ، وإلى أحاديث نبوية كثيرة لم يبين مدى صحتها أو الاتفاق عليها (مثلا في صفحات ١٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، .....) . إلا أن هذه الملاحظات ، بالإضافة إلى ماأسلفناه في ثنايا التحليل ، لايمكن أن تقلل من جهد الكاتب أو قيمة الكتاب ، الذى يعتبر إضافة هامة للمكتبة العربية الإسلامية في مجال إسلامية العلوم ، فهو كتاب للعام والخاص ، ويفصل ويؤصل الكثير من وصايا الإسلام وتعاليمه التى شرعها للإنسان لتصلح شأنه ، وتحفظ حياته النفسية والجسدية ، وتملأ الحياة بالصلاح والمودة والرحمة ، وهو خليق بأن تحتويه صدور الأطباء ، وتتشربه نفوسهم وعقولهم ، ليزدادوا علما برسالة الإسلام إلى الإنسان .

الكتاب من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
« سلسلة البحوث الإسلامية »

الانشطار النووى

فى توليد الكهرباء

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

الذرّة هى أصغر جزء من العناصر التى تتكون منها المواد المشكلة للكون مثل الماء والغازات المختلفة والمعادن .. إلخ . وكل عنصر يتكون من ذرات متناهية الصغر كل ذرة منها تشتمل على نواة موجبة الشحنة هى « التجمع الحقيقى للمادة » تدور حولها بسرعة كبيرة جسيمات صغيرة مشحونة بكهرباء سالبة تسمى « الكترونات » . ويوجد داخل هذه النواة نوعان من الجسيمات هما « البروتونات » التى تحمل شحنات كهربية موجبة . والنيوترونات متعادلة الشحنة الكهربية .

والذرات التى تحتوى أنويتها على نفس عدد البروتونات وإن اختلف عدد النيوترونات تسمى « نظائر » . وعنصر اليورانيوم هو أحد العناصر الموجودة أساساً فى الطبيعة على شكل نظيرين : أحدهما يسمى اليورانيوم ـ ٢٣٥ ، ويحتوى على ٩٢ « بروتون » ، ١٤٣ « نيوترون » والآخر يسمى اليورانيوم ـ ٢٣٨ ويحتوى على ٩٢ بروتون ، ١٤٦ نيوترون . وأهم هذين النظيرين هو اليورانيوم ٢٣٥ حيث تتميز نواة هذا النظير بقابليتها للانشطار بمعنى أنها تنشط تحت تأثير اصطدامها بالنيوترونات . وينتج عن هذا الانشطار نواتا عنصرين مختلفين يطلق عليهما نواتج الانشطار هما الزِّينُون ١٤٠ ، والاسترنشيوم ٩٠ وتسمى هذه الظاهرة بالانشطار النووى « شكل ١ »

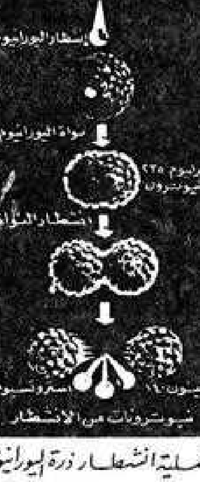

عملية انشطار ذرة اليورانيوم

شكل ١

بالإضافة إلى ذلك تنطلق فى عملية الانشطار كمية هائلة من الطاقة تعادل الفرق فى الكتلة بين الأجسام الداخلة فى الانشطار ومجموع الأجسام الناتجة منه . ويظهر هذا الكم من الطاقة فى صورة طاقة حركية تنطلق بها . وسرعان ما تتحول معظم هذه الطاقة الحركية إلى طاقة حرارية نتيجة اصطدام نواتج الانشطار بأنوية الذرات الأخرى المحيطة بها . وهذا يفسر لنا تولد الطاقة الحرارية العالية من الانشطار النووى وينطلق عدد يتراوح بين ٢ ، ٣ نيوترون تتحرك بسرعات عالية جداً تصل إلى ٢٠ الف كيلو متر فى الثانية . وهذه النيوترونات تسبب بدورها انشطارات نووية متسلسلة ويحدث ما يسمى بالتفاعل الانشطارى المتسلسل .

فإذا فرضنا انطلاق نيوترونين فى الانشطار الأول فإنه ينتج عنه انشطاران جديدان فى الجيل الأول وفى الجيل الثانى ٤ ، وفى الثالث ٨ وفى الرابع ١٦ وفى العاشر ١٠٢٤ وفى العشرين ١٠٤٨٥٧٦ نيوترونا . مع العلم بأن الوقت بين جيل والجيل التالى لا يزيد على جزء من الثانية . وعلى هذا الاعتبار نستطيع أن نتخيل مقدار الطاقة التى يمكن الحصول عليها بسرعة بواسطة هذا التفاعل . فإذا علمنا أنه يخرج نيوترون واحد فقط فى المتوسط قادر على الدخول فى انشطار جديد فإن عدد النيوترونات القادرة على الدخول فى وقت ما يساوى عدد النيوترونات المسببة للانشطار فى الجيل الأول ويسمى هذا بالتفاعل المتسلسل « شكل ٢ » .

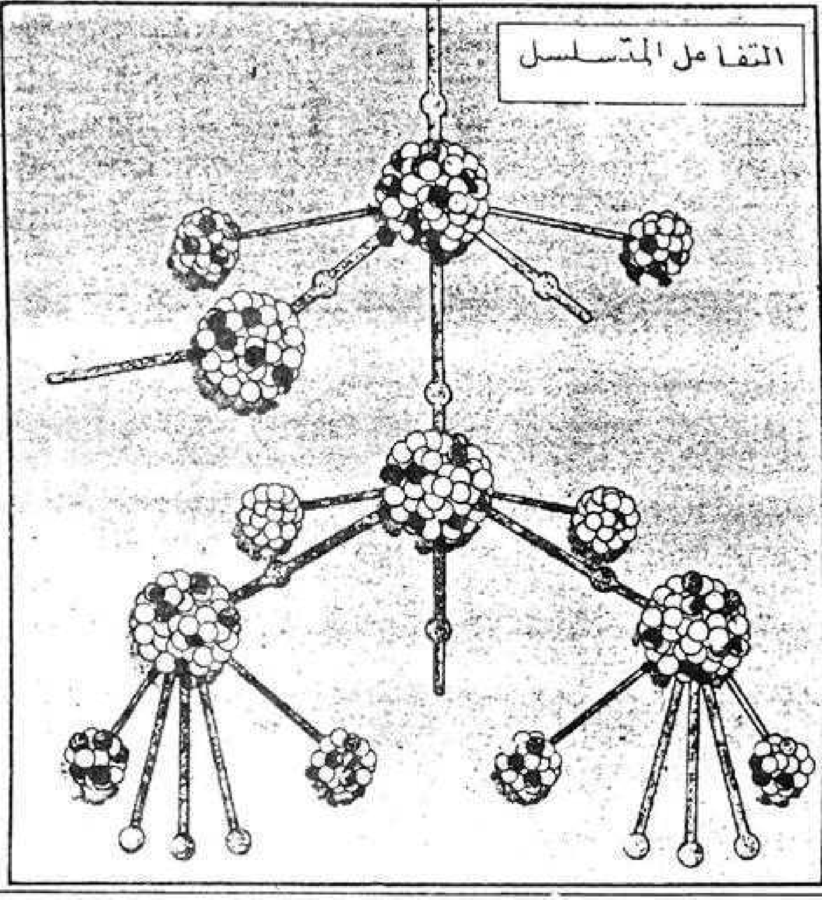

ولضمان حدوث التفاعل الانشطارى وتوفير المصدر المستمر للطاقة فإنه يلزم وجود كتلة معينة من اليورانيوم مناظرة لشكل هندسى معين بحيث يكون عدد النيوترونات الناتجة فى أى انشطار مساويا لعدد النيوترونات المسببة للانشطار السابق له وتسمى هذه الكتلة بالكتلة الحرجة .

إن الانشطار الكامل لجميع الذرات التى يحتويها جرام واحد من اليورانيوم ـ ٢٣٥ يعطى طاقة حرارية تكافىء واحد ميجاوات يوم . ولما كانت نسبة اليورانيوم ـ ٢٣٥ القابل للانشطار تبلغ ٠.٧٪ فى اليورانيوم الطبيعى وبفرض أن نصف هذه الكمية فقط ينشطر ، فإن احتراق رطل من اليورانيوم الطبيعى يكافىء ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف)طن فحم .

ويبين الجدول التالى كميات الوقود السنوى وبدائله اللازمة لتشغيل محطات توليد كهرباء مختلفة الانواع قدرة كل منها ١٠٠٠ ميجاوات :

١ ـ اليورانيوم	٣٣ طنا
٢ ـ الفحم	٢,٣ مليون طن
٣ ـ البترول	١٠ ملايين برميل
٤ ـ الغاز الطبيعى	٦٤ بليون قدم « ١,٨ بليون متر مكعب »
٥ ـ الخلايا الشمسية	١٠٠ مليون متر مربع « ٢٣٨٠٠ فدان »

ليست هناك صعوبة فى إيقاف التفاعل المتسلسل وإنما الصعوبة فى الحفاظ على استمراره لان بعض النيوترونات الناتجة من الانشطار تخرج خارج منطقة التفاعل وبعضها تمتصه نويدات أخرى غير قابلة للانشطار مثل نظائر اليورانيوم الأخرى وأهمها اليورانيوم ـ ٢٣٨ والمواد الأخرى الموجودة مع اليورانيوم الطبيعى ، ومن ناحية أخرى فإن احتمال حدوث الانشطار يتوقف على سرعة النيوترونات المسببة له ، حيث تتم عملية الانشطار بسهولة أكثر كلما كانت النيوترونات ذات سرعات بطيئة . وقد يكون فى شرح أسباب ذلك عسر أو تعقيد وللتقريب إلى الذهن نتصور أن النيوترون الذى يبطىء السير على مقربة فى نواة قابلة للانشطار تكون فرصة امتصاصه بواسطة هذه النواة وحدوث الانشطار اكبر بكثير مما يتاح لذلك النيوترون الذى يسرع السير داخل منطقة النواة . فإذا علمنا أن النيوترونات التى تخرج من الانشطار تكون ذات سرعات عالية تقدر بحوالى ٢٠ الف كم/ثانية فإنه يتضح مدى الحاجة إلى استخدام مهدىء لهذه النيوترونات يعمل على الإقلال من سرعتها لزيادة احتمال دخولها فى انشطار جديد .

المهدىء المناسب يجب أن يتكون من مواد ذات نويدات خفيفة لأن النيوترونات تتصرف فى هذه الحالة كما لو كانت كرات منطلقة بسرعة كبيرة ، فهى تقف إذا اصطدمت بأجسام ثقيلة وتفقد جزءاً من سرعتها إذا اصطدمت بأجسام لها كتلة قريبة نسبياً من كتلتها . وتعتبر مادة الجرافيت والماء الثقيل والماء العادى من المهدئات التى يكثر استخدامها .

للتحكم فى معدل الانشطار المتسلسل ، وبالتالى التحكم فى معدل الطاقة الحرارية المتولدة منه ، فإنه يلزم التحكم فى معدل النيوترونات المتاحة للانشطار ، ويتم ذلك باستخدام قضبان التحكم التى تصنع من مواد لها خاصية الامتصاص الشره للنيوترونات . ومن امثلة تلك المواد « البورون » و« الكادميوم » . وعليه فإنه

الانشطار النووى

يمكن زيادة معدل امتصاص النيوترونات بتحريك هذه القضبان إلى داخل وقود اليورانيوم وبذلك يقل معدل الانشطار المتسلسل . أما تحريك القضبان إلى الخارج فإنه يقلل من معدل امتصاص النيوترونات ، وبالتالى يزداد معدل الانشطار ، وبهذه الطريقة يتم التحكم فى معدل توليد الطاقة الحرارية من الانشطار .

تستخدم محطات القوى النووية مثل محطة القوى التقليدية الطاقة الحرارية لتوليد البخار الذى يستخدم بعد ذلك فى إدارة التوربينات التى تدير بدورها مولدات الكهرباء ، الاختلاف الرئيسى بينهما هو فى مصدر الطاقة الحرارية لتوليد البخار . فبينما تعتمد محطات القوى التقليدية على حرق الفحم أو البترول أو الغاز الطبيعى لتوليد هذه الطاقة الحرارية فإن محطات القوى النووية تعتمد على انشطار الوقود النووى لتوليد هذه الطاقة الحرارية .

الحمد لله .. والشكر لله - بقية

والشكر يطهر النفوس ويقربها من الله ، ويوجه إرادتها إلى الوجهة الصالحة فى إنفاق النعم فى وجوهها المشروعة ، ولهذا يقول سبحانه : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ - سورة لقمان آية رقم ١٢ - .

أما كفران النعم فيعرضها للزوال لأنها تجعل المرء غير مبال بها ويبددها بدون منفعة ، ويتلف ما أنعم الله به عليه من نعم الصحة والعافية ، ويسير على غير المنهج الذى جاء به القرآن فيؤدى به إلى غضب الله والبعد عن رحمته .

والشكر لله درجات ، تبدأ بالاعتراف بفضله ، والحياء من معصيته ، وتنتهى بالتجرد لشكره ، والقصد إلى هذا الشكر لله ، فى كل لفظة لسان ، وفى كل خفقة قلب ، وفى كل خطرة جنان .

وفق الله المسلمين للاعتراف بفضله ، والتجرد لشكره .

والله الموفق ..

محمد صابر البرديسى

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

أهلا.. وسهلا

عائشة

صحوة العودة

أهلاً .. وسهلاً

للطالب / عايض علوش عوض المطيرى
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر (الكويت)

اهلا وسهلا بشيوخ كبار ** قد علمونا منذ كنا صغار

اهلا بابناء البلاد التى ** بجهدكم قد اصبحت نعم دار

انتم مصابيح الهدى والتقى ** من غير شمس لا يضاء النهار

علومكم منقوشة فى الحجى ** منا كنقش الخط فوق الحجار

لا غرو من ازهرنا جئتم ** والازهر المعمور مهد الفخار

قرونه العشر مضت وهو ما ** زال لاهل العلم اعلى منار

فى كل علم باعه اطول ** ينهل منه نشؤنا والكبار

شرفت به ارض الكنانة مصر ** ولمصر فى النفس الف اعتبار

كنانة الله به اشرقت ** وعم منها النور كل الديار

● بمناسبة زيارة فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر لدولة الكويت الشقيق لحضور الإجتماع الثالث « للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » أرسل الطالب هذه القصيدة إلى « مجلة الأزهر » تحية حب وتقدير إلى الأزهر الشريف ممثلا فى شخصية فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق « شيخ الأزهر » .

عائشة رضى الله عنها

للشاعرة: علية الجعار

نجم يضىء فيقبس العلماء ... نبع يفيض فينهل الفقهاء

من مثل عائشة النبوة من له ... فى الدين فقه مثلها وعطاء

حسناء فى عمر الزهور يزينها ... عقل كبير ناضج وذكاء

تلميذة فى بيت خير معلم ... تقتات منه العلم كيف تشاء

جبريل يوحى والنبى مرتل ... آى الكتاب وكلها إصغاء

وهى النقاء مؤكدا ومجسدا ... فالطهر تاج والعفاف رداء

لما رَمَتْها فى المدينة عصبة ... بالافك راحوا يهمسون وجاءوا

الله براها وأعلى قدرها ... وملائك شهدت لها وسماء

ياأيها التاريخ قل عن زهدها ... ما هز من أركانه أهواء

أم لكل المؤمنين ولم يكن ... منها ببيت المصطفى أبناء

حازت لدى قلب النبى مكانة ... ما طاولتها فى الفؤاد نساء

فهى ابنة الصديق صاحب أحمد ... والخير فيما أنجب الكرماء

صحوة العودة

للأستاذ رشاد محمد يوسف

قومي ولا تتهربي واستغفري وتقربي
وقفي بمحراب الصلاة ذليلة وتأدبي
واسترجعي ما فات من خطو ضليل مذنب
وتوضئي بدموع نادمة وقلب متعب
فلكم شربت مع الغواة وياالسوء المشرب
ولكم خطوت إلى الضلال بدون أى تحسب
ولكم خدعت الآخرين ببسمة وبمخلب
وأكلت لحم أخيك ميتا ما رضيت بطيب

ماذا إذا حُمَّ القضاء وغاب نورُ الكوكب ؟
ماذا إذا ذاب الضياء وحان حين المغرب ؟
ماذا إذا فُض الغطاء وبان كل محجب ؟
ودنا الحساب وما به إلا ضلال المأرب ؟

يانفس هل من صحوة من عودة وتقرب
عودى فقد طال العناء على الطريق المجدب
عودى إلى النبع الطهور إلى الرحيق الأعذب
وخذى بآيات الكتاب هدى وأنوار النبى
فالله يدعو الغافلين عن الهدى فى غيهب
والله يدعو التائهين إلى صباح أرحب
وإليه نرجع فى الختام وما لنا من مهرب
فتقدمى وتهذبى وتبتلى وتقربى

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

حرية الرأى فى الإسلام

لفضيلة الشيخ : صادق إبراهيم عرجون

إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

حرية الرأى معلم من معالم الإسلام ، وسمة من سماته الأساسية وقد فهمها المسلمون الأولون على هذا الأساس ، فأوجد منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لايمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير .

قال الأستاذ :

شرع الله تعالى الإسلام دينا للإنسانية عاما خالدا ، وجعله خاتم حلقات سلسلة الوحى المتلاحقة فى سجل التاريخ الإنسانى من لدن آدم إلى محمد صلوات الله عليه ، فكان هو الحلقة المكملة لتنزيل الرحمة التشريعية إلى الإنسان فى هذه الأرض .

وقد شاءت حكمة الله أن تكون كل حلقة من حلقات التشريع الإلهى على قدر استعداد الجماعة التى تأتى لها فى تكوينها الطبعى والخلقى والاجتماعى ، وكأنما نظم الله الإنسانية بالوحى عقدا اجتماعيا متماثل الحلقات فى كل جيل وقبيل ، وإن اختلفت فى الوضع والتصوير ، لتتفق مع وضع الأمة فى مكانها من الحياة ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَاوَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ حتى إذا اكتملت الإنسانية فى حقيقتها المطلقة وتهيأت للوحدة الفكرية والاتجاه العقلى ، جاءها الاسلام مهيمنا على زمامها ، ليرشدها إلى ما أعدت له من الكمال الذى يسمو بها عن حضيض الأرض إلى ملكوت السماء .

ومن ثم كانت الشرائع السابقة إنما تخاطب عقلا خاصا محدودا خطابا خاصا محدودا ،

حرية الرأى فى الإسلام

لا يتعدى هذا الجيل من الناس إلى غيره من الأجيال ، ولا هذا القبيل إلى سواه من المجتمع ، ولا ذلك التشريع إلى تشريع أوسع وأعمق ، لأن العقل الإنسانى العام لم يكن صالحا حينئذ لهذا الخطاب العام . لكن الإسلام عمد إلى هذا العقل الإنسانى العام بعد أن تهيأ فى تكوينه إلى الاضطلاع بعبء الحياة ، وخاطبه خطاب المرشد إلى الطريق الأقوم ، وجعله قيما على شئون الحياة كلها ، وأبى الإسلام أن يقبل سلطانا غير سلطان العقل ، وشدد النكير على الذين استسلموا لبلادة الحس ، وأناموا عقولهم عن النظر والتفكير ، فقال فى دستوره ناعيا عليهم ازدراء عقولهم وتشبثهم بالغباء فى اتباع آبائهم على ضلالاتهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ . وقال فى هذا الباب أيضا على مهيع آخر : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ فهذا التسفيه البالغ حد التحقير للمخاطبين أشد إيلاما لنفوسهم ، وألذع فى أفئدتهم ، وقد مهد له القرآن بقضية من بداءه الفطر لا تختلف فيها العقول سيقت للتنبيه على موطن الخطأ العقلى فى مسلكهم ، حيث تعبدوا أنفسهم لما لا يستحق الحياة ، بله العبادة والتقديس . هم يعلمون أن الأصنام ليست لها أرجل تمشى بها ، ولا أيد تبطش بها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ، ولكن فى نفى هذا المعلوم بداهة على طريق الاستفهام إزراء على عقولهم بأبدع أسلوب ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وقد أراد القرآن الكريم بهذا المبدأ السامى إيقاظ العقل وتنبيهه إلى أداء مهمته وإبراء النفس الإنسانية من مرض التقليد الأصم ، وتربية القوى الفكرية على الاعتداد بالنفس واستقلال الرأى وحرية التفكير ، ولذلك أثنى على الذين أيقظوا عقولهم وتفلتوا من قيود التقليد إلى ساحات النظر فى آيات الله فى الأنفس والآفاق ، وساروا بسير العلم غير ملتفتين إلا إلى الحق فلم يقولوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ ولا اعتذروا اعتذار العاجز الذليل ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ .

هذا النوع من التشريع الفكرى من أهم ماعنى به القرآن الحكيم ، فردده كثيرا فى آيات بينات على أنحاء شتى ، تعظيما لقدر الإنسانية ، وإجلالا لمقام العقل العام ، فى حدود تكبح من جماحه إذا تطلع إلى تعدى طوره ، ومجاوزة حده . وهو يطلعنا على أخص خصائص الإسلام وأعظم مميزاته على الشرائع الأخرى إطلاقا ، تلك الخصيصة هى أن الإسلام أقام من العقل الإنسانى حارسا على الإنسانية ، وملك الإنسانية الحياة لتكون حية نامية ، والنمو رقى فى مدارج الكمال . وهو بهذه الروح الهادئة القوية ضمن لنفسه البقاء والهيمنة على ماسواه : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

فهم المسلمون الأولون الاسلام على هذا الأساس ، فعظموا حرية الرأى تعظيما جعل

منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لايمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير . وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الإسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ وأمر الله به نبيه ﷺ وليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ إلا قاعدة من قواعد حرية الرأى وتقديسها ، فاستمع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذه السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه . روى البخارى فى صحيحه « أن رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله ﷺ : معى من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين . إما السبى ، وإما المال ، وقد كنت استأنيت بكم ـ وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ـ فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : فإنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فان إخوانكم قد جاءونا تائبين وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل ، فقال الناس :

قد طيبنا ذلك يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لاندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس ، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » .

هذا الحديث الشريف يصور أقصى ماتبلغ إليه الأمم الناهضة من حرية الرأى ونظلم النيابة الفاضلة ومحو الاستبداد . وفيه من الفوائد العظيمة التى تدنو منا فى عصرنا هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الرأى ، مايجل عن الوصف . ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذي عقدنا هذا المقال لأجله :

أول مايبيده القارىء من هذا الحديث قول النبى صلوات الله عليه لهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث إلى أصدقه » ليشعرهم بقانون الإسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى ، والتجافى عن روح الاستبداد ، والحكم الفردى ، فكأنه يقول : إن الأمر صار إلى الأمة ، ولابد من أخذ رأيها ، مع انه لو فعل شيئا ماطرفت عين بمخالفته ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

ثانيا ـ لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها ، بل خيرهم بين إحدى الطائفتين : إما المال ، وإما السبى ، وفى ذلك من احترام الرأى مالايحتاج إلى بيان .

ثالثا ـ عرض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة إخوانهم ، وقال لهم : إنى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم ، ثم اطلق لهم حرية الرأى ، وأبان أنه لايحكم إلا بما تطيب به نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، افتراه ـ وهو الرسول الأمين ـ قام إلى سبى هوازن فرده إليهم اتكالا على إجابة عامة من حشد المسلمين ، كيف ؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له ، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم ، والمسلمون سواء أمام التشريع العام ، لكل مسلم رأيه ، ولكل رأى اعتباره ، لا ، لم يتفرد النبى برأيه ، ولكنه عمد إلى أدق نظم حرية الرأى ، وأحراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا إلى أنفسهم ، ويتعرفوا منها الرضا ، أو الإباء ، وينضجوا رأيهم ، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا إليه ما استقر عليه رأيهم .

حرية الرأى فى الإسلام

نظام بلغ أسمى أيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة ، أليس هو أحدث ماتطمح إليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ؟ فليتبصر الذين لايعرفون من الإسلام إلا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الإسلام فى الصميم .

اشترع النبى ﷺ هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى ، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضى الله عنه قد ملكه المسلمون رقابهم وأموالهم ، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان .

ولقد سرت تعاليم الإسلام فى المسلمين ، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فىَّ اعوجاجا فليقومه : «والله ولو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عوج عمر ! إنما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمر أمة لاتلين لها فى الحق قناة .

وإذا تأملنا فى أن رسول الله ﷺ صعد إلى الرفيق الأعلى ولم يخلف على المسلمين رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما ، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الإسلام . وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب إلا بعد أن فوض إليه المسلمون ذلك . روى ابن الجوزى « أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال : إنه قد نزل بى ماترون ، ولا أظننى إلا ميتا لما بى ، وقد أطلق الله إيمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمرتم فى حياة منى كان أجدر أن لاتختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقم لهم ، فرجعوا إليه ، فقالوا : رأينا ياخليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا ، قال : فعليكم عهد الله على الرضا ، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

فإذا كانت حرية الرأى فى الإسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة ، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف ، كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية : فأما التشريع فحسب القارىء الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الإسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصدرون فى رأى إلا عن كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة ، حتى أن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة ، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده ، ولاحجر عليه رأيه .

حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان ، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنه لا حاجة معها إلى قانون آخر . قال العلامة ابن القيم :« ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ماتضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها ، وحسن فهمه فيها ، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نعنى بحرية الرأى مايفهم من كلمة (الفوضى) حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول فى الشريعة برأيه ، وإنما نعنى أن العالم الثقة إذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله ، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله .

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

لا تحب مع الله سواه

كان للفضل بن عياض ابنة صغيرة اصاب كفها وجع ، فسالها يوما وقال : يابنية ، ما حال كفك ؟ فقالت : بخير ياابت . فقال لها : اريني ، فارته ، فقبّله ، فقالت : ياابت ، انشدك الله ، هل تحبني ؟ قال : اللهم نعم . فقالت : سواة لك من الله ، والله ما ظننت انك تحب مع الله سواه ، فصاح قائلاً : ياسيدى ، صبية صغيرة تعاتبنى فى حبى لغيرك ، وعزتك وجلالك ، ما أحببت معك سواك .

كلمات لأمراء المؤمنين

● كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله عدى بن ارطاة :

اما بعد : فقد أمكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق عليك ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك .

● وقال المنصور لولده المهدى ، وقد تولى الخلافة بعده : لا ترم أمرا حتى تفكر فيه ، فإن فكرة العاقل مراته تريه حسناته وسيئاته . واعلم ان الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وانقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه .

ما أوتيت بما أكره

كان ابن خارجة يقول : ما اتانى احد بما اكره ، إلا اخذت عليه بثلاث خصال : فإن كان فوقى عرفت له فضل التقدم فاتبعته .

وإن كان دونى صنت نفسى عنه .

وإن كان مثلى تفضلت عليه .

كلنا قادمون

قيل لبعض المجانين ، وقد أقبل من المقبرة من اين جئت ؟

قال : من هذه القافلة النازلة .

قيل : ماذا قلت لهم ؟!

قال : قلت لهم متى ترحلون ؟

فقالوا : حين علينا تقدمون .

طرائف ومواقف

هى لك

قال رجل من البخلاء لأولاده ، اشتروا لى لحما فاشتروه ، فامر بطبخه ، فلما نضج اكله جميعه ، حتى لم يبق فى يده إلا عظمة ، وعيون اولاده ترمقه ، فقال : ما اعطى احداً منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف اكلها .

فقال ولده الأكبر : امشمشها وامصها حتى لا ادع للذر فيها مقيلا .

قال : لست بصاحبها .

فقال الأوسط : الوكها ياابت والحسها ، حتى لا يدرى احد العام هى ام لعامين .

قال : لست بصاحبها .

فقال الأصغر : ياابت امصها ثم ادقها واسفها سفا .

قال : إنك صاحبها ، وهى لك زادك الله معرفة وحزما .

وصف ثقيل

قال ابو بكر الخوارزمى فى وصف ثقيل :

فلان أثقل من موت الخناق ، وكتاب الطلاق ، وفقد الحبيب ، وطلعة الرقيب ، وأشد من خراج بلا غلة ، ودواء بلا علة ، ورؤية الموت عند الكافر ، وقد ختم أعماله بالكبائر .

فلان وخز فى الأكباد ، وسقم فى الأجساد .

قالوا ....

- الكريم اوسع مايكون مغفرة إذا ضاقت بالمسىء المعذرة .
- العفو يفسد من اللئيم بقدر مايصلح من الكريم .
- من طلب عزا بباطل وجور اورثه الله ذلا بإنصاف وعدل .
- كل إنسان يانس إلى شكله ، كما أن كل طير يطير مع جنسه .
- الأم الناس سعيد لا تسعد به جيرانه ، ولا تسلم منه إخوانه .
- ما استغنى احد بالله إلا وافتقر الناس إليه .
- ليس حسن الجوار كف الأذى ولكنه الصبر على الأذى .
- الجبن خير أخلاق النساء ، وشر اخلاق الرجال .

دعاء

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله ، واجعل اليقين فى قلبى ، والنور فى بصرى ، والنصيحة فى صدرى ، وذكرك على لسانى .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

حول التأثير السلبي للدراما

مأساة الزعامة في حياة إلعالي النحاة

كتاب الوحوش

عن الأصمعي - رحمه الله

تحقيق

أ. أيمن محمد ميدان

ومن أسماء الظباء (وصفاتها)[١٢٦]

يقال للذكر الظبي واليعفور . والأنثى[١٢٧] ظبية ويعفورة ، وجماع اليعفور اليعافير . (والعفر أضعف ظباء عدواً وإنما يطمع فيها الفهد ولا يطمع في الأدماء لسرعتها)[١٢٨] .

وقال الشاعر : ـ البسيط ـ

وقد تحرز ملحر اليعافير[١٢٩]

وفي الظباء المشدن وهي التي معها غزال ، والغزال الصغير ، وقال ذو الرمة :[١٣٠]

ـ الوافر ـ

فلم أر مثلها نظراً وعيناً ولا أم الغزال ولا الغزالا[١٣١]

وقال زهير (بن أبي سلمى :)[١٣٢] ـ البسيط ـ

بجيد مغزلة أدماء خاذلة من الظباء تراعي شادناً خرقا[١٣٣]

(١٢٦) اللفظة في ت ، ج : « وللأنثى » .

(١٢٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٢٨) في ت ، ج : « قال الشاعر : وقد تحرز من حر اليعافير » .

(١٢٩) عبارة ت ، ج : « ومن الظباء المشدن وهي التي معها ولدها قد شدن وتحرك ، ومنها المغزل وهي التي معها غزال ، والغزال الصغير منها ؛ قال ذو الرمة : » .

(١٣٠) ديوانه ٤٣٦

(١٣١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٣٢) ديوانه ٣٩ وشرح شعر زهير لثعلب ٣٨ .

الأدماء : الخالصة البياض وساكنها الجبال . والخاذلة : المتأخرة عن ركب الظباء ، والشادن : الصغير الذي قد قوي وتحرك واشتد لحمه . والخرق : الصغير اللاصق بالأرض ، لا يقدر أن يتحرك ، ولايدري كيف يأخذ من ضعفه وصغره .

(١٣٣) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

ويقال ظبى أشعب وهو البعيد (ما)[١٣٤] بين القرنين (كما يقال شاة قعساء إذا كانت كذلك ، و)[١٣٥] قال الشاعر : ـ الهزج ـ

وقُصْرى شنج الأنساء نباح من الشعبْ[١٣٦]

(القصرى آخر الضلوع ، يقال لها ضلع الخلف)[١٣٧] ويقال للظبى إذا أسن نبيح[١٣٨] والفور الظباء ، ولم أسمع لها بواحد[١٣٩] ، قال أوس بن حجر : ـ البسيط ـ

يلبسن ريطا وديباجا واكسية شتى بها اللون إلا انها فور[١٤٠]

ومن الظباء العفر وهى البيض اللواتى يعلو بياضها حمرة ، (وكذلك الكثيب الأعفر الذى تعلوه حمرة)[١٤١] .

ومنها الأدم[١٤٢] وهو الذى يخالف لون ظهره لون بطنه . والعواهج الكحل الطوال القوائم . والعوهج الطويل العنق ، قال العجاج[١٤٣] : ـ الرجز ـ

فى شملة أو ذات زف عوهجا[١٤٤]

يريد طويلة العنق ، ويصف نعامة[١٤٥] ، والزف : الريش[١٤٦] .

ومنها الأرآم وهى (الظباء)[١٤٧] الخالصة البياض ، والواحد رئم .

ويقال للظبية إذا كانت بنت ستة أشهر أو سبعة جدَاية ، قال طفيل (الغنوى)[١٤٨] : ـ الطويل ـ

---

(١٣٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٣٥) البيت لابى دؤاد الإيادى فى شعره ٢٨٨ وفى الاقتضاب ، ٣٣٢ ـ ٣٣٣ وأدب الكتاب ١٢٣ والحيوان ١/١٧٠ ولسان العرب (قصر) ، (نبح) . القصرى : أسفل الأضلاع ، وشنج الأنساء : منقبض الجلد والنبح : صوت الكلب والظبى والتيس والحين . والشعب : الظباء التى طالت قرونها وتشعبت . وفى لسان العرب (نبح) : « .... رواه الجاحظ ... نباح من الشعب . وفسره يعنى من جهة الشعب » . وورد البيت فى الأصل : « .... شنج .... من الشعب » وما اثبتناه هنا من شعر أبى دؤاد ٢٨٨ و ت ، ج .

(١٣٦) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٣٧) عبارة ت ، ج : « ويقال للظبى إذا أسن وغلظ صوته ينبح » .

(١٣٨) فى لسان العرب (فور) : « الفور ـ بالضم ـ الظباء واحد لها من لفظها ، هذا قول يعقوب . وقال كراع : واحدها فائر » .

(١٣٩) ديوانه ٤٠ برواية : « لبسن ... » وفى ت ، ج : « يشى » . وبرواية الأصل فى إصلاح المنطق ١٢٥ . والريط : جمع ريطة و الملاءة إذا لم تشق إلى لفقين . والديباج والديباج : ضرب من الثياب المزينة بالنقوش ، وهو فارسى معرب .

(١٤٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وساقط من الأصل بسبب انتقال النظر .

(١٤١) فى ج : « والادم » .

(١٤٢) عبارة ت، ج : والعوهج طويل العنق ، وقال العجاج » .

(١٤٣) البيت فى ديوان العجاج ٣٥١ .

(١٤٤) عبارة ت ، ج : « وهى الطويل العنق ، يصف نعامة » .

(١٤٥) ديوان العجاج ٣٥١ : « قال ابو حاتم : سمعت الأصمعي قال : والزف الريش اللين الذى يكون فى بطن النعامة » .

(١٤٦) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٤٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٤٨) مابين القوسين ساقط من ت ، ج . والبيت فى ديوانه ٢٤ برواية : « من الادم خمصان الحشا غير خثيل » . وفى ت ، ج : « من الوحش خلصاء الحشا .... » . « والجداية : بنت شهرين أو ثلاثة من الظباء والذكر والانثى . والخثيل : العظيمة البطن ، ولم أسمعه إلا فى المؤنث ... والخمصان الخميصة البطن . والحشا : البطن » . عن ديوانه رواية أبى حاتم السجستانى عن الأصمعى طفيل بن كعب الغنوى : شاعر جاهلى أبدع فى وصف الخيل . وكان يقال له فى الجاهلية « المحبِّر » لحسن شعره ، انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ١/٤٥٣ والاشتقاق ٢٧٠ والأغانى ١٥/٣٤٩ ـ ٣٥٥ والمؤتلف والمختلف ٢١٧ وسمط اللآلى ١/٢١٠ ـ ٢١١ وكنى الشعراء ٢٩٣ والقاب الشعراء ٣١٠ وخزانة الأدب ٣/٢ ـ ٦٤ ومقدمة ديوانه .

(رعتــه ســعــاد إذ ســعــاد) جــدايــة   من الوحش خمصان الحشا غير خنثل[149]

(الخنثل : العظيم البطن ومسترخيه)[150] .

(قال أبو سعيد : قال أبو الفضل الرياشي : سمعت الأصمعي يقول : الظباء على ثلاثة ألوان : فإذا كان خالص البياض لا يدخله لون فهو رئم ، والجماع أرآم ، فإذا دخل بياضه حمرة فهو أعفر والأنثى عفراء ، والجميع عفر . وإذا كان أسود الظهر ، شديد بياض البطن ، أكحل العينين ، طويل العنق والقوائم فهو أَدَمُ .

قال أبو بكر بن دريد : الظباء بألوان أرضها ، فما رعى الصحراء والقيعان فهو[151] العفر لأن ألوانها كلون تلك الأرض . ومارعت الغلظ والحزون فهى أرآم . ومارعت السفوح فهى الأدم)[152] .

ومن أسماء أولادها

الخِشف والغزال والجحش في لغة هذيل ، والشادن الذى قد شدن أى قوى وتحرك . ويقال لولد الظبى الرشأ (مهموز)[153] .

(قال أبو ذؤيب في الجحش وهو يذكر الظبية :   ـ الطويل ـ

بــأسفــل ذات الــديــر أفــرد جحشهــا   فقــد ولهت يــومــين فــهى خلــوج[154]

ويقال لولد الظبية الطلا ، والشصر مثل الجدى من الغنم ، والرشأ والغزال ـ الكامل ـ والجحش ، فإذا أتى عليها ستة أشهر أو سبعة فهى جداية ، قال الشاعر :[155]

---

(١٤٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج . وفي ج : « الخنتل » .

(١٥٠) كتب الناسخ فوق « فهو العفر » كلمة « فهى » .

(١٥١) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٥٢) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٥٣) ورد البيت برواية : « ذات الدير » في الجبال والأمكنة والمياه ٩٧ والإبل ١٠٥ . وفي معجم مااستعجم ٥٤١/٢ : « قرىء يوما على الأصمعي من شعر أبي ذؤيب : بأسفل ذات الدير ـ بالياء ـ فقال أعرابي بالحضرة للقارىء : ضل ضلالك ، إنما هو الدبر ، وهى ثنية عندنا ، فأخذ الأصمعي بذلك بعد .. وفي الصحاح (دبر) ولسان العرب (دبر) نقلاً عن ابن الأعرابي : وقد صحّفه الأصمعي فقال : ذات الدِّير ، وورد في ديوان الهذليين برواية :

بأسفل ذات الدَّبر أُفْرِد خشفها   وقد طُرِّدَتْ يومين فهى خلوج

الدَّبْر : النحل .. والخلوج : التى نزع عنها ولدها ، واختلج عنها إما بذبح وإما بفصال .. ولهت ذهب عقلها من شدة وجدها .

(١٥٤) البيت لعنترة بن شداد العبسي الفارس المعروف بالبأس والشدة ، وهو من أصحاب المعلقات انظر ترجمته في : طبقات فحول الشعراء ١٥٢/١ ، والشعر والشعراء ٢٥٠/١ ـ ٢٥٤ ، وألقاب الشعراء ٣١٠ ، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٢٩٣ ـ ٢٩٤ والأغاني ٢٣٧/٨ ـ ٢٤٥ . ومقدمة ديوانه .

(١٥٥) شرح ديوانه ١٢٥ برواية : « جداية وشرح المعلقات السبع للزوزني في ١٢٧ برواية : « وكأنها »

الحُرُّ : الحسن العتيق ، والأرثم : الذى في شفته العليا وأنفه بياض ، وقيل : الذى في شفته العليا بياض أو سواد ، فإن كان في السفلى فهو ألمظ وَلمظاء .

وكأنما التفتت بجيد جداية رشأ من الغزلان حر أرثم[١٥٦]

والظبى ثنى[١٥٧] أبدا لا تزيد سنه .

قال أبو سعيد : والظباء ثلاثة : الرئم وجمعه أرام مهموز ، وهو أشد الظباء بياضا لا يخلطه شيء ، والعفر واحدها أعفر ، والأنثى عفراء ، وهى البيض تعلو بياضها حمرة ، ويقال للكثيب الأعفر إذا كانت[١٥٨] تعلو بياضه حمرة .

والادم واحدها آدم ، والأنثى أدماء وأدمانة ، وهى التى خالف لون ظهرها (لون)[١٥٩] بطنها ، والادم هى العواهج)[١٦٠] .

---

(١٥٦) اللفظ فى ت : « ثنى » .

(١٥٧) عبارة ت : « إذا كان تعلو بياضه حمرة » .

(١٥٨) مابين القوسين ساقط من ت .

(١٥٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وسقط من الأصل بسبب انتقال النظر .

(١٦٠) المستقصى فى أمثال العرب ٢٧٦/١ الأروى : مساكنها الجبال ، فقل ماتمر بالناس يضرب للمبطىء الزيارة ، ويروى كخارج الأروى قليلاً ماترى ، فيضرب فيما لا يقدر عليه ، ولا يكاد يدرك .

على هامش النقد

التعقية

للأستاذ: السيد حسن قرون

«عقّى» لم يرد هذا الفعل فى القرآن الكريم، ولكنه ورد فى الشعر، وقد اهتم به أبو على القالى فى كتابه «الأمالى»، ويرجع الاهتمام به إلى انه يسجل تقليدا للعرب فى الجاهلية حين الرضا باخذ الدية، وقد اورد النص عن طريق الرواية قال: سالت ابا بكر بن دريد عن معنى قول المتنخل الهذلى:

عقّوْا بسهم فلم يشعر به احدٌ
ثم استفاءوا وقالوا حبّذ الوضحُ

وبين التقليد الذى حواه البيت قائلا: يقال عقّى بسهم إذا رمى به نحو السماء لا يريد به أحدا، وإذا اجتمع الفريقان للقتال، ثم بدا لأحد الفريقين وارادوا الصلح رموا بسهم نحو السماء، فعلم الفريق الثانى أنهم يريدون الصلح فتراسلوا فى ذلك، واستفاءوا رجعوا عما كانوا عليه وقالوا: حبذ الوضح أى اللبن، أى حبذ الإبل والغنم أخذها فى الدية كما قال الآخر:

ظفرت بهجمة سُودٍ وحُمْرٍ
تُسَرُّ بما يُساءُ به اللبيب

أى فرحتَ بالدية .. والهجمة الجماعة من الإبل.

وأبو على القالى القادم من بغداد إلى الاندلس سنة ٣٢٨ هـ والمتوفى بها سنة ٣٥٦ هـ فهم التقليد العربى وأداه بعبارة تحتاج إلى توضيح، لأن فهم الراوى لم يكن كما ينبغى أو ان العبارة لم تأت كاشفة المعنى، لذلك وجدنا عالما لغويا كبيرا يتعقب أبا على ويوضح لنا المراد من الشعر، ونحن نعلم أن العرب فى جاهليتها كان فرسانها احلاس خيل وأرباب سلاح، ومعاركهم تنجلى عن قتلى وجرحى ويسعون إلى الصلح وللصلح فيه تسليم القاتل لأولياء الدم أو دفع الجزية إذا رضى الأولياء بالدية.

وجاء الإسلام فكان التشريع الذى يحفظ للناس حياتهم ويشيع الأمن بينهم، ولينالوا حظا من متع الحياة والتمهيد لسعادة الآخرة، وكان القصاص. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الآية ١٧٩ سورة البقرة).

وأباح الإسلام لأهل القتيل فى العمد المطالبة بقتل القاتل أو الدية أو العفو، وهذا من مزايا الإسلام للتخفيف عن الناس، ومَنْ قبل الدية ثم اعتدى فله خزى الدنيا والآخرة .قال[1] رسول

(١) الحديث رواه ابن كثير عن تفسير الآية ١٧٩ من سورة البقرة..

الله صلى الله عليه وسلم : « لا أعافى رجلا قتل بعد أخذ الدية » يعنى لا أقبل منه الدية بل اقتله . وبهذا التشريع تطيب الحياة ويستتب الأمن ، وقد أعلى الإسلام من فضيلة العفو فقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (الآية ٤٣ سورة الشورى) . بعد قوله فيها ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ وصار القصاص من شأن الحاكم ، فالحاكم يقوم بدل الأفراد بالمطالبة بدم القتيل ، والعالم اليوم جعل الصلح عن طريق المنظمات الدولية ، فكانت محكمة العدل الدولية ومجلس الأمن وجمعية الأمم المتحدة العامة وما إلى ذلك مما يحفظ الحقوق ويزيل الضغائن ..

وأعود إلى التقليد العربى الجاهلى وأبى على القالى وقد أثبت فى صدر المقال شرحه لمعنى « التعقية » لم يقبل أبو عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ما ذهب إليه أبو على فأورد فى كتابه « التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه » رأيه فى هذا التقليد فقال راويا عن غيره من علماء اللغة وبدأ كلامه هكذا : لم يعلم أبو على ـ رحمه الله ـ معنى التعقية ومذهب العرب فيها ، قال أبو العباس ثعلب ـ رحمه الله ـ سألت ابن الأعرابى ـ رحمه الله ـ عن التعقية وهو سهم الاعتذار فقال : قالت الأعراب : إن أصل هذا أن يقتل الرجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه ، فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية ، فإن كان أولياؤه ذوى قوة أبوا ذلك وإلا قالوا لهم : إن بيننا وبين خالقنا علاقة للأمر والنهى فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون أن نأخذ سهما فنرمى به نحو السماء ، فإن رجع إلينا مضرجا دماً فقد نهينا عن أخذ الدية ، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها ، قال ابن الأعرابى فما رجع هذا السهم قط إلا نقيا ، ولكنهم لهم فى هذا المقال عذر عند الجهال ـ هذا معنى « عقوا بسهم » وما أورده أبو على ـ رحمه الله ـ والبيت الذى أنشده من شعر المتنخل يهجو به ناسا من قومه كانوا مع ابنه « حجاج » يوم قتل ، وقبل البيت :

لا ينسىء الله منا معشرا شهدوا
يوم الأُمَيلح لا غابوا ولا جرحوا

لا غيبوا شلو حجاج وقد شهدوا
حم القتال فلا تسأل بما افتضحوا

لكن كبير بن هند يوم ذلكم
فتخ الشمائل فى أيمانهم روح

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد
ثم استفاءوا وقالوا حبذ الوضح

وأبو عبيد البكرى مثل أبى على القالى لغوى وأديب عنى بشرح ألفاظ الأبيات فقال : قوله لا ينسىء الله أى لا يؤخر موتهم ، وشلو كل شىء بقيته ، وحم القتال وحم كل شىء معظمه ، و « كبير بن هند » قبيلة من هذيل ، واستفاءوا رجعوا عما كانوا عليه ، وقالوا حبذ الوضح أى حبذ الإبل والغنم أخذها فى الدية ويعنى بالوضح اللبن لبياضه ، ولم يشرح فتخ الشمائل أى لين الطباع . وروح ومعناها الارتخاء مما يفيد ضعف العزيمة ، ونحن هنا مع هذيل وهى قبيلة مضرية ترجع إلى « الياس بن مضر » وقبائل هذيل كما يقول ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد لا ينسب إليها أبناؤها ، لأنها ليست جمجمة بل ينسبون إلى الجد الأعلى « هذيل » .

والأبيات التى أوردها أبو عبيد البكرى التى تنتهى ببيت التعفف هى هجاء يحمل غضبة المتنخل على قومه الذين شهدوا مقتل ابنه فلم يقوموا بشأنه ، ولا أخذوا ثأره ولا قاموا بدفنه ولا سيما قبيلة « كبير بن هند » ، التى لا عزيمة لها قبلت الدية عن طريق التعقية وقد شرحها أبو عبيد البكرى بالرواية عن ابن الأعرابى ،

←

على هامش النقد

فهى تحفظ الوجوه وتكون عذرا عند الجهال ، وتبقى الحقيقة مرة فى أفواه الرجال .

بان لنا مما تقدم أن عقى كلمة تاريخية لها مكانها عند العرب ويفهمها الاعراب كل الفهم ، وقد أغنانا الله عنها بأن كتب علينا القصاص وقد أشرنا إليه آنفا ، أنترك تلك الكلمة فى بطون المعاجم والكتب فلا تستخدم أم لنا أن نستخدمها ، ونبعثها قوية فى الشعر والنثر والخطب ؟

إننى أضن بها أن تذبل أو تختفى ولها من مادتها « ع ق » أخت لها هى أعقى تقول أعقيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته ، وفى المثل « لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى » وأنت ترى أن عقى فعل ثلاثى زيد بالتضعيف ، وأن أعقى ثلاثى زيد بالهمزة ، ومعناهما متقارب فالمضعف يفيد الرمى والمبدوء بالهمزة يفيد الإزالة ، وفى الحالين شيء يطرح . وأهل الأدب لهم القدرة على استعمال الفعلين فى الحقيقة والمجاز ، ويكفى تلك المادة « عقا منزلة أن منها « العقيان » وهو الذهب الخالص ..

ومع ذلك فالبيت الذى يحوى الهجاء المقذع والذى دار حوله البحث لم يبعد بنا عن عزة العرب وتجافيهم عن الرضا بالضيم ، فهم إذا ضعفوا ستروا الضعف واحتالوا على الخروج منه بكل السبل الممكنة ومنها التعقية .

لكننا اليوم لسنا فى حاجة إليها فلنا من الإسلام ما يقينا من الذل والهوان ، وإنما ذكرناها حبا فى اللغة وعناية بالشعر وبعثا للتاريخ من جديد ، واستجابة لمنهج الآباء والأجداد ..

التابعون تلامذة الصحابة - بقية

ولما قدم عكرمة جرجان قال الناس لشهر بن حوشب الا نأتيه ؟ فقال : ائتوه ، فإنه لم تكن أمة إلا وقد كان لها حبر ، وإن مولى هذا كان حبر هذه الأمة .

وحدث سفيان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت من عكرمة يُحَدِّث عن المغازى كأنه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون ويقتتلون .

وقال عكرمة : إنى لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فيُفتتحُ له خمسون بابا منِ العلم .

وكان الحسن البصرى إذا قدم عكرمة البصرة أمسك عن التفسير والفتيا مادام عكرمة بالبصرة .

قال الذهبى فى دول الإسلام[٢] : العلامة عكرمة البربرى مولى ابن عباس كان من بحور العلم فى زمانه .

وإلى حديث آخر نكمل أخباره إن شاء الله تعالى .

٢ ـ جزء (١) صـ ٧٥

مأساة الزعامة

في حياة إمامي النحاة

بقلم : د/عبد الرءوف محمد عثمان

● إمام نحاة البصرة ومؤسس مدرستها ـ غير منازع ـ هو سيبويه (ت ١٨٠ هـ) وهو لقب اعجمي فارسي فكلمة (سيب) معناها تفاح ، وكلمة (ويه) معناها رائحة بتقديم المضاف إليه على المضاف ، فإذا ارجعنا الإضافة إلى عربيتنا بتقديم المضاف على المضاف إليه فإن معنى سيبويه يكون (رائحة التفاح) فهو إذاً ـ ومن مضمون الاسم الذى غلب عليه مع انه لقب له ـ من اصل فارسي ، اما اسمه الحقيقي فهو عمرو بن عثمان بن قنبر .

والحديث عن سيبويه في الغالب حديث عن كتابه المسمى (بالكتاب) فقد قالوا[1] : إن كتابه كان أول وضع شامل لقواعد اللغة العربية ، لم تغير الأجيال المتأخرة شيئا من أسسه وقواعده . وقد كان أهل البصرة يفتخرون بالكتاب ويطلقون عليه « قرآن النحو » ، وسماه المبرد « البحر » ، وأن الفراء وهو غريم سيبويه قد مات وتحت راسه (الكتاب) ، ومن المؤكد أن سيبويه بدأ تأليف الكتاب بعد وفاة أستاذه الخليل ، إذ تراه في بعض المواضع يعقب على ذكره لاسمه بعبارة (رحمه الله) ولقد كان الفضل في ذيوع (الكتاب) ونشره للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه .

وهذا عبد القاهر صاحب دلائل الإعجاز يشهد له بالزعامة وينقل عنه ثم يقول بعد نقله عنه « قال شيخنا رحمه الله ... »[2]

وإذا كنا قد أطلقنا على سيبويه إمام نحاة البصرة فقد ذهب الدكتور على النجدى ناصف إلى أبعد من ذلك فسماه إمام النحاة وعنون لذلك كتابه (سيبويه إمام النحاة) .

←

---

(١) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين دار المريخ الرياض .

(٢) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٥٣ ، ٥٤ .

مأساة الزعامة فى حياة إمامى النحاة

وعندما ألف أبو عبيدة (ت ٢٠٧هـ) كتابه (مجاز القرآن) حاول فيه أن يبين ما فى الجملة العربية من تقديم أو تأخير ، أو حذف أو إضمار إلى غير ذلك من وجوه التعبير ، ولقد كان بابا من النحو جدير أن يفتح ، وخطوة حرية أن تتبع الخطوة الأولى فى الكشف عن علل الإعراب ، لكن النحاة كانوا قد شغلوا بكتاب سيبويه ، حتى قال أبو عثمان المازنى (ت ٢٤٧ هـ) «من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستح» فلم تتم عنايتهم إلى ماكشف عنه أبو عبيدة وأهمل كتابه ونسى [٣] .

وظل سيبويه وكتابه هما حديث الناس حتى يومنا هذا وبخاصة أهل اللغة والنحو وإذا كان سيبويه هو إمام نحاة البصرة ، فإن إماما آخر كان فى الكوفة حاز نفس اللقب ولكن لنحاة الكوفة ، فكان على بن حمزة الكسائى هو إمام نحاة الكوفة ، وهو من أصل فارسى كذلك (ولد بالكوفة فى سنة تسع عشرة ومائة للهجرة ، وعادة تذكر كتب التراجم أولية النحو الكوفى مجسدة فى أبى جعفر الرواسى ، ومعاذ الهراء ولكن فى حقيقة الأمر إنما يبدأ النحو الكوفى بدءاً حقيقيا بالكسائى وتلميذه الفراء (ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ) فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله ، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التى يستقل بها عن النحو البصرى ، مرتبين لمقدماته ، ومدققين فى قواعده ومتخذين له الأسباب التى ترفع بنيانه[٤] .

وقد اعترف له بالإمامة أبو الطيب اللغوى فى كتابه[٥] إذ يقول « كان عالم الكوفة وإمامهم ، إليه ينتهون بعلمهم ، وعليه يعولون فى روايتهم »

ولم تكن إمامة الكسائى لنحاة الكوفة عبثا أو مجاملة ، ولكن لأنه رسم منهج النحو الكوفى على أسس ثلاثة [٦]:

(١) الاتساع فى الرواية بحيث تفتح الأبواب على مصاريعها لرواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة .

(٢) الاتساع فى القياس بحيث يعتد فى قواعد النحو بالشاذ والقليل والنادر .

(٣) الاتساع فى مخالفة البصريين اتساعا قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها بآراء لاتسندها الشواهد اللغوية ، بل قد يؤول أحيانا إلى رفض المسموع الشائع .

هذان الإمامان الجليلان والبحران الزاخران عاشا حياة عريضة وشهرة ذائعة الصيت طبقت الآفاق وملأت الأسماع والأبصار . ولكن حياة كل منهما انتهت بمأساة دامية كانت ثمنا لهذه الإمامة والزعامة .

فلقد طمحت نفس سيبويه إلى الشخوص إلى بغداد أملا ، فى الحظوة عند الخلفاء والأمراء [٧] ، فارتحل إليها وهو لايدرى ما خبأه الغيب له ، فرب ساع لحتفه ونزل ضيفا عند يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد ، فاعتزم يحيى الجمع بينه وبين الكسائى ، بعد أن عرف الرشيد جلية الأمر ، وعين لذلك يوما فى دار

---

(٣) إحياء النحو ص ١٠ .

(٤) المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ص ١٥٤ .

(٥) مراتب النحويين حققه الأستاذ الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٦) المدارس النحوية .

(٧) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى .

الرشيد ، فحضر سيبويه أولا ، وتلاقى مع تلاميذ الكسائى الفراء والأحمر ، وهشام بن معاوية الضرير ، ومحمد بن سعدان ، وسأله الأحمر عن مسائل وكلما أجابه بجواب قال له أخطأت يابصرى ، ثم جاء الكسائى ومعه طائفة من عرب الحطمة (وهم عشيرة من بنى القيس نزلت ببغداد) وقد غصت الدار بالحضور على مشهد من يحيى وابنه جعفر . ثم بدأ الكسائى الحديث وقال له كيف تقول : خرجت فإذا زيد قائم ، فنطق بها سيبويه ، فقال له الكسائى . أيجوز فإذا زيد قائما ؟ فقال سيبويه : لا ، لأن العرب الفصحاء لا ينطقون (قائما) فى هذا المثال ونحوه إلا مرفوعة وفى القرآن الكريم ﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[٨] ، وقوله تعالى أيضا ﴿ .... فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[٩] .

اى أن مابعد إذا فى هذه الأمثلة مبتدأ وخبر مرفوعان ، وأظهر الكسائى تعجبه من رفضه لنصب كلمة (قائم) وقال فلنرجع إلى من يحضرنا من العرب وهم من عرب الحطمة كما أسلفنا ، وكان البصريون لايعتدون بلغتهم لأنهم من العرب المتحضرين الذين يمكن أن يكون قد دخل الفساد على ألسنتهم فسألهم الكسائى كيف تقولون : (قد كنت أحسب أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور إياها) فقال نفر منهم « فإذا الزنبور هى » وقال آخرون « فإذا الزنبور إياها » وأصر سيبويه على موقفه من الرفع ، وقال الكسائى : العرب ترفع ذلك وتنصبه ، وقد اقتنع يحيى بما قاله الكسائى بعد أن أيده عرب الحطمة على مرأى من سيبويه ومسمع ، فأقبل على سيبويه وقال له : قد تسمع أيها الرجل فاستكان سيبويه عند ذلك وانقبض خاطره ، فقال الكسائى ليحيى : أصلح الله الوزير ، إنه قدم إليك راغبا فإن أردت ألا ترده خائبا ، فرق له يحيى وجبر كسره فخرج من بغداد وتوجه تلقاء فارس يتوارى من الناس من سوء مالحقه ، ولم يقدر أن يعود إلى البصرة فمات غما فى ريعان شبابه وقال قرب احتضاره متمثلا :

يؤمل دنيا لتبقى له
فوافى المنية دون الأمل
حثيثا يروى أصول الفسيل
فعاش الفسيل ومات الرجل[١٠]

وقد رويت هذه المناظرة على صور مختلفة ، ويرى جمهرة العلماء أن إصبع السياسة لعبت دورا كبيرا فى هذه الحادثة الخطيرة لأنها حكم بين المصرين (البصرة والكوفة) لابين الرجلين ، وما وافق العرب الكسائى إلا لعلمهم أنه ذو حظوة عند الرشيد وحاشيته ، وهم على يقين بن الحق مع سيبويه والقرآن الكريم أصدق شاهد له كما سبق فى الآيتين ، ولو ثبت النصب لكان خارجا عن القياس واستعمال الفصحاء ، ولذا تمحل النحويون فى تخريج هذا النصب وشغل هذا أذهان النحويين فى تخريج هذا النصب على أوجه ثم تعقبوها ذكر بعضها الرضى فى شرح الكافية باب الظروف ، وأفاض القول فيها الأعلم الشنتمرى ونقل كلامه المقرى فى نفح الطيب فى فصل برأسه الجزء الثانى ، عنوانه « المسألة الزنبورية »[١١] .

ولقد أجاد التفصيل ابن هشام فى كتابه المغنى فى مبحث (إذا) فذكر لهذه المسألة أوجها

---

(٨) الآية ٣٣ من سورة الشعراء .

(٩) الآية ٢٠ من سورة طه .

(١٠) حثيثا مسرعا ، الفسيل النخل الصغير يقطع من أمه فيغرس واحدته فسيلة .

(١١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة .

خمسة مع التعقيب على كل وجه بما يفنده .

الوجه الأول : أن الظرف وهو إذا نصب الضمير لأن فيه معنى وجدت .

الوجه الثانى : أن الضمير المنصوب استعير من مكان ضمير الرفع .

الوجه الثالث : أن الضمير مفعول به والأصل فإذا هو يساويها ثم حذف الفعل فانفصل الضمير .

الوجه الرابع : أن الضمير مفعول مطلق والأصل فإذا هو يلسع لسعتها .

الوجه الخامس : أن الضمير مفعول منصوب على الحال من الضمير فى الخبر المحذوف والأصل فإذا هو ثابت مثلها ، ثم حذف المضاف فانفصل الضمير .

ولئن ظفر الكسائى بسيبويه فى هذه المناظرة ظلما ، لقد ثُئر له منه على يد اليزيدى فى المناظرة التى اندحر فيه الكسائى ، فلقد اجتمع الكسائى واليزيدى : عند الرشيد فجرت بينهما مسائل كثيرة فقال له اليزيدى اتجيز هذين البيتين ؟

مارايت خربا نقـــر عنه البيض صقر
لايكـون الـعـير مـهـرا
لايكـون ، المهر مهـر (١٢)

فقال الكسائى : يجوز على الإقواء ، وحقه لايكون المهر مهرا .

فقال له اليزيدى : فانظر جيدا ، فنظر ثم أعاد القول فقال اليزيدى : لا يكون المهر مهرا محال فى الإعراب ، والبيتان جيدان . وإنما ابتدأ الشاعر فقال : المهر مهر ، وضرب بقلنسوته الأرض ، وقال : انا أبو محمد فقال له يحيى بن خالد : خطأ الكسائى مع حسن أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء أدبك ، اتكتنى قدام أمير المؤمنين وتكشف رأسك ؟

فقال إن حلاوة الظفر وعز الغلبة أذهبا عنى التحفظ .

ولقد أخطأ الكسائى خطأ عروضيا أيضا فى إجابته ، ولعل نشوة النصر عند اليزيدى جعلته لا يلحظه ، وهو التعبير بالإقواء وحقه أن يعبر بالاصراف .

فالإقواء : اختلاف حركة الروى فى قصيدة واحدة وهو أن يجىء بيت مرفوعا ، وأخر مجرورا نحو قول النابغة :

امن آل أمية رائح ، او مفتدى
عجلان ، ذا زاد ، وغير مزود .

ثم قال :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود .

أما الإصراف فهو إذا كان مع المرفوع أو المجرور منصوب مثل :

أطعمت جابان حتى اشتد مغرضه
وكـاد ينقد لـولا أنـه طـافـا
فقـل لجابـان يتـركنـا لطيتـه
نوم الضحى بعد نـوم الليل إسراف(١٣)

والخليل لايجيز هذا ولاأصحابه (١٤)

وهكذا كانت النهاية بل المأساة فى حياة هذين العلمين الميزين ، والعلمين الخفاقين للمصرين بسبب الإمامة أو الزعامة النحوية .

---

(١٢) الخرب = ذكر الحبارى ، نقر = نقب البيض لخروج الفرخ ، و (لايكون) فى اول الشطر الثانى تاكيد لفظى .

(١٣) جابان اسم رجل ، والمغرض = أسفل البطن ، وطاف = برز لقضاء الحاجة

(١٤) الوافى فى العروض والقوافى صنعة الخطيب التبريزى .

حول التأثير السلبي للــدرامـــا

للأستاذ/ عاطف شحاته زهران

للتليفزيون والسينما فاعلية فريدة وتأثير بالغ لاعتمادهما على حاستي السمع والبصر معاً ، ولذا تستحوذ هاتان الوسيلتان على اهتمام كامل من جانب الجماهير خاصة اهتمام الأطفال . وكشفت بعض الدراسات عن ان اغلب الأطفال وكثيراً من الكبار يميلون إلى قبول جميع المعلومات التي تظهر في الأفلام وتبدو واقعية ـ بدون تساؤل ـ ويتذكرون تلك المواد بشكل افضل ..

قد يقبل البعض هذا القول . وقد يرفضه البعض ، ظانا أننا نبالغ مع أن تأثير وسائل الإعلام أضحى من البدهيات التي لا تناقش ومن ثم أعدت الدول عدتها لاستغلالها في تحقيق أهداف خاصة والتأثير على جمهور وسائل الاتصال الحديثة العريض بطرق شتى .

وللدراما على وجه الخصوص تأثير قوي على متلقيها لأسباب عديدة . من هنا ينبغي على الموجهين للمواد الدرامية تنقيتها مما يؤثر بطريقة سلبية على جماهير المشاهدين وله أسلوبه الذي يشيع فاحشة أو ينشر فساداً ..

وكم قرأنا شكاوى عديدة عن تأثير الدراما السلبي على الأطفال والشباب دون مجيب ولا مقدر لعواقب الأمور .

ونسوق هنا شكوى جاءت على لسان فتاة في سن الزواج تقول فيها : « في مشهد من فيلم تليفزيوني دار حوار بين البطل والبطلة .

قالت له : وهبتك نفسي ، .

فقال : وأنا قبلت الزواج منك .

فتساءلتْ : بدون شهود !؟

فنظر إلى السماء وقال يشهد الله والطيور على ذاك الزواج .

ثم تستطرد الفتاة قائلة :

بعد قليل من عرض هذا الفيلم في التليفزيون فوجئنا ببعض الفتيان والفتيات يكررن ذاك المشهد ـ حقيقة لا تمثيلاً ـ حتى أن ابن صاحب المصنع الذي تعمل فيه ـ والذي وقعت فيه هذه الزيجات ـ طلب مني أن أهب له نفسي على سنة الله ورسوله (كذا) ! ..»*

وهذه الشكوى تطرح قضية على جانب كبير من الأهمية ، هي أن التليفزيون قد نشر مفهوماً

←

* أذيعت في برنامج « ماذا تفعل لوكنت مكاني » من إذاعة القاهرة في ١٩٨٨/١١/٢٧

حول التأثير السلبي « للدراما »

دينياً خاطئاً عن الزواج على عين الموجهين له والمسئولين عنه والرقابة التي سمحت بعرض ذاك المشهد بما له من تأثير خطير على ملايين المشاهدين .

وتنجم خطورة عرض المشهد من ناحيتين هما :

الفهم الخاطىء لزواج الهبة والذي أجمع العلماء على عدم جوازه قال الإمام القرطبي في تفسيره :

أجمع العلماء على أن هبة المرأة نفسها غير جائز ، وأن هذا اللفظ من الهبة لا يتم عليه نكاح إلا ما روى عن أبي حنيفة وصاحبيه فإنهم قالوا : إذا وهبت فأشهد على نفسه بمهر فذلك جائز . قال ابن عطية : فليس في تجويزهم إلا العبارة ولفظة الهبة . وإلا فالأفعال التي اشترطوها هي أفعال النكاح بعينه[1] .

وقال المراغي في تفسيره :

﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأحزاب / ٥٠ . أي أحللنا لك التمتع بالمرأة التي تهب نفسها لك بلا مهر إن أردت ذلك . وهذه الإباحة خاصة لك من دون المؤمنين . فلو وهبت امرأة نفسها لرجل وَجَبَ عليه لها مهرُ مثلها كما حكم بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم[2] .

ثانياً : الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يواجهها بعض الشباب قد تضطرهم لسلوك ذلك الدرب الذي لا يعلم منتهاه إلا الله وحده .. دون معرفة منهم بهذا الحكم بسبب أميتهم التي تحول بينهم وبين مطالعة الصحف والكتب . أو عدم إقبالهم على المواد

الدينية في الإذاعة والتليفزيون والصحف . وفي هذه الحالة ليس إلا التليفزيون هو مصدرهم الرئيسي لاستقاء المعلومات . أو قل إن شئت : قد تصبح الدراما بالذات ـ الفيلم والمسلسل والتمثيلية والقصة وغيرها ـ هي مصدر استقاء المعلومات بالنسبة للكثيرين منهم .

وثمة مسألة أخرى يجب عدم إغفالها . وهي أن الأفلام التليفزيونية ـ إلا القليل منها ـ سبق عرضها مرات عديدة ولأيام طويلة في السينما وشاهدها جمهور عريض وهو وإن كان دون جمهور التلفزيون إلا أن المؤكد أن تأثيراً ما قد حدث على مشاهدي تلك الأفلام ممن لم تتح لهم المعرفة الدينية الصحيحة أو الثقافة الدينية المناسبة من الأسرة والمدرسة التي تحصنهم ضد خاطىء الأفكار وضلال الرأي .

وهذه الشكوى التي تقدمت بصدر المقال ليست إلا حالة واحدة من حالات لم يفكر أصحابها في نشرها أو الاستفسار عن صحة ما جاء بها وإن صح ما تقوله صاحبة الرسالة . فكم من الجرائم ترتكب بسببك أيها التليفزيون !؟

وقد نحسن الظن بالتليفزيون أو نلتمس العذر لكن .. أفي الأحكام الشرعية ؟ ومن ذا الذي يتحملها ؟.. وما ترتب على إشاعة الخطأ والتغرير من فساد يعلق بأعراض الناس .. من ذا الذي يقوم لله تعالى .. فيقول : اعْفُ عنه ياربنا ..!! حاش لله .

والمفروض أن التليفزيون الذي دخل عامة

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ٢١١

(٢) تفسير المراغي جـ ٢٢ ص ٢٣

البيوت تقريباً أداة تنوير بعد دخول الألوان التي تزيد من فعاليته لما له من خصائص لا تتوافر لغيره من وسائل الإعلام الأخرى . فالوضوح الذي تعرض به اللقطات والقدرة على جذب الانتباه والتركيز على دقائق الصورة الفنية .. كل هذه المميزات تجعله وسيلة فعالة للثقافة والإرشاد والتوجيه علاوة على كونه وسيلة هامة للتسلية والترفيه ..

إن الإنسان يكتسب ثمانية أعشار معلوماته عن طريق حاسة البصر . كما أن استيعابه للمعلومات يزداد بنسبة ٣٥ ٪ عند استخدام الصورة والصوت في وقت واحد ، كما تطول مدة الاحتفاظ بهذه المعلومات عندئذ بنسبة ٥٥ ٪ ..

وهذه الحقائق التي أثبتتها الدراسات الإعلامية العديدة تجعلنا على حذر دائم حتى لا نسيىء من حيث نريد الإحسان .

وحين يتساهل التليفزيون في عرض أمثال ذاك المشهد إنما يوقع فتياتنا ضحايا .. والضحايا هنا غير محددين ولا معروفين فقد يكن من دنيا الفئات أو من أعلاها إذا استوى الجميع في ضحالة الثقافة الدينية وعدم تمييز الجائز من الممنوع .

ولقد كان من الممكن الاستفسار عن حكم زواج الهبة بالرجوع إلى أهل الذكر وهم كثير بفضل الله . أو إلى تفسير معتمد أو أحد كتب الفقه المشتهرة لمعرفة الحكم : كيف يكون ..؟

ولقد آن الأوان إلى التماس معرفة القدر الثقافي من المعلومات الدينية لدى كتاب هذه القصص والمسرحيات .. ومنذ أولي الأزهر أمر الاطلاع على بعض النصوص ومناقشة كاتبيها .. رأينا العجب .

العجب الذي يحسن السكوت عليه فاتقوا الله معاشر المؤلفين والمنتجين والمعدين للمواد الدرامية ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ الأحزاب ٧٠ ، ٧١ .

إن الله سبحانه سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النور ١٩ .

وبعـــد :

فنحن على أعتاب عصر جديد يشهد قفزات في صناعة الاتصال أكثر من هائلة . وحسبنا أننا على بعد خطوات أو أيام معدودات من البث المباشر من أجهزة الإعلام في مشارق الأرض أو مغاربها عبر الأقمار الصناعية والتى تمثل أخطر مراحل الغزو الفكرى حيث تقدم لنا تلك القنوات ما تريد هى وما تحب لا ما نريده نحن أو نحبه . فيه من النفع الكثير ، ومن الخطر ما هو أكثر فلا أقل من أن تلتزم وسائل إعلامنا نحن وتستعد وتعد المواطن لمواجهة الغزو الإعلامى القادم من بعيد وتساعد وتعمل على حراسة القيم والمثل لا تقويضها . وتقوية الجسد الإسلامى بتحصينه ضد الطعنات التى ستأتيه من جهات عديدة لا إضعافه وإنهاكه حتى يسقط فريسة من الجولة الأولى أسير أفكار وآراء غريبة عنه .

أدركوه قبل أن يتسع الخرق على الراقع .

فتحملوا ـ معاشر المنتجين للدراما ـ مسئولياتكم كاملة أمام الله والمجتمع والناس والتاريخ ولا تضيعوا أوقاتنا وأوقاتكم فى تافهات الأمور فالوقت يمضى وساعة الصفر تقترب .

عفا الله عنا وهدانا لما فيه خيرنا .

من خير ما نشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

تحت عنوان «قرآن وسنة» «الجمهورية» كتب الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى

تطرفنا «مجلة الأزهر» فوق ما تحوى من مقالات جيدة ، بكتيب نافع جيد .

وشكر الله للأستاذ الفاضل الشيخ أحمد رجب ما يبذل من جهد فى تحقيق هذه الكتيبات أو بعثها من مرقدها .

وكان من طرف المجلة التى حققها الشيخ رجب كتاب «تنزيه الأنبياء من تسفيه الأغبياء» للإمام جلال الدين السيوطى ، وهو مبنى على أصول وفوائد ذكرها القاضى عياض فى كتاب «الشفاء» . وتناولها بعده الشراح .

والكتاب مبنى على حادث وقع من الشيخ شمس الدين الحمصانى إمام الجامع الطولونى فى عهد السيوطى ، وذلك أن شخصين تسابا ، فعير أحدهما الآخر بأنه يرعى المعزى ، وكان هذا ابن الشيخ شمس .

فقال الرجل الساب : الأنبياء رعوا المعزى ، أو ما من نبى إلا رعى المعزى ، وكان ذلك بسوق الغزل بجوار الجامع .

وقال قاضى القضاة المالكى : لو رفع إلى هذا الرجل ضربته بالسياط .

وقال آخرون بأنه يستحق أن يعزر التعزير البليغ ، لأن مقام الأنبياء أجل من أن يضرب ، أو يتخذ حجة لآحاد الناس .

وذهب الشيخ السيوطى ينقل عن القاضى عياض أحوال من يقول مثل هذا الكلام وجزاءه فى كل حالة ، وفى حديثه نقل عن السابقين من الفقهاء وحالات الكبار الحكام . ومن ذلك أن عمر بن عبدالعزيز طلب كاتبا يكون أبوه عربيا ، فقال أحد كتابه : «كان أبو رسول الله كافرا» فقال له عمر : أجعلت هذا مثلا ؟ لا تكتب لى بعد هذا أبدا ، وعزله .

وذكر أيضاً أن أبا نواس أنشد هارون الرشيد بقوله :

فإن يك باق سحر فرعون فيكمو
فإن عصا موسى بكف خصيب

فأنكر عليه هذا القول وقال له : يا ابن اللخناء أنت المستهزىء بعصا موسى وأمر بإخراجه من عسكره هذه الليلة «واللخناء : هى المرأة كريهة الرائحة» .

ولخص حديثه أخيرا بأنه يجب احترام الأنبياء ، وأنه لا يجوز ذكر ما فيه تنقيص لهم ، وقد أفاض القاضي عياض فى هذا .

وأعجبتنى كلمة الشيخ أحمد رجب فى تقديم الكتاب إذ قال : إن أولى الناس بفهم هذا الكتاب هم طبقة الممثلين الذين يتفكهون فى أحاديثهم لاضحاك الناس بذكر الله تعالى ورسوله ، وكم عبارة يسوقونها متصلة بالعقيدة فى صورة خالية من الإجلال .

ويذكرنى هذا بما جاء فى كتاب تاريخ الأنبياء فى القرآن للدكتور أحمد منصور ، وقد ذهب عنى هذا الكتاب ونفضت يدى منه ويستطيع صاحبه أن يقرأ هذا الكتاب الذى ذكرت ليفيد حين يريد ن يكتب عن الأنبياء .

عن مكافحة المخدرات

كتب الأستاذ مرسى طنطاوى . الأخبار

برغم الجهود المثمرة والمضنية والمكثفة من رجال الشرطة ، للقضاء على تجارة السموم البيضاء بكل ما تحتويه من أنواع المخدرات الطبيعية ، والمخدرات المخلقة والمستحدثة ، إلا أن الواقع يؤكد أننا «نحرث فى ماء البحر» فلازالت وستظل هذه التجارة المهلكة طالما بقى تجار جملة لهم عيون ونفوذ .. وتجار تجزئة منتشرون كالنار فى كل أوساط المدمنين وقد ينكمش التجار بعض الوقت أمام تلك الحملة الشجاعة من رجال الشرطة ولكنهم - أى التجار - سريعا ما يستردون رباطة الجأش أمام بريق الذهب . والمدمن الذى فقد ذاته وأسرته ومستقبله وحياته لن يفيق ولن يشفى .

إذن ستبقى الدائرة مغلقة .. ولن تنكسر أو تتحطم إلا إذا تعاون المواطنون مع الشرطة ، وحتى يؤتى هذا التعاون أكله ينبغى أن تخصص مكافأة مالية بنسبة مئوية من المبالغ النقدية المضبوطة لدى تاجر الجملة أو تاجر التجزئة ، لكل من يدلى بمعلومات تؤدى إلى القبض على هؤلاء الأشرار أو أحدهم دون الكشف عن اسم من نال المكافأة حتى لا يتعرض هو أو ذووه للانتقام. شرط ألا نعفيه من المسئولية إذا ثبت عدم صحة البلاغ أو الإرشاد .

إن صرف المكافأة للمرشد أو المبلغ سوف يساهم إلى حد كبير فى محاصرة هؤلاء القتلة .

كـل يـوم

للأستاذ عبد المنعم قنديل . أخبار اليوم

أمنية تراود خيالى منذ سنوات أن أؤلف مكتبة دينية للأطفال تضم قصصا عن شمائل النبى ﷺ وعن حياة الأنبياء ، كما وردت فى القرآن الكريم .. وعن تاريخنا الإسلامى .

فلاشك أن أولادنا بحاجة إلى تعريفهم بهذه الشمائل عن طريق قصص يجمع بين حقائق التاريخ وبين السلاسة ، حتى يتربوا على الآداب النبوية السامية . فكل الانحرافات التى حدثت للشباب سببها عدم تنشئتهم على هذه الشمائل ، وبعدهم عن السيرة النبوية وقيمها وآدابها .

إنهم بحاجة إلى معرفة ما كان يتحلى به النبى - ﷺ - من أمانة وصدق وصبر وتواضع وحلم وعفة وحياء وشجاعة وعلم وجود .. وغير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره .

خير من خير مانشر

فأولادنا بحاجة إلى مكتبة دينية فى كل بيت لكى نربى فيهم الفضائل التى تجعل منهم جيلاً بعيداً عن الغلو والتشدد والقصص الدينى هو خير وسيلة لهذه الثقافة .

المستشرقون دسوا السم فى العسل

تحت عنوان «يهدى الله لنوره من يشاء» كتب الأستاذ حسن مناع رئيس تحرير مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية فى عدد جمادى الأولى ١٤١٠ هـ محذرا من خطورة الفكر الاستشراقى قائلا :

« ... من أجل قهر المسلمين والسيطرة عليهم فكريا نشطت حركة الاستشراق فى العالم الإسلامى بدعم من المؤسسات الدينية ، ومساندة المؤسسات السياسية لها ضمانا لاستمرار المستشرقين فى براعة الظهور وقوة الانتشار ، ووصولا إلى نتائج تهدف إلى رسم صورة مشوهة عن الإسلام فى نظر القراء غير المسلمين وإلى إثارة ضباب الشك والتضليل بالنسبة للقارىء المسلم الذى لا يعرف الإسلام معرفة واعية !

ومن المؤسف حقا أن بعض المسلمين سحرهم ما قدمه المستشرقون من أبحاث ودراسات ، وبهرهم ما قاموا به من جهد وما بذلوه من فكر وقد غاب عنهم أنهم دسوا السم فى العسل وأن كتاباتهم ظاهرها عطاء علمى وإخلاص للتراث الإسلامى ، وفى باطنها سوء القصد وسهام الغدر .

هذا وكان المستشرقون فى ممارسة البحث والدراسة وفى ميدان الفكر ثلاثة تشكيلات ـ المجموعة الأولى منهم كانت فى بداية حركة الاستشراق وكانت كتاباتهم تطفح بالحقد الفاجر والهجوم السافر على الإسلام ، وهذه الهجمة الشرسة لقيت القبول لدى أهل الشرق الملحد والغرب الصليبى المتربص ، ولكنها قوبلت فى بلاد المسلمين بالرفض القوى والمقاومة الصادقة ، وخاصة فى القضايا التى تتصل بالعقيدة وتمس قدسية القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة ، لأن المسلم يغار على دينه ويتغالى فى الدفاع عن عقيدته مهما كانت عنده رقة فى الدين أو انحراف فى السلوك ـ الأمر الذى جعل الغزو الفكرى عاجزا عن الوصول إلى هدفه الخبيث .

مما جعل المجموعة الثانية تغير الخطة والأسلوب ، بعد أن رأت فشل الهجوم المباشر على الإسلام وحضارته ، فالتزمت بعرض الأبحاث الإسلامية فى لون من المكر والدهاء ، وابتكرت معالجة جديدة من شأنها توفير المودة والائتلاف وكسب ثقة المسلمين من جديد ، عن طريق الإشادة بالإسلام ورسوله .

هذا الاتجاه نشّط الإقبال على قراءة ما يكتبه المستشرقون من غير حذر من جانب القارىء المسلم ، فهو يتقبلها على أنها حق وهو لا يدرى أن المستشرق المرائى يدس فى ثنايا بحثه طعنا محجبا وهجوما غير مباشر !

هذه المجموعة من المستشرقين أشد خطراً وأقوى تدميراً من سابقتها ، ولذا كان المنافقون المخادعون أخوف من الكافرين المجاهرين بكفرهم .

الشباب المسلم بين واقعه وتطلعاته

ونشرت مجلة «المنهل» السعودية فى عددها رقم

٤٧٤ مقالا للأستاذ قاسم الخطاط بعنوان «الشباب المسلم بين واقعه وتطلعاته» جاء فيه :

كيف نبدأ الطريق إلى الإصلاح وما هي الأساليب التي علينا أن نتبعها في الدعوة إلى تعاليم الإسلام ، وإلى نبذ الممارسات المخالفة للإسلام في المجتمعات التي نعيش فيها ؟ إن خير قدوة يمكن أن يتطلع إليها الشباب المسلم وهو يبحث عن الطريق إلى الإصلاح هو شخص النبي ﷺ والأساليب التي اتبعها واستطاع بها أن يحول أهل الجاهلية من القبائل المتناحرة المتقاتلة إلى قوة حطمت الأكاسرة والقياصرة وما يمثلونه من ظلم واستبداد ، ونشرت في أرجاء الأرض أعظم وأرقى ما عرفته الإنسانية من المثل العليا ، وأرست دعائم الحق والخير والحرية واحترام آدمية الإنسان .

يجب علينا أن نستيقظ من سباتنا العميق لنستقبل حياة جديدة ، ونتطلع إلى المركز الذي ينبغي أن تكون فيه أمتنا الإسلامية ، وننظر من خلال التاريخ إلى ما كان لها في سابق الزمان تحت راية الإسلام من صورة رائعة ، قوة السلطان وبسطة في الأرض وحضارة زاهرة ، واستمتاع بطيبات العيش وزينة الحياة التي أخرج الله لعباده ، ونتوق إلى أن يكون لنا في حياتنا الجديدة مثل هذه الصورة الحافلة بكل مظاهر النشاط والحياة والقوة والعزة .

تقدير تعداد المسلمين

نشرت مجلة «منار الإسلام» الإماراتية في عددها الصادر في جمادى الأولى ١٤١٠ هـ دراسة علمية موثقة للدكتور عادل طه بعنوان : «اختلاف المصادر الإسلامية والغربية في تقدير تعداد المسلمين في العالم» ومما جاء فيها :

«ازداد اهتمام الغرب في الآونة الأخيرة بالعالم الإسلامي اهتماما واضحا وتم نشر المزيد من الأبحاث والدراسات الخاصة التي تبرز مدى القدرات البشرية والمزايا الاقتصادية والثقل السياسي الذي يمثله هذا العالم .

وربما يعود هذا الاهتمام إلى ما سمى بالصحوة الإسلامية والتي انتشرت مؤخرا بين شعوب الأمة الإسلامية في أنحاء العالم وامتدت آثارها لتشمل انضمام أعداد متزايدة من المفكرين والمثقفين في الغرب إلى قافلة الإسلام المباركة وتحول الكثير منهم إلى دعاة لهذا الدين الحنيف .

ومن الموضوعات التي اهتم بها الباحثون في الغرب اهتماما كبيراً مسألة تعداد المسلمين في العالم ، حيث تضاربت التقديرات المختلفة لهذا التعداد ، ويرجع ذلك إلى ندرة المعلومات والبيانات الإحصائية الخاصة بأعداد المسلمين في عدد كبير من دول العالم الإسلامي حيث إن معظم تلك الدول تنتمي إلى مجموعة ما يسمى الدول النامية ، وكثير منها حديث الاستقلال ولم يأخذ بعد بأسلوب التعداد . وأصبحت مسألة عدد المسلمين في العالم مسألة تقديرية بحتة تعتمد نتائجها على من يقومون بعملية التقدير نفسها وقد لوحظ أن المصادر الغربية بوجه عام تميل إلى التقليل من أعداد المسلمين في دول العالم بصورة ملحوظة وذلك للتهوين من شأن المسلمين وحتى لا يظهروهم كقوة بشرية مؤثرة لها وزنها الفعال» .

أنباء وآراء

إعداد :
د . عبد العزيز عزت عبد الجليل
عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد

قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الكاثوليكية بأمريكا

قبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الدعوة الموجهة لفضيلته من رئيس الجامعة الكاثوليكية ـ بالولايات المتحدة الأمريكية بمناسبة افتتاح « قسم الدراسات الإسلامية » بالجامعة فى ذكرى مرور مائة عام على إنشاء الجامعة وذلك فى الفترة من ١٢/٩ إلى ١٩٨٩/١٢/١٦ .

وقد حضر حفل الافتتاح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وأعضاء المحكمة العليا وأعضاء مجلس الشيوخ ، إلى جانب العديد من الشخصيات المرموقة فى العالم ، وبلغ عدد الحضور حوالى ألفى شخص . كما شارك فضيلة الدكتور / محمد سيد طنطاوى مفتى جمهورية مصر العربية فى هذه المناسبة .

والتقى فضيلة الإمام الأكبر بالرئيس الأمريكى « جورج بوش » الذى أشاد بالدور الذى يقوم به « الأزهر » فى خدمة الإنسانية وإحلال السلام فى العالم .

وقد عاد فضيلة الإمام الأكبر بسلامة الله إلى أرض الوطن فجر يوم السبت الموافق ١٧ من جمادى الأولى عام ١٤١٠ هـ ـ ١٦ من ديسمبر ١٩٨٩ .

افتتاح مركز تعليم اللغة الانجليزية بكلية أصول الدين بالقاهرة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال شهر جمادى الأولى ١٤١٠ هـ مركز تعليم « اللغة الانجليزية » بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة .

ويضم المركز ثلاثين طالباً متفوقاً من السنة الثالثة بالكلية ، يهدف المركز إلى تخريج فئة متميزة من الدعاة المجيدين للغة الانجليزية لسد حاجة المراكز الإسلامية بالخارج .

ومدة الدراسة بالمركز سنتان تشمل عشر دورات مكثفة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته على أهمية تخريج دعاة قادرين على الدعوة إلى الإسلام باللغات الأجنبية حتى يمكن توصيل الدعوة إلى أهل هذه البلاد .

إشهار الإسلام

أشهر مائتان وخمسة يمثلون مختلف دول أوروبا وأمريكا ، وأفريقيا ، وآسيا إسلامهم أمام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال عام ١٩٨٩ م .

وذلك بعد مناقشتهم ، ومعرفة رغبتهم الصادقة فى اعتناق الدين الإسلامى .

وقد تم تزويدهم ببعض الكتب الإسلامية التى تتناول شرح مبادىء الإسلام وأركانه وذلك بلغاتهم الأصلية .

كما تم منحهم « شهادة إشهار إسلامهم » باللغتين العربية والانجليزية معتمدة بتوقيع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

من توجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ..

تم إمداد سفارة جمهورية مصر العربية فى كوالالمبور ـ ماليزيا .

والسفارة المصرية فى كوناكرى ـ غينيا ـ
والسفارة المصرية فى جاكرتا ـ أندونيسيا .
والسفارة المصرية فى باماكو ـ مالى .

بأعداد من المصحف الشريف « طبع الأزهر الشريف » .
ومجموعات من الكتب الدينية والثقافية .

وذلك خلال شهر نوفمبر ١٩٨٩ م . ربيع الآخر سنة ١٤١٠ هـ .

الدين الإسلامى دينا رسميا

اقرت « لجنة الحريات الدينية » بوزارة العدل الأسبانية اعتبار الدين الإسلامى ديناً رسمياً إلى جانب الديانات الأخرى .

والجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى « أسبانيا » حوالى مائتى ألف نسمة .

« جريدة الشريعة ـ عمان ـ الأردن
اكتوبر ١٩٨٩ » .

أول جامعة إسلامية بالصين

أعلن فى العاصمة الصينية عن افتتاح أول جامعة إسلامية بها . يعيش فى الصين خمسة عشر مليوناً من المسلمين .

وهذه الجامعة التدريبية الثقافية تقدم دورات فى اللغة العربية مدتها عامان ، كما تقدم دورات فى القانون واللغة الانجليزية بالإضافة إلى حلقات دراسية خاصة للمسلمين .

عن مجلة « التضامن الإسلامى » .
إصدار وزارة الحج والأوقاف
بمكة المكرمة ـ نوفمبر ١٩٨٩

٣,٥ مليار دولار سنويا و ١١٢ ألف مبشر لتحويل أفريقيا عن الإسلام

كشف تقرير أعدته « الجمعية الدولية للإسلام والعرب » . عن عمليات التنصير التى تقوم بها جماعات مسيحية ويهودية مشبوهة مقرها أوروبا وأمريكا .

وقد ذكر التقرير أنه تم رصد ٣,٥ مليار دولار

←

أنباء وآراء

سنوياً وجيش من المبشرين يبلغ ١١٢ ألف مبشر لتنفيذ عمليات تستهدف تحويل قارة أفريقيا كلها إلى قارة صليبية .

وذكر التقرير الخطير أنه لتنفيذ ذلك المخطط يستخدمون أبشع الأساليب ، وذلك بإرهاق المسلمين اقتصادياً عن طريق إغراقهم بالديون واستخدام وسائل العصر من علوم وتقنيات لإشاعة الفوضى والانحلال الخلقي في صفوفهم .

ترجمة القرآن الكريم

تمت حتى الآن ترجمة القرآن الكريم إلى مائة وأربع وعشرين لغة في مختلف أنحاء العالم وهي جزء يسير من اللغات التي ينطق بها المسلمون المنتشرون في أقطار الأرض .

وقد ظهرت أول ترجمة « لمعاني القرآن الكريم » في القرن الثاني للهجرة . وتوالت بعدها الترجمات حتى أصبحت عديدة وبأقلام مختلفة في ذات اللغة الواحدة ومعظمها كان يتم بأيد إسلامية أمينة ، ويتم النقل مباشرة عن اللغة العربية رغبة في تبليغ رسالة الإسلام لشعوب العالم إلا أنه في وقتنا الحالي ظهرت في الأسواق ترجمات عديدة قام بها أفراد من غير المسلمين ممن لا يتقنون اللغة العربية وهذه الترجمات تنقصها الدقة والأمانة ، ولا ترضى عنها معظم الهيئات الإسلامية .

عن جريدة نداء الإسلام ـ إصدار فيينا ـ اكتوبر ٨٩ ومجلة التضامن الإسلامي بمكة المكرمة » .

٧٠٪ من لاجئي العالم مسلمون

أوضح إحصاء « للأمم المتحدة » أن ٧٠٪ من مجموع العدد العالمي للاجئين هم مسلمون يعيشون في دول إسلامية .

وقال إن عدد اللاجئين في مختلف دول العالم بلغ ١٣ مليون لاجيء منهم ٧٥٪ من النساء والأطفال .

وأشار الإحصاء إلى أن رعاية شئون اللاجئين في العالم تحتاج إلى ٥٠٠ مليون دولار . وذكر التقرير أن اسهام الدول الإسلامية في هذا المبلغ يمثل أقل من ١٪ .

ومما هو جدير بالذكر أن الزكاة على أموال المسلمين الأغنياء في العالم تكفي لحل مشكلة اللاجئين المسلمين .

تدريس الدين الإسلامي

أصدرت حكومة « ماليزيا » قراراً بتدريس الدين الإسلامي في جميع مدارسها تلبية لرغبة المسلمين « بماليزيا » لكي يتعلم النشء التربية الإسلامية .

كما تقرر دعم أنشطة المجلس الوطني للشئون الإسلامية في « ماليزيا » للقيام بمهامه في الإشراف على الدعوة الإسلامية ..

استمرار مسلسل الاضطهاد البلغاري للإسلام والمسلمين ببلغاريا

قامت الحكومة البلغارية مؤخراً بهدم ألف

مسجد وحرق آلاف المصاحف ضمن سلسلة اضطهاد المسلمين والإساءة للدين الإسلامي ببلغاريا .

جاء هذا في تصريح للسيد / عونى أوغلو زعيم مسلمي بلغاريا .

وناشد السيد / أوغلو الهيئات الإسلامية بمساعدة مسلمى بلغاريا .

مدرسة إسلامية في روسيا لتخريج الأئمة

تم افتتاح أول مدرسة إسلامية بمدينة « أوفا » بجمهورية روسيا الاتحادية لتخريج الائمة والمؤذنين .

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن المدرسة تلقى إقبالاً كبيراً من الطلبة السوفييت الذين سارعوا للالتحاق بها حيث يدرسون أصول ترتيل القرآن الكريم والفقه الإسلامي واللغتين العربية والانجليزية ..

« لحم الخنزير »

اكدت التقارير الصحية بأمريكا أن عدد الذين يموتون بسبب اكلهم للحم الخنزير يفوق بكثير الذين يموتون بسبب حوادث القتل أو الطرق أو اية حوادث أخرى .

حيث إن لحم الخنزير يحتوى على المواد الأميبية المسببة لكثير من الأمراض ، ومن أهمها مرض السرطان .

أول مسلم لعضوية البرلمان السوفيتى

تم ولأول مرة في تاريخ الجمهوريات السوفيتية ترشيح مسلم لعضوية البرلمان .

فقد رشحت جمهورية « كاجيسكتان » الشيخ أكبر قهاروف ممثل الإدارة الدينية للمسلمين الدخول في حملة الانتخابات لمجالس النواب الجارية الآن .

مسجد هالتون تورنتو

اقامت لجنة مسجد « هالتون - تورنتو - بكندا » يوماً مفتوحاً للجالية المسلمة في المنطقة وذلك للاطلاع على وضع المسجد والدعوة للتبرع له ، وقد أقيمت صلاة الظهر ولأول مرة في المسجد يوم الأحد الموافق ١٩٨٩/٩/١٧ م .
عن رسالة كندا ، الصادرة من مكتب رابطة العالم الإسلامي بكندا

« إغلاق محلات الخمور »

ارتفع عدد المحافظات المصرية التى منعت الخمر إلى ١٢ محافظة من ٢٦ مجموع محافظات جمهورية مصر العربية .

أكد المحافظون أن قراراتهم جاءت استجابة لتوصيات المجالس الشعبية المحلية بمحافظاتهم ، وأعطيت فترة زمنية لأصحاب هذه المحلات لتغيير نشاطهم إلى ما يختارون من تجارة حلال ..

الفهـرس

● إلى جولة جديدة
د . على أحمد الخطيب ٥٢٩
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٥٣١
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
بوفد القساوسة الأمريكى ٥٣٤
● من نعم الله علينا
للأستاذ د . محمد عبد المنعم القيعى ٥٣٦
● الحمد لله والشكر لله
للأستاذ محمد صابر البرديسى ٥٤٠
● التايبـــون
لفضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب ٥٤٣
● الدين القيم والفكر المستنير
للأستاذ الدكتور السيد تقى الدين ٥٤٥
● الربا والوديعة المصرفية
للأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة ٥٥٠
● وما توفيقى إلا بالله
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى ٥٥٤
● رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية
أ . ح د . فوزى محمد طايل ٥٥٨
● عبد الله بن عباس ترجمان القرآن
للأستاذ د . عبد العزيز غنيم ٥٦٤
● الإخلاص روح التقوى
للدكتور زكى مشعل ٥٦٩
● الفتاوى
للأستاذ على حامد عبد الرحيم ٥٧٣
● من اعلام الأزهر
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٥٧٦
● من اعلام الثقافة الإسلامية فى نيجيريا
للأستاذ سليمان موسى ٥٨١

باب العلوم الكونية
● المدخل الإسلامى للطب
عرض وتحليل أ . د
أحمد فؤاد باشا ٥٨٦
● الانشطار النووى
للأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن سلامة ٥٩١

باب الشعر والشعراء
إشراف د . حسن جاد
● اهلاً .. وسهلاً
للطالب عايض علوش ٥٩٦
● عائشة - رضى الله عنها
للشاعرة علية الجعار ٥٩٧
● صحوة العودة
للأستاذ رشاد محمد يوسف ٥٩٨
● من روائع الماضى
حرية الرأى فى الإسلام
إعداد عبد الفتاح حسين الزيات ٥٩٩
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٠٣

باب اللغة والأدب والنقد
● كتاب الوحوش
للأستاذ أيمن محمد ميدان ٦٠٦
● على هامش النقد - التعقبة
للأستاذ السيد حسن قرون ٦١٠
● مأساة الزعامة فى حياة إمامى النحاة
للأستاذ د . عبد الرءوف محمد عثمان ٦١٣
● حول التأثير السلبى للدراما
للأستاذ عاطف شحاتة زهران ٦١٧
● من خير ما نشر
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة
للأستاذ أحمد تقى الدين ٦٢٠
● انباء واراء
إعداد : د . عبد العزيز عزت عبد الجليل
الأستاذ عبد المنعم فودة
الأستاذ صفوت عبد الجواد ٦٢٤
● قسم الانجليزى
إعداد الدكتور انس مصطفى النجار
● المقالة الثانية
بقلم : د . روبرت د . كران ٦٣٢
● المقالة الأولى
بقلم دكتور أنس مصطفى النجار ٦٣٨

The traditionalist path is the core and source of uinty in the Ummah throughout. There is no past except Islam and no present and future except Islam. They are clearly destined for growing leadership in this land. The evidence is all around us. No other except Muslim groups or combination of groups can form a real functioning Ummah of human community. But by all working together with the largest indigenous community, the only one created by Allah with no possible identity other than Islam, humanity shall have a common future.

the enemies of everything sacred in our society, not to protect religion from state control, but to protect the secular state against any moral influences from the concerned citizenry.

The fourth of the "daruriyat" essentials of the shari'ah is haqq al karama, which is the duty to promote the dignity of the person and of the moral community. In Islamic thought, freedom of religion and of thought and expression derive not from the principle of freedom itself but from the dignity inherent in the person, who has been endowed with the power to know, love, and submit to Allah. Freedom to pursue truth and worship Allah. The duty of haqq al karama is to facilitate the practice of these two highest functions of mankind.

The most fundamental area of Haq Al-Karamah is Haq Al-Ilm (the pursuit of knowledge). This right and duty of education, haqq Al'Ilm, the universal responsibility in Islam, must be our highest priority. All systems of education must therfore be optimized to develop the real purpose of education for the individual, and the community. The most fundamental purpose of education is to seek more knowledge of creation and its intricate wonders; thereby gaining solidity, and nearness to the Creator "Allah". this hierarchy of understanding knowledge and education, promotes the values of dignity, freedom and human power and integrity. It concentrates the supreme link between man and The Creator "Allah".

Our task, which is enlightened da'wa to the universal Islamic religion, requires unity among the Muslims. Unity requires, first a sense of a common past, which we have in the Sira of the Prophet and in the triumphs the companions. Second, a common sense of Values and of the Sacred, which we inherit from the Quran and Sunnah. Third, a common vision for the future, which we must built by a process of "tamkin al din", that is, empowering Islam by working together wherever we are to oppose the bad and promote the good.

Muslims communities all over the world have nothing to sustain them, except Allah. Their only home is the Quran. And their only culture is the Sunnah of the Prophet Muhammad. They can have no other with a nature or fitra created by Allah. They are like an open book with a future yet to be written. And the pen shall be wielded by the hand of Allah. There is power, insha'Allah, in their future, power to perfect and compolete the "traditionalist movement". From the lowest of the low, Allah raise people to help guide the destiny of the world.

me directly. Be my witness, O Allah, that I have conveyed Your Message to Your people".

The thrust of the message is responsibility including the responsibility to "reason well", and the responsibility is to Allah. In his last message, the Prophet talks about the equality of men and women as partners, about the requiremen* that a just economic system be based on private property, about honesty in science and in the pursuit of knowledge, and about everything people in the modern Western culture call "human rights". But there is a big difference in approach. The Prophet conveyed the overwhelmingly Quranic message that "rights" belong only to Allah. His creatures have responsibilities. Only when we live up to our responsibilities as individual moral persons and as members of moral communities can "human rights" ever be secured. Every generation should seek to understand the Message of the Quran better than the preceding generation did. Although the Prophet warned us that it would be increasingly difficult for later generations to follow the Message of Allah, this only underscores the need for us to understand it better than those before us.

Throughout history the great Islamic scholars protected the purity of Revelation by developing and applying Islamic thought as a cohesive body of principles based on the inner purpose of the Quran. The six accepted principles in orthodox Islam are the rights to life, community, freedom, dignity, education and private property. The responsibility of Muslims is to respect and apply these higher goals of Islam in order to perfect both themselves and the entire society. Each one of these six basic Islamic responsibilities provides guidance in addressing specific issues of conscience, which together form the Agenda of the Islamic Faith.

Muslims should address these issues by forming a "traditionalist" movement, based on the true recognition that all our basic rights and duties come not from collective man, elevated to the status of a false god; but from our Creator, who sustains each one of us indivdiually and who is the only source and purpose of our liberty, equality, brotherhood and existance.

We must address the major underlying cause of all our problems to the secular-humanist attack on religion under the guise of separating religion and state. The issue of "separation of religion and state" is used hypocritically by

THE TRADITIONALIST PATH

By : Dr. Robert Dickson Crane

Life is full of challenges and opportunities and our responsibility is to look at everything in life from these two aspects. The major challenge and opportunity of Muslims, gives us our major responsibility to perfect both ourselves and the larger community in which we live.

Our most elemental responsibility, of course, is to survive the dark ignorance (the jahiliya) surrounding us, and not disperse in the face of the howling winds of the spiritual and moral wasteland that threaten to overwhelm us. But, we can and must do much more than that, because whoever aims only to survive has already lost the battle. We should continue our efforts in building a dynamic Ummah, a united Islamic Community.

As we succeed in building an Islamic Community in today's human society, we should focus ever more on building this society functionaly into an Islamic community. It is primarily up to Allah how many become Muslims, but it is primarily up to us how many come to think and act according to Islamic precepts and concepts.

How do we find out that we can follow the Quranic injunction to compete with each other in doing good in the sight of Allah. We have the answer in the last message of the Prophet Muhammad, which he delivered partly at the Jebel Al Rahmah and partly in Mina to carry out his role in demonstrating the pattern and symbolism of the hajj revealed to him by Allah for the instruction of all Muslims until the end of the world. The Messenger of Allah declared: "Remember, one day you will appear before Allah and answer for your deeds. So, beware, and do not stray from the path of righteousness after I am gone. O People, no prophet or apostle will come after me and no new faith will be born. Reason well therefore, O People, and understand my words which I convey to you. I leave behind me two things, the Quran and my example, the Sunnah, and if you follow these you will not go astray. All those who listen to me shall pass on my words to others and those to others again, and may the last ones understand my words better than those who listen to

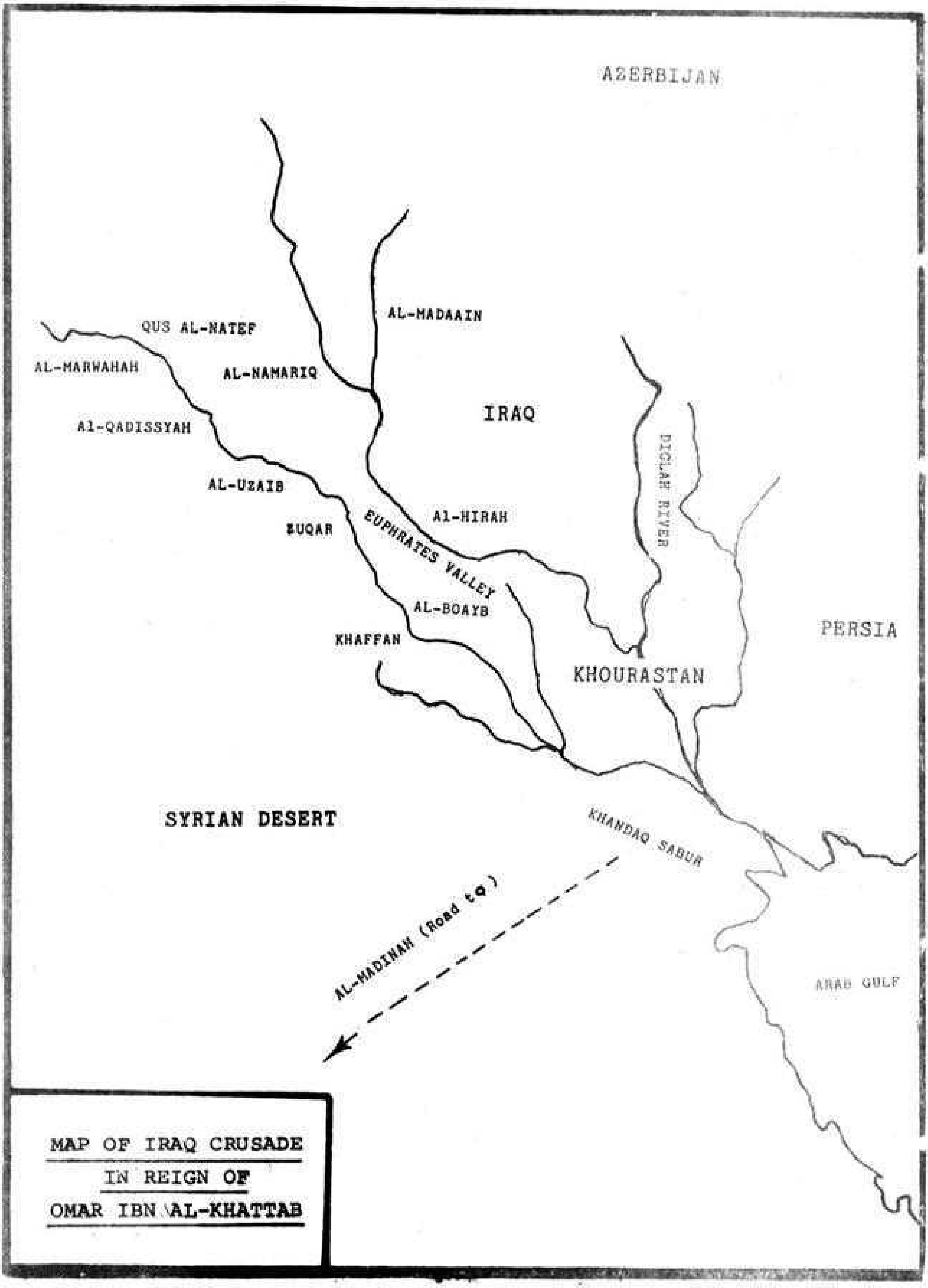

MAP OF IRAQ CRUSADE
IN REIGN OF
OMAR IBN AL-KHATTAB

locations, the health of the men, the ecology of the environment; the position, situation, strategy, numbers, command of the Persian forces. Omar ibn Al-Khattab involved his concern in every detail of what was of his people and his men. His orders to Saad always included the words "inform me by such discription to give me the vision of an eye observer" Omar wrote to Saad remarks of advice and strategy of battlecraft, when to wait and when to move, how to manipulate the efficiency of his forces to optimization. Omar also advised Saad to adhere to piety and obedience of the words of Allah. Saad ibn Abi Waqqas received the instructions of Omar with absolute respect, obedience and conviction.

At the head of twenty five thousand men, and expecting the arrival of eight thousand from Syria commanded by Hashem ibn Utbah, Saad moved from ZuQar heading north towards Al-Qadissyah. He organized his forces in battalions and contingents with bearers of banners and commanding officers. He nominated distinguished men to be at the head of the armies. The Muslim armies moved with great caution to reach Al-Uzaib where they stopped and remained meeting no encounter with Perisan forces. Saad ibn Abi Waqqas sent dispatches of his forces for reconnaissance, and the procurement of supplies. The Muslim armies were well settled at Al-Uzaib, the encampment was fortified, and the families of the warriors were to be left there, garissoned by a contigent of men headed by Ghaleb ibn Abd-Allah Al-Laithii.

Saad and his men remained at Al-Uzaib for few months resting and preparing his men, drawing plans, scouting the area around and watching for all Persian movements and formations. The bulk of the Muslim force moved from Al-Uzaib north to Al-Qadissyah. At that phase of events, the Muslim warriors were highly organized in full vigour of health, spirit and enthusiasm. Their zeal ardency and devotion to the cause was maximal. At Al-Qadisyah, Muslims watched and awaited the news of the Persians.

battle against the Muslims. Omar declared that "he will challenge the lords of the Persians with the lords of the Arabs". Omar wrote to Al-Muthana to remain at a distance from the Persians until reinforcements reached him. During the waiting period, Al Muthana died from an injury that he had suffered during the battle of Al-Jisre. Omar ibn Al-Khattab wrote to áll the Muslim tribes of the Peninsula requesting the immediate call to arms of all able warriors to rally to Al-Madinah to join the grand march to Iraq to face the collosals of Persian forces. The command of these forces deserved justified optimal choice and for that reason, Omar ibn Al-Khattab deliberated and discussed the matter with several men, companions of distinction and opinion. Finally, after much selective thinking, the choice was made in the person of Saad ibn Abi Waqqas from Bani Zuhrah from Quraysh. Saad was known for his courage, chivalry, gallantry, nobility and warcraft. He was companion to the Prophet since the very early days of Islam; and attended with the Prophet all the early Muslim encounters. Omar ibn Al-Khattab appointed Saad to command all the Muslim armies of the Iraq crusade. Omar advised Saad in matters related to leadership conduct and military strategy.

Saad ibn Abi Waqqas left Al-Madinah at the head of four thousand men, increasig in great numbers by those who followed him after his departure. The army in Iraq awaiting his arrival after the death of Al-Muthana was about eight thousand including those from the nomad Arab tribes of Iraq. Another eight thousand men were to arrive from Syria commanded by Hashem ibn Utbah to join the Muslim forces in Iraq under Saad ibn Abi Waqqas. The estimated total numbers of the Muslim forces mobilized by Omar ibn Al Khattab to comfront the enormously titanic Persian giant war machine, were approximately thirty five thousand men. This Muslim force included men of distinction and high rank among their tribes; there were men of gallantry and war strategy, men of wisdom and sagacity, men of oratory and diplomacy. That was the largest military assembly that was mobilized at any one time since the very start of the Iraq crusade. Saad ibn Abi Waqqas assembled the Muslim forces at ZuQar where he met with Al-Muthana's widow Salma, and brother Al-Manie. Saad was handed a personal document addressed by Al Muthana before his death. In this document, Al-Muthana advised Saad of the strategy most suitable for fighting the Persians, the nature of the territories, and the social psychology of the residents of the area.

Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah had given orders to Saad ibn Abi Waqqas to write to him daily of every detail in the life of Muslims, the geography and topography of their

The numbers of casualities particularly among the Persians was overwehlming. The extent of bloodshed carnage and extermination was consummate. The Muslim triumph at Al-Boayb avenged and vindicated the Muslim defeat at Al-Jisre.

This triumph established the certainty of Muslim presence in the territories of Iraq in the Euphrates Valley, south of Al-Qadissyah. Al-Muthana dispatched his contingents to ride west as the banks of the Diglah River, and as far north to reach the south neighbourhood of Al-Madaain. The whole region settled under Muslim domination, with Muslim headquarters at Al-Hirah. Persians, however, would not allow such presence to dominate, they must make preparations to retaliate and prevent any Muslim dominance in Iraq. The Persians considered Iraq part of the Persian Empire with Al-Madaain as capital of Persian occupied Iraq. The Persian Muslim conflict had reached a situation where a settlement could have never been reached and compromise or reconciliation had no place. Hostilities had to remain till a final outcome of defeat or victory for either side. For the Persians, it was a matter of pride and glory for the long standing Persian Empire under the ruling House of the Sovereign Monarchy. The ostentatious pageantry of the Persian military strength and experience could not have under any conditions accepted a reconciliation with these adventuring bare-footed desert rats of the Arab and Muslim tribes as the Persians called them. For the Muslims, it was a crusade for the cause of Allah propelled by Belief and Faith, that every Muslim should herald and proclaim the message of Allah. The territory of Iraq was originally inhabited by Arab tribes, and had long been under Persian occupation. The Muslim tribes of the Arab Peninsula considered Iraq as a direct extention of their own land which was inhabited by brethern Arab nomad tribes even those of Christian faith. Under no condtions the Muslims in Iraq would have considered withdrawal from the territories they had occupied. The struggle and conflict was certain to continue to an ultimate defeat or victory to either side.

The Persian high command mobilized its forces once more; this time in the most optimal means of massiveness, mastery of equipment and leadership in the field of battle. The military high command had united under Rustum ibn Al-Farkhzad, the most reputed authority in Persians military staff at the time. The Persians were instructed to march in combat formation to confront the Muslim forces at Al-Qadissyah. At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab received information from Al-Muthana that the Persians were preparing their military strength for a final exclusive offensive

and managed to cross to the west of the river again with the defeated remnants of the Muslims. Al-Muthana left the scene of the battle with haste, and harnessed his efforts to speed away with his men, from fear of being followed. He reached the southwest territories of Iraq neighbouring the desert expanse that leads into the Arab Peninsula. There, he remained silent to heal the wounds of his men, and recover from the distortions of defeat which the Muslims had suffered an account of the strategic mistake of Abu Ubayd by crossing the river to meet the Persians. That was the famous battle of Al-Jisre. Al-Muthana deliberated his situation and wrote to Omar ibn Al-Khattab the details of the events and requested support and reinforcements.

Al-Muthana ibn Harithah, the veteran of the Iraq crusade, the talented and experienced war professional, decided to hold his grounds and to turn the disgrace of defeat into honour of victory. He contacted the neighbouring Arab tribes, and rallyed them in massive mobilization. These tribes responded to Al-Muthana, and all joined him in great numbers. Among those tribes were the Christian tribes of Bani Al-Namre and Bani Taghleb. The forces of Al-Muthana became of considerable numbers, and he moved north west of the river to a position south of Al-Qadissyah as near as possible to the territories inhabited by the Arab tribes.

Omar ibn Al-Khattab was very concerned about the defeat at Al-Jisre, and personally consoled and reassured those who came to Al-Madinah. Omar ibn Al-Khattab recruited the tribes of Bani Bagilah, Bani Al-Azd, and Bani Kenanah to join Al-Muthana in Iraq. After the Muslim calamity at Al-Jisre, Omar was very determined to continue the Iraq crusade and to send tribal forces from all over the Peninsula to Iraq.

The Persians became aware of the throngs of Arab reinforcements and consolidating forces of Al-Muthana. In order to confront them, they asembled their forces to march against the Muslim and Arab tribes. Al-Muthana sent instructions to the Muslim tribes sent by Omar ibn Al-Khattab from Al-Madinah to meet him at Al-Boayb. At Al-Boayb, all the conglomerate Muslim and Arab forces assembled under the command of Al-Muthana. There at Al-Boayb, the battle between the Persian massive forces and the consortium of Arab and Muslim tribes commanded by Al-Muthana took place. After very fierce bitter fighting, the Persians thoroughly and exhaustively defeated. The battle of Al-Boayb was unprecedented in the history of the Muslim Persian conflict.

OMAR IBN AL- KHATTAB

The Iraq Crusade

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim forces commanded by Abu Ubayd Amre ibn Massoud Al-Thaqafi marched out of Al-Madinah heading for Al-Hirah in Iraq to strengthen the Muslim warriors of Al-Muthana ibn Harithah. Abu Ubayd left Al-Madinah with four thousand men, and few thousands from the tribes en route joined his forces. Abu Ubayd and Al-Muthana joined forces at Khaffan west of the river on the desert boundary where Al-Muthana had withdrawn from Al-Hirah to avoid any confrontation with the consolidating throngs of Persian forces.

The combined Muslims armies moved to face the Persian forces at Al-Namariq between Al-Hirah and Al-Qadissyah. The Muslim warriors defeated the Persian forces in several encounters; Abu Ubayd and Al-Muthana at the command of Muslim forces gained full domination of the territories of the Euphrates valley south of Al-Qadissyah. The Muslims once again established themselves at Al-Hirah. The Persian high command could not tolerate the presence of Muslims, and ordered that strong forces from Al-Madaain and elsewhere should gather to crush and annihilate all Muslim forces, and exterminate their existance from Iraq.

The Muslim forces under the command of Abu Ubayd crossed the river to the west and took positions at Al-Marwahah opposite Qus Al-Nataf. The Persian troops commanded by Bahman Jazwieh gathered east of the river at Qus Al-Nataf in all the pomposity and display of Persian military power, in massive numbers and mastery of equipment. Bahman Jazwieh gave Abu Ubayd the choice, either the Muslims would cross the river east to meet the Persians; or the Persians would cross the river west to meet the Muslims. Inspite of all advice given by his adjuvents, Abu Ubayd committed the mistake of his life. Abu Ubayd ordered his men to cross the river to meet the Persians. That was the fatal mistake that cost Abu Ubayd his life and the life of several thousand Muslims, the shame of defeat and total massacre of the Muslim warriors. Al-Muthana finally maneuvered a retreat with those who survived,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART VI

JUMMADAH AL-AKHIRA 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Iraqi Crusade"

By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Traditionalist Path

By: Robert D. Crane.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam"

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
رجب ١٤١٠ هـ
فبراير ١٩٩٠ م
الجزء السابع
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في الغرانيق

كتب إلى مجلة الازهر :

د / روبرت كرين ، مسلم ، من الولايات المتحدة ، واحد مستشاري الرئيس الأمريكي الأسبق : « ريتشارد نيكسون » لشئون الشرق الأوسط .

والسيد / محمد دوكي المحامي بـ « تريندادا » من امريكا الجنوبية .

وكتبت إلينا كذلك الجمعية الإسلامية لجنوب « كاليفورنيا » .

كل يسأل عن موضوع « الغرانيق » او القصة التى تقول : إن محمداً رسولَ الله ﷺ قرر رجاء الشفاعة للغرانيق ، اي الاوثان ، وهو يتلو على الملأ من قريش سورة النجم قبل هجرته إلى المدينة ، فقرأ قوله ـ عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ فالقى الشيطان على لسانه بعدهما : تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى[1] .

←

ورواة هذا الخبر من المؤرخين الذين كان منهجهم ذكر الرواية بعد الرواية ، ومنهم المؤرخ الجليل ابن جرير الطبرى الذى قال ـ فى آخر مقدمة لسفرة ـ ينبه القارىء إلى وجوب النظر فى الروايات التاريخية لينقد مستخلصاوجهالحق: « فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لن يعرف له وجها فى الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وإنما أُتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّى إلينا » .

وذلك هو الإنصاف بعينه من شيخ المؤرخين ، إذ أبرأ نفسه من اعتقاد ما هو فاسد ، ورده إلى أصحابه .

ومن عجب أن تلك القصة شاعت وذاعت فى غير عصر الرسالة نفسها ، وأشد عجبا من ذلك أن تذاع مرتبطة بعصر الرسالة لا بحياته ﷺ قبل البعثة .

ولسنا بحاجة هنا إلى أن ننبه إلى اننا نسوق حديثنا هذا إلى المسلمين لا إلى « موير » وأمثاله من المستشرقين ، فهذه الفئة تختفى عن ضوء الشمس لترتع فى الظلمات .

لقد كانت حياة رسولنا الكريم محمد ﷺ قبل البعثة ، وقبل أن تسند إليه مهمة الرسالة التى جاءت لتقضى على الوثنية ـ وقبل أن يخاطبه الروح القدس ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .. كانت حياته ـ فى تلك الفترة ـ خلوا من الوثنية بشهادة التاريخ . حتى كان من عماته ﷺ من يعيب عليه أنه لا يكثر لهم جمعا ، أى لا يحضر معهم حفلا من هذه الحفلات التى يقيمونها للأوثان ، لقد عصمه الله ـ سبحانه ـ من ذلك حتى من لهو برىء كاستماعه لموسيقى عرس لأحد الأتراب بمكة .

وعندما أصر « بُحَيْرى » الراهب على دعوته ـ ﷺ ـ إلى طعامه ، وهو بعد غلام مصاحب عمه أبا طالب فى سفرته المعروفة إلى الشام ـ أحضره أحد رجال القافلة حتى إذا فرغ القوم من طعامهم ، وتفرقوا قام إليه « بُحَيْرى » وقال له :

ياغلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .

قال ـ ﷺ ـ لاتسألنى باللات والعزى شيئا ، فوالله ماأبغضت شيئا قط بغضهما !!

فَعَدَل بحيرى إلى قوله : فوالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه .

فقال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ سلنى عما بدا لك(٢) .

ولقد اشترك رسول الله ـ ﷺ ـ مع قومه فى نقل الأحجار لبناء الكعبة ، وكان ذلك فى الجاهلية قبل بعثته عليه الصلاة والسلام .. قال عمه العباس ـ رضى الله عنه :

« فكنت أنا وابن أخي ـ أي محمد ـ ﷺ ـ وكنا نحمل على رقابنا ، وَأُزُرُنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس ائتزرنا ، فبينما أنا أمشي ومحمد أمامي ، قال : فَخَرَّ وانبطح على وجهه ، فجئت أَسْعَى ، وألقيت حجري ، وهو ينظر إلى السماء ، فقلت : ماشأنك ؟ فقام وأخذ إزاره ، قال : إني نهيت أن أمشي عريانا »

وثمة رواية لابن إسحاق ـ رضي الله عنه ـ توضح لنا الكيفية التي ورد بها النهي في مثل ذلك ، وذلك حين كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يُحَدِّثُ عما كان يَحْفَظُهُ اللهُ ـ سبحانه ـ به في صغره من أمر الجاهلية ، قال :

« لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرى وأخذ إزاره ، وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ؛ فإني لأقبل معهم كذلك وأُدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ، ثم قال : شد عليك إزارك ، قال : فأخذته فشددته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي[٣] .

وروى الحافظ البيهقي ـ رضي الله عنه ـ نهي رسول الله ـ ﷺ ـ غلامه زيد بن حارثة وهما يطوفان حول الكعبة ـ في الجاهلية ـ وكان حولها أصنام ـ نهاه أن يمس صنما من أصنامها .

إلى هذا الحد كان محمد ـ ﷺ ـ قبل النبوة ينفر من الأصنام ووثنيتها ومبتدعات قومه ، ويأمر من يسمع له ببعده عنها ، وكانت قريش تميز نفسها من بين العرب في العقيدة بشيئين فوق ما لهم من ميزات : أنهم حُمْس[٤] ، وأنهم ـ إذا حجوا لايقفون بعرفة كما يقف كل الناس ، ولقد كان الوقوف بعرفة هو العمل الصحيح في الحج على ميراث أبي الأنبياء إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ورأت قريش أنه ينبغي أن يتوفر لها امتياز عن العرب جميعا ، وماداموا ـ أي القرشيين ـ من أرض حرام هي مكة ، فينبغي أن يقفوا يوم عرفة بأرض حرام ، وبما أن « عرفة » ليست من الأرض الحرام ، فليقفوا بـ « مزدلفة » لأنها أرض حرام ، فكان رسول الله ﷺ بهدى من الله إليه ـ يخالفهم فيقف بعرفة وهو بعد ﷺ لم تعرف عنه الرسالة وماهو ـ عند الناس ـ إلا رجل من قريش ، وأكثر ﷺ من حجه ذاك ، ومن وقوفه بعرفة ، وفي إحدى هذه الحجات ضل بعير لجبير بن مطعم القرشي الصميم ، وهو واقف مع قومه بمزدلفة ، فانطلق يبحث عنه حتى دخل أرض عرفة ففوجىء بمحمد ﷺ بها ، فدهش واستنكر ، وقال تلقائيا : هذا ـ والله ـ من الحُمْس ـ فما شأنه هنا[٥] .

وبعد :

فهذا « قبس » من حياته ﷺ في الجاهلية يبين : كيف عَصَمَهُ الله من أمرها ، نقدمه بين يدي هذا البحث إلى أولئك الذين يتهمون محمدا ﷺ بهذه الكلمات لنرى شناعة التناقض ، فيما يدعون من الفرى ، وحسبنا أن نذكر قول الله ـ تعالى ـ له ﷺ :

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وتلك منزلة لم ينلها أحد ، فهو ﷺ محفوظ في الأولين والآخرين من قبل الرسالة ومن بعدها .

كلمة فى الغرانيق

والآن لنعد إلى عناصر القصة لنناقشها فى ضوء البديهيات والأحداث من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ لنرى : ما إذا كان يمكن لشيطان أن يفعل ذلك مع رسول الله ﷺ ، وتلك هى :

١ ـ شيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ كلاما ليس قرآنا بل وثنية .

٢ ـ قرأها رسول الله فيما قرأ من قرآن من سورة النجم .

٣ ـ تقرر بذلك فى أذهان القرشيين الرجاء فى شفاعة الأصنام .

ونصوغ سؤالنا ـ فى وضوح :
هل يستطيع شيطان أن يلقى شيئاً على لسان رسول الله ﷺ أو يوسوس له ؟

فلنر :
روى الإمام مسلم رضى الله عنه ـ فى صحيحه ـ بسنده إلى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه :
« إن رسول الله ﷺ ـ أتاه جبريل ـ ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه[٦] فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمَهُ[٧] ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه « يعنى ظئره »[٨] فقالوا : إن محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون[٩] »[١٠] .

وفى رواية ابن هشام : « مغمز الشيطان » .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه قال :
قال رسول الله ـ ﷺ :
مامنكم من أحد إلا وقد وُكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة !!

قالوا : وإياك يارسول الله ؟

قال : وإياى ، لكن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير »[١١] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أن « عفريتا » من الجن تفلت البارحة[١٢] ليقطع على صلاتى ، فأمكننى الله منه فأخذته ، فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان :
﴿ ... وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ فرددته خاسئا[١٣] .

هذه الروايات مجتمعة دلالتها واضحة على أنه :
ليس للشيطان على رسول الله ﷺ سبيل ، وليس له فيه نصيب ، ويستحيل عليه غمز رسول الله ﷺ بشىء .

ثم هذا قرينه من الجن مسلم لا يشير إلا بخير .

ثم لرسول الله ﷺ مقدرة وفرها الله تعالى له يصرع بها أى شيطان من الشياطين .

فأنى يتأتى لشيطان ـ بعد ـ أن يلقى على لسانه الشريف ـ ﷺ ـ شيئا ، وكيف له أن يقتحم حصونا من صنع الله كتب ـ سبحانه ـ لها المنعة والوفاء .

ـ يتبع ـ

د. علي أحمد الخطيب

(١) انظر لابن سعد ـ الطبقات الكبرى ١/٢٠٥ ط دار صادر بيروت ، وتاريخ الطبرى ٢/٢٣٨ دار المعارف ـ مصر .

(٢) راجع سيرة ابن كثير ١/٢٤٥ ط عيسى البابى الحلبى عام ١٣٨٤ هـ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٥١ .

(٤) مذهب قريش المتشدد فى التعلق بالعقيدة الوثنية وما يصحبها من طقوس وتقاليد .. (الخطيب) .

(٥) راجع صحيح البخارى ـ باب الوقوف بعرفة ، وانظر للترمذى ـ الجامع الصحيح ٣/٢٢١ ط مصطفى البابى الحلبى وانظر لابن حجر ـ فتح البارى ٣/٤١٢ ط أولى بالأميرية سنة ١٣٠٠ هـ .

(٦) أنامـه .

(٧) جمعه بعضه إلى بعض .

(٨) مرضعته حليمة السعدية .

(٩) متغير اللون .

(١٠) صحيح مسلم ـ « كتاب الإيمان » الحديث رقم ٢٦١ جزء ١ ص ١٤٧ ط عيسى البابى الحلبى ط ١٣٧٤ هـ .

(١١) مسند أحمد ١/٤٠١ ط الميمنية .

(١٢) أى تعرض لى فى صلاتى فجاة .

(١٣) صحيح البخارى ٢/٢١٧ باب التفسير ـ تفسير سورة ص ط الوهبية .

إيماءات وإيحاءات من الإسراء والمعراج

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق

* لمن هذه المسيرة التى تهيأت فى رحاب المسجد الحرام بمكة ؟
* من هذا الذى احتفت به الملائكة ؟
* من هذا الذى الان البراق له جانبه ؟ وركع حتى امتطى ظهره مسخراً له بأمر ربه ؟
* من هذا الذى أسرى به ربه من بقعة كرمها الله حيث اذن لإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بإقامة بيته المحرم : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[1] .. وقد جعله الله قبلة للناس : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[2] .. :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[3] ..
* ذلكم : سيدنا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسرى به الله ليلاً من هذه البقعة الآمنة إلى بقعة باركها الله ..
* تلك هى المسيرة التى افتتح الله بها سورة الإسراء بقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[4] ..
* ذلكم : هو الذى اصطفاه ربه ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾[5] ..

---

١ - البقرة : الآية (١٢٧) .
٢ - البقرة : الآية (١٢٥) .
٣ - العنكبوت : (٦٧) .
٤ - الإسراء : (١) .
٥ - الأحزاب : (٤٥ - ٤٧) .

- لقد كان الإسراء والمعراج مسيرة للاحتفاء بميراث النبوة الذى آل إلى خاتم الرسل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبتوليته أمانة الدين كله ، وبانتقال النبوة والرسالة من فرع إسحاق حيث كانت دعوتهم حول بيت المقدس إلى فرع إسماعيل أبى العرب وجد النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثمّ : فإن مسيرة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. والعروج منه إلى السموات العلا إيذان بأنه عقيدة سائدة فى الأديان السابقة وللربط بين أماكن العبادة فيها .
- فها هو الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد مثل له الأنبياء والمرسلون السابقون عليهم السلام ـ فى ساحة المسجد الأقصى ، وصلى بهم إماماً ، وكان فى هذه الإمامة إيماء إلى أن سيدنا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين بعثه الله بالدين الخاتم لما سبقه من الأديان ، وبالكتاب الجامع لأصول الديانات ومقاصدها ، وبأمهات الفضائل التى دعا إليها الأنبياء من قبل ، حيث كان كل السابقين ممهدين لهذه الرسالة الخاتمة : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[٦] . .
- والإسراء والمعراج معجزة ذاتية ، وقعت لمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكريماً لذاته وتشريفاً وتسرية عنه ورحمة به من المعوقات والعقبات التى اعترضت انتشار رسالته ، وحفزاً لعزمه ، وإمداداً له وإعداداً للمنهج الجديد الذى كلف به لرفعة الحياة الإنسانية .
- ولا شك أن لهذه المسيرة أبعاداً وأهدافاً فوق التشريف والتكريم ، ينبغى أن يستشفها المسلمون ويسيروا بها إلى غايتها . ولعل مما توحى به أن الله قد أذن بتغيير القيادة المتمثلة فى الرسل بعد إذ ظلت الرسالات من الله ـ سبحانه ـ تتتابع فى بنى إسرائيل الذين عبثوا بالمبادىء ، وباعوها بثمن بخس ، وحرفوا الدين ، وشوهوا معالمه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٧] .
- وحكم الله عليهم بالذلة وباءوا بغضبه بما ارتكبوا من آثام : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[٨] ..
- ومن ثم فقد انتهكت المبادىء السامية التى جاء بها أولئك الرسل وشوهت معالمها ، فلم تعد صالحة لقيادة العالم ، كما أن حاملى هذه المبادىء فقدوا الصلاحية بعد إذ عاثوا فى الأرض فساداً وقتلوا الأنبياء ، وكان لابد من انتزاع القيادة منهم وإسنادها إلى قوم آخرين ، أقوم وأقدر على حمل هذه الأمانة .
- فإمامة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأنبياء والمرسلين فى بيت المقدس ليلة الإسراء إعلام

---

٦ ـ الأحزاب الآية (٤٠)
٧ ـ المائدة : (٧٨) .
٨ ـ البقرة : (٦١)

للناس كافة بالتحول والانتقال بالرسالة إلى قوم وموقع آخرين : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[٩] .

* كما أومأت مسيرة الإسراء والمعراج إلى أنها ستفرز أولئك الذين لم يثبتوا بعدُ على الإسلام ، حتى إذا ماتحول إلى موقع آخر تقوم فيه الدولة ، كانت صفوف المسلمين قد برئت من أولئك الذين يعبدون الله على حرف ، ولقد وضح ذلك جلياً حيث إن الرسول محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما يحدث مخبرا الناس جميعاً بالإسراء به إلى المسجد الأقصى وبالمعراج وبما كان فيهما من مشاهد ازداد بعض المؤمنين بما سمع إيماناً .. ثقة منهم بصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما اهتزت قلوب بعض آخر .. وتأرجح الإيمان لديهم .. ومنهم من زاغت بصائرهم ، بينما انطلقت ألسنة المنافقين والحاقدين نيلاً من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستهزاء به وبخبره .

وماحدث لم يكن ردة للدعوة وانتكاساً لها بقدر ما كان تنقية للمسلمين واستظهاراً لضعاف الإيمان ، واستبعاداً لهم ، وتثبيتاً لعقيدة المطمئن قلبه ، فالإسراء والمعراج بقدر ما هو تشريف وتكريم لرسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان استظهاراً وإعلاماً بميثاق الله الذى أخذه على النبيين وتحدث عنه القرآن فى قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١٠] ..

* فكانت إمامته الأنبياء والمرسلين إعلاماً لأممهم بهذا الميثاق وبوفائهم بالعهد به .. ودعوة لأقوامهم إلى اتباع هذا النبى الذى جاء بالرسالة الخاتمة ..

* كما توحى مسيرة الإسراء من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس ثم العروج منه إلى السماء إلى أن هذه البقعة يمتد إليها الإسلام ويصير أهلها حراساً لهذا المسجد الذى شرفه الله بصلاة الأنبياء والمرسلين جميعاً بإمامة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أن هذا المسجد ـ بهذه الخطى الشريفة إليه ـ صار حرما وقبلة اتجه إليه المسلمون فى بدء الرسالة وإلى أن هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة واتخذوه قبلة فى الصلاة بأمر الله بياناً للتكامل بين الأديان ، وأن الاعتبار للخاتم ، وأن على المسلمين الحفاظ على تطهير الأرض التى باركها الله من الظلم والفسوق والعصيان .

* ثم توحى صلاة الجماعة هذه ، بأن رسالة الإسلام عامة يجتمع فى ظلها ويدين بها أقوام اختلفت ألوانهم وألسنتهم ، وفى نطاقها تذوب القوميات ، وتنصهر فى أخوة الإسلام : ﴿ إِنَّمَا

---

٩ ـ الأنعام : (١٢٤)

١٠ ـ آل عمران (٨١) ، (٨٢) .

﴿الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[11] .. فيتساوى فيها الناس فى الحقوق والواجبات ، أليسوا يقفون صفوفاً متراصة فى الصلوات ، والسبق فى ترتيب الصفوف لمن سبق فى الحضور ، وهم جميعاً على قدر متساو .

* لقد كان إخبار رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - بمشاهداته فى هذه المسيرة ضرورياً ، ثبت به الله قلوب المؤمنين ، وأتاح الوقت لتعهد ضعاف الإيمان بالرعاية ليقوى إيمانهم ويعدوا للمرحلة التالية التى تتكون بها الأمة وتنشأ الدولة .
* ولقد أحدثت هذه المسيرة فى مكة نشاطاً غير عادى ، وكثرت الندوات بين المتحدثين بها والمنكرين لها والشاكين فيها ، الكل يتحدث عن هذا الحدث وعن صاحبه ودعوته - صلى الله عليه وسلم - وعن القيم العليا التى جاء بها ، وذلك كان - ولاشك - مجالاً للحوار الدائب لأن حدثاً جديداً وفريداً فى عصره قد استمعوا إليه من ذات صاحبه .
* وإذ تمر بنا اليوم هذه الذكرى .. ويحتفل بها المسلمون فى شتى أقطارهم .. أفلا يتدبرون ما هم فى حاجة إليه من التكامل فيما بينهم فى السياسة والتجارة والاقتصاد : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[12] ..
* أفلا يذكرون أن لهم سمات تجمعهم ، ولهم قبلة ودعائم للإسلام يلتقون عليها ؟ وينبغى أن يتشبثوا بها حتى يحافظوا على سلامتهم وعلى إسلامهم وعلى أرضهم وعرضهم ، فلا يصبحون فريسة لكل طامع ..
* أفلا يذكرون القدس وأهله حماة حرمه وحراسه .. وأطفال الحجارة وأمهاتهم اللاتى يواجهن أولئك الذين غاضت من قلوبهم كل سمات الإنسان ، فانقضوا على الأطفال والنساء بكل أنواع الأسلحة القاتلة دون ذنب جنوه سوى وقفتهم الشجاعة دفاعاً عن الأرض والعرض .
* ليذكر المسلمون - فى هذا اليوم - أولئك المجاهدين فى « فلسطين » و « أفغانستان » وليحيطوهم بالتأييد وليمدوهم بالمؤن والأموال حتى يثبتوا فى مواقعهم حماية للمقدسات وتحريراً للأرض وإقامة لدولة فلسطين :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[13] ..

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

---

11 - الحجرات (10) .

12 - المائدة (2)

13 - البقرة : من الآية (251) .

حديث
فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر
إلى مجلة المجتمع

أجرى الحوار
الأستاذ: محمد عبد الهادى

القضايا والمسائل التى تدور فى اذهان الدعاة والعاملين للإسلام كثيرة .. ومنها الشائك ومنها المختلف عليه ..

ودورنا نحن فى الصحافة الإسلامية ان نساهم فى عرض هذه القضايا وتبيانها من خلال محاورة مع رجال الفقه والفكر والدعوة ..

ومجلة « المجتمع » نظمت محاورة مع اقطاب الفقه الإسلامى والعاملين فى مجال الدعوة .. وهى اليوم تلتقى مع رجل يجلس على مقعد ابرز مؤسسة إسلامية عرفها العالم « الأزهر الشريف » ..

وفضيلة شيخ الازهر جاد الحق على جاد الحق من العلماء الافاضل الذين يحظون باحترام العاملين فى مجال الدعوة وله إسهامات جيدة فى ترشيد هذه الدعوة وإسهامات اخرى فى محاولات النهوض بالأزهر ودوره المطلوب .. ولقد كان « للمجتمع » حوار معه نقدمه لقارئنا العزيز ..

المجتمع : نود ان نضع بين ايديكم سؤالا يطرحه بعض المثقفين مفاده : امازال الجامع الأزهر رمزا ومنارة علمية يملكها كل المسلمين .. ام ان الأزهر وانشطته وجامعته صار قضية مصرية فحسب ؟

شيخ الأزهر : بسم الله الرحمن الرحيم . الأزهر طوال عمره المديد الذى فاق الألف عام وهو يستقبل الطلاب من كافة أنحاء العالم الإسلامى بل من كافة أنحاء العالم بوجه عام ، يفد إليه الطلاب منذ القدم ، بل ويقيمون فى أروقته ثم ينهون دراساتهم ويعودون إلى أهليهم مبشرين

(١) تصدرها جمعية الإصلاح الاجتماعي بدولة الكويت الشقيق

ومنذرين وهو التصديق والتحقيق لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ..

فهو التطبيق لهذه الآية الكريمة ، ومازال بحمد الله حتى الآن يفد إليه الطلاب إما للدراسة على نفقاتهم الخاصة أو على شكل منح يقدمها الأزهر الشريف ، والدراسة ليست مقصورة على الدراسات العالية والعليا فى الجامعة ، وإنما قبل ذلك فى المعاهد الأزهرية التى تعد الطلاب للالتحاق بهذه الجامعة ..

ولقد أقام الأزهر معهدا خاصا « للبعوث الإسلامية » يرتاده الطلاب الوافدون لا سيما من غير الناطقين باللغة العربية يقيمون فى مدينة البعوث التى انشأها الأزهر ايضا بديلا « للأروقة القديمة » التى كانت فى نطاق الجامع الأزهر والتى لم تعد تتسع للطلاب ، كما لم تعد تصلح لنظم الحياة المعاصرة ، وهو مع استقباله للطلاب فى كل مراحل الدراسة اعتبارا من المعاهد إلى الكليات فى الدراسة العالية والعليا يوفد علماءه ايضا إلى شعوب العالم الإسلامى للتعليم والدعوة وله آلاف العلماء فى الخارج على نفقته هذا فضلا عن العلماء الذين يستوفدهم أو تستوفدهم بعض البلاد القادرة على سداد أجورهم ..

على أن للأزهر نشاطا فى عدد من المراكز الإسلامية فى العالم الإسلامى ، وبين الاقليات المسلمة فى العالم ، وهذه المراكز لا تتبع الأزهر مباشرة فى الإدارة ولكن أى مركز إسلامى فى الخارج يبدى رغبة فى أن يكون فيه أحد العلماء ، فإن الأزهر يبادر إلى إيفاد عدد من العلماء الذين يحسنون لغة البلد الذى فيه المركز ليقوم بتعليم الناس وتوعيتهم ونشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الله ..

● انشطة فى العالم الإسلامى

المجتمع : ماذا عن جهود ونشاطات الأزهر فى مجالات معالجة قضايا العالم الإسلامى ؟

شيخ الأزهر : الأزهر إنما يشارك الهيئات ذات الموارد المالية فى التوجه إلى المواطن التى تحتاج إلى الإغاثة لأن الأزهر ليس له موارد مالية يغيث بها الناس فى الكوارث والحوادث ولكنه يوجه الجهات المعنية فى مصر بالإضافة إلى الجهات الأخرى التى تخصصت أو خصصت نفسها لمثل هذه الأحوال فى العالم الإسلامى ، ومن هنا سعى الأزهر إلى إنشاء « المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » الذى جمع حتى الآن نحو الثلاثين من الهيئات القائمة على الدعوة والإغاثة فى العالم الإسلامى وباب الانتساب إليه مفتوح لكافة الهيئات التى تزاول هذا العمل بشرط أن يكون لها نشاط خارج البلد الذى نشأت فيه مثل الهيئة الخيرية ..

● العلماء .. والبيئة

المجتمع : هناك من يطرح نوعا للتصنيف بين علماء الدين وذلك على اساس البيئة ، فالعلماء الذين عاشوا وتربوا فى بيئة الريف او الصحراء ينهجون فى الراى والفتوى منهجا اشد من العلماء الذين تربوا فى المدن ... فما رايكم بذلك ؟

شيخ الأزهر : أعتقد أن هذا أمر طبيعى لنشأة العالم أو ما تلقاه من علم ولعلنا نأخذ مثلا بتغير الأحكام ، أو بالأصح تغير الفتوى بتغير الأزمان والمواقع كما كان من الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ حين عدل عن بعض أقواله فى العراق حين اتخذ مصر مقرا له ، وهذا يدل على أن هناك من الفتاوى التى يمكن أن تتغير من موقع إلى موقع لأن كثيرا من الأحكام الإسلامية ـ كما هو معروف ـ تبنى على العرف والعادة ..

والعرف والعادة يختلفان من قطر إلى قطر بل ربما من مدينة إلى مدينة بشروطه المعروفة بعلم أصول الفقه ، فلا ضرر إطلاقا إن كان هناك بعض المتشددين فى الفتاوى بحكم البيئة التى يعيشون فيها فربما يكون هذا التشدد دفعا لخطر يرونه على الفكر الإسلامى ..

● التقليد والاتباع

المجتمع : تثار عادة بين علماء الإسلام قضية التقليد والاتباع ، الا ترى أن إنسان هذا العصر لا يعبأ بهذه القضية ، فرجل الشارع لم يعد يعرف ما إذا كان شافعيا او حنبليا او غير ذلك ، فقد بدأ يستقى معلوماته الدينية من المؤسسات التعليمية او من ائمة المساجد ... وعلماء العصر المختلفون .. غالبا ما يفتون دون الإشارة إلى المذهب . فما رأيكم ؟

شيخ الأزهر : يقول العلماء المتخصصون فى أصول الفقه إن مذهب العامى هو مذهب مفتيه ، ويقصد بالعامى الذى لا يعرف أصول المذهب ولا أدلته واعتقد أن كل شبابنا بل جمهور المسلمين هم من هذا النوع الذى لم يتخصص ولم يتفرغ لدراسة المذاهب الفقهية والتعرف على مصادر الأحكام فيها ، ودليل كل حكم أو كل مسألة هذا هو الذى يمكن أن يقال له شافعى أو حنفى أو مالكى أو حنبلى الذى تمرس بدراسة فقه مذهب من المذاهب أو المذاهب جميعا ، وعرف مأخذ كل إمام ينتسب إليه ..

ومن هنا فإن المقولة الأصولية التى تقول إن مذهب العامى هو مذهب مفتيه أو من أفتاه ، هذه تنطبق على جمهور المسلمين الذين لم يتأهلوا للدراسة الفقهية ، وهؤلاء إنما يتبعون فى المسائل التى يستفتون فيها أى عالم . يتبعون الفتوى التى سمعوها مادام العالم موضع ثقة وأهلا للعلم ، هذا هو المقصود أن لا يلجأ الإنسان إلا إلى عالم معروف بالعلم والتقوى والورع ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فإجابة السؤال باختصار أن جمهور المسلمين إنما هم بالنسبة للأحكام الشرعية يعتبرون غير دارسين وليس لهم التمذهب بمذهب معين ، وإنما فى الأمور التى يستفتون فيها يأخذون الفتوى التى استمعوا إليها على أن هناك أمورا معلومة من الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والصوم والزكاة والحج لا بد لهذه الأمور أن تكون معروفة عند الجميع ، إنما

دقائق الأمور التى تطرأ للمسلم عليه ان يلجأ للفتوى فيها وأن يأخذ برأى من أفتاه ما دام أهلا للفتوى دون أن يقول أنا مذهبى شافعى أوحنفى أوحنبلى أو أى مذهب آخر ..
على أنه كان هناك من يردد بأن النص موجود وعليه فيجب على سائر المسلمين أن يتعاملوا مع النص ولا داعى للتمذهب بمذهب معين ما دامت الوسائل كالمدارس وغيرها قد توافرت للمسلم ..
هنا لابد من القول :

من اين يتلقى المسلم العلم الفقهى ، هل يستطيع أى مسلم أن يلجأ إلى القرآن مباشرة ليستنبط منه الأحكام ؟
وهل الذى يفعل هذا يكون قد سلك طريق الصواب ؟

سأضرب لك مثلاً حين يفكر إنسان فى صنع دواء من الأدوية موجود مثله فى السوق هل يستطيع أن يتفرغ لينشىء معملاً ويأتى بالمواد الكيماوية ويصرف وقته وجهده فى التفكير فى دواء أم أنه يرجع إلى العلوم الصيدلية الموجودة ليأخذ منها ، إذن إذا أردت أن أتعرف على الأحكام الشرعية التى أخذت من القرآن والسنة أعود إلى كتب الفقه التى درست ومارست الإطلاع عليها ، وإذا طرأ ما لم يوجد فيها فإنى أجتهد إن كنت أهلاً للاجتهاد ، إنما الذى لم يمارس وربما لا يحفظ القرآن ولا يحفظ شيئاً من السنة ثم يقول أرجع إلى القرآن والسنة وهو لا يدرى أين الحكم وكيف يأخذه ، وللاجتهاد شروط ، كما أن لكل عمل شروطا وأهلية خاصة وهى لا تتوافر فى الجميع وإلا لما قال الله سبحانه توجيهاً وتعليماً : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ هذا أمر بالتخصص فى الفقه .

الإفتـــاء

المجتمع : يقال بان مستوى الإفتاء فى العصر الحديث صار أدنى من مستوى الإفتاء فى العصور السابقة ، فغالباً ما تكون الفتاوى الصادرة حالياً مختصرة .. كما أن كثيراً من أهل الإفتاء يميلون إلى الإفتاء بالأحوط دون إجهاد النفس بالبحث الشرعى عما يسهل للناس أمورهم من الأطر الشرعية .. فما رأيكم بهذه الملاحظة ؟

شيخ الأزهر : الأحوط حدده الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين قال : (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) الذى فيه الأحوط دائماً هو ما يؤول إلى الحرام ، أما الأمر البين على أنه حلال فيفتى بالحلال . الأمر البين على أنه حرام فيفتى بالحرام وحين يجد المفتى الأمر يدور بين هذا وذاك فمن الأحوط له أن يفتى بالمنع حتى لا يقع فى حرج الحرام وهذا هو نص الحديث .

المجتمع : هناك نظرية فى الإفتاء يعمل بها بعض الفقهاء وتقول بالإفتاء بالأحوط أى حتى لو كان الدليل أقوى وأصح فى الإباحة فى مسألة ما ، فالأفضل الإفتاء بالأحوط مثال ذلك :

←

الآن فى العصر الحديث قيادة المراة للسيارة ، إذ لم يرد نص يحرم على المراة ركوب الدابة او قيادتها بل ورد ما يثبت . لكن اصحاب هذه النظرية يقولون بان الإفتاء بالإباحة يترتب عليه مسالة اجتماعية ودينية لذلك ، فالأحوط الإفتاء بعدم جواز ركوب المراة للسيارة ويستند اصحاب هذا القول إلى إفتاء ام المؤمنين بعدم جواز ارتياد النساء للمساجد نظرا لتبدل الظروف الاجتماعية وازدياد الفساد فما رايكم بهذا المنهج ؟

شيخ الأزهر : أعتقد أن هذا المنهج يخالف ما عليه الاصول الإسلامية من قواعد الفتيا فقيادة المراة للسيارة ليست من الأمور المحظورة بنص شرعى صريح ، والمسالة كلها فيما أرى ترجع إلى قدرات المراة ، فليس كل امرأة لديها الاستعداد لقيادة السيارات أو تعلم هذا العمل ، كما أن الرجال ليسوا كلهم صالحين فهذا أمر من الأعمال التى تكتسب ولا مانع إطلاقاً إذا استطاعت المراة أن تتعلم قيادة السيارات ولديها القدرة على مواجهة صعابها ومفاجآتها فإن ذلك أمر جائز ، إذا كان هناك عرف فى جهة ما بأن المراة لا تقود سيارة أو أن المراة لا تعمل الشىء الفلانى فهذا أمر قضى به العرف ولم يقض به الدين .

لعلنا نذكر أن نساء الصحابة فى المدينة كن يذهبن إلى الحائط او الحديقة ، يذهبن إلى المزارع ويشاركن فى أعمال الزراعة ، وأذكر أن أسماء بنت ابى بكر وهى زوجة الزبير بن العوام كانت تذهب إلى حائط زوجها وتعمل فيه وتعود ؛ هذا هو العمل الذى كان سائداً فى ايامها ، معنى هذا أنها كانت تزاول العمل ووجدت لديها دابة فتركبها ومزاولة العمل فى أى عمل مشروع لا يخل بكرامة المراة ولا يعرضها للفساد هذا أمر لا حظر عليه إطلاقاً شريطة أن يتوافق مع العرف السائد ولا يتعارض مع حدود الشرع .

● العلماء بين الإرشاد والسياسة :

المجتمع : هناك من يقول إن علماء الدين يجب أن يبقوا موجهين ومرشدين للامة ولا يدخلوا معترك العمل السياسى الذى يولد الخصومة فما رايكم بذلك ؟

شيخ الأزهر : ليكن معلوماً أن الإسلام ليس فيه رجال دين .

فالإسلام دين أصوله ومصادره مفتوحة للجميع ليس فيه كهنوت وليس فيه رهبانية ، فالعالم مواطن عادى فرد من المسلمين كل تخصصه أنه درس علوم الدين وتأهل للفتيا فيه أو لدراسته أو لتدريسه وهذا لا يحجبه إطلاقاً عن أن يمارس حياته العادية المشروعة كفرد من أفراد أمته ، وهو الحاكم لنفسه كما يحكمها فى أى أمر آخر له أن يشتغل بالسياسة بشرط أن يتخلق بأخلاق الإسلام ولا يحيد عنها ، فمنع العالم من الاشتغال بالسياسة أعتقد انه امر يؤدى إلى حرمانه من حق من الحقوق التى يتمتع بها غيره دون مبرر مشروع .

● هل فقد الأزهر بريقه ؟

المجتمع : يرى البعض ان الأزهر الشريف فقد بريقه ودوره المتكامل خلال العشرين سنة الأخيرة ولا سيما بعد فترة الاستقلال حيث كان له دور مشرف ايام الاستعمار الانجليزى فى إعداد كل ما يلزم لتعبئة الجماهير وغير ذلك . هل صحيح انه فقد بريقه ؟

شيخ الأزهر : كأنك لا تعنى بسؤالك عن مهمة الأزهر العلمية والقيام على الدعوة وإنما تعنى موضوع قيادته للحياة الاجتماعية فى مصر إذا كان هذا هو سؤالك فأرجو أن تراجع تغيير الحالة الاجتماعية .

لقد جاء السؤال بأنه كان يعبىء الناس ضد الانجليز .
أين هم الانجليز الآن ؟ فالحكم وطنى وكلنا مصريون ، فإذن هو يدعو إلى الإصلاح ولا يدعو إلى ثورة على حاكم .

الحاكم الذى كان يقاوم ليس مسلماً وليس وطنياً ، أما الآن فالحكام ـ بحمد الله ـ مسلمون وطنيون .

الأزهر كان يقوم بدعوة الحاكم إلى الإصلاح ايام المماليك وغيرهم والآن هو يشارك ولا ننسى ان الدولة الآن دولة نظامية قانونية فيها مؤسسات كل مؤسسة قائمة بالتزاماتها وتخصصاتها ولا ينبغى أن تطغى أو تتدخل مؤسسة على أخرى . الأزهر مهمته الماضية قائم بها لكنها فى مجال الدعوة للإصلاح وللعدالة .

أما الدعوة لإزالة الظلم والفساد فكان الأزهر يباشرها لأنه لم تكن هناك جهة أخرى يلجأ إليها الناس إلا الأزهر ، أما الآن فهناك جهات نظامية فهناك القضاء ، وهناك النيابة العامة ، وهناك مجلس الدولة ، وهناك محكمة دستورية ، وهناك مؤسسات وهناك مجلس شعب ، وهناك حكومة لها وزارات ولها إدارات ولها ولها ولها ..

هذا كله لم يكن موجوداً فى الماضى وصار موجوداً الآن .
الأزهر لم يفقد شيئاً من البريق بل الأزهر توسعت نشاطاته فى مصر وفى العالم كله ونسأل الله له المزيد .

● التفكير والتشاؤم

المجتمع : البعض يرى ان التفكير الدينى مشبع بالتشاؤم وينظر إلى المستقبل من نافذة الفتن والملاحم ويرى انه ما من يوم ياتى إلا والذى يليه اسوا منه حسب الحديث ، ويرى ان الماضى افضل من الحاضر ومن المستقبل فإذا كان هذا صحيحاً فكيف تستطيع الأمة الإسلامية بناء مستقبل زاهر ؟

←

شيخ الأزهر : لا تؤخذ النصوص المحذرة من الوقوع فى الفتن والفساد على أنها نصوص تشاؤمية بقدر ما هى نصوص تحذر وتدعو إلى التفكير بالأمور قبل غشيانها . فالنصوص التى توحى بأن اليوم خير من الغد هى من باب التوجيه والتحذير من تجاوز الحدود والاحكام الشرعية التى رسمها الله سبحانه وتعالى ، وليس معناها ان ينكب المسلمون على الماضى وأن يتركوا شئون حياتهم يقودها ويسيرها غيرهم بل لهم أن يعملوا فى الدنيا كما فى الاثر : « اعمل لدنياك كانك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كانك تموت غداً » . لابد أن يجمع بين الامرين فى نطاق احكام الإسلام .

● الازهر والتقارب المذهبى

المجتمع : للأزهر الشريف جهود قديمة فى مسالة التقارب المذهبى بين اهل السنة وغيرهم من المذاهب . كيف يمكن ان نلخص ما حدث فى الماضى من التقارب ؟ وماذا يوجد فى برنامج الأزهر الشريف حول هذه القضية ؟

شيخ الأزهر : الأزهر يدرس المذاهب الفقهية دراسة مقارنة فى الدراسات العليا فى كلية الشريعة إعدادا لفئة من العلماء تفهمت أصول المذاهب وفقهها لتستطيع ممارسة العمل فى الفتوى والتدريس بروح تتبع الدليل دون أن تتبع المذهب وهذا من باب التمحيص والتحقيق للمسائل الفقهية المختلف عليها ، وليكن معلوماً أن المذاهب الإسلامية . ليست مذاهب مختلفة فى العقيدة أو فى الأصول ، وإنما قد تختلف فى طرق الاستنباط أو فى بعض الأدلة التى وصلت لهذا الفقيه ولم تصل للآخر أو فى مناهج الاستدلال فهى أمور جميعها ليست من الأمور الأساسية فى الإسلام ، وإنما هى موضع اجتهاد . يعنى مثلاً لا يكون الخلاف فى حكم من الأحكام للهوى ولمجرد الاختلاف .

القرآن لما قال : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ اختلف الفقهاء فى قدر مسح الراس لماذا ، لأن الدليل نفسه يقتضى الاختلاف امسحوا برءوسكم الباء « للتبعيض » أو « للإلصاق » إلى آخر ما يعرفه الأصوليون والفقهاء فالخلاف دائماً له منشأ ، إما لوجود دليل أو لأن هناك أدلة مختلفة منقولة من السنة يبدو فيها التعارض أو لأن هناك بعض الآيات فى القرآن يبدو بينها التعارض والفقيه مهمته فى هذه الحالة أن يتعرف واقع الحال ، وكيف يجمع بين هذه الأدلة متى كانت صحيحة فالاعتقاد أن مسألة الحديث عن المذهبية فى الإسلام من العوائق الفكرية أو من عوائق الاجتهاد خطأ ، وأعتقد أنه ناشىء عن عدم الدراسة الممحصة لفقه المذاهب الإسلامية .

/ المجتمع : هل من كلمة اخيرة للشباب المسلم وللدعاة فى العالم الإسلامى ؟

شيخ الأزهر : نصيحتى إلى الدعاة أولاً أن يخلصوا لله عملهم وألايتسببوا فى حدوث الخلاف بين الناس باختلافهم فى الفتوى وبالتزامهم نمطاً معيناً فى الحديث ، ونصيحتى للشباب أن يأخذوا أحكام دينهم عن العلماء المتفقهين فى الدين لا عن غيرهم ، ذلك ما أمر الله به حين قال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ونصيحتى أن ينشأوا على الإسلام ، وأن يحفظوا شيئاً من القرآن ، وأن يمارسوا قراءة السنة الشريفة وأن يلتزموا بآداب الإسلام .

وأسأل الله لنا ولكم التوفيق ..

وجزاكم الله خيراً ...

المجتمع : جزاكم الله خيراً ، وندعو المولى أن يحقق النصر لهذا الدين ولهذه الأمة التى تتكالب عليها الأمم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنوياً

١ - جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) أربعة جنيهات وثمانون قرشاً .

٢ - اتحاد البريد العربي الافريقي [بالبريد الجوي] (٣٥) خمسة وثلاثون دولاراً او ما يعادلها .

٣ - باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولاراً او ما يعادلها .

وتطلب رأساً من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر ..

لقـــاء
فضيلة الإمـام الأكبـر الشـيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـر
بالسـيد سـفير الفـاتيكـان
أنطونيو مايوني
٢ من جمادى الآخرة ١٤١٠هـ / ٣٠ ديسمبر ١٩٨٩م

* بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر بالسيد السفير ..
ثم تحدث السيد السفير قائلاً : لقد عينني البابا يوحنا بول الثانى سفيراً فى مصر .. ورأيت انه من واجبى ان ازور فضيلة الإمام الاكبر ..

* فضيلة الإمام الاكبر : مرة اخرى ارحب بالسيد السفير فى مصر .. وآمل ان يكون عمله فى مصر تعزيزاً للعلاقات بين مصر والفاتيكان
* السفير : عندما كنت فى « نيوزيلاند » كنت اقرأ عن اهمية الجامع الازهر .. واليوم اتشرف بلقاء فضيلتكم .
* فضيلة الإمام الاكبر : اهلاً وسهلاً .
* السفير : نجد ان الأخوة مشتركة بين فضيلتكم وقداسة البابا .. وكلاكما يعمل من أجل السلام والقيم فى العالم .
* فضيلة الإمام الاكبر : الزمالة بين الأديان السماوية ينبغى ان تاخذ دورها فى تنمية العلاقات بين كافة الشعوب ليعيش الناس فى سلام .
* السفير : وجدت فى مصر استقبالاً طيباً من السلطات ومن الشعب .
* فضيلة الإمام الاكبر : ليطمئن السيد السفير بان شعب مصر .. وهو اغلبية مسلمة والإخوة الأقباط جميعهم يلتزمون بالدين .. ولا شك ان للدين تاثيراً كبيراً فى المعاملة .. وهذا ماسيراه مع المصريين فإنهم قوم متدينون على اختلاف دياناتهم .

* السفير : فعلاً فقد وجدت هذه الحرارة الإنسانية بين الشعب والسلطات .. ويسرني ان ارى أن السلطات المصرية تقوم بدور كبير جداً في تحقيق السلام والعدالة ليس فقط في الشرق الأوسط .. ولكن في افريقيا ايضاً فهي تبذل مجهودات عظيمة .
* فضيلة الإمام الأكبر : هذا امر طيب .. فالسلطات المصرية تتعامل مع الشعوب الافريقية وغيرها بطريقة إنسانية .. وذلك بمساعدات مادية وغير مادية وكل ما تستطيع ان تقدمه من معونات .
* السفير : شيء آخر اعجبني جداً في مصر .. وهو احترام جميع الديانات واحترام القيم الإنسانية .
* فضيلة الإمام الأكبر : هذا امر طيب .. وشكراً للسيد السفير عن استظهاره هذا ، بسرعة ، بالرغم من ان حضوره إلى مصر منذ فترة قليلة .
* السفير : الرهبان والكهنة والراهبات في مصر يعملون من اجل شعب مصر دون تمييز بين مسلم ومسيحي .
* فضيلة الإمام الأكبر : هذا امر منتظر منهم باعتبار ان خدماتهم إنسانية دون تمييز بسبب اختلاف الأديان .
* فضيلة الإمام الأكبر : اين كان يعمل السيد السفير قبل حضوره إلى مصر ؟
* السفير : كنت ممثلاً للبابا في « نيوزيلاند » ومسئولا عن الجزر التي تقع في المحيط الهادى ، ونيوزيلاند عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة .. وهناك جزر تكون دويلات صغيرة .. ومنها من لها تبعية لفرنسا .
* فضيلة الإمام الأكبر : ما مدى العلاقات الإنسانية في هذه الأماكن بين السكان ؟
* السفير : هناك تصور في العلاقات بين السكان المولدين هناك وبين الوافدين .. والمولدون في الجزيرة متطرفون سياسياً .
* فضيلة الإمام الأكبر : هل السكان مختلفو الاديان ام يتبعون ديناً واحداً ؟
* السفير : هناك كل السكان مسيحيون وينتمون إلى مذاهب متعددة ..
* فضيلة الإمام الأكبر : هذه معلومات طيبة وضحها السيد السفير .

ونأمل أن يكون تعيين قداسة البابا لكم سفيراً في مصر فيه توثيق للعلاقات .
* السفير : سوف ابذل كل جهدى لتعزيز العلاقات بين مصر والفاتيكان .. واشكركم لهذا الاستقبال .
* فضيلة الإمام الأكبر : شكراً للسيد السفير على هذه الزيارة ..

حضر المقابلة : د . مجدى حسن الانور

- راجعه وصححه الشيخ عمر البسطويسى على
بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

استخلاف الإنسان في الأرض

للدكتور: محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

هذه قصة من قصص القرآن الذى ذكر للاعتبار، واستنباط الموعظة، وتثبيت المؤمنين، وخذلان غيرهم، وهي دالة على نبوة محمد ﷺ، وهو الأمي ما كان يتلو من كتاب قبل الوحي إليه حتى يُدَّعَى انه نقله من أساطير الأولين.

وقوله: «إذ» منصوب بعامل محذوف كما صرح به في موضع آخر ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ ﴾ وهي لا تدخل إلا على الماضي لفظاً أو تقديراً، كما قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى ﴾، فإن دخلت المضارع، حولته ماضياً كما قال: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقد تأتي للحاضر حين لا يكون ماض ولا مستقبل، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾، لأن افعال الله أحداث فوق الزمن، وكل ما يرويه الناس عن الناس باسم التاريخ ليس إلا رغوة متطايرة فوق بحر الحياة الإنسانية؟

وقوله: ﴿ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾، لم يكن ذلك لاستشارتهم كما يظن، بل هو لتلقين الناس درساً يتعلمون منه كيف يدبرون شئونهم على الشورى التي لا غنى لهم عنها والتي هي قوام حياتهم، ومحل استقرارهم، من عواصف قد تقتلعهم من أصولهم، والله في غنى عنها، لكن شرعها للأمم رحمة بهم، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾.

وتلك الفقرة تدل على قصور علم الملائكة، فهم جاهلون بما سيكونُ ما لم يُعلمهم علام الغيوب، ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ هو آدم وبنوه من بعده، واعتبارهم خلفاء يعني أن لهم رسالة في تلك الحياة، لتعمير الأرض بما يتيسر لهم من أساليب تعميرها، وكأنهم حملوا مهمة التكليف من أول أمرهم، والبحث فيما يجب عليهم للنهوض بالإنسانية، أهم من البحث فيمن تقدمهم، أهم خلفاء الجن أم خلفاء الملائكة أم

خلفاء الله أم يخلف بعضهم بعضاً ، والذى يعنينا قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾ ، ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

والزلة هى أن تسمع استغاثة قلب ولا تغيثه ، والتقصير أن يدعوك الحب لتقدم نفسك محرقة على مذبحه فلا تقدمها .

والذين استخلفهم الله فى أرضه ، نسوا ما أوجبه الله عليهم ، ليرقوا بالإنسانية إلى ما يصل بها إلى رضى الله وتحقيق ما أراده منهم ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ ومنهم من استدفأ فراش الشهوات ، وهو بارد ، واستنعم لحاف الملذات وفيه مناخس، وويل لمن يصافح الموت بيد ملوثة بالآثام ، مغلولة بالشهوات ، ذاك يجد يد الموت ، ابرد من الجليد ، واقسى من الحديد .

﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ليس هذا يعد من الملائكة اعتراضا على الله فهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وإنما هو من باب الاستفهام عن الحكمة التى خفيت عليهم ، وهم معصومون من الزلل فيما نرى ، ولا ينافى العصمة جهلهم بخفايا الأمور .

فالعدل شىء والإحسان شىء آخر ، وهما فى موازين البشر غير ما هما فى ميزان الله ، وويل لعين ألفت الشمس فلم تر فيها إلا وجاق يدفئها ، ومشعل يدلها على الطريق من هنا إلى هناك ، إنها لعمياء وإن أبصرت الدغشة على بعد ميل ، وويل لاذن ألفت تغريد البلابل وهى لا تسمع سوى نوطات متتابعة ، إنها لصماء وأن سمعت دبيب النمل تحت الثرى .

ادركت الملائكة شيئاً من رسالة الإنسان فأحست ما يعتريه من عيوب ، إذ من شأن الخليفة أن يكون مصلحاً غير مفسد ، ومسالماً يرتفع بالمحافظة على الدماء لا بسفكها ، وهذا حق ، لكننا والملائكة لم نعلم كل شىء ، فالذى ارادوه ممثل فى الأخيار من الناس وهم قلة ، عرفوا ربهم ، وسلكوا طريقهم المستقيم ، وضل غيرهم لتظهر القيمة لاجتهاد الروح ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

وأول نظرة هى اللحظة الفاصلة بين نشوة الحياة ، ويقظتها ، يهتدى الإنسان فيها إلى خالقه ، وهى الشعلة الأولى التى تنير خلايا النفس ، وأول رنة سحرية على أول وتر من قيثارة القلب البشرى ، وأونة قصيرة تعيد على مسمع النفس أخبار الأيام الغابرة ، وتكشف لبصرها أعمال الليالى ، وتبين لبصيرتها أعمال الوجدان ، وتبيح سر الخلود فى العالم الآتى .

والإفساد فى الأرض خطيئة ، تئن الجبال من حمل أوزارها ، وسفك الدماء كبيرة تعدل زوال الدنيا ، ومع ذلك ففى الإنسان جوانب رشحته لان يكون خليفة فى الأرض ، وقد خلقه الله ليبلوه اى افراده أحسن عملا ، وأنقى سريرة ، وأطيب سيرة ، وإعجاب الملائكة بطاعتهم لا ينافى عصمتهم ، لان هذا الإعجاب ورد على قياس أعمال بأعمال ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ ، ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ فلم يُدللوا على الله بطاعتهم ، وإنما قارنوا بين أعمال الصالحين وسلوك المفسدين ، وَفِى العقل السليم ، أن المصلح أحق بأن يكرم أكثر من غيره ، فادرك

استخلاف الإنسان فى الأرض

النتيجة ، وغابت عنه وسائلها ، فالمسئولية التى حملها الإنسان هى ما رشحته للخلافة ، وكون بعض الأفراد أخل بها ، لا يقدح فى تقرير المبدأ إذ المهمة تعمير الأرض ، والملائكة ذكروا عبادتهم ، وهم عنها لا يفترون ، ولا ينقطعون .

بيد أن الله أضاف إلى تلك العبادة عملاً يظهر اثره فى الكون ، ولا ينحصر فى التسبيح والتقديس ، كمن يطلب ملحاً فيقدم له السكر وكلاهما لازم ، فسلام لك ايها الروح الضابط اعنة الحياة ، المحجوب عنا كى لا نطمع فى رؤية ما هو اعظم منك ، وسلام لك ايها القلب الذى يستطيع أن ينشد السلام ، وهو مغمور بالمواجع ، وما أسخف الحياة لولا أنها تدك على قدرها وشرفها ببعض الأحياء ، الذين نراهم فى عالم التراب كأن مادتهم من السحب ، وانظر إلى قوله للملائكة : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وكأنه رجع بما يستفهمون عنه إلى العلم الذى خلت الملائكة منه ، وكل ما فى الأرض يحيا بناموس طبيعته ، وكم نتمرد على الغير ، جاهلين اننا لا نتمرد إلا على انفسنا الجاهلة ، وكم تهب فى داخلنا عواصف تجلو ما اكمد من افاق أرواحنا ، والذين انفتحت كوى أرواحهم ، فأبصروا انفسهم فى كل نفس ، واتصلت حياتهم بكل حياة ، وطبقوا اعمالهم على افكارهم ، اولئك رسل الحق ، وهداة البشرية إليه ، وفضيلة العلم هى ميزة الإنسان ، ولذا قال : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، وسواء كانت الأسماء هى الذوات أو الأوصاف فالمراد ما فيه نفع وخير ، لا ما يملأ فراغ الرءوس بما لا قيمة له ، ولا يعنينا اى علم تعلمه آدم بقدر ما يعنينا أن الله علمه ما هو فى حاجة إليه ولازم لحياته ، وليس للملائكة شأن فى أن يعلمه الله ، أن هذا اسمه كذا ، وهذا اسمه كذا ، كما قال بعض المفسرين ، وإنما القدر المشترك بين الإنسان والملك هو علم ما ينفعه ومن اجل ذلك قال : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وفى هذا إشارة إلى أن الملائكة ادعوا دعاوى لا يصلح لها ما استدلوا به ، فهم قد استدلوا بالتسبيح والتهليل على غير ما أراده الله من الإنسان فى الأرض ، ولعل فى هذا درساً للذين يكتفون من الدين بالشعائر الشخصية ، ولا يعلمون أنه يريد مع ذلك شيئاً آخر ينال بالتعلم والبحث .

فالملائكة صادقون فى عبادتهم ، غير مؤهلين لتعمير الأرض لأن ذلك ليس من مهمتهم ، فالشرط هنا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ليس طعناً فى صدق الملائكة ، بل هو بيان لهم الا يتدخلوا فيما لا علم لهم به ، كما قال سبحانه : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ ، ومن هنا اعترفوا ولم يستحوا أن يقولوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ، والحياة وحدة شاملة تتكسر عليها كل المقاييس : الجزئية ، والفردية ، والزمانية ، والمكانية ، ولا يجوز لنا أن نخوض فيما يقلل من عصمة الملائكة ، فقد نرى مالا يراه الآخرون ، وقد يحسون بما لا نحس به ونشعر ، وكم من ساعة تدب ثوانيها فى أصفاد من الهم والأسى ، كانت دقيقة ترفرف بأجنحة من الزهو والطرب ، والذين ادركوا بلاغة الصمت ، وهيبة السكون فى حضرة مالا يحد ، لم يولدوا بعد ، ولعل أقصى درجات المعرفة ، هى المعرفة بأن سر الحياة يدرك بالروح ، ولا يذاع باليد واللسان .

وعقيدتنا فى كل أمر غيبى : أن نؤمن به ، ونتكلم فيه على قدر ما علمنا ، وشعارنا ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ .

مَعنىً واسْتِثناء

في الكتاب العزيز

لفضيلة الشيخ
محمد محمد على الرماح

قال ابن فارس فى كتاب الافراد :

كل ماف القرآن من ذكر « البروج » فمعناه الكواكب إلا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ فهى القصور الطوال الحصينة .

وكل ما فى القرآن الكريم من ذكر « الأسف » فمعناه الحزن إلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ فمعناه « أغضبونا » .

وكل ما فى القرآن الكريم من ذكر « البر والبحر » فالمراد بالبحر الماء وبالبر التراب اليابس إلا قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ فالمراد به « البرية والعمران » .

وكل ما فى القرآن الكريم من كلمة « بخس » فمعناه النقص إلا قوله تعالى : ﴿ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ فمعناه « حرام » .

وكل ما فى القرآن الكريم من « البعل » فهو الزوج إلا قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ فمعناه « الصنم » .

وكل ما فى القرآن الكريم من ذكر « البكم » فمعناه « الخرس » عن الكلام بالإيمان إلا قوله تعالى : ﴿ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ فى سورة الإسراء ﴿ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ فى سورة النحل ؛ فالمراد به عدم « القدرة على الكلام مطلقا » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « جثيا » فمعناه « جميعا » ، إلا قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ فمعناه : « تجثو على ركبها » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « حُسْبَانًا » فهو « العدد » ، إلا قوله تعالى : ﴿ حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ فى سورة الكهف فهو بمعنى « العذاب » .

وكل ماف القرآن الكريم من لفظ « حسرة » فمعناه « الندامة » ، إلا قوله تعالى : ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فمعناه « الحزن » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « الدحض » فمعناه « الباطل » ، إلا قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ فمعناه من « المقروعين » .

←

معنى واستثناء

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « رجز » فمعناه « العذاب » إلا قوله تعالى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ فمعناه « الصنم » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « ريب » فمعناه « الشك » إلا قوله تعالى : ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ فمعناه « حوادث الدهر » .

وكل ما في القرآن الكريم من « الرجم » فمعناه « القتل » إلا قوله تعالى : ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ فمعناه « لأشتمنك » وتجيء ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ يعني « ظنا به » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « الزور » فمعناه « الكذب » مع الشرك إلا قوله تعالى : ﴿ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ فمعناه « الكذب الحقيقي غير الشرك » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « زكاة » فمعناه « المال » إلا قوله تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ﴾ فمعناه « طهرة » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « الزيغ » فمعناه « الميل » إلا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ فمعناه « شخصت » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « سخر » فمعناه « الاستهزاء » إلا قوله تعالى : ﴿ سُخْرِيًّا ﴾ في سورة الزخرف فمعناه « التسخير » والاستخدام .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « سكينة » فمعناه « الطمأنينة » إلا التي في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في سورة البقرة في قصة طالوت فمعناه « شيء كرأس الهرة له جناحان » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « سعير » فمعناه « النار والوقود » إلا في قوله تعالى : ﴿ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ فمعناه « العناء والمشقة » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « شيطان » فمعناه « إبليس وجنوده » إلا في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾ فمعناه « قرناؤهم من الإنس » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ : « أصحاب النار » فمعناه « أهلها » إلا في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ فمعناه « خزنتها » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « صلاة » فمعناه « عبادة ورحمة » إلا قوله تعالى : ﴿ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾ فمعناه « الأماكن » جمع مكان .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « عذاب » فمعناه « التعذيب » إلا في قوله تعالى : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ فمعناه « الضرب » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « قنوت » فمعناه « الطاعة » إلا في قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ فمعناه « مقرون » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « كنز » فمعناه « المال » إلا في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ فمعناه « صحيفة علم » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « مصباح » فيه كوكب إلا في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فمعناه « السراج » .

وكل « نكاح » فيه « تزوج » إلا في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ فمعناه « الحلم » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « نبأ » فمعناه « الخبر » إلا في قوله تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ ﴾ فمعناه « الحجج القاطعة » .

وكل ما في القرآن الكريم من لفظ « ورود »

فمعناه « الدخول » إلا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ فمعناه « هجم عليه ولم يدخله » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فالمراد منه « العمل » إلا التى فى سورة الطلاق فالمراد منه « النفقة » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « يأس » فمعناه « القنوط » أو فيه « القنوط » إلا فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فى سورة الرعد فمعناه « العلم » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « صبر » فمعناه « محمود » إلا قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ و﴿ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾ .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « صوم » فمعناه « العبادة » إلا فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً ﴾ فمعناه « الصمت عن الكلام » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « الظلمات والنور » فمعناه « الكفر والإيمان » إلا فى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ فى سورة الأنعام فالمراد به « ظلمة الليل ونور النهار » .

وكل ما فى القرآن الكريم من لفظ « الإنفاق » فمعناه « الصدقة المفروضة وغيرها » إلا فى قوله تعالى : ﴿ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ﴾ فمعناه « المهر » .

وقال الدانى : كل ما فى القرآن الكريم من « الحضور » فهو بالضاد إلا فى قوله تعالى ﴿ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ فهو بالظاء .

وقال ابن خالويه : لا يوجد فى القرآن الكريم لفظ « بعد » بمعنى « قبل » إلا حرف واحد فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ فبعد هنا بمعنى « قبل » ونظيره فى سورة النازعات فى قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

قال أبو موسى فى كتاب المغيث : معناه « هنا قبل » لأن الله تبارك وتعالى خلق الأرض فى يومين ثم استوى إلى السماء . فعلى هذا خلق الأرض قبل خلق السماء . لقد تعرض النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعون لشىء من هذا النوع . فأخرج الإمام أحمد فى « مسنده » وابن أبى حاتم وغيرهما من طريق دارج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : كل حرف فى القرآن الكريم يذكر فيه « القنوت » فهو « الطاعة » هذا إسناده جيد وابن حبان يصححه .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كل شىء فى القرآن « أليم » فهو « الموجع » . وأخرج من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : كل شىء فى القرآن « قتل » فهو « لعن » خرج من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : كل شىء فى كتاب الله من « الرجز » يعنى « العذاب » .

وقال الفريابى حدثنا قيس عن عمار الذهبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كل « تسبيح فى القرآن صلاة » . وكل « سلطان » فى القرآن « حجة » .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : كل شىء فى القرآن « الدين » فهو « الحساب » . وأخرج ابن الأنبارى فى كتاب « الوقف والابتداء » من طريق السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال : كل « ريب شك » إلا مكانا واحدا فى سورة الطور « رَيْبَ الْمَنُونِ » معناه « حوادث الأمور » .

وأخرج ابن أبى حاتم وغيره عن أُبىِّ ابن كعب قال : كل شىء فى القرآن من « الرياح » فهى « رحمة » . وكل شىء فيه من « الريح » فهو « العذاب » .

نسأل الله أن ينفعنا بالقرآن الكريم وأن يعطينا بكل حرف عشر حسنات كما قال رسول الأنام وأن يجعله شاهدا لنا لا شاهدا علينا إنه سميع مجيب .

الإسراء والمعراج
ومشاهد التكريم للنبى الكريم
صلى الله عليه وسلم

للأستاذ حسن قرون

قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ « الآية (١) من سورة الإسراء » .

وقال تعالى :

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى[1] . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ « الآيات ١٢ ـ ١٨ من سورة النجم » .

هؤلاء الآيات الكريمات يدور حولهن الحديث والبحث فى الإسراء والمعراج ، ولقد أطال السلف الصالح فى تحقيق ما جرى فى ليلة الإسراء والمعراج ، وتبعهم الخلف بإحسان يستعرضون ماقدمه الآباء ، ويسترشدون برواياتهم لأحاديث النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أصحابه ، والآيات القرآنية واضحة الدلالة وهادية إلى سواء السبيل ، ولا سيما آية الإسراء ، وأنا لا أحب أن أدخل فى الروايات التى تدور حول رحلة المختار إلى القدس حيث المسجد الأقصى ، ولا أحب أن أقلب ماذكروه حيث عروج النبي بصحبة جبريل إلى السموات العلى . فيكفينى أن أذكر بعض المشاهد التى نال فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكريمه من ربه الذى أرسله للناس هادياً وبشيراً وسراجاً منيراً .

(١) نزلة أخرى = رأى النبى جبريل مرتين مرة تحت سماء مكة ، ومرة حين عرج به إلى السماء فى صورته الملائكية .

وآية الإسراء تعطى مظهر الرحلة بفخامتها بأفخم الألفاظ المناسبة مع الإيجاز الدال على المعنى .

والبدء بـ « سبحان » التى تفيد تنزيه الله من كل سوء تَدُل على العمل العظيم الذى لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - وهو الإسراء « بعبده » محمد جسداً وروحاً ، ومع أن (بعبده) دالة على شخصية محمد إلا أنها أيضاً - كما قال العلماء - : لو كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - اسم أشرف منه لسماه به فى تلك الحالة العلية ، قال الشاعر :

يا قوم قلبى عند زهراء
يعرفه السامع والرائى
لا تدعنى إلا بيا عبدها
فـإنه أشرف أسمـائى

والرحلة فى الآية : تبدأ من المسجد الحرام بمكة وتنتهى إلى المسجد الأقصى بالقدس بأرض الأنبياء ، ووسيلة الانتقال « البراق » وهو كالبرق فى السرعة كما يدل عليه اسمه ، والصاحب فى الرحلة الملك العظيم جبريل عليه السلام ، وفوق هذا كله عناية الله تحرسه ، فهو الذى أسرى به ليكرمه ويشرع له .

وقد ثبت الإسراء بالكتاب والسنة ولا يجحده إلا من كتب عليه الشقاء .

واستأنف الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه الرحلة الأخرى إلى السموات العلى ليحظى بلقاء ربه ويتلقى التكريم فى كل سماء ، من الأنبياء والمرسلين وأولهم أبوه آدم وآخرهم أبوه إبراهيم عليهما السلام .

لقد جاء ذلك التكريم العظيم عقب ما لقيه من كل معتد أثيم ؛ حين ضاقت عليه مكة بما رحبت بعد وفاة الزوج الحانية خديجة - رضى الله عنها - ووفاة العم الحبيب أبى طالب ، فقد تجرأت قريش عليه فلجأ إلى الطائف لعله يجد من أشرافها رجالاً يؤمنون برسالة ربه وينصرونه على مخالفيه ، فلقى فى الطائف ما لم يلقه فى مكة من إيذاء واعتداء ، فقد أغرى أشراف الطائف سفهاءهم وعبيدهم إذ وقفوا له سماطين يضربونه بالحجارة حتى دميت قدماه ، فكان أن لجأ لحائط (بستان) لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة ، وهما فيه ينظران إليه ، وبلغ هول ماأصابه قلب صاحبى الحائط فتحركت له رحمهما (النبى والأخوان من بنى عبد مناف) فلما اطمأن داخل البستان قال دعاءه المشهور ، وكان بصحبته على الرواية الصحيحة مولاه « زيد بن حارثة » ، ونص الدعاء :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على النـاس يـاأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علىّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ثم رجع إلى مكة بعد أحداث فدخلها بجوار أحد بنى عبد مناف « المطعم بن عدى » .
فالله عز وجل أسرى به وعرج بشخصه ليرى مكانته والاعتراف بنبوته من ملأ خير من ملئه الأرضى .

يقول الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه « زاد

← الأسراء والمعراج

المعاد فى هدى خير العباد ، بعد حديثه عن الإسراء : ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا فاستفتح له جبرائيل ففتح له فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه فرحب به ورد عليه السلام ، واقر بنبوته ، وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن يساره .

ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم فلقيهما وسلم عليهما فردا عليه ورحبا به ، وأقرا بنبوته .

ثم عرج به إلى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف فسلم عليه فرد عليه ورحب به واقر بنبوته .

ثم عرج به إلى السماء الرابعة فرأى فيها إدريس فسلم عليه ورحب به واقر بنبوته (واكثر الرواة يذكرون عند إدريس قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ .

ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران فسلم عليه ورحب به واقر بنبوته .

ثم عرج به إلى السماء السادسة فلقى فيها موسى بن عمران فسلم عليه ورحب به واقر بنبوته ، فلما جاوزه بكى موسى فقيل له : مايبكيك ؟ فقال : ابكى ؛ لان غلاماً بعث من بعدى يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتى ..

وانا فى نفسى شىء من بكاء موسى ووصفه محمداً بأنه غلام ، لان هذا لا يليق بالأنبياء ، وكان النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينهى أصحابه عن تفضيله على غيره من الأنبياء والمرسلين ، وإن كان الله من حقه أن يفضل بعض الأنبياء على بعض قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ .. ﴾ .

ونعود إلى الرحلة .. ثم عرج به إلى السماء السابعة فلقى فيها إبراهيم فسلم عليه ورحب به واقر بنبوته ، ثم رفع إلى سدرة المنتهى ثم رفع له البيت المعمور ، (والبيت المعمور فى السماء يقابله فى الأرض البيت المزور فى مكة ـ الكعبة) .

ثم عرج به إلى الجبار ـ جل جلاله ـ فأوحى إلى عبده مااوحى وفرض عليه خمسين صلاة فى اليوم والليلة فرجع حتى مر على موسى فقال له : « بم امرت ؟ قال : بخمسين صلاة . قال : إن امتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار أن نَعَمْ إن شئت ، فعلا به جبرائيل حتى لقى به الجبار ـ تبارك وتعالى ـ هذا لفظ البخارى فى بعض الطرق ، فوضع عنه عشرا ثم انزل حتى مر بموسى فأخبره فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل حتى جعلها خمساً ، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف ، فقال له : قد استحييت من ربى ولكنى ارضى واسلم » ، فلما بعد نادى مناد : قد امضيت فريضتى وخففت عن عبادى : (فهى خمس واجرها اجر خمسين صلاة ، كما جاء فى بعض الروايات) .

وانت ترى فى كل ما سجلناه آنفا أن النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقى التكريم من الأنبياء والإقرار بنبوته ، ثم كان التكريم الأكبر أن الله خاطبه وفرض عليه الصلوات الخمس فأين الأرض ومن عليها من تكريم الله وانبيائه ،

وكان الختام أن الانبياء نزلوا معه إلى المسجد الأقصى فصلى بهم إماماً ، كان هذا عطفاً من الله ورفعا لمكانة خاتم الأنبياء والمرسلين ليثبت فؤاده ، ويقوى همته فيستأنف الدعوة والجهاد فى سبيلها ؛ وقد كان .

ويفهم من هذه الرواية أن النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلقى فريضة الصلوات الخمس من ربه يسمعه ويستجيب له ، وبهذا يدخل مع الانبياء الذين كلمهم : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ « ٢٥٣ ـ البقرة » .

فموسى كليم الله ، وآدم كلمه الله وفى ليلة الإسراء والمعراج كلم الله محمداً ـ صلى الله عليهم جميعاً ـ .

قال الرواة : « وسئل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل رأيت ربك ؟ قال : رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غيره هكذا يروى عن أبى العالية » .

قال ابن كثير : « ذلك غريب جداً » ، وهذا موضوع لا أميل إلى الخوض فيه ، ولكنى أساير السلف فى ذكره ، وأعتقد أننا سنرى الله فى الآجلة .

وما من شك فى أن الإسراء والمعراج كانا قوة تضاف إلى قوته فى تبليغ الرسالة وعزيمة تشد من عزيمته ليجابه عتاة قريش وشياطين العرب ، فلقد كرمه الله غاية الإكرام وأراه من آياته الكبرى أموراً عظاما فتحت عينيه على قوته وعلو مكانته .

يقول ابن هشام فى « السيرة النبوية » متحدثاً عن عودته راويا عن ثقاته .. فلما أصبح غدا على قريش ـ فى أنديتها ـ فأخبرهم الخبر ، فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر ـ العجيب ـ البين ، والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهرا مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له : هل لك ياأبابكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ؟ فقال لهم أبوبكر : إنكم تكذبون عليه .

فقالوا : بلى هاهو ذاك فى المسجد يحدث به الناس فقال أبوبكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فو الله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه . ثم اقبل حتى انتهى إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يانبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم انك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .

قال : يانبى الله فصفه له ، فجعل رسول الله يصفه له ، وكلما وصف له شيئاً منه قال : صدقت ، أشهد انك رسول الله . حتى إذا انتهى من وصفه قال له : وأنت ياأبابكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ « الإسراء ٦٠ » .

« والرؤيا » هنا تفيد الرؤية البصرية ، فالكلمة تستعمل فى الأمرين الرؤية البصرية والرؤيا المنامية ، واللغويين يعرفون ذلك ، ورواية أم هانىء بنت أبى طالب تعطيك صورة لشجاعة الرسول وتصديه لقريش ليخبرهم خبر الإسراء

الاسراء والمعراج

فقد أخذت بطرف ردائه لتمنعه من لقاء قريش خوفاً عليه من تكذيبهم وايذائهم ، ولكنه خرج إليهم وحدثهم وأخبرهم بحال قافلة لهم راجعة من الشام وماراه من إبلها ومائها ووقت وصولها مخالفة الصدق ، وباءوا بالمقت لنفورهم وعنادهم .

ومما دونه ابن هشام فى « السيرة » حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما دخل السماء الدنيا ورأى أبا البشر آدم وقد ذكرت ذلك فيما مضى يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ثم رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل فى يديهم قطع من نار كالأنهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما . ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل(٢) آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة(٣) حين يعرضون على النار يطئونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .

قال : ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث المنتن ، ويتركون الثمين الطيب . قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ، ويذهبون إلى ماحرم الله عليهم منهن ..

قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

إلى كثير مما شاهد ورأى حدث ونصح أصحابه ، وسنرى فى مستقبل الدعوة أن ماحدثهم به ينص عليه فى تشريعه .

وعلماؤنا قالوا : إن الإسراء حدث قبل الهجرة بسنة .

وبعضهم قال : إنها كانت قبل الهجرة إلى يثرب بستة عشر شهراً ، وأنا أميل إلى الرأى الأخير ، فلقد كانت الأشهر والأيام التى أعقبت الإسراء والمعراج ، حافلة بنشاط الدعوة والاتصال بيثرب التى هاجر إليها أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للإسلام دارا وقرارا فهى المدينة الأولى التى فتحت بالقرآن .

وللإسراء والمعراج منزلة فى دار الإسلام على توالى العصور ، والاحتفال بتلك الليلة التاريخية بتلاوة القرآن ودراسة تاريخ الدعوة فى عهد صاحب الرسالة من ميزات المؤمنين الصادقين .

وقد جعل السلف الصالح ليلة السابع والعشرين من رجب هى ليلة الاحتفال والبهجة وتبادل التهنئات .

وقد عنى بالحديث عنها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية .

يقول إن القيم فى « زاد الميعاد » موازناً بين ليلة الإسراء وليلة القدر :

« وقد قال بعض الناس إن ليلة الإسراء فى حق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل من ليلة القدر وليلة القدربالنسبة إلى الأمة أفضل من ليلة الإسراء ، فهذه الليلة فى حق الأمة أفضل لهم وليلة الإسراء فى حق رسول الله أفضل له » .

أما المسلمون فيلفهم فضل الليلتين ، بردائه وينعمون بذكرياتهما وينالون فيهما رضا الله بتوفيقهم للعمل الصالح ، وحب الله ورسوله .

والله ولى التوفيق ..

(٢) آل فرعون أشد الناس عذابا يوم القيامة بنص القرآن الكريم .

(٣) المهيومة : العطاش .

من
المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى

للأستاذ الدكتور السيد تقى الدين

إن رحلة الإسراء والمعراج التى انعم الله بها على عبده ونبيه عليه الصلاة والسلام لم تكن مجرد رحلة عابرة وإن كانت كشفا لغيب اراد الله سبحانه وتعالى ان يريه لنبيه ويخصه به بما يناسب مقامه وقربه منه وجهاده فى سبيله ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ سورة الجن ٢٦ - ٢٨ .

والإسراء والمعراج كان واحدا من اهم واخطر المراحل التى مرت بها الدعوة الإسلامية .

فى شوال من السنة العاشرة للبعثة وبعد موت أبى طالب عم الرسول ﷺ - الذى كان يدافع عنه ، وبعد موت خديجة التى كانت تسليه عن إيذاء قريش ، فى هذه السنة وبعد هذين الحدثين المؤلمين توجه ﷺ إلى الطائف رجاء أن ينصروه ويعززوه فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف أخوه وسادة وهم : عبد ياليل وحبيب ومسعود وكلهم بنو عمرو بن عمير .

فجلس إليهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وكلمهم بأنه جاء ليعينوه على نشر الدعوة الإسلامية ومناصرته على المخالفين عن قريش والعرب فقال أحدهم : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟

وقال ثان : والله لا اكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك . وقال ثالث : نحن نؤيدك إن كان الله أرسلك .

فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من تصرف ثقيف وانطلق وهو مهموم .. ولم تكتف ثقيف بردها وإنما أرسلت فى أثر النبى سفهاءها وعبيدها يسبونه ويصيحون به . لقد ضاقت فى وجهه مسالك الأرض ولكنه لم يكد يطمئن حتى رفع يديه إلى السماء ودعا بدعاء رقيق ضارع جاء فيه « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين[1]

(١) رواه البخاري

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

قفل رسول الله ﷺ راجعا إلى مكة حتى إذا وصل إلى موضع بين مكة والطائف يقال له « قرن ثعالب » رفع رأسه إلى السماء ، يقول ﷺ : فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فإذا فيها جبريل فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وماردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . ثم تقدم ملك الجبال فقال .. السلام عليك يارسول الله أنا طوع أمرك فأمر بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم جبلى مكة : ابوقبيس وقعيقعان ، فعلت ما تأمرنى به . فقال ﷺ : لا تفعل بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .[٢]

ارايت إلى جبروت أهل الطائف وسوء أدبهم ، ثم انظر إلى النبى ﷺ إلى من توجه فى محنته وكيف كانت ضراعته فى وقت العسرة .

إن المحنة لم تخرجه عن طبيعته السمحة الرضية ، إنه لا يطلب إلا رضا الله ، وانظر إلى الملأ الأعلى وقد تحرك لإنقاذ حياة رسول الله ﷺ وأتاه الصوت من جانب السماء ولكن تدبر أيضا العفو عند المقدرة والسماحة عند الغضب اليس الرءوف الرحيم ؟

من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى

قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى فجاء فى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى فقمت معه فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابة بيضاء بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يدفع بهما رجليه ويضع يده فى منتهى طرفه[٣] .

وهذه الدابة هى البراق التى كانت تحمل الأنبياء قبل محمد ﷺ ، يقول عليه السلام : « فلما دنوت منه لأركبه شمس فلم يستقر ولم يمكننى من الركوب فوضع جبريل يده على مفرقته ثم قال له : الا تستحى يابراق مما تصنع !؟ فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله من هذا النبى .. فاستحيا البراق ثم قر حتى ركبه ﷺ .. ومضى رسول الله ﷺ ومضى جبريل معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله ﷺ فصلى بهم ثم أتى بإناءين فى أحدهما خمر وفى الآخر لبن ، فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فقال له جبريل : هديت للفطرة ، وهديت أمتك يا محمد وحرمت عليكم الخمر[٤] .

وشهدت الرحلة لقاء عظيما حيث التقى محمد صلوات الله وسلامه عليه بأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، يقول ﷺ ثم عرج بى إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل : ومن معك قال : محمد ، قيل أو قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بالخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل له : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير ..

---

(٢) رواه البخاري
(٣) رواه البخاري
(٤) رواه البخاري

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ، ففتح لنا فإذا هو بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بالخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : أو قد أرسل إليه ، قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا هو بإدريس ، فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد فقيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت قال : جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقال : من أنت ؟ قال : جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل أو قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه »(٥) .

من مشاهد المعراج

رأى رسول الله ﷺ فى السماء الدنيا رجالا لهم مشافر كمشافر الإبل فى أيديهم قطع من النار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقال ﷺ : من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال جبريل : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما(٦) .

يقول صلوات الله عليه وسلامه : « ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط .. حين يعرضون على النار لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك . فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .. ثم رأى ﷺ رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب فقال لجبريل : من هؤلاء ؟ فقال جبريل هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن(٧) .

ثم قال ﷺ : أرأيت ياجبريل إلى هؤلاء النساء المعلقات بثديهن ؟ من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال جبريل : هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم(٨) .

إن هذه المشاهد تدل على خطورة الأحداث التى صورتها : أكل مال اليتيم ، أكل الربا ، العلاقات غير الشريفة بين رجل وامرأة ، نسبة الولد أو البنت إلى غير الأب إنها أمراض اجتماعية خطيرة أرشدنا إليها رسولنا - ﷺ - ومشاهد شتى حذرنا منها صلوات الله وسلامه عليه ثم كانت فى هذه الليلة هدية الله برسوله ولأمته فريضة الصلاة فهى مفتاح الجنة ، وما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة وهى عماد الدين من حافظ عليها فهو السعيد الرابح ومن أضاعها فذلك الشقى الخاسر .

---

(٥) رواه البخاري
(٦) رواه البخاري
(٧) رواه البخاري
(٨) رواه البخاري

التابعون تلامذة الصحابة

عكرمة - رضى الله عنه

ثناء العلماء عليه

٢

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

قال صاحب الفتح : نذكر ثناء الناس عليه من أهل عصره .

قال محمد بن فضيل عن عثمان بن حكيم :

كنت جالسا مع أبى أمامة بن سهل بن حنيف إذ جاء عكرمة فقال : يا أبا أمامة أذكرك الله هل سمعت ابن عباس يقول : ما حدثكم عنى عكرمة فصدقوه ؛ فإنه لم يكذب علىَّ ؟

قال أبو أمامة : نعم .

وقال يزيد النحوى عن عكرمة : قال لى ابن عباس : انطلق فأفت الناس فأنا لك عون وكنت أفتى بالباب وابن عباس بالدار .

قال : قلت له : لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم .

قال : انطلق فأفت الناس فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته ، ومن سألك عما لايعنيه فلا تفته ؛ فإنك تطرح عنك ثلثى مئونة الناس .

وحكى البخارى عن عمرو بن دينار قال : أعطانى جابر بن زيد صحيفة فيها مسائل عن عكرمة فجعلت كأنى أتباطأ فانتزعها من يدى وقال هذا عكرمة مولى ابن عباس . هذا أعلم الناس .

وقال الشعبى : ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة مولى ابن عباس .

وقال حبيب بن أبى ثابت : مر عكرمة بعطاء ، وسعيد بن جبير . قال فحدثهم فلما قام قلت لهما : هل تنكران مما حدث شيئا ؟

قالا : لا .

وقال أيوب حدثنى فلان قال : كنت جالسا إلى عكرمة ، وسعيد بن جبير وطاوس . وأظنه قال : عطاء فى نفر فكان عكرمة صاحب الحديث يومئذ وكأن على رءوسهم الطير فما خالفه أحد منهم .

إلا أن سعيدا خالفه فى مسألة واحدة .

قال أيوب : ابن عباس كان يقول القولين جميعا .

وقال حبيب أيضا : اجتمع عندى خمسة : طاوس ، ومجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وعكرمة ، وعطاء فأقبل مجاهد وسعيد يلقيان على عكرمة المسائل فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما . فلما نفد ما عندهما جعل يقول : نزلت آية كذا فى كذا ، ونزلت آية كذا فى كذا .

وقال ابن عيينة : كان عكرمة إذا تكلم فى المغازى فسمعه إنسان قال : كأنه مشرف عليهم يراهم .

وقال قتادة : كان أعلم التابعين أربعة : عطاء ، وسعيد بن جبير وعكرمة ، والحسن . قال : وكان أعلمهم بالتفسير .

وعن هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومى : سمعت ابن أبى ذئب يقول : كان عكرمة مولى ابن عباس ثقة .

وقال حماد بن زيد : قال لى أيوب لو لم يكن عندى ثقة لم أكتب عنه وقال أبو أحمد الحافظ : عكرمة مولى ابن عباس احتج بحديثه عامة الأئمة القدماء وقال أحمد بن زهير : عكرمة أثبت الناس فيما يروى .

وقال أبو طالب عن أحمد قال الحذاء : كل ما قال ابن سيرين نبئت عن ابن عباس فقد سمعه من عكرمة .

وقال يحيى بن أيوب : سألنى ابن جريج : هل كتبتم عن عكرمة قلت : لا .

قال : فاتكم ثلث العلم .

وقال حبيب بن الشهيد : كنت عند عمرو بن دينار فقال : والله ما رأيت مثل عكرمة قط .

وقال البخارى : ليس أحد من أصحابنا إلا احتج بعكرمة .

قال ابن منده :

وكان يتلقى حديثه بالقبول ويحتج به قرنا بعد قرن ، وإماما بعد إمام إلى وقت الأئمة الأربعة الذين أخرجوا الصحيح وميزوا ثابته من سقيمه . وخطأه من صوابه ، وأخرجوا روايته وهم : البخارى ، ومسلم ، وأبو داود والنسائى فأجمعوا على إخراج حديثه واحتجوا به .

وقال جعفر الطيالسى عن ابن معين : إذا رأيت إنسانا يقع فى عكرمة فاتهمه على الإسلام .

قال علىّ بن المدائنى : لم يكن فى موالى ابن عباس أغزر علما منه .

وقال عثمان الدارمى : قلت لابن معين : أيما أحب إليك ؟

عكرمة عن ابن عباس ، أو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ؟

قال : كلاهما . ولم يختر . أى لم يفضل رواية أحدهما على الآخر عن ابن عباس .

فقلت : فعكرمة ، أو سعيد بن جبير ؟ قال : ثقة ، وثقة . ولم يختر .

قال : وسألته عن عكرمة بن خالد : فقال : ثقة .

قلت : هو أصح حديثا أو عكرمة مولى ابن عباس ؟

فقال : كلاهما ثقتان .

وقال النسائى فى التمييز وغيره : عكرمة مولى ابن عباس : ثقة .

وقد وثقه ابن أبى حاتم ، والعجلى .

وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزى : قلت لأحمد بن حنبل : يحتج بحديثه ؟ قال : نعم .

وقال المروزى : أجمع أهل العلم على

←

التابعون تلامذة الصحابة

الاحتجاج بحديث عكرمة . واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا منهم : أحمد بن حنبل ، وإسحق ابن راهويه ، وأبو ثور ، ويحيى بن معين ، ولقد سألت إسحق عن الاحتجاج بحديثه : فقال : عكرمة عندنا إمام أهل الدنيا .. وتعجب من سؤالى إياه وقال : وحدثنا غير واحد أنهم شهدوا يحيى بن معين وسأله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة فأظهر التعجب .

وقال ابن منده : قال أبو حاتم : أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة .

وقال البزار : روى عن عكرمة مائة وثلاثون رجلا من وجوه البلدان كلهم رضوا به .

وقال العباس بن مصعب المروزى : كان عكرمة أعلم موالى ابن عباس وأتباعه - بالتفسير .

وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : كان عكرمة من أثبت الناس فيما يروى . ولم يحدث عمن هو دونه ، أو مثله . أكثر حديثه عن الصحابة - رضى الله عنهم - وقال أبو جعفر بن جرير : لم يكن أحد يدفع عكرمة عن التقدم فى العلم - بالفقه ، والقرآن وتأويله ، وكثرة الرواية للآثار ، وأنه كان عالما بمولاه .

وفى تقريظ جلة أصحاب ابن عباس إياه ، ووصفهم له بالتقدم فى العلم ، وأمرهم الناس الأخذ عنه ما بشهادة بعضهم - فضلا عن جلهم - تثبت عدالة الإنسان ، ويستحق جواز الشهادة ومن ثبتت عدالته لم يقبل فيه جرح وما تسقط العدالة بالشبهة . قال صاحب الفتح وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه فى الصحيح : هذا جاز القنطرة - يعنى بذلك أنه لا يلتفت إلى ماقيل فيه .

قال الشيخ أبو الفتح القشيرى فى مختصره : وهكذا نعتقد ، وبه نقول ، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة ، وبيان شاف ، ومن لوازم رواية الصحيحين لعكرمة تعديل روايته .

وقال ابن حبان : كان من علماء زمانه بالفقه ، والقرآن ، ولا أعلم أحداً ذمه بشىء ، يعنى يجب قبوله ، والقطع به .

وقال ابن منده : أما حال عكرمة فى نفسه ؛ فقد عدله أمة من التابعين منهم زيادة على سبعين رجلا من خيار التابعين ، ورفعائهم وهذه منزلة لا تكاد توجد منهم لكبير أحد من التابعين .

وقال ابن عدى فى الكامل : ومن عادته فى الكامل أن يخرج الأحاديث التى أنكرت على الثقة أو على غير الثقة - ولم أخرج هنا من حديثه شيئا ؛ لأن الثقات إذا رووا عن عكرمة فهو مستقيم ، ولم يمتنع الأئمة وأصحاب الصحاح من تخريج حديثه ، وهو أشهر من أن أحتاج إلى أن أخرج له شيئا من حديثه .

- يتبع -

حول قضية
زواج المتعة
وإقامة حدود الله

للأستاذ الدكتور
محمد رأفت عثمان

فى المقالات التى تنشرها «جريدة الاحرار» للدكتور «فرج على فودة»، يظهر بوضوح محاولة من الدكتور فرج لإثارة الشكوك حول إمكان تطبيق العقوبات المقدرة فى شريعة الإسلام، وهى ما تسمى بالحدود، وعلى وجه الخصوص كانت المقالات مركزة حول عقوبة جريمة الزنا.

وقد أعطت المقالات انطباعا لدىَّ بعد قراءتها ان الدكتور فرج فودة لا يرغب فى إقامة عقوبة جريمة الزنا إلا بعد ان نوفر للشباب ما كان موجودا فى العصور السابقة من سهولة الزواج بالمثنتين، وثلاث، واربع من النساء، ومن وجود الرق الذى يتيح للرجل ان يملك ما شاء من الجوارى، ومن إباحة المتعة بالنساء، اى الزواج بالمراة لمدة معلومة، ولو لفترة قصيرة، فإذا وفرنا للشباب كل هذا كان من المقبول تطبيق عقوبة جريمة الزنا.

وفى خلال هذه المقالات احسست بمحاولة الدكتور فرج إظهار الفقه الإسلامى أمام القراء بصورة تثير الاستخفاف بالفقهاء وأئمة المذاهب، بدليل أنه انتقى بعض الآراء التى يعرف الباحثون فى الفقه الإسلامى ضعفها، وكأن الفقه الإسلامى هو فقط هذه الآراء القليلة الضعيفة، وعذر قائليها أن عصرهم لم تتقدم فيه العلوم التى تساعدهم على تبين أمر من الأمور التى للعلم التجريبى مجال كبير فيها، ولو كانت الوسائل المتاحة الآن لنا فى عصرهم ما قالوا بهذه الآراء القليلة الضعيفة، فلهم عذرهم إذا هم أبدوا رأيا فى مسألة لا يوجد فيها نص من كتاب الله الكريم، أو السنة الشريفة، وإنما هى مجرد اجتهاد قابل للخطأ والصواب بحسب المتاح لهم

←

زواج المتعة

من وسائل العلم المادى فى العصر الذى يعيشون فيه ، ولا مانع أن يفتى الفقيه بحسب ما يظهر له وإن بان بعد ذلك خطؤه .

والباحث فى هذه القضية يجد أن أمة محمد ـ ﷺ ـ كلها مجمعة على نسخ إباحة زواج المتعة ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا فرقة الإمامية وهى إحدى فرق الشيعة .

ومعنى المتعة ـ كما بينتها كتب الإمامية ـ الزواج المؤقت بأمد معلوم أو أمد مجهول ، وأقصى مدة له خمسة وأربعون يوما ، وسمى زواج المتعة لأن المقصود منه مجرد التمتع لمدة معينة وينتهى زواج المتعة عندهم بانتهاء المدة التى اتفق عليها إذا كانت المرأة قد انقطع حيضها ، ولا تحتاج إلى أمر آخر حتى تنتهى الصلة التى كانت بينها وبين زوجها ، وأما إذا كانت ممن يحضن ، فإن الزواج لا يرتفع إلا إذا حاضت حيضتين بعد انتهاء الوقت المحدد للزواج .

وأما إذا توفى الزوج فإن الزواج يرتفع بعد عدة أربعة أشهر وعشر ، وهم يرون أن المرأة لا يحق لها مهر إلا ما اشترط فى العقد ، ولا تثبت لها نفقة ولا يتوارث الزوجان إلا إذا شرط الميراث فإنه يلزم ، وليس عليها عدة إلا الاستبراء بما أشرنا إليه سابقا(١) .

والباحث فى هذا الموضوع أيضا يجد أن المتعة كانت رخصة للمسلمين ثم نسخ حكمها وأصبحت محرمة إلى يوم القيامة ، وأن القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع العلماء والدليل العقلى ، كلها قد دلت على عدم صحة الزواج المؤقت الآن ، وهو زواج المتعة .

وسنذكر أولا ما يدل من الكتاب الكريم على تحريم الزواج المؤقت ، ثم نتبع ذلك بذكر الأحاديث التى تثبت أن المتعة كانت رخصة للمسلمين ثم نسخت ، ثم نذكر بعد ذلك الدليل العقلى على عدم صحة الزواج المؤقت الآن .

فأما القرآن الكريم فنجد فيه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾(٢) ففى هذه الآية الكريمة حرم الله سبحانه العمل الجنسى إلا إذا كان بأحد شيئين : الزواج وملك اليمين ، أى ملك الجارية والمتعة ليست زواجا ، ولا ملك يمين فيبقى التحريم فى شأنها . والدليل على أن المتعة ليست زواجا أنها ترتفع من غير طلاق ، ولا يجرى التوارث بين الرجل والمرأة فيها ، فدل هذا على أن المتعة ليست زواجا ، فلا تكون المرأة بالمتعة زوجة للرجل .

ونجد فى آخر هذه الآية الكريمة قول الله سبحانه : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ فقد سمى الذى يبتغى ما وراء ذلك عاديا ، فدل هذا على أن الاتصال الجنسى بدون هذين الشيئين حرام .(٣)

وأما السنة النبوية ففيها ما يبين كما قلنا أن المتعة كانت رخصة للمسلمين فى وقت من الأوقات ، ثم نسخ حكمها وأصبحت محرمة إلى يوم القيامة .

---

(١) المختصر النافع فى فقه الإمامية ، لجعفر بن الحسن الحلبى ص ١٨٢ مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ، وسبل السلام للصنعانى جـ ٣ ص ١٢٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥ ، ٦ .

(٣) بدائع الصنائع للكاسانى جـ ٢ صـ ٢٧٢ .

وكـان هذا الـزواج لا يحتاج إلى ولى ولا شهود .

روى مسلم بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء ، فقلنا ألا نستخصى ؟ فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل[٤] .

وعن سبرة الجهنى قال : « أذن لنا رسول الله - ﷺ - بالمتعة ، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بنى عامر ، كأنها بكرة عيطاء فعرضنا عليها أنفسنا ، فقالت : ما تعطى ؟

فقلت : ردائى ، وقال صاحبى ردائى وكان رداء صاحبى أجود من ردائى ، وكنت أشب منه ، فإذا نظرت إلى رداء صاحبى أعجبها ، وإذا نظرت إلى أعجبتها ، ثم قالت : أنت ورداؤك يكفينى ، فمكثت معها ثلاثا ، ثم إن رسول الله - ﷺ - قال : من كان عنده شىء من هذه النساء التى يتمتع فليخل سبيلها[٥] ومعنى « البكرة » الفتية من الإبل ، أى الشابة القوية ، والعيطاء - بفتح العين وإسكان الياء هى الطويلة العنق فى اعتدال وحسن قوام .

وروى عن سبرة الجهنى أيضا أنه كان مع رسول الله - ﷺ - فقال : « يا أيها الناس ، إنى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا »[٦] .

ومن هذا نتبين أن الحكم بالإباحة قد نسخ فأصبحت محرمة إلى يوم القيامة ، وإن كان العلماء قد اختلفوا فى الدليل الذى نسخ المتعة ، فمن العلماء من يرى أن النسخ إنما تم بالنهى من رسول الله - ﷺ - عن المتعة ، وقد أوردنا بعضاً من أحاديث النهى عنها فيما سبق ، ومن العلماء من يرى أن نسخ المتعة إنما تم بالآية الكريمة التى بينت إرث الزوجين ، وذلك لأن زواج المتعة لا توارث فيه بين الزوجين .. قال هذا البعض : لما ثبت الإرث بسبب الزواج علم أن زواج المتعة منسوخ لأنه لا إرث فيه ، ومن العلماء من يرى أن النسخ إنما كان بآية الطلاق والميراث والعدة[٧] .

فالعلماء إذن مجمعون على أن زواج المتعة قد نسخ .

ما عدا الإمامية وسنتكلم قريبا عما يستندون إليه ونبين ضعف استدلالهم .

وأما الدليل العقلى على أن الزواج المؤقت لا يصح ، فهو أن الزواج له مقاصد وأغراض هو وسيلة إلى تحقيقها والشهوة أمر عرضى ، ومن المعلوم أن المتعة لا تكون وسيلة إلى تحقيق هذه المقاصد والأغراض فلا تكون مشروعة[٨] .

ويمكن أن يرد سؤال هنا ، وهو كيف يمكن التسليم بأن المتعة نسخ حكم جوازها وأصبحت محرمة مع أن بعض الروايات يفيد أن بعض المسلمين كانوا يفعلون زواج المتعة بعد موت رسول الله - ﷺ - فى عهد أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - ؟ مثل مارواه مسلم بسنده عن جابر إبن عبد الله قال : « كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله - ﷺ - وأبى بكر ، حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث »[٩] .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ صـ ١٨٢ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٨٤ .
(٦) المصدر السابق جـ ٩ ص ١٨٦ .
(٧) بدائع الصنائع جـ ٢ ص ٢٧٣ .
(٨) شرح كتاب النيل وشفاء العليل ، لمحمد بن يوسف اطفيش جـ ٦ صـ ٣١٨ .
(٩) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٨٤ .

زواج المتعة

والجواب عن هذا أن الحكم قد يخفى على بعض الصحابة ، فقد يعلم الحكم الشرعى أناس ولا يعلم به آخرون ، ولهذا نجد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يصرح بالنهى عن ذلك ، وبسنده ، إلى نهى النبى - ﷺ - عندما بلغه أن بعض الصحابة تمتع ، فالاحتجاج إنما هو فيما ثبت عن رسول الله - ﷺ - وليس فيما فعله فرد أو أفراد من الصحابة .

فقد أخرج ابن ماجه عن عمر بإسناد صحيح أنه خطب فقال : « إن رسول الله ﷺ أذن لنا فى المتعة ثلاثا ثم حرمها ، والله لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة »(١٠) .

متى أبيحت المتعة ومتى حرمت ؟

اختلف العلماء فى الوقت الذى أبيحت فيه المتعة والوقت الذى حرمت فيه والرأى المختار أن تحريمها وإباحتها كانا مرتين ، كانت حلالا قبل يوم خيبر ، ثم حرمت يوم خيبر ، ثم أبيحت يوم فتح مكة وهو يوم أوطاس(١١) لاتصالهما ، ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريما مؤبداً إلى يوم القيامة(١٢) .

ما يستند إليه الإمامية :

يستند الإمامية فى مذهبهم ببقاء حكم الإباحة فى زواج المتعة إلى عدة أمور :

أولا : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ وفى قراءة ابن مسعود : فما استمتعتم به منهن إلى أجل(١٣) .

والاستدلال بهذه الآية الكريمة من ثلاث نواح :

الناحية الأولى : أن الآية ذكرت الاستمتاع فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم ﴾ ولم تذكر الزواج ، والاستمتاع والتمتع بمعنى واحد .

والناحية الثانية : أن الله تبارك وتعالى أمر بإيتاء الأجر فى قوله سبحانه : ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ والإجارة فى حقيقتها هى عقد على منفعة ، والمتعة كذلك عقد على منفعة ، فهى عقد على منفعة الاستمتاع بالمرأة .

والناحية الثالثة : أن الله تبارك وتعالى أمر بإيتاء النساء أجورهن بعد الاستمتاع بهن ، وهذا لا يكون فى عقد الزواج ، وإنما يكون فى عقد الإجارة والمتعة ، وذلك لأن الذى يوجب المهر فى عقد الزواج هو نفس العقد ولا يتوقف على الاستمتاع بالزوجة ، فبمجرد حصول عقد الزواج يجب المهر على الزوج فيؤخذ الزوج بالمهر أولا ، ثم يمكن من الاستمتاع بالزوجة(١٤) .

هذه هى نواحى استدلالهم بالآية الكريمة .

والجواب : أن هذه الآية فى الزواج وليست فى المتعة ، فمعنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ أى فى الزواج ، والدليل على ما نقول هو السياق ، فإن الذى ذكر فى أول هذه الآية وفى آخرها هو الزواج لا المتعة ، فقد ذكر الله سبحانه أنواعا من النساء يحرم الزواج بهن فى أول الآية ، ثم أباح ما عدا هؤلاء المحرمات بالزواج بقوله سبحانه : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم ﴾ أى بالزواج وقال

---

(١٠) سبل السلام جـ ٢ صـ ١٢٦ .

(١١) أوطاس : واد بديار هوازن كان فيه غزوة بعد الفتح .

(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٨١

(١٣) انظر : المتعة فى الإسلام ، للسيد حسين يوسف مكى العاملى ص ٥٤ .

(١٤) بدائع الصنائع جـ٢ ص ٢٧٢ .

تعالى فى سياق الآية الكريمة : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ فقد ذكر فى الآية الزواج ولم تذكر الإجارة ولا المتعة وعلى هذا يجب أن يصرف قول الحق سبحانه : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ إلى الاستمتاع بالزواج .

وأما ما يقال من أن ما يجب على الرجل للمرأة قد سمى أجرا .

فالجواب عليه أن المهر فى الزواج يسمى أجراً أيضا ويدل على هذا قول الحق سبحانه ﴿ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ اى آتوهن مهورهن ، وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

وأما القول بأن الله تبارك وتعالى قد أمر بإيتاء الأجر للنساء بعد الاستمتاع بهن والمهر يجب بنفس عقد الزواج ويؤخذ من الزوج قبل أن يحدث الاستمتاع بالزوجة .

فالجواب عليه أن معنى قوله سبحانه : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ هو إذا أردتم للاستمتاع بهن فآتوهن مهورهن ، ولهذا نظير فقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ اى إذا أردتم تطليق النساء .

بل إنه على فرض أن المراد من الآية الكريمة ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ هو الإجارة والمتعة[١٥] ، فإن الآية قد صارت منسوخة بما ثبت عن رسول الله ـ ﷺ ـ[١٦] .

وأما استدلالهم بقراءة ابن مسعود (فما استمتعتم به منهن إلى أجل) فلا يصح لأنها قراءة شاذة لا يحتج بها قرآنا لأن القرآن لابد فيه من التواتر ، ولا يحتج بها على أنها سنة لأنها رويت قرآنا لا سنة ، فتكون من قبيل التفسير للآية ، وتفسير الآية ليس حجة يجب الأخذ بها ، فلا يلزم العمل بها .

ثانيا : تمسكوا بالأحاديث الواردة فى إباحة المتعة ، والتى ذكرنا بعضا منها آنفا . والجواب عن هذا أن هذه الأحاديث تبين أنها منسوخة فلادلالة لهم فيها[١٧] .

ثالثا : قالوا : إن تحليل المتعة أمر قطعى ، لأن المتعة كانت مباحة باتفاق الجميع ، فلم ينكر واحد من الناس إباحتها أولا ، ولكن التحريم أمر ظنى ، لأن التحريم اختلف العلماء فيه ، والمختلف فيه ظنى ، وإذا تعارض القطعى مع الظنى وجب الأخذ بالأمر القطعى ، لأن الظنى ، لا ينسخ القطعى .

والجواب عن هذا بأننا نسلم أن التحليل أمر قطعى ، ولكن استمرار ذلك القطعى ظنى فلا خلاف بيننا وبينكم ، وإذا قلنا : إن حكم التحليل قد نسخ ، فإن النسخ إنما هو للاستمرار وليس لنفى ما وقع من المسلمين ، فإنه لا يقول عاقل إن النسخ يكون لما قد فرغ من فعله[١٨] .

وبعد : فإن القارىء لما يكتبه الإمامية يجد المراوغة والتحايل لإثبات أمر أجمع كل المسلمين على تحريمه ، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الإمامية وهم ليسوا ممن يقدح خلافهم فى حجية الإجماع ، وكذلك كان ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ يقول بإباحة المتعة فقد كان يرى أن المتعة كانت رخصة للمسلمين لوجود حال الضرورة ،

---

(١٥) المتعة فى الإسلام ، للسيد حسين يوسف مكى العاملى ص ٥١

(١٦) بدائع الصنائع جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٧٩ .

(١٨) السيل الجرار ، للشوكانى جـ ٢ ص ١٧٩ .

زواج المتعة

وقد جاء النهى عنها بعد ذلك لأن الضرورة قد انقضت فحكمها باق على ذلك ، إذا وجدت الضرورة جازت المتعة ، ولكن جمهور العلماء يرون أن الرخصة فى المتعة كانت إباحة والنهى جاء نسخا لهذه الإباحة(١٩) وقد روى عن ابن عباس أنه رجع عن هذا القول ولكن(٢٠) بعض العلماء يرى أنه مما يدل على عدم رجوع ابن عباس عن رأيه فى إباحة المتعة مارواه الطحاوى عن ابن عباس قال : ما كانت المتعة إلا رحمة من الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة ولولا نهى عمر رضى الله تعالى عنه مازنى إلا شقى(٢١) لكن هذا راى من الآراء الضعيفة المنسوبة لابن عباس ، ولا أظن أن ابن عباس قد قال هذا الكلام ، لأننا لم نتعود أن نجد فى تحدث الصحابة بعضهم عن بعض عبارة رضى الله عنه ، وهذا مما يجعلنا نشك فى صحة هذه العبارة المنقولة عن ابن عباس ، ونرجح الرواية الأخرى التى تقول برجوع ابن عباس عن رأيه .

ويبقى الآن أن نبين الحكم فى أمرين متصلين بهذا الموضوع وهما : إذا تزوج رجل زواج المتعة واتصل جنسيا بالزوجة هل يجب إقامة حد الزنا عليه ؟

وإذا تزوج رجل زواجا مطلقا وهو ينوى فى داخل نفسه أن لا يمكث معها إلا مدة معينة هل يعتبر هذا زواج متعة أم لا ؟

هذان هما الأمران المتصلان بموضوع المتعة .

فأما الأول وهو إذا اتصل جنسيا بها هل يجب عليه حد أم لا ؟ فمذهب الشافعية أنه لا يحد ، لأنه توجد هنا شبهة ، هى شبهة العقد ، وشبهة الخلاف ، وكذلك يرى بعض المالكية مثل ما يراه الشافعية ، ويرى البعض الآخر من المالكية أنه يجب عليه حد الزنا .. والسبب فى اختلاف العلماء فى هذه المسألة هو أن الأصوليين مختلفون فى أنه لو حدث إجماع من علماء الأمة بعد حدوث الخلاف فى مسألة من المسائل هل يكون هذا الإجماع رافعا للخلاف فى هذه المسألة ويصير المسألة مجمعا عليها أم لا يكون رافعا للخلاف فيها ؟

فبعض العلماء يرى أن الإجماع لا يرفع الخلاف ، بل يدوم الخلاف ولا يصير المسألة بعد ذلك مجمعا عليها ابدا ، وعلى هذا الراى ابو بكر الباقلانى والبعض يرى خلاف ذلك . ومسألتنا هذه ، وهى مسألة المتعة كان الخلاف فيها بين راى لابن عباس ، وجمهور العلماء ، ثم حدث الإجماع بعد ذلك على عدم جوازها ، فعلى الراى الأخير رفع الإجماع الخلاف الذى كان موجودا فيها ، فصار زواج المتعة مجمعا على تحريمه ، مع ملاحظة أن خلاف الإمامية لا يعده العلماء طاعنا فى حصول الإجماع .

وأما الأمر الثانى ، وهو إذا تزوج رجل زواجا مطلقا ، وهو ينوى فى داخل نفسه أن لا يمكث مع زوجته إلا مدة معينة ، فقد حكى بعض العلماء الإجماع على أن زواجه حينئذ صحيح حلال ، وليس زواج متعة ، ولا يكون الزواج زواج متعة إلا ما وقع بالشرط المذكور .

وروى عن الإمام مالك قوله : « ليس هذا من أخلاق الناس ، وشذ الأوزاعى فقال : هو نكاح متعة ولا خير فيه »(٢٢) .

---

(١٩) الإنصاف ، لشاه ولى الله الدهلوى ص ٨ .
(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٨١ .
(٢١) الفتاوى الكبرى لابن حجر جـ ٤ ص ١٠٥ .
(٢٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٩ ص ١٨١ ، ١٨٢ .

الربا والوديعة المصرفية
فى ضوء حقائق الفقه وأدلته

٤

لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة

فى المقال الثانى للدكتور معروف الدواليبى والذى نشره فى صحيفة الأهرام ٩ من نوفمبر سنة ١٩٨٩ م بعنوان « بحث عن الشريعة والبنوك » .

أعاد فى هذا المقال ، ما قرره فى مقاله السابق من أنّ المصرف مؤسسة تجارية مع المقترض بفائدة ، وأن القرض بفائدة من المصرف جائز للغنى دون الفقير ، وأن القرض بفائدة من ربا الفضل . واقترح فى هذا المقال أن يقتسم المصرف والمودع الفوائد المأخوذة من المقترضين مناصفة ..

وقرر أن المصارف الربوية بحالتها الحاضرة ضرورة من ضرورات المسلمين ، لا تنتظم مصالحهم إلا بها ، فلا يصح الحكم بإلغائها إلا بعد إيجاد البديل ..

وقد أبطلنا فى مقالنا السابق أن القرض بفائدة من ربا الفضل . وقررنا أنه من ربا الجاهلية . وأبطلنا كذلك جواز القرض بفائدة للغنى . لأن قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وقوله فى حكمة التحريم : ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ شامل للغنى والفقير ..

فقرض الغنى من الربا الذى حرمه الله للظلم ..

وفى هذا المقال نناقش اقتراحه فى شأن المصارف التى تقبل الودائع بفائدة ثم تقرضه بفائدة أعلى ، فقد رأى أن يجرى أمر القرض فيها على أساس عقد القراض أى شركة المضاربة فيكون عائد القرض مناصفة بين المصرف والمودع ..

واستدل على ذلك بما رواه الإمام مالك فى

←

الربا والوديعة المصرفية

« الموطأ » أن أبا موسى الأشعرى والى البصرة من قبل عمر ـ رضى الله عنهما ـ ، اقرض عبد الله وعبيد الله ابنى عمر ـ رضى الله عنهم ـ من مال الدولة الذى فى يده على أن يتجرا فيه والربح لهما ، ثم يردان ما اقترضاه منه على عمر فى المدينة المنورة ، فأبى عمر أن يكون الربح لهما واصر على أخذه لبيت المال ، فأشار عليه بعض الحاضرين ورُبَّماً كان عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ بقسمة الربح بين الابنين وبيت المال مناصفة على أن يجعل القرض قراضاً ..

وهذا النص لا يصلح دليلا لما اقترحه :

اولا : لأن المال الذى وصل إلى ابنى عمر ـ رضى الله عنهم ـ كان ربح تجارة مشروعة . اما فائدة القرض فإنها ربا . لأنها مأخوذة فى مقابلة التأجيل ، وقابلة للتضعيف إن لم يوف الدين فى الموعد المضروب كما هو المعروف فى ربا الجاهلية ، فكيف تقاس الفائدة المحرمة على الربح الحلال ؟!

ثانيا : ولو سلمنا انه ربح تجارة فما أشير به من تنصيف الربح ليس حكماً من أحكام العقود وإنما هو على سبيل الصلح بين ابنى عمر وخليفة المسلمين ، ذلك لأن مال الدولة فى يد أبى موسى الأشعرى يحتمل امرين :

الأول : أن يكون وديعة ، ولأبى موسى أن يقرضه : لكن لما حابى به ابنى عمر دون سائر الجيش ـ فى نظر عمر ـ كان الربح لبيت المال احتياطاً للمسلمين ، وهذه هى حجة عمر حين سألهما : (أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما ، قالا : لا . قال عمر ـ لأنكما ـ ابنا أمير المؤمنين أسلفكماه أدّيا المال وربحه) (١) .

الثانى : أن يكون المال فى يد أبى موسى لتنميته واستثماره لصالح بيت المال . فحينئذ ليس لأبى موسى أن يقرضه ، فإذا أقرضه كان ربحه لبيت المال .

فجاءت مشورة عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ بجعله قراضاً على أن يكون الربح مناصفة : على سبيل الصلح لا على سبيل الحكم وقطع النزاع ..

قال الزرقانى : « لأنه ليس من القراض فى شىء » . فلا يكون قاعدة تُطبَّق فى المصارف ولا قانونا تصدره الدولة ونظاماً تجرى عليه المصارف ..

وجعل الباحث أمر رئيس الدولة بتنصيف الفوائد بين المصرف والمودعين من باب إيجاب المباح ، لأن لولى الأمر أن يوجبه . لكن بعد أن تبين أن ما تأخذه المصارف فائدة قرض هى ربًا لا ربحا للقراض إذا أوجب ولى الأمر تنصيف الفائدة كان إيجابا للحرام لا للمباح ..

وقد استشهد فى مقاله على صحة هذا الاقتراح بضمان الحكومة فى المملكة العربية السعودية حداً أدنى من الأرباح للمشتركين فى بعض المشاريع تشجيعا لهم على الاشتراك ،

وفات الدكتور أن هذا من باب الوعد الملزم لا من باب الربا المحرم . والغرض من هذا الوعد جذب للأموال لبقائها فى الداخل واستثمارها حتى لا تهرب إلى خارج البلاد ..

قال الدكتور : إن هذا الاقتراح فيه فائدة عظمى لأنه يشجع رءوس الأموال الصغيرة على تقديمها للاشتراك فى المشاريع والانتفاع بها فى الاقتصاد الوطنى .

(١) « الزرقانى » ـ موطأ مالك ـ جـ ٣ ـ ص ٣٤٦ . شرح الموطأ للباجى ـ جـ ٥ ـ ص ١٥٠ ..

وقد بينا فى المقال السابق أن المشاريع القائمة على القرض ربًا وظلم . وإخلال بالمعادلة التى تكون بين الشركاء ، لأن المقرض يربح دائما ، وربح المقترض محتمل ، وقلنا : إن كثيرا من المشاريع يتعثر ولا يكون فيه ربح للمقترض والمصارف الإسلامية هى المكان الصحيح لرءوس الأموال الصغيرة لأن ربحها يوزع على كل ما فى المصرف من أموال ..

قال الدكتور : إن المصارف الربوية بحالتها الحاضرة من ضرورات المسلمين لا تنتظم مصالحهم إلا بها ، فلا يصح الحكم بإلغائها إلا بعد ايجاد البديل .

أما قوله : إن المصارف بحالتها الحاضرة ضرورة ، لا تنتظم مصالح المسلمين إلا بها فنحن نسلم هذه المقالة فى المصارف بالنظر إلى ما تؤديه من الخدمات غير الإقراض بالفائدة ، أما بالنظر إلى الإقراض بالفائدة : فقد اثبتنا أن هذا بعينه ربا الجاهلية المحرم ونزيد فى حجج الإبطال ما قاله علماء الاقتصاد : إنه يؤدى إلى تركيز الثروة فى أيدى قلة من الناس وهم أصحاب رءوس الأموال المرابون ومن اولهم أصحاب المصارف ، لأن المقرض دائما محصل للفائدة ، أما المقترض صاحب المشروع فإن أمره متردد بين الربح والخسارة ، ولا شك أن من يستفيد دائما وإن كانت فائدته قليلة يعظم ربحه على مر الأيام ، أما الآخر فقد يتعثر مشروعه ويخسر وإذا خسر دفع ما عليه من الفوائد من صميم ماله وهذا الضرر أجمع عليه علماء القديم والحديث ..

ذكره فخر الرازى كما ذكره « شاخت » الألمانى ، ومن أجل هذا كان الربا ظلما . لأنه يؤدى إلى سوء التوزيع بين المقرضين والمقترضين وشاهدنا على ما نقول هذه الدول التى ترزح تحت أعباء الديون التى كادت تقضى على ثرواتها ...

ومن مساوىء الفوائد أنها تؤدى إلى التضخم النقدى ورفع الأسعار بسببين :

الأول : أن المقترض بالفائدة يوزع الفوائد على اثمان منتجاته فترتفع أسعارها ..

الثانى : أن المصرف بحكم ما لديه من صلاحيات يوزع النقود الحقيقية عن طريق القرض ، وكذا النقود الكتابية أى شيكات ، فيؤدى هذا إلى زيادة عرض النقود . ومن البدهيات الاقتصادية : أن النقود إذا زاد عرضها عن السلع المعروضة ارتفعت الأسعار ..

ومن مساوئها أيضا انها تمنع من التشجيع على الاستثمار ، لأنها تزيد فى أعباء المستثمرين . وهذا يحملهم على خفض أجور العمال وعلى الإقلال من مشاريع الاستثمار ..

تلك المشاريع التى عليها عماد معايش العمال ، فإذا قلت هذه المشاريع شاعت البطالة ، وعلى العكس من ذلك ، إذا كان ربح المال (الاستثمارى) متعادلا . وذلك عن طريق الشركات بجميع أنواعها ، فإن المال لا يتركز فى أيدى فئة وبها يتم توزيعه بين أرباب الأموال والعاملين فيعتدل ميزان المعيشة بين الناس ..

هذه هى المصارف التى قيل إن حياة الناس متوقفة عليها . ومن هؤلاء الناس الفقراء . فكيف تتوقف حياتهم عليها ، وليس لهم نصيب فى الإقراض منها ، لأنها اعتادت أن لا تقرض إلا أصحاب رءوس الأموال لتستطيع اقتضاء الفوائد منهم وهو ما يفهم من اقتراح الدكتور : أن المصرف مؤسسة تجارية طرفاها المصرف والمقترضون الأغنياء ..

أما البديل فهو المصارف الإسلامية ، فإنها مؤسسة تجارية بين المصرف والمودعين والمشاركين . كل أولئك يعملون على أساس التجارة المشروعة سواء أكانت بطريق

الربا والوديعة المصرفية

« المضاربة » أو « البيع بالمرابحة » أو « السلم » أو شركة « العنان » أو الشركة « المنتهية بالتمليك » أو غيرها من المعاملات المشروعة ، فإن الحاصل من هذا كله ربح مقسوم بين أطراف المؤسسة بالعدل الخالى من الغرض والربا والغبن الفاحش ..

وهذا البديل يُعَدّ من عبقرية الاقتصاديين المسلمين ينتفع به أصحاب الأموال والمصارف والفقراء الذين لا مال لهم ، فإن لهم أن يقترضوا من مال المصارف قرضاً حسناً أو قرضاً مضافاً إليه أجر خدمة القرض ، لكن لا نبنى تقديره على العرف كما قال الباحث : بل على الحسابات الدقيقة التى لا تكون فيها أية زيادة على الأجر ، لأن أية زيادة عليه ربا صريح ..

على أننا نخشى أن يتخذ هذا الأجر ذريعة إلى الربا ولهذا لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة ..

ونحن نقترح أن ينشأ فى كل مصرف صندوق لقرض الفقراء يموله أغنياء القوم وبيت المال والمصارف والشركات ويكون القرض منه حسنا ..

ونحن نستبعد من أمثال الدكتور أن يحكم على المصارف بأنها ضرورة من ضرورات المعيشة بعد أن تبين أن ما نأخذه من الفوائد ربا ، والشركة التى يقترحها شركة فى مال هو ربا ، وعلماء الاقتصاد بينوا ما فى فوائد القرض من المفاسد ..

وبعد : فالقول بضرورة المصارف من أجل الابداع والإقراض الربوى هو رأى موروث عن الرأسمالية الغربية لا يعرفه الإسلام ، ولا كان فى دولته والجمود عليه تجاهل للنظام الإسلامى المبنى على التكامل فى الاقتصاد والتعاون الفردى والجماعى ، وقعود عن ابتكار الحلول الإسلامية للمشاكل المالية وتناس لما ابتكر منها مما فرج أزمات وأنقذ من الوقوع فى محرمات ..

وعار على حملة الفقه الإسلامى الذى قال الله فى مصدره الأول : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ألا يكون لهم اقتصاد يفتح لهم أبواب الرخاء وينقذهم من الديون الربوية الجاثمة على ثرواتهم ، والتى تكاد تأكل الأخضر واليابس ..

وقد آن الأوان لتحرير الناس من تجارة النقود الظالمة ..

الفتاوى

إعداد الشيخ على حامد عبد الرحيم

توبة الزانى بشروطها مقبولة

س : هل يقبل الله - سبحانه - توبة الزانى إذا لم يقم عليه الحد وخاصة فى الشباب ؟

عمر عبدالظاهر - الشيخ بركة - البلينا

جـ :حارب الإسلام الزنا حرباً لا هوادة فيها ، ودعا الناس إلى العفاف والتمسك بالطهر والفضيلة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » وجريمة الزنا من أفحش الأمور وأخطر الجرائم وسبب كل فساد ، ولهذا اهتم الإسلام الحنيف بتحريم الزنا وتحريم مقدماته من النظرة المريبة المسمومة ، ولمس المرأة الأجنبية ، والخلوة بها سداً للذرائع ، وأعلن وجوب الحد وهو مائة جلدة للزانى البكر ، والرجم للزانى المحصن ، وذلك إذا ثبتت الجريمة بالأدلة ، وإذا لم يقم الحد فالإسلام الحنيف أمر بالستر على الأعراض حتى لا تشيع الفاحشة بين أفراد المجتمع ، وأوجب على المسلم إذا وقع فى جريمة الزنا أن يقلع عن الذنب فوراً ويندم ندماً شديداً على ذلك ، وأن يتوب إلى الله توبة نصوحا ، وأن لا يشيع ذلك بين الناس .

جاء فى سورة الفرقان مايفيد أن التوبة النصوح المصحوبة بالعمل الصالح كفيلة بأن توصل بإذن الله ورحمته إلى القبول . حيث يقول عز من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

حكم تفضيل بعض الورثة

س : هل يجوز لى أن اكتب جزءا من املاكى لابنتى القاصرتين بالتساوى بينهما كهبة منى فى حياتى ؟ وهل يجوز كذلك أن

اكتب جزءا منه لزوجتي ؟

س . م . القاهرة

جـ : أجاز الأئمة الثلاثة أبوحنيفة ومالك والشافعي أن يفضل المسلم أحد ورثته دون كراهة إذا كان بسبب مشروع كصغر أو مرض أو تعويق أو بر ، فإذا كانت الهبة لغير سبب مشروع كانت جائزة بكراهة استناداً إلى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للنعمان بن بشير « أشهد على هذا غيري » .

وذهب الإمام أحمد إلى أن التفضيل أو الحرمان للورثة بعضهم دون بعض جائز دون كراهة إن كان بسبب مشروع ، وحرام إن كان لغير سبب مشروع استنادا إلى رواية النعمان بن بشير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : هذا جور لا تشهدني على هذا.

« معرفة أسماء الأنبياء والرسل »

س : ما أسماء جميع الأنبياء والرسل بالترتيب ؟

صابر محمد

العمار - قليوبية

جـ : لا نعتمد مصدرا فى هذا الموضوع إلا ما جاء فى القرآن الكريم والسنة الثابتة .

وقد جاء فى القرآن أنه عز وجل قد أرسل رسلا كثيرين ، منهم من قصه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .. ومنهم من لم يقصصه عليه ..

قال تعالى فى سورة غافر : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ ..

وقال فى سورة النحل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ كما جاء فى سورة النساء قول الله تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا . رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾

وقد ورد حديث فى مسند الإمام أحمد - عن أبى ذر الغفارى ولفظه : قلت : يا رسول الله أى الأنبياء كان أول ، قال : « آدم » ..

قلت : يا رسول الله كم المرسلون ؟

قال : « ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا » ..

وفى رواية أخرى « كم وفاء الأنبياء » ؟ ..

قال : مائة ألف وأربعمائة وعشرون ألفا ..

الرسل منهم : « ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا » ..

وليس معرفة عدد الأنبياء والرسل جميعا مطلوبا وكل المطلوب من المسلم أن يؤمن إيمانا جازما بجميع من أرسله الله سبحانه من الرسل ، فنؤمن بأن الله أرسل رسلا ونبأ أنبياء إيمانا إجماليا - ونؤمن إيمانا تفصيليا - بمن ذكرهم الله فى القرآن الكريم : وهم خمسة وعشرون رسولا منهم ثمانية عشر رسولا فى قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ .. إلى قوله : ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ٨٣ ، ٨٦ .. وهناك سبعة رسل لم يذكروا فى هذه الآيات وهم : آدم ، وإدريس ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، وذو الكفل ، ومحمد ..

وقد بدىء الرسل بآدم أبى البشر ثم جاء إدريس ، ثم نوح ، ثم هود فصالح فإبراهيم فلوط فإسماعيل فإسحاق فيعقوب فيوسف ، ثم شعيب فموسى فهارون فداود فسليمان ثم إلياس فأيوب واليسع وذو الكفل ويونس وزكريا فيحيى وعيسى ثم خاتمهم محمد - عليه الصلاة والسلام - ..

« حقوق الله فى التركة »

س : مات والدى وعليه زكاة أموال وفدية صوم ونحو ذلك . فهل يجب علينا إخراج هذه الحقوق علما بانه لم يوص بها ؟ ..

ع ـ س ـ مغاغة

جـ : أول ما يجب أن يخرج من التركة هو تجهيز الميت تجهيزا معتدلا لا إسراف فيه ولا تقتير ، ثم قضاء ديونه للعباد ..

أما الديون الواجبة لله عز وجل كالزكاة ونحوها ، فإن كان الميت قد أوصى بها لزم الورثة أن يخرجوها ، فإذا ما تبرعوا بها وأخرجوها من حقوقهم فهى لا تسقط عنه الواجب كما يرى بعض الفقهاء ، لأنها عبادة ، والعبادة لابد فى سقوطها من فعل أو نية ، ولا فعل ولا نية من الميت ، وفعل الورثة لا يقوم مقام فعله إلا بإذنه ، ولم يوجد إذن ..

ولكننا نرى أن فى إذن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحج عن الوالد دون وصية منه ما يجعلنا أقوياء الرجاء فى قبول التبرع من الورثة ، ودفع العقاب عن الميت وإثابته عليه نظرا لأن المال من كسبه وسعيه ، والورثة أولاده أو أولياؤه فهم منه ومالهم من ماله . والله أعلم ..

هجر الزوجة بدون سبب لا يجوز

س : هجرنى زوجى دون أسباب ثم تزوج من امرأة أخرى دون مراعاة لأدنى حقوقى الزوجية كامرأة .. فماذا أفعل ؟

هـ . ع . م

جـ : إن جواز تعدد الزوجات فى الإسلام شرع لحكمة جليلة وغاية نبيلة لصالح كل من الزوجين دون طغيان لأحدهما على الآخر فلم يشرع لأهواء الناس وأغراضهم الدنيئة ، وحينما أجاز الشارع الحكيم تعدد الزوجات لم يطلقه دون قيد أو شرط ، بل كان التعدد مقيدا مشروطا ، فالتعدد مقيد بالأربع ، قال الله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ فلا يزيد على أربع ، وأما كونه مشروطا فقد شرط بالعدل قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ سورة النساء ..

فالعدل شرط التعدد ، والزوج هنا قد تزوج على زوجته فيلزم أن يكون عادلا معهما ولا يجوز له أن يهجر زوجته الأولى دون ذنب يعاقب عليه الشرع بالهجر ..

فإذا هجر الزوج زوجته دون سبب فقد ارتكب ظلما والله لا يحب الظالمين ..

وعلى الزوجة أن تصبر على أذى زوجها ، ولا داعى لطلب الطلاق فقد يحدث الله بعد ذلك أمرا ..

كما أن على الزوج أن يعاشر بمعروف ، وليتحر العدل بين زوجتيه حتى لا يأتى يوم القيامة وشقه مائل كما جاء فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. والله أعلم ..

فى زكـاة التجـارة

س : هل يجوز احتساب نسبة من الأرباح فى ميعاد إخراج الزكاة ـ كزكاة المال ـ أم لابد من جرد البضاعة كل عام واحتساب زكاتها كعروض التجارة ؟ ..

وهل تحسب الأصول كالماكينات وقيمة العين المؤجرة ..

س . خ . م القاهرة

جـ : الأصول الصناعية والزراعية والتجارية لا زكاة عليها ، وإنما الزكاة على الإيراد إذا بلغ نصابا .

فتقوم العروض التجارية المتحركة كالبضائع والسلع وتضم إلى ذلك ما لديك من نقود ومالك من ديون مضمونة التحصيل ، وتخرج عن ذلك كله ٢,٥٪ قيمة الزكاة .. ـ والله أعلم ـ ..

من أعلام الأزهر

الشيخ أحمد الطاهر الحامدى

سنه ١٢٥٧ هـ - سنه ١٣٣١ هـ

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

احد الفضلاء النابغين والجهابذة المحققين برز فى علوم الشريعة، كما نبغ فى علوم الحقيقة، اكسبه عزوفه عن تولى المناصب الحكومية مهابة وإكبارا فى عيون الناس، وبركة فيما رزقه الله من الطيبات إلى جانب زهده وتقواه فكان سخيا على سنن رسول الله ﷺ.

ذلك هو الشيخ احمد الشهير بالطاهر بن الشيخ عوض الله بن عبد القادر بن كليب بن احمد بن موسى الحامدى نسبة إلى «الحامدية» قبيلة معروفة من اصل عربى عريق كانت قد استوطنت من عهد بعيد ناحية الكرنك بجوار مدينة «الاقصر» تلك المدينة التى اشتملت على الكثير من آثار المصريين القدماء من أعمال محافظة «قنا» بصعيد مصر، وكان جد هذه الأسرة الأكبر من سلالة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وقد قدم ذلك الجد من الأقطار الحجازية فى جملة من قدموا مع العارف بالله تعالى السيد ابى الحجاج الأقصرى حوالى سنة ٦٠٠ هجرية تقريبا[1]

مولده ونشاته :

ولد الشيخ احمد الطاهر سنة ١٢٥٧ هجرية ونشأ وتربى فى كنف والده الشيخ عوض الله بن عبد القادر الذى كان من العلماء العاملين وأولياء الله العارفين، كانت له مجاهدات صحيحة وكرامات واضحة واشتهر عنه بأنه كان مجاب الدعوة.

اما والدته فكانت من الصالحات الخيرات تجيد حفظ القرآن الكريم وتتعبد بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار وفى هذه البيئة الصالحة

---

(١) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الازهرى بأسيوط بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ هـ - ٤ يونية سنة ١٩٧٧ م

حفظ ولدهما الناشىء القرآن الكريم ونال قسطا وافرا من الثقافة والعلوم الإسلامية[٢]

توجهه إلى الأزهر الشريف لاستكمال دراسة العلوم الإسلامية :

عندما اشتد عود الصبى أحمد الطاهر وقد نشأ على سلامة الفطرة وقوة الاستعداد لتلقى المزيد من العلم بعث به والده إلى رحاب الأزهر الشريف بالقاهرة - وقد كان على نظامه القديم فوجده حافلا - كما هو شأنه دائما - بالعلماء فى شتى صنوف المعرفة فأخذ يغترف من فيض معارفهم ويستضىء بأنوار إرشادهم حتى أتم الله له فى زمن قصير التعمق فى دراسة الفقه والتحصيل لكثير من علومه .. ثم عاد إلى بلده تلبية لرغبة والده سنة ١٢٨١ هجرية فجلس لنشر العلم بين الناس حسبة لله تعالى ونفعا للمسلمين وسنه - حينئذ - لم تتجاوز الرابعة والعشرين فأقبل عليه طلاب العلم وكذا مريدو السلوك من شتى نواحى الصعيد للأخذ منه والاستفادة من معارفه[٣] .

عزوفه عن تولى المناصب الحكومية :

اختط الشيخ أحمد الطاهر لنفسه خطا فى الحياة العامة لم يكن ليحيد عنه ، هو الابتعاد عن تولى المناصب الحكومية فاعتذر عن تولى منصب القضاء فى مديرية إسنا[٤] كما اعتذر عن تولى منصب التدريس فى الأزهر الشريف أو شيخا لرواق الصعايدة ، واكتفى عن ذلك ببذل العلم حسبة لله تعالى كما قدمنا والعمل على قضاء حاجات الناس بنفسه وماله وجاهه[٥] .

العوامل التى دفعت بالشيخ أحمد الطاهر إلى التفوق فى العلم : هناك عدة أمور كانت السبب إلى ذلك :

أولا : نشأته بين أبوين صالحين ربياه على حب الإسلام وعلوم القرآن .

ثانيا : البيئة الأزهرية التى التصق بها أيام مجاورته بالأزهر الشريف لطلب العلم حيث كان مشايخ الأزهر وطلابه فى ذلك العهد يميلون إلى دراسة أمهات الرقائق مثل الحكم العطائية لابن عطاء السكندرى وغيرها مما تفوق الشيخ فى معرفته ودراسته .

ثالثا : اجتماعه بعلامة الصعيد فى ذلك الحين : العارف بالله تعالى الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فقد سلك على يديه طريقه على نهج السادة الخلوتية تلك الطريق التى سبق أن نشر لواءها فى الديار المصرية الشيخ محمد الحفنى الملقب بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر الثامن الذى كان معاصرا لشيخ البلد على بك الكبير[٦] وكان من ضمن تلاميذه ومريديه الشيخ أحمد العدوى الملقب بأبى البركات أحمد الدردير[٧] .

رابعا : ملازمته حياته كلها لأخيه فى الله تعالى السيد يوسف الحجاجى خصوصا بعد وفاة الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى إذ كان السيد يوسف الحجاجى من خريجى الأزهر وعلماء الإسلام والأقطاب فى تلك الأيام .

←

---

(٢) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) حل محلها حاليا محافظة قنا .

(٥) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة المرجع السابق .

(٦) كتاب العارف بالله تعالى أبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر تأليف الدكتور عبد الحليم محمود من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

(٧) كتاب أبى البركات سيدى أحمد الدردير تأليف الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٤ م .

من أعلام الأزهر

مؤلفاته العلمية :

ألف الشيخ أحمد الطاهر العديد من الكتب الإسلامية فى علوم التوحيد والفقه والبلاغة والتصوف ومن هذه المؤلفات :

١ ـ كتاب الكشف الربانى وهو شرح جليل على منظومة أستاذه الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فى التوحيد .

٢ ـ نظم صغير فى علم التوحيد سماه « بلغة المبتدى » جمع فيه ببراعة كل أطراف فن التوحيد مع صغر حجمه ووجازة لفظه ..

٣ ـ الروض الندى ، وهو شرح موسع لمنظومته « بلغة المبتدى » حافل بالفوائد .

٤ ـ الفتح المحمدى وهو شرح مختصر لمنظومته « بلغة المبتدى » .

٥ ـ القول البديع فى أحكام التسميع .

٦ ـ نسائم الترويح فى مسائل التراويح .

٧ ـ شرح على تشطير البردة لأستاذه أبى المعارف أحمد بن شرقاوى ـ لم يكتمل .

٨ ـ نظم بديع فى علم البيان قوامه « ٢٥ » بيتا جمع فيه أصوله ومسائله الكلية .

٩ ـ نظم لرسالة البيان المسماة « تحفة الإخوان » للسيد أبى البركات الشيخ أحمد العدوى الملقب بدردير .

١٠ ـ نهاية الإرشاد إلى رب العباد فى « ذكر الله وآدابه وشروطه » .

١١ ـ كتاب مطية السالك إلى مالك الممالك .

وله بجانب هذه المؤلفات العلمية كثير من الرسائل الأدبية والقصائد الشعرية فى مختلف الأغراض السامية[٨] .

وفاة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى

بعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين والفقه لقى الشيخ أحمد الطاهرى ربه وذلك فى واحد من العشر الأوائل من ذى الحجة سنة ١٣٣١ هـ بعد رحلة مع المرض لزم فيها الفراش مدة من الزمان ، لكن ذلك لم يحل بينه وبين أداء واجباته الدينية فكان يتكلف الوضوء وما فاته شيء من صلاته حتى لقى ربه .

الذرية الصالحة :

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه انتظم فى الأزهر الشريف وتخرج في كلياته الدينية المباركة نجله الشيخ « محمد أحمد الطاهر الحامدى » ـ رحمه الله ـ وقد عمل أستاذاً بالمعاهد الثانوية الأزهرية ، وكان آخر منصب له تعيينه شيخا لمعهد الأقصر الدينى الذى شارك فى بنائه . كما تخرج في الأزهر أبناء الشيخ محمد أحمد الطاهر أى أحفاد الشيخ أحمد الطاهر الحامدى صاحب الترجمة وهم : الشيخ « محمد محمد أحمد الطاهر » الشهير بالشيخ المصرى المفتش بالمعاهد الأزهرية بمحافظة قنا ، والشيخ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، والشيخ عبد الرحمن محمد أحمد الطاهر خريج كلية اللغة العربية ـ رحمه الله ـ وكان يعمل مدرسا بمنطقة التربية والتعليم بقنا قبيل وفاته ، والشيخ أحمد الموظف بمعهد الأقصر الأزهرى مما يشير إلى أن العلم النافع الموصل إلى الله مازال ممتداً وموصولا فى ذريته تحقيقا لدعوة جد هذه الأسرة الرجل الصالح الشيخ عوض الله بن عبد القادر طيب الله ثراه .

---

(٨) رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط المرجع السابق .

من أعلام الثقافة الإسلامية في نيجريا

٢

إعداد المحاضر: سليمان موسى

هو ابو إبراهيم محمد بن إبراهيم بن صالح بن عمر الألورى من اشهر العلماء فى نيجيريا . ولد فى مدينة الورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا فى عام ١٩٠٨م(١) والده إبراهيم من علماء الورن النابهين فى زمانه .

اسلم والده الأستاذ ابنه محمد إلى عالم يسمى الأستاذ عيسى للتربية والتعليم ، فقرا عنده سورة الفاتحة إلى سورة الفيل . ثم رجّعه إلى والده الذى علمه القرآن وبعض الكتب الدينية . واخذ عن والدته السيدة رابعة بعض القصائد الدينية مثل : إذا ماشئت فى الدارسين تسعد ... وطلع البدر علينا وغيرها .

ولما بلغ عمره نحو ثمانية عشر عاما توفى والده إبراهيم . فذهب إلى صديق والده مصطفى اندار ابى الذى ارسله إلى المعلم كولوكاشا ليعلمه . ^. عنده أشهراً معدودة .

ولما انتقل أستاذه إلى لاغوس ذهب الشيخ محمد إلى الشيخ عبد القادر ليواصل الدراسة . وبعد سنوات قليلة انتقل إلى اجيجى وأخذ العلم من عمه الأستاذ أحمد الرفاعى بن ابى بكر الملقب بالفاصلاتى وفى أثناء التعليم أخذ منه الطريقة القادرية .

ولما سمع بأن فى مدينة زاريا جلة من الاعلام عزم على الرحلة إليها . وقبل وصوله توفى المعلم الذى يقصد وهو الشيخ اسحاق نمعج . فنزل

←

ـمن أعلام الثقافة فى نيجيريا

عند معج ابن المرحوم وبدأ التعليم عند محمود والأستاذ بلاربى أبو زيد . والشيخ يهوذ وغيرهم من علماء مدينة زاريا .

وقد بذل الأستاذ إسهاما كبيرا فى نشر الثقافة العربية والإسلامية عن طريقة التعليم والتأليف . ومن جهوده فى الثقافة العربية مؤلفاته الشعرية والنثرية . ومن أمثال ذلك مدحه للشيخ الفا اندا صلاتى حيث يقول :

طلـوع شيخنـا شمس
ظـهـور شيخنـا بشرى
وامـر شيخنـا سـهـل
وعلـم شيخنـا يـروى
غيـاث كـل من يـاتى
إليـه يطلـب الخـيرا

رحل الشيخ إلى مصر والحجاز والعراق ووصف رحلاته إلى هذه الأوطان فى كتاب له : « فتح الخلاق فى الرحلة إلى مصر والحجاز والعراق » وفى هذا الكتاب فوائد كثيرة من المعلومات التى يستفيد منها المسافر إلى الأماكن الدينية .

للشيخ مؤلفات كثيرة منها :

١ ـ رفع الشبهات عما فى القادرية والتجانية من الطاعات .

٢ ـ فتح الخلاق فى الرحلة إلى مصر والحجاز والعراق .

توفى الشيخ فى الثانى من رمضان ١٤٠١هـ .

٦ ـ الشيخ محمد الناصر كبرى :

ومن أبرز شيوخ الإسلام فى نيجيريا الشيخ محمد الناصر كبرى هو محمد الناصر بن محمد المختار الكبرى الكنوى . ولد فى قرية فرنغاوا قرية مجاورة إلى كنو عاصمة ولاية كنو ـ نيجيريا . فى الحكومة المحلية المسماة دواكن توفا فى السنة ١٩٢٤ ميلادية(٢) .

أصل أجداده من قبيلة كبار فى تمبكتو التى فى جمهورية مالى ، هاجر جده عمر الكبرى إلى كنو وسكن فى حارة ادكاوى . ثم انتقل إلى مسكن آخر الذى يسمى الآن بكبارى فى مدينة كنو . وقد سميت تلك الحارة كبار لسبب مكثه هناك وشهرته بين الناس فى العلم والتقوى .

وأما والد الشيخ ناصر كبرا فهو الشيخ محمد المختار ، توفى سنة ١٩٣٠م وعمر ابنه (ناصر كبرا) أنذاك ستة . والدة الشيخ ناصر كبرى هى السيدة مريم وهى امرأة حليمة تقية صالحة .

بدأ الشيخ ناصر التعليم عند عمه الأستاذ إبراهيم نتسجونى وهو عالم بفنون شتى وله قدم راسخة فى العلم والتقوى ، ثم أخذ عن الأستاذ معاذ فى حارة سروندكى وعند الشيخ عبد الكريم فى حارة تروماوا . ثم ذهب إلى الإمام الأستاذ محمد أنوا وأخذ منه بعض علوم العربية الإسلامية . وإضافة إلى هؤلاء الأساتذة أخذ العلم من جهابذة الإعلام العرب الذين زاروا كنو . منهم الشيخ الشريف عبد الرحمن الذى كان يأتى من طرابلس والأستاذ محمود بن شروع وغيرهم من الأعلام الأجلة .

وقد كان الشيخ محمد الناصر ذكيا منذ نشأته فشب على طلب العلم والمثابرة عليه . وأنه فاق أقرانه الصبيان فى العلم والاجتهاد على العبادة فى المدرسة الابتدائية وكان يقوم بالليل ليذاكر الدروس ويقرأ القرآن الكريم .

أخذ الشيخ الطريقة القادرية عن عمه الشيخ إبراهيم نتسجونى . وقد انتشرت هذه الطريقة على يديه بعد وفاة عمه . وحتى الآن هو الشيخ الأكبر فى هذه الطريقة فى غرب افريقية .

وإضافة إلى ذلك فالشيخ هو أول من أسس المدرسة الإسلامية الحديثة حيث يدرس مبادىء

الدروس الإسلامية واللغة العربية مع قراءة القرآن . وقبل ذلك لا يوجد في مدينة كنو إلا الكتاتيب ومعاهد العلم . فالمدرسة الحديثة التي انشأها الشيخ كانت في منزله . وقد اشتهرت هذه المدرسة حتى كان يأتيها الطلبة من خارج نيجيريا لطلب العلم .

فالشيخ ناصر كبرى لا يعلم الطلبة فقط بل يدرب الدعاة الذين يجوبون البلاد شرقا وغربا وهم يدعون الناس إلى سبيل الرشاد .

وإضافة إلى ذلك فالشيخ لا يسكن في منزله لتدريس الناس فحسب بل كان مدير المدرسة الإسلامية الحكومية في شاوشي في كنو حيث كان يدرب القضاة . ومن ثمرة جهده رفعت الحكومة مرتبة تلك المدرسة إلى المدرسة الثانوية والشيخ هو مديرها الأول .

الشيخ محمد الناصر واعظ فصيح ، في كل شهر رمضان يقيم مجلس الوعظ في منزل أمير كنو حيث يفسر القرآن الكريم باللغة المحلية (الهويسة) . وقد كان يفعل ذلك منذ أربعين سنة مضت .

للشيخ مؤلفات كثيرة حتى هو بنفسه لا يدرى عددها ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ ـ ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الهوساوية .

٢ ـ اتحاف الخلاق بحقيقة الطريقة القادرية .

٣ ـ المرأة في الحجاب .

وقد زار الشيخ المدن الإسلامية مثل العراق ومصر والحرمين ونحوها .

وقد اشتهر من تلامذته رجال ونساء . منهم الشيخ أبو بكر محمود جومى ، رئيس قضاة شمال نيجيريا سابقا ، وأمير كنو الحاج ادو بايرو ، وبروفسر شيخو احمد سعيد غلادنت سفير نيجيريا في المملكة العربية السعودية حاليا .

الشيخ على قيد الحياة ونسأل الله أن يطول عمره .

٧ ـ الدكتور جنيد بن محمد البخارى :

هو جنيد بن محمد البخارى بن احمد بن غداد بن ليم ، ولد في مدينة سكتو سنة ١٢٢٥ هـ الموافق سنة ١٩٠٦ م .

والده الشيخ محمد البخارى بن أحمد بن غداد بن ليم وكان عالماً كبيراً ومصلحاً شهيراً . جده الأول غداد بن ليم هو الوزير الأول للشيخ عثمان ابن فودى أمير المؤمنين الذى أسس الخلافة الصكتية .

بدأ تعليمه بقراءة القرآن الكريم عند الشيخ عبد القادر بن أبى بكر ؛ قرأ عنده كتاب أصول الدين تأليف الشيخ عثمان بن فودى ، ومنظومة يحيى ـ القرطبى في الفقه وكتاب الأخضرى وكتاب العشماوى وقصائد العشرينيات(٣) .

انتقل بعد ذلك إلى معلم يحيى بن الخليل حيث اتم قصائد العشرينيات ومقامات الحريرى وتخميس قصائد العشرينيات والرسالة لأبى زيد القيروانى وملحة الإعراب للحريرى وغيرها من الكتب الدينية واللغة .

ومن شيوخه الذين أخذ منهم علم اللغة ، الأستاذ يحيى النووى والشيخ أبو بكر بوبى والشيخ الفانوح بن ماسنى .

وقد اشتهر الدكتور في العلم والتقوى . وكان المرجع الرئيسى فيما يتعلق بتاريخ الخلافة المكوتية(٤) التى أسس المجدد الشيخ عثمان بن فودى في القرن التاسع عشر الميلادي .

وقد كان الدكتور مدرسا في أوائل عمره . بينما كان يدرس في داره عينه الإدارة الأهلية مدرسا بالمدرسة الوسطى ومدرسة البنات ليعلم علوم الدين واللغة العربية في سنة ١٩٣٩ ميلادية . وبعد فترة عين مدرسا بمدرسة العلوم الشرعية بصكتو وقضى فيها أربع سنوات .

←

من أعلام الثقافة فى نيجيريا

وفى سنة ١٩٤٦ عين مستشارا فى أمور الشريعة الإسلامية فى مجلس أمير المؤمنين بصكتو. وفى سنة ١٩٤٨ ميلادية عين وزيرا لأمير المؤمنين بصكتو بعد وفاة أخيه عباس(٥). ولايزال على هذا المنصب إلى اليوم.

وقد كان الدكتور فى كثير من اللجنات الحكومية والمجالس الدينية. فكان أول رئيس لدار الوثائق فى صكتو. وكان عضوا فى مجلس الشورى فى كدونا. واللجنة العلمية العالية فى نيجيريا، ومجلس العلماء، ومجلس القضاء العالى فى شمال نيجيريا. وهو الرئيس الأول لمنظمة جماعة نصر الإسلام بنيجيريا.

وقد زار السودان والحجاز وغينيا وسنغال والمغرب الأقصى وليبيا والعراق ومصر والقدس ونيجر. ووصف رحلاته إلى هذه الأوطان فى بعض مؤلفاته.

لقد منحته معظم البلاد التى زارها الدكتور قلائد ذهبية تقديرا لجهوده فى نشر الثقافة العربية الإسلامية. ومن البلاد التى منحته قلائد ذهبية سنغال والمغرب الأقصى وليبيا. ومنحته جامعة أحمد بللو زاريا بنيجيريا الدرجة الدكتورية الفخرية فى فن الأدب والثقافة.

الدكتور يتقن ثلاث لغات (العربية، والهوساوية، والفلاتية) وله توالف فى كل واحد منها:

ومن أشهر مؤلفاته مايلى:

١ ـ تسلية القلوب عما أصابها من الكروب.

٢ ـ مرتع الأذهان على لغة الفلان.

٣ ـ قلائد العقبان فى ذكر أمور الشيخ عثمان.

٤ ـ إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بللو.

٥ ـ الباكورة الجنية على اللغة الفلانية.

٦ ـ تانيس الأحباء بذكر أمراء غندو ماوى الأصفياء.

٧ ـ نيل المرام بترجمة أمير المؤمنين محمد بللو الهمام.

٨ ـ التحفة السنية بذكر بلدة صكتو البهية.

٩ ـ نيل الأمل بذكر بلدة دغل.

للدكتور أبناء وبنات. ومنهم الدكتور سمبو والى جنيد (رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عثمان دان فودى صكتو) والشيخ عثمان جنيد المفتش فى وزارة التربية فى ولاية صكتو. والدكتور محمد بن جنيد المحاضر ـ بقسم التربية بجامعة عثمان دان فودى صكتو.

للدكتور مكتبة خاصة فى فنون شتى وهو يساعد الباحثين فى بحوثهم ويزودهم بالمعلومات والمصادر حول خلافة صكتو. وقد كتب الباحثون ما ينيف على عشرة أبحاث عن الدكتور الوزير جنيد لتكملة دراسة الليسانس والماجستير والدكتوراه.

جزاه الله عنا وعن الإسلام خيرا.

مراجع هذا الجزء

(١) محمد الثانى الحاج شيخ: الحاج محمد إبراهيم النفوى الألورى، أطروحة الليسانس فى جامعة صكتو سنة ١٩٨٢ م ص ٤.

(٢) جريدة (القلم) تصدر شهريا من مؤسسة الدعوة الإسلامية كانو نيجيريا.

(٣) سليمان عبد الله ناهوشى: تحقيق الرحلة إلى الأغدس لوزير جنيد، بحث مقدم لتكملة دراسة الليسانس فى جامعة صكتو سنة ١٩٨٢ م ص ٨.

(٤) مرى لاست: الخلافة الصكتية، مطبعة جامعة لوندون، سنة ١٩٦٧ م.

(٥) انظر تحقيق رحلة أغدس ص ١٠.

العلوم الكونية

الأمطار الحمضية

الخلية الحية

الأمطار الحمضية

أ . د . أحمد فؤاد باشا

يبدو أن الأمطار الحمضية ستكون من أهم قضايا التلوث البيئى خلال سنوات العقد الحالى وخاصة أن مراكز الأبحاث العالمية قد توصلت إلى نتائج هامة حول طبيعة المشكلة وأخطارها المؤكدة والمحتملة ، التى تهدد كل مظاهر الحياة فى المحيط الحيوى للأرض .

وسوف نعرض فى هذا المقال لظاهرة الأمطار الحمضية باعتبارها أزمة طارئة من صنع الإنسان ذاته ، ساقها إليه نشاطه الصناعى و« التقنى » المتزايد . وربما يكون مفيداً أن نسعى من خلال ذلك إلى تعريف القارىء ببعض الأسس والمصطلحات العلمية التى تتعلق بالمشكلة من جوانبها المختلفة .

معنى الحموضة وقياس شدتها :

من منا لم يتعرف من قبل على تلك المواد المسماة بالحموض ، سواء بمشاهدة تأثيرها الحارق كما فى حموض « الكبريتيك » و« النيتريك » المركزة التى يعرفها العامة باسم « ماء النار » ، أو عن طريق تذوق طعمها اللاذع كما فى عصير الليمون والبرتقال المحتوى على حمض « الستريك » ، أو حتى عندما أحسسنا ذات يوم بحموضة المعدة نتيجة سوء الهضم الناشىء عن زيادة تركيز حمض « الهيدروكلوريك » فى العصارة المعدية ، ولجأنا إلى العلاج باستعمال مساحيق أو أقراص تحتوى على مواد « قلوية » مثل أملاح كربونات الكلسيوم وبيكربونات الصوديوم أو أكسيد وهيدروكسيد المغنسيوم لتعادل الحمض الزائد فى المعدة ، وتدلنا دراسة الخصائص المميزة لكثير من الحموض والقلويات والأملاح على أن هذه المركبات تميل إلى التفكك فى محاليلها المائية ، بحيث توجد على هيئة « أيونات » ذات شحنات متضادة ومستقرة ، كما تكون معزولة عن بعضها جزئيا بطبقة رقيقة من جزيئات الماء ترتبط بها ، ولا تنفصل عنها .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن خواص الذرات تختلف عن خواص الأيونات لنفس المادة ، فلا يظن مثلاً عند ذوبان ملح الطعام ، واسمه العلمى كلوريد الصوديوم ، فى الماء أن المحلول يحتوى على ذرات منفصلة للصوديوم والكلور . ولو كان الأمر كذلك لهرب غاز الكلور السام من الماء ولتفاعل الصوديوم النشط كيميائياً مع الماء . لكن هذا كله لا يحدث . وفى عملية التحليل الكهربى للماء لا يتصاعد غاز الهيدروجين من الماء إلا بعد إمداده بالشحنة الكهربية التى تحوله من أيونات

موجبة إلى ذرات متعادلة كهربياً[1] .

وتعزى خاصية الحموضة Acidity في الأشياء عموماً إلى وجود أيون الهيدروجين الموجب ، ورمزه الكيميائي يد+ أو H^+ بينما تعزى خاصية القلوية Alkalinity إلى وجود أيون الهيدروكسيل السالب ، ورمزه الكيميائي أيد- أو OH^-[2] .

ويمثل الماء النقي « المقطر » حالة المحاليل أو الأوساط المتعادلة بين الحموضة والقلوية ، والتي يكون تركيز كل من أيونات الهيدروجين وأيونات الهيدروكسيل فيها مساويا لمقدار ثابت هو ١٠-٧ ، ومن ثم يكون « الحاصل الأيوني » فيها مساوياً حاصل ضرب التركيزين وهو ١٠-١٤

لهذا اصطلح العلماء على وصف محلول ما بأنه حمضي إذا زاد تركيز أيونات الهيدروجين أو قل تركيز أيونات الهيدروكسيل فيه عن ١٠-٧ والعكس بالعكس ، أي يوصف المحلول بأنه « قلوي » إذا زاد تركيز أيونات الهيدروكسيل أو قل تركيز أيونات الهيدروجين فيه عن المقدار ١٠-٧ .

ويعبر عادة عن شدة الحموضة « أو القلوية » لمحلول ما باستخدام تدريج عددي من صفر إلى ١٤ يسمى « الأس الهيدروجيني » pH وتدل عليه قيمة « الأس » الموجب لدرجة تركيز أيونات الهيدروجين . فيقال إن « الأس الهيدروجيني » للماء النقي والمحاليل المتعادلة يساوي العدد ٧ ، وتهبط قيمته تدريجياً نحو الصفر تبعاً لزيادة شدة الحموضة أو نقص شدة القلوية ، لكنها ترتفع تدريجيا إلى ما يقارب ١٤ كلما زادت « قلوية » المحلول أو انخفضت حموضته .

من ناحية أخرى ، يمكن بطريقة مماثلة أن يقاس تركيز أيونات الهيدروكسيل باستخدام مصطلح « الأس الهيدروكسيلي » p OH الذي تزيد قيمته أو تنقص في المحلول على حساب قيمة « الأس الهيدروجيني » بحيث يظل حاصل جمعهما دائماً مساوياً للمقدار الثابت ١٤ ، وذلك طبقاً لمعادلات الاتزان الأيوني في المحاليل المائية . فعلى سبيل المثال ، إذا كان « الأس الهيدروجيني » الدال على حموضة متوسطة لعصير الليمون المحتوي على حمض « الستريك » Citric acid تبلغ حوالي ٢ ، فإن قيمة « الأس الهيدروكسيلي » الدال على قلويته تساوي ١٢ . أما حموض الكبريتيك Sulphuric والنيتريك Nitric القوية فتصل شدة حموضتها على مقياس الأس الهيدروجيني إلى الواحد أو أقل ، ويزيد الأس الهيدروكسيلي الدال على قلويتها إلى ١٣ أو أكثر .

وطبقاً لمثل هذه المعايير يتم تحديد حموضة المحاليل أو قلويتها عمليا باستخدام جهاز خاص بالغ الحساسية يسمى « مقاس الأس الهيدروجيني » pH meter .

الأس الهيدروجيني للماء الطبيعي :

يوجد الماء في الطبيعة إما مكوناً الأنهار والبحيرات والبحار والمحيطات على سطح الأرض ، وهو ما يعرف باسم « المياه السطحية » أو مخزوناً بين الطبقات غير المسامية في جوف الأرض على هيئة آبار وعيون ، وهو ما يكون « المياه الجوفية » . وتعتبر الأمطار مصدراً أساسياً في تكوين الأنهار ، كما يعزى إليها السبب الرئيسي في رفع منسوب المياه الجوفية إلى

←

١ ـ عند امرار التيار الكهربي في محاليل بعض المركبات الكيمائية فإنها تنحل إلى عناصرها الأولية . وفي الجهاز المعروف باسم «فولتا مترهوفمان» ينحل الماء المحتوي على حمض كبريتيك مخفف بامرار التيار الكهربي فيه إلى الهيدروجين الذي يتصاعد عند السارية السالبة (المهبط) والاكسجين الذي يتصاعد عند السارية الموجبة (المصعد) .

← الأمطار الحمضية

جانب ما يتسرب من مياه البحار والأنهار خلال الطبقات المسامية المجاورة . ونظراً لاستخدام حموض مختلفة في العمليات التحضيرية لمعالجة الماء الطبيعي فإن الأس الهيدروجيني الدال على حموضته بعد تنقيته وتطهيره وتحسين نوعيته ، يكون عادة بين ٥ و٦,٥ . لكن الماء العذب المنقى عموماً يحتاج لأن يمر بعملية ضبط الأس الهيدروجيني وفقاً للاستعمال المطلوب ، فالمدى اللازم لمياه الشرب هو ما بين ٦,٥ إلى ٨,٥ . وتحتاج مياه الرى إلى قيم أقل من الأس الهيدروجيني بينما يجب رفعه إلى ما فوق الثمانية للاستعمالات الصناعية .

التاريخ للأمطار الحمضية بالأسس الهيدروجيني :

استطاع العلماء أن يؤرخوا لبدء مشكلة الأمطار الحمضية وتزايد حجمها وأخطارها عن طريق قياس « الأس الهيدروجيني » لتراكمات الثلوج المتعاقبة قرب القطب الشمالي . ذلك لأن الطبقات السطحية من جبال الجليد تمثل أحدث ما تساقط من السحاب على هيئة مطر وثلج وبرد ، بينما تمثل الطبقات الأعمق على التتابع هطولاً أقدم حدث في فترات زمنية سابقة . وقد أوضحت النتائج التي توصل إليها الباحثون حديثاً أن شدة الحموضة تقل تدريجياً في اتجاه العمق حتى تصل إلى معدلاتها الطبيعية للمياه العذبة في طبقات سفلية تراكمت منذ خمسين عاماً ، أى وقت أن كانت مياه الأمطار عادية في حالتها الطبيعية[٢] . وهذا يدل على أن المشكلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثورة الإنسان الصناعية منذ ثلاثينيات هذا القرن ، وأن أضرارها تزداد ضراوة وانتشاراً تبعاً لما يحرزه الإنسان من تقدم علمى « وتقنى » .

على أن الحديث عن الأمطار الحمضية ينبغى ألا يعنى أن مياه الأمطار العذبة في المناطق النائية عن مسببات تلوثها تكون خالية تماماً من أية حموضة ، فهى في حقيقة الأمر تحتوى على قدر ضئيل من الحموضة لا يستطيع اللسان اكتشافها ، وهو ما يناظر ٥,٦ درجة في المتوسط على مقياس الأس الهيدروجيني . والسبب في ذلك يعود إلى مركبات الكبريت والنيتروجين التى تنبعث في المحيط الجوى منذ القدم نتيجة عمليات طبيعية يهيؤها الخالق الحق سبحانه وتعالى بقدر معلوم لحفظ التوازن البيئى اللازم لاستمرار الحياة على الأرض إلى ما شاء الله . ومن أمثلة هذه العمليات الطبيعية البراكين ونشاط جراثيم التربة . فلكى تتكون في الأرض الأملاح المعدنية اللازمة لنمو النباتات على سبيل المثال ، يجب أن تكون مياه الأمطار حموضة معينة لا تزيد ولا تنقص . وتتم المحافظة على الحموضة اللازمة عادة من خلال وجود النشادر في الهواء بنسب صغيرة تكفى لأن تعادل « قلويته » أى حموضة زائدة .

لكن نشاط الإنسان الصناعى و« التقنى » المتزايد أدى إلى ارتفاع حموضة الأمطار بدرجات متفاوتة في شدتها من منطقة صناعية لأخرى . ولكى نتصور حجم المشكلة في الوقت الحالى بناء على أحدث سجلات قياس الأس الهيدروجيني يكفى أن نعلم أن قيمته قد بلغت حوالى ٣,٦ في المتوسط بالنسبة لمياه الأمطار التى تم تجميعها خلال فصل الصيف من قرب قواعد السحاب في

البقية ص ٧١٨

٢ ـ أظهرت السجلات الخاصة بالحلقات على الشجر في غابات المرتفعات الشاهقة بأمريكا أن هناك انخفاضاً حاداً في معدلات النمو السنوى بدءاً من الستينيات وذلك بسبب المطر الحمضى وأشكال التلوث البيئى الأخرى .

الخلايا الحية

اللبنات الأساسية في الكائن الحي

بقلم الأستاذ
محمد مهدى يوسف

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ . فصلت : ٥٣

الخلية الحية هى وحدة البناء والوظيفة فى جميع الكائنات الحية بمعنى أن الخلية الحية هى اللبنات التى تُشيدّ جسم الكائن الحى . وفى هذه الخلية الحية يتم داخلها وبواسطة مكوناتها كل التفاعلات الكيمائية التى تلزم حدوث الوظائف الحيوية التى يتميز بها كل كائن حى ، مثل التنفس والغذاء والحركة والتكاثر .

ويوجد كائنات حية يبنى جسمها من خلية واحدة وهى الكائنات الحية الدقيقة التى لا ترى بالعين المجردة مثل الأميبا والبكتريا ، وهناك كائنات حية أخرى ترى بالعين المجردة ويبنى جسمها من العديد أو بلايين الخلايا مثل الحشرات والنباتات والطيور والإنسان .

وفى جميع الكائنات الحية تقوم الخلية بالوظائف الأساسية بنفس الكيفية أى أن جميع الكائنات الحية تستخدم لغة كيمائية واحدة خلال حياتها .

وتعيش الخلايا فترات مختلفة من العمر اعتمادا على نوع النسيج والعضو الذى تؤلفه ، وعليه فإن حياة الخلية ومماتها داخل جسم أى كائن من الكائنات الحية يتوقف أساساً على نوع هذه الخلية والوظيفة التى تقوم بها ، وهناك خلايا داخل جسم الكائن تعيش طوال حياة هذا الكائن وخلايا أخرى تعيش فترة قصيرة من الزمن وتجدد نفسها ليستمر كيان النسيج والعضو الذى تؤلفه .

والحقائق الأساسية بالنسبة لأى كائن حى هى قدرته على التوالد والتناسل وإنجاب عدد ضخم من كائنات حية تشبها ، لهذا كانت هناك خلايا حية خاصة بالتناسل تحتوى على ما يحدد خصال الكائن الحى الذى يحملها . ←

الخلايا الحية

مكونات الخلية الحية :

سوف نتحدث عن الخلية الحية(١) بشكل عام أخذ فى الاعتبار بأن هناك فروقا معينة بين الخلايا فى الحيوان والنبات والإنسان على الرغم من أن التركيب العام الأساسى للخلية واحد فى جميع الكائنات ، وسوف نذكر تلك الفروق بين خلايا تلك الكائنات فى حينها .

والخلية الحية تتكون من جزءين رئيسيين هما : السيتوبلازم والنواة يحيط بهما الجدار الخلوى والغشاء البلازمى فى الخلية النباتية أو الغشاء البلازمى فقط فى الخلية الحيوانية ، وترتيب مكونات الخلية الحية هو :

أولاً : الجدار الخلوى والغشاء البلازمى .

ثانياً : السيتوبلازم .

ثالثاً : النـواة ..

أولاً :

الجدار الخلوى والغشاء البلازمى :

الجدار الخلوى : يحيط بالخلية النباتية فقط ، وهو يحدد شكل الخلية ويحميها ويدعمها ، وهو يسمح بمرور المواد المختلفة من وإلى الخلية ، ويتكون من السليلوز فى بداية عمر النبات ثم يضاف إليه مواد أخرى كلما تقدم النبات فى العمر .

الغشاء الخلوى : موجود فى الخلايا النباتية والحيوانية وهو غشاء رقيق جداً نصف منفذ ، وهو عبارة عن طبقة من الدهن بين طبقتين من البروتين ويوجد فى الغشاء البلازمى مضخات وبوابات خاصة تنظم بدقة فائقة مرور المواد الغذائية من الخلية أو إليها حيث إنها تسمح بدخول جزيئات معينة وتمنع البعض الآخر من الدخول وهذا على حسب احتياجات الخلية نفسها .

ثانيـــاً :

السيتوبلازم : سائل هلامى بروتينى لزج يشبه بياض البيض ، محدد خارجياً بالغشاء البلازمى وداخلياً بغشاء النواة ، والسيتوبلازم هو الميدان الذى تتم فيه كافة الأنشطة الحيوية التى تلزم الكائن الحى بواسطة محتوياته الحية ، وهذه المحتويات تختلف من خلية إلى أخرى على حسب نوع الكائن أو نوع النسيج ، وأيضاً على حسب وظيفة الخلية نفسها ، ومن أهم هذه المحتويات : الشبكة الاندوبلازمية ، والـريبوزومـات ، والميتوكـوندريـا ، وأجهـزة جولجى ، والسنتروسـوم ، والبلاستيـدات ، والليزوسومات .

الشبكة الاندوبلازمية : توجد فى جميع الخلايا تقريباً نباتية كانت أو حيوانية ، وهى عبارة عن مجموعة من التجاويف الدقيقة جداً أنبوبية الشكل متفرعة مكونة شبكة متصلة داخل الخلية تتصل بالغشاء البلازمى ، والغشاء الخارجى للنواة ، وقد تمتد فى بعض الأنسجة من غشاء الخلية إلى أغشية الخلايا المجاورة ، وبذلك يتم الترابط بين الشبكات الاندوبلازمية للخلايا المختلفة فى النسيج الواحد ، وهذه الشبكة تكوّن

---

(١) الذى أطلق اسم الخلية على وحدة البناء والوظيفة للكائن الحى هو العالم الانجليزى « روبرت هوك » فى القرن السابع عشر عندما كان يفحص بعض أنسجة النباتات فوجدها مكونة من فراغات صغيرة تشبه أقراص النحل فسمى كل منها خلية مشتقا من الكلمة اللاتينية Cellula ومعناها فجوة صغيرة .

وقد ساعد التطور الكبير الذى طرأ على تصميم المجاهر (الميكروسكوبات) سواء المجاهر الضوئية أو الالكترونية بأنواعها على دراسة مكونات الخلية الحية بوضوح فهيات تلك الدراسات مزيداً من التقدم الذى يحققه الإنسان فى مجال بحوث علم الأحياء .

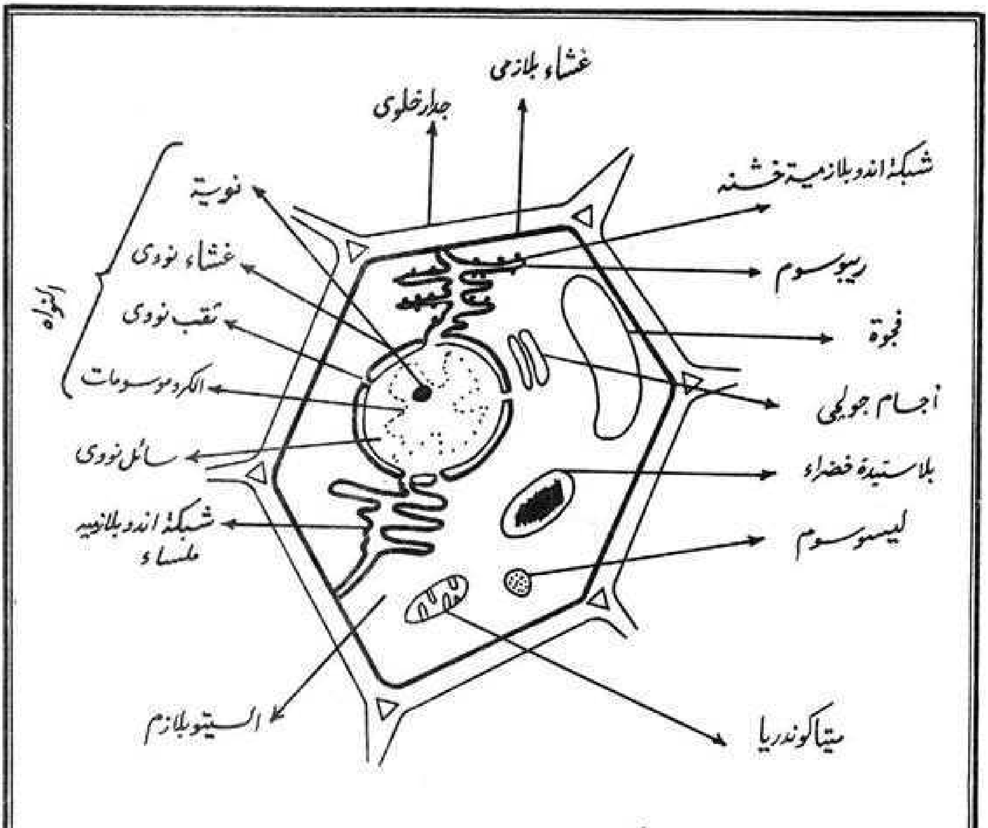

تركيب الخلية النباتية

الهيكل الدعامى للخلية ، وهى نوعان : نوع أملس والآخر خشن ، حيث يوجد على سطحها الخارجى حبيبات الريبوسومات .

الريبوسومات : هى المصانع الرئيسية لإنتاج البروتين فى الخلية الحية ، والبروتينات جزئيات كبيرة معقدة تتكون من جزئيات أصغر تسمى الأحماض الأمينية ، ويوجد عشرون حمضاً أمينياً فقط يتم بها تكوين جميع أنواع البروتينات المختلفة فى جسم الكائن الحى ، ويختلف نوع وطبيعة البروتين على حسب التوالى المضبوط للأحماض الأمينية المكونة لـه ، والبروتينات تلعب الدور الهام والرئيسى فى كافة العمليات الحيوية الأساسية ، فالإنزيمات ، والأنسولين ، والهيموجلوبين أمثلة على البروتينات الوظيفية التى لا حياة للجسم بدونها ، ويتم بناء البروتين فى الخلية على حسب رسالة بها تعليمات بناء البروتين مرسلة من النواة إلى الريبوسومات فى السيتوبلازم فتقوم الريبوسومات بقراءة الرسالة وترجمتها إلى بروتين بدقة متناهية ، والريبوسومات عبارة عن حبيبات دقيقة صغيرة جداً موجودة على السطح الخارجى للشبكة الأندوبلازمية أو متجمعة بين فروعها .

الميتوكوندريا : وحدات إنتاج الطاقة فى الخلية

←

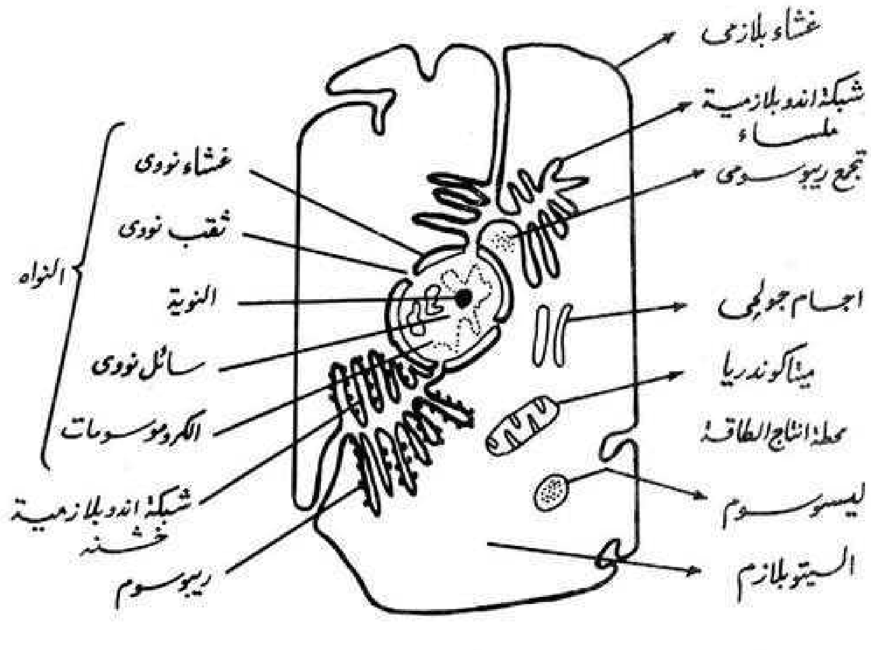

تركيب الخلية الحيوانية

الحية ، حيث إنها تحتوى على أنزيمات التنفس ، والكائنات الحية لابد لها من طاقة لكى تمارس حياتها فجميع العمليات الحيوية التى تقوم بها الخلية تحتاج إلى طاقة وهذه الطاقة مصدرها وظيفة وعمل الميتوكوندريا ، والوقود الذى تستخدمه الميتوكوندريا لإنتاج الطاقة هو المواد السكرية والنشوية والدهون ، والاحتراق داخل الخلايا الحية لا يتم دفعة واحدة ولكن عملية الاحتراق تتم على خطوات فالسكر لا تتفكك روابطه الكيمائية التى تختزن الطاقة مرة واحدة ولكنه يتحول من جزىء كبير إلى أصغر ثم إلى أصغر ويستنفد جزءا صغيرا من الطاقة فى كل خطوة ، ويتم احتراق (اكسدة) جزىء السكر (الجلوكوز) على ثلاث مراحل . الأولى فى السيتوبلازم أما المرحلتان التاليتان فتتمان فى الميتوكوندريا ، والميتوكوندريا عبارة عن أجسام سبحية توجد فى سيتوبلازم معظم الخلايا ويختلف عددها من خلية إلى أخرى على حسب نوع الخلية وحجم نشاطها فمثلا يزداد عددها فى خلايا الكبد وخلايا العضلات .

أجهزة جولجى : منتشرة فى السيتوبلازم ، وتوجد خاصة فى الخلايا التى تفرز المواد البروتينية ، وهذه الأجهزة تتكون من حويصلات منبسطة متوازية ذات أسطح ملساء تندمج مع غشاء الخلية الخارجى ؛ وتقوم بدور نقل (حمال) المواد إلى سطح الخلية الخارجى .

السنتروسوم (الجسم المركزى) : يوجد فى معظم الخلايا الحيوانية ونادراً فى الخلايا

النباتية ، وهو يقوم بدور رئيسى فى عملية انقسام الخلية .

البلاستيدات : توجد فى خلايا النبات الأخضر وخلايا بعض الكائنات الحية الدقيقة ، ولكنها لا توجد مطلقا فى الخلايا الحيوانية ، وتحتوى البلاستيدات الخضراء على مادة الكلوروفيل وهى المادة التى يستطيع النبات الأخضر بواسطتها القيام بعملية البناء الضوئى(١) .

الليزوسومات : حبيبات صغيرة يكثر وجودها فى الخلايا الحيوانية وهى تحتوى على مجموعة من الأنزيمات التى تهضم كثيرا من البروتينات والدهون والسكريات ، وهى توجد أيضا فى خلايا النبات على هيئة قطع ليزوسومية ولكنها نادرة ، كما أنها توجد فى خلايا الكائنات الحية الدقيقة محتوية على الأنزيمات التى تهضم الطعام .

ثالثا :

النواة :

توجد النواة فى مركز الخلية محاطة بالسيتوبلازم ، وهذه النواة تسيطر على كافة العمليات الحيوية فى الخلية الحية ، أى هى العقل المدبر والمنظم لكافة ما يحدث من أنشطة حيوية داخل الخلية بالإضافة إلى أنها تحتوى على النسخة الأصلية للمعلومات الوراثية التى تحدد نوع وطبيعة الخلية ووظيفتها ؛ وبالتالى طبيعة الكائن الحى ، والنواة : كتلة متشابكة من خيوط دقيقة تلتف حول بعضها تسمى الشبكة الكروماتنية تسبح فى سائل شفاف يسمى السائل

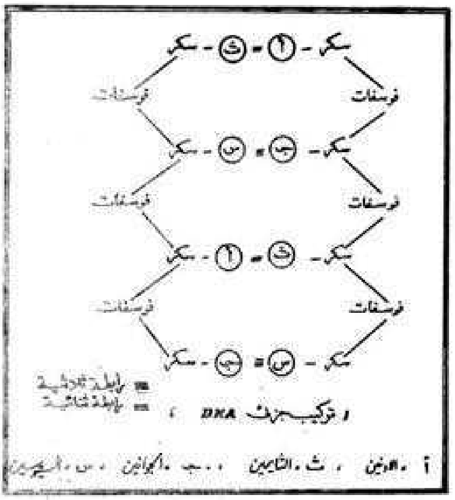

النووى يحيط بهما غشاء نووى رقيق يتخلله ثقوب صغيرة تمر من خلالها أنابيب الشبكة الأندوبلازمية .

والخيوط الكروماتنية هذه عبارة عن شرائط الكروموسومات ، وشريط الكروموسوم يتكون من عدد معين من الجينات ، والجين إذاً يعتبر الوحدة التركيبية للكروموسوم ؛ وهذا الجين هو الذى يعبر عن كافة الصفات الوراثية للكائن الحى ، وعليه فإن مجموع الجينات الموجودة على الشرائط الكروموسومية يمثل جميع الصفات الوراثية للكائن الحى إذ أن هذه الجينات تحمل المعلومات الوراثية اللازمة لتكوين خلايا الكائن

←

(١) وعملية البناء الضوئى هى : قاعدة الحياة الأساسية لإنتاج الطعام وتحرير الأكسجين اللازم لتنفس الكائنات الحية ، فلولا عملية البناء الضوئى لما استمرت الحياة على الأرض فالنبات الأخضر يستقبل أشعة الشمس على سطحه فيقوم الكلوروفيل بتخزينها على هيئة طاقة حيث إنها تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كيميائية ، ثم تستغل هذه الطاقة الكيمائية فى إنتاج سكر أحادى وهذا السكر الأحادى من الممكن أن يبنى منه البروتينات اللازمة للنمو أو يستخدم للحصول على الطاقة فى عملية التنفس التى تقوم بها الميتوكوندريا ، وتتم عملية البناء الضوئى باستخدام الماء كمصدر أساسى للهيدروجين اللازم لاختزال ثانى أكسيد الكربون كأول خطوة فى بناء السكريات البسيطة ، أما ثانى أكسيد الكربون فهو المصدر الوحيد الذى يستمد منه النبات الكربون اللازم لبناء السكر ؛ وهناك الأملاح المعدنية مثل : النترات ،والفوسفات والكبريتات اللازمة لتحويل السكريات البسيطة إلى بروتينات .

الخلايا الحية

الحى وتحديد عملها سواء كان بشراً أو نباتاً أو اى كائن حى آخر .

مم يتكون الجين ؟ يتكون الجين من وحدات معينة من حمض DNA وهو اختصار للحروف الأولى من اسمه بالانجليزية :

حمض ديزوكس ريبونيوكلييك Desoxy Ribonvclic Acid وهو حمض نووى لأنه يوجد فى النواة ، وحمض لأنه يحتوى على مجموعة فوسفات و د . ن أ . أو DNA هو المكون للجينات الوراثية فى كافة الكائنات الحية على الإطلاق .

إذاً فالحمض النووى د . ن أ . DNA يضم فى طياته كل المعلومات الوراثية اللازمة لبناء الكائن الحى ، وتحديده سواء كان حيوانا أو نباتاً أو إنساناً .

نظام الحياة على الأرض كله قائم على الحمض DNA إذا فما هو تركيب هذا الحمض النووى السيادى العملاق ؟

يتركب DNA على شكل سلم طويل له « درابزين » على اليمين و « درابزين » على اليسار كل درابزين يتألف من تتابع ارتباط سكر خماسى مع مجموعة فوسفات هكذا سكر خماسى ـ فوسفات ـ سكر خماسى ـ فوسفات ، إذاً من الذى يربط « درابزين » السلم الأيمن بالدرابزين الأيسر ؟ هى درجات السلم وهى على هيئة قواعد نيتروجينية أربعة فقط مختلفة البناء وهى ترتبط بالسكر الخماسى على كلا الجانبين وهذه القواعد أسماؤها الكيمائية هى :

الأدنين ـ أ ، والثايمين ـ ث ، والجوانين ـ جـ ، والبيتوسين ـ س والأدنين دائما مرتبط بالثايمين بربطة ثنائية أ = ث والجوانين مرتبط دائماً بالسيتوسين بربطة كيمائية ثلاثية جـ = س ، وهذا الاقتران محكم ولافكاك منه ، فلا يمكن أن تقترن أ مع جـ أو س مع ث ومجموعة معينة من تتابع الدرجات أ = ث ، وجـ = س يعطى الجين الوراثى ويختلف كل جين عن الآخر فى كيفية تتابع القواعد النيتروجينية الأربع وعددها ، ومجموع الجينات الموجودة على شريط واحد تسمى الكروموسوم ، ومجموع الكروموسومات تمثل البرنامج الوراثى الكلى الذى يتم على أساسه بناء الكائن الحى ، وعدد الكروموسومات يختلف من كائن إلى آخر على حسب تعقيده فهى مثلاً فى الإنسان ٤٦ كروموسوم فى كل خلية بينما فى خلية نبات الذرة ٢٠ كروموسوم فقط من هنا نستنتج أن اللغة الوراثية ذات حروف أربعة فقط هى القواعد النيتروجينية الأربع تسلسلها وتكرارها يحدد الصفات المتوارثة . وبالتالى فهى المسئولة عن تحديد بنية الكائن الحى ، وهذه اللغة الوراثية ذات الحروف الأربعة واحدة فى جميع الكائنات الحية ولا أختلاف بينها إلا فى تسلسلها وتكرارها وعددها .

فتبارك الله العلى القدير الذى أودع فى الخلية أسرار الحياة .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

يا صاحب الإسراء

في ذكرى الإسراء والمعراج

يا فتى الإسلام

يا صاحب الإسراء

للأستاذ / رشاد محمد يوسف

الركب سار تحفه الأنوار ... يحدو خطاه ملائك أطهار
يسرى على اسم الله لا متخوفا ... خطراً تسببه له الأسفار
كلا ولا اهتز الفؤاد للحظة ... فالقلب نبض كيانه استقرار
لله انت مسافر قد ذللت ... لركابه العقبات والأخطار
ألقى على الرحمن كل عنائه ... فالله جل جلاله الستار
يتأمل الملكوت فى إطلالة ... تسمو بها الخلجات والأفكار
والليل فى حلل الضياء نجومه ... متألقات والمدى الدوار
سبحان من خلق الوجود بحكمة ... وعنت له الأقدار والأسرار

والقدس محراب الصلاة كأنها ... عند اللقاء الروضة المعطار
المرسلون وهم حداة مسيرة ... هى خير ماجادت بها الأقدار
يستقبلون محمدا وقلوبهم ... يطغى عليها الحب والإيثار
صلى بهم فتعانقت أرواحهم ... أبناء آدم إخوة أبرار

حتى إذا شاء الكريم تفتحت ... لقدومه الأبواب والأستار
يرقى على اسم الله تأنس روحه ... ويحيطه التكريم والإكبار
يدنو فتمتلىء الجوانح بالهدى ... والضيف يملأ قلبه استبشار
والله ماكذب الفؤاد ولا طغى ... كلا ولا زاغت به الأبصار
والله ماضل الرسول ولا غوى ... كلا ولا جمحت به الأفكار

والله ما نطق الرسول عن الهوى … فالقول فصل والحديث منار
اوحى إليه الله ما اوحى فلا … زيف ولا لغو لديه يثار
ورأى من الآيات مايسع الورى … علما به تتواتر الأخبار

ماذا يقول المنكرون وقد خبت … اوهامهم وتبدد الإنكار ؟
ورأوا على متن الفضاء سفائنا … تسرى وتبحر فى المدى الأقمار
هل يدركون مصيرهم ومسيرهم … هل يدركون الكون كيف يدار ؟
سبحان من اسرى به فتشربت … بالنور مهجته وطاب جوار

ياصاحب الإسراء قلبى مثقل … والنفس تذبل عودها الأكدار
ياصاحب الإسراء قومك أصبحوا … والقلب صخر والنفوس بوار
نبذوا عهودك خلفهم وتفرقوا … شيعا وراء الخلف وهو دمار
غفلوا عن الشر المحيط بأرضهم … فتساقطت وتداعت الأقطار
والقدس فى الأسر المهين ذليلة … ديست وهيض جناحها الطيار
والمسجد الأقصى تحرق ركنه … يدعو فلا يحمى حماه جوار
وكتائب باسم الصليب تآمرت … ومذابح للمسلمين تدار
والإخوة الأفغان طال نضالهم … زاد العداة وقلت الأنصار
هم صامدون سلاحهم توحيدهم … وغذاؤهم فى المحنة الإصرار

ياصاحب الإسراء معذرة إذا … جنحت بى الكلمات والأشعار
رخص الدم الغالى وهانت امة … وتجمعت بسمائنا الأخطار
ياسيدى المختار هل من نفحة … كى نستفيق ويستفيق الثار
ونعيد مجدا انت غارس نبته … شمما وانت القائد المغوار

فى ذكرى الإسراء والمعراج

شعر: عمر عمران أحمد طه

الصمت أوغل والظلام رداء ... والناس قد سكنت بهم أعضاء
والأرض وسنى قد عفت أخبارها ... وتبددت عن ساحها الأضواء
والكون شد إلى السماء فما الذى ... يجرى ؟ وماذا تفصح الأنباء ؟
جمع الملائك والضياء يلفهم ... فى موكب ضاقت به الأجواء
هذى السماوات العلا قد أرهفت ... والأنبياء إلى البسيطة جاءوا
يمم فانت إلى السماء برحلة ... تحظى فثمة قربة ولقاء
سنريك من آياتنا فى خلقنا ... حتى تسر ويفتن الأعداء
هذا البراق إليك فانظر خلقه ... واصعد إليه فقد دنا الإسراء
واعرج إلى الملأ المقدس فى حمى ... البارى تحوطك رحمة ورضاء
فى حضرة الأنوار أنت بهيبة ... وعليك من فيض الضياء ضياء
من « قاب قوسين » اعتليت مكانة ... مابعد قربك غاية ورجاء

***

ماذا لقيت من العجائب إذ ترى ... أمما ينازعها رضا وشقاء ؟
قطعوا الحياة بخيرها وبشرها ... وهنا اليقين مثوبة وجزاء
فاحمل لقومك من عظات جمة ... حتى يثوب لهديك الجهلاء
والمرسلون وقد حبوك بنصحهم ... كل له فى قومه أرزاء
حتى هبطت إلى الديار متوجا ... بالفضل أُبتَ تحفك النعماء
وشققت عن فجر الدنا أثوابه ... فإذا الضجيج هناك والضوضاء

***

ستظل ليلتك العظيمة ثورة ... فى الفكر لا تخبو لها الآراء
فى كل يوم للكواكب رحلة ... أفبعد هذا آمنوا وأفاءوا
هذا هو الإسراء إن يك معجزا ... فالله يقدر فى الورى ويشاء
هذا هو المعراج فى طياته ... سر ينوء بكنهه العلماء
ومحمد هو خير من يُسرى به ... وعلى الذرا يتبوأ العظماء

يافتى الإسلام

للأستاذ / محمد عبد الرحمن صان الدين

قف راسخا كالصخرة الشماء ... واثبت امام عواصف الأنواء
وانفذ كما يمضى شهاب ثاقب ... بين الوعور بعزة وإباء
متحليا بشمائل ومناقب ... كالعطر كالأنسام ، كالأنداء
وافخر بأنك مسلم متميز ... بين الورى بعقيدة غراء
فالحكمة الكبرى بها مذخورة ... قدسية النفحات والآلاء
والدر فى طياتها متألق ... من بحر علم الله بالأشياء

***

لاتنجذب إلا لمن فطر الوجو ... د ، وصاغه متوازن الأجزاء
يجرى على سنن إلى اجل مسمى ... عنده فى حكمة ، ومضاء
لا تستبيك بهارج براقة ... كالآل يخدع سالك البيداء
ويجره جر العبيد مصفدا ... فى عيشه بالشهوة الرعناء
بل طر بأجنحة الصفاء محلقا ... بالروح كالأطيار فى الأجواء
إن الذى حسب السراب حقيقة ... ينهار من ظمإ ، ومن إعياء

***

دنياك يابن الأرض غصت سبلها ... بالزيف والتضليل والإغواء
ومشيت فى بيدائها متخبطا ... بين الوهاد بأعين عشواء
وعدلت عن نور السماء ميمما ... شطر الضياع ، وحلكة الظلماء
ومضيت تلتمس السكينة والرشا ... د لدى ابن آدم فى عمى وغباء
هل أنتج العقل الأريب على الدهو ... ر بجانب التنزيل غير غثاء ؟
فانظر بنور الله يارب الحجا ... لتميز بين الدر والحصباء
وترى الحقائق اسفرت عن وجهها ... فى النفس ، فى الآفاق والأرجاء
من تاه عن دين السماء فإنه ... يحيا شقيا فى ذرا النعماء

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ فكرى ياسين

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

كثيراً ما تكون المعجزات الخارقة للعادة مجالاً للتصديق والتكذيب ومن ذلك معجزة «الإسراء والمعراج» وذلك لغرابة الحدث زمانا ومكانا على اذهان المشركين . فقد كانوا لا يؤمنون إلا بكل محسوس اما هذا الحدث فهو فوق تصورهم وأكبر من عقولهم فكان لابد من الاقناع حتى الاقتناع ....

قال الأستاذ :

جاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ ، قال : «اتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ، ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته حتى اتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل عليه السلام : اخترت الفطرة . ثم عرج بنا إلى السماء» الحديث .

هناك حوادث إسلامية هامة ، كان تعدد الروايات فيها ، وكثرة النقول حولها ، سبباً فى اختلاف الأقوال عنها ، واشتعاب الآراء بشأنها .

ومن ذلك حادث الإسراء والمعراج ؛ فلو أنه قد خلص من بعض ما ورد عنه من أخبار ، لسلم من كثير مما اثير حوله من إشكالات وشبهات ، ولاستطاع القارىء العادى أن يخرج عنه من قراءته بفكرة واضحة سريعة ، ولاستراح الباحث المحقق من كثير من الجهد والعناء الذى يبذله فى موازنة الروايات ، ومقايسة الأقوال ، ليخرج منها بالرأى الصائب ، والقول السديد .

وإننا لذاكرون هنا ـ بعون الله تعالى ـ مباحثه وفصوله مضبوطة محررة ، خالية من الاستطرادات والزيادات ، مقتصرون على ما ثبت وصح من الآثار والروايات ، ملخصون أقوال العلماء وأدلتهم فى جمل وافية قصيرة ، وعبارات شاملة يسيرة .

الإسراء كالسرى : سير الليل خاصة ، فيكون أسرى وسرى بمعنى واحد وقيل : أسرى : سار ليلا ، وسرى : سار نهارا .

وقيل : أسرى : سار من أول الليل ، وسرى : سار من آخره . والعرب تقول : سرى فلان ليلا : إذا سار بعضه ، وسرى ليلة : إذا سار جميعها ، ولا يقال : أسرى ليلاً إلا إذا أوقع سيره في أثناء الليل ؛ وإذا وقع في أوله يقال : أولج .

وقيل : إن أسرى ليست من لفظة سرى يسرى ، وإنما هي من السراة ، وهي الأرض الواسعة ، فأسرى نحو أجْبَل وأتْهَمَ ، وأسرى بعبده ، أي ذهب به في سراة من الأرض .

والمعراج : من عرَج يعرُج ، إذا صعد ، والعُروج : ذهاب في صعود ، يقال : عَرَج عُرُوجا وعرَجانا : مشى مشى العارج ، أي الذاهب في صعود . والمعراج : السّلم ، والجمع معارج ومعاريج ، كمفاتح ومفاتيح . والمعارج : المصاعد ، وسميت بليلة المعراج لصعود النبي - ﷺ - فيها إلى فوق سبع سماوات ، ولصعود الدعاء فيها أيضاً ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ .

واختلف السلف في الإسراء والمعراج على أقوال كثيرة ، أشهرها أربعة :

القول الأول : إنهما كانا في المنام ، ونقل ذلك عن الحسن ، وروى عن عائشة ومعاوية ، وذكر ابن إسحاق عنهما أنهما قالا : إنها كانت رؤيا حق .

وعن عائشة أنها قالت : لم نفقد بدنه ، وإنما أسرى بروحه تلك الليلة ، واستدل أصحاب هذا القول بجملة أدلة :

منها : قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ فلو كانت الرؤيا في اليقظة لقال : الرؤية ، لأنه لا يسمى في عرف اللغة رؤيا إلا ما كان في النوم .

ومنها : حديث البخاري عن أنس بن مالك ؛ فقد جاء فيه في رواية عن شريك : «وهو نائم» ، وفي رواية أخرى عنه : «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان» ، وجاء في آخره : «واستيقظ وهو في المسجد الحرام» .

القول الثاني : إن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي - ﷺ - وروحه بعد المبعث . وهو مذهب الجمهور من السلف ، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين . وقد قالوا : إن عائشة كانت إذ ذاك صغيرة ، ولم تكن قد تزوجت بالنبي - ﷺ - بعد ، وإن معاوية يومئذ كان كافراً ، وإن الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية في اليقظة أيضاً ، وأنشدوا للراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا ، وهش فؤاده
وبشر قلبا ، كان جما بلابله

وإنه لا حجة في حديث البخاري ؛ إذ قد يكون النوم في أول وصول الملك إليه ، وليس في الحديث ما يدل على أنه كان نائماً في القصة كلها ؛ على أن رواية شريك هذه قد أنكرها عليه العلماء ، ونبهوا على أنه قد قدم فيها وأخر ، وزاد ونقص .

قال الحافظ عبد الحق في كتابه «الجمع بين الصحيحين» بعد ذكره رواية شريك : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس ، وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة ، وقد روى حديث الإسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين ، كابن شهاب ، وثابت البناني ، وقتادة ، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث .

واستدل الجمهور فوق هذا بعدة أدلة : منها أنها لو كانت رؤيا نوم ، لما تعجبت منها قريش ، ولا استحالتها . ولما افتتن بها الناس ، حتى ارتد كثير ممن أسلم ، ولما قال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعير تطرد إليها شهراً مقبلة وشهراً مدبرة ؛ وذلك لأن

النائم قد يرى نفسه فى السماء ، وفى المشرق ، وفى المغرب ، ولا يستبعد أحد منه ذلك .

ومنها : شربه الماء من الإناء الذى كان مغطى عند القوم فى طريقه إلى بيت المقدس ، وسؤالهم عند رجوعهم ، وإخبارهم بأنهم وضعوه مملوءا ماء ، ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماء .

ومنها : إرشاده للذين ند بعيرهم حين أنفرهم حسُّ البُراق ، حتى دلهم عليه ، وإخبارهم بذلك حين سئلوا عند عودتهم ، فقد قالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكره ، وند لنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه ، ولقد قال بعضنا : هذا صوت محمد .

ومنها : وعده لقريش بقدوم العير فى يوم مخصوص ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يقدموا حتى قربت الشمس أن تغرب ، فدعا الله ، فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف ؛ وهذا كله لا يكون إلا يقظة .

القول الثالث : إنه كان مرتين : إحداهما فى النوم قبل المبعث تقدمة وتوطئة وتيسيرا لما تضعف عنه القوى البشرية .

والثانية فى اليقظة بروحه وبدنه بعد المبعث ، وقد ارتضى هذا القول جماعة من المحققين ، ووصفوه بأنه الحق ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والأخبار . ويشهد له ظاهر القرآن .

قال الخثعمى : إن الله سبحانه يقول : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ .

ثم قال : «ما كذب الفؤاد ما رأى» فهذا نحو ما وقع فى حديث أنس من قوله : فيما يراه قلبه ، وعينه نائمة . والفؤاد هو القلب ، ثم قال : ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ ولم يقل : ما قد رأى ، فدل على أن ثم رؤية أخرى بعد هذه . ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ أى فى نزلة نزلها جبريل إليه مرة ، فرآه فى صورته التى هو عليها عند سدرة المنتهى ، ثم قال : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ، ولم يقل : الفؤاد ، كما قال فى التى قبل هذه ، فدل على أنها رؤية عين وبصر فى النزلة الأخرى ، ثم قال : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، وإذا كانت رؤية عين ، فهى من الآيات الكبرى ، ومن أعظم البراهين والعبر ، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكبر ، لأن ما يراه العبد فى منامه دون ما يراه فى يقظته لا محالة .

القول الرابع : إن الإسراء كان فى اليقظة ، والمعراج كان فى المنام ، واحتج أصحابه بأنه لما أخبر قريشا ، كذبوه فى الإسراء ، وشنعوا عليه فيه ، واستبعدوا وقوعه ، ولم يتعرضوا للمعراج : وبأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ فلو وقع المعراج فى اليقظة ، لكان ذكره أبلغ ، فلما لم يذكره مع كون شأنه أعجب ، وأمره أغرب من الإسراء بكثير ، دل على أنه كان مناما .

أما المكان الذى ابتدأ منه الإسراء ، فقد وقع الاختلاف فيه تبعاً للاختلاف فى المراد من المسجد الحرام فى قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ، فمن أراد «المسجد المشهور» بين الخاص والعام بعينه ، قال : إن الإسراء كان منه ، وكان النبى - ﷺ - إذ ذاك فى الحجر ؛ أخرج الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا فى الحجر ، وفى رواية : فى الحطيم ، الحديث ؛ ومن أراد به «مكة كلها» ، قال : إن الإسراء كان من دور مكة وكان النبى - ﷺ - إذ ذاك فى دار فاختة

أم هانىء بنت أبى طالب ؛ أخرج النسائى عن ابن عباس ، وأبو يعلى فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير من حديثها أنه - ﷺ - كان نائما فى بيتها بعد صلاة العشاء ، فأسرى به ، ورجع من ليلته ، وقص القصة عليها .

وكذلك اختلف فى سنة الإسراء وشهره وليلته ، فقيل : إنه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر .

وقيل : إنه كان سنة خمس أو ست من النبوة ؛ وجزم بعضهم بأنه كان فى السنة الثانية عشرة من المبعث .

ونقل عن ابن حزم دعوى الإجماع على ذلك . وقيل : كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أو ثلاثة أشهر ، ووقع فى حديث شريك السابق ذكره ، أنه كان قبل أن يوحى إليه ؛ وقد خطأه غير واحد . أما شهره ، فقيل : كان فى شهر «ربيع الأول» ؛ وقيل : «فى شهر ربيع الآخر» ؛ وقيل : فى شهر «رمضان» ؛ وقيل : فى «شوال» ؛ وجزم فى الروضة بأنه كان فى شهر «رجب» .

وأما ليلته ، فقيل : إنها ليلة السابع والعشرين من الشهر ، وكانت ليلة السبت ، وقيل : ليلة «الجمعة» ، وقيل : ليلة «الاثنين» ، وقيل : ليلة سبع عشرة من ربيع الأول ، وقيل : ليلة السابع والعشرين من ربيع الآخر .

البراق : بضم الباء الموحدة : اسم الدابة التى ركبها النبى - ﷺ - ليلة الإسراء ، وهى مشتقة من البرق ، لسرعته .

وقيل : سمى بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه .

وقيل : لكونه أبيض ، وقيل : يحتمل أنه سمى بذلك لكونه وُصِفَ فى الحديث بأنه أبيض ؛ وقد يكون من نوع الشاة البرقاء ، لأنها معدودة فى البيض . وذكر الوصف بالنظر للفظ البراق ، أو باعتبار كونه مركوبا . وقد جاء فى وصفه وهيئته وعظمه وكيفية سيره كلام كثير ، والله أعلم بحقيقة كل ذلك ، وحسبنا ما وصفه به الحديث ، وما ذكره عنه من أنه كان يضع رجله عند منتهى ما يرى بصرُه .

وبيت المقدس : هو المسجد الأقصى الوارد ذكره فى القرآن الكريم فى أول آية من سورة الإسراء ، ووصْفه بالأقصى ، لبعده بالنسبة إلى من بالحجاز ، أو لبعده عن الأقذار والخبائث .

والمقدس فيها لغتان مشهورتان إحداهما بفتح الميم ، وإسكان القاف ، وكسر الدال المخففة .

والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة . أما من شدده ، فمعناه البيت المطهر ؛ وأما من خففه ، فلا يخلو إما أن يكون مصدراً ، أو مكانا ؛ فإن كان مصدرا كان كقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ ونحوه من المصادر ، وإن كان مكانا فمعناه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة ، أو بيت مكان الطهارة . وتطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها .

وقال الزجاج ؛ البيت المقدس : المطهر ، وبيت المقدس : أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب ، ويقال فيه أيضاً : إيلياء .

والحلقة : هى حلقة باب مسجد بيت المقدس ، وفيها لغتان : أفصحهما وأشهرهما إسكان اللام ؛ وحكى الجوهرى وغيره فتحها ، وتذكير الضمير فى قوله : يربط به ، باعتبار معنى الحلقة ، وهو الشىء ؛ وفى ربط البراق الأخذ بالاحتياط فى الأمور ، وتعاطى الأسباب ، وهذا لا يقدح فى التوكل إذا كان الاعتماد على الله .

وقد تعددت الروايات بشأن الصورة التى وقعت بها صلاة الركعتين ؛ ففى رواية : فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منا ركعتين ؛ وفى رواية : ثم دخلت المسجد ، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ، ثم أقيمت الصلاة ، فأممتهم ؛ وفى رواية : فلم ألبث إلا

البقية ص ٧١٨

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

طرائف ومواقف

« صلاح الحياة ، وانتظام شئونها »

قال أبو الحسن الماوردى : صلاح الحياة الإنسانية ، وانتظام شئونها يقوم على ستة أركان رئيسية تتفرع عنها بقية أبوابها وهى : دين متبع ، وسلطان قاهر ، وعدل شامل ، وأمن عام ، وخصب دائم ، وأمل فسيح .

فأما الدين المتبع فإنه يصرف النفوس عن شهواتها ، إذ يصير زاجرا للضمائر ، رقيبا على النفوس .

وأما السلطان فوجوده ضرورى لنظام العمران ، ووظيفته فى الأمة حماية الوطن من أعدائه ، وعمارة البلدان ، والتصرف فى الأموال العامة على مقتضى السنة المشروعة ، والقضاء على المظالم ، والأحكام بالتسوية بين أهلها ، واختيار الولاة والعمال من أهل الكفاية والأمانة .

وأما العدل الشامل ، فإنه يدعو إلى الألفة ، ويبعث على الطاعة ، وتعمر به البلاد ، وتنمى الأموال ، ويأمن السلطان ، والعدل عدلان : عدل الإنسان فى نفسه ، ثم عدله فى غيره ، وأما الأمن فبه تطمئن النفوس ، وتنتشر الهمم ، ويأنس الضعيف ويقر الخائف .

وأما الخصب فإنه يقوى رابطة الود والتواصل ، ويخفف من حدة الحسد بين الناس .

وأما الأمل الفسيح فهو نعمة من الله ، تدفع على العمل والتعمير والإصلاح ؛ إذ لولا الأمل ماتجاوز الواحد حاجة يومه ، ولاتعدى ضرورة وقته .

« نصيحة »

إذا جالست الجهال فأنصت لهم وإذا جالست العلماء فأنصت لهم ، فإن فى إنصاتك للجهال زيادة فى الحلم ؛ وفى إنصاتك للعلماء زيادة فى العلم .

« أجركم الله »

عاد رجل مريضا ، فقال لأهله : آجركم الله . فقالوا له : إنه لم يمت بعد . قال : يموت إن شاء الله .

« حين يحين الأجل »

خرج أعرابى من بلده إلى بلد آخر مهاجراً إليه هربا من الطاعون ، وبينما هو فى الطريق إذ لدغته عقرب فمات .

فوقف أبوه عند قبره وقال يرثيه :

راح يبغى نجوة من هلاك فهلك
والمنايا رصد للفتى حيث سلك
ليت شعرى ضلة اى شيء قتلك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

« ثلاثة ورابعهم »

يقول عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما : ثلاثة لااكافئهم ، رجل بدأنى بالسلام ورجل وسع لى فى المجلس .

ورجل اغبرت قدماه فى المشى إلىَّ إرادة التسليم علىَّ .

أما الرابع ، فلا يكافئه عنى إلا الله ـ عز وجل ـ .

قيل له ، ومن هو ؟

قال : رجل نزل به أمر ، فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رآنى اهلا لحاجته فأنزلها لى .

« من علامات اللئيم المخادع »

أن يكون حسن القول ، سيء الفعل ، بعيد الغضب ، قريب الحسد ، حمولا للفحش ، مجازيا بالحقد ، متكلفا للجود ، متوسعا فيما ليس له ، ضيقا فيما يملك .

« عـــزاء »

كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما احسن تعزية أهل اليمن .

إنهم يقولون فى تعزيتهم :

لايحزنكم الله ـ تعالى ـ ولايفتنكم .

أثابكم ماأثاب المتقين .

وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

« أى زحام »

جلس رجل مع زوجته ياكلان .

فقال : ماأطيب هذا الطعام ، لولا الزحام .

قالت : أى زحام مهنا ، إنما هو انا وأنت فقط .

قال : كنت أحب أن اكون انا والطعام فقط .

« حقيقة »

المصلح فى الأمة كالمصباح فى الصحراء لاينشر ضوؤه إلا إذا تركته الرياح آمنا .

« دعـــاء »

اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .

اللهم الهمنى رشدى ، وأعِذْنى من شر نفسى ، وسيئات أعمالى .

من روائع الماضى - بقية -

يسيرا ، حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ يدى جبريل ، فقدمنى ، فصليت بهم .

وفى رواية : فلما أتى النبى ﷺ المسجد الاقصى قام يصلى ، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه .

وأما اختياره اللبن على الخمر ، فالظاهر أن اللفظ الذى وقع فى الحديث جاء هنا مختصرا ؛ فقد بين فى رواية أخرى أنه ﷺ قيل له : اختر أى الإناءين شئت ، فألهم اختيار اللبن .

والفطرة : المراد بها الإسلام والاستقامة ، والمعنى : اخترت علامة الإسلام والاستقامة . وقد جعل اللبن علامة ، لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين ، سليم العاقبة ، أما الخمر ، فإنها أم الخبائث ، وجالبة لكثير من الشر فى الحال ، وفى المآل .

قال الحديث بعد ذلك : ثم عرج بنا إلى السماء؛ والظاهر من هذه العبارة أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء ؛ ولكن الذى جاء فى غير هذه الرواية من الأخبار أن العروج لم يكن على البراق ، وإنما كان على المعراج ، وهو السلم ، أو المرقاة ، أو المصعد ؛ وقد وقع مصرحا به فى كثير من الأحاديث ؛ وكل ما اختلفوا فيه وصفه ونوعه . ثم ساق الحديث بعد هذا بقية القصة ، وذكر ما وقع لهما فى السموات السبع ، وما كان من استقبال الأنبياء والملائكة ، ومن رفعه إلى سدرة المنتهى ، ومن فرض الصلوات .

والحديث طويل ، يحتاج شرحه إلى عدد كبير من الصفحات ، فنقتصر على هذا القدر ، وهو كاف فى تحقيق أصل الفكرة من الكلام على حديث الإسراء والمعراج .

الأمطار الحمضية - بقية -

شرق الولايات المتحدة الأمريكية ، وهبطت هذه القيمة إلى حوالى ٢ فى أغلب مناطق لوس أنجلوس ، وإلى ما يقارب ١,٥ على مدينة هويلنج غرب فرجينيا ، أى أن الأمطار الحمضية فى بعض المناطق الموبوءة من العالم أصبحت بطعم الخل والليمون .

الأمطار الحمضية قضية كل البشر

ولما كان السحاب لا أرض له ولا وطن ، ولا حُكم لأحد على حركته ، ولا حدود لانتقاله أو انتشاره حول الأرض ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يرسل الرياح التى تثيره وتحمله ، وهو الذى يبسطه فى السماء كيف يشاء قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (سورة الروم : ٤٨) فإن الأمطار الحمضية لا تهطل - بالضرورة - فى نفس الأماكن التى بها مصادر تلوثها ، بل ربما تحملها الرياح بعيدا لمئات الكيلو مترات ، وكثيرا ما تعبر الأجواء والحدود لتسقط فى بلاد أخرى مجاورة أو بعيدة ، حتى تلك الأجزاء من العالم التى لم تظهر فيها المشكلة بعد بصورة ملموسة لن تسلم أبداً من أخطار وباء المطر الحمضى الذى يأخذ طريقه إليها رويداً رويداً ، وهو مدركها لا محالة إن عاجلاً أو آجلا ، ليصيب الحرث والنسل ، ويدمر الزرع والضرع . لهذا فإن تبادل الاتهامات بين الدول حول مسئوليتها عن الأمطار الحمضية لن يجدى فتيلا ما لم يتعاون الناس جميعاً على حل الأزمة التى صنعوها بأيديهم .

اللغة والأدب والنقد

كتاب الوحوش

الحرب بين الجاهلية والإسلام

كتاب الوحوش

عن الأصمعي - رحمه الله

تحقيق
أ. أيمن محمد ميدان

اسماء الوعول وصفاتها

يقال للذكر وعل ، والجميع أوعال ووعول ، والانثى أروية والجميع أروى وأرْوَى ؛ يقال فى مثل امثال العرب : أنت كبارح الأروى قليلا ما تُرى» يقال ذلك للرجل إذا استبطىء فى الزيارة .

والأعصم من الوعول الذى فى يديه بياض ؛ قال الأعشى : ـ البسيط ـ

قد يترك الدهر فى خلقاء راسية وهيا وينزل الأعصم الصدعا(١٦٢)

والصدع الذى بين شيئين المعتدل من كل شيء ..

والموقفة التى فيها خطوط بياض فى سواد ، وسواد فى بياض ؛ قال الشماخ فى ذلك :ـ الوافر ـ

ومـا أروى ولو كرمت علينا بأدنى من موقفة حرون(١٦٣)

ويقال أيضاً المخدَّمة ، والخَدَمَة الخلخال .

ويقال للوعول قُدُرٌ ، والقادر من الوعول المسن الضخم ؛ قال جرير :(١٦٤) ـ الكامل ـ

رهبان مدين لو راوك تنزلوا والعصم من شعف العقول الفادر(١٦٥)

---

(١٦٢) ديوانه ١٠١ والصبح المنير ٧٤ برواية : « .. وينزل منها .. » وهى رواية الفائق ٢/ ٩ ولسان العرب (خلق) . والصخرة الخلقاء : الصلبة الملساء . والاعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه او احدهما بياض وسائره اسود واحمر . والصدع : الفتى الشاب القوى .

(١٦٣) ديوانه ٣١٩ ، برواية : « وما أروى وإن كرمت ... » . وموقفة حرون : يريد الاروية انثى الوعول ... والحرون من الدواب : التى استدر جريها ، فوقفت فلم تبرح .

(١٦٤) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى .. وهو من بنى كليب بن يربوع .. وولدته امه لسبعة اشهر ، وعمر نيفا وثمانين سنة ، ومات باليمامة ، كان أشد الناس هجاء ، واحسنهم تشبيباً مع عفته ، انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ٤٦٤ ـ ٤٧٠ وطبقات فحول الشعراء ١/ ٣٧٣ ـ ٤٥١ والمحبر ١٤٦ ، ١٦٨ ، ٣٤٠ والاغانى ٨/ ٣ ـ ٨٩ وجمهرة انساب العرب ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ....

(١٦٥) ديوانه بشرح محمد بن حبيب ١/ ٣٠٨ ، وشرح ديوانه للصاوى ١/ ٣٠٥ ، ونسب البيت لكثير عزة مع اخر سبقه فى معجم البلدان ٤/ ٤٥١ وهو :

يام حرزة مارأينا مثلكم فى المنجدين ولا بغور الغائر

ويقال لولدها الغفر، قال ابن أحمر :[١٦٦] ـ السريع ـ

ما أم غفر في التلالة لم يمسس حشاها قبله غفر

ويقال للأنثى مغفرة إذا كان معها غفر وهو ولدها ، ويقال للجميع مغفرات : قال ـ المتقارب ـ أبو ذؤيب :)[١٦٧]

فحط من الحزن المغفرا ت والطير تلثق حتى تصيحا[١٦٨]

ويقال وعل أدفى ، وأروية دفواء[١٦٩] وهى التى مال (عليها)[١٧٠] قرناها ويقال (وعل أدفى و)[١٧١] وعل ناخس ، وهو الذى تنخس قرناه استه .

والعاقل الذى قد (صار فى الجبل وثبت ، وإنما سمى عاقلاً لأنه)[١٧٢] صار فى المعقل ، والمعقل الحرز يضرب مثلاً للقوم فى السعة[١٧٣] ، ويقال هم فى معقل[١٧٤] وقال أوس بن حجر[١٧٥] ـ الطويل ـ

إذا أبرز الروع الكعاب فإنهم مصاد لمن يأوى إليهم ومعقل[١٧٦] .

والمصاد رأس الجبل وهو أشده امتناعا[١٧٧] ، (والجميع المصدان)[١٧٨] .

(قال الهذلى :[١٧٩] ـ البسيط ـ

تالله يبقى على الأيام ذو حيد أدفى صلود من الأوعال ذو خدم[١٨٠])[١٨١]

←

---

(١٦٦) هو عمرو بن أحمد بن فرّاض بن معن بن أعصر ، وكان أعور .. وعمر تسعين سنة

انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٣٥٦ ـ ٣٥٨ ، وطبقات فحول الشعراء ١٢٩ والمؤتلف والمختلف ٣٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٤ وخزانة الأدب ٣/٣٨ ـ ٣٩ .

(١٦٧) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وسقط من الأصل بسبب انتقال النظر .

(١٦٨) شرح أشعار الهذليين ١/١٩٩ .

« حط : انزل . والمغفرات : الأروى أمهات الأغفار ، والغُفْرُ : ولد الأروية . وَالحُزْنُ : الجبال الغلاظ ، الواحد « حُزْنَةٌ » .

(١٦٩) اللفظة فى ت ، ج : « دَفْعَاء » .

(١٧٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(١٧١) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٧٢) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج ، وساقط من الأصل بسبب انتقال النظر .

(١٧٣) فى ت : « فى المنفعة » وفى ج : « فى المنعة » .

(١٧٤) عبارة ت ، ج : « يُقَالُ لهم معقل » .

(١٧٥) أوس بن حجر بن عتاب .. كان عاقلاً فى شعره ، كثير الوصف لمكارم الأخلاق ، وأوصف الشعراء للقوس ثم تبعه الشماخ . قال أبو عمرو بن العلاء : كان أوس فحل مُضر ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه . انظر ترجمته فى : مقدمة ديوانه ، والشعر والشعراء ٢٠٢ ـ ٢٠٩ ، والأغانى ١٠/٥ ـ ٨ ومعاهد التنصيص ٦١ ـ ٦٥ ، وخزانة الأدب ٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(١٧٦) ديوان أوس ٩٥ . ابرز : أبان وكشف ، والكعاب : الفتاة التى كعب ثدياها . والمصاد : رأس الجبل .

(١٧٧) عبارة ت ، ج : « رأس الجبل وأشده امتناعاً » .

(١٧٨) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٧٩) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى .

(١٨٠) ديوان الهذليين ١/١٩٣ . وفى ت : « ... ذو حيدى .. أوفى ... » .

الحيد : عقد قرنه ، والواحدة حيدة . وأدفى : أحدب ، أى انحنى قرناه إلى ظهره . والصلود : قيل المنفرد (عن الأصمعى) ، وقيل الذى يصلد برجله أى يضرب بها على الصخرة فتسمع لها صوتاً ، وقيل الصلود الذى إذا أفزع صلد فى الجبل أى صعد إليه .

(١٨١) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

ومن أسماء النعام وصفاتها

يقال للذكر منها الظليم وهيق وهقل ونقنق[182] ، ويقال له الخفيدد ، وقال ـ الطويل ـ الحطيئة :[183]

وأدماء حرجوج تعاللت موهنا بسوطى فاربدت نجاء الخفيدد[184]

حرجوج والجماع[185] الحراجيج ؛ قال الشاعر :[186] ـ الطويل ـ

حراجيج ما تنفك إلا مناخة على الخشف أو ترمى بها بلداً قفرا[187]

قال الشماخ :[188] ـ البسيط ـ

هيق هزف وذفانية مرطى زعراء ريش ذناباها هراميل[189]

هرملة أى : قطعة .

ويقال للأنثى نعامة ، وهقلة ، وهيقة ،[190] ونقنقة ، وهذه أسماء إلا أن الهيقة والهيق الطويلان .

والأربد والربداء ، والرُّبدة فى الوانها سواد يكسف لونها ويغيرها[191] ، ويقال تربد وجهه ؛ وقال الأعشى :

ربداء تتبع الظليم الأربدا[192]

والصعل الصغير الرأس ، والأنثى صعلة : قال الشاعر : ـ الوافر ـ

كأن الرحل منها فوق صعل من الظلمان جؤجوه هواء[193]

---

(١٨٢) عبارة ت ، ج : « يقال للذكر ظليم ، وهيق ، وهقل ، ونقنق ، ويقال له الخفيدد أيضاً » .

(١٨٣) فى الأصل : « وقال طرفة » وهو وهم من الناسخ ، وفى ت ، ج : « وقال الشاعر » ، وماورد مثبتاً من صنعنا .

(١٨٤) ديوان الحطيئة الشنقيطى ، ٢٣ برواية : « فارمد » ، وفى الأغانى ٢/٢٠٠ برواية : « فارمدت » وفى ، ج : « وأدماء حرجوج ... موهنا .. فارقدت .. » ، والموهن : وقت من الليل بعد مضى صدر منه . الإرمداد : سرعة السير ، وخص بعضهم به النعام . والنجاء : سرعة فى السير .

(١٨٥) اللفظة فى ت ، ج : « والجميع » .

(١٨٦) فى ت ، ج : « وقال ذوالرمة » .

(١٨٧) ديوان « ذو الرمة » ١٧٣ برواية : « على الخسف أو نرمى .. » وكذا فى ت ، ج . وحراجيج طوال ضامرات من الهزال . والخسف أن تبيت على غير علف . وتنفك هنا بمعنى تنفصل .

(١٨٨) فى ت ، ج : « وقال الشماخ بن ضرار » .

(١٨٩) ديوانه ٢٧٧ . وبرواية ثانية فى الحيوان ٣٢٩/٤ ومابعدها : « هيق هجف .... جناحيها .. » .
الهيق : الظليم الطويل . والزفانية : النعامة التى تتبختر فى عدوها كأنها ترقص . ومرطى : سريعة . وذناباها : ذنبها . وهراميل : جمع هرمول وهى قطعة من الشعر تبقى فى نواحى الرأس .

(١٩٠) اللفظة فى ت : « وهيقلة » .

(١٩١) عبارة ت ، ج : « والأربد والربداء فى الوانها الربدة سواد يعتريها بياض » ، وهى قلقة .

(١٩٢) فى ج : « ربداء تتبع الظليم الأربد » . والبيت فى الصبح المنير ١٥٢ ، وصدره
« صعلة بالقارتين تروحت » . والصعلة : صغيرة الرأس . والقارتان : موضع وتروحت : انقلت .

(١٩٣) البيت لزهير بن أبى سلمى فى ديوانه ، وشرحه لثعلب . وفى الأصل روى « كان الرجل .. » وهو تحريف والتصحيح من ت ، ج وديوانه . جؤجؤه : صدره هواء : أى لا مخ فى رأسه . وفى شرح شعر زهير لثعلب : « وقال الأصمعى : جؤجؤه هواء أى انه منتخب العقل . وإنما أراد أن لا عقل له . وكذلك الظليم هو أبداً كأنه مجنون » .

ومنها الأصك والصكاء ، والصكك اصطكاك العرقوبين[194]

والنغض الذى يرجف فى مشيته ، (و)[195] قال العجاج : ـ الرجز ـ

اصك نغضا لا ينى مستهدجا[196]

والمستهدج مستفعل من الهَدَجَان ، وهو سرعة المشى وتقارب فى الخطو

قال : وانشدنى محمد بن علقمة التيمى لابنه :[197] : ـ الرجز ـ

وهدجانا لم يكن فى مشيتى
كهدجان الرأل خلف الهيقت
مزوزيا لما رآها زوزت[198]

(أى منتصبا يعنى مزوزيا)[199] .

والهَجَفُ والهِزَفُّ واحد[200] .

والسَّفَنَّج السريع ، وكل سريع سفنج[201] .

قال الراجز :

إذا أخذت النهب فالنجا النجا
إنى أخاف طالبا سفنجا[202]

اتى سريعا[203] .

والخاضب (لا يكون إلا فى الربيع وذلك أن البقل يخصب وظيفه وهو)[204] الذى يأكل الربيع ، فإذا اكله احمر أطراف ريشه .

ويقال نعامة صمعاء ، والصمع لزوق الأذن[205] . ونعامة صحماء (ونعامة سوداء)[206] .

---

(١٩٤) اللفظة فى ت : « العرقبين » .

(١٩٥) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(١٩٦) فى ت ، ج روى : « مستهدجاً » على وزن مستفعل ، وكذا فى ديوان العجاج ٣٥٠ ـ ٣٥١ قوله : « لا ينى » اى لا يفتر .

(١٩٧) عبارة ت ، ج : « والمستهدج مستفعل من الهدجان ، قال : وهو سرعة فى المشى ، وتقارب فى الخطو ؛ قال أبو سعيد : انشدنى محمد بن عُلْقة لابيه عُلْقة » .

(١٩٨) الابيات وردت فى الشعر والشعراء ٦٨٨ منسوبة لابى الزحف الراجز ، وفى ديوان العجاج ص ٣٥٠ ورد البيتان الأول والثانى لعلقة التيمى وكذا فى نوادر أبى زيد ٢٥٥ والالفاظ ٢٨٦ .

وفى اللسان وردت الابيات بلا نسبة لشاعر .

الهدجان : مشية الشيخ ، مشى رويد فى ضعف . والهيقة : انثى النعام ورسمت بالتاء فى البيت ، وفى لسان العرب : « اراد الهيقة ، فصيرها التانيث تاء فى المرور عليها » ، والزوزاة هو ان ينصب الرجل ظهره ، ويسرع ، ويقارب الخطو .

(١٩٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٠٠) عبارة ت ، ج : « والهجف والهزف وهو الجافى » .

(٢٠١) عبارة ت : « والسفنج السريع الخطو سفنج » وهى قلقة نتيجة إصابة الناسخ بانتقال النظر . وعبارة ج : « والسفنج السريع الخطو ، وكل سريع الخطو سفنج » .

(٢٠٢) بلا نسبة فى الاشتقاق ٢٦٧ برواية : « إنى اخاف سائقاً سفنجاً » . وفى ت ، ج روى : « إنى اخاف الطالب السفنجا » . وفى لسان العرب (نجا) : « النجاء : السرعة فى السير .. وقالوا : النجاء النجاء ، والنجا النجا ، فمدوا وقصروا » .

(٢٠٣) فى ت ، ج : « اى السريع » .

(٢٠٤) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٠٥) فى ت ، ج : « والصمع لذوق الأذنين » .

(٢٠٦) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

والصحمة : سواد في صفرة .

والمصلم والمصلوم المستأصل يراد به أذنه [٢٠٧] ؛ قال عنترة (بن شداد) . [٢٠٨] — الكامل —

وكأنما أقرو الحزون عشية بقريب بين المنسمين مصلم [٢٠٩]

وقال زهير : — الوافر —

أصك مصلم الأذنين أجنى له بالسى تنوم وآء [٢١٠]

ويقال للفرخ من النعام رأل ، والجمع رئال [٢١١] وأدنى العدد أرؤل على أفعل [٢١٢] ، قال أبو النجم : [٢١٣] — الرجز —

وداعت الربداء أم الأرؤل [٢١٤]

(قال أبو سعيد : يقال داعت إبلى الربداء أم الأرؤل [٢١٥] أى إنا أعزاء فلا نخاف على إبلنا أن تؤخذ) [٢١٦] .

والحفَّان الصغار ، ولا يتكلم لها بواحد ، (قال أبو عبيدة ، واحدتها حفَّانة) [٢١٧] ، قال أبو ذؤيب : — البسيط —

وزفت الشول من برد العشى كما زف النعام إلى حفانه الروح [٢١٨]

والحصاء التى قد انحص ريشها فهو يتحات [٢١٩] عنها قال مالك بن خالد (الخناعى) : [٢٢٠]

البقية ص ٧٣٧

(٢١٩) عبارة ت ، ج : « والحصاء التى انحص أطراف ريشها أى تحات » .

(٢٢٠) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٠٧) فى ج : « يراد به أذنه » . وهذا خطأ .

(٢٠٨) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٠٩) ديوانه ٢٠ وت ، ج روى : « .. اقص الحزون .. » .. وفى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٣١٩ روى : « وكأنما اقص الإكام عشية ... » . وأشار الأنبارى إلى رواية الأصمعى ، فقال : « وروى الأصمعى : وكأنما أقرو الحزون .. » وروى برواية ثالثة فى نظام الغريب ٢٠٣ .

هى : « وكأنما اقص الإكام عشية ببعيد بين المنكبين مصلم » . اقص : معناه اكسر . والحزون جمع حزن ، والحزن ماغلظ من الأرض . ومنسماه : ظفراه المقدمان فى خفة .

(٢١٠) ديوانه ٩ ، وفى شرح شعر زهير لثعلب ٥٨ وفى شعر زهير للأعلم الشنتمرى ١٢٨ .

اجنى : أدرك وحان أن يجتنى . والسى : اسم أرض . والتنوم والآء : نباتان ويقال الآء ثمر السرح ، واحدته آءه ، والتنوم جمع تنومه وهى شجيرة غبراء تنبت حباً وسما .

(٢١١) عبارة ت ، ج : « ويقال للفرخ منها رأل والجماع رئال » .

(٢١٢) عبارة ج : « وأدنى العدو ارول ، على افعل » . وهو خطأ .

(٢١٣) ابوالنجم الراجز هو الفضل بن قدامة من عجل ، وكان ينزل بسواد الكوفة فى موضع يقال له الفرك أقطعه إياه هشام بن عبدالملك . انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٦٠٣ ، وطبقات فحول الشعراء ١٤٩ ـ ١٥٠ ومعجم الشعراء ٣١٠ ـ ٣١١ والأغانى ٧٣/٩ ـ ٧٨ وخزانة الأدب ٤٨/١ ـ ٥٠ .

(٢١٤) نظام الغريب ٢٠٢ برواية : « قراعت الربداء أم الأرؤل » . وفى ت ، ج : « وراعت الربداء أم الأرؤل » .

(٢١٥) فى الأصل : « الأرال » .

(٢١٦) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢١٧) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢١٨) ديوان الهذليين ١٠٦/١ ، زفت : جاءت زفيفاً عجلة مبادرة . والشول : جمع شائلة وهى التى خف لبنها ، وأتى نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية . والروح : اللواتى بأرجلها روح ، وكل نعامة روحاء ، وهو انفتاح يميل إلى شقها الوحشى .

الحرب بين الجاهلية والإسلام

قراءة في نصوص شعرية

للأستاذ/ مصطفى أحمد دردير

قام الشعر العربي – في العصرين الجاهلي والإسلامي – بدور كبير في تسجيل نظرية الحرب في نصوص يمكن اعتبارها «وثائق عسكرية» تكشف عن طبيعة الحرب في هذين العصرين ودوافعها.

وسوف نحاول عقد مقارنة بين حروب الجاهلية وحروب الإسلام من خلال قراءة عدد من تلك الوثائق العسكرية البارزة – أعني القصائد الشعرية التي تحدثت عن الحرب في الجاهلية والإسلام.

أولاً: الدوافع الحربية في الجاهلية:

١ – **الثأر**: ويأتي على رأس الدوافع الحربية الجاهلية التي بسببها «تحولت الجزيرة العربية في الجاهلية إلى مايشبه ساحة حربية كبيرة تقتل فيها العشائر والقبائل»[1] ولعل أفضل النماذج الشعرية التي تؤكد تأصل هذا الدافع في نفوس الجاهليين أبيات دريد بن الصمة التي يقول فيها:[2]

وإنا للحم السيف غير نكيرة
ونلحمه حيناً وليس بذي نكر

يغار علينا واترين فيشتفي
بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضي إلا ونحن على شطر

فالمعارك الحربية التي يخوضونها إما ليثأر منهم وليثأروا، فلا هوادة ولا هدنة. والثأر «كلمة كانت تدوى في كل حي، وفي كل عشيرة، فدائماً دم مسفوح، ودائماً شر معقود»[3].

(١) البطولة في الشعر العربي د. شوقي ضيف ص ١٧.

(٢) ديوان الحماسة – شرح التبريزي – جـ١ ص ٢٤١.

(٣) انظر المصدر رقم (١).

الحرب بين الجاهلية والاسلام

والموتور لا تهدأ ثائرته ، ولا يكف عن القتال حتى يستأصل شأفة واتريه ؛ يقول المهلهل بن ربيعة :(٤)

ولست بخالع درعى وسيفى
إلى أن يخلع الليل النهار
وإلا أن تبيد سراة بكر
فلا يبقى لها أبدا أثار

وقد يمعن الواتر فى القتل حتى يبلغ شأوا بعيداً ، ومدى فادحا ، ويتخذ بعداً مأساويا فظيعا . ومن ذلك قول باعث بن صريم :(٥)

سائل أسيد هل ثأرت بوائل
وهل شفيت النفس من بلبالها
إذ ارسلونى مائحا بدلائهم
فملأتها علقا إلى أسبالها

فهو يأبى إلا أن يملأ الدلاء من دماء قاتلى أخيه « وائل بن صريم » بعد إلقاء جثثهم فى نفس البئر الذى ألقوا فيه أخاه !!

٢ ـ الحصول على الغنائم والسبايا :

فكم من غارة شنت فى الجاهلية ولم يكن لها هدف إلا الحصول على الأسلاب والغنائم وكرائم النساء ، وكانوا يفخرون بذلك ، يقول المنخل اليشارى : (٦)

وعلى الجياد المضمرات فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلل الغبار يجفن بالنعم الكثير

٣ ـ التنافس على الموارد ، خاصة الماء :

فقد كانت المعارك الطاحنة تقوم وتشمر عن سوقها لخلاف على ماء أو مرعى ، ومن ذلك قول سنان بن الفحل وكان قومه بنو أم الكهف قد اختلفوا مع بنى هرم بن العشراء على ماء فوقع بينهم الشر :(٧)

فإن الماء ماء أبى وجدى
وبئرى ذو حفرت وذو طويت
وقبلك رب خصم قد تـوالوا
على فما هلعت وما دعوت
ولكنى نصبت لهم جبينى
وآلة فارس حتى قريت

فهو يشير إلى أحقيته فى الماء وعدم خوفه من تكاثر عدوه عليه وإلى أنه قاتلهم حتى استطاع أن يجمع الماء فى الحوض .

وثمة أمر جدير بالاهتمام ، وهو أن هذه الدوافع كانت تتخذ طابعا جماعيا يبرز العصبية القبلية فلم يكن هناك « أنا » بل كان هناك « نحن » ، ويتضح ذلك من قول دريد بن الصمة :(٨)

وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

وغزية هذه هى قبيلته يدور معها حيث دارت إن غواية وإن رشدا .

ثانيا : الدوافع الحربية فى الإسلام :

ولما جاء الإسلام على اجتثاث الدوافع الحربية الجاهلية وإحلال دوافع أخرى سامية محلها تنبع

---

(٤) شرح ديوان امرىء القيس ومعه أخبار المراقسة لحسن السندوبى ـ المكتبة الثقافية ببيروت ـ ص ٢٧٣ .
(٥) ديوان الحماسة ص ٢٠٧ .
(٦) ديوان الحماسة جـ١ ص ٢٠٣ .
(٧) المصدر السابق ص ٢٣١ .
(٨) المصدر السابق ص ٢٣٧ .

طيها من أصل واحد ، وفى سبيل تحقيق ذلك أرسى قاعدة القصاص : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[9] فقضى على دافع الثأر ، وقرر حرمة دم المسلم وعرضه وماله ، فقد قال ﷺ فى حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا »[10] فقضى على دافع السلب والنهب ، وكذلك قرر الإسلام اشتراك الناس جميعا فى موارد الأرض .

وبعد أن سحق الإسلام دوافع الجاهلية وطهر منها القلوب والعقول ، أحل محلها دافعا واحداً سامياً ألا وهو الجهاد فى سبيل الله لنيل إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ، وبرزت هذه الرغبة العميقة المنبثقة من ذلك الدافع الأعظم فى الوثائق الشعرية العسكرية التى أصدرها الشعراء المؤمنون ، فهذا هو عمير بن الحمام يقاتل المشركين يوم بدر وينشد :[11]

ركضاً إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

فالحركة القتالية هنا كلها من الله وإلى الله ، كما تتضح الرغبة فى الاستشهاد كذلك فى قول عبد الله بن رواحة حين دعا له المسلمون بسلامة العودة من غزاة مؤتة وهو :[12]

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
وطعنة من يدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثى
أرشده الله من غاز وقد رشدا

وقد كان واستشهد يوم مؤتة .

ثالثا : طبيعة الحرب فى الجاهلية :

١ ـ حرب شعوب : كان أبشع ما يميز طبيعة الحروب فى الجاهلية هو أنها كانت « حروب شعوب لا حروب المقاتلين ، فكان الشعب المحارب يستبيح من الشعب الآخر كل الحرمات فى الميدان وفى خارج الميدان ، فى أثناء المعركة وبعدها وقبلها مادامت العداوة مستحكمة ، والحرب مع الشعب كله لا مع حكامه وقواده والمقاتلين[13] ويظهر ذلك واضحا فى قول المهلهل بن ربيعة :

قد ذبحنا الأطفال من آل بكر
وقهرنا كماتها بالنصال

وما أفظعها حرباً تلك التى يستباح فيها دم الأطفال دونما ذنب .

٢ ـ حرب عدوانية تصيب الجانى والبرىء :
فرحاها ـ إذا دارت ـ تطحن الناس جميعاً ، لا فرق فى هذا بين من اعتزلها وآثر السلامة ، وبين من خاض غمارها وولغ فى دمائها ويدل على ذلك قول الحارث :[14]

لم أكن من جناتها علم الله وإنى بحرها اليوم صال

وقول الشاعر :[15]

(٩) سورة البقرة الآية ١٧٨ .
(١٠) متفق عليه .
(١١) البطولة فى الشعر العربى ص ٣٨ .
(١٢) سيرة ابن هشام جزء ٣ ص ٢٠٤ .
(١٣) نظرية الحرب فى الإسلام . الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٣ ، ١٤ .
(١٤) شرح ديوان امرىء القيس ص ٢٦٠ .
(١٥) ديوان الحماسة جـ١ ص ١٥٤ .

الحرب يلحق فيها الكارهون كما
تدنو الصحاح إلى الجربى فتعديها

٣ ـ حرب استئصال وإبادة :

فلا يرضى مشعلوها إلا بإبادة أعدائهم عن بكرة أبيهم ، وهذا يؤكده قول المهلهل :[١٦] وهو يقسم فيه بالأصنام على إبادة بكر وهدم بيوتها :

كلا وأنصاب لنا عادية
معبودة قد قطعت تقطيعا
حتى أبيد قبيلة قبيلة
وقبيلة وقبيلتين جميعا
وتذوق حتفا آل بكر كلها
ونهد منها سمكها المرفوعا

رابعاً : طبيعة الحرب في الإسلام :

فلما جاء الإسلام أرسى للحرب قواعد إسلامية ، وجعل لها ضوابط تقيدها فالخاصة التي اختص بها قتال محمد ﷺ هي أنه ما كان يقاتل الشعوب بل كان يقاتل فقط الكبراء الذين يقودون القوى إلى الاعتداء[١٧] وكانت وصية النبي ﷺ لجيوشه : « اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدة »[١٨] وتجلى ذلك في بيانات المسلمين الشعرية العسكرية فقال حسان بن ثابت واصفاً جند الإسلام :[١٩]

بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش
ولا نحن من أظفارها نتوجع

فهم على قوتهم وشجاعتهم في الحرب لا يأتون في حروبهم فاحشة من الفواحش ، ولا فظعة من الفظائع التي تستقبحها الإنسانية أي ـ بلغة العصر ـ لا يرتكبون جريمة من جرائم الحرب التي ينفر منها الطبع الإنساني .

وبعد فالأمر أجل من أن تحيط به هذه القراءة المتعجلة في نصوص العصرين الشعرية ولكنها محاولة للإلمام بجوانب هذه القضية حاولت فيها جهدي أن أجمع أطرافها ولله المنة والفضل من قبل ومن بعد .

---

(١٦) ديوان امرىء القيس ص ٢٤٢ .
(١٧) نظرية الحرب في الإسلام محمد أبو زهرة ص ١٤ ، ١٥ .
(١٨) رواه ابن ماجه والترمذي .
(١٩) سيرة ابن هشام جـ٣ ص ٥٤ .

من خير ما نشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

قرآن وسنة

للأستاذ الدكتور: عبد الجليل شلبي

كان مما أسرع بقبول الإسلام ودفع إليه الشعوب التى غزاها المسلمون دفعا، أنه صادفها وهى فى حال فقر روحى وجمود فكرى إزاء العقائد التى كانوا يدينون بها. وسواء كان ذلك فى الجانب الشرقى - العراق وما وراءه - أو الجانب الغربى - الشام ومصر وما وراءهما - وفى كلا الجانبين كان التسامح وحسن المعاملة من أهم العوامل التى جذبت الناس إلى الإسلام وأكتفى بأن أعرض مثلا يوضح ذلك.

بعد أن فتح المسلمون مصر واتجهوا إلى الغرب اصطدموا بجماعات « البربر »، وكانوا وثنيين. وقانون الإسلام يقضى بترك الكتابى: اليهودى والنصرانى - على دينه، ولكن الوثنى لابد أن يدخل الإسلام، وقد أخذ الكتاب والمفكرون هذه القاعدة على أساس أنه إذا لم يقبل الإسلام يقتل. وليس الأمر كذلك فهو لا يعرف الإسلام حتى يقبله ويتعبد به فلابد أن يمهل حتى يعرف به ويشرح له، ولهذا اعتبر الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - الذى فُتحت أفريقيا الصغرى فى عهده - من وُجد بها من البربر من المؤلفة قلوبهم فلم يطالبهم بجزية كأهل الكتاب ولا بزكاة كالمسلمين بل أعطاهم من مال الدولة، وعهد بهم إلى المعلمين، فلما فقهوا الإسلام أقبلوا عليه طوعاً..

عن جريدة الجمهورية

ظاهرة التخلف فى العالم الاسلامى

وفى « مجلة السياسة الدولية » الصادرة عن مؤسسة الأهرام دراسة للدكتور عبد المنعم المشاط بعنوان « أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى » جاء فيه:

يتوزع المسلمون بين ست وأربعين دولة إسلامية تمثل الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى، بالإضافة إلى أقليات إسلامية ضخمة فى دول مثل الهند والاتحاد السوفيتى وغيرهما من الدول الآسيوية والأفريقية غير الإسلامية، ويناهز عدد المسلمين المليار نسمة، وهم بذلك يشكلون ثانى مجموعة بشرية من حيث ضخامة العدد بعد سكان الصين.

وتطل الدول الإسلامية على أهم بحار العالم حيوية بالنسبة للتجارة الدولية وبالنسبة للاستخدامات الاستراتيجية كالمحيط الأطلنطى والمحيط الهادى والمحيط الهندى والبحر المتوسط

←

من خير ما نشر

وبحر العرب والخليج العربي ، كما يتحكمون في أهم المضايق والممرات العالمية كمضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس فضلا عن مضيق جبل طارق ، ويقيم المسلمون على مساحة من الأرض أكبر من مساحة الولايات المتحدة أو أوروبا بما فيها القسم الأوروبي من الاتحاد السوفيتي .

وقد أنعم الله على المسلمين بثروات هائلة تقبع في باطن الأرض كالنفط والغاز الطبيعي أو المعادن مثل الفوسفات ، كما تزيد مساحة الأراضي العربية مثلا الصالحة للزراعة عن تسعين مليار هكتار يوجد نصفها في السودان وحده ..

وامتدت الحضارة الإسلامية من القرن السادس الميلادي إلى مشارف عصر النهضة ، وأسهمت في التطور الإنساني في الوقت الذي كانت ترزح فيه أوروبا تحت عصر الظلام والتخلف ، ومازالت بعض معالم الحضارة الإسلامية والعربية قائمة حتى الآن في أوروبا وغيرها من المناطق المتقدمة في دول الشمال ..

وعلى الرغم من كل ذلك ، فإن الأقطار الإسلامية تعيش اليوم في ظروف من التجزئة والتخلف في الوقت الذي حققت فيه دول الشمال مستويات ملموسة من التقدم والرقي ، ولقد ارتبط التخلف بالتجزئة ، بينما ارتبط التقدم في دول الشمال بالاتجاه نحو التكامل ، فمن بين ست وثلاثين دولة فقيرة ومعدمة في العالم ، هناك أكثر من خمس وعشرين منها هي دول إسلامية تضم أكثر من ٦٠٪ من إجمالي الدول الإسلامية .

ولم تقتصر مظاهر التخلف على الفقر ، ولكنها امتدت إلى أبعاد أخرى اجتماعية وثقافية وسياسية بحيث صارت الأقطار الإسلامية تعيش في حلقة مفرغة من التخلف والتجزئة يصعب الفكاك منها بيسر ..

وأيا كانت الرؤى المتعلقة بكيفية التخلص من التخلف ، فإن هناك بعض السبل التي يمكن أن تعين دول العالم الإسلامي وهي في سبيل البحث عن كيفية التخلص من التخلف والوصول إلى التقدم ومنها :

١ ـ التوسع في بناء المؤسسات ، وعلى رأسها المؤسسات السياسية ، فمما لا شك فيه أن التوازن بين الرغبة في المشاركة السياسية وبين درجة تواجد المؤسسات السياسية من شأنه أن يحقق درجة أعلى من الاستقرار السياسي ، ومن ثم يوفر البيئة الملائمة لتعبئة الموارد القومية وتوظيفها لتحقيق التقدم والتنمية .

٢ ـ الالتزام العقائدي بتطبيق نظام إسلامي صارم للجزاءات والحسنات « الحوافز » ، فالقضاء على مظاهر الفساد السياسي والتسيب الإداري ، وعدم الالتزام الوطني لا يمكن أن يتم إلا بمثل هذا النظام ، ونحن في حاجة إلى درجة أعلى من كفاءة وفاعلية الجهاز الإداري الذي يمكنه أن يحد من مقدار الفاقد القومي ..

٣ ـ الاعتماد على النفس « الذات » والمقصود بالذات هنا الأمة الإسلامية كافة . والتي تملك من الإمكانيات والقدرات ما يمكنها من أن تضع نفسها على الطريق الصحيح في سبيل التقدم ..

٤ ـ الاتجاه نحو درجة أعلى من التكامل والاندماج الإسلامي ، فإمكانيات ومصادر القوة التي أشرنا إليها لن يكون لها قيمة كبرى إلا في إطار إقليمي أوسع في شكل وحدة أو اتحاد أو اندماج أو على الأقل في شكل تضامن ، وهذا هو الحد الأدنى من الاتفاق اللازم للتخلص من التخلف وللحد من درجة التعرض للخطر وزيادة الإحساس بالأمن في العالم الإسلامي .

بلغاريا جـديدة

للأستاذ : احمد بهجت

قبل أحداث بلغاريا الأخيرة . كانت الأقلية المسلمة فى بلغاريا تعيش فى ظروف بالغة التعاسة والقهر ، كانوا محرومين من ممارسة شعائر دينهم ، كما كانوا محرومين من حمل الأسماء المسلمة التى كان يختارها لهم آباؤهم .

فى هذا البلد الأوروبى الذى ينتمى لقارة متقدمة كانت الحكومة الشيوعية البلغارية تشن على مواطنيها حملات تصل إلى حد القتل والقمع بالسلاح لإجبارهم على التخلى عن أسمائهم الإسلامية ..

وفى الثورة الأخيرة التى اكتسحت دول أوروبا الشرقية خرجت المظاهرات من المواطنين البلغار المسلمين وهم يحملون لافتة تقول : « أعيدوا إلينا أسماءنا » ..

وأسعدتنى أخيراً هذه الأخبار التى أذاعتها الإذاعة البريطانية عن النظام الجديد فى بلغاريا ، فقد سمح هذا النظام الجديد للمسلمين بأداء شعائرهم وسمح لهم بحمل الأسماء التى يختارونها .

تحية إلى النظام البلغارى الجديد ..

وتحية إلى كل نظام يحترم حرية المواطنين سواء كانوا أغلبية أم أقلية . وحمداً لله أولاً وأخيراً ..

عن صحيفة الأهرام

« نظرة على الحوار المسيحى الإسلامى »

نشرت مجلة « البعث الإسلامى » فى عددها التاسع يناير ١٩٩٠ م والتى تصدر عن مؤسسة الصحافة والنشر ـ ندوة العلماء ـ لكناو ـ الهند ومقالا للدكتور ظفر الإسلام خان بعنوان « نظرة على الحوار المسيحى الإسلامى » ذكر فيه أن مبادرة الحوار جاءت من الغرب وليس من المسلمين ومن الجوانب المجحفة بالجانب الإسلامى فى مؤتمرات الحوار أنها لا تعقد بلغة إسلامية مثل العربية أو الفارسية أو الأردية وإنما باللغات الأوروبية مثل الانجليزية والفرنسية .. وهذه الحوارات لا تفيد أحدا إلا المبشرين الذين فشلوا فشلا ذريعا فى جهودهم الميدانية لتنصير المسلمين ..

دروس وعبر من زلزال أوروبا الشرقية

وفى مجلة « منار الإسلام » الإماراتية عدد جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ كتب الأستاذ على محمد العجلة مدير التحرير مقالا بعنوان « دروس وعبر من زلزال أوروبا الشرقية » جاء فيه :

وقع الزلزال فى أوروبا الشرقية ، وتهاوت النظم الشيوعية وسقطت أسوار عزلة الشعوب .

من كان يصدق أن الحلم يصبح حقيقة وأن شبه المستحيل يتحول إلى ممكن ؟ من كان يتصور أن تحدث هذه التغييرات الجذرية والتطورات الحاسمة فى المناخ السياسى والاجتماعى فى الاتحاد السوفييتى ودول أوروبا الشيوعية ؟

أكثر الناس أملا وتفاؤلا ، لم يكن يتصور مجرد تصور ، أو يحلم مجرد حلم فى المنام ، أن الأسوار الشائكة ستتحطم وأن الستار الحديدى سينهار وأن الممنوع سيكون مسموحا به ..

←

من خير ما نشر

ولكن كل ذلك كان وحدث ، ورأى العالم أجمع انهيار شعارات الشيوعية والعلمانية والاشتراكية التى سادت أوروبا الشرقية وغيرها وأصبحت معلما من معالمها بل وكانت دستورها ونظامها الأساسى واجتاحت الأزمات السياسية والاجتماعية تلك الدول وعصفت رياح الإصلاح والتغيير بكل موروث ، وعلى رأس ذلك النظام الشيوعى ، الذى سقط فى البلاد الشيوعية نفسها ، وأصيب الشيوعيون بخيبة أمل كبيرة وهم يرون قادتهم يسارعون إلى التغيير وينتقدون نظمهم ويطالبون بتغييرها ويستجيبون لرغبات شعوبهم !

وفقد الشيوعيون سيطرتهم على حكومات بلادهم ، بل وألغى الدور القيادى للحزب الشيوعى نفسه فى كثير من الدول الشيوعية ..

وتهاوت أسوار العزلة ، أمام مطارق وصيحات الشعوب ، وعبر الناس عن آرائهم وطموحاتهم وآمالهم وأمانيهم ، وخرج الكثيرون من القمقم إلى رحاب العالم الفسيحة والتقى ابن ألمانيا الشرقية مع أخيه فى ألمانيا الغربية .. وتكلم الجميع فى تشيكوسلوفاكيا ، بعد أن فقدوا النطق زمنا طويلا وظهرت علامات الفرح والسرور والسعادة على الشعوب بسقوط الحكومات الشيوعية وبانفتاح الاتحاد السوفييتى على العالم .

وكل هذه التطورات والتغييرات حدثت فى لحظات وفى سرعة البرق ، وفاجأت العالم قاطبة . وهزت كل صغير وكبير ، حاكم ومحكوم وأصبحت أخبارها وتوقعاتها على كل لسان فى الشرق والغرب ..

وثار الجدل والحوار وتساءل الناس مَنْ وراء تلك الأحداث الجسام ؟ ولماذا وقعت ؟ وكيف وقعت ؟ وكل يغنى على ليلاه ويؤول ما وقع لمصلحته ولأغراضه ولمبادئه ؟

والحقيقة أن الذى حدث .. وقع بسبب فساد تلك الأنظمة الوضعية ، التى حبست الشعوب وخدعتها وضللتها ، وكانت وراء إجهاض كل محاولة للإصلاح وتحقيق رغبات الشعوب فى العيش فى أمن وسلام وطمأنينة وحرية ورغد ولما بلغ السيل الزبى ، ولم تجد تلك الأنظمة نفعا وخاف الجميع من المارد أن يخرج من قمقمه ويحطم كل شىء .. كانت البداية وفتحت الحدود وتحطمت الأسوار وتأكد المسلمون بأن كل شىء ما خلا الإسلام باطل وأن كل نظام غير ما وضعه الله محكوم عليه بالفشل ، وأن كل جهد أو قانون وضعى من صنع البشر مصيره الخسران ..

والذى يعنينا كمسلمين من ذلك الزلزال ، أن نأخذ منه الدرس والعبرة ، فنتمسك بديننا وشرعنا ومنهجنا الربانى ونعمل جاهدين على أن تسود شريعة الله بيننا منهجا وقانونا وسلوكا وعملا وأن نؤمن صادقين بأن المستقبل للإسلام لا محالة ، فهو الباقى والعاصم من كل زلل وصدق رسولنا ﷺ حين قال : « تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » ..

أنباء وآراء

إعداد: د. عبد العزيز عزت عبد الجليل
الأستاذ/ عبد المنعم فـودة
الأستاذ: صفوت عبد الجواد

بالأزهر - مصر - رائدة في نشر الاسلام

اعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن مصر بأزهرها رائدة في نشر الإسلام في عهد الرئيس حسنى مبارك .

وأن علماء الأزهر منبثون في كل بقاع الدنيا ينشرون الدعوة وتعاليم الإسلام .

وقال فضيلته إن ستة الاف طالب وطالبة من المبعوثين يدرسون الآن في كليات جامعة الأزهر ينتمون إلى خمس وسبعين دولة . وقد بلغ عدد طلاب جامعة الأزهر مائة وخمسين ألفاً وسيصل عددهم خلال السنوات القادمة إلى ربع مليون طالب وطالبة .

وقال : إن المعاهد الأزهرية منتشرة الآن في كل قرية ونجع من قرى جمهورية مصر العربية ، وأن الأزهر يشجع المواطنين على إنشاء المعاهد على كل شبر من أرض مصر .

لجان فتوى بالمحافظات لتوعية المواطنين

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أنه تقرر إنشاء لجان للفتوى في كل محافظة على مستوى الجمهورية يكون مقرها المنطقة الأزهرية بالمحافظة لتكون مرجعاً رسمياً للمسلمين تجيب عن أسئلتهم وتلبى احتياجاتهم الفقهية .

وسوف يقوم الأزهر بدعم هذه اللجان بالعلماء والمراجع والكتب الفقهية .

جاء ذلك في احتفال محافظة أسوان بوضع حجر الأساس لفرع جامعة الأزهر هناك .

جائزة الملك فيصل - رحمه الله -

شارك فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر في اجتماعات الدورة الثالثة عشرة للجنة اختيار الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام . وذلك تلبية لدعوة رئيس هيئة الجائزة .

←

أنباء وآراء

وفد من معهد الأزهر بأندونيسيا

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه يوم الأحد الموافق ٢٤/١٢/١٩٨٩، بوفد معهد الأزهر بأندونيسيا التابع « لمؤسسة الأزهر التعليمية بجاكرتا »، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد واستمع إلى ماطرحوه من أسئلة وأجاب فضيلته عليها مبيناً نظم الدراسة بالأزهر وجامعته.

كما تحدث فضيلة الإمام الأكبر عن « مكتبة الأزهر » وعما تحتويه من مخطوطات نادرة وأشار إلى المبنى الجديد الذى أقيم بحديقة الخالدين بالدراسة والذى ستنتقل إليه قريباً.

ولقد أكد فضيلته للوفد بأن الأزهر على استعداد لتقديم المساعدة للمعهد حتى يمكنه النهوض بأعبائه.

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام

أشهر خلال الشهر الماضى ستة وعشرون أجنبياً إسلامهم أمام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر. وهم من دول لبنان والعراق وفرنسا وألمانيا والنمسا وانجلترا والسودان واليابان وهندوراس والسويد وإيطاليا وهولندا وبيوغوسلافيا والنرويج وروسيا وأمريكا والدانمارك.

وقد أمدهم الأزهر بالمطبوعات باللغتين الانجليزية والفرنسية التى تشرح مبادىء الإسلام.

فى الجامع الأزهر الشريف

أدى سمو ولى عهد دولة الكويت الشقيقة الشيخ سعد العبدالله الصباح صلاة الجمعة الموافق الخامس عشر من جمادى الآخرة بالجامع الأزهر الشريف، وقد أدى الصلاة مع الضيف الكبير فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ولفيف من علماء الأزهر الشريف.

أهم كتاب ٨٩

د. عبدالودود شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر، حقق كتابه الأخير « الزحف إلى مكة » رقماً قياسياً فى توزيع الكتب الدينية واعتبرته صحف الخليج أهم كتاب صدر خلال عام ٨٩.

الكتاب يتناول بالوثائق والأدلة أخطار التبشير فى العالم الإسلامى، والتى تهدف الوصول للأماكن المقدسة، وهو يعكف الآن على إعداد كتاب آخر يفوق فى مادته العلمية وموضوعاته الكتاب السابق.

مركز للدراسات الاسلامية بجزيرة «كريت» باليونان

افتتح خلال شهر جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ فى « جزيرة كريت » باليونان أول مركز إسلامى

باليونان ، يهتم المركز بالدراسات والأبحاث العربية والإسلامية ويضم ملحقاً للمخطوطات العربية والإسلامية .

مجلة الأزهر :

يوجد بجامعة « كريت » قسم خاص للدراسات الشرقية .

استمرار حملات الاعتقالات للمسلمين بالدول الشيوعية

ذكر المركز الإسلامى فى مقاطعة « كوسوفو بيوغوسلافيا » أن الحزب الشيوعي اليوغوسلافى بدأ حملة جديدة من الإرهاب ضد المسلمين لتمكين المنتمين لمقاطعة « الصرب » المجاورة من السيطرة التامة عليهم .

واكد المركز أن الجيش اليوغوسلافى تحرك إلى « كوسوفو » لتحقيق تلك السيطرة التامة بالقوة وانه تم وضع الكثير من المسلمين فى السجون ومنهم كبار القادة السياسيين لمقاطعة « كوسوفو » .

المسلمون يقاطعون اللحوم فى ألمانيا

ذكرت إذاعة « بون » أن المسلمين فى ألمانيا الغربية قد احتجوا على السماح لليهود بالذبح حسب شريعتهم ورفض ذلك بالنسبة لهم .

ودعت المراكز الإسلامية فى ألمانيا الغربية إلى مقاطعة شراء اللحوم خاصة من المجازر اليهودية . وطالبت بالسماح للمسلمين بالذبح حسب الشريعة الإسلامية حتى تكون على اطمئنان من طريقة الذبح .

احصائية عالمية للنسبة المئوية لتعداد المسلمين فى العالم

كشفت إحصائية قام بها خبراء أمريكيون بالمركز الدولى للسكان بولاية « كاليفورنيا » ، أن عدد المسلمين فى العالم سوف يصل ـ بمشيئة الله ـ مع مطلع القرن المقبل إلى حوالى الف وخمسمائة مليون نسمة .

وأكدت الإحصائية أن معدل الزيادة فى عدد المسلمين يفوق معدل الازدياد بين أى ديانة أخرى ، كما أن أعداداً كثيرة تدخل الدين الإسلامى الحنيف فى كل يوم ، مما يجعل فرصة نمو عدد المسلمين اكبر .

أحوال المسلمين فى كوريا الجنوبية

صرح فضيلة الشيخ (محمد ثان بون) إمام المسجد الجامع فى مدينة « سيؤول » عاصمة كوريا الجنوبية ومدير الجمعية الإسلامية فى كوريا بأن عدد المسلمين يبلغ حوالى أربعين الف مسلم ويوجد بها خمسة مساجد ، وجارى العمل فى بناء خمسة مساجد أخرى .

وتعنى الجمعية الإسلامية بكوريا لشئون المسلمين وذلك بتعليمهم القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية ، وقد خصصت مدارس لتعليم الأطفال وأخرى للرجال وقسم خاص « بالنساء » .

المسلمون فى بريطانيا

ذكرت مجلة « الأوبزرفر » البريطانية أن

أنباء وآراء

أحدث تقرير خرج ببريطانيا يؤكد أن عدد المسلمين أصبح مليوناً ونصف مليون مسلم .

وأن بريطانيا بها ألف مسجد ومكان للعبادة الإسلامية فى جميع أنحاء بريطانيا .

أما الشيء المفرح فى التقرير فهو أنه لم يكن ببريطانيا منذ ٣٠ سنة إلا عشرة مساجد أو أقل .

كما ذكر التقرير أن العدد الأكبر من المسلمين فى بريطانيا نزحوا من الباكستان والهند وبنجلاديش وقبرص والعالم العربى وماليزيا ، بالإضافة إلى عدد كبير من البريطانيين المولودين فيها من أبناء المهاجرين .

حجب جائزة المستشار عبدالحليم الجندى هذا العام

● قررت لجنة جائزة المستشار عبدالحليم الجندى لخدمة الدعوة والفقه الإسلامى حجب الجائزة هذا العام ، لعدم وصول البحوث المقدمة للمستوى المطلوب ، وصرف قيمتها لطلاب الدراسات العليا بجامعة الأزهر بمعرفة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

● وقد قررت اللجنة فى مجال الدعوة الإسلامية تخصيص مبلغ ٢٠٠٠ جنيه مصرى لأحسن بحث فى أحد الموضوعين الآتيين :

(١) معالم المشروع الحضارى الإسلامى (أولويات العمل من أجل إحياء الحضارة الإسلامية وترشيد الصحوة الإسلامية) .

(٢) معالجة الانفصام بين موجبات العقيدة الإسلامية وواقع المسلمين المعاصر .

كما قررت اللجنة فى مجال الفقه الإسلامى تخصيص مبلغ ٢٠٠٠ جنيه أخرى لأحسن بحث فى أحد الموضوعين الآتيين :

(١) إعمال الحدود الشرعية فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة .

(٢) الحكم الشرعى للمعاملات المالية والمصرفية المستحدثة .

وتقدم البحوث للسيد المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر ـ المبنى الحكومى المجمع بميدان التحرير بالقاهرة .

وذلك من نسختين بخط مقروء وبما لا يقل عن ٨٠ صفحة فى ميعاد لا يتجاوز منتصف شهر مايو سنة ١٩٩٠ .

ويشترط فى البحث أن يكون متميزاً ويتضمن اجتهادات وإضافات جديدة تنفع الإسلام والمسلمين ..

المشير سوار الذهب يكشف تنصير ٩٠٠ ألف مسلم !!

أكد المشير عبد الرحمن محمد سوار الذهب رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية . أن المسلمين الآن فى أمس الحاجة إلى تجميع القوى وتوحيد الصفوف أكثر من أى وقت مضى لمجابهته أعداء الأمة الإسلامية .

وقال سوار الذهب:إن ما لا يقل عن ٩٠٠ ألف مسلم تم تنصيرهم خلال السنوات الأخيرة حيث استغلت هيئات التنصير ظروف الفقر والجهل والكوارث الطبيقية فأبعدتهم عن دينهم فى بعض بلدان افريقيا وآسيا وأضاف سوار الذهب

قائلا : إن خصوم الإسلام لم يعودوا يلبسون الأقنعة والتستر خلفهما كما كانوا يفعلون فى الماضى بل إنهم أبرزوا عن وجههم القبيح وأعلنوا حربا شرسة على الإسلام والمسلمين .

باكستان تمنع استيراد الخمور

قررت الحكومة الباكستانية منع استيراد الخمورمن الخارج وكذلك حظرتناولها فى الفنادق لغير المسلمين وقالت الحكومة الباكستانية : فى بيان لها إن من يضبط يحاول استيراد الخمور وتهريبها إلى داخل البلاد سوف يتم تقديمه إلى المحاكمة بتهمة مخالفة القانون .

أكبر مسابقة إسلامية يقيمها المجلس الأعلى للشباب والرياضة

أكبر مسابقة إسلامية يقيمها المجلس الأعلى للشباب والرياضة بمحافظات الجمهورية والمسابقة فى القرآن الكريم ، والتفسير ، والحديث ، والسيرة الإسلامية .

كتاب الوحوش - بقية -

- البسيط -

والله ما هِقْلَةٌ حصَّاء عنَّ لها جون السراة هِزَفٌّ لحمه زِيم [221]

عن لها : عرض لها . وزيم منقطع متبتر [222] ليس على جسده كله لحم ومن الظلمان الهجنَّع وهو الطويل ، وكل طويل هجنع ، (و) [223] قال ذو الرمة :

- البسيط -

هجنع راح فى سوداء مُخملة من القطائف أعلى ثوبه الهدب [224]

ومنها الأخرج وهو الذى فيه [225] بياض وسواد مختلفان .

ومنها الخِدَبُّ وهو الضخم ، (و) [226] يقال لكل ضخم خدب .

ومنها الشوقب وهو الطويل . ومنها الخشب وهو الغليظ ، قال ذو الرمة (ينعت الظليم) [227] :

- البسيط -

شخت الجزارة مثل البيت سائره من المسوح خدب شوقب خشب [228]

والجزارة : القوائم (والراس) [229] .

(٢٢١) ديوان الهذليين ٣/١٤ .

(٢٢٢) عبارة ت ، ج : « عن لها : اعترض لها . وزيم اى منقطع منتثر » .

(٢٢٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٢٤) ديوانه ٢٩ . ولسان العرب (هجنع) . ومخملة : قطيفة سوداء لها خمل ، وهى من اكسية العرب . والهدب : جمع هدبة ، وهى اطراف الإزار .

(٢٢٥) فى الأصل : « وهو الذى له بياض » . وكتب الناسخ فوق « له » كلمة « قيد » فاثبتناها هنا .

(٢٢٦) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٢٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٢٨) ديوانه ٢٨ ولسان العرب (شخت) .

شخت : دقيق القوائم والراس . والجزارة : اجرة الجازر . وكانوا يمنحون الجازر القوائم والراس اجرة له ، فسميت القوائم جزارة .

(٢٢٩) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية ، كلمة في الغرانيق ،	
د . علي أحمد الخطيب	٦٤١
● إيماءات وإيحاءات من الإسراء والمعراج	
لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق	٦٤٦
● حديث فضيلة الإمام الأكبر إلى مجلة المجتمع	
أجرى الحوار الأستاذ محمد عبد الهادي	٦٥٠
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر	
بالسيد سفير الفاتيكان انطونيو مايوني	٦٥٨
● استخلاف الإنسان في الأرض .	
د . محمد عبد المنعم القيعي	٦٦٠
● معنى واستثناء في الكتاب العزيز	
لفضيلة الشيخ / محمد محمد علي الرماح	٦٦٣
● الإسراء والمعراج ومشاهد التكريم للنبي الكريم	
للأستاذ / السيد حسن قرون	٦٦٦
● من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .	
أ . د / السيد تقي الدين السيد	٦٧١
● التابعون .. تلامذة الصحابة .	
لفضيلة الشيخ / أحمد حسن جابر	٦٧٤
● زواج المتعة .	
د / محمد رأفت عثمان	٦٧٧
● الربا والوديعة المصرفية .	
لفضيلة الأستاذ الدكتور احمد فهمي ابو سنة	٦٨٣
● الفتـــاوى .	
إعداد الشيخ / علي حامد عبد الرحيم	٦٨٧
● من اعلام الازهر .. الشيخ / احمد الطاهر السعدي .	
للمستشار / محمد عزت الطهطاوي	٦٩٠
● من اعلام الثقافة الإسلامية في نيجيريا .	
إعداد المحاضر / سليمان موسى	٦٩٣
العلوم الكونية	
● الأمطار الحمضية .	
أ . د / أحمد فؤاد باشا	٦٩٨
● الخلايا الحية .	
للأستاذ / محمد مهدي يوسف	٧٠١
الشعر والشعراء	
اشراف د. حسن جاد	
● ياصاحب الإسراء .	
رشاد محمد يوسف	٧٠٨
● في ذكرى الإسراء والمعراج .	
عمر عمران أحمد طه	٧٠١
● يافتى الإسلام .	
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	٧١١
● من روائع المفتي بمجلة الأزهر .	
الإسراء والمعراج لفضيلة الشيخ / فكري ياسين	
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات	٧١٢
● طرائف ومواقف .	
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧١٦
اللغة والأدب والنقد	
● كتاب الوحوش .	
تحقيق الأستاذ / أيمن محمد ميدان	٧٢٠
● الحرب بين الجاهلية والإسلام	
قراءة في نصوص شعرية .	
للأستاذ / مصطفى أحمد دردير	٧٢٥
● من خير ما نشر ..	
للأستاذ / عادل رفاعي خفاجة	
للأستاذ / أحمد تقي الدين	٧٢٩
● انباء وآراء .	
إعداد / د . عبد العزيز عزت عبد الجليل	
الأستاذ / عبد المنعم فودة	
الأستاذ / صفوت عبد الجواد	٧٣٢
القسم الانجليزي	
إعداد / د . انس مصطفى النجار	
● المقالة الثانية .	
بقلم / لطفي علي سلطان	٧٤٣
● المقالة الاولى .	
بقلم / د . أنس مصطفى النجار	٧٥٠

afterwards, led to the world civilization.

As the Islamic nation was a source of science and progress, rather a torch of light for the world in the remote and near past, this Islamic doctrines can today provide humanity with a practical solution for the economic problem which is in fact, a problem of war and peace. The nation, on the Islam bases , while living its full struggle against weakness and backwardness, and trying to move socially and politically towards a better existence, firmer structure and higher economy, will only find - after a series of right and wrong attempts - one way to move in: to move along the Islamic line in economics.

be the ideal most integrated economic system to be implemented by human societies.

The factual moral character which distinguishes the teachings of Islam finger prints the specific economic tendencies. It provides an ethical nature and directs them to the prosperity of mankind and the welfare of human society. It conceives that the monetary value is a means in the hands of the individual and not a goal in itself. It stops the tendencies of money madness, covetousness, material greed, ambition and strife. It preaches legitimacy of earning and legitimacy of dealings in trade and fiscal transactions. This means that in the cultivation and harvesting of the fruits of life, man should commit no injustice. In acquisition of wealth, he is not to lie, or to cheat people, not to exploit the destitution of fellowmen by subjecting them to work without full title to the fruits of the work. Man's pursuit of wealth should not prejudice the long-run interests of his fellowmen by depleting the natural resources, or diverting their energies away from the fulfillment of primary subsistence, preservation of health, education and other needs.

According to Islam, wealth should not be at the expense of humanity, and consequently bans the exploitation of man by another man. Islam holds that wealth, whether earned or dispersed, should be channelled through meanas to promote cooperation, affection, honesty and compassion, which are essential for the human society to build up the equilibrium of its structure and the integration of its values.

The world was created for man to transform, to cultivate and to harvest the fruits of his efforts. It is a divine trust "Amanah" and man's enjoyment of the fruits of his efforts is desirable per se when it does not violate the fulfilment of the divine trust.

Man by nature seeks to transform, to recreate, to refashion and remould the world so as to make it fulfill the patterns of Allah. Indeed, it constitutes man's vocation and destiny: "Do the good deeds; for Allah will see them and judge you thereby" runs throughout the Glorious Qur'an like a constant refrain.

With the spread of Islam, the Islamic stae emerged and expanded beyond the Arab Peninsula to Africa, Asia and Europe, and th rest of the world. The Islamic civilization reached its zenith. The sciences and arts of the Muslims were the first beam which dissipated the darkness of Midieval ages, and the necessary prelude for the Renaissance which,

is the great imbalance in the distribution of wealth.

The socialist system on the other hand, is concerned with the group interest, which mostly deals with satisfying the needs of the group. This obliges public ownership of production to achieve fair distribution and satisfy the necessary needs of the groups. This is realized by directing production towards group interest. This is essential in the socialist economic system where the production is in line with the group's needs and interests. Consequently, socialism must be based on public ownership of the production tools through nationalization. In this way, socialism ensures the interest of the group and the non-exploitation of man by man. Hence, it is said : "Socialism is humanitarian in nature".

The socialist sytem, acting according to a plan under the State control and relying on the public ownership, ensures the absence of exploitation and monopoly domination. It ensures also the elimination of unemployment, and the absence of any economic crises because the plan of productivity is based on the balance between the production and the consumption.

This was the course of the economic movement in the world, and in particular in the West. Capitalism was established on the debris of feudalism. Socilism emerged as a reaction to the evils of both feudalism and capitalism, or as it has been said - as a cry of pain against the inequity of exploitation of man to man.

The thinkers and authorities of both the capitalist and socialist systems are confronted by several problems which each system fails to solve. Each system proves its importance to achieve its complete goal of social prosperity, people's happiness, solving the strife problems and ensuring peace, justice, trust and security for all. In spite of the continual efforts of the thinkers and economists in developing these two systems to cover the points of weakness which emerge every day in the practical application of the theory; the fact is that both systems are still unable to achieve the expected purpose of success.

The capitalist and socialist economic systems are not the only functioning economic structures. In the spectrum of economic applications, they present two opposite fundamentally different patterns. Within the scale of moderation and the optimal socio-economic equilibrium; the Islamic teachings stand on very firm ground in all matters pertaining to financial and economic mechanisms and values. These teachings have proved, after very rigorous analysis to

regard to ownership, contraction and work. There is only one restriction, namely, that the conduct of the individual should not contradict the personal interest of another individual in the community. Individuality in the capitalist system is manifest through the concentration on the individual, considering that his own interest is the basic point, and that he is the one most able to identify and realize this interest as a result of his control on natural tendencies and wishes. Thence individuality and freedom are twins on which the capitalist system is based, with a view to realize the maximum benefit for the individual. The capitalist system assumes that working for the interest of the individual is the means for the realization of the interest of the community. In this context, Adam Smith says that the individual brings about the interest of the community - in a greater degree - by giving more care to his own affairs than devoting his efforts and time to serve the community. The advocates and supporters of the liberal ideology and the classic school generally considers that the capitalist system overtops all the economic systems that appeared.

The practical implementation of the capitalist system, maintains that a capitalist organizer establishes an economic project without State intervention. There is completely freedom of choice to invest, free to produce goods, and provide services, and free to fix terms of purchase. The consumer enjoys the same freedom of choice. Advocates and supporters of the liberal capitalist economic system, conceive that the economic freedom provides competitive production in pursuing the material gain. The capitalist system considers that profit is the reward which the capitalist organizer receives as a price for risking his capital and for his work and efforts. It believes that without this personal incentive represented by the profit, the economic mechanism and structure would fail to achieve its goals.

The supporters of the capitalist ideology believe that the system has achieved great progress and gains in industrial and economic fields. Some others argue that the success of the capitalist system is due to several factors, among the most important are the control of the weak powers, their colonization, the exploitation of their natural resources, the domination of their markets and the distribution of their products through the influence of colonization. The drawbacks and disadvantages of the capitalist system emerged as the successive economic crises, spread of unemployment and the dangers of monoply. There is also the phenomenon inherent to the capitalist system which

ECONOMIC INTEGRATION IN ISLAM (Part I)

By : Lotfi Ali Soultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Economic function is one aspect of the varied activities of life. Muslim's approach toward life is determined by the world view which the glorious Qur'an has propounded. According to the teachings of the Divine Book, all human activity should be directed towards the achievement of "al-Falah" (the Success): a comprehensive term denoting welfare of life as well as that of the hereafter.

True economic values are conceived as moral values, and strong moral sanctions are extended to them. Contrary to the materialistic culture prevalent nowadays, Islam sets to extend its ends higher than matter. The most characteristic feature of the economic system in Islam is its ethical nature. Unlike any other system, it is free from any materialistic considerations, and is essentially based on justice, right of property, social dignity and humanitarian principles. Undoubtedly, this establishes the bonds of sympathy, benevolence, solidarity, fraternity and plenty of mutual affection and trust between the various fractions of the community. Under this caption, the systems of solidarity and economic integration in Islam are structured. This includes the prohibition of all illegal and unorthodox means of earning wealth. It encourages charitable activities and utilizing capital investment as a canvas of economic wealth for public interest.

The economic systems adopted in today's world come under one of two categories; the capitalist system and the socialist system. Each system is the practice of economic application of the ideology that it represents. The capitalist system is the practical application of the liberal ideology, and the socialist system is the practical application of the socialist ideology.

The capitalist system is based on a given philosophy depending on individuality, freedom, and assuming the existence of an automatic congruence between the interest of the individual and that of the community. Consequently, the capitalist system allows all forms of individual freedom with

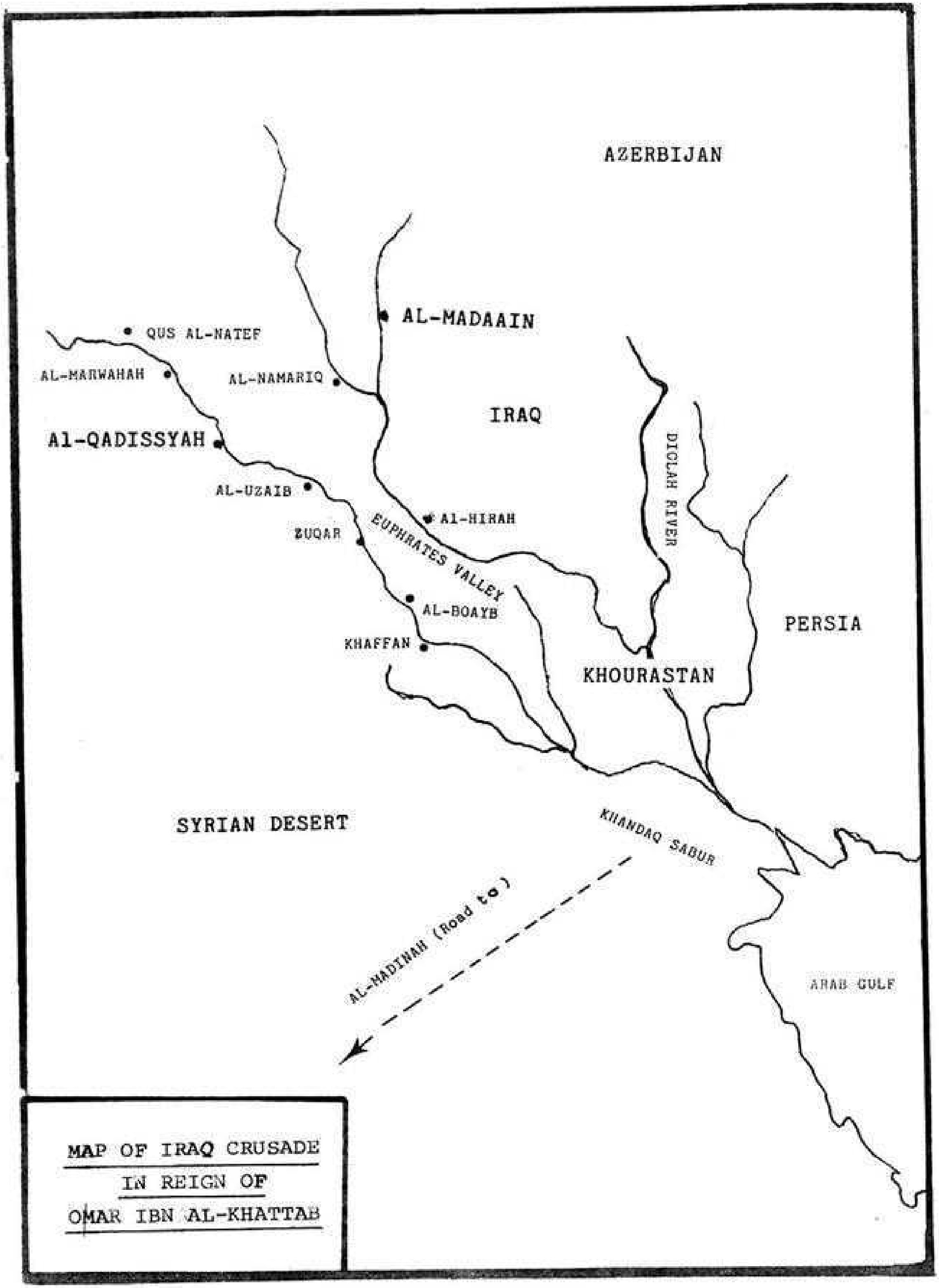

MAP OF IRAQ CRUSADE
IN REIGN OF
OMAR IBN AL-KHATTAB

Muslim early history after the wars against the apostates. The preservation of the Muslim creed and the whole Islamic nation was dependant on that battle, either a prosperous future with triumph, or a dark recession with defeat. The man most concerned and indeed deeply apprehensive with anxiety and suspense was Ameer Al-Moomineen Omar ibn Al-Khattab. He walked out of Al-Madinah every morning awaiting news from Al-Qadissyah. One day, he saw a man on a camel whom he discovered came from there. Omar asked him of news from Al-Qadissyah, and the man replied "Allah have defeated the unbelievers". Omar kept on walking by the side of the man on the camel, asking him of details and the man answering Omar without recognizing him. The man was Saad ibn Umaylah Al-Fazary, the mail bearer of Saad ibn Abi Waqqas to Omar carrying the news of victory and the names of those who had the grand honour of martyerdom for the most supreme cause. The man finally realized that the stranger that so eagerly asked questions while talking by his side as he rode his camel was Ameer Al-Moomineen Omar ibn Al-Khattab.

That was the trimph of Al-Qadissyah that paved the roads for the Muslim banners to crusade throughout the whole of Iraq and into the heart of Persia resonating the words "Allahu Akbar", and proliferating the teachings of Islam and the jutice of its divine doctrines. Ameer Al-Moomineen Omar ibn Al-Khattab was the patient humble thinking mind behind all. He administered the affairs of the Muslim nation for the prosperity of the Muslim nation. In so doing, he optimized and implemented the meaning of justice, and by that he achieved the highest level of clairvoyance, perception, and foresight.

uproars of "Allahu Akbar". The battle so continued in the darkness of the ight, fierce intense and severely acrimonous, with bitterness for triumph and victory. Both Saad ibn Abi Waqqas, and Rustum ibn Al-Farkhzad lost connection of what was actually happening. The third day of battle was called the day of Amas, and the night of Al-Harier.

The night of Al-Harier ended by the dawn of the fourth day of battle. The exhaution had completely drained all the energy from both the fighting parties. The final outcome of the battle had not yet been settled. Both armies were still on the battle ground. At this very crucial moment, Saad ibn Abi Waqqas cried loud to his men "The end is but an hour from now, strengthen yourself with patience for an hour and gain the triumph in the cause of Allah". Al - Qaqa ibn Amre repeated the words of Saad. The Muslim warriors were energized with the stimulus of the words, they rose, first the companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), then the other tribes. In one final assault they fell heavily with their swords on the weakening ranks of the Persians. Fighting continued till noon, when it was evident that the Persians were giving away ground and retreating. That was the moment that gave the Muslims the balance of victory. The massacre of Persians was maximal, Rustum was killed by Hilal ibn Alqamah; and after him Al-Gallinos was killed by Zahrah Al-Tamimi;and Dhirar ibn Al-Khattab captured the Imperial Insignia. Saad ibn Abi Waqqas ordered his men to follow the retreating Persian army and to whip their backs against any regathering for a counterattack. The chain bound Persian soldiers fell in thousands to drown as they crossed the river escaping from the pressing Muslims.

That was certainly a decisive victory crowning the Muslims with honour and pride of supreme achievement. The Muslim women and children appeared on the battle ground to care for the wounded and take war prisoners from among the wounded Persians. The Muslims crowded around Saad ibn Abi Waqqas in exalted prominence of victory, and humbly grateful to Allah for granting them the triumph of victory they so deserved. The spoils of battle were so enormous beyond all imagination. They were divided equally among the men after the fifth was sent to Al-Madinah to the Muslim Treasury according to Islamic law. The men that showed extra effort of valor and gallantry were granted an extra amount above their share.

Everybody from the Yemen south to Syria north, and from the Arab Gulf west to the Red Sea east; was impatiently awaiting news from Al-Qadissayh; the most decisive battle in

ibn Utbah to march to Iraq to reinforce Saad ibn Abi Waqqas at Al-Qadissyah. Hashim ibn Utbah ordered Al-Qaqa ibn Amre to speed ahead with thousand men to reach Al-Dadissyah in time. Al-Qaqa the famous war veteran reached the outskirts of Al-Qadissyah on the dawn of the second day of battle. He divided his horsemen into ten contingents of hundred each, and instructed each contingent to ride into battle when the contingent ahead was out of site; Al-Qaqa himself rode at the head of the first contingent. On the second day of battle, the Persians did not advance the elephants, they were repairing the wooden boxes in which the elephants carried men. The Muslims had the upper hand in battle, imposed upon the Persians and burdened them with heavy losses. The tactical expedience of Al-Qaqa and his ten contingents succeeded in elevating the vigor of the Muslims, and suppressing the morale and spirit of Persians. The final issue of the battle was yet to be settled. Each army drew to its lines by the end of the day to recover from the wounds and toil of battle; the second day was called, the day of Aghwath. During the night, everybody rested except Al-Qaqa, who with sagacity of skillful shrewdness, sent back his horsemen far from the battlefield with instructions to repeat the same strategic maneuver on the following morning by riding into battle as separate contingents of hundred horsemen each.

On the morning of the third day of battle, the two armies stood facing each other, each determined to gain victory. There were already two thousand casualities from the Muslims, and ten thousand from the Persians, beside the wounded on both sides. Al-Qaqa ibn Amre looked eastward towards the desert expanse to the rising sun, and saw the thick dust of galloping horses approaching the battlefield. He realized that Hashim ibn Utbah and his men had arrived and appeared riding hastely into battle in separate contingent formation. They appeared as an endless inpouring of reinforcements into the inferno of battle. The Persians had advanced the elephants around which the height of fighting took place, and the Muslims were suffering heavy losses from the stampede of the elephants. Saad ibn Abi Waqqas gave orders to blind the elephants with spears; this resulted in great confusion with the huge animals running amidst the ranks of both armies, and finally left the field of battle hurling away. Now, it was the zeal and vigor of the men to decide the final outcome of the battle. The most stringent fighting took place till dusk after sunset, and continued through the night. Nothing was seen or heard except the cries of men, the rattle of cross swords, the thundering gallop of horsemen, the shrill stridor of the wounded, and the jubilant

different envoys were sent to convene with Rustum. They all spoke with the same sequential pattern of negotiations originating from the teachings of their Muslim faith. The Persians had to listen to the Word of Allah and accept Islam as the doctrine of faith; it is the primary duty of every Muslim to call for Islam by word and by dead. If the Persians refused, then they had to pay the "Jiziah", a recompense for Muslims to defend, preserve, and protect Persian property, interests, and social structure under Islamic law. If the Persians refused both alternate provisions for conciliation and peace, the only settlement would be in the field of battle. Rustum and his staff considered such terms very humiliating and disgracing to the pride and honour of the Persian Imperial Monarchy and Military dignity. What audacity of defiance and what reckless courage could have induced these bare-footed desert rats to bluntly confront the pontific bombastic arrogance of the Persian Empire ? There was no alternative but war. The Persian troops crossed the river to face the Muslim forces on the east bank of the Euphrates at Al-Qadissyah. The outcome was very crucial to both Muslims and Persians. Muslim defeat would certainly terminate the Muslim crusade in Iraq, and Persian defeat would establish Muslim dominance in Iraq and open the way to Khourastan and Persia.

Both the Muslims in twenty five thousand men, and the Persians in hundred and twenty thousand men stood facing each other on the first day of battle. On that day, Saad ibn Abi Waqqas suffered from sciatica, and inspite of his sickness, he supervised the battle from a distance, giving orders to his adjuvants as he bent forwards on his elbows. Saad instructed the chiefs of tribes, men of gallantry, men of oratory and men of diplomacy to walk through the ranks of the warriors and energize their courage and dignity with words of enthusiasm, animation, vigor and eagerness. Saad also instructed that verses from the Holy Quran should be recited to tranquilize and strengthen the hearts of his men. The battle started with the stamping elephants infront of the Persian soldiers; and the Muslim warriors charging with thundering crescendo of the words "Allahu Akbar" - "Allah Is Greatest". The elephants penetrated through the Muslim ranks followed by Persian troops in overwhelming numbers. The Muslims suffered great losses, however, they inflicted appreciable injury to the Persian army. The first day of battle called the day of Armath ended without victory or defeat to either Muslims or Persians.

Omar ibn Al-Khattab had previously ordered the Syrian command to dispatch an army of eight thousand under Hashim

➔

•The ostentatious pageantry of the Persian military strength was assembled in an aggressive spectacle under the command of Rustum ibn Al-Farkhzad, to march against the Muslim warriors with Saad Ibn Abi Waqqas at Al-Qadissyah. Omar ibn Al-Khattab had instructed Saad to send a delegation of men of wisdom and tribal rank to convene with the Persian authorities. Saad deputised Al-Nouman ibn Muqrin, Furat ibn Hayyan, Al-Ashaath ibn Qays, Amre ibn Madi Karib, Al-Mughirah ibn Shoubah, and al-Moenii ibn Harithah and few others; to summon the Persians to Islam, and advance a medium of mutual understanding, and therefore end the hostilities. The Muslim group travelled to Al-Madaain and convened with the Emperor Yazdgred, the man seated at the summit of the Imperial House of Persia. The arrogance, conceit, belligerence, imprudence, and unprofundity of the man dulled his mind to listen to the profound logic and reason of the words that the delegation spoke. He ordered a sack of dust to be put on the shoulders of the most ranking among the group and to be driven out of the city gates. He was highly agitated and tempered by the words spoken. One of the delegates carried the sack, declared that he was the highest in rank, and withdrew followed by the other delegates in silent procession from the presence of the Emperor. The withdrawal of the delegates taking with them a sack of dust from Persian soil, was considered bad portent by all Persians.

Rustum ibn Al-Farkhzad, marched towards Al-Qadissyah commanding hundred and twenty thousand men, the cream of the Persian military strength. His right flank was commanded by Hormozan, and the left flank by Mehran ibn Behram. The whole army advanced proceeded by thirty three elephants, the fierce striking strength of the Persian vanguard. With all this strength, Rustum was very reluctant to go into battle with the Muslims. He prefered to dismiss them from Iraq without confrontation in combat. He fully realized that Muslim triumph would open the roads to Al-Madaain without deterent and further into deeper territories of Persia. The Persian forces would then be plundered unable to assemble for another major confrontation. Rustum knew the successions of repeated victories of the Muslims over the Persians since Al-Muthana ibn Harithah crossed the Delta of the Euphrates river to crusade into Iraq, up to the time of the Muslim victory at Al-Boayb; the only defeat the Muslims suffered was that of Al-Jisre. Rustum conceived that Muslims were branded with triumph because they were warriors with belief and certainty of faith; while the Persians forces were driven to battle to defend a mundane worldly imperial structure based on incendiarism and fire worship. Rustum contacted Saad ibn Abi Waqqas to send an envoy for peace talks, and for several days

OMAR IBN AL-KHATTAB
THE TRIUMPH AT AL-QADISSYAH

By : Dr . Anas Moustafa El-Naggar, M.D., ph.D.

Saad ibn Abi Waqqas had been commissioned as the commander of Muslim warriors of the Iraq crusade. Ameer Al-Moomineen Omar ibn Al-Khattab was directly involved in the situation at Iraq to the most minute detail. Omar continually wrote to Saad, assertions of advice on strategy of battlecraft, on wisdom in foresight, and on piety in obedience to the Divine Words of Allah. Saad ibn Abi Waqqas was at the head of a very heavy responsibility, being in charge of twenty five thousand men, and expecting the arrival of eight thousand men from the Syrian front. At Al-Qadissyah, Saad was to confront the most colossal numbers and mastery of military machine of the Persian forces, under the command of Rustum ibn Al-Farkhzad, the most widely reputed military authority in the Persian High Command.

The Muslim Persian hostilities had reached a zenith where reconciliation was futile. The Muslim crusade in Iraq was basically to proliferate the teachings of the Divine Faith to spread its doctrines, and to establish its beliefs of justice and civility for the reformation of mankind. Islam is a universal progressive ecumenic doctrine that must be instituted. This firm belief in the hearts of Muslims was the dominant source of energy that sustained the Muslim warriors, and this sustenance was from the Divine Transcendant Power of Allah. They firmly believed in that Power from Allah to raise people guide the destiny of the world. To this end, nothing was precious in life except to strife and struggle on the path of Allah. The Persian military machine, and the Persian House of Monarchy were defending the pompous existance of the Emperial Sovereignty, an existance, that by all measures of truth and facts, was mortal. An empire that was founded on feudalism and regimes of despotic tyranny of exclusive power and monarchial worship. The long seated archaic Persian Empire had always considered Iraq with its residents of Arab tribes part of the Empire with Al-Madaain as capital of Persian Iraq. Strategically, Iraq had been the defence buttress between the Persian Empire and the Roman Empire during the long standing Persian Roman hostilities.

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART VII

RAJAB 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

"The Triumph at Al-Qadissyah"

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Economic Integration in Islam_ Part I

By: Lotfi Ali Soultan.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شعبان ١٤١٠
مارس ١٩٩٠
الجزء الثامن
السنة الثانية والستون

المكتبة الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة في الغرانيق

٢

إن الرواية إحدى الفِرَى الكبرى على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى فرية لم يتكلم بها أعتى المشركين كفراً وأشدهم عداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أمثال أبي جهل - عليه اللعنة - ومن والاه ؛ إذ كانوا على كفرهم وعتوهم يأنفون من الكذب ، وفي ذلك دلالة على أن صانعها ممن يتقن الكيد في خَفَاء ، وهل فات المسلمون قارئو السيرة النبوية أن عرضا قدم لمحمد - صلى الله عليه وسلم - من هذا القبيل فرفضه وأباه..

ألم يقولوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : نَعبد إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما ، فأبى وهل في الدين مساومة ، أو في العقيدة مماكسة !؟

ثم من عجب أن تجعل الرواية قراءة هذه الفِرْيَة في سورة النجم .

في السورة التي يُقْسِمُ المولى - عز وجل - في افتتاحها على أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - مُنَزَّهٌ عن شائبة الضلال والغواية ، لا يَعْدِل عن طريق الحق ، ولا يعتقد باطلاً قط ، ولا ينطق إلا وحياً من الله - سبحانه - إليه - صلوات الله وسلامه عليه ، فيقول :

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ وأشد من ذلك غرابة أن تُقحم الفرية عقب قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ ثم تليها آيات الله ـ تبارك وتعالى ـ فى ذم الأوثان . !!

أفكان أقطاب البلاغة والفصاحة من رجال مكة بُلْهاء لا يفهمون ، وفقدوا التمييز فلا يَعُون تناقض المدح والذم فى ذات واحدة ووقت واحد فى مجلس واحد .

لقد شهد الحق ـ جلا وعلا ـ لرسوله بصدق القول وأمانة التبليغ . حتى حديثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى غير القرآن الكريم لا يتجاوز الحق بحال ، بل كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يمزح ولا يقول إلا حقا ، وأقر علماء الحديث الشريف :

أنه لا خلاف بين علماء المسلمين المعتد بهم أن كل ما صدر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير هو من عند الله تعالى أنزله الله على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بواسطة الوحى كما لا خلاف على أن القرآن لفظه من عند الله تعالى .

ولقد دار بِخَلَدِ ناسٍ من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكون بعض ما يقول رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديثا بعيداً عن الشريعة ، وكان لهم ـ فى ذلك ـ موقف مع عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال :

« كنت أكتب كل شىء أسمعه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أريد حفظه فنهتنى قريشٌ فقالوا : إنك تكتب كل شىء تسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

اكتب ؛ فو الذى نفسى بيده ماخرج منى إلا حق » رواه أحمد فى المسند ٢/١٦٢ وفى رواية أبى داود : ... « مايخرج منه إلا حق » والرواية أيضا بمسند الدارمى .

هذا لسان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمين قويم لا يأتيه باطل ، ولا تلقى عليه شبهات .

وما الغرانيق إلا فِرْية ما يقولها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كتاب الله الكريم ولا يقررها فى غير كتاب الله ، لأنها الأوثان التى جاءت رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتمحو عبادتها وتهدر قيمتها ، وتقيم للناس الصراط المستقيم .

إذا فلمن هذه الكلمات ؟

من القائل : تلك الغرانيق العُلَى ، وإن شفاعتهن لتُرْتجى .. ؟

وهل هو فرد ؟ أم جماعة ؟ ومتى تقال ؟ وأين .. ؟ ولماذا .. ؟

هذا ما ينبغى الإحاطة به حتى يستقيم لباحث كل ما يتصل بهذا الموضوع .

روى البخارى بسنده باب حج أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ سنة تسع من الهجرة ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه :

« إن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بعثه فى الحجة التى أَمَّرَه عليها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل حجة الوداع[1] فى رهط يؤذن فى الناس : ألا يَحُجَّ بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان » كان ذلك أمراً من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ألا يحج بعد هذا العام - العام التاسع - مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان من رجال أو نساء .. انتهى الشرك وأثره .

فأما من قبل ذلك حتى نهاية حج الناس فى العام التاسع فقد حج المشركون بـ(تلبياتهم) الخاصة بأصنامهم ، نذكر منها شيئا - على سبيل المثال - حتى تنتهى إلى تلبية قريش ، ثم من شاء الزيادة فعليه بكتاب « المُحَبَّر » لابن حبيب البغدادى[2] .

فكانت لهم تلبية عامة يذكرون فيها المولى عز وجل ثم يشركون معه آلهتهم ، فيقولون : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك . إلا شريك هو لك . تملكه وما ملك » ثم يلبى بعد كُلُّ منهم لأوثانه :

فَيُلَبِيّ عَبَدَةَ الوثن (جهار) إذا نسكوا له قائلين :

لبيك اللهم لبيك . لبيك اجْعَلْ ذُنوبنا جُبَار[3] ، واهدنا لأوضح المنار ، ومتعنا وملّنا بجُبَار » .

ويلبى عَبَدَة (ذريح) :

« لبيك اللهم لبيك . لبيك كُلُّنا كَنُود[4] ، وكلنا لنعمة جحود ، فَاكْفِنَا كل حَيَّةٍ رصود » .

وفى تلبية من نَسَكَ لـ(سواع) :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك أَتَيْنَا إليك . إن سُوَاعَ طلبتنا إليك » .

وفى النص بيان واضح باتخاذها قربى إلى الله على زعمهم .

وكانت تلبية قريش ومن والاها من الحمس وهى تطوف بالكعبة :

« واللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . فإنهن الغرانيق العُلا ، وإن شفاعتهن لترتجى »[5] .

ولا نشك أن قريشا لإعزازها هذين الوثنين كانت تلبى لهما فى مواطن الحج كلها فضلاً عن ترددها لهذه التلبية عند طوافها فى أى وقت بالبيت .

ليس محمد - صلى الله عليه وسلم - إذن هو قائلها ، وإنما هى من محفوظ المشركين لأوثانهم وقد نشأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طفلا يمقتها جميعا حتى إذا أكرمه الله بالرسالة ، وأعزه بالنصر هدمها جميعا . عليه الصلاة والسلام .

ثم أما بعد :

فقد قال شيخنا العلامة حسنين محمد مخلوف - عقب تفسيره لآية الحج التى أراد المفترون أن يجعلوها ختاما لمفترياتهم وقد شرحها فى ضوء الحقيقة - قال عن قصة الغرانيق المفتراة : « هى من وضع الزنادقة كما قال محمد بن إسحق .

وقال البيهقى - رضى الله عنه - : إنها غير ثابتة من جهة النقل ثم طعن فى رواتها .

وقال القاضى عياض فى توهين هذا الحديث : إنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند صحيح متصل .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) حجة الوداع كانت فى السنة العاشرة من الهجرة عاش بعدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أياما ثم لحق بالرفيق الأعلى

(٢) تتبعناها جميعا فى كتابنا « الوثنية العربية وأثرها فى الأدب الجاهلى » الأدب والنقد - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - ١٩٧١ .

(٣) جُبَار : هدر . (٤) كنود : كفور جحود .

(٥) راجع للكلبى - الأصنام ص ١٩ ط- دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ .

مع الإمام الأكبر

ليلة النصف من شعبان

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

● في الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وابو داود : عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ـ ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم . وما رايت رسول الله ـ ﷺ ـ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رايته في شهر اكثر صياما منه في شعبان .

● وفي رواية لابى داود قالت : كان أحب الشهور إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ان يصومه شعبان ثم يصله برمضان .

● وفي الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى عن ام سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : لم يكن النبى ـ ﷺ ـ يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان .

● وفي هذا دليل على ما كان لشهر شعبان في الإسلام من مكانة خاصة بين الشهور فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

● وفي الحديث الذى رواه النسائى عن اسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال : قلت : يارسول الله لم ارك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين واحب ان يرفع عملى وانا صائم» .

● قال الشوكانى : ولعل الحكمة في صوم شهر شعبان انه يتعقبه شهر رمضان ، وصومه مفترض فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يكثر من الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين من غيره لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

● ومن الأحداث العظيمة التى وقعت في هذا الشهر المبارك تحويل القبلة في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة .

● ففى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كان رسول الله - ﷺ - يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله - ﷺ - يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فانزل الله :﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .. فصلى مع النبى - ﷺ - رجل ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الانصار فى صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس فقال وهو يشهد أنه صلى مع رسول الله - ﷺ - وانه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

● وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : (بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله - ﷺ - قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد امر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة) .

● وفى رواية للنسائى عن سعيد بن المعلى ، أن أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت : (صلاة الظهر) .

● وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة .

● وقد امتن الله على المسلمين باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل ، فقال تعالى : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

● ومن مكارم هذا الشهر المبارك ما روى عن ليلة النصف منه وما كان يخصها المصطفى - ﷺ - بعبادة متميزة تبيانا لفضائلها .

● ففى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - قال : «يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» .

● وفى رواية الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - قال : «يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس» ..

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «قام رسول الله - ﷺ - من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت ، فسمعته يقول فى سجوده : «أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك» فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من

صلاته قال : «ياعائشة ، او يـ حميراء : اظننت ان النبى - ﷺ - قد خاس بك ؟ قلت : لا والله يارسول الله ، ولكني ظننت ك قبضت لطول سجودك ، فقال : أتدرين اى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله اعلم . قال : هذه ليلة النصف من شعبان ، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم» .. رواه البيهقى وقال إنه مرسل جيد .

● ومعنى (خاس بك) اى غدر ، وكانه صلى الله عليه وسلم يقول لها : «اظننت اننى قد غدرت بك وذهبت إلى إحدى نسائى فى ليلتك» ؟

● هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شان ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها وصوم يومها طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه واناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين اجرهم بغير حساب ، وخير ما يعبد الله به فى هذه الليلة المباركة:الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إيَّاه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله - ﷺ - فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير وسائر انواع الذكر وعلى صوم يومها كما اثر عن رسول الله - ﷺ - .

● هذا ولم يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام دعاء خاص فى هذه الليلة .

● ولعل الأولى التادب بادب القرآن والتزام ما جاء فيه من ادعية جرت بها آياته ، وما اثر عن رسول الله - ﷺ - من جوامع الدعاء ، إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق ابواب الشرور والآفات ، ومن ادب الدعاء الإخلاص ، والإقبال على الله ، فادعو الله مخلصين له الدين ، واقبلوا على الله لاسيما فى مواسم الخير والبر يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

حوار مع
فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر
أجرته جريدة "القبس الكويتية"(*)

س : ماهو انطباعك عن زيارتك الأولى إلى الكويت ؟

جـ : إنه وإن كانت هذه أول زيارة إلى الكويت إلا أن ما أعرفه عن نشاط الهيئات والجمعيات الخيرية فى الحقل الإسلامى وفى أنحاء متعددة من البلاد الإسلامية يجعلنى أثق دائما بأن الكويت أميرا وحكومة وشعبا مستمر فى العطاء لخير العالم الإسلامى .. سواء فى التعليم ، أو فى الدعوة، أو فى الإغاثة ، وإتابع مايقوم به صاحب السمو أمير البلاد لخير المسلمين فى شتى القضايا بكل تقدير وإعزاز .. والأمل أن يتزايد هذا العطاء حتى يتواصل الخير إلى الشعوب الإسلامية التى تحتاج إلى المزيد من التعاون والتكافل .

س : ماملاحظاتك على مسيرة الدعوة الإسلامية فى الكويت ؟

جـ : إن جهود الهيئات الكويتية فى مجال الدعوة أمر ملموس ، ولتجويده يحتاج إلى التكامل والتنسيق والمتابعة .. كما أن « وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية » لها جهد ودور هام فيما تقوم به من إحياء التراث الإسلامى بفنونه المتنوعة ، وبموسوعة الفقه الإسلامى للمذاهب الأربعة التى تسير فى طريقها بجد ونشاط .. حيث صدر منها عشرون مجلدا ، ولها فى نطاق الدعوة والتعليم كذلك الجهد المشكور ، الأمر الذى يشعر بأن مسيرة الدعوة الإسلامية فى كنف الكويت تأخذ المجرى الطبيعى الهادف بمشاركة الهيئات الشعبية والدولة .

س : يتخلف المسلمون اليوم عن ركب العصر . برايك اين تكمن إشكالية المسلمين ؟

جـ : أعتقد أنه فى سبيل تحديد أو توصيف المشكلات المسئول عنها ، ينبغى أن نعلم أن الشعوب الإسلامية على اختلاف مواقعها ولغاتها قد نكبت بالاستعمار بمختلف أشكاله الذى

(*) ٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ ـ ٣ من يناير سنة ١٩٩٠ م

استنزف مواردها ، واتفق على تغيير هوية المسلمين فى كل أمور حياتهم ، فأدخلت نظم تعليم غريبة على المألوف لدى المسلمين بدعوى التحديث ، ولكن الواقع والمستهدف هو التغريب .. وكان لهذا أثر واضح فى تنوع خطط ومناهج التعليم فى كل شعب على حدة .. مما أوجد التفاوت فى الثقافات بين الشعوب الإسلامية .. كما كان لهذا التغريب أثر واضح فى انزواء الثقافة الإسلامية بالمعنى العام فضلا عن التخصصات العلمية والعلوم العربية والشرعية لاسيما علوم القرآن وعلوم السنة ، ولابد لتعود الأمة الإسلامية إلى ذاتيتها أن تكون لها خططها ومناهجها فى التربية والتعليم بكافة مراحله ، وأن تتخلص مما ابتليت به فى فترة الاستعمار العسكرى من تغريب وإمعان فى الإبعاد عن هويتها الإسلامية .

وهذا يحتاج إلى تواصل القائمين على أمور التربية والتعليم ، ونشر الدعوة الإسلامية ، وتلاقيهم فى توصيف العيوب التى ترسبت خلال فترة الاستعمار العسكرى ، ومواجهتها بالعلاج المناسب من مصدرى الإسلام اللذين قال عنهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

« تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما ؛ كتاب الله وسنتى »

ولابد أن يستقر فى أذهاننا - نحن المسلمين - جميعا أن ماترسب خلال فترة الاستعمار العسكرى مازال يحيا ، وربما ينمو بفعل الغزو الفكرى الدائب والمتنوع الطرق والقنوات ، والذى يلبسه باعثوه ثوب الإسلام وأوصافه فى كثير من الأحيان .. وبالأكثر ربما يكون نافخوه أفرادا ينتسبون إلى الإسلام ، وهذا ما ينبغى التعرف عليه والوقوف فى مواجهته موقف الجد والحزم .

فقد صار نشر الفكر ميسورا بحكم سرعة المواصلات والاتصالات فى وقتنا الحاضر .

س : الإجراءات الصهيونية التى تدعو إلى بناء هيكل سليمان المزعوم فى القدس على أنقاض المسجد الأقصى .. هل هى دعوى محقة تستند إلى أساس دينى صحيح ؟

وكيف يمكن أن يتصدى العرب والمسلمون لهذا الخطر القائم ؟

وما الذى يمكن عمله على الصعيدين العربى والإسلامى فى هذا الميدان ؟

جـ : إن الادعاء الصهيونى الموجه إلى المسجد الأقصى فى محاولة للتخلص منه ، وإحلال الهيكل المزعوم أمر ليس جديدا ، وهم يتنادون إليه بجدية منذ كانت إسرائيل واقعا على أرض فلسطين ، وتعالت أصواتهم ونداءاتهم وتهديداتهم منذ أن صارت القدس بمقدساتها وفى مقدمتها المسجد الأقصى - تحت أيديهم فى أعقاب حرب ١٩٦٧ .. وهم بحكم السطوة والسلطة من هذا التاريخ لايهدأون بل يتراكضون حول حرم المسجد الأقصى وسائر المقدسات ، وادعاؤهم هذا لا سند له فى التاريخ .. فهذه المقدسات إسلامية ، وفى حماية المسلمين منذ أن دخلت القدس فى الإسلام فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وبتسلمه مفتاحها وعهده الذى قطعه على المسلمين ولغير المسلمين بحماية هذه المقدسات ، ونظرته - رضى الله عنه - إلى حماية الكنيسة التى كانت قائمة ووصيته فى شأنها .. فادعاؤهم هذا باطل لاسند له إلا القوة الغاشمة .

وهذا ما يوجب على المسلمين بصفة عامة وعلى العرب بصفة خاصة ، التصدى له لحماية هذه المقدسات حتى بأرواحهم ، ودفع هذا الخطر بإيضاح جذوره ومعالمه لكافة المنظمات الدولية .. ولابد من اتخاذ إجراء سياسى تشارك فيه كافة الحكومات والمنظمات الإسلامية تحمى بمقتضاه هذه المقدسات .

س : المستجدات فى حياة المسلمين كثيرة اليوم خاصة فى قضايا المصارف والاقتصاد والمال . ما مدى اتساع الإسلام لفقه جديد (وليس بشرع جديد) يستوعب قضايا العصر فى ميادين الاقتصاد والمصارف والمال ؟

جـ : إن قواعد الإسلام التشريعية والتنظيمية صالحة لحكم الحوادث ، بل هى حاكمة للواقعات المستمرة والمستقرة كما تحكم كل جديد فى واقع الحياة فى كل عصر ومكان .. ليس هذا ادعاء وإنما هو واقع لكل من درس أو يدرس الإسلام ـ عقيدة وشريعة حيث يرى هذا فى نصوصه من القرآن والسنة ، وفيما استنبطه أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأئمة الفقه المجتهدون .. مما نحتاج إليه فى القضايا الجديدة والمتجددة سواء فى أمور المال والاقتصاد والمصارف أو فى غيرها من سبل التعامل مع العالم المتنوع المذاهب والأديان والتشريعات .. كل هذا نجده فى شريعة الإسلام .. الأمر فقط يحتاج إلى أن ندرس الواقعات ، ونحدد معالمها ، حتى يمكن للمتخصصين من علماء الشريعة إسباغ الحكم المستنبط من أصول الإسلام وقواعده .. إذ المعروف أن التشريع الإسلامى جاء بمثابة قواعد كلية ، تعم وتشمل ماجد أو يتجدد من واقعات .. وينبغى أن يكون معلوما أن اجتهاد المتخصصين فى الاستنباط إنما يكون لإسباغ حكم شرعى على الواقع المعروض فى ميادين الاقتصاد والمصارف والمال ، فإذا كان هذا الواقع قد افتقد شرعيته الإسلامية كان على الفقهاء أن يحددوا موضع المخالفة فى الصورة المعروضة للتعامل ، وكيف تصحح بحيث تجرى فى نطاق أحكام الشريعة الإسلامية ، إذ المأثور فى السنة النبوية الشريفة ، أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوّم صورا من المعاملات التى كانت سائدة ، بحيث دخلت فى نطاق الإسلام .

ولعل من أقرب هذه الواقعات قصة استبدال التمر الردىء بتمر جيد .. فقد بادل خادمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاعين من الردىء بصاع من التمر الجيد .. فقال له الرسول : إن هذا هو عين الربا ولكن بع الردىء واشتر بثمنه الجيد .. فهذا إرشاد منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمتفقهين من بعده إلى أن المعاملة التى تدخل فى نطاق المحرم يمكن تقويمها لتندرج فى نطاق الحلال .. كما لايغيب عن بال من يواجه الحكم على المستجد من الحوادث أنه لاينبغى النظر إليها كقضية مسلمة لا تقبل التحوير ولا التغيير حسبما يدور فى النقاش الآن فى ميادين الاقتصاد والمصارف والمال .

س : هل ترى فضيلتكم انه يمكن تكييف معاملات المسلمين اليوم مع البنوك بانواعها التى تملأ الدنيا وتشغل الناس ؟

جـ : لعل الإجابة عن هذا السؤال توحى بها الإجابة عن السؤال السابق .

←

فإن الأولى فى صيغة السؤال : أن يقال : هل يمكن تقويم معاملة البنوك بأنواعها لتندرج تحت معاملات الإسلام ؟

بمعنى أن الإسلام قد جاء تشريعه شاملا لكل ماكان وما يكون من معاملات تجرى بين الناس بقواعده العامة التى جاءت فى صور كلية والتى تندرج تحتها كافة الجزئيات .. ومن هنا كان توجيه الله فى القرآن إلى هذا المسلك بأن ترد الواقعات موضع الاختلاف إلى الله ورسوله .. بمعنى أنها تعرض على القرآن وعلى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس أن تطوع نصوص الإسلام إلى مايجرى أو يحدثه الناس من أعمال وتصرفات يشير إلى هذا قول الله سبحانه فى سورة النساء ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الآية ٥٩ من سورة النساء) .

وكذلك قوله تعالى فى ذات السورة ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الآية ٨٣) .

وهذه الآية الأخيرة تشير إلى أن رد الواقعات التى تحتاج إلى استنباط حكم أو استظهاره إنما يكون إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته ، وإلى ما أثر عنه بعد مماته .. وإلى العلماء الذين هم أولو الأمر فى الاستنباط من نصوص الشريعة بوجه عام ..

وليست أعمال البنوك كلها فى مستوى حصانة النصوص الشرعية .. فالأولى أن ينظر فى تطويع أعمال البنوك إذا خالفت النصوص الشرعية فى أى حكم تطلب الاستنباط .. ولعله من المقطوع به أن أعمال البنوك منها ماهو داخل فى نطاق أحكام الشريعة ، ومنها ماهو خارج عليها .. وهذا الأخير هو الذى يحتاج إلى النظر والتقويم ليندرج فى نطاقها خاصة فى التعامل فى بلاد الإسلام .

أما التعامل خارج البلاد الإسلامية أو بينها وبين غيرها فله رخص أخرى بينتها كتب الفقه وأصوله .

س : الأقليات الإسلامية فى بلاد الغربة تواجه مشاكل العصر ومستجداته بفقه يناسب أوضاعها فى مجتمعاتها .. وهو مايعرف الآن بفقه الأقليات .

هل ترى فضيلتكم أن هذا فقه صحيح ؟ وهل ترى أن مثل هذه السابقة تصلح للتطبيق فى مجتمعات أخرى غير تلك المجتمعات انطلاقا من مقولة : الحاجة والضرورة ؟

جـ : المسلم يستظل بأحكام الإسلام أينما كان .. يؤمن بها ، ويطبقها فى نطاق قوله سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الآية ٧ من سورة الحشر) .

وقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً .. كتاب الله وسنتى » فالمسلم مطلوب منه التزاما بأحكام الإسلام أن يؤدى ما أمر الله ورسوله به وينتهى عما نهى عنه .. أيا كان موقعه .. سواء أكان فى ديار الإسلام أم فى أمكنة تغلب عليها

ديانات وأعراف أخرى ، وكان من رحمة الله بالمسلمين أن قرن الطاعة بالاستطاعة ، فقال في سورة التغابن ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾الآية ١٦ .

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ « فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .. وفى ظل هذه الرحمة التى أنعم الله بها على عباده يكون للمسلم حرية تقدير موقعه فى ديار الإسلام التى تقام فيها أحكامه وفى ديار غير المسلمين .. فما استطاع تنفيذه من أحكام الإسلام كان ملزما باتباعه ، ومالم يستطع لتعذره باعتباره حكما جماعيا كان معفوا عنه بشرط ألا يستحل محرما يستطيع البعد عنه ، وما عبر عنه السؤال بفقه الأقليات ليس بعيدا عن الفقه الإسلامى فى شتى المذاهب .. فقد تحدث الفقهاء عما يقع تحت هذا العنوان مما يخص المسلم فى ديار غير المسلمين ، وينبغى الالتزام به عند النظر فى مثل هذه الأمور فإن الفقهاء اتبعوا آثار السابقين من الخلفاء الراشدين والصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وأصَّلوا ما يعبر عنه رجال القانون الآن بإقليمية القانون ، وهى متمثلة فى الفقه الإسلامى تحت اصطلاح : دار الإسلام ودار الحرب .

س : تتضارب آراء الفقهاء المسلمين وفتاواهم أحيانا .. فنجد بعض الفتاوى الفردية تناقض الفتاوى التى تصدر عن مجامع فقهية كبيرة .. هل يجوز الأخذ بالرأيين ؟ أم ترى فضيلتكم ضرورة الالتزام بالفقه الجماعى الذى يصدر عن المجامع الفقهية وترك الفقه الفردى فى المسألة عينها ؟

جـ : فى المعنى الذى يهدف إليه هذا السؤال .. نأخذ الفتوى من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه الطبرانى فى الأوسط .. حيث سئل الرسول عن الأمر يحدث ليس فيه قرآن ولا سنة .. فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجمعوا له العابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة » .. وهذا النص الشرعى يوجه كل مسلم إلى التحرى عمن يأخذ دينه ، ولا شك أن الرأى الجماعى أولى وأحق بالاتباع نزولا على هذا التوجيه الكريم من صاحب الشريعة ـ صلى الله عليه وسلم .

س : ماهى طموحات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ؟

جـ : إن خطوات هذا المجلس ومقاصده وأهدافه قد تغياها النظام الأساسى ولوائحه على الوجه الذى أقرته الهيئة التأسيسية للمجلس التى انعقدت لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩٨٨ والتى تتمثل فى الأهداف والمقاصد المنوطة بلجانه الخمس وهى :

١ ـ لجنة التعليم والدعوة ومقرها القاهرة وأعمالها منوطة بالأزهر الشريف .

٢ ـ ولجنة الإغاثة .. ومقرها جدة .. وتقوم عليها هيئة الإغاثة الإسلامية .

٣ ـ ولجنة المعلومات والمتابعة .. ومقرها مكة المكرمة .. وتقوم على أعبائها رابطة العالم الإسلامى .

٤ ـ ولجنة التمويل والاستثمار .. ومقرها الكويت ، وتقوم على أعبائها الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية .

٥ ـ ولجنة النشر والإعلام .. ومقرها بغداد ، وتقوم على أعبائها منظمة المؤتمر الشعبى الإسلامى .

فطموحات المجلس متمثلة فى أعمال هذه اللجان التى تنبىء عنها مهامها .. كما أنه فوق هذا فقد أنبأ عن مهمة المجلس تلك التسمية التى ارتضتها له هيئته التأسيسية (المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة) .

س : ماتقييم فضيلتكم للدعوة الإسلامية فى الخارج ؟

جـ : إن الخير فى أمة سيدنا محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يوم القيامة . والدعوة الإسلامية بعون الله ماضية فى طريقها فقد حملها رجال نسأل الله لهم أن يكونوا ممن قال الله فيهم فى سورة الأحزاب : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ وكل عمل يحتاج إلى المراجعة وتخير أيسر الطرق وأنسبها لكل موقع على أرض الله .. وهذا ما يجتهد العاملون فى حقل الدعوة للوصول إليه قولا وعملا حتى يتجاوزوا ما قد يعترض سير الدعوة من عقبات أو معوقات .. وحتى يتخيروا للدعوة الرجال المؤهلين لها .. الذين لهم قدم صدق بحيث يؤدون هذه الرسالة بما شرع الله وبما أمر إبلاغا للإسلام الذى كلفوا بحمل رسالته ، وهم يذكرون دائما قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « بلغوا عنى ولو آية » ..

س : هل تؤيد فضيلتكم عقد مؤتمرات تضم علماء الاقتصاد والقانون والشريعة للخروج بآراء فقهية فى كيفية استثمار المال ومعاملات البنوك فى العصر الحالى أسوة بما يحدث فى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ؟

جـ : إن فكرة الاجتهاد الجماعى لاستظهار أو استنباط حكم الحوادث المتجددة هى الفكرة المثلى فى هذا العصر .. وهى ليست جديدة على العمل التشريعى الإسلامى . فقد أثر عن الخليفة أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يجمع فقهاء الصحابة ، ويعرض عليهم القضايا التى لم يجد حكمها ظاهرا فى القرآن ولا فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى اتصل علمه بها .. ولعل أقرب الأمثلة أنه حين سألته جدة عن ميراثها .. قال : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا ، فلما اجتمع الصحابة فى المسجد عرض عليهم هذه القضية .. فشهد اثنان منهم بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورث الجدة وأعطاها السدس وأقر الحاضرون هذا فأمضاه أبو بكر .. وهذه سنة متبعة جرى عليها الخلفاء من بعده .. فكان عمر من بعده يرجع فى قضائه وفتواه إلى القرآن والسنة .. ثم إلى قضاء أبى بكر وفتواه .. ثم إلى فتوى الصحابة يشاورهم فيما جد من حوادث .. وما موضوع غنائم الأرض المفتوحة وقسمتها بين القائمين بغائب عن المسلمين ، وما بذل فيه عمر من اجتهاد وجهد فى اجتماعات متعاقبة عديدة حتى استقر الأمر فيها ، وليت المسلمين فى هذا العصر يقبلون ويقفون عند حدود هذا المنهج ، ويحيونه بتقاليده العلمية ـ كما نعبر الآن ـ يسترشدون بموروثاته ، ويقننونه ليلتزموا بنتائجه وآثاره .. ونذكر الخبر المروى الذى رواه الطبرانى فى الأوسط عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذى هو أصل المشروعية لهذا المنهج .. حيث جاء فيه أن رسول الله سئل عن الأمر يحدث ليس فيه قرآن ولا سنة ، فقال صلى الله عليه وسلم ـ « اجمعوا له العابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برأيك خاصة » .

وبهذا يكون عقد المؤتمرات التى تجمع بين العلماء ذوى التخصصات لاستظهار أو استنباط حكم شرعى لأمر جديد .. أيا كان هذا الأمر : فى الاقتصاد أو السياسة أو الطب بفروعه أو نحو

ذلك ، وكل هذا ليس جديدا على الإسلام ، وإنما هو من منهجه ، ومما شمله القرآن بحكمه فى قول الله سبحانه :﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ وقوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾.

س : ماتقييمكم للإعلام الإسلامى الحالى ؟

جـ : لامراء فى أن قنوات الإعلام وسيلة قد تنوعت فى هذا العصر ، وأنه أصبح يغزو الناس فى كل وقت وعلى كل حال : فى بيوتهم بل وفى مضاجعهم ، وفى أعمالهم وفى الشوارع فى المواصلات والاتصالات ولكن الإعلام الإسلامى فى حاجة إلى ترشيد من أهله ، وتنقية ممن يلون أمره .. بأن يواجه قضايا الائتلاف بين المسلمين .. لا أن يزيد الخرق اتساعا .. فالماثل بوجه غالب هو إحياء ما اندثر من أقوال ومذاهب نبتت فى أوقات الفتن ، ولخدمة أغراض سياسية خاصة .. وغاب عن الإعلام الإسلامى فى هذا العصر قراءة التاريخ الذى مر بالشعوب الإسلامية فى القرون الأخيرة التى استكانت فيها هذه الشعوب لما وقع عليها من استعمار لأرضها ، وانتهاب لثرواتها ، ومن محاولات جادة لصرفها عن دينها .. كل هذه المؤثرات غيبت الكثيرين من المسلمين عن الصحيح من أحكام الإسلام .. فتكاثرت على الشعوب الاتجاهات المختلفة التى توزعتها حتى صارت فرقا ومذاهب شتى .

ومن هنا كان على الإعلام الإسلامى أن يتغيا جمع هذه الشعوب ، ونصح الحكام على أن يلتقوا على أصول الإسلام التى لاخلف ولا اختلاف عليها كما أنبأنا بذلك سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا .. كتاب الله وسنتى » إن المرض إذا استحكم فى الجسد ، وتنوعت أسبابه ، كان حتما على الطبيب أن يبدأ فى العلاج بأسلوب الأوليات .. والأمة الإسلامية قد أصاب جسدها الواحد أمراض متنوعة . أخطرها هذا التفرق والتمذهب دون سند من كتاب الله أو سنة رسوله ، والإعلام الإسلامى هو القناة النابضة السريعة الحركة بين هذه الشعوب ، وهو ماء جار ، فلابد أن يكون طاهرا مطهرا من اللغو والفتنة والتفرقة ، وأن يكون دستوره وعنوانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وأن يردد دائما قول الله سبحانه :﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وأن ينقى مجراه من كل خبث من القول ، ومن كل دخيل من الفكر هدفه إفساد المسيرة ، وتعطيل الصحوة الإسلامية ليجعلها تضىء قليلا ، وتخبو كثيرا .

والأمل أن يزداد ضوؤها حتى يعم شعوب الأمة الإسلامية فى كل مكان ، لتجتمع كلمتها على هدى الله وشرعه فقد وضع الإسلام لها علامات محددة للوحدة .. أليست صلاتهم واحدة ، ويتجهون إلى قبلة واحدة ويصومون شهرا واحدا ، ويؤدون فريضة الحج فى مؤتمر عام يجمعهم من كافة أنحاء الأرض فى وقت واحد ، لايفرق بينهم اختلاف الألوان أو الألسنة أو الغنى أو الفقر فكلهم كما سماهم ربهم فى قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ إن الله شرع للمسلمين التوبة ، والتوبة فى مضمونها مراجعة للأعمال ، وعدول عن السقيم منها إلى المستقيم .

فهل للإعلام الإسلامى أن يفعل هذا ؟ نرجو ذلك .

سجل اللقاء فضيلة الشيخ مهدى عبد الحميدمدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر
صححه وراجعه فضيلة الشيخ عبد الكريم محمد عبد الرحمن
بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

لقاء فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

والسيد سفير يوغوسلافيا بالقاهرة

استقبل ـ ظهر يوم الاثنين ٢ من رجب ١٤١٠ هـ ـ الموافق ٢٩ من يناير ١٩٩٠ ـ فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ السيد سفير يوغوسلافيا بالقاهرة ، وبعد الترحيب والشكر أوضح السيد السفير انه قد تسلم عمله كسفير لبلاده منذ شهرين فقط وانه يهدف بزيارته هذه لفضيلة الإمام الأكبر توطيد العلاقة بين بلاده والأزهر ، حيث إنه يوجد عدد لا بأس به من المسلمين فى يوغوسلافيا نحو ، خمسة ملايين ، كما انه يوجد اكثر من مائة طالب يدرسون بالأزهر من مسلمى يوغوسلافيا .

فرحب به فضيلة الإمام الأكبر مرة أخرى وتمنى له إقامة طيبة مع الشعب المصرى المسالم والصديق .

وأضاف فضيلته : إن الأزهر كما هو معروف له تاريخ طويل يزيد على الألف عام وله صلاته العلمية مع شعوب العالم جميعاً لا سيما فى هذا العصر الذى قربت فيه المسافات من حيث المواصلات والاتصالات ، وهو بهذا يسعده ان يوثق صلاته بالسيد السفير وببلاده .

فاعرب السيد السفير عن شكره وامتنانه ، وان الأزهر معروف له جيداً ، كما ان الأزهر له سمعته الطيبة فى يوغوسلافيا وفى كل انحاء العالم ، وان كثيراً من طلاب يوغوسلافيا تخرجوا من الأزهر وانه بتمثيله ، يوغوسلافيا ، فى مصر يقدم شكره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر .

ثم استطرد السيد السفير موضحاً سبب الزيارة فى هذا الوقت قائلاً : كان فى نيتى تأجيل او تأخير هذه الزيارة ولكن لأن هناك معرض ، كتب ، بالقاهرة هذه الأيام ويوجد جناح

ليوغوسلافيا تعرض فيه بعض الكتب باللغة العربية فى كثير من العلوم الإسلامية .
ويشرفنى أن احضر مرة ثانية للأزهر لإهداء جميع هذه الكتب إلى مكتبة الأزهر الشريف .

فقال فضيلة الإمام الاكبر : مَرْحَباً بالسيد السفير فى اى وقت ، ومعروف أن مصر بلد صديق لليوغوسلافيين واعتقد أن فى هذا العصر مشاركة مصر ليوغوسلافيا فى قيادة حركة عدم الانحياز ، فلاشك أن هذا يجمع البلدين فى مناخ واحد .

ونحن نذكر الرئيس تيتو وعبد الناصر ونهرو حين اسسوا حركة « عدم الانحياز » وكان لها أثرها فى سياسة العالم وإنه لأمل عظيم أن تنمو هذه الصلات وأن يظل التعاون فى كافة المجالات سائداً بين البلدين والشعبين ..

فقال السيد السفير : فى الواقع انه توجد علاقة طيبة بين يوغوسلافيا ومصر وهذه العلاقة لها جذور ممتدة من أيام الدولة العثمانية ، ففى مصر دم يوغوسلاق ، وفى يوغوسلافيا دم مصرى وأضيف إن هناك علاقات إنسانية بين البلدين وهى أهم العلاقات .
فقال فضيلة الإمام : إن ما ينبغى أن يسود بين الشعوب هى الصلة العامة والإنسانية واعتقد أن العلاقة بين مصر ويوغوسلافيا هى علاقة إنسانية بالدرجة الأولى ، وأعتقد أيضاً أن مصر بصلاتها بكافة الشعوب تقوم على هذا الأساس ومصر فى سياستها المستمرة ضد العنصرية وضد أية تفرقة بين بنى الإنسان فى مختلف الشعوب ، واعتقد أن هذه السياسة الإنسانية هى التى يجب أن تسود الصلات بين الشعوب وحبذا لوفهم الكبار هذا ، فلو سادت العلاقات الإنسانية بين الحكومات والشعوب لما وجدنا العالم حاله هكذا اليوم ، والمأمول دائماً أن تتعاون الشعوب التى جمعت بينها الصفات المشتركة كما تجمع الصفات بين مصر ويوغوسلافيا ، واعتقد أن سياسة عدم الانحياز التى تبنتها مصر ويوغوسلافيا هى سياسة إنسانية .

فقال السيد السفير : فى زماننا هذا يجب أن تسود هذه السياسة جميع أنحاء العالم وهدفنا نحن ـ السلك الدبلوماسى ـ هو تمهيد الطريق لهذا التعاون السليم .

ثم كرر السيد السفير شكره على هذا اللقاء المشرف وأعرب عن أمله فى تكرار الزيارة .
ومرة أخرى رحب فضيلة الإمام الأكبر فى أى وقت .

وانتهى اللقاء ..
والله ولى التوفيق ..

حضر اللقاء وسجله
أحمد عبد الخالق محمد
المترجم بمكتب شيخ الأزهر
وراجعه وصححه الشيخ/ عمر البسطويسى على
بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

لماذا علّم الله آدم الأسماء كلها ؟

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

قال الله تعالى :﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَاعَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَاآدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاكُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

القائل في الآية الأولى هم الملائكة ، وهم عباد مكرمون ، لايعصون الله ماامرهم ويفعلون مايؤمرون ، ومع هذا النص الصريح في سلب المعصية عنهم ، وإثبات الطاعة لهم ، اختلف الناس في عصمتهم ، والجمهور على ثبوتها لهم لهذه الآية وماشابهها ، وخالف البعض ، استنادا إلى أن إبليس كان منهم وقد عصى ربه ، وفيما ذهبوا إليه نظر ، لانه من الجن خلقه ، وقد تصور بصورة الملائكة فلهم امر خاص بالسجود لآدم ، وله امر بقوله تعالى مخاطبا اياه : ﴿ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ .

والذى اراه ثبوت العصمة لهم حيث سلب الله عنهم المعصية واثبت لهم فعل الطاعة ﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَاأَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وهذا يسمى بالطرد والعكس ، فإن سلب معصيتهم للامر هو في النهاية فعلهم له ، ولما كان الامر قد لايعصى إن وافق مزاج المامور اكد ذلك بان الامر يفعل لذات الامر وإن خالف مزاج المامور وقد جاء في الحديث « لايؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

وفي تكوين الملائكة عنصر الخير ، وسكن معظمهم في السماوات العلى ، أما الإنسان ففيه العنصران الخير والشر ، وأيهماغلب فالحكم له ، فهو ملك كريم أو شيطان رجيم ، وكلمة : « سبحان » مصدر هكذا ورد ، ومعناه التنزيه ، وله صورتان ، نفى النقائص عن الله ، ونفى مشاركة غيره له في صفات الكمال ، إذ شرك الناس إما أن يتصل بالذات الإلهية ، كان يشركوا آلهة أخرى مع الله يعبدونها ، أو إشراك في الصفات ، كان يخلعوا على الآدميين صفة الربوبية ، فيجعلونهم أربابا ، يسندون لهم مالا يقدرون عليه ، وإما إشراك في السلوك والعمل ، كحب العصاة ، وبغض الطائعين ، والشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ، وأدناه أن تحب لغير الله ، أو تبغض لمرضاة سواه ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟،

فالتوحيد الذى جاء به الإسلام كلمتان : «لا إله إلا الله» ، وثمرتها وحدة القلوب والعقول على إشاراته .

والثانية : «محمد رسول الله» ، وثمرتها صيغة السلوك بتعاليمه ، وقولهم : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ هذا النص عند القائلين بصدور المعصية ، يعد توبة منهم ، والقائلون بمنع صدور المعصية ، يعتبر تسليما بالعجز الذى لم ينكروه ، وهذا مبنى على أن قوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ أهو سؤال عن الحكمة التى خفيت عليهم ، أم هو اعتراض صادر منهم ؟

والأقرب إلى الإيمان ، أن يكون سؤالا عن معرفة الحكمة ، وفى هذا النص بحث آخر عن أفعال العباد ، فعند فريق ، لاعلم لنا إلا ماحصلته لنا خلقا وإيجادا ، ودورنا فيه هو الكسب فى نسبته إلينا .

وعند فريق آخر ، لاعلم لنا إلا ما أقمت عليه الدليل ، فاهتدينا به بمحض إرادتنا ، ثم قال :

﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ جملة من التوكيدات ، لرفع توهم الشك فى عقيدتهم ، أكدوا بالحرف «إن» لتقوية الإسناد ، ثم «بكاف» الخطاب ، فهو ماغاب عنهم ، وما غاب إحساسهم به ، ثم توكيد ثالث بالضمير المنفصل «أنت» لبيان إخلاص توحيده من شائبة شرك ، ثم توكيد رابع بـ «ال» فى قوله «العليم» ، وفوق ذلك أنها صيغة مبالغة ، لأن علمه شمل الواجبات ، والجائزات والمستحيلات ، وعم الكليات والجزئيات : ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ثم أردف ذلك بوصفه بالحكمة : وهى وضع الشىء فى موضعه ، فتعلق العلم بالأزل ، وتعلقت الحكمة بالذى كان بعد أن لم يكن .

والعلم والحكمة هما سر سعادة الإنسان كما يتناسبان معه ، فبالعلم ينجو من الخرافة وحبالها ، فيرقى عقله ويتسع قلبه ، وبالحكمة يستقيم سلوكه وتنتج أعماله ما يراد من ورائها ، ومن الناس من يغتر بعلمه فينكر ماسواه ، ثم يتطاول فينكر الوحى الإلهى ، ولا يجرؤ أحد باسم العلم أن ينكر الإلهام بالغيب ، وأن يقول عنه إنه مستحيل ، إذ يتحتم عليه أن يقرر لنا حقيقة الزمن ، وحقيقة المستقبل ، وتجريد الكون من عنصر العقل غير عقل الإنسان والحيوان ، ولا شىء يناقض الدين كما ناقضته الأنانية ، وإن ثورة النفوس المؤمنة تبلغ غايتها إذا عبد غير الله ، والإسلام دعوة إلى توحيد الإنسانية فى حقوق واحدة ، وهداية واحدة ، وإيمان واحد ، وليست الملائكة ولا الجان فى صورتها الحية مخلوقات نامية فى معرفتها عالمة ما تعلمه بعد جهله ، متقدمة من الطفولة إلى الرشد ، إنما ذلك خاص بالإنسان ، وليست القداسة أن تكون نورا وأنت نور ، وليس الفخار أن تكون نارا وأنت نار ، وإنما القداسة أن تكون كذلك نورا وأنت تراب ، وهذا النوع الإنسانى تلقى وجوده من خالقه ، حياة تجيش فى ضمائره ، وفيما حوله بالحقائق الحية كائنا ما كانت أصداؤها فى عالم الحروف والرموز والإشارات والطلاسم ، ووحدة السليقة الدينية فى الإنسان أقرب إليه من وحدة القريحة والخيال الذى يجمع أشتاتا متنافرة ، وفى الحقيقة أن الأديان رباط بين ماهو مشاهد وماهو وراء الطبيعة : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : وعلينا أن نجهر بقول الملائكة ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ، وفى الوعى الدينى عوامل ذات بال لاتحسب من الفرائض والشعائر ولكنها من الخواطر التى تخامر النفس ، وتعمل عملها فى

لماذا علم الله آدم الأسماء كلها

تقويم الأخلاق المصطبغة بصبغة الإيمان ، ودعوى الامتياز الفطرى أضعف من دعوى الامتياز من طلب المعرفة حبا للمعرفة ، وعند اعترافهم بالعجز أمر آدم أن ينبئهم بما لم يعلموا ، وهكذا كان أبرز مافضل به الإنسان على غيره هو العلم ، ﴿ يَاآدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ولاشك أنه قد راعهم ماسمعوه من آدم بفضل تعليم الله له مالم يعلمهم إياه ، وقد أظهر الله ما أضمروه فى قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾. فلما أبهموا فى لفظ « من » ، أظهره الله بلفظ « آدم » والإنباء إخبار بما لم تسبق معرفته ، بخلاف الإخبار ، فقد تخبر إنسانا بما كان يعرفه ، فلما أنبأهم بأسمائهم حيث أمر ، دهشوا يقينا ، ونقل الله الكلام بين آدم والملائكة ، إلى كلام بينه سبحانه وبينهم ، فقال : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وهذا واضح فى قوله لهم: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فهو سبحانه يعلم الغيب ، لايظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، والغيب أمر نسبى ، فقد يعلم هذا مالم يعلمه ذاك ، والغيب المطلق لله وحده ، وهذا الاستفهام تقرير لهم بما بعد النفى ، فقد قال سبحانه إنه يعلم مالم يعلموه ، وزاد فى توضيح ذلك أنه يعلم ما أظهروه وما كانت تنطوى عليه نفوسهم وقلوبهم مما حملتهم الهيبة الإلهية على إخفائه ، فهم ما أخفوا وما أضمروا فى نفوسهم استتارا عن الله ، وإنما أخفوا حياء واستحياء ، وهذا أليق بالملائكة بخلاف البشر الذين يثنون صدورهم ليستخفوا منه : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ .

قال الباجى : إن البارىء تعالى يعلم أن المصلحة فى أن يتعبدنا بما لايقع لنا به العلم ، ويوجب علينا العمل به ، ويكون ذلك أبلغ فى المصلحة من تعبده بما يقع به العلم ، والحق أن هاتين الآيتين يجب أن تكونا مدارا للتربية والتعليم ، فالملائكة جلسوا مجلس المتلقين للعلم من آدم - عليه السلام - وهو قد جلس منهم مجلس المعلم الذى يعلم ما تقتضيه أساليب التربية ، استثار همة طلابه بالسؤال فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ، وفطن الطلاب ، فأدركوا ماوراء السؤال واعترفوا بالعجز قائلين :

﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ وقد غزا القرآن العقل والوجدان وآثار الانفعالات ، وخصائص التربية - كما نعلم - هى : اليسر والتدرج والبساطة ، ولعلم الله ، تفاوت الناس فى الإدراك فمنهم قليلو العلم ، ومنهم السطحى فى إدراكه ، ومنهم المشتغل بالقشور دون اللباب ، ومنهم من حصر نفسه فى الماديات وقصّر فى التطلع لما وراءها ، وماقص الله علينا قصة لنزجى بها وقت فراغنا ، بل لنعتبر ونستنبط ماينفعنا ، ونبعد عما يثقل كاهلنا ، فالتوحيد الذى حملته صيغة التنزيه هو سبيل القوة ، والمؤاخاة التى حملتها جموع الملائكة هى سبيل التعاون ، والمساواة التى تناولتها صيغة تعليم آدم هى سبيل العدل ، والحرية التى منحها الله للملائكة فى السؤال عما يعنيهم هى سبيل الكرامة ، والسلام الذى غض النظر عما يعكره هو سبيل الرخاء .

والقرآن أنذر به من كان حيا ، وأراد لنفسه استمرار الحياة ، ومن سجنته عقيدة زائفة ، فإنه محروم لا محالة من متع الحياة ، ولأجل هذا عمل القرآن على تحرير العقل من سجن الأوهام والخرافات ، وعندما كانت الملائكة مستعدة للتعلم ، أمر الله آدم بتعليمهم ، وأخبرهم أن فوق

كل ذى علم عليم . ومقومات التربية الإسلامية :

نشر العلم والمعرفة بين الناس ، وتكافؤ الفرص ، والنظرة التكاملية بالجمع بين المتضادات كالجبر والاختيار ، والجسد والروح ، والفرد والمجتمع ، والبيئة والوراثة ، والسلطة والنظام ، والكم والكيف ، والفكر والواقع . والحياة الاجتماعية كائن ينمو ويتطور ليبلغ ما فى طبيعة الإنسان من رقى ، فتعديل الرغبة التى تكون فى شكل خاطر لدى أول سنوحها لا تعد تقييدا للحرية وإنما فى الواقع هو تطور ورقى بها ، وتحويلها من طريق إرادة خاصة إلى ملتقى الإرادات .

والتعليم للتنمية ، والمفهوم الذى أذهب إليه من التنمية ، هو أنها تلك العملية التى تجعل من الإنسان محوراً لها ، حيث إنها عملية ترقية الإنسان بالإنسان ومن أجله ، واللغة وعاء الثقافة ، لها دلالة كبيرة على شكل هذه الثقافة ومضمونها ولونها واتجاهاتها ، وإن الاعتراف بعمق المشكلة أقرب إلى ميدان العقل والحكمة من الجهل بالمشكلة وحلها ، والمهمة الأساسية التى تقع على عاتق المفكر : أن يبحث عن المعايير التى يميز بها النافع من غيره ، والمحك الحقيقى لقوة الإنسان المعنوية هو سلوكه فى الميادين التى تمتحن فيها مصالحه ، وإن أداة الإدراك فى مجال العلوم - إيجاداً وتطبيقا - هى العقل بأجهزته القادرة على التحليل والاستدلال ، وغيب السماوات والأرض مستور عمن لم يشاهده ، يظهر الزمن مايسمح القدر بإظهاره ، وإن أحدا لايستطيع أن يتمرد على عصره إلا إذا اراد لنفسه الموت ، والقلب الروحى مركز العواطف ، ومجتمع العلاقات ، ونقطة الاتصال بين عالم المادة ، وعالم الروح ، وإذا كبرت روحية القلب ، تعددت خيوط علاقاته ، فله عين تبصر ، وأذن تسمع ، إذ هو مركز الضوء فى الحياة ، وفى أعماقه مصباح يضىء والمؤمن يرى بنور الله ، والذى أظهرته الملائكة وأخفته لاشأن لنا أن نتكهن به ، والذى يعنينا هو أن كان منهم إظهار ، وإخفاء ، حملهم عليهما الحرية والحياء ، وكل من وُهِبَ نفحة من الروحانية المستعدة لتلقى الإلهام ، أظهرها حسب استعداده وميوله ، وما يصد الناس عن رؤية الحق إلا إقفال قلوبهم عن رؤية النور ، وتعلقهم بصغائر الأمور ، وبالجزئيات دون الكليات ، والمؤمن بمواهب الإنسان المتعددة مؤمن بالدين .

الحسد

داء اجتماعي خطير

للأستاذ محمد صابر البرديسي

عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا تحاسدوا (١)، ولا تناجشوا (٢)، ولا تباغضوا (٣)، ولا تدابروا (٤)، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً»..

رواه مسلم

البيـــان

(١) معنى الحســد:

الحسد: انفعال نفسي إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمني زوالها. وسواء اتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ أو وقف عند حد الانفعال النفسي.

يرى بعض العلماء أن الحسد المذموم هو: الحرص على زوال النعمة عن المحسود، بأن يسعى سعيه، ويعمل عمله في محاولة زوال النعمة عن هذا الرجل المسلم.

فهذا هو الحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أما مايجده الإنسان في نفسه من تمنيه زوال النعمة من عدوه بدون أن يعمل عمله أو يسعى سعيه لإزالة النعمة عن المحسود، فهذا عفو، لكونه من حديث النفس، وفي الحديث:

«عفي عن أمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»(٥).

ولهذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات

---

(١) لا تحاسدوا: أي لا يتمنى أحد منكم زوال نعمة الغير.

(٢) لا تناجشوا ـ التناجش: أي يزيد هذا على هذا أو ذاك على ذاك في البيع.

(٣) لا تباغضوا ـ أي: لا تتعاطوا أسباب البغض.

(٤) لا تدابروا ـ التدابر أي: يولي كل منهم صاحبه دبره.

(٥) وفي الحديث: «إذا ظننت فلا تحقق». رواه الطبراني عن حارثة بن النعمان.

كما تأكل النار الحطب » .
رواه أبو داود ، والبيهقى عن أبى هريرة .

(٢) أثر الحسد فى الحاسد :

الحسد داء دوى وخلق ردى ، يقدح فى المروءة ، ولا يزال صاحبه حليف هموم ، وأليف غموم .

ولهذا قالوا : « إن الحسد داء منصف يعمل فى الحاسد أكثر مما يعمل فى المحسود » .
وقيل :

« دع الحسود وما يلقاه من كمد
كفاه منه لهيب النار فى كبده »
« إن لمت ذا حسد نفست كربته
وإن تركته عذبته بيده »

فالحاسد كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ماتأكله ..

الحاسد يتمنى زوال نعمة أخيه ، لا لتكون تلك النعمة عنده ، ولا لعداوة سابقة بينه وبينه ، بل لأن الحاسد نفسه خبيثة وقلبه مريض ، وإيمانه مزعزع ، فهو يكره الخير بفطرته وينفر منه بطبعه .

ومن هنا كان المحسود أشقى الناس فى هذه الحياة ، لأن نعم الله كثيرة متجددة ، وآلاءه متتابعة متتالية تغمر عباده من آن إلى آخر ، ولا يزال فضله يشملهم من حين إلى حين ، وذلك أمر يأكل قلب الحسود ، ويقطع أحشاءه ، ويفتت كبده ، ويمزق صدره ، ويجعل عالمه الباطنى جحيماً لا يطاق ..

قال تعالى :
﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٦) .

والحسد داء سيىء قديم موجود منذ وجدت الإنسانية بمشكلاتها ومعضلاتها ومنذ افتتح الله ذلك الوجود العجيب ، فهو أول معصية سجلت فى السماء بين إبليس وآدم ـ عليه السلام ـ يوم أن علمه الله أسماءه كلها ، ويوم أن قال للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس .

وبسبب الحسد وقعت أول جريمة فى الأرض بين قابيل وهابيل ، يوم أن تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر .

وهو أهم عامل فى أفظع حادث عرفه التاريخ بين يوسف وإخوته ، يوم أن قال يوسف لأبيه :
﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ (٧) .

(٣) خطورة هذا الداء والاستعاذة من شر الحاسد :

الحسد داء اجتماعى خطير ، مافشا فى أمة إلا كان نذير هلاكها ، ولا دب فى أسرة إلا كان وعيد فنائها ، لأنه مصدر كل عداء ، وينبوع كل شر ، وفساد كل مودة ، مفرق الأصدقاء ، ومشتت الأحباء ، يُضنى صاحبه فى الدنيا ، ويسوقه فى الآخرة إلى النار .

وإذا حسد الحاسد ، ووجه انفعالاً نفسياً معيناً إلى المحسود فلا سبيل لنفى أثر هذا

←

(٦) سورة محمد آية ٢٩ ، ٣٠ .

(٧) سورة يوسف آية ٤ ، ٥ .

الحسد داء اجتماعي خطير

التوجيه ، وإن كان العلم لم يصل إلى سر هذا الأثر وكيفيته ، وما وصل إليه العلم فهو قليل فى هذا الميدان .

وهذا القليل يكشف لنا عن مصادفة فى الغالب ، ثم يستقر الحسد كحقيقة واقعة بعد ذلك .

فالحسد شر يستعاذ بالله منه ، ويتقى ضرره بالاحتماء بحماه سبحانه .

والله سبحانه برحمته وفضله ، وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته إلى الاستعاذة من شر الحاسد . كما جاء فى سورة الفلق :

قال تعالى :
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٨) .

وقد روى البخارى بإسناده عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما ، وقرأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ . ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » .

ومن المقطوع به أن الإنسان متى استعاذ بالله من الحسد ومن شره ، بإخلاص فى الاتجاه إلى الله ، والعبودية له سبحانه ، وفق توجيهه ، فإنه يعيذه منه ويحميه بفضله وكرمه .

(٤) الحسد سر لا يعرف كنهه ، ولكن لا سبيل إلى نفيه :

إذا حسد الحاسد ، وجه انفعالاً نفسياً قد ينتج شراً يضر المحسود ، ولكن لا سبيل لنفى أثر هذا التوجيه وإن كنا لا ندرك تعليلاً لوجوده ووقوعه ، فهو مجهول السر والكيفية .

فعلى المسلم أن ينقى قلبه ، ويداوم على ذكر ربه ، ولا تحدثه نفسه بتمنى زوال النعمة عن غيره .

وليحول حديث نفسه إلى تمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير حسد ولا كراهية فتلك الغبطة ، وله نيته (ولكل امرىء ما نوى) ..

وإذا كان لابد من التمنى فليتمن المرء ما فيه خير الدنيا والآخرة كما روى الشيخان عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » ..

وفق الله المسلمين لما فيه خيرهم وسعادتهم .. والله الموفق ..

---

(٨) سورة الفلق آية ١ : ٥ .

التابعون تلامذة الصحابة

عكرمة رضى الله عنه

وأمثلة من أخباره في التفسير

٣

للشيخ : أحمد حسن جابر

قال أبو نعيم : عن الحكم بن ابان عن عكرمة في قوله عز وجل : ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ الآية . النساء/١٧ .

قال : الدنيا كلها قريب كلها جهالة .

وعن محمد بن عون الخراساني عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ الآية . القصص/٨٣ .

فجعل الدار الآخرة للذين لا يريدون علوا في الأرض عند سلاطينها ولا ملوكها . ولا فساداً لا يعملون بمعاصي الله عز وجل . والعاقبة للمتقين في الجنة .

قال أبو نعيم : أخبرنا ابن جريج عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس رضى الله عنهما وقد نشر مصحفه وهو ينظر فيه ويبكى .

قلت : ما يبكيك ياأبا العباس ؟

قال : أى في هذا المصحف .

قلت : وما هى ؟

قال : قوم أمروا ونهوا فنجوا . وقوم لم يؤمروا ولم ينهوا فهلكوا فيمن هلك في أهل المعاصى .

يقول الله عز وجل : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ الآية الأعراف/١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ . وذلك أن أهل أيْلَةَ ـ وهى قرية على شاطىء البحر ـ وكان الله أمر بنى إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة . فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله تعالى فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مستوية قائمة .

فشدد الله عليهم في السبت فنهاهم عن الصيد يوم السبت ، فإذا كان يوم السبت كانت تجيئهم الحيتان إلى مشارعهم شجاجاً سماناً

←

التابعون تلامذة الصحابة

تتقلب من ظهورها إلى بطونها آمنة لا تخاف شيئاً . وذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ . يعنى إلى مشارعهم . فإذا كان عشية يوم السبت ليلة الأحد ذهبت عنهم الحيتان إلى مثلها من يوم السبت . فأصاب القوم جهد شديد وكانت متجرهم وكسبهم .. فانطلقت أمة من إماء القوم فاصطادت سمكة فى يوم السبت ثم جعلتها فى جرتها فأكلتها يوم الأحد فلم تضرها ـ وذلك أن داود عليه السلام كان قد تقدم إليهم فى ذلك ـ وهو الذى لعن من اعتدى فى يوم السبت ـ فقالت الأمة لمواليها : اصطدت يوم السبت وأكلت يوم الأحد فلم يضرنى . فصاد مواليها يوم السبت وانتفعوا بها يوم الأحد وباعوها حتى كثرت أموالهم ففطن الناس واجتمعوا على ان يصيدوا يوم

فقال قوم   يدون يوم السبت .

فجاء قوم   نالوا : (لم تعظون

قوما الله مهلكهم اومعذبهم عذابا شديدا)قال الذين أمروا ونهوا : (معذرة إلى ربكم ولعلهم ينتهون) يعنى عن الصيد فلما نهوهم ردوا عليهم قائلين : إنما نهانا الله عن أكلها يوم السبت ولم ينهنا عن صيدها . قال : فواقعوا الصيد يوم السبت . قال : فخرج الذين أمروا ونهوا عن مدينتهم . فلما أمسوا بعث الله عليهم جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة فإذا هم قردة خاسئين . قال : فلما أصبحوا لم يخرج إليهم أحد من المدينة ؛ قال : فبعثوا رجلا فاطلع عليهم فلم ير فى المدينة أحداً . فنزل فيها فدخل الدور فلم ير فى الدور أحداً ، فدخل البيوت فإذا هم قردة قيام فى زوايا البيوت فجاء ففتح الباب فنادى : ياعجبا قردة لها أذناب تتلوى ! قال : فدخلوا إليهم فكانت القردة تعرف أنسابها من الإنس ، والإنس لا تعرف أنسابها من القردة ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ يعنى : فلما تركوا ما وعظوا به وخوفوا بعذاب الله . أخذناهم ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ أى شديد ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ ﴾ يعنى لما تمادوا واجترأوا عما نهوا عنه ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ أى صاغرين ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ من الأمم أى أمة محمد ﷺ ـ وما خلفها من أهل زمانهم ﴿ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ من الشرك ـ يعنى أمة محمد ﷺ قال : فأماتهم الله .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا كان يوم القيامة بعثهم الله فى صورة الإنس فيدخل النار الذين اعتدوا فى السبت . ويحاسب الذين لم يؤمروا ولم ينهوا بأعمالهم . وكان المسخ عقوبة فى الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال عكرمة : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ياليت شعرى .. ما فعل المداهنون . قال عكرمة : فقلت له : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هلك والله القوم قال : فكسانى ثوبين .

قال أبو نعيم : عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ ... وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ من الآية ٦ فصلت ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ الآية ٧ فصلت قال : لا يقولون لا إله إلا الله . وفى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ الآية ١٤ الأعلى . قال : من قال : لاإله إلا الله . وفى قوله تعالى : ﴿ هَلْ

لَكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ الآية ١٨ النازعات أى إلى أن تقول : لا إله إلا الله . وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ الآية ٣٠ فصلت قال : شهادة أن لا إله إلا الله وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ من الآية ٧٨ هود قال أليس منكم رجل يقول لا إله إلا الله وفى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ من الآية ٣٨ النبأ قال : الصواب : لا إله إلا الله .. وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ من الآية ١٩٤ آل عمران قال : الميعاد لمن قال : لاإله إلا الله .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من الآية ١٩٣ البقرة قال : على من لا يقول : لاإله إلا الله .

وقال عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ من الآية ٢٤ الكهف قال : إذا غضبت .

وعن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم ﴾ الآية ٢٩ الفتح قال : السهر .

وقال بسام مولى بنى أسد سألت عكرمة عن الماعون ؟ فقال : العارية . قلت : فإن منع الرجل غرباله ، أو قدراً ، أو قصعة ، أو شيئا من متاع البيت فله الويل ؟ قال : لا . ولكنه إذا سها عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وعن عمر بن نافع عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ من الآية ١١٢ التوبة قال : هم طلبة العلم .

وعن سماك عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ الآية ١٣ الممتحنة قال : الكفار إذا دخلوا القبور ، وعاينوا ما أعد الله من الخزى يئسوا من رحمة الله .

وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ الآية ١٢ المزمل قال : قيودا . وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ من الآية ١٧ الانفال قال : وما وقع منها شىء إلا فى عين رجل .

وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ من الآية ١٣ القلم . قال : هو اللئيم الذى يعرف بلؤمه . كما تعرف الشاة بزنمتيها . والزنمة بالنون أو باللام زلة مايقطع من اذن الشاة ويبقى معلقا بها لتعرف بذلك من بين الشياه .

وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ من الآية رقم ٥٧ الأحزاب قال : هم اصحاب التصاوير .

وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ من الآية رقم ١٠/ الاحزاب قال : لو أن القلوب تحركت ، أو زالت خرجت نفسه . ولكن إنما هو الفزع . وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ بالشهوات ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ ﴾ بالتوبة ﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ التسويف ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ قال : الشيطان من ـ الآية رقم ١٤ الحديد .

تقديم المصلحة المطلقة

على القرآن والسنة

تشريع بالهوى وتعطيل لها

لفضيلة الدكتور
أحمد فهمي أبو سنة

وقع لي في هذه الأيام كتاب بعنوان « الاجتهاد » ألفه الدكتور عبد المنعم النمر ، ذكر فيه كلاما عن الاجتهاد في الكتاب والسنة ، وعن اجتهاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين في نحو مائة صحيفة ، ثم كرس باقي الكتاب لبيان ان من أصول الاجتهاد تقديم المصلحة المطلقة على النص والإجماع مقتديا في ذلك بسليمان بن عبد القوى الطوفي الحنبلي المتهم بالتشيع المتوفى سنة ٧١٦ هـ ...

ثم ذكر تطبيقا على ذلك بعض قضايا العصر في الربا وما إليه .

ويقول الدكتور في كتابه ص ١٠٨ وما بعدها : إن سليمان بن عبد القوى الطوفي يقرر في كتبه أن المصلحة مقدمة على النص والإجماع عند التعارض ..

ويقول : إن العلماء ولاسيما المحدثون يمنعون هذه القاعدة ويعترضون عليها مع أنها وقعت في عهد الصحابة ومن بعدهم « كتضمين الصناع » و « الطلاق الثلاث بلفظ واحد » .

ويقول : إن الناس كانوا على طبيعتهم في استنباط الاحكام وتقديم المصالح ، ولكن لما أصبح العلم صناعة إخترعوا لها أسماء ووضعوا قواعد « كالقياس » و « الاستحسان » و « سد الذرائع » و « المصلحة المرسلة » و « الاستصحاب » و « العرف » ، ولم يكن ذلك معروفا في عهد السلف ، ومَرَدّ ذلك كله إلى تقديم المصلحة ..

وقد هالني إشاعة هذا المذهب لما يؤدى إليه من الاجتراء على نصوص الشرع بآراء الناس ، ولم يسبق أن قال به أحد غير الطوفي كما لم يقل به أحد بعده ..

وفي هذه العجالة سأذكر - بمشيئة الله - قواعد العمل بالمصلحة كما أجمع عليها علماء

الأصول الذين قالوا ببناء الأحكام على المصالح ، ثم أناقش هذا الرأى وما استشهد به مؤلف الكتاب من القضايا الفقهية المروية عن السلف .

المصلحة هى المنفعة الغالبة على الفعل المحققة لمقصد من مقاصد الشارع ..

وقال الشاطبى : هى المنفعة الغالبة على الفعل التى تراد بها الدنيا للآخرة ..

ومقاصد الشريعة التى حفظ الله بها المجتمعات ستة هى : حفظ الدين والنفس ، والعقل ، والنسل ، والعرض ، والمال ..

فجمعُ القرآن وكتابته للمحافظة عليه مصلحة راجعة إلى حفظ الدين ، وتناول الأطعمة النافعة للبدن والتداوى ، والقصاص فى النفس والأطراف عند الجناية مصلحة راجعة إلى حفظ النفس ، والامتناع من شرب المسكر وتعاطى المخدر ، وتعلم ما لابد منه من علوم الدين والدنيا مصلحة راجعة إلى حفظ العقل ، والزواج أو الصوم عند عدم القدرة على مؤن الزواج مصلحة راجعة إلى حفظ النسب ، والتأديب على القذف وما إليه مصلحة راجعة إلى حفظ العرض ، والزراعة والصناعة والتجارة وقطع اليد بالسرقة وتضمين المتلفات مصالح راجعة إلى حفظ المال .

ثم إن المصلحة بالتعريف المتقدم اعتبرها علماء أصول الفقه فى أربعة مواضع :

الأول : تعليل الأحكام الشرعية كتعليل « صدقة الفطر » بأنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين كما نطق به الحديث ، وتعليل « صوم رمضان » برجاء التقوى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وتعليل « تحريم الربا » بأنه يؤدى إلى الظلم ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فحفظ المقاصد بالأحكام التى شرعها الله وبالمصالح التى عللت بها هذه الأحكام ..

الثانى : القياس الشرعى ، وهو إعطاء فعل مسكوت عنه حكم فعل منصوص على حكمه أو مجمع عليه « كإعطاء الأرز حكم القمح » فى تحريم الربا للعلة الجامعة بينهما ، وهى أن كلا منهما مَطْعوم للناس ، والقياس حجة بإجماع الصحابة وبما أخرج أحمد والطبرانى فى الكبير بإسناد رجاله ثقاة واللفظ له عن « سودة أم المؤمنين » إن رجلا قال يا رسول الله : إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج أفأحج عنه ؟ قال أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أيجزىء عنه ؟ قال : نعم . قال : « فحج عنه » ..

الثالث : المصلحة المرسلة : « كفرض الضريبة على القادرين » لتوفير المال للدولة عند فراغ بيت المال أو نقص ماله عن حاجة الشعب والدولة : فإن المصلحة فى ذلك هى المحافظة على الدولة التى تقوم للشعب بالدفاع عن دينه وأرضه وأقواته وتوفر له مرافق التموين والصحة والتعليم والأمن وإشاعة العدل بين الناس إلخ .. وهذه المصلحة تدل عليها كثرة من الأدلة الدالة على المحافظة على الدين والصحة والعلم والعدل ، وهذه الأدلة تفيد بالاستقراء القطع بحجيتها كما نص على ذلك الشاطبى(1) ..

وسميت هذه المصلحة مرسلة لأنه لم يشهد لها أصل معين يقاس عليه الفعل الذى قامت به ..

←

(1) انظر « الموافقات » جـ ١ ـ ص ٣٩ ..

تقديم المصلحة المطلقة

الرابع : ما إذا عارض القياس قياس آخر أو مصلحة مرسلة راجحين عليه وهو المعروف بالاستحسان وتسمى المصلحة فى هذه المواضع مصلحة معلومة الاعتبار ..

المصلحة فى غير هذه المواضع الأربعة لا عبرة بها وليست بدليل لأنها رأى محض لم يؤيد بشهادة الأصل كما فى القياس ، ولا بكثرة من الأدلة الشرعية كما فى المصلحة المرسلة ، وإذا عارضت النص قدم عليها لأن النصوص من الكتاب والسنة معصومة ولها قوتها واحترامها ، وكذلك إذا عارضت إجماع المجتهدين ، وتسمى حينئذ معلومة الإلغاء ، ولهذا شنع العلماء على من أفتى بالمصلحة المناقضة للنص كما روى الأصوليون أن يحيى بن يحيى الأندلسى المالكى راوى الموطأ أفتى بعض ملوك المغرب وقد مس أهله فى نهار رمضان بأن يصوم شهرين متتابعين لينزجر فلا يعود إلى هذا الفعل وكان ذلك مناقضا للحديث الذى ينص على أن التكفير بعتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، والملك قادر على الإعتاق فلا يجوز إفتاؤه بالصوم ، فلما سئل يحيى عن السبب فى مخالفة النص أجاب بأن ذلك لتحصيل مصلحة الزجر ، فكان ذلك تقديما للمصلحة على النص ..

قال الغزالى فى « شفاء الغليل » : « قلنا : هذا عندنا خروج عن الشرع بالكلية وانسلال عن ربقة الدين ، وهو داع إلى هدم قواعد الشرع وتحريف حدودها وقيودها ، وتغيير ذلك بحسب الأشخاص والأزمنة والأحوال ، والحكم فى جميعها على مخالفة النص بموجب الاستصلاح ، وذلك أمر باطل على القطع ، وهذا ما عنيناه بقولنا : « إن اتباع المصالح على مناقضة النص باطل » [٢] ..

فلما كانت المصلحة المطلقة لا تصلح دليلا لأنها رأى محتمل للهوى ، فضلا عن تقديمها على النص والإجماع إذا عارضتهما قيدها علماء الشرع بما يقويها وهو القياس على أصل حُكمُه ثابت بالنص أو الإجماع والمصلحة المرسلة التى ثبت جنسها بكثرة من الأدلة والاستحسان وهو مؤلف من القياس أو القياس والمصلحة ..

ثم نعود إلى القياس والمصلحة المرسلة إذا عارض أحدهما النص أو الإجماع أما القياس فإنه يبطل ويسمى فاسد الاعتبار ، ويستثنى من ذلك ما إذا عارض نصا عاما ظنيا فإن القياس يخصصه عند جمهور الأصوليين إذا كان جليا وقال البعض مطلقا بخلاف النص القطعى ، وكذلك المصلحة المرسلة إذا عارضت النص تبطل وتسمى معلومة الإلغاء ، ويستثنى من ذلك ما إذا كانت المصلحة ضرورية لعامة المسلمين ومثلوا لذلك : بما إذا هجم أعداء الإسلام على دولة الإسلام ووضعوا أمامهم جماعة من المسلمين وعرف القواد المسلمون أنهم إذا لم يضربوا الأعداء والمسلمين الأبرياء فى مقدمتهم ، تنهزم الدولة وحينئذ يجوز لهم أن يضربوا المسلمين وإن كانوا أبرياء دفعاً للضرر العام لتحمل الضرر الخاص ، وفى ذلك تخصيص للأدلة الدالة على عصمة المسلمين وحرمة الاعتداء على الأبرياء ..

وبهذا يتبين أن القول بتقديم المصلحة المطلقة

(٢) شفاء الغليل ـ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ..

على النص والإجماع قول باطل لأنه هدم للنصوص والإجماعات وتشريع بالرأى المبنى على الهوى .

ثم نعود إلى كلام الدكتور الكاتب فنجده قد نقل عن الطوفى هذا الرأى وقلده فيه فإذا رجعنا إلى الطوفى وجدناه بعد نقله بطريقة الاصوليين المتقدمة يقول : إن الذين قسموا المصلحة إلى معتبرة وملغاة ومرسلة وإلى ضرورية وحاجية وكمالية تعسفوا وتكلفوا والذى ينبغى هو النظر إلى الفعل فإن تضمن مصلحة مجردة حصلناها وإن تضمن مفسدة مجردة نفيناها ..

ويقول فى إفتاء يحيى بن يحيى المعارض للنص : إن ذلك ليس ببعيد إذا أدى إليه اجتهاد مجتهد وليس ذلك من باب وضع الشرع بالرأى بل هو من باب الاجتهاد بالمصلحة بجعل المصلحة المطلقة مخصصة للعام فى حديث كفارة المفطر فى رمضان (٣) . .

وهنا نسترعى نظر القارىء فى الفرق بين تشنيع الغزالى على من قدم المصلحة على النص وتساهل الطوفى علما بأن الدكتور الكاتب ينسب إلى الغزالى أنه يقدم المصلحة المطلقة على النص ..

وفى شرح الطوفى لحديث « لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » قال ما مضمونه : إن النفى فيه بمعنى النهى والنهى عن الشىء يستلزم الأمر بضده وهو النفع والمراد بالنفع هو المصلحة فإذا عارض الحديث بما استلزمه من رعاية المصلحة نصا أو إجماعا مشتملا على ضرر : قدمنا عليه الحديث أو قدمنا المصلحة ، أما المصلحة فلقوتها وضعف النص والإجماع ، أما قوة المصلحة فلأنها قال بها جميع العلماء القائلين بحجية الإجماع والنافين لها ، وأما ضعف النص فلوقوع التعارض فيه ، وأما ضعف الإجماع فللاختلاف فى حجيته ..

والناظر فى كلام الطوفى يجده ينبذ الرأى الذى أجمع عليه العلماء ، من أن المصلحة لا تعتبر إلا إذا كانت فى صورة قياس أو مصلحة مرسلة أو استحسان ، ولا مانع عنده من تقديم المصلحة المطلقة على النص بدليل أَوْهَى من بيت العنكبوت : فإن المصلحة المطلقة رأى وتقديمها على النص والإجماع المعصومين طريق إلى هدم الشريعة ، والنصوص على فرض تعارضها لا تضعف بالتعارض لأن حكم التعارض هو الترجيح أو الجمع أو التوقف ، والخلاف فى الإجماع لا يضعفه لأنه ثبت بدليل متواتر ..

وإذا نظرنا إلى الحديث فإنه دليل ظنى عام ، وعلى فرض اشتمال النصوص والإجماعات على الضرر فإن كانت قطعية فالحكم عند التعارض تقديم القطعى على الظنى ، وإن كانت ظنية والمعلوم أن الحديث ظنى عام قدمت النصوص والإجماعات المعارضة لأنها من باب الخاص : والخاص مقدم على العام ، وقد تحقق ذلك فى العقوبات كالحدود والقصاص والتعازير فإنها شرعت للزجر لكن فيها نوعا من الضرر ، ومع ذلك قدمت أدلتها على هذا الحديث باعتراف الطوفى .

وتطبيقا على هذا الاجتهاد لو أن امرؤا ادعى أن القرض بفائدة مصلحة دل عليه حديث « لا ضرر ولا ضرار » بطريق اللزوم وقد عارضها

←

(٣) انظر شرح « مختصر الروضة » ـ مخطوط ـ ورقة ٢٠٣ ..

تقديم المصلحة المطلقة

قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ قدّم حينئذ قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ تقديما للقاطع على المظنون وتقديما للخاص على العام ..

وبعد أن دفعنا شبهة الطوفى بحمد الله نعود إلى مناقشة المسائل التى تمسك بها الدكتور النمر فى تقديم المصلحة على النص وقال : إن هذا التقديم وقع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على الرغم مما فى كتب الأصول من التقنين والتقعيد ..

١ ـ وقف عُمر لأرض العراق وعدم قسمتها على المسلمين ..

يرى الكاتب أن سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ لم يقسم أرض العراق قسمة الغنائم لمصلحة رآها وهى حاجة المسلمين على مرّ الزمان إلى المال لمصالح الدولة كالدفاع والقضاء والتعليم ، ووافقه الصحابة على ذلك بعد حوار جرى بينهم . فقدم المصلحة على آية ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[4] وهى تدل على أن أربعة الأخماس تقسم على الفاتحين عقارا كانت الغنيمة أو منقولا ..

والواقع أن عمر استدل بآية الحشر ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ إلى أن قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾[5] أى من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ، ولهذا روى عن عمر أنه قال : دخل فى هذا الفىء كل من هو مولود إلى يوم القيامة ..

ولا يتم ذلك إلا بوقفها وجعل الأرض لانتفاع جميع المسلمين ، أخرج أبو داود بسنده إلى الزهرى « قال عمر فى آية الفىء فى قوله تعالى :

﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾ استوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق[6] ..

فليس عدم قسمة العقار لمصلحة عارضت النص من كتاب الله ، ولما كان مقتضى آية الأنفال قسمة العقار قال فقهاء الحنفية والحنابلة : إن الإمام مخير بين وقف الأرض وقسمتها تخيير مصلحة عملا بالآيتين ، آية الأنفال ، وآية الحشر ..

وتبين من هذا أن الذى رآه عمر وقف الأرض على المسلمين لا تمليك الأرض للدولة كما يقول الكاتب[7] ..

٢ ـ الكف عن تطبيق حدّ قطع اليد فى السرقة فى عام المجاعة . والكف عن إقامة هذا الحد على غلمان حاطب بسبب تجويعهم ..

هو تطبيق لقانون حد السرقة ومن شروطه ألّا تكون بالسارق ضرورة تدعوه إلى السرقة ولا شبهة ، وطبيعى أن الناس كانوا فى عام المجاعة تشملهم الضرورة إلى مستلزمات معايشهم ولم يحدث ظرف يُحْوِجُ إلى تطبيق هذا الشرط إلا فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ فليس فى ترك الحد جديد إلا فى تطبيق حكم كان معلوما من قبل . ولو حدث فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو فى عهد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ لطبق هذا الشرط . وقد وضع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أساسه بقوله : « ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم[8] » ..

---

(٤) سورة الأنفال آية ٤١ ..
(٥) سورة الحشر من آية ٧ ـ ١٠ ..
(٦) « مختصر سنن أبى داود » ـ جـ ٤ ـ ص ٢١٤ ـ رقم ٢٨٤٦ ..
(٧) « أحكام القرآن » للجصاص ـ جـ ٣ ـ ص ٤٢٠ ، النسفى ـ تفسير الخازن ـ جـ ٤ ـ ص ٢٤٩ ..
(٨) « أعلام الموقعين » ـ جـ ٣ ـ ص ١٣ ، ١٤ ، « كشاف القناع » جـ ٦ ـ ص ١٤١ ...

٣ ـ اجتهاد عمر فى قتل الجماعة بالواحد اجتهاد صحيح أساسه المصلحة المرسلة الراجعة إلى حفظ النفوس ، والتى شهدت لها كثرة من الأدلة ، وهى مصلحة ضرورية ترك بها النص على المساواة فى القصاص تطبيقا للقواعد الأصولية التى قدمنا فى صدر المقال . وصحيح أن النص ترك هنا للمصلحة لكن ليست المصلحة المطلقة التى ادعاها الطوفى ، بل هى المصلحة المرسلة الضرورية الراجعة إلى حفظ النفوس [٩] ..

قال فى « المغنى » لابن قدامة فى بيان المصلحة : « لأن القصاص لو سقط بالاشتراك أدّى إلى التسارع إلى القتل به فيؤدى إلى إسقاط حكمة الردع والزجر [١٠] » ..

٤ ـ تضمين الأجراء أو الصناع المتاع الذى استؤجروا على العمل فيه :

فيه مذهبان للعلماء : التضمين وعدمه ..

أما الذين قالوا بالتضمين كأبى يوسف ومحمد ـ رحمهما الله ـ فحجتهم فتوى عمر وعلى ـ رضى الله عنهما ـ بالتضمين وحجتهم القياس : فإن الحفظ مستأجر عليه كالعمل . لأنه لا يمكنه العمل إلا بالحفظ ويؤيده قول شريح فى الأجير « إنما أعطاك الأجر لتَضْمن » ، فيكون الحفظ داخلا فى عقد الإجارة قياسا على الوديعة بالأجر فإنها إذا هلكت فى يد الأجير يضمنها ..

والذين لم يقولوا بالضمان كأبى حنيفة والشافعى ـ رحمهما الله ـ قالوا إنها أمانة فى يد الأجير لأنه تسلمها بإذن مالكها . قال الشافعى فى الأم : ولم يصح عندى ماروى عن عمر وعلى ..

فمسألة تضمين الصناع من القضايا الجديدة التى استنبط الفقهاء حكما لها واختلفوا فى الاجتهاد [١١] ..

أما أن الناس كانوا لا يضمنون ثم أفتى عمر وعلىّ بالتضمين لتغير أحوال الناس فهذا مالم أطلع عليه فى مرجع موثوق به ..

٥ ـ الطلاق بلفظ الثلاث يقع واحدة :

قال الكاتب فى صحيفة ١١٣ إن المقنن [١٢] فى مصر رأى أن المصلحة : فى العمل بهذا الرأى على خلاف قول عمر بوقوعه ثلاثا . والذى أجمع عليه الصحابة والعلماء من بعدهم واستمر ثلاثة عشر قرنا ..

ونحن نقول إن الذين أفتوا بوقوع الطلاق الثلاث واحدة لم يخالفوا الإجماع للمصلحة ، وإنما فهموا أنه لا إجماع على هذا الرأى . وأن المسألة من عهد الصحابة خلافية ..

فقد روى وقوع الطلاق الثلاث واحدة عن أبى موسى وعلى وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ ، كما ذكره « الشوكانى » نقلا عن كتاب « البحر الزخار » ..

ونقل ابن المنذر هذا الرأى عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار ، ونقله ابن تيمية فى « فتاواه » عن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وروى القولين عن ابن عباس وعلى وابن مسعود . فالذين أفتوا به قلدوا أحد المذهبين ولم يخالفوا الإجماع للمصلحة [١٣] ..

←

(٩) « شفاء الغليل » للغزالى ـ ص ٢٥٠ ..
(١٠) « المغنى » مع الشرح الكبير ـ لابن قدامة ـ جـ ٩ ـ ص ٣٦٧ ..
(١١) « تبين الحقائق » ـ جـ ٥ ـ ص ١٣٤ ، سنن البيهقى ـ جـ ٦ ـ ص ١٢٢ ..
(١٢) عبارة الكاتب قال المشرع ..
(١٣) « نيل الأوطار » ـ جـ ٦ ـ ص ٢٦٠ ، مجموع « فتاوى ابن تيمية » ـ جـ ٣٣ ـ ص ٨ ..

تقديم المصلحة المطلقة

٦ ـ التقاط ضالة الإبل صحيفة ١١٣ :

روى البخارى بسنده إلى زيد بن خالد الجهنى ـ رضى الله عنه ـ قال : « جاء أعرابى إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأله عما يلتقطه فقال : عرّفها سنة ثم احفظ عفاصها ووكاءها فإن جاء أحد يخبرك بها وإلا فاستنفقها قال يا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فضالة الغنم . قال : لك أو لأخيك أو للذئب ، قال : فضالة الإبل . فقال : مالك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر (١٤) » ..

فهم من الحديث أن علة الالتقاط والتعريف هى المحافظة على اللقطة ووصولها إلى صاحبها ، فلما كانت الغنم وغيرها يخشى عليها أذن فى التقاطها وتعريفها بل قد يكون واجبا إن غلب على الظن ضياعها . ولما كانت ضالة الإبل تستطيع حماية نفسها أُمر بتركها حتى يجدها ربها . فالمقصود إذن هو وصول اللقطة إلى صاحبها ..

ولما كان وصول الإبل من غير التقاط مضمونا فى العهد الأول أمر بتركها . ولما تغير الناس وخيف عليها الغصب أو الضياع أمر الناس بالتقاطها ، فالمقصود واحد وإنما تغير الحكم لتحقيق هذا المقصود ..

قالوا : وهذا من تخصيص الأوقات بمعنى أن المنع من التقاط الإبل كان عاما فى كل زمان ثم خصص منه زمان الخوف عليها : بالعقل أخذا من المقصود من التقاطها ..

فالنص فيه وإن خصص العمل به بزمان الخوف عليها صيانة لها ، ولكن بطريق لا يفطن إليه إلا المجتهد المتبحر فى علوم الاجتهاد الأمين على نصوص الشارع (١٥) ..

٧ ـ التسعير ص ١٤ ، ١٥ :

وقد رُوى فيه قوله : ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن طلب منه التسعير قال : « بل الله يخفض ويرفع » وفى رواية « وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندى مظلمة » ..

الحديث ظاهر فى أن سوق المدينة لم يكن الغلاء فيه ناشئا من تدخل التجار بل من غلاء السلع بطبيعتها لعامل العرض والطلب : بمعنى أن العرض كان قليلا . فالتسعير حينئذ ظلم والداعى إليه غير موجود ، ولهذا قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقالته السابقة ..

أما إذا اصطنع التجار الغلاء باحتكار أو غيره فهذه قضية جديدة لا علاقة لها بالنص الأول . فاحتاجت إلى الاجتهاد فيها بالتسعير وذلك بالحجر على التجار أن لا يبيعوا إلا بالثمن العدل الذى يقرره الإمام بمشورة أهل النظر من الاقتصاديين . وسند هذا الحجر هو دفع الضرر العام عن المسلمين ، قياسا على الحجر على الطبيب الجاهل ، والمفتى الماجن الذى لا يبالى بمخالفة أحكام الله ..

فالتسعير قسمان :

١ ـ ظلم إذا كان السعر مناسبا لحال السوق من الرخص والغلاء وذلك ما كان على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ..

٢ ـ عدل : إذا تجاوز التجار قيمة العدل وتلك قضية جديدة لم تكن على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والله تعالى أعلم بأحكامه ..

يتبع

---

(١٤) « صحيح البخارى » ـ كتاب اللقطة ـ باب ضالة الإبل ..

(١٥) « فتح القدير » ـ جـ ٤ ـ ص ٤٢٨ ..

الدعاء

وليلة النصف من شعبان

للأستاذ: محمد العزازي

من أعظم العبادات وافضلها الدعاء .. لانه تقرب من العبد لخالقه . وهو ذلك الشعور المرهف .. الذى تقبل به على ربك فى تذلل وخضوع ، وتضرع وخشوع راجيا عفوه ومغفرته . تؤكد به عبوديتك الخالصة له وحده . وانت واثق من انه تعالى قريب منك ، مطلع عليك ، موقن بإجابته جل شانه .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ اية ١٨٦ من سورة البقرة .

والمؤمن العاقل عليه أن يغتنم الليالى والايام المباركة التى منحها الله لعباده .. فالازمان تتفاضل كما أن الاماكن تتفاضل . وكل شىء خلقه الله تعالى يتفاضل ويتميز بعضه عن بعض فى الدرجة والمنزلة .

فمكة المكرمة ـ زادها الله شرفا ـ أفضل البلاد على الإطلاق ، والمساجد كلها أفضل الأماكن فى الأرض وأفضلها على الإطلاق . المسجد الحرام ثم المسجد النبوى الشريف ثم المسجد الاقصى .

الجنة التى أعدها الله تبارك وتعالى للأنبياء والمرسلين والصالحين والمتقين من عباده المؤمنين هى درجات متفاوتة ، يختص كل فريق بدرجته كل حسب عمله ومنزلته من الله عز وجل كذلك النار هى أيضاً دركات متفاوتة ، كل فريق حسب عمله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ آية ١٤٥ من سورة النساء ، وسميت طبقات النار دركات لأنها متداركة متتابعة .

والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهم أفضل الخلائق عند الله درجاتهم متفاوتة فى المنزلة والفضل يقول عز من قائل : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ آية ٢٥٣ سورة البقرة ، وقد أجمع المسلمون على أن أفضلهم على

←

الدعاء وليلة النصف من شعبان

الإطلاق هو سيدنا محمد ﷺ لما اختصه الله به من خصائص لم يعطها أحدا من العالمين .

فلا غرو إذا اختص الله سبحانه وتعالى «ليلة النصف من شهر شعبان» بالفضل والتكريم وقد ثبت أن النبى - ﷺ - كان يصوم نهارها ويحيى ليلها بالعبادة والذكر والدعاء ولكننا نجد أنه كلما أهل علينا شهر شعبان المعظم ، يدور جدل بين الناس حول هذه الليلة أهى الليلة المباركة التى تفرق فيها الأمور وتبرم الأحكام وتقدر المقادير ؟ أم أن ذلك إنما يكون فى ليلة القدر ؟ أم أن كلا منهما ليلة فرق وحكم وتقدير ؟

وقد تكلم كثير من العلماء فى ذلك والسائد هو القول : بأن الليلة المباركة التى يفرق الله فيها الأمور ويبرم الأحكام ويقدر المقادير من العام إلى العام هى « ليلة القدر » . واختار هذا القول قتادة - رحمه الله - وكثير من المفسرين والعلماء مستدلين بأن ظواهر الآيات القرآنية تتفق مع هذا القول وتؤيده كما تؤيده كثير من الأحاديث النبوية .

واختار عكرمة - رحمه الله - وكثير من العلماء أنها ليلة النصف من شعبان .

قال القرطبى - رحمه الله - : وقد اختار هذا القول صاحب كتاب « العروس » واستدل على ذلك بعدة أمثلة : منها ما أخرجه ابن جرير والبيهقى - رحمهما الله - فى « شعب الإيمان » عن الزهرى عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخفش - رحمهم الله - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى » .

وقد روى هذا الحديث أيضاً البغوى - رحمه الله - بسنده ، ومنها ما أخرجه الدينورى - رحمه الله - فى المجالسة .. عن راشد بن سعد - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « فى ليلة النصف من شعبان يوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها فى تلك السنة » .

وذهب أبو الضحى والكرمانى والزمخشرى - رحمهم الله - إلى أن ليلة النصف من شعبان يبتدىء فيها تقدير الأمور والأحكام والآجال .. وينتهى ليلة القدر

وقيل : إن ليلة النصف من شعبان تكتب فيها المقادير والأحكام والآجال .

وفى ليلة القدر تسلَّم الصحف إلى أربابها من الملائكة المدبرات .

ويؤيد هذا الرأى .. ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى يقضى الأقضية كلها ليلة النصف من شعبان ويسلمها لأربابها ليلة القدر » .

وقال ابن حجر : إن كتابة المقادير تكون فى ليلة النصف إجمالاً . وفى ليلة القدر تفصيلاً .

وقال الألوسى - رحمه الله - فى تفسيره نقلاً عن بعض العلماء : « كون التقدير فى هذه الليلة - يعنى ليلة القدر - يشكل عليه قول كثير - أنه ليلة النصف من شعبان وهى المراد بالليلة المباركة التى قال الله تعالى فيها : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ آية ٤ من سورة الدخان .

وأجاب بأنه هنا ثلاثة أشياء :

« الأول » : نفس تقدير الأمور ـ أى تعيين مقاديرها وأوقاتها . وذلك فى الأزل .

« الثانى » : إظهار تلك المقادير للملائكة ـ عليهم السلام ـ بأن تكتب فى اللوح المحفوظ وذلك فى ليلة النصف من شعبان .

« والثالث » : إثبات تلك المقادير فى نسخ وتسليمها إلى أربابها من المدبرات ـ فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل عليه السلام .

ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف إلى جبريل عليه السلام .

ونسخة الأعمال إلى إسرافيل عليه السلام . ونسخة المصائب إلى ملك الموت وذلك فى ليلة القدر » .

وعلى هذا تكون ليلة النصف من شعبان ليلة فرق وحكم وتقدير بناء على القول الثانى ويكون الدعاء فيها لا اعتراض عليه . بناء على أن الكتاب هو اللوح المحفوظ .

وعلى هذا فمن الواجب على الأمة الإسلامية أن تتقبل نعمة الله عليها فى هذه الليلة الكريمة . كما يجب الا نختلف فى شأنها . وأن نحتفى بها ، ونحيى ليلها بالذكر والدعاء والصلاة .. ونصوم نهارها اقتداء بحضرة المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام .

فقد روى ابن ماجه ـ رحمه الله ـ عن على ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول .. الا من مستغفر فأغفر له .. الا من مسترزق فأرزقه .. الا من مبتل فأعافيه .. الا كذا .. الا كذا .. حتى يطلع الفجر » .

والمقصود فى هذا الحديث من نزول الحق تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا .. نزول بركاته وتجلياته وعفوه وغفرانه .. ورحمته وفضله وإحسانه .

وعلينا أن نتوب إلى الله ـ تعالى ـ فى هذه الليلة المباركة التى يتجلى الله فيها على عباده بالعفو والغفران والرحمة والرضوان . فهى ليلة فاضلة فى شهر فاضل . فقد أمرنا المولى تبارك وتعالى بالتوبة يقول عز من قائل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آية ٣١ من سورة النور .

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ آية ٨ من سورة التحريم .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتوب علينا . وأن يجعلنا من المقبولين المشمولين بعفوه وغفرانه وفضله وإحسانه إنه سبحانه وتعالى ـ على كل شىء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

المسلمون الممتحنون

والمأساة فى بلغاريا

للأستاذ الدكتور
محمد عبد العليم العدوى

ويرنو الإنسان المسلم إلى الماضى المجيد

ويتساءل اين كنا ؟

كيف اصبحنا ؟

واين الطريق ؟

ويدقق النظر فى خريطة العالم المعاصر .. ويتامل احوال المسلمين اكثرية واقلية .. فيرى امرا عجبا . يرى امة يربو عددها على الف مليون نسمة ينتشرون على جنبات ارض الله الواسعة ويرى ذئاب الغاب وقد تربصت لهم وبهم . واضمرت لهم العداوة والبغضاء وكشرت عن انيابها ، وتحفزوا على اختلاف الفدتهم على الإيقاع بالمسلمين والكيد لهم . وتمزيق شملهم ليسهل عليهم اكلهم .. وإنما ياكل الذئب من الغنم القاصية ـ والمسلمون على كثرتهم ـ إلا من عصم الله . غثاء كغثاء السيل غلب على اكثرهم حب الدنيا وكراهية الموت ، والقعود عن نصرة إخوانهم المجاهدين .

فلما هانوا على انفسهم هانوا فى عيون أعدائهم ودب الوهن فى قلوبهم . وانعكس هذا الوضع على أحوال المسلمين بعامة وعلى الأقليات المسلمة بخاصة ، ومن يمعن النظر يرى الخطر المحدق فى الشرق أو فى الغرب فإن أعداء الإسلام لا يتفقون على شىء ـ رغم اختلافهم فى كل شىء ـ إلا على الكيد للإسلام ومحاولة القضاء على المسلمين اينما كانوا وحيثما وجدوا ، وقد جمع بين هؤلاء وأولئك التعصب الأعمى والحقد الدفين رغم اختلاف الشعارات ، فالشيوعية الحمراء ، والصهيونية الماكرة ، والصليبية الحاقدة ، وعبيد هؤلاء وأولئك يتربصون بالإسلام وأهله .

وقد يثير امرؤ سؤالا عن سبب هذا التربص .

والحقيقة أن الإجابة على مثل هذا التساؤل سهلة ويسيرة ، ذلك أن أعداء الإسلام فى الديار الصليبية الاوروبية والامريكية ، وفى ديار الإلحاد الماركسية يعرفون قدر الإسلام كعقيدة هادية ساطعة ، ويفطنون إلى أنه يحمل فى نصه وروحه حلولا عملية للمشكلات المستعصية التى تعيشها شعوبهم من انحراف وانحلال وفسوق وتمزق

اجتماعى فى إطار الضياع والبطالة والمخدرات والإدمان والقمار والاحتكار ، وما إلى ذلك من سمات الانحدار التى يعيشها المجتمع الأوروبى والغربى ، ولم تستطع حضارته المعاصرة أن تتصدى بالحل لواحدة من هذه المشكلات .

ولو أن المسلمين سلكوا فى حياتهم نهج الإسلام ، فإن الحقيقة التى لاشك فيها أن هذه الشعوب سوف تسارع إلى الدخول فى الإسلام أفواجا . الأمر الذى يقض مضاجع الحكام الغربيين ـ والشيوعيين ـ لأنه سوف يهدم عروشهم التى لاتثبت عيدانها ـ فى زعمهم ـ إلا فى ظل هذه الآفات الاجتماعية[1] .

وقد نفذ أعداء الإسلام مخططهم الرهيب منذ أمد بعيد مستخدمين أساليب شتى منها الاحتلال العسكرى وما يصحبه من دمار وهلاك وقهر وإذلال ومنها تسلط حكام غير مسلمين على الأقليات المسلمة والبطش والتنكيل بهم قتلا ونفيا وتشريدا واعتقالا وتذويبا ، ومنها الغزو الفكرى رغبة فى تشويه معالم الدين الإسلامى ومحو أى أثر له فى عقول وقلوب الناشئة وتلقينهم معتقدات فاسدة ونظريات إلحادية باطلة وفلسفات مضلة .. ونفذوا بهذا المخطط إلى وسائل الإعلام العالمية والتى تديرها الصهيونية وعملاؤها من الصليبيين والشيوعيين فى شتى الأرجاء . فى الوقت الذى خيم فيه التعتيم الإعلامى على مايجرى فى الخفاء ضد الإسلام والمسلمين .

فعن طريق الاحتلال العسكرى قهرت شعوب مسلمة وأجبرت على الرحيل من ديارها التى دمرها الأعداء فصارت أثرا بعد عين .. حتى أضحى كثير من الناس لايعرف شيئا عن شعب التشام المسلم ؟ أين دياره ؟ وكيف حال المسلمين فى الهند الصينية ؟ وأين مسلمو فطانى ؟ وما أحوالهم ؟ وكيف حال مسلمى تركستان الشرقية والغربية ؟

وتوشك دول إسلامية أن يحل بها ماحل بغيرها وأن تصير أثرا بعد عين ، وتطويها يد النسيان كما طويت صفحات وصفحات من خريطة العالم الإسلامي .. فياالله للمسلمين فى فلسطين وياالله للمسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وعن طريق الغزو الفكرى نشطت الحملات التنصيرية فى أسيا وفى افريقيا حيث زحفت وتزحف جيوش المنصرين وقد زودوا بكل الإمكانات وقدمت لهم كل التسهيلات وأزرتهم كل الحكومات الصليبية ووقفت من ورائهم كل المؤسسات التنصيرية التى لا يهمها إلا معاداة الإسلام .

يقول الأستاذ عباس العقاد عن سبب عداء الشيوعية للإسلام : « إن الشيوعية قد تصبر على المسيحية ، ولا تطيق الصبر على الإسلام إلا ريثما تتحفز له ، وتغل أيدى أتباعه عن المقاومة ، لأن المسيحية دين العديد الأكبر من الروسيين والشعوب التى تدخل حوزة الدولة الروسية ، ولأن المسيحية من الجهة الأخرى تدع شئون الدولة ولا تتعرض للنظم الاجتماعية أو لإقامة المجتمع على أساس جديد .

أما الإسلام فهو نظام اجتماعى له منهجه فى علاج المسائل التى تتصدى لها الشيوعية وهو يواجه مشكلات الفقر بحلوله المتعددة ولا يقصر مواجهتها على فرض الزكاة لمستحقيها كما يسبق الظن لأول وهلة إذ هو ينكر الإسراف والترف والاحتكار ويأبى أن تكون الأموال دولة بين الأغنياء .

←

---

(١) د . مصطفى الشكعة : من مقال بجريدة النور : العدد ٣٩٢ .

المسلمون الممتحنون فى بلغاريا

ولا يصدق عليه قولهم أنه أفيون الشعوب لأنه يأمر المسلم ألا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويحثه على رفع المظالم ومنع الشرور ، ويعلم المسلم أن يقدس الحرية ، ويثور على المذلة والاستعباد ، فلا يتسنى للحاكم الأجنبى أن يخضعه لغير معتقده أو يسومه الهوان فى أمور الدنيا والدين .

لهذا وصفوه فى دائرة المعارف الشيوعية بالرجعية وتأييد الاستغلال ، وحاربوه بكل وسيلة من وسائلهم الظاهرة والخفية لإضعاف سلطانه الروحى وتشتيت المسلمين وتمزيق كل وحدة تجمعهم فى البلاد التى يحكمونها وهدم المعالم الدينية فى جميع تلك البلاد .

إن عداوة الشيوعية للإسلام عداوات متكررة وليست بعداوة واحدة فإنها تعاديه معاداة الخوف من منافسته فى تنظيم المجتمع على قواعده وأحكامه ، وتعاديه معاداة الحاكم الروسى للمحكوم المطموع فى ماله واستقلاله ، وتعاديه أخيرا معاداة الشعور بالخطر والإفلاس على إثر إخفاق التجارب الماركسية واحدة بعد الأخرى خلال السنوات الأخيرة .

وفى مثل هذه الحالة يشعر الاقطاب الشيوعيون بتقدم الإسلام وتقهقر المادية الماركسية ويعلمون أن النزاع المقبل إنما هو نزاع بين مايسمونه (الأيديولوجى) الماركسى والايديولوجى الإسلامى [٢] .

وهكذا تتعاون الشيوعية مع الصليبية والحركات التنصيرية وهى والصهيونية وجهان لعملة واحدة ويجمع بينهما الحقد على الإسلام والمسلمين ، والشيوعية كما نعلم ـ نبت خبيث من نبات اليهود وربيبة حكماء صهيون .

ومن هذا المنطلق نشطت الحركات التنصيرية فى آسيا وفى أفريقيا ولاسيما فى أندونيسيا والفلبين وشبه القارة الهندية وجنوب السودان والصومال واثيوبيا وأوغنده والسنغال وجنوب افريقيا .. وغيرها وغيرها .. وقد حفلت كثير من الوثائق بأخبار مستفيضة عن هذه الحركات التى يقوم بها أعداء الإسلام فى بلدان إسلامية ، وبلدان بها أقليات إسلامية .

وإذا كانت هذه الحركات الهدامة تتجه إلى شعوب كثرتها الغالبة مسلمة . فإن الأقليات المسلمة يقضى عليها فى صمت مطبق ، وتستخدم معهم ابشع انواع القهر والظلم .

ومع كل صباح نقرأ ونسمع عن مذابح للمسلمين رجالا ونساء وأطفالا ، ونقرأ ونسمع عن مآس تدمى لها القلوب وتقشعر الأبدان ، فى إريتريا ، فى الهند ، فى الصين ، فى روسيا ، فى اليونان ، فى يوغوسلافيا ، فى تايلاند ، فى فرنسا ، فى بريطانيا ، فى امريكا .

وماساة الساعة مايجرى الآن فى بلغاريا .

وبلغاريا دولة صغيرة تشرف على البحر الأسود وتبلغ مساحتها ١١٠,٩٣٨ كم٢ وعاصمتها مدينة (صوفيا) ويقدر عدد سكانها بعشرة ملايين نسمة تقريبا ... ويقدر عدد المسلمين بمليونين اى خُمس السكان أو يزيد .. ويعمل ٧٥٪ من السكان فى الزراعة إلى جانب مصادر الطاقة والتعدين .

البلغار فى صفحات التاريخ :

والبلغار من أصل تركى ولهم جهد مشكور فى نشر الإسلام فى شرق وجنوب شرق أوروبا حيث عاشوا على ضفاف نهر الفولجا وذلك فى نهاية القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع .

---

(٢) العقاد : المذاهب الهدامة أفيون الشعوب ص ٦٥.

وقد وفد منهم وفد إلى بغداد يطلب من الخليفة العباسي أن يرسل لهم من يفقههم في الدين .

فأرسل إليهم الخليفة المقتدر العباسي قائده أحمد بن عباس المعروف (بابن فضلان) وقد غادر الوفد بغداد في الحادي عشر من صفر عام ٣٠٩ هـ الموافق للحادي والعشرين من يونيه عام ٩٢١م وكان برئاسة « سوسن الرسي » ومن أفراده ابن فضلان باعتباره فقيها ذا خبرة ، ومر الوفد في طريقه بمدن همدان ، الري ، نيسابور ، بخارى ، ثم سار مع نهر جيحون إلى خوارزم فحوض نهر الفولجا ينشرون الإسلام في شرق أوروبا .

وفي أواخر القرن الرابع الهجري (أواخر القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر) بدأت هجرة البلغار الذين انتشر الإسلام بينهم في حوض الفولجا إلى جنوب شرقي أوروبا وانتشر المهاجرون في منطقة بلغاريا ويوغوسلافيا والبانيا والمجر . ولكن نسبتهم إلى السكان كانت قليلة ومعرفتهم بالإسلام كانت ضعيفة . وهذا ماجعل أثرهم قليلا حتى نسى عند كثير من المؤرخين والكتاب . بل إن الجماعة التي قطنت بلاد المجر منهم قد انصهرت في المجتمع وذابت فيه وخاصة بعد أن أجبر ملك المجر ـ شارل روبرت عام ٧٤١ هـ ـ ١٣٤٠ م جميع رعاياه على اعتناق النصرانية أو مغادرة البلاد .

وعندما قامت الدولة العثمانية واتجهت إلى الفتوحات ترفع راية الإسلام وتهدى الناس إليه كانت أرض بلغاريا أول الفتح إذ فتح السلطان مراد الأول (صوفيا) والجزء الجنوبي من بلغاريا عام ٧٧٤ هـ ـ ١٣٧٢ م ، ثم فتح ابنه بايزيد الجزء الشمالي منها عام ٧٩٦ هـ ـ ١٣٩٣ م .

وعندما هزم تيمور العثمانيين خرجت بلغاريا عن سيادتهم ثم أعاد فتحها السلطان محمد الفاتح وبقيت تستظل بظل الخلافة العثمانية حتى مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ هـ ـ ١٨٧٨ م .

ثم صارت مملكة في عام ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م .

وقد استقر في بلغاريا منذ الفتح العثماني كثير من العثمانيين كما اعتنق الإسلام كثير من البلغاريين (٣) .

المأساة في بلغاريا :

وقد بدأ اضطهاد المسلمين في بلغاريا على أثر الهزيمة التي منيت بها البلاد في الحرب العالمية الأولى إذ انحازت إلى جانب الدولة العثمانية وألمانيا .

وحين تسلم الشيوعيون الحكم عقب الحرب العالمية الثانية ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٢ م . أخذ العذاب يحيق بالمسلمين من كل جانب وبخاصة الأتراك . فمن قتل إلى نفى وتشريد إلى تذويب في المجتمع البلغاري وحرمانهم من أبسط الحقوق الإنسانية كحرية العبادة والتعليم والصحة وإتاحة فرص العمل .

فليست لهم مدارس خاصة بهم ولا يلقون أية رعاية صحية ويمنعون من أداء الشعائر ، وقامت الحكومة البلغارية بهدم مساجدهم التي كانت تبلغ ألفي مسجد في أنحاء البلاد .

ولما لم تفلح هذه الإجراءات ـ وازداد المؤمنون استمساكا بإيمانهم وبحقوقهم المشروعة في أوطانهم ـ ارتأى المسئولون في بلغاريا في منتصف القرن الرابع عشرالهجري (٢٠ م) وضع مشروع شامل لتنصير المسلمين قسرا بصورة جماعية ولكن مقاومة المسلمين القوية

←

(٣) د . محمد السيد غلاب وآخرين . البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة من ص ٧٢٢ .

المسلمون الممتحنون في بلغاريا

حالت دون إتمامه ، واستشهد كثير من المسلمين تحت سياط التعذيب ثم تجددت المحاولات نحو الطابع الإسلامي في الآونة الأخيرة . فبدأت بتغيير الأسماء وإجبار النساء على السفور وإيجاد المقابر الموحدة وحظر النحر في يوم عيد الأضحى ، وقد تعرض للإبادة كل من أبدى معارضة هذه الإجراءات .

كذلك هدمت المساجد واستعملت أبنيتها لأغراض أخرى ، فالمتحف في العاصمة (صوفيا) أصله مسجد خربت مئذنته ولايوجد في صوفيا الآن غير مسجد واحد .

في الوقت الذى يتمتع فيه اليهود بمنزلة كبرى لدى السلطات الحاكمة في بلغاريا[4] .

ولهم ـ بلا شك ـ يد سوداء ملطخة بالدماء في هذه المأساة لصرف أنظار الشعوب الإسلامية عما يحدث في فلسطين المحتلة من إبادة وطرد وقهر وتدمير وإحراق في محاولة لإخماد جذوة الثورة الفلسطينية . ثورة الحجارة التى ترجمهم . وتؤكد لهم صلابة شعب فلسطين وإصراره على طرد المحتل البغيض والعودة إلى وطنه المقدس مهد الرسالات وأرض المقدسات .

وقد سبق لنا القول أن الشيوعية والصليبية والصهيونية هدفهم واحد . القضاء على الإسلام وعلى المسلمين أينما وجدوا وحيثما حلوا .

وقد كشف « عوني أوغلو » زعيم الأقلية المسلمة في بلغاريا النقاب عن أن الحكومة البلغارية هدمت حتى الآن ألف مسجد حيث تناقص عدد المساجد من ١٥٠٠ إلى ٥٠٠ وأن السلطات البلغارية تمنع المسلمين من أداء شعائر الصلاة والصوم ولا تسمح لهم بالحج ، كما تقوم بتعليم أبناء المسلمين العادات المسيحية ، وحولت الأسماء الإسلامية إلى أسماء مسيحية بالقوة الجبرية وقامت بإحراق المصاحف .

وأكد في حديثه أن الهدف الأساسى من هذه الانتهاكات هو وأد الإسلام في بلغاريا وعدم انتشاره لأنهم أجروا إحصائيات اتضح لهم من خلالها أن عدد المسلمين في بلغاريا يتزايد باستمرار ، لذلك فإن الحكومة البلغارية الشيوعية تعيش في رعب خشية أن تتحول بلغاريا على المدى البعيد إلى دولة مسلمة ، ولذلك لجأوا إلى الأساليب الوحشية في معاملة المسلمين ، وحملهم على الخروج في هجرات جماعية إلى تركيا المسلمة المجاورة لبلغاريا[5] .

وذكر مصدر دبلوماسى في العاصمة التركية (أنقرة) أن الرئيس التركى (كنعان ايفرين) بعث رسائل إلى أكثر من ٤٠ من رؤساء دول العالم طلبا لمساعدتهم في التوصل إلى حل مع حكومة بلغاريا لوقف عمليات الطرد الجماعية للمسلمين بعد أن وصل الطرد حوالى خمسة آلاف مسلم يوميا ، ويبلغ عدد المطرودين حتى الآن ٣١٠ آلاف شخص وصلوا إلى تركيا فيما وصفه المراقبون بأنه إحدى أهم عمليات الترحيل الجماعي الإجبارى في القرن العشرين . مما اضطر حكومة تركيا إلى إغلاق حدودها مع بلغاريا لوضع حد لهذه الهجرات الجماعية[6] .

ذلك فصل من هذه المأساة والتى تكررت من قبل مع الأقليات المسلمة وتتكرر اليوم في أكثر من

البقية ص ٨٠٣

---

(٤) د . محمد السيد غلاب وآخرين . مرجع سابق .

(٥) عن جريدة النور : العدد ٣٩٠ .

(٦) جريدة النور : العدد ٣٩١ .

الدعوة الإسلامية على أبواب قرن جديد

للدكتور/ توفيق شاهين

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .. فصلت (٣٣)

مقدمة :

اقام الله سبحانه شريعته حبا وعطفا ونفعا ، وجعلها هادية ، وعماد نظام صالح ، وكلمة رشد ، لانه يعلم من خلق . وعلينا تبليغ هذه الرسالة الهادية النيرة الزاكية ـ ومن ثم فنحن دعاة وبحاجة إلى دعاة واعين مخلصين فاهمين . تعرف كيف تصيب الهدف ، وتعايش الناس ، وتعرف احوالهم ومشاكلهم وتخاطبهم على قدر عقولهم ، وتخاطبهم شيباً وشبانا ، اطفالاً وفتيانا ، رجالاً ونساء .

ومسئوليتنا تجاه الدعوة إلى إسلامنا .. فقراء واغنياء على السواء كبيرة : إسهاماً وتطوعا . وفريضة من دور نشر ، بلغات حية ، ومنشورات ومكاتب ، وقنوات دعاية دائمة دائبة في جميع وسائل الإعلام ، لتصل كلمة الإسلام إلى الجميع في مكاتبهم ، وبيوتهم ، وحتى في غرف نومهم .. في كلمة مقبولة واسلوب جذاب ، ودراسة نفسية واجتماعية هادفة .. كما صنع اصحاب الديانات والملل الاخرى ، بوسائل مدروسة ، وفهم عميق ، وعشق كبير ، لما يريدون قوله يرفدهم دفع مادى ومعنوى غنى وقوى .

المسلمون والدعوة :

ونحن ـ المسلمين ـ حملة رسالة كبرى ، وَكَّلَ الله سبحانه أمر تبليغها إلينا ، .. فإن أدينا فقط وفينا ولنا الأجر .. وإلا فعلينا الوزر .. وربط سبحانه الفلاح لمن بلغها وقبلها .

والإنسان متدين بطبعه وبحاجة اكيدة ليرتبط بخالقه ، ويحيا حياة إنسانية فاضلة في مثل عليا مع نفسه وغيره ، ومجتمعه الصغير الكبير .

وقد لبى الإسلام حاجات الجسد واشواق الروح في سَوِيَّةٍ عادلة ، ليبقى الإنسان إنساناً ، يرتفع في دائرة إنسانية ، إذ لم يطلب منه أن يكون مَلَكًا ، ولا يراد له أن ينحط عن إنسانيته .

←

الدعوة الإسلامية

* والإسلام رسالة ، وله رسول ، ومرسل إليهم :

* فالرسالة تضمنها القرآن المقدس ، المهيمن على الكتب السابقة ، وأصوله امتداد لأمجاد سالفة .

* والرسول هو خاتم الرسل والأمجاد فى سلسلة النبوة الراشدة ، ولم يكن بدعاً من الرسل ، ولنضج البشرية حين شبت عن الطوق .. كان خاتم الأنبياء إلى يوم الدين ، يطلب أجره من الله شأن إخوانه السابقين عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

* والمرسل إليهم ، هم الناس ، كل الناس إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، وهم بشر أرشدوا بالعقل ، ودفعوا إلى العلم ، ورسولهم بشر مثلهم غير أنه يوحى إليه ، ولا يوحى لهم ولا لأحد بعده إلى اليوم الآخر .

* والدين لا يستغنى عنه بالعقل ، ولا هو بالترف العقلى ، فالعقل لا يعقل نفسه .

* ودعوة الإسلام حضارية فى مسارها وموادها ، إنسانية فى مبادئها ، منطقية فى أوامرها ونواهيها ، ومابقى إلا إعداد الداعية المناسب لعصره وبيئته ، والبلد الوافد إليه ، وفهم الإسلام منطوقاً ومفهوماً ، وروحاً ونصاً ، ومخاطبة المدعوين بما يتناسب وحالتهم وحاجتهم .. ووقتئذ يكون النجاح بفضل الله الهادى إلى سواء السبيل .

الإسلام مثالى فى رسالة تشجع على قبول دعوته :

المجتمع الإسلامى إنسانى فاضل ، يؤمن بالمثل العليا ، ويقوم على مبادىء ثابتة ، مع قبولها الفهم ، والتفهم ، والاجتهاد .. جعلته ثورة على المادية الإلحادية فى كل زمان ومكان .. وأهَّلته للنصر بعد خوض صراع مرير مع الطغيان والمادية والإلحاد دائما ، ولزمن مديد .. كلما اشرأبت بأعناقها نفثت سمومها .. ورغم الحتوف السود ، التى تَتَحيَّفُهُ منها .. إلا أنه يظل محتفظاً برونقه وبهائه وجلاله .

ومبادئه الخالدة هى :

١ ـ إن وظيفة المال فيه اجتماعية ، ملكيته خاصة ، يتملكه أفراد .. ولكن يتعلق به حق كثيرين فى المجتمع ، ومنفعته عامة ، وتلك نظرة إنسانية فى مساواة من يملك المال ومن لا يملكه فى المنفعة على سواء .. وحين يقول الإسلام : هذا حلال وهذا حرام ، وافعل هذا ولا تفعل هذا ، فإنما ذلك لدفع الضرر والضرار .

٢ ـ ومن مبادىء الإسلام : العدل والتوازن فى حاجات البدن ، وتلبية أشواق الروح ومباركة طموحات العقل فيما يفيد ولا يضر ، ويسعد ولا يشقى .

٣ ـ ويترقى الإسلام بعد العدل ـ الذى لا يكفى وحده ـ فيدفع إلى الإحسان الذى يسبغ الكمال ، ودافعه الإخلاص .

٤ ـ واعتبار الكرامة الإنسانية للفرد والمجموع حق مقرر ، توفيراً للاعتبار البشرى ، ومن ثم فالإسلام لا يعرف العنصرية ، ولا الجنس ولا اللون ، وإنما الناس ـ كل الناس ـ لآدم ، وآدم من تراب ، والإكرام إنما هو بالتقوى وتزكية النفس ، ونفع الحياة والأحياء .

ولا ريب أن الدعوة الإسلامية فى مسار هذه المبادىء وظلها ، تجد طريقها ميسرا ، وقبولها سائغا ، ومدخلها سهلاً .. متى أصابت الدعوة كبد الحقيقة .

الاسلام ليس جامداً ، ولا رجعياً ، ولا متخلفاً :

اتهم الإسلام بالجمود ، والرجعية ، والتخلف ـ من خصومه والجاهلين به ـ حين نشط البحث

التجريبى والتطبيق الصناعى ، بعد الحرب العالمية الثانية ، ابتداء بكشف قاع المحيط ، إلى النزول على سطح القمر ومدار الأفلاك ، وظهور البترول واختراق جاذبية الأرض ، والتقدم التكنولوجى الهائل فى وسائل الاتصال والبرق والأقمار الصناعية .. إلخ . وكان المظنون أن يكون ذلك لرفاهية الإنسان ، فانقلب إلى أداة تدمير لا تبقى ولا تذر ، وتوتر دائم ، وتربص سيىء ، وتنافس مسعور لوسائل الدمار والخوف ووسائل التحكم فى مصائر الأمم والشعوب .

وأغرى هذا التقدم ـ الذى انحرف ـ علماء وكتابا ومفكرين برمى الإسلام بما هو منه براء ، براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، رموه بالجمود ، والرجعية ، والتخلف ، من أعدائه والجاهلين من أبنائه على السواء : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً ﴾ ـ الكهف/٥ .

ظهرت هذه الكتابات الطائشة من أبناء الإسلام أيضاً ، ممن رباهم الاستعمار على عينه ، أو اختارهم لمهمته ، ومنحهم أرقى الشهادات ليرفعهم إلى أرفع مجالات التوجيه ، ومن هنا يكونون رسالة فى الهدم والتخريب بعد أن أحكم تمرينهم على الزيف وطبعهم بالغرور ، وجعلهم فتنة ، بوأهم أرقى المناصب وسخر لهم الإعلام بكل وسائله ، ومكن لهم بدفع قوى ، ورفد كثير .

وكانت النتائج : أن تزعزع البعض ، وتقوقعت الروحية ، حين استشرى الأمر ، وتفاقم الخطب ، ونال الإسلام من مواجهة الصراع ندب وانزواء ، وإن بقى محفوظاً بحفظ الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر/٩) .

والحقيقة : إن الإسلام يمثل قمة الروحية الإيجابية ، مع العمل الدائب البناء ، كما يمثل قمة المبادىء المثالية ، لقيامها على احترام الإنسان ـ أكرم مخلوقات الله تعالى ـ بإيمانه بالله وحده ، وطاعته سبحانه كقوة عليا مهيمنة مدبرة .. ومبادىء الإسلام تندفع من داخله بدفع ذاتى لا خارجى عنه ، بعد أن رق بالإسلام طبعه ، وصفت روحه ، وصار خاضعاً لخالقه ، قويا بإيمانه .

والحقيقة أيضاً : إن مبادىء الإسلام ثابتة ، لاعتمادها على الإيمان بالخالق ، وإنسانية الروابط فى العلاقات التى تربط الإنسان ، بأفراد مجتمعه المحيط به ، والإنسانى عامة على السواء ، وهى بذلك مبادىء تساوق الطبيعة البشرية ، كما فطرها الله سبحانه أحسن الخالقين .

ولكن مبادىء الإسلام مع ثباتها قابلة للفهم والتفهم وقابلة لتعدد الإدراك ، ومن هنا كان الفقه والتفقه ، والخطأ والصواب فى الاجتهاد فيما لا أحكام فى نصوصه ـ وكلاهما ـ الصواب والخطأ فى الاجتهاد ـ مجزى عليه ، ومثاب عليه .

وكل الذى ترجوه مبادىء الإسلام حين التفقه والاجتهاد والاختلاف فى الإدراك .. إنما هو منع الخصومة والنزاع الطائفى ، منعا لتمزق الوحدة والقتال وإنما الواجب ـ فى هذه الحالة ـ رد الأمر إلى الله ورسوله على نحو ما تمليه هذه الآية الكريمة : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء/٥٩) .

وروحية الإسلام ـ إذن ـ ليست المانعة من التقدم العلمى ، والبحث التجريبى والنظرى ، بل هى حاثة عليه ، داعية له فى آيات كثيرة ، ومسجلة عليهم اللوم إن قصروا فى ذلك : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف/١٠٥) : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات/٢٠ و٢١) .. شريطة أن

←

كيف الدعوة الإسلامية ؟

تكون محصلة البحث والكشف رفاهية وصلاح الحياة والأحياء ، لا الهدم والتدمير والخوف والتربص والاعتداء .

ولنمعن النظر والفكر فى أنس وحفاوة إلى نور هذه الآية الكريمة من كتاب الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد/٢٥) .

ففى بصر وبصيرة ، نلاحظ ارتباط إرسال الرسل بالكتب المنزلة معهم للهداية والإرشاد ، وبالتالى التعبير « بالإنزال » للحديد الذى فيه بأس شديد ومنافع للناس .. إشعار بالتسوية بين الكتب المنزلة لهداية البشر ، وبين الحديد وأنواعه كمصدر قوة وطاقة مادية لنفع الناس فى دنياهم وأخراهم .

وإذن فالإسلام هو التقدمى فى مجالى الإنسانية الرشيدة ، والتقدم الصناعى والعلمى ، فمتى نفهم الإسلام وروحه ؟ ومتى يفهم الداعية إليه ذلك ، ليقف مفاخراً ، لا عاجزاً ولا وانياً ، وشجاعاً لا خائفاً ، ومحياً لا محترفاً ، ومضحياً لا متقاعساً ، وغالباً لا مقهوراً ، ومحترماً لا محقوراً ، وواقفاً على أرض صلبة لا مروعاً ولا متردداً ؟

وقد ترك الإسلام فى الجانب الإنسانى والمادى حضارة رائدة ، وخاصة فى مجال السلوك والعلاقات السوية ، وبذلك كانت دولة الإسلام وأمته خير أمة أخرجت للناس ..

أما الإسلام اليوم فمثله كمثل يتيم بين لئام ، بين أهل تنكروا له ، وعلماء زهدوا فيه ، وأعداء تكاثروا عليه ، وحكام حاصروه فى زوايا الإهمال ودائرة الظل !!

وفتن بعض الكتاب والمفكرين من أبناء الإسلام بتقدم التكنولوجيا الهائل فى العصر الحديث ، وأغراهم ذلك بطلب الحضارة الغربية برمتها ككل لا يتجزأ ، وكمثال يحتذى فى كل نواحى الحياة عندنا ، فى السياسة ، ونظم الحكم ، ونواحى السلوك ، وحتى فى جانب الاسرة وما يسمى بالاحوال الشخصية حتى وإن اشتكى الغرب والشرق من آثار الحضارة الغربية والشرقية المادية والإلحادية وآثارها المروعة على حاضرهم ومستقبلهم ، والتحذير من أخطارها على شبابهم بالذات وكذلك الأجيال الناشئة .

كما طالبوا ـ واهمين ـ بالعلمانية ، أو فصل الدين عن الدنيا وشئونها كما فى الغرب والشرق ، ولكن فاتهم أن الإسلام دين ودنيا ، وأن غير المسلمين اعتنقوا العلمانية للحد من سلطان الكنيسة والحكومة الإلهية .. والقيد على الفكر ، ولم يحدث ان جرب الإسلام فى ذلك ، فلماذا يحاكم ـ متهماً ـ كغيره ، ولم يدخل مجال التجربة المريرة التى خاضها غيره ؟! إنه التقليد الأعمى وعدم الفهم والتبصر .

فهل يريد هؤلاء طغيان الرأسمالية ؟ وسحق العامل ، وتكميم الديمقراطية ومسخ الإنسان ؟ وجعله ترسا فى آلة ؟ وهل نضحك على الشباب والعمال بالعوامل البهيمية للتنكر لدينهم وهويتهم ؟

اللهم إن هذه أمية دينية وثقافية من هؤلاء ، وإن حملوا أرقى الإجازات والشهادات .. وما فى دعاواهم سوى التنكر لديننا ، والإهمال لتاريخنا ، وطمس معالم وجودنا ، وإلغاء اعتبار وجودنا الإنسانى ، وجلب تجارب ثبت فشلها واشتكى منها أهلها .

وقد تسللت العلمانية رغما عن ذلك إلى ديارنا على حين غفلة منا . وحاصرت الإسلام فى رقاع ضيقة ، ووضعته فى قفص الاتهام ، وشوهت تعاليمه ، وطالبت بنبذه أو نفيه ، أو الإجهاز عليه .

والأمل كبير فى أن يقف المسلمون صفا واحدا ، يردون عنه عوادى السوء ليشرق من جديد ، وتشرق الأرض بنور ربها ، وتسعد الإنسانية فيتبدل شقاؤها سعادة ، وخوفها أمنا ، آلامها راحة ، وظلامها نوراً .. ويكون ذلك متى فهمنا الإسلام ، وأصبحنا ـ عن علم وبصيرة ـ دعاته وحماته وأعددنا دعاته الذين ينطلقون كالسهام تعرف مبدأها ومنتهاها .. وسخرنا وسائل الإعلام وأفسحنا فيها مجالاً رحباً ، ليتنفس فيه الدعاة ، وتشع فيه الدعوة الإسلامية .

تكاتف الجهود للدعوة الإسلامية فريضة اليوم والغد :

إن من ضرورات الدعوة الإسلامية ، ونجاح مهمتها : أن تتكامل وتتكاتف فى كل الاتجاهات :

ــ فالدين ضرورة فى كل مراحل التعليم وإلزامى .. والأستاذ قدوة يجسد مايقول من هدى وتعاليم .

ــ والمنزل مكمل للمدرسة فى السلوك ، بعد السلوك الرشيد من المدرسة ، والتبصرة بما يريد الدين .

ــ والوالدان قدوة تسير على منهج الإسلام ـ حتى لا تكون الازدواجية فى التوجيه والشارع يجسد تعاليم الإسلام .. حتى لا تحدث الانفصالية ..

ــ ووسائل الإعلام تذكر أبداً بما يهذب السلوك الإنسانى الرفيع ـ لتكون وسيلة إعلاء للغرائز ، وعامل إفادة ، وأداة توجيه على مستوى فاضل .

ــ وعلى الحكام احتلال الصفوف الأولى فى الصلوات الجامعة ..

ــ وليكن شعار الدول الإسلامية : الإسلام دين الدولة الرسمى .. منطوقاً ومفهوماً ..

ــ ولتنهض المجامع الفقهية بمهامها ، بعد تزويدها بالدفع القوى مادياً ومعنوياً للإسلام الجماعى ، بالرأى الناصح فى حل المشاكل المعاصرة ، مثل :

الديمقراطية وسبلها ، والشورى ووسائلها ، والاقتصاد وما جد فيه ، ومشاكل العمل والعمال ، والتبصير بحل مشاكل الأسرة فى ضوء الإسلام ، وإلقاء الضوء على منهج الإسلام فى كل ما يعتور حياة الناس وما يجد فيها على هديه وضرورة المجتمع المعاصر ، بما يقنع ويرضى ، لا بما يثير الجدل والبلبلة والنزق والتحزب ..

الداعية الإسلامى : إعداده ، وواجباته ، وحقوقه :

العامل الأهم فى الدعوة إلى الإسلام يكمن فى الداعى إليه .. وكثير من طلابنا ينفرون من حقل الدعوة لقلة إمكاناتها ، ولعدم إعداده إعداداً جيداً يكفل نجاحه ، وضعف الشعور بحبها والانتماء إليها ..

وإذا أعد الداعية إلى الإسلام إعداداً جيداً ، وزود بكل ما يكفل نجاحه لرسالته ، وأشرب حبها فى قلبه ، وبصر بواجباته ، وضمنت حقوقه واحترامه ، كان الموصل الجيد لا شك فى ذلك .

فداعى الإسلام يحس بانتمائه لجهة هى من نافلة القول والمناصب ، وداعية غيرنا ينتمى إلى وزارة الخارجية ، ليكون جليلا مهيبا ، وحقوق داعينا مهضومة أو محقورة ، وحقوقهم موفورة وجزيلة ، وناهيك : إن الطبيب الناجح عند غير المسلمين كثيرا ما يهجر مهنته ليكون راعى أمته ، ولسان معتقده ، وداعيهم كالسهم يعرف من أين ينطلق وأين يصيب الهدف .. وداعينا حائر لعدم تكامل جوانبه الثقافية ، وعدم وضوح الرؤية أمامه لما جد ويجد من أحداث الحياة ، وانعدام المراجع التى تيسر له الأمر وتمهد له النجاح ..

ويمكننا الإشارة إلى ما يحتاجه الداعى إلى الله من وسائل تكفل نجاحه نلخصها فيما يلى :

يجب اختيار الداعية من أصحاب حسن المظهر، مع طيب المخبر ودراسة أحواله الاجتماعية لحل مشاكلها، حتى يطمئن فى دراسته ويتفرغ لها، وحتى لا يثير شفقة من يدعوهم، أو يحس بالدونية أمام أوضاعهم ..

وطيب العيش والمكان، مع حسن العناية، يجعل تفرغه لدراسته كاملا، واستعداده ممتازا ..

ولوضع البرامج المدروسة أثره فى تثقيفه، وتكامل جوانب المعرفة عنده وتبصيره بحال المدعوين وشئون حياتهم، يجعله يتفاعل معهم على أسس نفسية واجتماعية فيحس بهم، ويجتمعون عليه .

وكتاب الله تعالى حفظا وفهما وحسن تلاوة، وتبصرة بما فيه، زاده الأول، وعدته فى دعوته، ترفده أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصحيحة وتشرح له ما غمض، وتفسر له ما أجمل، وتكون له زادا طيبا ومَعِينا مُعِينا .. حتى ينفذ إلى قلوب سامعيه، ويقنع معارضيه .. وخاصة ما يتعلق بآيات الأحكام ..

والدراسات المقارنة للأديان تفيد فى المناظرات، وقد أوصى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بدراسة أحوال الجاهلية، لا لأنها دين، ولكن لإمكانية المقارنة بما جاء به الإسلام من جلال وكمال .

ودراسة الفلسفة تريه تدرج الفهم للعقل البشرى، وأماكن الزلل فى تفكيرهم والخطأ فى أقيستهم المنطقية وكيف ضلت الأفهام فى فهم قضايا حلها الإسلام فى جمل وسطور، بدلا من الشطط والتجاوزات : فعيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إليها .. والله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .. والدنيا ليست هَمَّ المؤمن الوحيد، وإنما له أن نوفر كرامته، وما عند الله خير وأبقى .. والمؤمن القوى بإيمانه، وجسمه، وعلمه، وبحثه، وماله، وروحه، وإحساساته الإنسانية .. أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

والداعية لا يعيش فى فراغ، فعليه دراسة أحوال وشئون واحتياجات مجتمعه ليتفاعل معهم وهم معه فى خبرة وحكمة ..

والتيارات المادية والإلحادية، والضالة والمضلة .. كثيرا ما تشغل حياتنا، وتطفو على السطح طفو الأوشاب الضارة على سطح الماء، وتكدر الماء والحياة، فعلينا أن نبصره بها، حتى لا تعوق سيره، ولا تكبل خطاه، أو يقف أمامها حائرا حائرا لا يحير جوابا .. وإنما يفندها فى يسر وينقض أصولها فى استئصال بصير ماهر .. وقد جد فى دنيا التعامل شئون .. واختفت من أبواب الفقه أمور، مثل الرق والتدبير والمكاتب .. فعلينا أن نوجز له في يسر غير مخل الجديد فى دنيا التعامل منوطا بأحكام الشرع فيه، وأن تحرير الإنسان اليوم من رق الخرافة والقهر .. وذل الحاجة .. شىء قدره الدين للإعلاء من إنسانيته فى دائرة الإنسانية والاعتبار البشرى الكريم ..

وحار العقلاء فى مفاهيم : الديمقراطية وطرقها، والاقتصاد وفنونه، ومشاكل الأسرة فى ضوء الدين والحق، وحقوق العمل والعمال وواجباتهم والمعاملات الحالية، فيجب أن يكون رأى الدين أمامه واضحا، مفهوما حتى لا ينحاز إلى خطأ أو يضل الصواب أو يورط نفسه ودينه فيما لا يدريه : أو يخضع نصوصا ويلوى عنقها لخدمة هوى ورغبة ..

وبيننا اليوم نِحَلٌ ضارة، تسعى على أقدامها بسعى حثيث، ودفع قوى من أعدائنا، لتطاول، وتصاول معتقداتنا، وتنازل وتجادل فى ميزات

البقية ص ٨٢٦ : ٦

فى شهر شعبان
فضائل ومزايا

للدكتور: زكى مشعل

كان النبى ـ صلوات الحق عليه ـ يصوم فى شعبان أكثر من غيره، ولعل الحكمة فى هذا الصيام يفسرها ما جاء فى حديث أخرجه النسائى وأبو داود وصححه ابن خزيمة عن أسامة بن زيد قال : قلت : يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذاك شهر ـ يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ـ وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » فبين لنا ـ صلوات الرحمن وسلامه عليه ـ وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور ، وذلك لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام شهر رجب ثم شهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه ولعل الحكمة فى هذا الصيام أنه تمهيد لاستقبال رمضان ، فشعبان مقدمة لرمضان ليتم للنفوس رياضتها .

وإن شئت فقل ـ صيام شعبان تمرين فالرسول ـ ﷺ ـ أراد أن ينهض بأمته إلى أوج الكمال وأن يفعل بأمته ما يفعله كبار المربين وحكماء المؤدبين من التمهيد الواجب بمقدمة تمرينية للنفس على أداء الواجب . وكيف لا وكبار المربين وحكماء المؤدبين ما استمدوا الأشياء إلا من بحر سنته المحمدية .

ليلة النصف من شعبان :

جاء فى هذه الليلة كلام كثير حول الدعاء والصلاة وأعتقد أن الدعاء مطلوب دائما وكذلك النفل فى الصلاة ولعل من المزايا التى اختص بها شهر شعبان المعظم ما حدث فيه من أمر تحويل القبلة ، فقد كان ذلك فى ليلة النصف من شهر شعبان فى السنة الثانية من الهجرة ، كما قال محمد بن حبيب وجزم به فى « الروضة » ولقد ظل ـ صلوات الحق عليه وسلامه ـ يستقبل بيت المقدس وهو بالمدينة ستة عشر شهراً على قول أو سبعة عشر شهراً على قول آخر ـ وما كان ذلك إلا استجلابا لليهود إلى شريعة القرآن والدين الجديد دين التوحيد ، فأعرضوا عن هداه ولقد كان هذا التحويل اختباراً وفتنة ، أما المؤمنون فيما أظهروه من الرضا والقبول .

وأما المرتابون فيما أظهروه ، من الزيف والاعتراض ، ولقد حكى الله تعالى عنهم ما قالوه بقوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ فقال تعالى رداً

فضائل ومزايا

عليهم ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾. ولكن النبى - صلوات الرحمن عليه وسلامه - كان يرفع وجهه إلى السماء يتشوق لتحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ ولا عجب فى تشوقه - ﷺ - إلى قبلة إبراهيم عليه السلام وقد جاء محمد - صلوات الحق عليه وسلامه - بتجديد دعوته . ولقد خيب الله تعالى أمل اليهود الذين ، كانوا يلبسون الحق بالباطل وما مقصدهم من هذا إلا ليوقعوا بين المسلمين ، وكانوا يظنون أن فى إمكانهم اجتذاب المسلمين إليهم فلما خاب أملهم أخذوا يعيبون على المسلمين رجوعهم إلى الكعبة عن بيت المقدس . فإذا عظمنا هذا الشهر فإنما هو تعظيم للانتصار على اليهود .

مواسم التجليات

فى مواسم التجليات : يتلمس المسلم أوقات الصفاء فى قلبه ولحظات الهدوء فى نفسه وفترات الخشوع فى جوارحه ليناجى مولاه ، ويتعرض لنفحات ربه ، ولذلك كان الليل أنسب مناجاة من النهار ، وكانت الأسحار أوقع فى المناجاة من بقية أجزاء الليل .

ويشير القرآن إلى ذلك حيث يقول : ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ وهذا هو السر فيما أعلم فى أن صلاة الليل للتهجد تعدل كثيرا من صلوات النهار ، وفى أن « صلاتى الظلمة » العشاء والفجر ، لو عرف الناس ما فيهما من الفضل لأتوهما ولو حبواً وتطلع علينا سورة السجدة بوصف المؤمنين الذين يهجرون الفراش حباً فى مناجاة الرحمن ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

إذا ما قرأنا هذه الآيات بقلوب صادقة ونفوس ، خاشعة ، لاشك أننا نحس بلذة وشوق فى هذا الصنف من العبادة « عبادة الليل » . لقد عرف ذلك المؤمنون الصادقون من أمة نبينا الأكرم سيدنا محمد - صلوات الرحمن عليه وسلامه - فحرصوا عليه وتشبثوا به ، ووقفوا أنفسهم على ذلك الفيض الربانى ، والوصال الإلهى ، وإذا كان هذا الفيض يغمرك كل ليلة ، وهذا الوصال تتمتع بعذوبته فى هذه اللحظات المباركات فهنالك ليالٍ يزداد النور فيها تلألؤا ، ويزداد القلب فيها إحساساً بالجمال . ومن تلك الليالى ليلة النصف من شعبان . إنها ليلة فى شهر كريم - كان النبى - صلوات الحق عليه وسلامه - يصوم أكثره . وإنها ليلة تبشر بقرب شهر كريم هو شهر رمضان المعظم . فمرحبا بها حبا وكرامة : نستقبلها بالخير والإخلاص ، ونجهز أنفسنا لتلاوة القرآن فهو مأدبة الله عز وجل .

احتفاء الناس بها : اختلف العلماء فى صفة إحيائها على قولين : أحدهما انه يستحب إحياؤها جماعة فى المساجد كما كان يفعل خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويقومون فى المسجد ليلتهم تلك ، ووافقهم إسحق بن راهويه على ذلك وقال : إن قيامها فى المساجد ليس ببدعة والثانى أن يكره الاجتماع فيها فى المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره أن يصلى الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الأوزاعى .

نسأل الله أن يجنبنا الزلل ، وأن يوفقنا لخير العمل إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه .

الفتاوى

للشيخ على حامد

الوصية التى لا يطلب تنفيذها

س : .. مرفق برسالتى صورة لرسالة هى وصية الشيخ احمد حامل مفاتيح حرم الرسول إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

ويطلب من كل من اطلع عليها ان ينسخ منها عددا يرسله إلى الناس فإن فعل ذلك رزق إن لم يفعل اصيب ... فماذا افعل افيدونى :
احمد محمد السيد فودة
ـ الكوم الطويل ـ بيلا

جـ : هذه الوصية المزعومة تردد كثيرا بين الناس فى كثير من البلاد الإسلامية .

هذه الوصية التى تنسب إلى المدعو الشيخ أحمد حامل مفاتيح الحرم النبوى .. وهو رجل مجهول لم يعرف إلا فى هذه الرسائل المكذوبة .

والتى تظهر غالبا فى أيام الامتحانات وكأن المقصود بها شغل الطلاب عن دروسهم واستذكارها ، فعلى المسلم الا يشغل نفسه بهذا التضليل ، وألا يصدق هذه الدعاوى الباطلة .

إن دين الإسلام بعد أن أتمه الله وأكمله ، ليس فى حاجة إلى وصية من مجهول يهدد الناس ويخوفهم إذا لم ينشروها فلا تلتفت إلى مثل هذه الرسائل ، ولا تهتم بها ، وليسعنا ما جاء فى كتاب الله ومنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ما يؤخذ نظير ترك الأرض

س : كنا ننتفع بقطعة ارض ثم تنازلنا عنها نظير مبلغ من المال .

فهل ما اخذناه نظير التنازل عن الارض حلال ام حرام .

ع . ح . س . كفر الشيخ .

جـ : يجوز بيع حق الانتفاع كالإجارة ونحوها بشرط عدم استغلال المالك ، فإذا استغل واضع اليد حاجة المالك كان مايأخذه حراما .

أما إن كان ما يأخذه عن رضا وطواعية فإنه يكون من باب المنحة .

والله أعلم .

الفتاوى

بين الصداق والميراث

س : توفيت فتاة بعد العقد عليها ، وقبل الدخول تاركة : ـ زوجا وأما ـ وإخوة أشقاء :

وكان الزوج قد اتفق أن يجهز حجرة نوم كمقدم مهر ، كما أنه قدم شبكة ذهبية ـ فما الحكم . ومن يرث وما نصيبه .

سيد مرسى . الجيزة

جـ : بموت الفتاة قبل الدخول حل لها المهر جميعه مقدمه ومؤخره وكذلك الشبكة لأنها جزء من المهر .

وحيث إن الزوج قد اتفق على أن يقوم بتجهيز حجرة نوم نظير المقدم ، فإنه إن كان قد أحضرها تضاف إليها الشبكة والمؤخر إن كان هناك مؤخر صداق ، وإن كان لم يحضر الحجرة فالقيمة تقوم مقامها ـ وكل ذلك يعد تركة . وتقسم حسب الفريضة للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾ .

وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة : لقوله تعالى ﴿ ... فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾

وللإخوة الأشقاء الباقى تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

حكم العمل بالبنوك

س : ما حكم الشرع فى شاب جاءته فرصة عمل بالبنك هل يقبلها أم لا ؟

علما بأنه فى حاجة ماسة إلى المال . افيدونا .

محمود محمد عبد الفتاح

الغردقة ـ حى الأمل .

جـ : إن البنوك لا يغير نظامها امتناع موظف عن العمل بها ، وإنما يغيره اقتناع الشعب كله بالنظام الصحيح للتعامل السليم ، وإذا صدق العزم وضح السبيل وإن الواجب على كل مسلم أن يعمل قدر طاقته وبالوسائل المشروعة ـ على تطوير المعاملات حتى تتفق وتعاليم الإسلام .

ولو قلنا إن العمل بالبنوك لا يجوز ، لسيطر غير المسلمين على أعمال البنوك والشركات .

وفى نفس الوقت ألا نغفل ضرورات الحياة ، وهذه الضرورات تفرض على صاحب السؤال قبول هذا العمل ـ وإن لم يرض عنه ـ كوسيلة للعيش والرزق والله جل وعلا يقول : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٧٣ ـ البقرة .

فى الخلع

س : عقدت على فتاة ، ودفعت لها مهرا وشبكة وهدايا ، ولكنها رفضت الدخول وطلبت الطلاق ، فما الحكم ؟

صلاح البدرى ـ طهطا

جـ : إذا طلبت الزوجة الطلاق قبل الدخول بها ، ورفض الزوج الطلاق وتمسك بها حتى تدفع له ما أداه من مهر وشبكة وهدايا ، جاز له ذلك ، وكان من باب الخلع وافتداء نفسها بالمال .

عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ـ أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى صلى الله عليه وسلم . فقالت يارسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى أكره الكفر فى الإسلام ـ أى أكره إن أقمت عنده أن أقع فيما يقتضى الكفر ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اقبل الحديقة وطلقها طلقة ـ البخارى وغيره .

المسلمون الممتحنون . بقية .

مكان فى اسيا . فى افريقيا . فى اوروبا . فى الامريكتين . فى استراليا . وما اشبه الليلة بالبارحة .

واجب المسلمين :

ترى ماهو واجب المسلمين . كل المسلمين ـ شعوبا وحكومات ـ اليسوا أمة واحدة ..؟ وخير امة أخرجت للناس ؟

وهل يكتفون بعقد الاجتماعات وإصدار التوصيات وصياغة القرارات التى تمحى قبل أن يجف مدادها ؟

وهل يلتمسون الحل لمشكلات المسلمين على أيدى أعدائهم ؟

وقد نهى الله عن موالاة الأعداء ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[7] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ...... ﴾[8] .

أم تراهم يعتصمون بحبل الله ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[9] ويستيقظون من غفلتهم ، ويعدون العدة لإرهاب عدو الله وعدوهم . ويرابطون فى سبيل الله مجاهدين لإعلاء كلمته ورفع شأن الإسلام وعزة المسلمين ومؤازرة إخوانهم الذين يجاهدون فى سبيل الله ونصر دينه فإن الجهاد سبيل العزة « وماقعد قوم عن الجهاد إلا ضربهم الله بالذل » .

إن على المسلمين ان يعرفوا أعداءهم ـ وأن يفقهوا دينهم وأن يلتزموا المنهج الصحيح ويقرنوا القول بالعمل ، والعمل بالعلم وأن ينصروا الله لينصرهم . ووعد الله لايتخلف .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[10] .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ

---

(٧) من سورة النساء : آية ١١٩ : ١٢٠

(٨) من سورة الممتحنة آية ١ .

(٩)من سورة آل عمران الآية ١٠١

(١٠) من سورة الحج : آية ٤٠ ، ٤١ .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ
عبد الرحيم فرج الجندى

١٨٩٧ م - ١٩٦٩ م

للأستاذ : سعد الدين عبد الرحيم الجندى

اذن المؤذن لصلاة الفجر ، وختم الشيخ قراءة القرآن ، واخذ فى إيقاظ الأبناء - ابناء الشيخ نسبا وعلما - فقد كان - رحمه الله - يجمع مع ابنائه بعضا من ابناء الاقارب والمعارف ليربطهم بالتعليم حتى يستقيم عودهم ، وينمو فكرهم .

وهكذا يبدأ يوما جديداً من حياة الشيخ عبد الرحيم الجندى .. وترجع بى الذكرى واستعيد شريطا حافلا بمراحل حياة الشيخ المليئة بالنور ، والحافلة بالعلم .

المرحلة الأولى : مرحلة النشأة والتعلم ، فقد حفظ القرآن الكريم بكتاب القرية قرية اتميدة - مركز ميت غمر - وحفظ معه القرآن الكريم أخ له المرحوم الشيخ محمد ولكنه مرض فلم يواصل مشوار التعلم مع الشيخ ، وكان باقى إخوة الشيخ يعملون فى الزراعة وكان من هوى أنفسهم أن يبقى الشيخ معهم للعمل بالزراعة ، ولكنه كان يقوم من نومه قبل الفجر ، ويأخذ زاده على كتفه ، سائراً إلى معهد كفر كشك بزفتى ، وكانت المواصلات فى ذلك الوقت غير ميسرة ، فيصل إلى دار العلم ، فيقيم بها حتى ينتهى الزاد فيعاود رحلته إلى القرية حتى أتم دراسته فى المرحلة الابتدائية وحصل على الشهادة الأولية من الخارج ، وكان فيها الاول من ستة وخمسين متقدما ناجحا . وكانت علومها فى ذلك الوقت هى :

حفظ القرآن الكريم - التجويد - المقرر من علم القراءات - تفسير جزء عم - الحديث - التوحيد - الفقه - السيرة النبوية - الأخلاق الدينية - النحو - الصرف - البيان - العروض - التاريخ - المنطق - قواعد الصحة - الأشياء - الخط - الإملاء ، المطالعة ، الإنشاء ، الحساب ، تقويم البلدان » .

ومن الذكريات الطيبة فى إحدى الزيارات من بعض شيوخ الأزهر الاجلاء لمعهد كفر كشك ، اختار شيخ المعهد الشيخ عبد الرحيم ليلقى كلمة أمام الزائر ، ونظرا لأن الشيخ عبد الرحيم - حينئذ - كان قصير القامة بعض الشىء فأوقف على كرسى أمامهم وكان مفاجأة الزيارة حينما ألقى كلمة جامعة علما وأدبا .

ثم سارت الأمور بالشيخ عبد الرحيم حتى أتم دراسته الثانوية بالمعهد الأحمدى بطنطا ،

وحصل على براءة « العالمية » ثم براءة شهادة « التخصص فى التفسير والحديث » وفى أثناء هذه المرحلة تكاتفت ظروف اجتماعية على تعويق الشيخ عن الدراسة ولكن إرادة الله كانت غالبة وأتم دراسته بعد فترات من الانقطاع لمشاغل عائلية ، ومما يذكر فى تلك الفترة من حياة الشيخ عبد الرحيم أنه قد قدم أوراقه كى يلتحق « بدار العلوم » وكان من بين الأوراق المطلوبة أن يقدم الطالب تعهدا من ولى أمره بالعمل فى التدريس بعد التخرج ، فإذا لم يعمل بالتدريس عليه أن يدفع مبلغا من المال نظير كل سنة دراسية فأرسل الشيخ التعهد بالبريد كى يوقع عليه والده ، فجاء من همس فى أذنه بأن فى توقيع هذا التعهد ضياعا للأرض التى يعيش من خيرها الأبناء ، فامتنع عن التوقيع وهكذا غيرت وجهة الشيخ حتى يظل من رجالات الأزهر إلى آخر حياته .

وفى تلك الفترة عمل بالزراعة حتى صارت أرضه يضرب بها المثل فى زراعتها ومحصولها وفى المساء كان يقضى جزءاً كبيرا من ليله فى القراءة ، والمدارسة لطلاب الأزهر شارحا ومناقشا ، وارتبط بمسجد من مساجد قريته « مسجد سيدى أبى طه » يشرح فيه ويعظ ، ويوجه حتى ربى جيلا من الدارسين والمتعلمين ، وفى دروسه فى رمضان جعل الدرس بعد صلاة التراويح حتى يمتد الوقت إلى ما شاء الله ، ويجتمع إليه المصلون من المساجد الأخرى . وهكذا جذبته أنوار العلم ، ولم ينقطع عنها . فى المراحل التى انقطع فيها عن مواصلة الدراسة .

ولما قدم أوراقه لكلية أصول الدين سأله زميل له : أى قسم اخترت ؟ فأجابه الشيخ : قسم « التفسير والحديث » فما كان من زميله إلا أن صاح مستنكرا : إنه لا مستقبل لهذا القسم ـ يقصد الحياة الوظيفية ـ إلا فى الآخرة ، فما كان

الشيخ عبد الرحيم الجندى

من الشيخ إلا أن قال له : الحمد لله أن المستقبل خير فى الآخرة فهى الأبقى ، وواصل الشيخ عمله بعد التخرج فى زراعة الأرض ، والتدريس لأبناء قريته حتى جاءه التعيين فى معهد الأسكندرية ، وزف البشرى إليه أبناؤه فى العلم .

فسألهم : ومتى يكون تسلم العمل ؟ فقالوا : بعد أسبوع تقريبا . فرد عليهم : الحمد لله ، نكون انتهينا من « تخضير الذرة » . أى زراعته ، وكان يحلو له أن يدعى بالشيخ الفلاح .

وهنا تبدأ **المرحلة الثانية** من حياة الشيخ ، وهى مرحلة العمل الوظيفى فى الأزهر الشريف ، عمل مدرسا بمعهد الأسكندرية الدينى ، ولم يفارقه إلا إلى معهد طنطا إبان الحرب العالمية الثانية حينما تم تهجير سكان الأسكندرية بعيداً عنها للأمان من ويلات الحرب ، ولما استتب الأمن وساد الهدوء أحياء الأسكندرية مرة أخرى

من أعلام الأزهر

عاد إلى التدريس بمعهد الأسكندرية ، وقام بتدريس « التفسير والحديث » و« الفقه » و« البلاغة » و« التوحيد » و« المنطق » و« النحو » ولم يبخل على طلابه بجهد ولا طاقة إلا ويبذلها فى سبيل إشباع نهمهم للعلم ، وكانت مشيخة علماء الأسكندرية تخصص مسجد « سيدى ياقوت العرشى » القريب من مسجدى أبى العباس المرسى ، والبوصيرى . لمذاكرة الطلاب إلى وقت متأخر . فكان الشيخ عبد الرحيم يذهب فى أغلب الأيام ليجلس بين الطلاب كى يجيب عن أسئلتهم ، ويوضح لهم ما صعب عليهم ، ويفتح لهم صدره ، ويفيض عليهم من علمه وفكره .

وفى يوم « الاثنين » و« الخميس » من كل أسبوع كانت تعقد ندوة علمية فى « فيلا » باسم « دار الفرج » لأحد المحبين للعلم ، ومن الرجال قريبى الصلة بربهم - يدعى المرحوم الشيخ جمعة على مصطفى فى محرم بك - كان الشيخ عبد الرحيم يلقى فى الندوة درسا دينيا ، ثم تتحول الجلسة إلى مناقشة دينية علمية تمتد إلى وقت طويل بعد صلاة العشاء ، وكان يقصد الندوة جمع من محبى العلم ، وكبار رجالات الأسكندرية على كافة المستويات فى ذلك الوقت .

واصل الشيخ عمله بمعهد الأسكندرية الدينى مع مجموعة من كبار العلماء الاجلاء الذين سعدت بهم الأسكندرية ، وفى مناسبة قومية زار وفد من علماء « الشام » معهد الأسكندرية ، وأقام لهم المعهد لقاء علميا ، فكان الشيخ عبد الرحيم هو الذى اختاره زملاؤه العلماء كى يلقى محاضرة علمية أمام الجميع ، ودارت حول : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وكانت جلسة رفرف فيها النور ، وحلقت عليها الملائكة . وفى عهد المرحوم الشيخ محمد الصادق عرجون ، وقت أن كان شيخا لمشيخة علماء الأسكندرية انشأ مجلة لمعهد الأسكندرية الدينى قامت على علم الاساتذة ، وكان من المشرفين عليها والمحررين بها الشيخ عبد الرحيم ، وكانت له أبحاث علمية فى هذه المجلة من أهمها بحث لغوى عن « لو » . وبجانب ذلك شارك فى المحاضرات التى كانت تقوم بها مشيخة علماء الأسكندرية فى « جمعية الشبان المسلمين » وكلية الآداب بجامعة الأسكندرية .

ثم كانت المرحلة الثالثة من حياة الشيخ وذلك حينما نقل إلى القاهرة موجها للعلوم الشرعية والعربية بإدارة المعاهد الأزهرية ، وكانت فترة غنية بعطاء الشيخ الجندى ، فقد اشترك فى لجنة « التفسير والحديث » والفقه بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وشارك فى إخراج كتب التفسير والحديث وموسوعة الفقه .

ومن طريف ما يذكر أن المرحوم الشاعر الكبير على الجندى كان يناديه دائما فى جلسات المجلس أهلا بإمام الجنود .

ولما بلغ الشيخ عبد الرحيم الجندى سن التقاعد لم تنقطع صلته بالعلم ، فقد اختير للتدريس بكلية أصول الدين « قسم الدراسات العليا » لمادة التفسير وفى كلية الدراسات العربية والإسلامية لتدريس مادة « المنطق » ، وكلف بالتدريس لطلاب وطالبات البعوث الإسلامية من « ماليزيا » و« بولندا » .

ولما شارك فى امتحانات شهادات معهد القراءات بالقاهرة أخذ فى حفظ متن الشاطبية فى

علوم القرآن وأحكامه ، وكان يقول إن هذا الفرع يجب أن يأخذ ما يستحقه من العناية ، فمازال رجاله رغم انتشار معاهد القراءات ، فى حاجة إليهم فى مصر وخارجها .

إنها حياة حافلة بالعطاء ، غنية بفيضها ، اختير للتدريس فى جامعة الرياض ، فى معهد القضاء العالى ، بالمملكة العربية السعودية ، لتدريس مادة « أصول الفقه » للسنتين الأولى والثانية مدة الدراسة بالمعهد . فقضى به سنة واحدة رجع بعدها مريضا حتى لحق بربه راضيا مرضيا .

وفى مرض موته زارنا فضيلة المرحوم الشيخ سيد أحمد عطا سعود والد فضيلة الشيخ أحمد سيد أحمد عطا سعود مدير عام المعاهد الأزهرية وقد كان الشيخ سيد أحمد عطا سعود زميلا للشيخ الجندى فلما حضر لزيارته جلس ثم قام فجأة وخرج ، وكان هذا مدار التساؤل ، ومثار الاستفهام من الجميع وخاصة أن الشيخ سعود فى ذلك الوقت كان شيخا من كبار شيوخ الصوفية ، والعارفين بربهم ، وأينما يحل يحاط بالإجلال والإكرام ، فما كان من الأهل إلا أن تمسكوا بالشيخ سعود ليجلس ، فلم يمتثل . ثم كانت وفاة الشيخ الجندى بعد فترة قصيرة من هذه الزيارة فجاء الشيخ سعود ليقوم بواجب العزاء فى أخ له وزميل عزيز عليه ، وهنا انتحى بى جانبا ، وفى نورانية شفافة ، وروحانية مضيئة قال لى : هل تعلم لماذا لم أجلس مع والدك عندما زرته فى مرضه ، لقد نظرت للشيخ ودار حديث سريع مع خاطرى ، وسؤال لماذا يمرض الشيخ عبد الرحيم بمرض كهذا ، وكان لا يترك صلاة فجر ، ولا ينام إلا بعد أن يذاكر مع إخوانه دروسهم وهنا ـ يقول الشيخ سعود ـ استرجعت نفسى قائلاً : وماذا فعل الأنبياء والصالحون حتى يصيبهم ما أصابهم ، إنها يابنى منزلة لوالدك يبلغها بهذا المرض . ثم أخفى عنى عينيه . وفى ساعة الوفاة كان المسجد الذى كان الشيخ يلقى فيه دروسه لأبناء قريته كان يقوم أبناء القرية بتجديده ، فأصروا على أن يدفن به وهنا ذكرتهم بحديث الرسول ﷺ « لعن الله قوما اتخذوا قبور أوليائهم مساجد » ، ولم أخلص من تصميمهم إلا بهذا الحديث ، ووافقوا على أن يدفن بمدافن الأسرة .

من أبحاث الشيخ :

١ ـ مذكرة فى « فن المنطق » عملها لطلاب الصف الخامس الثانوى الأزهرى أيام أن كانت الدراسة خمس سنوات ، قام الطلبة بطبعها ، والانتفاع بها .

٢ ـ شرح « السُّلَّم » فى المنطق لطلاب كلية الدراسات العربية والإسلامية .

٣ ـ شرح « الأربعين النووية » ، وكان هذا الكتاب يدرس بالمعاهد الثانوية الأزهرية .

٤ ـ تفسير لبعض أجزاء من القرآن الكريم بمجلة « الإسلام » من أول سورة البقرة إلى أوائل سورة المائدة » .

٥ ـ الاشتراك فى إخراج كتاب « الأحاديث القدسية » بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٦ ـ الاشتراك فى إخراج « المنتخب من السنة » حتى الجزء الثامن بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٧ ـ الإسهام فى موسوعة « الفقه » مادة « أب » بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

من أعلام الأزهر

٨ ـ الإسهام في مجلة معهد الأسكندرية الديني بأبحاث من أهمها بحث عن « لو » .

٩ ـ بعض المحاضرات للنشاط الثقافي لمعهد الأسكندرية الديني .

١٠ ـ مخطوطات في التفسير من سورة الذاريات إلى سورة الناس . بخط يده ، ـ وكان رحمه الله ـ صاحب خط مميز ممتاز .

١١ ـ مخطوطات في « أصول الفقه » في مذكرة وافية ملء كراستين كبيرتين كان يقوم بتدريسه لطلاب معهد القضاء العالي بالرياض .

وكان يقول لي وفي يده كتاب الموافقات للشاطبي : لو امتد بي العمر لعملت كتابا في أصول الفقه يكون من السهل الميسر في هذه المادة ـ ولكن الأجل عاجله .

١٢ ـ مراجعة كثير من البحوث العلمية ، والإشراف على إخراجها ، وكذلك مراجعة كثير من الرسائل العلمية لنيل الدرجات العلمية في التفسير والحديث .

١٣ ـ الإشراف على إخراج بعض الكتب العلمية . كأخبار التكرور للشيخ عثمان بن فودي .

١٤ ـ ومن طريف ما كان يقوم به الشيخ إنه كان في آخر اليوم وقبل أن يلجأ للنوم ، كان يقوم بتسجيل أهم الحوادث ، والأخبار التي تحصل على المستوى الأسرى أو الإسلامي أو العالمي ، لسنوات طويلة .

تلك لمحة من حياة عالم من علماء الأزهر ، قضى حياته مترهبا في محراب العلم ، وكان لا يرى إلا والكتاب رفيقه ، ومصلحا بين الناس ، ومرشداً لأبنائه الطلاب ، ومربيا لأبنائه فقد كان أبا لأربعة من الذكور ، وسبعة من الإناث .

وبعد فأختم حديثي عن الشيخ عبد الرحيم فرج الجندي بكلمة : إن طلابه وإخوانه يعرفون عنه أكثر مما يعرف عنه أبناؤه وذلك لصلته الزائدة بطلابه وإخوانه .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنوياً

١ ـ جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) اربعة جنيهات وثمانون قرشاً .

٢ ـ اتحاد البريد العربي الافريقي [بالبريد الجوي] (٣٥) خمسة وثلاثون دولاراً او ما يعادلها .

٣ ـ باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولاراً او ما يعادلها .

وتطلب راساً من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء . القاهرة ـ ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر ..

العلوم الكونية

الأمطار الحمضية

الاندماج النووي

الأمطار الحمضية

٢

أ.د. أحمد فؤاد باشا

أسباب التلوث البيئي بالأمطار الحمضية :

لقد أدى التقدم الصناعي و « التقني » للإنسان إلى استخدام كميات هائلة من الوقود التقليدي بأنواعه المختلفة كالفحم والبترول والغاز الطبيعي وغيرها .

وتنشأ الغازات الملوّثة لغلاف الأرض الهوائي نتيجة عمليات احتراق هذه الأنواع من الوقود ، وبخاصة الفحم ، في المصانع ومحطات توليد الطاقة وأفران صهر المعادن ، كما تنبعث من « عوادم » السيارات والطائرات النفاثة وغيرها من الآلات التي تعمل محركاتها « بمقطّرات » البترول . ومع استمرار هذه العمليات وتزايدها بزيادة الأنشطة البشرية المختلفة يتقبل الهواء الجوي سنوياً مئات الملايين من الأطنان من غازات ثاني أكسيد الكربون (ك أ٢ أو CO_2) وأول أكسيد الكربون (ك أ أو CO) وثاني أكسيد الكبريت (كب أ٢ أو SO_2) وبعض أكاسيد النيتروجين (ن أ ، ن أ٢ أو NO, NO_2) وغيرها . وتعتبر أكاسيد الكبريت والنيتروجين من الملوّثات الرئيسية التي تسبب

تكوين الأمطار الحمضية في جو الأرض بعد دخولها في سلسلة من التفاعلات الكيميائية تحت بعض الظروف الخاصة . ويكفي دليلاً على ضخامة المشكلة المطروحة الآن أن بلداً مثل كندا يتراكم في سمائه سنوياً حوالي ١٢ مليون طن من أكاسيد النيتروجين المتصاعدة من أفران ومصانع كندية ، بالإضافة إلى حوالي ١٧ مليون طن من ثاني أكسيد الكبريت المتدفق إليه من أجواء الولايات المتحدة الأمريكية ، ونحو ٢٥ مليون طن من الملوثات المختلفة التي تقذفها السيارات في كلا البلدين[١] كذلك توضح بعض البيانات التي يشرف عليها برنامج الأمم المتحدة للبيئة أن محطات الطاقة الحرارية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط تنفث من مشتقات الكبريت في الجو ما يقدّر حالياً بنحو خمسة ملايين طن ، وأن معدل انبعاث مشتقات النيتروجين الناتجة عن أنشطة النقل تصل حاليا إلى نحو ٢,٥ مليون طن ، وأن هذه الكميات في تزايد مستمر . ومن التقارير الحديثة التي تبعث على الخوف والقلق أن نواتج احتراق الوقود التقليدي في مختلف أنحاء العالم قد بلغت

(١) مجلة العربي ، العدد ٣٤٩ ، ص ١٣١ ، ديسمبر ١٩٨٧ .

معدلاتها في السنوات الأخيرة ما يقرب من خمسة وعشرين بليون طن من ثاني وأول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين والأوزون والسناج والرماد ، وهي كلها من الأسباب المؤدية إلى زيادة نسبة الحموضة فيما يتكون في الجو من سحاب وضباب وثلج وبَرَد ، ثم يسقط بعد ذلك في أماكن متفرقة من العالم على هيئة أمطار ورواسب حمضية تهدد كل مظاهر الحياة في النظم البيئية المكوّنة لغلاف الأرض الحيوي(٢) .

التفسير العلمي لتكوين الأمطار والرواسب الحمضية :

تتم دورة التفاعلات الكيميائية لتكوين الأمطار الحمضية في طبقة « التروبوسفير » من الغلاف الجوي حتى ارتفاع حوالي ١٢ كيلومتراً . وتبدأ هذه التفاعلات بتأثير ضوء الشمس على جزئيات غاز الأوزون (أ٣ أو O_3) القادمة من طبقة « الأوزونوسفير » الأعلى ، أو التي ربما تكون قد تكونت في طبقة « التروبوسفير » بسبب وجود مواد ملوِّثة تحوي بين مكوّناتها عنصري « النيتروجين » « والكربون »(٣) . وينتج من تفكك غاز الأوزون ذرات طليقة مفردة من الأكسجين الذري النشط (أ أو O) الذي سرعان ما يتحد مع الماء في ظروف خاصة مكونة مجموعة الهيدروكسيل (أ يد أو OH) . ورغم أن هذا التفاعل نادر الحدوث إلا أنه ذو أثر كبير في بدء سلسلة من التفاعلات الكيميائية التي تسفر في الجو عن تكوين حَمْض النيتريك (يد ن أ٣ أو HNO_3) من غاز ثاني أكسيد النيتروجين (ن أ٢ أو NO_2) وتكوين حمض الكبريتيك (يد٢ كب أ٤ أو H_2SO_4) من غاز ثاني أكسيد الكبريت (كب أ٢ أو SO_2) .

وتؤكد الدراسات الجارية في « العلوم الجوّية » أن مجموعات الهيدروكسيل المتولدة في الجو يصعب استنفادها عن آخرها رغم قلة تركيزها ، وذلك لأن أغلب عمليات « الأكسدة » التي تستحثها هذه المجموعات تنتهي إلى إعادة تكوينها مرة ثانية . فعلى سبيل المثال ، تؤدي عملية الأكسدة الابتدائية لثاني أكسيد الكبريت إلى تكوين مجموعة « فوق الهيدروكسيل » (يد أ٢ أو HO_2) كأحد النواتج الجانبية . وعندما يتفاعل هذا الأخير مع أكسيد النيتروجين (ن أ أو NO) ينتج ثاني أكسيد النيتروجين وتتولد مجموعة هيدروكسيل جديدة تعمل على استمرار تكوين الحمض في الجو بقدر ما يتلقى الهواء من غازات ومواد ملوِّثة .

من ناحية أخرى ، يمكن لبعض الجسيمات الحمضية ، من نوع « الكبريتات » مثلاً ، أن تستقر على الأرض في عملية ترسيب جافٍ . لكن أغلب هذه الجسيمات تدخل في عملية تكوين السحاب باعتبارها مصدراً صناعياً لنوى تكاثف

←

---

(٢) « النظام البيئي » مصطلح علمي يطلق على أية وحدة من الطبيعة تتكون من كائنات حية ومكوِّنات غير حية ، تتفاعل مع بعضها البعض لتكون نظاماً مستقراً في إطار التوازن الكوني الشامل . فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنُظُم بيئية . وأكبر النظم البيئية هو ذلك الحيز الذي تظهر فيه الحياة على سطح الأرض ، مشتملاً على الإنسان والحيوان والنبات ، ويعرف باسم الغلاف (أو المحيط) الحيوي . أي أن النظم البيئية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض ، وكل شيء في شبكة الغلاف الحيوي مرتبط بكل الأشياء الأخرى . والخلل الذي يحدث في مكان ما يمكنه أن يسبب تأثيرات ملحوظة في أماكن أخرى بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة .

(٣) راجع ما كتبناه عن الكيمياء الجوية للأوزون في مقال سابق بمجلة الأزهر ، عدد شوال ١٤٠٩ هـ ـ مايو ١٩٨٩ م .

الأمطـــار الحمضيـــة

حمضية لها صفة « التميّع » وقابلة لاجتذاب بخار الماء من الهواء المحيط بها ، حيث تنمو عليها قطيرات الغيوم دونما انتظار للوصول إلى درجة هائلة من درجات « فوق التشبع » اللازمة لتكاثف ونمو قطرات المطر[٤] . فعندما تنفث المصانع دخان الفحم بكميات كبيرة إلى الجو يتأكسد ما به من ثاني أكسيد الكبريت متحولاً إلى ثالث أكسيد الكبريت (كب أ$_{٣}$ أو SO_3) الذي يمتاز بدرجة كبيرة من « التميع » ويتحد مع بخار الماء الموجود في الهواء ليكوّن قطيرات دقيقة جداً من حمض الكبريتيك لا تلبث أن تنمو بالتصادم والالتصاق مع بعضها البعض مكونة قطرات كبيرة ، تسقط لثقلها نحو الأرض في صورة مطر حمضي Acid rain .

وهناك عمليات صناعية كثيرة ، لا يتسع المجال هنا لتفصيلها ، ينتج عنها غازات تتسبب في تكوين نوى حمضية . وتعمل هذه الحموض على خفض قيمة الأس الهيدروجيني لمياه المطر الحمضي بدرجة تتوقف على كمية الجسيمات والغازات المنبعثة من مصادر التلوث في المناطق الصناعية المختلفة[٥] . وقد ساعدت الوسائل « التقنية » الحديثة على دفع عجلة البحث العلمي قُدُماً لتطوير علوم الجو ولمعرفة المزيد عن العمليات الجوية المتعلقة بكيمياء الأمطار الحمضية ، سواء بالقرب من قواعد الغيوم ذات الحموضة المرتفعة ، أو في طبقات السحاب العليا الأقل تلوثاً . لكن التقرير الوافي عن هذه الأبحاث لم يكتمل بعد .

معادلات الكيمياء الجوية للأمطار الحمضية

١ ـ تكوين مجموعة الهيدروكسيل (أ يد) :

أ$_{٣}$ (الأوزون) + أشعة الشمس ← أ$_{٢}$ + أ

يد$_{٢}$ أ (الماء) + أ (الأكسجين الذري) ← ٢ (أ يد)

٢ ـ تكوين حمض النيتريك (يد ن أ$_{٣}$) :

ن أ$_{٢}$ + أ يد ← يد ن أ$_{٣}$

٣ ـ تكوين حمض الكبريتيك (يد$_{٢}$ كب أ$_{٤}$) :

(i) أكسدة ابتدائية لثاني أكسيد الكبريت (كب أ$_{٢}$) :

كب أ$_{٢}$ + أ$_{٢}$ + أ يد ← كب أ$_{٣}$ + يد أ$_{٢}$

(ii) كب أ$_{٣}$ + يد$_{٢}$ أ ← يد$_{٢}$ كب أ$_{٤}$

(iii) يد أ$_{٢}$ + يد أ$_{٢}$ ← يد$_{٢}$ أ$_{٢}$ + أ$_{٢}$

يد$_{٢}$ أ$_{٢}$ + كب أ$_{٢}$ ← يد$_{٢}$ كب أ$_{٤}$

٤ ـ تكوين مجموعة فوق الهيدروكسيل (يد أ$_{٢}$) :

أ يد + ك أ + أ$_{٢}$ ← يد أ$_{٢}$ + ك أ$_{٢}$

٥ ـ إعادة تكوين مجموعة الهيدروكسيل (أ يد) :

يد أ$_{٢}$ + ن أ ← ن أ$_{٢}$ + أ يد

تأثيرات الأمطار الحمضية في المحيط الحيوي :

تسبب الأمطار الحمضية أضراراً بالغة في المحيط الحيوي للأرض نتيجة لما تحدثه بمرور الزمن من خلل تدريجي وتأثيرات مدمِّرة في النُظُم

---

(٤) تقضي نظرية السحاب بضرورة توفّر ظروف معينة لتكوينه من بينها وجود عدد كافٍ من نوى مناسبة لتكاثف بخار الماء عليها في الهواء . وقد وجد أن ضوء الشمس يزيد من فاعلية نوى التكاثف ذات النشيط العادي ، كما أن مواد النوى المتميعة تتميز بقدرتها على اجتذاب الماء جذباً كيميائياً يساعد على حدوث التكاثف عليها دون غيرها .

(٥) راجع ما كتبناه في الجزء الأول من هذا المقال عن تعريف الحموضة وتحديد شدتها على مقياس الأس الهيدروجيني .

الطبيعية للبيئة المتوازنة ، وخاصة في تلك المناطق الموبوءة من الدول الصناعية التي تهطل فيها هذه الأمطار بغزارة شديدة .

وتفضى زيادة الحموضة في التربة التي تستقر عليها مياه حمضية إلى قتل بعض أنواع البكتريا المفيدة في تثبيت « النيتروجين » اللازم لغذاء النبات . كما تغير الأمطار الحمضية من طبيعة الأرض الزراعية وتقوم بترشيح المواد المغذية والعناصر الحيوية كالبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم . وتذيب الأمطار الحمضية بعض الأملاح التي لا تذوب في الماء العادي ويكون لها تأثير سام على جذور الأشجار . مثل ذلك ، أملاح الألومنيوم التي تتفاعل مع الحمض لتعطي الألومنيوم الذي يعوق عملية إمداد الأشجار بمواد الغذاء من التربة . أما الأمطار الحمضية التي تتجمع على أوراق الشجر فتقوم بترشيح المواد المغذية بمعدل يفوق مقدرة الجذر على تعويضها . وتوضح الدراسات الإحصائية أن هذه الأسباب ، مجتمعة أو متفرقة ، كانت من أهم عوامل تدهور الغابات الصنوبرية في المرتفعات الشاهقة بالولايات المتحدة ، وتلف حوالي ٥ ٪ من محاصيلها الزراعية ، وإليها أيضاً يعزى احتضار حوالي مليون ميل مربع من غابات كندا الشرقية .

من ناحية أخرى ، عندما تسقط المياه الحمضية على الأرض وتتسرب إلى الأنهار والبحيرات والمجاري المائية فإنها تفضي إلى إبادة الأسماك ، إما بسبب زيادة الحموضة المخلَّة بموازين الحياة السائدة في المياه العذبة (أي ما يناظر خمس درجات أو أقل على مقياس الأس الهيدروجيني) ، وإما بسبب قتل معظم البكتريا المفيدة لتغذية الحيوانات الأولية التي تمثل مع الطحالب معظم غذاء الأسماك . ولهذا نجد أن آلاف البحيرات المنتشرة في أرجاء أوروبا وأمريكا الشمالية قد تحولت إلى بحيرات « ميتة » خالية من الأسماك وصور الحياة الأخرى . وهناك آلاف البحيرات الأخرى في انتظار نفس المصير .

ومن الآثار الضارة للأمطار الحمضية ما أظهره تحليل مياه الشرب في المناطق الموبوءة من تزايد تركيزات الرصاص وبعض المعادن السامة الأخرى في المياه الجوفية . ناهيك عن العديد من الآثار الأخرى التي امتدت إلى طلاء السيارات ، وإلى تآكل التماثيل والمنشآت الحجرية والمعدنية ، الحديثة منها والأثرية ، وإلى إصابة الجهاز التنفسي بأمراض قاتلة .

وتبذل الدول المتضررة من تأثيرات المياه الحمضية أموالاً طائلة لإنقاذ البحيرات والتربة الزراعية بضخ مواد قلوية . لكن هذا العلاج لا يقدم حلاً كاملاً بسبب تكاليفه الباهظة وتكرار هطول الأمطار الحمضية . ويبقى الأمل معلقاً حتى تنجح أساليب العلم و « التقنية » في ضبط أسباب التلوث ومكافحته قبل أن ينتشر في الجو أو التربة .

ولهذا حديث آخر نرجو أن نتناوله قريباً بإذن الله ..

الاندماج النووى

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

توجد طريقتان متميزتان لإطلاق الطاقة النووية والاستفادة منها وهما ، الانشطار النووى والاندماج النووى .

وكما هو معروف ان الانشطار النووى هو انقسام نويدات الذرات الثقيلة ، اما الاندماج النووى فإنه يحدث عندما تتصادم نويدات ذرات خفيفة ومتحركة بسرعات عالية جداً ، وينتج عن ذلك انها تندمج معا لتكوين نويات ذرات اثقل . وإذا نظرنا إلى الأساس الذى يعتمد عليه توليد الطاقة من تفاعلات الاندماج النووى والانشطار على حد سواء ، نجد انه عبارة عن فقد جزء من الكتلة وتحويله إلى طاقة حرارية هائلة ، وتظهر الطاقة عادة كطاقة حركية لنواتج التفاعل الجديد ، تتحول إلى حرارة ثم إلى كهرباء .

والجدير بالذكر أن تفاعل الاندماج النووى يحدث بصفة مستمرة فى الشمس والنجوم الأخرى ، وهو المسئول عن الحرارة التى نشعر بها فوق سطح الكرة الأرضية والتى لا يمكن استمرار الحياة بدونها ـ وفى هذا التفاعل تتحرك ذرات الهيدروجين بسرعات هائلة بسبب درجات الحرارة العالية حتى أنها تندمج عندما يصطدم بعضها ببعض وتتحول بالتدريج إلى ذرات الهليوم .

وبينما يتم التفاعل الاندماجى فى الشمس بصفة مستمرة وعند درجات حرارة عالية جداً ويحدث أيضاً بالنجوم الأخرى ولكن عند درجات حرارة أقل ، فإنه فى منتهى الصعوبة إحداث هذا التفاعل على وجه الأرض ، ولحدوث هذا التفاعل الاندماجى بكوكب الأرض فإنه يلزم توفير درجة حرارة تصل إلى أكثر من مائة مليون درجة مئوية .

ومن الناحية النظرية فإنه يوجد عدة طرق لتوفير مصدر مستمر من طاقة الاندماج النووى ، أكثرها قابلية للتطبيق العملى هو اندماج ذرة نظير الهيدروجين ـ ٢ (ديوتيريم) مع نواة ذرة نظير الهيدروجين ـ ٣ (تريتيوم) لإنتاج نواة ذرة الهليوم ـ ٤ مع انطلاق نيترونى ذى سرعات عالية جداً . ويمثل شكل (١) رسما توضيحيا لمراحل التفاعل الاندماجى بين نواة الديوتيريوم ونواة التريتيوم .

وإذا نظرنا إلى الوسائل التى يمكن استخدامها لتحقيق التصادم بين الذرات لكى تحدث التفاعلات الاندماجية فإنه يجب أن تتحرك الجسيمات بسرعة هائلة قبل تصادمها ، ويمكن الحصول على هذه السرعات بتسخين الجسيمات إلى درجات عالية جداً تصل إلى ١٠٠ مليون درجة مئوية وقبل الوصول لهذه الدرجة تتخلص الذرات من الكتروناتها وتصبح خليطا من الإيونات الموجبة الشحنة والإلكترونات الحرة وتسمى عندئذ «البلازما» .

وتوجد البلازما فى مصابيح الفلوروسنت المتوهجة ، أما البلازما عند درجات الحرارة العالية فإنه يمكن أن تحدث بها تصادمات اندماجية ،وتوفير ظروف إحداث هذا البلازما لا يزال صعبا من الناحية العملية .

ولما كانت «البلازما» على نحو ما ذكرنا تحتوى على جسيمات مشحونة (إيونات وإلكترونات) فإنها توصل الكهرباء . فلو تم إمرار تيار كهربى قوى جداً خلال هذه البلازما فإن درجة حرارتها ترتفع ولكن مع ارتفاع درجة حرارة البلازما تنخفض المقاومة الكهربية لها . وانخفاض المقاومة الكهربية يؤدى إلى توصيل البلازما للكهرباء بطريقة افضل . إلا أن هذه الطريقة للتسخين قليلة الفاعلية ومن ثم يتعين إنتاج طرق أخرى أكثر فاعلية فى رفع درجة حرارة البلازما ، ومن هذه الطرق مثلا استخدام الموجات القصيرة جداً (الميكروويف) وكذلك قذف البلازما بجسيمات ذات طاقة عالية . وباستخدام هذه الطرق يمكن رفع درجة الحرارة حتى ٧٥ مليون درجة مئوية لفترة زمنية تبلغ فقط ٠.١ من الثانية .

ولكى يحدث التفاعل الاندماجى فإنه من الضرورى الحفاظ على البلازما الناتجة . ومن المعروف أن البلازما تكون على درجات عالية من الحرارة ولكن كتلتها صغيرة جداً . وإذا لامست البلازما جدار الوعاء الذى يحتويها فإنها تبرد فى الحال . وستنتهى بذلك إمكانية الحصول على التفاعل الاندماجى ورغم ذلك فإن درجة حرارة الوعاء الحاوى للبلازما لن ترتفع إلا قليلا لأن كتلته وسعته الحرارية كبيرة جداً بالمقارنة بالبلازما . لذلك يجب الاحتفاظ بالبلازما بعيدا عن جدران الوعاءالحاوى لها ، وهذا يصعب تحقيقه إلا عن طريق نظرية استخدام بلازما مركزة أو عالية الكثافة بحيث يحدث التفاعل الاندماجى سريعا وقبل هروب إيونات البلازما .

وتجرى الآن تجارب فى أماكن مختلفة فى العالم لمحاولة تطبيق هذه النظرية باستخدام أشعة الليزر الكثيفة أو الجسيمات المشحونة لضغط مكونات البلازما إلى كثافات عالية للغاية مع تسخينها فى الوقت نفسه إلى درجة حرارة التفاعل النووى الاندماجى . وعلى الرغم من ذلك فإن الطريقة المفضلة فى معظم دول العالم المتقدمة للحفاظ على البلازما هى استخدام مجال مغناطيسى قوى ، فلو سلطنا مجالا مغناطيسيا على البلازما أو هذه الجسيمات المشحونة المتحركة فإنها لن تتحرك عشوائيا وإنما سوف تدور حول خطوط المجال المغناطيسى . وقد ابتكرت نظم كثيرة ومعقدة للمجال المغناطيسى المستخدم لحفظ البلازما . أحد هذه النظم هو نظام «التوكاماك» الذى يُستخدم فيه مجالان مغناطيسيان متعامدان وتؤثر القوة الناتجة من المجالين على الجسيمات أو البلازما فتجعلها تسلك طريقا لولبيا حول خطوط المجال ، كما تحصر البلازما وتحفظها بعيدا عن جدران الوعاء الحاوى لها (شكل ٢) .

وفى الوقت الحاضر تجرى الدراسات لبحث سبل استخراج الطاقة الكهربائية من المفاعل الاندماجى فالنيترونات التى تخرج بسرعات عالية نتيجة الاندماج النووى لن يحفظها المجال المغناطيسى لأنها بلا شحنة كهربية (أى متعادلة كهربيا) وهذه النيوترونات تصطدم بطبقة الليثيوم التى وضعت حول البلازما من داخل الوعاء الحاوى . ونتيجة اصطدام النيوترونات بالليثيوم ترتفع درجة حرارته وتنتقل حرارة الليثيوم السائل إلى الماء الموجود داخل غلاية بخارية الذى يتحول إلى بخار والذى يستخدم بعد ذلك فى إدارة التوربينات التى تدير بدورها مولدات الكهرباء لإنتاج الطاقة الكهربية . ويمثل (شكل ٣) رسما تخطيطيا لمفاعل الاندماج النووى .

وهناك فائدة أخرى من استعمال الليثيوم وهى أنه باصطدام النيوترونات به يتحول بعضه إلى تريتيوم وهو أحد المكونات الضرورية للتفاعل الاندماجي ويلزم فصله لإعادة استخدامه .

إن مكونات الوقود الذى يلزم لأبسط أنواع المفاعلات الاندماجية هى الديوتيريوم والذى يستخرج من ماء البحر والليثيوم اللازم لإنتاج التريتيوم . وعموما فإنه يلزم حوالى طن واحد سنوياً من الوقود لمحطة تنتج نفس المقدار من الكهرباء الذى تنتجه أكبر المحطات النووية الحالية .

ويتميز التفاعل الاندماجي بأنه غير مصحوب بأى نشاط إشعاعى كما أن النفايات الناتجة عن الاندماج النووى هى غاز الهيليوم الخامل والذى ليس له نشاط إشعاعى ، غير أن الوقود الوسيط وهو التريتيوم له نشاط إشعاعى وذات عمر نصفه يبلغ ١٢ سنة . لذا يجب أن يحفظ بعناية داخل المفاعل كما أن النيوترونات الناتجة من التفاعلات الاندماجية ستؤدى لتحويل مواد بناء المفاعل إلى مواد لها نشاط مما يلزم معه التحكم فى المفاعل من بعد بالإضافة إلى ذلك يلزم توفير الاحتياطات اللازمة لمنع التريتيوم المشع من التسرب إلى خارج المفاعل النووى الاندماجى .

وقد تم إحراز تقدم كبير فى مجال الاستفادة من الطاقة الناتجة من الاندماج النووى وتم التخطيط لحل المشاكل العلمية المتبقية حاليا والتى تحول دون بناء مفاعل اندماجى يمكن استخدامه اقتصاديا خلال العقد الحالى ويؤمل من نتائج الأبحاث الجارية أن يتم التوصل فى المستقبل إلى إحداث الاندماج النووى فى درجات الحرارة العادية وأن يبدأ فى بناء محطات للطاقة الاندماجية مع مطلع القرن القادم .

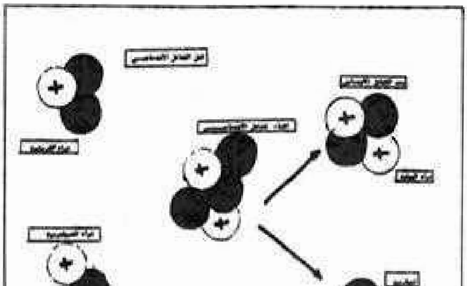

الشكل (١)

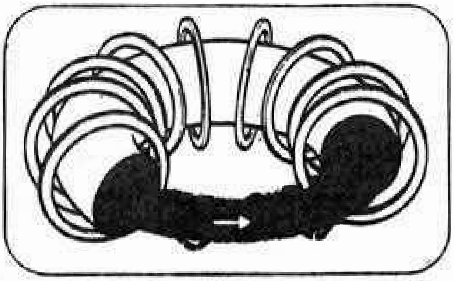

شكل رقـــم (٢)

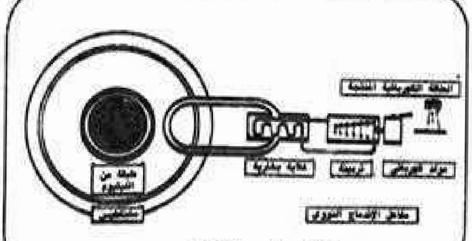

شكل رقـــم (٣)

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

بروحي أراك

أحزاني

بروحي أراك

للأستاذ : محمد عبد الرحمن صان الدين

عرفتك يا ربي بغير دليل … وحقك وجداني بكل جميل
شهدتك فوق الكائنات مهيمنا … عليها ، بلا جسم يرى وحلول
فنورك في الآفاق يسطع باهراً … نراه بعين الروح قبل عقول

تجليت في الشمس المنيرة في الضحى … وحين تولى عند كل اصيل
وفي رهبة الليل البهيم وصمته … وهجعة احياء ، ويقظة غيل
وفي طلعة الصبح البهيج وانسه … يضيء أمام الخلق كل سبيل

وفي لجة البحر المزمجر موجه … تهادت عليه الفلك بين مهول
وفي وحشة البيداء تصفر ريحها … كوقع عزيف الجن خلف طلول
وفي رونق الروض البهيج تمايلت … نسائمه السكرى بعطف خميل

وفي كل شيء في الوجود خلقته … وكل عظيم كائن وضئيل
على الغيب قد آمنت انك فاطر … وصدقت في التوحيد كل رسول
خفاؤك عن عين الخليقة آية … تلوح لعقل راجح وكليل

فهل شاهدت عين سوى متجسد … يلوح بعرض في الوجود وطول ؟
وهل ينظر البحر الخضم حبابه … وهل تدرك الابصار كنه جليل ؟
فانت لطيف لا ترى بنواظر … ولكن بروح في الكيان نزيل
عبدتك موجوداً ، عن العين خافيا … تدبر هذا الكون خلف سدول
لوجهك يا ربي سجدت تعبدا … واخضعت شيطاني بكل وسيل
فهل لي غداة الروع عندك ملجا … رحيب بظل في حماك ظليل ؟!

أجرني

للأستاذ: أحمد محمود مبارك

عليم انت ياربباه انى ... صريع نوازع قد غالبتني
وقادت خطوتي البلهاء عمراً ... إلى سفح الفتون وضللتني

فإن الإثم لم يك عن شكوك ... غزت حصن اليقين المطمئن
ولكن من شباب قد غزاه ... هوى الدنيا فضاع الرشد مني

وان باضلعي قلباً بريئاً ... تسامى عن هواى ولم يطعني
فلم يك نبضه نزعات غيٍّ ... لديجور الخطيئة اسلمتني

***

رجعت إليك يارحمن أسعى ... ودمع التوب نيران بجفني
اقمت على ضفاف الصحو حصنا ... منيعاً بين إغوائي وبيني

ولكن لم يزل امسي سهاماً ... تهدد بالغيوم صفاء امني
وترشقني بخطب مدلهم ... إذا ذكرى الخطيئة عاودتني

ولن يقصى سهام الأمس عني ... ويمحو من كتابي كل شين

سوى غفرانك الماحي ذنوبي ... فجد برضاك - يارحمن - عني

كبير العفو عبدك مستجير ... بحصن رضاك . رباه . أجرني

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

طرائف ومواقف

حوار

قال أبو العيناء .

قلت لأحمد بن أبى داود : إن قوما تضافروا علىَّ ؟

قال : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

قلت : إنهم عديدون وأنا واحد .

قال : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

قلت : إنهم أهل مكر وخديعة ؟

قال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

عقبا

ليس من خلة ، هى للغنى مدح إلا وهى للفقير عيب !

فإن كان شجاعاً ، سمى أهوجَ .

وإن كان جواداً ، سمى مفسداً .

وإن كان حليماً ، سمى ضعيفاً .

وإن كان وقوراً ، سمى بليداً .

وإن كان لَسِناً ، سمى مهذاراً .

وإن كان صموتاً ، سمى عيياً .

لم لا تصحب الناس ؟

قيل لحكيم : لم لا تصحب الناس ؟!

قال : إن صحبت من هو دونى ، آذانى بجهله .

وإن صحبت من هو فوقى تكبّر علىَّ .

وإن صحبت من هو مثلى حسدنى .

فاشتغلت بصحبة ، من هو ليس فى صحبته كلال ، ولا فى وصله انقطاع ، ولا فى الأنس به وحشة .

إذا سرقت شيئا فات به

خادم للمأمون كان يسرق طاساته التى يشرب فيها .

فقال له المأمون : إذا سرقت شيئاً فات به فاشتريه منك .

فقال له الخادم : اشتر منى هذه وأشار إلى التى بين يديه .

فقال : بكم ؟

قال : بديناريـن .

قال : على شرط أنك لا تسرقها .
قال : نعم .
فأعطاه دينارين ، فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئا لما رأى من حلمه .

حقيقة

اغن عن المخلوق بالخالق
تغن عن الكاذب بالصادق
واسترزق الرحمن من فضله
فليس غير الله من رازق

سياسة الحجاج

كتب الوليد بن عبدالملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه عن الطريقة التي يتبعها في حكمه ، فأجابه بقوله :

« إني أدنيت السيد المطاع في قومه ، ووليت المجرب الحازم في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري ، وصرفت السيف إلى النصف المسيء ، والثواب إلى المحسن البريء » .

مخالفة الهوى

قال حكيم : إذا اشتبه عليك أمران فلم تدر في أيهما الصواب .. فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه .

قالوا ...

● لا تؤدي التوبة أحدا إلى النار ، ولا الإصرار على الذنوب أحدا إلى الجنة .

● من العلم أن تعلم أنك لا تعلم بما لا تعلم .

● لا يثبت دين المرء على حالة واحدة أبدا ، ولكنه لايزال إما زائدا ، وإما ناقصا .

● كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل ، فإنه إذا كثر غلا .

● لا يقل مع الإصلاح شيء ، كما لا يكثر مع الإفساد شيء .

● الخطأ مع الاستشارة أحمد من الإصابة مع الاستبداد .

● العالم كبير وإن كان صغيرا ، والجاهل صغير وإن كان كبيرا .

● لا عقل إلا بأدب ، ولا أدب إلا بعقل .

تحذير

من سكر السلطان ، وسكر المال ، وسكر العلم ، وسكر المنزلة ، وسكر الشباب ، فإنه ليس من هذا شيء إلا وهو ريح جنة ، تسلب العقل ، وتذهب بالوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان إلى غير المنافع .

دعاء

«رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» .

من روائع الماضي

لا إكراه في الدين

لفضيلة الشيخ حسن حسين - المدرس بالأزهر

إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

الدين: إيمان واعتقاد، إذا مس شغاف القلوب خضعت وقبلت بلا جبر أو إكراه؛ فلا سلطان لأحد على القلوب إلا علام الغيوب، ولأن الإكراه لا يولد عقيدة صحيحة. والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن خير للداعية، وأقوم للدعوة قال الشيخ - رحمه الله:

الدين مجموع أمور ثلاثة: إيمان، وإسلام، وإحسان.

(فالإيمان) أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

و(الإسلام) أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله إن استطعت إليه سبيلا.

و(الإحسان) أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. هكذا أجاب رسول الله - ﷺ - سيدنا جبريل حين سأله عنها في الحديث المشهور الذي رواه مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

وقال الرسول في آخر الحديث: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» فهل يتصور أن يحصل الإكراه في أحدها أو في مجموعها؟ كلا.

الإيمــان:

أما الإيمان فهو عقيدة وإذعان وتسليم، والعقائد محلها القلوب، ولا سلطان لأحد على القلوب إلا علام الغيوب: والدين من هذه الناحية، ناحية العقيدة والإذعان والتسليم - أعني الإيمان - أمر عام مشترك بين جميع الأمم من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ - خاتم النبيين والمرسلين. فدعوة الرسل أجمعين تنصب على هذه العقيدة، عقيدة الإيمان بوجوب وجود الله، ووحدانيته، ونفي الشرك والوثنية

بشكل قاطع لا مجال للشك والريب فيه .

والناظر فى قصص الرسل فى القرآن الكريم يجد هذا المعنى فى سهولة ويسر فما من رسول إلا دعا قومه للتوحيد ونبذ الوثنية . فالإكراه لا يجد له ملكا إلا القلوب، إذ لا سبيل لأحد على قلب أحد بالسيف ، فإن أكرهته واستجاب لك فإنما يستجيب لك بلسانه كاذبا تحت تأثير الضغط وخشية الهلاك ، وأنت لا تستطيع أن تكذبه لأنه لا سبيل لك إلى قلبه ووجدانه وشعوره وباطنه وسره كما وقع ذلك فى صدر الإسلام لبعض أحد أصحاب رسول الله مما سنقصه عليك فيما بعد .

فالسبيل إلى العقيدة إنما هو البرهان الساطع والحجة العقلية وتوحيد أفكار الناس وعقولهم إلى آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم ؛ ولذلك كانت دعوة الرسل كلهم مؤيدة بهذه البراهين الساطعة القاطعة «المعجزات» واقتضت حكمة الله جل شأنه أن تكون المعجزات متفاوتة مختلفة باختلاف حال الأمم ومناسبة لهم تمام المناسبة ، لأجل أن تؤدى رسالتها ، وتسلك سبيلها إلى القلوب من أقرب الطرق .

مثال ذلك معجزة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ الظاهرة فى دعوته «إحياء الموتى» فإن الطب كثر فى زمنه وبلغ نهايته ، ولكن أقصى ما يستطيعه الطبيب الماهر بقواعد علمه وتجاربه هو معرفة الداء ووصف الدواء ، فلما أرسل الله عيسى ـ عليه السلام ـ جعل معجزته من هذه الناحية ـ ناحية الطب ـ لكن أى طب هذا ؟ طب أذهب قلوب الأطباء وأطار ألبابهم وأذهلهم ، إذ مَن مِن الأطباء يستطيع إحياء الموتى ؟ فكانت المعجزة من ناحية علمهم ، لتسلك سبيلها إلى قلوبهم .

وموسى عليه السلام : كثر السحر فى زمنه كثرة مزعجة ، ونبغ السحرة نبوغا فائقا ، وكان فرعون يستند عليهم فى تثبيت دعائم عرشه ، ولذلك دعاهم لمعارضة موسى عليه السلام لزعمه أنه ساحر ، وأنهم أعلم منه بالسحر . فكانت معجزة موسى من هذه الناحية ، ناحية ما يعلمون ، لتبهرهم ، ولذلك كان السحرة أنفسهم أسرع القوم استجابة لموسى ، لأن المعجزة عرفت سبيلها إلى قلوبهم فآمنوا إيمانا لم يزعزعه تهديد فرعون إياهم بالعذاب المهين ، بل قالوا له فى شجاعة المؤمنين وصراحتهم : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ أى وربى لقد قالوا له هذا ، مع أنهم حديثو عهد بإيمان ، ولكنها العقيدة لا سبيل للإكراه عليها .

وسيد الخلق أجمعين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : بعث فى أمة عربية ، فى طبيعتها وسليقتها الفصاحة والبلاغة ، لا يجدون فى ذلك حرجا ولا مشقة ، وإنما هى طبيعتهم المرسلة ، وسجيتهم المطلقة ، لا عناء ولا جهد ، ولا تحضير ولا مقدمات ؛ فكأن البلاغة تجرى فى دمائهم ، وتتردد مع أنفاسهم ، فهم فرسان هذا الميدان بلا منازع . فكانت معجزة الرسول من هذه الناحية : القرآن الكريم ؛ بهرهم ، وأذهلهم ، وأدهشهم . وعلى لسان من جاء القرآن ؟ على لسان محمد ﷺ ، الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، فكانت الدهشة بالغة ، وكان الذهول مروعا .

وفى الواقع كان الطريق مختلفا ؛ فهم من ناحية يعتقدون أنه من كلام البشر أو الجن ، وبنوا خطتهم فى معارضته على هذا الزعم الفاسد ، والقرآن من عند الله لا سبيل إلى معارضته ، ولكنهم عارضوه بعد التحدى ، على اعتقادهم فيه ، فتحداهم بعشر سور من مثله ،

←

من روائع الماضي

فعجزوا ، فتحداهم بسورة واحدة ، بل بأقصر سورة ، فعجزوا عجزاً ظاهراً ، وهم أصحاب هذا الشأن : البلاغة والفصاحة ؛ فتنبه العقلاء إلى أن هذا لابد من عند الله ، وأن صاحبه رسوله ، ما في ذلك شك ولا ريب ؛ فآمنوا من طريق المعجزة إيمانا لم يزحزحه ما صبه عليهم ، وهم المستضعفون ، صناديد قريش من ألوان العذاب ، مما لا يتحمله البشر .

وإليك بعض ما يحضرنا في هذا الشأن :

هل أتاك نبأ بلال ، الرقيق الضعيف ، وما لاقاه من سيده من ضروب التعذيب والقسوة والوحشية مماهو فوق احتمال البشر ؟ كان يوثق يديه ورجليه ويرقده على حجارة مكة في الصيف الصائف وفي شدة القيظ ، بعد أن يجرده من ثيابه ، ثم يحمي حجراً كبيراً بالنار ، كأن حرارة الشمس في إبان شدتها لا تكفيه ، ويضعه فوق صدره وبطنه ، فيسيل دمه إلى أن يصل إلى درجة النزع ؛ كل هذا لأجل أن يرجع عن عقيدته ، وهو حديث عهد بها ، فلم يرجع ، بل لم يسكت ، فكان يعبر عما في أعماق قلبه من إيمان بقوله أثناء التعذيب الشديد : أحد أحد ! وكانت كلمة الكفر الظاهرية باللسان ترضي سيده فيخفف عنه من هذا العذاب ، فلم يشأ أن يقولها . أرأيت أروع من هذا المثل الذي ضربه بلال في التضحية في سبيل العقيدة !؟

وهل قرأت في التاريخ الإسلامي ما أصاب أسرة ياسر عمارا وأباه ياسرا ، وأمه سمية ؟ أما الأبوان فقد قتلا تحت العذاب ، ولم يرجعا عن عقيدتهما ولا باللسان ، وهما أول قتيلين في الإسلام ، وأما عمار فقد كان شابا حدثا ، ولقد رأى ما أصاب والديه ، وعلم أن مصيره مصيرهما ، فأعطاهما كلمة الكفر باللسان ، فهل كفر عمار ؟ كلا إطلاقا . اسمع ما يقوله الله في هذا ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . روى أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما : ما تقول في محمد ؟ قال : رسول الله ، قال : فما تقول فيَّ ، قال : أنت أيضاً ، فخلاه أي أطلق سراحه وقال للآخر : ما تقول في محمد ؟ قال : رسول الله ، قال : ما تقول فيَّ ، قال : أنا أصم ، فأعاد عليه ثلاثا ، فأعاد جوابه ، فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أما الأول فقد أخذ برخصة الله ، وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له » .

وهناك صهيب ، وخباب ، وسالم ، وجبر مولى الحضرمي وغيرهم ، كل له قصة ، وكل قد ضرب أرفع الأمثلة في التضحية في سبيل العقيدة . فتلك صور إسلامية رائعة لو أردنا ذكرها لطال بنا القول ، وربما أفردنا لها مقالا خاص . أرأيت معي ، مما قدمناه لك أن الإكراه لا يجد سبيله مع الإيمان .

الإســـلام :

أما الإسلام ، وهو الانقياد الظاهري لما جاء به الرسول من الشهادتين والصلاة الخ ؛ فله حالتان : إحداهما : أن يكون ناشئا عن العقيدة ، أعني الإيمان ، فيكون أثرا من آثاره ، وهو الإسلام الصحيح المعتد به ، لأنه الموافق لما في القلب ، فهذا حكمه حكم الإيمان لا يتصور فيه الإكراه أصلا ؛ لأنه ناشىء عنه وأثر من آثاره ؛ والثانية : ألا يكون كذلك ، وهو إسلام غير صحيح لا يعتد به ، لأنه لم يوافق ما في القلب

كإسلام المنافقين ، فإنهم أسلموا ظاهرا ، وقلوبهم مشبعة بالوثنية والشرك ، وكانوا يصلون كما يصلي المؤمنون ، ويصومون كما يصومون ، ويجلسون في مجلس الرسول ويستمعون إليه ، ولكنهم كانوا في كل ذلك كاذبين بشهادة القرآن : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ . ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

فهذا النوع من الإسلام لا يسمى في الحقيقة دينا ، فهو خارج عن موضوع «لا إكراه في الدين» . فسيان جاز فيه الإكراه أم لم يجز ، لأنه باطل من أساسه . وهذا النوع من الإسلام غير النوع الذي يكون قلب صاحبه خالياً من العقيدة : الإيمان ، ولكنه مستشرف له متطلع إليه ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فهو إسلام لم ينشأ عن الإيمان ، ولكن القلوب خالية ليست ملوثة بالشرك ، بل هي مترقبة دخول الإيمان . ومهما يكن من شيء فالإسلام الصحيح المعتد به شرعا لا يدخله الإكراه ، سواء كان ناشئا عن الإيمان بأن يكون متأخرا عنه ، أو يكون سبباً له ومدخلا إليه .

أما الإسلام الذي لا يعتد به كإسلام المنافقين ، فلا شأن لنا به لبطلانه من أساسه كما تقدم .

الإحســــان :

أما الإحسان : فهو مقام المراقبة ، مراقبة العبد ربه كأنه يراه ، وهي مرتبة من أرفع المراتب في العبادة ، ليس هناك أرفع منها إلا مقام المشاهدة ، على ما يقول الصوفية ، وقد أشار الحديث الشريف إلى أن للإحسان مرتبتين : إحداهما أرفع شأنا من الأخرى .

فالأولى : أن يعبد المؤمن ربه كأنه يرى الله .

والثانية : أن يعبده معتقداً أن الله يراه .

وقد ضرب شراح الحديث لذلك مثلاً يقربه إلى الأفهام ، قالوا : إن الأجير إذا رأى المالك وقت العمل لاشك يبذل أقصى جهده في العمل إرضاء للمالك ، وهذه هي المرتبة الأولى . فإذا لم يكن المالك حاضرا ، لكن الأجير يعتقد أنه مطلع عليه من شرفة منزله مثلا ، بذل جهدا مشكورا أيضاً ولكنه أقل من اجتهاده فيما لو كان المالك حاضرا ، وهذه هي المرتبة الثانية . وهذه المراتب الرفيعة في العبادة لا تكون قسرا ، وإنما ينساق المسلم إليها انسياقا ناشئا عن إيمانه . فلا إكراه في الدين إيمانا وإسلاماً وإحساناً . كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وقال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

روى أنه كان لأنصارى من بني «سالم بن عوف ابنان تنصرا قبل أن يبعث رسول الله - ﷺ - ثم قدما المدينة ، فلزمهما أبوهما وقال : والله لا أدعكما حتى تسلما ! فأبيا ، فاختصموا إلى رسول الله - ﷺ - فقال الأنصاري : يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر ؟ فنزل قول الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ .

وسمو ديننا .. والداعية امامها حائر غير عليم بأصولها ولا كيف يقف على زيفها ليجتث أصولها ، ويسكتها فى مهدها ، وقد استشرت فى بلادنا ، وهى بغاث ، مثل : العلمانية ، والبهائية ، والقديانية ، والوجودية ، والداروينية ، والهيبية ، وادعاء النبوة والوحى ، و .. و .. الخ .

وعلى المجامع العلمية المتكاملة أن تساند المجامع الفقهية ، ليكون الراى مقبولا ، والحل منطقيا وكلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى ..

ونصف الكرة الأرضية فى الشرق ، ومثلها فى الغرب قد احتلته نظم وضعية ، وسيطر فكرهما كل فى مكانه ، ولا مكانة لإسلامنا من ذلك كله فى بلاده ومعاقله .. ونظرة إلى مقولة : الإسلام دين الدولة الرسمى ولغتها العربية .. وأين أثر هذين فى دنيا الواقع والتعامل فى كثير من مناحى حياتنا ، فالبنوك الربوية تسخر أبواب الربا ، وتكوين الشركات الربوية وسبل التعامل الحلال فى ابواب فقهنا تكاد تكون غير مطروقة ، وكليات الحقوق تتبع نظما أرضية مستوردة فى الشرق والغرب ، وبقى لكتاب الله تعالى وسنة رسوله أن تعيش على هامش الحياة ، وفى جنبات المساجد ، والترحم على الأموات .. وبغام الإعلام يخفى وجهه العربى تماما .. فماذا بقى للإسلام والعربية ؟!

وهذه الانفصالية النكرة ، والتساهلات المتردية والمردية ، تستشرى وتستقر فى بلاد دينها الرسمى الإسلام ولغتها العربية ..

نصف العالم اليوم رأسمالى يفخر بما حقق من تقدم فى الكشف والاختراع ، ونصفه الآخر شيوعى يذيب الفرد لصالح الجماعة فى غير طائل ، وتمضى عقود السنين ولا رشد ولا رفع وصاية ، ولا مكانة للإسلام بين هاتين الكتلتين ، وإنما هو نهب موزع فى أكثره إلى هؤلاء وإلى اولئك ..

ومن هنا : فحيرة الداعية كبيرة .. وحسرته مريرة .. وموقفه لا يحسده عليه عدو أو صديق ..

وإذا عزف الداعية إلى الله عن مهنته ورغب عنها ، او اتخذها حرفة تحت ضغط الحاجة ، فكيف تأتمنه الدعوة على رسالة الله ؟ وكيف نطلب منه أن يحبها ويضحى فى سبيلها ؟ وهى لا تقوم له بالكفاف ، ولا تؤمن وجوده كإنسان له ، وعليه تبعات تجاه نفسه وأسرته ووجاهته أمام مجتمعه ، وتوفير الجلال والاحترام .. إلخ .

والمجتمع يتغير .. وظروف الحياة تطحن ، فلا نلوم الداعية إذا لم نوفر له وسائل العيش الكريم فترك ميدانه وألقى سلاحه ، وفر غير أسف أو نادم .

وكيف نطلب منه تجسيد الرسالة فى شخصه - إذا كان يعيش على الكفاف فى العيش والتطلع لما فى أيدى الغير ، وقلة إمكاناته العلمية ، وندرة مراجعه والأبحاث التى توضع أمامه لبيان رأى الإسلام ؟

فَلْنُعِدَّ الداعية إلى الله على هدى وبصيرة .. توفيرا لاعتباره البشرى وتهذيباً وتعليماً .. إذا أردناه رائدا ومرشدا ومرجعا وقدوة فى حياة الناس .

وقد سمعت من بعض أساتذتى - رحمهم الله - كيف يعد الداعية فى الغرب .. لأن الشرق نفض يده من الغيبات كلية .. وكيف يعنى به ، وكيف يختار ، وكيف يربى على الأعين ، حتى يصبح سوياً معداً لأن يقود .. ويقول فيسمع ، ويشير فيتبع ، بما يفوق الوصف والخيال !!

ويسألونك متى يكون ذلك عندنا ؟

قل عسى أن يكون قريباً ، يوم نعد للأمر عدته ، ونُجِدُّ فى موطن الجد ..

والله يقول الحق .. وهو يهدى السبيل ..

اللغة والأدب والنقد

إبراهيم عبد القادر المازني

كتاب الوحوش

إبراهيم عبد القادر المازني

إسهام رائد في درس الأدب المقارن

بقلم الدكتور: السيد العراقي

ريادة في فهم المقارنة

يتجه الأدب المقارن في جملته - مثله في ذلك مثل الأدب العام - إلى دراسة العلاقات الأدبية العالمية.

وإذا كان الجيل الأول من المقارنين الفرنسيين ممن يسمون بجيل المحافظين قد حصروا مفهومه في، تتبع مظاهر التأثير والتأثر، تتبعا تاريخيا، بين الأدب القومي وأدب آخر، مخالف له في اللغة،[1] فقد توالت بعد ذلك اجتهادات شتى في تحديد مفهومه، تنوعت - في الغالب - حسب فهم كل مجتهد لطبيعة العلاقات الأدبية، وكيفية تناولها، ومجال ذلك التناول .. الخ، بحيث تخلخلت أو اهتزت معظم - إن لم يكن كل - الأسس التي تبناها جيل المحافظين من الفرنسيين.

وقد شارك في تلك الاجتهادات فئات أخرى من المقارنين الفرنسيين، بالإضافة إلى عدد من المقارنين الأمريكيين (ولعلهم الآن أعلى الأصوات في الساحة)، والألمان، والإنجليز، والإيطاليين، والروس، والعرب، وغيرهم.

ومن بين ما تناولته الاجتهادات مثلا: قضية التأثير والتأثر. حيث نادى البعض بأن يستعاض عنها بدراسة ما يكون بين الآداب من مظاهر تشابه أو تعارض، حتى لو لم يكن أساسهما تأثير وتأثر.

كما تخلخل مبدأ التتبع التاريخي، حين نودي بأن تحل محله دراسة تحليلية نقدية، تتناول العملين الأدبيين من مختلف الجوانب الممكنة.

كذلك اهتزت مقولة الانطلاق من الأدب القومي، مع ظهور الدعوة بأن تتسع دائرة النظر

---

(١) انظر في ذلك مثلا: محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ص ٩ وما بعدها، ومحمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب المقارن ٢/١١، وحسن جاد حسن: الأدب المقارن ص ٨ وما بعدها.

وتمتد ، لتشمل بإشعاعها مختلف الآداب الإنسانية بلا تمييز أو تعصب .

كما أن اختلاف اللغات لم يعد مسلما به لدى عدد من المقارنين . وربما استبدل به بعضهم اختلاف البيئات أو الأوطان .

بل إن هناك من دعا إلى توسيع دائرة العلاقات الأدبية اكثر واكثر ، بحيث لا تقتصر على ما يكون داخل الأدب فقط ، بل تمتد لتشمل ما يكون بين الأدب ومجالات التعبير الأخرى ، فنية كانت أم علمية ، كالموسيقى ، والتاريخ ، والفلك ، وعلم الأديان ، وغير ذلك[٢] على أن هذه ليست كل الجوانب التى تناولتها الاجتهادات والخلافات ، بل هناك جوانب أخرى ، لم نشر إليها ، ولا نرى داعيا لذكرها الآن .

وانطلاقا من هذا كله يمكننا القول بأن عدداً كبيراً من أدبائنا العرب من رواد مرحلة التجديد كانت لهم ـ دون قصد منهم ـ إسهامات بناءة فى درس الأدب المقارن ، بمعنى أنهم قاموا بمناقشة بعض قضايا الأدب المقارن مناقشة واعية ، قائمة على أصول المنهج ، وقدموا أحيانا من المقارنات الأدبية ما يستند إلى أسسه ومبادئه ، دون أن يعرفوا أنهم كانوا يعملون فى محيطه ، أو ـ على الأقل ـ دون أن يدعوا أنهم كانوا يسبحون فى تياره .

لكن المازنى ينفرد عن غيره من رواد تلك المرحلة بأنه ترك لنا ما يدل على فهمه المبكر « فى العقد الأول من هذا القرن » لمنهج الأدب المقارن ، فهما يتفق ـ أو يكاد ـ مع ماشاع بعد ذلك فى محيط الدراسات الأكاديمية المنظمة لذلك المنهج .

ونحن نستند فى ذلك الزعم على مخطوطة وقعت فى أيدينا من كتابات المازنى التى لم تنشر بعد ، هى عبارة عن كراسة صغيرة ، تحمل فى صفحتها الأولى عنوان « كتاب فلسفة الشعر والنقد الأدبى بقلم إبراهيم عبد القادر المازنى » وفى الصفحة الثانية عبارة « مذكرات وملخصات يرجع إليها فى كتابة الكتاب » .

وواضح أنها وثيقة الصلة بكراستين أخريين ، تحملان نفس العنوان والملاحظة ، أشار إليهما بعض الباحثين فى دراساتهم عن المازنى ، ولم يتيسر لنا الاطلاع عليهما ، مما جعلنا نرجح أنها جميعا كتبت فى عام واحد ، أى عام ١٩١٨[٣] .

والكراسة التى فى حوزتنا تتضمن ملخصين أولهما بعنوان « مقارنة الآداب » ، والثانى بعنوان « أصل الشعر » .

ويعنينا هنا الملخص الأول ، الذى ذكر المازنى انه استمد عنوانه من كتاب بنفس العنوان Compasative Litesatuse للكاتب الانجليزى بوسنت (Posnett) .

ويهدف الملخص إلى استخلاص ما أطلق عليه المازنى « النظرية العامة للنشوء الأدبى » ، أو بعبارة أوضح « تعيين مبدأ ثابت إلى حد ما للنشوء الاجتماعى تلوذ به حقائق نمو الأدب وانحطاطه ، وذلك من خلال درس العلاقة بين الأدب وظواهر الحياة العامة . وقد ركز المازنى المعالم الأساسية لتلك النظرية فى صورة تساؤلات أو ملاحظات ، نرى أن منها ما يمس منهج الأدب المقارن فى صورته المعروفة الآن ، ومنها ما يتصل

←

---

(٢) انظر : Schmeling : Vergleichende Literaturwissenschaft S.157 ff. واحمد أبو زيد ، شوقى السكرى : مقالتين لهما فى مجلة « عالم الفكر » مجلد١١ ، عدد ٣ ، ص ٧ ، ١٣ ، ١٩ فى نهاية المقال صورة لبداية المخطوطة . وإبراهيم عبد الرحمن محمد : الادب المقارن بين النظرية والتطبيق (المقدمة) ص ١

(٣) الكراستان الاخريان اشارت إليهما نعمات احمد فؤاد فى كتابها : أدب المازنى . وذكرت ان مقدمتهما تحمل تاريخ ١٩١٨/٦/٩ . انظر ص ١٤٧ من كتابها المشار إليه .

د. إبراهيم المازني

به حين كان لا يزال غضا فى بداياته الأولى ، يتعثر بين مباحث شتى ، يشكل بها هيكله . وقوامه . ونختار من تلك الملاحظات والتساؤلات قوله :

وقد اعتاد النقادة أن يسموا الأدب فنا ، وعلى هذا تكون أصول النمو الأدبى حالات خاصة لأصول النمو الفنى العامة . وأول ما يسأل السائل عنه :

١ ـ اى صورة يلبسها قانون النمو الفنى العام حين يبدو فى صورة النمو الأدبى ؟

وإذا كانت نظرية الفنون تجعل النمو هنا بظروف الوسط فخليق بنا أن نتساءل :

٢ ـ كيف أثرت هذه الظروف فى نمو الأدب ؟

٣ ـ اى حقائق الحياة الطبيعية والاجتماعية والسياسية والدينية تصلح أن تكون « فرضا » ثابتا يرجع إليه فى أطوار النمو الأدبى ؟

وإذا شئت التوسع فى الاستفسار سألت :

٤ ـ لماذا تغلب ضروب من الأدب بعينها فى عصور مخصوصة من التاريخ ؟

٥ ـ لماذا تبقى صور وآراء ادبية بعينها جيلا بعد جيل ، أو تظهر بعد فترات ؟

٦ ـ هل ثم قانون تخضع له العصور التى تعود فيها هذه الصور إلخ ؟

٧ ـ ما هى الأعراض التى تصحب ظهور ضرب من الأدب ونضوجه واضمحلاله ؟

٨ ـ هل يتحول ضرب من الأدب كالقصص مثلاً ضرباً آخر كالرواية مثلاً بأن يسير فى طريق معين ؟

وإذا كان كذلك :

٩ ـ ماهى العوامل التى تبعث على هذا الانتقال ؟

١٠ ـ لماذا نرى آداب بعض الأمم تنقصها أنواع منه ؟

١١ ـ ماهى ظروف الوسط أو الشخصية القومية التى يمكن أن نعلل بها الفرق العظيم بين الأدب القديم والأدب الحديث ؟

١٢ ـ وبين الأدب الشرقي والأدب الغربي ؟

١٣ ـ ماذا كان تأثير اختراع الطباعة فى نهضة الأدب ؟

١٤ ـ وفى ظهور الجرائد والصحف ؟

١٥ ـ أيهما أسبق : الشعر أم النثر ؟

١٦ ـ بماذا نحتج لأسبقية أحدهما ؟

ومما يجدى أيضا التساؤل عنه والبحث فيه أثر الأمة فى الأمة ، كالفرس فى العرب ، وأثر الفرد فى الفرد ، كدانتي فى تشوسر ، والشريف فى مهيار ، والمتنبى فى المعري ، وأثر المذاهب الأدبية ، وأثر الأدب فى النهضة الاجتماعية والفردية[٤] .

هذه أهم تساؤلات المازني وملاحظاته ، التى كان يعتزم أن يبسط القول فى الإجابة عنها ، وشرح أبعادها .

وإن نظرة واحدة إلى قائمة المراجع التى ذيل بها تلك التساؤلات لتدل على أنه استلهم جانباً كبيراً منها من مؤلفات أعلام ، أسهموا ـ بطريق مباشر أو غير مباشر ـ فى تعبيد طريق الأدب المقارن ، وإنارة دروبه ، أو ـ على الأقل ـ فى التمهيد لمنهج الأدب العام ، وهو الشقيق المقابل لمنهج الأدب المقارن فى بحث العلاقات الأدبية العالمية ، من أمثال : بوسنت ، وليتورنو letour-neau ، وسيموندز symonds ، وبرونتيير brunetiere ، وتين taine وكارلايل carlyle وجروث groth .. وآخرين كثيرين .

---

(٤) فلسفة الشعر والنقد الأدبي ـ مخطوطة بقلم المازني لدى كاتب المقال .

ولم يكن دور المازني فيما استوحاه من هؤلاء وغيرهم دور المتلقى المنقاد لكل ما يتلقاه ، بل كان دائماً دور العالم المدقق ، والناقد الفاحص ، الذى يعرف ماذا يستحسن وماذا يستقبح ، ومتى يقبل ومتى يرفض ، وماهي دوافع القبول أو الرفض .

يتضح ذلك من طريقة عرضه لمؤلفاتهم ، ومناقشتها مناقشة واعية ، تدل على مدى أصالته فى القضية ، وعدم تطفله عليها . ولنأخذ نموذجاً لذلك تعليقه على كتاب بوسنت المشار إليه ، حيث يقول : « وهو كتاب خليق أن يثير فى كثير من القراء لأول وهلة تحيزاً لا مبرر له من العقل . وينبغى تفاديا من ذلك الا تعد نتائج المؤلف فصل الخطاب . ومهما كان رأينا فى الطريقة التى اتبعها بوسنت فى كتابه فإن من أنفع الأمور أن تطالع آداب الرومان واليونان بعد قراءة فصله عن بقايا العشيرة فى المدينة ، وآداب الانجليز بعد فصله عن : الطبيعة فى الآداب القومية ك ٥ ، فصل ٣ . وكذلك يصنع مع برونتيير ....

وهذا الكتاب ـ على الرغم من كل مواضع النقص فيه ـ عمل مجيد ، وهو أول كتاب من نوعه فى لغة الانجليز . وقد طبق فيه المؤلف نتيجة أبحاث هربرت سبنسر والسير هنرى مين وغيرهما ممن كتبوا فى نشوء الأنظمة الاجتماعية . وقد بدأ بأحط مراتب التعبير . وتتبع نشوء الأدب إلى صوره المعقدة الحاضرة ، مارا بهذه الأطوار : أدب العشيرة ـ أدب المدينة ـ أدب العالم ـ الأدب القومى . ومن عيوب الكتاب أن الموضوع اكبر من الكتاب . ولهذا يخيل للقارىء أن عليه مسحة النقص وطابع العجلة . ولهذا أيضا حذف المؤلف كثيرا من البراهين والأدلة اللازمة لإثبات ما يقول . وكثيرا ما يستنتج الأصل العام أو القاعدة الشاملة من أمثلة ظاهرة القلة وعدم الكفاية . ومما يزيد فى ضعف الكتاب تقيد مؤلفه تقيداً أعمى بفلسفة سبنسر . أضف إلى ذلك انصراف المؤلف إلى تناول الظروف الاجتماعية التى يرى أن الأدب نشأ منها ، وانشغاله بذلك عن موضوع الأدب ولكن للكتاب مزايا عديدة . ولو لم يكن فيه إلا أنه خليق أن ينفى عن القارىء أوهام التقاليد ، وأن يبعثه على تقدير الآراء السائدة ووزنها لكفى[5] .

ولعل القارىء يلاحظ أننا آثرنا هنا نقل فقرات مطولة مما خطه المازنى ، كى يفسر للقارىء فرصة التعرف على خط المازنى ومنهجه الفكرى فى معالجة الموضوع ، إذ ربما لا يتيسر نشر المخطوطة بعد ذلك فى صورة منظمة ، لأنها لا تزيد على كونها مجموعة من الأفكار ، لم يقدر لصاحبها أن يعمق مضامينها ، ويحكم تأليفها ، ويقدمها فى شكل مناسب للنشر .

على أننا نستخلص منها ـ رغم ذلك ـ عدة أمور :

١ ـ أنه يمكننا ـ بناء عليها ـ أن نعد المازنى أول من استعمل تعبير « مقارنة الآداب » بمعناه الحديث فى اللغة العربية . وربما كان الشخص الذى تلاه فى ذلك هو الأديب فخرى أبو السعود « ١٩١٠ ـ ١٩٤٠ » ، حيث استعمل تعبير « الأدب المقارن » فى عدة مقالات له ، نشرت فى مجلة الرسالة فى العقد الثالث من هذا القرن ، ركز فيها على بعض نواحى التشابه فى الأدبين : العربى والانجليزى ، وحللها تحليلا لا بأس به[6] .

---

(٥) نفس المصدر .

(٦) بدءاً من مقاله الأثر الأجنبى فى الأدبين العربى والانجليزى بالعدد ١٦٨ فى ٢١ سبتمبر ١٩٣٦ كان يضع العنوان الرئيسى للموضوع بعد عنوان جانبى صغير ، هو : « فى الأدب المقارن » أما سلسلة مقالاته قبل ذلك فكانت خالية من هذا العنوان الجانبى . انظر مثلا مقاله ظواهر متماثلة فى الأدبين العربى والانجليزى بالعدد ٨٠ فى ١٤ يناير ١٩٣٥ .

٢ ـ ربما يمكننا ـ كذلك ـ أن نعده أول من استعمل تعبيرات متخصصة في الأدب المقارن بمدلولاتها المتخصصة ، مثل حديثه عن : « أثر الأمة في الأمة ، كالفرس في العرب ، وأثر الفرد في الفرد ، كدانتي في تشوسر ، والشريف في مهيار ، والمتنبي في أبي العلاء » فهذا كلام يدخل في صميم قضية التأثير والتأثر في الأدب المقارن ، ومثل حديثه عن أطوار الأدب : « أدب العشيرة ـ أدب المدينة ـ أدب العالم ـ الأدب القومي » فهذا كلام يمس قضية العلاقات الأدبية العالمية من بعض جوانبها .

٣ ـ واضح أن منهجه في المقارنة لم يكن يشترط اختلاف اللغتين في الأدبين مجال المقارنة ، بدليل أنه في قضية التأثير والتأثر قدم أمثلة متنوعة ، منها ما يتحقق فيه اختلاف اللغتين ، كدانتي في تشوسر ، ومنها ما ليس كذلك ، كالشريف في مهيار ، والمتنبي في المعرى .

المصادر والمراجع
باللغة العربية

ـ إبراهيم عبد القادر المازنى : فلسفة الشعر والنقد الأدبي (مخطوط لدى كاتب المقال) .
ـ إبراهيم عبد الرحمن محمد (دكتور) : الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق ط ٢ مكتبة الشباب ١٩٧٨ .
ـ حسن جاد حسن (دكتور) : الأدب المقارن ط ٣ دار المعلم للطباعة ١٩٧٨ .
ـ محمد عبد المنعم خفاجي (دكتور) : دراسات في الأدب المقارن جـ ٢ ط ١ ، دار المعارف المحمدية بدون تاريخ .
ـ محمد غنيمي هلال (دكتور) : الأدب المقارن ط ٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ .
ـ نعمات أحمد فؤاد (دكتورة) : أدب المازني ط ٢ ، مؤسسة الخانجي ١٩٦١ .
ـ مجلة « الرسالة » أعداد ٨٠ (١٩٣٥/١/١٤) ، ١٦٨ (١٩٣٦/٩/٢١) .
ـ مجلة « عالم الفكر » مجلد ١١ ، عدد ٣ (أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٠) .

باللغة الألمانية :

Schmeling, Manfred (hrcg.): Vesgleichende Literaturwissenschaft, Athenaion Wiesbaden 1981 .

كتاب الوحوش

عن الأصمعي - رحمه الله

تحقيق
أ. أيمن محمد ميدان

أسماء الأسود وصفاتها :

الأسد الذكر ، والأنثى لبؤة ، ويقال له الضرغامة والضرغام[٢٣٠]
قال العجاج ، يصف الأسد ،[٢٣١] :

جهم المحيا هيضم مُهاصم
ضرغامة تورزه ضراغم
للأسد حول غيله زمازم[٢٣٢]

[أى أصوات][٢٣٣] واحدها زمزمة . والغيل : الأجمة ، والخيس والخيسة[٢٣٤] الأجمة (أيضاً)[٢٣٥] . قال مالك بن خالد [الخناعى][٢٣٦] : - البسيط -

ليث هزبر مدل عند خيسته بالرُّقمتين له أجر وأعراس[٢٣٧] .

←

---

(٢٣٠) عبارة ث : قال أبو سعيد : والأنثى اللبؤة ، ويقال لها الضرغامة والضرغام ، وعبارة ج « قال أبو سعيد : هو الأسد ، والأنثى اللبؤة ؛ ويقال لها الضرغامة والضرغام .

(٢٣١) مابين المعقوفتين زيادة من ث ، ج .

(٢٣٢) الأبيات ليست بديوانه . وفى ث ، ج : « هيصم مهاصم » .. وفى الأصل « الأسد حول عليه زمازم » وما أثبتناه من ث ، ج .

(٢٣٣) ما بين المعقوفتين زيادة من ث ، ج .

(٢٣٤) فى ث ، ج : « والخيس والخيسة » .

(٢٣٥) مابين القوسين ساقط من ث ، ج .

(٢٣٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ث ، ج .

(٢٣٧) ديوان الهذليين ٣/٤ . وفى لسان العرب ورد البيت منسوبا للهذلى بروايه ، « ليث هزبر مدل حول غابته ... » وفى ث ، ج : « خيسته » . أجر : واحدها جرو ، وهو الصغير من كل شىء . والأعراس . واحدها عرس وهى أنثاه والرقمتان : قال ياقوت موضع قرب المدينة .

والعرين : الموضع الذى يكون فيه الأسد[٢٣٨] ، وهو شجر يكون فيه .
وقوله[٢٣٩] : توزره أى تساويه [وتحاذيه ، ويقال مر فلان وابنه قد آزره أى ساواه][٢٤٠] :

وأنشد[٢٤١] : ـ الطويل ـ

بمحنية قد آزر الضالَّ نبتُها مجر جيوش غانمين وخُيَّب[٢٤٢]

والمحنية منعطف[٢٤٣] الوادى .

والفرافصة اسم له ، والورد « الذى »[٢٤٤] فى لونه [حمرة وسواد][٢٤٥] .
والضيغم [والضيغمى واحد وهو الشديد الضغم][٢٤٦] يعنى (به)[٢٤٧] العض ـ

قال : وأنشدني : ـ الرجز ـ

يفتح للضيغم فما لِهَمَّا
عن شُبُك كأن منها السُّما
يضم أصلاب العظام ضما[٢٤٨]

ويقال فَمٌ وفُمٌ وفِمٌ[٢٤٩] . ويقال السَّم والسُّم مثل الضَّرِّ والضُّرِّ .

---

(٢٣٨) عبارة ت ، ج : « الموضع الذى تكون فيه الأسود ، وهو شجر تكون فيه الأسد » .
(٢٣٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٢٤٠) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٢٤١) عبارة ت ، ج : « وقال امرؤ القيس » .
(٢٤٢) البيت لامرىء القيس فى ديوانه ٤٥ ، وعجزه ساقط من ت ، ج . المحنية : حيث ينحنى الوادى ، وهو أخصب موضع فيه . وقوله : « مجر جيوش » أى هذه المحنية فى موضع تمر الجيوش به من غانم او خائب ، فلا ينزلها أحد ليرعاها خوفا من الجيوش ، فهى لذلك اوفر خصبا .
(٢٤٣) اللفظة فى ج : « منعطف » .
(٢٤٤) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٢٤٥) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٢٤٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .
(٢٤٧) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .
(٢٤٨) فى ت ، ج : « وانشد :
يفتح للضغم فما لهما
عن شبك كأن فيه السما
يضم أطراف العظام ضما
(٢٤٩) فى ت ، ج : « يقال فَمٌ وفِمٌ وفُمٌ » . وفى أدب الكاتب ١٨٠ نقل هذا عن الأصمعى .

قال رؤبة[٢٥٠] : — الرجز —

كأنه ليث عرين درياس
بالعثّرى ضيغم وهّاس[٢٥١]

[والعرين غيضة][٢٥٢]

(قال أبو سعيد وأبو بكر : إنما هو درواس ، وهو العثّرين وهو موضع والعثّرى صيغه . والوهّاس الأكال للدواب .

وقال أبو عبيدة : الدرياس العظيم ، والدرواس العظيم الرأس والكراديس من الكلاب)[٢٥٣] .

قال الأصمعي : والكراديس هي ملتقى كل عظمين من نحو المنكب والكاهل . وما أشبههما[٢٥٤] ، والواحد كُردوس .

قال (الأصمعي)[٢٥٥] : الدرواس الغليظ الرقبة ، والهماس الشديد العض بضرسه[٢٥٦] ؛ قال رؤبة : — الرجز —

عادته خبط وعض همّاس
[يغدو بأشبال أبوها الهرماس][٢٥٧]

وقال الهذلي[٢٥٨] : — البسيط —

صعب البديهة مشبوب أظافره ... مواثب أهْرَتُ الشدقين هرماس[٢٥٩]

---

(٢٥٠) في ت ، ج « قال رؤبة بن العجاج » .. رؤبة بن العجاج .. خبره أذيع من أن يشار إليه . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٥٩٤ ، والأغاني ١٨/١٢٢ ــ ١٢٥ ، ٢١/٥٧ ــ ٦١ والمؤتلف والمختلف ١٢١ والاشتقاق ١٥٩ ، وخزانة الأدب ١/٣٨ ــ ٤٥ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٢ ــ ١/١١ .

(٢٥١) ديوانه ٦٧ برواية :

كأنه ليث عرين درواس
بالعثرين ضيغمى هواس

وفي ت ، ج روى : بالعثرين ضيغمى وهاس . وفي لسان العرب « وهس » ورد البيت الأول بلا نسبة ، برواية : « كأنه ليث عرين ، « درياس » والدرباس ــ بالباء ــ الكلب العقور . وعثر : موضع باليمن ، وقيل هي مأسدة بناحية تبالة .

(٢٥٢) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٥٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج . ويحل محله في ت ، ج : « وهاس الأكال للدواب والدرواس والدرياس الضخم الكراديس » .

(٢٥٤) عبارة ت ، ج « قال الأصمعي : الكراديس ملتقى كل عظمين نحو المنكب » .

(٢٥٥) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٥٦) عبارة ت ، ج : « والهماس الشديد الغمز بضرسه » .

(٢٥٧) ديوانه ٢٧ برواية « يعدو » يفصل بينهما آخر . ومابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج الخبط : كل شيء على غير هدى . وهماس : المضغ الذي لا يفخر به الفم .. الأشبال واحدها شبل وهو جرو الأسد .

(٢٥٨) في ت ، ج : قال الهذلي .

(٢٥٩) البيت لمالك بن خالد الخناعي في ديوان الهذليين ٣/٥ من قصيدة له مطلعها :

يامي إن تفقدي قوما ولدتهم ... أو تخلسيهم فإن الدهر خلاس

وهذه القصيدة نسبها السكري لأبي ذؤيب ، وعزاها الحلواني إلى مالك بن خالد الخناعي ، وربما يكون هذا سبب نسبة الأصمعي للبيت إلى الهذلي بإطلاق دونما تحديد .

صعب البديهة أي معاجلته شديدة .. ومشبوب أظافره أي قويت كما تشب النار وتذكى به . واهرت : واسع .

قال الأصمعى : الهرماس الشديد ، والهرس : الدق . والهزبر الغليظ[٢٦٠] والقضقاض الحطّام[٢٦١] ، قال رؤبة : ـ الرجز ـ

واسَدٍ فى غيلة قَضقاض
ليث على أقرانه ربُاض
يلقى ذراعى كلكل عرباض[٢٦٢]

والعرباض النبيل العظيم[٢٦٣] .

قال الأصمعى : هو المدرب الذى قد درب حتى حذق[٢٦٤] .

والمِهزع المِدَق ، يقال تهزعت عظامه إذا تكسرت ، قال المعطل الهذلى[٢٦٥] :

ـ الطويل ـ

كأنهم يخشون منك مدربا بحلية مشبوح الذراعين مهزعا[٢٦٦]

« و »[٢٦٧] المشبوح العريض .

والفرافرة الذى يفرفر كل شيء ويكسره ، قال حذيفة بن أنس[٢٦٨] : فرافرة أظفاره مثل نابه فإن يُشوِ ناب الليث لا يُشوِ مخلب[٢٦٩] .

وقوله يُشوِ أى إنْ كان نابه شَوَى لا يقتل[٢٧٠] فإن مخلبه يقتل .

ويقال لأجراء الأسود الأشبال ، والواحد شبل[٢٧١] .

---

(٢٦٠) عبارة ت ، ج : « والهرماس الشديد ، والهزبر الشديد » والعبارة تقع فيهما قبل قوله : « وقال الهذلى » مباشرة .

(٢٦١) عبارة ت ، ج : والقصاقص والقضاقض الحطام ، ومثله القضقاض .

(٢٦٢) ديوانه ٨٢ مع خلاف فى الترتيب . وفى ت ، ج رويت : « وأسد فى غيله قضقاض » . ليث .. « والغيل ـ بفتح الغين ـ مكان من الغيضة فيه ماء معين .

(٢٦٣) فى ت ، ج والعرباض الثقيل العظيم .

(٢٦٤) عبارة ت ، ج : قال الاصمعى : المدرب الذى درب حتى حذق .

(٢٦٥) عبارة ت ، ج : يقال تهزعت عظامه أى تكسرت ، وقال المعطل الهذلى . والمعطل الهذلى أحد بنى رهم بن سعد بن هذيل .. انظر بعض أخباره فى : شرح اشعار الهذليين ٦٣٠ ـ ٦٣٨ ، والمعانى الكبير ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وشروح سقط الزند ١٩٠٨ .

(٢٦٦) ديون الهذليين ٣/٤٢ برواية : « محربا » وفى شرح اشعار الهذليين ٦٣٣ برواية الوحوش .. وفى لسان العرب « هزع » برواية .. مدربا .. بجلبة » . المحرب : الاسد قد غيظ وهيج . وحلية : موضع فيه الأسد والفيل . والمشبوح : العريض الذراعين . والمدرب : المعتاد .

(٢٦٧) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٦٨) عبارة ت ، ج : والفرافر الذى يفرفر فى كل شيء ، أى يكسره ويدقه بأظفاره ، قال حذيفة بن انس الهذلى .

(٢٦٩) حذيفة بن انس .. أخو بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، لقب بابن الواقعة وهى امه . انظر بعض أخباره فى شرح اشعار الهذليين ص ٥٤٧ .

البيت فى ديوان الهذليين ٣/٢٥ وشرح ديوان الهذليين ٥٦١ برواية : « وإن يشو .. » وفى ت ، ج روى : « لم يشو مخلب » .. وفى شرح أشعار الهذليين ٥٦١ « يقول : إن كان نابه يشوى لا ضير ، فإن مخلبه لا يشوى ، أى هو قاتل ، يقال : اشواه ، إذا أصاب منه الأمر الهين .. ويقال : لم يشوه إذا أصاب المقتل » .

(٢٧٠) عبارة ت ، ج : يشو أى إن كان نابه ينبو لا يقتل .

(٢٧١) عبارة ت ، ج ويقال لجرو الاسد : الشبل ، والجميع الاشبال .

والمخدر الذى قد اتخذ الأجمة خدرا ، [فيقال له المخدر] [٢٧٢] (و) [٢٧٣] قال جرير :
ـ البسيط ـ

ما يـدرى شـعراء الناس ويحهم
من صولة المخدر العادى بخفانا [٢٧٤] .

ومن أسماء الأُسُود / الشَّابك وهو الذى اشتبكت أنيابه واختلفت وقال البريق الهذلى [٢٧٥] :

وما إن شابك من أسد تَرْج ـ الوافر ـ
أبو شبلين قد منع الخدارا [٢٧٦] .

والخدار : المخدر [٢٧٧] .

والغضنفر [٢٧٨] من الأسود الغليظ ، ويقال رجل [غضفر] [٢٧٩] وغضنفر إذا كان غليظا .

والقضاقض الغليظ المكتَّل [٢٨٠] ، قال القلاخ [٢٨١] :

إن لنا ضُبارما هرماسا
ذا لِبَدٍ غضنفرا درواسا
يفترس الأسد به افتراسا [٢٨٢]

ويقال للأسد رئبال [٢٨٣] . والمحرب المغيظ ، [و] [٢٨٤] قال أبو ذؤيب :

كأن محربا من أسد ترجٍ ينازلهم لنابيه قبيب [٢٨٥]

أى صوت وهى القبقبةُ .

والقسور منها الغليظ الشديد ، ويقال ليث هصور والجماع هصر ويقال هصرت الشىء إذا ثنيته ، وقال الشاعر : [٢٨٦] .
ـ البسيط ـ

---

(٢٧٢) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٧٣) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٧٤) شرح ديوان جرير ٥٩٧ ، برواية :

ما يدرى شعراء الناس ويلهم .. وفى ت ، ج روى : « ما يدرنى .. ويلهم » .. الإدراء : الختل . وصولة : وثبة . وخفان : موضع بطريق الكوفة وهو مأسدة .

(٢٧٥) عبارة ت ، ج : الشابك الذى اشتبكت أنيابه واختلطت ، قال البريق الهذلى .

(٢٧٦) ديوان الهذليين ٦٣/٣ . وترج : جبل بالحجاز ، كثير الأسد . والشبل : ولد الأسد لم يدرك الصيد .

(٢٧٧) فى ت ، ج : أى المخادرة .

(٢٧٨) اللفظة فى ت ، ج : والغضفر .

(٢٧٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٨٠) اللفظة فى ت ، ج : « والقصاقص » .

(٢٨١) فى ت ، ج : وقال القلاخ السعدى .

(٢٨٢) روى فى ت ، ج : إن لنا ضبارما هواسا .

ذا لبد غضنفرا رواسا .

وفى لسان العرب « ضبرم » الضبارم بالضم الشديد الخلق من الأسد .. ابن السكيت : يقال للأسد ضبارم ، وضبارك ، وهما من الرجال الشجاع .

(٢٨٣) اللفظة فى ت ، ج : الرئبال .

(٢٨٤) ما بين المعقوفتين زيادة من ج .

(٢٨٥) ديوان الهذليين ٩٧/١ . وترج جبل بالحجاز كثير السباع وقيل : هو واد إلى جنب تبالة على طريق اليمن .

(٢٨٦) فى ت ، ج : وقال الآخر .

يفلى جماجمهم والبيض تأخذه كالليث يشرع فيه وهو مهتصر[287]

وهصور وهصر[288] اسمان اشتقا (له)[289] من هذا .

ويقال له ، الخنابس ، ويقال للأسد العنبس ؛ قال القلاخ[290] :

ـ الرجز ـ

يذب عنه الأسْد والأناسا
جراته خُنابسا فرناسا

(والفرناس الذى يفترس كل شىء اى يدقه)[291] .

أسماء الذئاب وصفاتها

يقال ذئب وسلق[292] وذألان وذؤالة ، وسيد وأوس وأويس[293] وسرحان وقال الشاعر :

ـ المتقارب ـ

وصاحب صدقٍ كسيد الضرا ء ينهض فى الغزو نهضا نجيحا[294]

والضراء الشجر يوصف الذئب بأن يكون يألف الضراء ، ويربض به[295] [وهو أخفى له ، والضراء ماواراك من الشجر][296] قال عمرو ذو الكلب [الهذلى][297] :

ـ الرجز ـ

ما فعل اليوم أويس فى الغنم[298]

ويقال للأنثى ذئبة [وسلقة ايضا][299] ، قال رؤبة :

ـ الرجز ـ

سلق خليل سلقةٍ طلاس

---

(٢٨٧) فى ت ، ج روى : تفلى جماجمهم والبيض تأخذهم كالليث يسرع فيهم وهو مهتصر .

(٢٨٨) فى ت ، ج « ومهصور وهصر » .

(٢٨٩) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٩٠) هو القلاخ بن حزن بن جناب بن جندل بن منقر .. كان شريفا انظر ترجمته فى : الشعر والشعراء ٧٠٧ والاشتقاق ١٥٣ ، والمؤتلف والمختلف ١٦٨ ، وسمط اللآلىء ٦٤٧ .

(٢٩١) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٢٩٢) اللفظة فى ت : « وسلق » .

(٢٩٣) عبارة ت ، ج : وأوس وأويس وسيد .

(٢٩٤) البيت لأبى ذؤيب الهذلى فى ديوان الهذليين ١٣٤/١ برواية فصاحب صدق .. وقوله « نجيحا » اى سريعا .

(٢٩٥) عبارة ت ، ج : « الضراء : الشجر ، ويوصف الذئب أن يكون يألف الشجر ، ويربض تحته .

(٢٩٦) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٩٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٢٩٨) ديوان الهذليين ٩٦/٣ لرجل من هذيل وفى كتاب الوحوش لقطرب ٣٥ ورد منسوبا لعمرو ذى الكلب برواية « ما صنع » . وفى شرح أشعار الهذليين ٥٧٥/٢ يعلق السكرى على قصيدة البيت بقوله رواها الأصمعى ورواها أبو خراش ورواها ابو عبد الله لرجل من هذيل غير مسمى .

(٢٩٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

لا يسأم العِرس من الإفلاس[٣٠٠]

ويقال ذئب أطلس ، وذئبه طلساء . والطلسة دبسة فى غبرة كلون الثوب (الأسود)[٣٠١] الشديد الوسخ .

قال رؤبة : ـ الرجز ـ

فارطنى ذالاتة وسمسمه[٣٠٢]

قال أبو سعيد : يقال ذئب سمسام ، وهو الخفيف اللطيف[٣٠٣] ، ومن ذا قيل ابن سمسمانى . وفارطنى : سابقنى إلى الماء[٣٠٤] .

ويقال ذئب أمرط وهو الذى قد أسن فمرط وبره[٣٠٥] اى وقع . وكذلك الأمعط مثل الأمرط . وذئب أعقد وهو الذى يعقد طرف ذنبه[٣٠٦] ، وكل ذئب أعقد .

والعمرد الطويل و[يقال][٣٠٧] ذئب عمرد .

وجماع سرحان سراحين وسراح[٣٠٨]

ويقال ذئب أغبس (وذئبة غبساء)[٣٠٩] . والغبسة شبيهة[٣١٠] بالطلسة ، (و)[٣١١] قال العجاج : ـ الرجز ـ

ومن أسود وذئاب غبس[٣١٢]

أسماء الضباع وصفاتها

الضبع الأنثى ، والذكر الضبعان . ويقال : ضبع وضباع وضبعان وضباعين[٣١٣] . والضبع تسمى أم عامر وأم الهنبر[٣١٤] . ويقال لولدها : الفرعل[٣١٥] .

←

---

(٣٠٠) ديوانه ١٩٠ « الملحق » وهو ضمن الأبيات التى لم ترد فى أصول الديوان ، وجاءت منسوبة له فى كتب اللغة وورد برواية : لا يسأم العريس من إفلاس . وفى ت ، ج : روى « لا يسأم العريس من إفلاس » .

(٣٠١) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج . وفى ج : « الوسخ » .

(٣٠٢) ديوانه ٥٠ والمذكر والمؤنث ٨٦ وفى ت ، ج . « فارطنى ذالاتة سمسمة » . وفى لسان العرب « سسمم » روى : فارقنى ذالاته وسمسمه .

(٣٠٣) فى ت : وهو اللطيف الخفيف .

(٣٠٤) عبارة ت ، ج : ومن ذا قيل : ابن سمسمانى وقوله فارطنى أى سابقنى إلى الماء .

(٣٠٥) فى ت ، ج : فتمرط وبره .

(٣٠٦) عبارة ت ، ج : وهو الذى تعقد ذنبه .

(٣٠٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٠٨) عبارة ت ، ج : وجماع السرحان السراحين والسراح .

(٣٠٩) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣١٠) اللفظة فى ت ، ج : تشبيه .

(٣١١) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣١٢) ديوان العجاج ٤٤٧ .

(٣١٣) عبارة ج : ويقال : ضبع وضباع وضباعين للجميع .

(٣١٤) فى الأصل : أم الهنبر بفتح الباء ، وفى ت ، ج بكسر الباء وكذا لسان العرب .

(٣١٥) فى الأصل الفرعل بكسر الفاء ، وما أثبتناه من ت ، ج ولسان العرب فرعل .

قال [الشاعر][٣١٦] :

- المتقارب -

كأن قفاك قفا فرعل[٣١٧]

ويقال للضبع عثواء : إذا كانت كثيرة الشعر[٣١٨] ، [ورجل اعثى إذا كان كثير الشعر][٣١٩] ، وقال :[٣٢٠] .

- الوافر -

يبيت الذئب والعثواء ضيفا … لنا بالليل بئس الضائفان[٣٢١]

ويقال للضبع : حضاجر [وجيأل][٣٢٢]

ويقال للذكر : الذيخ ، والانثى[٣٢٣] ذيخة ، قال رؤبة :

- الرجز -

تختـرهـن الجيـأل الشرابـث[٣٢٤]

[والحرابث ايضاً][٣٢٥]

وقال الحطيئة :[٣٢٦]

- الكامل -

الا غضبت لرحل بيـ … ـتك إذ تهتكه حضاجر[٣٢٧]

---

(٣١٦) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣١٧) لم اعثر على قائله . والقفا مؤخر العنق .

(٣١٨) عبارة ت ، ج : يقال : ضبع عثواء اى كثيرة الشعر .

وفى لسان العرب « عثا » الاعثى : الكثير الشعر السمج ، والانثى عثواء ، وضبعان اعثى كثير الشعر ، والانثى عثواء ، والجمع عثو وعثى .. وقال ابو عبيدة : الذكر من الضباع يقال له : عثيان ؛ قال ابن سيدة : والعثيان الذكر من الضباع .. قال ابن برى : ويقال للضبع غثواء بالغين المعجمة ايضا .

(٣١٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٢٠) فى ت ، ج : قال الشاعر . والبيت للحطيئة فى ديوانه ، والاغانى ١٩١/٢ .

(٣٢١) البيت من قصيدة نسبها الاصفهانى للشاعر النمرى الذى كان الزبرقان حمله على هجاء بغيض ، عندما اطلق عمر الحطيئة .

(٣٢٢) ما بين المعقوفتين زيادة من ج ، ووردت اللفظة هكذا « الجيئل » .

(٣٢٣) فى ت ، ج : وللانثى ذيخة .

(٣٢٤) ديوان رؤبة ص ١٨٩ . ضمن الزيادات ، مأخوذ من كتابنا هذا . وفيه روى برواية كل من ت ، ج وهى : تحيهن الجيئل الشرابث .

وفى المذكر والمؤنث ص ٨٠ : « ومما يقع على المذكر والمؤنث الجيأل ، وهو الضبع قال رؤبة: .

تخترهن الجيأل الشرابث

تخترهن : تخدعهن ، من الختر وهو اسوأ الغدر واقبحه . والشرابث القبيح الشديد ، وقيل : هو الغليظ الكفين ، وفى الصحاح ، والرجلين ، وفى المحكم ، والقدمين ، الخشنهما . لسان العرب : « شربث » .

(٣٢٥) ما بين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٢٦) فى ت ، ج : قال الحطيئة .

(٣٢٧) البيت للحطيئة فى : المذكر والمؤنث ٨٢ ، وديوانه ولسان العرب والصحاح وتاج العروس « حضجر » وروى فى ت ، ج ،

هلا غضبت لجار بيـ … ـتك إذ تنبذه حضاجر .

وفى لسان العرب « حضجر » حضاجر اسم للذكر والانثى من الضباع ، سميت بذلك لسعة بطنها وعظمها قال الحطيئة : هلا غضبت لرحل جا … رك إذ تنبذه حضاجر .. قال السيرافى : إنما جعل اسما لها على لفظ الجمع إرادة للمبالغة .

اسماء الثعالب

يقال ثعلب وثعالة (وثعالب للجميع)[٣٢٨] ويقال للثعلب الهجرس [ويقال له سمسم][٣٢٩] وقال الشاعر[٣٣٠] : ـ الوافر ـ

واشباه الهجارس في القتال[٣٣١]

ويقال لولد الثعلب التتفل والتتفل مثل يعفر (ويعفر ، و)[٣٣٢] قال امرؤ القيس[٣٣٣] : ـ الطويل ـ

له أيطلا ظبي وساقا نعامة   وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

قال : والصيدن الثعلب ولم أسمعه إلا في شعر كثير[٣٣٤]

[و][٣٣٥] يقال للانثى من الثعالب الثرملة .

اسماء الارانب

[يقال للانثى ارنب ، و][٣٣٦] يقال للذكر الخزز ، [والجميع الخزان][٣٣٧] .

البقية ص ٨٤٧

---

(٣٢٨) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣٢٩) ما بين المعقوفتين زيادة من ج .

(٣٣٠) في ت ، ج « قال » والشاعر هو حسان بن ثابت الانصاري ، كان بعد إسلامه شاعر الدعوة الإسلامية في طورها الاول .
انظر ترجمته في : طبقات فحول الشعراء ١/٢١٥ ـ ٢١٧ والشعر والشعراء ١/٣٠٥ ـ ٣٠٨ والاشتقاق ٤٤٩ ، والاغاني ٤/١٣٤ ـ ١٧٠ ، والمؤتلف والمختلف ١٢٣ ، ٢٤٨ ، والموشح ٨٢ ـ ٨٧ والإصابة ٢/٦٢ ـ ٦٤ وخزانة الادب ١/١١٠ ، ١١١ ، وفي السيرة لابن هشام .

(٣٣١) عجز البيت لحسان بن ثابت في شرح ديوانه ٣٤١ ، وصدره .
ثقيف شر من ركب المطايا .
والهجارس هنا الثعالب ، واحدها الهجرس اراد أنهم يروغون في القتال ولا يثبتون كما تروغ الثعالب .

(٣٣٢) مابين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣٣٣) في الاصل : قال امرؤ القيس ، وهو خطا وقع فيه الناسخ . ورد البيت في ديوانه ٢١ .

(٣٣٤) عبارة ت ، ج : والصيدن لم اسمعه إلا في شعر كثير .
كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة .. أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته عزة ، وإليها ينسب ، وهي من ضمرة ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٥٠٣ ـ ٥١٦ ، وطبقات فحول الشعراء ١٢١ ـ ١٢٥ ومعجم الشعراء ٣٥٠، والمؤتلف والمختلف ١٦٩ ، والاغاني ٨/٢٥ ـ ٤٢ ـ ١١/٤٣ ـ ٥٠ ، وخزانة الادب ٢/٣٧٦ ـ ٣٨٣ ، والعقد الفريد ١/١٥٢ ـ ١٥٤ والمحاسن والاضداد ١٣٩ ـ ١٤٠ .
وردت كلمة « الصيدن » في بيت شعر لكثير في ديوانه ٢٤٩ ، هو :
كأن خليلي زورها ورحامها   بني مكوين ثلمًا بعد صيدن
خليلها الناقة : ماتحت إبطيها ، والرحى : الكركرة ، والمكوان : مثنى مكا وهو جحر الثعلب والارنب ونحوه .. « بعد صيدن » بعد رحيله عنهما ، والصيدن ، الثعلب ، قال ابن خالويه : لم يجيء الصيدن إلا في شعر كثير .
ويضيف ابن منظور في لسان العرب « صدن » قال ابن بري : الصيدن هنا عند الجمهور الثعلب .. وقال ابن خالويه : لم يجيء الصيدن إلا في شعر كثير .. قال الاصمعي : وليس بشيء .

(٣٣٥) ما بين المعقوفتين زيادة من ، ت ، ج .

(٣٣٦) مابين المعقوفتين زيادة من ت ، ج .

(٣٣٧) ما بين المعقوفتين زيادة من ج ، وفي ت : والجميع الخزاز .

من خير ما نشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

إنه حين الرحمة والفروسية

للاستاذة : فاطمة سعيد

قالت الفتاة الصغيرة بحرص واهتمام :

سمعت أن الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يطلق سراح الأسير الذى يقوم بتعليم أحد المسلمين القراءة والكتابة .

لماذا لا نسترشد بهذا الأسلوب فى مكافحة الأمية فى بلدنا ؟

فيكون هناك حافز من أى نوع لمن يعلم القراءة والكتابة لأى مواطن فابتسمت الفتاة الكبيرة وهى تقول :

لو أننا طبقنا كل تعاليم الدين الإسلامى فى كل نواحى حياتنا لأصبحنا أكثر الدول تحضرا وقوة ورفاهية .

إن الدين فرض علينا الصوم ، والصلاة ، وطالب الآباء بتعليم أبنائهم السباحة وركوب الخيل ، وفى ذلك صقل للأجسام لتصبح كالرماح فى استقامتها ورشاقتها .

والإسلام طالب المسلم بالعمل والبحث عن العمل والحرص على زراعة الأرض حتى لو فاجأ الموت إنسانا وفى يده « فسيلة » فالله يطالبه بغرسها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

فقال الفتاة الصغيرة بحماس ورجاء مشرق فى عينيها :

إذا كان ديننا هو هذا كله فلماذا نجهله ، لابد أن تعلمونا تفاصيل ذلك كله فى بيوتنا ومدارسنا ومجتمعنا .. إنكم أهملتمونا كثيراً وتركتمونا لظلمات الجهل ، إننا نريد أن نكون الوجه المشرق للشباب المؤمن .

« الأخبار »

اعتداء بربرى صليبى

نشرت مجلة « رسالة الجهاد » عدد رجب ١٣٩٩هـ نداء عاجلاً وجهته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية إلى جميع الجمعيات والمؤسسات والمنظمات الإسلامية جاء فيه :

إن الاعتداء البربرى الصليبى الاستعمارى الذى استلب استقلال جمهورية جزر القمر ، وقضى على حرية شعبها ، وقتل رئيسها المسلم أمام مرأى ومسمع من العالم الذى يدعى التحضر والمدنية ، أمر يدعو إلى الاستهجان ويوضح زيف الشعارات الجوفاء التى يزايد بها المستعمرون .

ومهما حاول الصليبيون إيجاد المبررات وترويج القصص والتعتيم الإعلامي على هذا الحدث فإن حقيقته ستظل ماثلة للعيان غير خافية على أحد ، تبين مدى تردى هؤلاء الصليبيين في مستنقع استعباد وامتصاص خيرات الشعوب الآمنة ، وما حدث في جزر القمر هو تكرار ما حدث في جرينادا مع اختلاف في التفاصيل ، ولقد شجع المستعمرين على التمادى في الاستخفاف بالشعوب الصغيرة والعبث بمقدراتها ، ما لمسوه من التغاضى عن أطماعهم وعدم التصدى لهم .

إن جزر القمر دولة صغيرة وموقعها استراتيجى لينطلق منه المستعمرون إلى الدول الأخرى لتحقيق أهدافهم . وهذه الجريمة ليست الأولى في هذا المسلسل ولن تكون الأخيرة ما لم تتوحد جهود الشعوب المحبة للحرية ويقفوا صفا واحدا لرد المعتدين . إن جمهورية جزر القمر دولة مسلمة وعضو في منظمة المؤتمر الإسلامي والمستهدف بالدرجة الأولى من هذا العمل البربرى القضاء على الإسلام فيها وتحويلها إلى وكر للصليبية والاستعمار مما يرتب على الدول والهيئات الإسلامية مسئولية مضاعفة يفرضها ديننا الحنيف .

إن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية تستنكر هذه الحرب الصليبية التى تهدف إلى إبادة المسلمين والقضاء على الإسلام وتدعو جميع المنظمات والهيئات الإسلامية إلى أن تخلع عنها ثوب الاستكانة وعدم المبالاة وأن تقوم بواجبها الدينى المتمثل في الوقوف بالعمل لا بالقول إلى جانب مسلمى الجزر في محنتهم التى يواجهونها ماديا ومعنويا حتى يستعيدوا حريتهم التى فقدوها ويردوا المعتدين على أعقابهم . والعمل على تعرية الأساليب الاستعمارية البغيضة التى يتبعها أعداء الإسلام للقضاء على الأمة الإسلامية .

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الله والحرية

للأستاذ : أحمد بهجت

... إذا كان الله تعالى قد خلق الناس أحرارا إلى الحد الذى يسمح لهم بحرية الإيمان أو الكفر وإذا كان الله قد شاء ذلك فكيف يكون قدر الحرية في المجتمعات الإنسانية ، وكيف يكون قدرها في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها من أنواع الحياة .

إن الحرية السياسية التى قدمها الإسلام للناس وصلت الأفق التالى فالنبى مرسل يوحى إليه ، لا ينطق عن الهوى ، ومعصوم من قبل الله ، ومع ذلك قال الله تعالى له : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وقد ثبت من لزوم الشورى في وجود النبى أنها ألزم في وجود الحاكم العادى .

عن جريدة (الأهرام)

محنة الإسلام والمسلمين في أذربيجان

اللواء الإسلامى

المظاهرات والقتال والدمار الذى يحدث في بعض الجمهوريات السوفيتية .. هو في الحقيقة مشكلة إسلامية .. لأن الدماء التى سالت في شوارع باكو بجمهورية أذربيجان دماء إسلامية .. ولأن البيوت التى هدمت في مدينة جورجيا يملكها المسلمون .. ولأن اللافتات التى رفعها المطالبون بالحرية لافتات إسلامية دافعها التحرر من قيد الإلحاد ، ووقودها المطالبة

←

من خير ما نشر

بتحقيق كرامة الإنسان بعد أن أفقدت الشيوعية الإنسان كرامته ..

وإذا كان الإعلام الغربى قد لاذ بالصمت تجاه ما أحدثه السوفييت فى تلك الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية وإذا كان السوفييت قد استدروا عطف العالم بأن برامجهم الإصلاحية الجديدة مهددة بالضياع من جراء ما يفعله الانفصاليون على حد قولهم .. فإن الحقيقة توشك أن تضيع بين صمت الغرب وتشويه الشرق ، وجهل المسلمين .. !

والحقيقة ، متشابكة ومعقدة .. فالكبت الشيوعى الذى أوقف النمو الطبيعى للبشرية على حد قول أحد مسلمى أذربيجان ، جعل كل من لديه بقية من الطبيعة البشرية يثور ضد الشيوعية وأفكارها ورموزها .. !!

والدمار الذى أحدثه الجيش الأحمر بتعليمات من جورباتشوف صاحب البريسترويكا ، فى ميادين باكو وجورجيا ، يجعل الثقة فى نوايا هؤلاء معدومة .. !!

ويكيل الغرب بأكثر من مكيال يثير الدهشة ، فعندما يحاول السوفييت تهدئة ثورات الأرض ، ذات الأصل المسيحى ، تثور أمريكا ويغضب الغرب لضياع حقوق الإنسان ، وعندما يدك الجيش الأحمر شوارع باكو ، ويقتل نحو ثلاثة آلاف ، غالبيتهم من المسلمين ، يصمت الغرب ، ويكذب الشرق .. !!

والحقيقة أن السلطة الشيوعية تعامل المسلمين هناك بحساسية شديدة ، لأنها تعلم ما بين الإسلام والإلحاد من خلاف وشقاق ، وتعلم ما أحدثه الجيش الأحمر بالمسلمين بعد الثورة وما فعله القياصرة قبل الثورة الشيوعية .. !!

إن وجود خمسين مليون مسلم ـ هم تعداد مسلمى الاتحاد السوفيتى ـ يثير فى النفس الروسية العديد من المخاوف .. والتاريخ يذكر ، كما يقرر الشيخ محمد الغزالى فى مؤلفه القيم : « الإسلام فى مواجهة الزحف الأحمر » أن الحكومات الشيوعية نفذت ما أسماه « الترويس » أى القضاء على القوميات الأخرى وتحويلها إلى الروسية .. وفى سبيل هذا دفعوا بأعداد كبيرة من المسلمين إلى المناطق النائية ، واستقدموا قوميات روسية داخل الجمهوريات الإسلامية .

وجرت أيام حكم ستالين مذابح رهيبة للمسلمين بهدف إضعاف شوكتهم ، حيث قتل فى عهده نحو أربعة ملايين مسلم ، من بينهم نحو نصف مليون من علماء الإسلام وشراحه .. !!

وتقول الأرقام أيضا ، إن السوفييت هدموا فى مدينة كردستان ١٧٠٠ مسجد وفى تركستان هدموا ١٦٠٠ وحولوا المدارس والمساجد إلى مقار للحزب الشيوعى .. !

إن مأساة الجمهوريات الإسلامية اليوم ، مرتبطة بمأساة تلك الجمهوريات مع الدب الروسى ، سواء قبل الثورة الشيوعية أو بعدها .. !!

والثابت تاريخيا ، أن الإسلام دخل هذه المناطق مع نور الإسلام الأول عندما فتح المسلمون إيران وما حولها من ولايات فى عام ٣١هـ . وعلى يد قيس بن الهيثم كما يؤكد المؤرخون ، دخل المسلمون ولاية خراسان وما حولها فى عهد معاوية .. ورحل إليها نحو ٥٠ ألف أسرة من البصرة والكوفة .

وقد أنجبت تلك الولايات مجموعة من كبار رجالات الحديث والنحو والطب والفلك من بينهم المحدث الشهير الإمام البخارى ، والإمام الثعالبى ، وابن سينا ، والإمام الترمذى والجورجانى الطبيب الفذ ، والبيرونى الفلكى والرياضى الشهير ، والنسائى والزمخشرى ،

وعبد القادر الجرجانى ، والسكاكى وغيرهم كثيرون .. !!

فكــرة

للأستاذ : مصطفى أمين

أصدر المستشار عادل صدقى شقيق رئيس الوزراء الحالى ١٨ حكماً بالإعدام على مهربى الحشيش ، وأيدت محكمة النقض هذه الأحكام ، ولكن لم ينفذ حكم الإعدام إلا على مهرب واحد ، وبلغ عدد المحكوم عليهم بالإعدام من المهربين حتى الآن ٤٤ مهرباً وقد هرب واحد منهم وهو إسرائيلى يدعى يوسف طحان .

والغريب أن هذا المهرب بالذات صاح فى وجه المستشار عادل صدقى عندما أصدر الحكم عليه : تأكد أننى لن أعدم !

ويبدو أن معلومات المهرب كانت أدق من معلومات المستشار الذى أصدر الحكم !!

« الأخبــار »

تحت عنوان

فلسفة جديدة للتليفزيون

كتب الأستاذ / جمال إسماعيل يقول :

فى أكتوبر القادم يتم افتتاح القناة الخامسة بمحافظة الأسكندرية وهى ثالث قناة محلية على مستوى الجمهورية كما يجرى حاليا دراسة استغلال محطة إرسال السد العالى ـ التى أقامتها الثورة إبان بناء السد ـ وذلك لإقامة القناة السادسة فى محافظة أسوان .

ومع تعدد القنوات المحلية التليفزيونية ـ ومصر رائدة ذلك فى الشرق الأوسط وأفريقيا ـ يتطلب هذا أن تكون هناك فلسفة واضحة وثابتة للإرسال التليفزيونى بحيث لا نتعامل معه على أنه أداة تسلية فقط ولابد أن يعكس التليفزيون روح العصر الذى نعيشه .

كما يجب مراعاة أن مجتمعنا يحارب العنف والجريمة ويشجع زيادة الإنتاج ، والتليفزيون يصر على عرض أفلام تتسم بالعنف وينهى إرساله بعد منتصف الليل .. كما أنه يمكن الاعتماد على الدراسات المختلفة لعلمائنا فى هذا المجال والتى بذلوا فيها الجهد والوقت وذلك حتى ينتقى التليفزيون المادة التى يقدمها للمشاهدين والتى تساهم فى بناء الإنسان الذى تعتمد عليه الدولة فى تنفيذ خططها القومية للتنمية ولبناء نهضة حديثة تواكب عصر تكنولوجيا الأقمار الصناعية والفضاء .

« الأهــرام »

إسرائيل مركز المؤامرات على العالم

وأجرت مجلة « الشريعة » الأردنية (عدد جمادى الآخرة ١٤١٠) حواراً مع الدكتور عبد الصبور شاهين حول الصراع العربى الإسرائيلى ومما ذكره الدكتور شاهين فى حديثه :

إسرائيل هى مركز المؤامرة على العالم الإسلامى بشكل خاص والعالم أجمع بشكل عام ، وهى تتعقب كل حركة فى عالمنا ، خصوصاً مصر التى تعتبر من المحاور الرئيسية والأساسية فى الأمة الإسلامية ، وهذا ينطلق من منظور معادٍ للإنسان المسلم ، فهى لا تخشى شيئاً فى عالمنا المسلم بقدر ما تخشى الأجيال المسلمة التى تلتف يوماً بعد يوم حول عقيدتها ودينها .

من خير ما نشر

من الكذب أن إسرائيل تخشى الصواريخ طويلة المدى التى يمتلكها العالم المسلم أو القنابل والطائرات وترسانات الأسلحة الموجودة هنا وهناك فى أرجاء هذا العالم ، لأنها تمتلك أضعاف أضعاف ما تمتلكه فى مخازنها وقادرة على الحصول عليه أو تخزينه ، وهى تعلم كل العلم أن تفسخ العالم العربى والإسلامى بوضعه الراهن وتشتته هو الورقة الرابحة بيدها ، ولا يمكن لهذا العالم أن يجتمع فى كيان متقارب على الأقل فى المستقبل القريب ، الأمر الذى جعل التفتت والتشتت العربى والإسلامى بوليصة لوجود وبقاء الكيان الإسرائيلى .

ومن هذا المنطلق فإن أى نشاط يحمل طابعاً إسلامياً أو يتجه إلى إحياء المفاهيم الإسلامية هو نشاط معادٍ لإسرائيل ، سواء كان ذلك فى الوحدة والتضامن أو محاربة المخدرات وحتى فى مجال استثمار الأموال الحلال ، وإنتاج الملابس التى تجعل الفتاة المسلمة تعود فيها إلى أصول عقيدتها ومنهج دينها (الحجاب) ... والكيان الصهيونى يرى أن كل ذلك هو خطر عليه يهدد بقاءه .

والشىء الذى يفزع الكيان الصهيونى هو تحرك الشباب المسلم والتفافهم حول دينهم وعقيدتهم . لأن الإسلام هو الخطر الحقيقى عليه ، وليس ترسانات الأسلحة أو إعداد الجيوش ، فالإسلام يبث الرعب والخوف فى قلوب الإسرائيليين ... والإسلام هو الوحيد القادر على ردع الممارسات الإجرامية الإسرائيلية ودحر العدوان وتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وعندما نتحدث عن عداوة إسرائيل للإسلام والمسلمين فإننا نتحدث عن عداء كثير من دول العالم لهذا الدين الذى يمكنه أن يزلزل الأرض تحت أقدامها ، ويعيد الأمور إلى نصابها الصحيح ، فالإسلام قوة ، والمسلمون يستمدون قوتهم من الإسلام ، فإذا ما التفّت جماهير المسلمين حول دينها ومعتقداتها بقوة ، يصبح الإسلام أقوى قوة فى العالم ، عندها سيعود الخير إلى الأرض وستفنى كافة وسائل الدمار ، وستسود المحبة بين الناس ، لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يحترم الإنسان والمعتقدات فى آن واحد ، على عكس المعتقدات الأخرى ، التى تحارب كل معتقد يتنافى معها .

كتاب الوحوش ـ بقية ـ

ويقال للأنثى عكرشة ، ويقال للصغير منها خرنق ، قال الراجز :

ـ ال[illegible] ـ

مـابـال زيـد لحيـة الـعـريض
مبـرنتيـاً كـالخـزز المـريض[٣٣٨]

فالمبرنتى : الكاسف البال[٣٣٩] ، (قال أبو سعيد : المبرنتى المنتفخ من مرض أو غضب ، ولم أسمع فى هذا كاسف البال)[٣٤٠] .

وقال الشماخ يصف عقابا :[٣٤١] ـ الوافر ـ

فما تنفك بين عويرضات تجر برأس عكرشة زموع

والزموع التى تمشى على زمعتها[٣٤٢] إذا دنت من موضعها لئلا يقص أثرها[٣٤٣] .

اخـر كتـاب الـوحـوش
والحمـد للـه رب العـالمين
وصـلى الله عـلى سيدنـا محمد
وآلـه وصحبـه وسلـم

قال الأصمعى : الهجرس[٣٤٤] فى لغة أهل الحجاز القرد ، وفى لغة غيرهم الثعلب .

قال : والسرحان فى لغة هذيل الأسد ، وفى لغة غيرهم الذئب ؛ وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى :

ـ الوافر ـ

ترى السرحان مفترشا يديه كأن بياض لبيته الصديع[٣٤٥]

تم كتاب الوحوش
عن الأصمعى

---

(٣٣٨) فى ت ، ج روى « مهرش كالخزز المريض . وفى لسان العرب « عرض » ورد البيت الأول بلا نسبة وبرواية الأصل . وفى ت ، ج : ما بال زيد لحية العريض .

(٣٣٩) عبارة ت ، ج : والمهرش : المتنفخ من الغضب .

(٣٤٠) ما بين القوسين ساقط من ت ، ج .

(٣٤١) عبارة ت ، ج « قال الشماخ ينعت عقابا » والبيت فى ديوان الشماخ ٢٢١ والزمعة : وهى الشعرة المدلاة فى مؤخر رجلها .

(٣٤٢) اللفظة فى ت ، ج : زمعها .

(٣٤٣) فى ت ، ج : لأن لا يقتص أثرها.

● هكذا ختمت النسخة الخطية التيمورية .

(٣٤٤) لسان العرب (هجرس) الهجرس بالكسر ولد الثعلب وعم بعضهم به نوع الثعالب .. والهجرس أيضا القرد ، وبنو تميم يجعلونه الثعلب .

(٣٤٥) لسان العرب (فرش) بدون نسبة لشاعر . وفى لسان العرب « صدع » ورد منسوبا له ، وبرواية ثانية « .. صديع » . افترس يديه : بسطهما على الأرض ، واللبة . موضع الذبح والصديع : الفجر لانصداعه .

أنباء وآراء

د. عبد العزيز عزت عبد الجليل
عبد المنعم فوده
صفوت عبد الجواد

« فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر فى السعودية »

توجه فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر إلى المملكة العربية السعودية خلال شهر رجب سنة ١٤١٠هـ لحضور ثلاثة اجتماعات :

الأول : « اجتماع الدورة الرابعة عشرة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد » والذى عقد خلال الفترة من ٧ رجب إلى ١٢ من رجب سنة ١٤١٠هـ الموافق ٣ من فبراير إلى ٨ من فبراير سنة ١٩٩٠م .

والثانى : « اجتماع هيئة الرياسة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة » والذى عقد « بمكة المكرمة » فى ١٣ من رجب ١٤١٠هـ الموافق ٩ من فبراير ١٩٩٠م .

والثالث : « اجتماع لجنة تنسيق العمل الإسلامى لمنظمة المؤتمر الإسلامى» والذى عقد بجدة فى ١٤ من شهر رجب ١٤١٠هـ الموافق ١٠ من فبراير ١٩٩٠م وقد قابل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال هذه الزيارة خادم الحرمين الشريفين على رأس وفد المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بوصفه رئيسا للمجلس .

الرئيس مبارك وسمو الشيخ زايد يؤديان صلاة الجمعة بالأزهر الشريف

ادى الرئيس محمد حسنى مبارك يرافقه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان صلاة الجمعة الموافق (٢٠ من رجب ١٤١٠هـ - ١٦ من فبراير ١٩٩٠م) بالجامع الأزهر .

وكان فى استقبالهما لدى وصولهما فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

وقد القى خطبة الجمعة فضيلة الشيخ / إسماعيل صادق العدوى إمام وخطيب الجامع الأزهر وكان موضوعها « دور الإسلام فى الحث على العمل وعدم الاعتماد على الغير » ..

« خدمة للاسلام والمسلمين »

استجاب فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر لطلب السيد سفير مصر « ببلغراد » لإرسال عدد من المصاحف وكتب « التفسير » لإهدائها إلى الشيخ حمدى يوسف مفتى « بلغراد » وللمشيخة الإسلامية فى « سرايفوا » .

وقد قام السيد السفير بزيارة للشيخ المفتى للتعارف والتعرف على أحوال المسلمين فى « يوغوسلافيا » .

لحضور المؤتمر وتفقد أحوال المسلمين فى غانا

أوفد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر إلى « غانا » لحضور المؤتمر الخامس عشر « لجمعية الهداية الإسلامية » بمدينة (وا) بإقليم الغرب الأعلى فى « غانا » ، وتفقد أحوال المسلمين هناك .

« زيادة مقار الوعظ بالمحافظات »

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على زيادة مقار « الوعظ » بالمحافظات تدعيما لرسالة الأزهر الشريف ويبلغ عدد المقار الحالية ٢٠ مقرا .

كما وافق فضيلته على تزويد المناطق الأزهرية بالمكتبات الثقافية والدينية .

تنسيق المناهج الدراسية بين الأزهر وماليزيا

تم الاتفاق على دراسة مشتركة بين الأزهر الشريف بالقاهرة وماليزيا للتنسيق بين المناهج التى تدرس فى الثانوى الأزهرى والتى تدرس فى مدارس « ماليزيا » ، وذلك لتسهيل قبول طلاب ماليزيا بجامعة الأزهر .

عشرة آلاف مصحف للمكفوفين بطريقة « برايل »

يصدر المكتب الإقليمى لشئون المكفوفين الطبعة الثانية من القرآن الكريم بطريقة «برايل » للمكفوفين وعددها عشرة آلاف مصحف وقال رئيس المكتب الأستاذ عبد الله الغانم لوكالة (اينا) : إن الطبعة الأولى من القرآن الكريم قد تم توزيعها على المكفوفين فى الدول الإسلامية والعربية وأوضح أن هناك مشروعات عديدة سيقدمها المكتب خدمة للمكفوفين فى أنحاء العالم .

قسم للفلك بكلية العلوم جامعة الأزهر

صرح عميد كلية العلوم جامعة الأزهر بأنه ابتداء من العام القادم سيفتتح قسم جديد بالكلية وهو قسم « الفلك » ، والهدف من إنشاء هذا القسم هو تخريج مجموعة من الفلكيين والباحثين . وتشجيعا للطلاب على الالتحاق بهذا القسم تفضل رئيس الجامعة بإعفائهم من شرط القبول « بالمدينة الجامعية » فكل من يلتحق بهذا القسم الجديد سيدخل المدينة الجامعية بلا قيد أو شرط .

استشهاد المجاهد الكبير الدكتور عبد الله عزام

فقد المجاهدون الأفغان مجاهداً كبيراً هو الدكتور عبد الله عزام . الذى استشهد فى

←

بيشاور مع ولديه إبراهيم ومحمد . وذلك عندما انفجرت قنبلة تحت سيارة كان يستقلها فى طريقه إلى مسجد الشهداء لأداء صلاة الجمعة .

مجلة الأزهــر :

من الجدير بالذكر أن الدكتور عبد الله عزام كان له دور بارز وكبير بين صفوف المجاهدين وبخاصة فى مجال الإعلام والخطابة .

وكان يشغل منصب « مدير مجلة الجهاد » ، وذُكر أن أعداء الإسلام وراء مقتل الدكتور عبد الله عزام .

حملات تنصيرية خطيرة فى « نيجيريا »

تمكنت الجمعيات والمؤسسات التنصيرية فى « نيجيريا » من تنصير عشرات الآلاف من مسلمى نيجيريا مستغلة ضعف التوعية الإسلامية ، وقلة الدعاة المسلمين القادرين على مواجهة هذه التيارات الهدامة .

وقد رصدت الهيئات التنصيرية مئات الملايين من الدولارات لتمويل النشاط التنصيرى فى غرب أفريقيا .

مجلة الأزهــر :

المعروف أن سكان نيجيريا يبلغون مائة وعشرين مليون نسمة يشكل المسلمون نحو ٨٠٪ من عدد السكان .

افتتاح مركز إسلامي كبير فى « أورجــواى »

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية ـ (اينا) أنه تم افتتاح المركز الإسلامى فى مونتيفيديو « بأورجواى » .

وقد تولى رياسة مجلس إدارة المركز سفير جمهورية مصر العربية بأورجواى السفير فاروق بركة .

ويقوم المركز بتصحيح المفاهيم الخاطئة للمسلمين هناك ويقوم بتوزيع الكتب الإسلامية باللغة الأسبانية وتعليم اللغة العربية لأولاد المسلمين فى « أورجواى » .

مجلة الأزهــر :

تم افتتاح المركز الإسلامى المصرى فى مونتيفيديو فى نوفمبر ١٩٨٢م .

وفى عام ١٩٨٥م اتسعت نشاطاته بعد أن تم بنيانه .

افتتاح أول مدرسة إسلامية فى تورنتو بكندا لتعليم الدين الاسلامى واللغة العربية

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أنه قد تم افتتاح أول مدرسة إسلامية فى مدينة تورنتو « بكندا » .

وقد بدأت الدراسة بها فى هذا العام .

ويُذكر أن هذه المدرسة هى الوحيدة فى تورنتو التى يعيش بها اكثر من مائة الف مسلم .

وهناك ٣ آلاف طالب (ثلاثة الاف طالب) مسلم ينتظرون دورهم فى الالتحاق بالمدرسة بسبب قلة الإمكانيات المادية وعدم فتح فصول جديدة .

مجلة الأزهــر :

الجدير بالذكر أن البهائيين لهم مركزان رئيسيان فى تورنتو بكندا ويبلغ عددهم ٢٥٠٠٠ (خمسة وعشرين الفا) بهائى لابد من الاهتمام بفتح المدارس الإسلامية لتصحيح مفاهيم المسلمين بكندا وعدم تغلغل البهائية بها .

معهد لاسعاف المجاهدين

قامت لجنة الدعوة الإسلامية بإنشاء معهد « الإسعاف والتمريض » بمدينة بيشاور الباكستانية لإعداد الكوادر العاملة فى مختلف وحدات الإسعاف والتمريض للمجاهدين الأفغان .

وقد بلغ عدد المتخرجين من المعهد حوالى ٢٠٠ متدرب يقومون بكافة العمليات الإسعافية فى المستشفيات والوحدات الصحية لخدمة الجرحى من المجاهدين الأفغان .

اللجنة العليا للدعوة الاسلامية بالأزهـــر

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى يوم الأحد الموافق ٢٢ من رجب ١٤١٠ هـ ١٨/٢/٩٠ بتوزيع شهادات التخرج على الدارسين فى الدورة التدريبية الثانية عشرة والتى استمرت ثلاثة أشهر . وحضرها عدد من أئمة ووعاظ العالم الإسلامى .

ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة حث فيها المتخرجين على الاهتمام بالتصدى للمشاكل التى تعوق نشر الدعوة الإسلامية فى بلادهم . الدورات تنظمها الأمانة العامة للدعوة الإسلامية بالأزهر ويشرف عليها الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر .

أضخم مركز إسلامى فى إيطاليا ينتهى العمل فيه هذا العام !!

ينتهى العمل من تشييد المركز الإسلامى فى روما هذا العام ، يضم المركز قاعة للصلاة تسع ألفى مصل ومكتبة ونادياً ثقافياً ، بهذا سوف تصبح العاصمة الإيطالية ضمن العواصم الأوروبية التى تضم مراكز إسلامية .

معهد للدعاة .. بالامارات .

تقرر إنشاء معهد عالٍ للدراسات العليا لتخريج الدعاة وأئمة المساجد بدولة الإمارات العربية المتحدة .

أعلنت ذلك وزارة العدل والشئون الإسلامية بالإمارات .

موسوعة جغرافية للعالم الاسلامى يعدها ٥٠ عالما متخصصا !

أكد الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض اهتمام الجامعة بالبحوث العلمية وقد تم إنجاز عدة أجزاء من الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى وهى موسوعة كبيرة يشارك فى إعدادها أكثر من خمسين متخصصا فى الجغرافيا من جميع أنحاء العالم الإسلامى .

● خريطة جديدة لإذاعة القرآن الكريم

أعد رئيس إذاعة القرآن الكريم خريطة جديدة لتطوير وتجديد برامج إذاعة القرآن الكريم تتضمن الخريطة الجديدة برنامجا تعليميا يوميا لطلبة الأزهر يشرح من خلاله أساتذة الأزهر المواد الإسلامية والثقافية والعلمية .

كما تتضمن الخريطة برنامجا عن « لغة القرآن » وآخر عن « أعلام الفكر الإسلامى » .

فهرس العدد

● كلمة في الغرانيق
د . على أحمد الخطيب ٧٥٣
● مع الإمام الأكبر
ليلة النصف من شعبان ٧٥٦
● حوار مع فضيلة الإمام الأكبر
وجريدة القبس الكويتية ٧٥٩
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر
والسيد سفير يوغوسلافيا ٧٦٦
● لماذا علم الله آدم الأسماء كلها
للدكتور محمد عبد المنعم القيعي ٨٦٨
● الحسد داء اجتماعي خطير
للأستاذ محمد صابر البرديسى ٧٧٢
● التابعون تلامذة الصحابة
للشيخ أحمد حسن جابر ٧٧٥
● تقديم المصلحة المطلقة على القرآن والسنة
للدكتور أحمد فهمى أبو سنة ٧٧٨
● الدعاء وليلة النصف من شعبان
للأستاذ محمد العزازى ٧٨٥
● المسلمون الممتحنون
للدكتور محمد عبد العليم العدوى ٧٨٨
● الدعوة الإسلامية على أبواب قرن جديد
للدكتور توفيق شاهين ٧٩٣
● في شهر شعبان فضائل ومزايا
للدكتور زكى مشعل ٧٩٩
● الفتـــاوى
للشيخ على حامد ٨٠١
● من أعلام الأزهـــر
الشيخ عبد الرحيم فرج الجندى
للأستاذ سعد الدين عبد الرحيم الجندى ٨٠٤
باب العلوم الكونية
● الأمطار الحمضية
للدكتور أحمد فؤاد باشا ٨١٠
● الاندماج النووى
للدكتور محمد عبد الرحمن سلامة ٨١٤
باب الشعر والشعراء
● بروحى أراك
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين ٨١٨
● أجـــرنـى
للأستاذ أحمد محمود مبارك ٨١٩
● طـرائـف ومـواقـف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٢٠
● مـن روائـع الماضى
لا إكراه في الدين
إعداد / عبد الفتاح حسين الزيات ٨٢٢
باب اللغة والأدب والنقد
● إبراهيم عبد القادر المازنى
للدكتور السيد العراقى ٨٢٨
● كـتـاب الـوحـوش
للأستاذ أيمن ميدان ٨٣٣
● من خير ما نشر
إعداد / عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين ٨٤٢
● أنبـــاء وآراء
إعداد / د . عبد العزيز عزت عبد الجليل
عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد ٨٤٨
القسم الإنجليزى
إشراف د . أنس النجار
● المقالة الثانية
الأستاذ لطفى على سلطان ٨٥٦
● المقالة الأولى د.
د . أنس مصطفى النجار ٨٦٢

Transcendant Creator, consitute in fact a very strong incentive, having constant perpetual effect on the Muslim's thought, spirit and behaviour. There is little need for supervision or external control. The Muslim should be moved and induced to work by his belief in Allah and the ardent belief that rerward is from Allah.

Labour in Islam is a devotion, a sort of worship, and performing it with excellence leads to nearness to Allah. Increasing the production, improving its quality and standard, and achieving the group's interest are all true devotions for which the believer is worthy of reward in this life and in the Hereafter. A Muslim's life is essentially that of compassion and dedication to the Creator in all actions and deeds of life. The totality of life is a justification by faith, and therefore it is a justification by works. All transactions of life are initially and directly fundamentally related to the Supreme Being "Allah". This optimizes all individual actions, and therefore all the resultant group actions, become truthfull, most efficient, and beneficial in value. The dividend and reward are expected only from Allah. Such belief maximizes human performance, and subjects individual behaviour in dealings and transactions to follow channels of love, kindness, fidelity, liberality and tolerance.

Economic integration based on moral ethics of owership, labour, producton and bussiness, protects human effort and toil from exploitation and monopolization and safeguards the means of social subsistence. It allows the provision of suitable wage as a profit of labour; and admits suitable gain as surplus of value; provided that the gain performs its commitments towards the society and ensures the suitable standard of living to all. In the meantime, Islam refuses to admit gain and benefit as an interest of loaned money and considers it a form of usury. This is completely condemned as illegal. In this way, Islam prevents any individual from earning money without work. It also prevents amassing money and its accumulation in the hands of the minority at the expense of the masses. The economic system in Islam is structured on individual freedom of ownership, investment, labour rights, and the wellfare and security of the society. The basic relationship of every individual is with the Supreme Being "Allah", the Creator of all mankind and all the universe.

The conception of labour in Islam is quite distinct from that in capitalism or Marxism. There is no monopoly or exclusive possession, no stock manipulation and no restraint of trade. Exploitation and imposition through financial power are condemned. State ownership is not constitutionalized. Wages, pensions and accident compensations are institutionalized as basic rights of the workers.

The Prophet of Islam has exhorted people saying: "Give the employee his right before sweat dries off his forehead". This principle should be implemented in every field of legitimate labour, whether it is manual, mental or organizational.

The rights to individual ownership include the right of continued or permanent ownership; and the right of full freedom in using ones property. The right of permanent ownership is the exercise of right in using the property during a lifetime with full authorty of investment or disposition. Expendible and permenant property are both subject to similar ordinances of ownership and inheritance. The right of permanent ownership of property is so conditioned by Islamic doctrines to establish social justice, whereby the laws of permanent ownership and inheritance are dictated by Divine Ordinances.

The right of freedom to use one's property is subject to justified positive considerations. The optimal use of the property, even if this means completely finishing it, parting with it by way of charity, lending it to somebody, renting it or transferring its possession to other individuals. These have been well considered by the Islamic law, and many restrictions have been established for their proper function in favour of the general interests of the public and protection of people's rights. There should be no harm or injury inflicted on anybody. Equilibrium between the individual interest and that of the "group", must be ensured. It admits the individual ownership based on labour and human effort, but it restricts that to be subject to commitments and duties towards the society. It also admits the need for public ownership to achieve the group's interest. In this context, Islam with its moral and ethical principles and its human practical method ensures the balance between individual rights and freedon, and the maintained wellfare of society. Ownership in Islam is based on rational basis. It is not absolute for the individual's interest, nor confined and restricted only for the group interest.

In Islam, the religious and spiritual conscience and the firm belief in the Absolute Knowlege and Power of the

moral and ethical principles, human considerations, co-operation, social integration, mutual friendship and assistance, love and civility, justice and kindness. By these principles, man looks upon man not as a means of materialistic gains for personal benefits; but as a fellow creature to whom respect and kindness must be rendered. Such medium of liberal munificent unselfish and gracious humane interelations within the society will result in maximum conditions of security, cooperation, mutual integration and social justice.

Islam proclaims private ownership, safeguards individual property and projects the fruits of individual initiative. It paves the way for the individual to obtain and own property, and rewards every individual for his initiatives and efforts. Competition and labour are provided in every feild, with all the opportunities to flourish. Not only does Islam proclaim and encourage private ownership, and advances further facilitating its acquisition. Through strong network of laws, Islam protects inividual ownership and imposes heavy penalties on those who violate the laws in any measure whatsoever.

The acts of extortion and theft are very severely penalized. Also dealings of cheat, deception, frawdulence, dishonesty, intrusion or imposition, are all rigorously condemned and litigated. All potentials for the safety and security of private property are highly justified and optimized. Islam offers all facilities to the individual who owns property to take all necessary measures to protect his property. Should the owner of a property die defending it, he would be considered a martyr. The Prophet said: "Whoever is killed while trying to save his property is a martyr".

Islamic doctrines strongly protect the fruits of initiatives. Protection is not only a fact relying on capital, but is also dependent on human labour and effort. It is therefore evident that Islam pays equal and due attention to both. The masses of people who work and produce are guaranteed protection by legislative ordinances, which offer security for both individual and lawful trades of owenership.

In Islam, "work" is a duty, an honour and a right. It is rather a devotion for which one is rewarded if well practised and chastised if neglected. However, Islam also takes into consideration the human factor, of "the need". Therefore, the concept of "need" has a place among the principles of the economic theory in Islam.

ECONOMIC INTEGRATION IN ISLAM

By : Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed.,M.A.

The economic systems presently adopted in the Muslim world are extraneous and do not conform with the Islamic financial system. It is therefere believed that these extrinsic systems will not help achieve development and will not sustain progress. Only through the Islamic economic system can the Muslim world ensure an optimal monetary structure which is far superior for the general wellfare of the society and is free from the defects of both capitalism and socialism.

Islam has based its economic system on three fundamental pillars, formulated into an integration to establish equilibrium and social justice of the most exemplary form. The first pillar is represented in Islam's proclamation of private ownership. This is represented by the legal rights of individual property, and the conditions it entails upon the owner to establish and maintain economic equilibrium and social justice; to minimize class differences; to avoid monoply accumulation of wealth; and to eliminate all means of financial domination.

Under this principle, Islam imposes the individual right and freedom of action in a manner ensuring social justice, general welfare of mankind, and the avoidance of iniquity to others. All monetary obligations imposed on private ownership are paid to the Islamic State for community wellfare and necessities. Such obligations are the mandatory charity (Zakah), the seasonal taxes (Al-Kharaj), voluntary charities (Sadaqaat), and expiations (Al-Kaffarah). Also under this system, Islam establishes communal rights regarding certain items and commodities which are absolutely essential to the public, by giving private property in favour of the general public. The authorities are vested with power to take adequate measures to establish a state of equilibrium should the situation warrant such action.

The third pillar is represented in the concepts and ideals that Islam proliferates regarding the economic relationship of the people in the society. They are based on

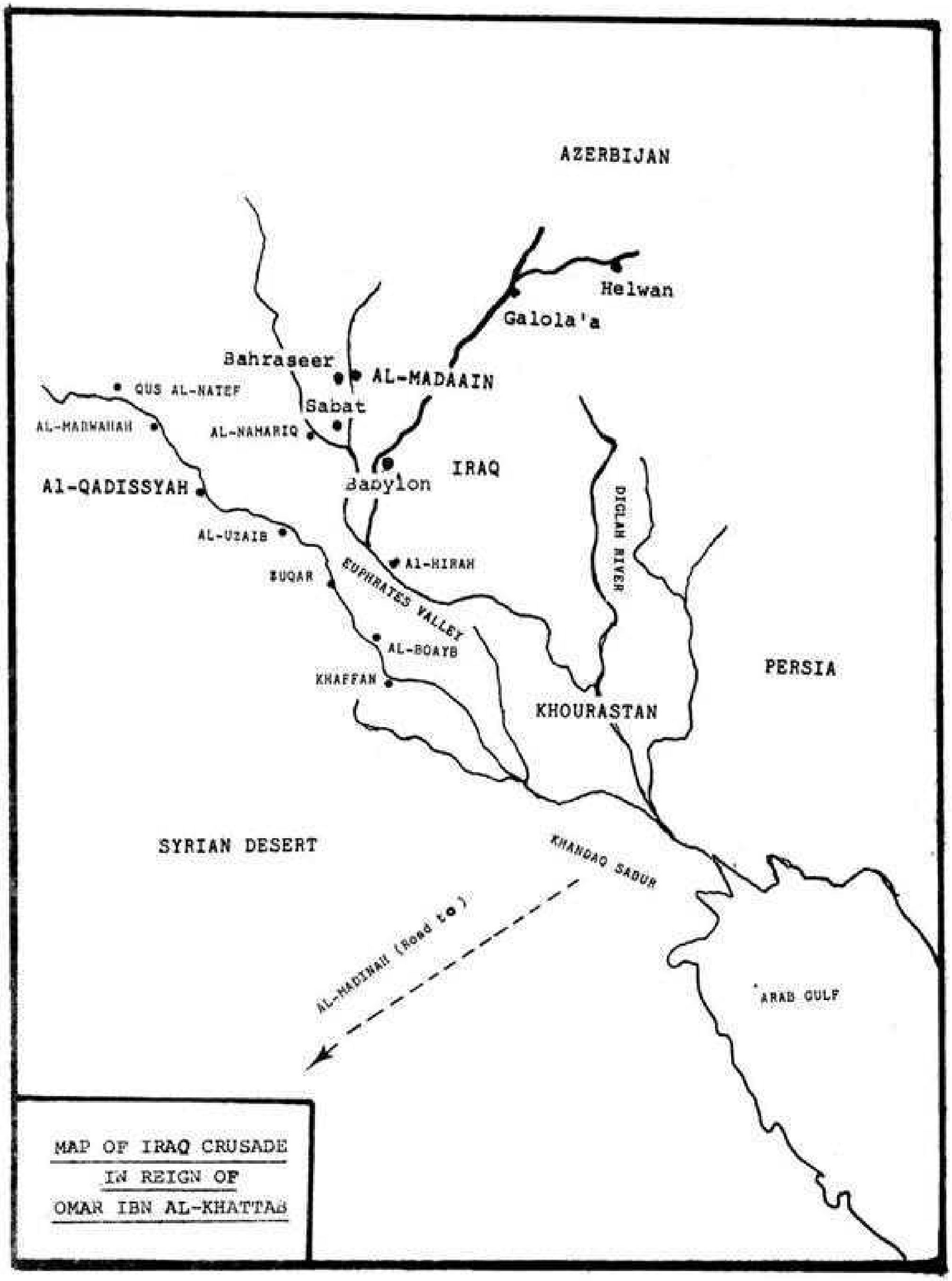
AZERBIJAN
Helwan
Galola'a
Bahraseer
AL-MADAAIN
QUS AL-NATEF
Sabat
AL-MARWAHAH
AL-NAMARIQ
IRAQ
Babylon
Al-QADISSYAH
DIGLAH RIVER
AL-UZAIB
Al-HIRAH
EUPHRATES VALLEY
ZUQAR
AL-BOAYB
PERSIA
KHAFFAN
KHOURASTAN
SYRIAN DESERT
KHANDAQ SABUR
AL-MADINAH (Road to)
ARAB GULF
MAP OF IRAQ CRUSADE
IN REIGN OF
OMAR IBN AL-KHATTAB

The Muslims settled at Al-Mada'in making plans to secure all the territories between the Tigress and the Euphrates rivers. The environment was very pleasant to the Muslims, it was so different from the arid deserts of the Arab peninsula. Saad Ibn Abi Waqqas wrote to Omar Ibn Al-Khattab the detail of the situation, the particulars of the geography and topography of the surrounding country specially that of the north and further east to the mountainous ridges that separate the Persian Arab Iraq from the extensively vast expanse of lands into Persia. The Persians had gathered at Galola's, a position between Al-Mada'in and Helwan. Yazdegrid received forces from all parts of Persia. There was a definite decision to make a last stand against the Muslim conquest. All the details of this information were sent to Omar Ibn Al-Khattab. Saad Ibn Abi Waqqas remained at Al-Mada'in resting his men, making plans, securing his positions, and awaiting instructions from Ameer Al-Moumineen Omar Ibn Al-Khattab.

of the Muslim army plunged into the river to cross to the opposite side. The whole Muslim army crossed the Tigress river without the loss of one man. The Persian troops evacuated Al-Mada'in and retreated to follow ther Emperor Yazdegrid to Helwan. Yazdegrid had previously departed from Al-Mada'in to seek safety at Helwan, a city to the north east of Al-Mada'in. The Muslims warriors entered Al-Mada'in to gain complete possession of the city. The crossing of the Tigress on horseback through the flowing river was a mastership of skill, daring human courage, and heroic achievement. The gallantry confidence of those warriors was certainly a justification of their faith in Divine Belief that elevates the human spirit to supernatural powers.

The Muslim warriors were at Al-Mada'in, the capital of the Sassanian Persian Empire in Iraq. The colossal giant palace of the manumental throne and audiance halls was occupied by Muslim warriors. That imposing Sassaniam style palace was hundred and fifty meters wide and fourty meters in height. It constituted five domes of majestic arcades and extensive private quarters and fire temples built from masonary with corebelted supports for the vaults and domes than spanned the great archways. The immense portal of the "Iwan" was exquistely ornamented with relief patterns. The inside was superbly decorted with engravings and paintings that included persian, eastern, hellenic and roman art styles. There were great numbers of elaborately decorated art objects of silver and gold vessels, tableware in stone and marble, statuetts of precious materials and jewelry of all varieties of gem and precious stone.

Saad Ib Abi Waqqas ordered that the great "Iwan" was to be used for congregational prayers for Muslms; and that all ornamental objects were to be left intact, untouched and undestroyed. The Muslim conquest of Al-Mada'in was very orderly, disciplined and without rampageous conduct, or barbarous actions. Saad and his men prostrated to Allah in prayer of praise and thanksgiving to Allah and gratitude for what was Divinely ordained for the Muslim warriors of triumph they have achieved. The tremendous affluence of wealth and loose treasures found in the depositories of the imperial palace were beyond belief, in silver and gold currency, in diamond and pure silk lace. Everything was so plentiful, luxurious and fabulously excessive. All the treasures and money were collected and one fifth was separated and sent to Al-Madinah with Al-Basheer Ibn Al-Khassiyah to be distributed there. The rest was distributed among the men including those who remained protecting the women and children, and also those of the local population who were helpful to the Muslims.

Tigress river the dividing line and the Muslims could keep the territories west of the Tigress. Saad could not accept, the orders of Omar Ibn Al-Khattab was to march to Al-Mada'in. At this stage, Saad realized that the Persians at Bahraseer were weakening and giving way. Saad ordered a heavy assault to storm and overtake the city, and the Muslim forces attacked and occupied Bahraseer without any resistance from

the Persians. The Persian troops had abandond the city and retreated across the bridge on the Tigress to Al-Mada'in, and burned the bridge. Now the only fortification of Al-Mada'in was the water body of the Tigress river that separated the city from the throngs of the Muslim warriors crowding Bahraseer on the west bank of the Tigress. The Muslim warriors stood looking across the river in the twilight of dusk to gaze in wanderous amazement at the splendor and magnificence of the illustrious city of Al-Mada'in. They became sensationally amazed with enchantment and fascination by the scenic,grandiose and spectacular elaborateness of the city across the river, Al-Mada'in, the Persian capital of Iraq. The major problem for the Muslims remmained to be solved; how were they to cross the river to the east bank and occupy the city of Al-Mada'in. The great river ran profusely between two armies; the Muslims at the height of triumphant spirit enthusiastic confidence of faith; and the Persians with lost hopes, shattered abilities and downcast opathetic impotence of action. The Persians were unable to consider the defence of Al-Mada'in even from behind the natural barrier of the widely flowing river.

Saad Ib Abi Waqqas gave the situation much consideration and convened with his commanders and men of wisdom, to reach a decision. There must be a way to cross the river to reach Al-Mada'in without endangering the men. The river was surveyed for shallow sites, and several of these sites were discovered. Saad Ibn Abi Waqqas finally declared to his men his decision to cross the Tigress river. He asked for volunteers to be the bold daring bridgehead of the Muslim army. Six hundred men volunteered under the command of Assem Ibn Amre, and Al-Qaqaa Ibn Amre. With challenging defiance of courage, faith and audacity, Assem Ib Amre was the first to thrust on his horse the waters of the Tigress to cross. Assem was followed by members of his volunteer contigent. Half way across the river, the Persians watched the daring action of Muslims with bewildering astonishment and startling inexpectation. Al-Qaqaa Ibn Amre with his contingent of volunteers followed into the water to cross the river. Six hundred men on horseback swimming across the river, using their arrows against the Persians who stood on the east bank of the river. The volunteer force safely climbed the east bank and secured their positions. The rest

warriors were moving safely in the territories between the two rivers without encountering any resistance. The inhabitants of these territories came forward to the Muslim commanders to give tribute of observance and consent to Muslim presence. Some groups declared Islam as their new faith; other groups accepted to pay the "Jiziah" and to live under Muslim protection according to Islamic Civil Code. They all reseigned to what they experienced of the social justice offered by the new creed of Islam that had proliferated so triumphantly into their social structure.

Saad Ibn Waqqas remained at Babylon, and advanced Zuhrah Ibn Al-Huwayah commanding advance forces to march to Al-Mada'in. At Bahraseer in the precincts of Al-Mada'in, the Muslim forces encountered a contingent of Persian troops and defeated them. Outside Bahraseer, all the Musalim forces had gathered. Bahraseer situated on the west bank of the river Tigress, was opposite Al-Mada'in which stood on the east bank of the Tigress. Saad Ibn Abi Waqqas fortified his positions, and send scout forces to survey the territories between the Tigress and the Euphrates for enemy pockets. The Muslim warriors came back with thousands of local farmers as prisoners. Omar Ibn Al-Khattab wrote to Saad to free the farmers and allow them to cultivate the land. This action established an environment of social moderation of permanence, and ensured the needs of the Muslim forces. Saad Ibn Abi Waqqas ordered the siege of Bahraseer, which was very well fortified by its strong fortresses. Bahraseer was joined to Al-Mada'in by a connecting bridge across the river Tigress. From the east via Al-Mada'in came large supplies of food and military reinforcements. The siege lasted about one year; Bahraseer was fortified by its connection to Al-Mada'in giving support to its defenders. The Muslim forces were safe where they stood with the vast fertile enemy free expance of lands behind them. The local populations were on amicable terms and supplied the Muslims with their food requirements.

The Persian command at Bahraseer ventured a surprise heavy assault on the Muslim forces besieging the city. That assault was defeated by the Muslims, and the Persian troops retreated to Bahraseer. The Persian Emperor Yazdegrid III became extremely confused with despair, and disorganized in thought. He recognised that the time factor was not in his favour, and that the spirit and morale of the Muslim forces was hightened with patience and faith; whereas the spirit and morale of the Persian troops was severely deteriorating due to the successive defeats, and because of their inability to deliver to the Muslims forces any form of injury or damage. With this vision in mind Yazdegrid resorted to reaching peace terms with Saad Ibn Abi Waqqas; to make the

OMAR IBN AL-KHATTAB THE CONQUEST OF AL-MADA'IN

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Phd

The various chronichlers attribute different dates to the battle of Al-Qadissiyah; the most accepted, however, is that it took place during the fifteenth year of Al-Hijrah. Its timing was after the succession of Omar Ibn Al-Khattab as Ameer Al-Moumineen; and after, Omar had supplied Al-Muthana Ibn Harithah with volunteer Muslim warriors under Abu Ubayd; and after the Muslim victory at Al-Namariq, their defeat at Al-Jisre, and their victory at Al-Boayb. Omar recruited the army for the Iraq Cusade and commissioned Saad Ibn Abi Waqqas to command. This army moved slowly joined en route by volunteer tribes with their women and children. Saad remained at Al-Uzayb for several months before advancing to Al-Qadissiyah, and remained at Al-Qadissiyah few months before the Persian forces decided to confront the Muslim warriors.

The ultimate defeat of Persian forces at Al-Qadissiyah resulted in complete disaster to the bulk of the Persian army. The major part of that army fled to Babylon, and the rest dispersed. The Muslims remained at Al-Qadissiyah for few months to recover and recuperate; and to await further instructions from Omar Ibn Al-Khattab. Orders came from Omar at Al-Madinah instructing Saad to move to Al-Mada'in with care, prudence and discretion, and to leave behind the women and children with suitable garrison for their safety and protection. The continuous contact between Omar and Saad was maintained to every detail of the situation.

Saad Ibn Abi Waqqas ordered Zuhrah Ibn Al-Huwayah to proceed east to Al-Hirah as scouting vanguard; while Saad and the rest of Muslim forces moved north east towards Babylon. Zuhrah defeated and dispersed legions of Persian forces who confronted him on his way to Al-Hirah. Saad encountered several hordes of Persian troops whom he thoroughly defeated, and advanced to reach Babylon. After having secured Al-Hirah, Zuhrah advanced north to reach Sabat. The Muslim

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART VIII

SHABAAN, 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

The Conquest of Al-Mada'in

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Economic Integration in Islam Part II

By: Lotfi Ali Soultan.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● رمضان ١٤١٠ هـ ●
● ابريل ١٩٩٠ م ●
● الجزء التاسع ●
● السنة الثانية والستون ●

بسم الله الرحمن الرحيم

فِقهٌ مُخْتَلِف

والقضية فى « الإعلام » .

وليست كلمتنا فيه عما يعانيه خبراء الإعلام شرقا وغربا من انفصام بين البحوث الإعلامية والممارسين للإعلام بكافة "تقنياته" الحديثة من جهة ، ولا بين كل منهما منفردا والمستقبلين للإعلام من جماهير الناس : قارئين ، او مستمعين ، او مشاهدين من جهة اخرى . فتلك حقيقة - بدورها - لا تعنينا فى قليل ولا كثير ، فليكن الانفصام فى ميدان الإعلام قائما ما شاء الله - سبحانه - ان يقوم بين باحث الإعلام ، ومرسل الإعلام ، ومستقبل الإعلام ، فقد نفضنا منه ايدينا تماما كما نفض منه المستقبل يده حتى يامل فى هذا اللقاء .

إنما يعنينا « امر » يحدده لنا فقه مختلف .

فقه مختلف

إن الإعلام الغربى يرتكز على قاعدة ينطلق منها لينشىء برامجه ، ويقوم بتوزيعها ، تلك القاعدة هى : « رغبة الجماهير ».والباحثون ـ فى هذا الإعلام ـ مهما اختلفت مدارسهم الفلسفية ، ومهما اختلفوا ـ فى جمعهم ـ مع مرسلى الإعلام ـ متفقون معا على إشباع حاجة الجماهير .

وحسبك بالجمهور طفلا ومراهقا ورشيداً ، ان يكون على اختلاف أسنانه وخلاف رغباته هو الموجه لهذا الإعلام العلمانى .. حتى انتهى إلى ما نسمع عنه ، بل إلى ما شاهده بعض أبناء الشرق الذين نزحت بهم أمور فرأوا إعلام الغرب على طبيعته جنسيا سافرا لا يرتدع ـ حتى فى إعلاناته ـ عن هذا السفور ، وقفز ـ بذلك ـ من حاجة الجمهور إلى استغلال إرادته فى شتى وجهاته ، وضاعت صيحات المصلحين مع الريح ، وظلت القاعدة : رغبة الجماهير ، ومنها يضع « أوتوجروت » من رجال هذا الإعلام العلمانى تعريفه للإعلام فيقول : الإعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير .. الخ .

وليس كذلك « الإعلام » فى الإسلام !!

إنه فى الإسلام : « تعبير خلقى وعلمى شريف » .

يلبى ـ من حاجة الجماهير ـ مايتسق وأخلاقه .

ثم يستعلى ـ بتلك الجماهير ـ فيما تريد مما لا يرضى عنه هذا الدين بتحويله إلى مضمون هادف كريم داخل إطار من تعاليمه السمحة وفؤاده الرحيم ، ترسله برامج متنوعة من الكتاب العزيز إلى الحديث الشريف فالفقه الهادف ، والقصة الجاذبة لنماذج فذة لرجالنا ونسائنا على مدى التاريخ المجيد ، إلى المرح المباح الذى لا يمس عرضا ، ولا يعرض بذاءة ، ولا يدعو لفاحشة ، ولا يثير شهوة ، إلى الخبر دون غرض أو تعليق خبيث . ثم هو إعلام يقدم ـ من بعد ذلك ، ومن قبله ـ العلم ذا المضمون الشريف . علم هذا الدين الذى تفتقده ملايين المسلمين شرقا وغربا حتى صارت لا تعرف عن الإسلام ما فيه من علم يميزه عن غيره من مختلف العقائد .

وعلما ينفع الناس بثه المولى ـ عز وجل ـ فى هذا الكون ، وهَدَى إلى كشفه من شاء من البشر ، فهو الحكمة يؤتيها ـ عز وجل ـ من يشاء ليتذكر أولو الألباب.

والقارىء ـ من بعد ـ فى رمضان ، يستطيع أن يختبر ما حوله من إعلام .

د. على أحمد الخطيب

كلمة الأزهر الشريف

فى مستهل شهر رمضان

تهنئة ونصيحة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

* هذا شهر رمضان قد اهلت طلعته على المسلمين ، يبشرهم برضوان الله ورحمته ..

* هاهو شهر رمضان الذى انزل الله فيه القرآن ..

* اهنىء الأمة بقدومه .. مذكراً بان الصوم فى الإسلام طريق للتهذيب وحسن الاستقامة ، وكف للنفس عن الإقدام على متطلبات الغرائز المعوجة ، كالأنانية والإفراط فى تحصيل الرغبات ، دون نظر إلى ما قد تجر إليه من آثام واضرار .

* هذا الصيام زكاة للنفس ورياضة للجسم ، وداع للبر ، فهو للفرد وقاية ، وللمجتمع صيانة ، إذ أن فى جوع الجسد صفاء القلب ، وإيقاد القريحة ، وإنفاذ البصيرة ، فدوام الشبع يورث البلادة ، ويعمى القلب ، فأحيوا القلوب بكثرة الذكر والتفكر وقلة الشبع ، وصونوا الأسماع عن كل لغو ، وغضّوا الأبصار عن كل لهو ، ولا تبسطوا الأيدى إلى محظور ، ولا تخطوا بأقدامكم إلى ممنوع فى الشرع ومنكور فى طيب العرف .

* هذا الصيام حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لأمر الله وخضوع ، ولكل فريضة حكمتها ، وهذه الفريضة ظاهرها المشقة وباطنها السكينة والمرحمة . فهى تستثير فى الإنسان الشفقة ، وتحض على المعروف والإحسان والصدقة ، وتذهب بالكبر وتعلّم الصبر ، ذلك أنه متى جاع من آلِفَ الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، ذاق مرّ الحرمان كيف يكون ويقع ، كما عرف الجوع وألمه إذا لذع .

كلمة الأزهر الشريف في مستهل شهر رمضان

- الصوم فريضة جماعية تعم آحاد المكلفين ومجموعهم ، في موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة ، وعلى نمط واحد تتغير به العادات والمواقيت إذا نوينا الصلاح والإصلاح ، وليس أصلح لتربية الأمة وإصلاح ما اعوج من أخلاقها وعاداتها وأمور معايشها ، من تعويدها الأهبة للنظام وتغيير سيىء العادات إلى كريم الحسنات .

- إنه شهر في كل سنة تتلاقى فيه جماعة المسلمين على سنن واحدة في اليقظة والرقاد ، والطعام والصيام ، والانتظام في صفوف الجماعة في المساجد لاداء الفروض والمستحبات ، والصوم بذاته مُعَلِّمٌ يغرس في الصائمين قوة الإرادة ، والحزم مع النفس ، ويحملها على تعظيم أمر الله وحرماته ، إقبالاً على الصوم مهما تكن مشقته فتنشأ به في كل نفس استجابت للصوم عزيمة لا تعرف الوهن ، وإصرار على الإصلاح لا يعرف النكوص ، فالنفس متى امتنعت عن تناول الحلال طاعة لله وطلبا لمرضاته استحيت من تناول الحرام وتمرست على البعد عن اقترافه .

- ولو صام المسلمون شهرنا هذا (رمضان) صوما كاملاً خالصا بحزم وعزم لاستطاعوا ـ بما تخلقوا به من العزيمة الماضية والإرادة الحازمة ـ التخلص من نوازع النفس الأمارة بالسوء ومن شرور الاعمال كالربا ، والزنا ، والغدر ، والخيانة ، والكذب ، وقول الزور ، والمراء في الحق مضيا في الباطل ، ولساقتهم هذه الإرادة وتلك العزيمة إلى البعد عن كل الموبقات ، والمحرمات التى شاعت وذاعت في مجتمعنا في هذا العصر ، حتى اختلطت الأمور وتشابهت .

- لو صمنا رمضان كما ينبغي لبرز بيننا الوازع الديني رقيبا لا يغفل ولا يلين ، يملأ القلب فلا يضل ، والبصر فلا يزيغ .

- لو صمنا شهر رمضان كنا مجتمعا متكافلاً ، متكاملاً ، جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ولما استطاع عدو ان يحيك لنا المؤامرات والدسائس ، وأن يبذر الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ولما اختلت منا الصفوف ، واستمعنا إلى كل ناعق ، بل نزلنا عند أمر الله الذى قال تعليما وتوجيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ..

* إذا صمنا شهر رمضان الصوم المشروع ، وجاهدنا أنفسنا كما أراد الله ، وصلنا إلى التقوى المرتجاة فى قوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

* هذه التقوى المبتغاة من الصوم تصلنا بالخيرات والمسرات ، وتباعد بيننا وبين السوءات والشرور والسيئات ، فلا يكون بيننا خائن لدينه ولا لوطنه ولا مفتر كذاب ، يتجرأ على الله بالقول فى دينه بغير علم ، ولا خائن للأمانة كل الأمانة ، أمانة الكلمة ، وأمانة الخُلق ، وأمانة الحفظ للمال وللأعراض وللأسرار أمانة أداء التكاليف ، ولا يكون بيننا محتكر لطعام الناس وأقواتهم يغليها عليهم عنتا وإضرارا واستغلالاً لضروراتهم ، ولا يكون بيننا هؤلاء الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا زورا وبهتانا وتشهيرا وإضرارا .

* إذا صمنا شهرنا احتسابا لله ، نمت فى الفرد والجماعة ، فضيلة الرقابة الذاتية والوازع الدينى ، فأدينا الأعمال بالذمة والصدق دون إهمال ، وقضينا حاجات الناس امتثالاً لقول الله سبحانه :
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ..

* فالصوم يسارع بنا إلى الخيرات ، ويشد من أزرنا إذا صدقت النيات ، ويباعد بيننا وبين الكوارث والنكبات .

* إن الصوم معجزة إسلامية إصلاحية ، تصلح ما فسد فى الجسد والخلق والعادات ، وترشدنا إلى الطريق القويم لإعلاء الإرادة الخيرة وإذكاء العزيمة الناهضة طلبا للسمو فى الخَلق والخُلق .

* فهلا أقمنا الصوم بأركانه الظاهرة والباطنة ، حتى تظهر وتزكو به أبداننا وأرواحنا وتستقيم جوارحنا على ما شرع الله ، فتصير الأمانة لنا سلوكا فى حياة الفرد ، وعادة أصيلة تنمو لديه ومن حوله حتى تصبح عرفا للمجتمع .

* فلنصل فى هذا الشهر بالبر والإحسان أرحامنا ، ولنتعاهد بالمودة والعطية جيراننا ولنخلص أموالنا من التبعات ، ولنطهرها بإخراج الزكوات ، ولنجعله شهر المحاسبة للنفس على فرط منها من لغو وتقصير وقصور ، ثم أوبة إلى الله الذى فتح لنا أبواب رحمته لنتوب ، ولنراجع سلوكنا فنعدل به إلى الصواب ، فهذا الإسراف والإتلاف والتبذير فى كل نواحى الحياة فى حاجة إلى أن نعدل عنه .

* : ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ..

* نشكو الغلاء .. ومع ذلك نجمع من الأشياء ما يزيد على حاجتنا .. ونتجشم المتاعب

كلمة الأزهر الشريف فى مستهل شهر رمضان

والمصاعب للحصول عليها .. ونتزاحم ، ولا نتراحم .. أثرة وأنانية مع أن من خلق الإسلام الإيثار :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ..

* إن الصوم يعلمنا أن نسمى الأشياء بأسمائها وأن نسارع إلى مواجهة الفتن دون مداراة أو إهمال وَأدًا لمصدرها واجتثاثا لمنبتها دون وهن أو مهادنة فإن معظم النار من مستصغر الشرر .

* إن الدعوة إلى الله بالصدق وبالتى هى أحسن من السلوك القويم ، الذى نتعلمه ونعتاده بالصوم .

* لا تنتحلوا المعاذير فرارا من أداء هذه الفريضة .. فإن الله يعلم السر وأخفى وأقبلوا على الله بطاعته يصلح لكم دينكم ودنياكم ، ولا تماروا فى الحق سعيا إلى الباطل ولا تلمزوا ولاتهمزوا فإن الله تعالى قال :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ ..

** لنتغلب بالصوم على الكثير من متاعبنا ومشاكلنا الأخلاقية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ولنحسن الصوم فتحسن به أعمالنا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ..

** باسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته .. أهنىء شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف مواقعها وأصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء بقدوم شهر رمضان وادعو الله ان يصلح فيه أحوالنا ، وأن يجمع كلمتنا ، وأن يوفقنا إلى التغلب على مايواجهنا من مصاعب ، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه .

** كما أدعو الأمة بكل فئاتها إلى التعاون فى مواجهة كل ماحاق بها من فتن ومتاعب باليقظة والحذر والمثابرة .. فإن الأمر جد وليس بالهزل .. والنزاع عاقبته الفشل :

﴿ وَلَاتَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ ..

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَاتَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ..

ولننزل على حكم الله وتوجيهه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ..

شيخ الأزهـــر

جاد الحق على جاد الحق

الإسراء والمعراج

• نعمة من الله ومنحة أذهبت المحنة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

هاهو هلال شهر رجب الفرد الذى بين جمادى وشعبان ، قد اهله الله على خلقه فى ارضه هلالا وليدا ، ينمو كسنة الله فى كونه حتى يكتمل نوره ويفيض ضوؤه هداية للسارين ، وإرشادا للسالكين .

ورجب من الاشهر الحرم التى كرمها الله وشرفها واعلى ذكرها وقدرها فى القرآن الكريم ففى سورة التوبة قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

وفى هذا الشهر الحرام كانت منة الله على الرسول محمد ﷺ وتكريمه بالإسراء به إلى بيت المقدس وصلاته بالانبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وعلى إمامهم إيذانا بسير الإنسانية إلى وحدة الدين .

ولقد تحدث القرآن عن هذا فى سورة الإسراء فقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2] .

ثم كان العروج به إلى السموات العلا تشريفا ورفعة مكان وعلو منزلة على ماتشير إليه الآيات فى سورة النجم .

ولقد وقع حدث الإسراء إلى بيت المقدس والعروج إلى السموات العلا برسول الله ﷺ بعد أن بلغ الجهد منه مبلغه ، وتواكبت المعوقات وتشابكت فى سبيل نشر دينه الإسلام : فهؤلاء كبار القوم . بل وسفهاؤهم يتعاهدون مجالسه بالتضييق والاستهزاء ، ويطاردون من آمنوا به ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وهاهو عمه أبو طالب قد نزل به قضاء الله ، فصار تحت الثرى وهاهى زوجه خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ قد حم القضاء فيها ، وطم البلاء بموتها ، وقد كانا أقوى البصراء بأمره والمؤازرين لدعوته ، والعاملين على حمايته ، فزوجه هذه كانت نعم الأنيس والجليس ، تعينه على هذا الأمر وتشد من عزمه ، استمع إليها وهى تقول له غداة بدء الرسالة وإثر عودته من غار حراء : (كلا والله لن يخزيك

---

(١) الآية ٣٦ .
(٢) الآية ١

الله أبدا : إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر) .. وتسرع معه إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل ليسمع منه الجديد المفيد الوافد به إلى الناس بالبر والرحمة والعدل .

وهذا عمه أبو طالب ومواقفه فى تأييده ودفاعه عنه فى منتديات القوم ومجالسهم مما قد حفلت بها مدونات السير والتاريخ .

فى ظلال هذه الأنواء كانت رحمة الله برسوله ﷺ بالإسراء والمعراج تسرية عنه وتثبيتا لقلبه .

هذه الرحلة المباركة تحمل لأمة الإسلام الكثير الوفير من الدروس التى يزداد بها المؤمنون إيمانا .

بهذه الدروس يعلمنا الله سبحانه وتعالى أنه الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء وأنه الاله المعبود المنزه عن كل نقيصة ، تنزيها كاملا ، وأنه وحده الذى تعنو له الجباه وتخضع .

وفى فرض الصلاة فى هذه الرحلة السماوية إلى الملا الاعلى آية على أن عبادة الله تسمو بالعباد إلى أعلى المراتب ، وفيها يتحقق الذكر الدائم الذى يؤتى ثماره فى فكر المؤمن وسلوكه وهى تكريم للإنسانية فى ذات الرسول المكرم ﷺ وتكريم لعقل الإنسان الذى اتخذه القرآن الكريم موئلا للعلم والتكليفات بالمشروع من العبادات وأحكام الشريعة ، وهو الوسيلة التى بها استخلف الله الإنسان لإعمار هذه الحياة .

هذه الرحلة تدعو المسلمين إلى توثيق الإيمان بالغيب وتأكيده حتى يستكن فى قلوبهم اتباعا لرسول الله ﷺ واستقبالا للرحمة المهداة ، والنعمة المسداة إلى الإنسانية جمعاء ، باعتباره بشرا رسولا قدوة فى عبادته ومعاملاته وأخلاقه وسلوكه وصفاء نفسه ، فيتمسك بعقيدته وبشريعته وبكتابه القرآن .

ودعونا من أولئك الذين ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ، فافتروا على الله وعلى رسوله وعلى دينه وسخروا من تشريعه وأحكامه وذهبوا يصدون عن سبيل الله إما بالغلو فى الدين . أو بالتفريط فيما أمروا به أو بارتكاب مانهوا عنه .

لتكن ذكرى الإسراء والمعراج برسول الله محمد ﷺ حافزا للمسلمين إلى المزيد من الترابط والتساند والتكافل ، بل والتكامل فقد أسبغ الله عليهم صفة الأخوة .

لتكن هذه الذكرى دافعا إلى أن تحاسب الأمة نفسها : ماذا خسرت من الإنحراف عن أحكام الإسلام .

إن التاجر الناجح هو الذى يضبط دفاتر أعماله ، حتى يستظهر العائد والفاقد ويميز الخبيث من الطيب ، فاستظهروا ـ أمة الإسلام ـ هل ازددتم قوة بميلكم عن منهج الله ؟ أو ضللتم الطريق إلى العودة إليه .

ألم يكن الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ، فأين أنتم من هذا البيت ؟ كيف استحللتم العزوف عن نصرته وإمداد حراسه وحماته أطفال الحجارة ؟ أين أنتم وبيت المقدس ؟ يقتحمه شذاذ الآفاق ، كل يوم .. ويبذلون النفس والنفيس للسيطرة عليه ، بل وهدمه .

إن بيت المقدس عرض هذه الأمة وأهله فى ذمتها ..

الا إنهم يحيطون هذه المقدسات بأجسادهم وأرواحهم .

فلتكن أمة الإسلام لهم سندا ومددا ولتصمد فى وجه الصعوبات والمعوقات والمناورات ، فلا يصرفها عن استرداد القدس وسائر الأرض العربية المحتلة أية عوائق أو أية خلافات يفتعلها أولئك المعوقون الذين يقولون مالا يفعلون ، فإن الواجب التعامل مع الحق وباسمه لاسترداده ، ذلك قدر أمة الإسلام وزعمائها المعاصرين ولا يضركم أيها الزعماء المخلصون لقضايا هذه الأمة من ضل إذا اهتديتم .
﴿ .. اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

إن الأمة تنتظر أن يبرز من زعمائها صلاح الدين فى هذا العصر ، فكونوا أيها الزعماء ، كونوا جميعا رجلا واحدا هو صلاح الدين المأمول .. وكونوا كما وصف الله المؤمنين ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[2] واستخلصوا أرضكم وقدسكم واحفظوا عرضكم .

ثم أين أنتم ـ أمة الإسلام ـ من هذا السيل من المهجرين اليهود من روسيا وغيرها من بلدان أوروبا الشرقية إلى فلسطين يقتحمون على إخوتكم دورهم ويطردونهم من زراعاتهم وتجاراتهم وصناعاتهم ، ويطاردونهم فى كل مكان .

أين هى الصداقة الروسية العربية ؟

أين وقوف الاتحاد السوفيتى مع الحق العربى الإسلامى . إن هذا التهجير الروسى إلى فلسطين ضربة موجهة إلى جهود السلام المبذولة والتى أيدتها معظم شعوب العالم ، ويبدو أن إقفال الأبواب فى أمريكا أمام هؤلاء المهجرين ، وترتيب الرحلات المباشرة لهم إلى القدس أمر مبيت بليل بين العملاقين بعد أن اتفقا على سياستهما فى الشرق التى أفرخت هذا الغزو الجديد والخزى الفريد لحماة السلم العالمى .

فما أشبه حال الأمة الإسلامية اليوم بحالها عام العسرة سنة تسع من الهجرة حيث تكاثرت من حولها آنذاك الخطوب ، فهذه الروم تهدد ، وهذه الفرس ترعد وتتوعد فكانت غزوة تبوك فى شهر رجب الفرد خروجا لمواجهة الروم والوقت وقت عسرة من الأقوات وشدة من الحر ، وجدب من البلاء ولكنها مواجهة للواقع من رسول الله ﷺ ووقوف فى وجه الباطل ، ودفاع عن النفس ، وحماية للعرض .

نعم : هذا درس من دروس النبوة فى ذكرى شهر رجب الحرام يجب أن يعيه المسلمون فالصهاينة من حولهم يتجمعون ، ويتكتلون ويتنادون من كل مكان إلى فلسطين ، تكثيفا لوجودهم وتكثيرا لجندهم ، وإرهابا للمسلمين ، وزرعا لليأس فى قلوبهم .

ليذكر المسلمون اليوم وهم فى هذه الحال أن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يجفلوا ولم ينتبهم الخوف ، بل سارعوا إلى تلبية نداء رسول الله ﷺ بالأستعداد للمواجهة ، حيث أعد الأثرياء من المسلمين العدة وزودوا الجيش بالمؤن والركاب والسلاح ، فهلا استُبدِلَت بالسيئات الحسناتُ ، وأُنفقت الأموال فى أوجهها التى تحتاج إليها الأمة فى هذا الوقت العصيب ، هلا أدركت الأمة ماعليه المجاهدون أطفال الحجارة من مطاردات وتعذيب وتجويع وهدم للمنازل والديار وإغلاق للمدارس والجامعات واعتداء على الحرمات والمقدسات وتخريب للمساجد التى أمر الله بعمارتها والحفاظ عليها .

هلا استذكرنا المجاهدين فى افغانستان ، وتواطؤ الكبار فى العالم على استمرار الحرب التى وقودها المسلمون لإضعاف الأمة وتفريق كلمتها ، وإفناء شبابها ؟

هلا اتخذنا من سيرة الرسول ﷺ وجهاده وأصحابه قدوة ، ومصدرا للقوة ومعينا نتزود منه بالفكر

---

(١) من الآية ٢٠٠ سورة آل عمران

(٢) من الآية ٧٢ سورة الفرقان .

الإسراء والمعراج نعمة من الله

الرشيد والعمل المجيد المفيد واتخذنا من حسمه ﷺ للمواقف خطة نحتذيها ، تواجه بها الأمة قدرها ، وتدفع عن نفسها مايراد بها من تشريد ، ولصحوتها ووحدتها من إجهاض ؟ أفلا يكف أولئك الذين أطلقوا ألسنتهم وأقلامهم لإضلال الناس عن الحق وصرفهم عن كلمة الصدق ؟ أفلا يتوب هؤلاء إلى الله ويستغفرونه عما فرط منهم من تأييد للباطل ودعوة إليه ونكران للحق ونبذ له ، وليعلموا أنهم بذلك مفرطون فى جنب الله وأنهم على ذلك محاسبون .. ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[1] .

فى شهر رجب الفرد يجب ألا تصرف الأحفال التى تقام هنا هناك فى ذكرى الإسراء والمعراج عن استظهار العلل التى تسرى فى جسم الأمة والانحراف عن الإسلام الذى طوف بها حتى طوقها يُذْكِيهِ أولئك الذين استهوتهم الشياطين ، فأملت عليهم ذلك الإفك الذى ينشرون لايرعون فى الله إلاً ولاذمة ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

إن هذا الغلاء والأزمة الاقتصادية التى تقاسى منها الأمة الإسلامية ابتلاء من الله بعد أن ظهر فيها التهجم على دينه الإسلام والمجاهرة بالمعاصى ، والمفاخرة بارتكابها والمبالغة فى استباحة المحرمات من الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، بل قد ظهر من يجاهر بالقول المنافى لأدب الإسلام المحرض على انتهاك ماحرم الله وهو فى موضع القدوة وكأنه لم يسمع قول الله سبحانه فى القرآن ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[2] وقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه :

(كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح بكشف ستر الله عنه) ، ثم هل قرأ هؤلاء المجاهرون بآثامهم مشاهد رسول الله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج لأصحاب السيئات ومنهم المجاهرون .

أين القدوة المفترضة فى القادة ، كل فى موقعه .

إنها القدوة فى كل شيء فى الانضباط فى القول وفى العمل ، فى السلوك ، فى الأخلاق فى الالتزام بالآداب والأعراف القومية ، لاسيما أدب الإسلام الذى ارتضاه الله للناس طريقا مستقيما .

إنها مسئولية ومن لم يف بها وتفلت منها يكون قد خان الأمانة التى حملها .

ثم هل لهؤلاء الذين غاض الحياء من وجوههم فذهبوا ينشرون على الناس سيئاتهم ويتباهون بآثامهم أن يعرفوا أن صنيعهم هذا ليس من الحرية الشخصية ولا من حرية الكلمة التى قدسها الإسلام وذاد عنها وضرب لها الأمثال ؟

---

(١) من الآية ٢٢٧ سورة الشعراء .

(٢) الآية ١٤٨ سورة النساء .

فقد وصف الله سبحانه فى كتابه الكلمة الطيبة التى تؤتى ثمرتها الطيبة لا تلك الكلمة الخبيثة التى هى كالشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار . ثم هلا احتفت الأمة فى شهر رجب بالدروس التى تستفاد من صنع الرسول ﷺ وأصحابه فى هذا الشهر من عام العسرة فيواجهوا واقعهم وما حاق وأحاط بهم من مصاعب ومتاعب سياسية واجتماعية واقتصادية فاستلهموا الرشد حتى يهيء الله لهم من كل هم فرجا ومن كل كرب مخرجا .

أو أنهم يتجاهلون مآل إليه حالهم من فرقة وشتات حتى تخطفهم الناس من حولهم واستهانوا بهم .. فهذه المذابح فى الهند التى تباد فيها قرى المسلمين بأكملها وفى كشمير وفى بلغاريا وفى أذربيجان وفى طاجيكستان ظلم وظلمات تخيم على المسلمين فى كل مكان ممن يتنادون بحقوق الإنسان ويتباهون بأنهم دعاة العدالة والديمقراطية مع أن أفعالهم تناقض أقوالهم لبئس ماكانوا يفعلون .

ليكن شهر رجب شهر تذكرة ننهض بها إلى التخلى عما فرطنا فيه والتحلى بما نستقيم به على الإسلام عقيدة وشريعة .

فإن من تخلى عن الباطل ، واستمسك وتحلى بالحق كان الله معه . ومن سنة الله فى خلقه أن يأخذ بيد من استقاموا على الطريق القويم . وصدق الله سبحانه فقد قال فى كتابه :
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(١) .

وقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾(٢) .

وقال : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ . إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣) .

وإن الأزهر الشريف فى هذه المناسبة المباركة إذ يحفز الأمة إلى واجبها نحو دينها الإسلام ، ونحو واجبها فى صيانة حياتها وكرامتها بين الأمم ، ليدعو الله أن يهيىء لها من أمرها رشدا وأن يسدد خطى قادتها وزعمائها أصحاب الجلالة والسمو والفخامة الملوك والأمراء والرؤساء نحو عمل نافع قوى قويم تصان به مصالح المسلمين ووحدتهم وتقوى به شوكتهم ﴿ .. وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ .. ﴾ .

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(١) من الآية ١١ سورة الرعد .
(٢) من الآية ٢٥١ سورة البقرة .
(٣) الآية ٤٠ سورة الحج

حوار مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

أجرته «وكالة تونس أفريقيا للأنباء»

س : منذ تولى الرئيس زين العابدين بن علي مقاليد السلطة في البلاد .. بدأت تونس تستعيد هويتها الإسلامية بما اتخذته القيادة الجديدة من إجراءات وقرارات كان أهمها إحياء «جامعة الزيتونة» ، و «إنشاء مجلس أعلى إسلامي» ، وإحداث وزارة دولة للشئون الدينية . ماهو تقييمكم لمسيرة تونس في هذا الاتجاه ؟

وأى مستقبل للإسلام في تونس في ظل العهد الجديد ؟

جـ : لكل أمة سماتها التى تعرف بها .. والأمة الإسلامية منذ كانت لها السمة والاتجاهات التى تبرز بها بين الأمم ، وهى الأصول الإسلامية التى تميزها عن غيرها ، ولابد لتستعيد الأمة الإسلامية بشعوبها المختلفة هذه السمات التى عرفت بها أن تعود إلى الظهور بها وإبرازها في كل علاقاتها .. وهذه الأمة قد انقسمت إلى دول بحكم الحركة التاريخية ، وبحكم تسلط الاستعمار عليها من دول مختلفة اجتهدت في أن تفقدها هذه الهوية الإسلامية .. ومن ثم كان ما اتجه إليه السيد الرئيس زين العابدين ابن علي من إبراز الوجه الإسلامى لتونس بتمكين «جامعة الزيتونة» ذات التاريخ المشرق في الدراسات الإسلامية من العودة إلى مهامها في صف الجامعات الإسلامية ، ومن إنشاء «مجلس أعلى إسلامى» في تونس يرقب التطورات العلمية الإسلامية ويوجهها ويحفظ على تونس الإسلامية خلق الإسلام بحيث تشارك أمتها الإسلامية في العودة إلى الوجه الإسلامى علما وعملا .

واستحداث وزارة «دولة للشئون الدينية» يوحى باهتمام الدولة وعنايتها بنشر تعاليم الإسلام وتصحيح مفاهيمه لدى الأجيال التى فاتتها المعرفة بهذه التعاليم ، ولتنشأ الأجيال المقبلة في ظل الإسلام .

وإن الأزهر ليحيى هذا الاتجاه الجاد والجديد لدى تونس الشقيقة ، ويحيى في رئيس الدولة هذا الاتجاه الرشيد باتخاذ المنهج الإسلامى أساسا للإصلاح في شئون الدين والدنيا .

س : بعد إعادة الاعتبار إلى «جامعة الزيتونة» كصرح دينى وعلمى كبير ..

ماهى صيغ التعاون الممكنة في تصوركم بينها وبين الأزهر الشريف باعتبارهما منارتين إسلاميتين تتميزان بإشعاع دينى وعلمى كبيرين ؟

جـ : لا مراء في أن لكل من «الأزهر الشريف» و«جامعة الزيتونة» تاريخه وتراثه العلمى وعلماءه

وأبناءه الذين كرسوا جهودهم لأكثر من ألف عام فى سبيل الحفاظ على علوم الإسلام ولغة القرآن ، ولقاؤهما لا شك يكون عملاً مفيداً وجديداً .. وهذا اللقاء والتعاون يجرى فى الأغلب فى صورة تبادل الأفكار الإصلاحية ، لتتقارب المناهج والخطط بحيث تكون هناك المواءمة بينهما حتى تعلو كل منهما بأفكار خريجيها ، على ما قد يكون لدى كل منهما من رواسب وحوائل انتشرت بفعل الاستعمار والأفكار الوافدة أو الموفدة والتى أدت فى مجملها إلى ركود العمل الإسلامى المثمر ، وربما إلى حجبه بعض الوقت .. والمأمول أن تزول كل الحجب ، وأن تكون المكاشفة حتى تلتقى أفكار العلماء على هدى القرآن والسنة وحتى يتضح هذا لدى الشعوب الإسلامية فتتقارب الأفكار التشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. فإن الإسلام له توجيهاته فى كل شئون الحياة التى تمتد إلى كافة هذه المجالات .. وعسى أن يكون ذلك قريباً ..

س : تواجه كل من مصر وتونس خطرا مشتركا يتمثل فى التطرف الدينى ومايتولد عن ذلك من تجاوزات وأعمال عنف .

ماهى فى نظركم الحلول المثلى لمعالجة هذه الظاهرة ..؟

وهل يمكن القول ان لتقصير علماء الإسلام دوراً فى تفشى هذه المشكلة ؟

جـ : إن ظاهرة التطرف ظاهرة عامة لا تقتصر على الشعوب الإسلامية ، وإنما برزت فى مجتمعات عديدة لأسباب مختلفة ، وهى فى الواقع بين المسلمين ليست تطرفاً بالمعنى الذى يتبادر إلى الأذهان فى هذاالعصر ، وإنما هى وقفة من بعض الفئات الإسلامية التى روعت بكثرة الانحراف عن منهج الإسلام سواء فى الحياة الاجتماعية أو فى التشريعات بل وفى الاتجاهات السياسية للشعوب الإسلامية ، وإذا كانت هذه الوقفات قد اتسمت بالتشدد ، بل وباستعمال العنف فى بعض المواقف فإن الأولى أن نواجه هؤلاء بالحوار المقنع ، وبالاتجاه الفعلى إلى تجاوز هذه التناقضات التى استشرت فى المجتمعات الإسلامية بوجه عام ، والمخالفات الصارخة لأحكام قطعية فى الشريعة الإسلامية .

إن تصويب الأخطاء هو الوسيلة لتصحيح المواقف ، وليس من الصحيح فى وسائل التربية للأفراد أو للمجتمعات استعمال العنف وإنما الوسيلة الإسلامية المأمولة والتى نجحت هى وسيلة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .. حتى إذا ما أفرزت الدعوة بهذا الطريق أن من هؤلاء المتشددين من لا يهتدون بالحكمة والموعظة الحسنة كان تسمية الأشياء بأسمائها لا بنسبة المنحرفين إلى الإسلام والمسلمين . فالغاية لا تبرر الوسيلة فى الإسلام ، وإنما ينبغى أن تكون الوسيلة مشروعة كالغاية المشروعة ..وهذا يعنى أن على أولى الأمر أن يبحثوا عن أسباب هذا التشدد أو التطرف كما يسمونه وغاياته ودوافعه وأن يعملوا على إزالة أسبابه متى كانت هذه الأسباب انحرافاً عن الإسلام .

وأعتقد انه كان يمكن نسبة ظهور هذا التطرف بالمعنى الذى يعنيه السؤال إلى علماء المسلمين لو أنهم أتيحت لهم فرصة مواجهة هؤلاء ومحاولة إقناعهم ، وتصحيح المفاهيم لهم وقعدوا عن ذلك . لكن الأمر يتجاوز العلماء إلى المبادرة بالعنف المتبادل بين المسئولين وهذه الفئات أو بعضها ..

كما أن لوسائل الإعلام دخلاً واضحاً فى تنشيط هذا التشدد والتطرف إلى ما وصل إليه الحال بما تنشر وتذيع وتعرض من الأمور التى تمس أمن المجتمع إسلامياً .. الأمر الذى يوغر صدور الحريصين على استقامة أمر الشعوب الإسلامية على المنهج الإسلامى ، ولربما ظهرت بعض القيود على كلمة العلماء التى قد تتضح بها الأمور مع إتاحة الفرصة لأقلام تسىء إلى الإسلام بل وربما تدعو جهاراً ونهاراً إلى

حوار مع فضيلة شيخ الأزهر

الخروج على أحكامه التى لا خلاف عليها . وهذا ما ينبغى أن يوضع فى الاعتبار حتى لا يصب الزيت على النار كما يقال ..

س : هناك أصوات فى عدد من الدول العربية من بينها مصر وتونس تطالب بقيام أحزاب سياسية على أساس دينى .

هل مثل هذه المطالب مشروعة فى نظركم ؟.. وهل من الممكن دمج الدين بالسياسة ؟

جـ : الإسلام دين ودنيا ودولة ..

فقد نظم الإسلام كل ذلك ، وفى « فقه الإسلام » مايعرف بالسياسة الشرعية لاسيما فى المسائل التنظيمية التى جاءت أصولها فى نصوص الإسلام مجملة لتوضع تفاصيلها وفق مقتضيات الحال .. وإذا كانت القاعدة الأساسية للحكم فى الإسلام هى الشورى فإن تنظيم هذه الشورى أمر ترك للأمة ونضوجها واستعدادها .. ولعلنا نأخذ هذا من أن الرسول ـ ﷺ ـ لم يعين الخليفة من بعده وإن كانت هناك إمارات استدل بها على ما ينبغى أن يكون ، وكان اجتماع سقيفة بنى ساعدة للمهاجرين والأنصار صورة عملية وأول مواجهة للمسلمين لتحقيق هذه الشورى بعد وفاة الرسول ـ ﷺ ـ وبعد الحوار وتذاكر هذه الامارات التى صدرت عن الرسول كان الإجماع على اختيار سيدنا أبى بكر ، رضى الله عنه ـ أول خليفة لرسول الله ﷺ ـ ثم كان اختيار أبى بكر لعمر دون عقد هذا المؤتمر مرة أخرى ، وإن كان قد عرض فكره فى هذا الاختيار على زعماء الصحابة فأقروه .. ثم كانت طريقة عمر فى اختيار أمير المؤمنين من بعده بترشيح نفر من الصحابة يختار من بينهم وبرأيهم .. وهكذا نجد التطبيق العملى فى تحقيق الشورى لاختيار أمير المؤمنين متنوع الأسلوب .. وهذا يفضى بنا فى مجال هذا السؤال إلى أن نقول :

إن الأحزاب السياسية أمر ارتضاه هذا العصر الذى نعيشه ولا يمنعه الإسلام . بشرط أن تكون لهذه الأحزاب أهداف وغايات مشروعة ، وألا توقع الفرقة فى صفوف الشعب .. ومن هنا .. فإن إقامة حزب سياسى دينى يختلف من موقع إلى موقع .. فالشعب الذى ينتسب بجميع أفراده إلى دين واحد لا يترتب على إنشاء هذا الحزب فيه أية آثار خطرة مادامت أهدافه وغاياته مشروعة .. أما الشعب الذى يتكون مجتمعه من أديان متعددة فإن خطراً قد يهدد وحدة الشعب إذا قامت الأحزاب بمسميات هذه الأديان .. ولا ننسى أن حجة من حجج الاستعمار فيما مضى كانت حماية الأقليات الدينية مع أن الإسلام قد ساوى بين المواطنين فى الحقوق والواجبات على اختلاف دياناتهم المنزلة .

حضر اللقاء
فضيلة الشيخ / مهدى عبد الحميد
مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر
راجعه الشيخ / عبد الكريم محمد عبد الرحمن
بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

لقاء فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر
بالدكتور: حمد الغابد
الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي

التقى فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه والأستاذ الدكتور/ حمد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي . حيث بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف .

ثم تحدث الضيف قائلاً : بمناسبة زيارتي للقاهرة رأيت أن أتشرف بزيارة فضيلتكم ومؤسستكم العريقة .

ورحب به فضيلة الإمام الأكبر مرة أخرى .

ثم واصل الضيف حديثه قائلاً : إنى أرغب فى مواصلة المناقشة التى بدأناها فى (جدة) حول الأمور المتعلقة بالأقليات المسلمة ، والتعليم الإسلامى فى البلاد غير العربية ، وكيفية نشر التعليم الإسلامى لأن المناهج هناك علمانية ولا يوجد بها تعليم إسلامى ، ويجب علينا أن نطلع على برامج التعليم فى البلاد الإسلامية ونقارب بينها لنخلق منها نظاماً موحداً يؤدى بنا إلى قيام الجامعة الإسلامية .

فضيلة الإمام الأكبر : إن رابطة الجامعات الإسلامية تضم عدداً كبيراً من الجامعات الإسلامية ، ولكنها لم تأخذ وضعها ، وقد كان فى زيارتى الدكتور/ عبد الله التركى رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، ورئيس هذه الرابطة وتحدثت معه بشأن تنشيط هذه المؤسسة .

أما من حيث الأقليات ففى تقديرى أنه ينقصنا الكثير من المعلومات عن هذه الأقليات ـ ولهذا فإنى أقترح أن يتم التنسيق فى ذلك حتى يمكن التعرف على هذه الأقليات ويمكننا توجيه الجهود لمعاونة كل أقلية حسب احتياجاتها ، وأعتقد أن الفرصة سانحة بين منظمة المؤتمر الإسلامى ، والأزهر بصفة خاصة ، والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بصفة عامة .

فنحن مثلاً فى الأزهر نمد بعض الأقليات بالمدرسين والعلماء والكتب بناء على ما يرد إلينا من طلبات من هذه الجهات ، ولكن ليس لدينا إحاطة شاملة لهذه الأقليات ومواقعها فى العالم واحتياجاتها أيضاً .

ونحن نحاول بمعرفة لجنة المعلومات والمتابعة المنبثقة من المجلس العالمى للدعوة والإغاثة ، أن نجمع

←

* فى ٢٨ من رجب ١٤١٠ هـ ـ ٢٤ فبراير سنة ١٩٩٠ م .

معلومات ، وكذلك من المنظمات التابعة للمجلس ، بل ونرسل وفودا إلى بلدان الأقليات للتعرف على احتياجاتهم . فمثلاً عقب الانفتاح في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي كانت هناك وفود مشتركة من الأزهر الشريف ومن منظمات إسلامية تابعة للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، زارت الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي وتعرفت على بعض الاحتياجات ، وقد قام الأزهر بالوفاء بما لديه من إمكانات من حيث إرسال المطبوعات والمصاحف وتخصيص منح دراسية .

وأخطرت السفارة المصرية في موسكو لتتولى الاتصال بالمسئولين المسلمين في هذا الشأن .

كما أهدى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية مليون مصحف للمسلمين في الاتحاد السوفيتي ، ويتولى المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة الإشراف على شحن هذه المصاحف على الطائرات السوفيتية من عمان بالأردن وتسليمها للمفتين هناك ، وعمل الترتيبات لتوزيعها على المسلمين والمساجد والمدارس ، والأزهر له بعثات لدى كثير من الأقليات مثل : الفلبين ، فهناك بعثة مكونة من أربعين عالماً .

كما يمد الأزهر بعض المراكز الإسلامية في أوروبا بالعلماء وبالمطبوعات .

وعندما تكون المعلومات عن الأقليات وافية فإنه يمكن توجيه وتنسيق جهود المنظمات المشاركة في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، ومن حيث موضوع التعليم الإسلامي والعربي فإنه هام جداً لنشر الثقافة الإسلامية والعربية نظراً لأن القائمين على التعليم في البلاد (الأفروآسيوية) التي استقلت ، قد اتخذوا الصفة العلمانية .

لذلك فإن الأزهر وباقي المنظمات الإسلامية تعمل على الاتصال بالجمعيات الإسلامية التي تقوم على التعليم العربي الإسلامي في هذه البلاد لمعاونتها في إنشاء المدارس وإيفاد المدرسين إليها بل إن الأزهر يعاونهم على إنشاء اتحادات لهذه المدارس في بعض البلاد ، وهناك بعض الحكومات لا سيما في أفريقيا ، اتجهت للتعامل مع الأزهر وطلبت مدرسين ، ونحن نشجع على ذلك ولا نكتفي بإرسال المدرسين بل نرسل أيضاً الكتب المدرسية ونعاون هذه المدارس في وضع المناهج والخطط الدراسية ، ولدينا في نيجيريا معهد أزهري تحت إشراف الأزهر منذ سنوات طويلة ، وقد وافقت على إنشاء معهد آخر في (كانو) هذا العام وكل ذلك حتى يتيسر للطالب أن ينهي تعليمه قبل المرحلة الجامعية في وطنه . وأعتقد أن المنظمة لو وضعت خطة لتوحيد المناهج الإسلامية والعربية وتركت بقية المواد حسب النظام الداخلي للدول لنجحت في ذلك .

ويمكن تشجيع الحكومات الإسلامية لعقد اتفاقات ثقافية مع الدول الأوروبية لتشجيع إنشاء مدارس إسلامية وعربية ، ونحن نسعى الآن لإنشاء نوع من هذه المدارس في (فرنسا) وكل ما يتحمله الأزهر هو الإمداد بالمعلمين والمساهمة في إيجاد هذه المدارس ، ولدينا تفكير أيضاً مع بعض المقيمين في (ألمانيا) لهذا الاتجاه .

الدكتور الأمين العام :

هذا صحيح وكنت أرغب في الاستفادة من خبراتكم ، ولكن بخصوص منهج الأزهر فهو خاص بالأزهر ، والشيء الذي أريده أن أصل لعدة مناهج نأخذ منها المنهج الأمثل .

فضيلة الإمام الأكبر :

المنهج الأزهرى يمكن تطويره حسب كل بيئة ، وليس حديثى عن المنهج الأزهرى هو أن يفرض ، ولكن يؤخذ منه كأساس يؤهل الطالب لكى يلحق بجامعة الأزهر لأن التعليم فى جامعة الأزهر مرتبط بخطة التعليم فى المعاهد الأزهرية ، وإذا كان لدى السيد الأمين العام تصورات أخرى يمكن للأزهر أن يشارك فى تصورها .

ولكن الأزهر الآن يرسل الكتب الأزهرية ويتحمل نفقات كثيرة فى نقلها وهو يعمل دائماً على تيسير المعرفة الإسلامية .

الأمين العام :

لقد فهمت هذه النقطة جداً وإن شاء الله أتصل بفضيلتكم فى هذا الشأن .

فضيلة الإمام الأكبر :

عظيم .. ونحن على استعداد لتلقى أى أفكار فى هذا الشأن .

الأمين العام :

بخصوص الطلاب الأفارقة الموجودين فى الأزهر وليسوا على منح دراسية . ما الوسيلة لمنحهم منحاً دراسية ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الأزهر يعطى المنح لكافة الشعوب الإسلامية غير الناطقين بالعربية وتتولى السفارات المصرية اختيار الطلاب بالاتفاق مع المدارس أو الحكومات .

والطالب حين يصل إلى مصر تقبل أوراقه وتصرف له المنحة نقداً ، وإذا كان له مكان فى مدينة البعوث الإسلامية يخصم قدر من المنحة قيمة السكن فى المدينة ، وهناك طلاب لا يقيمون فى مدينة البعوث وتصرف لهم المنحة كاملة نقداً ، وقد وافقنا لبعض المنظمات الإسلامية على أن تحضر طلاباً للدراسة بالأزهر على نفقتها ، ومن هذه الجهات : « الهيئة الخيرية » فى الكويت ، و « رابطة العالم الإسلامى » ، وقد طلبنا من كافة الجهات التى ترغب فى إحضار طلاب على نفقتها أن تدبر لهم المسكن ونفقات المعيشة ، ولكن لم يتم هذا حتى الآن بصورة مرضية ، وهناك طلاب يحضرون إلى مصر دون أن يكونوا على منح من الأزهر بل على نفقتهم الخاصة ، ونرعى المحتاجين منهم عن طريق التبرعات التى ترد إلى هؤلاء الطلاب من الجهات الخيرية فى مصر وغيرها ، والذى أريد أن يعلمه سيادة الأمين العام أن الأزهر لا يمنع طالب علم وإن كان يحاول أن يستوثق من الجهة التى تنفق عليه حتى يتفرغ الطالب لدراسته ـ وذلك لأن إمكانات الأزهر لا تستوعب كل الطالبين للدراسة فيه .

هذا وقد انتهى اللقاء بشكر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن الاستقبال والحفاوة التى قوبل بها .

حضر اللقاء

د/ مجدى الأنور

راجعه وصححه

الشيخ/ عمر البسطويسى على

بالشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر

من صفات "إبليس"

الإباء.. والاستكبار

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

لهذه الآية الكريمة علاقة بشهر الصيام الذى تعم فيه الرحمة ، وتُسلسل الشياطين وفيها بحوث .

١ ـ ترتبط هذه الآية باستخلاف آدم الذى سألت الملائكة عن حكمة استخلافه ، والتعبير بلفظ « إذ » يُشير إلى قصة تقع بعدها وهى قول الله للملائكة بكيفية هو أعلم بها والمهم أن وصلهم المراد منهم فامتثلوا .

ويُطلق السجود على وضع الجبهة على الأرض كما يُطلق على مجرد الميل ، وهو لا يكون إلا لله فى شرعنا ، وإن كان القرآن قد نقله إلينا بغير صورة العبادة مثل قوله عن أبوى يوسف : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ ، وظاهر هذا التعبير أن السجود لآدم وهو لا يصح إلا لله ، وأجاب المفسرون بأن آدم كان قبلة ، والذى ينقدح فى ذهنى أن السجود عبادة لا يجوز لغير الله ، أما توجه المأمورين لآدم فلما أودع الله فى كيانه من سر إلهى كما قال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ، والضمير يعود على أقرب مذكور ، وهو الروح هنا ، وإنه لهو السر الذى من أجله كانت كرامة الإنسان .

٢ ـ الفاء من قوله : ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ هى لمقارنة الشرط ، إذ الفاء التى تقع فى جواب الشرط ، مقارنة مقارنة المعلول للعلة ، وليست مثل فاء العطف التى هى للترتيب ، والملائكة أجسام نورانية مفتورة على الطاعة ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ وهم لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، حيث إنهم جنس آخر غير ما ألفه البشر .

وقد اختلف الناس فى إبليس ، أكان من الملائكة أم من الجن ؟

وكيف شمله الأمر ؟ والذى أطمئن إليه ، أن حقيقته هى حقيقة الجن ، خلقه من نار السموم ، وأن صورته صورة الملك ، تكلف فى شكله ،

وتظاهر بغير حقيقته ، [والمتشبع بما لم يعط ، كلابس ثوبى زور] ، وله امر خاص به ذكره في موضع آخر في قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ .

٣ ـ لقد ذكر القرآن هُنا صفتين لإبليس هما : الإباء ، والاستكبار . وكأن سائلا سأل : لِمَ لَمْ يسجد ؟ ، ألم يعلم بالأمر ؟ فأجاب : أنه عَلِمَ وامتنع عمداً ، وكان الحامل له على ذلك هو الغرور والاستكبار ، ثم كانت النتيجة ، أن كان من الكافرين وإسناد تلك الرذائل إليه وإلى سوء اختياره دليل على أن الله لم يجبره على المعصية ، بل هو الذى اختارها ، وكان في علم الله من الكافرين ، فصح أنه كان كافراً في علم الله ، وصح كذلك أن صار كافراً بجحوده لا بمعصيته ، فلو عصى وتاب لتاب الله عليه ، لكنه جحد الحكمة الإلهية ، وقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ولو تفطن لقياسه الفاسد لعلم ، الا فضل له حيث لم يختر العنصر الذى خلق منه ، كما أن أدم لم يكن منه اختيار لعنصره ، بل المختار والخالق هو الله ، وهذا من ضلال إبليس ، والتعبير بـ « من » يدل على أن إبليس أحد الذين كفروا بالله ، يستوى في ذلك أن يكون أولهم أو آخرهم .

٤ ـ والشيطان في عقيدة المسلم ، شرٌ لا سلطان له إلا على من أطاعه ، كما قال : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ، وهو إن نظرنا إلى التغلب عليه فهو نعمة ، لولا وجوده والتغلب عليه ما كان للأخيار فضل ، وقد حذرنا القرآن من وساوسه وأمرنا أن نلتجىء إلى الله باتباع أوامره وتنفيذها ، لا بالموقف السلبى ، فقد قال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ، وسواء كانت الفكرة عنه رمزية لكل شر أم كانت مُجسمة تجسيماً حقيقياً ، فإنه يكفينا أن يقول الله عنه : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ، وقد صرف القرآن نظرنا في أكثر من موضع إلى موقف الشيطان من الإنسان ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ وواجبنا أن نُحارب نوازع الشر في أنفسنا ، وفي غيرنا ، وشيطان الإنس كشيطان الجن ، ولا فرق في وجوب الاحتياط من خطورتهما .

والإسلام قوة في الرأس ، لأنه يفرض على العقل توحيد الله بالحجة ، وقوة في اليد ، سنداً للحق بالرحمة والحكمة والعدل ، قوةٌ مزدوجة ، فيها قوتان ، قوة تهاجم البغى والعدوان في الناس ، وقوة تُدافع الأثرة والطغيان في النفس ، ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ولا جرم أن كان تاريخ الشيطان تاريخا للأخلاق الحية في وجدان آدم وبنيه ، فعليهم أن يُميزوا أولا بين الخير والشر ، وثانيا : أن يأخذوا النافع ويتركوا الضار ، وليست الملائكة ولا الجان في صورتها الحية مخلوقات نامية في معرفتها ، عالمة ما تعلمه بعد جهله متقدمة من الطفولة إلى الرشد مثل الإنسان له أطوار يمر بها في خلقته ، جنينا فطفلا حتى ينتهى عُمره ، وليست القداسة أن تكون نورا وأنت نور ، وليس الفخار أن تكون نارا وأنت نار ، وإنما القداسة أن تكون كذلك وأنت تراب .

إن هذا النوع الإنسانى تلقى وجوده من خالقه ، حياة تجيش في ضمائره ، وفيما حوله

من صفات إبليس

بالحقائق الحية كائنا ما كانت أصداؤها فى عالم الحروف والرموز والإشارات والطلاسم .

والشيوع بين الخير والشر مركوز فى بديهية الإنسان الأولى ، ووحدة السليقة الدينية فى الإنسان أقرب إليه من وحدة القريحة والخيال الذى يجمع أشتاتا متنافرة ومتى أتيح للإنسان مقياس يقيس به الأرواح والأشباح ، ويقيس به أعمالها وحقوقها ، فهو إذن أهل للمشيئة والتبعة ، وتمييز الخبيث من الطيب ، وكل ما عُرِفَ من صفات عن الشيطان كالكبرياء والحسد ، كان بعد المعرفة بصفات الله من انفراد بالصفات الكاملة ، وتتصل فكرة الشيطان بالضمير من صلاح وفساد ، وبالذهن من أسرار ومغيبات .

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

لما لم يسجد إبليس كما أمره الله ، استكباراً على آدم ، وكفراً بالأمر ، لعنه الله وطرده من رحمته ، وأسكن آدم الجنة ، وكأنه يُعنف إبليس ويقول له : ليس تكريم آدم موقوفا على سجودك له ، فقد سجد له من هم أعظم منك خلقة ، وأسكناه الجنة ، وستسكن أنت النار ، وهذا من عطف قصة على قصة ، ومناداة الله له باسمه تنبيها له ، والنون نون العظمة ، إشارة إلى الذات المقدسة التى سمت على الذوات ، وإن شاركتها تلك الذوات فى التسمية ، وانفردت الذات المقدسة بالعظمة . وقوله : ﴿ اسْكُنْ ﴾ . الأمر هنا للإباحة المستتبعة للتكليف ، فلم يكن هنا تكليف ، وآثر الأمر على الخبر ، ولم يقل : أسكنتك الجنة ، لبيان أن السُكنى مؤقتة ، ولو قال بصيغة الخبر لأفاد أن مقرك الذى لا تبرحه هو الجنة ، مع أنه خلق ليكون خليفة فى الأرض يعمرها ، وليس لأن يسكن الجنة ويستريح ، تقول لصاحبك : أسكنتك المكان فلا تبرحه ،

وتقول : اسكن المكان مؤقتا إلى أن يتحدد مصيرك ، وقوله : ﴿ أَنتَ ﴾ تأكيد للضمير المستكن فى الفعل : اسكن ، وزوجه هى حواء ، وفى ذلك إشارة إلى أن الزواج فى نظر الإسلام سكن نفسى ومودة وألفة فى مكان ليست فيه منغصات وقد مرت الإنسانية بنظرات إلى الزواج ، أهو تلبية لصيحات الجسد ؟ ، أم هو علاقة عدمها خير من وجودها ؟ ، أم هو إشباع وتله بالغريزة ؟ ، وجاء الإسلام وقرر أنه نعمة امتن الله بها على عباده لحفظ النوع ، وقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ .

أما الجنة التى أسكنها الله آدم ، فللمفسرين أقوال عديدة تدور حول مكانها فى الأرض أم فى السماء ؟ ، دار الثواب أم حديقة فى الأرض ؟ ، والآية محتملة ، والذى أختاره هو أن جنة آدم كانت موضعا لاختباره وابتلائه ، حيث أذن له الله ولزوجته أن يأكلا أكلاً لذيذاً ممتعا واسعاً من أى مكان ، إلا مكاناً واحداً نهى عن الاقتراب منه وقال : ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ ، فالضمير عائد إلى الجنة ، و « رغداً » صفة لموصوف تقديره أكلاً رغداً ، إذ الرغد لايُؤكل ، « وحيث » اسم للمكان ، وترك لهما حرية الاختيار ، وقال : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، ولا ريب أن النهى فى القرآن يتردد بين التحريم كما قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ ﴾ ، والكراهة كما ورد : (لا ترفعوا

أبصاركم إلى السماء وأنتم تصلون) ، وللاحتقار كما قال : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ﴾ ، وللإرشاد كما قال : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ والمختار أنه هنا للكراهة ، ومن خالفه يُعد تاركاً للأولى .

والنهى عن الاقتراب لا يستلزم النهى عن الأكل ، فقد لا تقترب من مكان ويُحمل الأكل منه إليك وأنت عنه بعيد ، وإنما جاء النهى عن الأكل بقرينة أخرى ، فقد أذن لهما بالأكل ، ثم حذرهما الاقتراب من شجرة يُؤكل منها ، فدل بطريق المقابلة على النهى عن الأكل تنزيهاً لا تحريماً ، وترتيب الجزاء عليه من باب : حسنات الأبرار ، سيئات المقربين ، وقد اختلف الناس ، أتعد المخالفة كبيرة أم صغيرة ، أم لا تُعد ذنبا وإن وصف مرتكبها بالظلم كما قال على لسانهما : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ ؟ ، والذى أراه أن الاشتغال بما لا تبعة عليه لا فائدة منه ، وقد قال : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ . والألف واللام فى الشجرة للعهد الحضورى ، حيث وقع بعد اسم الإشارة ، وماهية الشجرة لا تعنينا ، والاشتغال بتحديدها ضرب من التخمين ، والمهم أنه مهما عظمت النعم على الإنسان ، يجب أن يتنبه لما يكمن فيها من الابتلاء ، فالاستدراج : كُمون المحنة فى عين المنة من غير خوف الفتنة ، وعلى أى حال فقد شاء الله لهما أن ينزلا من العيش بالغريزة إلى الشقاء بالعقل ، والشقاء به أولى من السعادة بالغريزة ، ليرقى الإنسان على أصناف الحيوان .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، أى لأنفسهما ، وما ظلما الغير بأكلهما ، فالعدالة ألا يسأل أحد عن ذنب غيره ، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ، والظلم من الألفاظ المتواطئة التى تتحد أفرادها فى التسمية وتختلف درجاتهم ، فليس الظالم لنفسه ، كالظالم لغيره ، وليس الظالم ظلما يسيرا ، كالظالم كثيرا لمن لا يحصون ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

وفى الوعى الدينى عوامل ذات بال لا تُحسب من الفرائض والشعائر ، ولكنها من الخواطر التى تخامر النفس ، وتعمل عملها فى تقويم الأخلاق المصطبغة بصبغة الإيمان ، وقد قيل إن الحية هى التى أغوت آدم جريا على سنن الأقدمين فى التوحيد بين الضرر الحسى والخطيئة الأخلاقية ، والسلوى يُزجى بها الفراغ ، ولا تمضى مع الجد خطوة ، إلا عادت إلى اللعب خطوات .

وبعد ... فإن الحديث عن العلاقة بين الشيطان والفساد متفق عليه بين الوثنيين عُبّاد الشياطين وبين المؤمنين الذين يلعنون الشيطان وكل فساد ، والحق أنه لا خوارق على التحقيق فى طاقة الشيطان ، ولا تعقل الخوارق إلا من عمل الله الذى وضع للعالم نظامه وأجراه عليه ، وكل ما يصنعه الشيطان مما يلتبس على الناس بالمعجزات ، إنما هو خداع لحس الإنسان حتى يرى الأشياء على غير صورها ، وقد قيل : الشيطان سخرية فاضحكوا منه ولا تهابوه ، وهو فى الإسلام عامل فضولى مرذول يخنس ويروغ ، ويخذل فريسته بالنية الخفية ، والعمل المكشوف .

والفرق بين آدم قبل الأكل وبعده . هو الفرق بين حياة فيها دعة وحياة فيها تكليف ..

التابعون تلامذة الصحابة

عكرمة رضى الله عنه

أخباره في الحديث وكلامه في الوعظ

٤

للشيخ: أحمد حسن جابر

لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ في مسند الإمام احمد ـ رضى الله عنه ـ عشر وسبعمائة والف حديث بدات بالحديث رقم ١٨٣٨ وانتهت بالحديث رقم ٣٥٤٧ ، حسب ماحققه الشيخ احمد شاكر ـ رحمة الله عليه ـ لعكرمة بن عبدالله من مسند عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ خمس واربعون وثلاثمائة حديث تقريباً . نذكر منها من المسند :

الحديث رقم ٢٠٨٨ : من طريق وكيع عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ قال : لما نزل تحريم الخمر قالوا : يارسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فنزلت : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ « الآية ٩٣ / المائدة » .

إسناده صحيح ، ورواه الترمذى ٩٨/٤ من طريق إسرائيل عن سماك ، وقال حديث حسن صحيح ، ونسبه السيوطى في الدر المنثور ٣٢٠/٢ للفريانى ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبرانى ، وابن مردوية والحاكم وصححه البيهقى في شعب الإيمان ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٣٢/٣ ، ومن الحديث نأخذ أن التوبة النصوح تَجُبُّ ماقبلها من الذنوب كما أن الإسلام يَجُبُّ ماقبله من الذنوب . رحمة من الله وفضلاً .

الحديث رقم ٢١٠٩ : من طريق يزيد عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ : قال : « قبض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهونة عند رجل من يهود على ثلاثين صاعا من شعير اخذها رزقاً لعياله » .

إسناده صحيح ومعناه مطول من طريق آخر (طريق عفان وأبى سعيد) عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التفت إلى أُحُدٍ فقال : والذى نفس محمد بيده ، مايسرنى أن أحداً يُحَوَّل لآل محمد ذهباً أنفقه فى سبيل الله ، أموت يوم أموت أدع منه دينارين إلا دينارين أعدهما لدين إن كان ، فمات وما ترك ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ولا وليدة ، وترك درعه مرهونة عند يهودى على

ثلاثين صاعاً من شعير » .

ومعنى الحديث الأول ثابت معناه فى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة ـ رضى الله عنهما ـ انظر تاريخ ابن كثير حـ ٥ /٢٨٣/٢٨٤ ، وذكر فى المنتقى ٢٩٧٤ حديث عائشة وللنسائى وابن ماجه مثله عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وفى مجمع الزوائد ١٠/٢٣٩/٣٢٦ ، وفى المسند من طريق عبدالصمد عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ مثله رقم ٢٧٤٣ ، وأخرج مثله ابن حبان فى صحيحه من طريق الفضل بن الحباب عن إبراهيم الأسود عن عائشة ـ رضى الله عنهما ـ قالت : توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير ، ومن طريق الحسن بن سفيان عن قتادة عن أنس قال : رهن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ درعاً له عند يهودى على طعام بدينار فما وجد مايفتكها به حتى مات ، ومن طريق عمر بن محمد الهمدانى عن الأسود عن عائشة بلفظ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشترى من يهودى طعاماً إلى سنة ورهنه درعاً له من حديد .

وأخرج مثله البخارى فى كتاب البيوع باب شراء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنسيئة وساق حديثين الأول من طريق معلى بن أسد عن الأسود عن عائشة ـ رضى الله عنهما ـ والثانى من طريق مسلم بن إبراهيم مع تحويل السند إلى طريق محمد بن عبدالله بن حوشب عن قتادة عن أنس بألفاظ مختلفة كما رواه البخارى فى كتاب الرهن فى الحضر وفى باب من رهن درعه بألفاظ قريبة من هذه الأحاديث . وفقه هذه الأحاديث يثير عدة أسئلة ـ تتعلق برهن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ درعه عند يهودى فى طعام لأهله ـ تكاد الإجابة عليها أن تكون عجيبة ومحيرة لعلاقتنا الاقتصادية والسياسية ، والاجتماعية ، والعسكرية ، فى زماننا باليهود خاصة وغيرهم ممن لا يدينون بالإسلام الحنيف عامة . وأظن ـ والله أعلم ـ أن أحاديث رهن الدرع عند يهودى فى طعام ـ تنبىء عن غيب لعل المسلمين الآن يوفقون إلى كشفه ليأمنوا عثرات هذه العلاقات مع غيرهم فضلاً من الله تعالى ورحمة بهم .

الحديث رقم ٢٣٠٩ : من طريق قتيبة بن سعيد عن داود ـ يعنى بن أبى هند ـ عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ قال : قالت قريش لليهود : اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل .

فقالوا : سلوه عن الروح ؛ فسألوه ؟ فنزلت : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قالوا : أوتينا علما كثيرا . أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾ « الآية الأولى من الإسراء / ٨٥ والثانية الكهف من الآية ١٠٩ » .

والحديث إسناده صحيح رواه الترمذى : ٤/١٣٧/١٣٨ ، عن قتيبة وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . ونقل شارحه عن الحافظ أنه قال فى الفتح : رجاله رجال مسلم ـ ونقله ابن كثير فى التفسير ٥/٢٢٧ ، عن هذا الموضع وذكر السيوطى فى الدر المنثور : ٤/١٩٩ ـ ٢٠٠ ، ونسبه أيضاً للنسائى وابن المنذر وابن حبان ، وأبى الشيخ فى العظمة ـ والحاكم وصححه وابن مردويه ، وأبى نعيم ، والبيهقى كلاهما فى دلائل النبوة .

ومن كلام عكرمة : طرائقه ، ووعظه من الحلية :

←

التابعون تلامذة الصحابة

أبو نعيم من طريق محمد بن أحمد بن الحسن عن مغيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة ـ يعنى فى بنى إسرائيل ـ كلما مات واحد جعل الآخر مكانه ـ فقضوا ما شاء الله أن يقضوا فبعث الله ملكاً على فرس فمر على رجل يسقى بقرة معها عجل فدعا العجل فتبع العجل الفرس فتبعه صاحب العجل فقال : ياعبدالله عجلى ؟! وقال الملك : عجلى وهو ابن فرسى ، فخاصمه حتى أعياه .

فقال : القاضى بينى وبينك . قال : قد رضيت . قال : فارتفعا إلى أحد القضاة قال : فتكلم صاحب العجل فقال : إنه مر بى على فرسه فدعا عجلى فتبعه فأبى أن يرده ـ ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس مثلها ، فأعطى القاضى درة فقال : اقض لى ! فقال : كيف يسوغ هذا لى ؟ قال : تخرج الفرس ، والبقرة ! فإن تبع العجل الفرس عذرت . ففعل ذلك ، ثم أتى الآخر ففعل مثل ذلك ، ثم أتى الثالث فقصا قصتهما وناوله الدرة فلم يأخذها .

وقال : لا اقضى بينكما اليوم . فإنى حائض !!
فقال الملك : سبحان الله !! هل يحيض الرجل ؟

فقال : سبحان الله !!
وهل تنتج الفرس عجلاً ؟! فقضى لصاحب البقرة .

أبو نعيم من طريق الحسين عن سفيان عن أبيه عن عكرمة قال لقمان لابنه : قد ذقت المرارة فليس شىء أمر من الفقر ، وحملت الحمل الثقيل فليس شىء اثقل من جار السوء ، ولو أن الكلام من فضة لكان الصمت من ذهب .

أبو نعيم من طريق الحسين بن محمد عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال الله تعالى ليوسف : يايوسف بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك مع الذاكرين .

أبو نعيم من طريق محمد بن حيان عن هارون النحوى عن سعيد عن عكرمة قال : من قرأ (يس والقرآن الحكيم) لم يزل ذلك اليوم فى سرور حتى يمسى .

أبو نعيم من طريق عبدالله بن محمد عن عكرمة قال : ما من عبد يقربه الله يوم القيامة للحساب إلاَّ قام من عند الله بعفوه .

أبو نعيم من طريق عبدالله بن محمد عن عكرمة قال : لكل شىء اساس ، وأساس الإسلام الخلق الحسن .

أبو نعيم من طريق أبو محمد بن حيان عن عكرمة قال : إن الشيطان ليزين للعبد الذنب حتى يكسبه فإذا كسبه تبرأ منه ، ولا يزال العبد يبكى منه ويتضرع إلى ربه ويستكين حتى يغفر له ذلك الذنب وما قبله ، فيندم الشيطان على ذلك الذنب حين أكسبه إياه فغفر له الذنب وماقبله .

رحلات عكرمة : من معجم الأدباء لياقوت الحموى ..

ذكر الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن البيع فى تاريخ نيسابور وقال بإسناده : كان جوالا وفادا على الملوك أتى خراسان فنزل بمرو زماناً ، وأتى اليمن وورد خراسان مع يزيد بن المهلب وقال : حدث عكرمة بالحرمين ، ومصر ، واليمن ، والشام ، والعراق ، وخراسان ، والمغرب .

وتوفى هو وكثير عزة فى يوم واحد فقال الناس مات أفقه وأشعر الناس . ومات عكرمة وله ثمانون سنة بالاتفاق ولكنهم اختلفوا فى تاريخ وفاته قبل سنة أربع ومائة ، قال ذلك الداودى وقال يحيى بن معين والمدينى وابن قتيبة سنة خمس ومائة وقال الذهبي سنة ست ومائة ومثله صاحب النجوم الزاهرة ، وقال : أبو نعيم وابو بكر بن أبى شيبة وجماعة الذهبى فى التاريخ سنة سبع ومائة .

هذا ونسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل والخلل والعلل فى القول والعمل إنه سميع مجيب .. وإلى حديث آخر عن كبار التابعين من مدرسة عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - ونفعنا بهم والله ولى التوفيق .

المراجـــــــع

١ - المعارف لابن قتيبة ص ٤٥٥ ومابعدها .
٢ - الحلية لأبى نعيم جـ ٣ ص ٣٤٧/٣٢٦ .
٣ - صفة الصفوة لابن الجوزى جـ ٢/٥٨ ومابعدها .
٤ - الذهبي : الكاشف جـ٢ ص ٢٧٦ .
٥ - دول الإسلام ص ٧٥ وفيات ١٠٧ .
٦ - سير أعلام النبلاء جـ ٣/ ٣٣١ .
٧ - خلاصة تهذيب الكمال ص ٢٢٩ .
٨ - العبر جـ ١ / ١٣١ .
٩ - البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ / ٢٤٤ .
١٠ - ابن حجر : مقدمة فتح البارى جـ ٣ ص ١٧٩ .
١١ - تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٢٦٣ .
١٢ - ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٢/١٨١/١٩٠ .
١٣ - النجوم الزاهرة جـ ٢٦٢/١ .
١٤ - مفتاح السعادة جـ ٢ من ص ١٩ .
١٥ - هدية العارفين جـ ٦٦٦/١ .
١٦ - طبقات المفسرين للداودى جـ ١ ص ٣٨٠ ترجمة ٣٣١ .

الصوم

في القرآن الكريم

للأستاذ : أحمد عزت البرادعي

تذكر المعاجم اللغوية لمادة (صوم) معاني متعددة ، غير انها كلها تدور في فلك الإمساك عن الشيء والترك له .

ففي معجم « مقاييس اللغة » لابن فارس (الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان ، من ذلك صوم الصائم ، هو إمساكه عن مطعمه ومشربه وسائر ما منعه ، ويكون الإمساك عن الكلام صوماً ، قالوا في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾[1] إنه الامساك عن الكلام . وأما الركود فيقال : للقائم صائم ، وقال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصوم ركود الريح ، والصوم استواء الشمس عند انتصاف النهار ، كانها ركدت عند تدويمها ، اي (دورانها) .

وفي « أساس البلاغة » للزمخشرى صام ، صمت ، صامت ، الريح ركدت . وفي « القاموس » للفيروز بادى صام صوما وصياما واصطام ، أمسك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير والصوم : الصمت وركود الريح .

وفي « لسان العرب » لابن منظور الصوم في اللغة : الإمساك عن الشيء والترك له ، وقيل للصائم صائم لامساكه عن الطعام ، وقيل للفرس لإمساكه عن العلف مع قيامه .

قال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام ، أو كلام ، أو سير فهو صائم . فهذه النصوص اللغوية تبين أن الصوم من الناحية اللغوية يدل على الإمساك ، أو التوقف عن فعل شيء ما ، أو ترك التنقل من حال إلى حال .

ومعنى الصوم شرعاً وثيق الصلة بمعناه من الناحية اللغوية ، إذ هو الإمساك عن المفطرات ، مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات ، وعدم الوقوع في المحرمات ، لقول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه من أجله)[2] .

فالصيام شرعاً إمساك عن المفطرات من طعام وغيره بشرط أن تصحبه نية ليكون عبادة وطاعة ،

---

(١) من الآية ٢٦ من سورة مريم .

(٢) رواه البخاري .

مع مراعاة آدابه، ليؤدى الصوم رسالته على أكمل وجه، وأكرم غاية.

في القرآن خمس عشرة مرة:

فإذا تركنا معاجم اللغة الأمهات إلى القرآن الكريم كتاب العربية الخالد وبيانها المعجز، ألفينا أن مادة: الصوم قد ورد ذكرها فيه خمس عشرة مرة، سبع في سورة «البقرة»، ومرتان في «المائدة»، و«الأحزاب» وفي كل من «النساء»، و«مريم» و«المجادلة» جاءت مادة الصوم مرة واحدة.

وسأحاول هنا عرض هذه المادة، والحديث عنها حديثاً لا يهتم بالجزئيات والتفريعات واختلافات المفسرين والفقهاء، ولكن يهتم بالمعنى الكلى والفكرة العامة مع ملاحظة ترتيبها في المصحف.

أما سورة «البقرة» فقد وردت فيها مادة الصوم: سبع مرات ثلاث منها في ثلاث آيات متتاليات، وأربع في آيتين غير متتاليتين.

والآيات الثلاث هى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[3] الآية.

والآية الأولى من هذه الآيات تتحدث عن فريضة الصيام، فالله تبارك وتعالى قد كتب علينا الصيام كما كتبه على الذين من قبلنا، لأن قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾ معناه فرض عليكم مثل قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾[4] وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ﴾[5]..

والقرآن الكريم في حديثه عن الصيام - كما يبدو من هذه الآيات - يسير على طريقته من الترغيب والتحبيب، فالصيام فريضة خالدة على المؤمنين بالله في كل دين، تحقيقاً لوصل قلوبهم بالله واستشعارها خشيته ومراقبته وتقواه، وقد فرض علينا كما فرض على غيرنا، وفي هذا تحبيب للنفوس للإقبال على الحفاظ على هذه الفريضة وأدائها كاملة.

سماحة الإسلام ويسره

ثم قررت الآية الثانية أن الصوم أيام معدودات فليس فريضة العمر، وتكليف الدهر، ومع هذا فقد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا، والمسافرين حتى يقيموا، تخفيفا وتيسيراً، والذين يمكنهم أن يصوموا ولكن ينالهم بسببه جهد ومشقة بالغة مثل بعض المرضى المزمنين والشيوخ الهرمين، لهم أن يفطروا، وأن يطعموا كل يوم مسكينا فدية عن أنفسهم، ومن أراد أن يغالب المشقة مادام ذلك في طوقه دون ضرر ولا عاقبة سيئة كإحداث مرض بسبب الجهد أو زيادة ضعف يؤدى إلى الاستعداد للمرض، كمن أراد أن يغالب المشقة دون حدوث هذه المضاعفات فمن الخير له أن يصوم: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ[6] يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

أما الآية الثالثة فقد حددت وقت الصيام وزمانه فهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس، فهو شهر له منزلة خاصة وفضل كبير، فيه نزل القرآن الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور ورسم لهم سبيل الرشاد والفلاح في العاجلة والآجلة فهو شهر خليق بأن

(٣) من الآية ١٨٣ - الآية ١٨٥ - من سورة البقرة.
(٤) من الآية ٢١٦ من سورة البقرة.
(٥) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة.
(٦) من الآية: ١٨٤ من سورة البقرة.

الصوم في القرآن الكريم

يتقرب فيه إلى الله بالعبادة وذلك عن طريق صيامه وقيامه ، والله الرحيم الرحمن لايريد بعباده العسر ولكن يريد بهم اليسر ، ولذلك رخص للمريض والمسافر أن يفطر ثم يصوم بعد ذلك ، لأن الغرض من الصيام ليس العسر والمشقة ولكن التقوى والطاعة والعمل الصالح .

والصوم على هذا نعمة تستحق الشكر والاعتراف بالنعمة : ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[7]

والآية التى ذكر فيها الصوم مرتين أولاً هي : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾[8] .

تشير هذه الآية إلى أن الصائم بعد إفطاره كان إذا نام ، ثم صحا قبل الفجر فإن المباشرة للنساء والطعام والشراب لا تحل له ، وكان هذا يشق على بعضهم فيخالفونه فخفف الله عن عباده : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ فاباح لهم كل ما يبيحه الفطر طوال الوقت من المغرب إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

روى « البخاري » عن البراء قال كان أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار ، فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى ، وأن قيس بن صرمة الأنصارى كان صائماً ـ وفي رواية كان يعمل بالنخيل بالنهار وكان صائماً ـ فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه ، فجاءت امرأته ، فلما رأته ، قالت : خيبة لك . فلما انتصف النهار غشى عليه ، فذكر ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت هذه الآية : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ ففرحوا فرحاً شديداً فنزلت : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ .. إلخ .. (تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٢٩٤) .

وأما الآية الثانية التي جاءت في سورة « البقرة » ، وذكر فيها الصوم مرتين فهى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[9] .

تتحدث الآية عن الإحصار في الحج ، وهو أن يعرض للمحرم ما يحول بينه وبين إتمام الحج أو العمرة من مرض أو عدو أو سجن مثلا .

فإذا أحصر المحرم عن ركن من أركان الحج ، فإن غلب على ظنه زوال الحصر في مدة يمكنه بعدها إدراك الحج ، أو يتيقن المعتمر قرب زوال المانع في ثلاثة أيام لم يتحلل من إحرامه حتى يتم حجه أو عمرته ، وإن لم يغلب ذلك على ظنه فلو أن يتحلل بذبح ما استيسر من الهدى ، وأقله شاة تجزىء في الأضحية فإن كان الإحصار في

(٧) من الآية : ١٨٥ من سورة البقرة .

(٨) سورة البقرة ١٨٧ .

(٩) سورة البقرة ١٩٦ .

الحرم وجب الذبح فيه وإن كان في الحل فالاحسن ان يرسل الهدى إلى الحرم ليذبح فيه إن أمكن ذلك ، وعليه الا يحل من إحرامه حتى يبلغ الهدى محله ، ويذبح فيه ، فإن لم يمكنه ذلك ذبح حيث احصر ولو في غير الحرم ، ومن عجز عن الشاة أخرج بقيمتها طعاما يجزىء في الفطرة ، وفرقه على مساكين المحل الذى احصر فيه ، فإن عجز صام عن كل مد يوماً ، ولا تسقط الفريضة بذلك عن المحصر ولكن عليه القضاء .

هذا ما يتعلق بشطر الآية الاول ، اما الشطر الثانى ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ ﴾ .. إلخ فمعناه أن يحرم الرجل - من غير مكة - بعمرة في اشهر الحج حتى إذا اداها اقام غير محرم بمكة إلى أن انشأ الحج منها في عامه ذلك قبل رجوعه إلى بلده ، أو قبل خروجه إلى ميقات أهل ناحيته ، فإذا فعل ذلك كان متمتعاً ، ذلك وعليه ما أوجب الله على المتمتع ، وذلك ما تيسر من الهدي يذبحه ويعطيه للمساكين بمنى أو بمكة فإن لم يجد صام ثلاثة ايام وسبعة إذا رجع إلى بلده ، وليس له صيام يوم النحر بإجماع المسلمين ، واختلف في صيام أيام التشريق - (تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٣٦٨) .

صيام الكفارة

وفي سورة « النساء » يقول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾(١٠) .

موضوع هذه الآية القتل الخطأ وآثاره وهى تشير في مستهلها إلى أن القتل العمد محرم لأنه كبيرة لا ترتكب مع إيمان ، فما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً عمداً .

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾(١١) .

اما إذا وقع القتل الخطأ فإما أن يكون القتيل مؤمناً من قوم مؤمنين فيجب عندئذ تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، وإما أن يكون مؤمناً ولكن اهله كفار بينهم وبين المسلمين عداوة ، ففى هذه الحالة لادية لأنه لا يجوز أن يدفع المسلمين مالهم إلى عدوهم ليحاربهم به ، ولكن يجب تحرير رقبة مؤمنة ، تعويضاً للحياة وللمؤمنين عن ذلك القتيل ، فإذا كان هذا من قوم معاهدين أو ذميين معصومى الدم ، بينهم وبين المسلمين ميثاق وعهد ، فيجب تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، ولا يذكر النص إن كان هو مؤمناً أو كافراً أو ذميا مما يشعر بأن الميثاق يسوى بين الجميع في الدية والفدية ، وهذا موقف تشريعي لا نظير له في التشريعات الوضعية ، عدالة مع الجميع ، ومراعاة لحقوق المعاهدين والمستامنين ومساواتهم بغيرهم من المسلمين ..

فإذا عجز القاتل عن تحرير رقبة بأن لم يجدها ، أو يجد ثمنها ، وكذلك إذا عجز عن دية يدفعها ، فعليه صيام شهرين متتابعين ، شهرين يراقب فيهما ربه ، ويطهر نفسه بحبسها عن شهواتها لتصفو ، وتتخلص مما بها من ادران الإثم ، ليلقى المؤمن ربه طاهراً خالياً من الذنوب والأوزار .

---

(١٠) الآية ٩٢ .

(١١) النساء ٩٣ .

الصوم فى القرآن الكريم

وفى سورة « المائدة وردت مادة الصوم فى آيتين : ـ

الأولى ـ ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١٢) .

الثانية ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾(١٣) .

تتحدث الآية الأولى عن عدم المؤاخذة فى لغو اليمين ، وعن الحنث فى اليمين المراد وكفارته ، واللغو فى اليمين هو قول الرجل فى الكلام من غير قصد لا والله وبلى والله ، وقيل : اليمين فى الغضب ، وقيل : فى النسيان ، وقيل : هو الحلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك لقوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(١٤) .

قال الراغب : اللغو من الكلام ما لايعتد به ، وهو الذى يورد لا عن روية وفكر ، فيجرى مجرى اللغو وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور ، إلى أن قال : ومن اللغو فى الأيمان أى مالا عقد عليه وهو ما يجرى وصلا للكلام بضرب من العادة .

والقرآن الكريم عندما يبين أن لغو اليمين لاشىء فيه فإنه يؤاخذ المسلم على حنثه فى يمينه المقصود ، ففرض عليه نظير حنثه كفارة إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يأكل الناس أو كسوتهم فإذا لم يستطع ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام ، وهى أدنى ما يكفر به عن يمينه فإن عجز عنها لمرض نوى الصيام عند القدرة فإن لم يقدر استغفر ربه لعله يقبله ويعفو عنه . والآية بعد هذا تدعو إلى حفظ الايمان فلا تبذل فى كل مجال ولا تقال إلا لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وقوله : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ ايماء إلى التقليل من الأيمان الصادقة فضلا عن الكاذبة وصدق الله العظيم : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ ﴾ .

أما الآية الثانية فتتحدث عن الصيد فى الحرم ، فقد جعل الله مكة حرما ، وجعل بيته فيها مثابة للناس وأمنا ، فالمحرم لا يجوز أن يقتل صيدا فيها وهو الحيوان الوحشى غير الضار ، وكما لا يجوز قتله لايجوز صيده أو تنفيره ، فمن قتل صيدا ـ وهو محرم ـ فكفارته أن يذبح بهيمة من الأنعام من مستوى الصيد الذى قتله ، فالغزالة مثلا تجزىء فيها نعجة ، وهكذا على أن يتولى الحكم فى هذا رجلان عدلان من المسلمين ، فإذا لم يكن هناك من الأنعام مثل الصيد

(١٢) سورة المائدة ٨٩ .
(١٣) سورة المائدة ٩٥ .
(١٤) سورة المائدة ٨٧ .

المقتول ، فالحكمان يقومان بمال يشترى به ذبيحة تذبح عند الكعبة ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ وينال لحومها الفقراء ، هذا أو كفارة طعام مساكين بما يعادل ثمن الهدى المقدر ، أو صيام أيام بعدد المساكين الذين كان ينالهم الإطعام ..

وقد شدد الإسلام فى هذه العقوبة ، ليظل الحرم أمانا ليس فيه ما يعكر الصفو أو يكدر الخاطر حتى ولو كان تنفير حيوان وحشى وليس أدل على شدة العقوبة من قوله تعالى - ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (تفسير الإمام محمد عبده جـ ٧) .

وفى سورة « مريم » جاءت مادة الصوم فى قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾(١٥) .

والآية تشير إلى طرف من قصة مريم ، وعيسى عليهما السلام ، فعندما فاجأ المخاض مريم ، اتخذت من جذع النخلة سندا وستارا وتصورت ماذا سيقول لها الناس وهى العذراء التى لم يمسسها بشر ، فقالت : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ ولكن الملك الذى بشرها بغلامها ناداها لا تحزنى فبجوارك النهر والنخيل ، فكلى من الرطب الطيب واشربى وطيبى نفسا فإذا رأيت أحدا من البشر ينكر عليك أمرك ، فأشيرى إليه بأنك صائمة عن الكلام ولن تتحدثى إلى أحد .

فالصوم فى هذه الآية يقصد به : إمساك عن القول ويؤكده آخر الآية : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ .

وفى سورة « الأحزاب » يقول الله تبارك وتعالى : ـ

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٦) .

هذه الآية تتحدث عن صفات وأخلاق الذين رضى الله عنهم وغفر لهم ، وتجاوز عن زلاتهم وأعد لهم ثوابا عظيما وأجرا جزيلا ، وقد جاء الصوم فيها من صفات ومميزات هؤلاء الأطهار الأبرار من الرجال والنساء .

والآية الأخيرة التى جاءت فى سوره « المجادلة » هى : ـ

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾(١٧) .

البقية ص ٩١٤

(١٥) سورة مريم ٢٦ .
(١٦) سورة الأحزاب ٣٥ .
(١٧) سورة المجادلة ٣ ، ٤ .

مع النبي الكريم في شهر القرآن العظيم

للأستاذ: عبد الحفيظ على القرنى

انزل الله جلت حكمته القرآن الكريم في شهر رمضان ثم انزله على قلب سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون هدى للناس وبينات ، وقد قام النبي - صلى الله عليه وسلم - بإبلاغه لم يخترم منه حرفاً ولم يبدل منه لفظاً ، فهو نعم الصادق الأمين ..

من خصائص النبي :

وقد جلت منزلة النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ربه ، واختصه بالمقام الأسمى والشرف المؤبد ، وقرن بينه وبين كتابه الحكيم ، فقال - سبحانه - ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ - المائدة ١٥ .

فالنور هو سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كما يقول الزجاج - تفسير القرطبى - والكتاب هو القرآن الكريم .

ووصف الله كلا منهما بما وصف به الآخر . فكلاهما هادٍ وكلاهما دليل وكلاهما عصمة لمن اعتصم ومنجى لمن أراد النجاة ، ومفاز لمن رغب في الفوز والفلاح . فقال في حق القرآن الكريم ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ - البقرة ٢ -

وقال في حق النبى - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ - الشورى ٥٢ -

وكلاهما رحمة فقد قال في حق نبيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ - الانبياء ١٠٧ -

وفي حق كتابه : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ - لقمان ٢ ، ٣ -

وقد اختار الله سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - لينزل عليه هذا الكتاب المنير لأنه مصطفاه من خلقه ومجتباه من عباده . وقرن بينه وبين اسمه العظيم ففى أول طريق يضع المسلم خطواته عليه في الإسلام ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولا إسلام له ما لم ينطق بهاتين الشهادتين وهما معاً طريق الوصول إلى حضرة الحق ومعرفته في الدنيا ومفتاح الجنة والفوز في الآخرة .

وجعل - سبحانه - طاعة الرسول شرطا في

طاعة الله فقال : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ ـ النساء ـ ٨٠

وجعل اتباعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيلة لحبه فقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ـ آل عمران ـ ٣١

واصطفى الله ـ سبحانه ـ آدم ونوحاً وآل إبراهيم ليؤدى ذلك إلى اصطفاء سيد الخلق من هذه الذرية الصالحة النقية المفضلة على العالمين .

اوصافه في القرآن :

وجعل الله القرآن دليلاً للتعرف على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث نطق بأوصافه السنية ، فقال في محكم الآيات : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ـ الأنبياء ١٠٧ ـ وقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ـ القلم ٤ ـ

ودعا إلى وجوب الاقتداء به فقال : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ ـ الأحزاب ٢١ ـ

واثنى عليه بما هو أهل له من الثناء والتكريم فقال في أسلوب استفهامى تقريرى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ـ الشرح ١ : ٤ ـ

وخاطبه بكل الحب والتقدير فقال له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً . وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ ـ الاحزاب ٤٥ : ٤٧ ـ

وقال له : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ـ آل عمران ١٥٩ ـ

ثناء عليه وعلى أصحابه :

واثنى على أصحابه معه فقال : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ . ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ ـ الفتح ٢٩ ـ

تعزيته له :

وعزاه عما كان يصيبه من آلام وأحزان بسبب عصيان قومه وإعراضهم عن دعوة الحق فأحسن تعزيته ، فقال له : ﴿ طه . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ . تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ﴾ ـ طه ١ : ٤ ـ

وقال له : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ ـ الكهف ٦ ـ
وقال له : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ ـ لقمان ٢٣ ، ٢٤ ـ

وتولى الدفاع عنه في مختلف المواطن التي كان قومه يهاجمونه فيها ، ولم يكله إلى نفسه في الدفاع . فإن قالوا له : انت شاعر قال الله لهم

مع النبي الكريم

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ ـ الحاقة ٤١ ـ

وقال لهم : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ ـ يس ٦٩ ـ

وإن قالوا له : أنت كاهن قال لهم : ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ـ الحاقة ٤٢ ـ

وإن قالوا له : أنت ساحر فضح القرآن صاحب هذا القول وتوعده بأشد أنواع العذاب وحكى فعله وقوله تهكماً وسخرية منه : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ ـ المدثر ١٨ : ٢٩ ـ

وإن قالوا له : أنت تفترى هذا القول قال لهم : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ـ يونس ٣٧ ـ

وإن قالوا له : هذه أساطير الأولين فضحهم القرآن بقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ـ النحل ٢٤ ، ٢٥ ـ

حقيقة الكتاب الذي جاء به :

ثم يوضح لهم حقيقة الكتاب الذى جاء به بعد ذلك بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ـ النحل ٤٣ : ٤٤ ـ

وإن قالوا له : أنت اكتتبت هذا القرآن من غيرك قال لهم : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ـ العنكبوت ٤٨ ـ

وإن قالوا له : إنك تلقيت هذا الكتاب من بشر مثلك عنده علم القرون الأولى والكتب السابقة قال القرآن فاضحا نواياهم ونجواهم : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ـ النحل ١٠٢ : ١٠٥ ـ

دفاع عنه :

وإن وجهوا إليه أي اتهام ظالم دفعه عنه وبرأه منه . دفع عنه ألسنة السوء بتبرئة زوجه الطاهرة من الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ـ النور ١١ ـ

ودفع عنه تهمة الغلول التي حاكت في صدور البعض : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ـ آل عمران ١٦١ ـ

ودفع عنه تهمة توديع الله إياه حين فتر الوحى

فقال : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ـ والضحى ١ : ٥ ـ

ودفع عنه الاتهام الظالم بانه ابتر لاعقب له ، واعطاه ما هو خير وابقى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ سورة الكوثر .

وإن اصابه ضيق سرى عنه قائلا له : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ـ الروم ٦٠ ـ وقائلا : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ . وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ ـ الطور ٤٨ ، ٤٩ .

تنظيم علاقة المؤمنين به :

ولقد وضع الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنزلة اللائقة به ، فخصه بولاية المؤمنين ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ ـ الأحزاب ٦ ـ

وجعله سبب غفران ذنوبهم ووسيلة إيمانهم : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا . فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ـ النساء ٦٤ ـ ٦٥

وطلب من المؤمنين ان يتادبوا في حضرته ولا يفعلوا شيئا بدون إذنه ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ، ولا يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض ، ولا ينصرفوا من مجلسه بدون استئذانه ، فقال في ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . . ﴾ الحجرات ١ : ٥ ـ

وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ـ النور ٦٢ ، ٦٣ ـ

غفران ذنوبه :

وغفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال له في اول سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

ورضى عن الصادقين معه فقال : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ـ الفتح ١٨ ـ

وجعل منزلة محبيه معه في الجنة فقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ

اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ـ النساء ٦٩ ، ٧٠ ـ

وصفه باخص صفاته :

بل لقد وصفه الله بأخص صفاته ـ سبحانه وتعالى ، فجعله رءوفاً رحيماً وقال في ذلك : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ـ التوبة ١٢٨ ـ

وجعله رحمة للعالمين مع أن رحمة الله وسعت كل شيء .

وأسند إليه التطهير والتزكية فقال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ـ التوبة ١٠٣ ـ

وجعل صلاته سكنا لهم فقال : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ ـ التوبة ١٠٣ ـ

وجعل سنته تشريعا فقال ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ ـ الحشر٧ ـ

وكرمه بالصلاة والتسليم عليه وفرض ذلك على المؤمنين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ـ الأحزاب ٥٦ ـ

تكريمه لآله :

وطهر آله من الرجس وبرأهم من العيب فقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ـ الأحزاب ٣٢ ـ

وجعل مودة أهل بيته أمرا مفروضا على أمته فقال : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ـ الشورى ٢٣ ـ

وجعل قضاءه فى أمته قرين قضاء الله لايخرج عنه مؤمن فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ ـ الأحزاب ٣٦ ـ

تبشير الانبياء بدعوته :

وأخذ الميثاق على الانبياء جميعا أن يؤمنوا به ويبشروا اممهم ببعثته وينصروا دعوته فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ـ آل عمران ٨١ ـ

إيثاره على غيره :

وآثره على غيره من الأنبياء بأن أفاض عليه من علمه وحباه من فضله ، فقال له : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ ـ النساء ١١٣ ـ

وطلب منه الاستزادة من العلم فقال له : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ـ طه ١١٤ ـ وخصه بالمقام المحمود فقال له : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ ـ الإسراء ٧٩ ـ

النبى والقرآن :

لقد اختص الله النبى بنزول هذا القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم ، وتلك منزلة لاتدانيها منزلة ، وقال الله فى ذلك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ

﴿ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ـ الفرقان ١ ـ

وضمن له استيعابه وحفظه فقال له : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ـ طه ١١٤ ـ وقال له : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ـ القيامة ١٦ : ١٩ ـ

وثبت به فؤاده فقال له : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ ـ الفرقان ٣٢ ـ

ودعاه إلى التأنى فى تلاوته ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ ـ الإسراء ١٠٦ ـ

وطلب منه التمسك به فقال له : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ـ الزخرف ٤٣ ـ

مرتبة عليا :

واختصه بالإسراء والمعراج وهى أعلى منزلة تقاصرت دونها القمم وعجزت عن إدراكها الهمم .

هذا بعض ماجاء فى شأن هذا النبى العظيم فى القرآن الكريم الذى نزل فى هذا الشهر الذى تتابعت أنواره وظهرت أفضاله .

وما أحرانا أن نعرف للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدره ، ونذكر له فضله ، ونتمسك بدعوته التى جمع الله خلاصتها فى آية موجزة معجزة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ـ الكهف ١١٠ ـ

صلى الله عليك ياسيدى يارسول الله ، ورضى عن صاحب البردة الذى وصفك فأحسن الوصف حين قال :

فمبلغ العلم فيه انه بشر

وانه خير خلق الله كلهم

مع رمضان الكريم

كانوا آية الله في حفظ كتابه

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

إن رمضان يتجدد عطاؤه، ونحن والحمد لله نقرأ القرآن الكريم، أعظم هبات الله للبشرية بأسرها، ومن الخير أن نقرأه مصبحين وممسين وغادين ورائحين. وفى كل مكان وأى حين.

نقرأ لأنفسنا وأخواتنا، ولدنيانا وأخرانا واثقين أنه غذاء القلوب وصفو الأرواح ورى الأفئدة، وأنه ينبوع العلم، وأنه كلام ربنا نناجيه به ونحن نأخذ منه خيرى الدنيا والآخرة..

يقول محمد إقبال: «من خير ما وصانى به أبى أنه قال لى: يابنى: اقرأ القرآن كأنه أنزل عليك».

ويقدر ماأنفق المؤمنون .. والوحى ينزل على رسول الله - صلوات الله عليه - من جهد فى حفظ القرآن وفهمه وتطبيقه، وتتابع على ذلك الأبرار فى عصور الخير ينبغى أن تجعل للقرآن من اهتمامنا أوفر الحظوظ، فلا يكون حظنا منه مجرد أن نسمعه من القراء الذين يحسنون تلاوته، ويتقنون أداءه، ولا مجرد أن نسجله ونودعه أشرطة، يكون حظها الاستماع إليها حينا بعد حين، ولا شيء وراء ذلك من التدبر والتفكر والتذكر والعمل على مقتضى ما أخذنا منها، وإن كان سماع القرآن وتسجيله وتلاوته وكتابته من الأعمال الصالحة، فلا يقوم المرء بشيء من ذلك إلا وهو يعرف حق القرآن عليه بعض المعرفة، بقدر ما أعطى الله من وسائل ومداخل !!

لقد حفظ الأسلاف القرآن، وافرغوا الوسع فى وسائل حفظ المسلمين له، وعته منهم الصدور، وأودعوه السطور، ولم تكن الكتابة فاشية فى العرب، ولا كانت الدفاتر والكراريس والأوراق بعامة متاحة، فقد سطر القرآن أول الأمر على الجلود والعظام والأحجار وبعض قطع الأشجار، وكان فضلاء الصحابة يكتبون منهم: على، وعثمان، وأبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأهل الصفة - رضوان الله عليهم أجمعين.

ويوم كان النبى يستخفى بالدعوة فى دار الأرقم بن أبى الأرقم فى أسفل الصفا، كان الحفاظ يذهبون سرا إلى بيوت من أسلموا فيقرئون أهلها القرآن ويدارسونهم آياته لأن مدارسة القرآن هى مراد الله الأكبر من كتابه ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ سورة ص /٢٩.

وقصة إسلام عمر، بعد أن سمع القرآن - برغمه - فى بيت أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها اللذين سبقا إلى الإسلام، وتقدما عمر - رضوان الله عليهم - فى ذلك .. إن هذه القصة شاهد على

قيام الحفاظ صادقين بواجبهم فى شىء من السرية والكتمان حتى أُمِرَ الرسول بأن يصدع بأمر الله ، ويجهر بما يوحى إليه من كتاب مولاه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الحجر /٩٤ .

وكانت الهجرة إلى المدينة وانتشر الإسلام فى القبائل فكانت مهمة الحفاظ أوسع رقعة وأبعد مدى ، راحوا ينسلون إلى القبائل فى مضاربها ومنازلها ، فيعلمونهم القرآن فإذا مهر بعضهم فى حفظه كلفوه أن يعلم سائرهم ، ثم يشخصون بهذا الجد من قبيلة إلى أخرى فيعلمون أهلها ويَكِلُون إلى بعضهم أن يعلم مَنْ وراءه من قومه .

وهكذا أرى الصحابة والحفاظ من أنفسهم ربهم جدهم فى حفظ الناس لكتابه ، بعد وفاة النبى ﷺ .

ولا عجب أن يكون أداؤهم لهذه المهمة الباسلة على مستوى علمهم بالله وكتابه ، ووفائهم للرسول ورسالته ، وشعورهم بأنهم يؤدون واجباً ضروريا يعود خيره عليهم أفرادا وجماعات فى الحياة وفيما وراء الحياة .

يقول عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - والذى لا إله إلا هو مانزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لاتبعته !!

وقال : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف مافيهن والعمل بهن » .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبى ﷺ ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعا » .

« كان القرآن فى حياة النبى ﷺ وخليفته محفوظا فى الصدور مدونا فى السطور ، والإسلام يتسع مده ، وينتشر فى القبائل ، وكان عمر يرسل إليها قارئا فيستعرضهمْ قبيلة قبيلة ، ثم يعاقب من لم يحفظ شيئا من القرآن ، وهى يقظة عمرية تتصل بعمل أبى بكر - وعمر معه - فى جمع القرآن فى صحائف بعد أن كان مفرقا فى الألواح والجلود والعظام وغيرها » .

والشيخ أحمد رضا يورد فى كتابه الفذ « معجم متن اللغة » تحت عنوان « بدء انحراف العامية عن الفصحى » موقفا يشهد بسهر عمر وغيرته على كتاب الله ، وذَبِّ الظروف ودفع الملابسات التى تضعف من حفظه وبقائه ، وكيف لا وهو القائل سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر /٩ .

قال ابن الأنبارى فى « طبقاته » قدم أعرابى فى زمن خلافة عمر إلى المدينة فقال : « من يقرئنى شيئا مما أنزل على محمد ؟! فأقرأه رجل سورة براءة وقال : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهُ ﴾

بالجر وعطف الرسول على المشركين خطأ .

فقال الأعرابى : « أو قد برىء الله من رسوله ؟! إن يكن الله برىء منه فأنا أبرأ منه » !!

فبلغ ذلك عمر ، فدعاه وقال له : اتبرأ من رسول الله يا أعرابى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولاعلم لى بالقرآن ، فسألت مَن يقرئنى ؟ فأقرأنى سورة براءة فقال : (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) .

فقلت : أو قد برىء الله من رسوله : إن يكن الله برىء منه فأنا أبرأ منه ، فقال عمر ليس هذا ياأعرابى .. فقال : كيف ياأمير المؤمنين ؟! فقال عمر :

﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ورفع رسوله . فهما بريئان من المشركين .

فقال الأعرابى : وأنا أبرأ ممن برىء الله ورسوله منهم .

مع رمضان الكريم

فأمر عمر الا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة » ..

اللغة أيها المفكرون الكبار !!

وكان أبو الدرداء الصحابى الجليل - رضى الله عنه - يجلس بعد صلاة الصبح فى جامع بنى أمية فى دمشق وحوله المسلمون للقراءة عليه، وكان يَصُفُّهم عشرة عشرة ويجعل على كل عشرة عريفا، ثم يبقى هو فى المحراب يرمقهم يمنة ويسرة، فإذا غلط أحد المتعلمين رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفه رجع إلى أبى الدرداء، فصحح له غلطه !!

وقد أحصى أبو الدرداء - رضى الله عنه - تلامذته هؤلاء يوما فزادوا على الألف وسبعمائة، ودين ذى النورين عثمان - رضوان الله عليه - فى جمع المسلمين على المصحف الإمام، فى عنق كل مسلم، حتى لايتفرق الرأى ويتفرق المسلمون أين كانوا باختلاف المصاحف.

ولايزال المستشرقون و « العميان » داخل حدود أمتنا الذين يتقبلون بأعين مغمضة وعقول معطلة كل ما تنفرج عنه شفاه هؤلاء المستشرقين، لايزال هؤلاء وأولئك يتحرشون بالإسلام باسم هذه المصاحف التى قام دونها وعفى عليها المصحف الإمام. ﴿ فَإِنَّهَا لَاتَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴾.

ولقد خط الرسول صلوات الله عليه لصحابته خطة حفظ القرآن والعناية به حتى لا يختلط بغيره من حديثه - عليه الصلاة والسلام -، فمنع أصحابه أن يدونوا شيئا غير القرآن.

وبقى القرآن وحده يسجل ويدون ولم يدون شىء من السنة أول الأمر حتى أذن الرسول فى تدوينها لأفراد كعبد الله بن عمرو بن العاص وأبى شاه اليمنى وأشياء فى العقل والديات لعلى رضوان الله عليهم أجمعين.

وبقى رمضان يضىء الدنيا ويرسل الهدى منذ نزل، وتغيرت الدنيا وتتغير الأفكار فيها والمبادىء، والقرآن بأصالته وشموخه، ووفائه بدين الله وحوافظ الحياة من هبات رمضان وعطاياه يتجدد ويتوطد وإن ورمت أنوف وضاقت صدور.

العواصف تحسر أعداءه، وهو هو على بقائه ونقائه وعطائه للذين يغدون معه ويروحون، ويصحون معه ويمسون، فهم به يُصَلُّون، وبأمره فى الصيام والزكاة والحج والجهاد ومعالى الأمور يعملون، تاركين مانهى عنه وحذر منه.

وبقاء القرآن ينير البصائر، ويرطب الألسنة ويعطر الحياة ويصحح موازينها، ويكشف منهج الله للمؤمنين، كان شغل الابرار، ومبعث اهتمامهم.

والإمام ابن الحاج يسدى فى أحد كتبه فصلا لمن يحبون أن يحيوا للقرآن فيقول: « من كان يتفلت منه القرآن فليقم به فى الليل فإن ذلك يثبته له » ..

وأبو داود يروى بسنده عن رسول الله ﷺ قوله:

« من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين .. » .

إن الحياة بالقرآن هى الحياة، وإن الغفلة عنه والاشتغال بغير القرآن وهو لايمنع من تناول غيره بإحسان وإتقان هى الغفلة والضياع،

ونعوذ بالله ان نكون عن كتابه من الغافلين.

حول ليلة القدر

للأستاذ الدكتور
عبد البصير خليفة حسن

وجه التسمية بليلة القدر .

قال القرطبي - رحمه الله - إنما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها ، من قولهم : لفلان قدر ، أى شرف ومنزلة . قاله الزهرى وغيره .

وقيل : سميت بذلك ؛ لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا .

وقال أبو بكر الوراق : لأن من لم يكن له قدر ولا خطر ، يصير فى هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها .

وقيل : سميت بذلك لأنه - سبحانه - أنزل فيها كتابا ذا قدر ، على رسول ذى قدر ، على أمة ذات قدر .

فضل هذه الليلة :

إن فضلها عظيم . وقد وصفها الله تعالى فى كتابه بأنها ليلة مباركة ، بوركت وشرفت بنزول القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾(١) وهذا تفضيل مابعده تفضيل .

وقد فخم الله أمرها وشرف قدرها بقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾(٢) حتى جعلها كأنها خارجة عن دراية الخلق ، لايدريها إلا الله سبحانه وتعالى ، والأوقات يفضل بعضها على بعض بما يحصل ويكون فيها من الخير والنفع والعطاء .

وقد أخبر تبارك وتعالى عما فيها من الإحسان والتفضيل فقال : ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أى ألف شهر ليس فيها ليلة قدر ، وأخبر أيضا أن الملائكة تتنزل فيها ، وأنها سلام وخير كلها ، لايستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أذى . ووضح الرسول - ﷺ - مقدار الثواب وعظمته الذى يعود على من أحياها بالعبادة فقال : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا

←

(١) سورة الدخان - ٣ .

(٢) سورة القدر - ٢ .

حول ليلة القدر

غفر له ماتقدم من ذنبه » . البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

هذه الليلة خاصة بالأمة المحمدية المشرفة :

روى الإمام مالك ـ رحمه الله ـ فى الموطأ عمن يثق به (أن رسول الله ـ ﷺ ـ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك ، فكأنه تقاصر أعمار أمته الا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر) .

وأورد السيوطى ـ رحمه الله ـ فى « الخصائص » حديث أنس عند الديلمى ، قول رسول الله ـ ﷺ ـ :(إن الله وهب لأمتى ليلة القدر ، ولم يعطها من كان قبلهم). وفى إثبات هذه الخصوصية للأمة الإسلامية يقول النووى ـ رحمه الله ـ فى المجموع : وهو الصحيح المشهور الذى قطع به أصحابنا كلهم وجماهير العلماء وبين ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير « سورة القدر » أن صاحب العدة ذكره عن جمهور العلماء ، وحكى الخطابى الإجماع على ذلك .

وذكر صاحب « الفتح » ـ رحمه الله ـ أن عمدتهم أثر الموطأ . وهو محتمل ، فلا يدفع الصريح فى حديث أبى ذر عند النسائى ولفظه : (عن مرشد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن ليلة القدر ؟ قال : انا كنت أسأل الناس عنها ، قلت يارسول الله أخبرنى عن ليلة القدر ، أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : بل هى فى رمضان . قلت : تكون مع الأنبياء ما كانوا ، فإذا قبضوا رفعت ، أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : بل هى إلى يوم القيامة) . وذكر باقى الحديث .

وقد سبق ابن كثير الحافظ ابن حجر بهذا القول ، ووضح الزرقانى ـ رحمه الله ـ فى شرحه « للموطأ » : أن السيوطى تعقب ذلك بقوله : حديث أبى ذر يقبل التأويل ، وهو أن مراده السؤال : هل تختص بزمن النبى ـ ﷺ ـ ثم ترفع بعده ؟ بقرينة مقابلة ذلك بقوله : أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال : بل هى إلى يوم القيامة . فلا يكون فيه معارضة لأثر الموطأ .

هذه الليلة باقية ولم ترفع :

أخرج البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : خرج النبى ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة .

وفى رواية مسلم وأحمد : (فجاء رجلان يحتقان ، معهما الشيطان فنسيتها) . قال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ كما نقله النووى : (اجمع من يعتد به من العلماء المتقدمين والمتأخرين على أن ليلة القدر باقية دائمة ؛ للأحاديث الصريحة الصحيحة فى الأمر بطلبها . قال : وشذ قوم فقالوا : رفعت : وتعلقوا بقوله ـ ﷺ ـ فى الحديث السابق : (فرفعت) . وهذا القول الذى اخترعه هؤلاء فيه غلط ظاهر لأن آخر الحديث يرد عليهم ، حيث قال ـ ﷺ ـ : (وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة) . ولو كان : المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها ا ـ هـ بتصرف .

قال ابن كثير : إن المراد من رفعها رفع علم وقتها عينا ، والذى حدث بشؤم الملاحاة ، ولكنها باقية كما يدل : (عسى أن يكون خيرا لكم) .

وقال الصاوى ـ رحمه الله ـ فى حاشيته على الجلالين : إلغاء وقت عينها .

الحكمة فى إخفائها :

أفاد ابن كثير أنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها فى ابتغائها فى جميع مجال رجائها فكان

أكثر للعبادة . بخلاف ما إذا علموا عينها فإن الهمم تتقاصر على قيامها فقط ، وإنما اقتضت الحكمة إبهامها ؛ لتعم العبادة جميع الشهر فى ابتغائها ، ويكون الاجتهاد فى العشر الأخيرة أكثر ؛ ولهذا كان - ﷺ - يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله - عز وجل - ثم اعتكف أزواجه من بعده .

ويوضح الصاوى السبب فى الإخفاء فيقول : حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد فى خصوصها . والخبر الذى حصل هو الحرص على التماسها حتى تحيى ليالى كثيرة فى الجملة .

قالوا : أخفى الرب أمورا فى أمور لحكم : ليلة القدر فى الليالى لتحيا جميعها ، وساعة الإجابة فى الجمعة ليدعو فى جميعها ، والصلاة الوسطى فى الصلوات ليحافظ على الكل .

محل ليلة القدر من السنة :

قال ابن حزم - رحمه الله - فى « المحلى » ليلة القدر واحدة كل عام ، فى شهر رمضان خاصة ، فى العشر الأواخر خاصة ، فى ليلة واحدة بعينها لا تنتقل أبداً ، إلا أنه لا يدرى أحد من الناس أى ليلة هى من العشر المذكور ، إلا أنها فى وتر منه ، ومن المعروف عن منهج الرسول الكريم - ﷺ - أنه إذا دخل العشر الأواخر من الشهر جد واجتهد ودأب فى عبادة ربه .

ففى المتفق عليه عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبى - ﷺ - كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر » .

ولأحمد ومسلم كان يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيرها .

ومن توجيهاته - ﷺ - فى تحرى هذه الليلة المباركة ما روته أم المؤمنين عائشة - رضى الله - عنها أن رسول الله - ﷺ - قال : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » أخرجه البخارى ومسلم ولفظ البخارى « فى الوتر من العشر الأواخر » . ومن ذلك ما رواه مسلم وأبو داود والترمذى وصححه والإمام أحمد عن أبى بن كعب يقول : وقيل له : إن عبد الله بن مسعود يقول : من قام السنة أصاب ليلة القدر ! فقال أبى : والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان يحلف ما يستثنى ، ووالله إنى لأعلم أى ليلة هى ، هى الليلة التى أمرنا الرسول - ﷺ - بقيامها ، هى ليلة سبع وعشرين . وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لاشعاع لها .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى - ﷺ - قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى ، فى خامسة تبقى » رواه البخارى وأبو داود وأحمد. وفى الباب أحاديث أخرى .

قال الحافظ فى « الفتح » وقد اختلف العلماء فى ليلة القدر اختلافا كثيرا ، وتحصل لنا من مذاهبهم فى ذلك أكثر من أربعين قولا - وبين أن أرجى هذه الأقوال كلها أنها فى الوتر من العشر الأخير ، وأنها تنتقل كما يفهم من أحاديث الباب ، وأرجاها أوتار العشر ، وأرجى أوتار العشر ، عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين ، وأرجاها عند الجمهور : ليلة سبع وعشرين .

قال أبو عيسى الترمذى فى « السنن » مبينا وجه الاختلاف فى الأحاديث قال الشافعى : كأن هذا عندى والله أعلم أن النبى - ﷺ - كان يجيب على نحو ما يسأل عنه ، يقال له نلتمسها فى ليلة كذا ، فيقول التمسوها فى ليلة كذا .

قال الشافعى : وأقوى الروايات عندى فيها ليلة إحدى وعشرين .

وروى عن أبى قلابة أنه قال ليلة القدر تنتقل فى العشر الأواخر . قاله ابن كثير ونص عليه مالك ، والثورى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزنى ، وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو الأشبه والله أعلم . وقد يستأنس

حول ليلة القدر

لهذا القول بما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله ابن عمر أن رجالا من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ (أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر) .

وفيها أيضا عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » . ويحتج للشافعى أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخارى فى صحيحه من حديث عبادة بن الصامت وفيه : « فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » ، ووجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل العلم بعينها فى كل سنة ، إذ لو كانت تنتقل لما علموا بعينها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط . ا . هـ بتصرف .

وقال أبو محمد بن حزم فى « المحلى » : لو كانت تنتقل لما كان لإعلام النبى ـ ﷺ ـ حقيقة ؛ لأنها كانت لا تثبت ولوجب إذ خرج إليهم ليخبرهم بها ـ أن يخبرهم بها عاما عاماً ، إلى يوم القيامة ! وهذا محال .

أمارتها : وقد ورد لتلك الليلة علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضى . منها : فى صحيح مسلم عن أبى بن كعب « أن الشمس تطلع فى صبيحتها لا شعاع لها » . وفى رواية لأحمد « مثل الطس » [٣] ، ونحوه لأحمد من طريق أبى عون عن ابن مسعود وزاد « صافية » . ومن حديث ابن عباس نحوه . ولابن خزيمة من حديثه مرفوعا : « ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة ، وتصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة » .

ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا : « إنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد » .

أى فائدة لمعرفة صفتها بعد فواتها فإنها تنقضى بمطلع الفجر ؟

أوضح النووى أن الجواب من وجهين .
أحدهما : أنه يستحب أن يكون اجتهاده فى يومها الذى بعدها كاجتهاده فيها .
والثانى : أن المشهور فى المذهب أنها لا تنتقل ، فإذا عرفت ليلتها فى سنة ، انتفع به فى الاجتهاد فى السنة الآتية وما بعدها .

وقال ابن حجر : وفائدة كون هذا علامة مع أنه إنما يوجد بعد انقضاء الليلة ، لأنه يسن إحياء يومها كما يسن إحياء ليلها . قال فى « المرقاة » ، وفى قوله : يسن إحياء يومها نظر يحتاج إلى أثر ، والأظهر أن فائدة العلامة أن يشكر على حصول تلك النعمة أن قام بخدمة الليل ، وإلا فيتأسف على ما فاته من الكرامة ويتدارك فى السنة الآتية .

هل تظهر أشياء لمن يراها ؟

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى « الفتاوى » قد يكشف الله لبعض الناس فى المنام أو اليقظة فيرى أنوارها ، أو يرى من يقول

(٣) الطس : وهو بمعنى الطست وهو إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه يغسل فيه .

له هذه ليلة القدر . وقد يفتح على قلبة من المشاهدة ما يتبين به الأمر ، والله أعلم .

وأفاد النووى : أنه يراها من شاء الله تعالى من بنى آدم كل سنة فى رمضان . كما تظاهرت عليه الأحاديث ـ وأخبار الصالحين ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر . وأما قول القاضى عياض عن المهلب بن أبى صفرة الفقيه المالكى لا تمكن رؤيتها فغلط نبهت عليه ، لئلا يغتر به .

ما الذى يستحب لمن يراها ؟

ذكر صاحب « الحاوى » أنه يستحب لمن رآها أن يكتمها ويدعو بإخلاص ونية وصحة يقين بما احب من دين ودنيا . ويكون أكثر دعائه للدين والآخرة أ ـ هـ .

وقد سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ الرسول ﷺ عما تدعو به إن وافقت ليلة القدر فقال لها الرسول ـ ﷺ ـ : « قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » رواه الترمذى وصححه وأحمد وابن ماجه .

هل يحصل الثواب لمن قامها ، وإن لم يظهر له او يتوقف على كشفها ؟

قال الزرقانى : ذهب الطبرى والمهلب وابن العربى وجماعة إلى حصول الثواب لمن قامها ولو لم يظهر له شيء وإلى كشفها ذهب الأكثر ويدل له ما فى مسلم عن أبى هريرة : « من يقم ليلة القدر فيوافقها » . أ . هـ .

قال الحافظ فى « الفتح » قال النووى : فى حديث « من قام رمضان » وفى حديث « من قام ليلة القدر » حصل له ذلك « ومن قام ليلة القدر فوافقها » حصل له ، وهو جار على ما اختاره من تفسير الموافقة بالعلم ، وهو الذى يترجح فى نظرى ، ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يعلم بها ، وإ لم توافق له ، وإنما الكلام على حصول الثواب المعين به .

وفرعوا على اشتراط القول باشتراط العلم بها أنه يختص بها شخص دون شخص فيكشف لواحد ولا يكشف لآخر ، ولو كانا معا فى بيت واحد .

وفقنا الله جميعا لمشاهدة هذه الليلة المباركة . والله أعلم .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تقديم المصلحة المطلقة
على الكتاب والسنة والإجماع
تشريع بالهوى وتعطيل لهذه الأدلة
٢

لفضيلة الدكتور أحمد فهمي أبو سنة

قلنا في مقالنا المنشور في العدد السابق في مناقشة كتاب « الاجتهاد » للدكتور عبد المنعم النمر : إن قوله بتقديم المصلحة المطلقة اى المجردة على أدلة الشرع تقليدا للطوفي ، تصرف في الشرع بالراى وتعطيل للنصوص والإجماعات ، بل لو فتح هذا الباب لادى إلى إلغاء الاحكام الشرعية الفرعية المستمدة من هذه الأدلة معاذ الله .

وبينا ان علماء الإسلام الذين حذقوا مقاصد الشرع واحكموا ادلته كما فهموها عن رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم ، احاطوا المصلحة بقيود ضابطة لها مانعة من الاعتداء على النصوص بان تكون في قالب قياسي او مصلحة مرسلة او استحسان .

وقلنا إن القياس إذا عارضه نص كان فاسد الاعتبار وان المصلحة إذا عارضها نص كانت معلومة الإلغاء ، إلا إذا كانت ضرورية قطعية وهذه المصلحة المقيدة هي التي ارادها ابن القيم وغيره بقولهم : « اين ماتكون المصلحة فثم شرع الله » ، وابطلنا دعوى الطوفي ثم ابطلنا بعض المسائل التي استدل بها المؤلف على تقديم المصلحة المجردة .

وفي هذا المقال نبطل بالحجة باقي المسائل التي اوردها بعون الله .

٨ ـ توبة المحارب لله ورسوله قبل القدرة عليه :

ذكر الدكتور أن القرآن نص على العفو عن قاطع الطريق إذا قطع الطريق وتاب قبل قدرة الدولة عليه بنص الآية الكريمة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) ثم قال : وخالف عروة بن الزبير نص الآية فقال : إن التوبة لا تسقط عند الحد لما في الحرابة من ترويع الآمنين وهذا تقديم للمصلحة على النص واستند في هذا إلى ما نقله ابن جرير في تفسيره .

والمطالع لابن جرير يجده كعادته بعد ذكر

---

(١) سورة المائدة آية ـ ٣٤ ـ .

الآية . قال : اختلف أهل التأويل في تأويل الآية وذكر خمسة أقوال فذكر منها قولاً نسبه إلى عروة قال : « وقال آخرون بل عنى بالاستثناء ذلك التائب من حربه لله ورسوله والسعي في الأرض فساداً بعد لحاقه في حربه بدار الكفر فأما إذا كانت حرابته وهو مقيم في دار الإسلام وداخل في غمار الأمة فليست توبته واضعة عنه شيئاً من حدود الله ولا من حقوق المسلمين والمعاهدين بل يؤخذ بذلك » .

ثم روى هذا القول بسنده إلى عروة قال : سئل عروة عمن تلصص في الإسلام فأصاب حدودا ثم جاء تائبا فقال : لا تقبل توبته لو قبل ذلك منهم اجترءوا عليه وكان فسادا كبيرا ولكن لو فر إلى العدو ثم جاء تائبا لم أر عليه عقوبة[٢] : ففهم عروة من قوله تعالى : ﴿ تَابُوا ﴾ اى بعد اللجوء إلى دار الحرب وهو كما نرى فهم منه لمعنى الآية كما نزلت وخالفه غيره في هذا التفسير : ذكر ابن العربي أن هذا القول أحد الأقوال في تفسير الآية . وأنه قول ضعيف .

ومن هذا البيان يتضح أن قول عروة ليس مصلحة رآها وقدمها على الآية بل هو رأى له في تفسيرها .

٩ ـ « إعطاء بني هاشم من الزكاة » :

يرى الدكتور في صفحة « ٩٧ » أنه كان يحرم على بني هاشم أخذ الصدقات بما رواه مسلم من قوله ﷺ : « إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » ويجوز عند بعض الفقهاء إعطاؤهم منها الآن لأنهم لا يأخذون من الغنائم ، ورجع إلى شرح معاني الآثار للطحاوي .

والذي في هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ تصدق على أرامل بني عبد المطلب وحمل الطحاوي ذلك على أنه هبة كالهبة للغني وليس صدقة ، وما ذكره المؤلف من دفع الزكاة إلى بني هاشم هو رواية ضعيفة عن أبي حنيفة ، واستدل عليها صاحب الهداية بقوله ﷺ : « يابني هاشم إن الله كره لكم غسالة أيدي الناس وأوساخهم وعوضكم منها بخمس الخمس » وهذا معنى ما رواه أحمد والنسائي ووجه دلالته أن الرسول ﷺ جعل خمس الغنيمة عوض الزكاة ، وأن بني هاشم لا يأخذون خمس الغنيمة من عهد الخلفاء فلهم أن يأخذوا المعوض عنه الآن وهو الزكاة[٣] . وقد رجح ذلك الرأى ابن تيمية .

وقال : يجوز أخذهم من الزكاة إن منعوا الخمس لأنه محل حاجة أو ضرورة ، فإعطاء الزكاة لبني هاشم عند من يقول به ليس مصلحة عارضت النص بل هو مستنبط من الحديث السابق .

١٠ ـ « إعطاء الأجر على إمامة الصلاة وتحفيظ القرآن وغيرهما من القُرَب » :

قال المؤلف في صفحة ٩٨ : ولم يكونوا يأخذون من قبل نظرا للأرزاق التي كان يغدقها عليهم الخلفاء والولاة فلما انقطعت عنهم أخذوا الأجر للضرورة .

اختلف العلماء في هذه المسألة ، فجوزها الشافعية وهي رواية عن أحمد لحديث اللديغ الذي رقاه بعض الصحابة بالفاتحة وأخذوا شيئاً من المال فلما سألوا النبي ﷺ قال : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله عز وجل » ، وقاسوا

←

(٢) انظر ابن « جرير » في تفسير الآية .

(٣) « فتح القدير » شرح الهداية ـ جـ ٢ ، ص ٢٤ . شرح « معاني الآثار » جـ ١ ، ص ٣١ . كشاف القناع جـ ٢ ، ص ٢٩١ .

٨ — تقديم المصلحة المطلقة

أخذ الأجر على القُرَب : على المهر إذا كان حفظ شيء من القرآن لحديث « زوجتكها بما معك من القرآن »[٤] وقاسوه أيضاً على العمل على الصدقات حيث يجوز أخذ الأجرة عليه[٥] .

ومنعه الحنفية وهو مذهب الحنابلة[٦] لحديث : « اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به »[٧] : لكن لما كان القائمون بالأمور الدينية التى لابد منها يأخذون أرزاقهم من بيت المال فلما منعوا من ذلك أجاز الحنفية أخذ الأجر عليها للمصلحة المرسلة الضرورية الراجعة إلى حفظ الدين ، والمصلحة المرسلة الضرورية تقدم أنه يجوز تخصيص النصوص بها لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[٨] .

فالنص هنا وهو الحديث خصص بمصلحة مرسلة ضرورية قطعية لثبوتها بكثير من الأدلة لا بمصلحة مجردة .

١١ — « مسألة المؤلفة قلوبهم » :

ذكر تبارك وتعالى من مصارف الزكاة المؤلفة قلوبهم ، أخرج الطبرانى من طريق حبان ابن أبى جبلة أن عمر رضى الله عنه لما أتاه عيينة ابن حصن قال : « الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[٩] يعنى ليس اليوم مؤلفة .

والتأليف إعطاء الزكاة للترغيب فى الإسلام أو لثبات ضعاف الإسلام عليه أو لدفع الشر عن المسلمين أو للاستعانة بشخص أو جماعة على الدخول فيه لشرفهم فى قومهم .

وقد اختلف فى بقاء سهم المؤلفة قال جمهور الفقهاء إن تأليف القلوب شرع للحاجة إلى إعزاز الإسلام وتقويته وقد يستغنى عنه إذا عز الإسلام وقوى كما كان الحال فى عهد عمر ولهذا قال مقالته السابقة .

فسهم المؤلفة لم يسقط بل توقف لعدم الحاجة إلى التأليف كما لم يسقط سهم الرقاب إذ لم يوجد رقيق ، فلو فرض وجوده صرف إلى الرقاب لتحريرهم ، والسقوط إنما يكون بالنسخ فى حياة النبى ﷺ ولم يوجد .

وقال الحنفية : « إن التأليف كان معللا بعلة وهى إعزاز الإسلام وقد انتهى بانتهائها فلما انتهت سقط ولايعود » والراجح رأى الجمهور .

والذى نريد أن نقرره أن هذا اجتهاد صحيح فى أصله وإن اختلف الفقهاء فى حكم المسألة وليس فيه تقديم للمصلحة على النص ، لكن لايقدر على هذا النوع من الاجتهاد إلا المتبحرون فيه والمشهود لهم بالقدرة والكفاية ، الأمناء على نصوص الشريعة : لأنه محتاج إلى إقامة الدليل على أن النص معلل لاتعبدى وعلى تعيين العلة وعلى بقائها أو انتهائها .

وبهذا نكون بتوفيق الله قد أبطلنا القول بأن المصلحة المطلقة دليل والقول بتقديمها على النص .

---

(٤) « صحيح البخارى » ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب ٢١ ـ

(٥) « مغنى المحتاج » ـ حـ ٣ ، ص ٢٤٤ .

(٦) « كشاف القناع » حـ ٤ ، ص ١٢ .

(٧) « الدراية فى تخريج أحاديث الهداية » حـ ٢ ، ص ١٨٨ .

(٨) سورة الأنعام الآية ـ ١١٩ .

(٩) « الدراية فى تخريج أحاديث الهداية » حـ ١ ، ص ٢٦٥ .

ولهذا لا يحق للمؤلف أن يقول في صفحة ١١٢ : « فما هذه الضجة التي يصطنعها بعض العلماء قصورا منهم عن إدراك الحقائق مدعين الغيرة ومصطنعين العلم » .

ونقول له إن العلماء عندما ردوا هذا الرأى كانوا فاهمين لأصول الشريعة ونصوصها ولم يقصروا في إدراك الحقائق ولم يصطنعوا الغيرة على شرع الله وإنما دفعهم إلى هذا غيرتهم على كتاب الله وسنة رسوله فانكروا ماسمعوه دفاعا عن شرع الله ونشرا للعلم الصحيح وتفنيداً للشبه التي أساسها القراءات غير الفاحصة .

وبهذا البيان أيضاً يتبين أن قول المؤلف في صفحة « ١١٠ » : « إن قول الطوفي ليس بجديد لكن التصريح به ربما يكون هو الجديد » بعيد من السداد إذ لم يقل به أحد قبل الطوفي .

وليس بصحيح أن الغزالى قال بالمصلحة المطلقة بل الصحيح انه ردها كما يتبين هذا من المستصفى[١٠] ، فإنه قسم الوصف المناسب المشتمل على المصلحة إلى أربعة أقسام ما له أصل وهو إما قياس متفق عليه أو مختلف فيه . وما لا أصل له فإن كان ملائما فهو المصلحة المرسلة وإن كان غير ملائم فهو المصلحة المطلقة وعبر عنها بقوله : « ومناسب لايلائم ولا يشهد له أصل معين فلا يقبل قطعا عند القائسين فإنه استحسان ووضع للشرع بالرأى » ومثل له بحرمان القاتل من الميراث إذا علل بمعاملته بنقيض قصده من غير أن يكون له أصل يقاس عليه ، فقد احترز بقوله لم يشهد له أصل عن القياس وبقوله لا يلائم عن المصلحة المرسلة المعروفة بملائم المرسل ، فقد اعتبرها الغزالى دليلاً وخصص بها النص إذا كانت ضرورية قطعية ومثل لها بجواز قتل أسارى المسلمين[١١] إذا وضعهم الأعداء أمام جيشهم ، ولعل منشأ الخطأ في نسبة القول بالمصلحة المطلقة إلى الغزالى هو اشتباه المصلحة المطلقة بالمصلحة المرسلة ، وبالمناسبة نذكر أن الحنفية نصوا في فقههم وأصولهم على منع تقديم المصلحة المجردة على النص ، وعللوه بأنه يؤدى إلى إبطال النص بمجرد التعليل ومثلوا له بقراءة القرآن في الصلاة بغير العربية للقادر عليها ، فإنه لو قيل نزل القرآن باللغة العربية للإعجاز والمقصود من الصلاة مناجاة الله فيجوز بالفارسية ، بطل هذا الكلام لأنه تعليل بالمصلحة في مقابلة النص وإبطال له بها والنص قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ وكثير مثله في القرآن[١٢] .

وليس بصحيح أن بعض الحنابلة المتقدمين على الطوفي قالوا بالمصلحة المطلقة كما يتبين ذلك بمراجعة مابين أيدينا من كتبهم المطبوعة والمخطوطة .

قال المؤلف في صفحة « ١١٥ » : « ومن قبل طاف بأذهان علمائنا الأجلاء السابقين هذا الخاطر ، خاطر سوء الاستغلال باسم المصلحة والغرض . ولذا وضعوا للمصلحة قيوداً وحدوداً » وهذا اعتراف منه بأن المتقدمين عملوا بالمصلحة المقيدة لا بالمصلحة المطلقة وهو موافق لما ذكره الشاطبي في « الموافقات » إذ لم يعمل إلا بالمصلحة الراجعة إلى القياس والمصلحة المرسلة أو الاستحسان فقد ذكر المصلحة المطلقة في الجزء الثاني من كتاب « الموافقات »[١٣] وعرفها

←

---

(١٠) جـ ٢ ، ص ٣٠٥ .
(١١) انظر المقال السابق .
(١٢) فتح القدير ـ جـ ١ ، ص ٢٠٠ ، التقرير والتحبير ـ جـ ٢ ، ص ٢١٤ .
(١٣) ص ٣٩ .

تقديم المصلحة المطلقة

بالمنفعة الغالبة على الفعل التى تراد بها الدنيا للآخرة وذكر المصلحة المرسلة فى الجزء الرابع منه[14] وعرفها بأنها ملائم المرسل ، ووضح هذا المعنى فى كتابه الاعتصام الجزء الثانى[15] بأنها المعنى الملائم لتصرفات الشرع ، وهو أن يوجد لذلك المعنى جنس اعتبره الشارع فى الجملة بغير دليل معين » .

والمؤلف يقول فى صفحة ١١٤ : « إن بعض الناس يقول إن تقديم المصد على النص حقيقة مسلمة لكن لا ينبغى الجهر بها لئلا يسىء استعمالها الجهلة وأصحاب الغرض السيىء ثم يجيب بأن : التصريح بالحقيقة واجب كالحرية لا يمنعنا من بيانها والمناداة بها إساءة بعض الناس فى استعمالها » .

ونحن نقول له : إن القول بتقديم المصلحة المطلقة على النص باطل ومجرىء للجهلة وذوى الأغراض على الشريعة بتغيير أحكامها .. فبين هذا القول وبين الدعوة إلى الحرية مابين الباطل والحق .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

الصوم فى القرآن الكريم - بقية -

الظهار هو أن يحلف الرجل على امرأته بأنها محرمة عليه كظهر أمه ، أو من جرى مجراها من ذوات المحارم التى لا يجوز له التزوج بهن بحال .

فإذا قال الزوج ذلك ثم عاد لما قال ، بأن أراد إمساكها والوطء معا ، أو عزم على وطئها فقط ، فقد اختلف الفقهاء فى تفسير معنى العود (راجع بداية المجتهد لابن رشد) .

إذا عاد الزوج فيجب عليه كفارة قبل أن يطأ زوجته هى : تحرير رقبة مؤمنة فإذا لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن عجز عن الصيام ، أطعم ستين مسكينا ، ثم تحذر الآية بعد ذلك من إهمال حدود الله .

وبعد فقد تحدث القرآن عن الصيام حديثاً مجملاً ، ذكر أنه فرض وأن وقته رمضان وأشار إلى الذين لا يستطيعون أن يصوموا ، وماذا يجب عليهم ، وبين أنه كفارة لبعض الذنوب ، وهذا هو منهج القرآن الكريم عامة في تقرير الأحكام ، ولا يهتم بالتفصيلات والجزئيات ولكن بالقواعد الكلية والأسس العامة ، اللهم إلا فيما اقتضت الضرورة مثل أحكام المواريث وقد تكلفت السنة النبوية بالشرح والتفصيل لأحكام القرآن ، وهى لهذا تعد المصدر الثانى للتشريع الإسلامي .

وقد تحدث القرآن عن الصيام من الناحية الشرعية ، كما تحدث عنه من الناحية اللغوية لأنه كتاب لغة وتشريع ، فلولاه لاندرست العربية في بلاد كثيرة ، ومن أجله وفي سبيل فهمه نشأت علوم وقامت في الوطن الإسلامي نهضة علمية رائعة .

والصيام فضلاً عن كونه عبادة روحية سامية ، وتربية نفسية واجتماعية عالية ، جعله الله بابا من أبواب تكفير بعض الذنوب والخطايا ، ليكون أمام المذنبين مجال رحب لتطهير أنفسهم وتزكية أرواحهم ، وذلك فضل من الله ورحمة والله ذو الفضل العظيم .

احمد عزت البرادعى

---

(١٤) ص ٢٠٦ .

(١٥) ص ١١٥ .

دور الإيمان والعقيدة

في نصر العاشر من رمضان

لــواء أ.ح
محــمد جـمال الديـن محفـوظ

« لقد دخلت حرب رمضان ١٣٩٣ هـ التاريخ دليلاً معاصراً على أن منهج الإسلام في بناء المقاتل العقيدي ، الذي جعل المسلمين في الصدر الأول قوماً لا يقهرون ، مازال من القوة والصحة بحيث يجعل الجيوش التي تعمل به في هذا العصر ، في كل عصر : جيوشا لا تقهر » .

● في العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م ، برهنت مصر وسجل التاريخ أن الأمم الحية ذات الحضارة ، إذا ماتعرضت لهزيمة في معركة ، لا تيأس ولا تستسلم ، بل تحمل أحزانها في صبر وكبرياء ، وتعبر الجسر من الهزيمة إلى العمل الإيجابي لمحو آثارها والإعداد المادي والمعنوي لانتزاع النصر في معركة أخرى .

ولما كانت الوقائع الحربية في حياة الأمم ، أحداثاً جساماً ، لها آثارها بعيدة المدى على كيانها ووجودها ومصيرها ، فإن حرب رمضان قد أبرزت من الدروس ماينبغي أن يعيش في وجداننا ، ليكون على الدوام قوة دافعة لأمتنا حتى تحتل مكانتها اللائقة بها في العلياء بين الأمم .

● والحق أنه قد حدث « أمر جديد » في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وهو « النصر العربي » ، وهذا الأمر الجديد دفع القادة وخبراء السياسة والاستراتيجية إلى البحث عن أسبابه ، والباحث المدقق يلاحظ فيما أعلنه أولئك القادة والخبراء من آراء وأفكار أنهم يشيرون إلى أن هناك « عوامل جديدة » أو « غير متوقعة » أو « تغييرات » حدثت في تلك المعركة ، ويتبين له أيضاً أن كل تلك العوامل إنما هي تعبير عن « الروح المعنوية العالية التي كانت تتمتع بها قواتنا المسلحة . » .

● فقد قال الجنرال دافيد اليعازر رئيس الأركان الإسرائيلية : « لكل حرب مفاجآتها ، وكانت أكبر مفاجأة لنا في الحرب هي كفاءة الجندي المصري وتصميمه واستعداده للتضحية ووجود الدافع القوي عنده » .

دور الإيمان والعقيدة

وقال الجنرال حاييم بارليف : « لقد كان الجندى المصرى هذه المرة أكثر جسارة وأشد تصميماً ، وكانت روح الفداء لديه لا نزاع فيها ، تلك الروح التى بلغت حد المخاطرة » .

● وقال أريك سيلفر المحرر فى الجارديان البريطانية : « إن أجهزة الدفاع الجوى المصرية ثبت أنها أكثر جسارة وقوة مما توقع المراقبون وخصوصاً أنه لم يعد هناك مستشارون أو فنيون روس » .

وقال الجنرال أندريه بوفر مدير مركز الدراسات الاستراتيجية الفرنسى : « إن موقف العرب قوى بصورة غير عادية ، ذلك أنهم دخلوا مدرسة الحرب الحديثة وحققوا فيها مستوى ملحوظاً » .

● فالروح المعنوية العالية إذن كانت على رأس عوامل النصر التى جذبت الأنظار والانتباه إلى حد أن يقول جرانفيل واطسن مراسل رويتر عن صيحة القتال « الله أكبر » التى هتف بها رجالنا يوم المعركة : « إن صيحة الله أكبر كانت أصيلة وموحية وقوية التأثير إلى الحد الذى تصور المرء معه أن الجنود ليسوا وحدهم هم الذين يهتفون بها ، بل أيضاً الجبال والرمال والذخيرة والأفق كله ! » .

● لكن الأمر الذى يستحق الدرس والذكر باعتباره من الدروس الغالية النافعة هو كيف استطاعت قواتنا المسلحة تحقيق هذا المستوى الرفيع من الروح المعنوية وإرادة القتال فى أشد الظروف صعوبة وتعقيداً وفى مواجهة أقسى التحديات التى كان على رأسها بالطبع سعى العدو ـ لاستثمار نجاحه ـ إلى تحويل النصر الذى أحرزه إلى نصر استراتيجي ساحق يحقق له غاياته السياسية العليا ، والقضاء نهائياً على الروح المعنوية وإرادة القتال والتشكيك فى إمكانية الحصول على نصر فى معركة أخرى ، وإجهاض محاولات إعادة بناء القوة فى جميع المجالات ؟

ووجه الأهمية فى هذا الأمر ، هو أنه واحد من القيم الحضارية الأصيلة لأمتنا العريقة ، التى يريد لها أعداؤها أن تطمس معالمها لقطع أبنائنا عن مقوماتهم الأساسية المطبوعة بطابع الدين والكرامة وعلو الهمـــة .

حجم التحديـــــات

● ولقد كان حجم التحديات التى واجهناها فى بداية عملية إعادة البناء بعد يونيو ١٩٦٧ ضخماً .

(١) ـ فلقد كانت الروح المعنوية فى حالة تدهور شديد لما أحدثته الهزيمة من ضغوط نفسية هائلة على القوات المسلحة والشعب معاً ، فقد انتابت الجميع صور شتى من الضغط النفسى الذى نشأ فى داخلهم وفيما بينهم كالشعور بالإحباط والحزن ولوم النفس والغير وتبادل الاتهامات إلى غير ذلك من أساليب « التدمير الذاتى » التى كانت أخطر عقبة فى سبيل إعادة البناء حتى لقد قدر أكثر المتفائلين أننا لن نفيق من تلك الحالة قبل عشر سنوات إن لم يكن أكثر .

(٢) ـ وبالإضافة إلى هذه الضغوط النابعة من الداخل ، كانت هناك الضغوط الخارجية المتمثلة فى حملات الدعاية والحرب النفسية الضارية التى تستهدف توجيه ضربة قاضية إلى روح المقاومة والصمود وإرادة القتال من خلال مايلى : ـ

١ ـ تعميق الشعور بالإحباط وفقد الثقة بالنفس

والسلاح والقادة والقيادة .

٢ ـ إحداث الفرقة بين الشعب وقواته المسلحة .

٣ ـ غرس الإحساس بالتدني والعجز وتنمية عقدة النقص في مواجهة التفوق التقني (التكنولوجي) للعدو ومصادر إمداده بالسلاح والمعدات .

٤ ـ ترسيخ الاعتقاد بأننا نواجه عدواً « لا يقهر » .

وأذكر أن جنودنا فتحوا عيونهم ذات صباح على لوحات قد غرست على الضفة الشرقية لقناة السويس تقول : « إذا كنت تسأل عن أسباب الهزيمة [١] ، فاتصل برقم ٦٧٥٦٤٨ » .. والرقم يبدو لأول وهلة كرقم هاتف ، لكن سرعان مايتضح أنه يتألف من سنوات المعارك ٤٨ ـ ٥٦ ـ ٦٧ . أى أنه يقول للمقاتل المصرى ـ وهو فى أشد حالات المعاناة النفسية ـ لماذا تسأل عن أسباب الهزيمة هذه المرة ، وأنت دائماً مهزوم ؟ .. إن تاريخك كله هزائم ، فقد هزمت من قبل فى ٤٨ وفى ٥٦ فلماذا تسأل عن سبب هزيمتك فى ٦٧ ؟ .. إنك أنت رجل الهزائم !!!

لقد كان ذلك مثالاً لحملات الحرب النفسية الضارية لتغذية أحاسيس « التدمير الذاتى » للإجهاز التام على إرادة القتال .

٣ ـ ثم كانت هناك التحصينات والعوائق والموانع التى أقيمت على الضفة الشرقية للقناة وعلى رأسها الساتر الترابى وخط بارليف وقاذفات اللهب ، الأمر الذى جعل أكثر الخبراء تفاؤلاً يقدرون أن العبور واقتحام تلك الموانع سوف يكلفنا عشرات الألوف من الخسائر فى الأرواح ، وكان ذلك أيضاً من أصعب العقبات التى واجهناها فى عملية استعادة الروح المعنوية .

فلابد أن يكون لذلك أثره على الروح المعنوية لمن يستعدون للمعركة المقبلة .

٤ ـ وأخيراً كانت هناك غير ذلك مشكلات استراتيجية وإدارية بالغة التعقيد .

متطلبات إعادة البناء النفسي والمعنوي

● وهكذا يتضح حجم التحدى الذى واجهناه ، والذى يزيد من إدراكنا له أن نقارن بينه وبين حجم التحدى فى عملية إعادة بناء السلاح والمعدات ، ففرق كبير بين أن يصاب الإنسان « بالعلة الجسمية » وأن يصاب « بالعلة النفسية » ، وفرق كبير فى متطلبات العلاج والإصلاح بين هذه وتلك .

● أما عملية إعادة البناء المعنوى فقد انطوت على عدة مهام جسام كما يلى :ـ

أولاً : إزالة الآثار المعنوية للهزيمة وماصاحبها وتلاها من حملات الدعاية والحرب النفسية .

ثانياً : تحصين أفراد القوات المسلحة ضد الدعاية والحرب النفسية وسد كل المنافذ أمامها .

ثالثاً : إعادة بناء الروح المعنوية وإرادة القتال ، ليس فقط إلى مستوى متكافىء مع العدو « المنتصر » ، بل إلى مستوى أعلى منه « يضمن » النصر عليه فى معركة قادمة « لا بديل فيها عنه » .

● وإنه ليثلج صدر كل مسلم أننا لم نذهب شرقاً ولا غرباً بحثاً عن نظرية أو أسلوب نتبعه لتحقيق

←

(١) كان السؤال عن أسباب الهزيمة سؤالاً عاماً من قبل الشعب والجيش معاً ، وقد ظل بلا إجابة رسمية فترة من الزمن ، كانت مناخاً صالحاً للحرب النفسية بكل أشكالها .

دور الإيمان والعقيدة

هذه المهام، بل أخذنا بمنهج الإسلام والحمد لله، وقد قام البناء النفسى والمعنوى الجديد على الأسس التالية :

١ - غرس عقيدة القتال وبناء المقاتل العقيدي .

● كان البناء المعنوى لقواتنا المسلحة يفتقر إلى « الركن الأساسى » فيه وهو « عقيدة القتال »، وعقيدة القتال هى « مجموعة المبادىء والأفكار والاتجاهات التى يعتنقها أفراد الجيش فيما يتعلق بالقضية التى يحاربون من أجلها » ..

إن المقاتل الذى يطلب منه التضحية بحياته، يدور فى نفسه دائماً التساؤل عن السبب الذى من أجله يطلب منه ذلك، فعقيدة القتال هى الشىء الذى يجيب عن ذلك السؤال، فإذا عرف المقاتل السبب وامتلأ به قلبه، أصبح مقاتلاً عقيدياً « يقاتل عن عقيدة »، وتصبح العقيدة حافزاً له نحو الاستبسال فى القتال إلى حد التضحية بالروح فى سبيلها .. وهكذا كان لابد من عقيدة قتال لقواتنا المسلحة .

● والجيوش حين تختار لرجالها عقيدة للقتال، تربطها عادة بالسياسة أو المذهب أو الأهداف الوطنية أو المصالح الاستراتيجية، لكننا بفضل الله وتوفيقه اتخذنا لقواتنا عقيدة تتجاوز كل تلك الأهداف وتعلو عليها وهى عقيدة « الجهاد فى سبيل الله »، وإنه لفرق كبير وشاسع بين « الوطنية » و« الجهاد »، وبين القتال فى « سبيل الوطن » والقتال « فى سبيل الله »، فما مقدار تلك القوة التى يمنحها حب الوطن للمقاتل، بالمقارنة بالقوة التى يمنحها له الإيمان بالله خالقه وخالق الوجود كله ؟ قال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ « الحج ٧٨ - واجتباكم يعنى اختاركم ».

وتنطوى عقيدة الجهاد على خصائص مميزة نذكر منها مايلى :-

(١) شرف المهمة وعدالة الهدف

فالجهاد فى سبيل الله فضيلة عليا تجعل المقاتل مقتنعاً تمام الاقتناع بأنه يخوض حرباً عادلة، وأن الهدف الذى يقاتل من أجله هدف شريف يستحق التضحية بحياته فى سبيله، وذلك هو « حجر الأساس » للروح المعنوية، يقول المشير مونتجمرى : « إن التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت، سوف يواجهها المقاتل بقلب جسور إذا كان على علم وإيمان بالغرض الذى يقاتل من أجله ».

(٢) - الجهاد تكليف وتشريف والتزام

إن « اختيار » المولى سبحانه للمجاهد لمهمة الجهاد (هو اجتباكم) تكريم وتشريف له، ففرق بين أن تقول للفرد : « مهمتك كذا .... » وأن تقول : « مهمتك كذا .. وأنا اخترتك لأدائها ».

فلا شك فى أن الاختيار ينطوى على معانى التكريم والثقة والأمل وكلها من أقوى الحوافز المعنوية، ولاشك أيضاً فى أن هذا الاختيار يترتب عليه « التزام » من جانب المجاهد بأن يكون عند حسن الظن به، فيقبل على القتال بكل إقدام وإخلاص لكى « يثبت عملياً » أنه جدير بالثقة التى وضعت فيه، وأهل للتكريم الذى ناله، وقادر على تحقيق الأمل المعقود عليه .

(٣) - الثقة فى معية الله ونصره

ثم إن هذا الاختيار يشعر المجاهد بأنه « من جند الله » وليس هناك أعظم من هذا الإحساس ولا أقوى فى توفير الحوافز النفسية نحو الاستبسال فى القتال، تلك الحوافز التى تبلغ ذروتها فى نفس المجاهد بشعوره وثقته فى معية الله

لجنده ، وثقته فى نصره الذى وعدهم إياه فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ. إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ « الصافات ١٧١ ـ ١٧٣ » ، وقوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ « الروم ٤٧ ».

٢ ـ الله اكبر صيحة القتال

كانت صيحة القتال لقواتنا من قبل هى « عا » ، وهى صيحة حناجر فارغة من المعنى أو المضمون ، فاتخذنا الهتاف الإسلامى « الله اكبر » ، ونظمنا أسلوب تدريب أفراد القوات المسلحة جميعاً على هذه الصيحة الجديدة ، ودخلت بذلك « الله اكبر » واقع الحياة اليومية للقوات المسلحة منذ عام ١٩٦٨ إلى أن قامت المعركة ، فشكلت بذلك جزءاً لا يتجزأ من وجدان رجالنا ، وقد ظهر ذلك جلياً يوم المعركة على امتداد جبهة طويلة من بورسعيد إلى السويس ، وفى كل معركة دارت فى البر أو البحر أو الجو على حد سواء .

وهكذا لم تكن صيحة « الله اكبر » مجرد صيحة حناجر ، وإنما كانت نبضات عاليات لقلوب مفعمة بالثقة فى معية الله للمجاهدين الصادقين ، ومليئة بالإيمان الذى شد عزمهم ، وربط على قلوبهم ، وثبت أقدامهم ، وأنار طريقهم .. فلقد كان رجالنا ـ وهم يهتفون الله اكبر ـ يعلنون أن الله أقوى وأكبر من كل ما فى الكون من قوى وأقوياء ، فلم يبالوا بما كان أمامهم من موانع وحصون يتصدع لها قلب أشجع الشجعان ، أو بما كان يضغط على نفوسهم من حملات الحرب النفسية الضارية ، وصدق الله العظيم : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ « الرعد ٢٨ » .

٣ ـ تجسيد معنى « النصر او الشهادة »

وألقى القادة وعلماء الدين والوعاظ كل ثقلهم فى التوجيه والتوعية نحو تجسيد المعنى العظيم لشعار « النصر أو الشهادة » ، وهو « أن المجاهدين الصادقين لا يقهرون » .

فالمجاهد يضع نصب عينيه أحد أمرين : إما شرف النصر أو شرف الاستشهاد ، يقول الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . « النساء ٧٤ » .

والمتأمل فى المقابلة بين « يقتل » (بضم الياء) و« يغلب » (بفتح الياء) فى الآية الكريمة قد يتساءل : لماذا لم يقل المولى جلت حكمته : « فيغلب » (بفتح الياء) أو « يغلب » (بضم الياء) لأن المقاتل إما أن يكون غالباً أو مغلوباً ؟

والإجابة على ذلك ـ وهو المعنى العظيم الذى تنطوى عليه الآية ـ أن المجاهد المؤمن « لا يغلب أبدا أى لا يقهر » ، وذلك لأنه ينتظر إحدى الحسنيين ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج ، لأنه « فائز » فى كل من النصر أو الشهادة ، غير مغلوب ، كذلك يستشف من الآية أن المقاتل المجاهد « لا يكف » عن قتال الأعداء حتى يكتب له النصر ، فإذا لم يتحقق ، « فالمعركة مستمرة » ما لم تزهق روحه ويقع سلاحه ، كما يفهم أيضاً أن المجاهد الصادق الذى يعد العدة الكافية ويتبع سنن الله فى الأرض لا يمكن أن يقهر ، لأن الله تعالى فى هذه الحالة يكون معه ، ولأنه وعده بالنصر ، ووعد الله لا يتخلف : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٤ ـ ربط التقاليد والمهام العسكرية بالدين

لقد كانت النظم الوضعية هى المتبعة فى غرس التقاليد العسكرية كالطاعة والانضباط فى نفوس

البقية ص ٩٣٦

الفتاوى

للشيخ على حامد

تناول المفطرات وأذان الفجر فى رمضان

س : جرت عادة الناس انهم لا يكفون عن تناول الماكولات والمشروبات وسائر المفطرات ليلاً حتى اذان الفجر ، فما حكم الصيام .
سيد احمد ـ حلوان

جـ :إن الأكل والشرب والرفث إلى الزوجة فى ليلة الصيام ، كل ذلك مباح إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر وهو سواد الليل وبياض النهار ، كما بينه الرسول ﷺ ، فى حديث عدى بن حاتم ، وعن عائشة رضى الله عنها : أن بلالاً كان يؤذن بليل ، فقال رسول الله ﷺ : « كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » .

فأفاد ذلك أن غاية إباحة الأكل والشرب إلى قبيل طلوع الفجر بأيسر زمن ، ويحرم الأكل والشرب إذا طلع الفجر ، فمن اكل أو شرب على ظن عدم طلوع ثم ظهر انه كان قد طلع الفجر ، فسد صومه وعليه القضاء ، ويستحب تأخير السحور بحيث يكون بين الفراغ منه وبين طلوع الفجر مقدار قراءة خمسين آية من القرآن ، كما جاء فى حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : تسحرنا مع النبي ﷺ ، ثم قام إلى الصلاة وكان بين الأذان والسحور قدر خمسين آية » .

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : وهذا متفق عليه ، فينبغي العمل به ، وعدم العدول عنه ، لكونه افضل وأحوط .

ومن هذا يعلم : أن الإمساك لا يجب إلا قبل طلوع الفجر وأن المستحب أن يكون بينه وبين طلوع الفجر قدر قراءة خمسين آية ، ويقدر زمناً بعشر دقائق تقريباً .

ـ والله أعلم ـ

النذر وقضاء الحاجات

س : هل يساعد النذر فى قبول الطلب ـ مثل ان يقول الشخص : إن نجح ولدي ، او شفى مريضي ، او قضى الله حاجتى لاصومن او لاذبحن لله تعالى ، فهل يكون ذلك ادعى لان يقضيه الله تعالى ، ام مثله كمثل من لم ينذر ؟.

محمد ماهر
كلية الألسن ـ جامعة عين شمس

جـ : من نذر نذراً فقال : إن نجح ابنى ، أو

غير ذلك ، لأصومن أو لأتصدقن ، أو لأذبحن ، أو لأعطين لوجه الله تعالى : فهذا نذر معلق ، وهو مكروه لما فيه من شبه المكافأة أو الجزاء ، وإذا حدث تحقيق ما طلب وجب عليه الوفاء بنذره . مع العلم بأن النذر لا يقدم ولا يؤخر في إجابة الرغبة التى يريدها .

وللعلماء في الإقدام على النذر آراء :

١ ـ منهم من وقف به عند درجة الإباحة ـ وقد امر الله بالوفاء به ، وذلك لا يكون في الممنوع قال تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ .

٢ ـ ومنهم من قال بأنه مندوب ، وذلك لأن الله مدح به المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ . ولأنه وسيلة إلى قربة وللوسائل حكم المقاصد ، ولأنه يثاب عليه ثواب الواجب وأجابوا على النصوص الواردة في النهي عنه بأجوبة منها :

ـ أنها في النذر المعلق على جلب منفعة أو دفع مضرة ، أو النذر المؤبد كما قال مالك : في مثل : « لله عليَّ أن اصوم كل اثنين وخميس » لأنه ربما يؤديه على كسل وامتعاض أو خوف التفريط في الوفاء به ، أو مع الظن أنه يرد القدر مع الغفلة عن إرادة الله تعالى .

٣ ـ ومنهم من قال بكراهته لورود النهي عنه ، فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبي ﷺ نهى عن النذر وقال : إنه لا ياتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل ـ البخاري ومسلم ـ

٤ ـ ومنهم من قال بحرمته للنهي الوارد عنه ، أو إذا نذر معصية ، أو نذر لغير الله كما كان يتقرب المشركون لآلهتهم . والنذر لغير الله حرام ، ويجب رد المنذور لصاحبه إن عُلم ، وإلا صرف على مصالح المسلمين أو على الفقراء .

ـ والله أعلم ـ

العمل بالبنوك ..

س : موظف يعمل في مصرف تجاري ، ويقوم بتحرير العملية الربوية بالكامل فهل يجوز له هذا العمل ، ام هو داخل في قوله ﷺ : « لعن الله اكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه » .

المختار احمد الزنتاني ـ ليبيا
واحمد عبد الستار ـ جدة ـ السعودية

جـ : إن الربا محرم شرعاً بنص الكتاب والسنة والإجماع ، ومباشرة الأعمال التى تتعلق بالربا فيها إعانة على ارتكاب هذا المحرم وكل ماكان كذلك فهو محرم شرعاً .

فإذا وجد الموظف عملاً آخر وجب عليه أن يترك هذا العمل وإذا لم يجد عملاً فهو مضطر ، قال تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

فإن ضرورة العيش تنزل ـ عند الفقهاء ـ منزلة الضرورة فلا ينطبق عليه الحديث .

ولو اننا قلنا : إن على كل مسلم الا يعمل بالبنوك والمصارف لكانت النتيجة الحتمية هي سيطرة غير المسلمين عليها ـ وفي هذا مافيه على المسلمين .

من أعلام الأزهر

الدكتور عبد الرحمن محمد النجار

بقلم فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

ولد فضيلته : بقرية برارى .. مركز بيلا .. محافظة كفر الشيخ في ١٠/٣/١٩٢٣ م وحفظ القرآن الكريم : بمكتب القرية ، وتلقى تعليمه الأولى : بالمدرسة الإلزامية : التي كانت تابعة لوزارة المعارف العمومية .. ثم التحق بالمعهد الديني الأزهرى الابتدائى ، وحصل على الشهادة الابتدائية .. ثم انتقل إلى المعهد الدينى الثانوى ، وحصل على الشهادة الثانوية بتفوق .. ثم التحق بكلية أصول الدين ونال الشهادة العالية ، وكان من أوائل دفعته .. ثم نال العالمية مع الإجازة في التدريس عام ١٩٥٠ م ، وهى المعادلة لشهادة الماجستير ، كما نال العالمية مع الإجازة في الدعوة والإرشاد عام ١٩٧١ م بتقدير جيد جداً ، ثم نال درجة الدكتوراة : مع مرتبة الشرف الأولى : عن الدعوة الإسلامية : في شرق افريقيا ، ونظراً لأهمية هذه الرسالة : اوصت جامعة الأزهر بطبعها وتوزيعها : على جامعات العالم الإسلامي .. وكان عقب حصوله على الشهادة العالمية : يشغل وظيفة واعظ بالأزهر الشريف في ١٩/٧/١٩٥٠ ..

وكان يقوم بأداء رسالته : بصدق وأمانة وإخلاص ، وهمة ونشاط ؛ في المدن والقرى والنجوع والكفور ، وقوات الأمن ، ويتحمل متاعب الأسفار : صيفاً وشتاء ليلاً ونهاراً ، في سبيل نشر دعوة الحق ، وتبصير المواطنين بحقائق الدين وتفنيد مزاعم المستشرقين ، والرد على شبهات ومفتريات وأباطيل أعداء الدين ؛ بلسانه وقلمه .. كما كان يتفاعل مع الشعب ، ويشاركه في أفراحه وأتراحه ، في آلامه وآماله ، ويبذل كل ما في وسعه من جهد ، في نشر الثقافة الدينية الصحيحة ، في غير تعصب ، أو تزمت أو جمود .. كان يدعو إلى المثل العليا ، والأخلاق الفاضلة ، كما كان يعمل ، على مكافحة الانحرافات ، والعادات القبيحة ، والجرائم البشعة : كجريمة الأخذ بالثأر ، والتيارات الفاسدة ، والمفاهيم الخاطئة .. كما كان يدعو إلى إحسان العمل ، وزيادة الإنتاج .. كان يلقى الكلمات المناسبة : في المواسم ، والأعياد الدينية والقومية والمؤتمرات المتعددة ، ويعمل جهد استطاعته : على حل مشاكل الجماهير ،

والإصلاح بين المتخاصمين ، وكان له نشاط ملحوظ في إقامة ندوات للتوعية الدينية ، والقومية ، والصحية في البلدان والقرى ، يتناول فيها الموضوعات الهامة ، التى تتمشى والأحداث الجارية ، وموقف الإسلام منها .. ولم يكن عمله هذا ، حتى بعد أن انتقل إلى التدريس بالمعاهد الدينية مقصوراً على الخطب والمحاضرات والدروس في المساجد ، ولكن تعدى ذلك إلى شتى المجالات ومختلف الميادين ، فقد كان يتصل بالشعب على اختلاف طبقاته اتصالاً مباشراً في أحفاله وتجمعاته : من أفراح ومآتم وموالد ومناسبات متنوعة وينتهز فرصة هذه التجمعات ، فيلقى على الناس عظاته وإرشاداته ، وقد شمل نشاطه في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، والتثقيف الدينى والاجتماعي والأخلاقى ، وسائل الإعلام المختلفة : كالإذاعة والتلفاز والمجلات الدينية والصحافة ، داخل مصر وخارجها .. كما كان له نشاطه في الدعوة إلى المشاريع الخيرية ، والترغيب في بناء المساجد والمعاهد رجمعيات المحافظة على القرآن الكريم ..

لقد كان رحمه الله بحق : نفَّاعاً للناس بأحاديثه الممتعة القيمة ، وعظاته البليغة المؤثرة ، وتوجيهاته الرشيدة الهادفة : التي تَنِمُّ عن عقل مستنير ، وبصيرة واعية ، وبأسلوب ينمُّ عن الحكمة ، وسداد الراى لقد كان ملء الأسماع والأبصار والافئدة ، كان خير مثل يحتذى : في الإيمان برسالته ، لا يميل إلى الراحة ، ولا يجنح للعافية ، بل كان يواصل جهاده ليفيد الجماهير بما يلقيه عليهم من عظات بالغات ، وحكم نافعات .. نعم لقد كان المثل الذى يحتذى به للعالم العامل ، الذى أمده الله بالعلم النافع ، وتوجه بالخلق الكريم ، وجمله بالأدب الوفير ، كان ـ رحمه الله تعالى ـ معروفاً بغزارة علمه ، وسرعة بديهته ، وفصاحة بيانه ، وذلاقة

د . عبد الرحمن محمد النجار

لسانه ، كان معتزاً بدينه وكرامته ، كان معتزاً بزيه وأزهريته ، كان لين الجانب ، رقيق الطبع ، حلو اللسان ، كان جماعا للقلوب ، بعيداً عن الشبهات ومواطن الريب .. جاهد في سبيل ربه ، وأخلص لله في عمله ، فعرف الناس قدره ، وشهدوا جميعاً بفضله ، فكان بحق وارثاً نبويا ..

لقد اختير فضيلته عندما كان يعمل بالأزهر الشريف رئيساً للبعثة الأزهرية ، بجمهورية الصومال ، وكنت والحمد لله أحد أعضاء هذه البعثة حينذاك .. وكان بفضل حكمته وكياسته ، وحسن سياسته : يقوم جميع أعضاء البعثة الأزهرية ، بأداء رسالتهم على خير الوجوه وأحسنها في مجالات التدريس بالمدارس الوطنية ، في جميع أنحاء الجمهورية ، ونشر الثقافة الدينية في المساجد وغيرها ، وكانت رياسة البعثة تصدر مجلة شهرية ، تسمى رسالة الأزهر ، كان لها أثرها الطيب في التوعية الإسلامية ، على أوسع نطاق كما الف فضيلته ، كتابه القيم : « الإسلام في الصومال » .. ثم انتقل إلى العمل بوزارة الأوقاف بتاريخ

←

من أعلام الأزهر

٣١/١٠/١٩٦٣ م .. وقد صدر القرار الوزارى رقم ٣٤ لسنة ١٩٧٢ بإعارة فضيلته : مديراً للمركز الإسلامى بدار السلام بتنزانيا ، وكانت له هناك جهود مشكورة ، ومواقف مشرفة في نشر الثقافة الدينية ، وبشتى الوسائل في ربوع تلك البلاد ..

ثم صدر القرار رقم ١٤٣٧ لسنة ١٩٨١ بتسكين فضيلته بدرجة مدير عام للمساجد الحكومية التابعة للأوقاف ..

ثم صدر قرار بتعيينه مديراً عاماً « للتدريب » عام ١٩٨٢ كما صدر قرار آخر بندبه مديراً عاماً للإرشاد الدينى عام ١٩٨٥ ..

ثم صدر القرار رقم ٢٨٢ لسنة ١٩٨٦ م بندبه رئيساً للإدارة المركزية « لشئون الدعوة » ..

لقد كان ـ رحمه الله تعالى ـ شعلة مضيئة ، تملأ القلوب ، نوراً وأملاً ، والنفوس عزيمة ومضاء حتى دعاه مولاه فلباه ، وكان ذلك في العاشر من شهر نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وثمانين ، ولئن غاب عنا بشخصه ، فهو حى بذكراه في أفئدتنا وقلوبنا ، وسيظل كذلك حيا بآثاره الطيبة بين أحبابه وخلانه ، وعارفى فضله ..

وتقديراً لما سبق أن بذله الفقيد الراحل من جهود مشكورة ، في خدمة الدعوة الإسلامية ، اهدى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية ، في حفل « مؤتمر الدعاة » ، الذى أقيم بالقاهرة ، في السابع والعشرين ، من شهر رجب سنة ألف وأربعمائة وثمان من الهجرة النبوية ، باسمه ، وسام الجمهورية من الطبقة الثانية ، وقام باستلامه ابنه خالد ..

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ..

العلوم الكونية

دوران الأرض حقيقة علمية
أثبتها القرآن الكريم

العلم في منظوره الجديد
دعوة إلى الإيمان على بصيرة

دوران الأرض .. حقيقة علمية

وجهة نظر

أثبتها القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ
محمد علي الصابوني

عصرنا الذى نعيش فيه عصر العجائب والمدهشات ، لا تكاد العين ترى فيه إلا كل طريف وجديد . ما كان مستحيلا منذ قرون ، أصبح واقعا ملموسا فى هذه الأيام . ولا عجب فإنه عصر الذرة ، عصر غزو الفضاء . عصر الأقمار الصناعية ، والمراكب الفضائية ، عصر « التكنولوجيا » الحديثة التى تدهش العقول وتحير الألباب .

ويمكننا أن نقول بحق : إنه عصر ظهور « معجزة القرآن » تأكيداً لقول الله العلى الكبير : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ « سورة فصلت آية ٥٣ » .

والآفاق : هى الأطراف والنواحى ، جمع أفق ، ومعنى الآية كما يقول المفسرون سنظهر للبشر عجائب خلقنا ، وبدائع صنعنا ، فى أنحاء السموات والأرض ، فى الشمس ، والقمر ، والنجوم والأفلاك ، وفى عجائب خلق الله فى أنفسهم ، فى تكوينهم بهذا الشكل البديع ، حتى يظهر لهم أن هذا القرآن حق ، أنزله عليك رب العزة والجلال ، أو لم يكفهم يا محمد شاهداً على صدقك أن ربك شهد لك بالنبوة والرسالة ؟ وبدأ تعالى فى الآية بذكر الآفاق قبل ذكر الأنفس ، لأن عجائب السموات والأرض ، أعظم وأكبر من عجائب خلق البشر ، كما قال سبحانه : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة غافر آية ٥٧ » .

غـــزو الفضـــاء

لقد غزا البشر الفضاء ، وداروا حول كوكبنا الأرضى مـرات ومرات ، وأرسلـوا المراكب الفضائية ، تستكشف أخبار الكون ، وطافت هذه المراكب حول بعض النجوم ، وأرسلت بصور مذهلة عن الأرض وما يحيط بها ، وبعض الكواكب وما تتكون منه ، وما يجرى فيها من أعاصير ورياح ، ووصل بعض رواد الفضاء فعلا

• جريدة الشرق الأوسط ١٩٩٠/١/٣ .

إلى القمر ومشوا عليه ، ونصبوا عليه أعلاما ، وأتوا بشيء من حجارته وتربته ، ورآهم الناس رأى العين وهم ينزلون مركبتهم فوق سطح القمر ، وقد التقطوا صورا للأرض من على ظهره ، وهي تدور ، وتشرق وتغرب ، كما يشرق القمر على أهل الأرض ويغرب عنهم ، ورأوا من عجائب الكون ما لم يكن في الحسبان ، كل ذلك قد تحقق في هذه الأزمان ، تحقيقا لوعد الله عز وجل فيما أخبر عنه ، من إطلاع عباده على بعض آياته في هذا الكون العجيب ، ولو حدثك أحد عن هذا قبل مائة عام مثلا ، لقلت عنه : « إنه مجنون يتكلم بالمستحيل ، من الذى يستطيع أن يطير بين السماء والأرض بدون أجنحة ؟ وأن يدور حول الأرض ويخرج عن جاذبيتها ، فضلا عن أن يصل إلى القمر ، ويجلس عليه ليتناول طعام الغداء أو الإفطار ؟!

ولكنها الحقيقة تتراءى اليوم للعيان ، فها هم رواد الفضاء قد اجتمعوا في المملكة العربية السعودية في مؤتمرهم الخامس منهم من دار حول الأرض مراراً . فيهم رائد الفضاء العربي المسلم سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ، ومنهم من وصل إلى القمر كرواد الفضاء الأمريكان ، ولا ننسى « جاجارين » السوفيتي أول رائد للفضاء دار حول الأرض . وكان أول تصريح له بعد عودته قوله : « لما درت حول الأرض بهرتني روعة الكون فأخذت أبحث عن الله » . كل هؤلاء أثبتوا لنا « معجزة القرآن » فرأوا آيات الله في الآفاق ، كما أثبت لنا التقدم العلمي الباهر ، من دراسة الطب الحديث ، آيات الله في الأنفس ، في تكوين الجنين وتخلقه في بطن أمه ، وفي السمع ، والبصر وسائر حواس الإنسان ، لتتحقق المعجزة في النفس البشرية كما أخبر عنها القرآن : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ « سورة الذاريات آية ٢١ وقبلها ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؟

عجائب الكون تتراءى للأنظار

سينقضي العمر وتبقى عجائب هذا الكون تنشغل عقول البشر ، بما خلق الله في هذا الوجود من آثار القدرة والوحدانية ، وبما أبدع وأظهر من آثار عظمته وجلاله ، بما يدهش العقول ، ويحير الألباب ، مما يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر في آثار مخلوقات الله جلا وعلا .

الكون كله يجرى ويسير ، والفلك يدور ، في هذا الفضاء الواسع ، الذى لا يعلم مداه إلا خالقه ، الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والأرض ، والجبال ، والبحار ، كلها تدور وتسبح ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ وهي في جريانها ودورانها تسجد لله ، وتسبح بحمده ، بلسان الحال أو المقال ، فهي منقادة لله الواحد الأحد ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾ « سورة الحج آية ١٨ » الآية . إنها في دورانها مسخرة بأمر الله ، منقادة لطاعته وحكمه ، كما ينقاد المسلم لربه في صلاته عند ركوعه وسجوده ، فهي بهذه الطاعة والانقياد حالها كحال العابد الساجد الخاضع لرب العالمين .

وكلما خطت البشرية خطوة نحو الحضارة والمدنية ، وكلما تقدمت المخترعات والمكتشفات ، ظهرت آيات الله الكونية في إعجاز القرآن ، وازداد إيمان المؤمن بصدق هذا الكتاب العجيب الذى كان أعظم المعجزات المنزلة على سيد المرسلين .

الأدلة على دوران الأرض

لقد أصبح دوران الأرض حقيقة علمية ←

دوران الأرض..

مقطوعا بها ، مشاهدة بواسطة الصور التى بثتها الاقمار الصناعية ، ورآها رواد الفضاء وهم فى مركبتهم الفضائية ، ولم تعد نظرية تحتمل الجدل والنقاش . فالأرض تسبح فى هذا الفضاء الرحب ، شأنها كشأن سائر النجوم والكواكب . ومن دورانها يتكون الليل والنهار ، ومن جريان الشمس فى مدارها الذى حدده الله لها تتكون الفصول الأربعة ، وقد جاء القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان ، مؤيداً لما أثبته العلم الحديث . بل سابقا له فى الإخبار عن هذه الظاهرة الكونية ، التى اكتشفها رواد الفضاء هذه الأيام ، إما بطريق التلميح ، أو بطريق التصريح غير المكشوف ، لينبهنا البارى ـ جل وعلا ـ على صحة رسالة محمد ـ ﷺ ـ فيما جاء به عن الله عز وجل فى هذا القرآن المعجز ، خاتمة الكتب السماوية .

الدليل الاول

قول الله تبارك وتعالى فى سورة الأنبياء : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ « سورة الأنبياء آية ٣٣ » فالآية تشير إشارة دقيقة لطيفة إلى حركة الأرض ودورانها ، للمتمعن فى النص القرآنى المعجز بنور العلم والبصيرة فإن الليل والنهار ظرفا زمان ، لابد لهما من مكان والمكان الذى يظهر فيه الليل والنهار هو الأرض ، تشرق الشمس وتغرب فيتولد الليل والنهار . ولولا الأرض لما ظهر ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا نور .

فكأنه تعالى يقول : «وهو الذى خلق الأرض والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون اى كل من الأرض والشمس والقمر يسبح فى هذا الفضاء الشاسع» .

ومعنى « يسبحون » يدورون كما قال الحافظ ابن كثير .

قال ابن عباس : يدورون كما يدور المغزل فى الفلكة .

وقال مجاهد : لا يدور المغزل إلا بالفلكة ، ولا الفلكة إلا بالمغزل ، كذلك النجوم والشمس والقمر (تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ١٨٧/٣) ومما يدل على ما ذكرناه أن الآية جاءت بصيغة الجمع ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ولو كان للشمس والقمر فحسب لجاء التعبير بالتثنية « يسبحان » ولكنه أراد بذلك الأرض ، والشمس ، والقمر مجموعة الأرض التى عبر عنها بالليل والنهار ، وأطلق عليها لفظة الخلق ﴿ خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ والخلق لا يكون إلا للشىء الحسى ، لا للظرف الزمانى ، فسبحان من أنزل القرآن بدقائق الأخبار ، وبدائع الأسرار ، تذكرة لأولى الأبصار ، وإطلاق الظرف وإرادة المحل والمكان ، معروف فى اللغة ومشهور ، كقوله عن اهل الجنة : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ « سورة آل عمران آية ١٠٧ » فإن الرحمة صفة لا يمكن أن يحل بها الإنسان ، ولما كانت الجنة هى مكان تنزل رحمة الله ، أطلق ذلك عليها ، فهو من باب إطلاق الصفة على الموصوف ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ « سورة غافر آية ١٣ » أراد بالرزق المطر ، لأنه سبب للرزق الذى به حياة البشر ، ولم يقل أحد من العقلاء : إن القمح والأرز والعدس ، وسائر الفواكه والثمار تنزل بقدرة الله من السماء ، وإنما المراد انه سبحانه ينزل لهم المطر ، الذى هو سبب لخروج الزروع والثمار ، ومثل هذا الإطلاق مشهور عند العرب ، أن يذكر الظرف ويراد به المظروف ، والصفة ويراد بها الموصوف .

وقد يقول قائل : لماذا لم يصرح القرآن الكريم

بأن الأرض تدور ، كما صرح بذكر الشمس والقمر .

والجواب : إن القرآن حكيم كما قال سبحانه : ﴿ الٓر . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ فهو حكيم في تعبيره ، كما هو حكيم في تشريعه ، وقد أمرنا ان نخاطب الناس بقدر عقولهم كما قال على رضى الله عنه . « **خاطبوا الناس بقدر عقولهم اتحبون ان يكذب الله ورسوله** » ؟ فهل من الحكمة أن يكشف القرآن الكريم عن أمور لا تتحملها عقول البشر ، وأن يخاطبهم بما يسارعون إلى إنكاره وتكذيبه ؟ لو قال لهم : إن وسائل النقل ليست هي البغال والحمير والخيل فقط فستركبون سيارات فخمة من الحديد لا تجرها خيول ، وستطيرون في طائرات نفاثة بين السماء والأرض ، بدون أن تكون لكم أجنحة وستدورون حول الكرة الأرضية بالمراكب الفضائية ، بل وستصلون إلى القمر فتجلسون على سطحه لسارعوا إلى تكذيب القرآن ولهذا السر خاطبهم القرآن بأسلوبه المعجز ، بأروع صور البيان والجمال ، فقال تقدست أسماؤه : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وبهذا الأسلوب الرائع . هيأ القلوب والأذهان لاستقبال ما سيتمخض عنه الزمان ، بلا جمود ولا تحجر ، ولا تكذيب ولا استهزاء وذلك من روائع حكمة القرآن وهذا هو السر هنا أنه أطلق على الأرض لفظ الليل والنهار ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ أي كل من الأرض والشمس والقمر يدور في فلك لا يتعداه ولا يتخطاه .

الدليل الثاني

قوله سبحانه في سورة فاطر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ « سورة فاطر آية ٤١ » فالسموات قائمة بدون عمد ، والأرض تدور كبقية الأفلاك في هذا الفضاء الواسع ، ولو كانت الأرض مرتكزة أو واقفة على شيء لما احتاجت إلى إمساك ، فكما أمسك الله تعالى السماء بقدرته أن تقع على الأرض ، كذلك أمسك الأرض أن تضطرب وتتيه في هذا الفضاء ، وأن تقترب من الشمس فتحترق ، أو تبتعد عنها فتتجمد ، وتنعدم الحياة فوق سطحها .

ومما يدل على حركة الأرض أن الله ثبتها بالجبال ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ « سورة النبأ آية ٧ » كما تثبت السفينة بإلقاء الرواسي فيها ، فلولا الحركة فيها ما احتاجت إلى تثبيت وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ « سورة الأنبياء آية ٣١ » أي لئلا تضطرب الناس اضطرابا مخلا ، وتتزلزل تحتهم فلا يستقرون عليها .

قال الحافظ ابن كثير : أي جعل فيها جبالا ارسى الأرض بها ، وقررها وثقلها لئلا تضطرب بالناس وتتحرك ، فلا يحصل لهم قرار عليها ، لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع ، فإنه باد للهواء والشمس ، ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات ، والحكم والدلالات (تفسير ابن كثير ١٨٦/٣) فالأرض تتحرك حركة منتظمة ، ولولا الجبال التي تحفظ توازنها ، لأصبحت كالريشة في مهب الهواء ، ولكنه الخالق الرحيم بعباده . دعمها بالجبال الشامخات . وأحكم دورانها حول الشمس ، وبشكل رتيب منتظم ، وجعل بين الأرض والقمر جاذبية لئلا تطغى البحار على البشر فتغرقهم وتهلكهم . فسبحانه من إله رحيم بر كريم .

لقد شاهد رواد الفضاء الأرض ، تسبح في هذا الأفق البعيد ، رأوها تشرق وتغرب ، وتظهر وتختفي ، فصوروها في حالة الإشراق تبدو منها أجزاء . وصوروها قبل أن تغيب ، رأوها رأى

العين ، فلم يجدوها مرتكزة على شىء ، إنما هى فى هذا الفضاء الواسع ، وهذا ما يثبت لنا حاجتها إلى أن تمسكها يد القدرة الإلهية ، وصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ خذ مثلا يوضح لك الفكرة ، الكرسى الذى تضعه على الأرض ، لا تحتاج إلى أحد ليمسكه لك ، لكن إذا أردت أن ترفعه عن الأرض وتجعله فى الهواء ، فلابد أن تربطه بحبل وإلا سقط على من تحته ، فكذلك الأرض فى ملكوت الله وفضائه الواسع ، أمسكتها يد العزيز الرحيم .

الدليل الثالث

وكذلك حكى تعالى لنا فى سورة يس أن الكون والفضاء الرحب وما حواه من نجوم وكواكب سيارة ، كلها تسبح فى أفلاكها ، وبدأ بالأرض ينسلخ عنها النور فتغرق فى الظلام . وهى فى دورانها حول الشمس ، تستقبل النور والضياء ، ثم يلفها شبح الظلام فإذا الأرض مظلمة قاتمة ، وجعل تعالى ذلك من دلائل قدرته ووحدانيته ، اقرأ هذا البيان المعجز فى أسلوبه وتصويره ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (أى كغصن النخل اليابس إذا تقوس من طول المدة) . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ « سورة يس آية ٣٧ ـ ٤٠ » فقد ذكر تعالى الأرض تشرق وتستنير بضياء الشمس ، ثم يذهب عنها النور والضياء ، فإذا هى مظلمة قد انسلخ عنها الجمال والبهاء . كالشاة التى سلخ جلدها . وذكر الشمس والقمر . ثم ختم الآية بقوله : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ فجاء بصيغة الجمع الدال على الأرض والشمس والقمر . لينبه على حركتها مجتمعة .

الدليل الرابع

وأما الدليل الرابع على حركة الأرض ودورانها فيكاد يكون صريحا على ما ذكرناه ، وهو قول الله عز وجل فى سورة النمل : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ « سورة النمل آية ٨٨ » .

والمعنى : وترى أيها المخاطب الجبال ، تظنها ثابتة فى مكانها وواقفة وهى تسير سيرا سريعا حثيثا ، ذلك هو صنع الله البديع ، الذى أحكم كل مخلوقاته . على غاية الكمال والنظام ، إنه تعالى عليم بما يفعل العباد .

قال الفخر الرازى فى التفسير الكبير : ووجه حسبانهم أنها جامدة ، أن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة . على نهج واحد . ظن الناظر إليها أنها واقفة . مع أنها تمر مرا سريعا (أخرجه البخارى فى الرقاق ١١/٣٢٣ ومسلم فى البعث والنشور رقم ٢٧٩٠) .

وقد يقول قائل : إن الآية وردت للحديث عن الآخرة ، وليست فى الدنيا . والجواب : إن هذا القول بعيد ، بل يكاد يكون خاطئا للأسباب الآتية .

أولا : الجبال تتناثر وتنسف قبل يوم القيامة ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ « سورة الحاقة آية ١٤ » ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ « سورة طه آية ١٠٥ ـ ١٠٧ » فكيف ينظر الإنسان إلى الجبال وهى منسوفة ؟

ثانيا : حديث الصحيحين : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ، كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد » أى أرض بيضاء شديدة البياض ، كقرص الخبز النقى الأبيض ، ليس فيها معلم لأحد ، ولا جبال ولا وهاد ، بل هى مستوية من جميع الجهات .

ثالثا : كيف ينظر الإنسان إلى الجبال في القيامة ـ على فرض وجودها ـ وبين أيديهم الأهوال والشدائد التي تنسيهم أحب الناس إليهم ؟ وقد قال النبي ﷺ فيما روته عائشة عنه : « إن الناس يحشرون حفاة ، عراة ، فقالت : واسوأتاه ، الرجال والنساء جميعا ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال لها الرسول الكريم يا عائشة : الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ، وانظر جامع الأصول ١٠/٤٢٦) .

رابعا : إن قيل : إن رؤية الجبال تكون عند قيام الساعة ، ووقت خراب الدنيا حين ينفخ في الصور ، فالجواب أن الناس يكونون وقت النفخة في فزع واضطراب يفقدهم الرشد والصواب ، ليس عندهم مجال لينظروا إلى الجبال وهي تتحرك لأن الواحد منهم كالسكران ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فمن أين لهم الاستمتاع برؤية الجبال وهي تسير ؟

خامسا : إن الله تعالى لفت أبصار المتأملين في آياته البينات ، لفتة بديعة رائعة ليشعروا بأن هذا في الدنيا فقال : ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ والخراب والدمار لا يسمى صنعا ، ولا يدخل في حيز الإتقان ، وختم الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي عالما بما تفعلونه الآن ، وليس في الآخرة فعل ولا عمل ، إنما هناك دار الجزاء ، فكيف يخاطبهم في أرض المحشر بقوله : إنه خبير بما تفعلون ، وهم لا يستطيعون أن يأتوا بحركة ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ؟

سادسا : وأما مجيء الآية في سياق شدائد وأهوال الساعة : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ الآية . فهذا من الأسلوب الحكيم في مخاطبة عقول البشر ، بما يتفق ومداركهم وأفهامهم ، وهو من خصائص الإبداع القرآني ، إنه تعالى لم يجعل الأمر صريحا مكشوفا حتى لا يتجرأ على تكذيبه تعالى أحد من الكفار ، فلو قال لهم : الجبال تسير وأنتم تحسبونها واقفة في أماكنها لقالوا : هذا مستحيل نحن نراها بأم أعيننا ساكنة في أماكنها ، فكان من الأسلوب الحكيم أن قدم لها بتقدمة عن أهوال الساعة ، حتى إذا جاء عصر الأقمار الصناعية ، والمراكب الفضائية ، وعصر غزو الفضاء ، رأوا بأم أعينهم صدق ما أخبر عنه القرآن ، ولهذا غاير تعالى بين اللفظتين ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ ، ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾ فجاء في الآية الأولى بصيغة المجهول . وجاء في الآية الثانية بصيغة الخطاب للناظر المشاهد الذي يرى الجبال بعينيه واقفة مع أنها تسير ، وأكدها بالصنع والإتقان والإخبار وعن علمه تعالى بأعمالهم في الدنيا ، وهذا ما كشفه لنا الزمان في عصر غزو الفضاء تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

وبعد : فهذا الكتاب المعجز الذي أخبر عن هذه الحقائق العلمية الدقيقة ، جاء به نبي أمي ، لم يتلق علما في مدرسة ، ولا تتلمذ على أستاذ ، ولا يعرف حتى أواخر حياته أن يخط رسالة ، أو يقرأ كتابا ، من أين عرف هذه الدقائق الكونية ، لو لم يوح له بها رب العزة والجلال ؟

ولا يزال الزمان يكشف لنا عن غوامض أسرار الكون ، وأسرار النفس البشرية لتتحقق معجزة القرآن : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ « سورة الإسراء آية ١٠٥ ـ ١٠٦ » .

العلم فى منظوره الجديد..

دعوة إلى الإيمان على بصيرة

عرض وتحليل
ا. د. أحمد فؤاد باشا

إن الإيمان القائم على العقل والعلم لخير ضمان لحماية الإنسان فى هذا العصر الذى شهد من الإنجازات الحضارية المادية ما يفوق كل خيال . والكتاب[1] الذى نعرض لتحليله قد انبثق عن قلب حضارة العصر المادية ليخاطب جميع المثقفين والمفكرين الذين يروقهم أن يجمعوا التأمل والتفكير إلى الإيمان الخالص السليم . وهو كتاب علمى قبل كل شىء ، ولكنه يهدف إلى هدم أركان المادية العلمية ، ويسعى إلى إثبات وجود الله تعالى وبيان الحكمة والغاية من إبداع الكون وخلق الإنسان ، وذلك بالاستناد إلى النتائج التى انتهى إليها أقطاب العلماء والباحثين المعاصرين فى مجالات الفيزياء والرياضيات والكوزمولوجيا والبيولوجيا وعلم النفس الإنسانى وغيرها . ومن ثم ، فإن هذا الكتاب فى مجمله يمكن أن يكون إضافة مميزة إلى ذلك اللون من الكتابة المباشرة التى تعيش عصرها وأفكاره وتطلعاته فضلا عن أنه يعد إسهاما جديداً ، مع غيره من المؤلفات القليلة جداً[2] ، فى مجال الدعوة بأسلوب علمى إلى اجتياز محنة الوجدان والعقل الإنسانيين .

يتحدث الفصل الأول من هذا الكتاب عن « المادة » فى النظامين القديم والجديد للعلم ، فالمادة فى النظام القديم ـ كما يراها « إسحق نيوتن » مكونة من جسيمات كبيرة وصلبة ومتحركة وغير قابلة للاختراق ، ذات أحجام وأشكال مختلفة ، والذرة تعتبر أصغر جسيم يمكن تصوره ، وطبيعة هذه الجسيمات وخواصها ثابتة إلى الأبد . وتقتصر التغيرات التى تطرأ على الأشياء المادية على مختلف عمليات انفصال هذه الجسيمات الثابتة ، وعلى عمليات

---

(١) العلم فى منظوره الجديد ، تأليف روبرت م . أغروس وجورج ن . ستانسيو ، ترجمة د . جمال خلايلى ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٩ . والعنوان الأصلى للكتاب هو : The New Story of Science, by Robert M. Augros and George N. Stanciu, New York 1984

(٢) انظر فى ذلك على سبيل المثال :

ــ العلم يدعو للإيمان ، تأليف أ . كريسى موريسون ، ترجمة محمود صالح الفلكى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ .

ــ الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ، الترجمة العربية ، المختار الإسلامى ، القاهرة ١٩٧٧ .

ــ الله يتجلى فى عصر العلم ، ترجمة د . الدمرداش عبد المجيد سرحان ، مؤسسة الحلبى وشركاه ١٩٧٢ .

اتحادها وحركاتها الجديدة . والقوانين الطبيعية هى التى تنظم حركة المادة فى إطار الزمان والمكان المطلقين اللذين لا يتغيران ولا ينتهيان . ويصف « نيوتن » الهدف المثالى لهذا النظام قائلاً بأن استخلاص مبدأين عامين أو ثلاثة مبادىء عامة للحركة من الظواهر الطبيعية ، ثم إظهار كيفية انبثاق خواص ونشاط جميع الأشياء المادية من هذه المبادىء التى يكون قد تم استجلاؤها ، سيمثلان خطوة كبيرة فى ميدان الفلسفة . وليس للباحث العلمى من دور فى هذا النظام يتجاوز دور المشاهد الحيادى .

ومن الجدير بالذكر أن « نيوتن » لم يكن من المؤمنين بالمذهب المادى ، إذ لم يكن يأمل أن يشرح عن طريق نظريته فى الميكانيكا جميع الأشياء على إطلاقها ، بل « جميع الأشياء المادية فقط » لكن نجاح نظريته فى العديد من المجالات ، ولا سيما فى مجالى الفيزياء والكيمياء ، هو الذى ولد فى النفوس رغبة فى تعميم النظام بحيث يشمل جميع حقول المعرفة بما فيها علوم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد . وعلق علماء القرن التاسع عشر آمالهم فى اكتمال بناء هذا النظام خلال القرن العشرين على أساس افتراض وجود المادة كحقيقة وحيدة لكن القرن العشرين جاء بما يخيب هذه الآمال عندما ظهرت بشائر نظام جديد على أيدى « بلانك » و« اينشتين » و« رذرفورد » و« بور » و« هيزنبرج » و« دى بروى » وغيرهم . فقد أطاحت نظرية النسبية بفكرتى الزمان المطلق والمكان المطلق ، واستعادت ميكانيكا الكم دور الباحث المراقب ليصبح « مشاركا » بعقله وخبرته ، بعد أن كان العلماء والفلاسفة الطبيعيون يعتقدون على نحو يشبه الإجماع أن لاشىء فى الوجود سوى المادة ، وأن قضايا الكون جميعا قابلة للتفسير بلغة المادة فحسب ، وأن لا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية .

وهذا يتطلب الترتيب المنهجى لموضوعات الكتاب إفراد الفصل الثانى للحديث - عن « العقل » ومكانته فى المنظورين القديم والجديد للعلم . فالعقل البشرى من زاوية النظرة المادية القديمة لا يستطيع أن يختار بحرية لأن المادة لا تتصرف إلا بضرورة ميكانيكية ، وتصرفات الإنسان لا يمكن تفسيرها إلا بلغة الغريزة والفسيولوجيا والكيمياء والفيزياء . وقد تطلع علماء القرن التاسع عشر إلى تأكيد نظرتهم المادية بإظهار كيفية انبثاق العقل من المادة ، لكن القرن العشرين جاء بكشوف علمية رائعة تؤكد أن العقل والإرادة ملكتان غير ماديتين لا تخضعان بالموت للتحلل الذى يطرأ على الجسم والدماغ كليهما ، وأن العقل لا آلية الدماغ والأعصاب ، هو المسئول عن الوحدة التى نحس بها فى جميع أفعالنا وأفكارنا وأحاسيسنا وعواطفنا ، ويؤكد هذه النظرة الجديدة للخواص الذهنية والعقلية ما توصل إليه علماء فسيولوجيا وجراحة الأعصاب المعاصرون من أن البحث على النسق الفيزيائى أو الكيميائى لا يمكن أبداً أن يقدم صورة كاملة للعمليات النفسية والروحية والفكرية ، وأن ما بشر به سدنة النظام القديم بزعامة « توماس هكسلى » فيما يتعلق بانبثاق العقل من المادة ، لم يعد أمراً وارداً فى المستقبل[٣] .

←

(٣) توماس هكسلى T.Huxley (١٨٢٥ - ١٨٩٥) هو عالم الأحياء الانجليزى الذى كان من أشد المتحمسين لنظرية داروين فى النشوء والارتقاء ، وهو جد جوليان هكسلى صاحب كتاب « الإنسان يقوم وحده » Man Stands Alone الذى يدعو فيه إلى الإلحاد مستندا إلى أدلة يحسبها علمية ، فانبرى له كريسى موريسون A.cressy Morrison بكتاب « الإنسان لا يقوم وحده Man does not stand alone الذى ترجمه محمود صالح الفلكى بعنوان « العلم يدعو للإيمان » كذلك قام وحيد الدين خان بالرد عليه فى كتابه المعروف « الإسلام يتحدى » . « صاحب التحليل » .

العلم في منظوره الجديد

وإذا انتقلنا إلى الفصل الثالث الذى تناول مبحث الجمال باعتباره مبدأ أساسيا من مبادىء العلوم ، نجد أن النظرة العلمية القديمة ، كما عبر عنها « ديكارت » و« سبينوزا » و« دارون » و« فرويد » تميل إلى اعتبار الجمال خاصة من خواص المراقب ، لا صفة من صفات الأشياء المادية القائمة على خواص كمية كالوزن والحجم والشكل والعدد . وقد ترتب على هذا الزعم أمران هما : اعتبار الجمال مجرد متعة شخصية بلا فائدة أو دور فى اكتشاف حقائق الطبيعة . والبحث عنه فى الفنون الجميلة فقط ، دون أن يكون بينها وبين العلوم الواقعية أى شىء مشترك . بحيث يتوقع من علم الحشرات مثلا أن يسكت عن جمال الفراشة سكون الشعر عن خمائرها الهضمية .

وعلى نقيض ذلك ، نجد الجمال فى النظرة الجديدة وسيلة من وسائل اكتشاف الحقيقة العلمية ، ومقياسا أساسيا للحكم عليها . ويوضح الفيزيائى « هيزنبرج» هذه المقولة معلنا أن الجمال فى العلوم الدقيقة وفى الفنون على السواء هو أهم مصدر من مصادر الاستنارة والوضوح . بل إن « بول ديراك » يقدم معيار الجمال فى الفيزياء على التجربة ، ويرى أن وجود الجمال فى معادلات العالم أهم من جعل هذه المعادلات تنطبق على التجربة . ويشدد الفيزيائى « واينبرج » على الوحدة الجديدة بين العلم والفنون الجميلة ، ويرى أن العلماء ، شأنهم فى ذلك شأن الفنانين ، يعتمدون اعتمادا شديدا على الحدس . والجمال الذى ينشده الفيزيائيون ليس نتاج عاطفة فردية أو خصوصية ، ولكنه يقوم على عناصر من البساطة والتناسق والتناسب والتألق والوضوح نلحظها فى أجمل النظريات الفيزيائية والنظرة الجديدة تبين أن عناصر الجمال غير المرئى والذهنى فى الفيزياء تماثل عناصر الجمال المرئى والمسموع فى الفنون الجميلة .

ويعترف كبار العلماء فى عصرنا بأن ما أحرزوه من كشوف علمية كبيرة مرتبط بحقيقة تقديرهم الخاص لقيمة الجمال فى هذا الكون الفسيح . فهذا هو عالم الفيزياء الفلكية « تشاندراسيكار » يعلن أن الطبيعة تزخر بالجمال الذى نحس به جميعا . وليس مما ينافى العقل أن تشترك العلوم الطبيعية فى بعض جوانب هذا الجمال . ويضيف الفيزيائى « ديفيد بوم » أن « كل ما يمكن العثور عليه فى الطبيعة يكاد يتكشف عن شىء من الجمال فى الإدراك الفورى كما فى التحليل الفكرى على السواء » .

ويقول عالم الفيزياء الرياضية « هنرى بوانكاريه » الذى أسهم فى توسيع مجال علم الرياضيات ووضع عدة مؤلفات فى فلسفة العلم . « العالم لا يدرس الطبيعة إلا لأنها جميلة ، ولو لم تكن كذلك ، لما كانت جديرة بأن تعرف ولما كانت الحياة جديرة بأن تعاش » .

وإذا كان العلماء ينشدون الجمال فى بحوثهم واكتشافاتهم ، فإنهم يلتمسون ذلك من خلال سعيهم إلى كشف أوجه البساطة والتماثل فى القوانين الأساسية التى قد تعكس أوجه البساطة المطلقة فى نواميس الكون .. وفى هذا يقول الفيزيائى المعاصر « ستيفن واينبرج » « قد اكتشفنا فى مجال تخصصى - وهو فيزياء الجسيمات الأولية - أن الطبيعة أبسط كثيرا مما تبدو فى ظاهرها ، وهذه البساطة تتخذ شكل مبادىء التماثل العميق ، مثل ماهو موجود بين جسيمين أوليين هما : النيوترون والإلكترون ، رغم ما يبدو فى الظاهر من اختلاف تام بين خواص كل منهما ، ويؤكد الفيزيائى الأمريكى

المعاصر « ريتشارد فينمان » الذى شارك أثناء الحرب العالمية الثانية فى صنع القنبلة النووية ، ومنح جائزة نوبل فى الفيزياء لعام ١٩٦٥ لبحوثه المتعلقة بنظرية الكم ، أن الطبيعة فيها بساطة وجمال عظيم ، وأن المرء يمكن أن يستبين الحقيقة العلمية بفضل جمالها وبساطتها . ويشيد عالم الفيزياء النمساوى « إيرون شرودنجر » الذى منح جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٣٣ ـ بنظرية النسبية العامة لأينشتين قائلا :

« إن هذه النظرية المذهلة فى الجاذبية لا يتأتى اكتشافها إلا لعبقرى رُزق إحساسا عميقا ببساطة الأفكار وجمالها » بل إن أينشتين نفسه يعلن أنه لا علم من غير الاعتقاد بوجود تناسق داخلى فى الكون . ويصف « هيزنبرج » التناسق بأنه انسجام الأجزاء بعضها مع بعض ومع الكل . والنظرية الجيدة فى أى علم من العلوم هى التى توفق بين حقائق عديدة لم تكن فيما مضى تربط بينها صلة . كما أن التناسق يدل ضمنا على التماثل . وكل قانون من قوانين الفيزياء مرده إلى وجه من وجوه التماثل فى الكون ، فقانون « نيوتن » الثالث الذى ينص على أنه « لكل فعل دائما رد فعل مساو له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه » يعتبر مثالا معروفا على التماثل فى الفيزياء . وهذا التماثل التام موجود على المستوى دون الذرى ، حيث يقابل كل نوع من الجسيمات جسيم مضاد له نفس الكتلة ، ولكن بخصائص معاكسة . بل إن التنبؤ الصحيح بوجود العديد من الجسيمات دون الذرية تم فى المقام الأول على أساس هذا التماثل .

بل إن هناك من بين العلماء المعاصرين الذين يعتبرون الجمال سمة غالبة من سمات الكون وعلومه ، هناك من بينهم من يرى أن التجربة العلمية كثيرا ما تخطىء ، والجمال قلما يخطىء فإذا اتفق أن وجدت نظرية علمية « أنيقة » للغاية لا تنسجم مع مجموعة النتائج التى تحصل عليها من تجربة ما ، فلا تتعجل طرح النظرية وراء ظهرك ، فهى لا محالة واجدة لها تطبيق فى مجال آخر .. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الرياضى والفيزيائى « هيرمان فيل » عندما أصبح مقتنعا بأن نظريته فى القياس لا تنطبق على الجاذبية ، ولكنه نظراً لكمالها الفنى لم يرد التخلى عنها كليا . وقد تبين بعد ذلك بوقت طويل أن نظرية « فيل » تلقى ضوءاً على ديناميكا الكم الكهربائية ، فجاء ذلك مصداقا لحسه الجمالى . ومن أوضح الأمثلة على تحدى « الجمال » لنتائج التجارب ما نجده فى بحث علمى قدمه الفيزيائيان « فينمان وجيل مان » عرضا فيه نظرية جديدة لتفسير التفاعلات الضعيفة . وكانت النظرية تناقض بشكل صارخ عدداً من التجارب ، لكن الجمال كان هو الجانب الرئيسى الجذاب فيها . وقال العالمان : إنها نظرية عالمية ومتناسقة وهى أبسط الإمكانات ، مما يدل على أن تلك التجارب غير صحيحة . فإذا كانت لديك نظرية بسيطة تتفق مع سائر قوانين الفيزياء ، ويبدو أنها تفسر فعلا ما يحدث ، فلا عليك إن وجدت كمية قليلة من البيانات التجريبية التى لا تؤيدها . فمن المؤكد ـ تقريبا ـ أن تكون هذه البيانات غير صحيحة .

وإذا كانت هذه الاعترافات لكبار العلماء تؤكد فهمهم العميق لمكانة الجمال وأثره فى الكشف عن أسرار الكون ونواميسه ، فإنها ، من ناحية أخرى ، تؤكد أنهم يلحظون يد الله الخالق سبحانه وتعالى فى كل ما خلق ، فى كل ندفة ثلج أو قطرة ندى ، فى كل وجه حسن ، وفى كل سماء صافية وفى كل زهرة يانعة ، ففى النظرة الجديدة

←

← العلم في منظوره الجديد

للعلوم الكونية المعاصرة نجد أن أصل الكون وبنيته وجماله تفضي جميعا إلى الإيمان المطلق بخالق عليم، أخبر عن عظيم سلطانه وآثار قدرته، وبين غاية الإتقان والإحكام في بديع خلقه، فقال عز من قائل: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾(٤)

وقال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾(٥). صدق الله العظيم.

دور الإيمان والعقيدة « بقية »

الجنود وفي دفعهم إلى تنفيذ مهامهم العسكرية في مجال التدريب والقتال، فكانت سياستنا الجديدة هي ربط هذه التقاليد والمهام بالدين، فهذا الربط يجعل المقاتل يقبل عليها بحماسة وإيجابية وإخلاص لأنها وسيلة إلى مرضاة الله، وهذا الربط لم يظهر أثره في ارتفاع الروح المعنوية فحسب، بل في ارتفاع مستوى الكفاءة القتالية عامة، حتى لقد ضرب رجالنا أرقاماً قياسية في استيعاب المعدات البالغة التعقيد وفي كل عمليات إعادة البناء ثم في المعركة ذاتها.

٥ - الوعاظ في التركيب التنظيمي للقوات المسلحة

ومن أهم الأعمال التي تمت في إطار عملية البناء المعنوي إدخال تعديل جذري على أسلوب استخدام الوعاظ في القوات المسلحة، فقد كان المتبع من قبل هو أسلوب « الواعظ الزائر » الذي لا يمكن معه تحقيق آثار فعالة في التوجيه الديني، فتم اتخاذ أسلوب « الواعظ المقيم » من خلال وضع الواعظ داخل الهيكل التنظيمي للوحدات عضواً من أعضائها، وذلك لأول مرة في تاريخ قواتنا المسلحة.

وقد إتاح هذا التنظيم الجديد للوعاظ وعلماء الدين فرصة معايشة الجنود والقادة في حياتهم اليومية سواء في الثكنات أو في الميدان، وفرصة العمل بمنهج مدروس للتوعية الدينية (٣)، وهكذا انبثوا بين الصفوف يرفعون راية الجهاد، ويحشدون للعقيدة القلوب والنفوس ويغرسون الإيمان والثقة في نصر الله.

---

(٣) حصل الوعاظ جميعاً على دورات تدريبية خاصة بمنهج الوعظ الديني في القوات المسلحة، كما أصدرنا كتاباً بعنوان: « دليل الواعظ في القوات المسلحة » يحتوي على عناصر هذا المنهج ودروسه، وتم توزيعه عليهم.

(٤) سورة السجدة: ٧.

(٥) سورة ق: ٦.

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

المسلمون فى شهر رمضان

رمضان الحبيب

بدر .. البطولة والفداء

المسلمون فى شهر رمضان

للشاعر : محمود محمد بكر هلال

شهر يطل على الانام بنوره ... فيكون للناس المصحة والدواء
وترقُّ فيه على الفقير قلوبهم ... ويضيء فى ارواحهم فيض الصفاء
وتهيم فيه نفوسهم نحو التقى ... فيشيع فيها ما تحب من الضياء

ويعيش فيها المؤمنون احبة ... كملائك الرحمن يشملها الرضاء
لا يصخبون ولا يراودهم خنا ... ابداً ، ولا ياتون الوان البذاء
وإذا همو سمعوا الأذى مروا به ... مر الكرام الاتقياء الأصفياء !!!

رمضان شهر البر والتقوى سما ... بنفوسهم عن كل ما ازرى وساء !!!
لو مسهم فى اى يوم طائف ... اوجال شيطان بهم ذكروا السماء !!!
صاموا وقاموا واستضاءوا بالهدى ... وتوحدوا فى الله وانتظم البناء

شهر الصيام احالهم قلباً حوى ... فيض المحبة والتعاطف والسخاء !!!
فتهنئوا قومى به وتذكروا ... أنا إلى نفحاته الكبرى ظماء !!!
وخذوا من الصبر الذى يوحى به ... زاداً ليوم يقتضى منا الفداء

سندك فيه الطامعين ونفتدى ... فيه العروبة بالنفوس وبالدماء !!!
ونلقن الأعداء درساً قاسياً ... فيه لمن يبغى على الوطن ابتلاء

ونعيد للارض السليبة مجدها ... فى همة تفرى الجبال وفى مضاء
مادام شرع الله دستوراً لنا ... وهو المنارة والمحجة فى القضاء

رمضان الحبيب

شعر: مصطفى أحمد دردير

قلمي والقصيد يعتنقان ... وهدى عاطر يهز جناني
والتسابيح في المساجد يعلو ... طيبها في تشوق وحنان
تعبق الارض من شذاها وتندى ... وتضيء السماء والمشرقان
ومدى من ذكر يرف نديا ... عانق الوقت فاحتوته الثواني
وصلاة القيام يجري بها من ... مقل الخاشعين دمع حسان
وبيوت الرحمن تقطر نوراً ... من دوي الاصوات بالقرآن

وحنين المستغفرين نداء ... يترقى مدارج الرضوان
وجموع العاصين تقبل طوعاً ... واشتياقا لرحمة الرحمن
وعيون الداعين في الليل تهمي ... طمعا في شفاعة وجنان
هتفت حبات القلوب ونادى ... كل شيء في هذه الاكوان
رمضان الحبيب اقبل يسعى ... خطوه خطو النور والغفران
حاملاً رحمة ومغفرة يتلوهما عتق من لظى النيران

في يديه التقى شرابا طهوراً ... واباريق العفو والإحسان
وثواب لمن يطيع وإكرا ... م ووعد بالحوض والرضوان
رمضان الحبيب اهلاً وسهلاً ... ياداوء الارواح والابدان
رمضان الحبيب بشراك إنا ... قد صحونا من حماة الخسران
ونفضنا ركام دهر طويل ... من سبات وغفلة وهوان:

امة الهاشمي تدنو حثيثا ... من قطوف النصر المبين الداني
تشرق الشمس من خطاها وتمضي ... نحو وعد السماء كالبنيان
فامسح الآن دمع عينيك واعبر ... ما مضى من قهر ومن احزان
وارقب الامة التي تتوالى ... في رباها مواكب الإيمان
واكتحل بالنور الذي شع فينا ... شاهداً اننا هداة الزمان

بدر.. البطولة والفداء

للأستاذ / رشاد محمد يوسف

بدر الهدى تيهى على الجوزاء ... فلانت فجر هداية وفداء
وخذى بأسباب الفخار وإنما ... خلق الفخار ليومك الوضاء
يابدر يابدر البطولة والفدا ... من لى بوصف طلائع غراء
يوم التقى الجمعان فى ساح الوغى ... وبدت جيوش الشرك فى خيلاء
والمسلمون إلى الجهاد تسابقوا ... للحق لا للبغى والإيذاء
عافوا الكرى وتسلحوا بيقينهم ... وتبايعوا للبذل فى استعلاء
والله اكبر نبضهم وكيانهم ... يستهدفون مراتب الشهداء
والمصطفى عقد اللواء مكبرا ... احبب باكرم قائد ولواء
يتامل الجمع الكريم وقلبه ... يدعو بكل ضراعة ورجاء
يارب انصار لدينك اقبلوا ... يتنافسون بهمة ومضاء
يارب أيد خطوهم واكتب لهم ... نصرا عزيزا عند كل لقاء

●

وتوقف الفلك المدار وكيف لا ... والحرب بين سعادة وشقاء ؟
والحرب بين شريعة وضاءة ... وضلالة مدحورة شوهاء
والحرب بين سماحة وتعصب ... والحرب بين محبة وعداء
وانهد صرح الظلم يابدر الهدى ... واجيب للمختار كل دعاء
ياويح عباد الضلال تشتتوا ... فى الأرض بين جماجم ودماء
فالنصر للإيمان ماطال المدى ... او ساد وجه الظلمة الشوهاء
يابدر يابدر الهداية مرحبا ... فاليوم يوم تنافس وفداء
يلقاك فى القدس الشريف شبيبة ... إصرارهم يسخو بكل عطاء
حملوا الحجارة فى الأكف صواعق ... تصلى العدا بهزيمة نكراء
والأخوة الأفغان طال نضالهم ... خاضوا الوغى بعزيمة وإباء

●

يارب ندعو والمشاعر تهتدى ... وقلوبنا فى طاعة وولاء
يارب هيىء للهداة طريقهم ... وامنن بكل تفضل ورضاء
واعد لنا بدرا وقد راح الدجى ... وتكشفت عنا رؤى الظلماء
وتوحدت كل القلوب على الهدى ... قد ضم شاردها وعاد النائى
نتشرب القرآن فى وجداننا ... ونرى الحياة نقية الأنداء

من ذكريات شهر رمضان

الفتح المبين

للشاعر: عمر موسى البرعي

تعالى الله رب العالمينا ... حباك بفضله فتحا مبينا
وحقق يا محمد ما ترجى ... ولم تزل المصدق والأمينا
ليوم الفتح في الدنيا دوى ... يهز صداه سمع الفاتحينا
به الله القوى اعز دنيا ... لمن وثقوا به واعز دينا
وعاد المصطفى فيه عزيزا ... وللرحمن يهدى الجاهلينا

وفي البيت العتيق اقام ركنا ... لدين الله ممتنعا حصينا
وجاء الناس من كل اتجاه ... إلى البيت الحرام موحدينا
وللايمان قد هُرعوا جميعاً ... وخفوا للهدى مستسلمينا
ورجى المشركون العفو فضلا ... وظنوا انهم في الهالكينا
وقام المصطفى فيهم خطيبا ... وهم من خوفهم متوجسونا

وكم لاقى التآمر من اذاهم ... وكان الله خير الناصرينا
وقال : لقد عفوت اليوم عنكم ... فلا خوف عليكم اجمعينا
فآمن جمعهم بالله ربا ... وبالمختار خير المرسلينا
ومد له ابو سفيان كفا ... مبايعة وقد خفض الجبينا
واسلم بعد طغيان وبغى ... وذل وكان راس المشركينا

وانقذ نفسه من حر نار ... أعدت للطغاة الظالمينا
وضم الناس توحيد تلاقت ... برايته قلوب المؤمنينا
ومن الله بالنعمى عليهم ... واضحوا بالهدى مستبشرينا
ليوم الفتح في الإسلام شان ... به يعتز كل المخلصينا
نعيش اليوم ذكراه فتحدو ... مسيرتنا ويقوى العزم فينا

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

فى الصلاة على النبى - ﷺ - عشر كرامات :

إحداهن صلاة الملك الجبار ، والثانية شفاعة النبى المختار ، والثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار ، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار ، والخامسة محو الخطايا والأوزار ، والسادسة قضاء الحوائج والأوطار ، والسابعة تنوير الظواهر والأسرار ، والثامنة النجاة من عذاب دار البوار ، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار ، والعاشرة سلام الملك الغفار .

أولاد يعقوب والشهور

قال ابن الجوزى : فى « بستان الواعظين » مثل الشهور الاثنى عشر كمثل أولاد يعقوب فكما أن يوسف - عليه السلام - أحب أولاد يعقوب إليه ، فكذلك رمضان أحب الشهور إلى الله ، وكما غفر لهم بدعوة واحد منهم - وهو يوسف - كذلك يغفر الله ذنوب أحد عشر شهرا ببركة « رمضان » .

ذروة الإيمان أربع خلال

الصبر بالحكم ، والرضا بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب .

رسول الله أنا قادم اليك !

قال نافع عن ابن عمر : أصبح عثمان بن عفان يحدث الناس :

قال : رأيت رسول الله - ﷺ - الليلة فى المنام .

فقال : أفطر عندنا غداً فأصبح صائما ، وقتل من يومه قبل غروب الشمس .

أسوأ الناس

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟

قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته ، وبعدت همته .

وأسوأ منه حالا ، من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله .

« حقا »

فيم التجاؤك للمخلوق ترجوه
والله يكفيك إن أقبلت تدعوه
أليس ربك كاف عبده نعما
وفى خزائنه ما أنت ترجوه

أسوأ منك خلقا

أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة فقال لها : إنى سيىء الخلق فقالت : أسوأ منك خلقا ، من أحوجك إلى أن تكون سيئا ، قال : أنت إذن امرأتى .

أبواب السلطان

قد يسعى إلى أبواب السلطان أجناس من الناس كثير ، أما الصالح فمدعو ، وأما الطالح فمقتحم ، وأما ذو الأدب فطالب ، وأما من لا أدب له فمختلس وأما القوى فمدافع ، وأما الضعيف فمدفوع ، وأما المحسن فمستثيب ، وأما المسيىء فمستجير ، فهو مجمع البر والفاجر والعالم والجاهل والشريف والوضيع .

حقيقة

الدنيا دول ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

أنا أعرف نفسى

مر يزيد بن المهلب ، عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه : ما معك من النقود ؟

قال : مائة دينار .

قال : ادفعها إليها .

فقال : هذه يرضيها اليسير ! وهى لا تعرفك .

قال : إن كان يرضيها اليسير ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

دعاء

اللهم لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من الغافلين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

تحية شهر رمضان

لفضيلة الإمام: الشيخ حسن مأمون

إعداد وتقديم:
عبد الفتاح حسين الزيات

إن سلوكنا في شهر رمضان تطبيق لمبادىء الإسلام . فإذا انحرفنا بهذا السلوك إلى غير ما أراده الله . مكنا الأعداء من التشكيك في صلاحية ديننا الحنيف والاجتراء عليه بوافدات الإلحاد وخداعات المبادىء واتباع خطوات الشيطان .

لذا يجب أن نكون اسوة حسنة ومثلا اعلى يلفت الدنيا إلى محاسن الإسلام . ويعلم المخدوعين والمفتونين بانه لاصلاح لدنيا الناس إلا بدين الإسلام .

قال الأستاذ ـ رحمه الله:

لايستطيع الإنسان وهو يعيش في حاضره ويتطلع إلى مستقبله أن ينسى ماضيه القريب الذى عاش فيه أيامه ولياليه ، وماضيه البعيد الذى عاش فيه آباؤه وأجداده وخلف التاريخ له صورا وذكريات من حياتهم يشعر براحة كلما أتيحت له فرصة استرجاعها إلى ذاكرته ، واستعادتها إلى نفسه ليجد فيها تسكينا لحيرته وتهدئة لاضطرابه .

والمسلم يتطلع كل عام إلى هلال رمضان فتمر به صور لامعة ولوحات مضيئة لماضيه البعيد ويرى ببصيرته أول مايرى منذ أربعة عشر قرنا صورة كاملة لفتى من أكرم فتيان قريش جالسا في إحدى ليالى شهر رمضان ليقضى إحدى لياليه منفردا في غار مظلم يقع في أعلى جبل حراء شمالى مكة ـ صورة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى هجر كعادته كل عام بيته وزوجه وأولاده ، وانطلق إلى هذا الغار ليخلو بنفسه وليفكر في هذه الحياة التى يحياها قومه ومن جاورهم من الأمم القريبة والبعيدة ، باحثا عن الحقيقة التى لم يجدها ماثلة أمامه ، ولم يكن لفضله الكبير أن يطمئن إلى ماكان عليه قومه من عبادة أصنام متعددة يصنعونها بأنفسهم ، لاتملك لنفسها حركة ولا سكونا ولا تضر ولا تنفع ، فأنكر على قومه عبادتهم وعزفت نفسه الشريفة عن مشاركتهم فيما كانوا عليه والتمس الحقيقة عند غيرهم فوجد قوما يعبدون الله على دين موسى وعيسى ، لايعبدون صنما أو وثنا فاطمأن إليهم ؛ ولكنه مالبث أن وجد فريقا من أتباع موسى يدعون أن عزيرا ابن الله ، وفريقا من أتباع عيسى يدعون أن عيسى ابن الله ـ قال الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ . فأنكر على الفريقين زعمهم ولم يجد فيه شيئا من الحقيقة التى ضاعت عنها واستمر فى بحثه عن الحقيقة التى ضاعت وسط اصنام تعبدها قريش مكة وإدعاءات الوهية بعض البشر - يقول بها ناس من اتباع موسى وعيسى - عليهما السلام - والتمس ان يخلو بنفسه بعيدا عن اهله وان يفكر فى خالق الكون الذى يشاهد بأرضه وسمائه ومافيه من إنسان وحيوان ، وبينما هو غارق فى تفكيره فى ليلة من ليالى رمضان جاءه الملك فقال له : اقرأ . فأجاب : ما اقرأ فضمه الملك إلى صدره ضمة قوية حتى كاد يخنقه - ثم يرسله ويكرر عليه ان يقرأ بقوله اقرأ - فيجيب بما اجاب به فى المرة الأولى ويعود الملك إلى ضمه ضمة تكاد تخنقه ثم يرسله ويكرر عليه الأمر (اقرأ) فيجيب الرسول : ماذا اقرأ ؟ فيقول الملك ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فيقرؤها كما سمعها وقد نقشت فى قلبه كلماتها ثم ينصرف عنه الملك ويتركه إلى ماكان عليه قبل حضوره .

وبعد انصرافه يفكر محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فيما رآه وفيما سمعه فيسأل نفسه هل كان ما رآه من الرؤى التى يراها النائم فى نومه ، أو كان ما رآه مسا من الجن أو شيئا آخر مما يخاف منه ، واشتدت حيرته فترك الغار وهام فى الفضاء الذى يقع حوله وكلما نظر إلى السماء وجد صورة الملك امامه ، فعاد إلى بيته مضطربا حائرا ، يملأ قلبه الخوف والرعب مما رأى وسمع ، إذ لم يكن له عهد بالوحى ، وافضى بدخيلة نفسه إلى زوجته السيدة خديجة فألقت إليه كلمات هدأت من روعه وأعادت إلى نفسه الشريفة الطمأنينة والسكينة إذ قالت له : « ابشر يا ابن العم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ووالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكَلّ وتعين على نوائب الحق - ولما انتهت زوجته من كلماتها اطمأن إلى أن ما رآه وسمعه لم يكن رؤيا من الرؤى ، وإنما هو الوحى الذى يرسله الله إلى أنبيائه ورسله ليبلغهم كلمات الله ، ووجد مما سمع الحقيقة التى طال بحثه عنها إذ وجد أن ربه هو الذى خلق كل شىء وخلق الإنسان من علق .

هذه أول صورة مشرقة يراها المسلم ببصيرته كلما طالعه هلال شهر رمضان ويذكر هذه الليلة المباركة التى حدثنا القرآن عنها بقوله : ﴿ حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ والتى انزل فيها من القرآن سورة القدر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم .. إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

ففى هذه الليلة المباركة ظهر إلى الوجود نور الإسلام ، إذ تفضل الله سبحانه وتعالى على عبده محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بابتداء إنزال القرآن عليه فيها ، إيذانا برسالة الإسلام فى شهر من اكرم شهور السنة : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ والذى كرمه الله سبحانه وتعالى بفرض صيام ايامه كلها وإحياء لياليه بالذكر والعبادة والتسبيح والحمد والشكر ، ثم تطالعنا

←

من روائع الماضي

فى هذا الشهر الكريم صورة الصراع بين الحق والباطل بين المؤمنين وعلى رأسهم رسول رب العالمين ، وبين المشركين من صناديد قريش بمكة حيث التقى الفريقان « ببدر » .

وقف الفريقان جند الحق وهم قلة امام جند الباطل وهم كثرة تزيد على ثلاثة اضعاف جند الحق عدداً وعدة ، وعند ذلك اتجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الله تعالى فناجاه بقوله : (اللهم هذه قريش قد اتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك - اللهم نصرك الذى وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لن تعبد) ومازال يهتف بهذا النداء مادا يديه مستقبلا القبلة وخرج إلى أصحابه ليحرضهم على القتال والثبات فى الميدان بقوله : (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) فى هذا الجو المؤمن بالله وبنصره تصارع الحق والباطل وانتهى الصراع بنصر الله لرسوله واتباعه المؤمنين المخلصين على اعدائه واعدائهم المشركين الكافرين - وفى تأييد الله لرسوله نزل قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وبهذا النصر المبين فى غزوة بدر قويت شوكة المسلمين وزاد إيمانهم بنصر الله لهم فى كل موطن وفى كل وقت ماداموا معتصمين بحبل الله المتين مطيعين أوامر الله ورسوله ولايسع المسلم وهو يرى هذه الصورة ، صورة القتال .. أو الصراع بين الحق والباطل ببدر إلا أن يذكر بفخر وإعجاب بطولة من قاتل من الانصار والمهاجرين سواء منهم من استشهد فى هذه الغزوة أو من رجع منهم إلى المدينة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليتابع معه الكفاح ضد الظلم والطغيان ..

والصورة المثالية التى يراها المسلم ببصيرة كلما طالع هلال شهر رمضان صورة ليس فيها قتال ولا دماء إنما هى صورة كلها فرح وابتهاج ، صورة جيش المسلمين وعلى رأسهم القائد العظيم رسول رب العالمين يدخل مكة فاتحا ، بعد أن خرج منها الرسول هو وصاحبه مهاجرا من مكة إلى المدينة ثم يعود إليها بعد سنوات من الكفاح والنضال ظافرا منتصرا مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ويدخل الرسول وجيشه إلى مكة بدون قتال أو مقاومة ، فلم ينقل إلينا التاريخ عن هذه الصورة أن دماء أريقت إلا النذر اليسير حتى لقد عثر غداة يوم الفتح على رجل من هذيل قتلته خزاعة وهو مشرك فغضب النبى - صلى الله عليه وسلم - وقام فى الناس خطيبا فقال : « يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك دما أو يعضد فيها شجرا لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون من بعدى ولم تحلل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها ثم

البقية ص ٩٥٨

اللغة والأدب والنقد

الحكمة في شعر العقاد

وقفة على مشارف كتاب

الحكمة فى شعر العقاد

للأستاذ: السيد حسن قرون

عرف العرب الحكمة منذ العصر الجاهلى ، والحكمة عندهم تجىء فى النثر كما تجىء فى الشعر ، والحكمة إذا سارت على الألسنة وانتشرت صارت مثلا ، كما يروى الأدب العربى أمثلة من الشعر والنثر ، فمن الشعر الجاهلى قول طرفة : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » .

ومن الشعر الإسلامى قول كعب بن زهير :

ومن دعا الناس إلى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

ومن الشعر العباسى قول المتنبى :

« مصائب قوم عند قوم فوائد » .

ومن الشعر الحديث قول أحمد شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا .

ولمكانة الحكمة فى حياة المجتمعات وفضلها فى التوجيه والتنبيه قال تعالى :

﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [٢٦٩ سورة البقرة] وقوله تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ تنويه بفضلها وأثرها العظيم فى السلوك وبناء الأمم ، وأن أصحابها هم أصحاب العقول النيرة الراجحة .

والأستاذ عباس محمود العقاد منْ أولى الألباب الذين عرفوا التراث الإسلامى ودرسوه ، فقد أخرج من ثناياه كتبه المشهورة « بالعبقريات » وزاد نفسه تثقيفاً وتوسيعاً فى المعرفة فأضاف إلى تراثنا القديم والحديث تراث غيرنا قديماً وحديثاً ليخرج لنا من رحيق ماجنى أفانين من المعرفة وأفاويق من المستساغ . وهو شاعر فاض قلبه بالشعر فسطره على الطرس وتركه لنا زاداً ومتاعاً ، وناهيك بعبقرى نظم الشعر وهو فى التاسعة من عمره ونظمه فى حبه للعلوم ، وهو نظم يدل على شاعرية مبكرة ، وإليك بعضاً من ذلك النظم قال :

علم الحساب له مزايا جمة
وبه يزيد المرء فى العرفان
والنحو قنطرة العلوم جميعها
ومبين غامضها وخير لسان
وإذا عرفت لسان قوم يافتى
نلت الأمان به وأى بيان

ولقد ولد العقاد فى أسوان عاصمة المحافظة المسماة باسمها فى ٢٨ من يونيه ١٨٨٩ ، ولقد توفى العقاد فى ١٢ من مارس ١٩٦٤ فى القاهرة ولكنه دفن فى أسوان ، وقبره هناك يزار .

وإذا كان العقاد قد ولد فى أسوان ودفن فيها فإن أصوله ليست من أسوان فأبوه ينحدر من أجداد نشأوا فى دمياط ، وعمل الجد الذى لقب بالعقاد بصناعة الحرير فى المحلة الكبرى ، ثم وظف ابنه والد العقاد فى أسوان . أما أمه فهى كردية جاء آباؤها من دياربكر وعملوا فى الجيش المصرى واستقر بعضهم فى أسوان وتزوج منهم والد العقاد فتاة كانت الزوجة التى أنجبت عباسا وإخوته .

وأعود إلى حكمة العقاد فهى وليدة تجارب أسرة ، وخبرات ناضجة ، وعقلية تلتقط الحوادث كما تلتقط العلوم والمعارف ، وسأورد عليك بعضا من تلك الحكم ، وفى تاريخ الأدب العربى نجد بعض الشعراء تخصصوا فى شعر الحكمة ولاسيما فى العصر العباسى ، ولك أن تقرأ ديوانا كاملا من الشعر الأصيل كل ما فيه حكمة ومثل ، الديوان هو « لزوم ما لايلزم » أو « اللزوميات » للشاعر المفكر أبى العلاء المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩) هـ ..

والحكمة فى النقد الأدبى تحمد إذا جاءت خلال قصيدة كان حظها أن تمر على عاطفة الشاعر فتذهب بجفافها وتعطيها المذاق الشهى والصورة البهية ، وقد لا تعجب القارىء إذا جاءت نظما متعمدا ، لكنا نحن طلاب الحكمة نقبلها مرتبطة بالعاطفة ونقبلها مقيدة بالعقل ، وقد نظم العقاد فى الأمرين ، فمن النوع الذى يقره النقد ويقبله قوله من قصيدة :

مَنْ عوَّد الناسَ شيئا طالبوه به
كـأنـه الـديـن يلـوى بـالمعـاذيـر

وهذا البيت يحمل حكمة التجربة والخبرة ، ولن نجد أحدا من الناس الكرماء إلا صادفه من أشار إليه العقاد . ومن ذلك أيضا قوله من قصيدة يلوم بها شبان مصر فى شبابه :

آمالهم فى المعالى تحت أرجلهم
فما ينالونها إلا بإحناءِ

والبيت صورة للنفاق فى أجلى مظاهره ، انحناء يصل إلى ما تحت الأقدام ليرضى رؤساءه أو كبراء بلده أو غيرها . وقد بدأ القصيدة بهذا البيت :

كم ذا أعاشر من صحبى وأعدائى
مَنْ ليس يعقل آمالى وآرائى

وقد يأتيك بمقطوعة من شعره أو قصيدة يجعلها مليئة بالحكم كأنه المعرى فى لزومياته .

من ذلك قصيدة « القدر يشكو » وهى من ديوان « وحى الأربعين » قال :

صغير يطلب الكبرا
وشيخ وَدَّ لو صَغُرَا

وخال يشتهى عملا
وذو عمل به ضجرا

ورب المال فى تعب
وفى تعب من افتقرا

ويشقى المرء منهزماً
ولا يرتاح منتصرا

ولا يرضى بلا عقب
فإن يُعْقِبْ فلا وزرا

ويبغى المجد فى لهف
فإن يظفر به فترا

ويخمد إن سلا فإذا
تولـه قلبه زفرا

شكاة ما لها حكم
سوى الخصمين إن حضرا

الحكمة فى شعر العقاد

والأبيات حكمها من صميم الحياة ، والشكوى تجدها عند كل الناس بالمشكلات التى حوتها الأبيات ، ونظرة العقاد إلى النسل تختلف عن كل ما يهدف به دعاة تحديد النسل أو تنظيمه ، فأصحاب القلة وأصحاب الكثافة يتلاقيان فى حكمة العقاد ، فالذى جاء وحده جعل له عنواناً « رعونة الحياة » واستقبله بقوله :

فيم اقتحام جنين واهن عُطُل
أرضا أبوه بها حيران مهموم
هى الرعونة فى طبع الحياة ثوت
وإنما حكمة الأقوام تعليم

أما الذى جاء معه مرافق فيستقبله بشعر وعنوانه « حكمة التوائم » .

حكيم ذلك التوءم
ومن آبائه أحزم
تهيب أرضهم فردا
فجاء بصاحب ملزم
ولو جاء بجيش كا
ن فى تدبيره أحكم

فمن الرعونة أن يقتحم الجنين أرضاً حيرت أباه وتركته مهموماً فهو ضعيف فى حاجة إلى أنصار أقوياء للانتصار على الحياة . أما التوءم فكان حكيماً أتى بمن يعاونه ولو جاء بجيش كان فى تدبيره أحكم !

فهو لا ينظر إلى ضيق الأرض وسعتها ، والفقر والغنى وإنما ينظر إلى متاعب الحياة وما يلاقيه الإنسان فى حياته من عناء ومتاعب وهواجس وهموم ، ومن ثم ترك العقاد الزواج ومضى على مذهب المعرى القائل :

وإذا أردتم للبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

وللعقاد قصيدة تدور معانيها حول بيت المعرى هذا .

وما دمنا نتحدث عن حكمة العقاد ، فلنذكر شعر ميلاده والعنوان « يوم ميلادى » قال :

يوم ميلادى تقدم
وتأخر .. وتكلم
لا تقل لى قبل عام
كيف كنا ؟ أنا أعلم
لا تقل لى بعد عمرى
كيف نمسى ؟ لست تعلم
غاية الأمر أظانين
وبعض الظن يأثم
سوف نمسى مثل ما كنا
ولم نولد ونفطم

لكنه مع ذلك يصيح فى وجه الدهر بتلك الحكمة التى تشد أزر الرجال وتصنع الأبطال بقوله :

إيه يادهر هات ماشئت وانظر
عزمات الرجال كيف تكون ؟
ما تعسفت فى بلائك إلا
هان بالصبر منك ما لا يهون

وهكذا تجىء حكمة العقاد من نبع ثرى فاض بعد أن امتلأ بما تعطى الحياة وما تعطى القراءة والدراسة والنظرة اليقظة الفاحصة فى الكون والكتب والإنسان ، فسلام على العقاد فى الخالدين وسلام عليه فى مثواه الكريم .

وقفة على مشارف كتاب

التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي

لمؤلفه الأستاذ / عبد الحق الشكيرى

بقلم الأستاذ
محمد عبد الرحمن صان الدين

لو لم يكن الإسلام دينا إلهيا ، لكان اوفى واكمل نظام على الارض يستهدف ويكفل إسعاد البشرية بمختلف اجناسها ومواطنها وطبائعها .

ولو ان اولى العلم والفكر والنظر نزعوا عن عيونهم منظار التعصب الاسود ونظروا فى النظام الإسلامي نظرة موضوعية مجردة من كل اعتبار خارجي عنه ، لادركوا مافى هذا النظام من استيعاب لكل أشواق الإنسانية وتطلعاتها إلى الحياة الآمنة الوادعة المتوازية فى خلال الكفاية والعدل .

ولو أن المسلمين التزموا بنظام دينهم لما تفرقت بهم السبل ، وصاروا غثاء سيل تتقاذفهم أنواء النظم البشرية - شرقية أو غربية - أثبت التطبيق العملي لعشرات السنين فشلها الذريع فى توفير السعادة والسكينة للإنسان الحائر .

ولما كان المال المنتج - بمختلف أعيانه - عنصرا أساسيا فى حياة الإنسان ، وعمارة الأرض فقد أولاه الإسلام اهتماما بالغا ، ووضع له الضوابط والضمانات ، ليكون توظيفه فى مختلف الشئون محكوما بالعقيدة التى تجعل وازع الإيمان رقيبا يقظا على تصرفات المرء ، وكل تحركاته ، ونبضات قلبه ، وخلجات فكره ووجدانه .

وأئمة الفقه الإسلامي قد صالوا وجالوا فى ميدان الاقتصاد ، وتغلغلوا فى شعابه ودروبه ، فلم يتركوا شاردة ولاواردة إلا أدرجوها تحت حكم من الأحكام القرآنية أو السنة النبوية الصحيحة إلى حد الافتراضات التى لا وجود لها ، والمستجدات التى لم تكن موجودة ، فقد قاسوها على النظائر المنصوص عليها إذا توافرت الأسباب والعلل ، وأعطوها حكمها ، وميدان القياس والمصالح المرسلة فسيح يستوعب كل جديد طارىء فى إطار الحلال والحرام فى أصول الشريعة الإسلامية الغراء ، لان مفهوم الأنظمة ←

(١) هذا الكتاب من سلسلة كتاب « الأمة » التى تصدرها رياسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر . والمؤلف مغربى الهوية مسلم عربى .

وقفة على مشارف كتاب

العقلية البشرية بكل نقائصها التى لم يجن منها الإنسان إلا الكوارث والنكبات .

وجدير بالذكر أن الذى يجرى القياس على النظائر ، والذى يقدر المصلحة ليس كل شخص يطلق عليه صفة متعلم ، ولكن ذلك لايناط إلا إلى متخصص مستوعب لنصوص الشريعة ، خبير بأسرارها ، مشهود له بالورع والتقوى ، ملم بأحوال الناس وضروراتهم . فمن اجتمعت فيهم هذه الصفات ، فهم أهل العقد والحل فى اصطلاح الفقه الإسلامى الغنى الشامل لكل ما يتصل بحياة الإنسان بل وكل الأحياء على الأرض .

فليس صحيحا ما قيل من أن الفقه الإسلامى قاصر عاجز عن إيجاد الحلول لمشكلات الاقتصاد والتعامل والتنمية فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث بمستجداته ، بل إنه افتراء مغرض أو جهل مطبق ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٢] ، بل إنه لايوجد نظام أو شريعة على ظهر البسيطة أكثر ثراء وأوفى بحاجة الإنسان الحقيقية العادلة فى اكتساب المال وتوظيفه كالشريعة الإسلامية وفقهها ، ولكن أين الالتزام بالشريعة وقوانينها ؟! فليس العيب والقصور فيها ، ولكنهما فى الإنسان الغافل ، والتطبيق المختل الفاسد ، وقد وفى ذلك الكاتب المفكر الإسلامى الكبير الأستاذ عمر عبيد حسنة فى تقديمه للكتاب الذى نحن بصدده .

ومن أراد أن يتحرى الحقيقة ، ويعدل فى حكمه فليرجع إلى أبواب المعاملات فى كتب وأسفار الفقه الإسلامى ، ولايفوته الاطلاع على كتاب « الخراج » للإمام (أبو يوسف) صاحب الإمام (أبو حنيفة النعمان) .

والآن هيا بنا أيها القارىء الكريم نستعرض أبواب الكتّاب بأخف إشارة وأوجز عبارة ، على سبيل التنويه لا الاستيعاب والتمحيص .

لقد اقتحم مؤلف الكتاب الفاضل الأستاذ عبد الحق الشكيرى تلك المشكلة المعقدة ، أو التى تبدو كذلك عند من لا دراية لهم ، أو عند من يجحدون الحلق لمرض فى نفوسهم . ولقد أصاب الكاتب كبد الحقيقة حينما أرجع ذلك التخبط الاقتصادى ، والفشل فى محاولات التنمية فى بعض البلاد الإسلامية بصفة عامة والعربية بصفة خاصة . إلى محاولة تطبيق نظم غريبة عن كيان ومناخ المجتمع الإسلامى ، فضلا عن أن تلك النظم ـ اشتراكية أو رأسمالية ـ قد فشلت فى مجتمعاتها ومنابتها عن تحقيق المراد منها فى إسعاد الإنسان والوفاء بحاجته . فكانت النتيجة فى المجتمع الإسلامى لفظ هذه النظم وطرحها كما يلفظ الجسم عضوا غريبا فاسدا زرع فيه عنوة .

وقد طرح المؤلف فى الفصل الأول عدة أسئلة عن مفاهيم التنمية فى واقع الفكر المعاصر ، وتولى الإجابة عنها بما يؤكد خطل الاتجاه والأخذ بتلك النظم والفلسفات الاقتصادية التى فتن بها وتثقف القائمون على الاقتصاد فى البلاد الإسلامية ، مما نتج عنه تلك التناقضات والزلازل المدمرة .

وفى الفصل الثانى تناول بالإيضاح مفهوم التنمية الاقتصادية فى الإسلام وأهدافها التى تتلخص فى عمارة الأرض لإسعاد البشرية بتوفير حاجاتها فى رحلة الحياة الدنيا ، بمقاييس وضوابط تجعل للصالح العام فيها النصيب الأكبر ، ولا تجحد الصالح الخاص الفردى حقه

---

(٢) الآية ٥ من سورة الكهف .

ونصيبه العادل من جهده وإحسانه لعمله .

وفى الفصل الثالث أكد ارتباط التنمية الاقتصادية بالمنهج الإسلامى ككل هى عضو فيه لا تنفصل عنه ، ولا تستقل بدونه تأخذ منه وتعطيه كالغصن فى شجرته العظيمة ، لاحياة له ولاثمر إن قطع عنها . وهذا المعنى - مع أشد الأسف - يغيب عن كثير من رجال الاقتصاد وأباطرته فى عصرنا الحديث حتى من المسلمين ومن هنا يأتى التخبط والفشل .

وفى الفصل الرابع يبرز المؤلف - حياه الله - خصائص التنمية الاقتصادية فى الإسلام وهى تتخلص فيما يلى :

١ - **الشمول** : بحيث تمتد وتتغلغل إلى كل النواحى والمشكلات بسيطها ومركبها ، فتمنحها الشفاء والحل بغير جراحة أو عنف .

٢ - **التوازن** : وذلك العنصر : هو صمام الأمان لسير السفينة فى بحر الحياة المائج ، فلا تأرجح ولا تقلب ولاحيف ، بل العدالة المطلقة والثقة والاطمئنان يعيش تحت اجنحتها المجتمع السعيد .

٣ - **الواقعية** : فهى تعمل فى الواقع المحسوس والممكن ، فلا تجنح إلى الخيال ، ولا المثالية البعيدة المنال بل المثالية التى يمكن تحقيقها والتعامل بها فى بساطة ويسر .

٤ - **العدالة** : وهل ثم شريعة فى الأرض جعلت العدالة لحمتها وسداها كالإسلام ، وهل ثم أجدر فى شئون الحياة بالعدالة من المال فى توزيعه واستحقاقه واستدعائه وإنفاقه ؟.

٥ - **المسئولية** : والمسئولية فى الإسلام شاملة إذ أنها تقع على الأفراد والجماعة كما تقع على الدولة ، كلٌ حسب اختصاصه وموقعه وإمكانه . الكل يأثم إن قصر فى مد يد المساعدة والعون إلى عاجز أو منكوب أو محتاج ، فهو مجتمع متكافل لا تحاول أية فئة فيه أن تتنصل من مسئوليتها ، وتلقيها على فئة أخرى ، وكل فرد مسئول عن تقصيره فى السعى وراء الرزق مادام قادراً ، ومسئولا عن مصدره ومصرفه ، فالمال مال الله والعبد مستخلف فيه .

٦ - **الكفاية** : يهدف الإسلام وتشريعاته إلى تحقيق الكفاية للمجتمع بحيث تشمل كل فرد فيه ، وتحقق له حاجته من طعام ولباس ومسكن فى الحد المتعارف عرفا ، وللحاكم أن يفرض على الأغنياء ما يلزم لذلك إن عجزت أموال الزكاة والصدقات عن الوفاء بها .

٧ - **غاية التنمية** : تختلف أهداف التنمية فى الإسلام عن اهدافها فى الراسمالية والاشتراكية على مختلف أشكالها ؛ فالأولى : تهدف إلى تحقيق أكبر ربح ممكن ، لتوفير الرفاهية لقطاع الموسرين المستغلين على حساب الفقراء الكادحين ، والثانية : تهدف إلى سد احتياجات الدول وفق ماتراه السياسات والأهواء لدى القائمين على الحكم فيها ، دون أدنى اعتبار لأفراد المجتمع ، مما يجعل الفرد فيه مجرد آلة مسخرة لا إرادة لها ولا أشواق من الوجدان تحفزه على العمل وبذل الجهد ، أما الإسلام فإن هدفه الأول والأخير من التنمية والمال تحقيق العزة والكرامة والذات للإنسان ، والسمو بمشاعره وتطلعاته فى الحياة ، إذ أنه أكرم وأشرف مخلوق فى الوجود ، ولايتحقق ذلك إلا بسد حاجاته وتوفير كفايته .

وفى الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن الأسلوب الإسلامى لتحقيق التنمية الاقتصادية مبرزا :

أولا : دور الملكية الخاصة فى التنمية ، وحقوقها ، وتبعاتها التى لا تخرج عن نطاق الهدف الإنسانى الرفيع السامى .

ثانياً : دور الدولة الإسلامية فى تحقيق التنمية ، فهى المسئولة بما لها من إمكانات

←

وقفة على مشارف كتاب

وسلطات واسعة ـ عن التخطيط والتنفيذ والتوجيه لكل ما من شأنه أن يحقق للشعب جماعات وأفرادا كل متطلبات العيش الكريم والحياة الرغيدة ، وينهض به إلى المستوى اللائق بالإنسان ماديا ومعنويا .

أما الفصل السادس فيتناول الضمانات الإسلامية لنجاح التنمية الاقتصادية واستمرارها في الرفد والعطاء للإنسان ، وتبلورها فيما يأتي :ـ

(أ) العمل الجاد الدائب .

(ب) الاستقلال الاقتصادى القائم بذاته .

(ج) استثمار الخبرة والعلم والتقنية استثمارا جيداً .

(د) استغلال كل الموارد المتاحة طبيعية أو بشرية .

(هـ) ترشيد الاستهلاك ، فلا إسراف ولا تقتير ، وتوجيه الفائض عن حد الكفاية إلى أغراض التنمية .

(و) عدم الاقتراض الذى يثقل كاهل الدولة بالمديونية التى تذلها وتشل حركتها وتستنفد طاقاتها .

(ز) التركيز على المشاريع المنتجة ، كالزراعة والصناعة وتربية الحيوان . الخ ..

وفى الفصل السابع وهو آخر الفصول يقرر أن الدول العربية مجتمعة تملك كل مقومات التنمية الناجحة ، فالطاقة البشرية والموارد الطبيعية ، والمناخ والمال اللازم لتحريك ذلك كله واستثماره متوافر ميسور ، وكفيل بالنجاح الباهر ، والنهوض بتلك الشعوب ، لو صفت النفوس ، وخلصت النيات واتحدت الأهداف ، والتأم الشمل . واتجه أهل الخبرة والمتخصصون إلى صالح أمتهم وفى أيديهم صمام الأمان ، ودليل الحيران فى تيه الحياة ؛ المنهج الإسلامى الإلهى الذى لا يضل ولا يجنح ..

وبعد

فلا أقول : إنى استوعبت محتويات هذا الكتاب القيم بل فقط المحت وأشرت وفى الحقيقة أن مؤلف كتاب (التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى) للأستاذ عبد الحق الشكيرى ـ أجزل الله أجره ـ قد استطاع أن يبلور هذا الموضوع الضخم الهائل فى كتابه مع صغر حجمه ، وإنى لأعده إصبعا تشير ، ومصباحا ينير على الطريق إلى كنوز الإسلام الباهرة المطمورة فى بطون الكتب والأسفار بعيدة عن المضمار ، خافية عن الأنظار والأفكار ، وحسبه ذلك فضلا مشكورا وجهدا مأجورا من الله تعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا .

من خير ما نشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

قرآن وسنة

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

وهذا أمر صريح بأكل الطيبات من الرزق ، وأمر بشكر الله لمن يختص الله بالعبادة . فما هى الطيبات التى يأمر الله بالأكل منها ؟

الطيب هنا هو الحلال ، والحلال : ما اباح الله أكله من الأطعمة وأيضا من الاشربة وما حصل عليه الشخص من مال مكسوب عن طرق مباحة ، وتوقى الناس ما حُرم من نحو الميتة والدم ولحم الخنزير أمر سهل قلما يقع فيه الأكل عن غير عمد .

أما الأموال فكثيرا ما يخدع الناس انفسهم أو تخدعنا رغباتنا فى المال فنكسو الحرام ثوب الحلال ، فنقبله ونحسبه حلالاً ، وهو حرام وإثم مبين .

الهدايا والهبات التى تقدم لذوى المناصب ومن يملكون للناس نفعا وضرا ، إما لاستجلاب نفعهم أو لاتقاء شرهم ، ليست فى حقيقتها إلا نوعا من الرشى . يقبلها الناس ولا يقبلها الله ، بل ينهى عن التعامل بها .

وقد جاء فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ .

والأكل الحلال مما تقبل به العبادة وتستجاب الدعوات من الله وقد قال سعد بن أبى وقاص لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ادع الله ان يجعلنى مجاب الدعوة .

قال : « ياسعد أطب مطعمك تجب دعوتك » وكان سعد يقول : مارفعت لقمة إلى فمى إلا وانا أعلم من اين جاءت .

وقد وشى به رجل مرة إلى عمر ، فقال : إنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل بين الرعية . وقال سعد : اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره وأفقده بصره .. فأصيب بكل ذلك ، وكان يقول : أيها الناس ارحموا رجلا أصابته دعوة سعد .

عن الجمهورية ٤ مارس ١٩٩٠

من خير ما نشر

الاستعداد للشهر الكريم

وحول استعداد الإنسان المسلم لاستقبال شهر رمضان المبارك كتبت جريدة اللواء الإسلامى فى عددها الصادر فى ١٨ شعبان ١٤١٠ هـ تقول : كيف نستعد لاستقبال شهر رمضان المعظم وهو قادم بعد أيام نستعد له بتجديد العهد مع الله ، والتوبة النصوح ، والعزم على القيام بمزيد من الطاعة ، والصيام عن المعصية .

نستعد له بإصلاح ذات البين ، وصلة الرحم ، ومودة ذوى القربى ، والعطف على الفقراء والمساكين ، وبذل المال فى سبيل الله .

نستعد له بالاجتماع على ذكر الله ، ومدارسة القرآن ، وحضور مجالس العلم ، والتفقه فى الدين ، والتعرض لنفحات الله التى لا تنقطع ليل نهار ، ورحماته التى تتنزل على الصائمين والقائمين .

نستعد له بالتضرع والدعاء ، فإن دعوة الصائم لا ترد ، وأبواب السماء مفتوحة على الدوام لمن يسأل الله من فضله .

نستعد له بتصفية قلوبنا من الأحقاد ، وتنقية نفوسنا من النزوات ، وتطهير أخلاقنا من الشوائب ، فلا ننفعل ، ولا نغضب ، ولا نوجه إساءة أو إهانة إلى أحد .

نستعد له ببذل الجهد فى العمل وإتقانه ، لأن من بات مرهقا من عمل يده ، بات مغفورا له .

نستعد له بالصبر على المكاره ، واحتمال الشدائد ، وعدم الضيق بتصرفات الناس .

نستعد له بضبط النفس ، فلا نسرف ، ولا نبذر ، ولا نهدر المال فى المآكل والمشرب ، وكل ما يؤذى الصحة ، ويضر البدن .

نستعد له بالتعاون على البر والتقوى ، والابتعاد عن الكذب والزور والبهتان والمشى بين الناس بالنميمة ، حتى يكون صيامنا مقبولا عند الله .

نستعد له بكف البصر عن المحرمات ، وكف اليد عن الإضرار بالناس ، ومعاملة الناس بالحسنى .

هكذا يجب أن نستعد لاستقبال شهر رمضان ، وهو شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار .

ماذا نحن فاعلون ؟

وفى مجلة الوعى الإسلامى عدد شهر شعبان ١٤١٠هـ كتب الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى مقالاً تحت عنوان « الاعتداءات على المقدسات متواصلة فماذا نحن فاعلون ؟

جاء فيه : « إن اليهود يسترسلون فى تصعيد مواقفهم فى انتهاك المقدسات الإسلامية وخصوصا المسجد الأقصى المبارك وتحدى الأمة العربية بصورة سافرة ، وأخشى أنه إذا بقى المسلمون والعرب ، على تجاهلهم ، ووقوفهم موقف اللامبالاة ، يكتفون بالعواطف والشعارات - أن يفاجأ العالم بهدم المسجد الأقصى بطريقة أو أخرى - تمهيدا لإقامة الهيكل المزعوم ، وحينئذ تظهر الحسرات وتذرف العبرات والعواطف الجياشة وكل ذلك لايجدى فتيلاً ولا يعيد مقدسا ، ولا يمنع عدوانا .

وإنى أناشد المسلمين والعرب فى كل مكان ، أن يطلعوا على هذه الحقائق ويبحثوا الأمر بصورة جدية ، عملية لدفع الخطر ، عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وإلا فإنهم يتعرضون لمسئولية عظمى أمام الله والتاريخ

والأجيال ، ونقول حينئذ ويل للعرب من شرّ قد حل لا قد اقترب ، وأرجو مخلصا ، أن يتدارسوا الأمر من جميع جوانبه ، ويقفوا موقفا متضامنا ، تبرأ به ذممهم أمام الله سبحانه ، ويسترخصوا في سبيل ذلك كل غال ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة / ١٠٥ صدق الله العظيم .

لغو الفصد

للأستاذ / حسين فهمي

أحسن التليفزيون صنعا عندما فتح باب المناقشة حول تردى اللغة العربية وانتشار الألفاظ والكلمات السوقية . وإذا كنا نحمد للتليفزيون مبادرته بإثارة هذا الموضوع فإننا نرى أن مبادرته جاءت متأخرة كثيراً . ولكن لا بأس في ذلك .. فما لا يدرك كله لا يترك كله !

واللغة من أهم مقومات القومية والثقافة ...

ولغتنا العربية لغة حية متطورة وصالحة لمتابعة متغيرات العصر ولكن مما يؤلم النفس ما تمتلىء به لغتنا اليومية من ألفاظ تخدش الحياء فتستخدم الألفاظ والكلمات السوقية التي تتردد على ألسنة المنحرفين وتنتقل منها عبر الصحافة والإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح إلى أبنائنا وإلينا وإلى الأميين فتصبح جزءاً من لغتهم .. أى تصبح لغة الملايين .

ويتضرر الإنسان ألف مرة عندما يستمع إلى أغلبية المتحدثين والكتاب والعلماء والكبراء ونجوم الميكروفون والشاشة وغيرهم وهم يوغلون في أخطائهم اللغوية والنحوية ، وتركيباتهم اللغوية غير السليمة !

ومرد ذلك كله إلى انحطاط مستوى التعليم والثقافة . وانخفاض مستوى خريجينا .. وسواء كان المتحدث مهندسا أو محاميا أو غير ذلك لهالنا جهل أغلبهم باللغة نطقا وكتابة .

إن الاهتمام باللغة العربية في المدارس والمعاهد وتمكين الرقابة اللغوية الدقيقة على الإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح يجيء في مقدمة طرق الإصلاح اللغوى .

كذلك ينبغى الاهتمام بتصحيح ما ينشر في الصحف والكتب والمؤلفات والمحاضرات والخطب وغيرها برفع مستوى اللغة .

وبذلك نضع اللبنات الصحيحة لبناء وتقدم وتطور شامخ للغتنا الجميلة كدعامة من أهم دعامات القومية والثقافة والتراث .

عن أخبار اليوم

بعد سقوط الشيوعية

وفي مجلة منار الإسلام عدد شهر شعبان كتب الأستاذ على العجلة رئيس التحرير مقالاً بعنوان « ماذا نحن فاعلون بعد سقوط الشيوعية ؟ » جاء فيه :

بجميع حسابات البشر والحاسبات الآلية المتطورة بإمكاناتها الجبارة ، لم يكن أحد يستطيع أن يتنبأ بذلكم الزلزال الإصلاحى المدوى ، الذى هز العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وكان مركزه عاصمة المد الشيوعى .. موسكو .

ذلك أن حسابات البشر وآلاتهم مهما بلغت قدرتها ودقتها محدودة جداً إلى جانب حسابات السماء ، التى تصفها هذه الجملة الإلهية ، المحدودة الحروف والمساحة ، الواسعة المفهوم والدلالة : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، تلك هى القدرة الإلهية التى آن للإنسان أن يثوب إلى رشده وأن يُكَفِّر عن ضلاله بالعودة إلى حظيرة الإيمان بها والرضوخ لمشيئتها .

←

← من خير ما نشر

بعد حوالى تسعين عاما من ابشع أنواع القهر والتسلط والإذلال لشعوب بأسرها ، وقعت تحت نير الغوغائية والرعاع الذين عرف لينين وأشياعه وأتباعه كيف يشعلون فى نفوسهم نيران الحقد الأعمى ، فأعملوا الهدم والتخريب والإذلال والسلب والنهب باسم الشيوعية والاشتراكية والمساواة بين الناس !!

تسعون عاما سالت فيها دماء الأبرياء انهارا ، وكان من اشهر جلاديها « لينين » ثم « ستالين » وغيرهما .. فجأة أراد الله للمخدوعين أن يفيقوا وللطغاة أن يذلوا وللمتشدقين والمتفلسفين والسوفسطائيين الذين ملأوا أسماع العالم ومكتباته بكلام معسول وكتب فارغة ، تدور كلها حول محور المساواة بين الناس عبر النظم الشيوعية والاشتراكية .. فحدثت تلك الهزة المفاجئة ، لتكشف القناع وتظهر المخبوء ، بعد أن توالت النكبات على الاتحاد السوفيتى التى كانت بدايتها الهزائم المتكررة فى افغانستان ، والتى اعتبرتها أمتنا إحدى بركات الجهاد الافغانى ، وآخرها حتى الآن إلغاء تدريس الماركسية فى المعاهد والجامعات ، بعد ذلك أفاق بعض من بيدهم الأمر على الحقيقة المرة ، وهم يتساءلون بينهم وبين أنفسهم : لحساب من هذا القهر والتسلط على شعوب بأسرها ، ومن المستفيد من بقاء الناس فى هذا السجن الكبير الذى عرف باسم (ماوراء الستار الحديدى) وأين تلك الأمانى والأحلام التى خدع بها الناس فى ظل الشيوعية اللا دينية والكفر بجميع رسالات السماء ؟؟

وعلامات استفهام كثيرة فرضت نفسها على إنسان العصر وحضارته ، وكان لابد فى النهاية من التغيير أو الطوفان . »

من روائع الماضى - بقية -

رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد منكم الغائب ومن قال لكم إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاتل فيها فقولوا له إن الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر أن يقع . لقد قتلتم قتيلا لأودينه ومن قتل بعد مقالى هذا فأهله بخير النظرين إن شاءوا فدية قاتله وإن شاءوا فقتله » ـ ثم بعد ذلك ودى الرجل الذى قتلته خزاعة ـ ثم أمر أن ينادى مناد فى أهل مكة (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك فى داره صنما إلا حطمه) وذهب إلى البيت الحرام وحطم كل الأوثان والأصنام وطهره من آثار الشرك ، وخطب الناس الذين التفوا حوله وتكاثروا فى المسجد وقرا عليهم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

ثم سأل أهل مكة بقوله : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم فقالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ـ وهكذا يعفو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عفوا شاملا عن قريش وأهل مكة بعد أن مكنه الله منهم بفتح مكة من غير حرب أو قتال .

حسن مأمون

السنة السابعة والثلاثون

أنباء وآراء

إعداد: د. عبد العزيز عزت عبد الجليل
الأستاذ/ عبد المنعم فودة
الأستاذ: صفوت عبد الجواد

كليات جديدة بالأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر « المبنى الجديد لكلية التجارة » فرع البنات بجامعة الأزهر، يسع المبنى ١٠ آلاف طالبة وبلغت تكاليفه ٩ ملايين جنيه .

كما قام فضيلة الإمام الأكبر أيضا بوضع حجر الأساس لكليتى « اللغات والترجمة » و « الدراسات الإسلامية » بمدينة نصر وتتكلفان ٦,٦ مليون جنيه وتسعان ١٨ الف طالب وطالبة .

وفد ولاية « ترنجانو بماليزيا »

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ووفد ولاية « ترنجانو بماليزيا » وذلك بمكتب فضيلته بعد ظهر يوم الأحد الموافق (١٤ من شعبان ١٤١٠ هـ ـ ١١ مارس ١٩٩٠ م) وقد بحثت فى اللقاء عدة موضوعات إسلامية منها :

إمداد معهد تحفيظ القرآن الكريم بالولاية بأحد المدرسين المتخصصين فى الترتيل والقراءات نظرا للإقبال الشديد على المعهد .

الرئيس التونسى يزور الأزهر

زار الرئيس التونسى زين العابدين بن على بعد ظهر يوم الخميس الموافق (١١ من شعبان ١٤١٠ هـ ـ ٨ مارس ١٩٩٠م) الجامع الأزهر الشريف .

وكان فى استقباله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وكبار المسئولين بالأزهر .

وقد استمع الرئيس التونسى إلى نبذة عن تاريخ الأزهر واستمع إلى حلقات الدراسة المنتشرة فى أرجاء المسجد لطلاب كلية « الدعوة الإسلامية » .

ثم زار بعد ذلك مكتبة الأزهر حيث شاهد الكثير من مخطوطاتها النادرة ومراجعها الكثيرة .

وقد أهدى الرئيس التونسى للأزهر الشريف عددا من المصاحف والمطبوعات « وتفسير القرآن الكريم » للطاهر بن عاشور .

وفد سياحى يشهر إسلامه

فى يوم السبت ٢٠ من شعبان سنة ١٤١٠هـ

أنباء وآراء

الموافق ١٩٩٠/٣/١٧ حضر إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عشرة أفراد من جنسيات مختلفة في مجموعة سياحية واحدة لإشهار إسلامهم . وقد تمت مناقشتهم وتبين صدق رغبتهم في الدخول في الإسلام .

وقد تم تزويدهم بالكتب الدينية باللغات الأجنبية وذلك بعد إعطائهم شهادات إشهار الإسلام باللغتين العربية والإنجليزية .

فى ايطاليا السجن لمن يسب الاسلام أو يسب نبى الهدى

تقدمت المحكمة الدستورية الإيطالية العليا بمشروع قانون إلى البرلمان الإيطالى ينص على عقوبة السجن لمن يسب الدين الإسلامى أو نبى الهدى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وأوضحت أنباء صحفية نشرت في تونس أن مشروع هذا القانون يعكس البعد الحقيقى لمكانة الدين الإسلامى في إيطاليا حيث يوجد أكثر من مائة ألف مهاجر مسلم يقيمون في إيطاليا ويتركز المسلمون في إيطاليا في مدينة ميلانو ويُعد المركز الإسلامى والمسجد الجديد مركزين لتجمع الجالية الإسلامية هناك .

الدعاية التبشيرية

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية : أن الفاتيكان أقام مركزاً وثائقياً خاصاً بإنتاج أفلام فيديو ذات مضامين مسيحية لنشر النصرانية في العالم وتوزع البرامج على المحطات التليفزيونية في كل أنحاء العالم .

وحذر عدد من العلماء المسلمين من الوقوع تحت تأثير وسائل الدعاية التبشيرية التى تهدف إلى تنصير المسلمين أيضا وتضليلهم بمعلومات خاطئة وإبعادهم عن دينهم الإسلامى القويم .

الاسلام فى دولة سورينام

في تقرير لوكالة الأنباء الإسلامية عن الإسلام في دولة « سورينام » .

ذكر التقرير :

أن « سورينام » إحدى دول أمريكا الجنوبية وعاصمتها « برامادييو » وكانت « سورينام » محتلة من هولندا .

عدد المسلمين في سورينام ١٠٦ آلاف مسلم وهم يمثلون ٢٠٪ من عدد السكان الذين يمثلون ٧٥ ألفا من الأندونيسيين المسلمين ، ٣٠ ألف مسلم هندى باكستانى وهناك بضعة آلاف من المسلمين الأفارقة والباقى ممن اعتنقوا الإسلام حديثا .

ويوجد « بسورينام » وزير مسلم وربع أعضاء المجلس التشريعى من المسلمين . كما يوجد « بسورينام » أكثر من خمسين مسجدا « ومدرستان إسلاميتان ثانويتان » وتصدر « مجلة إسلامية » باللغة الهولندية اسمها « الإسلام » كما توجد جمعية إسلامية هندية باكستانية في « سورينام » وهى التى تنظم العمل الإسلامى بها .

ويوجد أيضا « الاتحاد الإسلامى السورينامى » الذى أقامته الجالية الأندونيسية المسلمة ويقوم الاتحاد بإنشاء المساجد والمدارس لتعليم أبناء المسلمين .

المركز الإسلامى بفرنسا يعقد ندوات طوال شهر رمضان

قرر « المركز الإسلامى » بفرنسا عقد ندوات دينية طوال شهر رمضان المعظم لتوعية المسلمين بأمور دينهم وتزويدهم بكل ما يحتاجون إليه من معلومات إسلامية .

المعروف أن المسلمين فى فرنسا فى ازدياد مستمر . حيث يعتنق الإسلام كل يوم أعداد من المواطنين الفرنسيين .

العلماء يكتشفون ما قاله القرآن منذ أربعة عشر قرنا عن عسل النحل

اذاعت وكالات الأنباء أن عالمين بريطانيين اكتشفا أن عسل النحل به مادة تحتوى على خصائص المضادات الحيوية ، وله قوة على قتل عدد كبير من أنواع البكتريا ، هذه المادة يستخلصها النحل من عصارات نباتية .

١/٢ ١ مليون فرنك سويسرى ثمن مصحف من القرن الثالث عشر

تم خلال معرض « المنتجات الإسلامية » الذى اقيم مؤخرا فى قاعة درووت بفرنسا بيع نسخة من المصحف الشريف يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادى بمبلغ ١/٢ ١ مليون فرنك فرنسى وقد تمت كتابة المصحف بخط اليد فى مراكش بالمغرب عام ١٢٥٦ ميلادية ويتكون من

٦٤ صفحة من حجم (٢٩ × ٢٢سم) يضمها غلاف من جلد منقوش بأسلاك ذهبية .

توحيد فصائل المجاهدين الأفغان

أعلنت حكومة المجاهدين المؤقتة توحيد فصائل المجاهدين فى كل انحاء « أفغانستان » .

صرح بذلك عبد رب الرسول سياف رئيس الحكومة المؤقتة وقال إن وزير الدفاع فى حكومة المجاهدين سيكون مسئولاً عن (العمليات العسكرية) بين فصائل الجهاد ضد (النظام الشيوعى فى كابول) .

وأضاف سياف أن القيادة الموحدة ستشمل عددا من العلماء والمثقفين بالإضافة إلى القيادات الميدانية للمجاهدين .

وأكد سياف أن تعليمات صدرت للقيادات الميدانية للمجاهدين لتلافى الصدام لما فيه مصلحة الجهاد .

مؤتمر للاتحاد الإسلامى بكنـــدا

يعقد الاتحاد الإسلامى لأمريكا الشمالية فرع كندا المؤتمر السنوى السادس عشر لمنطقة شرق كندا بمدينة « سانت كاترين » بولاية اونتاريو فى ٢٦ شوال القادم .

بحث مشكلة الأقليات المسلمة التركية فى بلغاريا

ذكرت وكالة الأنباء العالمية الإسلامية أنه قد تم لقاءان بين وزير خارجية تركيا ونائب رئيس الوزراء البلغارى لبحث مشكلة الأقليات المسلمة التركية فى بلغاريا . وقد تم هذان اللقاءان

←

بالكويت خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٩م .
وقد تم تأجيل هذه المحادثات بناء على طلب المفاوض البلغارى نظراً للظروف التى تمر بها بلغاريا .

تشكيل المجلس الإسلامى للدفاع عن قضايا المسلمين فى فرنسا

الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران حث وزير داخليته بيرجوكس والمكلف ايضاً بالإشراف على شئون الأديان على تشكيل هيئة تمثل المسلمين فى فرنسا على غرار « المجمع اليهودى » و« الاتحاد البروتستانتى » .
وكان إمام جامع باريس الكبير قد دعا إلى تشكيل مجلس إسلامى أعلى يحاور السلطات الفرنسية دفاعاً عن قضايا المسلمين فى فرنسا الذين يبلغ عددهم ٣ ملايين مسلم ما بين مواطن ومقيم .

حملة اضطهاد جديدة ضد مسلمى كشمير

أكدت وكالات الأنباء العالمية بأن الوضع مازال متوتراً فى ولاية « جاموكشمير » الهندية ذات الأغلبية المسلمة بعد الاضطرابات التى تمت فى الأسابيع الماضية بين المسلمين والهندوس والتى أدت إلى قتل وجرح عدد غير معروف من الجانبين ولجوء أكثر من مائة الف مسلم إلى المساجد هرباً من الموت وقد تظاهر عشرات الآلاف من المسلمين بمدينة « سرنجار » عاصمة الولاية احتجاجاً على نظام حظر التجول الذى تفرضه القوات الهندية إثر وقوع الاضطرابات .

١/٢ ١ مليون دينار تونسى لأحدث مكتبة إسلامية

تم إنشاء أحدث « مكتبة إسلامية » بتونس تضم المكتبة أجنحة للمطالعة والتثقيف كما تضم مخطوطات إسلامية نادرة تفيد الباحثين والدارسين وبها قاعة كبرى للمحاضرات وجناح آخر للتراث الإسلامى وتبلغ تكلفة المكتبة مليونا و ٥٠٠ ألف دينار تونسى .

منهج للتعليم الإسلامى ببريطانيا

أقرت وزارة التعليم البريطانية لأول مرة فى تاريخ التعليم البريطاني منهجا للدراسات الإسلامية يمنح بموجبه الدارس شهادة التعليم الثانوية البريطانية العامة .
قامت بإعداد المنهج هيئة من الدارسين والمفكرين الإسلاميين تابعة لصندوق التعليم الإسلامى .
وستتخرج أول دفعة من الدارسين لهذا المنهج فى يونيو عام ١٩٩١ وصرح إبراهيم هوت مساعد مدير صندوق التعليم الإسلامى أن هذه الخطوة من جانب وزارة التعليم البريطانية يعتبر قفزة إلى الإمام تضع الدراسات الإسلامية فى بريطانيا على قدم المساواة مع غيرها من الدراسات .

الفهـرس

● الافتتاحية «فقه مختلف»
د . على احمد الخطيب ٨٦٥

● كلمة الأزهر فى مستهل شهر رمضان
لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ /
جاد الحق على جاد الحق ٨٦٧

● الاسراء والمعراج ـ نعمة من الله
لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق
على جاد الحق ـ شيخ الأزهر ٨٧١

● حوار مع فضيلة الإمام الأكبر ٨٧٦

● لقاء فضيلة الإمام الأكبر بالدكتور حمد الغايد ٨٧٩

● من صفات إبليس
د. محمد عبد المنعم القيعى ٨٨٢

● التابعون تلامذة الصحابة
للأستاذ احمد حسن جابر ٨٨٦

● الصوم فى القرآن الكريم
للأستاذ احمد عزت البرادعى ٨٩٠

● مع النبى الكريم فى شهر القرآن العظيم
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٨٩٦

● مع رمضان الكريم
للشيخ معوض عوض ابراهيم ٩٠٢

● حول ليلة القدر
للدكتور عبد البصير خليفة حسن ٩٠٥

● تقديم المصلحة المطلقة على الكتاب والسنة والاجماع
د . أحمد فهمى أبو سنة ٩١٠

● دور العقيدة والإيمان فى نصر العاشر من رمضان
لواء جمال الدين محفوظ ٩١٥

● الفتاوى
للشيخ على حامد ٩٢٠

● من اعلام الأزهر
للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح ٩٢٢

العلوم الكونية

● دوران الأرض حقيقة علمية اثبتها القرآن الكريم
للشيخ محمد على الصابونى ٩٢٦

● العلم فى منظوره الجديد
أ . د . أحمد فؤاد باشا ٩٣٢

الشعر والشعراء

اشراف د . حسن جاد

● المسلمون فى رمضان
أ . محمود محمد بكر ٩٣٨

● رمضان الحبيب
مصطفى أحمد دردير ٩٣٩

● بدر البطولة والفداء
رشاد محمد يوسف ٩٤٠

● ذكريات شهر رمضان
عمر موسى البرعى ٩٤١

● طرائف ومواقف
أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٩٤٢

● من روائع الماضى مجلة الأزهر
أ . عبد الفتاح حسين الزيات ٩٤٤

اللغة والأدب والنقد

● الحكمة فى شعر العقاد
أ . السيد حسن قرون ٩٤٨

● وقفة على مشارف كتاب
أ . محمد عبد الرحمن صان الدين ٩٥١

● من خير ما نشر
عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين ٩٥٥

● انباء وآراء
د . عبد العزيز عزت عبد الجليل
عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد ٩٥٩

القسم الانجليزى

اشراف د . انس النجار

● المقالة الثانية
بقلم لطفى على سلطان ٩٦٨

● المقالة الاولى
للدكتور أنس مصطفى النجار ٩٧٤

Islam makes of "work" and "need" the basis of the whole monetary system. Hence, it ensures the suitable standard of living to all; emphasizing the human value of work while building up the Islamic society. It then makes "work" the main reason for the rise of the individual income as a result of labour and effort.

The scope of Zakah is clearly set forth by Divine Ordinances in the Holy Quran, and therefore, must not be confounded with other forms of compulsory taxes imposed by the State on its Muslim and non-Muslim citizens alike. In the first place, Zakah is not a tax imposed by the State; nor is Zakah a tax destined to the State as such. The very nature of the institution of Zakah requires that the part, which the State is to play in the function thereof, is merely one of "supervision" and not of control, as is the case where government taxes are concerned. Only to enforce observance of the Divine Law as directed by the precepts of the Quran and the instructions of the Prophet. In some Muslim States, special cabinet is appointed the responsibility of all Islamic legislations including the funds of the Zakah and its social institutions. Besides the optimized system of Zakah, Islamic teachings highly encourage charity and benevolence as an act of humanitarianism.

according to very specified exact mathematical calculations. The monetary transfer results in a generalised financial moderation, and prevents the formtion of the critical gap betwen the welathy and the poor. This system of monetary transfer "Al-Zakah" is very rigorously organized in a proper Islamic Society. The process of Al-Zakah is a santification of the individual, and a purification of his wealth. It is an institution of Islam founded on an express command in the Holy Quran as one of the foundations of the practical religion.

Al-Zakah is a religious commitment incumbent upon any person who is free, sane, adult, and a Muslim. That individual should be in possession of property of such estate or effects as are termed in the language of the Islamic Law "the Nisab". The "Nisab" is a fixed amount of property or wealth that has been in possession of the same for the period of one complete year. The "Nisab" or fixed amount of property upon which Zakah is due varies with reference to the different kinds of property in possesion. The one complete year in which the property is held in posssession is termed the "Hawl", i.e. the return of duration.

The Zakah is not incumbent upon a man against whom there are debts equal or exceeding the amount of his whole property. It is also not due upon the necessaries of life, such as dwelling, houses, articles of clothing, household furniture, cattle kept for immediate use, professional articles, books used by scholars and tools used by craftsmen. The Zakah is incumbent upon the "Nisab" of such possessions as all forms of cattle, silver, gold, precious stones, cash money and Banknotes, articles of merchandize, mines, treasures and fruits of the earth.

The Zakah is received by collectors appointed by the State, although it is lawful for the possessor to distribute his Zakah among individuals that comply with the specified channels of expenditure of the Zakah money. In an Islamic State, however, the technical and administrative institutions of the State will utilize the total funds of the Zakah to finance the requirements and needs of the poorer elements of the society to provide their economic security and maintain dignified living conditions. The exact channels of expenditure of the Zakah funds are very well indicated by Divine command in the Holy Quran. The total funds of the Zakah per year in a Muslim Society reaches one fortieth of the capital wealth of all individuals subject to the "Nisab" and "Hawl". This should bring about the "society of sufficiency and security, which is the ultiamte aspiration humanity as a whole.

or stipulate any condition or restriction that could lead to the general harm of the public or be responsible for injustice to particular person. Islam has dealt with this very seriously in that it allowed expropriation of property if the owner abused his rights. The doctrines and mandates of Islam aim at establishing social welfare, security and propserity through ensuring individual freedom of action and ownership within the limits that would result ultimately into an integration of social economic security and financial satisfaction of the fundamental respectful living requirements.

Another aspect of the laws stated by Islam that have a socio-economic impact are those concerning the right of pre-emption (Al-shuf'ah). The neighbour has the right to demand the rejection of any sale of property in his immediate neighbourhood to be for his own favour, if such a sale to another party would bring him harm or cause him any inconvenience. The neighbour in such a case has greeater right than a newcomer. Islam does not allow anybody to keep his land without making good use of it.

Another outstanding socio-economic system introduced by Islamic doctrines is that of Al-Zakah. The exact meaning of the word Zakah is purification and the process and means of purification. The basic concept of wealth in Islam, is that Allah deputizes mankind for the ownership of certain amounts of wealth, and is provided by Divine codes of practice how to obtain the wealth, how to administer that wealth and promote it for public benefit. Allah also instructs that part of that wealth is the Divine Right of Allah to be given according to Divine specifications of amounts and channels of expenditure. The channels of expenditure are all directed to the social and economic security of the less fortunate individuals of the society. This system of Al-Zakah has proved to be the most practical and dignified methodology by which the poor elements of the society possess a right in the wealth of the affluent elements at all grades of affluence. Zakah is not a charity, it is a right by Divine sanction.

The Zakah has been prescribed on various types of wealth which are active in the different fields of social economy. Every religion has preached charity. However, the canonization of Al-Zakah in the Islamic law of economic hierarchy has given philanthropy and charity altruism an exact dimension of mandatory rights and a statute of regularity. Al-Zakah has assumed a permanence of optimal system analysis that is not encountered in any other socio-economic structure. Islam has introduced an integrated model of obligatory monetary transfer from the high to the low

inheritance because it is divine and absolute. Those who deviate and transgress are warned of serious reprimands. The Holy Quran very specifically and with precision defines the exact mathematical values for each person of rightful inheritance. It also cautions every Muslim against any transgression.

Muslim jurists do not permit an individual owner of property to make a testament of will. This they believe may go contrary to the already set laws of inheritance and thereby may prejudice the case of some who may be offered lesser than others. The teachings of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) has advised that Allah has prescribed for each his rightful share and therefore let no Muslim leave behind any testament of will related to inheritance".

Even those who allow a testament of will are specific that it could be done only in the one third of the individual's property. It is permitted to leave a testament of will in favour of a non-relative, somebody who is not of the kith or kin. This must be inacted only in one third of the property of the individual. It is reported that the Prophet said just after the verses concerning inheritance were revealed to him: "In the obligatory duties of Allah, no one can withhold any ordinance", (from its natural course). This in fact means that no property can be withheld from being distributed in accordance with the laws of inheritance. The property must be investigated in the light of the laws pertaining to the Islamic doctrines of inheritance.

These laws and ordinances as instituted by Islam introduce to the human society a noble pattern of rightful distribution of wealth. Most of the Western systems, which transfer the bulk property of the deceased person to his eldest son, allow the full freedom to dispose property at free will and create a situation where capital in its entirety remains in the hands of a few. This results in a condition of financial stagnation and great imbalance.

It will also help extravagant and destructive systems to flourish. This financial stagnation deletes and discourages endevours and efforts aiming at economic social stability. On the other hand, distribution of wealth according to the just laws of inheritance will certainly promote and energize economic activity on a wider social scale of interaction. Islam stipulates many conditions to establish social justice, eliminate class distinctions and respects freedom of private ownership. These conditions must ensure the general interest of the public and prevent injury or injustice to others. This is why it is prohibited for the owner of a property to intact

ECONOMIC INTEGRATION IN ISLAM (III)

By : Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

The economic doctrines in Islamic law are all basically regulated and conditioned by Divine Ordinances that are specified in optimized precision and exactness in the text of the Holy Quran. The divine nature of these doctrines stipulates them as mandatory to every Muslim to observe them as the "Right of Allah". Any infringement or violation of these doctrines is a sacrilege commited against one's belief. The ethical moral conscience of belief is the only real control on individual actions. State laws are only of regulatory and judicial nature. Two most important aspects of these doctrines are the system of Inheritance and the monetary system of Al-Zakah.

The laws of inheritance in Islam are determined according to a Divine System of social economic equilibrium wherein wealth is justly distributed among several individuals. These individuals are the immediate members of the family of the deceased. This expansion in distribution prevents the ownership of large amounts of wealth by a selected minority in continuity of inheritance. Inheritance is a right to sons, daughters, fathers, mothers, grandfathers, grandmothers, husbands, wives, brothers, sisters, uncles and their sons, sons of brothers and the children of sons. In certain circumstances, even distant relatives may become within the scale of inheritance. The exact system of inheritance scales and proportions is very intricate and precise and subject to exact circumstantial conditions.The most important aspect of concern is that it is a very highly justified system by which wealth is divided very fairly among several individuals. This in itself is an exemplary way which eliminates financial class distinctions, establishes economic equilibrium and maintains financial balance within the various elements of the society.

Islam prohibits any interference in the system of

➞

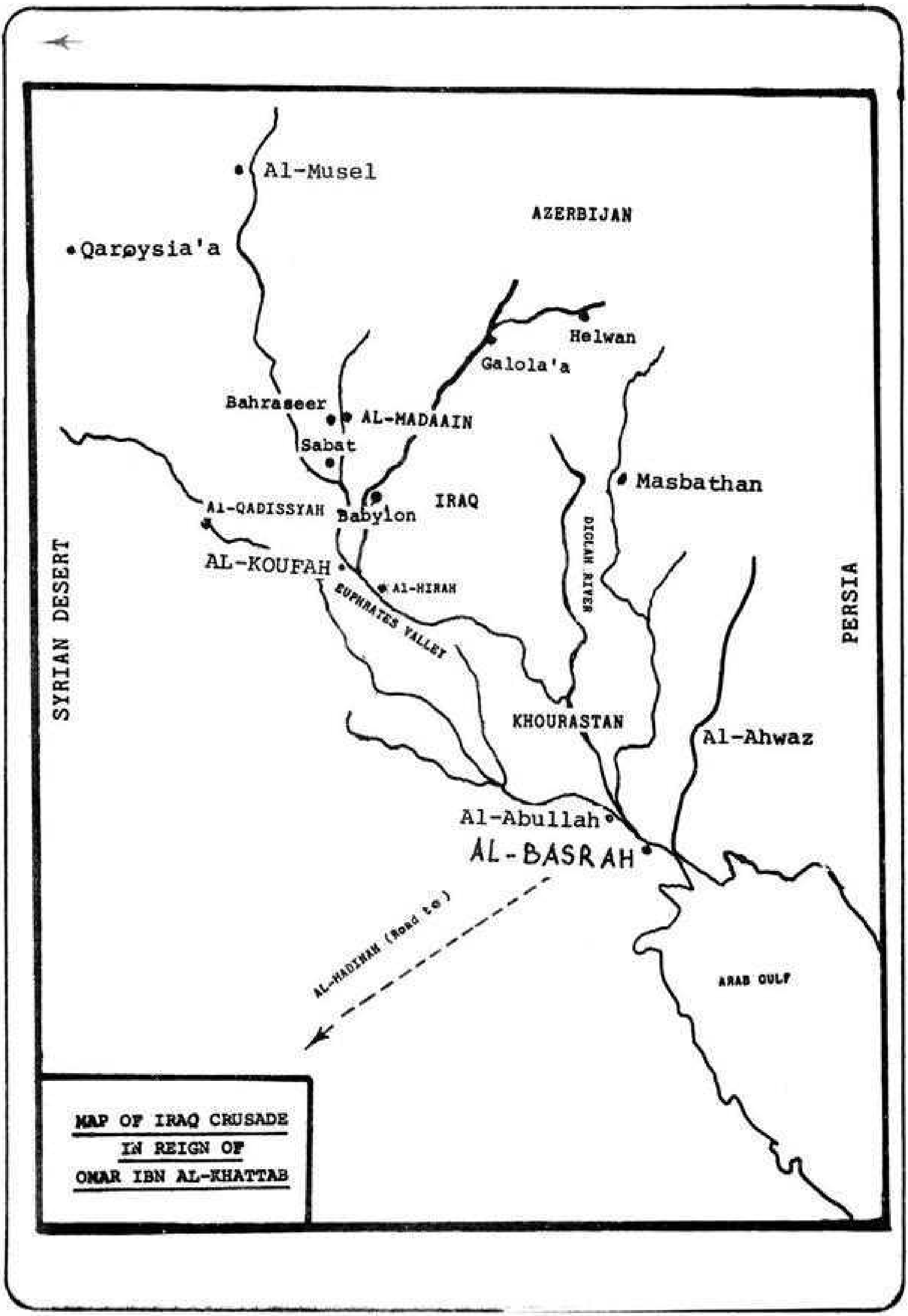
Al-Musel
AZERBIJAN
Qarøysia'a
Helwan
Galola'a
Bahraseer
AL-MADAAIN
Sabat
Masbathan
IRAQ
AL-QADISSYAH
Babylon
DIGLAH RIVER
AL-KOUFAH
AL-HIRAH
EUPHRATES VALLEY
SYRIAN DESERT
PERSIA
KHOURASTAN
Al-Ahwaz
Al-Abullah
AL-BASRAH
AL-MADINAH (Road to)
ARAB GULF
MAP OF IRAQ CRUSADE
IN REIGN OF
OMAR IBN AL-KHATTAB

warriors at Al-Basrah. The Persian forces were always defeated by the Muslims, and retreated to the Persian plains east. The muslims were under precise vigorous instructions from Omar ibn Al-Khattab not to follow the retreating Persians east into the Persian plains.

With such intentions, Omar ordered land surveys, new irrigation systems, reconstruction of bridges and roads, repair and restitution of all public facilities that were lost or destroyed during the hostilities. Persian technicians that remained behind help in such work of construction. These improvements and activities maintained an active justified life for the inhbaitants of Iraq, where there was an atmosphere of stability, social security and justice, economic propersity, freedom and respect of the human persoanlity. The doctrines of Islamic faith succeeded to indoctrinate in the minds the spiritual elegance, charm of character, confidence of the self, and the feeling of individual and social integrity and fulfillment.

such as rivers, roads, were public property under State control not subject to bussiness negotiations. This economic system of administration was very favourable to all the inhabitants of Iraq, even those of Persian descent who still remained in Iraq. The administrative policy was also highly approved and praised; giving the inhabitants of Iraq the full freedom under Islamic law of Shariah which specified and justified the social rights of Muslims and Non-Muslims. The whole country gained stable conditions of economy and social tranquility. The Muslim warriors remained as protective forces within Al-Koufah and Al-Basrah, with Saad ibn Abi Waqqas as the presiding Ameer, the representative of Omar ibn Al-Khattab in Iraq. The main duties of these forces were to safeguard the social politico-economic system of the Muslim regime; and also to preserve Iraq from any future Persian invasion. Omar ibn Al-Khattab totally refused to give land ownership to the Muslim warriors. They were veterans of war, and must remain as such, without competing with the farmers in land cultivation or ownership.

The liberal progressive socio-economic system of Muslim administration in Iraq established social sufficiency, and brought financial revenue returns to the Muslim treasury at Al-Madinah. The sources of these revenues were the "Kharaj" from the cultivated lands, the "Jiziah" paid by the Non-Muslim fractions of the population, and the income from the State property on lease to some farmers. The State was responsible for establishment of irrigation systems, dams, bridges, roads and other such facilities of public interests. Education was basically and essentially Islamic, Muslim jurists of theology were appointed for the tutition of Islamic teachings and culture. This was mandatory to the Muslim population of the lands, and also to the Muslim warriors resident at Al-Koufah and Al-Basrah. There were also appointed commissioners responsible for the internal revenue funds and the financial administration for local regions, and for the whole country. Judicial tribunal matters were settled by magristrate arbitrators who implemented their function according to Islamic laws of jurisdiction and jursiprudence. Omar ibn Al-Khattab as the head of State at Al-Madinah was the person authorized to nominate the officers for these various functions.

Omar ibn Al-Khattab insisted, and gave strict orders to his army commanders at Al-Koufah and Al-Basrah to remain very vigilent and expedient to meet any counterattacks from the Persian forces. Such attacks did take place especially in the southern sector of the country, where Al-Hormozan the Persian military commander tried several times to raid the Muslim

Iraq had been liberated from the yoke of Persian occupation rule and its dispotic injustice. The inhabitants of these territories came to realize that Muslim administration had the fundamentals to establish social rights, justice, right of property, freedom of worship, and maintain a system of human equality and respect. For such reasons, these local inhabitants gradually developed a progressive desire to know and embrace the teachings of the new faith of Islam. Many of these inhabitans joined the new faith and the rest remained free practicing their beliefs. Omar ibn Al-Khattab had to develop the suitable policy by which he could realize his intention and purpose of combining the north of the Arab Peninsula to the mainland in one geographical, political unity under the domain of Islam.

Omar ibn Al-Khattab consulted and discussed the details of the situation with several companions of the Prophet, men of knowledge and wisdom. He finally decided that Iraq must be cultivated by the farmers of Iraq, arabs and non-arabs alike. These farmers had to submit to the Muslim law of land taxation "the Kharaj". There was a social administration system of justice, legality, honesty and equality. The Muslim warriors were granted special areas for their living. Omar ibn Al-Khattab ordered that certain sites should be selected which were qualified as having good dry climate suitable for the health of the nomad' arab tribes who constituted the bulk of the Muslim warriors in Iraq. Omar wrote to Saad to instruct that such sites should be selected as residencies for the Muslim warriors in Iraq. Two main sites were chosen; the first was near Al-Hirah where a city was built named Al-Koufah. The second site was Al-Basrah near Al-Abullah in the Delta of the two rivers, neighbouring the shores of the Arabian Gulf. Both places grew rapidly and were populated by Muslim warriors. Al-Koufah was inhabited by the men under command of Saad ibn Abi Waqqas, and also migrating tribes from south of the Peninsula. Al - Basrah was inhabited by the men under command of Utbah ibn Ghazwan, and also migrating tribes from north of the Peninsula. These cities were erected from straw huts, but were later built into dwellings of mud bricks. Each of the two cities had a large Mosque for prayers, a neighbouring administrative building, and large market place. Omar ibn Al-Khattab developed a system of land reclammation and land reformation to be adopted in Iraq. All farmers reclaimed their lands for cultivation, and all land owners were given their property of land. The lands previously owned by members of the imperial house and other dignitaries who took part in the actual fighting was considered property of the Muslim State and was not subject to any transaction. Farmers could cultivate such lands of State property under conditions of lease. Public facilities

Hashem ibn Utbah marched with his men to reach the well defended city of Galola'a where the Persian forces were very well entrenched. Hashem established a tight siege on the city, however, provisions drained profusely to the Persians from Helwan; and came continuously uninterrupted to the Muslims from Al-Mada'in. For such reasons of a stable situation, the siege remained for eighty days. During that period, the Persians went out to fight the Muslims, but always returned defeated. Their commander Mehran finally ordered a massive attack against the Muslims, which ended by an utter Persian defeat after very fierce and savage violent fighting on both sides. However, the Muslim warriors finally triumphed and entered Galola'a. The Persian troops retreated to Helwan followed by Al-Qaqaa ibn Amre and part of the Muslim army. Yazdegrid fled from Helwan to distant places east into the plains of Persia. Al-Qaqaa entered Helwan overcoming the resistance put by the defeated retreating Persian forces. Galola'a and Helwan were occupied by Muslim warriors who penetrated further north to reach Al-Musel nearing the Syrian desert from the north. News of the triumph at Galola'a and Helwan were sent to Omar ibn Al-Khattab with one fifth of the spoils of War; and asking permission for the Muslim warriors to advance east into Persian mainland. Omar ibn Al-Khattab instructed Saad ibn Abi Waqqas not to advance any further. Omar said in his words to Saad "I wish there were an impermeable barrier an obstructing interseption between the valley of the rivers, and the vast plains east, through which we cannot penetrate to them, and they cannot penetrate to us". The opinion of Omar ibn Al-Khattab was very wise indeed. He was mostly concerned about the safety of Muslims, about the stability of Muslim presence in the lands occupied; and most of all about establishing the teachings of the new creed in the territories of Iraq. The policy of Omar ibn Al-Khattab was to unite all the tribes of Arab descent in one theopolitical unity extending from the Indian Ocean south to the north of Iraq and Syria. In these regions, Islam would dominate as the new ecumenic way of life for the advancement and promotion of the human race in these regions.

The Muslim warriors were freely moving through the lands between Masbathan east to Qarqysia'a north west. They had defeated all Persian resistance, and had subjected the inhabitants of these districts to the justice of Muslim administration in all walks of life. The South of Iraq was reoccupied by Utbah ibn Ghazwan who was commissioned by Omar ibn Al-Khattab to crusade into the south of Iraq and eliminate Persian presence in these regions. Utbah succeeded to reach Al-Ahwaz to the east and Al-Abullah at the delta of the Euphrates river. At this stage of events, the whole Arab

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE MUSLIMS IN IRAQ

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

The essential purpose of the Iraq Crusade since the reign of Abu-Bakre Al-Siddiq was to proliferate and promote the doctrines of Islam into lands outside the Arab Peninsula. The achievement of that purpose would also provide territorial security against any alien interference from the Roman Empire or the Persian Empire both of which were highly potential military powers of great superiority and strength. The regions stretching north of the Arab Peninsula into Palestine, Syria, and Iraq were inhabited by nomad tribes of essentially arab descent. Since the time of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), it was conceived that those territories were the natural geographic and racial extensions of the Arab Peninsula. The spread of the Islamic creed would take a natural course to the north. The same concepts of thought were adopted by the Khalifah of Rassul-Allah Abu-Bakre Al-Siddiq, and were continued with the same adamant intention by Ameer Al-Moumineen Omar ibn Al-Khattab.

During the early reign of Omar ibn Al-Khattab, Muslim warriors under Saad ibn Abi Waqqas had reached Al-Qadissiyah and Al-Mada'in, and were scouting news of the retreating and defeated Persian forces who were assembling at Galola'a north of Al-Mada'in, while emperor Yazdegrid III was residing at Helwan further north to Galola'a. News reached Saad ibn Abi Waqqas that the Persians were rigidly determined to make the last stand against the Muslim warriors at Galola'a. Yazdegrid ordered Mehran to command the Persians at Galola'a and supported them with reinforcements military equipment, provisions and needs for a long campaign. The details of the Persian masses and preparations at Galola'a reached Saad, who in turn wrote to Omar ibn Al-Khattab the exact situation. Omar wrote to Saad to advance Hashem ibn Utbah at the head twelve thousand men, with a vanguard commanded by Al-Qaqaa ibn Amre, and also specified the names commanding the flanks and the main body of the army.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART IX

RAMADAN 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

The Muslims in Iraq

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Economic Integration in Islam Part III

By: Lotfi Ali Soultan.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان

إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٥٠٦

شوال ١٤١٠ هـ

مايو ١٩٩٠ م

الجزء العاشر

السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد الفطر

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

هذا يوم من ايام الله المباركة ، قد اتم الله به النعمة على المسلمين حيث وفقهم لصيام شهر رمضان وقيام ليله بتلاوة القرآن ومدارسته وبالصلاة وبذكر الله بما شرعه الله واوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

هذا يوم عيد الفطر من السُنة ان نبداه بالتكبير :

الله اكبر ، الله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

العيد في الإسلام له مظهران :

احدهما : الاعتداد بقيم الأمة الإسلامية .

والمظهر الآخر : الجهر بالاعتداد بهذه القيم وإعلانها وتعليمها للناس ..

في عيد الفطر من السُنة .. افتتاح التكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد .

عيد الفطر

ومن السنة العناية بالمظهر بان يتزيا الناس باحسن ثيابهم وانظفها . فقد زينوا باطنهم بالصوم وطهروا به قلوبهم من الغل والحقد والحسد ...

والأعياد فرصة لتجديد الحياة فى نطاق ما احل الله ، فرصة لتقوية الصلات الأسرية والاجتماعية بالصلح بين المتخاصمين .. والصفح بين المتقاطعين .

إن المجتمع الإسلامى لم تتميز حياته على غيره بالأطعمة والوانها واسلوب تناولها ، وبالتقدم او بالتاخر فى الحضارة وما يتبعها من فنون الصناعة وما اشبه ذلك مما يعرض لجماعات عديدة او يشترك فيه اكثر من جماعة إنسانية ، ولكن حياة المسلمين امتازت بالإيمان بالله الواحد ، وبالاحتفاظ بالوحدة فى الشعار وفى العلاقة بينهم ، تلك الوحدة التى توحى بها العبادات : الصلاة والزكاة والصوم والحج كما امتازت حياة المسلمين وصار سمة لهم ، ذلك النداء الذى يبدأون به يوم عيدهم ، وكل صلواتهم الله اكبر : نزيد عليها فى يوم العيد : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ..

يوم العيد يوم نجدد فيه العهد على الاحتفاظ والمحافظة على عناصر الوحدة التى قامت عليها امة الإسلام وربطت بين شعوبها على اختلاف السنتها والوانها ..
إن عيد الفطر يعقب صوم شهر رمضان ، وهذا الصوم قد ايقظ فى نفس كل صائم الإخلاص لله فى السر والعلن ، مستشعرا ان الله قريب : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ..

هذا العيد مودة ومحبة ومسرة وشكر لله سبحانه .. ان اتم النعمة .. ولقد سن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، صلاة العيد ، ، وامر ان يخرج إليها الولدان والرجال والنساء فرحين مستبشرين يتبادلون التهانى ، متعاطفين ، متعاونين على البر والتقوى .

فى يوم العيد تستيقظ العلاقات الإنسانية بين الأفراد والأسر حتى تشمل المجتمع كله فتزول الجفوة وتحل المودة والمحبة ذلك لان غاية الصوم فى رمضان لم تكن مجرد الإمساك عن الطعام والشراب وسائر الشهوات وعن لغو الحديث فحسب وإنما مع هذا إمساك عن الغضب مع تحمل للأذى ، فالصوم كان إمساكا نفسيا وماديا مما هيا الصائم للتدريب على مواجهة ما يعترض حياته الإنسانية سواء فيما يتصل ببدنه او نفسه على حد سواء ..

وقد هياه الصوم للتماسك والصفاء مع غيره وفى نهاية الصوم ياتى العيد وقد تكاملت فى النفس عوامل التجديد والترشيد للسلوك الخاص والعام .
، عيد الفطر ، شكر لله على توفيقه للانتصار على الشيطان وحزبه ، فليكن الشكر مزيدا من

طاعة الله باداء فرائضه والامتناع عما نهى الله عنه وتوثيقا للصلات الإنسانية مع المجتمع وإصلاحا وتهذيبا للطباع واستقامة على الطريق المستقيم ..

وليس العيد كبتا وتزمتا ، كما انه ليس موسما للخروج على قيم الإسلام وآدابه فروّحوا فيه عن انفسكم واهليكم بما اباحه الله ، ودون تجاوز لحدود الله أو تعد على الناس ..

ونحن المسلمين : نحتفل بعيد الفطر المبارك علينا ان نذكر ما تتعرض له بعض شعوب الامة الإسلامية من انتهاك لحرماتها ولحقوق الإنسان بوجه عام وان على الأمة ان تعين هذه الشعوب على مقاومة العدوان على كيانها البشرى وعلى أرضها ودورها وان تمد المستضعفين من المسلمين بما يثبت منهم الأقدام فى مواجهة أعدائهم الذين لم يدخروا جهدا فى العدوان والإذلال والله من ورائهم محيط .

هذا : ولقد مرت بالشعوب العربية خلال شهر رمضان عاصفة عاتية وحرب نفسية غادرة كان هدفها تفتيت وحدة هذه الشعوب وتفريق كلمة زعمائها تخويفا وإرهابا بادوات الحرب والدمار ، وإعادة لتلك القصة القديمة الحديثة بين الحمل الوادع والذئب الغادر الذى قال للحمل : ياهذا عكرت على الماء ..

بل إن هذه العاصفة من التهديد والتخويف وحشد وسائل الإعلام المختلفة ذات الصوت العالى وبالضجيج المتغابى إرهابا للشعوب العربية وتمهيداً لامر بيت بليل واستفزازا يتخذ ذريعة لما وراء كلمة الذئب : ياهذا عكرت على الماء ..

ونحن المسلمين ـ نذكر فى تاريخ الإسلام واحد من أعتى هذه العواصف التى تعرض لها المسلمون ..

ذلكم يوم تجمعت احزاب الشرك وتنادت إلى حصار المدينة المنورة وسبقت إلى المسلمين اخبار هذه الجموع الحاشدة عشرة آلاف مقاتل من قريش واحلافها بعتادهم واسلحتهم جاءوا مصرين على إرهاب المسلمين وأبادتهم فماذا كان من المسلمين وهم قلة فى العدد والعدة ، هل نال منهم الإرهاب والتهديد والكثرة ـ الكاثرة والشر المتطاير لقد فكروا وقدروا فرتبوا امكنة لحماية النساء والولدان وحفروا الخندق لأول مرة فى بلاد العرب ، اى انهم بلغة العصر اقاموا التحصينات والتدريب للمقاتلين ، واستعدوا للقاء اعدائهم ، لكنهم مع هذا صبروا وصابروا مقدرين لكل خطوة موقعها وآثارها ، استثارهم العدو المهاجم المحاصر لهم فثبتوا فى مواقعهم وخلف خندقهم يحرسون مدينتهم ، وحين نشبت المناوشات الفردية بين المقاتلين كانت الغلبة لمن دخل الحلبة من المسلمين ..

هذا الثبات والصدق مع الله ومع النفس دفاعا عن الأرض وعن العرض دون ـ تهور ، بل مع

عيد الفطر

تقدير كل الظروف والقدر للفريقين وكانت العاقبة ما وصف الله فى قوله سبحانه فى سورة الاحزاب ..

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ .. إلى ان قال الله : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ ..

وكان صدق موقف المؤمنين وإصرارهم على الدفاع عن ارضهم وعرضهم مع ثبات قلوبهم واقدامهم فى مواقعهم ، كان كل هذا وسيلة إلى النصر الذى تحقق وانقشعت الأحزاب ، وكان الإعداد المادى الدفاعى متناسقا مع التعبئة النفسية للمقاتلين ، بل لكل المسلمين رجالا ونساء وولدانا ثم الحوار مع الأعداء تخفيفاً لآثار الإعصار الذى اثاروه ، كان هذا مع تأييد الله لجنده سببا للنصر : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا .. ﴾ .

ونحن ـ المسلمين ـ نواجه العاصفة او الإعصار والحصار من كل اتجاه وفى عديد من المجالات فعلى الشعوب الإسلامية ان توحد خطتها وتواجه ازمتها بشجاعة جند غزوة الأحزاب دون اندفاع تنثلم به وحدة الصف .

ولقد كان امرا محمودا هذا التحرك السريع واللقاءات العاجلة بين الزعماء لاحتواء عناصر الإثارة ووقف التهديدات المثارة ، دون إغفالها ، فإن وميض النار مازال تحت التراب ..

فلتاخذ الأمة الإسلامية كافة ، شعوبا وحكومات وزعماء حذرها ـ ولتصمد ولتواجه التحدى بالحكمة المقرونة بالعدة ، ولتثق الأمة بنفسها وبزعمائها حتى تجتاز هذه المحن المترادفة المتواكبة ولتحذر الخلاف فإنه إتلاف للقوة وتمهيد للنكبة : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ .. ﴾

ولقد اوضح القرآن عناصر النصر فخذوا بها ولا يكن امركم عليكم غمة ...

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

اهنىء أمة الإسلام ـ شعوبا وحكومات وزعماء بعيد الفطر وادعو الله سبحانه ان يتقبل منا جميعا صوالح اعمالنا وأن يغفر لنا مافرطنا او فرط منا او نسينا وان يوفقنا للعمل بالإسلام وأن يعيد امثال هذا العيد على الأمة الإسلامية جميعا وقد تكاملت صفوفها وتوثقت صلاتها ...

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ..

رحم الله شيخنا

فضيلة الإمام حسنين محمد مخلوف

عضو هيئة كبار العلماء، ومجمع البحوث الإسلامية

د. على أحمد الخطيب

بسم الله ....

ولا نزكى على الله احداً . سبحانه هو اعلم بمن اتقى،واحسب ان شيخنا الجليل المفتى الاسبق لمصر من الذين يخشون ربهم ، ويخافون مقامه ويخافون وعيده .

عاصرناه مفتيا ، ثم قضى الله ان نعاصره مع امتداد عمره ، فكان العالم الجليل الذى يجهد نفسه ، ويحملها ويتحامل عليها ليقرا للمسلمين بمسجد سيدى الحسين - رضى الله تعالى عنه - درس رمضان بعد العصر حتى اقعده المرض ..يفتح « الملزمة »من صحيح البخارى ليقرا الحديث ثم يطويها ويسترسل فى الشرح الكريم فيعود بنا إلى عصر بحار العلم الزاخر من امثال الإمام ابن حجر والنووى واضرابهما-رحمهم الله .

وعاصرنا فتاواه ؛ فإذا هو لا يحجم عن تكفير رأس دولة،جَمَع مدرسى دولته ليأمرهم بأن يعلموا الأطفال بأن محمداً « ﷺ »[1] جمع خرافات القبائل ووضعها فى القرآن الكريم .. حاش لله،وطارت الفتوى إلى هذا الكافر لِتَصِمَهُ وصمة الأبد،وتخزيه خزى الزنيم .

وشاء المولى - عز وجل - أن يُنعم علىَّ بأكثر من لقاء مع الراحل الفاضل فى داره .. وفى مصر بغير داره .. وفى خارج مصر بمسجد النبى - ﷺ - وفى هذا الحرم النبوى - اشار إلينا بأنه إنما يؤدى حق الله فى الفتوى .. أو كما قال - رحمه الله .

وفى منزله كان كريم الإهداء سخيا بالعظة الحبيبة ، محدثا بشىء من سيرته الطيبة .

كان - فى منزله - يهدى ضيوفه نسخة فاخرة من مؤلفه العظيم : « صفوة البيان لمعانى القرآن » .. وهو تفسير للكتاب العزيز محكم مختصر يقع فى مجلد واحد حوى خمسا وثلاثين وثمانمائة صفحة من القطع ٣٠ × ٢٠ سم - كتبه - رحمه الله .

(١) هذه عبارة الكاتب لا رئيس الدولة .

«واضح العبارة ، دانى المجتنى .. يستغنى به عن استيعاب المطولات .. كما يستغنى به عن المختصرات التى يدق على الأذهان فهمها ، وتنبو عنها إشاراتها[٢]»
وعندما حظيت منه بهذه النسخة أحببت أن أحتفظ بصورة من خطه فسألته أن يكتب لى كلمة فكتب فى تواضع عجيب :
« هدية لحضرة الأخ الفاضل السيد على أحمد الخطيب حفظه الله ووفقه ، ووقع بإمضائه وأرخ بـ « ١٠ رجب ١٤٠٣ هـ ».

ومن عظته الحبيبة لنا - بإحدى الجلسات - حثه إياناً على قراءة أسماء الله الحسنى يومياً ، فإنها كنز عظيم واق نافع وبركة عامة .
وأما أحاديثه .. فكم كانت طيبة .. وكم كانت تروع .. بل ربما ألقت بسامعه إلى داخل نفسه فتحسسها بدقة،واستغفر الله الغفور لها :
أشهد أنه قال لى : « إننى لا أخشى الموت » أو « لا أخاف الموت » ،حسبك من رجل .. كيف هو ؟! إذا كان على استعداد للقاء ربه الكريم .. إنه" عتيق الرحمن "
ومن حديثه مادونه كتابة ولكنه وضحه لى ، فقال :
إن والده الشيخ محمد مخلوف - حين كان مديراً للأزهر والمعاهد الدينية - أمره وكان يومئذ طالبا بالسنة الثانية الابتدائية بالأزهر - أن يكتب فى « الرفق بالحيوان » فكتب كتابا ، ويبدو أنه انتهى منه فى شعبان ١٣٣٢هـ - يولية ١٩١٤ م وقد قدمت إدارة مجلة الأزهر هذا الكتاب هدية مع عدد رجب ١٤٠٣ هـ وفى الكتاب مقدمة حوت ما تقشعر منه ابدان النفوس السليمة؛فكانت نكالا فوق نكال على « أصغر الناس نفوسا ، وأقلهم إحساسا ، وأبعدهم عن الفضيلة » .
أصحاب النفس الصغيرة التى « تحسب الرفق جبنا والرحمة خورا » وتتلذذ بمشاهدة الفتك والوقيعة ومناظر الإيلام والتعذيب ، ويطربها أحيح المكدود ، وزحير المكروب كأنها رنات المثانى ونغمات الأوتار » .
ومن حديثه الذى عجبت له كما عجب الآلىَ وقع أمامهم مضمونهُ لأول مرة هذا الحديث، الذى يفتح سَرَباً إلى شخصيته ، قال لى - رحمه الله :
حين طُلب إلىَّ اختيار البلدة التى أعمل بها عند تعيينى بالأزهر طَلبتُ « قنا » فكان ذلك مثارالدهشة ، إذ أن أحداً لا يطلب قنا هذه ، ولا ما هو أدنى إلى القاهرة منها ، فكيف يطلب هذا الخريج العمل بـ « قنا » قال :

---

(٢) للشيخ - رحمه الله - كتيب شرح فيه مفردات القرآن شرحا وافيا على ترتيب النظم الكريم لا على ترتيب المعاجم اللغوية ، وقد ضمه إلى هذا التفسير الجليل ، وله غير هذين كتب كثيرة .

«كان شيخي في الطريق مقيما بها فأحببت أن أكون بجواره»(٣)، ولست أنساه حين وقف مؤنبا أحد المتحدثين بمؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية «تفضل» فيه هذا المتحدث بشيء من الألفاظ التي يرددها بعض الكتاب ضد العلماء من نحو "ضِيق الأفق". وما إليها من ألفاظ سوقية يراد بها زحزحة العلماء عن النهج الفقهي القويم، وكان المتحدث يعلم من هو الشيخ حسنين مخلوف .. فكان درسا نافعا .

على أن أغنانا حديثا سمعه من الشيخ، بل وسجله هو الزميل الفاضل الأستاذ حسن علي رزيق العنيبيسي المذيع بالبرنامج العام بإذاعة جمهورية مصر العربية .

كان تسجيله هذا مثار دهشة ولد الشيخ الذي يعمل سفيرا لمصر بدولة الباكستان حاليا إذ لم يسمع من والده الكثير مما ورد في هذا التسجيل ..

وكان للشيخ فتاوى :

وليس من المبالغة أن نقول: إنها رَجَّت العالم بأسره، أفتاها حين كنا طلبة بالقسم الثانوي بالأزهر دُرَّةِ مصرَ ومَلاذِها الحصين، وسوف أذكر منها فتويين فقط فإني بين يدي «مجلة» تلزمني بحجمها : فأما أُولَى الفتويين ففتواه بشأن القاديانية وخروجها على الإسلام .

كان ذلك في العهد الملكي، واتُّهِمَ الشيخُ - رحمه الله - بأنه أصدر هذه الفتوى انتقاما للملك فاروق، أي لم تكن فتوى خالصة لدين الله - تعالى، وأن الشيخ إنما أصدرها بعد أن التقى «ظفر الله خان» وزير خارجية باكستان بالملك فاروق، ونصحه بشأن سلوكه في مصيفه بالغرب .

ولم يُولِ الشيخُ هذه التهمة اهتماما، وما أكثر ما اتهم وشُنِّع عليه، فلم يعر ذلك أذنا واعية شأن النفوس الكبار التي خرجتها بيوت العلم والسكينة .. ومرت الأيام تُصَدِّقُ الفتوى وتدلي بتأكيداتها وتزيد :

←

---

(٣) إنني أكتب من الذاكرة معاني ما حدثني به - رحمه الله - حريصا على أدائها، قد تكون نص قوله أو معناه .

فقد أفتى فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق فى بيان نشر بمجلة الأزهر عدد ذى الحجة ١٤٠٥ ـ سبتمبر ١٩٨٥ ـ نفس الفتوى ثم ما يترتب عليها ، ونحن نقتطف من البيان ما يأتى .

أولا : قرر فضيلة الإمام قول الدكتور محمد إقبال عن القاديانية إنها « ثورة على نبوة محمد ـ ﷺ ـ ومؤامرة ضد الإسلام ، وديانة مستقلة ، وأن القاديانية ـ وحدها ـ ليست جزءاً من الأمة الإسلامية العظيمة » .

وقال فضيلة الإمام تعقيبا على هذه الكلمة :
« ذلك لأن هذه الجماعة خالفت إجماع المسلمين ، واتفاقهم على أمور صارت معلومة من الدين بالضرورة » .

وفصّل البيان بعض هذه الأمور فى وضوح ، ما جاء منها بشأن « خاتم النبيين ﷺ » وما « جاء خاصا بالمسيح والبتول على نبينا وعليها أفضل الصلاة والسلام » ثم قال فضيلته : وقد سارت فرقة « الأحمدية » فى عقيدتها وسلوكها على نهج أصلها « القاديانية » وانتسبت الأحمدية إلى الميرزا غلام أحمد الذى تواترت كتاباته بادعائه النبوة يُصرِّح بها ، ويكفر من لا يتبعه ، وإن حاول بعض أتباعه تفسير كتاباته بادعاء أنها مجاز وليست حقيقة .

واستطرد فضيلته فقال :
وطائفة الأحمدية ـ بهذا المتقدم ـ وغيره ، وكذلك أصلها القاديانية ، كلتاهما ـ فى مسلكهما وطرقهما المتشعبة بدءاً واستمراراً ـ بعيدتان عن الإسلام ، إذ لاشك أن عقيدتها ـ فى كل أجزائها تخالف ما أجمع عليه المسلمون من عهد النبى ـ ﷺ ـ » .

ثانيا ولا زلنا مع الإمام ايضا .. قال :
« وإذا كانت معتقدات القاديانية والأحمدية على ذلك النحو تكون قد انحرفت بهم عن ، الإسلام : عقيدة وشريعة ، وصاروا ـ بما حرفوا وما اعتقدوا ـ من غير المسلمين لا يجوز دفن موتاهم فى مقابر المسلمين باتفاق الأمة ».

ورحم الله شيخنا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهى ، فقد حدثنا فى محاضراته التى ألقاها علينا بشعبة الفلسفة ـ كلية اللغة العربية عام ١٩٥٥ م ـ فبين لنا أن أشد ما أرّق الاستعمار ، وبخاصة البريطانى ، أمران فى الإسلام :
١ ـ الجهاد .
٢ ـ وكون خليفة المسلمين يجب أن يكون مسلما .

واستطاع الحاكم البريطانى فى الهند أن يتبنى غلام أحمد هذا ويسبغ عليه من نعم انجلترا فأهدى ميرزا غلام أحمد لها أعز ما اشتاقت إليه إذ نادى :

أ ـ بأن الجهاد إنما كان لنشر الإسلام ، والإسلام قد انتشر فلا حاجة إليه .

ب ـ وأن خليفة المسلمين لا يشترط أن يكون مسلما مادام لا يتدخل فى عبادات المسلمين .

● ● ●

تلك فتوى وأما الثانية فكانت فتواه بخلو شراب الكوكاكولا من الكحول وقد تصدى له ـ فيها الأستاذ أحمد حسين رئيس جماعة مصر الفتاة حينئذ ، واتهمتْ صَحيفتُهُ الشيخ بأنه أفتى هذه الفتوى لأن ولده يعمل مديرا بشركة الكاكولا، وسكت الشيخ كعادته .

ورحم الله الأستاذ أحمد حسين فقد أقر بخطئه وهو على فراش المرض ، حدثنى شيخى فضيلة الدكتور عبد العظيم على الشنارى عن ندمه على ما قال فى حق الشيخ ، والندم توبة .

نسأل الله العلى الرحيم لنا ولهما المغفرة والرضوان .(*)

● توفى الشيخ حسنين مخلوف ـ رحمه الله
يوم الأحد ١٩ من رمضان ١٤١٠ هـ .
الموافق ١٥/٤/١٩٩٠ .

عصمة الأنبياء

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

قال الله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ .

الهمزة هنا ـ اى فى « فازلهما » ـ تحتمل ان تكون للصيرورة ، تقول : اولد الرجل ، صار ذا عيال ، وتحتمل أن تكون للدخول فى الشىء كما تقول : اصبحنا ، اى دخلنا فى الصباح ، ويحتمل ان تكون للتعريض كما تقول : ارهنت المتاع ، اى عرضته للرهن ، وايما كان التقدير ، فقد اوقع الشيطان آدم وحواء فى الزلة ، وهى المخالفة .

ولاهل العلم وللناس فى عصمة الانبياء اقوال عديدة ، وتفصيلات كثيرة .. مما يثير فى النفس التعرض بإيجاز إلى معنى العصمة ، ومن اى شىء تكون ؟ ومتى تجب للانبياء والذى اراه : ان العصمة ملكة تقوم بنفس الانبياء ، تامرهم بالخير ، وتنهاهم عن الشر ، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء ، وما نسب إليهم ، يجب التحقق من ثبوته اولاً ، ثم تفهمه حسبما تشهد له الأدلة الصحيحة والقواعد الاصلية .

أما من اى شىء ؟ فأراه مما لو وقع لقدح فى رسالتهم ، وليس من ذلك الأمراض المعدية ، أو الجروح التى تصيبهم ، فهم بشر يجرى عليهم ما يجرى على الطبيعة البشرية مما لا يورث نقصاً ، وليس فى محوه عنهم مزيد كمال لهم ، إذ ليس من النقص كسر رباعيته ﷺ فى أحد ، ولا من الكمال له ﷺ الا يتأثر بالشاة المسمومة فالعصمة حفظ الله للانبياء من أن ينال الناس منهم شيئاً يعطلهم عن أداء الرسالة وهم أشد الناس ابتلاء ثم الذين يلونهم حتى يبتلى المرء على قدر دينه ، فمن عظم دينه ، اشتد بلاؤه ، ومن رق دينه خف بلاؤه : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ العنكبوت ٢ .

وأما متى تكون العصمة لازمة لهم ؟ فأراها من وقت بعثتهم الاقتداء بهم ، ويبالغ قوم ، فيرون العصمة من الصغائر والكبائر ، عمداً أو سهوا ، قبل النبوة وبعدها والذى يستفاد من الأدلة ، انهم بشر يوحى إليهم ، ولولا فضل الله

عليهم ماوصلوا إلى ما وصلوا إليه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾(١) وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته ، والذى يستفاد من التعبير القرآنى أن آدم وحواء تعرضا معا لوسوسة الشيطان ونقول إن المرأة هى التى أغرت آدم كما يدعى عليها زورا ، بل الله يقول : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ والمراد به إبليس الذى تحدثت عنه الآيات السابقة من رفضه السجود لآدم ، إباء واستكبارا حتى صار كافراً بربه .

أما كيف وقعا فى الزلة بعد التحذير الإلهى لهما فى قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، فأراه التأويل والخطأ فيه ، حيث يفهم من العبارة السابقة أنها شجرة معينة . والذى أنبه له وأحذر منه ، أن القرآن لم يكن ليضرب بعضه ببعض .

والعداوة ظاهرة بين الإنسان والشيطان كما قال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(٢) ، وليس فى هذا أمر بإنشاء العداوة ومشروعيتها ، وإنما هو لمقابلة المواقف ، ومايتناسب معها ، فلما كان الشيطان قد أعلن عداوته للإنسان ، أمر الإنسان بأن يحتاط منه ، حتى لا يقع فريسة فى يده ، ومن خبث الشيطان أن يتبرأ ممن وقع فى حبائله ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٤) معناه أن لآدم وحواء وبنيهما استقراراً على الأرض ، يبنون ويعمرون ، يستخرجون كنوزها ، ويستثمرون ، ويتمتعون فى حياتهم الدنيا إلى حين ، وهو الزمان المبهم إذ الأعمار مجهولة ، ومدة البقاء على الأرض غير معلومة ، وكلمة ﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾ تحتمل المكان أى مكان استقرار ، وتحتمل المصدر أى استقراراً تنعمون فيه بالحياة على ظهر الأرض ، وباطنها لكم مسكن تدفنون فيه كما قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾(٥) فإن قيل : أين يذهب الذين يموتون فى الفضاء ؟ قلنا : هم إلى الأرض ينتهون والله أعلم بما هم إليه يصيرون .

﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٦) قرىء برفع « آدم » ونصب « كلمات » والمعنى عليه استقبل آدم كلمات ، وهى تعليمه كيف يتوب من خطئه ، وقرىء برفع « كلمات » ، ونصب « آدم » والمعنى : وصلت كلمات لآدم وهى مبهمة وأصح ماتبين به ، ما أفصح عنه القرآن بقوله عنهما : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٧) .

والابهام فى الآية : لتفسيره فى مكان آخر ، وقوله ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ يعنى أن آدم أحس بخطئه الذى نراه لم يعدُ أن يكون فعل ما هو خلاف الأولى ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، والمعنى : تحركت نفسه إلى الخلاص ، فتاب الله عليه .

والتوبة من العبد تعنى : علماً بخطر ما ارتكب ، وتعنى حالاً من الذلة والمسكنة ، ولا تنظر إلى حجم الذنب بقدر ما تنظر إلى كبرياء من تواجهه به ، وتعنى ثالثاً العمل بإصلاح مافسد ، ولا يقال للعبد إنه تاب عن الذنب مالم يعد الحقوق التى يمكن إعادتها إلى أصحابها ، فمن تاب عن السرقة ، فليعد المسروق .

---

(١) الحج ٧٥ .
(٢) فاطر ٦ .
(٣) إبراهيم ٢٢ .
(٤) البقرة ٣٦ .
(٥) المرسلات ٢٥ ، ٢٦ .
(٦) البقرة ٣٧ .
(٧) الأعراف ٢٣ .

عصمـة الأنبيــــــاء

ومعنى توبة الله : قبوله التوبة من العبد وعفوه عنه ، ولذا قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[^8] ضمن القبول معنى العفو .

ولذا عداه بحرف الجر « عن » ، وأصله أن يتعدى بمن ، تقول : يقبل التوبة من عباده ثم قال معللاً ذلك ، ومؤكداً لتقريره بقوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ فحرف « إن » للتعليل ، وضمير الفصل « هو » للحصر والتوكيد ، و« التواب » صيغة مبالغة ، لأنه سبحانه يتجاوز كثيراً عن العبد : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾[^9] ويغفر لكثير من المسيئين ، وفي القرآن : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

ونعمة تلك الصفة التي تخفف جزع الخائفين ، وتقرب رجاء الراجين : ﴿ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ قيل : إن الحية هي التي أغوت آدم جرياً على سنن الأقدمين في التوحيد بين الضرر الحسي والخطيئة الأخلاقية .

والحق أنه لا خوارق في طاقة الشيطان ، ولا تعقل الخوارق إلا من عمل الإله الذي وضع للعالم نظامه وأجراه عليه ، وكل ما يصنعه الشيطان مما يلتبس على الناس إنما هو خداع لحس الإنسان حتى يرى الأشياء على غير صورها ، ولله در من قال : « الشيطان سخرية ، فاضحكوا منه ولا تهابوه » .

ولا يخفى على الناظر في قصة آدم ، أن ثمرات هذه القصة هي ثمرات التكليف بجميع لوازمه ونتائجه ، والفرق بين آدم قبل الأكل وبعده ، هو الفرق بين حياة فيها دعة ، وحياة فيها تكليف .

وليست الخطيئة في الإسلام أصلاً كونيا يعاند الإرادة الإلهية بإرادة مثلها ولكنها اختلاس وخلل وتقصير ، وله علاجه من عمل العامل نفسه بالتوبة والهداية والتكفير والجزاء ، وهذه هي القيمة الروحية التي يجب أن تدور عليها الموازنة ، والمعنى الجامع على ألسنة الشياطين : هو التبرم بالأوامر والفضائل ، والتفكير المنتظم ، قال الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي :

لايخــدع المــرء إنســانــاً لغايتــه
إلا إذا كان ذاك المرء شيطانا

والكون الذي يبقى فيه إبليس ملعوناً أشرف من الكون الذي لا يميز بين القداسة واللعنة .

والحق أن سعادة الضمير تكتسب بثروة الروح لا بثروة المال ، وقد دأب قوم على استساغة الطعن في الأنبياء تنزيلاً لظواهر النصوص على أهوائهم وشهواتهم ، وفقه تلك النصوص أن الأنبياء بشر وليسوا آلهة ، والمغالاة فيهم أو النقص من قدرهم خروج بهم عن طبيعتهم ، وقد علمنا الدين الصحيح أن الأنبياء هم رسل الله إلى خلقه بهم تقتدي أممهم ، وعلى هداهم تسير ، ومن غير المعقول أن ينحرف من لا يسأل الناس أجراً ، وهم مهتدون ، وفي عصور التاريخ ترى الافتراء على العظماء ، وفيما يروى أن موسى عليه السلام سأل الله أن يحبس عنه ألسنة الناس فأوحى الله إليه ، أن هذا شيء لم يختره الله لنفسه ، فكيف يعطيه غيره ؟ والأدعياء لا يعيشون بغير أجراس المزاد في سوق المساومات ، وبعد أن ذكر الله عدداً من الأنبياء قال : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ وإنما تقاس الأديان بما تودعه في النفوس من القيم والحوافز وحرية الضمير .

[^8]: (٨) الشورى ٢٥ .
[^9]: (٩) فاطر ٤٥ .

الخليفة الشهيد :
عبد الله بن الزبير بن العوام

للأستاذ الدكتور
عبد العزيز غنيم

في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

كان عبد الله بن الزبير هو احد فرسان المسلمين وعبادهم واحد قادتهم وزعمائهم ، ولا خلاف بين علماء الانساب في انه هو عبد الله[1] بن الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد .

وان امه هي : اسماء ذات النطاقين بنت ابي بكر ـ رضى الله عنه ـ .

والذي ينعم النظر في نسب عبد الله يلاحظ انه قد اجتمع له من الشرف ما لم يجتمع لغيره فابوه الزبير بن العوام ، وامه اسماء ذات النطاقين ، وجده لامه ابو بكر الصديق ، وجدته لابيه : صفية بنت عبدالمطلب ، وخالته عائشة ، وعمته لابيه خديجة . فالمجد يحفه من اقطاره والشرف يحيط به من شتى جوانبه .

وقد اتفق الرواة : على انه قد ولد في المدينة وذهب الجمهور منهم إلى أنه هو أول مولود [2] ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وقد كبر[3] المهاجرون والانصار كلاهما عند ولادته ، واظهروا من السرور والبشر ما لم يظهروه عند ولادة غيره ، وحمله جده أبو بكر في خرقة وطاف به في سكك المدينة ، وحنكه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفل في فمه حتى يكون ريقه هو أول من ما يدخل إلى أمعائه ، والسر في هذا هو ان اليهود قد زعموا انهم سحروا المسلمين وأنه سوف لا يكون لهم مولود ذكر بعد هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى المدينة فكذب الله زعمهم ورد كيدهم إلى نحورهم .

ويقول الرواة : إن عبد الله هذا قد كان ينمو نمواً سريعاً حتى أن اباه قد احضره ـ وهو في السابعة من عمره ـ إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبايعه [4] ـ ودعا له ، ويظهر أن هذا الغلام قد كان شديد الحب للنبى ـ صلى الله عليه

(١) « الاستيعاب في اسماء الاصحاب » ـ لابن عبدالبر ـ ط / ٣٠١ / ط دار الفكر ـ بيروت .
(٢) « الاستيعاب في اسماء الاصحاب » ـ لابن عبد البر ٣٠١/٢ .
(٣) « اسد الغابة في معرفة الصحابة » ٣/٢٤٢ ط / الشعب .
(٤) « البداية والنهاية » ابن كثير حـ /٨/ص ٣٣٢ ط مكتبة المعارف ـ بيروت .

وسلم ـ شديد الرغبة فى اقتفاء أثره والنسج على منواله . احتجم [٥] النبي يوماً فى طست وأعطاه إياه لإهراقه فلما عاد سأله عنه فأخبره أنه شربه فقال له ولم ؟ قال : حتى يختلط دمي بدمك يارسول الله فمسح على رأسه وقال له : ويل لك من الناس وويل للناس منك . وذكر أن الله سوف يمنحه علماً وقد تحقق كل ماتنبأ به له ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فقد آتاه الله العلم الغزير ، وابتلاه بالناس وابتلى الناس به وسوف ترى من سيرته ما يزيدك حباً له وإعجاباً به .

ولأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد غادر هذه الدنيا وابن الزبير طفل فى التاسعة أو العاشرة من سنه فإن نشاطه ومخايل ذكائه لم تظهر فى حياته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وإن كنا لا نشك فى أنه قد كان يأتيه ويسمع منه ويتلقى عنه شأنه فى هذا شأن النابهين من أترابه وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتوسم فى ابن الزبير هذا النجابة والفطنة وأنه سوف يكون له مكان بين العظماء والقادة والدليل على هذا أنه كانت تُكنى باسمه أم المؤمنين عائشة وأنه قد أخبر أن الله سوف يؤتيه علما .

فى حياة الراشدين ..

وقد تجلت شخصية ابن الزبير وبرزت مخايل ذكائه وعبقريته فى حياة الراشدين ـ رضى الله عنهم ـ فقد حمل سيفه على عاتقه وخرج مجاهداً فى سبيل الله لا يخشى الموت ولا يخاف المعارك والمعامع ، وقد أفاض الرواة . فى أخبار بطولته وصدق بلائه ، وعلى سبيل المثال ماكان منه تحت قيادة ابن أبى سرح فى أفريقية [٦] فقد رأى الفرق الهائل بين جند المسلمين وجند الروم تحت قيادة جرجير وأدرك أنه لا سبيل إلى قهر عدوه الذى كان يربو على عشرين ومائة ألف إلا بعمل فدائى انتحارى فخرج فى ثلاثين فارساً ومضى حتى بلغ خيمة جرجير وانقض عليه انقضاض البرق الخاطف فقتله وحمل رأسه على رمحه فوهنت عزائم جنده وانطفأت نار الروح القتالية فيهم وولوا مدبرين لا يلوون على شىء وكفى الله المؤمنين القتال ، وعاد ابن الزبير إلى المدينة ، وأمره عثمان فرقى المنبر وكان فصيحاً بليغاً فخطب الناس خطبة ذكر بعدها أبوه أنه قد أعاد إليه وإلى رفاقه ذكرى أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ولما تحلب الثوار على عثمان وحاصروه واجتمعت كلمتهم على قتله سل ابن الزبير سيفه ووقف على باب داره يدفع عنه ويحول بين الثائرين وبين الدخول عليه ـ وفى خلافة أمير المؤمنين على ـ رضى الله عنه ـ شارك ابن الزبير فى وقعة الجمل [٧] ، وفى الظروف التى أدت إليها وقد قاتل فيها قتالاً شديداً حتى كثرت جراحه .

وقد عفا عنه أمير المؤمنين علىّ ضمن من عفا عنهم من أنصار عائشة والزبير وطلحة وعلى الرغم من أن ابن الزبير قد كان من أنصار الأمويين ومن الذين يقاتلون تحت رايتهم فإنه لم يوافق معاوية ـ رضى الله عنه ـ فى العهد إلى يزيد والبيعة له بالخلافة من بعده وكان هو الذى يتكلم بلسان المعارضين [٨] له وهم الحسين بن على وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبدالله بن عمر وهو . وقد يكون هذا هو السبب فى الجفوة التى كانت بينه وبين معاوية فى آخر حياته .

(٥) المرجع السابق ٣٣٣/٨

(٦) « الإصابة فى تمييز الصحابة » ٢١١/٢ ط / دار الفكر .

(٧) المرجع السابق ٣١١/٢ .

(٨) انظر « الكامل لابن الأثير » : ٢١٦/٣ ط بولاق . ١٢٩٠ وط / بيروت ١٩٦٥ . والعواصم من القواصم ط ٣ المطبعة السلفية تحقيق محب الدين الخطيب : ٢١٤ ـ ٢٢٢ .

ومن مظاهر هذه الجفوة بين ابن الزبير ومعاوية ماذكره صاحب « البداية والنهاية » قال : دخل ابن الزبير على معاوية فأمر ابناً له[9] صغيراً فلطمه لطمة دوخ منها رأسه ، فلما أفاق ابن الزبير قال للصبى : ادن منى ، فدنا منه .

فقال له : الطم معاوية .

قال : لا أفعل .

قال : ولم ؟

قال : لأنه أبى ، فرفع ابن الزبير يده فلطم الصبى لطمة جعله يدور منها كما تدور الدوامة .

فقال معاوية : تفعل هذا بغلام لم تجر عليه الأحكام ؟

قال : إنه والله قد عرف مايضره مما ينفعه ، فأحببت أن أحسن أدبه .

فى عهد يزيد ....

ولأن ابن الزبير كان يرى أن أبناء المهاجرين أحق بالخلافة من غيرهم فإنه رفض البيعة ليزيد بعد وفاة أبيه ؛ ولأن والى يزيد على المدينة قد أرسل إليه يطلب منه الشخوص وأنه لم يكن سيدعه حتى يبايع الخليفة فإنه قد انتظر حتى اقبل الليل وخرج هارباً إلى مكة وأعلن بعد دخولها أنه عائذ بالكعبة وقد شاركه الحسين بن على هذا الرأى وخرج هو الآخر إلى مكة وقيل إنه - أى الحسين - رضى الله عنه - جاءته رسل أهل العراق وكتبهم يدعونه إليهم ويؤكدون له استعدادهم لمبايعته والدخول فى طاعته فاستشار الحسينُ ابنَ الزبير[10] فى الخروج إليهم فأيده فيما رأى وحسن إليه ذلك ، غير أن هذا الخبر ليس من الأخبار التى تستريح إليها النفس ويسكن إليها القلب ، والرأى عندى أن ابن الزبير قد نصح الحسين كما نصحه غيره فحبب إليه البقاء وزينه فى نفسه وكره إليه الخروج وكشف له عن مضاره ومخاطره ، فإن خلق الرجل ودينه وقلة طمعه فى الدنيا كل هذا كفيل أن يجعله يخلص النصح للحسين ولا يغشه أو يغرر به ، ومهما يكن من شىء فإن ابن الزبير قد بقى فى مكة بعد خروج الحسين ولما بلغه نبأ استشهاده حزن عليه أشد الحزن .

وظل يرفض بيعة يزيد ويأبى الانضواء تحت لوائه وقد أرسل إليه الخليفة من دمشق وفداً ومعه قيد من ذهب وبرنس وجامعة من فضة وأمر الوفد أن يخبروه أن أمير المؤمنين قد اقسم الا يقبل منه البيعة إلا فى البرنس والجامعة[11] . ورفض ابن الزبير هذا العرض وكتب إلى الخليفة يقول :

ولا ألين لغير الحق أسأله
حتى تليق لضرس الماضغ[12] الحجر

وأمام آباء الرجل وإصراره على رأيه أرسل يزيد إليه فى مكة حملتين عسكريتين إحداهما من المدينة بقيادة عمرو بن الزبير ومحمد بن أنيس .

والثانية[13] من الشام بقيادة مسلم بن عقبة والحصين بن نمير من بعده وقد أخفقت الحملة الأولى ونجحت الثانية . فقد هزم محمد بن أنيس وقبض عبدالله على أخيه عمرو وسجنه وضربه حتى هلك .

أما مسلم بن عقبة فإنه لما قضى على الفتنة فى المدينة مشى حتى إذا انتهى إلى (المشلل)[14]

(٩) « البداية والنهاية » لابن كثير ٣٣٨/٨ .
(١٠) « الطبرى » : ٤٧٤/٥ - ٤٧٥ ط دار القلم - بيروت - لبنان .
(١١) الطبرى ٣٤٣/٥ - ٣٤٤ - ٣٤٥ .
(١٢) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣٩/٨ .
(١٣) الطبرى : ٤٧٤/٥ - ٤٧٥ - ٤٨٠ .
(١٤) موضع بين مكة والمدينة .

وافاه الأجل وتولى القيادة من بعده الحصين بن نمير الذى حاصر مكة ورمى الكعبة بالمجانيق وفى اثناء هذا الحصار توفى يزيد ، ولما بلغ الخبر الحصين بن نمير عرض على ابن الزبير الخلافة على أن يهدر الدماء التى اهرقت فى كل من مكة والمدينة وأن يشخص معه إلى الشام وقد رفض ابن الزبير هذين الشرطين كليهما[15] . ولأنه كان يخاطب الحصين بن نمير فى حدة وغضب فإنه قال له قبح الله من يزعم انك أريب وداهية ادعوك إلى الخلافة وتدعوننى إلى الفرقة وأعطيك البيعة وتأبى إلا الحرب والضرب ، ومضى عائداً إلى بلاده وكان ابن الزبير قد دعا إلى نفسه وأخذت البلاد الإسلامية تنضوى تحت لوائه حتى لم يعد فى أيدى بنى أمية منها سوى دمشق وحتى هذه فإن أميرها الضحاك بن قيس[16] قد بايعه هو الآخر ودخل فى طاعته ، وهكذا أصبح ابن الزبير هو الخليفة وحده غير أن مروان بن الحكم لما غادر المدينة إلى الشام راح عبيد الله بن زياد وعمرو بن سعيد وبعض الأمويين يحثونه على طلب الخلافة ، ويؤكدون له أنه سوف يصل إليها على أيدى (كلب) ومن دار فى فلكها من قبائل اليمن ووافق مروان بعد أن كان قد عزم على مبايعة ابن الزبير وطلب الأمان منه له ولأهل بيته واجتمع أنصار الأمويين فى الجابية وبعد نقاش وحوار اتفق المؤتمرون على بيعة مروان بالخلافة على أن يكون الأمر من بعده لعمرو بن سعيد وخالد بن يزيد .

واستطاع مروان أن يأخذ فلسطين ومصر من يدى ابن الزبير وبقى الحجاز والعراق وقد استطاع أن يستولى عليهما منه عبدالملك بعد معارك وحروب لا تتسع لذكرها هذه السطور .

يقول الرواة : إن عبدالملك قد خرج فى جنوده إلى مصعب[17] بن الزبير وكان نائباً لأخيه على العراق واستطاع قتله وتشتيت جنوده فى معركة يطلق المؤرخون عليها اسم دير الجاثاليق . وبعدما بسط عبدالملك سلطانه على العراق وبايع له أهله . تعطشت نفسه إلى الاستيلاء على الحجاز واسقاط عبد الله بن الزبير من فوق أريكة الخلافة . فعهد بهذه المهمة إلى أشد قواده شراسة وأقواهم شكيمة وهو الحجاج بن يوسف[18] الثقفى فحشد له قوة قوامها ألفا مقاتل وأمره أن يتوجه إلى عبد الله بن الزبير ويغلبه على الحجاز وامتثل الحجاج للأمر وبعد مناوشات بينه وبين ابن الزبير فى سهل عرفات طلب المدد من عبدالملك فأمده بمولاه طارق بن عمرو فى خمسة آلاف ودارت بين الفريقين حروب شرسة ، رمى فيها الحجاج الكعبة بالمجانيق[19] يقول الرواة : إن صاعقة نزلت على أهل الشام فأصابت أحد المجانيق وأحرقت عدداً من الجند وخشى الحجاج أن يؤثر هذا الحدث فى جيشه فوقف فيهم خطيباً وقال لهم : إنه رجل من تهامة وإن هذه الصواعق تنزل فتصيبه وتصيب عدوه وتصادف أن نزلت صاعقة فأصابت بعض جنود ابن الزبير فانتهز الحجاج هذه الفرصة ومازال بجنوده حتى أعاد إليهم حماسهم من جديد ، ولأن المعركة بين الحجاج وابن الزبير لم تكن متكافئة ، فإن المؤن والأمداد قد كانت مقطوعة

(١٥) انظر الطبرى : ٥/٥٠١ ـ ٥٠٢ ـ ٥٠٣، والبداية والنهاية : ٨/٢٢٦ .
(١٦) انظر الطبرى : ٥/٥٣٠ ـ ٥٣١ ـ مروج الذهب للمسعودى : ٢/٥٧ ط / دار التحرير .
(١٧) « الطبرى » ٦/١٥٩ و« البداية والنهاية » ٨/٣١٦ .
(١٨) « الطبرى » : ٦/١٧٤ و« البداية والنهاية » : ٨/٣٢٥ و« العبر وديوان المبتدا والخبر » ٣/٣٧ ـ ٣٨ .
(١٩) « الطبرى » : ٥/٤٩٨ ـ ٤٩٩ و« العبر وديوان المبتدا والخبر » : ٣/٣٨ .

عن ابن الزبير فى الوقت الذى كانت تتوالى فيه على الحجاج متى أراد ـ فإن رجال ابن الزبير قد وهنوا وضعفوا لاسيما بعد أن اشتد عليهم الحصار ولم يجدوا مايسدون به الرمق بعد أن استنفدوا مالديهم من الدواب وأكلوا ما تحت أيديهم من البر والتمر . وأمام هذا الكرب الذى أتاهم من فوقهم ومن أسفل منهم اضطر الكثيرون منهم إلى التخلى عن ابن الزبير والانضمام إلى جنود الحجاج حتى أبناء الرجل أنفسهم ، فإن هذه الظروف قد دفعتهم إلى طلب الأمان حيثما كان . ونظر ابن الزبير إلى تخلى جنوده عنه[20] وقلة من بقى منهم إلى جواره فدخل على أمه أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ودار بينهما هذا الحوار المؤثر :

ياأمه [21] ، خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطوننى ماأردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : أنت والله يابنى أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك . ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك . وإن قلت : كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ، وكم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن . فدنا ابن الزبير منها فقبل رأسها وقال : هذا والله رأيى ، والذى قمت به داعياً إلى يومى هذا ما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، ومادعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك ، فزدتنى بصيرة مع بصيرتى . فانظرى ياأمه فإنى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى ..

اللهم إنى لا أقول هذا تزكية منى لنفسى ؟ أنت أعلم بى ، ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى . فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى وإن تقدمتك ففى نفسى ، اخرج حتى أنظر إلى مايصير أمرك . قال : جزاك الله ياأمه خيراً ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد ، فقالت : لا أدعه أبدا : فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى . اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .

وألهبت هذه المحاورة عزيمة ابن الزبير وأزالت الحيرة والتردد من أعماق نفسه وخرج إلى أعدائه فناجزهم فى عنف وقاتلهم فى إصرار ولم يزل كذلك حتى سقطت آجره فأصابت رأسه ووجهه فوقع على الأرض وهو يقول :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما [22] .

←

(٢٠) الطبرى : ٦/١١٨ ومابعدها والبداية والنهاية : ٨/٣٢٩ ـ ٣٣٢ .
(٢١) العبر وديوان المبتدأ والخبر : ٣ / ٣٨ .
(٢٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/٣٤٤ .

وفي رواية أنه كان يقول :

اسمــاء اسمــاء لا تبكينــي
لـم يبق إلا حسبـي وديـنـي
وصارم لانت به يميني[٢٢]

ورآه أعداؤه هكذا فاحْتَوَوْهُ ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح واحتزوا رأسه ودفعوها إلى الحجاج الذي صلبه منكساً وقد مر به ابن عمر[٢٣] فسلم عليه وقال له : والله لأمة انت شرها لأمة خير . ومرت به أمه اسماء وهو على هذا الحال فقالت : أما آن لهذا الفارس أن يترجل فنهرها الحجاج ووصف ولدها بالكفر والنفاق[٢٤] وقال لها : إنك عجوز قد خرفت : فقالت والله ماخرفت منذ سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، فأما الكذاب فقد عرفناه وأما المبير فما أراه إلا أنت وأمر عبدالملك الحجاج فدفع جثة الرجل إلى أمه وكانت قد تفسخت فغسلتها عضواً عضوا . ودفنتها وأسدل الستار على رجل جعل حياته للجهاد في سبيل الله وللعبادة من أجل حبه ورضاه .

فرحم الله عبد الله بن الزبير وأجزل له المثوبة

(٢٣) أسد الغابة : ٣/٢٤٥ .

(٢٤) البداية والنهاية : ٨/٣٤٠ ـ ٣٤١ .

الحياة الطيبة جزاء للمتقين

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ (سورة إبراهيم - ٣١) .
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (سورة طه - ١١٢) .
العمر هو الفرصة الوحيدة للعمل ، والإنسان والوقت قوتان عظيمتان تسير بهما عجلة الحياة ، وهما ثروتان لا تقدران بذهب ولا فضة فإذا استثمرا استثمارا نافعا سليما امتلأت بهما الأرض خيرا وبركة وثراء .

والله قد وهبنا الزمن لنعمل لديننا ودنيانا . ولنعرف للوقت قيمة فلا يضيع فى الذهول عن تحمل المسئولية والانصراف إلى اللهو واللغو والعبث والبطالة ، وذلك لأن الحركة والعمل والسعى فى مناكب الأرض والإحساس بالواجب .. كل أولئك من علامات الحياة : كما أن السكون والركود وفقدان الشعور والتماوت أدلة الممات ، فمن الناس من يجد ويكد ويعمل بصبر جميل وحرص على أداء الواجب بعزيمة قوية وهمة وذمة ، لاعتقاده بأنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ، وإنما وجد ليعيش لنفسه ولذوى القربى ولمجتمعه الذى ينتمى إليه وليقينه بأن الله ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه فقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات - ٥٦) .

والعبادة بمعناها الواسع تشمل كل ما يرضى الله كالصلاة والزكاة والحج والصوم وأداء الأمانات والصدق فى القول والفعل والإنابة إلى الله ومراقبته سرا وعلانية فى تنفيذ أوامره وترك نواهيه ، للعلم بأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

ومن العبادات المخلصة بر الوالدين وتربية الأولاد على الفضائل ومكارم الأخلاق والله يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة النحل - ٩٧)

ثم ماهو العمل الصالح ؟

العمل الصالح مع الإيمان هو كل مايحبه الله

←

ويرضاه من الطاعات كتخفيف كربة المكروب والمنكوب أو الأخذ بيد فقير متعفف ذى عيال ، ومن صالح الأعمال تعمير الأرض لزيادة الموارد لنفع الأجيال ، والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يقول :

« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طيرا أو إنسان او بهيمة إلا كان له به صدقة . » (رواه مسلم) .

فالزراعة والصناعة والتجارة كلها أعمال مباركة مارسها عظماء الرجال من الأنبياء والمرسلين والاتقياء الصالحين : والإسلام يطالب بتوسيع قاعدة العمل الحلال ، وابوابها كثيرة وباكتشاف منابع الثروة فى البر والبحر ، والعاقل من الناس هو الذى يحقق الخير لأسرته وأمته ليكون ممن بارك الله لهم فى أعمارهم وأعمالهم ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبين لنا المسئولية عن الأوقات والأعمال وشئون الحياة كلها فيقول :

« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع : عن عمره فيم افناه ، وعن شبابه فيم ابلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ » (رواه الترمذى) .

ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه : « إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول الهُ حرفة فإن قالوا لا سقط من عينى » !!

﴿ يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴾ (سورة النور ـ ٤٤) .

وتمر الأيام تلو الايام والدقائق والثوانى وهى تحتسب من عمر الإنسان والاعمال بتجدد وتتأكد بتجدد الأوقات ولكل وقت تكليف جديد فى العبادات اليومية : وكل يوم جديد يقول لصاحبه : انا يوم جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى بعمل صالح فإنى لا أعود إلى يوم القيامة .

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . ﴾

(سورة المجادلة ـ ٦) .

والوقت إن ضاع فلن يعود لأن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، ومما لا ريب فيه ان الوقت تباركه الطاعات التى تضىء القلب بالإشراقات الروحية التى تتجلى فى الامتثال لأوامر الله واجتناب مانهى عنه : لأن المؤمن المتيقظ الواعى هو الذى يعصم نفسه من الزيغ واتباع الهوى الذى يضل عن سبيل الله ، وباتباع سبيل المؤمنين تسعد الحياة كما يريدها الله .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة ـ ٥) .

وهل يستطيع إنسان جاحد أن يعيش بمعزل عن ربه الذي خلقه ورزقه ؟!! والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (سورة الانفطار٦ـ ٧ ـ ٨) والإيمان وحده ينمى التقوى فى قلوب الابرار الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ، وكل الناس رأس مالهم فى حياتهم اعمارهم وفى آخرتهم اعمالهم .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ (سورة يونس ـ ٤٥) .

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (سورة الإسراء ـ ١٣ ـ ١٤) .

إن المسئولية لكبيرة ولكن كثيرا من الناس يلهون ويلعبون والزمن جاد يحصى أعمالهم

ويدون الصغيرة والكبيرة ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ والمتقون وحدهم هم الفائزون بخيرى الدنيا والآخرة ، فلا ينخدعون ببريق الدنيا ، والله يقول : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (سورة يونس - ٦) . والمتقون وحدهم هم الذين يحاسبون انفسهم قبل أن يحاسبوا فيعرضون عن اللغو من القول واللهو من العمل ، ولكن الحمقى يقتلون الوقت والوقت يقتلهم ، ولهذا كان الإسلام حكيما فى محاربة المتبطلين « قتلة الوقت » أمثال رواد الملاهى والكسالى الذين يعبثون بأعمارهم ويلعبون بأعمالهم بقتل الوقت وهو معصية ومفسدة : والإسلام لا يجامل كسولا ولا يحابى جهولا ، لأن الكسل طريق إلى الفقر .

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء
اى مفسدة

والله يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ . أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة يونس - ٧ ، ٨) .

وليس بسيد أوقاته وليس بسعيد فى حياته من لم يغتنم شبابه قبل هرمه وصحته قبل مرضه وحياته قبل موته ، فعاش حياته على مجهود غيره فهو عالة على الآخرين ، وقد سلك مسلك المتعطلين المتبطلين .

إن هذا الكون كله خلقه الله خالق كل شىء وبيده ملكوت كل شىء ، خلق ما نعلم وما لا نعلم ، وسخره لخدمة الإنسان الذى وهبه الله السمع والبصر والفؤاد : وهو القائل : ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ .. ﴾ (سورة الأنعام - ١٠٢) .

وهل يعلم البشر أن الله سخر لهم كل هذا الكون لاستثمار خيراته فى إسعاد أنفسهم ونفع العباد ؟ لأن الله كرم بنى آدم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، والله يقول :
﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. ﴾ (سورة لقمان - ٢٠) . والله جعل الأرض ذلولا للإنسان وسخر له البحار والأنهار والليل والنهار والماء والهواء .
﴿ اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الجاثية - ١٢ - ١٣) .

فهل بعد ذلك تكريم للبشر ؟ وهل يعرف هذا من ضل سعيهم وخاب أملهم وحبط عملهم !!؟ أولئك الذين لعب الكرى بمعاقد أجفانهم حينا من الدهر فلم يساهموا فى بناء الحياة الاجتماعية الفاضلة .

ولا تعجب فالناس منهم البر والفاجر والمؤمن والكافر والعالم والجاهل والقوى والضعيف والذكى والغبى والجاد والخامل وغير ذلك ، لان الناس معادن ، ولكن الإسلام يرفع بالعمل الصالح كل من أحسن عملا ، فلن يضيع الله عمل عامل ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى .. ﴾ (سورة آل عمران - ١٩٥) .

وقد رتب الله على العمل جزاء فى الدنيا وهو الحياة الطيبة وإصلاح البال والحال والرزق الحلال وتيسير الأمور كما جاء فى القرآن الكريم كما جعل للصالحين فى الآخرة المقام الكريم .

لقد كان سيدنا داود عليه السلام رسولاً نبياً وملكا قويا ومع هذا كان لا يأكل إلا من عمل

يده ، وهو الذى قال له ربه : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . ﴾ (سورة ص ـ ٢٦) .

والناس دائما تحت الاختبار : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة يونس ـ ١٤)

ومادام المجتمع الإسلامى متمسكا بالإسلام كله فإنه لا يضعف إلا إذا تخلى عن العنصر الأخلاقي أو تغاضى عن مراقبة الله سرا وعلانية جريا وراء الهوى والشيطان الذى يصد الإنسان عن طاعة الرحمن ، ولو أن المجتمع الإسلامى ارتبط بدين الله كما أمره الله ـ وسارع إلى مرضاة الله لفتح الله عليه بركات من السماء والأرض : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (سورة الأعراف ـ ٩٦) .

ولمراقبة الله سلطان على النفس ومراقبة الله اقوى من القوانين وبهما معا تستقيم الحياة :

وفى الحق أنه لابد من وازع القرآن بجوار وازع السلطان ، لتكوين الرجل المؤمن والأمة الصالحة ، وذلك لكيلا تتغير الأخلاق وتسيطر الأوهام والخرافات والغش والخديعة وغير ذلك مما عساه أن يحدث .

وقد ورد فى السنة المطهرة : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (رواه مسلم) . إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو معكم اينما كنتم . فلن يستطيع احد ان يتوارى منه او يخرج من سلطانه ، ولقد ورد ذكر التقوى بمعنى خشية الله تعالى وطهارة القلب وإنابته والله يقول : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (سورة ق : ٣١ ـ ٣٣) .

وقد ورد فى القرآن الكريم أن التقوى معناها تعظيم شعائر الله وشرائعه : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (سورة الحج ـ ٣٢) .

وورد أن معنى التقوى هو الصدق والحق : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (سورة الزمر ـ ٣٣) .

والعدل اقرب للتقوى : ﴿ . . اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ . . ﴾ (سورة المائدة ـ ٨) .

والتسامح اقرب للتقوى : ﴿ . . وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ . . . ﴾ (سورة البقرة ـ ٢٣٧) .

وقد وصف الله المتقين بأنهم هم الذين يقومون بشئون المحتاجين والمحرومين ، والقرآن يؤكد أن العاقبة للمتقين : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة القصص ـ ٨٣) .

والمسلم مكلف بتربية نفسه بنفسه لينهاها عن غيها وبغيها ويوجهها إلى ما يربيها ويهديها ويرقيها . ثم يبعدها عن كل ما يهلكها ويرديها ، لأن الإسلام يجعلها رقيبة على نفسها ـ فهى المسئولة ـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . . ﴾ ، وهذا هو تكافل المرء مع نفسه ومع حسه ومع شخصه ﴿ . . قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (سورة التحريم) .

جوهر العبادات ومظهرها

المسلم يطالبه ربنا بالإخلاص ويقول له دينه اعمل لمراك الله ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴾ (سورة الزمر : ١١ ـ ١٤) .

والعبادة شاملة . فليست العبادة جسماً بلا روح ـ كما يراها بعض الناس ـ لكنها عبادة القلب واللسان والحواس ، وهذا يتجلى فى الصلاة وهى صلة بين العبد وربه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (سورة الأنعام ـ ١٦٢ ـ ١٦٣) .

والعبادة تتسع للحياة كلها لتشمل كل حركة من عمل أو قول ، فمكارم الأخلاق من أعظم القربات عند الله تعالى . فلا ظلم للفقراء ، ولا قسوة على الضعفاء ، ولا نفاق ولا رياء ، ولا كبر ولا استعلاء ، ولا حقد ولا غل ، ولا خبث ولا خداع ، ولا غش ولا أكاذيب ، ولا ضلال ولا الاعيب ، ويدخل فى دائرة الإخلاص السعى على العيال ليغنيهم عن السؤال ، ولهذا كان التسول مع القدرة على العمل من كبائر الإثم لأنه دليل على خراب النفس وخلوها من العفة .

فالمتعطلون عبء ثقيل على المجتمع فهم يشاركونه فى خيراته ويأكلون من ثمراته ولا ينتجون شيئا ولكنهم يستهلكون ، ولا علاج يشفى هؤلاء إلا بالعمل والخروج إلى ميادينه مثل الزراعة والصناعة والتجارة لتنمية ثروتهم وللخروج من عزلتهم : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (سورة الملك ـ ١٥) .

وفى الحديث : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » (رواه البيهقى) .

لأن الله قائم على كل نفس بما كسبت والعمل المخلص معيار التفاضل عند الله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (سورة الحجرات ـ ١٣) .

والسفهاء من الناس يعزلون أنفسهم عن جميع الأعمال فيصابون بداء البطالة وهى ظاهرة لها خطرها وضررها على الأفراد وأسرهم ومجتمعهم ، لأن الفرد جزء من الأسرة والأسرة جزء من المجتمع ولا يمكن لفرد أن يعيش وحيداً بعيداً عن المجتمعات التى ينتمى إليها :

والإسلام يمقت أسرى الكسل القادرين على العطاء وعلى تحمل المسئولية ، وهؤلاء فى حاجة إلى العلاج ليؤمنوا أنفسهم من أخطار الفاقة والسلبية والتخلف عن حركة الحياة : والله يقول : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴾ (سورة النجم) .

والإسلام قادر على أن يقدم للإنسانية القلقة المضطربة ، الأمن والسلام والطمأنينة والاستقرار ليملأ حياة الناس بالخير والبر ، لأنه جُرِّب فى أيام الإسلام الأولى فملأ الأرض عدلاً وبركة وأمنا وسلاما .

ولكن فقدان اليقين والتمرد على هداية الله رب العالمين جرّت العصاة إلى التردى فى الهم والحزن . والله يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة الحشر ـ ١٩) .

قال ابن القيم فى تفسير هذه الآية : « تأمل هذه الآية تجد تحتها معنى عظيما هو أن من نسى ربه أنساه ذاته ونفسه ، فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه بل نسى ما به فلاحه وصلاحه فى معاشه ومعاده فصار معطلا مهملا بمنزلة البهائم السائبة بل ربما كانت الأنعام أخير منه لبقائها على هداها الذى أعطاه إياها خالقها .. » والله يقول : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً . ﴾ (سورة الكهف ـ ٢٨) غفل عن ربه فانفرط عليه أمره وقلبه فأضحى قلبه مشتتا وشأنه ممزقا قلقاً حائراً لا يهتدى سبيلا .

التابعون تلامذة الصحابة

مجاهد بن جبر

لفضيلة الشيخ
احمد حسن جابر

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى اله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فهذا حديث عن تابعي كبير ، له قصب السبق في التاويل ، والتفسير هو مجاهد بن جبر .

ومجاهد ـ رضي الله عنه ـ هو الإمام الثقة الحبر ، المحدث الفقيه ، المقرىء المفسر التابعي الكبير ابو الحجاج مجاهد بن جبر المكي مولى السائب بن ابى السائب المخزومي و(جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة ، وقد اختلف في ولائه فقيل : السائب المذكور وهو الذى حكاه عبدالغنى بن عبدالواحد المقدسى واختاره الذهبى .

وقيل : مولى قيس بن السائب بن عُوَيمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة . حكاه ابن قتيبة في «المعارف» عن مجاهد في قوله : في مولاى قيس بن السائب نزلت : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ البقرة : ١٨٤ فأفطر واطعم كل يوم مسكينا . وقال ـ بذلك ـ عبدالرحمن بن مهدى ، ومصعب ، وعلى بن المدينى ، ومحمد بن عبد الرحيم ، ومحمد بن سعد وإليه ذهب أبو عمرو الدانى ، وابو جعفر بن الباذش .

وقيل : إنه مولى عبدالله بن السائب بن أبى السائب وهو قول أحمد بن حنبل ، والبخارى ، ومسلم ، وروى ايضاً عن مجاهد انه قال : حدثنى مولاى عبدالله بن السائب . رواه عنه الأعمش .

ولد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

وكان مجاهد كاسمه مجاهدا يتجهز للغزو ليقاتل في سبيل الله تعالى إعلاء لكلمة الله ، دائم التفكير كثير الاهتمام بالآخرة .

قال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهدا تراه مغموما قلقا منكس الرأس فقيل له في ذلك : فقال : أخذ عبدالله ـ يعنى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بيدى ثم قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدى وقال لى : ياعبد الله (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) «المعارف لابن قتيبة/٤٤٥» .

وقال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهدا ازدريته ، وهو مهتم فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ «تذكرة الحفاظ ١/٨٠» وكان مستعدا لتغيير رأيه إذا بان له فيه مغمز ، أو جاء من البينة والعلم ما لم يأته قبل ، أو راى في الأمر رأيا جديدا لم يخطر بباله من قبل ولا يصر على قوله السابق (الطبرى ١٣ : ١١٢) .

روى عن منصور قال : سألت مجاهدا فقلت : أرأيت دعاء أحدنا يقول : اللهم إن كان اسمى

من السعداء فاثبته فيهم وإن كان في الأشقياء فامحه منهم، واجعله في السعداء؟ فقال: حسن.

ثم أتيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك فسألته عن ذلك فقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ «الدخان ٣، ٤» يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابت لا يغير. وكان يرعى أدب القرآن ويقول: إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القرآن تعظيما حتى يذهب تثاؤبك «القرطبي ١/٢٧».

وكان شديد الرغبة إلى معرفة ما لم يتبين له من تفسير الآيات روى أنه قال: لو أعلم من يفسر لي الآية ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ ﴾ لضربت إليه أكباد الإبل «الطبري عند تفسير هذه الآية». النساء ٢٤.

رحـــلاته:

سافر إلى حضرموت ليرى بئر برهوت، وإلى بابل ليرى عجائبها، وإلى القسطنطينية وإلى العراق واستقر في الكوفة، وأقام بها حتى عد من أهل العراق.

قال ابن قتيبة في «مختلف الحديث» ص ٦٩: «وكان أشد أهل العراق في الرأي والقياس الشعبي، وأسهلهم فيه مجاهد» وروى من طريق أبي الخطاب عن الأعمش عن مجاهد أنه قال: أفضل العبادة الرأي الحسن.

وسافر إلى مصر، ذكر أبو محمد عبدالغني بن سعيد الأزدي الحافظ المصري المتوفى ٤٠٩: أن مجاهداً صاحب ابن عباس - رضي الله عنهما - يعد في المصريين «المؤتلف والمختلف ص ٢٦».

وذكر ياقوت في معجمه ١٧ ص ٧٨ - في ترجمة مجاهد بن جبر - سفره إلى مصر وأقام بها ولعل مجاهداً المصري هذا هو مولى بني نوفل، لصغر سن مجاهد صاحب الترجمة حينذاك فليتنبه لذلك.

منزلتـــــه:

قال ابن سعد: كان ثقة فقيها، عالما كثير الحديث، وقال ابن حبان: كان فقيها ورعا عابدا متقنا.

وقال أبو جعفر الطبري: كان قارئا عالما وقال العجلي: مجاهد أبو الحجاج مكي، تابعي، ثقة، سكن الكوفة بأخرة. ثم قال العجلي: حدثني أبو أحمد الأسدي، حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحداً يريد بعلمه وجه الله إلا هؤلاء الثلاثة: عطاء وطاووس، ومجاهد «تاريخ الثقات للعجلي ص ٤٢٠» (باب مجالد، ومجاهد، ومحارب. وقال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد).

وعن قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد. تهذيب التهذيب ١٠/٣٤، ٤٤.

وقال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به - وهو إمام في القراءة والتفسير حجة. وقال ابن جريج: لأكون سمعت من مجاهد أحب إلي من أهلي ومن مالي «تذكرة الحفاظ للذهبي جـ ١ ص ٨٠».

وقال النباتي: مجاهد ثقة بلا مدافعة. طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي ص ٤٥.

وقال حماد: لقيت عطاء، وطاووسا، ومجاهدا وتاممت القوم فوجدت أعلمهم مجاهدا، وقال ابن عطية: ومن المفسرين المبرزين في التابعين: الحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير. القرطبي جـ ١: ٣٦.

وقال ابن تيمية في مجموعة تفسيره طبع بمباي ص ١٧٨: القول الصواب هو قول أئمة السلف - قول مجاهد ونحوه - فإنهم أعلم بمعاني القرآن لاسيما مجاهد، فإنه كان آية في التفسير، ولهذا

←

التابعون تلامذة الصحابة

يعتمد على تفسيره الشافعي ، والبخاري وغيرهما من أهل العلم وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره : «مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ٤/٣» .

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» جـ ٩ ص ٢٢٤ : مجاهد أحد أئمة التابعين المفسرين كان من أخصّاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير .

وقال أيضاً في تفسيره جـ ١ ص ٤ : إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر ، فإنه كان آية في التفسير .

قال أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في البيان في تفسير القرآن ٦/١ : إن من المفسرين من حمدت طرائقه ، ومدحت مذاهبه : كابن عباس ، والحسن ، وقتادة ومجاهد وغيرهم .. هذا في الطبقة الأولى وكان مجاهد يحب العلم ، ويحرص عليه أشد الحرص ، ويلتمسه أينما كان ، ولم يوقفه حبه للعلم على الكتب ، والرجال فحسب ، وإنما كان كل سفره لطلب العلم ، ويشتاق إلى أن يرى الآثار التاريخية بنفسه ولم يرد بعلمه إلا وجه الله تعالى .

وقال مجاهد : ربما أخذ لي ابن عمر بالركاب .

تعلم التفسير من ابن عباس ولزمه مدة ، ليقرأ عليه القرآن ، وتخصص بالتفسير ، يقول مجاهد عن نفسه : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه على كل آية أسأله : فيم أنزلت وكيف كانت ؟ صفوة الصفوة ١١٧/٢ .

وقال ابن أبي مليكة : رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس : (اكتب) قال : حتى عن التفسير كله (تفسير الطبري ١/٩٠) .

وسار في الأرض وزار العلماء ، فزاد علما وتجربة ، وعاشر علماء العرب فتمهر في معرفة اللغة العربية ، وأساليب العرب وتراه لا يتكلم إلا في المعلوم من اللغة وأساليبها ، ومعاني القرآن وإذا علم الحق رجع إليه ، ولا يخاف في الله لومة لائم : حتى قال سفيان الثوري : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك (الطبري ١/٩٠) واعتمد على تفسيره المحدثون والمفسرون ، كان فقيها ، عالما ، لغويا محدثا ، مفسرا أجمع الناس على إمامته .

شـــيوخه :

عبدالله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو ، وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن الزبير ، ورافع بن خديج ، وجابر بن عبدالله ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعطية القرظي ، وسراقة بن مالك بن جعشم ، وعبدالرحمن بن أبي ليلى ، وقائد السائب ، وعبدالله بن السائب المخزومي وأبو معمر عبدالله بن سخبرة ، وعبدالرحمن بن صفوان بن قدامة ، وأبو عياض عمر بن الأسود ، ومورق العجلي ، وأبو عياش الزرقي ، وأبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود ، وأرسل[1] عن علي ، وسعد بن أبي وقاص ، وروى عن عائشة حديثين في البخاري ، ومن شيوخه أسيد بن ظهير ، وأم سلمة وجويرية بنت الحارث ، وأم كرز الكعبية ، وأم هانئ ، وآخرون غيرهم كثير . تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١٠ ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

تلامذتـــــه :

روى عنه أيوب السختياني ، وعطاء ،

(١) أتى بأحاديث مرسلة .

وعكرمة ، وابن عون ، وقتادة ، والحكم بن عتيبة ، وحميد بن قيس الأعرج ، وسليمان بن مهران الأعمش ، وعمر بن ذر ، وعبدالله بن أبى نجيح ، وأبو إسحاق السبيعى ، وحماد بن أبى سليمان ، وزيد ، وطلحة ، وعمرو بن مرة ، وأبو يحيى القتات ، وخصيف الجزرى ، وسالم الأفطس ، والمطعم بن المقدام وأبو الزبير المكى ، ويونس بن أبى إسحاق ، وعبيد الله بن أبى يزيد ، وأبان بن صالح ، وبكير بن الأخنس وحبيب بن أبى ثابت ، وعمرو بن دينار ، وقطر بن خليفة ، والحسن بن عمر الفقيمى ، والحسن بن مسلم بن نياق ، وزبيد اليامى ، والعوام بن حوشب ، وسلمة بن كهيل ، وسليمان الأحول ومنصور ، وسيف بن سليمان ، ومسلم البطين ، وطلحة بن مصرف ، وعبدالله بن كثير القارىء ، وعبد الكريم بن مالك الجزرى ، ومزاحم بن زفر ، وعبدة بن أبى أمامة ، وعثمان بن عاصم ابو حصين وأبو عمر بن العلاء ، ومطر الوراق ، والحسين بن عبدالله ، وإبراهيم بن مهاجر . وطاووس وعثمان أبو المغيرة وآخرون غيرهم ـ تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ١٠ ص ٤٢ .

علمه بالقراءات :

كان مجاهد عالما بالقراءات واختلافها جمع الطبرى فى تفسيره ما اختلف فيه من القراءات ، وينسب إليه بعض القراءات المختلفة أخذ عنه القراءة عرضا جماعة منهم : عبدالله بن كثير ، وأبو عمر بن العلاء وغيرهما وقرأ عليه الأعمش ، وابن محيصن ، وحميد بن قيس وزمعة بن صالح «تفسير الطبرى» ، ومفتاح السعادة ١/ ٣٦٠» تذكرة الحفاظ للذهبى ١/ ٨٠ غاية النهاية فى طبقات القراء ٢/ ٤١ .

من كلامـــه وعظاتـــه :

قال صاحب الحلية جـ ٣ ص ٢٧٩ : ٣١٠ .

عن ليث عن مجاهد قال : من أعز نفسه أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه .

وكان يقول : الفقيه من يخاف الله عز وجل .

وقال : إن العبد إذا أقبل على الله تعالى بقلبه أقبل الله عز وجل ـ بقلوب المؤمنين إليه ـ وقال : إذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة : ولك مثله ـ وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة : ياابن آدم المستور عورته أربع واحمد الله الذى ستر عليك .

وقال مجاهد : ما من يوم يمضى من الدنيا إلا قال : الحمد لله الذى أخرجنى من الدنيا فلا أعود إليها أبداً وقال : إن الله تعالى ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ـ وقال : لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ربه : ابن للخراب ، ولِدّ للتراب .

ومن وعظه المذهل قال : يؤتى بثلاثة نفر يوم القيامة : بالغنى ، وبالمريض ، وبالعبد ، فيقول الله للغنى ما منعك من عبادتى ؟ فيقول : أكثرت لى من المال فطغيت . فيؤتى بسليمان بن داود عليه السلام فى ملكه فيقال للغنى : أنت كنت أشد شغلا أم هذا ؟ قال بل هذا ، قال : فإن هذا لم يمنعه شغله عن عبادتى قال : فيؤتى بالمريض فيقول : ما منعك عن عبادتى ؟ قال : يارب اشغلت علىّ جسدى . قال : فيؤتى بأيوب عليه السلام فى ضره فيقول له : أنت كنت أشد ضراً أم هذا ؟ قال : فيقول : لا بل هذا قال : فإن هذا لم يمنعه ذلك أن عَبَدَنِى . قال : ثم يؤتى بالمملوك فيقال له : ما منعك عن عبادتى ؟ فيقول : جعلت علىّ أربابا يملكوننى . قال : فيؤتى بيوسف الصديق عليه السلام فى عبوديته فيقال : أنت أشد عبودية أم هذا ؟ قال : لا بل هذا . قال : فإن هذا لم يشغله شىء عن عبادتى ، وقال : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال : أى عبادك أغنى ؟ قال الذى يقنع بما يؤتى . قال : فأى عبادك أحكم ؟ قال : الذى يحكم للناس بما يحكم به لنفسه . قال : فأى عبادك أعلم ؟ قال : أخشاهم .

يتبـــع

تزكية النفوس

في عالمنا المعاصر

دكتور كارم السيد غنيم

يعيش الإنسان اليوم مترفاً باحدث ما انتجه عقله من مخترعات ، وقد اقترفت يداه كثيراً من الذنوب فى حق نفسه ، بل فى حق مجتمعه وفى حق الإنسانية ، حتى الطبيعة الغضة ايضاً لم تنج من تدخله بما لوث الأجواء وكاد يفسد البر والبحر .

وهذا التقدم الصناعي فى الغرب الأوروبى والامريكي او فى الشرق الإلحادى قد فشل فى تحقيق السمو بإنسانية الإنسان ، فارتفع بجسده بما اخترع من ادوات الرفاهية وانحط بروحه بما زوى عنه من آيات ربه ، بل الغى الدين من حياته ووصفه بالرجعية والتخلف . وإن انتشار العيادات النفسية والمصحات العقلية ، وكثرة عددها فى العالم الغربى ، ليدل اوضح دلالة على ما يعترى الناس هناك من قلق واضطراب يعتصر نفوسهم ويذهب بعقولهم .

إن أمريكا اليوم ـ على سبيل المثال ـ تتعاطى تجارة الموت ، ليس بالنسبة إلى شعوب الدول الأخرى فحسب ، بل هى تتاجر بالموت مع شعبها أيضاً .

ففى الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠٠ شركة جنسية تتخذ من المرأة بضاعتها بصور مختلفة ، والرئيس الأمريكى السابق نيكسون نفسه يعلن أن أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من مليارى دولار فى عام ١٩٧٢ م وحده ، وحينما سألت صحيفة الرئيس ريجان فى خبث عن : أسباب ارتفاع معدل الإجهاض فى امريكا الآن (وهى الحالات التى افلتت فيها الحيطة من النساء فحملن) أجاب ساخرا : لم اكن اعرف اننى بهذه الفحولة ؟! وهى إجابة مكر ودهاء الساسة أمام الأسئلة الحرجة .

إن فى واشنطن اكثر من ٢٣ مكتبة فى الشوارع الرئيسية تعرض كتبا ومجلات كمجلة (بلاى بوى) الجنسية الفاضحة ، ومجلة (بلاى جيرل) التى تنشر صور الرجال عراة فى أوضاع شائنة ، وغيرها من أمور تخدش الحياء إذا ذكرناها . وما تعرضه واشنطن ليس شيئا إذا قورن بما فى غيرها من المدن الأمريكية الأخرى كشيكاغو ونيويورك ولوس انجلوس .

ترجم محمد بشار فى مجلة الإصلاح تقريرا عن صحيفة النيويورك بعنوان (الانحراف يجتاح كهنة الكنيسة) ، اوضح هذا التقرير أن الشذوذ الجنسى قد استشرى بين كهنة مختلف المذاهب

الكنسية فى أوروبا ، وأنه فى أمريكا لم يعد شيء يخدش الحياء بين رجال الفضيلة !! بل لقد توسط التقرير صورة لقس - أخزاه الله - يعقد قرانا لشاب على شاب آخر من الشواذ ، وهو فى الصورة يضع يده على الكتاب المقدس !! ولقد بيَّن هذا التقرير أن الإحصاءات تدل على الازدياد المطرد فى ارتفاع نسبة الشواذ بين رجال النظام الكهنوتى الاكليروس حتى فاقت ٥٠٪ فى بعض مناطق الولايات المتحدة الأمريكية . هذه هى طبقة رجال الدين هناك ، فما بالك بالشباب والرجال خارج هذه الطبقة ، من الشواذ والمخنثين والمحولين جنسيا ، ليس فقط فى الملبس والسلوك والكلام ، بل فى الطبيعة البيولوجية بفضل الهرمونات التى يتعاطاها الرجال فيتحولون إلى نساء ، يشعرون بكل الإحساسات الأنثوية !!

هذا عن الرجال ، أما عن النساء فحدث ولا حرج ، فالمرأة فى مجتمع التفسخ الخلقى سلعة رخيصة يستخدمها كل تاجر ، بدءا من منديل اليد وصابونة الغسيل إلى الصفقات الدولية .

ما من عاقل يفتش عن أسباب الضياع الخلقى والتفسخ الاجتماعى فى مجتمعات التحرر إلا ويجدها تنحصر عامة وخاصة فى دائرة واحدة - وإن تعددت أنواعها واختلفت مساحتها - وهى جحود الإنسان لوجود خالقه ومدبر امره ، وبعده عن مرضاة ربه.

وليس إلا الإسلام هو المخرج بما فيه من استقامة العقيدة وسلامة السلوك،هذه الحقيقة هى التى انتهى إليها بعض رجالات العلم والفكر فى بلدان الإلحاد والعلمانية .

ونحن إذا تركنا العوالم الغربية المادية والعوالم الشرقية الإلحادية ، وانتقلنا إلى العالم الإسلامى ونظرنا فى بنى جلدتنا ، وجدنا صنوفا شتى من الأفكار والآراء ، ما بين ذَنَبٍ لأفكار غيره من الملحدين أو بوق لأساتذته العلمانيين او مروِّج لمذاهب ماديين أو حائر لم يهتد بعد إلى رياض الدين ، ثم نجد أيضا مؤمناً مستمسكا بقيم دينه وأمور ربه ولا يعتريه غبار اللوث المستشرى فى بيئاته ، فهو على يقين ثابت بأنه خليفة الله فى أرضه ، وقد كلَّفه الله بعمارتها ورعايتها .

وسط هذا الكدر ، لابد أن ننبه إلى أن تزكية النفوس وتطهير القلوب أمور أولية مطلوبة دائما لنسلك الطريق القويم فنتخلص من عاهات الغرب وآفات الشرق .

إن تزكية النفوس لتضعف كثيرا فى عصور الوهن ، ولعل ضعف التزكية فى عصرنا أكثر منه فى أى عصر مضى ، فقد طغت امراض القلوب وضعفت القيم الشريفة وفيما يلى نوضح لونا واحدا من ألوان التزكية وهو «ذكر الله» ، ونبين أنه قادر على تصفية الإنسان من كافة أكداره وكفيل بتحليته بكل جميل وجليل من الخصال والصفات .

لقد أمر الله سبحانه بالذكر فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، فقال فى سورة الأعراف : (الآية ٢٠٥) ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ، وحث الله على الذكر الكثير فقال أمرا فى سورة الأحزاب (الآية ٤١) ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ووصف سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستنيرة التى رضى عنها لأنها اهتدت بهديه فقال عز وجل مادحا إياهم فى سورة

آل عمران (الآية ١٩١) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ويصف الله المؤمنين برقة القلوب ولين الجلود ورهافة الحس وسمو الشعور عند ذكر الله فقال فى سورة الأنفال (الآية ٢) : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ويصف الله سبحانه الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وما أعد لهم من الخير العظيم فيقول سبحانه فى سورة الأحزاب (الآية ٣٥) : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

تلك باقة من رياض القرآن فى الذكر .

وفى الأحاديث القدسية ما يحض على الذكر ، ومن ذلك ما أخرجه البخارى من حديث قتادة عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : (قال الله عز وجل : يا ابن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإذا ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منه ، وإن دنوت منى شبرا دنوت منك ذراعا ، وإن دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة) .

وروى الإمام أحمد وأصحاب الصحاح : قال رسول الله ﷺ (يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة) ، وزاد الإمام أحمد فى آخر الحديث : قال قتادة : (والله أسرع بالمغفرة) .

وفى حديثه - ﷺ - يقول : (مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه ، كمثل الحى والميت) .

أما الإعراض عن ذكر الله فإنه يوجب العذاب فى الدنيا واليم العقاب فى الآخرة ، يقول الله تعالى فى سورة طه (الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦) : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى : آفة هذا العصر أن البعض يفسرون الحياة الضنك على أساس أن الحياة تختفى منها النقود ، ولكن المعيشة الضنك هى الا يجد الإنسان من واقع الحياة مالا يستطيع أن يدفعه عن نفسه بقوته سواء اكانت (هذه القوة) مالا او غير ذلك ، والحياة الضنك تأتى لمن يعرض عن ذكر الله .

وفى الكتاب العزيز ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف/ ٣٦ ، ٣٧) ، يخبر الله سبحانه أن مَنْ ابتلاه بقرينه من الشياطين إنما كان بسبب إعراضه وعشوه عن ذكر الله الذى أنزله على رسوله ﷺ (باعتبار ان الذكر المقصود فى رأى ابن القيم هو القرآن الكريم) ، فكأن عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانا يقارنه فيصده عن سبيل ربه الحق وطريق فلاحه ، وهو يحسب أنه مهتد ، فإذا ما أتاه يوم القيامة وجد نفسه مع قرينه الشيطان ورأى هلاكه وإفلاسه .

انواع ذكر الله :

يقول العالم الحجة محيي الدين النووي(*) الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا ، فإن اقتصر على احدهما فالقلب افضل ، ثم لا ينبغي ان يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعا ويقصد وجه الله تعالى .

وفى مدارج السالكين انواع الذكر ، فيوضح ثلاثة انواع :

النوع الأول :

ذكر اسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته ، والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى :

(أ) إنشاء الثناء على الله بالأسماء والصفات والتنزيه والتقديس من الذكر ، كقول العبد (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر) (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ، ونحو هذا من الأذكار الجامعة ، (سبحان الله وبحمده) أفضل من قول العبد (سبحان الله) مجردة من الحمد .

(ب) الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، مثال ذلك قول العبد : (الله عزَّ وجلَّ يسمع أصوات عباده ويعلم أحوالهم ويرى حركاتهم ويرقب أعمالهم ، وهو ارحم بهم من آبائهم وأمهاتهم) ، ونحو ذلك من الأقوال . وافضل هذا النوع ما اثنى الله به على نفسه ، وما اثنى به رسوله عليه .

النوع الثانى :

وهو ذكر أوامر الله ونواهيه وأحكامه ، فيذكر العبد ربَّه انه سبحانه أمر بكذا أو نهى عن كذا ، وأنه يحب كذا ، أو يبغض كذا ، أو يذكره عند أمر فيفعله العبد ، وعند نهيه فينتهى عنه ويهرب منه (أى من النهى) .

النوع الثالث :

وهو ذكر آلاء الله وإنعامه وإحسانه ومواقع فضله على خلقه .

الثمرات الحاصلة من ذكر الله :

تكلم فى هذا علماء وأفاض آخرون ، لكننا حينما نسوق بعض فوائد الذِكْر ونعرض جملة من ثمراته فإننا لا نقصد بذلك الحصر ، وإنما نقصد اشياء ثلاثة :

أولها : أن يعرف المجد المكثر فى هذه العبادة المزكية للنفس ما أعده الله له وما يحيط به من نعيم وما يكتنفه من طمأنينة وسكينة واتزان فى الحياة الدنيا .

وثانيها : أن ينظر فيها المُقِلُّ والذى لم يأخذ منه بحظ وافر ، فيتأكد لديه جد الأمر فإذا ترك همته خائرة فسوف يفوته نفع عظيم .

وثالثها : أن يتحسر الغافل ويندم على ما ضيَّعه من عمره فى اللهو والهزل وعدم الإقبال على الله ،

ذكر الله يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويقرب البعيد ويبعد القريب :

(أ) يجمع ما تفرق على العبد الذاكر من قلبه وإرادته وعزمه .

(ب) ويفرق ما اجتمع عليه من :

١ ـ الهموم والغموم والأحزان والحسرات على عدم نيل الحظوظ .

٢ ـ الذنوب والخطايا والأوزار .

٣ ـ جند الشيطان الذى اجتمع على حربه .

(جـ) ويقرب البعيد حيث يقرب إلى العبد

←

* الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار . مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة ، ط ٤، ١٩٥٥ .

الآخرة ، فكلما لهج العبد بذكر ربه كلما استحضر الآخرة ، حتى كأنه دخلها وحضرها وحينئذ تصغر فى عينيه الدنيا وحطامها الفانى ويبعد القريب من العبد وهو الدنيا .

(د) الذكر يوقظ القلب من نومه وينبهه من غفلته ، فيصحو صاحبه ليستدرك ما فاته من عمره بعمران البقية التي قدرها الله له في عمره .

إن الذِّكر يقرِّب الذاكر من المذكور ، وهو الله سبحانه ، إذاً على قدْر الذكر وقبوله يكون القرب ، وعلى قدْر الغفلة يكون البعد عن المولى جلَّ شأنه .

أنه يؤدِّى بالعبد إلى أن يحيا وقلبه ملء بالهيبة لله وإجلاله وتعظيمه ، ذلك لأن ذكْر الله قد استولى على قلب العبد .

أنه يُجلى القلب من الصدأ الذى يتراكم عليه بسبب الغفلة عن الله ، ذلك لأنه من المعروف أن لكل شيء صدأ ، وصدأ القلوب الغفلة والهوى وجلاؤها ذكْر الله .

ذكْر العبد لربه فى الرخاء يؤدى إلى تعرف الله عليه فى الشدة .

اشتغال العبد بذكر الله سبحانه يفوت على اللسان الاشتغال بالمحرمات من غيبة ونميمة وكذب وفحش وكل ما هو باطل . فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، والقلب إن لم تسكنه محبة الله عزَّ وجلَّ سكنته محبة المخلوقين ، واللسان إنْ لم تشغله بالذكْر شغلك باللغو والباطل ، فانظر أيهما تختار لمصلحتك .

الذكر والشكر جماع السعادة والفلاح

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة/١٥٢) لكن الذّكر رأس الشكر فمن لم يذكر الله لم يشكره ، وشكر كل نعمه أنعمها الله على العبد هو ذكر رب هذه النعمة ومنعمها وهو يصاحب العبد فى جميع أحوال حياته اليومية ، ففى كل موضع وفى كل حالة وفى كل مكان وفى كل وقت يكون ذكر الله هو وسيلة شكره على النعم . ذكر البيهقى عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : ربِّ قد أنعمت علىَّ كثيراً ، فدلنى على أن أشكرك كثيراً ، قال : اذكرنى كثيراً ، فإذا ذكرتنى كثيراً فقد شكرتنى كثيراً ، وإذا نسيتنى فقد كفرتنى .

ذكْر الله يخفف المشاق ، ويسهّل الصّعاب ، وييسّر الأعسار ويفرّج الكروب .

ذكْر الله يمدّ الإنسان بقوة لم يكن ليحسب وجودها لديه ، وهذه أمور مجرُبة فى أحوال مختلفة مرَّت بالرسول ﷺ وبالصحابة وبعلماء المسلمين ، وورد أثر يفيد أن حملة عرش الرحمن ما استطاعوا القدرة على حمله إلّا بعد أنْ أوْحَى الله إليهم بأن يقولوا : (لا حول ولا قوة إلا بالله) فكانت عوناً لهم على تحمل هذه المسئولية والنهوض بها.

أليس الذكر من أعظم وسائل التزكية للنفس ، وبه يحيا المسلم والمسلمة كلُّ متوازن الشخصية مستقيم الحال ، وما ذلك إلا نعمة من نعم الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران ٨٥ .

فتح جزيرة قبرص

أول عملية إبرار بحري في تاريخ المسلمين

عام ٢٨ هـ - ٣٣ هـ

لواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

الأهمية الاستراتيجية لقبرص :

● تستمد جزيرة قبرص اهميتها الاستراتيجية من موقعها الجغرافي الذي يوحي للناظر انها اشبه بمدفع فوهته مصوبة نحو إقليم الشام ، وإلى جانب ذلك تحتل الجزيرة ركناً ممتازاً في الزاوية الشمالية الشرقية من البحر الابيض المتوسط ، يجعلها تتحكم في مياه هذا الشطر الشرقي من البحر بما يطل عليه من البلاد . إذ يمكن للمرء ان يرى من قبرص بالعين المجردة آسيا الصغرى والشام ، وان يبحر منها مباشرة وفي وقت قصير ، متجهاً إلى بيروت او بورسعيد او الاسكندرية .

● وفي قبرص سلسلتا جبال تمتدان من الشرق للغرب ارتفاعهما بين ٣١٤٢ و ٦٠٢٠ قدماً ، وهي ذات اهمية اقتصادية ، ففضلاً عن موقعها فهي تحتوي على النحاس الذي اشتهرت بتصديره منذ القدم .

● وهي لذلك تعد مركزاً حضارياً هاماً ، استقر بها اليونان فأسسوا بها المستعمرات اليونانية الفينيقية ، وقد قام حولها صراع طويل وعنيف قديماً بين المصريين والآشوريين وبين اليونانيين والفرس ، كل يبغى السيطرة عليها ، وعندما بدأ الفتح الإسلامي كانت قبرص تحت السيطرة البيزنطية (الروم) .

● وقد تجلت هذه الظاهرة في العصر الحاضر أيام أحداث العدوان الثلاثي (الإنجليزي الفرنسي الإسرائيلي) عام ١٩٥٦ على مصر ، حيث كانت قبرص القاعدة التي انطلقت منها أساطيل العدوان وطائراته .

● وقد اتصلت أحداث قبرص تاريخياً اتصالاً مباشراً بإقليم الشام ، وارتبط مصيرها بأحوال القوى التي ظهرت فيه سواء في مشروعاتها التجارية ، أو عملياتها الحربية ، إذ يقترب طرف الجزيرة الشرقي من خليج الأسكندرونة الذي يقع خلف الممر الجبلي الهام الممتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى

←

(١) الإبرار البحري : يطلق على عملية نزول القوات المحمولة على السفن من البحر إلى الشاطىء ، وفي الحرب الحديثة تقف السفن الكبيرة التي تحمل القوات بعيداً عن الشاطىء ، ثم تنتقل القوات إلى قوارب خاصة تصل بها إلى الشاطىء .

فتح جزيرة قبرص

شمال العراق ، وكان هذا الطريق من أهم المسالك التجارية التي عبرتها قوافل التجارة المحملة بالمنتجات الشرقية إلى أسواق البحر الأبيض .

● ثم إن قبرص من وجهة نظر المسلمين في الشام خلال عمليات الفتح كانت تشكل خطراً على الشام باعتبارها قاعدة للبيزنطيين في إغاراتهم البحرية على الشام ، وملجأ يلجئون إليه عند ارتدادهم عنه استعداداً لمعاودة الإغارات ، فخلال سنوات الفتح الإسلامي للشام لم يجد المسلمون عدوا لهم في معاركهم أقسى من البحر وما يأتي منه من أخطار :

١ ـ فبينما كانت مدن الداخل تتساقط دون عناء كبير ، كانت موانئ الساحل تصمد طويلاً ، وتتحمل الحصار بسبب إمدادها المستمر عن طريق البحر ، وأبلغ دليل على ذلك أن « قيسارية » لم تسقط إلا بعد حصار سبع سنوات (من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ إلى شوال سنة ٢٠ هـ) .

٢ ـ ومن جهة أخرى بينما كانت مدن الداخل « تخضع للمسلمين » بعد فتحها وتسلم إليهم مقاليد ولائها ، كانت مدن الساحل « دائمة الفتن » والثورات والاضطرابات بسبب تحريض بيزنطة بحكم الاتصال البحري ، حتى تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطي عن الحكم الإسلامي ، ومن تلك المدن صيدا وجبيل وعرقة .

٣ ـ كذلك فقد كان الأسطول البيزنطي عندما يدرك استحالة الصمود والمقاومة أمام الحصار الإسلامي على الموانئ في الشام ومصر ، يتولى إجلاء الجنود والمدنيين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين .

● من أجل ذلك أحس المسلمون بأهمية الدفاع البحري عن تلك المناطق التي تطل على مياه البحر الأبيض المتوسط من شواطىء طويلة تمتد من طرسوس شمالاً إلى برقة جنوباً (أكثر من ١٥٠٠ ميل) وتواجه في هذه المياه تهديد أعدائهم الذين دأبوا على الإغارة عليها .

● والخلاصة : أن الأسطول البيزنطي كان مصدر تهديد خطير ومباشر للفتح الإسلامي ولأمن المسلمين ، وأن بناء أسطول إسلامي كان « ضرورة استراتيجية حيوية » ، ومن الطبيعي بالتالي أن تكون السيطرة على الجزر ذات الموقع الحاكم في البحر الأبيض المتوسط وخاصة الجانب الشرقي منه « ضرورة استراتيجية » أيضاً لتحقيق السيادة البحرية للأساطيل الإسلامية .

● أما عن بناء الأسطول الإسلامي فقد مر بمرحلتين :

١ ـ المرحلة الأولى :

بدأت باستخدام السفن التي عثر عليها المسلمون في موانئ الشام ومصر ، وهي سفن إما سورية أو مصرية الأصل من بقايا العهود السابقة ، أو سفن بيزنطية غنمها المسلمون ، وكانت أغلب هذه السفن سفنا تجارية ، غير أنها أفادت كثيراً في الفتوحات الأولى في نقل المحاربين والعتاد وحمل المؤن والغنائم مثل فتح قبرص .

٢ ـ وفي المرحلة الثانية :

بدأ المسلمون في صناعة السفن في عدد من القواعد البحرية أو دور الصناعة مثل عكا وصور وطرابلس في الشام ، والأسكندرية والقلزم والفسطاط والروضة ودمياط في مصر ، وطرابلس وقرطاجنة وبرقة في شمال أفريقيا .

من سفن الأسطول الإسلامي

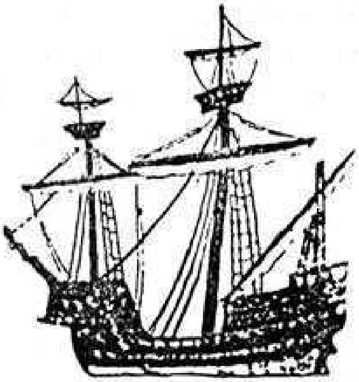

القرقور
لحمل الجند والقتال البحري

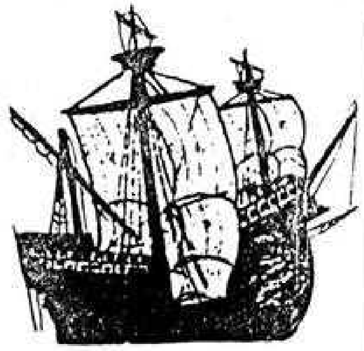

الحراقة
لرمي العدو بالأسلحة النارية وأنابيب النفط

٤ - وصار التوسع بعد ذلك في بناء الأساطيل الإسلامية حتى كانت هناك ثلاثة أساطيل، واحد منها لمصر والثاني لسورية والثالث لشمال افريقيا.

● وأما عن السيطرة على الجزر ذات الموقع الحاكم وخاصة في الجانب الشرقي في البحر المتوسط فقد بدأت عملياتها بفتح قبرص عام ٢٨ هجرية.

الظروف والأحوال الاستراتيجية قبل فتح الجزيرة:

● يعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من نظم اسطولاً في الإسلام، وأول من ارسل حملة بحرية إسلامية للغزو في البحر الابيض المتوسط، وقد استاذن معاوية وهو يلي الشام من قبل الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، لكي يسمح له الخليفة بركوب البحر، لاعتزامه فتح جزيرة قبرص، ومما قاله معاوية لعمر: «يا أمير المؤمنين، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم (أو دجاجهم) وهي تلقاء ساحل من سواحل حمص»، فاتهمه عمر لأنه المشير بذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص والي مصر - رضي الله عنه -: أن «صف لي البحر ثم اكتب الىّ بخبره»، فكتب إليه عمرو: «يا أمير المؤمنين، إني رأيت خلْقا كبيراً، يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء، إن رَكُن (سكن) خرّق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثر، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا بَرِق (من الحيرة والدهشة)».

فلما قرأ عمر بن الخطاب كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية: «لا والذي بعث محمداً

فتح جزيرة قبرص

بالحق ، لا أحمل فيه (البحر) مسلماً أبداً »[٢] .

● وفي خلافة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - (٢٣ - ٣٥ هـ = ٦٤٤ - ٦٥٦ م) أعاد معاوية عام ٢٧ هـ طلبه موضحاً أهمية البحر ، فأذن له عثمان وأوصاه : « لا تنتخب الناس ، ولا تُقرع بينهم ، خَيِّرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنْه » .

تجهيز الأسطول الإسلامي للغزو :

● كان الأسطول الإسلامي في فتح قبرص أسطولاً مشتركاً بين الشام ومصر تحت القيادة العامة لمعاوية ، فكان أسطول الشام بقيادة عبدالله بن قيس الحارثى حليف بني فزارة ، وكان أسطول مصر بقيادة عبدالله بن سعد بن أبى سرح ، فقد ذكر الطبرى أن معاوية بعد أن أذن له الخليفة بالغزو في البحر ، « استعمل على البحر عبدالله بن قيس الحارثي » .. ثم ذكر في موضع آخر عن الواقدى : « غزا معاوية في سنة ثمان وعشرين قبرص ، وغزاها أهل مصر وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، حتى لقوا معاوية ، فكان على الناس »[٣] .

● ومن ذلك يستخلص أن القيادة العامة للأسطول المشترك كانت لمعاوية وأن قيادة أسطول الشام كانت لعبدالله بن قيس ، وقيادة أسطول مصر كانت لعبدالله بن سعد بن أبي سرح .

● واحتشدت الأساطيل في ميناء عكا وقد اشترك مع الجند عدد من كبار الصحابة من بينهم أبو الدرداء وأبو ذر الغفارى ، وفضالة بن عبيد ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت الذي حمل معه زوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، وقد اصطحب معاوية معه زوجته فأخته تنفيذاً لأمر الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - حين أذن له بالغزو في البحر بأن يأخذ امرأته : « فإن ركبت البحر ومعك امرأتك ، فاركبه مأذوناً لك ، وإلا فلا »[٤] .

● وقد شاءت إرادة الله أن تجعل هذه الغزوة البحرية رمزاً على شدة الوعي البحري عند المسلمين رجالاً ونساء ، فقد استشهدت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت على أرض قبرص ، إذ حين رست السفن الإسلامية على الشاطىء وأخذ الجند ينزلون منها ، تقدمت أم حرام لتركب دابتها لكن الدابة نفرت فأوقعتها حيث لقيت حتفها مسجلة بذلك اسمها في أول صفحة للشهداء دوَّنها الأسطول الإسلامي في مياه البحر الأبيض المتوسط ، وقد دفنت أم حرام في أرض جزيرة قبرص ، وعرف قبرها منذ ذلك الحين باسم : « قبر المراة الصالحة »[٥] .

سير الحملة :

● أبحرت الحملة البحرية الإسلامية من ميناء عكا في ربيع عام ٢٨ من الهجرة إلى قبرص حيث قام المسلمون بأول عملية إبرار بحري في تاريخهم ، وبعد أن أنزلوا عدتهم وعتادهم إلى شاطىء الجزيرة أرسلوا إلى أهلها يخبرونهم بأهدافهم ، وهي أنهم لم يأتوا طمعاً في جزيرتهم وإنما ليتفقوا معهم على ما فيه تأمين للشواطىء الإسلامية على المياه الشرقية من البحر المتوسط .

● غير أن سكان قبرص أبَوْا تحت ضغط الروم الدخول في مفاوضات مع المسلمين واعتصموا بأسوار مدنهم ، فتقدمت القوات

البقية ص ١٠٣٤

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
(٣) نفسه : ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٣ .
(٥) نفسه : ص ١٥٤ .

المستشرقون والموضوعية

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الحميد غراب

يزعم بعض الناس - اتباعاً للظن او الهوى - ان المستشرقين قد قاموا بدراسات واسعة للإسلام والمسلمين من اجل خدمة العلم وحده ؛ اى حققوا المبدأ القائل : « العلم للعلم » وهو مبدأ « اكاديمى » يضفى - فى زعمهم - على من يحققه صفة الموضوعية ، وتحرى الإنصاف ؛ ومن ثم يستحق المستشرقون - طبقا لهذا الزعم - أن يوصفوا بانهم « علماء موضوعيون » ، و « دارسون منصفون » للإسلام والمسلمين .

ومن الواضح ان هذا زعم باطل ، بل هو ضلال وتضليل للمسلمين .

فالعلم فى الإسلام إنما هو وسيلة ، وليس غاية .

فيمكن أن يستخدم العلم لنشر الحق ، وبيان الهدى ، ونفع الناس ، وإعلاء كلمة الله . وذلك هو العلم الحق ، والعلم النافع ؛ أى العلم المرتبط فى بواعثه وغاياته بالإيمان بالله ، والمؤدى فى نتائجه وتطبيقاته إلى العمل الصالح ؛ والعلم بهذا المفهوم هو العلم الذى يقبله الإسلام ، ويدعو إليه ، ويحث على طلبه . بل هو فى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة .

ويمكن كذلك أن يستخدم « العلم » للجدال بالباطل ، ونشر الضلال ، وتشجيع الكفر والإلحاد ، وإهلاك الحرث والنسل ، والإضرار بالناس . وذلك هو العلم الزائف ، والعلم الضار ؛ العلم المنفصل عن الإيمان وعن العمل الصالح معاً ؛ وهو العلم بالمفهوم الغربى الاستشراقى ، الذى نرى تطبيقاته بوضوح فى مجالات الاستعمار ، والتنصير ، والغزو الثقافى ، ونشر الفحشاء ، وقتل الأبرياء أفرادًا وجماعات ؛ اى فى كل مايسىء إلى الإسلام ويضر بالمسلمين .

والعلم بهذا المفهوم يرفضه الإسلام رفضاً قاطعاً .

وقد قال - صلى الله عليه وسلم - : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » (متفق عليه) .

ولاشك أن المستشرقين قد جمعوا معلومات كثيرة عن الإسلام والمسلمين . وقد مكنهم الاستعمار الصليبى - الذى نهب ثروات المسلمين وتراثهم الفكرى والحضارى ، وسرق مخطوطاتهم ونقلها إلى عواصم الغرب وخزائنه - من أن يجمعوا هذه المعلومات ، وأن يدرسوها فى مؤسسات علمية (معاهد وجامعات) ، وينشروها فى مقالات وكتب ، بل وفى معاجم وموسوعات ، كما مكنهم من استخدام التقدم التكنولوجى فى

←

المستشرقون والموضوعية

تسجيلها على الأشرطة ، وتخزينها فى الحاسبات الآلية .

وأهم من ذلك وأخطر أن الاستعمار الصليبى - باستيلائه على بلاد المسلمين - قد مكَّن المستشرقين من الوصول إلى مصادر هذه المعلومات ؛ أي مصادر الإسلام نفسه : عقيدة وشريعة وحضارة - ولاسيما - مؤلفات المسلمين التى تعين على فهم هذه المصادر ؛ أى كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ والفرق والمذاهب ، وكتب الطبقات والسير والفهارس والمعاجم التى ألفها العلماء المسلمون خلال القرون للرجوع إلى مصادر دينهم (وبخاصة القرآن والسنة) ، وإلى سير أسلافهم ، وللتعرف على كل جوانب حضارتهم .

كيف استخدم المستشرقون هذه الكنوز من المعلومات ؟

لا يقول إنهم استخدموها لخدمة العلم والحق ؛ أو لخدمة الإسلام والمسلمين ، إلا غافل ، أو جاهل ، أو عميل لهم ، خائن لله ولرسوله والمؤمنين .

وهناك سبب حقيقى وواضح يحول بين المستشرقين وبين الموضوعية والأمانة العلمية ، وهو عداوتهم العميقة للإسلام ، وحقدهم الصليبى عليه ، وهو الحق الذى يتغلغل فى كل دراساتهم لهذا الدين ، ولهذا الدين وحده .

يقول العالم الغربى المسلم محمد أسد فى كتابه : « الإسلام على مفترق الطرق » فى فصل بعنوان « شبح الحروب الصليبية » :

(فيما يتعلق بالإسلام) لاتجد موقف الأوروبى موقف كره فى غير مبالاة فحسب ، كما هى الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات ، بل هو كره عميق الجذور ، وهذا الكره ليس عقليا فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضاً بصبغة عاطفية قوية . قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية ، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ، ومبنى على التفكير . إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن ، ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب . حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة للتحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام . ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحت فى البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته . إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة ، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ؛ فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له - مع شىء من الفتور - « اعتبار الأسباب المخففة » . وعلى الجملة فإن طريقة الاستقرار والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش (محاكم التفتيش) ، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ؛ أى أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبداً أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها ، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون إليه مبدئيا . وإذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ، ثم فصلوها من المتن ، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمى من سوء القصد ، من غير أن ينسبوا قيمة ما ، إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر ؛ أى من قبل المسلمين أنفسهم .

« وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى

صورة مشوهة للإسلام وللأمور الإسلامية ، تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا وليس ذلك مقصورا على بلد دون آخر ، إنك تجده في انكلترا والمانيا ، في الروسيا وفرنسا ، وفي إيطاليا وهولندا ـ وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام . ويظهر انهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض له فرصة ـ حقيقية او خيالية ـ ينالون بها من الإسلام » . (١)

ويتضح من هذا الحكم أن الدراسات الاستشراقية عن الإسلام تقوم على الآراء المسبقة ، وهي الآراء التي كونها التعصب والحقد ؛ ولذلك تخلو تلك الدراسات من الموضوعية العلمية ؛ فضلاً عن الإنصاف .

وهذا الحكم لاينفرد به العالم الغربي المسلم محمد أسد ، بل يشاركه فيه كثير من العلماء والمفكرين الغربيين الذين اهتدوا إلى الإسلام ، بل ويؤيده كذلك بعض العلماء والمفكرين من غير المسلمين ؛ حيث يؤكد هؤلاء أن الصورة المشوهة للإسلام والعرب مازالت مستمرة في الدراسات الاستشراقية وفي وسائل الإعلام في الغرب بوجه عام ؛ وفي الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص ، وأنه مازالت « تنشر الكتب والمقالات باستمرار عن الإسلام والعرب ، وهي لا تختلف إطلاقاً عن الجدل الخبيث المعادي للإسلام في القرون الوسطى وعصر النهضة » . (٢)

وفي كتابي : « رؤية إسلامية للاستشراق » استشهدت على هذه الحقيقة بأمثلة عديدة من كتابات المستشرقين أنفسهم ؛ منذ نشأة الاستشراق في العصور الوسطى حتى العصر الحاضر . وبينت أن الدراسات الاستشراقية ذات ارتباط وثيق بالاستعمار ، وبالتنصير ، وأنها بحكم هذا الارتباط لا تلتزم ، ولا يمكن أن تلتزم ، بالموضوعية العلمية في تناولها للإسلام بوجه خاص . كما بينت أن هذه الدراسات تسهم بشكل فعال في صنع القرار السياسي الذي تتخذه الحكومات الغربية دائماً ضد الإسلام والمسلمين . (٣)

وبالإجمال ؛ فلاستشراق ـ في جوهره ـ ليس ظاهرة جديدة ، بل هو امتداد لموقف العداوة العقائدية ؛ أي موقف الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب ؛ منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، وهو موقف الإنكار للرسالة ، والتكذيب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وإثارة الشبهات حول الإسلام بوجه عام ، وحول القرآن والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوجه خاص ، وذلك لتشكيك المسلمين في دينهم ؛ بهدف ردتهم عنه ، كما قال تعالى :

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة ٢ : ١٠٥) .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة ٢ : ١٠٩) .

فهل نصدق في هؤلاء الناس كلاماً آخر يخالف كلام العزيز الحكيم ؟

هل يتصف هؤلاء المستشرقون بالموضوعية او الإنصاف ؟

في بعض المؤلفات الإسلامية المعاصرة

البقية ص ١٠٣٣

(١) محمد أسد : « الإسلام على مفترق الطريق » الترجمة العربية د . عمر فروخ دار الاعتصام القاهرة و . ن ص ٥٢ ـ ٥٤ .
(٢) EDWARD SAID : ORIENALISH (LONDON AND HENLEY 1978) P.287
(٣) أحمد عبد الحميد غراب : رؤية إسلامية للاستشراق دار الأصالة ـ الرياض ـ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٩ ـ ١٢ .

الفتاوى

للشيخ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

وبعـــــد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب المواطن سيد احمد إبراهيم - المقيم ببنى سويف - حى الرماح - شارع فرج المتفرع من شارع صلاح سالم .

قال : إن اليوم ٢٤ ساعة يبدأ من الساعة ١٢ مساء كل ليلة (هذا علمياً) وتعترف به الدولة رسمياً فى جميع سبل الإعلام فى بداية راس السنة الميلادية والهجرية وتغيير المواعيد الصيفية .

وقد استمعنا لبيان فضيلة المفتى مساء الاثنين ٢٩ من شعبان ان يوم الثلاثاء ١٩٩٠/٣/٢٧ م هو المتمم لشهر شعبان ١٤١٠ هـ ، ثم قال فضيلته : إن هلال رمضان سيولد فى التاسعة والنصف من مساء الاثنين ٣/٢٦ علمياً اى قبل نهاية الليلة التى تنتهى فى الثانية عشرة .

فلماذا لا يكون اليوم التالى الذى يبدأ بعد الساعة الثانية عشرة يوماً جديداً من هذا الهلال الذى ظهر علمياً بعد التاسعة ، او نصدق رؤية بعض الدول الإسلامية التى اذاعت ذلك مساء الاثنين ١٩٩٠/٣/٢٦ م كما اذاعت لندن فى السادسة والسابعة من صباح الثلاثاء تهنئة للدول الإسلامية التى صامت ..

ثم قال السائل : لم اصم واسرتى يوم الثلاثاء ١٩٩٠/٣/٢٧ م تيمناً بهذه الفتوى .

وقد قامت الجماعة الإسلامية بعد سماع هذا البيان بالدعوة العلنية بمكبرات الصوت بالتنبيه على الجميع بدعوتهم لصلاة القيام وصيام باكر الثلاثاء ١٩٩٠/٣/٢٧ م

وانتهى فى كتابه هذا إلى طلب توضيح هذا الموقف لإقناع اولاده واسرته ..

— والجــــواب —

إن القرآن الكريم اتخذ الشهور القمرية معياراً للمواقيت . فقال الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ..

وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين » ..

ومن ثم كان اليوم والليلة - فى الإسلام - قمرياً معتبراً من غروب الشمس إلى غروب شمس

النهار التالى ، وهو مايجرى عليه حساب الساعات الذى يطلق عليه « التوقيت العربى » .. ولما كانت ولادة القمر ظاهرة كونية من سنن الله فى خلقه ، تَحْدُث عن اجتماع الشمس والقمر وافتراقهما فى دورة شهرية ولا يظهر القمر للرؤية البصرية فور حدوث هذه الظاهرة ... بل لابد من مضى وقت ، اختلف العلماء فى تقديره . وتَحدُث هذه الظاهرة فى أوقات مختلفة شهرياً تبعاً لنظام خلق الله الدقيق المنتظم ، فتارة تحدث ليلاً فى أى وقت فيه ، أو نهاراً فى اى وقت فيه ، والعبرة كما تقدم بظهور القمر فى الأفق بعد هذه الظاهرة التى يعبر عنها تقريباً للافهام بولادة القمر .

ومن ثم فإن ماأثاره السائل فى كتابه من تساؤلات جاءت بعيدة عن الاعتبارات الشرعية للمواقيت لما يلى : -

١ - إن المواقيت الشرعية ارتبطت بعلامات كونية ، وأن الأشهر القمرية اتخذت مواقيت للناس بنص القرآن ، ومن ثم يختلف بدء اليوم والليلة فى هذا النطاق عن النطاق الذى تجرى عليه الحسابات الفلكية .

وكما تقدم يبدأ اليوم والليلة بغروب الشمس وينتهى اليوم بغروب شمس النهار التالى وليس من منتصف الليل الساعة ١٢ ، كما يتبع فى الحساب الفلكى ويجرى عليه عامة الناس فى أعمالهم وكما جاء فى ورقة السؤال .

٢ - إن الحديث الشريف المنوه عنه آنفاً قد ربط دخول الشهر القمرى برؤية الهلال فى الأفق وهذه الرؤية إنما تكون ممكنة بعد غروب الشمس متى كانت ولادة القمر قبل هذا الغروب بوقت كاف لظهور القمر مرئياً بعد غروب الشمس وهذا ما لم يتأت فى استطلاع هلال شهر رمضان ١٤١٠ هـ حيث كانت ظاهرة الولادة بعد غروب الشمس بأكثر من ثلاث ساعات حسب بيان المفتى وبافتراض صحة الحساب الفلكي .

ومن ثم كان النزول على حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإكمال شعبان ثلاثين يوماً .

٣ - أما أن عدداً من الدول الإسلامية أعلنت الصوم ابتداء من يوم الثلاثاء ٢٧/٣/١٩٩٠ م ، فلعلها أخذت بمطلق الحسابات الفلكية ، وقد يختلف الحساب باختلاف قدرات الحاسبين .

وإذا كان حساب الفلكيين الذى اعتمدته دار الإفتاء فى مصر صحيحاً كان بيان فضيلة المفتى بإكمال شعبان ثلاثين يوماً وبدء الصوم يوم الأربعاء ٢٨/٣/١٩٩٠ م ، صحيحاً موافقاً للحديث الشريف حيث لم تثبت رؤية الهلال فى مصر ليلة الثلاثاء ٢٧/٣/١٩٩٠ م .

وإذا كانت الدول التى صامت يوم الثلاثاء ٢٧/٣/١٩٩٠ م ، قد استطلعت فعلاً ورأت الهلال رؤية بصرية صحيحة يكون ما وقع جارياً فى نطاق اختلاف المطالع وأن لكل بلد مطلعه أى أن رؤية الهلال تختلف من بلد إلى بلد آخر ، والخلاف واقع بين الفقهاء فى ذلك ولكل وجهة علمية ، وليست هذه الفتوى محل إيراده ، وتكون الحسابات الفلكية التى اعتمدتها دار الإفتاء غير دقيقة .

لما كان ذلك : فإن ماأعلنه المفتى - وإن اختلف مع البلاد الأخرى - يجرى على ماتقرر فى أقوال بعض فقهاء المذهب الشافعى من أن لكل بلد مطلعه ، وتبعاً لهذا فإن على المواطنين فى مصر الالتزام بما أعلنه المفتى فى هذا الشأن ، واحتساب بدء شهر رمضان يوم الأربعاء الموافق ٢٨/٣/١٩٩٠ م ، باعتبار أن شهود استطلاع الهلال أخبروا بعدم ظهوره فى سماء المواقع التى استطلعوا منها فى مصر .

هذا وقد صدر قرار مؤتمر علماء المسلمين الثالث المنعقد فى الأزهر عام ١٣٨٦ هـ /

١٩٦٦ م فى شأن تحديد أوائل الشهور القمرية ، وكان مما جاء فيه :

(أ) إن الرؤية هى الأصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى كما يدل عليه الحديث الشريف . فالرؤية هى الأساس ، لكن لا يعتمد عليها إذا تمكنت منها التهم تمكناً قوياً .

(ب) يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة كما يكون بخبر الواحد ذكراً كان أو أنثى ، إذا لم تتمكن التهمة فى إخباره لسبب من الأسباب ، ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر من موثوق به .

(جـ) خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر فى ذلك .

ثم جاء بالقرار :

« يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة مع جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبراً بين الأقاليم التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة » .

كما أوصى المؤتمر الهيئات الإسلامية المنوط بها إثبات دخول الشهور القمرية بمراعاة الاتصال بينها والاتصال بالفلكيين الموثوق بهم .

ومن ثم ـ وكما سبق ـ فإن بيان المفتى قد أبرز أن رؤية الهلال بصرياً لم تثبت فى سماء جهات الاستطلاع فى مصر ، وأرجع هذا إلى أن الحسابات الفلكية قد أثبتت أن ولادة القمر ستقع بعد الساعة التاسعة من ذات ليلة الاستطلاع واتخذ من ذلك قرينة مؤكدة لنتيجة الاستطلاع وعلى استكمال شهر شعبان ثلاثين يوماً .

وهذا حالة أن دولاً عربية مسلمة مجاورة تقع شرق مصر أعلنت أنها رأت الهلال ، وقد بلغ عدد هذه الدول تسعاً وكان الاستطلاع فى أماكن مختلفة متباعدة ، ومن ثم يؤمن اتفاقهم على الكذب فى إخبارهم برؤية الهلال ، ومن ثم يحتمل خطأ الحاسبين الذين اعتمد المفتى حساباتهم عند ولادة القمر .

ومع هذا فإنه يمكن حمل بيان المفتى على الأخذ بقول من قال من الفقهاء باختلاف المطالع حتى لا تكون فتنة ، وعندئذ يكون على أهل مصر جميعاً الالتزام بما أعلنه مفتى مصر فى هذا الشأن ، إذ له وجه فقهى وإن كان غير ما ارتآه جمهور الفقهاء .

هذا : وقد كان الأولى ـ تنفيذاً لتوصية علماء المسلمين المشار إليها ـ اتصال المفتى بالبلاد العربية الإسلامية المجاورة للتعرف على ما عندها ليلة الرؤية لإمكان تنفيذ قرار علماء المسلمين بالعمل على وحدة بدء الصوم وانتهائه بين الشعوب الإسلامية فى البلاد التى تشترك جميعها فى جزء من الليل مهما قل ، إبرازاً لوحدة المسلمين وتدريباً لهم على إزالة مظاهر الفرقة والاختلاف لاسيما وما قال به المؤتمر قول جمهور فقهاء المذاهب الفقهية المعتبرة ولهم أسانيدهم الصحيحة القوية التى يتعين الالتزام بها فى الفتوى .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهــــر
جادالحق على جاد الحق
١٤ من رمضان ١٤١٠ هـ
١٠ من ابريل ١٩٩٠ م

العمل فى الارشاد السياحى

س : هل العمل فى الإرشاد السياحى حرام مع العلم بان المرشد السياحى يواجه السائحات المتبرجات ، ومايتصل بذلك من فنادق بها الخمر وغيره .

محمد ماهر عويس القاهرة

جـ : العمل فى الإرشاد السياحى لاشىء فيه ، وعلى المرشد أن يغض بصره عن أى شىء محرم .

ولاشىء عليه فى دخول الأماكن التى بها مشروبات محرمة مادام هو لايشرب ولا يلوث بهذا الشراب .

وهذا هو مجال جهاد النفس .

التعرف على الفتاة

س : ما حكم العلاقة بين الفتى والفتاة التى يبغي التعرف على اخلاقها . بقصد الزواج ؟

انور احمد فهمي
كلية التربية ـ اسيوط

جـ : يجوز له أن يراها ، ولا يجوز له أن يلمسها ، ولا أن يرى أجزاء خفية من جسمها وإنما يرى فقط الوجه والكفين .

أما الحديث معها لمعرفة تفكيرها ، فلابد أن يكون مع وجود غيرها ، وبخاصة المحارم .

لايتوصل إلى عمله
الا إذا دفع مالا

س : كنت أعمل فى بعض الجهات ، ثم تركت العمل ، ولما اردت العودة طولبت بمبلغ إن لم ادفعه لا أعود للعمل ومثلى فى ذلك مثل غيرى ، من لايدفع لايعود فهل ادفع هذا المبلغ ؟

مهندس : ب .ع .س

جـ : نفيد السائل أنه إذا تيسر له عمل آخر غير هذا العمل ، أو إذا كان له ما يستطيع به الحصول على ما يتعايش منه فلا يجوز له دفع الرشوة .

أما إذا كان فى ضرورة وظروف ملحة ، ولم يكن فى دفع المبلغ ضياع حق لغيره . فإنه يجوز له دفع ما يطلب منه ولا ذنب عليه ، والذنب كله على الآخذ . والله اعلم ..

ميراث

س : توفيت امراة عن ابنى خال شقيق ، ابن عم لأم ، أولاد خالة شقيقة ، أولاد عمة شقيقة ، وليس هناك صاحب فرض ولا عصبة ، فمن يرث وما نصيب كل وارث ؟

ج . ع . س

جـ : مادام لم يوجد صاحب فرض ، ولا احد من العصبة فإن المذكورين جميعاً من ذوى الأرحام .

وحيث إنهم من الصنف الرابع ، وقد تساووا فى الدرجة واختلفوا فى الحيز فإن لقرابة الأب الثلثين ولقرابة الأم الثلث ، وعلى ذلك يكون الثلثان لأولاد العمة الشقيقة للذكر ضعف الأنثى ، والثلث الباقي لابنى الخال الشقيق وأولاد الخالة الشقيقة يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى كأنهم أولاد رجل واحد ، ولا شىء لابن

←

الفتــاوى

العم للأم لحجبه بأولاد الخال الشقيق ، وأولاد الخالة الشقيقة ، وأولاد العمة الشقيقة ، لأنهم اقوى منه .

ـ والله أعلم ـ

حـكم الختـان

س : ما حكم الختان بالنسبة للذكر والأنثى في الإسلام ؟

زكريا عبد المحسن ـ اسيوط

جـ : الختان من الفطرة ـ وقد فسرت بالخلقة أو السنة التى يراد بها الطريقة الشاملة للواجب والمندوب أو السنة التى تقابل الواجب ـ كما جاء في حديث البخاري ومسلم من قول الرسول ﷺ : خمس من الفطرة : الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر » .

والختان أحد مواريث ملة إبراهيم ، وشعار المسلمين . فقد جاء في الصحيحين : أن إبراهيم عليه السلام قد اختتن وهو ابن ثمانين سنة والختان مشروع كما وضحه الفقهاء فيما يأتي .

١ ـ أنه سنة في حق الرجال والنساء ، وذهب إليه ـ مالك في رواية عنه ، وأبو حنيفة وروى عنه أنه واجب وليس بفرض كما روى عن مالك انه فرض : وقال به بعض أصحاب الشافعى .

٢ ـ أنه واجب في حق الرجال والنساء جميعا ، وهو مذهب الشافعي وكثير من العلماء ـ ومقتضى قول سحنون من المالكية .

٣ ـ أنه واجب في حق الرجال سنة في حق النسـاء ، وبه قـال بعض أصحـاب الشافعى ، وهو مذهب أحمد وروى عنه الوجوب فيهما ـ فتلخص مما تقدم أن الختان للرجال والنساء ـ من فطـرة الإسلام وشعائره وأنه أمر محمود ، واكد أهل العلم على أن ختان ـ أى خفاض الأنثى ليس واجبا .. وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة ، ومروى ايضا عن بعض الشافعية : ولا يترك لأنه مكرمة ، وأحسن للوجه ، وأرضى للزوج وأن ختان الذكر واجب ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة .

ـ والله أعلم ـ

مناقشة أمثلة من الاجتهاد الجديد
التى صوبها مؤلف كتاب الاجتهاد

٣

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة

لازلنا فى مناقشة ابرز ما جاء فى كتاب الاجتهاد للدكتور عبد المنعم النمر وقد فندنا فى المقالين السابقين الراى القائل بتقديم المصلحة المطلقة على النص . وفى هذا المقال نناقش امثلة من الاجتهاد الجديد الواردة فى الكتاب؛ اجتهادان نسبهما المؤلف إلى الشيخ محمد عبده وصوبهما .

١ ـ « الايداع بفائدة والمضاربة بمبلغ معين لرب المال ص ٣٥ »

نقل المؤلف ما جاء فى مقدمة تفسير المنار ان المرحوم الشيخ رشيد رضا كان يعرض مايكتبه على المرحوم الشيخ محمد عبده ونقل منه ما جاء فى تفسير ايات الربا[1] . قال : « ولا يدخل فيه ـ اى فى الربا ـ من يعطى اخر مالا يستغله ويجعل له من كسبه حظا معيناً لانه مخالفة لقواعد الفقهاء فى جعل الحظ معيناً قل الربح او كثر والفقهاء لا يجيزون تعيين الربح بمبلغ معين لايدخل ذلك فى الربا الجلى المركب المخرب للبيوت ، لان هذه المعاملة نافعة للعامل ولصاحب المال معا » .

واستنبط المؤلف من هذا النص أمرين :

الأول : جواز أن يعطى المصرف للمودع ١٠٪ فائدة على وديعته وسماها ربحا .

والثانى : جواز المضاربة بمبلغ معين يأخذه رب المال .

الاستنباط الأول غير مسلم ولا يتبادر من عبارة المفسر لانه ذكر فى عبارته العامل وصاحب المال والربح وهذه الالفاظ لا تذكر فى الإيداع بفائدة لانه ليس فيه عامل وصاحب مال وربح والفقهاء لا يسمون الفائدة ربحا ، وبعيد أن يريد الشيخ محمد عبده بهذه العبارة جواز فائدة الوديعة لانها فائدة قرض وهى من الربا الجلىّ كما بينا ذلك فى مقالينا المنشورين فى عدد ربيع

(١) تفسير المنار ـ جـ ٣ ـ ص ١١٦ .

← مناقشة أمثلة من الاجتهاد

الثاني وجمادى الأولى ، وما نقل عن الشيخ محمد عبده من جواز قرض الإنتاج بفائدة خطأ عظيم وهو برىء منه .

أما جواز المضاربة بمبلغ معين يأخذه رب المال أو العامل كل مدة فهو المراد بهذه العبارة لانطباق الألفاظ السابقة على المضاربة ، وهو اجتهاد باطل وليس بصحيح أن الفقهاء اشترطوه بناء على قواعدهم بل هو رأى رأوه واستدلوا عليه بالسنة والإجماع . قال السرخسى فى المبسوط بعد بيان اشتراط ان يكون الربح فى المضاربة شائعاً : « ولو قال على أن مارزق الله تعالى فى ذلك من شىء فللمضارب ربح هذه المائة بعينها أو ربح هذا الصنف بعينه من المال ، فهى مضاربة فاسدة لأن هذا الشرط يؤدى إلى قطع الشركة فى الربح مع حصوله فمن الجائز أن لا يربح فيما يشترى بتلك المائة والأصل فى ماروى عن النبى ﷺ أنه سئل عن المزارعة بما سقت السوانى والماذيانات فأفسدها وكان المعنى أى الصلة فيه أن ذلك الشرط يؤدى إلى قطع الشركة بينهما فى الخارج مع حصوله : فيتعدى ذلك الحكم إلى هذا الموضع بهذا المعنى .

والحديث الذى جعله السرخسى أصلا هو ما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى عن رافع ابن خديج قال : « إنما كان الناس يؤجرون على عهد رسول الله ﷺ بما على الماذيانات[٢] وأقبال[٣] الجداول وأشياء من الزرع فيهلك هذا ويسلم هذا ويسلم هذا ويهلك هذا ، ولم يكن للناس كراء إلا هذا فلذلك زجر عنه فأما شىء معلوم[٤] مضمون فلا بأس به »[٥] .

وخلاصة هذا الدليل إلحاق المضاربة بالمزارعة بمفهوم الموافقة لأن كلا منهما شركة بمال من جانب وعمل من جانب وقد اتفق جميع الفقهاء على اشتراط الشيوع .

قال فى « المغنى » والشرح الكبير[٦] قال : « ابن المنذر أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على إبطال القراض إذا جعل لأحدهما أو كليهما دراهم » .

وكل الفقهاء يقولون إذا جعل أحد الشريكين لنفسه مالا معلوماً أى غير مشاع بطلت المضاربة فقول المفسر إن هذا الاشتراط مبنى على قواعد الفقهاء غلط منشأه عدم الاطلاع على أدلة الفقه ، والمهم أن المؤلف وافق على هذا الاجتهاد الجديد .

٢ ـ « تحريم تعدد الزوجات بقانون »

ص ٢٣٧ قال المؤلف : إن الشيخ محمد عبده كتب فى بعض أوراقه « أما جواز إبطال هذه العادة أى عادة تعدد الزوجات فلا ريب فيه » قال المؤلف : وأظن أن مراده إبطالها وتقييدها بقانون ذلك لأن الله شرط العدل فى التعدد فيما يملكه الزوج وهو المبيت والنفقة وحسن المعاملة لا فيما لا يملكه ولأن شرط العدل مفقود إذ قد غلب سوء معاملة الرجال لزوجاتهم عند التعدد وحرمانهم لهن من حقوقهن ولأن التعدد يؤدى إلى الكراهية بين الأولاد .

---

(٢) الماذيانات ـ القنوات .

(٣) اقبال الجداول : الاماكن التى يصب فيها الماء ، وما ينبت على حافة القناة ومصب الماء هو أجود الزرع .

(٤) أما شىء معلوم مضمون أى نصيب شائع .

(٥) « نيل الأوطار » شرح منتقى الأخبار ـ كتاب المساقاة والمزارعة ـ جـ ٥ ـ ص ٣٠٩ .

(٦) « المغنى والشرح الكبير » ـ جـ ٥ ـ ص ١٤٠ .

فقد فهم المؤلف من كلام الشيخ أنه يجوز بقانون ابطال عادة تعدد الزوجات والحجر على الأزواج ألا يتزوجوا إلا بواحدة إلا عند الضرورة كالعقم والمرض لأنه غلب على الأزواج سوء المعاملة وعلى الزوجات شدة التأثر من التعدد .

قال المؤلف : فمادام شيء ما صار ممنوعاً ومحرماً دينا فالأقرب أن نحرمه بقانون إذا لم يلتزم الناس العمل بما يقتضيه الدين منهم ، والمؤلف يجيز هذا ويعتبره اجتهادا جديداً ، لكن الفرق واسع بين مادلت عليه الآية الكريمة وما يريده بقانون فإن الآية قسمت الناس قسمين عادلين وخائفين من الظلم ، فأباحته للأولين وحرمته على الآخرين ، ولو حرم على الخائفين من الظلم بقانون فلا مانع لأنه تطبيق لما دلت عليه الآية الكريمة وهذا ما فعلته سوريا من بحث حالة الزوج ليعرف أنه يخاف من ظلمه أو لا ؟

أما تحريم التعدد على القسم الأول فهو تغيير لحكم دل عليه القرآن بأوضح عبارة ، ولما كان على عهد النبي ﷺ وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان . ودعوى تغير طباع النساء في هذا العصر وأنهن أشد تأثراً بالضرر : غير مسلمة فالزوجة الثانية من قديم مكروهة عند الأولى وتسميها بالضرة .

واحتمال إساءة المعاملة ودعوى العداوة بين أولاد الضرائر ليست جديدة بل هو دأب بني الإنسان من قديم إلا انه أمر قد لا يكون والشارع لما أباح التعدد عند العدل في الأمور الظاهرة لم يقم لهذا الأمر المحتمل وزنا بل غلب المصلحة العامة للرجال والنساء وهي متعددة النواحي فالرجل يعدد لمصلحة يريدها أو لحرام يخاف من الوقوع فيه والنساء يقبلنه لمصالح تعود عليهن ولا سيما في بلد قل عدد السكان فيه أو كثر عدد النساء ، والبلاد التي منع فيها تعدد الزوجات بقانون كثر فيها عدد الجرائم الجنسية والله عليم حكيم .

فتغيير النص القرآني والاجماع لمصلحة مطلقة موهومة الوقوع تطبيقاً لمبدأ الطوفي مرفوض وفساد كبير .

٣ ـ « فائدة قرض الإنتاج من ربا الجاهلية » :

ومن أمثلة الاجتهاد الجديد أن واصل المؤلف بحثه عن الربا وحاول استنباط أن الربا المحرم هو إقراض الفقير بفائدة لسد حاجته لا اقراض الغني للإنتاج أو لزيادته بإقامة المشاريع ، واستدل على ذلك بأن آيات الربا في سورة البقرة سبقها كلام الله عن الصدقة وثناؤه على المتصدقين وإجزال الثواب لهم وجاء بعدها أمره تعالى بإنظار المعسرين ، وأن علة تحريم الربا هي استغلال حاجة الفقير ، وقال إن هذا الاستنتاج سبقه به الشيخ عبد الجليل عيسى وأنه هو المنطق المقبول عقلاً . ونحن نقول ماسبق أن قلناه إن آيات الربا عامة لغة عربية كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ الذين يأكلون الربا ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ ، ووقوع آيات الربا بين آيات الصدقة وآية الانظار لا يدل على ما رأى لأنها شبيهه بدلالة القرآن ودلالة القرآن لا وزن لها عند علماء الاستنباط الذين فهموا القرآن ووضعوا القوانين للدلالات كما فهموها من لغة العرب ، ومن عادة القرآن أنه يتبع الترغيب في الحسنة بالترهيب من السيئة وبالعكس هذا أولاً .

ثانياً : هل غاب عن علماء الشريعة الذين فهموها وظلوا يطبقونها أربعة عشر قرنا هذا الفهم الذي يقال عنه إنه منطق العقول ، إنه إجماع مقطوع به وقد قال علماء الأصول أقوى الإجماعات هو الإجماع المحتد المتكرر .

←

← مناقشة أمثلة من الاجتهاد

ثالثاً : إن العرب المقترضين كان فيهم أغنياء يقترضون لتنمية التجارة ولا ننسى رحلة الشتاء والصيف .

وذكر المحدثون والمفسرون أن قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ فى الربا الذى كان لبنى عمرو بن عمير من قبيلة ثقيف على بنى المغيرة من قبيلة بنى مخزوم فهل كان بنو المغيرة كلهم فقراء .

رابعاً : إن علة تحريم الربا ليست هى ما استنبطه المؤلف وغيره استغلال حاجة الفقير المحتاج بل هى ما قاله العليم الحكيم « لا تَظلمُون ولا تُظلمُون » .

فحكمة تحريم الربا هى الظلم للفقير وللغنى أما ظلم الفقير فبأخذ الزيادة على القرض بلا مقابل وأما الظلم للغنى فناشىء من عدم الموازنة بين مقرض يحصل على فائدة كاملة ومقترض يتردد مشروعه بين الربح والخسارة كما بينا هذا فى مقالات سابقة .

لهذا نستبعد من المؤلف أن يسوق هذه الأفكار سوق المستحسن لها الراضى عنها وندعوه إلى إعادة النظر فى كتب التفسير والحديث والفقه وأصوله .

وقد ذكرنا حكم شهادات الاستثمار ا ، ب وصندوق التوفير فى المقال المنشور فى عدد ربيع الأول من هذا العام فلا نعيده وقررنا هناك أن الشرط فى حل العائد منهما أن يكون العمل فى تنمية المال تجارياً أو ما يشبهه من أساليب التنمية وأن يكون الربح شائعاً .

٤ - « دفع شبهة فى كلام عمر رضى الله عنه : عن الربا »

عرض المؤلف فى ص ٣١٢ للربا وقال : إن عمر رضى الله عنه قال : « وددت لو أن رسول الله ﷺ لم يقبض حتى يبين لنا الربا بيانا شافيا » وقال : « تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا » .

ثم استنبط من قول عمر رضى الله عنه غموض معنى الربا ، والواقع أن الفقهاء والمفسرين أجمعوا على أن فى الربا جانباً بينا بياناً شافياً وهو أمران :

الأمر الأول : ربا الجاهلية أى الزيادة فى الدين القابلة للتضعيف فى مقابل الأجل وهى المستنبطة من قولهم « إما أن تقضى وإما أن تربى » ولهذا سمى هذا النوع بالربا الجلى والربا الذى لاشك فيه .

الأمر الثانى : الربا الثابت بالخبر وهو ربا البيع فى الأمور الستة « الذهب والفضة والقمح والشعير والتمر والملح » .

أما الربا الذى لم يبين بياناً شافياً فهو الربا فى غير الأشياء الستة ولهذا اختلف العلماء فيما يجرى فيه الربا فى غير الأشياء الستة لاختلافهم فى علة الربا فيها ، فهذا هو الجانب الذى لم يبين فيه الربا بياناً شافياً ، ومن هنا اختلفوا فى علة الربا فيها أهى المطعومات والأثمان ؟ أم هى المكيلات والموزونات ؟ أم هى كل مقتات مدخر ؟ والحق البعض به تصرفات أخرى كبيع العينة والانتفاع بالمرهون بالشرط .

قال ابن رشد « المقدمات الممهدات » :(٧)

« ولم يرد عمر بن الخطاب بقوله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى قبل أن يفسرها : إنه لم

---

(٧) جـ ٢ - ص ١٢ .

يفسر آية الربا ولا بين المراد بها وإنما أراد والله أعلم أنه لم يعم جميع وجوه الربا بالنص عليها للعلم الحاصل أنه صلى الله عليه وسلم قد نص على كثير منها وما لم ينص عليه صلى الله عليه وسلم من وجوه الربا فإنه أحال فيه على طرق : أدلة الشرع وبين وجوهها . وانظر التقرير والتحبير شرح التحرير(٨) .

٥ - « التأمين التجاري »

قال المؤلف فى ص ٢٣٦ ومن أشهر فتاوى الشيخ محمد عبده فتواه باتساع عقد المضاربة لوجه التأمين الذى استفتى فيه مما أطلق أجنحة التأمين للتعامل .

والتأمين كما يفهم من القانون المدنى المصرى مادة - ٧٤٧ - عقد معاوضة يدفع فيها المؤمن للمؤمن له مبلغاً من المال أو راتباً عند وقوع حادث كالوفاة أو الحريق فى مقابل مبلغ من المال يدفعه المؤمن له أقساطاً أو دفعة واحدة : على الا يزيد المدفوع من المؤمن على قيمة التأمين المتفق عليها كما يفهم من المادة - ٧٥١ - : فهى عقد معاوضة نقد بنقد ومن طبيعته أن حكمه يسرى بمجرد البدء فى دفع الأقساط ، فإذا لم تتم الأقساط كان المدفوع عند وقوع الحادث ربا لزيادته على ما دفع المؤمن له وإن تمت كان فى العقد ربا النساء لأنه عقد على معاوضة نقد حال بنقد مؤجل ، ثم فى عقد التأمين غرر لأنه لا يدرى عند العقد اتدفع الأقساط كلها أم بعضها .

أما جواب الشيخ محمد عبده على السؤال الموجه إليه فليس من باب التأمين المتعامل به الوارد فى القانون لأن المعاملة التى سئل عنها تدفع فيها الأموال أقساطاً للتجارة ثم يأخذ الدافع أو ورثته قدر ما دفع وربحه من غير زيادة ، وهى مضاربة بعقود لأنه يشترط فى المضاربة دفع رأس المال كله عند العقد .

أما عقد السوكرة الذى أفتى به الشيخ ابن عابدين فهو عقد فاسد لأن المؤمن له يدفع مبلغاً معيناً على أن يضمن له المؤمن تجارته فى البحر إن غرقت أو احترقت قلت قيمة التجارة عما دفع أم كثرت ، ولو كان هذا « العقد بين المسلمين لم يصح إذ لا يمكن جعله وديعة بالأجر ولا ضماناً بسبب التغرير بل فيه عدم التكافؤ بين المدفوع والمضمون ولزوم ما لا يلزم ، ولو كان هذا العقد مع الحربى جاز لأنه يجوز أخذ مال الحربيين برضاهم ولو بعقد فاسد عند الحنفية .

والبديل عنه الآن هو التأمين التعاونى وهو عقد بين جماعة كثيرة العدد على أن يدفع كل واحد منهم مقداراً من المال دفعة أو مقسطاً ، ويعان من هذا الصندوق من أصابه الضرر أو ورثته بالشروط المتفق عليها والباقى فى آخر العام ، يكون لكل واحد بمقدار ما دفع ويمكن أن يتفق على طريقة أخرى ، والذى نريد لفت النظر إليه أن فى الإسلام سعة لتدبير أمور الناس كالتأمين والقرض ، وضيق الأفق يأتى من ظن أن التدبير إنما هو فى العقود المستوردة دون غيرها ، ولذلك يحاولون جاهدين الحكم بحلها وإن تضمنت محذوراً كالربا والغرر والقمار .

٦ - « التهوين من فقه الأوائل الذى يعتبره المسلمون من ابرز أمجادهم الفكرية واجتهاداتهم التى استنبطوها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين .

يلاحظ على المؤلف أنه بالغ فى التهوين من

←

(٨) جـ ١ ص ١٦٢ .

← مناقشة أمثلة من الاجتهاد

الفقه وكتبه وذلك باختيار قلة من آرائهم الاجتهادية التى يخال أن فى تطبيقها حرجاً أو فى دليلها ضعفاً وفاته أن بجانب هذه الآراء فى المسائل نفسها آراء اجتهادية فيها اليسر أو الاتفاق مع الواقع الذى يقرره أهل الاختصاص ، فلماذا إبراز ما يخال أنه مثالب وإخفاء الآفاق المشرقة التى لها ما هو أضوء وأهدى من الشمس فى رابعة النهار ، ولماذا تذكر الأقوال التى فى تطبيقها حرج فى أكثر مدة الحمل ، والمدة التى يحكم بعدها بموت المفقود والحكم فى ثبوت النسب عند تعذر اللقاء بين الزوجين : وتترك الأقوال التى فيها يسر وتخفيف .

ففى مدة الحمل الممتدة الطهر نذكر رأى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ومالك وأحمد وأبو داود ، إنها تسعة أشهر[9] فإن لم يستبن الحمل ولم تحض تعتد بثلاثة أشهر ، وقد أخذوا فى ذلك بفتوى عمر بن الخطاب[10] ، وفى المدة التى يحكم بعدها بموت المفقود نذكر رأى مالك أنها أربع سنين[11] ، وفى حكم ثبوت النسب إذا تعذر اللقاء نذكر رأى الأئمة الثلاثة[12] غير الحنفية أنه يشترط اللقاء لثبوت النسب .

ولإيجاد طائفة من القادرين على الترجيح ، يدرس الآن فى كليات الشريعة علم الموازنة بين المذاهب الفقهية وفى هذا العلم تناقش الآراء الفقهية ثم يرجح منها ما يقويه الدليل أو يتفق مع مصلحة الناس الضرورية أو الحاجية وما يتفق مع الواقع الذى يؤيده أهل الاختصاص .

ومن كل ما تقدم تبين أن المؤلف أراد بتأليف كتاب الاجتهاد أن يعرض اجتهادات جديدة يسهل بها الرد على العلماء الذين رددوا وما زالوا يرددون تحريم القرض بفائدة من المصارف وتحريم المضاربة بربح محدود وتحريم شهادات الاستثمار أ ، ب ، وفائدة صندوق التوفير وتحريم إصدار قانون بتعدد الزوجات إلا لعذر بالزوجة الأولى وتحريم التأمين التجارى وغيرها ، وقد عرفت جلية الأمر فى كل هذا والحمد لله .

رأى سديد : ويعجبنى قول المؤلف « لكل علم متخصصون فيه وله خبراؤه وعلماؤه ، وهم أهل الذكر فى قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

فهذا التصريح سيكف عن الشريعة شروراً كثيرة من قبل القائلين بغير علم والمدعين ، بغير حجة فكم رأينا من تدخلوا فى شئون الجديد من معاملاتنا وجادلوا فى حِلِّه بغير علم .

أما الرأى فى القضايا الجديدة فكما رأى المؤلف إن وجدنا لها أحكاماً فى فقه القدماء مجمعاً عليها اتبعناها وإن اختلف فيها رجحنا ما يقويه الدليل أو تقويه المصلحة الضرورية أو

(٩) لأنها غالب مدة الحمل عند النساء .

(١٠) «المحلى» لابن حزم ـ حـ ١٠ ـ ص ٣١٧ ، «الشرح الكبير» بحاشية الدسوقى حـ ٢ ـ ص ٤١٧ ـ باب العدة ، المغنى وه الشرح الكبير» ـ حـ ٩ ـ ص ٩٧ .

(١١) الشرح الكبير بحاشية الدسوقى ـ حـ ٢ ـ ص ٤٢٥ .

(١٢) «المهذب للشيرازى» حـ ٢ ـ ص ١٢٠ ، كشاف القناع ـ حـ ٥ ص ٤٠٦ ، «الشرح الكبير» بحاشية الدسوقى حـ ٢ ـ ص ٤٦ ـ باب اللعان

الحاجية حاجة قوية وإن لم نجد لها حكماً اجتهد القادرون الخبراء المتخصصون لا المدعون ، وعند علماء أصول الفقه نوعان من الاجتهاد : الاجتهاد المطلق واجتهاد التخريج وقد يستطاع الثانى دون الأول .

والقاعدة التى وضعها الفقهاء ان الجديد الذى ليس له نظير يحكم له بالجواز والإباحة ما لم يتضمن محرماً كالربا والقمار والغرر والرشوة والغبن الفاحش فليس كل جديد مباحا كما قيل .

وبعد : فقد مارست علوم الشريعة وكتب الفقه على اختلاف مذاهبه عشرات السنين ، فأحسست بأن الاجتهاد مرتقى صعب لا يناله إلا من أوتى ملكة فى استنباط الأحكام مكتسبة من جانب نظرى وهو الاطلاع على أدلة الأحكام من الكتاب والسنة ومواقع الإجماع وعلل الأحكام وما يلزم ذلك كله من تفسير القرآن وشروح الحديث وكتب الرجال والتمكن فى قواعد الاستنباط وآراء الأصوليين فيها ، وجانب عملى وهو سعة الاطلاع على كتب الفقه وطرائق الفقهاء فى استنباط الأحكام ، وجانب اجتماعى وهو معرفة أحوال الناس وأعرافهم ، وقبل ذلك كله تقوى الله لان المجتهد يخبر عن الله بأن ما رآه هو حكمه فى مسائل الحلال والحرام والصحيح والفاسد ، فهى أمانة صعبة الحمل وصعبة الأداء ، ولكنه واجب كفائى على فريق من علماء الأمة لا يحل التوانى فى تحمله .

وبهذا القدر نكتفى بمناقشة ما اتسع له الوقت مما ورد فى كتاب الاجتهاد لصديقنا الدكتور عبد المنعم النمر والله يمنحنى وإياه التوفيق إلى خدمة شريعة الإسلام .

الدكتور محمد البهى

لفضيلة الدكتور
توفيق محمد شاهين *

الأستاذ الدكتور/ محمد البهى (١٩٠٥ - ١٩٨٢) - رحمه الله تعالى - علم من اعلام الإسلام المعاصرين .

والكتابة عنه ليست بالأمر السهل ؛ لأن فكره وكتاباته كانت « اكاديمية منهجية » ، تدور كلها فى رحاب ورحابة الفكر الإسلامى : شرحاً وتاريخاً ومنهاجاً ؛ فاضاف بذلك إضافات بناءة إلى تاريخ الفكر الإنسانى ، وابان بالتالى عن جمال الإسلام وكماله كمنهج حياة ، وهداية من الله سبحانه ..

تأثر بآراء وأفكار الإمام المرحوم الشيخ « محمد عبده » والشيخ « جمال الدين الأفغانى » من قبل فكان ابرز علماء مدرسته والمؤيدين لآرائه الإصلاحية ، فعاش - مع كتاب الله تعالى ، وهدى رسوله - صلى الله عليه وسلم - على دربه ، وكانت رسالة الدكتوراة التى منحتها المانيا له عام ١٩٣٦م بعنوان : « التربية الوطنية فى مصر فى نظر الشيخ محمدعبده » .

ولم تكن كتاباته قولاً مكروراً ، كما لم تكن عفوية أو غير ناضجة .. بل كانت أصيلة ، وعميقة ورصينة ، توالت على نمط رفيع ، وصدرت عن قناعة بالإسلام ويقين بالله تعالى ، فكانت من القلب ، مروراً بذكاء الفهم .. ومثل هذه الأفكار تعرف طريقها إلى قلب القارىء الرشيد وعقله .

وقد غطى جوانب الفكر الإسلامى - فى كل أدواره وأطواره - تغطية ذكية واعية ، اظهرت جمال الإسلام وكماله فى قلوب معتنقيه ومحبيه ، وردت عنه الحتوف السود التى كانت تتحيفه وتتناوشه من كل جانب وفى كل عصر ، من مبغضيه وشانئيه .

وظل - رحمه الله - وفياً لفكره وخطه الذى رسمه فى ظل كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه المصطفى ﷺ ، طول حياته ، كما تحكى عنه مجلة « الأمة » القطرية ، فى عدد ربيع الأول عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢/٩/٩م) ، بحوار اخير قبل وفاته ، أجراه معه الأستاذ « جابر رزق » المحرر بالمجلة المذكورة ، وجاء ذكره فى هذا الكتاب .

كما أنه لم يخرج عن منهجه الذى اختطه لنفسه على أساس علمى اكتسبه من دراسته الدينية الأصيلة فى الأزهر الشريف ، ومن دراسته - للدكتوراه - فى الجامعات الألمانية ، على

* الكاتب : مدير المركز الإسلامى - أتاوا - كندا .

نحو ما كتب عنه تلميذه البار الوفى : الأستاذ الدكتور « محمود حمدى زقزوق » عميد كلية أصول الدين السابق ـ وفى مجلة الفكر الإسلامى التى تصدر فى بيروت ـ بعنوان :

« حركة الفكر الإسلامى فى النصف الثانى من القرن العشرين » .

وفيها رؤية واضحة لفكر الدكتور محمد البهى ، فى مراحله المختلفة ، لم يكتبها كاتب من قبل ، ومن ثم فقد كان الدكتور البهى يثنى على تلك المقالة التى تدل على وعى وتفكير كاتبها ، وكان سعيداً بها ؛ لأنها تشير بالتالى إلى أن الدكتور/ محمود زقزوق ، قد استفاد منهجياً وتنظيمياً وعلمياً من البعثة التى أرسله ورشحه لها الدكتور محمد البهى ، كمبعوث للأزهر الشريف مع آخرين ، فى الستينيات .

● ● ●

قلنا : إن الدكتور البهى غطى بكتاباته وكتبه تاريخ الفكر الإسلامى منذ نشأته حتى وقتنا المعاصر ، وبين أثر الإسلام وقيمته فى توجيه الحياة والأحياء ، كما كشف عن زيف الفكر الإغريقي الوثنى . وتهافت الفكر المادى التاريخي ، وإلحاد الماديين ..

فوضح فى أول كتبه : « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » عام ١٩٤٥ م ، وثنية التفكير الإغريقى ، وعظمة التفكير الإسلامى فى الجانب الإلهى ... وبالتالى وضح الإضافات البناءة من علمائنا ومفكرينا إلى الرصيد الإنسانى فى الحضارة وبين أن مفكرينا لهم عقلية تواكب عقلية غيرهم من العباقرة والمفكرين ، وأنهم لم يكونوا عالة على غيرهم ، كما لم يكونوا نقلة بريد .. وإنما لهم استقلالهم وإبداعهم فى الراى والفكر .

والذى جاء فى هذا الكتاب يغطى حقبة طويلة تمتد حتى مشارف القرن السادس الهجرى .

● ثم كتب عن (السهروردى) ، أو عن عالمية الثقافة فى القرن السادس الهجرى ، وقال لى يوماً ـ رحمه الله ـ : إنه يود أن يجد الوقت الكافى بين مشاغله العديدة ، ليعاود الكتابة عن هذه الحقبة فى التفكير الإسلامى عند المسلمين .. غير أن المشاغل لم تترك وقتاً لمزيد من الكتابة فى هذا الصدد .

● وانتقل بعدئذ إلى الكتابة (عن التفكير فى العصر الحديث) فكتب كتابه الرائع : « الفكر الإسـلامى الحديث ، وصلتـه بالاستعمـار الغربى » .. والذى كان يعرف به فى المؤتمرات العلمية والرحلات ، كأنه صار علماً عليه ، ولاتزال طبعاته تتوالى ؛ لأن موضوعه حىّ وجيد لا يسقط .

وقصة هذا الكتاب كما رواها لى ـ رحمه الله ـ أنه سافر أستاذاً زائراً لجامعة (ماجيل) فى كندا عام ١٩٥٥م وهاله ماراه من كتابة المستشرقين ضد الإسلام ، والهجوم على الإسلام بضراوة ، فى الخارج ، فضلاً عن تهجم بعض أبناء المسلمين فى الداخل ... ففضح هذه المواكبة

←

على حرب الإسلام من مناوئيه ، ثم بين فضل الشيخ جمال الدين الافغانى ، والشيخ محمد عبده ، والشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، فى الدفاع عن الإسلام والذود عنه ، وحمايته فى العصر الحديث .

● وفى العصر الذى نحياه ، عصر « التكنولوجيا » الحديثة ومنجزاتها الهائلة .. واجه الإسلام تحديات عاتية من المادية والإلحاد ، حتى اهتزت أمامها القيم الروحية بعامة ، وباتت فى موقف المنافس الضعيف . وهنا توالت كتب الدكتور محمد البهى وكتاباته تلاحق هذا الطوفان ، وتبين زيف الباطل ، وتكشف عن جمال الحق ، وتعيد للإسلام أصالته واعتباره وضرورة توجيهه للحياة الفاضلة ـ بمستواها الإنسانى الرفيع ، وتوالت كتبه فى هذا الصدد ، تهدى فى مجال : الاقتصاد ، والأسرة ، والاجتماع ، والحضارة ، وشئون الحكم والتوجيه ... إلى آخر ماجد من مشاكل ، فكان من كتبه فى هذه الفترة :

« الفكر الإسلامى المعاصر : مشكلات الحكم والتوجيه » ، و« الفكر الإسلامى المعاصر : مشكلات الأسرة والتكافل » ، و« الإسلام فى حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة » ، و« الإسلام فى الواقع الأيديولوجى المعاصر » ، و« الإسلام فى حياة المسلم » ، و« منهج القرآن فى تطوير المجتمع » ، و« الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم » ...

وعرفت هذه الكتب وغيرها طريقها إلى عقل القارىء المثقف فى تؤدة ، حتى مست شغاف القلب مرورا بذكاء العقل ، وواجهت التحديات المعاصرة ، لتبقى على نور السماء ووحى الله سبحانه .

● وتطغى موجة التحديات الإلحادية فى عصر الحضارة المادية الصناعية .. وتتنوع المشاكل وتكثر ، ويثار الغبار ضد المستوى الإنسانى الفاضل ، وقيم الإسلام ، ويشتد الهجوم فى كل مجالات الحياة : الدينية ، والاجتماعية ، والاقتصادية .. ولايهدأ ، بل يشتد تحديه وتصديه ..

فكان أن توالت رسائل الأستاذ الدكتور / محمد البهى ، ردا على هذا الهجوم . بموضوعية وذكاء قلما يتوفران إلا لمن حباهم الله الفهم والعلم والألمعية الذكاء ـ يفند الشبه ، ويرد الهجوم ، ويكشف الزيف ، فتظهر الشمس ساطعة ، ويعلو الحق ، ويرعوى المبطلون والمزيفون ..

وهذه الرسائل الموضوعية ، هى التى تأخذ اليوم ـ بعد وفاة صاحبها رحمه الله ـ اسم : الفكر الإسلامى المعاصر ، فى كتاب يحمل اسم إخوته فى تغطية هذه الفترة من حياتنا المعاصرة .

● وعكف الدكتور محمد البهى بعد خروجه من الوزارة على كتاب الله تعالى ـ بجانب الرسائل العديدة ـ يقرؤه ، ويتدبره ، ويتفهم ـ بتؤدة وبصيرة ـ مراميه ومعانيه .. فوضع التفسير الموضوعى ، للسور المكية فكان أول تفسير موضوعى للقرآن الكريم فى نظرة منهجية وشمولية لكتاب الله تعالى ، فأمل أن يرى النور .

محمد البهى الرجل :

قدمنا لمحات موجزة عن فكر الدكتور محمد البهى ، وإن إلقاء نظرة على قائمة الكتب التى خلفها ، أو قراءة كتاب بتمعن .. كفيل بإعطاء القارىء فكرة موسعة عن علمه وثقافته الواسعة ..

أما عن شخصيته فقد كان إنسانا ورجلا بكل ماتحمل كلمة « إنسانا » من شرف وكرامة ،

ورجل ينأى بنفسه عن كل مايشين الرجل المسلم ، أو يزرى به . وعاش كريم النفس والخلق ، ولا أقول كريم المال ؛ لأنه عاش ومات فقيراً .. لم يطلب مناعم العيش ، ولا طيبات الحياة ، ومن ثم فلم ينعم بها .. فلم يكن له إلا راتبه ، ومعاشه .. وأما عائد كتبه فقد كان لايسمن ولايغنى . لأسباب تتعلق بالحفاظ على مبدئه وكرامته وعزة نفسه كإنسان مسلم .. وكثيرا ماذكر لى - إذا ماجاء ذكر ذلك - أن المال شيك يصرف فى الحياة لكرامة الإنسان ، وتنمية ذاته المعنوية ..

ومن ود مزيدا من إلقاء الضوء على حياته الشخصية ، فليقرأ سيرته الذاتية ، وما لاقاه فى الحياة من مشقة - شديدة الوطأة على أمثاله - فى كتابه :

« حياتى فى رحاب الأزهر : طالبا وأستاذا .. ووزيراً » .

وماشكا من ذلك ، ولاندب حظه ، ولا لام نفسه على عدم طلبه لمتع الحياة الدنيا ؛ فقد كان همه أكبر من ذلك : له فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة ، وفى صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام قدوة طيبة ، وكل مبتغاه من دنياه أن يجعل القيم الإسلامية ، الإنسانية أصولا وأهدافا للمجتمعات الإسلامية فى أقطارها بعد تحررها من استعمارها وقيودها .

ولشد ما كان يتهلل لسيرة العلماء المصلحين ، ودورهم فى إصلاح الحياة ، حينما يكونون على مثال النماذج العفيفة الزاهرة فى متع الحياة ؛ ليكونوا نبراسا ، ونماذج طيبة للقدوة فى الإخلاص ..

وكثيراً ماذكرنى بهذه النماذج فى خلال أحاديثى معه ، وصحبتى له كطالب سعد بصحبته والتلمذة عليه من عام ١٩٥٤ م حتى ١٩٨٢ م - فيثنى بالخير على : « السيد جمال الدين الأفغانى » ، والأستاذ الامام « محمد عبده » ، والسيد « رشيد رضا » ، والشيخ « أبو الحسن الندوى » ، والشيخ « عبد الحميد بن باديس » ، والشيخ « البشير الإبراهيمى » .. وغيرهم ، رحمهم الله .

ويعيد على مسامعى بعض سيرتهم إذا أحس منى التلميح إلى بعثة - يرسلنى فيها - إلى بلاد البترول الغنية ، ويرشدنى برفق إلى أن البلاد الفقيرة أولى بالعون ، وبحاجة إلى نشر رسالة الإسلام والعربية فيها ..

وتحس وتلمس صدق ذلك ، حينما طلبت منه - رحمه الله - عام ١٩٦٤ م أن يكتب مقدمة لتفسير الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، بعد أن قمت - مع الأستاذ محمد الصالح رمضان الجزائرى - بجمعه من شتات ومراجعة من أخطاء ، والتعليق عليه للبيان ، وتصحيحه من الأخطاء ... كل ذلك لوجه الله تعالى ، وتقديرا ومحبة للإمام ابن باديس . لكثرة ماحكى لى عنه الشيخ محمد الصالح رمضان .

تهلل الدكتور البهى لذلك العمل ، وقدم للتفسير بمقدمة هادفة قوية تناسب الرجل وتفسيره لآيات الله .. ولتقديره لهذا الصنف من العلماء جاءت مقدمة تحمل رسالته التى عاش لها ، وتكشف عن أمانيه للإسلام والمسلمين ، وتشيد بالعلماء المخلصين .. فليراجعها من شاء .

وكأنما كان الدكتور محمد البهى يكتب عن حاله ونفسه ، ويصف زهده وجهاده وصبره ، وهو يقدم لتفسير « ابن باديس » عام ١٩٦٤ م ..

وسأنقل بضعة أسطر من هذا المقدمة ، لتشعر معى وتؤمن بصحة ماذكرناه عن الرجل ، حتى لكأنه كان يتحدث عن نفسه ، وبالتالى كيف كان تقديره للمخلصين من العلماء العاملين ، والمنهاج الذى أعجبه ، والخط الذى سار عليه ، والمجالات التى كتب فيها ، وتحدث عنها ، والتى

←

من أعلام الأزهر

يجب العناية بها ، والزهد والصبر فى سبيلها ، جاء فى مقدمة هذه الكلمة :

« ... إن عبد الحميد بن باديس ، رئيس جمعية العلماء بالجزائر ، وباعث النهضة ـ الإسلامية العربية فيها ، وقائد الثورة ضد الاستعمار الفرنسى فى هذه البلاد العزيزة .. واحد من العلماء المصلحين ، والمفكرين الرواد فى الوطن الإسلامى والعربى ، وهم مع الأسف لم يكونوا كثرة فى العدد ، وإن كانوا قوة فى الأثر .

إنهم كانوا قلة مع مالهم من خصائص فكرية وإيمانية ، تجعل منهم نماذج فقط .

والوقت الذى عاشوه ـ بما لهم من سمات ، وبما دار فيه من اتجاهات ، ووقع فيه من أحداث ـ يرى هؤلاء فلتات خرجوا على طبيعته ، ونشزوا عن سنن الحياة فيه .

إن « عبد الحميد بن باديس » حلقة فى سلسلة ابتدأت بـ « جمال الدين الأفغانى » و« محمد عبده » فى القرن التاسع عشر . وثنت برشيد رضا فى القرن العشرين .

إنه واحد من أولئك الذين رأوا الإسلام نظاما لحياة الإنسان لأنه إنسان ، فى كل وقت وفى أى مكان ، ورأوا الإيمان بالله غاية الحياة الدنيا ، ورأوا القرآن وحدة لها اكتفاؤها الذاتى فى التوجيه ، واكتفاؤها الذاتى فى التفسير ، واكتفاؤها الذاتى فى تحديد معالم البشرية وتاريخها ، وقوانين تطورها .

ومن قبله رأى ذلك جمال الدين الأفغانى ، وترجم هذا الرأى محمد عبده فى تفسيره ، وأفصح عنه رشيد رضا فى مناره ..

لم ينافق ولم يمالىء ، ولم يطلب دنيا بدين ، ولامتاعا عارضا بإيمان ، ولم يلبس فى تذكيره ومجلسه وفى رسالته لباس الحرفة والمهنة ، ولم يخدع نفسه ومواطنيه .

ولم ير الحياة مسجد ومنبرا فحسب ، وإن كان يرى أن المسجد إذا أقيم لله ، ونودى فيه باسم الله ، وعرف فيه الله حق معرفته ، كان قوة فيها ، وأصلا لتوجيهها .

وإنما رأى بجانب المسجد مجال التعليم ، ومجال الاقتصاد ، ومجال الفن والصناعة ، ومجال النشاط الرياضى .. ومجال القلم والكتابة .

رأى ذلك كله الحياة ، فلم يعف نفسه من واحد منها ، بل أسهم فى كل منها بما يسهم به الرائد والمؤمن ، وأنتج وأثمر ، ولذا كان مصدر حياة ، ومبعث نهضة .. مبعث نهضة للعروبة والإسلام ، فهو الأب والمعلم والرائد والكاتب ، والقدوة بعمله وإيمانه قبل منطقه وحديثه .

ولم يكن فى حياته التى عاشها بأحسن حالاً من جمال الدين الأفغانى ، ولامن رشيد رضا : فلم يذق فيها إلا مرارة المؤامرات والمناورات ، ولم يسمع فيها إلا صوت النشاز ممن احترفوا الدين لخدمة الاستعمار ، ولم ير فيها إلا صنوف القسوة من المستعمرين .

ومع ذلك لم يشعر بشقاء : لأنه لم يطلب مادة فحرم منها ، وإنما طلب كفاحا وخاضه إلى آخر مرحلة فيه . ودعا الله أن يديم عليه الإيمان به فاستجاب له . ومن يعش للكفاح وبإيمان بالله فيه لايرى إلا نوره ، ولايحس إلا راحة النفس ، وطمأنينة فيما يأتى من عمل ، مهما لقى من متاعب .

إن « عبد الحميد بن باديس » لم يكن شخصا ، وإنما كان قبسا من نور الله ، كشف به ظلام الاستعمار فى الجزائر ، وهدى به قوما كادت تضلهم ظلمته ، وتيئسهم محنته . واصبحوا بذلك أقوياء بعد ضعف ، ووحدة بعد فرقة ، وأصحاب أمل فى الحياة بعد يأس منها ،

وطالما كتاب الله باق فيهم - وهو ذلك الكتاب الذى أشع به النور عبدالحميد بن باديس - فإنهم لن يضلوا ، ولن يتفرقوا ، ولن ييأسوا أبدا .

فالدكتور محمد البهى يرى أن واجب العلماء المصلحين اتخاذ النهضة الإسلامية غرضا للجهاد والعمل على تحقيقها .. وأن تكون النهضة شاملة لكل جوانب ومناحى الحياة ، وأن الإيمان بالله هو غاية الحياة الدنيا ، وأن للقرآن هيمنة ، وفيه اكتفاء ذاتى فى التوجيه فى شتى المجالات ، وأن على العالم أن يكون قدوة ، ومستقلا ، وزاهدا ، وبصيرا بما حوله . وأن المسجد يتسع لكل مجالات الحياة فى التوجيه ، إذا أحسن استعماله .

وأحسب الدكتور محمد البهى - والله حسيبه - عاش هذه الحياة ، وجاهد فى سبيل هذه المثل العليا ، والمستوى الإسلامى الرفيع ، وصبر على ماناله من أذى وسوء فعل وتقدير من غير الفاهمين لرسالة الإسلام فى موقعها الصحيح ، ومن غير المقدرين لأقدار الرجال ..

غير أننا نرجو أن يكون ماقدم لأمته وإسلامه فى ميزان عمله يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم ..

رحم الله أستاذنا الدكتور محمد البهى رحمة واسعة ، وأمطر عليه شآبيب رحمته ورضوانه ، ونفع بعلمه ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

دكتور توفيق محمد شاهين

المستشرقون والموضوعية « بقية »

يتردد الزعم القائل بأن « بعض » المستشرقين « موضوعيون » أو « منصفون » ، أو توصف دراساتهم بأنها « محاولات جادة نحو فهم الإسلام » أو أنهم يقومون بتلك الدراسات « بدون تأثير عوامل سياسية واقتصادية أو دينية ، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم » .. !

وما إلى ذلك من العبارات التى لا تنطوى على حقائق ، بل على مزاعم توفرت على دحضها الأدلة العلمية ، والشواهد الموثقة من مؤلفاتهم نفسها . وقد أشرنا إلى ذلك من قبل بإجمال .

ونعود الآن بالتفصيل إلى هذا « البعض » من المستشرقين الذين تتردد أسماؤهم فى سياق الموضوعية والإنصاف ، بل وأحياناً فى سياق تقديم الخدمات العلمية للإسلام والمسلمين .

وعلى رأس هؤلاء المستشرق « فنذل » الذى أحيط اسمه - من بعض المسلمين - بالمبالغات بسبب إشرافه على إخراج المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى .

ولذلك نبدأ بهذا المستشرق ونخصه بدراسة أكثر تفصيلاً ؛ حتى نلقى الضوء على موقفه الحقيقى من الحديث النبوى ومن العقيدة الإسلامية ، وبالتالى من الإسلام نفسه .

يتبــع

فتح جزيرة قبرص - بقية

الإسلامية نحو عاصمة الجزيرة قسطنطينا التي كانت خاصة بالسكان ، وبها جميع ثروات الجزيرة وذخائرها .

● وبعد حصار قصير اقتحم المسلمون هذه المدينة واستولوا على كنوزها ، واخذوا كثيراً من الأسرى ، فاضطر حاكم العاصمة (أو اركونها) إلى عقد صلح مع المسلمين ، دلت شروطه على العوامل الحقيقية التي دفعت المسلمين إلى بناء أسطولهم في البحر المتوسط ، وجعل قبرص الهدف الأول لقواتهم البحرية الناشئة .

شروط الصلح :

● صالح أهالي قبرص المسلمين على أن يدفعوا جزية سنوية مقدارها ٧٢٠٠ دينار مع استمرارهم في اداء مثل هذا القدر لدولة الروم كل عام في الوقت نفسه ، وتعهدوا بألا يساعدوا الروم في إغاراتهم على أراضي الشام ، وألا يطلعوهم على أسرار تحركات الأسطول الإسلامي ، كما قبلوا أن يزودوا المسلمين بأبناء اية حملة يعدها الروم ضد شواطىء الشام ومصر[٦] .

عودة الأسطول إلى قواعده :

● وعاد الأسطول الإسلامي إلى قواعده دون أن يترك في جزيرة قبرص حامية من القوات الإسلامية .

● وربما يكون معاوية قد تأثر من الأنباء التي تواترت إليه بأن ثمة قوة بحرية بيزنطية أرسلت لمحاربته وهي في الطريق إليه تحت قيادة الأميرال البيزنطي تشامبلين كاكوريزوس Chambelain Kakoryzos فأراد لذلك الإسراع بالعودة إلى الشام بعد إقرار القبارصة بالجزية وقبولهم الهدنة (الصلح أو الأمان)[٧] التي عقدها معهم .

جزيرة ارواد :

● وفي طريق عودة الأسطول الإسلامي إلى الساحل السورى للبحر المتوسط لفت انتباه معاوية جزيرة صغيرة قريبة جداً من الساحل السوري هي جزيرة أرواد Aradus وتقع بين جبلة وطرابلس ، فحاول غزوها سنة ٢٨ هـ لكن محاولته لم يكتب لها النجاح ، ويذكر بعض المؤرخين البيزنطيين مثل أجابيوس Agabius أن معاوية بن أبي سفيان هاجم جزيرة ارواد عندما كان عائداً من حملته على قبرص ، وفي السنة التالية ٢٩ هـ (٦٤٩ ـ ٦٥٠ م) كرر هجومه على ارواد وكان موفقاً هذه المرة اكثر من ذى قبل ، فأحرق ودمر الجزيرة ـ كما يقرر بذلك ميخائيل السوري في تاريخه (نشر Langlois) حتى اقفرت الجزيرة بسبب هروب سكانها ، وكانت أرواد تعد مركزاً تجارياً عظيماً لعدة قرون مضت حتى سميت « بندقية الساحل السوري » « Venice of the Syrian Coast » وكان وضعها الجزرى الضيق حامياً لها إلى حد ما ، ولذا فهي تعد من أقوى الحصون البيزنطية على الساحل السوري[٨] .

للبحث صلة

(٦) نفسه : ص ١٥٤ .

(٧) صابر محمد دياب : دراسات في التاريخ الإسلامي ص ٢١ .

(٨) نفسه : ص ٢٣ .

العلوم الكونية

العلم في منظوره الجديد

العلم في منظوره الجديد..

دعوة إلى الإيمان على بصيرة

٢

عرض وتحليل

أ.د. أحمد فؤاد باشا

■ لقد مهد الحديث في الفصل الثالث عن الجمال إلى طرح قضية العلم والإيمان ومواقف علماء النظامين القديم والجديد منها.

وجاء ذلك في الفصل الرابع بعنوان « الله » حيث استعرض المؤلفان منطق المادية القديم الذي ينكر الغائية على أساس أن الكون المادي يتصرف بضرورة ميكانيكية داخلية فحسب، وأن كل ضروب الغائية لا قيمة لها في الأشياء المادية أو الطبيعية، لأن المادة لا تستطيع من تلقاء ذاتها أن تقصد هدفاً أو ترسم خطة.. وذهب دعاة الإلحاد إلى القول بأن الكون ليس إلا آلة تدير نفسها بنفسها وبالتالي لا تحتاج البتة إلى أي سبب غيبي فوق الطبيعة، أما تفسير الظواهر الطبيعية المختلفة فلا يخضع، حسب زعمهم، إلا لنوعين من العلل هما: الضرورة والصدفة.

لكن العلم في مرحلته الجديدة يتولى الرد على هذه الأفكار الطائشة استناداً إلى نتائج البحث العقلاني باستخدام أساليب علمي الفيزياء والفلك، بالإضافة إلى نظريات علم الكونيات. فقد فتحت نظرية النسبية لأينشتين باباً واسعاً لأهمية منطق التوحيد في الفكر العلمي.. من خلال الجمع بين المكان والزمان والجاذبية والإنسان. وكان من أهم نتائجها أنها زودت العلماء بأدوات البحث المفصل في بنية الكون بأكمله وفي أصله ومآله، وأدت الدراسات النظرية والتجارب العملية إلى توافر الأدلة تباعاً على أن الكون بما يحويه من ملايين المجرات ومليارات النجوم والكواكب قد بدأ في لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها إلى ما بين ١٠ و ٢٠ مليار سنة. وأطلق العلماء على نظرية نشأة الكون من تمدد فجائي للمادة اسم « الانفجار الأعظم » وهي عملية تفوق الخيال، لكنها مقبولة عقليا. تصور أن الكواكب والنجوم والمجرات بكاملها، وكل المادة والطاقة في الكون كانت جميعها محتواه في حيز لا يكاد حجمه يعادل شيئاً « يقدره العلماء بالحيز الذي يشغله بروتون واحد ».. وفي لحظة الصفر من بداية الزمن كانت الكثافة غير متناهية دون حدوث أي تمدد في المكان على الإطلاق. وكانت تلك اللحظة لحظة

بداية المكان والزمان والمادة . وينبغى ألا نتصور أن الانفجار الأعظم أحدث تمدداً فى المادة فى مكان قائم بالفعل .. فالانفجار الأعظم هو نفسه تمدد المكان واتساع الكون المادى بما يثبت أن المادة ليست أزلية . ويخلص عالم الفيزياء الفلكية « جوزيف سلك » إلى القول بأن « بداية الزمن أمر لا مناص منه » كما يعلن « جون ويلر » أن عملية انكماش كبيرة واحدة من شأنها أن تنهى الكون إلى الأبد ، فيقول : « لو حصل انهيار فى الجاذبية فسنكون قد وصلنا إلى نهاية الزمن » بل إن هناك من الفيزيائيين الفلكيين المعاصرين من قادته نتائج أبحاثه إلى القول بأن الكون كان مهيئا منذ الانفجار الأعظم لتطور مخلوقات عاقلة فيه ، وإن الإنسان فى مركز الغاية من إبداعه . فرأوا فى ذلك كله ، وفى الجمال المنبث فى جنبات الكون ، هدفاً وخطة مرسومة ، وآمنوا بعقل أزلى الوجود وبإله خالق لهذا الكون واسع الأرجاء يدبره ويرعى شئونه . وفى هذا يقول الفيزيائى « أدموند ويتيكر » ليس هناك مايدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار الأعظم وأنه حدث بينهما تفاعل فجائى . فما الذي يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات فى الأزلية ؟ والأبسط أن نفترض خلقا من العدم ، أى إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم وينتهى الفيزيائى « إدوارد ميلن » بعد تفكره فى الكون المتمدد ، إلى هذه النتيجة : « أما العلة الأولى للكون فى سياق التمدد فأمر إضافتها متروك للقارىء ، ولكن الصورة التى لدينا لا تكتمل من غير الله » .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن « الإنسان والمجتمع » على نحو ما جاء فى الفصل الخامس من هذا الكتاب الممتع ، نجد أن المؤلفين قد عرضا فى البداية لتعريف قوة الإنسان الدافعة كما يراها علماء النفس فى النظرة المادية القديمة ، وبينا أنهم يتفقون على أن الغرائز والانفعالات هى التى تقود الإنسان ، ولكنهم يختلفون بصدد تحديد الغريزة الأساسية . فبعضهم ، مثل « هوبز » يزعمون أنها غريزة الخوف من الموت ، بينما يقول « مالثوس » إنها غريزة الجوع .

ويقول « فرويد » إنها غريزة الجنس . وتأخذ النظرية القديمة إجمالا بنموذج الإنسان الميكانيكى العام ، حيث تقارن بين الإنسان والآلة ، وتشبه أجزاء المجتمع كله بأجزاء الآلة . كما أن المذهب السلوكى القديم يستبعد « العقل » من مجال العلوم ، ويوغل فى المادية إلى أبعد مدى مؤكدا أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة .

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية شعر كثيرون من علماء النفس أن إخضاع العقل للغريزة فى طريقة التحليل النفسى ، وإلغاء العقل فى السلوكية ، قد أفضيا إلى تجريد الإنسان من إنسانيته فى علم النفس ، معتبرين أن هذا موقف لا يطاق فى فرع من فروع المعرفة مكرس لخدمة الجنس البشرى ، خصوصا بعد أن برهن العلم الجديد على محورية العقل فى مجال الفيزياء وفى مبحث الأعصاب . ومن ثم بدأ الاتجاه إلى « أنسنة » علم النفس ، وأعلن فى اجتماع وطنى للرابطة الأمريكية لعلم النفس عقد فى عام ١٩٧١ عن حركة جديدة أطلقت على نفسها اسم « علم النفس الإنسانى » منطلقه من اعتبار الإنسان قوة واعية ، فهو يجرب ، وهو يقرر ، وهو يتصرف ، أى أن أولية العقل هى جوهر علم النفس الإنسانى ، كما أنها الموضوع الرئيسى الذى تدور حوله النظرة العلمية الجديدة فالإنسان يملك القدرة على التصرف من أجل تحقيق أهداف ينتقيها هو لنفسه فى إطار ثرواته

العلم في منظوره الجديد

الروحية والعقلية . وإنسان اليوم ينتظر من العلم الجديد أن يهديه إلى ما هو خير في الشئون الإنسانية ، وخاصة فيما يتعلق بالأخلاق والروح .

والإنسان في النظرة العلمية الجديدة ليس مجرد مجموعة من ردود الفعل أو الدافع أو الآليات النفسانية ، ولا هو نتاج فرعي لمؤثرات خارجية ، ولكنه نموذج إنساني يحتاج في دراسته لكل المعاني الروحية والعقلية وما تنطوي عليه من غايات وأهداف وقيم واختيار وفهم للذات وفهم للآخرين ، بالإضافة إلى التصورات الشخصية التي نبني بها عالمنا ، والمسئوليات التي نقبلها أو نرفضها . ومؤدى هذه النظرة الجديدة أن أي علم يتصور نفسه متحرراً من القيم هو علم بال وقديم . ويؤكد « أوبنهايمر »[1] هذه المقولة موضحاً أن أسوأ ما يمكن تصوره من حالات سوء الفهم هو أن يتأثر علم النفس تأثرا يجعله يصوغ نفسه على غرار فيزياء لم يعد لها الآن وجود ويرى « روجير سبري » العالم في مبحث الأعصاب ، أنه وفقا لتصوراتنا الجديدة عن الوعي تصبح القيم جزءاً مشروعا ، جد من « علم الدماغ » ونحن الآن نرى أن القيم الذاتية نفسها تمارس تأثيراً سببيا قويا في وظيفة الدماغ وسلوكه ، وهي عوامل عالمية حاسمة في كل ما يتخذه الإنسان من قرارات ، وهي تشكل بالفعل أشد القوى السببية الضابطة التي توجه الآن مجرى الأحداث العالمية .

والعالم النفسي « أبراهام ماسلو » ينتقد أولئك الذين يحصرون جميع الأنشطة الإنسانية في دائرة الدوافع والغرائز ، موضحاً أنهم يجنحون إلى علم نفس مادي يقوم على الحوافز لأن الحاجات الأدنى والأشد إلحاحاً هي حاجات مادية ، كالمأكل والملبس والمأوى وما إلى ذلك ، ويفوتهم أن هناك كذلك حاجات أسمى ، غير مادية ، هي أيضا من الضروريات الأساسية ، فالعقل والإرادة ، باعتبارهما من اسمى ملكات الإنسان ، هما اللذان يصدران الأوامر ويدفعان ويوجهان فسيولوجيا الجسم والعمليات الفيزيائية والكيميائية بقدر ما توجههما هذه العمليات وأكثر . وهذه النظرة ، فيما يرى علماء البيولوجيا ومبحث الأعصاب ، تعيد العقل إلى مكانته فوق المادة . والفعالية السببية لفكرة أو لمثل أعلى تصبح حقيقة كحقيقة الجزيء أو الخلية أو نبضة العصب . ومؤدى ذلك كله أن حياة الإنسان في جوانبها الروحية والأخلاقية والفكرية هي حقيقة تماماً مثل حقيقة حياته البيولوجية .

ويأتي الفصل السادس من الكتاب ليبين تصور الإنسان للعالم من وجهتي النظر القديمة والجديدة . فيعرض أولاً لبيان أن تصور النظرة القديمة للعالم يستند إلى نموذج مادي لتفسير الإدراك الحسي . وأن معرفة العالم مستحيلة في ظل الاعتقاد بأن الإحساس تغير مادي ، وأن مضمون الإدراك يأتي من عضو الحس ذاته ، وأن هذا النوع من الاستدلال ينسحب على عقل الإنسان وعلى ملكاته الإدراكية الأخرى . وقد اعتبر « فرنسيس بيكون » أن العقل أشد عرضة

---

(١) يوليوس اوبنهايمر « ١٩٠٤ ـ ١٩٦٧ » فيزيائي امريكي اشرف على صنع اول قنبلة ذرية ، لكنه اصبح فيما بعد من انصار الحد من انتشار الاسلحة النووية .

للخطأ من الحواس ، ووجد الحل الحاسم فى التجربة العلمية لكنه وقع بذلك فى معضلة أكبر ، حيث لم يكن من المستطاع ـ حسب زعمه ـ أن نعول على الحواس ، بما فيها العقل ، فى نقل صورة صادقة للعالم . فكيف نعول عليها إذن فى نقل التجارب ؟ ويمتد تأثير المنهج المادى وما يلازمه من تشكك وارتياب إلى مجال الفلسفة والفنون . فهذا هو « ديكارت » يتساءل : ما الذى يضمن أن أيا من أفكارى وأحاسيسى يمثل أى شيء خارج كيانى ؟ ولكنه لا يلبث أن يرى أنه لا يستطيع أن يشك فى أفكاره هو حتى لو كانت لا تمثل شيئا خارج نطاق عقله . ومن ثم فهو يقول كلمته المأثورة : « أنا أفكر ، إذن أنا موجود » بمعنى أن « الأنا » عنده هى أدنى إلى اليقين من وجود العالم ، وأن الحقيقة اليقينية الأولى لديه هى الذات المفكرة ، وليست العالم . وبرغم الحتمية المادية التى يقول بها « ديكارت » ، إلا أنه يحاول القول بوجود إله وبأن العقل البشرى غير مادي . ولهذا السبب قد يخلط البعض ، للوهلة الأولى ، بين فلسفة « ديكارت » وبين النظرة العلمية الجديدة التى تستمد أدلتها على وجود الجمال والغاية والله وحرية الاختيار من العالم ذاته : الانفجار الأعظم ، والمبدأ الإنسانى ، ومبحث الأعصاب الحديث ، وفيزياء القرن العشرين .

وإذا كان « ديكارت » قد وجد نفسه موزع الهوى بين عالمين متنافرين . عالم المادة الميكانيكى الخارجي ، وعالم العقل الداخلى ، فإن المفكرين الذين جاءوا بعده قد توزعوا بدرجات متفاوتة بين المادية والمثالية . وأصبحت الفلسفة المعاصرة تتصف بيأس فكر كلى ، هو التخلى عن أمل معرفة العالم . لكن النظرة العلمية الجديدة قد قادتنا إلى الإقرار بأن تقسيم العالم إلى « موضوعى » و« ذاتى » ليس من الأسلوب العلمى فى شيء ، حيث يخلص « أكلس » إلى أن هذا التمييز وهم من الأوهام . كما يوضح « شرودنجر » أن العالم ينقل إلينا مرة واحدة فقط ، فليس هناك عالم موجود وآخر محسوس ، والذات والموضوع شيء واحد لا غير . ويحرص دعاة النظرة العلمية الجديدة على بيان أهمية الخبرة العامة وضرورتها لاستعادة العلاقة الصحيحة بين العالم والإنسان ، مشيرين بذلك إلى أن العلم لا يحل محل الخبرة العامة ، بل هو يبنى عليها بوصفها أساساً للخبرة المتخصصة .

ويختتم المؤلفان كتابهما الرائع بفصلين عن « الماضى » و« الحاضر » ليدللا على أهمية وطبيعة التواصل المعرفى والحضارى عبر العصور ، وليؤكدا أهمية الحفاظ على وحدة ذلك الخيط الذى يربط ما بين أجزاء الفكر الإنسانى فى الماضى والحاضر ، استشرافا لما ينبغى أو يمكن أن يكون عليه الحال فى المستقبل . فكل تقدم فى العلم لابد له من استبقاء حقائق الماضى والتأسيس عليها . حتى الثورات العلمية تبقى على استمرارية مع الماضى . ومن ذلك أن « اينشتين » يقول فى معرض شرحه لنظريته فى الجاذبية : لا يظن أحد أن ابتكار نيوتن العظيم يمكن أن تطيح به ـ بأى معنى من المعانى ـ هذه النظرية أو أى نظرية غيرها . فأفكاره الواضحة ستحتفظ بأهميتها إلى الأبد بوصفها الأساس الذى قامت عليه تصوراتنا الحديثة لعلم الفيزياء .

ويقول « ليوبولد أنفلد » لقد كانت معادلات نيوتن كافية تماماً لأن توصل الإنسان إلى القمر ثم تعيده إلى الأرض سالما .

وهنا يبذل المؤلفان جهداً مضنيا للبحث عن جذور النظرة العلمية الجديدة وتأصيلها بالرجوع

← العلم فى منظوره الجديد

إلى ما أسموه « عصر ما قبل العلم » الذى يشمل - فى رأيهما - العصرين الوسيط والقديم . إلا أن هذا التأصيل - فى رأينا - قد جانبه التوفيق لتجاهله التام تراث العرب والمسلمين ، وما كان يجب على مؤلفى الكتاب أن يقعا فى هذا الخطأ المنهجى لسرد تاريخ العلم وتقييمه ، وخاصة أن نظرتهما الجديدة للعلم تنسجم فى الكثير من مقوماتها وتطلعاتها المستقبلية مع تعاليم الإسلام الحنيف ، وتجد الكثير من شواهد الاستدلال الحقيقى على صحتها فى تراث الحضارة العربية الإسلامية . ونحن نربأ بهما أن يكونا لازالا واقعين تحت تأثير بعض الأفكار البالية التى يقول بها غير المنصفين من مؤرخى العلم والحضارة منطلقين من اعتبارات عرقية أو تعصبات مذهبية . فالنظرة الجديدة التى يقدمها هذا الكتاب تتخذ من الرحابة والوحدة والنور عناصر ثلاثة أساسية تبشر بتحرير وإنارة كل حقل من حقول المعرفة . وتنادى بالعودة بثقافتنا إلى الإيمان بوجود الله الواحد ، وبإعادة التأكيد على الجانب الروحى من طبيعة الإنسان ، وتزيل من علم النفس وعلم الكونيات أسباب النفور والعبثية ، مستعيضة عنهما بالغائية والله والجمال والعناصر الروحية وكرامة الإنسان .

وتلك لعمرى كلها مطالب إسلامية ، ولو علم المؤلفان بحقائق الفكر الإسلامى المستنير لوجدا أن دعوتنا ودعوتهما تنشدان مشروعا حضاريا واحداً هو : إسلامية المعرفة العلمية(٢) .

أ . د أحمد فؤاد باشا

---

(٢) انظر فى ذلك : د . أحمد فؤاد باشا ، نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية . مجلة المسلم المعاصر ، ع ٥٤ ، ١٩٨٩ ، وانظر أيضا مؤلفنا : « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » القاهرة ١٩٨٤ .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أهلاً بقدومك يا عيد

نداء الآخرة

أهلاً بقدومك يا عيد

للأستاذ رشاد محمد يوسف

اهلاً بقدومك ياعيد   بالفرحة تغدو وتعود
فاهلا بالبهجة ساحتنا   فقدومك يمن وسعود
اشرقت ضياء وسناء   وتبسم فجر موعود
وتعطر بالتقوى قلب   ارضاه صيام وسجود

•••

طوبى للساعي بالبشرى   وخطاه عبير وورود
واسائل نفسي معذرة   هل حقاً يسعدنا العيد
والخلف يبدد طاقتنا   والأمة للخلف وقود
هل ننسى القدس ونكبتها   والشعب غريب مطرود ؟

والصبية تحمل احجاراً   تستهدف ترمي وتصيد
ملّت فانتفضت صارخة   لن يمكث في الأرض يهود

•••

العيد معانٍ سامية   العيد عهود ووعود
العيد الحق لنا امل   العيد جهاد وجهود

العيد الرحمة والتقوى   يتحقق فيه المقصود
وحنان يمسح عبرتنا   وزكاة يحملها العيد
وامان يغمر خاطرنا   يهواه قريب وبعيد
وسلام يشمل عالمنا   يتالق فيه التغريد

•••

العيد الوحدة شاملة   معنى يعنيه التوحيد
العيد النصر وعودتنا   للقدس وعود محمود
العيد الفجر ومئذنة   ونداء عذب غرّيد

•••

يارب تقبل دعوتنا   فرضاك الحق هو العيد

نداء الآخرة

للأستاذ كامل أمين

كم نام في الليل قوم في الكرى سهروا   وهم بأحلامهم موتى وما شعروا
وأخرون قيام الليل يشغلهم   ليعبدوا الله صلوا فيه أم ذكروا
جئنا من الغيب للدنيا على سفر   يحدو قوافلنا في الرحلة القدر
قرى القبور بأقصى الدرب يسكنها   من انتهى من مداه منهم العمر
فالحي منتظر للقبر رحلته   والميت في قبره للبعث منتظر
كم في الحياة وكم في الموت من عظة   لنا بمن ولدوا منا ومن قبروا
ورغم ما فيهما للناس من عبر   لم توقظ الناس من أوهامها العبر
فلا أراهم بمن عاشوا بها اتعظوا   ولا أراهم بمن ماتوا بها اعتبروا
سبحان من جعل الدنيا وفتنتها   سوقا يتاجر للأخرى بها البشر
باعوا بها واشتروا من بعضهم ومضوا   من بعدما اتجروا فيها وما اشتجروا
وكلهم حملوا أعمالهم معهم   ليحصدوها زهم في سوقها زمر
وعاد لله منها كل من رحلوا   عنها بما ربحوا منها وما خسروا

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العاجلة والآجلة

من كلام سهل بن هارون :

من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها .

بم سدت قومك ؟

قال رجل للأحنف : بم سدت قومك ، وما انت بأشرفهم بيتاً ، ولا أصبحهم وجهاً ، ولا احسنهم خلقاً ؟

فقال : بخلاف ما فيك .

قال : وما ذاك ؟

قال : تركى من أمرهم ما لا يعنينى ، كما عناك من أمرى ما لا يعنيك .

يطلق خمس نسوة في يوم واحد

قال الأصمعى للرشيد : يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلاً طلق خمس نسوة فى يوم واحد .

فقال الرشيد : وكيف ذلك ، ولا يجوز للرجل الزواج بأكثر من أربع ؟

قال الاصمعي : كان هذا الرجل متزوجاً بأربع ، فدخل عليهن فوجدهن متنازعات ، يتعاركن ، وكان سريع الغضب .

فقال : إلى متى هذا النزاع ، ونظر إلى امراة منهن ، وقال : ما أظن إلا أنك المتسببة فى هذا ، اذهبى فأنت طالق .

فقالت له صاحبتها : عاجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير هذا لكان اصلح .

فقال : وأنت أيضاً طالق .

فقالت الثالثة : قبحك الله يارجل ، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين .

فقال لها : وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق .

فقالت الرابعة : ضاق صدرك ، إلا أن تؤدب نساءك بالطلاق ؟

فقال لها : وأنت طالق أيضاً .

وكانت له جارة تسمع ما جرى منه ، فأشرفت عليه وقالت له : والله ما شهدت العرب عليك بالضعف ولا على قومك ، إلا لما بلوه منكم ، ووجدوه فيكم ، أبيت إلا أن تطلق نساءك فى ساعة واحدة ؟

فقال لها : وأنت أيتها المرأة المتكلمة فيما لا يعنيك طالق إن أجازنى بعلك .

وسمعه زوجها فأجابه صائحاً ، لقد أجزتك .

فعجب الرشيد من ذلك .

أضعاف ما يلقى

من الذى قد نال راحة سره
فى عسره إن كان أوفى يسره

فلربما يلقى الغنى بماله
أضعاف ما يلقى الفقير بفقره

قالوا ...

- لا شيء يشرف المرأة مثل صبرها ، ولا شيء يشينها مثل صبر زوجها عليها .
- أصعب شيء على المرأة ان تكتم سرا .
- يختبر الذهب بالنار ، وتختبر المرأة بالذهب ، ويختبر الرجل بالمرأة .
- إذا أردت ان تتكلم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم .
- ليس المصلح من استطاع ان يفسد عمل التاريخ ، فهذا سهل ميسر حتى للحمقى ، ولكن المصلح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .
- العاقل من ذكر الموت ولم ينس الحياة .

« ترك الخطيئة »

من كلمات سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ :

- إن هذا الحق ثقيل مرىء .
- إن الباطل خفيف وَبِيء .
- ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة .
- رب نظرة زرعت شهوة .
- وشهوة ساعة أورثت حُزْناً طويلاً .

حقــا

قال ذى النون المصرى :

إنما دخل الفساد على الخلق من خمسة أشياء :

الأول : ضعف النية بعمل الآخرة .

الثانى : صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم .

الثالث : غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل .

الرابع : أثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق .

الخامس : اتبعوا أهواءهم ، ونبذوا سنة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم .

« الشراب »

حرم العباس عم الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم على نفسه الخمر فى الجاهلية وقيل له ـ حينئذ : الا تأمر بالشراب فإنه يزيد قوتك وجراءتك ؟

فقال : لا أصبح سيد قومى وأمسى سفيها لا والله لا يدخل جوفى شيء يحول بينى وبين عقلى .

دعاء

اللهم إن استغفارى إياك مع كثرة ذنوبى للؤم ، وإن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك لعجز .

إلهى كم تحببت إلىّ بنعمتك وأنت غنى عنى ، وكم أتبغض إليك بذنوبى ، وأنا فقير إليك .
سبحان من إذا توعد عفا ، وإذا وعد وفى .

اختلاف الرأى

لا يبرر الجريمة

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد التواب

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

■ الرأى وليد العقل ، والعقل نعمة الله الكبرى على الإنسان ، فيه اجتهد علماء الإسلام اجتهادا عظيما . كان من نتيجته أن تركوا لنا تراثا فقهيا وعلمياً غنيا بالفكر المرن اللين الذى لا تشنج فيه ولا تطاول . لأن الرأى عند ذوى البصائر حق يراد به الحق وتوسيع آفاق الاجتهاد .

لذا كان الفكر الإسلامى لا يضيق أبداً بالخلاف الذى يمليه الحق . دون أن يكون للنفس فيه حظ أو للهوى عليه سلطان وهو فى ذات الوقت يرفض الابتداع والتوجهات التى تحارب شرع الله تحت أى اسم كان : قال الأستاذ .

قال الله تعالى فى محكم كتابه وهو أصدق القائلين : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ .

عنيت الأديان السماوية كلها بدعوة الناس إلى التفكير والنظر ، والتبصر وموازنة الأمور ، واستخلاص العبرة ، وتمحيص الرأى . وفى ذلك تقدير لكرامة الإنسان ، وإكبار لموهبة العقل ، وإقرار لرجاحة التدبير والتفكير .

ولما كانت النظرة إلى الأمور لا تتركز فى اتجاه واحد ، حتى من الرجل الواحد ، وهى من أجل ذلك تختلف تحديدا ، وترديداً ، وتختلف بعد ذلك رأيا ، وتدبراً ، وحكما - بديهيا أن يختلف الأكثر من الرجل الواحد فى الرأى الواحد تبعاً لتفاوت المواهب ، وتغاير النظرات .

والرجل السليم الرأى ، القوى التفكير ، الذى يقدر رأى نفسه ، ويحترم كرامة البحث والتمحيص ، هو الرجل الذى يحترم رأى الناس ويقدر لهم حريتهم وإرادتهم ؛ فإذا خالفوه ، أو جابهوه ، أو رموه بالسفه فى الرأى ، والطيش فى التبصرة ، وقف منهم موقف الكيس الفطن ، والحكيم المتزن . فناقش الرأى فى إقناع أو اقتناع ، وهنالك تبرز الحجة أو تدحض ، ويسطع البرهان أو يخبو ، تنطق آية الحق صارخة بسمو المبدأ ، وجلال الرأى وخلوص العقيدة .

فأما أن يلتجىء المخالفون فى الرأى إلى التذرع بالهوى ، فيعيثو اويتآثموا ، وأما أن تأخذهم النعرة البغيضة ، فيقتلوا أو يدمروا ، فذلك هو الخرق الملتبس ، وإلا فمتى يتميز الرأى من الرأى ، غثه وسمينه ، خاطئه وصائبه ؟ ومتى يؤدى العقل عمله ويؤتى المنطق ثماره ، ويدفع البرهان زيف الهوى ونزعة الشيطان ؟؟

لا تضيقوا - أيها الناس - ذرعا بالرأى وإن

كان على خلاف ما تحبون بل محصوه ، وقلبوه ، وضعوه فى الموضع اللائق به ، من احترام وتقدير أو ازدراء وتسفيه .

لكن الإجرام والجريمة ، لا تنهض بأمة ، ولا تنضج شعبا .. اللهم لا ، ولكنها تعطل منه العقل ، وتقتل فيه الإرادة ، وتجنبه الرشد والصواب .

انظروا إلى المثل العليا فى القرآن لاحترام الرأى ولو كان واضح البطلان فالدين لم يترك رأيا باطلا إلا زيفه ، وخطأه ، لكنه لم يهدر دم صاحبه ، ولم يزلزل عليه بيته ، ويهدم معه أسرته .

قام محمد - صلى الله عليه وسلم - يدعو فى وسط الجهالة العمياء ، ويشرق بنور النبوة فى حالك الظلمة الصماء ، يدعو إلى الله ، وإلى التوحيد ؛ وقام المشركون من حوله يدعون إلى الشرك ، وإلى الأصنام ؛ والعقل السليم ، والحجة الدامغة والرأى الرشيد بجانب محمد ؛ وسفهُ القول وتفاهة التفكير ، وانطماس العقل بجانب المخالفين ؛ أترى أمر القرآن بتقتيلهم ، أو أهدر حقهم فى الوجود ، مع وضوح البطلان ؟؟ لا ؛ بل زيفهم ، وسفههم ، وتركهم لرأيهم ، فى طغيانهم يعمهون .

واسمعوا أيها الناس إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لم يقل القرآن : إن تولوا وأعرضوا فاضربوهم ، أو اقتلوهم ، أو حطموهم ، ولكنه ، كما سمعتم ، يشير إلى : أن ذروهم وسفههم ، واتركوهم وضلالهم ، وقولوا اشهدوا بأنا مسلمون .

ويقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ فالله تعالى يأمر نبيه أن يقول لهم آخر المطاف : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ . أفرأيتم كيف يعلم القرآن الناس ألا يتقاتلوا فى اختلاف رأى ، ولا يتأثموا بالإجرام ، وإن خرج المخالفون بكفرهم وعنادهم حتى على الله وعلى دين الله ! .

اللهم إلا أن يكون من الكفار قتال ، أو صد عن سبيل الله ، فهنا يقول القرآن : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

هذه - أيها الناس - هى قضية العقل وقضية المنطق ، يدعمها الدين بكتابه وسنته ، فيبين أن جريمة القتل ظلم صارخ ، وعدوان طاغ ، وفتنة نكراء ، لا يبررها شىء من اختلاف الرأى ، فى قليل ولا كثير .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ .

وروى البخارى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه

من روائع الماضي

وسلم ـ : « لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراماً » ، وعن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق » رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، ورواه البيهقى والأصبهانى وزادا فيه : « ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه أشركوا فى دم مؤمن لأدخلهم الله النار » .

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطوف الكعبة ، ويقول : « ما أطيبك وما أطيب ريحك ! ما أعظمك وما أعظم حرمتك ! والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك :

وروى النسائى والحاكم عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يخرج عنق من النار يتكلم يقول : وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلها آخر ، ومن قتل نفسا بغير حق ؛ فينطوى عليهم فيقذفهم فى حمراء جهنم » .

ومن الجرم البالغ ان يعتقد هؤلاء المسرفون فى الجريمة أنهم غير آثمين لأنهم يدفعون عن الوطن ، أو يذودون عن العقيدة ، أو يعملون فى حدود الدين . ولو أنهم صدقوا لربح الوطن ، أو لتمكنت العقيدة ، أو لانتصر الدين فهل أفدنا من هذه الأحداث شيئا من ذلك ؟؟

أيها المسلمون :

لنصرة الوطن ولتمكين العقيدة ، وإعزاز الدين ، طريق مرسومة ، وضحها القرآن ، وأبرزها المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، وليس من هذه الطريق قاب قوسين أو أدنى من تشجيع على الجريمة ، أو استحلالها ، أو الفرح بها .... فإنما يربح الوطن من تضامن القوى ، وتطامن النفوس ، وتكافل العزائم وإخلاص النية .

وإنما تتمكن العقيدة بالحجة البالغة ، وساطع البرهان ، وتجويد الرأى وتخميره .

ويعتز الدين ، قبل ذلك كله ، وبعد ذلك كله ، بتثبيت قواعده وتدعيم أركانه وتبيين تعاليمه الحازمة الحاسمة ؛ ففيها علاج أمراض النفوس ، وفيها تطهير نواحى المجتمع ، وبها يبلغ الناس ما يستشرفون إليه من عزة وسعادة ، ومن أمن وسلام .

﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

اللغة والأدب والنقد

أولئك هم الراشدون

أبو بكر، عمر، عثمان، علي

من قضايا الاختزال

في كلام العرب

للأستاذ / عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

تمتاز لغتنا العربية بالدقة والإتقان في مفرداتها وتراكيبها . فهي خالية من الزوائد الفارغة الدلالة ، وتسقط في نظامها ما يحدث ثقلا في النطق ، وما لاتدعو الحاجة إليه . وقد قيل « لأبي العنبس المبرد » : إن في كلام العرب حشوا . فسأل القائل : وأين وجدت ذلك ؟ فقال له : العرب يقولون : محمد قائم . إن محمداً قائم ، إن محمدا لقائم والمعنى واحد . فقال المبرد : ليس المعنى واحداً ، بل اختلفت جهة الكلام . فالأول : لخالي الذهن ، والثاني للشاك المتردد ، والثالث : للمنكر الجاحد[1] .

والقارىء في التراث النحوي والبلاغي تستوقفه تلك القضايا التي يقضى فيها بحذف لشيء من مكونات الكلمة أو الكلام ، بل يشعر بحلاوة ما قضت قوانين النحو والبلاغة بحذفه واختزاله عند إدراك الأسرار الكامنة وراء تلك السُّبُل .

وأعرض بعضا من ذلك فيما يلي :

أولا : من قضايا الاختزال عند الصرفيين « في بنية الكلمة » :

١ ـ حذف الواو من مضارع المثال الواوي وأمره ومصدره :

يرى الصرفيون أن « المثال الواوي » الذي مضارعه على « يفعِل » ـ بكسر العين ـ تحذف فاؤه عند صوغ المضارع ، فيقال في مضارع « وَعَدَ » ، « يَعِدُ » ، وأصله : « يَوْعِدُ » ، بياء مفتوحة وعين مكسورة ، كره العرب وقوع الواو بين ياء مفتوحة وعين مكسورة ، ثم تحذف الواو مع سائر أحرف المضارعة ـ تعد ، وأعد ونعد ، طردا للباب ، والأمر كالمضارع في ذلك ، فنقول : عد ، أما المصدر فيجوز فيه إثبات الواو نحو : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ « التوبة ١١١ » ، وحذفها مع تعويض تاء عنها في آخره ، فنقول : عدة[2] .

---

(١) انظر الإيضاح ص ١٤ بتصرف يسير .

(٢) كتاب سيبويه ٥٣/٤ ، شذا العرف ٦٢ ـ ٦٣ .

● الكاتب : أستاذ بكلية العلوم الأساسية ـ قسم اللغة العربية : مصراته ـ ليبيا .

٢ - حذف الهمزة من مضارع « افعل » واسم فاعله ومفعوله :

يقول « الحملاوى » إذا كان الماضى على وزن « أفعل » فإنه يجب حذف الهمزة من مضارعه ووصفيه - اسم الفاعل ، واسم المفعول - كراهة اجتماع الهمزتين فى المبدوء بهمزة المتكلم فنقول فى مضارع « أَكْرَمَ » للمتكلم أُكْرِمُ ، والأصل : أُأَكْرِمُ ، حذفت الهمزة الثانية ، وحمل غير المتكلم عليه ، فنقول : يُكْرِمُ ، نُكْرِمُ ، تُكْرِمُ ، وفى اسم الفاعل مكرِمُ ، والمفعول مُكرَمُ بفتح الراء ، وشذ من ذلك قول الراجز :

فإنه أهل لأن يؤكرما .

وقد قيد حذف الهمزة فى المضارع بعدم إبدالها هاء ، أو عيناً ، مثل : هراق فى أراق ، وعنهل الإبل ، لغة فى انهلها أى سقاها نهلا ، فإن حدث الإبدال فلا حذف للحرف المبدل من الهمزة فنقول : يهريق ، ومهريق ، ومهراق ، ويعنهل ، ومعنهل ومعنهل[٣]

٣ - حذف عين الماضى الثلاثى المضعف عند إسناده لضمير متحرك :

قال « الصرفيون » إذا كان الفعل ثلاثيا مكسور العين ، وكانت عينه ولامه من جنس واحد جاز عند إسناده لضمير متحرك ثلاثة أوجه :

- الاتمام نحو : ظللت .
- حذف العين مع نقل حركتها للفاء نحو : ظلت .
- حذف العين مع عدم نقل حركتها للفاء نحو : ظلت[٤] وفى القرآن قوله تعالى : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ « الواقعة ٦٥ » .

فإن زاد الفعل الماضى على ثلاثة تعين الإتمام نحو : اقررت[٥] وفى القرآن قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾ « آل عمران ٨١ » وشذ من ذلك : أحست[٦] ويتعين الإتمام ايضا إذا كان الماضى مفتوح العين فتقول : هممت بالشىء ، وفى « المصباح المنير » وهممت بالشىء هما من باب « قتل » إذا أردته ولم تفعله وفى الحديث : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة »[٧] وشذ « همت » فى هممت[٨] .

وإن كان الفعل المكسور العين مضارعا أو امرا واتصل بنون نسوة يجوز فيه : « الإتمام » نحو : يقررن ، واقررن ، ويجوز « حذف العين مع نقل حركتها إلى الفاء » نحو : يقرن ، وقرن[٩] وعليه قراءة غير « نافع » و« عاصم » فى قوله تعالى : ﴿ وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ « ٣٣ الأحزاب » - بكسر القاف[١٠] - على أن الفعل مضاعف حذفت عينه ، ونقلت حركتها إلى ما قبلها ، وقيل : الفعل مثال من « وقر »[١١] ، وعليه فالمحذوف الفاء .

وقرا « نافع » و« عاصم » و« قرن » - بفتح القاف على أن الفعل مضعف من باب فرح فحذفت العين ، ونقلت حركتها إلى الفاء ، وقيل : إن الفعل أجوف ، من قار يقار ، على وزن « يخاف » - ومعناه : الاجتماع أى اجتمعن فى بيوتكن[١٢] .

←

---

(٣) شذا العرف ١٧٣ بتصرف يسير . وشرح الشافية ١٣٩/١ ، المغنى فى تصريف الأفعال ١٥١ .
(٤) شذا العرف ١٧٤ ، كتاب سيبويه ٤٢٢/٤ ، ٤٨٢ .
(٥) شذا العرف ١٧٤ .
(٦) شذا العرف ١٧٤ . كتاب سيبويه ٤٨٢/٤ .
(٧) المصباح المنير ٢٤٥ .
(٨) شذا العرف ١٧٤ .
(٩) شذا العرف ١٧٤ .
(١٠) انظر حجة القراءات ٥٧٧ .
(١١) المغنى فى تصريف الأفعال ٥٢ .
(١٢) المغنى فى تصريف الأفعال ١٥٢ .

٤ ـ حذف الفاء فى الأمر من « اخذ » و« اكل » و« سال » و« امر »[١٣] :

قضى الاستعمال العربى بحذف الهمزة فى الأمر من « اخذ » و« أكل » سواء وقعا فى أول الكلام أو فى درجة ، ففى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ « التوبة ١٠٣ » وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ . . ﴾ « البقرة ١٨٧» وكثر فى الاستعمال العربى حذف الهمزة فى الأمر من « سأل » و« أمر » إذا وقعا فى أول الكلام ، وفى القرآن قوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ « البقرة ٢١١ » وتقول : مر أهلك بالحسنى .

وإذا وصل الأمر بغيره ثبتت الهمزة نحو قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ « طه ١٣٢ » وقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « الانبياء ٧ » .

٥ ـ حذف الهمزة من « رأى » فى المضارع والأمر :[١٤] .

مما شاع فى اللسان العربى اختزاله عين المضارع « من » « رأى » فى المضارع ، والأمر فنقول : يرى « بوزن » : يفل ، وأصله : يرأى ، نقلت حركة الهمزة إلى ما قبلها ثم حذفت لالتقائها ساكنة مع ما بعدها .

وفى الأمر نقول : « ره » وأصله : « أراه » بعد حذف حرف العلة وهو : اللام ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فاستغنوا عن همزة الوصل ، ثم حذفت الهمزة التى هى عين الفعل حملا على حذفها فى المضارع ، وجىء بهاء السكت .

وقد جاء فى الشعر قول القائل :

أرى عينى ما لم ترأياه
كلانا عالم بالترهات

فاثبت الهمزة فى « ترأياه » ، ولكن ذلك لضرورة الشعر ، والاستعمال جار على ترك الهمزة فى ذلك[١٥] .

وقرأ « ابو عبد الرحمن السلمى » ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ ﴾ « البقرة ٢٤٦ » ، كما قرأ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ « الفجر ٦ ، الفيل ١ »[١٦] .

٦ ـ حذف همزة « ارى » وما تصرف منها :

قال « الحملاوى » وتحذف همزة « أرى » أى عينه فى جميع تصاريفه نحو : « أرى » ، و« يرى » ، و« اره »[١٧] .

واصل « أرى » : « أرأى » على مثال « اكرم » ، تحركت الياء ، وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، فالتقى ساكنان : العين ، واللام ، فحذفت العين ، وعليه فـ « أرى » بوزن « أفل » .

واصل مضارع « أرى » : « يرئى » على مثال « يكرم » ، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم نقلت حركة الهمزة إلى ما قبلها ، فالتقى ساكنان ، فحذفت العين ، فصار « يرى » بوزن « يفل » .

واصل الأمر من « أرى » : « أره » بعد حذف حرف العلة وهو اللام ، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذفت الهمزة حملا على حذفها فى المضارع .

واسم الفعل من « أرى » : « مرئى » بوزن

---

(١٣) شذا العرف ٦٠ ، المغنى فى تصريف الأفعال ١٥٦ .
(١٤) انظر شذا العرف ٦١ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ١٥٧ . وشرح المفصل ١١٥/٩ .
(١٥) شرح شافية « ابن الحاجب » ٤١/٣ ، ٤٢ ، والمغنى فى تصريف الأفعال ٥٧ .
(١٦) المغنى فى تصريف الأفعال ١٥٧ .
(١٧) شذا العرف ٦١ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ـ المغنى فى تصريف الأفعال ١٥٧ .

مكرم ، أعل إعلال قاض ، فصار « مرء » ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، ثم حذفت لالتقاء الساكنين ، فصار « مر » بوزن « مُفٍ » .

٧ ـ حذف الهمزة من « راى » إذا دخلت عليها همزة الاستفهام :

إذا دخلت همزة الاستفهام على الفعل « راى » مسنداً إلى « التاء » أو « النون » نحو : « ارايت » ؟ تحذف عين الفعل ، فنقول : ارايت ، ويقول : « رضي الدين الاستراباذي » شارح شافية « ابن الحاجب عن هذا الحذف » وربما حذف بلا علة ولا ضابط » . ومع الف الاستفهام في « رأيت » فيقال في « ارايت » ، « اريت » وهو قراءة « الكسائي » في جميع ما أوله همزة الاستفهام من « رأى » المتصل به « التاء » و« النون » وقال « أبو الأسود الدؤلي » :

أريت امـرأ كنت لم ابلـه
أتانى فقال اتخـذنى خليلا

فحذف « الهمزة » التى هى عين الفعل في قوله : «أريت » على أن أصله : ارايت ، وإنما كثر ذلك في « رايت » وأخواته لكثرة الاستعمال .. والحذف هنا جائز ، وربما حذفت الهمزة مع « هل » أيضاً تشبيهاً لها بهمزة الاستفهام قال الشاعر :

صاح هل ريت أو سمعت براع
رد في الضرع ماقرى في الحلاب

فحذف الهمزة في قوله : هل ريت على أن أصله : هل رايت [١٨] .

وفي العامية [١٩] نجد صدى لهذا المسلك في الحذف ، لكنها تزيد حذف همزة الاستفهام أيضاً ، مع كسر الراء ، فنسمع من يقول : ريت ؟ ، وهنا نلمح جذوراً فصيحة للعامية كما نلمح أيضاً انحرافاً عن الصواب في كسر الراء في قولهم : ريت ؟

٨ ـ حذف فاء الناقص اليائى في المضارع :

ذكر « سيبويه » أن « المثال » اليائى لا يحذف منه شيء في المضارع ، ثم مثل لذلك بقوله : يئس ييئس ، ويسر ييسر ، ويمن ييمن ، ثم ذكر بعد ذلك أن يئس يقال في مضارعه يئس بحذف الياء عند بعد العرب ، ونظرها في القلة بحذف فاء المثال الواوى مع ضم العين في المضارع مثل : يجد [٢٠] .

وحذف فاء المثال في المضارع المضموم العين قال في اللسان العربي كما حكم بذلك سيبويه ، وقد ورد ذلك في قول الشاعر :

لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة
تدع الصوادى لا يجدن غليلا

بضم الجيم في « تجدن » وقد حكم الرضى في شرح الكافية بأن ذلك ضعيف وأنها لغة بنى عامر . [٢١] .

وقد حاول صاحب كتاب « اللهجات العربية في التراث » [٢٢] توثيق هذه اللهجة من القراءات القرآنية ولكنه لم يصب ـ حسب اعتقادى ـ وذلك أنه يقول : وقد سبق أن وثقت هذه اللهجة بقراءة قرانية [٢٣] . وبالبحث فيما سبق له قوله :

←

(١٨) انظر شرح الشافية ٣٧/٣ ، ٣٨ والمغنى في تصريف الأفعال ص ١٥٨ .
(١٩) في ليبيا من تعبيرات أهل طرابلس ومصراته .
(٢٠) كتاب سيبويه ٥٤/٤ .
(٢١)شرح الشافية ١٣٢/١ .
(٢٢) الدكتور علم الدين الجندى الجزء الثانى ص ٥٧٩ وما بعدها .
(٢٣) اللهجات العربية في التراث ٥٨١/٢ .

وجدت أنه ذكر أن تلك قراءة مروية عن « ابن عامر » [٢٤] محيلاً على « مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع » لابن خالويه » وبالرجوع لهذا المصدر الذى ذكره وجدت ﴿ وَلَا يَجِدُ لَهُ ﴾ (النساء ١٢٣) - بضم الدال - برواية عن ابن عامر ، ثم أضيف لذلك : ويجد لغة غير قراءة [٢٥] . فليس فيما ذكر في « مختصر ابن خالويه » إشارة إلى ضم الجيم كقراءة في « ولا يجد له » ولم اكتف بهذا ، بل بحثت فيما لدى من مراجع عن هذه القراءة التى ذكرها الباحث ليوثق بها لهجة ضم الجيم في مضارع « وجد » فوجدت « القرطبي » يقول ما نصه : وقراءة الجماعة ولا « يجد له » بالجزم عطفاً على « يجزيه » ، وروى « ابن بكار » عن « ابن عامر » « ولا يجد » « بالرفع استئنافاً » [٢٦] وبهذا تبين لى أن الباحث قد ابتعد عن الصواب فيما ذهب إليه ، وقوله : « وارى انه لا التفات إلى ماوصف به النحاة ، ورجال اللغة هذه اللهجة ؛ لأنها تمثل في نظرى بيئة لغوية يجب احترامها ، ولا التفات إلى رميهم إياها بالشذوذ ، لأن لكل لهجة نظامها الخاص ، ولا ينبغى أن نحكم فيها قواعد لهجة أخرى » كلام بنى على غير أساس » .

٩ - حذف « عين الأجوف » في الماضى والمضارع والأمر :

تحذف « عين الفعل الأجوف » ماضياً ، أو مضارعاً ، أو أمراً عند اتصاله بضمير رفع متحرك ، نحو : اقمت واقمتم ، اقمن ، استقمت ، استقمنا ، واستقمن .

وفى المضارع نقول : يقمن ، يستقمن ، وفى الأمر نقول : قل ، بع ، قلن بعن .

وعلة الحذف هنا تعود إلى « التخلص من التقاء الساكنين » [٢٧] .

١٠ - حذف لام الناقص :[٢٨]

(أ) الناقص الماضى :

يحذف آخر الناقص الماضى إذا أسند إلى واو الجماعة سواء كان آخره واوا أوياء أو ألفا نحو : سروا ، رضوا ، في « سرو » و« رضى » ، ودعوا وسعوا ، وارتضوا ، واهتدوا في « دعا » و« سعى » وارتضى ، واهتدى .

وتحذف الف الناقص إن اتصلت بالفعل « تاء تأنيث » نحو : غزت .

(ب) الناقص المضارع :

يحذف آخره إن اتصل بواو الجماعة أوياء المخاطبة ، ويضم ماقبل الواو ، ويكسر ما قبل الياء في مااخره واو أو ياء نحو : يدعون ، ويقضون ، وأنت ياهند تدعين وتقضين .

وإن كان آخر المضارع الفا حذفت عند الإسناد إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة نحو :

(٢٤) المرجع السابق ٢/٥٧٩ .
(٢٥) انظر ص ٢٩ .
(٢٦) الجامع لاحكام القرآن ٥/٣٩٩ .
(٢٧) انظر المغنى في تصريف الافعال ١٦٦ ومابعدها .
(٢٨) انظر في ذلك : المغنى في تصريف الافعال ١٧٠ ، وشذا العرف ١٨٢ .

انتم ترضون وتسعون ، وانت ياهند ترضين وتسعين .

(جـ) الأمـــــر :

يحذف آخره عند الإسناد إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة نحو : ادعوا ، اقضوا ، وادعى ، واقضى ، واسعوا ، وارضى ، واسعى ..

١١ ـ حذف الف الأجوف في « الإفعال » و« الاستفعال » :

المصدر من الفعل « أقام » و« استقام » إقامة « واستقامة » وأصله : إقوام واستقوام ، نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم قلبت ألفاً ، فالتقى الفان ، فاء الفعل وهى الأولى ، والثانية الف المصدر ، تحذف الف الأجوف ـ العين ـ وعليه فوزن المصدرين : إفالة ، واستفالة ، وبعضهم يرجح أن تحذف الثانية ، ووزن المصدرين حينئذ : افعلة ، واستفعلة .

والتاء عوض عن المحذوف في كلتا الحالتين ، وقد تحذف هذه التاء أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ « النور ٣٧ » ولكن يقتصر في ذلك على ما سمع .

وورد في اللسان العربي عدم الاختزال في « إفعال » و« استفعال » ، وذلك عند تصحيح عين إفعال واستفعال نحو : أعول إعوالاً ، واستحوذ استحواذاً [٢٩] .

١٢ ـ حذف عين الأجوف الثلاثي في صيغة « مفعول » :

اسم المفعول من « قال » و« باع » ، « مقول » و« مبيع » ، وأصله : مقوول ، ومبيوع ، نقلت حركة الواو والياء إلى الساكن الصحيح قبلها ، التقى ساكنان ، تحذف عين الأجوف ، والوزن حينئذ مفول ، ومفيل ، وبعضهم يرى أن المحذوف هو واو « مفعول » والوزن عليه : مفعل او مفعل .

وبنو تميم يصححون « اليائى » فيقولون : مبيوع ، ومديون ، ومخيوط [٣٠] .

ونلحظ انتشار ماذهب إليه بنو تميم على السنة كثير من الناس .

هذا ويبدو من خلال ماتقدم عرضه من قضايا الحذف عند الصرفيين ـ وغيره كثير ـ إن الاستعمال العربي ينشد من وراء ذلك المسلك الاختزالى في البنية ، السهولة والخفة في النطق ، كما يبدو أن تلك « القوانين الصرفية » في هذا المجال ما هى إلا وصف لما جرى به اللسان في التعبير الفصيح الشائع الكثير ، ولأمانة السابقين العلمية نصوا على .. ماخالف تلك الأصول من كلمات شاذة أو قليلة ، وهذا عمل علمي صحيح ، يحترم ما لم يثبت غيره من خلال تتبع سير الكلمات في النصوص التى يحتج بها ، ومن خلال البحث في كتب « متن اللغة » .

« يتبع »

---

(٢٩) شذا العرف في فن الصرف ١٧٢ .

(٣٠) شذا العرف في فن الصرف ١٧٢ .

"قراءة فى نص من التراث"

متمم بن نويرة[1] يرثى مالكا أخاه

للدكتور: حامد الخطيب

سيظل هذا التراث العربى معطاء على مدى الحياة ، وسيبقى هذا العطاء متميزاً متفرداً أبداً ، سيان فى ذلك ما كان شعراً وما كان نثرا ، وذلك لأن لغته هى لغة القرآن الكريم ، وفهمه يمهد طريقا إلى فهم القرآن الكريم ، أفما علمت أن هذا القرآن قد جاء فتحدى الفصحاء البلغاء ، أو جاء فقال لهؤلاء : ذلكم كلام الله ، فأين منه مقالكم الفصيح ؟! وهذه اللغة من ميزاتها أن الجملة الواحدة فيها يكمن فى ضميرها كلام وجمل ومعان بلا حدود[2] .

وإنا إذ نيمم نحو مراثى متمم ، سنجد فيها ما يملأ النفس بشتيت المشاعر ، وما يحرك كوامن الوجدان .

بدأ متمم بما يظهر تجلده وصبره ، (فصنيع أبى المنهال الذى كان يكفن القتلى ، وأصر على أن لا يكفن فى برده إلا مالكا ـ ١ ـ ٢) ثم أبان عن أنه لم يرد بشعره بكاء ونواحا ، وإنما أراد أن ينوه بمآثر أخيه مالك ، ويكشف عن طيب خلاله ـ ٣ ـ ١٠ .

وإذ يغلبه الوجد ، ويشتد به الحزن ، يبكى ، ويسرد ذكريات من سيرة مالك ، وشيئاً من صفاته مرة ثانية ـ ١١ ـ ١٦ وحيث لا يجديه ما هو فيه يأخذ فى عزاء نفسه بما تعودت المنايا أن توقعه على الملوك والكبراء ، لكن يغلبه ألمه فيتذكر ويذكر ما كان بينهما من مودة وارفة الظل ، ضافية النعماء ، ثم يستسقى لقبره وما جاوره من قبور ـ ١٧ ـ ٢٨ .

ثم يحاور امرأة مصوراً فى حواره حاله وكيف تحول بعد فقد مالك ، ويأخذ فى سرد أخلاط من

---

(١) متمم بن نويرة بن شداد ، ينتهى نسبه عند مضر ، صحابى شاعر ، رثى أخاه مالكا بقصائد عدت من غرر الشعر العربى . كان مالك سرياً نبيلاً ، فارساً شاعراً ، مطاعاً فى قومه ، قدم على النبى ـ ﷺ ـ فأسلم فولاه صدقة قومه ، ثم صار من مانعى الزكاة بعد وفاة الرسول ـ ﷺ ـ ثم خرج خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ لقتال المرتدين ، فجىء إليه بمالك ، فدار بينهما حوار فهم منه خالد أن مالكا مصر على الردة ، فأمر ضرار بن الأزور الأسدى بقتله فقتله مع من قتل من المرتدين ، وقد كان حبيبا إلى نفس متمم ، ومن وحى ذلك الحب الذى امتلك على متمم كل جوارحه ، وقلبه وروحه ، كانت تلك القصيدة . انظر جملتها وتحقيق أبياتها فى المفضليات ص ٢٦٣ تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ط المعارف سنة ١٩٨٣ .

(٢) انظر القوس العذراء للأستاذ محمود محمد شاكر ، ودراسة الأستاذ الدكتور محمد أبى موسى فى هذه القوس .

صبره وجزعه ، فتكشف عن حيرة نفسه ـ ٢٩ ـ ٤٠ .

ثم يضرب مثلاً بأن وجده اشد وأشق من وجد نياق فقدت أولادها ، ومضت في حنينها وترديده ـ ٤١ ـ ٤٤ .

وينهى قصيدته بما يكشف عن شماتة الشامتين ، وينصحهم بالكف عن ذلك ، ويحذرهم من أن الدهر قد يوقع بهم مثلما اوقع به ، إذ الدهر قُلّب ـ ٤٥ ـ ٥١ .

ولعل الناظر في هذا العرض سيقع في روعه أن القصيدة تلك مهلهلة مشتتة الافكار على الرغم من انها في موضوع واحد ، والذى أراه أنها ، وإن بدت كذلك في عينى قارئها فقد ربط بين ابياتها ذلكم الشعور الاليم الذى سيطر على الشاعر ، فكشف بالتالى عن نفس قلقة متوزعة ، وذلك كان نتيجة حتمية لفراق حبيب هو مالك ، وما احب متمم احداً كحبه لاخيه ، وحسبك أن تعرف أنه كان اعور العين ، ومازال يبكى حزنا حتى اسعدته بالدمع عينه العوراء ، ومن شعره الذى يؤيد ذلك قوله :

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال: اتبكى كل قبر رايتَهُ
لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له: إن الشجا يبعث الشجا
فدعنى فهذا كله قبر مالك

الم تره فينا يُقسّم ماله
وتأوى إليه مرملات الضرائك(٣)

ذلك ، وحيث إنا لا نحب بتر القصيدة فيذهب بعض رونقها أو كله ، فإنا نسوقها إليك مكتملة ، على أن نعاود التأمل فيها معاً ، ـ إن شاء الله ـ فإليك رائعة متمم :

لعمرى وما دهرى بتابين هالك
ولا جزع مما اصاب فأوجعا(٤)

لقد كفن المنهالُ تحت ردائه
فتى غير مبطان العشيات اروعا(٥)

ولا برما تُهدِى النساءُ لِعِرْسِهِ
إذا القَشْعُ من حَسّ الشتاء تَقَشّعَا(٦)

لبيب اعان اللبَّ منه سماحةٌ
خصيبٌ إذا ما راكب الجدب اوضعا(٧)

تراه كصدر السيف يهتز للندى
إذا لم تجد عند امرىء السَّوْءِ مَطمَعا(٨)

ويوما إذا ما كظك الخصم إن يكن
نصيرَك منهم لا تكن أنت أضيعا(٩)
وإن تلقه في الشَّرْبِ لا تلق فاحشا
على الكأس ذا قاذورة مُتَزَبِّعا(١٠)
وإن ضَرّسَ الغزو الرجال رايته

البقية صـ ١٠٧٤

(٣) أمالى القالى ٢/٣ طبع الهيئة سنة ١٩٧٥ ، والضرائك الفقراء وسيئو الحال .
(٤) ما دهرى ، أى ما همى وعادتى ، والتابين ، ذكر محاسن الميت .
(٥) غير مبطان العشيات ، أى لا يعجل العشاء ، بل ينتظر الأضياف ، والاروع من يروعك حين تراه .
(٦) البرم الذى لا يدخل مع القوم في الميسر ، وتهدى النساء ، أى لا تأخذ زوجه لحما في الشدائد ، والقشع بيت من جلد .
(٧) الخصيب ، السخى الرحب الفناء ، واوضع ، أسرع ، والمجدب من اصابه الجدب فافقره .
(٨) أى هو كالسيف في المضاء والاهتزاز للمكرمات .
(٩) كظك ، بلغ منك غاية الغم حتى يقطعك عن الكلام ، فإذا نصرك مالك فلست مضيعاً .
(١٠) الشرب هم القوم يشربون ، وذو القاذورة ، سيء الخلق الذى يتبرم بالناس ، والمتزبع ، سيء الخلق المؤذى .

أولئك هم الراشدون

أبو بكر عمر عثمان على

رضى الله عنهم أجمعين

تأليف : الدكتور عبد المقصود محمد نصار

عرض وتعليق
الأستاذ : السيد حسن قرون

عشت مع هذا الكتاب وفى أجوائه ومساحاته الممتدة من طرابلس غربا من ارض ليبيا إلى اطراف السند شرقا ومن قبرص شمالا إلى ارض النوبة جنوبا منطلقا من أرض الحجاز ، من مكة حينا ومن يثرب حينا آخر ، مصاحبا رجالا تحلو الدنيا بخطواتهم ، وابطالا زانوا عصرهم بأخلاقهم التى تتجلى فى فتوحاتهم ، وفى نشاطاتهم وفى مناقشاتهم ، إنهم نماذج مشرفة صنعهم « نور وكتاب مبين » اما النور فالرسول النبى محمد - ﷺ - واما الكتاب فهو القرآن الكريم .

والدكتور عبد المقصود محمد نصار له المزية الرائدة فى أنه - وهو المؤرخ لعصر الخلفاء الراشدين - قدم إلينا فى كتابه « اولئك هم الراشدون » .

تلك النماذج البشرية التى هى نجوم الهدى ومصابيح الظلام .

إنهم الخلفاء الأربعة : ابو بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله عنهم أجمعين - فى كتاب واحد حتى يتسنى لنا قطف الثمار دفعة واحدة ، فنحصل على المتعة والفائدة معا . وحسب السابق منهم جرى تأليفه ، فقدم لنا أبابكر الصديق ، مصاحبا للنبى - ﷺ - فى صباه وشبابه وفى رجولته حين نزل عليه جبريل عليه السلام بأنوار الرسالة فكان صديقه من اول يوم اعلن فيه نبوته ، داعيا إلى اتباعه ، مرافقا كل من يسلم إلى صاحب الرسالة،قدم إليه خمسة من رجال الدعوة كانوا الأعلام فى مستقبل الإسلام ، منهم عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله عرفته مكة قارئا لآيات الله ، حاملا لمسئولية الدعوة ، ينفق المال ويفك الرقاب ويتحمل الأذى وعرفته الهجرة رفيقا فى الطريق وفى الغار وفى الصحبة إلى يثرب ، وعرفته يثرب « المدينة المنورة » رفيق السلاح ورفيق المشورة ، وفى كل ذلك ترى للمؤلف رأيا وأسلوبا وتنويرا ، ولما انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى تجلت مواهبه وملكاته وسجاياه فكان صاحب العزيمة القوية والهدف الواضح والحفاظ على بيضة الإسلام وقد نوه المؤلف بموقفه فى تثبيت العقيدة حين

أعلن أن : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » .

وفى حماية الوحدة الإسلامية حين ناظر الأنصار تحت سقيفة بنى ساعدة ، لحمل الأنصار على مبايعته خليفة للمسلمين .

وقد عنى المؤلف بمواقفه من المرتدين ومن توجيه الجيوش لتأمين حدود الدولة الإسلامية بعد حروب الردة وجمع القرآن الكريم ، فكان رائدا وقائداً ومؤتمنا على الدين القويم الذى جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين ، وقد تجلى حزمه وعزمه معا منذ بويع بالخلافة وأعلن دستوره الذى يلتزم به من تحقيق العدالة بجعل الضعيف قويا والقوى ضعيفا لينال كل حقه ، ونفذ بعث أسامة بن زيد الذى كلف بالزحف من نبى الإسلام فلما مات كان راى القوم وضع الجيش لحماية المدينة ، فما كان من أبى بكر إلا تنفيذ أمر رسوله - ﷺ - وحارب المرتدين ومانعى الزكاة بإرسال قواده الذين عينهم لقيادة أحد عشر جيشا انطلقوا إلى مواطن الردة والخلاف غير ناكص بقلة من بقى على الإسلام بعد رحيل نبى الإسلام وخاتم الرسل ، وكان عمر بن الخطاب المعروف بالشدة بجانبه لينا يوجه إليه أبو بكر قوله « أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام » ؟

وكان حازما حين لم يسمع إلى ما رمى به خالد ابن الوليد من أن فى سيفه رهقا ، فاستدعاه وسأله عن أمر مالك بن نويرة ، فلما وقف على جلية الأمر رده إلى عمله مكرما ، وأعطى درسا لمن ترك الجيش وأتى إلى أبى بكر شاكيا موقف خالد من مقتل مالك بن نويرة وزواج خالد من سلمى زوجته ناظرا إلى الحقيقة ، جاداً فى عقاب من قتلوا ومنعوا الزكاة حتى كللت جهوده بالنجاح .

وقد حرص المؤلف على أن يذكر كل الأحداث ، ويسجل البيانات والرسائل التى وجهت إلى الأمصار وحملها القادة فى كل مكان يحتاج إليه البيان وامتشاق الحسام .

وقد ظهرت شخصيات فى البطولة الإسلامية فى عهده كان أظهرهم وأشهرهم خالد بن الوليد ، وعرفت شخصيات ارتدت مثل طليحة الأسدى وقد حارب وحورب وهرب ثم رجع فأسلم وحسن إسلامه ، ومن الشخصيات التى ادعت النبوة الأسود العنسى وسجاح التميمية ومسيلمة الكذاب ، وقد قضى على الجميع ، ووجد المسلمون حدة وشدة فى قتال مسيلمة الكذاب ، وقد تركت حروب الردة ضغائن برزت فيما بعد ، حين لان الحاكم وظهرت الدعاوى المغرضة .

وقد تحدث المؤلف عن كل تلك الأعمال والبطولات بدراسة وافية وكاشفة وأنت حين تقرأ مثل ما كتبه المؤلف عن « الفتح الإسلامى ودوافعه فى فارس والروم » تجد المؤلف يعلل ويحلل ويوضح ما جاء قصدا لرد عادية المعتدى ، وما جاء مصادفة مثل ما حدث فى جنوب الجزيرة العربية .

يقول المؤلف : فى سنة ١١ هـ بينما كان العلاء ابن الحضرمى قائد جيوش المسلمين فى البحرين مشغولا بإخضاع المرتدين هناك انضم إليه قائد عظيم من قادة العرب هو المثنى بن حارثة الشيبانى الذى أسهم بنصيب فى انتصار العلاء على أهل البحرين ثم اتجه المثنى إلى مصب الفرات ومعنى هذا أنه اتجه إلى حرب الفرس لتحرير العراق من حكم كسرى .

وعن حروب الروم فى الشام بين المؤلف الوقت والقادة والتقت الجيوش الإسلامية بقيادة أبى عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وشرجيل بن حسنة ، ولم يمت أبو بكر حتى رأى جيوش الإسلام ظافرة فى الجبهتين : الشرقية مع الفرس والشمالية مع الروم .

←

على هامش النقد

ومما عنى به المؤلف وأطال فى عرضه مرض أبى بكر واستخلاف عمر من بعده ذاكرا ما كان من الخليفة فى استشارة كبار الصحابة فيمن يكون خليفة بعده ، ثم كتابه فى هذا الشأن وقراءة عثمان لهذا الكتاب ثم توفى فى مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ ـ ٦٣٤ م وكانت مدة خلافته سنتين وأربعة أشهر ، وقد أوصى أن يدفن إلى جنب الرسول ﷺ فتم له ذلك . وكان آخر ماتكلم به « رب توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » .

هذا وقد جاء اسم أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ مغلوطا فى الكتاب هكذا « أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن تميم بن مرو التميمى » والخطأ فى تميم ومرو والصحيح هو « أبو بكر بن أبى قحافة عبد الله بن عثمان بن عامر بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤى » ومُرَّة فى نسب النبى محمد ﷺ وهو الجد السادس له ، فأبو بكر تيمى لا تميمى وهو أول الخلفاء الراشدين والراشد الثانى عمر بن الخطاب .

ويتصل نسبه بعدى بن كعب بن لؤى ، فهو يجتمع مع رسول الله فى الجد السابع « كعب بن لؤى » تولى الخلافة بعهد من أبى بكر حين كانت الجيوش الإسلامية فى حرب مع فارس والروم ، فكان من الحكمة أن يعين الحاكم بعده حتى لا يحدث اختلاف بين سادة المسلمين ، وقد نوه بذلك المؤلف الدكتور عبد المقصود وقد أعطانا المؤلف صوره عن صفاته الجسمية والخلقية وعن مولده بمكة بعد مولد النبى ـ ﷺ ـ بثلاث عشرة سنة ، ومكانته فى الجاهلية تميزت بوظيفة السفارة ، فكان سفيراً لقريش فى الجاهلية . ولم يسرع عمر إلى الإسلام ، فكان حربا على الإسلام والمسلمين ثم أسلم بعد ست سنوات من المبعث ، وذكر المؤلف حكاية إسلامه ، فقد عرف إسلام أخته وزوجها فذهب إليهما للإيقاع بهما وقد شرح الله صدره للإسلام بعد اعتدائه عليهما ودله معلمهما على مكان الرسول ـ ﷺ ـ فتوجه إليه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وأعلن إسلامه ، فكان إسلامه فتحا ونصرا ، ومنذ أسلم لم يفارق الرسول إلا أثناء الهجرة أو فى بعث له أثناء الغزوات ، وقد روى الدكتور المؤلف أحاديث تبين خصاله وسجاياه ، فهو رجل لا يسكت عن نصرة الحق ولا قول الصدق وهو رجل محدث أى ملهم كما جاء فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وقد وضع المؤلف عنوانا لهذا هو « من إلهامات عمر » وعددها ١ ـ تحريم الخمر .. ٢ ـ حجاب النساء .. ٣ ـ رأيه فى أسرى بدر .

وكما عنى المؤلف بخطبة أبى بكر بعد بيعته وأنها دستوره فى الحكم عنى بخطبة عمر الأولى وأشار فى أكثر من موضع إلى منهجه فى تلك الخطبة التى ختمها بقوله : « وأما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق » فكان منهجه القائم على سياسة الحزم والشدة والعدل . وكانت هناك مسئوليات عليه أن يقوم بها . منها الفتوحات ، وتنظيم مجلس الشورى ، وتدوين الدواوين ، وقد اتسعت الدولة الإسلامية فى عهده الاتساع الكبير حتى عرف بأنه الخليفة الفاتح .

ولقد كان فى حال قلقة فى معظم سنوات حكمه ، فهو مع سعد بن أبى وقاص أثناء حربه مع الفرس يتلقى رسائله يوما بعد يوم فكأنه يعيش فى المعركة ،.وبلغ من تلهفه على معرفة الأخبار أنه كان يخرج كل يوم أملا فى أن تأتيه الأخبار المطمئنة ، وقد خرج يوما خارج المدينة وجاء البشير بالفتح وسأله ولم يعرف أنه أمير المؤمنين وكان الرجل يغذ السير والخليفة

يلاحقه ، ولما عرفه عند دار الإمارة خجل واعتذر ، وكم تلقى بشائر النصر من كل جبهة ، وتوجها بعقد الصلح مع أهل « إيلياء » حين فتح عمرو بن العاص فلسطين ، فاستجاب للبطريرك وذهب بنفسه وتم الصلح ومن عجيب الأمر أن في نص الصلح تلك العبارة « ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود » وفي عصرنا صارت إيلياء « القدس » تحت حكم اليهود ويتخذونها عاصمة لهم ويؤيدهم مجلس الشيوخ الأمريكي وأنا لا أحب أن أذكر كل فتوحات قواده في عهده فذلك أمر يطول تسجيله وإنما أشير إلى تلك الفتوحات فقد فتحت بلاد الفرس ، حرر العراق وانتصرت جيوشه في القادسية والمدائن وغيرهما وتم الاستيلاء على معظم بلاد الفرس ، وشرد يزدجرد كسرى الفرس ، ثم قتل بأيدى الفرس في خلافة عثمان بن عفان . واستولى المسلمون على الشام :

دمشق وحمص وإيلياء ، ثم اتجه عمرو بن العاص إلى فتح مصر ، وقد أتى المؤلف برأى ممحص لا بأس من ذكره بإجمال ، فالمعروف أن عمراً انتهز الفرصة حين كان عمر - رضى الله عنه - بالقدس وطلب إليه ورغبه في فتح مصر ، قالوا ثم كتب عمر كتابا فيه إذا بلغك كتابى ولم تدخل أرض مصر فتوقف ، أما لو دخلت في أرض مصر فسيروا على بركة الله لكن المؤلف لم يذهب هذا المذهب ، بل ذهب إلى أن عمرو بن العاص عرض على الخليفة فتح مصر وطال شرحه لمزايا الفتح في تأمين الشام ، وبين المزايا والفوائد من الفتح حتى مال الخليفة إلى مشاركة عمرو في الرأى ص ١٤٢ والصفحة التالية . وأذن له في السير إلى مصر لفتحها . ولما عاد إلى المدينة وعقد مجلس الشورى عرض على المجتمعين أمر مصر فعارض عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فقد رأى أن في تلك الغزاة عظيم الخطر وقال : « يا أمير المؤمنين إن عمرا فيه جراة وحب الإمارة فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة .

قال المؤلف : وماذا يفعل عمر وقد خرج الجيش ، وأن عودته تعتبر خذلانا وخوفا بل جبنا من لقاء الروم بمصر ، وأن مخالفة عثمان ومن معه فيه مخالفة وخروج على مبدأ الشورى ؟ وقد وفق عمر في الكتاب الذى أرسل إلى عمرو بن العاص ، قال له فيه « إن أدركك كتابى هذا قبل أن تدخل أرض مصر فارجع إلى موضعك » وبذلك يخرج من مخالفة الشورى « وإن كنت قد دخلت فامض لوجهك وإنى ممدك » وبذلك يكون قد حافظ على صحة الجيش وهيبة المسلمين . وقد نفى المؤلف ما تعارف عليه الناس من أمر كتاب عمر إلى عمرو فقال : وأما مايروى من أن عمرا لما وصله الخطاب قبل أن يدخل أرض مصر وأدرك بفطنته ما يحتوى عليه الكتاب من أمر بالعودة وهو لم يدخل أرض مصر فلم يتسلمه حتى يدخلها ، فهى رواية ينقصها التحقيق العلمى ؛ لأنه غير معقول أن يعرف عمرو ما في الخطاب قبل أن يتسلمه من رسول عمر - ص ١٤٥ من الكتاب . وفتح عمرو مصر بعد خطوب وخطوب وتجلت عبقريته في القيادة وفي معاملة العدو ، وكسب كل معركة دخلها ، وأمده الخليفة بالجند بعد الجند ، وقد فصل المؤلف كل ذلك في دراسة وافية ، واستطاع عمرو أن يرغم الغدو على توقيع الصلح مرة ومرة ، ومن الجهود الموفقة للمؤلف أنه نفى عن عمر وعمرو ما نسب إليهما من إحراق مكتبة الإسكندرية بالدليل التاريخى والمنهج العقلى ، وأن الأمر راجع إلى خطأ وقع فيه المؤرخ عبد اللطيف البغدادى في كتابه « الإفادة والاعتبار » ص ١٦٤ للوقوف على ما ذكره ولم يسبقه أحد من المؤرخين بهذا القول فهو مختلق ،

على هامش النقد

وكما وفق فى ذلك حالفه التوفيق فى حادث مقتل عمر ـ رضى الله عنه ـ وأن قتله كان عن مؤامرة لا انه لم ينصف أبا لؤلؤة المجوسى حين شكا إليه سيده المغيرة بن شعبة ، وفى الكتاب مع هذا استخلاصات ونتائج عقب كل فتح وعقب حياة كل خليفة . والخلاصة أن كل نظم الحكم الصالح عرفت فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ من عمال وولاة وقضاء وخراج ودواوين ووضع للتاريخ الهجرى إلى جانب ذلك تمصير الأمصار فانشأ الكوفة والبصرة فى العراق والفسطاط فى مصر وقد مكث فى الحكم عشر سنوات ورحل عن عمر يناهز ثلاثا وستين سنة ـ رضى الله عنه ـ وأوصى أن تكون الخلافة فى واحد من ستة عينهم وتولى عثمان بن عفان الخلافة بعد انتخاب ومشاورات قام بها احد أصحاب الشورى الستة وهم على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير ، بعد ثلاثة ايام من وفاة عمر ـ رضى الله عنه ـ فأعلن منهجه بخطاب فى المسجد كما فعل الخليفتان قبله .

تحدث المؤلف عن قرابته بالنبى ـ ﷺ ـ واجتماعه معه بالنسب من جهة الأم بالجد عبد المطلب ومن جهة الأب بالجد الثالث « عبد مناف » وولد فى السنة السادسة بعد عام الفيل بالطائف ، وكان أبوه ذا ثراء فنشأ فى نعمة ، وكان كريم السجايا حسن السير محببا إلى أهله يغدق عليهم نعمه فأحبوه حبا جما حتى صار مضرب الأمثال لنساء قريش فكن وهن يرقصن أولادهن يقلن :

أحبك والرحمن   حب قريش عثمان

اسلم على يد أبى بكر ، فأخذه ابو بكر وذهب به إلى الرسول .. فقال له الرسول ـ ﷺ ـ « ياعثمان اجب الله إلى جنته فإنى رسول الله إليك وإلى خلقه » فأسلم وكان إسلامه مع الزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله قبل دخول النبى دار الأرقم ، وكانت سنه تجاوزت الثلاثين ، وقد احبه النبى وزوجه بنتيه رقية ثم أم كلثوم ، وكانت رقية معه فى هجرته إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وقد شهد المغازى كلها مع رسول الله ﷺ[(١)] وتبرع بأمواله فى سبيل الله والمؤمنين سواء فى شراء بئر أو تجارة أو تحمل غزوة كما فعل فى غزوة تبوك ، وتحدث عنه المؤلف فى أيام الرسول ـ ﷺ ـ وموقفه من قريش فى الحديبية وسفارته إلى قريش ، وموقفه من الخليفتين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، ثم موقفه من الفتوحات ، ثم ظهور الفتنة فى عهده وكيف عالجها وقد بسط المؤلف ما جرى فى عهده ، وكيف انتهى أمره ، فقد مات شهيداً عقب ثورة لم تجد من يحسمها ، وقد ترتب على استشهاده أحداث وأحداث مازال المسلمون يعانون منها إلى اليوم . وقد استطاع المؤلف أن يبين أصل الداء وهو حسد القبائل لقريش يضاف إلى ذلك حقد عبد الله بن سبأ على الدولة الإسلامية ، انه يهودى أسلم ليفسد فأحدث مذهب « الرجعة » وجعل الحديث عن على ـ رضى الله عنه ـ سبيلا إلى بلبلة الأفكار ، واستغلال لين الخليفة وحبه للخير فكانت الثورة « من مصر والكوفة والبصرة » والأحداث مفصلة فى الكتاب وعلى هذا النحو عالج المؤلف خلافة على بن أبى طالب ، بين موقف على وموقف أصحاب الشورى منه . سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمر ، وطلحة والزبير ،

---

(١) تخلف فى غزوة بدر لتمريضه زوجه رقية التى توفيت يوم النصر فى تلك الغزوة .

وتحدث عن مكة والسيدة عائشة وإثارتها بوصف مقتل عثمان - رضى الله عنه - وانضمام طلحة والزبير إليها ، ثم خروجهم إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان ، ثم خروج الخليفة على إلى البصرة . وأصبحت السيدة عائشة فى جمع تركب جملا حولها جمع غفير على رأسه طلحة والزبير ، وبعث على أحد أتباعه فناقش السيدة عائشة والزبير وطلحة وكاد يقوم الصلح بين الجيشين ، وهنا وضح المؤلف العوائق التى حالت بين المسلمين وبين الصلح ، عن طريق السبئية الذين ادعوا تثبيت جيش عائشة لجيش على فكانت معركة الجمل .

وقد عالج المؤلف خلافة على وحروبه فى موقعة الجمل وصفين ، وانتهى إلى أن عليا لم يصادفه التوفيق ، لأن بين جيشه أناسا وصفهم بالسبئية ، وأنهم يخافون أن تتم الخلافة فيحاكمون بتهمة مقتل عثمان - رضى الله عنه - وقد وفق المؤلف فى مناقشته المشكلات التى صادفتها خلافة على بمنطق جدير بالأخذ به ، فكان فى صف على فى أنه لا يستطيع محاكمة قتلة عثمان حتى تستقر الأمور ومن كلام على « كيف أصنع لقوم يملكوننا ولا نملكهم » . ص ٣١٥ وكذلك أيده فى عزل ولاة عثمان ، لأن الثورة عابتهم وطالبت بعزلهم ، ثم هم لا يؤتمنون إن بقوا فى ولاياتهم ، وتحدث عن صفين ورفع المصاحف والتحكيم ، وأنصف الجميع وأرجع كل خطأ إلى أعداء الإسلام من السبئية والذين لحوا بغبارها ممن ضعف إيمانهم ، وكم حزن المؤلف لما جرى لهؤلاء الصحابة الذين اختلفوا واقتتلوا ، ومن معلوماته القيمة أن حكاية مقتل عثمان لم تكن هى القضية حين ارتضوا التحكيم بين شيعة على وأنصار معاوية . وبمقتل على فى رمضان سنة ٤٠ هـ انتهى عهد الخلفاء الراشدين .

هذا الكتاب معلوماته حية وما حواه يعتبر قمة النضوج غير أنه كان فى حاجة ماسة إلى المراجعة ، ففيه أخطاء كثيرة نحوية وإملائية ونقص فى حروف بعض الكلمات ، وحتى الأعلام لم تجىء صحيحة وإليك بعض الأمثلة .

ص ٢٥ « عن بن عمر » والصواب « عن ابن عمر » ص ٢٨ « ولم يوصى » والصواب « لم يوص » ص ٣٦ « يعتبر وثيقة .. ونموذج » والصواب « يعتبر وثيقة .. ونموذجا » ومن الأعلام « ذبيان » جعل الذال زايا فى أكثر من موضع ومنه ص ٦٠ ص ١٤٦ فى الحديث عن « أرمانوسة » وأحاطها بما يليق بها . والصواب حاطها بمعنى حفظها وصانها لأن أحاط لا تنصب المفعول به .

وفى ص ١٥١ « نحوا عن هذا الأسود » يعنى عبادة بن الصامت ، والصواب « نحوا عنى » ص ١٦٥ « افتروها جماعة من الحاقدين » الصواب « افتراها جماعة » ولا داعى لاستعمال لغة أكلونى البراغيث والكلام عن إحراق مكتبة الأسكندرية ص ٢١١ « ومن مدن فارس الشهيرة » كانت الشهيرة « الشيرة » وفى ص ٢٦٧ عن نسب أم على بن أبى طالب جاء « وأمه فاطمة بنت أسامة بن هشام بن عبد مناف » والصواب « فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف » فأسد أخو عبد المطلب بن هاشم وفى ص ١٧٠ « الوحيد بن عتبة » والصواب « الوليد بن عتبة » . وفى ص ٢٨٨ « موقفه من عبد الله بن عمر » والصواب « عبيد الله » لأنه المتهم لا عبدالله وفى ص ٣٥١ « فانتصر على ابن بكر »

البقية ص ١٠٧٥

من خير ما نشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

الأزهر منارة العلم

حديث : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر «إلى مجلة الهلال»

« الأزهر الشريف » كلمة تتردد على الألسنة ، ويعمر صداها القلوب ، وتطرب لسماعها الآذان ، وتحتويها الأفئدة ، وما كان الأزهر جديرا بصفة الشرف التى لازمته إلا لسمو رسالته ، وعظمة غايته ، وامتداد عطائه ، منذ كان وعلى مدار تاريخه السديد المديد بإذن الله .

فالأزهر كعبة المعرفة ، ومعقل الثقافة الإسلامية ، وحصن اللغة العربية والعلوم الشرعية ومنارة الإسلام ، ولسان أهل السنة والجماعة .

ولقد أنشىء الجامع الأزهر كغيره من المساجد لإقامة الشعائر الدينية ، وأقيمت فيه أول صلاة جامعة بصلاة الجمعة فى السابع من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة من الهجرة ، وأراد له الفاطميون أن يكون مركز إشعاع لنشر مذهبهم الشيعى ، ولكنه ما لبث أن أصبح جامعة يتلقى فيه طلاب العلم مختلف العلوم والفنون .. ففى عام ثمانية وسبعين وثلاثمائة من الهجرة أشار يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بالله الفاطمى بتحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية وعمل الخلفاء الفاطميون من بعده على جذب طلاب العلم إليه من كافة الأقطار الإسلامية ، وتزويده بكثير من الكتب ، حتى يتيسر للوافدين عليه الإطلاع عليها ، ولقد أقبلت وفود طلاب العلم إلى الأزهر من جميع أرجاء مصر ، ومن خارج مصر ، وكانوا يقيمون بالأروقة التى أقيمت لسكناهم منتسبة إلى دولهم كرواق المغاربة ، ورواق الشوام ، ورواق الأروام أو الأتراك ، ورواق الأكراد ، ورواق الهنود ، ورواق البرابرة ، ورواق البغدادية ، ورواق السليمانية الخاص بالطلبة الأفغان وما وراء النهر ، كما كان للطلاب المصريين أروقة منتسبة إلى بلادهم : كرواق الصعايدة ، ورواق البحاروة ، ورواق الشرقاوية ورواق الشنوانية ، ورواق الفشنية .. كما كان هناك أروقة تنتسب إلى المذاهب الفقهية : كرواق الحنابلة ، ورواق الحنفية .. وهذه الأروقة تعتبر بمثابة المدن الجامعية فى الاصطلاح الحديث . حيث كان الطلاب يقيمون فيها ويأكلون ويشربون مما يصرف لهم تحت مسمى « الجراية » .. ولقد تطورت هذه الأروقة وأنشئت مدينة سكنية للطلاب الوافدين لتلقى العلم فى الأزهر الشريف تعرف بمدينة البعوث الإسلامية .

ولقد انبثق عن الجامع الأزهر فى مسيرته المباركة معاهد علمية أخرى .. فكان الجامع الأحمدى بطنطا مقصدا لطلاب العلم من أبناء المنطقة وماحولها .. ثم اتسع نطاق الدراسة فى الأزهر ، وأنشئت عدة معاهد أسست وفق نظم تتلاءم مع التطور فى تلقى العلم ، وكانت هذه المعاهد على قلتها زاخرة بالطلاب ، وتخرج فيها أئمة كبار ، وعلماء مرموقون .

ولقد بلغ عدد المعاهد التى أنشئت على مستوى الجمهورية حتى فترة تولى الشيخ الظواهرى ـ عليه رحمة الله ـ مشيخة الأزهر وما بعدها سبعة معاهد موزعة على أنحاء مصر .. فكان هناك المعهد الأزهرى بالقاهرة ، ومعهد الأسكندرية ، ومعهد الزقازيق ومعهد أسيوط ، ومعهد طنطا ، ومعهد دسوق ، ومعهد دمياط .. ولم يكن للمرحلة الجامعية فى الأزهر إلا الكليات الأساسية الثلاث : كلية الشريعة ، وكلية أصول الدين ، وكلية اللغة العربية .

وبعد صدور قانون إعادة تنظيم الأزهر الصادر تحت رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ أنشىء إلى جانب هذه الكليات كليات أخرى علمية ومعملية : كلية الطب ، والهندسة ، والصيدلة ، والعلوم والزراعة ، والتجارة ، والتربية ، واللغات والترجمة ، والدعوة ، والدراسات الإسلامية والعربية ، والدراسات الإنسانية ، وهذه الكليات منها ما هو مخصص للطلبة وما هو مخصص للطالبات ، وصارت جامعة الأزهر ممتدة الأرجاء ، لها فروع فى العديد من الأقاليم وجميع المحافظات حتى بلغ عدد كليات جامعة الأزهر إحدى وأربعين كلية .

كما انتشرت المعاهد الأزهرية فى جميع أرجاء مصر ، ووصلت قراها ونجوعها ، حتى بلغت المعاهد الأزهرية الابتدائية ما لا يقل عن ١١٤٨ معهداً ، والإعدادية ما لا يقل عن ٦٩٢ معهداً ، والثانوية ما لا يقل عن ٣٨٠ معهداً ، والمعلمين ١٩ معهداً ، والقراءات ٢٤ معهداً ، بالإضافة إلى معهد البعوث الإسلامية ، وهو معهد خاص بالطلاب الوافدين من غير العرب .. وهناك أيضا المعاهد النموذجية الحديثة ، والتى اتجه الأزهر الشريف إلى إنشائها ودعمها والاهتمام بها والإكثار منها .. وتمتاز عن غيرها من المعاهد بتعليم اللغات الأجنبية من مرحلة الحضانة .. حتى يتمكن الأزهر من أداء رسالته كاملة بالنسبة للدول التى لا تتكلم العربية وذلك بعد جنى ثمار هذه النوعية من المعاهد ، وتخريج دفعات منها ، وقد بلغ عدد المعاهد النموذجية التى تم إنشاؤها حتى الآن ١٥ معهدا .

وانطلاقا من عالمية رسالة الأزهر الشريف المرتكزة على رسالة الإسلام يقوم الأزهر الشريف بالإشراف على معاهد أزهرية خارج مصر ، تطبق فيها مناهج الدراسة فى معاهد الأزهر ، ويعمل فيها أساتذة من الأزهر ويحصل طلابها على كتبهم الدراسية من الأزهر .

ومن ذلك مثلا .. معاهد الأزهر فى كل من : تنزانيا ، ونيجيريا ، والصومال ، وتشاد ، وغزة ، والسودان ، وأزهر لبنان وغيرها .

وللأزهر مكتبة تعتبر من أشهر المكتبات فى العالم ، يعرفها أهل البصر بالكتب والباحثون من شرق وغرب ، حيث يشيرون إلى ما فيها من نفائس المخطوطات فى مؤلفاتهم عن الكتب والمكتبات . وقد بلغ عدد كتبها أكثر من ثمانين ألف كتاب تقع فيما لا يقل عن أربعة وثمانين ومائة ألف مجلد ،

←

من خير ما نشر

هذا فيما عدا ما نهبه الفرنسيون من كتبها الثمينة عند اقتحامهم للأزهر إبان حملتهم على مصر، وتشغل مكتبة الأزهر الآن ستة أمكنة متفرقة فى داخل الجامع الأزهر وهى : المدرسة الإقبغاوية، والمدرسة الطيبرسية ورواق الأتراك، والرواق العباسى، ورواق الشام، ورواق المغاربة، وتؤدى مكتبة الأزهر دور المكتبات العامة التى تزود راغبى الثقافات بالمواد العلمية فى جميع فروعها، غير أنه من الملاحظ أن أكثر روادها من الدارسين بالدراسات العليا، والباحثين من الأساتذة، ومن هم على مستوى كبير من الثقافة حيث يرجعون إلى المصادر النادرة من المخطوطات والمطبوعات التى تضمها المكتبة، والتى كثيرا ما لا توجد فى غيرها .. وقد تم إنشاء مبنى جديد لتلك المكتبة أقيم فى حديقة الخالدين بالدراسة، وتتوافر فيه مظاهر المكتبات العصرية ذات المستوى الرفيع واستعداداتها، وعما قريب سيتم نقل محتويات المبنى القديم إلى المبنى الحديث بإذن الله .

كما أنه انطلاقا أيضا من عالمية رسالة الأزهر الشريف، يوفد الأزهر علماءه ومعلميه من سائر التخصصات العلمية إلى أرجاء العالم الإسلامى وغيره للقيام بالدعوة الإسلامية ونشر الثقافة العربية، ويصل عدد العلماء الذين يوفدهم الأزهر كل عام إلى أرجاء العالم إلى أكثر من خمسة آلاف عالم .. هذا بالإضافة إلى استقباله لطلاب العلم الوافدين إليه من شتى بقاع الدنيا، وتمكينهم من الدراسة فيه وتقديم العون والرعاية لهم، ولقد زاد عدد المنح الدراسية التى يخصصها الأزهر كل عام لطالبى العلم فيه من غير المصريين على ألف منحة دراسية، ويهدف الأزهر الشريف من وراء ذلك إلى تثقيف هؤلاء الطلاب، وحصولهم على أوفر قسط متاح من العلوم والمعارف، ليعودوا بعد ذلك إلى بلادهم حاملين رسالة الأزهر إلى ذويهم .

ولم يكتف الأزهر بذلك، بل إنه يعد دورات تدريبية تستغرق كل دورة ثلاثة شهور للأئمة والدعاة من أبناء العالم الإسلامى ومناطق الأقليات .. حيث يستضيفهم الأزهر، ويختار لهم نخبة ممتازة من كبار علمائه المتخصصين، ليزودوهم بدراسات ومعارف هم فى مسيس الحاجة إليها .. تؤهلهم لحسن الذود عن الإسلام، ومواجهة التيارات المنحرفة والمضللة، ومقاومة الغزو الفكرى الذى يشنه أعداء الإسلام، وعرض الإسلام بصورته الوضيئة المشرقة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وعلى هذا .. فإن الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف دور هام ورئيسى .. ليس فى تاريخ مصر فحسب .. بل فى تاريخ الأمة العربية والشعوب الإسلامية على مر العصور والأزمان .

والأزهر الشريف فى مسيرته لأداء رسالته : كان له - أيضاً - دوره السياسى البارز ودوره الروحى الخالد فى مقاومة تيارات الإلحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة، وحملات التنصير ودعاة الفوضى والانحلال، كما كان الأزهر الشريف ملاذا لعامة الناس، يهرعون إليه فى الأزمات ملتمسين من علمائه الإرشاد والتوجيه، ملقين إليهم بالقيادة الرشيدة الحكيمة، فيجدون لديهم وعندهم مواطن أمنهم، وتفريج كرباتهم، وحل أزماتهم، إذ لم يكن موقف الأزهر الشريف يوما موقفا سلبيا من

الحياة العامة . بل شارك فيها بدور إيجابى وفعال على مدار العصور .

وإن كان الاستعمار : مع أمده الطويل وأساليبه الملتوية قد نجح فى أن يعوق حركة الأزهر فى النمو والازدهار ، لكنه فشل فى صرفه عن غايته وأهدافه التى تغياها وعمل ويعمل لاستمرارها متابعة لماضيه الذى يفخر به كل مسلم ، وحاضره الذى أخذ منه وضعه العالمى فى كل أنواع المعرفة .

إن تاريخ الأزهر هو تاريخ الثقافة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجرى حتى الآن ، وتدوين تاريخ الأزهر هو تدوين لألوان الحضارة فى مختلف العصور ، وما بلغته من نمو وازدهار ، أو صادفته من قيود وأغلال .. وتلك سنة الحياة : ذبول وانغلاق ، ثم ازدهار وانطلاق فى خدمة العلم والإسلام .

فتحية للأجيال الكثيرة التى أسهمت فى خدمة الأزهر بمال أو بفكر ، وتحية لأولى الأمر الذين خدموا الأزهر عبر التاريخ .. وخدموا الإسلام به ، وتحية لشيوخه الأجلاء الذين حفظوا تراث الإسلام وطوروا فى الدراسات الإسلامية ، وانتقلوا بالفكر الإسلامى نقيا وضاء من جيل إلى جيل .

الصبر مطية كل نجاح

للأستاذ الدكتور/ عبد السلام السكرى

إن من حسن التوفيق وأمارات السعادة الصبر على الملمات .

قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وقد لاحظنا فى أيامنا هذه أن بعض شبابنا لا يتأنى فى فكره وعمله بل لا يتقنه ، ولا ينظر إلى الأمور النظرة الصائبة بل كل حياته عجالة فى عجالة ، والحياة بهذا لا يمكن أن تقوم على قواعد ثابتة تضمن النجاح للشباب ويجب أن يعلموا أن التقدم العلمى فى الغرب كان سببه صبر العلماء على تجاربهم التى تخفق مرة بعد أخرى وفى النهاية يكتب لها النجاح ولذلك يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه : الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو .

وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

عن اللواء الإسلامى

قانون النصر

للأستاذ الدكتور/ محمد المسير

إن المسلمين يوم انتصروا فى بدر ، والخندق ، والقادسية ، واليرموك لم يكونوا بالأكثر عددا ، ولا بالأقوى عدة ، وإنما حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فحقق الله لهم النصر واستقر الإيمان فى قلوبهم .

وتلك سنة إلهية لا تتخلف ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ سورة النور الآية ٥٥ .

إن القانون الذى حكم الانتصارات الإسلامية كلها على مدى التاريخ هو : حقق ما معك من

من خير مانشر

جهد ، وابذل أقصى ما تستطيع من طاقة واستمسك بالحق الذى معك ولك واستقم كما أمرت فإن نصر الله آت لا ريب فيه .

إن نصر المسلمين إنما هو بطاعتهم لله ومعصية عدوهم له ، فإن اشتركوا فى المعصية تركهم الله تعالى وشأنهم ولم تشملهم العناية الإلهية فتكون الغلبة للأسباب المادية وحدها .

ولو أن المسلمين اليوم عقلوا هذا المعنى وصدقوا فى ولائهم لله ورسوله لما حلت به النكبات ولما تناهشتهم ذئاب الأرض .

لا تعطوا أعداء الاسلام السلاح

للأستاذ احمد ابو الفتح

عندما سألت ميودى باكيه الصحفى السويسرى المرموق ـ منذ اكثر من ثلاثين عاما ـ عن سبب اعتناقه الإسلام قال : قرأت انا وزوجتى وأصدقاء لنا عن الأديان وكنا نعقد الجلسات نتناقش وانتهينا جميعاً إلى اعتناق الإسلام .

مسيو بتى بيير نجل الرئيس السابق للاتحاد السويسرى (رئيس الجمهورية) قال أيضا : إنه درس سنوات ثم اعتنق الإسلام .

الشاب الفرنسى حفيد أكبر زعيم للحزب الشيوعى (موريس توريز) ، وقد تربى فى أحضان الإلحاد ، أسلم هو وزوجته الشابة نتيجة الدراسة المستفيضة .

وهكذا أسلم بيجار وانتونى كوين وغيرهم .. فى فرنسا وحدها حوالى (٥٠ الفا) اعتنقوا الإسلام نتيجة لدراسة الأديان ، إن إقبال صفوة من المثقفين وأعلام الفن والعلم على اعتناق الدين الإسلامى قد أصاب المتعصبين ضد الإسلام بالرعب .

والمتعصبون يدركون تمام الإدراك أن أى باحث عن الحقيقة إذا ما قرأ القرآن وبحث ودرس ما يقوم عليه الدين الحنيف لابد أن يقتنع بالإسلام سواء اعتنقه أو لم يعتنقه .

المسلمون يصلون فى القرى النائية بالصين والمسلمون يصلون على ثلث أرض الاتحاد السوفيتى .

والمسلمون يثورون لإسلامهم فى بلغاريا وفى إقليم كوسوفو فى يوغوسلافيا . والمسلمون يهتفون (الله اكبر) فى جنوب أفريقيا .

هذه القوة الجبارة يخشاها أعداء الإسلام وعلى رأسهم الصهيونية العالمية .

إن أعداء الإسلام وجدوا السلاح الذى يسعون إليه لتشويه الإسلام فى أخطاء النظم الدكتاتورية واخطاء المسلمين .

يقولون إن الإسلام دين تأخر فكل الدول الإسلامية محكومة حكما دكتاتورياً ... يقولون هذا ، وهم يعلمون تمام العلم أن الإسلام قد نشر وأمر بحكم الشورى سابقا بذلك الثورة الفرنسية بأكثر من الف سنة .

يقولون : إن الإسلام دين الإرهاب .. دين لايعترف بحقوق غير المسلمين ويستدلون على ذلك بحرق الكنائس أو الممتلكات، وهم يعرفون أن الإسلام هو الدين الذى يحمى أهل الكتاب ويدافع عنهم حتى لو تطلب الدفاع أن يخوض المسلمون حربا .

كم اتمنى أن يطلع الذين أحرقوا الكنائس والمنازل واتلفوا الممتلكات فى أبو قرقاص والمنيا أن يطلعوا على الصحف الأجنبية ليستمعوا صدى ما قاموا به ونتائجه .

زعيم التعصب فى فرنسا جان مارى لى بن يشدد حملاته ضد المسلمين المغاربة متخذاً من حوادث الحرق والإتلاف الأخيرة حجة قائلاً : إن المسلمين فى مصر يرتكبون الجرائم ضد المسيحيين مع أنهم مصريون أصلاء فلماذا نقبل مسلمين أجانب فى بلادنا ؟

إن ما حدث فى أبو قرقاص ، والمنيا من قبل ، وفى أماكن أخرى يعطى لأعداء الإسلام وللصهيونية العالمية ولإسرائيل المتربصة بنا السلاح .

عن « الوفد »

بلا مشاكل

للأستاذ/ أحمد زين

لو أراد الله أن يخلقنا مقهورين لفعل ذلك .. ولكنه خلقنا مختارين حتى نأتيه عن حب .. وليس عن قهر .. نأتيه عن رغبة وليس عن جبروت نأتيه ونحن نقول : يارب إن كنت قد أعطيتنا حرية المعصية والطاعة فقد اخترنا الطاعة لأننا نحبك .

وحول هذا الحب لله سبحانه وتعالى تدور كل معانى الدين .. فالإنسان حين يحب يترك كل شىء فى سبيل من أحب ... فهو حريص على الا يفعل ما يغضبه .. فإذا كنت تحب إنسانا فإنك تكون حريصا على رضاه .. وعدم إغضابه .. فإذا كنت تحب الله سبحانه وتعالى فإنك تكون أحرص على رضاه والبعد عن غضبه ... ويأتيك رضا الله بشيئين اثنين فقط أن تفعل ما أمرك به ... وأن تترك ما نهاك عنه .

إذن فالدين اختبار لحب الله فى القلب ... وكلما كان حب الله عميقاً ... كان الاختبار ناجحا .

ولا ينطبق هذا على وجه واحد من أوجه الحياة ، أو وقت من أوقاتها بل هو يشمل الحياة كلها ، ويشمل الأوقات كلها بل فى كل دقيقة اختبار مع حب الله فى قلبك .

عن « الأخبار »

أنباء وآراء

الأستاذ/ عبد المنعم فـودة
الأستاذ: صفوت عبد الجـواد

الشيخ حسنين مخلوف في ذمة الله

فقد العالم الإسلامي يوم الأحد ١٩ رمضان ١٤١٠ هـ - ١٥ ابريل ١٩٩٠ علما من المع الفقهاء هو فضيلة المغفور له الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية الأسبق وهو من مواليد ٦ مايو ١٨٩٠ بباب الفتوح بالقاهرة . عين رئيسا للتفتيش الشرعي بوزارة العدل عام ١٩٤٢ ، ثم عين مفتيا للديار المصرية عام ١٩٤٥ م . كان فضيلته عضوا في هيئة كبار علماء الأزهر وعضوا في مجمع البحوث الإسلامية وأسهم في إنشاء رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة منذ خمسة وعشرين عاما ونال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام وجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية عام ١٩٨٢ .

يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لقد كان لفضيلة المرحوم الشيخ مخلوف في القضاء مواقف محمودة وفي الإفتاء قدر كبير بين المفتين ولقد شرفت بالعمل معه عندما شغل منصب الافتاء فكان على درجة من الحرص والإجادة في عمله وحسن الريادة .

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية لقد تولى أستاذنا وشيخنا المغفور له الشيخ مخلوف منصب المفتي مرتين ، وكان مثالا للأمانة العلمية والمواقف الدينية المشرفة فقد دافع عما اعتقده حقا دفاعا مجيدا بالأدلة والبراهين الشرعية والعقلية وقد ترك ثروة علمية ضخمة منها "تفسير صفوة البيان" ومئات الفتاوى التي منها ما يتعلق بالجوانب الفقهية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأحكام .

الامام الأكبر يلتقي ورئيس ولاية جوهور الماليزية

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته ظهر يوم الأحد الموافق (٢١ شعبان ١٤١٠ هـ - ١٨ مارس ١٩٩٠ م) والسيد محمد على عطاس عضو مجلس جامعة مالاى بماليزيا ورئيس وفد ولاية جوهور الماليزية .

حضر اللقاء فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر . وقد أعرب السيد محمد على عطاس عن شكره والوفد المرافق له لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر على الخدمات التي يؤديها الأزهر للمسلمين في ماليزيا والعالم أجمع .

وقد طلب السيد محمد على عطاس من فضيلة الإمام الأكبر إمداد جامعة مالاى بأساتذة من كلية طب الأزهر وذلك للاستفادة بخبراتهم فى المجالات المتعددة كما طالب سيادته بإمداد كلية الدراسات الاسلامية الحديثة بجامعة مالاى بأساتذة فى مجال العلوم العربية والدينية .

وقد تم الاتفاق على أن يتقدم السيد محمد على عطاس بهذه الطلبات إلى جامعة الأزهر موضحا بها الأعداد والتخصصات حتى يتسنى للجامعة دراسة الوضع على أساس هذه الطلبات .

وفى نهاية اللقاء تقدم السيد محمد على عطاس بخالص الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

الامام الأكبر يطالب بضرورة ترشيد أعمال البنوك الاسلامية لتتفق مع أحكام الاسلام

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بضرورة قيام البنوك الإسلامية بترشيد اعمالها لتجرى فى نطاق الإسلام وأحكامه الصحيحة .

وقال فضيلته إن القوة الاقتصادية هى الأساس والسند للقوة العسكرية . كما أكد فضيلته على ضرورة قيام القائمين على الاقتصاد الاسلامى بالنظر فى الفروع الفقهية واستنباط الاحكام منها وعدم التقيد بفروع الفقه التى يكون قد تجاوزها العصر لأن الأمور الاقتصادية تتغير من وقت لآخر فمبدأ الاقتصاد هو الحركة وقال إن الاسلام جاء بقواعد عامة فى شئون الاقتصاد وترك التطبيق حرا يجرى فى إطار العدالة والحق .

جاء هذا فى الكلمة التى ألقاها فضيلته أمام « ندوة تجربة البنوك الإسلامية » التى ينظمها البنك الإسلامى للتنمية وبنك فيصل الإسلامى .

مؤتمرات إسلامية لتوعية المسلمين فى كندا

قرر الاتحاد الإسلامى لأمريكا الشمالية (فرع كندا) عقد عدة محاضرات ومؤتمرات إقليمية خلال العام الحالى فى اطار نشر التوعية الإسلامية .

وقد تقرر عقد المؤتمر السنوى السادس عشر لمنطقة شرق كندا خلال النصف الثانى من مايو القادم بمدينة سانت كاترين بولاية انتاريو .

مجلس أمن ومحكمة إسلامية لحل مشاكل المسلمين

دعا الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة إلى تشكيل مجلس أمن ومحكمة إسلاميين لحل مشاكل وقضايا المسلمين بالاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأكدت بعض المصادر الصحفية فى دولة « أبو ظبى » أن ملايين المسلمين فى أرجاء الدنيا ينتظرون فى لهفة للاستجابة لهذه الدعوة لتطبيق دستور الله .

جبهة مورو الاسلامية بجنوب الفلبين تطالب منظمة المؤتمر الاسلامى بالعضوية الكاملة

صرح السيد / أنور ميسوارى رئيس جبهة مورو الإسلامية بأنه سوف يطالب وزراء خارجية الدول الإسلامية فى اجتماعها خلال شهر ذى القعدة (يونيو المقبل) بمشيئة الله فى القاهرة ←

أنباء وآراء

بالعضوية الكاملة بمنظمة المؤتمر الإسلامى بدلا من صفة المراقب الممنوحة لها الآن .

وعن آخر تطورات الموقف فى جنوب الفلبين قال السيد ميسوارى : إن المفاوضات مع حكومة الفلبين قد فشلت بسبب عدم تنفيذ الحكومة لتعهداتها فى اتفاقى طرابلس عام ١٩٧٦ م وجدة عام ١٩٨٧ م بإعطاء الحكم الذاتى لجنوب الفلبين .

وقد قاطعت ولايات الجنوب فى الفلبين الانتخابات التى أجرتها الحكومة فى نوفمبر الماضى .

المسلمون فى هونج كونج

بلغ عدد المسلمين فى هونج كونج ١٣٠ ألف مسلم من إجمالى عدد السكان البالغ أربعة ملايين نسمة حسب آخر إحصاء ذكرته وكالة الأنباء الإسلامية .

وتعود جذور الأقلية المسلمة فى « هونج كونج » إلى الصين والهند وباكستان وماليزيا والفلبين و « سرى لانكا » و « بورما » .

هذا وتعمل فى « هونج كونج » الكثير من الجمعيات الإسلامية فى مجالات الدعوة الإسلامية والتعليم الإسلامى .

وقد تم مؤخرا إنشاء المجلس الإسلامى الأعلى فضم تلك الجمعيات ليعمل على التنسيق بينها فى مجال الدعوة الإسلامية .

أبرز تلك الجمعيات « الجمعية الإسلامية الهندية » و « جمعية سرى لانكا الإسلامية » .

النشاطات الإسلامية فى هونج كونج :
تتمثل النشاطات الإسلامية للجمعيات الإسلامية فى : فصول تعليم ملحقة بالمساجد ، وهى تتولى تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ، وتوجد كلية إسلامية وعدد من المدارس الإسلامية .

يبلغ عدد الطلبة الذين انتظموا فى الدراسة اكثر من اربعة آلاف طالب مسلم .

خدمة جديدة للتبشير جماعة تنصيرية تتستر باسم اسلامى ببنجلاديش

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أنه قد ظهرت فى بنجلاديش جماعة تنصيرية جديدة تتستر وراء اسم إسلامى لتغطية نشاطها ، وأطلقت على نفسها « جمعية المسلمين العيسويين » .

تعليق مجلة الأزهر :

الجدير بالذكر انه يوجد فى بنجلاديش (١٥٠٠) جمعية تنصيرية تحت أسماء مختلفة وقد حُذِّرَ المسلمون من الوقوع فى مخططات هذه الجمعيات التى تسعى إلى تنفيذ أهدافها فى عدد من الدول الإسلامية آسيوية أو أفريقية أو غيرهما .

التوسع فى تعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية بباكستان

تم الاتفاق بين مكتب جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بباكستان والحكومة الباكستانية على افتتاح عدد من الفصول الدراسية لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية بمقر جمعية علماء إسلام باكستان .

وتقوم الجمعية بتقديم المطبوعات الخاصة بالجمعية للطلبة والمهتمين بالثقافة الإسلامية . وقد بدىء بالفعل بفتح فصلين دراسيين بمقر الجمعية الباكستانية .

انتصار المسلمين فى « ليونز » الفرنسية ضد المتطرفين

حقق المسلمون فى مدينة « ليونز » بفرنسا انتصارا كبيراً بعد معركتهم التى استمرت عشر سنوات ضد العنصريين من سكان المدينة الذين وقفوا ضد السماح للمسلمين فى المدينة ببناء المسجد الخاص بهم .

وقد أيد بناء المسجد عمدة مدينة ليونز « مشيل نوار » وطالب باعتماد المنحة المقررة للمشروع وقدرها « ٥٠ مليون فرنك فرنسى » أى ما يعادل « ٧,٥ مليون دولار أمريكى » وأكد على حرية المعتقدات التى ينص عليها الدستور الفرنسى .

عدد المسلمين فى مدينة (ليونز) ١٠٠ الف مسلم ويمثلون ١٠٪ من السكان فى ليونز .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس منظمة الشباب الهندى المسلم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه السيد / حاجه معين الدين خان رئيس منظمة الشباب الهندى المسلم الذى اكد خلال اللقاء انه جاء إلى مصر لكى يقابل فضيلة الإمام الأكبر باعتباره من اهم الشخصيات الإسلامية فى العالم الإسلامى وأن المسلمين فى الهند يكنون كامل التقدير والود للأزهر الشريف ولفضيلة الإمام الأكبر .

منظمة الشباب الهندى المسلم تعمل من أجل الصداقة بين العالم الإسلامى عن طريق تنظيم المؤتمرات واللقاءات بين الشعوب الإسلامية ، وأشار السيد حاجه إلى أن اهم اهداف المنظمة هو تعريف غير المسلمين بالإسلام والمساعدة فى حل مشكلة فلسطين .

وفى ختام اللقاء اكد فضيلة الإمام الأكبر حرص الأزهر على متابعة أخبار الإسلام والمسلمين فى الهند على الرغم من قلة المعلومات فى هذا الصدد .

سقوط ميناء مصوع شمال أثيوبيا فى أيدى ثوار اريتريا

بعد حوالى ثلاثة أسابيع من الأنباء المتضاربة الصادرة عن الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا وحكومة أديس أبابا ، بات من المؤكد استيلاء الثوار الإريتريين على ميناء « مصوع » شمال شرق أثيوبيا الذى يعد اهم ثانى ميناء فى اثيوبيا واكبر مدن إقليم إريتريا بعد العاصمة أسمرة .

وقد اشتدت المعارك فى بداية شهر نوفمبر ١٩٨٩ م ومنذ بداية شهر أبريل عام ١٩٩٠ م تأكد استيلاء الثوار الإريتريين على مدينة مصوع رغم استنفار سلاح الجو الأثيوبى واستعمال الجيش الأثيوبى للأسلحة المحرمة قانونا .

هذا ولم يبق أمام الثوار كما يشير المراقبون العسكريون الآن إلا محاصرة أسمرة وتكثيف الهجوم عليها حتى تسقط المدينة .

أخا الحرب صدقا في اللقاء سميدعا[11]

وما كان وقافا إذا الخيل أجحمت
ولا طائشا عند اللقاء مُدَفَّعا[12]

ولا بكهام بزه عن عدوه
إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا
ولا بِكَهامٍ بَزُّهُ عن عدوه
إذا هو لاقى حاسراً أو مقنعاً[13]

فَعَيْنَيَّ هلا تبكيان لمالك
إذا أذرت الريح الكنيف المرفعا[14]

وللشَّرْبِ فابكى مالكا وَلِبُهْمَةٍ
شديدٍ نواحيه على من تشجعا[15]

وضَيفٍ إذا أرغى طُرُوقا بعيرَهُ
وعان ثوى في القِدِّ حتى تَكَنَّعا[16]

وأرملةٍ تمشى بأشعث مُحْثَلٍ
كفرخ الحُبارى رَاسُه قد تضوعا[17]

إذا جَرد القوم القداح وأوقدت
لهم نار أَيْسارٍ كفى من تضجعا[18]
وإن شَهِدَ الأيسار لم يلف مالكٌ
على الفرث يحمي اللحم أن يتمزعا[19]
أبى الصبرَ آياتٌ أراها وأنني
أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا[20]
وأني متى ما أدع باسمك لا تجب
وكنتَ جديراً أن تجيب وتسمعا[21]
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا
أصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبَّعا[22]
فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا[23]
وكنا كندماني جَذِيمَةَ حقبة
من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا[24]
فإن تكن الأيام فرقن بيننا
فقد بان محموداً أخى حين ودعا[25]

وللموضوع بقية

د / حامد الخطيب

---

(١١) ضرس ، كدح وأثر ، والصدق ، الصلب ، والسميدع ، الجميل الشجاع المديد القامة .
(١٢) أجحم ، جبن وكف ، والمدفع ، المدفوع الذى لا يرغب في حضوره لجبنه .
(١٣) الكهام ، الكليل ، والبز ، السلاح ، أى ليس سلاحه كليلا عن عدوه .
(١٤) أذرت ، ألقت ، والكنيف ، حظيرة الإبل من الشجر ، والمرفع ، المرفوع .
(١٥) البهمة ، الشجاع .
(١٦) أى إذا ضل الرجل أرغى بعيره ليدل الناس على مكانه ، والقد ، القيد ، وتنكع ، تقبض وييبس .
(١٧) الاشعث ، المتلبد الشعر ، والمحثل الذى أسيء عند غذاؤه ، وتضوع ، يقصد تفرق شعر رأسه .
(١٨) الأيسار ، الأشراف ، وتضجع ، أى تقعد ولم يقم .
(١٩) الفرث ، حشوة الكرش ، وتمزع أى تقطع .
(٢٠) أى يذهب صبره كلما رأى آثاره أو ذكر أفعاله .
(٢١) وافقدنى الصبر أنك لا تجيب حين أدعوك ، وقد كنت مجيبا ومسموعا .
(٢٢) وكنا نعيش في الخير حتى أصابنا ما أصاب الأقيال من قبلنا .
(٢٣) وحل بنا التفرق ، فكأنا لم نجتمع أبداً على الرغم من طويل اجتماعنا .
(٢٤) الندمان ، النديم ، وأراد بندمانى جذيمة ، مالكا وعقيلا ابنى فارح بن كعب من بنى القين بن جسر بن قضاعة ، نادما جذيمة الأبرش حين ردا عليه ابن أخته عمرو بن عدي ، فحكمهما فاختارا منادمته ، فكانا نديميه دهرا ، ثم قتلهما .
(٢٥) إن مالكا فارقنا وهو محمود الخصال ، وفى ذلك بعض عزاء لمحبيه .

على هامش النقد - بقية -

والصواب « على ابن أبى بكر » وهو محمد وفى الحديث عن « المؤامرة الكبرى وقتل على رضى الله عنه » قال « دبر ثلاثة من الخوارج فى موسم الحج عام ٤٠ هـ وهم عبد الرحمن بن ملجم من بنى تميم والبرك وعمر بن بكر التميمى كلهم من بنى تميم والمعروف أن عبد الرحمن بن ملجم من مراد ومراد قبيلة يمنية . وأكد المبرد فى الكامل أن الثلاثة هم عبد الرحمن بن ملجم ، والحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك وزاد وبه مولى بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، فالأغلبية تميمية .

وكان يسرنى أن يعرض الكتاب - وهو مفيد وسديد المعلومات على لجنة للمراجعة أو مراجع يتفرغ له حتى يجىء الأسلوب العربى خاليا من الأخطاء التى أشرنا إلى بعضها ولا سيما أن الكتاب يدرس ويتلقاه الطلاب والله الموفق .

بسم الله الرحمن الرحيم

قيمة الاشتراك سنوياً

١ - جمهورية مصر العربية (٤,٨٠) اربعة جنيهات وثمانون قرشاً .

٢ - اتحاد البريد العربي الافريقي [بالبريد الجوي] (٣٥) خمسة وثلاثون دولاراً او ما يعادلها .

٣ - باقى دول العالم (٧٠) سبعون دولاراً او ما يعادلها .

وتطلب رأساً من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الأزهر ..

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية ـ عيد الفطر لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	٩٧٧
● رحم الله شيخنا حسنين محمد مخلوف د . علي أحمد الخطيب	٩٨١
● عصمـة الأنبيـاء للأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم القيعى	٩٨٦
● الخليفة الشهيد : عبدالله بن الزبير بن العوام للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم	٩٨٩
● الحياة الطيبة جزاء للمتقين لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	٩٩٥
● التابعون تلامذة الصحابة : مجاهد بن جبر لفضيلة الشيخ أحمد حسن جابر	١٠٠٠
● تزكية النفوس في عالمنا المعاصر للدكتور كارم السيد غنيم	١٠٠٤
● فتـح جزيـرة قبرص لواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ	١٠٠٩
● المستشرقون والموضوعية للأستاذ الدكتور أحمد عبدالحميد غراب	١٠١٣
● الفتـاوى للشيخ على حامد عبدالرحيم	١٠١٦
● مناقشة امثلة من الاجتهاد الجديد ـ ٣ ـ لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة	١٠٢١
● من اعلام الأزهر ـ الدكتور محمد البهى لفضيلة الدكتور توفيق محمد شاهين	١٠٢٨
باب العلوم الكونية	
● العلم في منظوره الجديد للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	١٠٣٦
باب الشعر **اشراف د. حسن جاد**	
● أهـلا بقدومـك ياعيـد شعر الأستاذ رشاد محمد يوسف	١٠٤٢
● زاد الآخـرة شعر الأستاذ كامل أمين	١٠٤٣
● طرائـف ومواقـف للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب	١٠٤٤
● من روائع الماضى ـ اختلاف الراى لا يبرر الجريمة لفضيلة الشيخ محمد عبدالتواب	١٠٤٦
باب اللغة والأدب والنقد	
● من قضايا الاختزال في كلام العرب للأستاذ عبدالستار عبداللطيف أحمد سعيد	١٠٥٠
● قراءة في نص من التراث للدكتور حامد الخطيب	١٠٥٦
● على هامش النقد ـ اولئك هم الراشدون للأستاذ السيد حسن قرون	١٠٥٨
● مـن خيـر ما نشـر للأستاذ عادل رفاعى خفاجة والأستاذ أحمد تقى الدين	١٠٦٤
● انبـاء وآراء إعداد : الأستاذ عبدالمنعم فودة والأستاذ صفوت عبدالجواد	١٠٧٠
● القسم الانجليـزى المقالة الثانية للأستاذ فتحى محمود يوسف	١٠٨٠
المقالة الاولى للدكتور أنس مصطفى النجار	١٠٨٦

degraded them to levels lower than that of beasts. This is the choice granted to man of doing good or doing evil. That man should undertake Divine like attributes (in any very small degree) of Will, Forbearance, Love, Mercy, and other qualities, made it possible for Mankind to come closer to Allah, than was possible for any other creature. That is part of the Divine Will and Plan for Mankind. However, the task and challenge was tremendous; and it was only through the grace of Allah to those who did their best and made an effort on the path.

How are Human Beings depicted in the Holy Quran? Are they good? Are they evil? Are they either very good or very evil? Are Human Beings shown as double-natured creatures. How is it, that the Holy Quran praises them to the highest point and at the same time reduces them to the lowest point. It is true that Human Beings are double natured creatures half to be praised and half to be blamed. But they are not praisworthy or blameworthy because of the duality of their nature. In the logic of the Holy Quran, Human Beings enjoy all potential perfections and they should direct themselves to bring these inclinations to the stage of action. Therefore, Mankind has to structure himself and endeavor on the path. The original condition for the attainment of human elegance and goodness is "Faith". Faith is the basic step towards piety and rightousness. It is through faith that knowledge is converted into a useful mechanism of self betterment.

It is apparent that Allah's vicegerent on earth whom the angels praise and for whom there is all goodness and all perfection, is the Human Being who is attrributed with "faith" as the Absolute Reality. The human being without "faith" is a tragic, imperfect being. Such a creature appears to be avaricious, murderous, greedy and parsimonious. Such a person is faithless. Faithless disblievers are not human. Should the human being join the True Unity, believe in it and set his or her heart at rest upon a thought of it, he will then attain all perfections. On the contrary, should that person be heedless of Allah he or she will resemble a tree which has disintegrated at the roots. The Holy Quran give a comprehensive description of those. "Many are the jinns and men we have made for hell. They have hearts wherewith they understand not, eyes wherewith they see not, and ears wherewith they hear not. They are like cattle, nay more misguided; for they are heedless (of warning) (Surat Al-Araf, VII, 179).

of fluid. But He fashioned him in due proportion, and breathed into him something of His Spirit. And He gave you (the faculties) of hearing, of sight, and knowledge and intuition; little thanks do ye give" (Surat Al-Sajda, XXXII, 7 - 9).

The creation of mankind comes about as a paragon of the most supreme pattern of perfection. This excellence of creation enriches mankind with high versatile facultative abilities of both bodily and mental functions. The design purpose of such unique creation is the Divine Plan of the Supreme Being "Allah" to give knowledge, endow grace and virtue, selectively choose man out of all creation as the vicegerent of Allah on Earth. The final scheme was to associate humanity with a workplan of duties, responsibilities and codes of limitations. For such, "Allah" has provided doctrines of guidance "But his Lord chose him (for His Grace); He turned to him, and gave him guidance". (Surat Taha, XX ,122).

Therefore the scheme of creation of Mankind gives man the freedom and independance to choose, either to keep trust and covenant with Allah, or reject and deviate in conduct and thought. Mankind has the responsibility to fluorish on earth by means of knowledge and cultivation, through effort, labour and initiative. This Divine trust was selectively assigned to Mankind. This exact understanding was distinctly expressed in the Holy Quran: "We did indeed offer the Trust to the Heavens and the Earth and the Mountains; but they refused to undertake it, being afraid thereof. But Mankind undertook it; he was indeed unjust and foolish". (Surat Al-Ahzab, XXXIII, 72).

The Trust is the Divine qualities that Allah has granted Mankind; and given the power of disposition and the freedom to use it as expected or misuse it. The Heavens, the Earth, and the Mountains are symbolic of strength and firm resolution in obediance to their fixed laws, they have no free will to deviate from the Divine plan designed for them. In this case, there is no Trust. These creations preferred to submit their will entirely to the Will of the Creator who is All-Wise and Al-Perfect; and this satisfies them more than the faculty of choice, with their imperfect knowledge. Mankind on the other hand, with all the knowledge offered to him betrayed the Trust, and brought punishment upon himself. However, few are virtuous and good and were able to ascend in spiritual elevation to levels of nearness to the Transcendant Creater. This cartainly becomes a high ranking position of Mankind. However, the evil action and corruption of some humans and their deviation from the Divine Will has

→

imperfection of knowledge, and fully acknowledge the scholarly abilities of mankind. These particular qualities of knowledge, initiative, passions of love and feelings were put the Creator into the nature of man. By such abilities granted by Divine Will, Mankind became suitable for the office of Vicegerent on Earth.

The primordial nature of mankind originates from absoluteness of credence in Divinity, and submits in confident recognition to the Reality of the Supreme Being. All the doubts, denials and opposing thoughts, are the outcome of deviations from the true infallible authentic nature of Mankind. The extent and degree of these denials are function of the angle of deviation from the path of Reality and inherent true nature of Mankind. In the text of the Holy Quran, an implied covenant of the whole humanity has been established. "when thy Lord drew forth from the children of Adam - from their loins - their descendants, and made them testify concerning themselves, (saying) "Am I not your Lord (who cherishes and sustains you)" ?; They said "Yea, we testify" (This) lest ye should say on the day of judgement : "of this we were never mindful". (Surat Al-A:raf VII, 172). The text of this Quranic verse implies that the Supreme Being "Allah" has taken convenant from all Humanity (as descendants of the children of Adam) born or unborn without any limit of time. Humanity was granted by "Allah" certain powers and faculties whose possession dictates on Humanity special spiritual obligations which must be faithfully discharged. The acknowledgement by Mankind that Allah is the Creator, Cherisher, and Sustainer, implies inherently the duties and responsibilities of Mankind towards the Creator which flow from the very primitive nature of mankind when it is pure and uncorrupted. The latent faculties of mankind teach him the distinction between virtue and evil.

Mankind is incarnated by Divine Will to possess several inherent sets of divine heavenly spiritual elements which are other than the material constituents that exist in animals, plants and inanimate matter. They are an amalgam of nature and metaphysics, matter and sense, body and soul. In its basic ingredient composition, the material body is a piece of clay, which is another term of primeval matter. This matter in its most fundamental constituent was created by the Creator "Allah", The One Supreme Being. This original foundation of understanding the Reality of Creation is explained with precision in the text of the Holy Quran. "Such is He, the Knower of all things, hidden and exposed, the Exalted, the Merciful. He who has made Everything which He has created most good. He began the creation of man with clay; and made his progeny from a quintessence of the nature

MANKIND IN THE HOLY QUR'AN

By : Fathy Mahmoud Yousef

Mankind is associated in the Holy Quran essentially with the concept of rational thinking and understanding , and with infinite perpetual ability of mental performance. The creation of mankind is considered a sign of Divine Omniscience; the physical and spiritual structure of extreme intricacy segregates Mankind as masterpiece of creation of great mystery and complexity.

In the text of the Holy Quran, Mankind is repeatedly praised as well as being repeatedly reproached and intimidated. Mankind is looked upon as more supreme than the creation of Heavens and Earth. At the same time, Mankind is addressed as being meaner than devils and lower in rank than beasts of burden. They are regarded as creatures who can acquire mastery of knowledge, wisdom of the sages, and the purity of the angles; yet so degraded to descend to the lowest of the low. That is Mankind.

The question remains, what determines the conduct and function of Mankind and finally influences their ultimate lot. The Holy Quran designates Mankind as the vicegerent of the Creator on earth. The Holy Quran states: "Behold, thy Lord said to the angels, I will create a vicegerent on the earth. They said, Wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood? whilest we do celebrate Thy praises and glorify Thy name. He said, I know what ye know not (Surat Al Baqarah, II, 30).

It would seem that the angles though holy and pure, and endowed with divine power from Allah, yet represent only one side of creation. The angles possess no independent wills of their own, their perfection in otherways reflected the perfection of creation through Will of the Creator. However, they were not raised to the dignity of vicegerency. The perfect vicegerent is he who has the power of initiative himself, but whose independent action always reflects perfectly the will of his principle. The angels in their one sidedness saw only the evil consequent on the misuse of emotional nature by man; perhaps they also , being without emotions, did not understand the whole of Allah's nature which grants and seeks for love. The angels acknowledge their

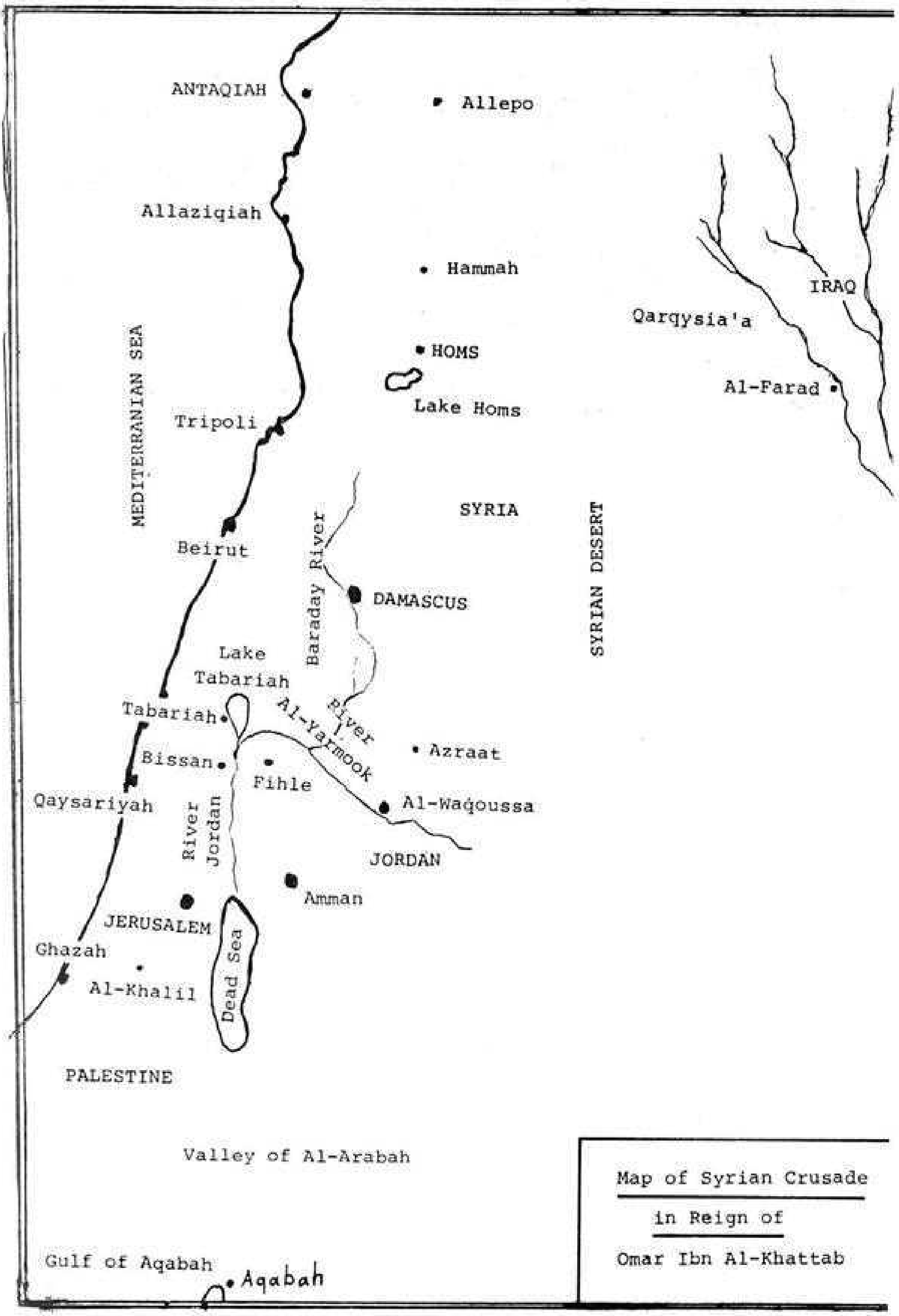
ANTAQIAH
Allepo
Allaziqiah
Hammah
IRAQ
Qarqysia'a
HOMS
Lake Homs
Al-Farad
MEDITERRANIAN SEA
Tripoli
SYRIA
SYRIAN DESERT
Baraday River
Beirut
DAMASCUS
Lake
Tabariah
Tabariah
River
Al-Yarmook
Azraat
Bissan
Fihle
Qaysariyah
Al-Waqoussa
River Jordan
JORDAN
Amman
JERUSALEM
Ghazah
Dead Sea
Al-Khalil
PALESTINE
Valley of Al-Arabah
Gulf of Aqabah
Aqabah
Map of Syrian Crusade
in Reign of
Omar Ibn Al-Khattab

conditions as those offered to Damascus. These were followed by the districts of Azra'at, Amman, and several others. They all agreed to terms of truce with the Muslims. The whole territories of Jordan had resigned and consented to Muslim presence. Muslim warriors were stationed in selected places, leaving the administration and self rule to the local inhabitants. Human rights, individual and social justice prevailed according to Islamic law of government. The whole territory of Jordan had accepted Muslim presence from the desert boundaries to the sea coast. Damascus the heart of Syria had also been occupied by Muslim warriors, and the Muslim armies, under Ubaydah ibn Al-Garrah advanced towards Homs, the stronghold of the Roman military power. Sherahbyl ibn Hassanah and Amre ibn Al-Aas were left behind with troops to crusade into the south region of Jordan then proceed south to reach Jerusalem and the rest of Palestine.

→

administration to the inhabitants. They practiced their faith side by side with the Christians of Damascus, they established law and order, social justice and equality, fundamentals of human rights and security. Such values were not valid during Roman occupation, however, they became highly justified and optimized when the Muslims introduced the Divine teachigns of the Muslim faith.

According to the instructions of Omar ibn Al-Khattab, Abu Ubaydah ibn Al-Garrah dismissed from his troops those who had come from Iraq with Khalid ibn Al-Waleed to reinforce the Muslims against the Romans at Al-Waquosa on Al-Yarmook, as was ordered by Abu Bakre Al-Siddiq. Abu Ubaydah commissioned Hashem ibn Utbah to command eight thousand men who had come from Iraq including substitutes for those who died; and ordered them to march to Iraq. These men reached Al-Quadissyah on the morning of the second day of battle between the Muslims and the masses of Persian forces. Abu Ubaydah then proceeded with the rest of the Muslim armies to Fihle where Roman legions had gathered to reach considerable strength in the valley of Bissan. Yazied ibn Abu Sufyan was commissioned to command the garisson that remained behind to guard Damascus. When the Muslims arrived near the valley of Bissan, Sherahbyl ibn Hassanah took over the command of Muslim forces, since that was the territory where Sherahbyl should take command according to the initial instructions of Abu Bakre at the start of the Syrian Crusade. Sherahbyl as commander sent a contingent to occupy lake Tabariah, commissioned Khalid ibn Al-Waleed to lead the vanguard of the army, Abu Ubaydah and Amre ibn Al Aas on the flanks, and Dhirar ibn Al-Azwar to lead the cavalry. These forces advanced to cross Al-Yarmook river, Al-Yarmook river, crossed the Ghor Valley to reach Fihle where they remained facing the Roman legions at Bissan. Months before, the Roman legions afraid of Muslim advance, had flooded the area around Fihle with waters from lake Tabariah. By the time the Muslims reached the area, the flooded ground had relatively dried, and the Roman commander thought that he could take the Muslims by surprise attack and defeat them. The events that took place were contrary to his expectations; and the Muslim forces were highly harnessed awaiting for the Roman attack. The Muslim forces were ultimately victorious in this battle, and inflicted very heavy losses in the ranks of the Romans.

Ubaydah ibn Al-Garrah and Khalid ibn Al-Waleed proceeded north to Homs. Sherahbyl and Amre ibn Al Aas advanced from Fihle to Bissan, and Tabariah was still besieged. By that the Muslim forces were stratigically divided into separate divisions. The district of Bissan finally capitulated according to terms of treaty; Tabariah followed on similar

army chiefs; Abu Al-Aawar Al-Sulmy moved at the head of contingents to engage Fihle.

The Muslims reached the lowlands (Ghoutah) of Damascus where the waters and green pastures. They were fascinated and overwhelmed by the splendor beauty of richness of nature. The main city of Damascus was behind strong walls of considerable height and thickness with towers and fortified stations from all sides. Around the walls was a moat flooded with water from the Baraday river that crossed the City of Damascus. Ibn Al-Garrah realized that the only strategy to occupy the city of Damascus was to besiege it in a tight blockade. He occupied the buildings of the lowlands as quarters for his men; and ordered some of his men to garrison the road to Homs, and others to garrison the road to Palestine. By such actions, Ibn Al Garrah settled to prepare for a long siege of Damascus. He instructed his army commanders to surround the city walls and each to take station at one of the gates. Amre ibn Al-Aas was stationed at the Gate of Tawma'a, Shurahbyl ibn Hassanah at the Gate of Faradis, Yazied ibn Abi Sufyan at the Gate of Kissan, Khalid ibn Al-Waleed at the East Gate, and Ibn Al-Garrah at the Gate of Al-Gabiah. The siege of Damascus by Muslim warriors was long and bitter. The Roman high command at Homs sent forces the relieve the siege, but these forces were defeated by Muslims guarding the Damascus Homs road. The siege lasted for seventy days, other narratives mention longer periods of four months. Finally, the city of Damascus surrendered on terms of truce between the inhabitants of the city and Abu Ubaydah ibn al-Garrah as commander of Muslim warriors.

Different chronicles give various versions of how Muslim forces fought their passage into the city under Khalid ibn Al-Waleed through the East gate, while the rest of the city capitulated to ibn Al-Garrah without combat. Inspite of the various narratives in this respect, the final issue of importance was that the Muslims the final issue of importance was that the Muslims occupied the city of Damascus, and that Abu Ubaydah ibn Al-Garrah signed as detailed truce agreement that was arranged and accepted by both parties. By such terms of truce, the inhabitants of Damascus were granted safety of individuals, of property, of churches, of monstaries, and of self rule. The terms of truce included that the inhabitants of Damascus should pay a recompense "Jiziah" for the safety granted, which amounted to one Dinar per capita of population. This artricle of Jiziah was amended by Omar ibn Al-Khattab in a manner that made the "Jiziah" per capita according to the various classes of society, the affluent, the middle class, and the poor class. By the terms of truce, the Muslims settled in Damascus, leaving the social

the reign of Abu Bakre, four Mulsim armies were dispatched to these territories, under the command of Ubu Ubaydah ibn Al-Garrah, Iqrima ibn Abi Jahl, Yazied ibn Abi Sufyan, and Amre ibn Al-Aas. These separate armies were confronted with intense massive Roman opposition, which compelled the four armies to come together at Al-Yarmook. The Roman legions prevented the advance of th Muslim consortium, and took positions facing them on the opposite bank of the Al-Yarmook river. The situation remained stagnant without progress. Abu Bakre Al-Siddiq wrote to Khalid ibn Al-Waleed who was at the head of the Muslims warriors in Iraq, to speed to Syria with some of his men, and to command the entire Muslim forces assembling at Al-Yarmook. Another month passed after the arrival of Khalid ibn Al-Waleed to command the Muslims at Al-Yarmook without any military engagement. During that crucial period, Abu Bakre Al-Siddiq had died, and Omar ibn Al-Khattab was chosen to succeed Abu Bakre at the head of the Muslim state.

One of the early warrants of Omar ibn Al-Khattab after his proclamation was the exemption of Khalid ibn Al-Waleed from the Syrian command, and the appointment of Abu Ubaydah ibn Al-Garrah as commander of all Muslim forces in Syria. While Mahmeyah ibn Zeniem and Shaddad ibn Aws were carrying Omar's message from Al-Madinah to ibn Al-Garrah at Al-Yarmook, Khalid was actively preparing to go into battle against the Roman forces. Both messengers arrived at Al-Yarmook on the morning of the battle, and handed the message of Omar ibn Al-Khattab to Abu Ubaydah ibn Al-Garrah who did not disclose the contents of the message except after the Muslim forces ascertained their victory against the Roman Legions. However, other chronicles relate that Ibn Al-Garrah did not disclose the contents of the message except after the capitulation of Damascus, and until then, Ibn Al-Garrah had remained under the command of Khalid ibn Al-Waleed.

Abu Ubaydah wrote to Omar the news of the Muslim triumph at Al-Yarmook, and sent to Al-Madinah one fifth of the spoils of war, according to Islamic Law of Shariah. Abu Ubaydah informed Omar that he intended to advance towards Fihle to pursue the retreating Romans, and leave behind Basheer ibn Saad ibn Ubii Al-Himiary at Al-Yarmook to safeguard Muslim positions there. Omar ibn Al-Khattab wrote to Ibn Al-Garrah instructions to start the major advance towards Damascus, and engage Fihle with contingents who were to operate on a strike and scram strategy. After Damascus surrenders, the Muslim armies should attack Fihle, then move north to Homs. According to the instructions of Omar ibn Al-Khattab, Abu Ubaydah ibn Al-Garrah moved towards Damascus commanding the bulk of Muslim warriors with Khalid ibn Al-Waleed and other

OMAR IBN AL-KHATTAB

The Triumph at Damascus

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The roots of Muslim dominance in Iraq had become well established and the presitge of governance of the Islamic faith had gained definite ascendancy of eminent stature. The disciplines and reforms of the new administration had legalized a status of social justice, human individual rights and dignity. The despotic anarchy of the Persian occupation of Iraq, and the regnancy of the Sassanian Persian Empire over the Tigress and Euphrates valleys had come to a resolute determined end. The Persian regime in Iraq had been terminated, and the whole country was remoulding itself into a new pattern of life and intellectual ecumenism. The Islamic creed introduced new concepts of belief, new doctrines of life, new values of human existance, new maxims of liberalism liniency and magnanimous social tolerance. The temperament disposition and mental attitude of the population masses was taking a course towards the actuality of objective reasoning. The validity of rational realism was justified by the recognition of Islam and the acceptance and endorsement of its precepts. The objective design purposes of the Iraq crusade had been achieved. The Islamic faith had certainly propagated beyond the confines of the Arab Peninsula; and the juvenile young developing Muslim nation had become protected against Persian aggression.

The imperativ_ dictate mot L'ordre of Ameer Al-Moomineen Omar ibn Al-Khattab to the Muslim warriors in Iraq was not to follow the Persians into the vast plains of the Persian inland, and to remain within the confines of the Tigress and Euphrates valleys. The function of Muslim warriors in Iraq was to establish law and order, to maintain self governance for the population, to defend the territories from external aggression, and to help proliferate the doctrines and jurisdiction of the Islamic faith, without compulsion or subjugation.

During the time Muslims were gaining dominance in Iraq, against the tyranny of Persian Empire; Muslims warriors were achieving grand triumphs in Syria, Jordan and Palestine against the pontific sovereignty of the Roman Empire. During

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART X

SHAWWAL 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

The Triumph at Damascus.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Mankind in the Holy Qur'an

By: Fathy Mahmoud Yousef.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ذو القعدة ١٤١٠ هـ
يونية ١٩٩٠ م
الجزء الحادى عشر
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحب الخالص

واسمى الحب حب الله .. سبحانه ... فهو كمال المحبة .

كتب ابن القيم - فى « روضة المحبين » :

«وكمال المحبة هو العبودية ، والذل والخضوع ، والطاعة للمحبوب ، وهو الحق الذى به وله خلقت السموات والارض والدنيا والآخرة ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ . . . . ﴾

والحقُّ الذى خُلِقَ به ، ولاجله ، الخلقُ هو عبادة الله - وحده - التى هى كمال محبته والخضوع والذل له .... »(1)

والذين مَنَّ الله عليهم بحبه فسلكوا - مبصرين - طريقَهُ ، ومارسوا - مخلصين - اسبابه هم اولياء الله ، لايصرفهم عنه صارف ، وليس يطلبون إلا رضاه ، فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، نَعِمُوا - من بين الْخَلْق - بحب الله لهم ، وغَيْرَتِهِ عليهم حتى لقد اوصى المسلمين بإكرامهم والتعلق بهم وتفضيلهم ، فقال - عز وجل - إرشادا لنا لاداء حقهم فى خطابه لأكمل خلقه محمد - صلى الله عليه وسلم :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف ٢٨ .

فليس ينصرف عن هؤلاء إلا مُعرِض عن حب ربه ، مُقبل على الدنيا وزينتها شَغِفٌ بهواه مُدَلَّهٌ بشيطانه مُفرِطٌ فى ذنبه .

وليس كذلك المُحِبُّونَ الله .

إنهم مقبلون على ربهم بطاعته ، ودوام عبوديته ، معرضون ـ من أجله ـ عن الكافرين والمشركين والمنافقين والمستهزئين والجاهلين ، فأولئك ـ جميعا ـ فريق حَادَّ الله وعَادَاهُ فعاداهم،وتَجَنَّبهم مَنْ أحبَّ الله ، قال تعالى :

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾المجادلة ٢٢ .

فما بالك بمن اتخذهم أولياء ، وطمع منهم فى نُصْرَةٍ ، أو إِقَالَةٍ من عَثْرَةٍ .

إنه ـ إذاً ـ مثلهم فى الوِزْر :

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا . وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾النساء ١٣٩ ـ ١٤٠ .

والمحبون الله يعلمون أنه لاخير فى هذه الفرق فإن أهلها ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ التوبة ٨ ـ ١٠

لذا جاءت آيات الكتاب العزيز مرشدة هادية توضح ماينبغي من سلوك نحوهم ، فقال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا . إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ النساء ١٤٤ ـ ١٤٥

وقال ـ تعالى ـ فى المنافقين :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ النساء ٦٣ .

فأما المستهزئون فهم أعداء هذا الدين المنطوون على نفاق ؛ قال ـ تعالى ـ فى شأن استهزائهم :

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ التوبة ٦٥ ـ ٦٦ .

فَلْيَحْذر مُسْلمٌ أن يلهو بشىء من الكتاب العزيز ، أو السنة الشريفة كما يفعل بعض « أهل الفن » .. فهذا حكم الله نسأل الله ـ تعالى ـ التوبة لنا جميعا . قال ـ سبحانه :

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الأنعام ٦٨

وقال ـ عز من قائل : ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾الأعراف ١٩٩ .

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾النجم ٢٩ .

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنا إليك .

وصل اللهم وسلم وبارك على مصطفاك وخير خلقك محمد خاتم النبيين والمرسلين وسلم تسليما .

د. علي أحمد الخطيب

(١) ص ٥٩ ـ ٦١ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت

مع الإمام الأكبر

الحج منحة ربانية

حديث فضيلة الإمام الأكبر
إلى "مجلة التضامن الإسلامي"

الحج منحة ربانية

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

هذا الإنسان الذى استخلفه الله فى الارض ليعمرها بالعبادة والعمل ، العبادة للذى خلقه وسواه وكرمه وعدله فى اى صورة ما شاء ركبه ، لم يخلقه مكبا على وجهه او زاحفا على بطنه او من ذوات الاربع ، وإنما صوره منتصب القامة عالى الهامة ، مزودا بالعقل مميزا به عن سائر المخلوقات التى طوعها لخدمته ، تحمل اثقاله ، يستخدمها فى زراعته وفى صناعته ومنها غذاؤم وكساؤه .

ولقد أتم الله عليه نعمته فكلفه بالعبادات التى تهذب نفسه وتنمى عقله وفكره ، ويروض بها سلوكه ويقوم معوجه ويستديم بها المودة فى مجتمعه ، فالعبادات التى شرعها الله للناس كان من ابرز أهدافها ترويض المسلمين على الاجتماع والتلاقى فى ظل الرحمن ، تعويدا لهم على ضم الصفوف واتحاد الكلمة وتجاوز أسباب الخلف والاختلاف ونزوات التمزق والشقاق .

ومن هذه العبادات فريضة الحج ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ هذه الفريضة تهدف إلى معان سامية ، وتدعو إلى التقاء القلوب ، واتحاد الافئدة ، وتوثيق الروابط وجمع كلمة المسلمين الذين يتوافدون من مشارق الارض ومغاربها استجابة لامر الله ونزولا على حكمه ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ .

وهاهى وفود المسلمين تترى إلى بيت الله الحرام تجمعهم غاية واحدة ويسعون إلى هدف واحد هو عبادة الله سبحانه استجابة لدعوته ، يسارعون إلى اداء المناسك متجردين من زينة الحياة الدنيا من فاخر الملابس وطيب الطعام ولذة الراحة ، يرجون رحمة الله ، إنهم جاءوا شعثا غبرا يبسطون ايديهم وارديتهم على عرفات داعين تلهج السنتهم بالذكر وقلوبهم مليئة بالشكر لله ، الذى انعم عليهم بأداء هذه الفريضة وزيارة بيته الحرام ، يعلمون ان فى الحج حرمتين : حرمة الزمان ، وحرمة المكان .

وبهما يقوى شعور المسلم بحرمة هذا الركن من أركان الإسلام : الحج ، فيصبح المسلم ويمسى مرهف الحس قوى النفس ، كانما يتحرك بين يدى ربه ، انى رحل كان فى طاعة ، يحاذر ان يعصى وهو فى الحرم وفى الاشهر الحرم ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ وحرمة المكان ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ .

لما كانت هذه الفريضة تؤدى فى زمان له حرمة ومكان له حرمة كانت المعصية فيهما اغلظ وأشد ، بل

لقد ذهب فريق من العلماء إلى أن مجرد إرادة المعصية فى هذه الرحلة الربانية أغلظ وأشد منها إذا وقعت فى غير هذا المكان وذات الزمان يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

فهل رأت الدنيا أمانا فى الزمان والمكان وتدريبا عمليا على الاستقامة كهذا الذى صنعه الإسلام فى فريضة الحج .

فى الحج استشعار القلوب الطمأنينة والصفاء والنقاء والتخلى عن الحقد والبغض والحسد لأنها قد اجتمعت لعبادة جماعية فى مؤتمر عام يتساوى فيه الحجاج فى لباسهم وطوافهم وسعيهم وتجمعاتهم وابتهالاتهم وخشوعهم وخضوعهم ودعائهم لربهم . والله أكرم من أن يردهم خائبين .

روى ابن ماجه بسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال - :

(الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ، إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وأن شفعوا شفعوا) .

ويقول الله سبحانه : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ .

أليس الحج بهذا وغيره من المقاصد والأهداف منحة ربانية ومدرسة روحانية تصفو فيها القلوب وتتخلص من أدران الحياة ؟

وأليس الحجاج وفود الرحمن يتعاونون على البر والطاعة ويتعارفون ، ويتوادون ويتحابون مع بعد الأوطان واختلاف الألوان واللغات .

أليس الحج موسما لتنمية الصلات وتوثيق الروابط بين شعوب المسلمين وفيه مصلحة للفرد ولجماعة المسلمين ؟ هلا أخذ المسلمون من هذه الفريضة ماترمز إليه فى مناسكها ؟ فالإحرام واللباس والتحركات الواحدة يعنى كل هذا وحدة المصير للأمة ، والطواف حول الكعبة يعنى إلغاء كل مايكون من محاور وجماعات وتوجهات والعكوف على محور واحد هو شرع الله رب هذا البيت الذى شرع الطواف حوله ، كما شرع التوجه إليه فى الصلاة قبلة لكافة المسلمين توحيدا وتلاقيا على موقع واحد من أهل ملة الإسلام كما اتحدت عقيدتهم وأقوالهم وأفعالهم أثناء عبادة الصلاة وتلك ميزتهم عمن سواهم .

إن من مقاصد الحج وأهدافه تحقيق الوجود الإسلامى الموحد وإظهار قوة المسلمين ، فهل لهم أن يستفيدوا من هذه العبادة فى مواجهة ما أحاط بهم وأن يكونوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص : اللهم اهد المسلمين إلى صراطك المستقيم واجمع كلمتهم وكن لهم ولاتكن عليهم فضلا منك ورحمة وانفع الامة بهذه الدورة التدريبية فى الحج لتجتمع كلمتها ويشتد ساعدها وتسارع إلى ضبط النفس وتتسلح بالصبر وبالعفو حتى تواجه ماحاق بها فى هذا العصر وتجمعاته المناوئة لهذه الأمة .

إن الحج فريضة يؤاخذ الله فيها بمجرد : الهم ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : (لو أن رجلا يِعَدّن هم بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذابا اليما) .

فكونوا أيها الحجاج على حذر من أية خطيئة وعليكم أن تتوخوا الطاعة ولاء لهذا البيت وحفاظا على ما أنعم الله به عليكم .

ففى الحج منافع ليست مقروءة فى كتاب ولكنها ممارسة فى واقع العمل الصالح الذى تهدونه إلى هذا المقام ، وليست المنافع دينية فحسب ولكنها شاملة للدين وللدنيا رحمة من الله وتوسعة على عباده .

وفى قول الله سبحانه : ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ فقه التدريب على الأعمال ووجوبه ضمانا لإحسانها وأدائها على وجهها سواء كانت للدين أو الدنيا . ولعلنا فى هذا نذكر من الآثار الكريمة للتدريب . (صلوا كما رايتمونى أصلى) وفى الحج : (خذوا عنى مناسككم) .

مسارات السلوك فى الحج

فى موسم الحج ينبغى أن نتذاكر أدب السلوك السوى الذى شرعه الله ودعا إليه حتى يستقيم أمر المسلمين .

وللسلوك القويم مسارات تدعو بذاتها روادها إلى دروبها المعبدة الموصلة إلى رضا الله ونوال الحسنيين ، الاستقامة فى الدين والدنيا وفى إيجاز نرتاد بعض هذه المسارات .

فهذا الأمن المكانى للحج هبة من الله ومنحة لزوار بيته يشير إليه قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى . . ﴾ .

هذا الأمن أساس للاستقرار النفسى وقاعدة للاستمرار فى العبادة وتجويدها بالإخلاص والإنابة ، وقد ارتبطت العقيدة بالمكان : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ .

وأول مسارات السلوك ذلك الإحرام ومحظوراته حيث به يتغير ما اعتاده المسلم والمسلمة فى حياته اليومية من لباس ورياش وأحاديث إلى تجرد من ذلك كله وتسربل بسواتر للجسد خلصت من المخيط ومن كل ما يصنعه الإنسان للإنسان من تجميل وزينة .

إن المسلم حين يتجرد مما اعتاده يكون قد انخلع جسدا ونفسا ، ظاهرا وباطنا مما ارتبط به فى حياته اليومية من الشواغل البدنية والنفسية وتفرغ لهذه العبادة : الحج ومناسكه ، هاهو يلبى ، يكبر ويهلل ، هاهو يتلو القرآن ويعرض نفسه وأعماله وسلوكه على آياته حتى يستبين درجته فى الطاعة لله .

هاهو يقاوم نزوات النفس ونزغات الشيطان ، فيمسك اللسان عما حرم الله ويغض البصر امتثالا لأمر الله ، ويملأ البصر والبصيرة بحرم الله ، هاهو المسلم المحرم قد نسى أو تشاغل بحاضره مع ربه عما انشغل به من مال وولد ، فحصر فكره وجهده وحاسب نفسه حتى لا يقع فى محظور أو يأتى عملا منكورا ، إنه قد استمع إلى قول الله سبحانه : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ . فاستقرت نفسه بين جنبيه ، فقد ضمن الله زاده وريه وطهوره ، فما عليه إلا أن ينصرف إلى هذه المهمة : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ .

احرام متواصل يذكر الإنسان بمآله ، فيخشع منه القلب ويقشعر البدن ، وتنصهر الذنوب وتمحى ، ويتخلص من عقدة الخطايا والذنوب والآثام : (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

إن الإحرام وما يتبعه من انصهار وإخلاص وانصراف إلى العبادة كل العبادة مسار مستقيم نحو الأمن النفسى للفرد المسلم الذى ارتحل مهاجرا إلى الله مستجيبا دعوته ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ .

هذه الهجرة إلى الله تتوافر بها كل مقومات الأمان لنفس المسلم واطمئنانه حيث يتخلص من القلق والتوتر الذى عجزت عن معالجته ووقف آثاره ، اجتهادات العلم المعاصر وعقاقيره ، ولكنه الله الذى خلق فسوى شرع هذا الحج عبادة ورياضة جسدية ونفسية قوامها النية : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى ..) والاخلاص والتجرد لهذه العبادة .

ثم هذه الإخوة الإسلامية التى تتجلى فى هذه الجموع التى حشدت ليوم الحج الأكبر من الذى

ناداها ؟ ومن الذى هداها ؟ ومن الذى حركها من مأواها هذه الحشود المختلفة لونا ولسانا ولكنها تنشد رضا الله الواحد الأحد الذى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

إنها قد استمرات وعورة الطريق مهما كانت الوسيلة ، وتعالت على كل العوائق والموانع لتنعم بالمثول بين يدى الله فى حرمه تطوف وتسعى كما أمر ، وتلبى وتكبر وتهلل تخلصا مما ران على القلوب من قسوة الحياة ومتاعبها ، وإخلاصا لله ولدينه وشكرا وحمدا له سبحانه على هدايته إلى أداء هذه الفريضة ـ الحج ـ

إن السلوك فى الحج هو الثمرة الطيبة لهذه العبادة ، إذ السلوك القويم ما هو إلا تلك المعانى السامية التى ينبغى أن تظهر باعتبارها المقاصد العظمى لهذه الشعيرة والتى رغب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحرص عليها والبعد عن خبائث السلوك ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه) .

وهذا مصداق قول الله سبحانه : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

ذلك تأصيل من الله ورسوله لمسارات السلوك السوى فى الحج ومن مقتضى هذا أن يباعد الحجيج بين انفسهم وبين الرفث والفسوق والجدال فى مسالك هذه العبادة ، إذ كل أولئك من مدمرات مهلكات ، مثيرات لنوازع الشرور التى غاضت حين تنادت الانفس المؤمنة إلى اللقاء فى حرم الله الآمن تعبده لا تشرك به أحدا ، وفى رحابه تشعر بالأخوة وتصر على تقوية أواصرها ، ولاتبددها بالجدال وبالرفث وبالفسوق .

إن مسارات السلوك فى الحج إذا استقامت على سنن الله ورسوله هديت إلى وعى أخلاقى سليم ليس فحسب فى مدة الحج وإنما صار هذا عرفا قويما وعادة مستقيمة وكسبا محمودا ثم تخلياً عن منكرات السلوك التى لايخلو منها مجتمع ، فما بالنا بمجتمع الحج الذى توافدت إليه أجناس متباينة العادات والأعراف وإن جمعها الإسلام فى صلاته وصيامه وزكاته وحجه وفى ظل كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم .

إن هذا الجمع ـ ولا شك جاء مهاجرا إلى الله وفى مرضاته ـ ينأى عن كل قبيح من الفعال والأقوال ، وهو بهذا ينكر على أولئك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ؟ فينكر المزاحمة فى هذه البقاع المقدسة ، تلك المزاحمة المتعمدة من قبل البعض الذى لا يبالى بما يلحق الآخرين من أذى وضرر لاسيما الضعفاء كالنساء والأولاد والمسنين ، وقد تحتمل المزاحمة الفردية ، لأن آثارها محدودة ولكن المزاحمة الجماعية التى تقوم بها بعض الجماعات باندفاع رهيب مؤذ وغير متناسب مع جلال المكان والزمان والعبادة : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ . وأى فسوق بعد هذا التدافع بالمناكب الذى يتنافى مع مايجب أن يكون عليه الحجيج من خشوع وخضوع وذكر وحمد وشكر ، إذ هم فى الطواف وفى السعى ، وفى الرمى فى عبادات ومناسك كالشأن فى الصلاة ..

إن المسلم حين أحرم بالحج حرم على نفسه كل موبقة تعود به إلى ماقبل الإحرام فليتعاون الحجاج جميعا على أداء هذه المناسك وهم رحماء متراحمون وليعملوا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف) .. وفى نهى الله ورسوله

←

عن الرفث والفسوق والجدال فى الحج دعوة إلى الامتناع فى الحج عن مزاولة ما اعتاده الناس فى حياتهم اليومية من سباب وشتائم وتنابز بالألقاب مع من تعرف ومن لاتعرف ، الأمر الذى يودى بالعلاقات الأخوية التى من مقاصد الحج التمكين لها بين المسلمين ، وقد تكون الدواعى لهذه الآثام من توافه الافعال وسواقط الاقوال .

فليأخذ الحجيج بآداب الإسلام وسلوكياته .

فلا سباب ولا شتائم فإن هذا من الفسوق كما جاء فى الحديث الشريف : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) .

ولاتنابز بالألقاب فقد اعتبره الله فى كتابه فسوقا : ﴿ وَلَاتَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ .

ولاتحاسد ولا تباغض ولاتدابر ففى الحديث الشريف : (لاتحاسدوا ولاتباغضوا ولا تناجشوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) ولا انانية ولاشح بين المسلمين ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ولاكذب ولاخداع ولاغش ولاشهادة زور فإن كل أولئك مما حرمه الإسلام فكيف به بين المهاجرين إلى الله ورسوله فى رحلة الحج ؟

إن وقت هذه الرحلة يجب أن يكون خالصا لله سبحانه يستثمر فى الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن وذكر الله والتقرب إليه ، لاسيما والعبادة فى هذه الاماكن جزيلة العطاء من الله سبحانه ، فصلاة الجماعة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى غيره وفى المسجد النبوى تعدل ألف صلاة فأين الحجاج من هذه الميزات والحرص عليها بدلا من اللغو والغيبة والنميمة والسعى بالفساد فى الأرض .

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ .

ولعل من السلوك القويم أن يحرص الحجيج على طهارة أماكن الشعائر فإنها أماكن عبادة لا سيما وقد أمر الله إبراهيم عليه السلام بتطهير البيت فقال : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ .

فكيف يقدم بعض الحجاج على تدنيس البيت وحرمه وسائر أماكن المناسك دون حياء من الله ولا من الناس ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ إن الاقدام على قضاء الحاجة والتبول فى تلك الأماكن وحولها بل وفى الشوارع والطرق العامة خروج وهتك لحرمات الله ونقض لأوامر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى آدابه ووصاياه لأمته فقد قال « اتقوا اللاعنين » قالوا وما اللاعنان يارسول الله . قال : « الذى يتخلى فى طريق الناس وفى ظلهم » وفى رواية اتقوا الملاعن الثلاثة : (البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل) .

اليس هذا من سوء الفعال التى ينبغى الا تصدر ممن أووا إلى حرم الله واستجابة لدعوته ؟ أليس هذا منكرا وانتهاكا لحرمات الله ، وافسادا فى الأرض ومضارة للناس أصابهم بالنجس وفعل سوء يتنافى مع وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) .

هانحن فى الأشهر الحرم فى الأشهر المعلومات للحج وهذا توضيح لمسارات السلوك الحميد كما رسم الإسلام فى القرآن الكريم وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبضدها تتميز الأشياء ، فلعل من تهيأ لاداء هذه الشعيرة أن يتزود لها وخير الزاد التقوى ..

حديث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

إلى مجلة التضامن الإسلامى

أجرى الحديث : الأستاذ / توفيق عمر حلوانى

- **وصف الغلو بالتطرف أمر غير محمود وهذه نصيحتى للمتغالين فى الدين .**
- **ليس من مهام المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والإغاثة توحيد ميزانيات المنظمات العاملة ولكن التنسيق بين جهودها .**
- **نعم يوجد تزاحم على الأضواء فى العمل الاسلامى وفى ذلك مفاسد ظاهرة .**
- **بالقليل .. يمكن للدعاة المسلمين مواجهة جحافل المنصرين .**
- **لابد من تطوير وسائل الدعوة .**
- **ليس صحيحا أن الأزهر قد قلل كم المواد الدينية وما دار حول الموضوع يتسم بالتسرع .**
- **كل المشروعات الورقية التى تصدر عن المصارف مشوبة بالربا .**

سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الازهر من كبار العلماء المسلمين فى العصر الحديث .. وهو رجل دعوة متمكن وله نشاط ممز فى مجال الدعوة إلى الله والمشاركة الفعالة فى مناقشة وبحث وتبنى قضايا المسلمين المعاصرة ..

ورغبة من مجلة « التضامن الإسلامى » فى إلقاء الضوء على آراء وافكار سماحته حول العديد من القضايا الإسلامية الهامة .. فقد كان لنا معه هذا اللقاء الذى نامل ان يكون فيه ما يهم قراءنا الكرام ويفيدهم .

« مجلة التضامن الإسلامى » مجلة إسلامية شهرية تصدرها وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة .

رجب عام ١٤١٠ هـ .. فبراير ١٩٩٠ م

حديث فضيلة الإمام الأكبر الى "مجلة التضامن"

● فضيلة الشيخ :

صحبت الصحوة الإسلامية التى يشهدها العالم الإسلامى موجات من التطرف والغلو فى الدين استغلها بعض اعداء الإسلام فى تشويه صورة العالم الإسلامى .

كيف يرى فضيلتكم الوسائل التى يمكن بها توجيه الحماس الديني لدى الشباب ليكون فى خدمة الصحوة الإسلامية ؟

الإســـــلام وســـطاً

ـــ ارى أنه لا خطر فى أن تظهر فئة من الناس مغالية فى الدين ، فتلك عادة جرت فى الشعوب جميعاً ، وفى تاريخ الإسلام .. ولكن وصف هذا الغلو بالتطرف امر غير محمود ، فالتطرف معناه : الانحراف عن الدين ، وهؤلاء المتغالون لا يُعتبرون كذلك ، وما يؤخذ عليهم أن يقصروا ذلك على انفسهم وان يتركوا الآخرين بحريتهم فى اتباعهم أو الإعراض عنهم ، لأن اغلبية المسلمين لا يرون الغلو فى الدين ، لأن الإسلام جاء وسطاً بين الأديان جميعاً فيه كل التيسير ، وليس فيه غلو .. ونحن جميعاً نذكر قصة هؤلاء الثلاثة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين ذهبوا إلى بيوت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتساءلون عن عمله ، فلما علموا بعمله تقالوه (اى عدوه قليلاً) ثم اعتذروا عن ذلك فقالوا ما لنا وله ، لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه .. وقال احدهم : اما انا فأقوم الليل ولا انام . وقال الآخر : إننى أصوم ولا افطر وقال الثالث : إنى لا أتزوج النساء .. فلما علم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحديثهم قال لهم انتم الذين قلتم البارحة كيت وكيت أو كذا وكذا .

قال أما أنا : فأصوم وأفطر وأنام وأقوم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى .

فنصيحتى أولاً لهؤلاء المتغالين فى الدين ان يفكروا كثيراً قبل أن يفرضوا آراءهم على غيرهم . وأن يعلموا أن ذلك ليس من الإسلام فى شىء ، وأن الإسلام جاء وسطاً ميسراً لا يكلف الله نفساً إلا وسعها كما قال الله تعالى .

والتطرف بالمعنى الذى ساد بين المسلمين فأشاعوا ذلك عن أنفسهم وغالوا فيه ، ولكن ارى أن ذلك لا يدخل فى التطرف ؛ لأن التطرف فى مفهومى انحراف عن الدين .

● **يرأس فضيلتكم المجلس الإسلامى العالمى للإغاثة والدعوة الذى يهدف إلى التنسيق بين مختلف المنظمات العاملة فى هذا المجال وتوحيد جهودها المبعثرة حالياً .**

ماالخطوات التى حققها هذا المجلس مع العلم انه لم يتم حتى الآن حسب علمنا توحيد ميزانية منظمات الدعوة والإغاثة .

ليس من مهامنا

ـ أولاً أسارع فأقول ليس من مهمة المجلس توحيد الميزانيات للهيئات فى ميزانية واحدة ، فالمجلس مهمته الأصلية والأساسية التنسيق بين الجهود المبذولة سواء كانت جهوداً فى المعونات المالية أم جهوداً فى عمل الدعوة وما تتطلبه من أموال أيضاً ، لكن كل هيئة محتفظة بشخصيتها وذاتيتها وميزانيتها ، فالمجلس ـ أكرر مرة أخرى ـ أن مهمته الأصلية والأولى تنسيق هذه الجهود المبعثرة ـ كما جاء فى السؤال ـ لتؤدى عملاً مثمراً بنتيجة نافعة ، ولا تترك فراغاً فى الجهات والجبهات الإسلامية على مستوى العالم الإسلامى ، وأعتقد أن المجلس ـ وهو فى عامه الثانى ولما تكتمل له ميزانية ـ يستطيع أن يزاول مهمته فيها ومازال يقوم فى أعماله على اشتراك بعض الهيئات وليس الكل فإن كثيراً من الهيئات المنظمة لم تسارع بعد إلى سداد اشتراكاتها وإنما هناك عدد قليل من الهيئات التى سارعت إلى سداد اشتراكاتها بل وتتحمل كثيراً من النفقات الخاصة بالمجلس هذا .

والمأمول من هذا المجلس أن يكون مرشداً وموجهاً لجهود الهيئات فى الدعوة وفى التعليم وفى التعمير ، والإغاثة عليها دور كبير جداً فى ذاتها ، والمجلس من صلاحياته أن يتعرف على حاجات الشعوب الإسلامية فى كافة مايدخل تحت عنوان الدعوة والإغاثة ، ولايزال المجلس يتحرى أين توجه جهود هذه الهيئات ، وقد بدأ فعلاً التعاون بين كثير من هيئاته فى العمل الإسلامى فى افريقيا وفى غيرها من حيث التعليم ومن حيث الإغاثة ، ونأمل أن يزداد هذا العمل الذى تقوم به الهيئات من خلال المجلس وبتوجيهه حتى تؤتى الثمرة وحتى نرى المجلس كتلك الهيئات الدولية المسيطرة على بعض الناس أو بعض الفئات فى العالم .

● **قلت : الصحافة تقول إن هناك مزاحمة على الأضواء يا فضيلة الشيخ ؟**

هـذا صحيـــح

ـ لذلك يرى المجلس أن عمله لا ينبغى أن يكون تحت الأضواء لأن الأضواء كما هى مثيرة هى مفسدة أو قد تفسده ، وعمل المجلس وعمل الخير ـ دائماً ـ سواء كان دعوة أم تعليما أم إغاثة ينبغى ألا يكون فى نطاق السرية والكتمان لأنه عمل لابد أن يظهر ، ولكن لاينبغى أن يقع العمل أو يتم ثم يعلن عنه ، لأن القول بدون عمل إثم فى الإسلام ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

● **ذكرت بعض الأنباء أن مجلس الكنائس العالمى قد رصد مبلغ ٦ مليارات دولار لشراء بعض الأقمار الصناعية لاستخدامها كمحطة للإذاعة والتليفزيون بقصد تنشيط أعمال التنصير واستخدام وسائل اتصال حديثة لإنجاح مخططات المنصرين داخل دول العالم الثالث .. كيف يواجه رجال الدعوة بإمكاناتهم المحدودة سواء على مستوى الحكومات أو الأفراد هذه الحملة الشرسة ؟**

←

يجب ان نتضامن

● القليل في أيدي رجال الدعوة الإسلامية كفيل بالحفاظ على إسلام المسلمين وتثبيتهم وتصحيح مفاهيمهم ، ولكن هذا لا يمنع أن يتضامن المسلمون فى مواجهة هذه الأعباء الجديدة ، فإن العالم يموج بالحركة والنشاط وربما فى مستقبل الأيام لم تعد الحروب حروباً عسكرية بقدر ما هى حروب فكرية ومذاهب ، وأعتقد أن التنافس بين المذاهب وبين النظريات أمر سيسود العالم سواء في الناحية الاجتماعية أم الدينية أم الاقتصادية ، لأن الكل أصبح يقدر أضرار الحروب وأعباءها ، وإن كان التنافس فى هذه الميادين يحتاج إلى نفقات ولكنها نفقات لايصل عبئها إلى أنهار الدماء التى تسيل فى الحروب .

اجتماع كلمة المسلمين ووحدة صفوفهم كأمة لها دين ولها أصول تجمعها تلك الأصول التى تتمثل فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا »(١) وذلك الوصف أو التشخيص إذا جاز هذا التعبير الذى جاء فى حديث رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢) على المسلمين بهذا الوصف الذى وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام كأمة ولا أقول كدولة ـ بل كأمة ـ أن تكون كالجسد الواحد ترعى شئونها بهذا الاعتبار فتحافظ على دينها وعلى أرضها وعلى عرضها وعلى شعوبها أيا كانت كثيرة أو قليلة هذا ما ينبغى أن تكون عليه أمة الإسلام لتحمي نفسها فى معترك الحياة وفى التطورات المنتظرة والمترقبة فى هذا العالم الذى تتنازعه وتتنازع السيطرة فيه كثير من العناصر ذات الشوكة الفكرية والمالية ، والمسلمون لا يقلون فى الأمرين عن غيرهم ، ولكن جهودهم موزعة ومشتتة وليسوا على قلب رجل واحد ، وهذا ما يدعو إليه الأزهر وما تدعو إليه كل الهيئات الإسلامية ويجب أن تتضامن هذه الهيئات الإسلامية جميعاً على اختلاف مقاصدها وأغراضها لتتجمع كلمة الأمة ، ولا أقصد كلمة الشعوب فحسب ولكن كلمة الشعوب وحكامها على اختلاف مستوياتهم إذا انتظم الجميع فى عقد واحد ـ بقدر المستطاع ـ وأحسوا بأنهم أمة هي الأمة المختارة للدين الذى ارتضاه الله للناس جميعاً ديناً خاتماً وشريعة خاتمة جاء بها نبى هو خاتم النبيين والمرسلين عليه الصلاة والسلام ... إذا فهموا ذلك وأقنعوا أنفسهم به وأزاحوا كافة العقبات والمعوقات فلا شك أنه سيكون لهم وضع متميز تحت الشمس .

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه مسلم .

● **فضيلة الشيخ : أساليب الدعاة لم تواكب العصر بعكس المنصرين الذين ينشرون دعوتهم أو دينهم تحت غطاء إنسانى دائماً ؟**

هذا مانسعى إليه

● أعتقد أن تطور وسائل الدعوة أو تغير الأساليب أمر واجب ولابد أن يهتم به القائمون على الدعوة ، ومن هنا كان المجلس (مجلس الدعوة والإغاثة) جمع فى عنوانه أمرين هما الدعوة والإغاثة لأن الاثنين متلازمان ، فالدعوة تحتاج إلى المال لتطوير الأساليب ، وتغيرها يحتاج إلى المال ، وهذا مايسعى المجلس إليه ، وهو أن تتكامل الهيئات الإسلامية ، فالهيئات التى من مقاصدها وأهدافها جمع الأموال من المسلمين وتوزيعها فى مصارفها وأبوابها وتغير أساليب الدعوة لتوافق العصر وأساليبه .

أعتقد أن الشعوب وكل الجهات فى جملتها تقوم بالدعوة وبالإغاثة ولكن كل فى نطاقه ، وكما قلت إن مهمة المجلس التكامل بين هذه الهيئات فهناك فى الكويت وفى الإمارات وفي جهات كثيرة تقوم بأدوار حميدة وهى ليست فى الضوء كما يقال ، إما لأن الجهود محدودة وإما أنها لا تسلط على نفسها الضوء ، لكن الأمل أن تتلاقى جهود الهيئات وأن تأخذ بأساليب العصر فى أمورها .

● **معهد الدراسات الإسلامية الذى له صلة بالأزهر يقبل طلاب الدراسات العليا وموقف الحاصلين على الدبلوم متأرجح كما يقال من ناحية الإشراف العلمى ، ماهو تعليق فضيلتكم على ذلك ؟**

الأمر لوزارة التعليم

ـ الواقع أن معهد الدراسات الإسلامية يتبع جمعية اسمها جمعية (الدراسات الإسلامية) وهى جمعية خاصة تشرف عليها وزارة التعليم العالى ، وقد نشأ المعهد فى أحضان هذه الجمعية كمعهد تثقيفي يعطى دبلوماً وماجستير وصلته بوزارة التعليم العالى أكبر من صلته بالأزهر ، لأن صلته بالأزهر متمثلة فى أن كثرة المحاضرين فيه من الأزهر بجوار الجامعة الأخرى فمشكلة الاعتراف به أو بمؤهلاته أمر يتبع وزارة التعليم باعتبارها المشرفة على هذا المعهد ووزير التعليم هو الذى يباشر مهامه أو مسئوليته من حيث منح الشهادات ومن حيث الإشراف على إدارته وعلى ماليته ، والأمر فيما أعلم ويوصفى أحد المحاضرين فيه في طريق الحل بين إدارة مجلس إدارة المعهد والجمعية وبين وزارة التعليم العالى .

● **بالنسبة للأزهر يقال إنه بدأ فى تقليل كم مناهج المواد الدينية أو المواد الفقهية ما تعليق فضيلتكم على هذا ؟**

التغير كان فى الخطط

ـ هذا فهم غير صحيح لتعديل المناهج والبرامج وليس إطلاقاً تعديلاً فى خطته أو فى برامجه ، فهم غير صحيح وربما يكون فى بعض الأحيان متسرعاً لم يحدث هذا إطلاقاً وما حدث هو تغيير فى الخطط بمعنى زيادة فى الحصص ، الموضوع الذى أثير كان فى المرحلة المتوسطة التى تسمى الاعدادية وفيما يسمى بالنصوص من القرآن والسنة فضمت النصوص من القرآن والسنة إلى النصوص من النثر ومن الشعر لتكون مادة واحدة ، وجعلت حصصه لتحفيظ القرآن الكريم .

فهذه الأقوال أخذها بعض الناس متسرعين فيما نشروا وفيما يقولون وإن بعض الصحف أو الصحفيين يجرون وراء الإثارة فقط ، فليس هناك إطلاقاً أى إخلال بمهمة الأزهر الأصلية ، ولكن الأزهر يحرص على أن يتهيأ طلابه فى الدراسة قبل الجامعية لأن يلتحقوا بصفوف الدراسات العالية فى جامعة الأزهر .

● ولكن ما اسباب عدم تقرير اجزاء القرآن الكريم على جميع الطلاب ؟

سيحفظون القرآن

ـ نحن بدأنا فى العام الماضى وضع تعديل فى الخطة بعد أن كان مقرراً على الطلاب أن يحفظوا عشرين جزءاً فى القسم الابتدائى ثم يستكملوا الدراسة فى الثانوى ، عدلنا خطة الابتدائى نهائياً ليحفظ الطالب القرآن الكريم كله فى الابتدائى ، ونفذت هذه الخطة من العام الماضى ونحن نتابع تنفيذها وفرغنا الطلاب فى القسم الابتدائى من المواد التى لاتخدم الخطة ـ ويكاد يعتبر المنهج كله يخص حفظ القرآن بالإضافة إلى تعليم القراءة والكتابة والحساب والخط والإملاء وبعض المعلومات المعرفية التى تؤهله لتلقى معلومات أوفى فى الاعدادية وفيما بعد .

فالأزهر متجه الآن إلى أن يفرغ القسم الابتدائى لحفظ القرآن الكريم فقط لأن الأزهر فى تاريخه القديم كان كل طلبته المبتدئين يلحقون بما يسمى بالكتاتيب يحفظون القرآن ولديهم المعلومات العامة كالكتابة والقراءة والخط والإملاء والحساب إلى الدرجة التى تؤهله ليلتحق به ، ما يوجد فى مراحل الابتدائى قبل الجامعة ابتدائى واعدادى وثانوى ، كان ابتدائى وثانوى فقط

الابتدائى كان أربع سنوات والثانوى خمس سنوات وثانوى أربع سنين)،نريد أن نستثمر ست سنوات من عمر الطالب ليحفظ القرآن ، ولا شك أن الحفظ فى مثل هذه السن أمر حكيم لأن الطالب يدخل ست سنين ، انتهى من الابتدائى فى سن الثانية عشرة ، الحفظ فى هذه السن أيسر على الطفل أو الطالب ، فيما بعد إذا شغل بمواد علمية أخرى ، فالأزهر حريص على تحفيظ القرآن وعلى أن يخرج العلماء أياً كان تخصصه سواء كان عالماً فى اللغة أو فى الشريعة أو فى أصول الدين أو فى الطب أو فى العلوم ما دام ابتدأ التعليم فى الأزهر عليه أن يكون حافظا للقرآن الكريم .

● تحدثتم فضيلتكم عن الصحافة والصحفيين الا تعتقد فضيلتكم بان الصحافة الحزبية قد تؤثر على مسيرة الأزهر ؟

الأزهر فوق كل الحزبيات

ـ اطلاقاً الأزهر لا علاقة له بالأحزاب ، فالأزهر بالنسبة لتقسيم الجبهات فى مصر مرفق قومى ، اى أنه فوق كل الحزبيات ولاينغمس فى الحزبيات إطلاقاً وله مهمة يقوم بها منذ ألف عام والأزهر حريص على استمراره .

● بالنسبة لشهادات الاستثمار قيل عنها ما قيل تحليلاً وتحريماً فبعض العلماء حللوا ذلك وبعضهم حرموه فاصبح الإنسان المسلم بين الشك واليقين !! ماالراى الشرعى الذي اجمع عليه الفقهاء بغض النظر عن المذاهب ؟

● الأمر كله يعود إلى ما مفهوم الربا ؟ ثم مافروع شهادات الاستثمار ؟ أو أى شهادات أخرى تصدر ؟ إنما تعرض على القواعد الشرعية التى انتهى إليها العلماء من قديم والتى استنبطت من القرآن الكريم والسنة ، وهو أن الربا كأصل محرم بنوعيه ربا الزيادة وربا النسيئة هذه الشهادات التى حددت فوائدها سلفاً تعتبر قروضاً والفائدة والقروض بفائدة محرم ، والذى يتحدث فى الشهادات على أنها معاملات حديثة وجديدة إنما يحصر شريعة الإسلام فى حيز مضى ، ويتضمن قوله الوقوف بالشريعة إلى حدها الناضج ، لأن الشريعة صالحة لأن تحتوى لكل جديد وحديث ، والمفروض أن يدور فى فلك أحكامها ، لا أن يطوع الإنسان أحكام الشريعة إلى اى نظم أو اى مقترحات تطرح ، الذى يجرى من بعض الناس فى كل الأقطار انهم يريدون أن تسير الأحكام الشرعية وفق النظم والمقترحات الاقتصادية التى مصدرها دائماً النظام الربوى السائد فى العالم وبكل أسف انه للآن لم يتخذ المسلمون ـ وأعنى علماءهم ـ موقفاً محدداً جماعياً أو اغلبياً فى كثير من المعاملات السائدة ومعاملات المصارف كلها وفى اغلبها تدور على التجارة وليست لها أعمال إنتاجية إلا من النوع الذى يدعو الإسلام إلى استثمار الأموال فيه ، ومن هنا كانت كل المشروعات الورقية التى تصدر عن المصارف مشوبة بالربا لا شك فى ذلك .

من فقه الكتاب والسنة

حجاب المرأة وولايتها

لفضيلة الأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنة *

١ - حجاب المرأة :

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾[1] .

يغضضن : أى لا ينظرن إلى ما حرم عليهن من عورات الرجال ، « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » : يعنى والله أعلم لا يظهرن مواضع الزينة إلا ما جرت العادة بإظهاره .

والزينة التى جرت العادة بإظهارها هى : الكحل والخاتم والخضاب ، وموضع الكحل الوجه ، وموضع الخاتم والخضاب اليد ، فالمستثنى هو الوجه والكفان كما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وروى أيضاً عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وإبراهيم النخعى وجمهور السلف والتعبير فى الآية بالزينة عن مواضعها مبالغة . ويؤيد هذا المعنى ما رواه أبو داود بسنده إلى خالد بن دريك عن عائشة رضى الله عنها ، أن اسماء بنت ابى بكر دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال : « ياأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا ، وأشار إلى وجهه وكفيه »[2] والحديث وإن كان مرسلاً لأن خالدا لم يسمع من عائشة ؛ لكن المرسل حجة عند جمهور الفقهاء ، وإن شرط الشافعى لحجيته شروطاً : فقد دلت الآية على أن وجه المرأة وكفيها ليسا بعورة ، وهو مذهب الأئمة الأربعة .

وعن أحمد فى رواية أن الكفين فى الصلاة عورة[3] ، وفرق بعض الحنابلة فى المذهب بين الصلاة وخارجها .. فقال : إن الوجه والكفين من المرأة : عورة خارج الصلاة لما أخرج الترمذى بسنده إلى ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان » .

استشرف الشىء : نظر إليه ببصره .

والمراد أغرى بالنظر إليها ، فحملوا الآية على حال الصلاة وحملوا الحديث على الحكم خارج

(*) الكاتب عضو مجمع البحوث الإسلامية ومقاله يعبر عن رايه ... مجلة الأزهر .

(١) سورة النور اية (٣١) .

(٢) سنن ابو داود بشرح بذل المجهود - كتاب اللباس - جـ ١٦ - ص ٤٣١ .

(٣) المغنى والشرح الكبير - جـ ١ - ص ٤٥٨ .

الصلاة ، ولما قال الأئمة الثلاثة : إن الوجه والكفين ليسا بعورة فى الصلاة وخارجها فهموا من الحديث أن المراد به حمل المرأة على الحيطة والتستر عند خروجها والا تخرج إلا لحاجة داعية .

وقال تعالى فى سورة الأحزاب : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ[4] عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ[5] ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾[6] الآية فيها أمر تقديره قل لهن أدنين عليكن من جلابيبكن ، فإن تقل ذلك يدنين والمعنى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يغطين وجوههن ببعض خمرهن فإن ذلك أقرب الاحوال إلى أن يعرفن بالستر والتصون والعفاف فلا يؤذيهن السفهاء ومرضى القلوب بالنظر إليهن والتعرض لهن ، لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها[7] .

قال ابو بكر الجصاص[8] فى هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الاجانب وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيهن .

وقال فى الدر المنثور أخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبى حاتم عن محمد بن سيرين رضى الله عنه قال : سألت عبيدة بن عمر السلمانى رضى الله عنه عن هذه الآية (يدنين عليهن من جلابيبهن) فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها وغطى رأسه كله حتى بلغ الحاجبين وغطى وجهه وأخرج عينه من شق وجهه الأيسر مما يلى العين .

وعن ابن عباس وقتادة هيئة أخرى للستر فيها إظهار العينين . وقد نص فقهاء المذاهب الأربعة على أن المرأة الشابة ، ولاسيما من أوتيت حظا من الجمال مدعوة إلى الستر خارج البيت إظهارا للتصون والعفاف عند خوف الفتنة[9] من الرجال الذين لم يعتصموا بالفضيلة ولم يتأدبوا بالحياء إذا كشفت وجهها . ولا تعارض بين حكم الشرع بأن الوجه والكفين ليسا بعورة كما دلت عليه آية النور ، ودعوة الشرع من تخشى الفتنة إلى الستر كما دلته عليه آية الأحزاب .

وقد أردنا بهذا بيان الحكم الشرعى كما يفهم من كتاب الله وسنة رسوله لأن البعض يفهم الناس أن ستر الوجه ليس من الدين .

وقد أطال الشيخ الغزالى فى كتابه « **السنة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث** » فى بيان أن الوجه والكفين ليسا بعورة مع وضوح هذا الحكم من آية النور ومع أنه يرد على أدلته كثير من المناقشة .

وصرح بأن ستر المرأة وجهها لا يعرفه الإسلام بل هو عادة جاهلية لا يدل عليه كتاب ولا سنة .

أما أن ستر الوجه عادة جاهلية : فيرده ما ذكر المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ

←

---

(٤) يدنين : يرخين .

(٥) الجلباب : الرداء الذى تلبسه المرأة فوق الثياب أى الملاءة وقيل هو الخمار الكبير . أبو حيان فى البحر المحيط والطبرسى فى مجمع البيان .

(٦) سورة الأحزاب . آية (٥٩) .

(٧) أبو حيان والفخر الرازى .

(٨) احكام القرآن ـ جـ ٣ ـ ص ٤٥٨ .

(٩) الشرح الكبير بحاشية الدسوقى المالكى ـ جـ ١ ـ ص ١٩٦ ، والدر وابن عابدين فقه الحنفية ، جـ ١ ـ ص ٢٧٢ ، أسنى المطالب فقه الشافعية ـ كتاب النكاح ـ جـ ٣ ـ ص ١١٠ .

من فقه الكتاب والسنة

﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾ قالوا : كلهم : كان داب الجاهلية أن تخرج المرأة في درع أى قميص وخمار ، وكن يلقين خمرهن خلف ظهورهن فيبدو أعلى صدورهن وتبدو نحورهن ووجوههن .

وأما أنه لا يدل عليه كتاب ولا سنة : فترده آية الأحزاب السابقة وما ذكره فقهاء المذاهب الأربعة من دعوة الشابات إلى الستر عند خوف الفتنة .

ومن الغريب أن الكاتب نقل عن كتب التفسير والفقه مايدل على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ، لكنه لم ينقل عنها دعوة الإسلام للشابة ولا سيما الجميلة أن تستر وجهها عن الرجال وبخاصة مرضى القلوب خشية الفتنة .

وأسلوبه في كتابه يشعر بأن هذا الأدب الإسلامي عقبة في سبيل الحضارة ، ويصور الأمر على أنه معركة ولا ندرى بين من ؟

والمسلمات ـ بحمد الله ـ راضيات بحكم الله .

إن العلم والأمانة يحتمان علينا أن نعرض الإسلام كما وصل إلينا ، وأن نبين أن ستر الوجه لمن تخشى الفتنة أدب إسلامي وحياء مشروع لمن أرادت أن تتحلى به .

٢ ـ ولاية المرأة :

أخرج البخارى والنسائى والترمذى وأحمد عن أبى بكرة نفيع بن الحارث واللفظ للنسائى في باب النهى عن استعمال النساء في الحكم : قال : « عصمنى الله بشيء سمعته من رسول الله ﷺ : لما هلك كسرى قال : من استخلفوا ؟ قالوا : بنته . قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة »(١٠) .

الحديث صحيح بإجماع أهل العلم بل هو مشهور لتلقى العلماء له بالقبول والعمل به ، وقد نفى الفلاح والفوز عمن ولوا أمرهم امرأة . والنفي فيه بمعنى النهى ، أى لا تسندوا إلى النساء شيئاً من الولايات .

والمرادة الولايات العامة كالخلافة والإمارة والوزارة والقضاء . وإن كان النهى عاماً للاجماع على أن المرأة يجوز أن تتولى الشئون الخاصة كالوصاية على اليتامى والنظر على الأوقاف وقال الأئمة الثلاثة : استنباطا من هذا الحديث : يحرم أن تتولى المرأة الولايات العامة فإذا وليت كانت ولايتها باطلة .

وقال الحنفية : يحرم أن تتولى المرأة القضاء لكن إن وليت في غير أسباب الحدود والقصاص ، وقضت بحكم موافق للكتاب والسنة نفذ قضاؤها(١١) . وهذا مبنى على قاعدة أصولية عندهم يضيق المقام عن ذكرها .

وقال ابن حزم(١٢) : النهى في الحديث السابق مقصور على الخلافة لأن في بعض رواياته : لن يفلح قوم تملكهم امرأة ، ولم يصح هذا القصر عن ابن جرير(١٣) .

فقد أجمع أهل العلم على العمل بالحديث ، وإن اختلفوا فيما دل عليه .

---

(١٠) سنن النسائى ـ كتاب آداب القضاة ـ باب النهى عن استعمال النساء في الحكم ـ ص ٨ ـ ص ٢٢٧ .
(١١) فتح القدير ـ جـ٥ ـ ص ٤٨٦ .
(١٢) المحلى ـ جـ ٩ ـ ص ٣٦٠ .
(١٣) انظر روح المعانى ـ جـ ١٩ ـ ١٨٩ .

ولكن الشيخ الغزالى فى كتابه « المذكور » : حكم بوضع هذا الحديث .

والمعروف من كلام المحدثين أن الحكم على الحديث بالوضع إما أن يكون من قبل سنده أو من قبل متنه بأن يكون مناقضا للقرآن أو السنة المتواترة بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، أو للإجماع القطعى المتواتر ، أو لصريح العقل كالحكم على الواجب العقلى بأنه مستحيل أو العكس .

وقد سلم هذا الحديث من قبل سنده حيث روى فى الصحيحين وغيرهما .

وسلم كذلك متنه حيث أجمع على العمل بمعناه فقال عامة الفقهاء : يحرم أن تتولى المرأة الخلافة ، وإن ولاها من له حق التولية فولايتها باطلة : ولم يشذ عن هذا الإجماع أحد من الفقهاء ، ثم إن هذا الحديث لم يناقض كتابا ولا سنة ولا صريح العقل ، فما الذى حمل الشيخ الغزالى على الحكم بوضع الحديث ؟

نستطيع أن نجمل أسباب حكمه بوضع الحديث فى ثلاثة أمور :

الأول : سوء أحوال فارس : عندما صدر هذا الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ : استبداد فى الملك ، وخنوع من الشعب ، وعلاقات سيئة بين الناس : لهذا كله كان الحديث إخبارا عن أمر فارس بأن قومها لا يُفلحون حيث ملكوا عليهم امرأة ، ولم يكن الحديث حكما تشريعيا عاما بل (كانت وصفا للأوضاع كلها) صفحة ٥٧ ـ فهل نقول إن هذه عبقرية من الشيخ فى فهم كلام رسول الله ـ ﷺ ـ وحمله على معنى لم يصل إليه جميع الفقهاء والمحدثين من علماء المسلمين ، على أن هذا الرد لا يدل ، على أن الحديث موضوع بل كل ما هنالك أن المحدثين رَوَوْا بالسند الصحيح عن رسول الله ـ ﷺ ـ خبراً بأن قوم فارس لا يُفْلحُون فى سياستهم ؛ لأنهم وَلَّوْا عليهم امرأة .

لعل الكاتب إذا علم أن علماء المسلمين سلفا وخلفا أجمعوا على العمل بهذا الحديث حيث رفضوا أن تتولى المرأة الخلافة أو رياسة الدولة الإسلامية ، حكم على الحديث بالشهرة ورجع عن حكمه عليه بالوضع ، ويكون الخلاف بينه وبين عامة الفقهاء فى معناه أهو تشريع أو إخبار .

الثانى : دعوى التناقض بين الحديث والقرآن :

فإن القرآن حكى قصة ملكة سبأ مع سليمان ـ عليه السلام ـ وقال فيها . ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ وكان من شأن هذه المرأة أن ساست قومها بالحكمة ، وأسلمت مع سليمان ، وهى امرأة فكيف يتفق هذا مع حكم الحديث عليه بعدم الفلاح ؟ .

وكأن الكاتب لم يُحَطْ علما بأصول التشريع ولم يعلم أن السنّة بيان للقرآن وأن شأن العقيدة هو أساس الدين ومعظمه . وهذه المرأة وقومها كانوا يسجدون للشمس من دون الله . وهذا هو الذى عالجه القرآن ، أما مسألة الملك فإنه أمر فرعى : بين حكمة رسول الله ـ ﷺ ـ للمسلمين بقوله : (لن يُفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة) على أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا عند كثير من العلماء ، وليس الحديث خبراً حتى يقال على سبيل التهكم « وهل خاب قوم ولوا أمرهم امرأة » بل هو نهى عن تولية النساء .

الثالث : دعوى التناقض بين الحديث والواقع التاريخى :

فإن فكتوريا ملكة انجلترا أنشأت عصراً

البقيه ص ١١٦٢

الصبر عند البلاء

للأستاذ/ محمد زين العابدين محمد العزازى

جاء فى تعريف الصبر : إنه حبس النفس عن الجزع والشكوى أى منع الجزع عنها بمقاومة أسبابه وقهرها ، وهو أشد الأعمال الباطنة .

عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أْجُرْنِى فى مصيبتى واخْلُفْ لى خيراً منها إلا أجره الله واخلف له خيراً منها » .

أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى كلهم عن أم سلمة .

المفـردات :

المصيبة : ما يصيب الإنسان من مكروه عظيما كان أو حقيراً ، دينيا أو دنيوياً سواء كان فى بدنه أو فى ماله أو فى أهله أو أحبابه .

إنا لله : أى مخلوقون لله .

وإنا إليه راجعون : إنا نرجع بالموت إلى محل أمر الله برجوعنا إليه .

أْجُرْنى : بسكون الهمزة وضم الجيم من أجره الله من باب نصر والأجر : الثواب .

اخلف : قال النووى : ومن ذهب ماله أو ولده أو مثل ذلك يقال له : أخلف الله عليك . أى رد الله عليك مثله .

والمعنى : ليس عبد مؤمن تصيبه مصيبة عظيمة أو صغيرة فيقول ـ خالصاً من قلبه : إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أْجُرْنِى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها . إلا أعطاه الله ثوابا بسبب تلك المصيبة وجعل له خلفا خيرا بدلاً منها بحيث يرضاه وهذا يدل على أن من استرجع عند المصيبة ولم يجزع جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا يرضاه .

ومصداق هذا الحديث الشريف من الكتاب العزيز ، قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(١) .

يقول الإمام القرطبى فى تفسيره لهذه الآية : وبشر الصابرين بالثواب على الصبر ، والصبر أصله الحبس وثوابه غير مقدر . لكن لا يكون ذلك إلا بالصبر عند الصدمة الأولى ، كما روى البخارى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » . أى إنما الصبر الشاق على النفس الذى يعظم الثواب

(١) سورة البقرة الآيات : ١٥٦ ، ١٥٧ .

عليه ، إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها . فإنه يدل على قوة القلب وتثبته فى مقام الصبر .

وأما إذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك . ولا يلزم منه عدم الأجر عند الصدمة الثانية والثالثة .

وقال سهل بن عبد الله التسترى لما قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ صار الصبر عيشا .

والصبر صبران : صبر على معصية الله . فهذا مجاهد ، وصبر على طاعة الله . ومن صبر على طاعة الله أورثه الله الرضا بقضائه . وعلامة الرضا ، سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات .

يقول الإمام الغزالى : وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف . وذكر الصبر فى القرآن فى نيف وسبعين موضعا . وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر . لذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢) . أى أجراً لا يهتدى إليه حساب الحسّاب ، أو يُصَبُّ عليهم الأجر حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به أهل البلاء من الفضل .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

يقول القرطبى : المصيبة كل ما يؤذى المؤمن ويصيبه وهى النكبة يُنْكَبُها الإنسان وإن صغرت . روى عن عكرمة أن مصباح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انطفأ ذات ليلة . فقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فقيل أمصيبة هى يارسول الله ؟ قال نعم : كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة .

وقد خرّج الإمام مسلم عن أبى سعيد وعن أبى هريرة رضى الله عنهما أنهما سمعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما يصيب المؤمن من وَصَب ولا نَصَب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كُفِّر به من سيئاته » .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

يقول القرطبى : جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوى المصائب وعصمة للممتحنين . وذلك لما جمعت من المعانى المباركة ؛ فإن قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك .

وقوله : ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ إقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا أى رجوع الأمر كله إليه كما هو له .

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : لم تعط هذه الكلمات نبيا قبل نبينا ولو عرفها يعقوب عليه السلام . لما قال : ياأسفى على يوسف .

قال أبو سنان : دفنت ابنى سنانا وأبو طلحة الخولانى على شفير القبر . فلما أردت الخروج أخذ بيدى فانشطنى وقال : ألا أبشرك ياأبا سنان . حدثنى الضحّاك عن أبى موسى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته أقبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : أقبضتم ثمرة فؤاده . فيقولون : نعم فيقول : فماذا قال عبدى . فيقول : حمدك واسترجع فيقول الله تعالى : ابْنُوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد » .

● رُوى عن الرُّمَيْصَاء أم سليم رحمها الله أنها قالت : توفى ابن لى وزوجى أبو طلحة غائب . فقمت فسجيته فى ناحية البيت . فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له إفطاره . فجعل يأكل فقال : كيف الصبى ؟ قلت بأحسن حال بحمد الله ومنّه . فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسْكَنَ منه الليلة . ثم تصنّعت له أحسن ما كنت أتصنّع له قبل ذلك .

(٢) سورة الزمر آية ١٠ .

الصبر عند البلاء

حتى أصاب منى حاجته . ثم قلت : الا تعجب من جيراننا ؟ قال : مالهم ؟ قلت : أعيروا عارية فلما طُلِبَتْ منهم واسْتُرجِعَتْ جزعوا !

فقال : بئس ما صنعوا . فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قبضه إليه . فحمد الله واسترجع . ثم غدا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره فقال « اللهم بارك لهما في ليلتهما » .

قال الراوى ، فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة . كلهم قد قرءوا القرآن(٣) .

● وقد وردت أخبار في ثواب اهل البلاء . منها ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها عنه من خطاياه » . رواه البخارى .

● وورد : أن أشد الناس بلاء الأنبياء والأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه . فإن كان في دينه صلابة ابتلى على قدر ذلك فلا يزال كذلك حتى يمشى على الأرض وماله من ذنب(٤) .

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ وهذا المُبَشَّرُ به . وقد جمع الصلوات لكثرتها وتنوعها . وهذه نعم من الله ـ عز وجل ـ على الصابرين المسترجعين . وصلاة الله على عبده . عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة .

وكان عمر رضى الله عنه يقول في هذه الآية : نعم اليد لأن رفعت العلاوة . يعنى باليدين : الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى .

وقال سيدنا على رضى الله عنه وكرم وجهه : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له .

والمفهوم من الحديث أن الجزع والشكوى ضد الصبر ، وأن هذا الضد حرام ، وعدم تحمل المصائب والمحن وإظهارهما قولاً أو فعلاً تضجُرا . قال تعالى فيما رواه النبى عليه الصلاة والسلام من حديث قدسى : « أنا الله لا إله إلا أنا فمن لم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى ولم يرض بقضائى فليلتمس ربا سواى » رواه الطبرانى عن أبى هند .

ويفهم من الحديث القدسى إنه يجب على المسلم الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والشكر على النعماء . وعليه عمل الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء . كما يجب عليه أن يحترز عن الشكوى لا سيما عند شدة البلاء .

وقد ورد ايضا : الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر . يعنى معظم ثمرات الإيمان الصبر على المصائب . والشكر على النعم بصرف كل عضو إلى ما خلق له .

وفي الحديث خصلتان من كانتا فيه كتب عند الله شاكرا صابرا :

إحداهما : أن ينظر في دينه إلى من هو فوقه فيقتدى به .

والثانية : أن ينظر في دنياه إلى من هو دونه فيحمد الله . كما في المصابيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « من صبر على اداء فرائض الله فله ثلثمائة درجة . ومن صبر

البقية ص ١١٤٦

(٣) عن الطبرانى ، وذكرت القصة في الصحيحين مع اختلاف في اللفظ .

(٤) رواه الإمام احمد الحديث بأطول منه عن مصعب بن سعد عن ابيه ١/١٧٢ الميمنية .

مجاهد بن جبر

٢

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر

اخباره فى التفسير.

كان مجاهد بن جبر من اشهر رجال مدرسة التفسير بمكة ، التى قامت على عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وكان بعد سعيد بن جبير وبعده ـ اى مجاهد ـ عكرمة مولى ابن عباس وطاووس بن كيسان اليمانى ، وعطاء بن ابى رباح .

مكانته فى التفسير:

كان مجاهد رضى الله عنه اقل اصحاب ابن عباس رواية عنه فى التفسير ، وكان أوثقهم ؛ لهذا اعتمد على تفسيره الشافعى ، والبخارى وغيرهما ، ونجد البخارى رضى الله عنه فى كتاب التفسير من الجامع الصحيح ، ينقل لنا كثيرا من التفسير عن مجاهد ، وهذه اكبر شهادة من البخارى على ثقته ، وعدالته وعلمه بالتفسير واعتراف منه بمبلغ فهمه لكتاب الله تعالى وقد روى الفضل بن ميمون أنه سمع مجاهدا يقول : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وروى عنه أيضا أنه قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات اقف عند كل آية أسأله فيم نزلت ؟ وكيف كانت ؟

ولا تعارض بين هاتين الروايتين ؛ لأن الإخبار بالقليل لا ينافى الإخبار بالكثير ولعله عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ؛ لتمام الضبط ، ودقة التجويد ، وحسن الأداء ، وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات ؛ طلبا لتفسيره ، ومعرفة ما دق من أسراره ، وخفى من معانيه ، كما تشعر بذلك ألفاظ الرواية ، وعن ابن أبى مليكة قال : رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه . فقال ابن عباس : اكتب ، حتى سأله عن التفسير كله .

وروى عبد السلام بن حرب عن مصعب قال : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد ، وبالحج عطاء .

وقال قتادة : أعلم من بقى بالتفسير مجاهد ،

التابعون تلامذة الصحابة

وقال ابن سعد : كان ثقة ، فقيها ، عالما كثير الحديث .

وقال ابن حبان : كان فقيها ، ورعا ، عابدا ، متقنا .

وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن أبى بكر الحنفى قال : سمعت سفيان الثورى يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكان رحمة الله عليه - جيد الحفظ ، وقد حدث بهذا عن نفسه فقال : قال لى ابن عمر : وددت أن نافعا يحفظ حفظك .

وقال الذهبى فى الميزان ، فى آخر ترجمة مجاهد : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد ، والاحتجاج به ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة .

كل هذه شهادات من العلماء النقاد تشهد بعلو مكانته فى التفسير . ومحبته للعلم ، وكان يلتمس العلم أينما كان . فإذا رأى أهل الكتاب يعلمون شيئا لم يستح أن يسأله منهم ، ولم يوقفه حبه للعلم على الكتب والرجال فحسب ، وإنما كان يسافر لطلب العلم ، ويشتاق إلى أن يرى الآثار التاريخية بنفسه ، ولم يرد بعلمه إلا وجه الله تعالى . فسار فى الأرض وزار العلماء ، فزاد علما وتجربة ، وعاشر علماء العرب فتمهر فى معرفة اللغة العربية ، وأساليب العرب ، وتراه لا يتكلم إلا فى المعلوم من اللغة وأساليبها ومعانى القرآن ، وإذا علم الحق رجع إليه ، ولا يخاف فى الله لومة لائم واعتمد على تفسيره المحدثون ، والمفسرون .

كان - رحمه الله - عالما بالقراءات ، واختلافها جمع الطبرى فى تفسيره ما اختلف فيه من القراءات ، وينسب إليه بعض القراءات المختلفة ، أخذ عنه القراء ، عرضا جماعة منهم : عبد الله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء وغيرهما وقرأ عليه الأعمش كما فى « مفتاح السعادة حـ ١ / ٣٦٠ » ، وابن محيصن كما فى « تذكرة الحفاظ للذهبى ١ / ٨٠ » ، وحميد بن قيس ، وزمعة ابن صالح كما فى « غاية النهاية فى طبقات القراء حـ ٢ / ٤١ » .

مصادر التفسير فى عهد التابعين :

اعتمد مجاهد فى تفسيره على المصادر الأربعة التى اعتمد عليها الصحابة وعلى راسهم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهى :

١ - **القرآن الكريم** : بأن يجمع الناظر فيه ما تكرر منه فى موضوع واحد ، ويقابل الآيات بعضها ببعض ، ليستعين بما جاء مُشْتَبَهاً على ما جاء موجزا ، وبما جاء مبينا على فهم ما جاء مجملا ، وليحمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن . وفهم مراد الله بما جاء عن الله وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها ويتخطاها إلى مرحلة أخرى ؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمعانى كلامه ، وأعرف به من غيره . وشرح ذلك يطول وتكفى إشارة إليه .

٢ - **النبى صلى الله عليه وسلم** والذى يرجع إلى كتب السنة يجد أنها قد أفردت للتفسير بابا من الأبواب التى اشتملت عليها ذكر فيه كثيرا من التفسير المأثور عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم . ومن هذا المأثور يتضح مقدار ارتباط السنة بالكتاب ارتباط المبيِّن بالمبيَّن من بيان المجمل فى القرآن ، وتوضيح المشكل ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق الخ ...

٣ - **الاجتهاد وقوة الاستنباط** . إذا لم يجد الناظر التفسير فى كتاب الله تعالى ، ولم يتيسر له أخذه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك يرجع إلى اجتهاده وإعمال رأيه بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد .

٤ ـ أهل الكتاب من اليهود والنصارى : ويعتبران مصدرا فى حدود ما شرعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . حيث ينبغى على المفسر أن يعتمد ما صدقه الكتاب العزيز ، ومن هذه المصادر الأربعة يتضح منهج مجاهد فى التفسير فى :

١ ـ شرح الألفاظ الغريبة ـ فى القرآن ـ عن الفهم . بما عنده من ملكة معرفة اللغة العربية ، ويفسر العبارات المشكلة والمغلقة بما عنده من العلم بأساليب العرب واصطلاحاتهم ، ويراعى فى شرح الألفاظ ، والتعبيرات مجرى الكلام وسياقه ويزيل عن القارىء ما يختلج فى صدره من معانى القرآن ، وما فى الآيات من إشكال وإبهام ، ويدفعه ذكاؤه ، وحب ابتكاره إلى أن يأتى بمعان جديدة كما يمنعه اجتهاده وتدبره من أن يرضى بالتقليد ، أو يروى عن أساتذته كل ما سمعه منهم ؛ لأنه مفسر لغوى ، أديب ، ومحدث فقيه ، ومجتهد مبتكر .

٢ ـ يشرح مجاهد ما فى الآيات من عوائد العرب ، وتقاليدهم شرحا وافيا ، ويذكر شيئا من سبب النزول ، والقصص التى تتعلق بها وقليلا ما يجتهد ، يتكلم فى المسائل الفقهية ، أو فى الناسخ والمنسوخ . أو فى اختلاف القراءات فمجاهد يبقى على تفسير القديم الصالح ، ويزيد الجديد النافع ، ويبعث قارئه على التفكير والابتكار .

٣ ـ أن تفسير مجاهد مرآة فقهه ، ورأيه ، وفهمه من القرآن على ضوء ما كان معه من معرفة لغة العرب ، وكلامهم واصطلاحاتهم يكشف عن أنه مفسر مجتهد يراعى مقتضيات عصره ، ويترك لنا أسوة الاجتهاد فى تدبر القرآن لتتقدم النهضة التفسيرية ، وتشرق الأرض بنور ربها .

٤ ـ يفسر مجاهد القرآن بالقرآن ويحرص على ذلك أشد الحرص ما أمكنه ذلك ويلتزم فى تفسيره بمصادر التفسير الأربعة التى سبق ذكرها .

٥ ـ وكان مجاهد يعطى عقله حرية واسعة فى فهم بعض نصوص القرآن التى يبدو ظاهرها بعيدا ، فإذا مامر بنص قرآنى من هذا القبيل وجدناه ينزله بكل صراحة ووضوح على التشبيه ، والتمثيل ، وتلك الخطة كانت فيما بعد مبدأ معترفا به ومقررا لدى المعتزلة فى تفسير القرآن بالنسبة لمثل هذه النصوص .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى : فى الآية (٦٥) من سورة البقرة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ نجده يقول : كما يروى عنه ابن جرير ١ / ٢٥٢ (مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة ، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا) . وإن كان ابن جرير لايرتضى هذا التفسير من مجاهد ويعقب عليه مفندا بأدلة واضحة قوية .

وعند تفسير مجاهد للآيتين (٢٢ ، ٢٣) من سورة القيامة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ. إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ينقل عنه ابن جرير جـ ٢٩ / ١٢٠ قوله : تنتظر الثواب من ربها ، لا يراه من خلقه شىء ، وهذا التفسير من مجاهد كان فيما بعد متكئا قويا للمعتزلة فيما ذهبوا إليه فى مسألة (رؤية الله تعالى فى الآخرة) خلافا لأهل السنة القائلين بجوازها ولعل هذا المسلك من مجاهد هو الذى جعل بعض المتورعين الذين كانوا يتحرجون من القول فى القرآن برأيهم ـ يتقون تفسيره ، ويلومونه على قوله فى القرآن بمثل هذه الحرية الواسعة فى الرأى ؛ فقد روى عن ابن مجاهد أنه قال : قال رجل لأبى : أنت الذى تفسِّرُ القرآن برأيك ؟ فبكى أبى ثم قال : إنى إذاً لجرىء ، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم .

ومهما يكن من شيء فمجاهد رضى الله عنه إمام فى التفسير غير مدافع وليس فى إعطائه لنفسه مثل هذه الحرية ما يغض من قيمته . أو يقلل من مكانته أو يقدح فى منهجه ، فقد روى الذهبى فى ميزانه : « أن ابا بكر بن عياش قال : قلت للأعمش : ما بال تفسير مجاهد مخالف ؟ . أو ما بالهم يتقون تفسير مجاهد ؟ - كما هى رواية ابن سعد - قال : كانوا يرون انه يسأل أهل الكتاب هذا كل ما أخذ على تفسيره ، ولكن لم نر أحداً طعن عليه فى صدقه وعدالته وإن صح انه كان يسأل أهل الكتاب فلن يتخط حدود ما يجوز له من ذلك ؛ لاسيما أنه تلميذ حبر الأمة ابن عباس الذى شدد النكير على من يأخذ عن أهل الكتاب ويصدقهم فيما يقولونه مما يدخل تحت حدود النهى الوارد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يتعارض مع القرآن الكريم .

مخطوطة تفسير مجاهد وتاريخها

تفسير مجاهد مخطوط بدار الكتب المصرية برقم : (١٠٧٥ تفسير) وتاريخ نسخها سنة ٥٤٤ هـ وعدد أجزاء المخطوطة ثمانية أجزاء .

الجزء الأول : من سورة البقرة وينتهى إلى سورة النساء الآية : ٤٣ .

الجزء الثانى : من سورة النساء الآية : ٤٦ وينتهى إلى سورة الأنفال .

الجزء الثالث : من سورة التوبة وينتهى إلى سورة بنى إسرائيل الآية : ٢٤ .

الجزء الرابع : من سورة بنى إسرائيل الآية : ٢٥ وينتهى إلى سورة الفرقان الآية : ٢٥ .

الجزء الخامس : من سورة الفرقان الآية : ٢٧ وينتهى إلى سورة يس .

الجزء السادس : من سورة الصافات وينتهى إلى سورة والنجم .

الجزء السابع : من سورة اقتربت (القمر) وينتهى إلى سورة عم يتساءلون .

الجزء الثامن : من سورة والنازعات وينتهى إلى سورة الناس[1] .

ثم إن هذه المخطوطة تفسير مجاهد هى رواية أبى القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبيد الهمزانى ، وينتهى سنده إلى مجاهد عن طريق إبراهيم عن آدم عن ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد وهذا معظم طرق إسناده وهناك طرق أخرى أيضا .

وهذه المخطوطة تم تصويرها بدار الكتب المصرية فى يوم الخميس ٥ من صفر سنة ١٣٦٧ هـ الموافق : ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٧ لجامعة الدول العربية معهد المخطوطات وعلى صورة النسخة المصورة بدار إحياء المخطوطات بالجامعة العربية طبعت (قَطَر) تفسير مجاهد الطبعة الأولى عام ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ وقدم لها وحققها وعلق عليها عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتى مجمع البحوث الإسلامية - إسلام آباد باكستان وعدد صفحات هذا التفسير ثمانية وتسعون وسبعمائة صفحة ذات طباعة جيدة فى مجلد واحد .

ومعظم تفسير مجاهد شرح واف لغريب القرآن ، وتعبيرات خاصة ، وحل للكلمات الصعبة ، وتوضيح لألفاظ يغمض فهمها على من ليس له دراية بعمق اللغة العربية ، وتبيين العبارات غير المألوفة ، وفى كثير من آثاره فى التفسير يتجلى مجاهد لمن يقرأ له أنه لغوى خبير

---

(١) نلفت نظر القارىء إلى ماسبق التنبيه إليه من أن مجاهدا رحمه الله لم يكن تفسيره سردا يتناول القرآن الكريم آية آية ، لذا نجد تفسيره مختارات من آيات الكتاب العزيز التى كانت تخفى على بعض معاصريه .

قادر على كلام العرب وعارف بلغتهم وأساليب بيانهم ، وتصريف لسانهم واصطلاحاتهم وكان يقول : من لم يكن عالما بلغات العرب لايحل له التفسير «روح المعاني للالوسى ١/٥».

ثم إن مجاهداً فوق ذلك فقيهٌ يدرك بقريحته الوقادة فحوى الكلام وكنه معانى الآية ، والحق انه كان من رواد اللغويين العرب ، وتفسيره أول معجم شرح فيه كلمات القرآن : غريبه ومشكله على طراز كتب اللغة المعاجم التى لم تكن مؤلفة فى عهده حسب ترتيب حروف الهجاء وإليك امثلة من تفسيره توضح ذلك :

ثمرات من تفسير مجاهد

قال مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ الحج : ٢٩ أعتقه الله عز وجل من الجبابرة أن يدعيه أحد منهم .

رجاء فى (حرمات الله) من قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ ﴾ الحج ٣٠ قال : الحرمة مكة والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه .

وقال : فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة : ١٩٥ قال : لاتمنعكم النفقة فى حق خيفة العيلة .

وفى قوله ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ قال : لا تمنن اى لاتضعف ان تستكثر من الخير « المدثر » : ٦ .

وفى قوله تعالى ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف : ٢٩) قال : أى مجتمعا . ومن فقهه فى القرآن قول : إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما فقيل له : بمصافحة يغفر لهما ؟ فقال : أما سمعته يقول ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ « الانفال : ٦٣ » فقال له السائل وكان اسمه الوليد بن ابى مغيث : انت أعلم منى .

وفسر قوله تعالى : ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ ﴾ « الآية من النساء : ١٦ » بإتيان الرجال الرجال والآية ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ ﴾ الآية : ١٥ من سورة النساء، بالسحاق .

والآية : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾ الآية من سورة النور ـ بالزنى قال أبو حيان الأندلسى فى تفسيره البحر المحيط حـ٣ ص ١٩٤ ، ١٩٥ والفاحشة فى آية النساء الزنا بإجماع المفسرين إلا ما نقل عن مجاهد وتبعه أبو مسلم فى أن المراد بها المساحقة ثم يعلق أبو حيان فيقول : والذى يقتضيه ظاهر اللفظ قول مجاهد وغيره إن (اللاتى) تختص بالنساء وهو عام أحصنت أم لم تحصن ، وأن (اللذان) مختص بالذكور وهو عام من المحصن وغير المحصن : فعقوبة النساء : الحبس ، وعقوبة الرجال : الأذى وتكون هاتان الآيتان وآية النور قد استوفت أصناف الزناة ويؤيد هذا الظاهر قوله (من نسائكم) وقوله (منكم) وكان مجاهد يفسر القرآن بالقرآن مثل تفسير الآية ١٣ من سورة العنكبوت ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ بقوله : هو كقوله تعالى فى سورة النحل الآية ٢٥ ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ويقول فى تفسير الآية : ٣٢ من سورة فاطر : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ ، ﴿ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ « الواقعة : ٩ والمقتصد : ﴿ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ الواقعة : ٨ . والسابق بالخيرات ﴿ السَّابِقُونَ ﴾ (الواقعة : ١٠) من الامم كلها .

ويقول مجاهد فى تفسير الآية : ١٨ من سورة فاطر ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ قال : هو كقوله : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ الانعام : ١٦٤ .

التابعون تلامذة الصحابة

وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ (المزمل : ٨) قال : أخلص له إخلاصاً .

وقال فى قوله تعالى : ﴿ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ « التكاثر : ٨ » . قال : عن كل شىء من لذة الدنيا .

وقال فى قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن : ٤٦ . قال : الذى يذكر الله عز وجل عند المعاصى .

وفى قوله تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ القيامة : ١٣ قال : بأول عمله وآخره .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ « النساء من الآية ٥٩ » قال : إلى كتاب الله وإلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مادام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيا فإذا قبض فإلى سُنته ، وفى قوله تعالى : من الآية : ٢٠ من سورة لقمان : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ قال مجاهد : أما الظاهرة فالإسلام والرزق ، وأما الباطنة فما ستر من العيوب والذنوب .

وفى قوله تعالى : من سورة يس الآية ٥٥ ﴿ فِي شُغُلٍ ﴾ قال : يعنى من النعمة ﴿ فَاكِهُونَ ﴾ قال : يعنى معجبون .

وفى قوله تعالى فى سورة الصافات من الآية ٢٢ ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ (ازواجهم) قال مجاهد : يعنى أشباههم ، وأمثالهم .

وفى قوله تعالى : سورة فصلت الآية : ٨ ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قال مجاهد : يعنى غير محسوب .

وفى قوله تعالى من الآية : ٨ من سورة التحريم ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ قال مجاهد : النصوح أن تتوب من الذنب ثم لا تعود . وقال : من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين .

وفى قوله تعالى من سورة الجن من الآية : ١٦ ﴿ مَاءً غَدَقًا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ الآية ١٧ قال مجاهد :

حتى يرجعوا إلى علمى فيه وفى قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان من الآية ٧٤ قال : مؤتمين لهم مقتدين بهم حتى يأتم بهم من خلفنا .

ومن طرائف مجاهد :

قال صاحب الحلية عن الحكم عن مجاهد قال لما قدمت ملكة سبأ على سليمان بن داود عليه السلام ورأت حطبا جزلا فقالت لغلام سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : هل يعرف مولاك كم وزن هذا الدخان ؟

فقال : أنا أعلم فكيف مولاى ؟

قالت : فكم وزنه ؟

فقال الغلام : يوزن الحطب ثم يحرق ، ثم يوزن رماده فما نقص فهو دخانه .

أخباره فى الحديث :

عن مجاهد عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لاتموتن وعليك دين ، فإنما هى الحسنات ، والسيئات ليس ثم دينار ولا درهم وليس يظلم الله أحدا) . قال صاحب الحلية : هذا حديث صحيح ثابت من حديث المقبرى عن أبى هريرة . مشهور من حديث ابن عمر رواه عن ليث جماعة منهم : فضيل بن عياض ، وموسى بن أعين من حديث جابر رواه عن ابن عمر جماعة منهم : عطاء ، ونافع ، ويحيى بن راشد ، وحديث عطاء رواه عنه ابن جريج . وحديث نافع رواه عنه قطر الوراق وحديث يحيى بن راشد رواه عنه عمارة ابن غزية .

وعن مجاهد عن عبد الله رفعه الحسن ، وقطر ولم يرفعه الأعمش قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها)

قال صاحب الحلية : هذا حديث صحيح ثابت أخرجه البخارى فى صحيحه عن محمد بن كثير عن الثورى . ورواه الثورى ايضا عن زيد عن مجاهد عن عبد الله ـ ورواه فضيل بن عياض عن قطر عن حماد عن مجاهد عن عبد الله وفى هذا القدر كفاية .

وروى عن مجاهد تفسيره شبل بن عباد المكى واخرج رواياته : اصحاب السنن الستة قاله الذهبى فى الكاشف ١٢٠/٣ .

اسفاره :

كان مجاهد مسفارا يحب السفر امتثالا لقوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الانعام اية ١١ وكان لايسمع بأعجوبة إلا اشتاق إلى رؤيتها فقد ذهب إلى حضر موت لرؤية بئر (برهوت) ، وسافر إلى القسطنطينية . روى الطبرى فى تاريخه :

« فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لأهلها ، ومعه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبى زكريا الخزاعى ومجاهد بن جبر حتى اتاه موت سليمان » .

وسافر مجاهد إلى العراق واستقر فى الكوفة ، واقام بها حتى عد من أهل العراق قال ابن قتيبة : كان أشد أهل العراق فى الرأى والقياس الشعبى وأسهلهم فيه مجاهد . «تأويل مختلف الحديث» ص ٦٩ .

وفاته :

توفى مجاهد بمكة سنة إحدى أو اثنتين ، أو ثلاث ، أو اربع ومائة وهو ساجد ، وله ثلاث وثمانون سنة قاله : الداورى فى طبقات المفسرين ٣٠٨/٢ .

وقاله الذهبى فى (دول الإسلام) ص ٧٢ ، ٧٣ سنة ١٠٢ ، وقاله لى ابن قتيبة فى المعارف ص ٤٤٥ سنة ١٠٣ ، وقاله ابن الجوزى فى صفة الصفوة جـ ٢ ص ١١٩ يوم السبت سنة ١٠٢ .

وقال ابن جريج : بلغ مجاهد يوم مات ثلاثا وثمانين سنة وعن يحيى بن سعيد القطان سنة ١٠٤ هـ صفة الصفوة . وقال الذهبى فى الكاشف سنة ١٠٤ ـ ٢٠/٣ .

مراجع الترجمة :

لمجاهد ترجمة فى تذكرة الحفاظ : ٩٢/١ .
تهذيب التهذيب : ٤٢/١٠ .
حلية الأولياء : ٢٧٩/٣ : ٣١٠ .
خلاصة تهذيب الكمال : ٢١٥ .
طبقات الشيرازى :٤٥ .
طبقات القراء لابن الجزرى : ٤١/١ .
العبر للذهبى : ١٢٥/١ .
الكاشف له : ٢٠/٣ .
معجم الادباء : ٢٤٢/٦ .
ميزان الاعتدال : ٤٢٩/٢ .
طبقات المفسرين جـ ٣٠٥/٢ :٣٠٨ .
صفة الصفوة : ١١٧/٢ : ١١٩ .
تاريخ الثقات للعجلى ٤٢٠ .
البداية والنهاية : ٢٢٤/٩
ابن سعد : ٤٦٦/٥
الاعلام للزركلى : ١٦١/٦

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ونفعنا الله بهم وباثارهم والله ولى التوفيق .

الأشهر الحرم
وواجب المسلمين نحوها

للدكتور: فتحى عبد العزيز شحاته

يظل الإنسان مرتبطاً بالزمن فى حركة حياته إلى مماته فردا كان او جماعة ، ومن ثم كان استثمار الزمن فى طاعة الله من أعظم النعم التى انعم الله بها على الإنسان واشرفها ، وتنوع الزمن دال على قدرة الله وعظمته ، وهبته للبشر مؤكد لفضله ورحمته فهو وحده مقلب الليل والنهار وهو وحده واهب النعم الظاهرة والباطنة .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾(٢) .

وقد دعا الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - إلى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وجاء فى الكتاب العزيز قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٣) .

وقد فضل الله تعالى بعض الأزمنة على بعض كما فضل بعض الأمكنة على بعض وفضل بعض الرسل على بعض كما فضل بعض البشر على بعض وهو سبحانه لا يُسأل عما يفعل وهو ذو الفضل العظيم .

عدة الشهور : عرفت البشرية منذ القدم اهمية التقويم والتاريخ فاتخذت كل امة لنفسها شهوراً تحدد بها مسيرة حياتها فللفرس شهورهم وأيامهم ، وللروم والقبط شهورهما وأيامهما وقد اتفق البشر على عدة الشهور اثنى عشر شهراً وإن اختلفوا فى أسمائها وكمها غير أن للشريعة الإسلامية مصدرا وحيدا يحكم حركة الحياة فيها وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة : والمشرع الوحيد لقوانينها هو الله رب العالمين ليعلم كل ذى بصيرة صدق قول الله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٤) ، وقال رسول الله صلى

• الكاتب عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات الإسلامية - جامعة الأزهر .

(١) سورة القصص الآيات : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ -

(٢) سورة يونس الآية ٥ .

(٣) آل عمران الآية ١٩٠ .

(٤) الآية ٣٦ سورة التوبة .

الله عليه وسلم فى خطبته الجامعة فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم : ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » متفق عليه(٥) .

وفى هذا الحديث نرى النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكر أسماء ستة من الشهور العربية(٦) ، وقد ذكر باقيها فى أحاديثه الأخرى وكذلك الأمر فى الأيام .

* الأشهر الحرم : بين الرسول الكريم أن الأشهر الحرم أربعة ثلاثة متواليات وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب : والحُرُم مأخوذ من الحرمة وهى ما لا يحل انتهاكه وحرمة الرجل عرضه وأهله وماله ونفسه .. الخ .

والحرمة المرادة هنا حرمة الزمان بمعنى أنه لا يحل للمسلم أن ينتهك هذه الأشهر بمخالفة أوامر الخالق باقتراف المعاصى فيها ، والوصف بالحرمة من الله جل وعلا إشعار بتعظيمها عنده وطلب إلى عباده امتثال أمره بتعظيمها ليظهروا تقواهم له . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾(٧)

ومن التعظيم لها هذا السلوك الرفيع الذى جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وقد تضمن هذا النص الكريم ثلاثة أمور : الأول أن لا يظلم المسلمون أنفسهم افرادا كانوا أو جماعة وإذا حرم ظلم النفس فظلم الغير حرام من باب أولى . و (ظلم النفس) نص عام يقع لكل مافيه مخالفة لله تعالى ، فمن أسلم نفسه لشهواته فانغمس فى اللهو وتعاطى المحرمات فقد ظلم نفسه ومن تهاون فى أداء واجبه نحو ربه ، كأن يتقاعس عن الصلاة أو الزكاة أو نحو نفسه فتكاسل عن مذاكرة علم يرفع به شأنه ، أو نحو غيره بأن لم يتقن العمل المطلوب منه على أكمل وجه فقد ظلم نفسه والإساءة إلى الأهل والجار .

ظلم للنفس فضلاً عن كونه ظلماً للغير والأفظع من هذا الظلم ارتكاب الكبائر كالزنا والسرقة والقتل والقذف فإنها أشد حرمة وأكثر إثماً .

* الأمر الثانى :ـ

الجهاد فى سبيل الله إعلاء لكلمته ونصرة لدينه وحماية للأراضى الإسلامية من طغيان الأعداء وذلك بالوقوف فى وجههم والتصدى لهم إذا حاولوا الاعتداء على حرمات المسلمين : فقول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ اى جميعاً إذا فاجأ العدو ديار المسلمين منتهكاً حرماتها .. فيجب على أهل الدار أن يهبوا جميعاً للدفاع عن أنفسهم ووطنهم(٨) .

ومفهوم النص فى الآية يدل على تحريم الاقتتال بين المسلمين فيها وفى غيرها حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » . رواه أحمد ٢٧٧/٢ الميمنة .

الأمر الثالث :

تقوى الله عز وجل وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وهو توجيه إسلامى عظيم من الله تعالى أن يتحلوا

---

(٥) البخارى ٨٣/٦ ط / الشعب .

(٦) وباقيها صفر ـ الربيعان وجمادى الأولى ورمضان وشوال وسميت هذه الأشهر بتلك الأسماء لمعان يطول ذكرها . تراجع فى مروج الذهب للمسعودى جـ ١ ص ٤٣٦ ـ وأشهر الحج شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة .

(٧) الحج آية رقم ٣٠ .

(٨) فتح القدير للشوكانى جـ ٣ ص ٣٥٩ .

الأشهر الحرم وواجب المسلمين

بصفة التقوى في سلوكياتهم وحركة حياتهم ليفوزوا بمعية الله الخاصة التي تجلب معونته ورضوانه ونصره وتوفيقه . وقد حدد الإمام علي كرم الله وجهه حقيقة التقوى حين سُئل عنها فقال :

هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

وهي من جوامع الكلم التي استفادها من المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وقد نبه القرآن الكريم المؤمنين إلى أهمية التقوى وأنها سبب لكثير من عطاء الله تعالى فهي الوسيلة لمنح العلم : قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[9] وهي سبب لقبول صالح الأعمال . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[10] وهي المدخل لتفريج الكروب وجلب الرزق قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً.وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[11] ثم هي الطريق إلى الجنة . قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[12] .

تخصيص النص القرآني بالأشهر الحرم :

تقدم أن الله تعالى طلب من عباده ترك المعاصي التي تؤدي إلى ظلم النفس والغير في الأشهر الحرم ، وطلب منهم كذلك الجهاد في سبيله بشجاعة وبسالة متخذين التقوى طريقهم الذي يسيرون عليه شيمتهم التي يعرفون بها ، وواقع الأمر ان هذه الأمور واجبة في جميع الأشهر حرماً كانت أم غيرها . فالمعاصي حرام صغائرها وكبائرها والقتال في سبيل الله واجب متى اقتضته الظروف وحتمته الضرورة . فما معنى النص عليها في هذه الأشهر بالذات ؟

إن النص عليها بيان لمنزلة الأشهر الحرم وأنها معظمة عند الله تعالى ، فهي من حرماته الواجب تعظيمها وبعبارة أخرى هذه الأشهر بمثابة الظروف المشددة للعقوبة على الجريمة والمضاعفة للجزاء على الفضائل كما في لغة القانون فالسرقة في السوق محرمة وفي المسجد أشد حرمة وفي يوم الجمعة أكثر إجراماً وفي شهر رمضان أفظع إثماً ، والصدقة على ذي الرحم الفقير أفضل منها على غيره وفي شهر رمضان أفضل منها في غيره وهكذا . فكان الله تعالى يقول لعباده إن الأقدام على المعاصي في هذه الأشهر يضاعف من حجمها ، فيضيف على اقتراف الجريمة انتهاك حرمات الله جل وعلا ، وبالتالي يضاعف من عقوبتها وكذلك الطاعة ، فإن فعلها في هذه الأشهر إيذان بقبولها وزيادة ثوابها .

حرص الإسلام على تنظيم تلك الأشهر

كان العرب قبل الإسلام يعظمون هذه الأشهر لما تواتر عندهم من تعظيمها في الشرائع السابقة فكانوا يمتنعون فيها عن التقاتل الذي تعودوا عليه ، ولعلها كانت بمثابة هدنة تدفعهم إلى التروي والتصالح في النهاية ، غير أنهم لما لم يكن لهم منهج إلهي يحكم حركة حياتهم ، تدخلت

البقية ص ١١٦١

(٩) البقرة - الآية ٢٨٢
(١٠) المائدة الآية ٢٧
(١١) الطلاق الآية ٢/٣
(١٢) آل عمران الآية ١٣٣

من تراث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فى المكتبة الألمانية

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

ليس لأمة من الامم عناية بحديث نبيها ما للأمة الإسلامية ، تلك الامة التى وَعَتْ منزلة الحديث الشريف من الكتاب العزيز ، وعرفت مكانته من التشريع ، وقيادته فى الخلق والإصلاح ، فاحاطته بنسيج محكم يحفظ لفظه ، ويدلى بمكانته ، ويعرف به ، فتوالت بجانبه علوم تخصه ، فإنه صرح عزيز له عزة الكتاب وصدق الوحى .. نور على نور .

ولقد شاء الله أن يستبق العالمون على حفظه ، فإذا هو ـ فى الغرب ـ كما هو ـ فى الشرق ـ محاطاً بعين العناية والحفظ . وكم فى المكتبة الإسلامية فى الغرب من نوادر كتب الحديث الشريف ما يُعَدُّ جزءا من اثنين وستين ومائتى مليون مجلد إسلامى ينتشر نورها فى الخافقين ، ونحن نقدم للباحثين ـ فى هذه العجالة ـ ثبتاً مما حوته المكتبة الجرمانية ـ من كتب الحديث ، اذكرها مع بيان مؤلفيها ، وسنى وفاتهم ، وليس يفوتنا أن نشير إلى أن بعضها قد طبع :

١ ـ صحيح ابن حبان :

للحافظ أبى حاتم محمد بن حبان البستى المتوفى سنة ـ ٣٥٤ ـ أربع وخمسين وثلاثمائة . ويوجد هذا الكتاب فى مواضع عديدة فنسخة صحيحة نفيسة منه مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر فى خزانة الكتب الجرمانية . وقد كتب الحافظ على هامشها حواشى مفيدة نافعة جداً . والمجلد الأول منه فى خزانة الكتب المحمودية بالمدينة المنورة .

٢ ـ صحيح ابن خزيمة :

للحافظ الإمام أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى ، المتوفى سنة ـ ٣١١ ـ إحدى عشرة وثلاثمائة .

يوجد هذا الكتاب أيضاً فى مواضع . فنسخة كاملة منه موجودة فى الخزانة الجرمانية . ولكن المجلد الأول منها ناقص . والمجلدان الآخران منها سالمان من النقص . وقد كتب الحافظ ابن حجر عل هامشها ايضاً حواشى نافعة .

←

٣ ـ **صحيح ابى عوانة** :

للحافظ ابى عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الأسفراييني النيسابوري الأصل ـ المتوفى سنة ـ ٣١٦ ـ ستة عشر وثلاثمائة .

ويوجد هذا الكتاب ايضاً في مواضع ـ فنسخة كاملة منه مكتوبة بخط يحيى بن نعيم الانصارى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

ونسخة صحيحة نفيسة منه موجودة فى خزانة الكتب للعلامة ابى الطيب شمس الحق العظيم ابادى . مصنف (غاية المقصود وعون المعبود) رحمه الله تعالى وغفر له ـ **وقد نقلت من هذه النسخة المباركة بعض الروايات فى رسالتى (المقالة الحسنى فى سنية المصافحة باليد اليمنى)** .

٤ ـ **الصحيح المنتقى** :

للحافظ أبى على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى . المتوفى سنة ـ ٣٥٣ ـ ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

لم أقف على وجوده إلا فى الخزانة الجرمانية فنسخة منه مكتوبة بخط الحافظ السيوطى موجودة فيها .

٥ ـ **صحيح الاسماعيلى** :

وهو مستخرج على صحيح البخارى ـ للحافظ الإمام ابى بكر بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجانى . المتوفى سنة ـ ٣٧١ ـ إحدى وسبعين وثلاثمائة .

نسخة منه مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر . موجودة فى الخزانة الجرمانية وقد اختصر الحافظ هذا الكتاب ولخصه وسماه (المنتقى) .

٦ ـ **المستخرج على صحيح مسلم** :

للحافظ ابى عوانة يعقوب بن إسحاق المذكور . نسخة صحيحة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٧ ـ **المستخرج لابن منده** :

وهو الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده المتوفى سنة ـ ٤٧٠ ـ سبعين وأربعمائة .

نسخة صحيحة منه مصححة من الحافظ ابن حجر . مكتوبة بخط عمر بن يحيى المصرى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٨ ـ **المستخرج** :

لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى . المتوفى سنة ـ ٤٣٠ ـ ثلاثين وأربعمائة .

نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بخط إبراهيم الأفندى . مصححة من الحافظ السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٩ ـ **مسند ابن ابى اسامة** :

وهو الإمام الحارث بن محمد بن أبى أسامة أبو محمد التميمى البغدادى المتوفى سنة ـ ٢٨٢ ـ اثنتين وثمانين ومائتين .

ومسنده هذا مرتب على الشيوخ لا على الصحابة ـ ونسخة كاملة من هذا الكتاب موجودة فى الخزانة الجرمانية .

١٠ ـ **مسند ابن ابى عمرو** :

وهو الحافظ أبو عبد الله بن محمد بن يحيى ابن ابى عمرو المدنى الدراوردى المتوفى سنة ـ ٢٤٣ ـ ثلاث وأربعين ومائتين .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الملا على القارى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

١١ ـ **مسند الطيالسى** :

وهو الإمام سليمان بن داود بن الجارود ابو داود الطيالسى البصرى المتوفى سنة ـ ٢٠٤ ـ أربع ومائتين .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط إبراهيم الأفندى . موجودة فى الخزانة

الجرمانية .

١٢ - مسند ابى عوانة :

وهو الحافظ يعقوب بن إسحاق المذكور .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

١٣ - مسند ابن ابى شيبة :

وهو الحافظ ابو بكر عبد الله بن محمد بن ابى شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطى الأصل الكوفى . المتوفى سنة - ٢٣٥ - خمس وثلاثين ومائتين -

وهو كتاب كبير . نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

١٤ - مسند ابى يعلى :

وهو الحافظ أحمد بن على بن المثنى الموصلى التميمى . المتوفى سنة - ٣٠٧ - سبع وثلاثمائة .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الإمام الشوكانى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

قال الذهبى فى تذكرة الحفاظ ، ص ٢٧٦ - ج٢ - قال السمعانى :

سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ يقول : قرأت المسانيد كمسند المدنى ، ومسند ابن منيع . وهى كالأنهار . ومسند ابى يعلى كالبحر يكون مجتمع الانهار .

١٥ - مسند بقى بن مخلد القرطبى :

المتوفى سنة - ٧٧٢ - اثنتين وسبعين وسبعمائة .

نسخة من هذا الكتاب موجودة فى الخزانة الجرمانية .

قال فى كشف الظنون : مسند الإمام ابى عبد الرحمن بقى بن مخلد القرطبى الحافظ المتوفى سنة - ٧٧٢ - اثنتين وسبعين وسبعمائة .

قال ابن حزم : روى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابى ونيف . رتبة على أبواب الفقه . فهو مسند ومصنف ليس لأحد مثله .

١٦ - مسند البزار :

وهو الحافظ ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى - المتوفى سنة - ٢٩٢ - اثنتين وتسعين ومائتين .

نسخة حسنة كاملة من هذا الكتاب . مكتوبة بخط الحافظ الهيثمى . موجودة فى الخزانة الجرمانية . وقد كانت هذه النسخة عند الحافظ ابن حجر ، ومسند البزار - هذا معلل .

١٧ - مسند الفردوس :

وهو فردوس الأخبار للديلمى . الحافظ شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمى . المتوفى سنة - ٥٠٩ - تسع وخمسمائة .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

قال صاحب الكشف : فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب (الشهاب) فى الحديث لأبى شجاع بن شهردار بن بشرويه بن فناخسرو الهمدانى الديلمى أوله : أن أحسن ما نطق به الناطقون إلخ . ذكر فيه انه اورد فيه عشرة آلاف حديث ، وذكر فيه أنه اورد القضاعى فيه ايضاً عشرة آلاف حديث . وذكر فى الفردوس رواتها . ورتبها على حروف المعجم مجردة من الأسانيد . ووضع علامات مخرجة بجانبه . وعدد رموزه عشرون - واقتفى السيوطى اثره فى جامعه الصغير . ثم جمع ولده الحافظ شهردار المتوفى سنة - ٥٥٨ - ثمان وخمسين وخمسمائة أسانيد كتاب الفردوس . ورتبها ترتيباً حسناً فى اربعة مجلدات . وسماه (مسند الفردوس) انتهى بلفظه .

←

١٨ ـ المسند الكبير :
للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ـ صاحب الصحيح .
نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ ابن تيمية ـ موجودة فى الخزانة الجرمانية .

١٩ ـ مسند ابن حميد :
ابن نصر الإمام الحافظ الكشى . المتوفى سنة ـ ٢٤٩ ـ تسع وأربعين ومائتين .
نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الإمام الشوكانى ـ موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٢٠ ـ مسند الحميدى :
وهو الإمام ابى بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشى الأسدى الحميدى المكى . المتوفى سنة ـ ٢١٩ ـ تسع عشرة ومائتين .
والحميدى هذا غير الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين ـ نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر فى أحد عشر جزءا . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٢١ ـ مسند الخوارزمى :
وهو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمى البرقانى . المتوفى سنة ـ ٤٢٥ ـ خمس وعشرين وأربعمائة .
نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الإمام يحيى بن ناصر . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٢٢ ـ مسند ابن ابى عاصم :
وهو الحافظ الإمام ابو بكر أحمد بن عمرو النبيل أبى طالب الشيبانى . المتوفى سنة ـ ٢٨٧ ـ سبع وثمانين ومائتين .
نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ المنذرى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .
قال فى كشف الظنون ، وهو كبير نحو خمسين الف حديث .

٢٣ ـ مسند ابن جميع :
أبى الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن جميع . المتوفى سنة ـ ٤٠٢ ـ اثنتين واربعمائة .
نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر فى الخزانة الجرمانية ـ وقد كتب الحافظ على هامش هذه النسخة حواشى مفيدة .

٢٤ ـ مسند ابن راهويه :
وهو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلى المعروف بابن راهويه المروزى . المتوفى سنة ـ ٢٣٨ ـ ثمان وثلاثين ومائتين .
نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .
وللحافظ الذهبى تصنيف فى نقد رجال هذا الكتاب . ونقله السيوطى على هامش هذه النسخة .

٢٥ ـ مسند الإمام ابى إسحاق إبراهيم بن نصر الرازى :
المتوفى سنة ـ ٣٨٥ ـ خمس وثمانين وثلاثمائة .
نسخة كاملة من هذا الكتاب موجودة بخط الإمام السيوطى .. موجودة فى الخزانة الجرمانية . قال صاحب كشف الظنون : وللإمام أبى إسحاق إبراهيم بن نصر الرازى . المتوفى فى حدود سنة ـ ٣٨٥ ـ خمس وثمانين وثلاثمائة (مسند) فى نيف وثلاثين جزءا . قاله الخليلى .

٢٦ ـ مسند أبى هريرة :
للإمام المحدث أبى إسحاق إبراهيم بن حرب العسكرى السمسار المتوفى سنة ـ ٢٨٢ ـ اثنتين وثمانين ومائتين .
نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط العلامة الإمام ابن تيمية . موجودة فى الخزانة

الجرمانية .

٢٧ ـ مصنف ابن ابى شيبة :

للإمام الحافظ ابى بكر عبد الله بن محمد بن ابى شيبة العبسى . المتوفى سنة ـ ٢٣٥ ـ خمس وثلاثين ومائتين .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية . ومجلدان كاملان من هذا الكتاب موجودان فى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .

وقال فى كشف الظنون : مصنف فى الحديث للإمام ابى بكر عبد الله المذكور وهو كتاب كبير جداً . جمع فيه فتاوى التابعين ، وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على طريقة المحدثين بالأسانيد مرتبة على الكتب والأبواب على ترتيب الفقه . ولعبد الرزاق همام بن نافع الحميدى الصنعانى . أحد الأعلام المتوفى سنة ـ ٢١١ ـ إحدى عشرة ومائتين . وهو أصغر من مصنف ابن ابى شيبة . وهو كذلك مرتب على الكتب والأبواب على ترتيب الفقه . ولأبى على الحافظ سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى . المتوفى سنة ـ ٣٥٢ ـ ثلاث وخمسين وثلاثمائة .

٢٨ ـ مصنف عبد الرزاق :

وهو الإمام عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميدى الصنعانى ـ المتوفى سنة ـ ٢١١ ـ إحدى عشرة ومائتين .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الإمام الشوكانى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٢٩ ـ مصنف ابن السكن :

وهو الإمام الحافظ أبو على سعيد ابن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادى المذكور فى كلام صاحب الكشف .

نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الإمام السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٣٠ ـ معجم ابن قانع :

وهو الإمام الحافظ أبو الحسين عبد الباقى ابن قانع بن مرزوق البغدادى المتوفى سنة ـ ٣٥١ ـ إحدى وخمسين وثلاثمائة .

نسخة كاملة من هذا الكتاب موجودة فى الخزانة الجرمانية . وهى مكتوبة بخط الإمام الشوكانى .

٣١ ـ معجم ابى نعيم الأصفهانى :

وهو الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى . المتوفى سنة ـ ٤٣٠ ـ ثلاثين وأربعمائة وهو معجم شيوخه .

قال فى كشف الظنون : وجمعه الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى الغرناطى . المعروف بابن مسدى . المتوفى سنة ـ ٦٦٣ ـ ثلاث وستين وستمائة فى ثلاثة مجلدات . وهو كثير الفوائد ، إلا انه لا يكاد يذكر أحداً من الأعيان إلا ثلاثة . أ هـ . ما فى الكشف نسخة كاملة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الإمام الحافظ المنذرى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٣٢ ـ سنن ابى مسلم :

الكشى وهو الإمام الحافظ إبراهيم بن عبد الله ابن مسلم البصرى ـ المتوفى سنة ـ ٢٩٢ ـ اثنتين وتسعين ومائتين .

نسخة كاملة من هذا الكتاب موجودة فى الخزانة الجرمانية . وهى مكتوبة بخط الشيخ يحيى أفندى .

٣٣ ـ السنن الكبيرة :

للإمام النسائى . نسخة كاملة منها مكتوبة بخط الإمام السيوطى . موجودة فى الخزانة الجرمانية .

٣٤ ـ سنن سعيد بن منصور :

البقية ص ١١٤٦

عبد الله بن عمر

الناسك الزاهد

أ. د. عبد العزيز غنيم

- في مكة ...

لا خلاف بين المؤرخين في ان عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - قد ولد في مكة ، وان البطن الذى ينتسب إليه هو بنو عدى وهو احد بطون قريش الذى كان يتولى السفارة في الجاهلية ، وانه هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل ابن عبد العزى ، وان امه هى زينب[1] بنت مظعون بن حبيب بن وهب ، وانه قد تزوج[2] ثلاث حرائر وهن : صفية بنت ابى عبيد ، وسهلة بنت مالك ، وام علقمة بنت علقمة ، وقد انجب - رضى الله عنه - اربع بنات وهن : حفصة وسودة وعائشة وقلابة ، واثنى عشر ذكرا وهم : ابو بكر وعمر وحمزة وعبد الرحمن وابو عبيدة وعبد الله وزيد وبلال وسالم وواقد وابو سلمة وعبيد الله .

وقد اختلف[3] الرواة في العام الذى ولد فيه عبد الله بن عمر . أهو العام الذى بعث فيه النبى ﷺ أم هو العام الذى سبقه أو الذى تلاه أم أنه قد ولد بعد البعثة النبوية بعامين اثنين ، وهذا الخلاف مترتب على خلاف آخر وهو العام الذى توفي فيه وكم كانت سنه آنذاك ، والذى يعنينا من هذه الأقوال كافة هو أن الرجل قد عمر حتى بلغ الرابعة والثمانين أو السادسة والثمانين . وأن موته قد كان في خلافة عبد الملك ابن مروان .

وفي عام الجماعة الثانى أو بعده بعام وهو الرابع والسبعون[4] من هجرته عليه الصلاة والسلام ، ومهما يكن من شىء فإن الوحى قد هبط على النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وابن عمر هذا في الأولى أو الثانية من عمره وقد أسلم[5] بإسلام ابيه في السنة السادسة للبعثة وبعد اربعين رجلاً وعشر نسوة .

ومن الإخباريين من يدعى أن إسلامه كان قبل إسلام ابيه وهو كلام لا سبيل إلى تصديقه فليس من المعقول ولامن المقبول أن يسلم غلام في هذه السن إلا إذا كان تابعاً لأبيه أما أن يدخل في الدين الحق وأبوه ألد أعدائه آنذاك ، وأشد خصومه فكلام هو أقرب إلى الاستحالة منه إلى

(١) الاصابة في تمييز الصحابة ٣٤٧/٢ ط دار الفكر .
(٢) الطبقات الكبرى ابن سعد ١٤٢/٤ ط دار بيروت للطباعة والنشر .
(٣) الاصابة في تمييز الصحابة ٣٤٨/٢ ط دار الفكر .
(٤) البداية والنهاية هـ ٤/٩ ط مكتبة المعارف بيروت .
(٥) الاصابة في تمييز الصحابة ٣٤٨/٢ .

الإمكان ، والأمر كذلك بالنسبة لما يدعيه بعض المؤرخين من أنه قد هاجر قبل أبيه . فإن من الصعب تصور غلام في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره يجوب الفيافي والقفار بين مكة والمدينة وحده مغاضباً لقريش وغيرها من القبائل الضارية على الطريق ، والتي كانت تسلب وتنهب من يمر بها إلا إذا كان له عاصم من غيره أو من سيفه ، والحق الذي لا مرية فيه هو أنه قد هاجر مع أبيه وتحت حمايته ورعايته .

- في المدينة ...

وعلى الرغم من أن عبد الله بن عمر قد دخل المدينة - وهو لم يبلغ الحلم بعد - فإنه قد كان قوي النفس فتي القلب يؤثر آخرته على دنياه ويقدم دينه على كل شيء من أعراض هذه الحياة ، والدليل على هذا أنه تهيأ للخروج في كل من بدر[٦] واحد ، فرده النبي ﷺ لأنه كان في الأولى في الرابعة عشرة من عمره وكان في الثانية في الخامسة عشرة وكان النبي ﷺ لا يسمح لمن لم يبلغ السادسة عشرة أن يشارك في القتال ومن أجل هذا فإنه صحب الرسول عليه الصلاة والسلام بعد ذلك في غزوة الخندق وفي غيرها من المشاهد ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يسند إليه بعض السرايا ثقة فيه واطمئناناً إلى كفاءته وحسن قيادته ، ويقول الرواة :

إن عبد الله هذا قد كان يتتبع النبي - ﷺ في الحل والسفر وكان يراقب حركاته وسكناته ، ولا سيما في مناسك الحج ومشاهده ، وكان يحرص الحرص كله على التزام سنته واقتفاء اثره ، وهذه هي إحدى المزايا التي ليست في غيره مما هم في مثل سنه أو أكبر منه من بعض أصحاب النبي ﷺ مما يدل على أن دينه قد كان كل شيء في حياته .

كان ابن عمر قلبا يعمره الإيمان وذا نفس يضيء جوانبها اليقين وقد كان عبد الله بن عمر في خلافة الصديق والفاروق مضرب المثل في الخوف من الله والمراقبة له وإيثار ما عنده مما أعده لأوليائه وادخره لأحبائه ، وقد دفع به أبوه في ميادين الوغى[٧] ومعامع القتال والذي يطالع ماكتبه الطبري وغيره في فتوح العراق والشام يجد الكثير من الأخبار التي تطرى شجاعة عبد الله بن عمر وتثني على صدق بلائه وحسن ادائه ، ولما ظهرت الفتنة وتناوحت رياحها في شتى أرجاء الدولة الإسلامية اجتنبها عبد الله ابن عمر واشفق منها وحرص على أن يجنب أهله ونفسه شرورها وبوائقها ، وقد أفصح رضي الله عنه عن رأيه ورأي غيره فيها فقال :

إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها فبينا هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة فأخذ بعضنا يميناً وبعضنا شمالاً . فأخطأنا الطريق وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى تجلى عنا ذلك وحتى أبصرنا الطريق الأول فعرفناه فأخذنا فيه ، إنما هؤلاء فتيان قريش يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا .

والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضا بنعلي .

ومن أجل هذا رأيناه يبايع أمير المؤمنين علي ويرفض القتال معه ، وعلى هذا المنوال سار - رضي الله عنه - مع من جاء بعده من الخلفاء فكان يبايع كل من أجمعت عليه الأمة ودخلت في طاعته الجماعة ، ولهذا بايع معاوية وبايع ولده يزيد والأمر كذلك بالنسبة لكل من مروان بن الحكم وابنه عبد الملك ولم يطلب الرجل الخلافة لنفسه على الرغم من أن الأمة الإسلامية كانت

←

(٦) أسد الغابة ٣/٣٤٠ ط/الشعب .

(٧) أسد الغابة ٣/٣٤١ .

تحبه وتطمئن إلى نزاهته ومتانة الصلة بينه وبين ربه .

روى ابن سعد[٨] عن مجاهد قال : كنت مع ابن عمر فجعل الناس يسلمون عليه حتى انتهى إلى دابته فقال لى ابن عمر : يامجاهد إن الناس يحبوننى حباً لو كنت أعطيهم الذهب والورق مازدت .

وقد كان معاوية ـ رضى الله عنه ـ يظن أن موقف ابن عمر من الفتنة ورفض المشاركة فيها قد يكون عملاً سياسياً يستهدف منه استقطاب المسلمين نحوه فأرسل إليه يعرض عليه البيعة ليعلم إذا كان جاداً فى موقفه هذا أم أنه يستهدف من ورائه إلى ما تطمح إليه نفسه من غاية . وكان رسوله إليه هو عمرو بن العاص[٩] فقال له : « ياأبا عبد الرحمن مايمنعك أن تخرج فنبايعك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ـ وابن أمير المؤمنين وأنت أحق الناس بهذا الأمر ؟

قال : وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول ؟ قال : نعم إلا نفير يسير ، قال : لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهجر لم يكن لى فيها حاجة . قال فعلم أنه لا يريد القتال .

قال : هل لك أن تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى مابعده ؟ فقال : أف لك ، اخرج من عندى ، ثم لا تدخل علىّ . ويحك إن دينى ليس بدينانكم ولا درهمكم وإنى أرجو أن أخرج من الدنيا ويدى بيضاء نقية .

وكما امتحن معاوية عبد الله بن عمر فى تجنبه الفتنة ورفضه المشاركة فى القتال فقد امتحنه كذلك فى مبدئه الثانى وهو رفضه البيعة لأى خليفة حتى تجمع عليه الأمة وتنضوى تحت رايته الجماعة فأرسل إليه مائة ألف ، فلما علم أنه إنما يريد منه البيعة ليزيد قال : أرى ذاك أراد . إن دينى عندى إذا لرخيص ! ويظهر أن تعليق ابن عمر هذا قد أثار معاوية وحرك كوامن الغضب فى نفسه فأقسم ليقتلنه ، وقد تحدث إلى ولده نافع حول هذا الخبر فقال : لما قدم معاوية المدينة حلف على منبر رسول الله ﷺ ، ليقتلن[١٠] ابن عمر . قال : فجعل أهلنا يقدمون علينا . وجاء عبد الله بن صفوان إلى ابن عمر فدخلا بيتا وكنت على باب البيت فجعل عبد الله بن صفوان يقول : أفتتركه حتى يقتلك . والله لو لم يكن إلا أنا وأهل بيتى لقاتلته دونك !

قال فقال ابن عمر : أفلا أصبر فى حرم الله ؟ قال : وسمعت نجيه تلك الليلة مرتين فلما دنا معاوية تلقاه الناس وتلقاه عبد الله بن صفوان فقال : إيهن* ماجئتنا به ، جئت لتقتل عبد الله بن عمر : قال : والله لا أقتله . وما أشك فى أن الحوار الذى كان بين ابن صفوان وابن عمر قد بلغ مسامع معاوية وأنه قد تبين له منه ، إصرار الرجل على مبدئيه اللذين ذكرتهما أنفا وهما رفض المشاركة فى القتال ورفض البيعة لأى إمام حتى يجمع عليه الناس ولهذا فإن معاوية لم يخش على ولده يزيد من ابن عمر على الرغم من أنه قد كان من المعارضين لبيعته وقال له : فى الوصية[١١] التى كتبها له قبيل وفاته ما حاصله :

ولست أخشى أن ينازعك هذا الأمر غير

---

(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٨/٤ ـ ١٦٩ .
(٩) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٤/٤ .
(١٠) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٣/٤ .
* كذا .
(١١) الطبرى تاريخ الأمم والملوك ١٨٠/٦ .

الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير .

وقال فى عبد الله بن عمر : وأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقره الورع ووقظته العبادة فإن خليت بينه وبين دينه خلى بينك وبين دنياك ، وقد صحت فراسة معاوية فيه ، فإن الناس لما أجمعوا على بيعة ولده يزيد دخل فيما دخلوا فيه وقال : إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاءاً صبرنا . وقد حافظ ابن عمر على بيعته ليزيد ولم يتخل عنها حتى عندما خرج عليه أهل المدينة المنورة وخلعوا طاعته فقد جمع رضى الله عنه بنيه[١٢] وقال لهم : إنا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ يقول : إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقول هذه غدرة فلان ، ومن من أعظم الغدر إلا أن يكون الشرك بالله أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ﷺ ، ثم ينكث بيعته ، فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرعن أحد منكم فى هذا الأمر فتكون الصيلم بينى وبينه . وقد نسج[١٣] على هذا المنوال نفسه مع كل من مروان بن الحكم وابنه عبد الملك فقد رفض الدخول فى طاعة الأول وبايع الثانى بعد وفاة ابن الزبير ومبايعة المسلمين كافة لعبد الملك ، روى عبد الله بن دينار قال : لما أجمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب إليه ابن عمر :

اما بعد فإنى قد بايعت[١٤] لعبد الله بن عبد الملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت ، وإن بنى قد اقروا بذلك !

وينبغى ان يكون واضحاً ان ابن عمر لم يكن يبايع هؤلاء الأشخاص وهو على يقين من انهم أكثر الموجودين من أصحاب النبى ﷺ واكملهم كفاءة وحسن قيادة وإنما كانت بيعته لهم لإجماع الناس عليهم من جهة ولصيانة دماء المسلمين أن تراق وانفسهم أن تزهق من جهة أخرى والدليل[١٥] على هذا وما كان بينه رضى الله عنه وبين معاوية أثناء الاجتماع فى دومة الجندل لسماع حكم الحكمين .

روى العوام بن حوشب عن حبيب بن ابى ثابت عن ابن عمر انه قال : لما كان فى موعد على ومعاوية بدومة الجندل ما كان أشفق معاوية أن يخرج هو وعلى منها فجاء معاوية يومئذ على بُخْتِيّ عظيم طويل فقال : من هذا الذى يطمع فى هذا الأمر أو يمد إليه عنقه ؟ قال ابن عمر : فما حدثت نفسى بالدنيا إلا يومئذ فإنى هممت أن أقول : يطمع فيه من ضربك وأباك عليه حتى ادخلكما فيه . ثم ذكرت الجنة ونعيمها وثمارها فأعرضت عنه .

وقد كان ابن عمر صريحاً فى الحق لا يكتمه ولا يخشى فيه لومة لائم مر يوماً على عبد الله ابن الزبير وهو مصلوب فأطراه وعدد محاسنه وفضائله وسمع الحجاج وهو يخطب على المنبر ويقول[١٦] : « إن ابن الزبير حرف كتاب الله فقال له : كذبت . كذبت . كذبت مايستطيع ذلك ولا أنت معه . قال الحجاج : اسكت فإنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، يوشك شيخ أن يؤخذ فتضرب عنقه فيجر قد انتفخت خصيتاه يطوف به صبيان أهل البقيع » وقد كان ابن عمر لا يستريح إلى زياد ابن أبيه ولا إلى الحجاج بن يوسف ، والسر فى هذا هو أنه قد كان يمقت الظلم ويكره الجور ويرى أن حسن معاملة الرعية خير وأقوم من الشدة عليها والقسوة فى تدبير شئونها وسياسة طوائفها وأفرادها ، ولأن زياداً

←

(١٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٣/٤ .
(١٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٣/٤ .
(١٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ١٨٣/٤ ـ ١٨٤ .
(١٥) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ١٨٢/٤ .
(١٦) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ١٨٤/٤ .

الناسك الزاهد

والحجاج كليهما قد كان على النقيض مما يجب ، فإنه لما بلغه أن معاوية قد أضاف الحجاز إلى العراق لزياد وجأر الناس من ذلك واستعظموه .

دعا ابن عمر على زياد فأراح الله الأمة منه بعد دعائه عليه بأيام . والأمر كذلك بالنسبة للحجاج فإن ابن عمر قد كان لا يرضى عن سياسته الظالمة لرعيته فكان يعارضه[١٧] ويبين له عيوبه ويذكر له أنه هو السبب فى الجرح الذى أصابه فكانت منه وفاته .

روى عطية العوفى قال : سألت مولى لعبد الله ابن عمر عن موت عبد الله بن عمر فقال : أصابه رجل من أهل الشام بزجه* فى رجله ، قال : فأتاه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك لضربت عنقه ، فقال عبد الله أنت الذى أصبتني ! قال : كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح .

وواضح من هذه المحاورة وغيرها أن ابن عمر قد كان لا يخشى إلا الله ولا يرهب أحدا سواه وقد أفاض الكتاب فى ذكر فضائله وسرد مآثره فوصفوه بكل ما يعلى فى الصالحين قدره وما ينشر فى العالمين ذكره ، وقد عاش ابن عمر عيشة هى أقرب إلى التقشف والكفاف منها إلى الغنى والترف ، ولو شاء لسال المال أنهاراً بين يديه وطأطأت الدنيا هامتها أمام عينيه .

والدليل على أنه قد كان يؤثر مايبقى على ما يفنى ما رواه[١٨] ميمون بن مهران قال :

« دخلت على ابن عمر فقومت كل شىء فى بيته من فراش أو لحاف أو بساط وكل شىء عليه فما وجدته يساوى مائة درهم . قال : ودخلت إليه مرة أخرى فما وجدته يساوى ثمن طيلسانى هذا » .

قال أبو المليح : فبيع طيلسان ميمون حين مات فى ميراثه بمائة درهم .

ولم يكن تقشف ابن عمر هذا وزهده عن قلة فى المال ولا عن ضيق فى الرزق فقد كان ذا مال كثير ، وكان ذا رباع وضياع ، ولكنه كان ينفق كل ما تملكه يداه على السائلين والمحتاجين حتى إن ما كان يشتهيه من الطعام والشراب قد كان يؤثر به الفقراء ويفضل أن يفطر وهو صائم على شربة من ماء أو مزقة من لبن ولو شئت أن أسوق الروايات التى ملأت الكتب فى هذا الجانب وغيره من فضائل ابن عمر ما اتسعت لها هذه السطور

وجملة القول أن عبد الله بن عمر قد كان مثلاً يضرب للمسلم الذى سلمت نيته واستقامت وجهته . وأسلم لله تعالى قياده ، وغض عن زخرف هذه الحياة ومتاعها عينه فكان وجيها عند الناس كافة على اختلاف طوائفهم واختلاف مشاربهم ومذاهبهم .

وقد كان يتمنى ألا يكون موته فى مكة ، لأنه قد هاجر منها إلى المدينة شأنه فى هذا شأن الكثيرين من المهاجرين غير أن ما كان يريده الرجل شىء ، وما أراده الله شىء آخر . فقد توفى رضى الله عنه فى مكة وفى العام الرابع والسبعين للهجرة وقد عهد إلى بنيه أن يدفنوه خارج هذا البلد غير أن الحجاج قد غلبهم فصلى عليه ودفن فى العالية

وقد ذكر فى نهاية وصيته ماكان يتمنى أن يحققه فى حياته لكنه لم يفعل فقال[١٩] :

ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر ومكابدة الليل وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التى حلت بنا .

وبعد : فرحم الله عبد الله بن عمر وأجزل مثوبته . لقد أعطى الأمة من عقله الكثير ، وكان نعم الأواه الحليم الذى كان أسوة حسنة وقدوة طيبة ومثلاً يضرب لكل من عمل فأحسن وجاهد فأخلص وعلم فعمل .

---

(١٧) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ٤/١٨٤ .

(*) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح .

(١٨) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ٤/١٦٥ .

(١٩) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ٤/١٨٥ .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

المستشرقون والموضوعية

المستشرق فنسنك ٢

آراؤه في الحديث والعقيدة

للأستاذ الدكتور
أحمد عبد الحميد غراب

فنسنك والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

فنسنك مستشرق هولندي كان يعمل استاذاً للغة العربية بجامعة ليدن (توفى ١٩٣٩) . يُنسب إليه انه صاحب المبادرة إلى مشروع وضع المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي . ويرجع تاريخ الفكرة إلى سنة ١٩١٦ . وقد خرج المعجم في ثمانية اجزاء ، ظهر الجزء الاول منها سنة ١٩٣٦ ، والاجزاء الاخرى بعد وفاة فنسنك . وظهر الجزء الثامن والاخير سنة ١٩٦٩ . واشرف على إخراج المعجم بعد وفاة فنسنك عدد من المستشرقين(٥) .

وقد كثر التهويل بهذا المعجم حتى خرج عن قيمته الحقيقية إلى الاستدلال به على موضوعية المستشرقين ، وإنصافهم ، وخدمتهم للعلم والإسلام !

ومن ثم وجب التنبيه إلى عدة حقائق حول هذا المعجم ، وحول صاحب الفكرة في إخراجه ، وهو المستشرق فنسنك ، وآرائه في الحديث النبوي وفي العقيدة الإسلامية .

المعجم وسيلة وليس غاية :

لا شك ان هذا المعجم مرجع هام . أمّا انه مرجع نافع أو ضار فهذا يتحدد بالهدف من استعماله . فالمسلم يستعمله للرجوع إلى أحاديث الرسول ﷺ وسنته المطهرة ؛ للاهتداء بها ، والعمل بمقتضاها ، والدعوة إلى اتباعها . وبهذا يكون مرجعاً نافعاً .

أما المستشرق فيستعمله كأداة قريبة المنال للوصول بسرعة وسهولة إلى الأحاديث ، واستخدامها للطعن في القرآن والسنة ، والعقيدة والشريعة ، وفي الإسلام كله .

---

(٥) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى (دار الدعوة - اسطنبول ١٩٨٨) ٨/ز - ي .

ولا شكَّ أن فكرة وضع المعجم من قبل فنسنك كانت لتحقيق هذا الهدف ، كما يتضح من ظروف وضعه ، وتمويله ، واستخدامه .

وكما يتضح بوجه خاص من الكتاب الذي ألّفه فنسنك إبَّانَ اشتغاله بإخراج المعجم ، وهو كتاب : **العقيدة الإسلامية** .

تمويل المعجم :

اشتركت في تمويل هذا المعجم مؤسسات حكومية رسمية معروفة بنشاطاتها في خدمة الاستعمار الغربي ، وفي حرب الإسلام والمسلمين .

ومنها على سبيل المثال : الأكاديمية الملكية الهولندية التي شملت المشروع برعايتها ، وبتقديم المنح المالية بصورة مستمرة ، وكذلك الحكومة الهولندية نفسها التي قدّمت للمشروع مساعدات مالية « جديرة بالاعتبار » ! على حد تعبير فنسنك نفسه . وكذلك الأكاديميات الرسمية في كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا والدول الاسكندنافية ويوغوسلافيا[٦] .

ولا يقول عاقل إنَّ هذه المؤسسات قامت بتمويل المشروع خدمة للعلم لوجه العلم ، أو خدمة للإسلام والمسلمين !

أما انتفاع المسلمين بالمعجم فقد جاء عرضاً ، ولم يكن قط مقصوداً من المستشرقين أو مموليهم .

وهذا يذكّرني بإنشاء المستعمرين الأوروبيين لخطوط السكك الحديدية في البلاد المستعمرة في أفريقيا وآسيا . فلا يظن إلا أبله أنهم أنشأوها لخدمة سكان تلك البلاد . فالواقع أنهم أنشأوها لاستنزاف ثروات الشعوب المستعمرة ونقلها إلى الدول الأوروبية بأسرع طريق ممكن !

وبعد رحيل الاستعمار من تلك البلاد لا يمكن أن ينادي بعودته أحدٌ من أبنائها بحجة إنشاء المزيد من خطوط السكك الحديدية !

المستشرق هرجرنجي ودوره في إخراج المعجم وخدمة الاستعمار :

من أبرز المستشرقين الذين كان لهم تأثير قوى على فنسنك لوضع هذا المعجم وإخراجه مستشرق هولندي آخر لا يقل عداوة للإسلام من فنسنك ، وهو كريستيان سنوك هرجرنجي . فقد كانت نصائح هذا المستشرق « من المؤثرات التي مارست فعلها على فنسنك في تطوير هذا المشروع » . ولذلك عبَّر فنسنك في مقدمته للجزء الأول عن حزنه العميق لوفاة صديقه هرجرنجي الذي كان (مع مستشرق آخر) « من أكثر مؤسسى هذا المشروع حماسة وأشدهم قوة »[٧] .

كان هرجرنجي يعمل مستشاراً للحكومة الهولندية في تخطيط سياستها الاستعمارية التنصيرية ضد أندونسيا المسلمة . وقد أدت هذه السياسة إلى إلحاق أضرار جسيمة بالمسلمين هناك ، وإلى فرض القوانين العلمانية عليهم ، وتشجيع النشاطات التنصيرية بينهم . وعن هذا المستشرق يقول الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه القيم : الاستشراق :

« وفي سبيل استعداده للعمل في خدمة الاستعمار توجه إلى مكة عام ١٨٨٥ م بعد أن انتحل اسماً إسلامياً هو عبدالغفار (أي تظاهر كذباً بالإسلام) وأقام هناك ما يقرب من نصف

(٦) المرجع السابق : ١/٥ ـ ٦

(٧) السابق : ١/٩ .

(٨) د . محمود حمدى زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . (كتاب الأمة ـ الدوحة ١٤٠٤ هـ) ص ٤٥ ـ ٤٦ .

عام . وقد ساعده على ذلك أنه كان يجيد العربية كأحد أبنائها . وقد لعب هذا المستشرق دوراً هاماً في تشكيل السياسة الثقافية الاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية . وشغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في أندونسيا »[8] .

ويؤكد هرجرنجى ضرورة الاستشراق للاستعمار ؛ وبخاصة في دراسات المستشرقين للشريعة الإسلامية (وعلاقتها بالسنة النبوية علاقة واضحة) فيقول :

« إن الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية ، ليس فقط لأسباب تجريدية (نظرية) متعلقة بتاريخ القانون والحضارة والدين ، ولكن كذلك لأهداف عملية ، وذلك أنه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي ، وكلما زاد (عدد) البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية ـ كلما زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيين لنتعرف على الحياة الفكرية ، وعلى الشريعة ، وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية »[9]

دور العلماء المسلمين في إخراج المعجم :

ومن التهويلات حول هذا المعجم أن يقال بأن منهج المستشرقين في ترتيب مواده حسب ألفاظ الحديث هو منهج ابتدعوه ولم يسبقوا إليه .

وهذا كلام مردود .

فقد سبقهم علماؤنا المسلمون إلى هذا المنهج ، وتكفي الإشارة إلى « جامع الأصول » لابن الأثير « وتحفة الأشراف » للحافظ المزي وغيرهما من جوامع الحديث النبوي .

ومن الحقائق المعروفة ما قام به العلامة المسلم الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي ـ رحمه الله ـ من إسهام عظيم في إعداد هذا المعجم وترتيبه ، وهو الإسهام الذي مكّنته منه معرفته الواسعة بالسنة النبوية ، وتحقيقه لعدد من أهم كتبها .

أكان من الممكن أن يُنجز هذا المعجم بدون إسهام هذا العالم المسلم ؟

ومن الحقائق المسجلة أيضاً أن منضدى الحروف بدار النشر الهولندية (بريل في ليدن) لم يكونوا على إلمام باللغة العربية . فلما أرسل المعجم ليُطبع (نصفُه على الأقل) في دار نشر إسلامية (في بهيوندي قرب بومباي بالهند) قام أصحاب هذه الدار وبخاصة مديرها السيد / عبدالصمد شرف الدين بتصحيح عدد كبير من الأخطاء ، بدقة المسلم الحريص على صحة أحاديث الرسول الكريم ﷺ[10] .

تقصير المسلمين :

لا شك أنَّ الهيئات العلمية والجامعات الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي مقصِّرة أشد التقصير ؛ إذْ تركت هذا المعجم يخرج ويُنْسب الفضل في إخراجه للمستشرقين وحدهم .

ولكن المسئولية الكبرى في هذا التقصير تقع على عاتق الحكومات العربية والإسلامية . فلا شك أن العالم الإسلامي لديه الإمكانيات الهائلة من العلماء المتخصصين ، والمؤسسات العلمية ، والأموال ؛ للقيام بمثل هذا المشروع ، وبصورة أفضل تتلافى ما فيه من أوجه النقص .

ولكن للأسف نرى بعض الحكومات العربية والإسلامية تنفق الأموال الطائلة على عدد من المراكز الاستشراقية في أوروبا وأمريكا ، وتضن بالقليل على علماء المسلمين .

لأن هؤلاء العلماء ليسوا من الخواجات المستشرقين !

←

(٩) أحمد عبد الحميد غراب : رؤية إسلامية (مرجع سابق) ص ٥٣ .

(١٠) المعجم المفهرس (مرجع سابق) : ٨/ح

• المستشرقون والموضوعية

والآن نأتي إلى آراء فنسنك في العلاقة بين الحديث النبوي والعقيدة الإسلامية ، وهي الآراء التي نشرها في كتابه : **العقيدة الإسلامية** .

فنسنك والعقيدة الإسلامية

ألف المستشرق فنسنك كتاباً في العقيدة الإسلامية بعنوان :

العقيدة الإسلامية : نشأتها وتطورها التاريخي .

A.J.Wensinck

The Muslim Creed; Its Genesis and Historical devel Development .

(Cambridge University Press 2 nd Ed. 1965)

نشرت مطبعة جامعة كامبردج هذا الكتاب في طبعتين : الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢ ، أي أثناء اشتغال المستشرق بإعداد المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى . والطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ ، وهي الطبعة التي رجعنا إليها في هذا البحث .

وفي التمهيد يتقدم فنسنك بالشكر والامتنان لمستشرقين آخرين ، ساعدوه مساعدة عظيمة في إعداد الكتاب ، ولولا مساعدتهم هذه ـ كما يقول ـ « لكان من المستحيل عليه أن يُعِدَّ الكتاب للنشر » . ومن هؤلاء المستشرقين توماس أرنولد مؤلف كتاب : الدعوة إلى الإسلام ، وهاملتون جب مؤلف كتاب : المحمدية .

الإسلام والمسيحية :

في بداية الفصل الأول من الكتاب يُشبِّه المستشرق العقيدة الإسلامية بالعقيدة المسيحية في تعرُّض كل منهما « للتطور » التاريخى على أيدى الأجيال التالية لعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام[١١] .

وهذا كلام باطل من أساسه .

فمن المعروف أن العقيدة المسيحية في أصلها الموحى به إلى عيسى عليه السلام كانت عقيدة توحيد ، ثم دخل عليها التحريف والانحراف بعده ؛ حتى أصبحت في القرن الرابع الميلادى عقيدة شرك وتثليث .

وذلك بسبب ما أدخله بولس على المسيحية في القرن الأول من عقائد وثنية ؛ مثل عقيدة أن المسيح ابن الله ، وأنه صُلب للتكفير عن خطايا البشر .

ثم ماتلا هذه الانحرافات من إعلان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م (برئاسة الامبراطور قسطنطين) قراره الرسمى باتخاذ عقيدة ألوهية المسيح وبنوته لله (تعالى عما يقولون) عقيدة رسمية للامبراطورية الرومانية . ثم إعلان مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م قرار تأليه الروح القدس .

وبذلك اكتملت عقيدة التثليث ، وهى عقيدة شرك لاشك فيه صنعتها قرارات البشر .

وكل هذا « التطور » ، أى الانحراف الوثنى في العقيدة المسيحية ، لم يحدث مثله قط في الإسلام ؛ وذلك لسبب واضح ، وهو أن القرآن الكريم ـ وهو مصدر العقيدة الإسلامية ـ لم يُحرَّف ولم يُبدَّل ؛ فقد حفظه الله من كل تحريف وتبديل ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ١٥ : ٩) .

أما كتاب المسيحية ـ وهو كتاب العهد الجديد المعروف عند المسيحيين بالإنجيل المقدس ـ فقد ثبت تحريفه ، كما ثبت تحريف العقيدة المسيحية الأساسية عن ألوهية المسيح ، بالأدلة العلمية

---

(١١) فنسنك : العقيدة الإسلامية (بالإنجليزية) ص ١ .

والتاريخية القاطعة التى بّينها علماء مسلمون وغير مسلمين(١٢) .

ولكنه الحقد الدفين لدى المستشرقين اليهود والنصارى على الإسلام ؛ ولا سيَّما بسبب أنَّ الله حفظ القرآن الكريم من التحريف الذى تعرَّض له كتابهم المقدس ، الذى يشمل العهدين القديم والجديد .

ولعلَّ هذا من أهم أسباب « الحسرة » التى يشعر بها الكافرون تجاه القرآن الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ (الحاقة ٦٩ : ٥٠ - ٥١) .

* * *

القرآن لا يحتوى على العقيدة الإسلامية بصورة واضحة !

يزعم هذا المستشرق أن القرآن لا يحتوى على خلاصة واضحة للعقيدة الإسلامية ، يمكن اتخاذها وصفاً متميزاً للإسلام ، فى مقابل الأديان الأخرى ، أو فى مقابل العقائد الخاصة للفرق الإسلامية(١٣) .

ويشير إلى اختلاف الدعوة فى مكة عنها فى المدينة ، ويعزو هذا الاختلاف إلى شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتأثرها بالبيئة والظروف قبل الهجرة وبعدها .

فيزعم أنَّ الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث واليوم الآخر كانت تُكَوِّن جوهر « الوعظ » لدى - محمد صلى الله عليه وسلم - فى بداية دعوته فى مكة ، عندما كان عليه أن يواجه شكوك المكِّيين الذين لم يؤمنوا بالبعث واليوم الآخر .

كما يزعم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى مكة كان يُبَشِّر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية ، ومن ثم كان يردد قصص الأنبياء المذكورين فى التوراة والإنجيل ؛ لينذر قومه بما حدث لمكذِّبى الرسل قبله ، وليثبِّتَ أتباعه القليلين من حوله .

ولكنه - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة قوى مركزه ، وزاد أتباعه فكوَّنوا أمة ، وتخلَّص من اليهود لأنهم رفضوا الإيمان برسالته ، وأصبح زعيما سياسيا ورئيس دولة ؛ فلم يعد بحاجة إلى ترديد قصص الأنبياء التى كان يرددها فى مكة للوعظ والإنذار . وتحوَّل اهتمامه إلى التشريع والغزوات ، والغنيمة والفىء ، وتحديد العلاقات مع القبائل الوثنية ، وممارسة الشعائر الدينية ؛ وبوجه خاص إلى الأمر بطاعة الله ورسوله ، وفرض الإسلام على الناس بحدِّ السيف !

وتلك هى دعائم الحكومة الدينية التى أقامها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة ، وامتدَّ سلطانها - بحد السيف ! - خارج الجزيرة العربية بعد وفاته .

ويمضى المستشرق فى افتراءاته محاولا تدعيمها بمستشرقين آخرين ، وبخاصة صديقه هرجرنجى ؛ فيزعم أنَّ كل ما كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يهتم به ، ويوجه عنايته إليه ، فى المدينة ، ليس هو صياغة العقيدة ، بل ممارسة السلطة ، وذلك عن طريق الحكومة الدينية Theocracy التى أقامها هناك .

←

(١٢) راجع على سبيل المثال الكتاب الذى ألفه عدد من كبار علماء العقيدة المسيحية فى جامعات بريطانيا بعنوان : أسطورة الإله المتجسد THE MYTH OF GOD INCARNATE ط . سادسة لندن ١٩٨١ وراجع عنه : رؤية إسلامية للاستشراق ص ٧٧ - ١٠٢ . وراجع أيضاً : أحمد ديدات : (مختارات من محاضراته بالانجليزية بعنوان) : ISLAMIC SELECTIONS رابطة العالم الإسلامى جدة ١٩٨٣ م . وكذلك أ . د . جيجولا : خرافة الصليب THE MYTH OF THE CROSS الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء الرياض ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م . وموريس بوكاى : التوراة والانجيل والقرآن والعلم (عدة طبعات) .

(١٣) فنسنك : العقيدة الإسلامية (مرجع سابق) ص ٢ - ٦ .

ـ المستشرقون والموضوعية

وهكذا تحوّلت شخصية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شخصية واعظ تقى فى مكة إلى شخصية سياسى وحاكم فى المدينة ، ليس لديه رغبة فى التفكير فى العقيدة الإسلامية وصياغتها صياغة واضحة .

يضاف إلى هذا أنّ طبيعة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم تكن قط طبيعة مفكر أو فيلسوف دينى ، ولهذا ركّز كل اهتمامه فى ممارسة السلطة ، ولم يتجه قط إلى صياغة العقيدة .

يقول المستشرق : « ربما ندعوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا أو سياسيا أو كليهما ، ولكنه بالتأكيد لم يكن فيلسوفاً دينيا (؟ !) . وأكثر من هذا أن التغيير الذى أحدثته الهجرة وعواقبها فى حياته قد سبَّبت تغييراً فى موقفه العام[١٤] .

ويقول : « لا ينبغى أن نبحث لنجد فى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو فى طبيعته أو فى مجرى حياته ما يمكن أن يبرر لنا أن نتوقع منه أن يصوغ عقيدة »[١٥] .

تذكّر أيها القارىء أن هذا المستشرق ـ كغيره من المستشرقين ـ يزعم أنّ القرآن ليس وحيا من الله ، بل من كلام محمد .

ولأنّ محمداً لم يهتم بصياغة عقيدة واضحة فلا بد أن يخلو القرآن من العقيدة الواضحة !

لا يريد هذا المستشرق (ولا غيره) أن يفهم أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم رسولُ الله ـ وأنه لا يصوغ عقيدة من عنده ، وإنما يتلقى الوحى بها من ربه ، شأنه فى ذلك شأن جميع الرسل من قبله ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء ٢١ : ٢٥) .

ولكن دعنا نسأل المستشرق : إذا كنا لا نجد العقيدة الإسلامية الواضحة فى القرآن فأين نجدها إذن ؟ ويجيب المستشرق العلّامة : نجدها فى الحديث !

وتذكر أيها القارىء مرة أخرى أن هذا المستشرق ـ كغيره من المستشرقين ـ يزعم أن الحديث ـ أو أكثره ـ ليس من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، بل من كلام الصحابة والتابعين وتابع التابعين !

وطبقاً لهذه الافتراءات يصبح الإسلام كله من وضع البشر ، وليس ديناً أنزله رب العالمين ؛ على خاتم الأنبياء والمرسلين !

وهذه الافتراءات وأمثالها هى التى يسميها المستشرقون وعملاؤهم : « دراسات موضوعية » . يتحدث المستشرق عن العلاقة بين العقيدة الإسلامية والحديث النبوى فيقول :

« بوجه عام ؛ فإن أقدم نموذج للشهادة (كلمة التوحيد) نجده فى الحديث (النبوى) ؛ أى فى الكتابات التى تأخذ شكل أقوال تنسب إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنها [أى الأحاديث النبوية] فى الحقيقة مرآة لتاريخ الأفكار الإسلامية خلال القرن الأول الهجرى [أى أنها أحاديث موضوعة] . ففى الحديث نجد أقدم المناقشات والتعريفات للإيمان والإسلام ، والإيمان وعلاقته بالعمل ، وأركان الإسلام ، وعقيدة اليوم الآخر »[١٦] .

يتبـع

---

(١٤) المرجع السابق : ص ١٧ .

(١٥) السابق : ص ١٩ .

(١٦) السابق : ص ١ ـ ٢

الفتاوى

للشيخ على حامد عبد الرحيم

قضاء مافات من الصلوات

س : ماكيفية قضاء مافات المسلم من الصلوات ؟

جمعة سيد عبد العاطى - آداب الزقازيق

جـ : صفة القضاء نوعان : قضاء لجميع الصلاة ، وقضاء لبعضها .

ذهب المالكية إلى وجوب ترتيب المقضيات بعضها مع بعض ، وترتيبها مع الحاضرة إذا كانت الصلوات المقضيات خمسا فما دونها ، وأنه يبدأ بالمقضيات قبل الحاضرة ، حتى قالوا إذا ذكر المنسية وهو فى صلاة الحاضرة فسدت الحاضرة عليه . وقد أوجب أبو حنيفة والثورى الترتيب مع الحاضرة إذا اتسع وقتها لأداء المنسيات مع الحاضرة فى الوقت ، أما إذا ضاق الوقت تقدم عليها ، وقال الشافعى لايجب الترتيب وإن رتب مع اتساع الوقت فحسن .

أما إذا زادت الفوائت عن خمس صلوات فلا ترتيب وليصلها فى أى وقت ، ولو صلى مع كل وقت وقتا من الفوائت لايعد مقصرا إلى أن يغلب على ظنه أنه أدى ماعليه ولابد من القضاء ، ولو كان قد تركها متعمدا .

وذهب ابن حزم إلى أن من ترك الصلاة متعمدا فلا قضاء عليه بل هو آثم ، وهو مشهور مذهب أحمد ، لأنهم يرونه قد كفر بتركها عمدا حتى خرج وقتها إنما عليه التوبة فقط .

إمامة الصبى

س : لوحظ أن بعض مساجد شبرا الخيمة يؤم الناس فيها أشبال صغار فى سن ١٢ ، ١٥ سنة مع تادية خطبة الجمعة فما موقف الاسلام من إمامة الصبى ؟.

عبد الواحد جبر - مساكن اسكو - بهتيم

جـ : إن بلوغ الإمام شرط لصحة إمامته للرجال البالغين فى الفريضة وكذلك فى النافلة لما روى عن ابن عباس « لايؤم الغلام حتى يحتلم » .

وقال المالكية إن بلوغه شرط لصحتها فى الفرض ، ولهم فى النافلة قولان وأجاز الحنابلة إمامة الصبى المميز فى النافلة واشترطوا البلوغ فى الفريضة .

وذهب الشافعية إلى أن البلوغ ليس بشرط فى الصلاة المفروضة ولافى غيرها لحديث البخارى (أن عمرو بن سلمة كان يؤم قومه على عهد

←

رسول الله ﷺ وهو ابن ست أو سبع) إلا أن إمامة البالغ أولى .

وقال الأوزاعى « لايؤم الغلام فى الصلاة المكتوبة حتى يحتلم إلا أن يكون قوم ليس معهم من القرآن شىء فإنه يؤمهم الغلام المراهق » وقال الزهرى : إن اضطروا إليه أمهم .

مافضل بنى إسرائيل ؟

س : ماتفسير قول الله تعالى : فى سورة البقرة : ﴿يَابَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ .

عاشور محمود قفط - قنا

جـ : فى هذه الآية خطاب من الله عز وجل لأبناء العبد الصالح - يعقوب عليه السلام . ذاكرا لهم ما مَنَّ ربه على آبائهم وعليهم من النعم ، وأنه فضلهم على غيرهم ، إذ جعل فيهم أنبياء وجعلهم ملوكا وفضلهم على العالمين فى زمانهم .

فالله سبحانه يذكر اليهود المعاصرين بالنعم التى أنعم بها على آبائهم ، وهى نعم عليهم أيضا بالتبع ، فعليهم أن يذكروها حتى يقوموا بشكرها ويلجأوا لواهبها ، فقد نجى الله آباءهم من فرعون ، وجعل الله لهم فى البحر طريقا يبسا سلكوه حتى عبروا سالمين . وترك فرعون وجنوده يغرقون وبنو إسرائيل ينظرون إليهم ومن نعمه عليهم وعلى آبائهم سقيا هؤلاء الآباء فى الصحراء إذ نبع لهم الماء من اثنتى عشرة عينا بضرب موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - الحجر بإذن ربه .

ومنها نعمة السحاب الذى ظللهم فى التيه والكثير غير هذا ... مما فضل به على عالمى زمانهم ، وليس على العالمين فى كل وقت .

السير فى جنازة غير المسلم

س : ماحكم الإسلام فى السير فى جنازة غير المسلم والتعزية ؟

ى .س .ب - منشاة عباس كفر الشيخ

جـ : يجوز السير فى جنازة غير المسلم وتعزية أهله فيه ، لأن هذا عمل إنسانى لاضرر فيه على المسلم .

وقد مرت جنازة على مجلس رسول الله ﷺ : فقام لها رسول الله واقفا فقيل له : إن الميت يهودى فقال ﷺ «أليست نفسا ؟» .

العمل بالمحاماه

س : ما رأى الدين فى العمل بالمحاماه .

س .ا الحراجية - قوص

جـ : المحامى إذا دافع عن الحق ، ووقف إلى جانبه دائما ، فعمله مشكور وحسن .

أما إذا كان يعمل لكسب القضية بحق أو بباطل ، فعمله باطل حرام لايجوز .

• • •

من يرث ومانصيبه ؟

س : توفيت امرأة عن أولاد عمة شقيقة ، وبنت ابن عم لأب ، وبنت عم لأب ، وأولاد عم لأم .

ع .س .ى . مدرس بدار معلمى كفر الشيخ .

جـ : مادام لم يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ، والمذكورون جميعا من ذوى الأرحام ، فإن التركة لأولاد العمة الشقيقة تقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . ولا شىء لبنت ابن العم لأب ولا لبنت العم لأب ولا لأولاد العم لأم لحجبهم بأولاد العمة الشقيقة ، والله أعلم .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

الصلاة

إلى القادة العرب

تحية للأزهر الشريف

الصلاة

للأستاذ : محمد على جمعة الشايب

إذا ما سئمت كلام البشر   وضقت بلغوهم المستمر
وجدت الصلاة بها راحتى   وفيها الفرار لمن لا يقر
وحسبى أنى بها طاهر   أيمم وجهى لبيت عمُر

ويصغر كل عظيم بقولى   بها الله أكبر مهما كبر
وفى حضرة الله بين يديه   وقفت وقلبى بحب غمُر
فيا للجلال وروحى تناجى   إلهى فيها وحبى استعر

وفيها يذوب فؤادى خشوعاً   وبى عزة الذل للمقتدر
وأبلغ فيها ذرا عزتى   إذا ما سجدت لرب البشر
أسلّم فيها على المصطفى   رسولاً شفاعته تنتظر

وخمس تثبت روح اليقين   وتحيى النفوس بنشر عطر
تداوى الصلاة جراح القلوب   وتجبر من ركنها ما انكسر
وتصبح فى الليل حتى ترى   من النور مالا يره البصر

بأن ختام الكفاح الصلاة   ومن يكسب الدين فهو انتصر
ولو كسب المرء كل المنى   وضيع دينا فحقا خسر
فداو الشباب إذا ما غوى   وضل الطريق به وانحدر

بنور الصلاة يرى دربه   وتنهاه عن كل فعل نُكر

إلى القادة العرب

شعر/ أحمد المنشاوى الورداني

الله اكبر: عاد العُربُ والتَحَمُوا   فالشمل مجتمع والصف منتظم
مهما تباعدت الأبناء وافترقوا   فالدين يجمعهم والود والرحم
ففى القلوب جلال الحب متصل   وفى الوجوه جمال البشر مرتسم
كانت مفاجاة دكت اعاديهم   وصدعت كل ماظنوا وماوهموا

***

أن الأوان لكى تجتاز وحدتكم   سدا، بناه القلى والشك والتهم
ودونكم تبعات ليس ينجزها   إلا التضامن والإيثار والهمم
هذى فلسطين تدعوكم لنجدتها   فالدور تهدم والنيران تلتهم
غدوها سادر فى غيه بَطِرٌ   لسفك كل دم من اهلها نهمُ
قد داس ماخطه موسى بشرعته   وكله لنداءات الورى صمم

***

وهذه هضبة الجولان كم صرخت   اين الإباء واين العز والشمم
راحت حجارتها من طول ما احتملت   ينقض منها على اعدائها الرجم

وذاك لبنان اضحى من تمزقه   فريسة حولها العقبان والرخم
اودى الدمار به فانفض سامره   ومات فوق بنان العازف النغم

***

فاجمعوا امركم وامضوا لطيتكم   عسى الجراح التى استفحلن تلتئم
فالناس ترقب ما ياتى به غدكم   ايقدم الركب ام تهوى به القدم
فامحوا الظنون بافعال منسقة   والله بالنصر والتاييد فوقكم

تحية للأزهر الشريف

شعر/ رشاد محمد يوسف

«الله اكبر» لم تزل المئذنة ... ومواكب التوحيد تخطر مؤمنة
ذو الألف عام لايزال شبابه ... وعطاء راحته حديث الألسنه
صان الشريعة والعروبة شامخا ... واضاء ساحتنا طوال الأزمنه
تسعى الشعوب إليه تخطب وده ... ليمد فى كرم عليها اغصنه

***

يتناول النشء الصغير عجينة ... فينير جوهره ويصقل معدنه

***

يامعقل الاحرار كم من ثورة ... اشعلتها تابى حياة المسكنه
وتقود خطو الثائرين لحقهم ... وتضم طاقات الحياة الممكنه
ياازهر الثوار كم من غارة ... دهمتك خافية واخرى معلنه
ووقفت فى وجه العداة مجاهدا ... وجعلت من طيش المغامر مدفنه
كم من إمام فى رواقك ساهر ... وعناء هذا الشعب قرح اجفنه

***

يايوم نابليون بين جنوده ... والحقد اترعهم كئوس الشيطنه
ياساحة المعمور كيف بفجرهم ... جعلوك باللخزى مربط احصنه

***

ياحارس الإسلام كم من جاحد ... عاب الحواشى او اذان العنعنه
ذاق الرحيق براحتيك سلافة ... ومضى يسفه عامدا من لقنه
ثم انثنى يزرى بفضل شيوخه ... وهم الأصالة والأصول البينه
ويعيب صحنك والرواق ومن به ... والله يعلم سر تلك الشنشنه

***

ياساحة المعمور لن تتقهقرى ... ابدا ولن يخبو نداء المئذنه
ستضىء بالإسلام كل حياتنا ... وتظل للقرآن كل الهيمنه
فانشر على الدنيا شعاعات الهدى ... لايشغلنك ماتلوك الألسنه
فالشمس لاتخشى الضباب إذا بدا ... كلا ولا يخفى الغبار السوسنه
والله اكبر لن يزال رنينها ... يسرى على سمع الجموع المؤمنه

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية

العلامة ابن كنون

شيخ علماء المغرب

للدكتور أحمد الحفناوى

لم ينس التاريخ أن يسجل الجهاد المشرف لمجموعة قادت حركة التحرير والتنوير للفكر العربي الإسلامي، وبعثه، حتى أصبح من أهم عوامل النهضة، وسلاحا قويا فى مقاومة الاستعمار والفرنسة !!

وفى المقدمة من هؤلاء الاعلام الذين جاهدوا فى سبيل إحياء التراث الإسلامى فى المغرب من العلماء الأفذاذ الشيخ الجليل، عبد الله كنون، شيخ علماء المغرب ..

وقد نعت مشيخة الازهر الشريف منذ فترة، الشيخ الفاضل الذى كان عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر !!

والحق اننى لا اريد ان اكتب تاريخا «للشيخ»، ولا اريد ان أزيد الناس معرفة بعظمته وشأوه، ولا أزكى على الله نفسى بالكتابة عن «رجل» كنت تشعر وانت تجالسه بمدى اهتمامه بقضايا المسلمين فى كل مكان.

إن المحاولة التى انا بصددها أكثر تواضعا من هذا كله .. إنى أصغى إلى الشيخ الجليل لا أكثر وأتطلع إليه لا أقل ! وفى ثنايا هذه الخواطر سأحاول أن أحقق لقاء بين القراء وبين «الرجل»، الذى أسعدتنى المقادير بلقائه فى القاهرة أوائل السبعينيات وكنت وقتها أعد دراسة عن «جامعة القرويين فى المغرب» وكان للقائه فى القاهرة، ولرسائله إلى من المغرب الشقيق فيما بعد أثر كبير فى إخراج هذه الدراسة عن تلك الجامعة العريقة !!

لقد كانت سجايا الرجل تملأ المكان والزمان، من زهد القادرين وإخبات الناسكين ووداعة الأتقياء المتقين.

ولد «عبد الله كنون» فى مدينة «فاس» العريقة فى سنة ١٩٠٨ م قبل إعلان الحماية على

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية

المغرب بأربع سنوات .. وأمام طغيان الاستعمار الفرنسى العنيف منذ إعلان الحماية ، حاول والده الانتقال به - مع باقى أفراد الأسرة إلى المشرق - ولكن قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م حال بينه وبين السفر فهاجر إلى مدينة « طنجة » ولم يكمل « عبد الله » العاشرة إلا وكان قد حفظ القرآن الكريم ودرس الكثير من قواعد اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، ولم يكن اختيار الدراسات الإسلامية له - من قبل والده - مصادفة أو غريبا ؛ ذلك لأن البيئة التى كان فيها بيئة دينية ، فالأسرة كلها تشتغل بالتراث الإسلامى والفكر العربى : الشيخ «عبد الصمد » والده من كبار العلماء والمؤلفين فى الفقه والتصوف والبيان والنحو ، وجده الشيخ « التهامى كنون » من كبار مشايخ جامعة القرويين .

نشأ « ابن كنون » ، « وكنون » - فى لغة البربر الدارجة - معناها القمر ، فوجد نفسه مع أسرة هاجرت من موطنها الأصلى مدينة «فاس» هرباً من الطغيان الاستعمارى الذى كان يخص قادة العلم والدين بالنصيب الأوفر من الأذى ؛ وإيمانا منها : بأن السبيل الوحيد للدفاع عن الوطن هو أن تواصل دورها وجهادها فى سبيل المحافظة على القيم الدينية واللغة العربية .

وتلقى «عبدالله كنون» مختلف فروع هذه الدراسة على أساتذة متخصصين ونمى بجهوده الذاتية معلوماته فى : التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفنون .

وقد لفت الأنظار وهو فى سن مبكرة بعلمه وتفهمه ، وفتحت الصحف والمجلات : فى المغرب والمشرق صفحاتها لمقالاته إذ كان اتجاهه ،

عبدالله كنون

اصلاحيا سنيا ، سياسيا وطنيا ، فهو يدعو إلى تجديد المفاهيم الإسلامية ، ومحاربة الاستعمار .. جمع بين خصال الشيوخ من : سعة العلم وكمال الفضل وخلال الشباب من فكاهة الحديث وزيادة النشاط .. كما كان صبيح الوجه ، نحيف الجسم إلى الطول أميل ، لا يلتزم زيا بعينه .

شارك «ابن كنون» فى النشاط السياسى الذى قام به المغرب من أجل الحرية ، وكان له دور بارز فقد امتنع عن مبايعة «ابن عرفة» ، الذى نصبه الاستعمار الفرنسى ملكا على المغرب ، بدلاً من الملك «محمد الخامس» الذى اختطف ، وفى عام ١٩٥٤ أصبح وزيرا للعدل ، ثم حاكما لمدينة «طنجة» فترة من الزمن .

كذلك عمل «ابن كنون» مدرسا فى الكليات التابعة لجامعة القرويين ومديرا لمعهد مولاى الحسن فى «تطوان» فأحدث فيه نهضة كبرى ،

وقد جذبته الكلمة المطبوعة فأصدر مجلة «لسان الدين» كما أشرف على تحرير صحيفة «الميثاق» لسان رابطة علماء المغرب ، وقد شغل مناصب هامة ؛ فكان : رئيسا لرابطة علماء المغرب وعضوا بمجلس جامعة القرويين ، وعضوا بالمجلس الأعلى للتخطيط ، وعضوا فى لجنة تدوين القوانين بالمملكة ، وهو ايضاً عضو فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق .

وقد أنتج «عبدالله كنون» ثلاثة أعمال عظيمة فى مجال الفكر العربى الإسلامى هى :

* موسوعة «النبوغ المغربى فى الأدب العربى » .

* وكتاب «مفاهيم إسلامية» الذى صدر فى بيروت .

* وكتاب «ذكريات مشاهير رجال المغرب » الذى نشره فى مجلدين .

وقد انتشر الكتاب برغم المعارضين ، وترجم إلى الأسبانية ومنحته إحدى الجامعات فى اسبانيا الدكتوراه «الشرفية » .. وكان قد صدر قرار من الاستعمار الفرنسى بمقاومة هذا الكتاب ومصادرته ومعاقبة من تضبط عنده نسخة منه !!

ولم يقف عمل العلامة «عبدالله كنون» عند هذا الحد ، ولكنه أسهم منذ مطالع الثلاثينيات فى صنع النهضة الفكرية فكتب فى كثير من صحف ومجلات المشرق العربى ، وبخاصة فى مجلة «الرسالة» التى كان يصدرها فى القاهرة أديب مصر الراحل أحمد حسن الزيات وأيضاً فى مجلة «المنهل» السعودية الرائدة التى مازال تصدر إلى اليوم بفضل جهود صاحبها ورئيس تحريرها الأديب الكبير «نبيه بن عبد القدوس الانصارى » مد الله فى عمره ، وكذلك كان له عدد آخر من الابحاث فى مجال النقد والترجمة والخواطر ، وكان يقول : لا أرى تناقضا بين الأدب والفقه والحديث .. الم يكن أعلام المحدثين والفقهاء فى نفس الوقت من مؤلفى الآداب ومصنفى الأخبار ؟ ومنذ إنشاء «مجمع البحوث الإسلامية» فى الأزهر الشريف فى أوائل الستينيات عين الشيخ «كنون» عضواً به عن المغرب الشقيق ، وكانت عينه دائماً على ما يجرى فى عالم الإسلام من أحداث ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من رجالات المغرب المناضلين .

ولن ننسى ما كتبه الشيخ الجليل فى «العهد الجديد» المغربية سنة ١٩٥٧ م رداً على القرارات التى صدرت أنذاك تقضى بدمج «جامعة القرويين» وروافدها بالتعليم العام فى المغرب ، فقد ذكر : « ... كم أراد البعض فى مصر الإيقاع بالأزهر ولكنهم لم ينجحوا ، وقد ثار جدل عنيف حول ما اسمى «بالخطوة الثانية» .. وكاد الأمر يتم لولا يقظة الأزهريين وثباتهم .. فسلم الأزهر ولكن القرويين وقعت .. واستمرت حملته فى الصحف على هذه القرارات حتى الغيت !! واتبع ذلك بأن أصدر مشروعاً عن «رابطة علماء المغرب» برئاسته ، يوضح : كيف يتم النهوض بهذا النوع من التعليم ، وكان من اثر هذه الحملة ، أن دعا البعض من المهتمين بالموضوع إلى : أن تقوم لجنة بالسفر إلى مصر لدراسة كيف استطاع الأزهر أن ينهض بذاته بعيداً عن الدمج والمحو وهكذا كانت رحلة عمره تمثل التاريخ الحى لجريمة الاستعمار ، وبسالة الإنسان العربى فى المغرب .. ثم هزيمة المستعمر ، وعودة المغرب الشقيق إلى الصف العربى ، يساهم فى مسيرة النضال العربى من أجل الحرية والبناء .

لله در «ابن كنون» أى امرىء كان !!

من تراث الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بقية

وهو الحافظ سعيد بن منصور الخراسانى . المتوفى سنة ـ ٢٢٧ ـ سبع وعشرين ومائتين .

نسخة كاملة من هذا الكتاب موجودة فى الخزانة الجرمانية . وهى مكتوبة بخط الإمام الشوكانى .

٣٥ ـ مبسوط فى الحديث :

للإمام البخارى . وهو مكتوب بخط الحافظ ابن منده .

نسخة من هذا الكتاب موجودة فى الخزانة الجرمانية . وقال فى كشف الظنون مبسوط فى الحديث للإمام ابى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . ذكره الخليل فى الإرشاد . وأن وهب ابن سليم رواه عنه فى كتاب العلل . وذكره ابو القاسم بن منده أيضاً . وأنه يرويه عن محمد بن عبد الله بن حمدون عن أبى محمد عبد الله بن الشرقى عنه .

٣٦ ـ المختارة فى الحديث :

للإمام الحافظ ضياء الدين المقدسى . نسخة كاملة من هذا الكتاب فى الخزانة الجرمانية . وهى مكتوبة بخط ابن كثير .

٣٧ ـ كتاب العلل :

للإمام الدارقطنى . نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بخط الحافظ ابن حجر موجودة فى الخزانة الجرمانية .

وبالله حولى واعتصامى وعدتى . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الصبر عند البلاء ـ بقية ـ

عن محارم الله فله ستمائة درجة . ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة » .

وسأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ طائفة من أصحابه من انتم ؟ قالوا : مؤمنون . قال وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : نصبر على البلاء . ونشكر على الرخاء . ونرضى بمواقع القضاء . فقال : مؤمنون ورب الكعبة » .

وفى نزهة المجالس للشيخ الصفورى : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا أحب الله عبداً ابتلاه . فإن صبر اجتباه ، فإن رضى اصطفاه » .

وقال بعض العلماء :

الصبر على درجات : الأولى : ترك الشكوى ويسمى الصبر الجميل وهى درجة التائبين .

الثانية الرضا بالمقدور وهى درجة الزاهدين .

الثالثة : المحبة بما يصنع به المولى وهى درجة الصديقين .

وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس فيقول لهم : انطلقوا إلى الجنة فتقول لهم الملائكة : إلى أين ؟ قالوا : إلى الجنة . قالوا قبل الحساب ؟ قالوا : نعم . قالوا : من انتم ؟ قالوا : نحن أهل الصبر . قالوا : كيف صبرتم ؟ قالوا : صبَّرنا انفسنا على طاعة الله وصبَّرنا انفسنا عن معاصى الله . وصبَّرناها على البلاء والمحن فى الدنيا . فتقول لهم الملائكة : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

نسأل الله تعالى ان يرزقنا الصبر فى جميع أحوالنا إنه على ما يشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير .

العلوم الكونية

الإنسان وقضايا العلم المعاصر

معلومات علمية عن الخنزير

الإنسان وقضايا العلم المعاصر

أ. د. أحمد فؤاد باشا

إن العلاقة بين العلم والفكر علاقة جدُ وثيقة ، والارتباط بينهما وبين حضارة الإنسان ارتباط عضوى وتاريخى محكم ، فما كان للعلم ان يكون اساسا لتشييد حضارة بمعزل عن الفكر الذى يحتضنه ويغذيه ، وماكان للفكر الإنسانى ان يزدهر ويرقى بعيدا عن العلم الذى يدعمه ويكثر من ثماره . وإن اكثر حركات الإصلاح نجاحا هى ما كانت تحمل مسئولية التنوير القائم على حقائق العلم ، والداعى إلى الإيمان على بصيرة .

ولقد تدخل العلم فى نسيج الحياة المعاصرة بحيث لم يعد هناك اى ضرب من ضروب النشاط الإنسانى إلا ويعتمد على العلوم وتقنياتها فى تخطيطه وتطويره والإسراع بإيقاع حركته . ويرى المهتمون بالدراسات المستقبلية أن نتائج الأبحاث الجارية حاليا تنبىء عن ثورة علمية مرتقبة يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات العلمية السائدة والمذاهب الفلسفية القائمة ، ويطرأ بسببها تحول كبير على وعى الإنسان وتصوره لنفسه وللكون الذى يعيش فيه .

وسوف نعرض فيما يلى لنماذج منتقاة من قضايا العلم المعاصر ، بعد مقدمة نراها ضرورية ، حول أثر العلم فى حياة الإنسان .

اثر العلم فى حياة الإنسان :

لاشك فى أن العلم ، بنظرياته وتطبيقاته وتقنياته ، يسهم إسهاما مباشرا فى تشكيل حياة الإنسان ، وفى رسم تصوراته عن نفسه وعن علاقته بالعالم من حوله . ومن يستقرىء تاريخ المعرفة والحضارة يمكنه أن يتعرف على مدى الأثر الذى يحدثه تطور العلم والتقنية فى مناهج التفكير الإنسانى إذا ما قارن بين حدود عالم الإنسان ، منذ كان يقدح الأحجار لاستخراج الشرر وإيقاد النار لأغراض الدفء والإنارة وطهو الطعام ، إلى أن وصل إلى تفجير الطاقة من الذرة

ونواتها ، ثم حقق حلمه القديم فى ارتياد أجواز الفضاء الخارجى .

وكان طبيعيا أن تصب كل معرفة جديدة فى نفس الإنسان ووعيه وتجربته ، وأن يوسع التطور الحضارى دائرة التأثير والتأثر ، وأن يبسط العلم ظله على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتمعات ، وأن تتغير النظرة إلى وضع الإنسان بعد أن أزيحت الأرض عن مركز الكون وجعلها العلماء تقنع بمكان ضئيل على حافة طريق لبنى صغير .

ولقد بلغت الصورة الراهنة للواقع العلمى والتقنى درجة من التعقيد والتشابك ، تمتد فى أحد جوانبها من أصغر الجسيمات الأولية فى عالم الذرة والنواة إلى أكبر المجرات الكونية فى عالم الفضاء اللانهائى ، وتمتزج فى هذه المجالات بميادين أخرى على نفس المستوى من الخطورة والأهمية ، تشمل تقنيات الليزر والحاسب الآلى والذكاء الاصطناعى والهندسة الوراثية والطاقة وسباق التسلح فى الميادين البيولوجية والكيميائية والنووية وغيرها .

وتدلنا مؤشرات النتائج التى توصل إليها الباحثون خلال العقدين الماضيين فى مختلف فروع العلم على أننا نعيش مرحلة جديدة من التفكير العلمى والتقنى المرتبط بمفاهيم ميتافيزيقية أحيانا ، مثل التحكم فى فترة دوام الجسيمات الأولية عن طريق سرعاتها ، والحديث عن الأبعاد الخفية للزمان والمكان ، وحقيقة الخلق من العدم ، ونظريات أصل الكون وتمدده ، واحتمالات وجود كائنات عضوية حية أذكى من الإنسان وأقوى ، والترغيب ـ من جانب أصحاب النزعة العلمية والتقنية المتطرفة ـ لمايشبه الاعتقاد بأن الفضاء الخارجى هو الوطن الطبيعى للبشر[1] .

وإذا كان سكان الكرة الأرضية يقسمون اليوم إلى شمال قوى متقدم وجنوب ضعيف متخلف ، فإن الإدراك الواعى لطبيعة التطورات التى تحدث فى مختلف ميادين العلم المعاصر من شأنه أن يساعد على تقييم موضوعى لتلك الفجوة الواسعة بين سكان الكوكب الواحد . كما أن التوصيف الأمين لهذا الواقع العلمى والتقنى يعتبر ـ فى رأينا ـ مدخلا ضروريا لأى جهد أو تفكير ينشد الخروج من مستنقع التخلف والتبعية ويسهم فى إعداد عقليات علمية قادرة على المشاركة فى ميادين الابتكار والإبداع .

وبطبيعة الحال سوف تختلف طرائق التناول باختلاف وجهات النظر الفلسفية المطروحة فى ساحة الفكر المعاصر على تعددها وتباينها ، حيث يطمع كل فريق إلى أن يجعل من تصوره الذاتى أساسا لإيمان اجتماعى جديد يكون لديه بمثابة الدين الذى يهدى إلى الحقيقة .

وهنا تبرز حاجة البشرية الماسة إلى المنهج الإسلامى الذى ينقذها من متاهة الحيرة بين نظريات الحقيقة ومشكلات المعرفة كما تراها الفلسفات الوضعية المتصارعة والمنتهية بانتهاء واضعيها . فالحقيقة التى ينبغى معرفتها ليست هى مايضعه الفلاسفة اتفاقا أو اختلافا ولكنها الحقيقة البناءة المرتبطة بالعلم وبالواقع ، وهى أيضا الحقيقة الهادفة إلى اليقين المرتبط بالصدق

---

(١) يمكن التعرف على الكثير من جوانب الفكر العلمى المعاصر بالرجوع إلى :

ـ مصطفى طيبة ، الثورة العلمية والتكنولوجية والعالم العربى ، دار المستقبل العربى ، القاهرة ١٩٨٣ .

ـ د . جون ديكنسون ، العلم والمشتغلون بالبحث العلمى فى المجتمع الحديث ، عالم المعرفة (١١٢) ، الكويت ١٩٨٧ .

ـ د . أحمد فؤاد باشا ، نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٥٤ ، مارس ١٩٨٩ ، ومقالنا : الإنسان وأبحاث الفضاء الكونى ، مجلة الأزهر ، جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٨٨ م .

• الإنسان وقضايا العلم المعاصر

وبالعقيدة . وإذا كان العالم الكبير من حولنا قد بدأ يعيش عصر التغيير الخطير باتجاه ثقافة عالمية جديدة ، فإننا مطالبون بالتفاعل مع هذا التغيير مواكبة وتأصيلا فى آن واحد . ذلك لأن العلم ليس تقنية فحسب ، ولكنه أيضا حالة فكرية لها إطارها العقائدى وهدفها الإنسانى ورصيدها الحضارى . وفى التوجه الإسلامى الرشيد خير ضابط للعقلانية والتجريبية على حد سواء(٢) .

قضايا علمية معاصرة :

ولعل فى ضرب الأمثلة التوضيحية مايعين على فهم ماقلناه من أن نتائج الأبحاث العلمية المعاصرة تنبىء بظهور تصدع ملحوظ فى بعض النظريات العلمية الشهيرة ، أو فى الأنظمة الفلسفية القائمة عليها ، وتؤذن بحلول عهد جديد تتجاوز فيه البشرية كل المناهج والفلسفات الوضعية التى حكمت التفكير والبحث فى العالم المتقدم منذ بضعة قرون خلت . وسوف نعرض الآن لعدة أمثلة منتقاة ذات دلالة خاصة فى الواقع العلمى والتقنى المعاصر :

اولا : قضية توحيد القوى الطبيعية :

وقد كانت هذه القضية واحدة من المشكلات التى راود حلها أحلام الفيزيائى الشهير « البرت أينشتين » أثناء عمله فى نطاق « نظرية النسبية العامة » على أساس أن « هندسة الكون » تحتاج فى تعيينها إلى التعامل مع المادة والطاقة فى آن واحد باعتبارهما أشبه بوجهين لعملة واحدة . ويعنى هذا ضرورة الجمع بين المكان والزمان فى نسق رياضى واحد ذى بنية متصلة ذات اربعة أبعاد يطلق عليها اسم « المزمكان Spacetime» وهو مصطلح علمى منحوت من كلمتى الزمان والمكان ليدل على اتصالهما حسب نظرية اينشتين .

اما بالنسبة لأنواع القوى التى تعمل فى الطبيعة فمن المعروف انها تُرد إلى أربع قوى أساسية هى :

١ ـ قوة الجاذبية Gravitational force ، وهى التجاذب الموجود بين الأجسام المادية كما عبر عنه السير اسحق نيوتن بقانونه المشهور الذى ينص على أن « كل جسمين فى هذا الكون يتجاذبان بقوة تتناسب طرديا مع حاصل ضرب كتلتى الجسمين وتتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما » . ويعزى إلى هذه القوة سقوط الأجسام تلقائيا نحو الارض ، كما يعزى إليها تماسك المادة المتمثلة بالكواكب والنجوم والمجرات فيما بينها . وتفهم قوة الجاذبية فى ضوء نظرية النسبية العامة لاينشتين على أنها أثر من آثار مايسمى بالانحناء الذاتى Intrinsic curvature لبنية « الزمكان » . وتعتبر قوة الجاذبية من حيث الشدة ضعيفة جدا إذا ماقورنت بأنواع القوى الاخرى ، لكن مدى فعلها لانهائى .

٢ ـ القوة الكهرومغناطيسية Eletromagnetic Force وتعمل بشكل تجاذب أو تنافر بين الجسيمات المشحونة كهربيا وفقا لقانون التربيع العكسى الذى وضعه عالم الفيزياء الفرنسى شارل كولوم ، وينص على أن « مقدار قوة التجاذب (أو التنافر) بين جسمين مشحونين يتناسب طرديا

---

(٢) د . احمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ .
انظر ايضاً دراستنا المنشورة بعنوان : « نسق اسلامى لمناهج البحث العلمى » ، مجلة منبر الحوار ، العدد ١٧ ، ربيع ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

مع حاصل ضرب شحنتيهما وعكسيا مع مربع المسافة بينهما » . كما تعمل القوة الكهرومغناطيسية بشكل مماثل بين الشحنات المغناطيسية حيث تتجاذب الأقطاب المختلفة وتتنافر الأقطاب المتماثلة ، ومن حيث شدة التأثير فإن القوة الكهرومغناطيسية تفوق تأثير قوة الجاذبية ، ومدى فعلها لانهائي كذلك ، وإليها يعزى ارتباط الكترونات الذرة بنواتها ، وتماسك الذرات والجزيئات المكونة للمادة . وقد كشفت نظرية ماكسويل للكهرومغناطيسية عن أن الضوء يتكون من مجالين أحدهما كهربى والآخر مغناطيسى ، ويهتز كل منهما بالانسجام مع الآخر فى اتجاهين عموديين على اتجاه الانتشار بأطوال موجية متفاوتة عبر طيف شامل .

٣ ـ القوة النووية الشديدة Strong nuclear force وينحصر تأثيرها فى حدود أبعاد نواة الذرة رغم أن شدتها أكبر ألفى مرة تقريبا من شدة القوة الكهرومغناطيسية . وينسب لهذه القوة الفضل فى حفظ تماسك نواة الذرة وربط البروتونات والنيوترونات بداخلها .

٤ ـ القوة النووية الضعيفة Weak nuclear force وهى المسئولة مع سابقتها ـ وإن كانت أقل شدة منها مائة ألف مرة تقريبا ـ عن سلوك الجسيمات على المستوى دون الذرى ، وإليها يعزى بشكل خاص أحد أشكال التحلل الإشعاعى للنواة بانبعاث أشعة بيتا Beta radioactivity .

ومن الجدير بالذكر أن تأثيرات الفعل المختلفة للقوى الأساسية الأربع تنقلها حاملات تسمى « بوزونات » نسبة إلى العالم الهندى س . ن . بوز S .N .Bose ومنها « الفوتونات » Photons التى تحمل القوة الكهرومغناطيسية بين الشحنات الكهربية ، و « الجرافيتونات » Gravitons التى تحمل قوة الجاذبية بين الكتل المادية ، « الجليونات » Gluons التى تحمل القوة النووية الشديدة ، والبوزونات الوسيطة لحمل القوة النووية الضعيفة .

وقد عكف العلماء الثلاثة عبد السلام ـ وينبرج ـ جلاشو على دراسة قضية التوحيد بين القوى الأساسية الأربع ، ونجحوا جزئيا فى توحيد القوتين الكهرومغناطيسية والنووية الضعيفة فى قوة واحدة تنبأوا بها فى نظرية الكهرضعيفة Electroweak theory ثم اكدتها التجارب العملية التى تمت عند طاقات عالية جدا فى المختبر الأوروبى لفيزياء الجسيمات الأولية بجنيف والمعروف باسم « سيرن » CERN ويواصل العلماء الآن بحوثهم لاستكمال عملية التوحيد بين القوى الأربع تدريجيا ، ويأملون فى هذا النطاق أن يتم توحيد القوة الكهربية الضعيفة مع القوة النووية الشديدة فى إطار « نظرية توحيد أعظم » Grand unified theory او G .U.T. ثم تضم قوة الجاذبية لتنصهر القوى الأربع فى قوة وحيدة يجرى تطويرها الآن على قدم وساق تحت اسم « نظرية التوحيد الشامل لكل شىء » T.O.E. او Theory of every thing وسوف يكون من شأن هذه النظرية الخطيرة أن تصف فى عملية كاملة جريئة كل التفاعلات التى تحدث بين الجسيمات ، كما يعلق العلماء عليها أملا كبيرا فى استكشافهم للظروف التى مرت فيها مراحل تكوين الكون المبكرة عندما كانت درجة الحرارة مرتفعة جدا إلى درجة يتعذر فيها التمييز بين القوى الأربع ، مما يلقى مزيدا من الضوء على طبيعة العالم الذى نعيش فيه اليوم .

←

(٣) كانت هذه النتيجة الهامة واحدة من الكشوف العلمية المميزة التى أهلت العلماء الثلاثة للحصول على جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٧٩ م

من ناحية أخرى ، يبنى العلماء حساباتهم لاستكمال عملية التوحيد بين القوى الأربع على أساس تأثيرات ميكانيكا الكم Quantum mechanical effects التى كشفت بدورها عن نظرية جديدة تسمى «الجاذبية الفائقة» Su-pergravity ، ونظرية أخرى أحدث تسمى نظرية «الأوتار الفائقة» Superstring وأهم ماأسفرت عنه هاتان النظريتان هو إتاحة الحديث عن عدة امكانيات لعدد الأبعاد التى تصف «الزمكان» . ويغلب الاحتمال بأن تكون ابعاد حيز الفضاء والزمن عدتها عشرة أو أحد عشر ، على أن يكون الانحناء الهندسى لأبعاد اينشتين الأربعة هو المحدد لحجم الكون وعمره ، أما الانحناء الهندسى للأبعاد الأخرى المتبقية (الستة أو السبعة) فيرتبط بظهور الشحنات الكهربية والشحنات الناقلة للقوة النووية .

وهكذا نرى مؤشرات تصدع نظرية الأبعاد الأربعة لأينشتين ومحاولات ترميم بنائها بعشرة اركان او أحد عشر ركنا (أو بعدا) . لكن مامدى صحة هذه الافتراضات الجديدة ؟ وماسر هذا العدد من الأبعاد الإضافية ؟ وهل هناك احتمال لان يزيد فى المستقبل أم أن الفكرة سوف تنهار من أساسها ؟ وبينما يحاول العلماء الآن وضع إجابات وحلول لهذه المشكلات ، طلع عليهم بحث جديد لم يكونوا على استعداد له . فهو لم يضف هذه المرة بعدا جديدا لقياس حيز الزمان والمكان ، ولكنه أضاف قوة أساسية خامسة ، لم تكن فى الحسبان ، إلى القوى الأربع الأصلية التى تعارفنا عليها منذ زمن طويل ، وقيل عن هذه القوة الجديدة : إنها ذات طبيعة تنافرية ضعيفة ، وأن مداها الفعال هو بضع مئات من الأمتار ، أى أطول من مدى القوتين النوويتين (الشديدة والضعيفة) وأقصر من مدى القوتين الأخريين (التجاذبية والكهرومغناطيسية) . وأن شدتها لاتتوقف على كتلة الجسمين المتفاعلين أو شحنتهما ، وإنما على خصيصة تتغير بتغير تركيب المادة ، وتعتمد على الفرق بين عدد النترونات والبروتونات فى وحدة الكتلة . وإذا كان هناك من يصف هذه النظرية الجديدة عن قوة خامسة بأنها عمل يثير الإعجاب ، فإن هناك ايضا من ينتظر الدليل القاطع على صحتها بالتجربة والبرهان . ولكنها بكل تأكيد قد عملت على زعزعة أفكار كان يظن أنها ثابتة حتى عهد قريب .

ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم بإذن الله .

معلومات علمية عن الخنزير

للدكتور / عمر عثمان على والى

نزل تحريم الخنزير في القرآن الكريم في مواضع عدة من الكتاب العزيز، فجاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ﴾ الآية ١٧٣(١) ونحن نلتمس - في ضوء المعلومات العلمية التي منحنا الله - سبحانه - إياها - شيئا من أسباب تحريمه على المسلمين؛ فنقول:

أولاً: عملية تربية الخنزير ومعيشته:

يعيش الخنزير ويربى على « القمامة » في أماكن عفنة قذرة، يتجه إليها بطبيعته، ويتغذى عليها، وبالتالي يحمل جراثيم جميع الأمراض التي تضره وتضر آكله، وهو - فيما نرى - حيوان لا يغار على أنثاه؛ فالبلادة صفة راسخة فيه، وليس بعيداً أن يكون أسلوب معيشته هو السبب الأصيل في ذلك.

ثانيا: كيفية قتله:

ولا نقول: (ذبحه) فهذا اللفظ الأخير لفظ تذكية رفيع نستخدمه في الحيوان الذى أحل الله طعامه.

يعتبر الخنزير الحيوان الوحيد الذى لا نقدر على ذبحه كسائر الحيوانات؛ لأن الذبح يوجب قطع الودجين والحلقوم والمرىء؛ وبقطع الودجين وهما شريانان كبيران يندفع من خلالهما الدم إلى خارج الجسم فيؤدى ذلك إلى الموت ولكن التركيب التشريحى للخنزير يختلف فإن الشريانين الموجودين في رقبة الخنزير ضيقان ويوجد بجانبهما كمية كبيرة من الدهن مما يؤدى إلى انسدادهما مرة ثانية، ويتم تغذية المخ عن طريق شريان آخر وبالتالى لا يموت الخنزير، ولهذا السبب يقتل الخنزير بالطعن في القلب مباشرة بدون ذبح؛ فهو - إذاً - حيوان غير قابل للتذكية (الذبح).

ثالثا: التركيب الداخلي للخنزير:

يختلف الخنزير في نقاط كثيرة عن سائر الحيوانات حيث:

١ - يختلف فيه الجهاز اللمفاوى عن سائر الحيوانات اختلافا كبيرا، ويعتبر الجهاز اللمفاوى من أهم الأجهزة المناعية في الجسم،

←

(*) الكاتب: رئيس قسم اللحوم والمجمدات « كومبيصل ».

(١) انظر أيضاً المائدة الآية ٣، والأنعام الآية ١٤٥، والنحل ١١٥.

معلومات علمية عن الخنزير

فإن كمية الأجسام المناعية الموجودة في الخنزير أقل بكثير جداً من سائر الحيوانات مما يؤدي إلى دخول الميكروبات إلى جسم الخنزير بسهولة ليست بسائر الحيوانات .

٢ ـ يختلف شكل خلايا الكبد عن جميع الحيوانات فتظهر الخلايا الكبدية على شكل سداسي .

٣ ـ تختلف معدة الخنزير عن سائر مِعَدِ الحيوانات حيث تحمل معدة الخنزير عدداً أقل من الغدد التي تحملها الحيوانات الأخرى .

٤ ـ تعتبر أمعاء الخنزير من أقصر الأمعاء بالنسبة لسائر الحيوانات .

٥ ـ يختلف الخنزير عن الحيوانات الأخرى بالنسبة لكمية السائل المنوي حيث إن كميته في الخنزير تصل إلى ٢٥٠سم^{3} ، في حين أن سائر الحيوانات لا تتعدى الكمية لديها حجم ١٢سم^{3} .

٦ ـ لحم الخنزير ودهن الخنزير :
يوجد خلايا دهنية بين ألياف العضلات في الخنزير تسبب عدم وصول العصارة المعدية إلى ألياف العضلات مما يؤدي إلى جعل لحم الخنزير عسر الهضم ، ومن الصفات المميزة للحم الخنزير الترسيب الملحوظ للدهن تحت الجلد ، ويكون الدهن مميزاً باللون الأبيض فيتحول لون اللحم إلى اللون الأبيض بعد عملية الطهو في حين أن لون اللحم يصير داكناً في لحم الحيوانات الأخرى عند الطهو .

كذلك توجد اختلافات كثيرة من الناحية التشريحية والفسيولوجية .

رابعاً : الأمراض التي تصيب الخنزير :

وهي قسمان : قسم يصيب الخنزير ، وقد يثبت ـ فيما بعد ـ أنه يصيب آكله ، وقسم يصيب آكله ، ومن القسم الأخير :

(أ) تنيا سوليم : وهي ديدان تعيش في الجزء العلوي من الأمعاء الدقيقة للإنسان إذا أكله ، طولها حوالي ستة عشر قدماً ، وهي ذات مخاطيف عددها من ٢٦ إلى ٢٨ مخطافاً بالإضافة إلى أربعة شفاطات ، وتعتبر هذه الديدان من أخطر الديدان التي تصيب الإنسان ومن الصعب علاجها وتؤثر تأثيراً كبيراً على صحته .

(ب) تراي كينوزيس Trichinelle spiralis هي من الديدان الخيطية التي تصيب الإنسان عن طريق أكل لحم الخنزير وتسبب الأعراض الآتية :

١ ـ أعراض أولية : إسهال وآلام بطنية .

٢ ـ بعد تسعة أيام تظهر عدوى تشبه الانفلونزا ، وحمى التيفود .

٣ ـ وأخيراً تظهر آلام تشبه الروماتيزم .

٤ ـ وفي النهاية تصل اليرقات إلى عضلة القلب وتسبب لها التهاباً Myocarditis ، أو تصل إلى المخ فتسبب التهاباً به Encephalitis وقد سجلت نسبة ٥٪ من هذه الحالات تؤدي إلى الموت ، وبهذا تعتبر (التراي كينلا) من أخطر الديدان الخيطية .

* وقد سجلت بعض الحالات في أمريكا ـ فتبين أنه إذا تناول (واحد وسبعون) شخصاً خنزيراً واحداً مصاباً بالتراي كينلا ؛ فإن (تسعة

وخمسين) شخصا منهم يصابون بحالات خطيرة ، واثنين منهم يموتان .

٢ ـ الأمراض التى تصيب الخنزير ولا تنتقل إلى الإنسان :

(أ) Brown Fat disease وهو يأتى نتيجة تغذية الخنزير على وجبة السمك ، فتكسب هذه الوجبة الدهن اللون البنى المصفر ، ويعزى هذا اللون إلى وجود صبغات مقاومة للأحماض acid Fact pigment لأن دهن الخنزير من الدهون غير المشبعة .

(ب) .Milk spot وهو مرض خاص بالخنزير ويستلزم إعدام الكبد تماما .

(جـ) ويوجد عديد من الأمراض على سبيل المثال :

١ ـ حمى الخنزير Swin Fever

٢ ـ كوليرا الخنزير Hog cholera

٣ ـ جمرة الخنزير Swine Erysipelas

٤ ـ نوع من أنواع ديدان الاسكارس Ascaris Suum

٥ ـ نوع من أنواع الديدان المعدية Hyostron gias rubidus

خامسا : الهرمـونــات :

* وتلاحظ وجود نسبة عالية من الهرمون الأنثوى فى دهن الخنزير ، وهذا الهرمون يؤثر على متناوله حيث إنه يزيد من نسبة الهرمون الأنثوى عند الذكور مما يضعف الهرمون الذكرى ، وبالتالى تظهر صفات الأنوثة عند الرجال وتقل صفات الرجولة ، وفى نفس الوقت تزيد نسبة الهرمون الأنثوى عند الإناث مما يؤدى إلى اختلال موازين المجتمع فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وقد تلاحظ هذا فى المجتمعات التى تتناول لحم الخنزير بصفة مستديمة وهى ظاهرة كما ذكرنا واضحة فى طبيعة الخنزير نفسه .

سادسا : الكشف البيطرى على الخنزير :

وهذه من النقاط الهامة حيث إن الكشف البيطرى فى جميع مجازر العالم الآن يتم على جميع الحيوانات وتصدر بعده شهادة بأن لحم الحيوان صالح ١٠٠٪ للاستهلاك الآدمى ، أما بالنسبة للخنزير فإن إصدار شهادة كهذه تعتبر من المستحيلات ؛ فإن ٥٠٪ من هذا الحيوان لا يصلح استهلاكه لدى آكليه ، كما أن البقية التى تحمل لهم شهادة بصلاحية أكله لا تسلم مما عرضناه من خصائص الخنزير ، أضف إلى ذلك أن العلماء لم يتوصلوا إلى طرق علمية دقيقة وشاملة لتوفير نتائج غير قابلة للشك ، فإن (التراى كنيلا) من الديدان التى تعيش داخل لحم الخنزير ، وللتأكد من أن هذا الحيوان خال منها يجب فحص جميع ألياف العضلات تحت (الميكروسكوب) وهذا غير ممكن .

ومن هذا تتضح لنا حكمة الله سبحانه وتعالى فى تحريم هذا الحيوان ، فإن تساءل بعض المشككين : لماذا خلق الله سبحانه وتعالى هذا الحيوان ؟ قلنا : وهل كل الحيوانات التى خلقها الله عز وجل خلقت لتؤكل ؟

إن على الدول الإسلامية ـ وهى تحرم الخنزير ـ أن تفطن إلى أن هناك معلبات ومنتجات حيوانية يستخدم فيها دهن الخنزير وتصدر إلى الدول الإسلامية فيجب الوقوف على ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى أراد لنا طيب الطعام .

طرائف ومواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

نصيحة

حبس عبد الملك بن مروان العطاء عن الناس فدخل عليه أعرابى ، وقال له : يا أبا الوليد بلغنى أن عندك مالا فإن كان لله فاقسمه على عباده . وإن يكن لك فتفضل به عليهم ، وإن يكن لهم فادفع إليهم أموالهم . وإن يكن بينك وبينهم فقد أسأت شركتهم ، ثم ولى .

فقال عبد الملك : اطلبوا الرجل فطلبوه فلم يقدر عليه ، فأمر للناس بعطياتهم .

حقا

وقد يرجى لجرح السيف برء
ولا برء لما جرح اللسان

قالوا ...

● فى صلاح الأموال : سلامة الدين ، وجمال الوجه ، وبقاء العز ، وصون العرض .

● راحة الروح فى قلة الآثام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

● من عفت أطرافه حسنت أوصافه .

● من لايستحى من نفسه ، فجدير أن لايستحى من غيره .

● من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضرها عنه .

● من أراد أن يكون عالما فليطلب علما واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم .

● من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ، ولعدو صديقه عدوا .

● الكريم يمنح الرجل مودته عن لقية[1] واحدة ، أو معرفة يوم ؛ واللئيم لايصل أحدا إلا عن رغبة أو رهبة .

قال حبيب الشاعر :

وإن أولى الموالى أن تواسيه
عند السرور لَمَنْ واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ماأسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى الموطن الخشن

(١) يقصد عن لقاء واحد .

حقائق

قال الأحنف بن قيس :

الملول ليس له وفاء ، والكذاب ليست له حيلة ، والحسود ليست له راحة ، والبخيل ليست له مروءة ، ولايسود سيىء الخلق .

على العاقل

حق على العاقل أن يتخذ مرآتين :

فينظر من إحداهما فى مساوىء نفسه فيتصاغر بها ، ويصلح ما استطاع منها ؛ وينظر فى الأخرى فى محاسن الناس فيحليهم بها ، ويأخذ ما استطاع منها .

قليل الشهوة إلى الطعام

نزل رجل بصومعة ناسك ، فقدم الناسك إليه أربعة أرغفة ، وذهب ليحضر إليه العدس ، فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز ، فذهب وأتى بخبزه فوجده قد أكل العدس ، وفعل معه ذلك عشر مرات .

فسأله الناسك : أين مقصدك ؟

قال : إلى الأردن .

قال : لماذا ؟

قال : بلغنى أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتى ، فإنى قليل الشهوة إلى الطعام .

فقال له الناسك : إنى لى إليك حاجة .

قال : وماهى ؟ قال : إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علىّ .

بين حكيم وحكيم

أشار حكيم على حكيم برأى فقبله منه ، فقال له : لقد قلت بما يقول الناصح الشفيق الذى يخلط حلو كلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره ، وقد وعيت النصح وقبلته ، إذ كان مصدره من عند من لا يشك فى مودته ، وصفاء غيبه ونصح حبيبه ، وما زِلْتَ بحمد الله إلى الخير طريقاً واضحاً ، ومناراً بيِّناً .

كيف أصبحت ؟

قال حكيم لآخر :

ياأخى ، كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت وبنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثير مانعصيه ؟ فما ندرى أيهما نشكر أجميل ماينشر ، أو قبيح مايستر .

« إيثار فى مجال الشهادة »

يروى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه رأى أخاه « زيدا » فى غزوة بدر لا يلبس درعاً ، فخلع عمر درعه ، وقال لأخيه ، أقسمت عليك إلا لبست درعى ، فأخذها زيد ولبسها ، ثم نزعها .

فقال له عمر : ما بالك ؟

فقال زيد : إنى أريد بنفسى ما تريد بنفسك .

دعاء

اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضياء ، ولأبصارنا جلاء ، ولأسقامنا دواء ، ولذنوبنا ممحصا ، ومن النار مخلصا .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أسباب تأخر المسلمين

فى العصور الأخيرة وعلاج هذا الموقف

لصاحب الفضيلة
الشيخ عبد الحميد عنتر

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لعل السبب فى تأخر المسلمين فى عالم اليوم يرجع إلى نسيان عدة ركائز، ماكان ينبغى لنا ان ننساها او نغفل عنها، فقد داعب احلامنا زخرف الحياة الدنيا وزينتها فجرينا خلف سرابها الخادع. واصبحت «الانا» هى المهيمنة والمسيطرة، وجهلنا حقائق الإسلام التى تدعونا دائماً إلى الحركة الحضارية.

- وتمزقت فينا النفوس فطمع فينا العدو، وفرح الحقود.

تصدير:

هذا الموضوع كان يتلجلج فى نفسى من زمن بعيد، وكان يضيق به صدرى ولا ينطلق لسانى، وكنت فى شبه يأس من فائدة الكتابة فى هذا الشأن وامثاله مما يتعلق بتشخيص الداء ووصف الدواء، لاستئصال الأمراض النفسية التى كادت تفتك بالمجتمع الإسلامى من جميع نواحيه!...

ليس عند المنصفين من شك فى ان المسلمين اصبحوا مستضعفين مغلوبين على امرهم فى مشارق الأرض مغاربها!

وانهم تفرقوا شيعاً واحزاباً ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

وأن خاصتهم وبعض عامتهم تحللوا من تعاليم الإسلام ، وجعلوها قيوداً « رجعية » رجعت بهم القهقرى : بينما تقدم غيرهم ممن لم يأخذوا بهذه التعاليم ، كشعوب أوروبا وأمريكا وبعض شعوب الشرق الأقصى « اليابان » . ولا ريب في أن هذا التحلل يعد تأخراً في الدين !

وأن الغالبية العظمى من المسلمين تأخرت في ميدان السباق العلمي عن كشف وسائل الراحة ، ووسائل الدفاع عن النفس ، على حين تم السبق لغيرهم في هذا الميدان ! لا شك في أن هذا كله قد حدث ، بل حدث ماهو أعظم من هذا كله : وهو زعزعة عقائد الدين في نفوس بعض المسلمين الذين فتنوا بعلوم « أوروبا » ومخترعاتها ...

أقول هذا ، والأسى يملأ فؤادي ... وإني أتساءل :

هل يرجع ذلك إلى طبيعة الإسلام .

أو إلى طبيعة المسلمين أنفسهم .

أو إلى شيء آخر غير ما ذكرنا ؟

ذلك ما أريد أن أبينه تحت هذا العنوان ، ثم أصف بعد ذلك العلاج الناجع والدواء الشافي ، عسى أن نتخلص من هذه الأوصاب الصعاب ، وما ذلك على الله بعزيز !

التأخر لا يصح أن يعزى إلى طبيعة الإسلام :

ذلك أن الإسلام دين الحضارة والمدنية الصحيحة ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(1) .

دين العزة والكرامة ، والعمل لسعادتي الحياة : الدنيا والآخرة .

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(2) .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(3) .

دين العقيدة السليمة والإيمان القوى الموحد : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(4) .

﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(5) .

دين المثل الأعلى للاجتماع البشري ، والأخوة الإنسانية : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(6) .

ولقد عاش الرسول ﷺ منفقا عمره النفيس في تبليغ هذا الدين الحق ، بين كر وفر ، وغزوات وسرايا ، ورسل وكتب إلى الملوك والقياصرة ، حتى حقق الله جل شأنه قوله في كتابه العزيز : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(7) . ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(8) .

ثم جاء بعده الخليفة الأول « أبو بكر الصديق » فتمم البناء الذي شيده الرسول

←

---

(1) القصص ٧٧

(2) الآية ٨ من سورة المنافقون .

(3) الآية ١٠٥ من سورة التوبة .

(4) الآية ١١٠ من الكهف .

(5) الآية ٦٤ من آل عمران .

(6) الآية ١٣ من الحجرات .

(7) الآية ٣٣ من التوبة .

(8) الآية ٨ من الصف .

الأعظم ، وانصرفت كل همته إلى تأسيس هذا البناء وتدعيم أركانه . وكانت شئون الحضارة وقتئذ ثانوية بالنسبة إلى تبليغ الدعوة الإسلامية .

ولما استتب الأمر فى عهد الخليفة الثانى « عمر ابن الخطاب » شرع رضى الله عنه يسلك سبيل الحضارة الدنيوية ، فنظم ديوان الجند ، ووضع أساس البريد واستجلب « المنجنيق » من بلاد الفرس واستعمله فى الحرب ، إلى غير هذه الاصلاحات التى حالت منيته العاجلة دون تحقيقها ، والتى هى من الإسلام فى اللباب والصميم !

ثم تتابع الخلفاء من الأمويين والعباسيين يقتفون أثر عمر ، ويتغلغلون فى حضارة الفرس والروم ، فترجموا الكتب ، وضربوا بسهم فى علوم الكون ، كالكيمياء والطبيعة والفلك ، حتى كان عصر الأندلس الأموى الإسلامى ، فازدهرت المعارف الإسلامية ، وترعرعت العلوم فى حضانة الإسلام ، بين دينية وأدبية ، ولغوية ، وصناعية ، وزراعية ، وهندسية ، وكيماوية .

تلك الحضارة التى تسربت إلى فرنسا ، ثم إلى ألمانيا ثم إلى انجلترا ، ثم إلى سائر ممالك أوروبا .

تلك الحضارة التى كان من آثارها أن جعلت أوروبا بلاد الشرق كلها أسواقاً تباع فيها منتجاتها المنوعة التى يتوقف عليها رقى العمران وتقدم الشعوب[٩] ، والتى جلبت معها سموم الأخلاق والعقائد الدينية والوطنية فتسممت بها البيئات الشرقية ، وسرت تلك السموم فى النفوس ، وبخاصة المتعطشة منها إلى الرقى ، وساعد على سرعة سريانها نفثات المستشرقين من دعاة الاستعمار وأبواق المدنية الكاذبة ؛ فزعموا - والزعم مطية الكذب - إن الإسلام دين التوحش ، لأنه يقطع يد السارق ؛ ودين الهمجية ، لأنه يبيح بيع الرقيق ؛ ودين التأخر والجمود ، لأنه لا يدعو إلى الكشف والاختراع ؛ ودين يضاد الاجتماع ، لأنه يبيح تعدد الزوجات ، إلى غير ذلك من الترهات التى زعموها مبادىء للإسلام . والله يشهد أن الإسلام من مزاعمهم براء : لأن تلك الأحكام شرعت لحكم وأسرار إلهية ، لا تدرك إلا بالتأمل الدقيق والتفكير العميق .

وزادوا على ما ذكر أن نفثوا فى روع الناس ممن لم يتمكنوا من تعاليم دينهم أن السبب الوحيد فى تأخرهم فى الحضارة هو تمسكهم بالإسلام ، مستدلين على ذلك بتقدم أوروبا المسيحية ، وتأخر الشرق العربى الإسلامى !!

يقولون هذا وأكثر من هذا بملء أفواههم ، وينعقون به فى مجتمعاتهم ونواديهم ومدارسهم ، وينسون أو يتناسون أن الإسلام هو الذى فتح عيون أوروبا لمبادىء هذه الحضارة ، وأن علماء القوانين الوضعية والاجتماعية الحديثة فى أوروبا أخذوا من الإسلام لبابه ، واستخلصوا منه مقومات الحضارة وانتحلوها لأنفسهم ، وأخذوا يمنون على الشرق بها ؛ وما دروا أنها بضاعتنا ردت إلينا ، ولكنها ردت إلينا ناقصة مشوهة ، لا تناسب الحياة الشرقية فى شىء ، كما شهد بذلك علماء القانون من الشرقيين !

(٩) يريد الكاتب بمشيئة الله أن يقول : ثم ردتها إلينا ومعها سموم الأخلاق .... الخ . كما يتبين من المقال .

الخلاصة ـ أن تأخر المسلمين في مضمار الحضارة لا يرجع إلى طبيعة الدين الإسلامي لما ذكرناه .

فهل يرجع هذا إلى طبيعة المسلمين أنفسهم ؟

الجواب بالسلب المؤكد ؛ لأن طبيعة المسلمين في العصور الأخيرة هي طبيعتهم بذاتها أيام بسطوا ظلهم على رقعة كبيرة من أديم الكرة الأرضية ، تمتد من أواسط آسيا شرقاً إلى ساحل المحيط الأطلنطي غرباً ، ومن ساحل المحيط الهندي جنوباً إلى تخوم الروسيا والنمسا وإيطاليا وفرنسا شمالاً « انظر مصور الممالك الإسلامية » .

وقد نشروا في هذه الأصقاع راية العدل ، وأزالوا عن أهلها كابوس الظلم ، وفتحوا لهم باب السعادة والحرية على مصراعيه ، وعاملوهم بما شرعه الإسلام من المساواة بين بني الإنسان : « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » !..

وقد نعم الناس إذ ذاك بحياة سعيدة وعيش رغيد لم يعرفوهما من قبل ، وإذا دخلوا في الإسلام أفواجاً ، واعتنقه الملايين في الشرق والغرب ، رغبة في مبادئه السامية ، وتعاليمه الراقية ، وعقائده الحقة . ثم سار جمعهم الضخم الفخم في طريق المدنية الصحيحة على قدر طاقتهم البشرية من العلم والمعرفة ، ورائدهم المصلحة العامة ، والعلم النافع ، والعدل الشامل ، حتى عز بهم الإسلام ، فكانت له الهيبة في نفوس الجميع !

إذن ليس تأخر المسلمين الآن في ميدان الحضارة من طبيعة أنفسهم وكيان ذاتهم ، ولا من طبيعة الإسلام كما سبق بيانه ، بل هو ناشيء من عوامل خارجية وأسباب طارئة ، أحاطت بهم منذ منتصف عصر الخلفاء العباسيين إلى وقتنا هذا .

الأشهر الحرم - بقية -

الأهواء والأغراض في هذه الأشهر ، فكانوا إذا أرادوا القتال حباً في الإرهاب أو طلبا لنهب الأموال قاتلوا في الأشهر الحرم وحرموا غيرها ، فإذا قاتلوا في (المحرم) حرموا (صفر) وهكذا[13] فلما جاء الإسلام الحنيف الذي يقر الفضائل ويقضي على الرذائل بين مكانتها وأقر تعظيمها وزادوه تأكيداً وعناية بإبطال ما كان في الجاهلية من (النسيء) أي التأخير فحرمه وبين أنه زيادة في الكفر[14] وبذلك ظهر لكل ذي بصيرة أن الإسلام جاء ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يهيىء لنا من أمرنا رشداً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د . فتحي عبد العزيز

(١٣) القرطبي ٢٩٧٦ ـ فتح القدير جـ ٣ ص ٣٥٩

(١٤) قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ الآية ٣٧ سورة التوبة .

من فقه الكتاب والسنة ـ بقيه ـ

ذهبيا للانجليز ، وما الظن بالملكة اليزابيث وتاتشر فى اتزانهما وسياستهما الراشدة ، وما الظن بأنديرا غاندى التى حققت لقومها ما يصبون وشطرت الإسلام شطرين فى عهد المارشال يحيى خان ، وما الظن بجولدا مائير المرأة التى حكمت اليهود فألحقت المصائب بالعرب ، هذا فى رأيه هو الدليل على أن الحديث موضوع لاستقامة حكم هؤلاء النساء .

فهل صحيح أن ما ارتكبته جولدا مائير وأنديرا غاندى من المظالم التى تدمى لها القلوب حيال المسلمين كانت عدلاً وسياسة راشدة ، ومعلوم أن الملكة فى انجلترا تملك ولا تحكم ، ولو سلمنا أن آحاد النساء نجحن فى سياسة الحكم هل يكون ذلك دليلاً على وضع الحديث ، ومعلوم أن الأحكام فى الإسلام مبنية على الكثير الغالب لا على القليل النادر .

وهل يشك الكاتب فى أن الكثير الغالب من النساء كما وصفهن الله يعتريهن النسيان وتغلب عليهن النزعة العاطفية ويغلب عليهن الضعف بسبب أعبائهن الطبيعية وهو أمر يتنافى والقدرة على الحكم الراشد .

أو بعد هذا الفرق الإلهى يبلغ الكاتب مداه ويقول : « ما دخل الأنوثة والذكورة فى الحكم » ؟

ويقول : « امرأة ذات دين خير من ذى لحية كفور » .

فمن يقصد بذات الدين ؟ .
وهل الوثنية دين .

ومن يقصد بذوى اللحى ؟ ثم ينكر على الفقهاء فقههم ، ويمعن فى وصفهم بالجهل والإساءة للإسلام ، إذ يقول فى صفحة « ٦٠ » « إن من لا فقه لهم يجب أن يغلقوا أفواههم لئلا يسيئوا إلى الإسلام بحديث لم يفهموه » .

لا أريد أن أقول إنه أسلوب فى إنكار الحديث لا يليق بشيخ سبق للناس أن قدروه ، لكن لم يقولوا : إنه فقيه حتى يحكم على الفقهاء .

إن حديث « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » استوفى كل أسباب صحته وشهرته وهو بإجماع الفقهاء قاعدة عظيمة من قواعد الفقه أجمعوا على أنها تمنع المرأة من ولاية الخلافة واتفق جمهورهم على أنه يمنعها من الولايات العامة .

وبعد .

فإن الكاتب سفه أحلام الفقهاء وسن سنة سيئة للتهجم على السنّة الصحيحة فهل من رجعة إلى الحق .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه .

اللغة والأدب والنقد

من قضايا الاختزال في كلام العرب

قراءة في نص من التراث

النقد الأدبي من وجهة إسلامية

من قضايا الاختزال في كلام العرب (٢)

للأستاذ عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

ثانياً : من قضايا الاختزال عند النحويين (الاختزال في التراكيب)

١ ـ حذف المبتدأ والخبر :

أ ـ الحذف الجائز :

المبتدأ والخبر يكونان جملة مفيدة ، فلابد منهما معاً لتحقيق تلك الفائدة ، إلا انه قد توجد قرينة لفظية او حالية تغنى عن النطق باحدهما فيحذف لدلالة تلك القرينة عليه ، لأن الالفاظ إنما جيء بها للدلالة على المعنى ، فإذا فهم المعنى بدون اللفظ ، جاز لصائغ العبارة الا ياتى به ويكون مراداً حكماً وتقديراً [١] ..

ومن هنا ساغ للنحاة صوغ قرار يقضى بانه : يجوز حذف ما علم من مبتدأ وخبر [٢] .

ـ حذف المبتدأ جوازاً :

يكثر هذا الاختزال الجائز في مواطن هي :

١ ـ جواب الاستفهام نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ « القارعة ١٠ ، ١١ » فالتقدير : هي نار .

ومثله قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ ﴾ « الحج ٧٢ » . التقدير : هو النار .

٢ ـ بعد فاء الجواب نحو قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ « فصلت ٤٦ » .

اى : فعمله لنفسه : ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ « البقرة ٢٢٠ » اى : فهم إخوانكم .

٣ ـ بعد القول . نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ « الفرقان ٥ » . اى : « هُوَ » [٣] . ومن الحذف الجائز للمبتدأ قول المستهل ـ طالب الهلال ـ : الهلال والله فانظر إليه ، ويقول سيبويه عقب ذلك المثال : كانك قلت : هذا الهلال ، ثم جئت بالامر [٤] .

ومن الحذف الجائز للمبتدأ قول « المرقش الاكبر » :

لا يُبْعِد الله التلبب والـ
غارات إذ قال الخميس نعم [٥].

أى هذا نعم فاطلبوه ، حذف المبتدأ للعلم به [٦] .

---

(١) انظر شرح المفصل ٩٤/١

(٢) همع الهوامع ٣٨/٢

(٣) همع الهوامع ٣٨/٢

(٤) كتاب سيبويه ١٣٨/١ وشرح المفصل ٩٤/١

(٥) فسر ابن يعيش : التلبب : بلبس السلاح ، والنعم : بالابل . شرح المفصل ٩٤/١

(٦) شرح المفصل ٩٤/١

حذف الخبر جوازاً :

من امثلة النحاة لذلك قوله تعالى : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ « الرعد ٣٥ » . أى : دائم ، ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ « المائدة ٥ » . اى : حل لكم [٧] .

ويقول « السيوطى » فى « همع الهوامع » [٨] : « ويقل - يقصد حذف المبتدأ - بعد « إذا » الفجائية نحو : خرجت فإذا السبع ، ولم يقع فى القرآن بعدها إلا ثابتاً » .

وقد وجدت ثقلاً فى تقدير هذا المبتدأ فى ذلك المثال الذى مثل به « السيوطى » وشرعت اقلب فيما لدى من مصادر للاهتداء بها ، ثم وجدت « ابن يعيش » يذكر نفس المثال ضمن مواضع حذف الخبر جوازاً ثم يقول بعد تمثيله به : اعلم أن « إذا » تكون على ضربين : زماناً وفيها معنى الشرط وتضاف إلى الجملة الفعلية ، وإذا وقع بعدها اسم كان ثم فعل مقدر ، نحو : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ والتقدير : إذا انشقت السماء انشقت ، وإذا مدت الأرض مدت ، كان ذلك لتضمنه الشرط والشرط يقتضى الفعل . وتكون بمعنى المفاجاة وهى فى ذلك على ضربين : تكون اسما ، وتكون حرفاً ، وإذا كانت اسما كانت ظرفا من ظروف الأمكنة وإذا كانت حرفاً كانت من حروف المعانى الدالة على المفاجاة ، كما أن « إنْ » دال على معنى المجازاة والهمزة حرف دال على معنى الاستفهام ، فإذا قلت : « خرجت فإذا السبع » وأردت به الظرفية ، لم يكن ثم حذف ، وكان السبع مبتدأ ، و« إذا » الخبر قد تقدم ، كما تقول : عندى زيد ، ويتعلق الظرف باستقرار محذوف .... فإن جعلتها حرفاً كان الخبر محذوفاً لا محالة والتقدير : خرجت فإذا السبع حاضر او موجود ، لأن المبتدأ لابد له من خبر ولا خبر لها ههنا ظاهراً ، فوجب أن يكون مقدراً .[٩] .

وبعد النظر فى نص « ابن يعيش » بدا لى استقامة ما قاله فى ذلك المثال ، فصرفت النظر عما قاله السيوطى ، وإن كان يمكن التأويل فى ذلك المثال حسب وجهة نظره ، ولكن على بعد .

ومن حذف الخبر قول « ذى الرمة » :

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم

فالتقدير : آأنت ظبية أم أمُّ سالم ؟ [١٠] ، وقال الأعشى :

إن محلاً وإن مرتحلاً
وإن فى السفر إذ مضوا مهلاً

أى : ان لنا حلولا فى الدنيا ، وان لنا ارتحالا عنها [١١] .

وفى قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ « يوسف ١٨ » يحتمل أن يكون المختزل « المبتدأ » ، أى : فأمرى صبر جميل ، ويحتمل أن يكون « الخبر » اى : فصبر جميل أجمل [١٢] .

حذف المبتدا وجوباً :

اهتم النحويون بظاهرة اختزال المبتدأ من الصورة اللفظية فى الجملة الاسمية ، وحكموا بوجوب ذلك فى مواضع ، أبينها فيما يلى :

أولها : إذا أُخبر عن المبتدأ بنعت مقطوع ، لمدح ، أو ذم ، أو ترحم نحو : الحمد لله أهل الحمد - برفع أهل - ومررت بزيد الفاسق - برفع الفاسق - ، ومررت بأبى بكر المسكين - برفع المسكين - [١٣] .

←

(٧) همع الهوامع ٣٨/٢
(٨) همع الهوامع ٣٨/٢
(٩) شرح المفصل ٩٥/١
(١٠) شرح المفصل ٩٤/١
(١١) مغنى اللبيب ٦٣١/٢
(١٢) شرح المفصل ٩٥/١ ، وهناك خلاف فى ترجيح أحدهما انظره فى « همع الهوامع » ٣٩/٢.
(١٣) منار السالك ١١٧/١ ، تسهيل الفوائد ٤٥ .

• من قضايا الاختزال

وقد بين « الرضى » علة التزام الحذف في هذا المقام قائلاً : « وإنما وجب حذفه ليعلم أنه كان في الأصل صفة ، فقطع لقصد المدح أو الذم أو الترحم (١٤) .

ويقول « السيوطى » : « وإنما التُزِم فيه الحذف ، لأنهم لما قطعوا هذه النعوت إلى النصب التزموا اضمار الناصب أمارة على أنهم قصدوا إنشاء المدح أو الذم أو الترحم ... وأُجرى الرفع مُجرى النصب .(١٥) .

ونلحظ في تعليل النحاة ـ هنا ـ أمرين :

ـ الأول : ربط الظواهر التعبيرية ببعضها ، فكما فُعل في النصب ـ عند قصد المدح أو الذم أو الترحم ـ كذلك يفعل في الرفع لنفس الغرض .

الثاني : اظهر التعليل النحوى أن تغييرا « الحركة الإعرابية » عمل يحدثه المتكلم تعبير عن أغراضه التى يريدها من تعبيره .

ثانيها : إذا أخبر عن المبتدأ بمصدر جيء به بدلاً عن اللفظ بفعله ، نحو : سمع وطاعة ، أى : أمرى : سمع وطاعة (١٦) .

ويقول الصبان في تحليل هذا الإطار التعبيرى : « ... الأصل اسمع سمعاً ، وأطيع إطاعة ، حذف الفعل اكتفاء بدلالة مصدره عليه ، ثم عدل إلى الرفع لإفادة الدوام ، وأوجبوا حذف المبتدأ إعطاء للحالة الفرعية حكم الحالة الأصلية التى هى حالة النصب ، إذ يجب فيها حذف الفعل » (١٧) ، ومن شواهد النحاة لهذا الاختزال الواجب للمبتدأ قول الشاعر :

وقالت حنان ما أتى بك ههنا
أذو نسب أم أنت بالحى عارف

يقول « العينى » في بيان موطن الشاهد : « حنان » خبر لمبتدأ محذوف ، أى : أمرى حنان ، ثم يزيد قائلاً : وفيه الشاهد ، حيث حذف منه المبتدأ حذفاً واجباً ، لأن أصله أتحنن عليك حناناً ، ثم حذف الفعل ، ثم رفع المصدر ، لأن في رفعه تصير الجملة اسمية ، وهى أدل على الثبوت والدوام من الفعلية ، فلما رفع قدر له مبتدأ (١٨) .

ويبين « سيبويه » أن ذلك الاختزال هو رغبة المتكلم قائلاً : لم تُرد « حِنَّ » ، ولكنها قالت : أمرنا حنان (١٩) .

ومثل ما سبق قول الشاعر :

يشكو إلىَّ جملى طول السرى
صبر جميل فكلانا مبتلى

أى : أمرنا صبر (٢٠) .

ثالثها : إذا أخبر عن المبتدأ بمخصوص « نعم » و« بئس » مؤخر عنهما نحو : نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، إذا قدر المخصوص خبراً(٢١) ، وقد بين « الصبان » سر وجوب الحذف هنا قائلاً : « إنما وجب حذفه لصيرورة الكلام لإنشاء المدح أو الذم فجرى مجرى الجملة الواحدة (٢٢) .

رابعها : إذا أخبر عنه ـ المبتدأ بصريح في القسم نحو : في ذمتى لأفعلن ، أى في ذمتى عهد أو ميثاق ، ووجب حذف المبتدأ هنا لسد جواب القسم مسده (٢٣) .

---

(١٤) شرح الرضى ١/٢٧٣ .
(١٥) همع الهوامع ٢/٣٩ .
(١٦) منار السالك ١/١١٧ ، تسهيل الفوائد ٤٥ ، شرح الاشمونى ١/٢٢٠ .
(١٧) حاشية الصبان على الاشمونى ١/٢٢١
(١٨) شرح الشواهد للعينى مع شرح الاشمونى ١/٢٢١
(١٩) كتاب سيبوية ٣/٣٢٠ تحقيق هارون .
(٢٠) شرح الاشمونى ١/٢٢١ ، كتاب سيبوية ٣/٣٢١
(٢١) شرح الاشمونى ١/٢٢١
(٢٢) حاشية الصبان على الاشمونى ١/٢٢١ .
(٢٣) منار السالك ١/١١٨ .

وقد جعل من حذف المبتدأ وجوباً قولهم : من أنت زيد ، أى مذكورك زيد ، ويقول سيبويه عقب ذلك المثال :... فتركوا إظهار الرافع كترك إظهار الناصب (٢٤) .

كما جعل منه أيضاً قولهم : لا سيما زيد ـ برفع زيد ـ فهو خبر لمبتدأ محذوف وجوباً (٢٥) .

وقد ذكر « السيوطى » فى الهمع من مواضع حذف المبتدأ وجوباً قولهم : لا سواء ، ثم أضاف : حكاه سيبويه ، وتأوله على حذف المبتدأ أى هذان لا سواء ، أولاهما سواء ، وهو واجب الحذف ، لأن المعنى : لا يستويان ، ثم ذكر أن « المبرد » و« الكسائى » أجازا إظهاره (٢٦)

حذف الخبر وجوباً :

بيَّن النحويون مواضع وجوب اختزال الخبر فيما يأتى :

١ ـ إذا وقع المبتدأ بعد لولا الامتناعية نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ « البقرة ٢٥١ » أى ولولا دفع الله الناس موجود ، ويعلل « السيوطى » لهذا الاختزال قائلاً : لأنه ـ الخبر ـ معلوم بمقتضاها ـ لولا ـ إذ هى دالة على امتناع لوجود ، فالمدلول على امتناعه هو الجواب ، والمدلول على وجوده هو المبتدأ ، ثم يطبق على المثال قائلاً : فإذا قيل : لولا زيد لأكرمت عمراً ، لم يُشك فى أن المراد : وجود زيد منع من إكرام عمرو ، وجاز الحذف لتعين المحذوف ، ووجد لسد الجواب ـ وحلوله محله (٢٧) .

ويقول « الرضى » فى لولا على لهلك عمرو : الخبر محذوف وجوباً لحصول شرطى وجوب الحذف أحدهما : القرينة الدالة على الخبر المعين وهى لفظة « لولا » فهى دالة على أن الخبر الذى بعدها موجود ، لا قائم ، ولا قاعد ، ولا غير ذلك من أنواع الخبر الذى بعدها والثانى : اللفظ الساد مسد الخبر ، وهو جواب « لولا » (٢٨) .

ويظهر مما سبق أن الخبر المحذوف وجوباً بعد « لولا » الامتناعية كون مطلق ، أى أن الجواب ممتنع لمجرد وجود المبتدأ .

فإن كان الخبر « كوناً مقيداً » ، بمعنى أن الامتناع معلق على الوجود المقيد ، أوجب « النحاة » عدم اختزال ذلك الخبر إن لم يدل عليه دليل ، نحو : لولا زيد سالمنا ما سلم ، وفى الحديث : « لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم » ، فقد ذكر الخبر (سالمنا ، حديثو عهد) لأنه لم يدل عليه دليل ، وهو كون مقيد بالحداثة والمسالمة فإن وجد فى الأسلوب ما يدل على ذلك الخبر أجاز النحاة اقتطاعه من الصورة اللفظية للتركيب وذكره ، ومن أمثلة ذلك قولهم : لولا أنصار زيد حموه ما سلم ، فقد ذُكر الخبر (حموه) لأنه كون مقيد ، ويجوز أن يُختزل من اللفظ ، لأن كلمة « أنصار » تدل عليه ، لأن شأن الناصر الحماية ، فيقال : لولا أنصار زيد ما سلم ، ومن أمثلة ذلك أيضاً قول « أبى العلاء » :

يُذيب الرعب منه كل عضب
فلولا الغمد يمسكه لسالا

فقد ذكر الخبر (يمسكه) ويجوز عدم ذكره ، لأن لفظة « الغمد » تدل عليه ، إذ شأن الغمد الإمساك .(٢٩)

هذا وما سبق تقريره هنا هو مذهب ←

(٢٤) كتاب سيبوية ١/٣٢١ ، منار السالك ١/١١٨ .
(٢٥) همع الهوامع ٢/٤٠ ، منار السالك ١/١١٨ ، ٣٤٩ .
(٢٦) همع الهوامع ٢/٤٠
(٢٧) شرح الاشمونى ١/٢١٥ ، همع الهوامع ٢/٤١ .
(٢٨) شرح الرضى ١/٢٧٥ بتصرف يسير .
(٢٩) انظر منار السالك ١/١١٩ ، شرح الاشمونى وحاشية الصبان عليه ١/٢١٦

« الرماني » ، و« ابن الشجري » و« الشلوبين » ، وذهب جمهور النحاة إلى أن الخبر بعد « لولا الامتناعية » واجب الاختزال بناء على أنه لا يكون إلا كونا مطلقاً ، وإذا أريد الكون المقيد جعل مبتدأ فنقول في لولا زيد سالمنا ما سلم ، لولا مُسالمة زيد إيانا ما سلم ، أي موجودة .

وبناء على ذلك فإن هذا التركيب ـ لولا زيد سالمنا ما سلم ـ فاسدٌ ، والحديث مروى بالمعنى والمشهور في الروايات لولا حدثان قومك ، لولا حداثة قومك .. وقول « المعرى » لحن [٣٠] . والذى يبدو لى ـ كما بدا لغيرى ـ هنا أن رأى الجمهور ضعيف لا يعول عليه ، لأن ما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج ، وتلحينهم للمعرى مردود بوروده في الشعر الموثوق به وكان يغنى عن تلحينه جعل « يمسكه » بدل اشتمال من « الغمد » على أن الأصل « أن يمسكه » فحذفت « أن » وارتفع الفعل ، وقولهم : إن الحديث مروى بالمعنى يؤدى إلى عدم الوثوق في الأحاديث ، مع أن تدوينها وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة [٣١] وذهب قوم من النحاة إلى أن قولنا : لولا علي لهلك عمر كلام لا اختزال فيه ، بل إن الخبر هو الجواب ، ولكنه مردود بأنه لا رابط بينهما ، ـ أى بين الجملة التى زعم أنها خبر ، وبين المبتدأ[٣٢] وذهب « الفراء » إلى أن الواقع بعد لولا ليس مبتدأ ، بل مرفوع بها ، لاستغنائه بها ، كما يرتفع بالفعل الفاعل ، ورد هذا الرأى بأنها ـ لولا ـ لو كانت عاملة لكان الجر أولى بها من الرفع لاختصاصها بالاسم [٣٣] .

وذهب « الكسائى » إلى أن ما بعد « لولا » مرفوع بفعل بعدها تقديره : « وجد » أو نحوه ، لظهوره في قول الشاعر :

الا زعمت أسماء الا أحبهـــا
فقلت بلى لولا ينازعنى شغلى[٣٤]

كما ذهب جماعة من المتقدمين إلى أنه ـ ما بعد لولا ـ مرفوع بـ « لولا » لنيابتها مناب فعل تقديره : لو لم يوجد ، أو لو لم يحضر .[٣٥]

ورد « ابن هشام » هذه الآراء قائلاً : وليس المرفوع بعد « لولا » فاعلاً بفعل محذوف ، ولا بـ « لولا » لنيابتها عنه ، ولا بها أصالة خلافاً لزاعمى ذلك .[٣٦] .

والذى يبدو مما سبق أن قضية « اختزال الخبر » هنا قد اختلف فيها النحاة ، كما تعددت الآراء أيضاً في إعراب الاسم الواقع بعد « لولا » وكثرة الآراء حول قضية ما ، ثروة فكرية تراثية ذات قيمة عالية ، تنبيء عن إخلاص السابقين ، وعمق فكرهم ، وحرصهم على تناول التركيب من زوايا متعددة ، وذلك كله ينمى في الباحث قوة الملاحظة ودقة الفكر .

ومن مواضع اختزال الخبر وجوباً :

٢ ـ أن يكون « المبتدأ صريحاً في القسم نحو : لعمرك لأفعلن ، وايمن الله لأفعلن[٣٧] ويكشف « الرضى » عن سبب الاختزال هنا قائلاً : « فإن تعينه ـ المبتدأ ـ للقسم دال على تعين الخبر المحذوف ، أى لعمرك ماأقسم به ، وجواب القسم ساد مسد الخبر المحذوف [٣٨] .

(٣٠) منار السالك ١/١١٩ ، وشرح الاشمونى مع حاشية الصبان ١/٢١٦

(٣١) حاشية الصبان على الاشمونى ١/٢١٦ ، منار السالك ١٠/١١٩ .

(٣٢) التعبير بـ « قوم » من كلام السيوطى في الهمع ٢/٤٢ ، ونص ابن هشام على انه رأى ابن الطراوة . المغنى ١/٢٧٤ .

(٣٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣٤) همع الهوامع ٢/٤٣

(٣٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣٦) مغنى اللبيب ١/٢٧٣

(٣٧) منار السالك ١/١٢٠

(٣٨) شرح الرضى ١/٢٨٤ ، شرح الاشمونى ١/٢١٦ .

ويرى « ابن عصفور » أن الشكل التعبيري السابق يمكن أن يكون من حذف المبتدأ على تقدير : لقسمي عمرك .[٣٩] .

فإن لم يكن المبتدأ صريحاً في القسم جاز إثبات الخبر نحو عهد الله لأفعلن ، فقد يستعمل ذلك في غير القسم فنقول : عهد الله يجب الوفاء به ، ولا يفهم منه القسم إلا بذكر المقسم عليه [٤٠] .

٣ ـ أن يكون المبتدأ معطوفاً عليه اسم بواو هي نص في المعية نحو « كل رجل وضيعته » و« كل صانع وما صنع » ، « فالخبر تقديره : مقرونان وهو مختزل لدلالة الواو وما بعدها على المصحوبية ، وكان ذلك الاختزال واجباً لقيام الواو مقام مع ولو جيء بمع لكان الكلام تاماً .[٤١] .

وذهب الكوفيون إلى أن ذلك التركيب السابق لاختزال فيه ، بل الواو وما دخلت عليه ـ وضيعته ـ خبر للمبتدأ ، لأن الواو بمعنى مع ، فكأنك قلت : مع ضيعته ..

وقال الرضى رداً على ذلك : وفيه نظر لأن الواو وإن كانت بمعنى مع تكون في اللفظ للعطف في المفعول معه ، فإن كان وضعيته عطفاً على المبتدأ لم يكن خبراً [٤٢] ..

فإن لم تكن الواو نصاً في المصاحبة ـ المعية ـ لم يجب الحذف ، مثل قول الشاعر :

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى

وكل امرىء والموت يلتقيان

فقد ذكر خبر المبتدأ المعطوف عليه بالواو ـ يلتقيان ـ لأنها ليست صريحة في المصاحبة [٤٣].

هذا ويقول « الرضى » إن حذف الخبر في مثله ـ المبتدأ الذي عطف عليه بواو هي نص في المعية ـ غالب لا واجب ، ففي نهج البلاغة : أنتم والساعة في قرن واحد «[٣٧] . فقد ذكر الخبر ـ الجار والمجرور ـ بعد هذه الواو .

ومن مواضع حذف الخبر وجوباً :

٤ ـ أن يكون المبتدأ مصدراً عاملاً في اسم مفسر لضمير ذي حال لا يصح كونها خبراً عن المبتدأ المذكور نحو : ضربي زيداً قائماً ، « فضربي » مبتدأ ، والياء مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله ، « زيداً » مفعول به للمصدر ، قائماً حال من ضمير يفسره « زيد » ، والخبر محذوف وجوباً ، ولا يصح وقوع هذه الحال خبراً ، لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ ، ولا يوصف الضرب بالقيام ، والخبر المختزل يقدر بـ « إذْ كان » أو « إذَا كان » عند جمهور البصريين [٤٥] ، ومثل ما سبق ، أن يكون المبتدأ مضافاً لمصدر عامل في اسم مفسر لضمير ذي حال لا تصلح أن تكون خبراً ، أو إلى مؤَوَّل بالمصدر ، فمثال الأول : أكثر شربي السويق ملتوتاً فـ « ملتوتا » حال من ضمير محذوف يفسره « السويق » ، ولا يصح الإخبار بهذه الحال لأن « أكثر الشرب » لا يوصف بـ « ملتوتاً » ، ومثال الثاني : أخطب مايكون الأمير قائماً اي أخطب . كون الأمير قائماً [٤٦].

واختزال الخبر في هذه التراكيب واجب للعلم به ، أي من كون المراد الإخبار عن المصدر بالكون مقيداً بحال من أحوال من تعلق به المصدر أو ماأضيف إليه ، وكذلك لسد الحال مسد ذلك المحذوف [٤٧] .

« يتبع »

---

(٣٩) منار السالك ١٢٠/١

(٤٠) المرجع السابق نفس الصفحة

(٤١) همع الهوامع ٤٤/٢ ، وشرح الأشموني ٢١٧/١ .

(٤٢) شرح الرضى ٢٨٢/١ .

(٤٣) شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني ٢١٧/١ .

(٤٤) شرح الرضى ٢٨٣/١ .

(٤٥) منار السالك ١٢١/١ ، وفي شرح الرضى ان تقدير الخبر : حاصل إذ كان أو إذا كان . في الجزء ١ ص ٢٧٧ .

(٤٦) منار السالك ١٢١/١ .

(٤٧) الأشموني وحاشية الصبان عليه ٢١٨/١ .

قراءة فى نص من التراث

متمم بن نويرة يرثى مالكا أخاه ٢

د. حامد الخطيب

اقول وقد طار السنا فى ربابه ⁂ وجون يسح الماء حتى تربعا[١]
سقى الله ارضا حلها قبر مالك ⁂ ذهاب الغوادى المدجنات فامرعا[٢]
واثر سيل الواديين بديمة ⁂ ترشح وسميا من النبت خروعا[٣]
فمجتمع الأسدام من حول شارع ⁂ فروى جبال القريتين فضلفعا[٤]
فوالله ما اسقى البلاد لحبها ⁂ ولكننى اسقى الحبيب المودعا[٥]
تحيته منى وإن كان نائيا ⁂ وامسى ترابا فوقه الأرض بلقعا[٦]
تقول ابنة العمرى مالك بعدما ⁂ اراك حديثا ناعم البال افرعا[٧]
فقلت لها : طول الأسى إذ سالتنى ⁂ ولوعة حزن تترك الوجه اشفعا[٨]
وفقد بنى ام تداعوا فلم اكن ⁂ خلافهم ان استكين واضرعا[٩]
ولكننى امضى على ذاك مقدما ⁂ إذا بعض من يلقى الحروب تكعكعا[١٠]
وغيرنى ما غال قيسا ومالكا ⁂ وعمراً وجزءاً بالمشقر المعا[١١]

---

(١) السنا : أراد به ضوء البرق ، والرباب : هو السحاب الابيض ، وهو عادة لا مطر فيه ، والجون : السحاب الأسود ، وهو عادة يكون محملا بالمطر ، والتربع : يريد به تردد المطر حتى صير الأرض ربيعا .

(٢) الذهاب : جمع الذهبة بكسر الذال فيهما : المطرة الغزيرة ، والغوادى : التى تغدو بالمطر ، والدجن ، كفلس : المطر الكثير ، وامرع : اخصب .

(٣) الديمة : المطر يدوم اياما ، ترشح : تربي ، والوسمي : أول النبات ، والخروع : نبت لين ، او اللين من كل شيء .

(٤) الأسدام : جمع سدم ، هو الماء قد تغير لطول مكثه ، واندفن من كثرة ما سقط فيه من الأوشاب ، وشارع ، والقريتين ، وضلفع : اماكن فى الجزيرة .

(٥) يريد أنه ما طلب السقيا للبلاد حبا لها ، ولكن حبا فى اخيه الذى رحل عنه .

(٦) البلقع : الأرض بغير نبات ولا ناس .

(٧) ابنة العمرى : زوجته ، تسأله عن سبب شحوبه وقلقه وكآبته .

(٨) لوعة الحزن : شدته ، والأسفع : الأسود الضارب إلى الحمرة .

(٩) تداعوا : تبع بعضهم بعضا ، وخلافهم : بعدهم ، واستكان وخضع بمعنى ، اى ذل .

(١٠) تكعكع : رجع ونكص .

(١١) غال : أهلك ـ وقيس وعمرو : هما من آل يربوع قومه ، وجزء : هو ابن سعد الرياحي ، وهؤلاء كان قتلهم الأسود بن المنذر ، والمعا : اى معا ، ثم ادخل الالف واللام ، او يريد الذين معا ، فتكون ـ ال ـ موصول .

وما غال ندماني يزيد ، وليتني ❁ عليته بالاهل والمال اجمعا[١٢]
وإني وإن هازلتني قد اصابني ❁ من البث ما يبكي الحزين المفجعا[١٣]
ولست إذا ما الدهر احدث نكبة ❁ ورزءا بزوار القرائب اخضعا[١٤]
قعيدك الا تسمعيني ملامة ❁ ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا[١٥]
فقصرك إني قد شهدت فلم اجد ❁ بكفي عنهم للمنية مدفعا[١٦]
فلا فرحا إن كنت يوما بغبطة ❁ ولا جزعا مما اصاب فاوجعا[١٧]
فلو ان ما القى يصيب متالعا ❁ او الركن من سلمى إذاً لتضعضعا[١٨]
وما وجد اظآر ثلاث روائم ❁ اصبن مجرا من حوار ومصرعا[١٩]
يذكرن ذا البث الحزين ببثه ❁ إذا حنت الاولى سجعن لها معا[٢٠]
إذا شارف منهن قامت فرجعت ❁ حنينا فابكى شجوها البرك اجمعا[٢١]
باوجد مني يوم قام بمالك ❁ مناد بصير بالفراق فاسمعا[٢٢]
الم تات اخبار المحل سراتكم ❁ فيغضب منكم كل من كان موجعا[٢٣]
بمشمته إذ صادف الحتف مالكا ❁ ومشهده ما قد راى ثم ضيعا[٢٤]
اأثرت هدما باليا وسوية ❁ وجئت بها تعدو بريدا مقزعا[٢٥]
فلا تفرحن يوما بنفسك إنني ❁ ارى الموت وقاعا على من تشجعا[٢٦]
لعلك يوما ان تلم ملمة ❁ عليك من اللائي يدعنك اجدعا[٢٧]
نعيت امرا لو كان لحمك عنده ❁ لاواه مجموعا له او ممزعا[٢٨]

---

(١٢) يزيد : هو ابن عمه ونديمه ، وتمليته : عشت معه طويلا ، ماخوذ من الملاوة ، وهى مدة العيش .
(١٣) هازلتني : مازحتني ، والبث : الحزن الشديد .
(١٤) القرائب : جمع قرابة ، القريب ، والاخضع : الذى يرضى بالذل ابداً ، يريد انه لا ياتى آله مستجديا عندما تنزل به النكبات .
(١٥) قعيدك : كلمة من اقسام العرب اصلها ، قعيدك الله ، ونكا الجرح : قشره ، وييجعا : هى لهجة فى وجع يجع .
(١٦) قصرك : اقل والقصرى ، وشهدت : اى حضرت .
(١٧) الغبطة : احسن الحال .
(١٨) متالع وسلمى : جبلان ، وتضعضع : خف ، وخضع ، وذل .
(١٩) الظئر : العاطفة على غير ولدها المرضعة له ، والرائم : المحبة لرضيعها ، والحوار : ولد الناقة ، ومجراً ومصرعاً : مصدران لجر وصرع ، زيدت الميم فى اولهما .
(٢٠) تلك الاظآر الثلاث تذكرنه بحزنه لان اصواتهن حزينة .
(٢١) الشارف : المسنة من الإبل ، وخصها لانها ارق من الفتية والبرك : العدد الكثير من الإبل .
(٢٢) باوجد مني : باشد وجدا مني .
(٢٣) المحل : هو ابن قدامة اليربوعي ، مر بمالك مقتولا فنعاه شماتة .
(٢٤) بمشمته : يعنى شماتته بمقتل مالك .
(٢٥) اثر : فضل ، والهدم : الكساء الرث ، والسوية : كساء محشو بالليف ونحوه ، والمقزع : الخفيف السريع ، يريد ان المحل ضن بثيابه البالية ان يكفن مالكا ، واسرع يخبر بمصرعه حسدا وشماتة .
(٢٦) ينهى متمم ان يفرح فارح بمصرع مالك ، فقد اختاره الموت لانه يختار الاقوياء الاشداء .
(٢٧) الملمة : النازلة الشديدة ، والاجدع ، مقطوع الانف او الاذن .
(٢٨) الممزع : الممزق او المفرق .

فلا يهنىء الواشين مقتل مالك * فقد آب شانيه إيابا فودعا[٢٩]

وقع متمم قصيدته هذه على أوتار الطويل ، وجعل القافية مطلقة ، ومن نوع المتراكب وجعل الروى حلقيا موصولا بحرف الجوف ـ الألف ـ التى هى للإطلاق أو الوصل أو الترنم[٣٠] وما أظن ذلك وقع عفوا .. فالطويل من الأبحر الممتزجة ، حيث يختلط فى بنائه جزء خماسى ـ فعولن ـ بجزء سباعى ـ مفاعيلن ـ واختلاف التفاعيل فى أى بحر من بحور الشعر يزيد البنية الإيقاعية قوة وطرافة ، وإذا أضيف إلى ذلك ما يحدث من الزحافات والعلل التى تواكب التفاعيل غالبا[٣١] ، تنوعت الأنغام ، وساغت الموسيقى ، وانكسرت الرتابة المدعاة على الشعر العربى عند المحدثين[٣٢] وبحر الطويل من الأبحر التى تتميز برحابة النغم وامتداده وانفساح مداه ، كما أنه أكثر انطلاقا ، وأسلس أنغاما ، وأبعد عن الجلبة والاصطخاب ، وإذ اجتمع طول الوزن مع وفرة المقاطع انطلق الشاعر فى مرونة ، وتحرك فى متسع رحيب من الموسيقى الشعرية[٣٣] ، وذلك مما يضفى على بحر الطويل أبهة وجلالا[٣٤] ونضيف إلى ذلك أن إطلاق القافية ، أى جعلها متحركة ، يتيح للصوت حرية واتساعا ، ويزيد من ذلك أيضا وصل القافية بحرف الإطلاق ـ الألف ـ كما يبرز فى صورة أوضح شدة الوجد ، وحرقة الألم ، فالألف من بين حروف المعجم لا معتمد له فى شىء من أجزاء الفم بحيث أنه ينقطع فى ذلك الجزء[٣٥] كما هو شأن غيره من الحروف ، وقد اكسب الألف تلك الخاصية لكونه من حروف الجوف ـ جوف الحلق ـ كما يقول علماء التجويد[٣٥] .

ذلك ، ومن الملاحظ العامة على تلك القصيدة ازدحامها بالعواطف المتدفقة فى صدق ، المعبرة عن قوة حب ، وشديد التياع ، لكن تلك العواطف التى نتجت عنها رائعة متمم ـ رغم تجانسها وصدقها ـ إن حاولت نظمها فى عقد واحد لم تستطع الجزم بأن كل بيت فيها يكون حبة ذات موضع محدد ، وموقع تروق فيه دون غيره ولا تحيد عنه تقديما أو تأخيراً .

على أنا لا نعد ذلك عيبا ، ولا نناصر من يعده من المعيب[٣٦] ، فكل بيت عند الشاعر العربى ، غالبا ، يكون دفقا شعوريا ، قد يرتبط بأخويه أو يستقل عنهما ، ولكنه أبداً لن يشذ عن سير القصيدة فى جملتها ومضمونها ، ولا يجىء

---

(٢٩) الشانى ، لتسهيل الهمزة : المبغض ، ومراده الدعاء على كل واش وشانىء لمالك بألا ينعم بعيش أبدا .

(٣٠) انظر ص ١١٩ وما بعدها من كتاب القوافى للقاضى التنوخى ت د / عونى عبد الرءوف ط الخانجى .

(٣١) د محمد غنيمى هلال ص ٤٦٨ وما بعدها من النقد الأدبى الحديث الأنجلو سنة ١٩٦٥ .

(٣٢) انظر ما يقوله د . محمد أحمد العزب ص ٦٧ وما بعد من كتاب دراسات فى الشعر ط الهيئة العامة سنة ١٩٧٧ ـ وانظر مجلة الشعر يوليو سنة ١٩٨٦ مقال لمبارك سالمين .

(٣٣) د . فتوح أحمد ٧٠ شعر المتنبى ط المعارف سنة ١٩٨٨ .

(٣٤) د . عبد الله الطيب ٢٩٢/١ المرشد إلى فهم أشعار العرب ط القاهرة سنة ١٩٥٥ .

(٣٥) د . غانم قدورى الحمد ١٧١ ، ٢٢١ ـ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ط بغداد ١٤٠٦ / ١٩٨٦ ، وانظر د . تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢ وما بعدها . ط الهيئة العامة ١٩٧٩ .

(٣٦) انظر آراء ميخائيل نعيمة فى كتابه ـ الغربال ـ ط المعارف سنة ١٩٤٦ .

نشازا او فضولا لا يضيف معنى .

وليس يغيب عن ذهن أن وقع المصيبة الجلل ، وفجعة الشاعر بها وفجائه ، كتلك التى وقعت لمتمم ، لا تدع له مجالا بحيث يتمكن من ترتيب افكاره ، فينظم أبياته .

ومن الملاحظ على القصيدة ايضا بناء معظمها على الأساليب الخبرية ، وندرة الأساليب الإنشائية ، كما أنه يكثر من التعبير بالحقيقة ، ويقلل من التعبير بالخيال ، وذلك نابع من اقتناع الشاعر بأنه يورد عن أخيه المشاهد والمحسوس ، لا أنه يتخيل له خصالا يحاول تجليتها بطرائق المجاز التى يمكن بها تضخيم الصغير حتى يلحق بالعظيم .

ونلاحظ كذلك إكثار الشاعر من الأساليب الشرطية ، وذلك يفهم أن « مالكا » كان شديد الحرص على أن يضطلع بالشدائد والملمات ، وأنه كان حمولا عن القوم لكل النازلات .

ومن الملاحظ كذلك أن ثلثى أدوات الشرط التى استعملها « متمم » كانت « إذا » وجعل « إن » تستقل بالنصيب الباقى تقريبا ، وهذا صريح فى أن « مالكا » كان حاضرا ابدأ بين قبيله ، يكفيهم كل أمر لا طاقة لهم تجاهه ، فلا تقوم هنا مقام « إذا » اية اداة .

وتلك الأساليب الشرطية من الوسائل التى تجتذب السامع ، وتشد حواسه ، فهو كلما سمع شرطا أنصت متلهفا ينتظر الجواب والجزاء . ومتمم يستعمل « إذا » أكثر ما يستعملها فى أمور جليلة ، وكثيرة الوقوع حقا وصدقا ، ومن ذلك :

وما كان وقافا إذا الخيل أجحمت ** ولا طائشا عند اللقاء مدفعا
ولا بكهام بزة عن عدوه ** إذا هو لاقى حاسرا او مقنعا
فعينى هلا تبكيان لمالك ** إذا أذرت الريح الكنيف المرفعا
وضيف إذا ارغى طروقا بعيره ** وهكذا ...

أما « إن » فأكثر ما يستعملها يجىء فى أشياء يشك فى وقوعها من « مالك » أو يندر أن تقع ، وهى إن وقع شىء منها لن تجده مستمرئا نزوة ، ولا مستغرقا فى أهواء من حوله من المتهتكين ، ومنه :

وإن تلقه فى الشرب لا تلق فاحشا ** على الكاس ذا قاذورة متزبعا
وإن شهد الأيسار لم يلف مالك ** على الفرث يحمى اللحم أن يتمزعا

وهكذا ..

لقد بدأ متمم رثاءه بالقسم « لعمرى » وقبل أن يبوح بدخائله ، ويجيب عن قسمه ، أظهر تحوطا ، وحاول تبرئة وجدانه بإظهار صبر وتجلد ، فقال : ليس من ديدنى أن امدح من هلك ، وليس من عاداتى أن أجزع من نازلة مهما جلت فأوجعت ، ثم أجاب عن قسمه بقوله : لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى ، وصفة الفتوة هذه تبطن فى ضميرها من المعانى الإنسانية الحميدة ما لا يكاد يحصى ، وإذن فكأن المنهال إذ كفن بردائه « مالكا » قد ناله شرف وأى شرف ، لا أنه – عند « متمم » – متفضل يستأهل ثناء وحمدا . ثم لم يطق « متمم » صبرا ، فكشف عن مكنون نفسه ، وخالف عهده أو عاداته راغما ، فما الذى أخرجه من صبره ؟ وماذا انتزعه من تجلده ؟ لا غرو أنها مصيبة أجل وأعظم ، ولا يفعل ذلك بمتمم إلا مصرع « مالك » .

النقد الأدبي

من وجهة إسلامية

للدكتور محمد رجب البيومي

حين وصلتني الدعوة الكريمة من «رابطة الأدب الإسلامي العالمية»، شكرت لها أن تفضلت علي بهذا التقدير، ولكني وجدتها اختارت لي «النقد الأدبي الإسلامي بين القديم والحديث»، وهو موضوع حرت فيه كثيرا، لأن الحديث عن النقد الإسلامي لا يزال وليداً في اللفائف، لم تظهر قسماته الواضحة على نحو يوحي للدارس أن يرسمها أصدق الرسم، ولكنه وليد نرجو أن يشب عن الطوق، كما تشب البذرة في باطن الأرض تنشق عن عود يتكامل نموه حتى ينبع ويورق ويؤتي من كل زوج بهيج.

وكنت أوثر أن يكون الحديث عن الناقد الإسلامي، فهو أهون نسبيا من الحديث عن النقد، لأن الناقد الإسلامي دارس ملتزم، له من خصائص الإسلام حوافظ واقية تمنعه الهبوط، ومعارج راقية تصل به إلى الأوج، وطبيعي أن يجيء نقده صورة من مثله، وتعبيرا عن أهدافه، فالسائل من لون الإناء.

وأول بذور النقد الإسلامي تلمس بوضوح في كتاب الله عز وجل، لأنه كان ميزانا جديدا للفضائل السامية بحيث أصبحت أحكامه الخلقية تطبق على إبداع الملهمين، فأبو بكر - رضي الله عنه - يسمع قول لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) فيقول له صدقت فإذا أتبعه بقوله: (وكل نعيم لا محالة زائل) قال له: ما تقول في نعيم الجنة؟ وهو ثابت لايزول[2] وعبدالله بن عمر، يسمع قول حسان:

يأبى لي السيف واللسان وقوم
لم يضاموا كلبدة الأسد

فيسأله: لم لا تقول: يأبى لي الله! وأمثال هاتين الخاطرتين ذائع متناقل، ولا ننسى أن رسول الله - ﷺ - أفصح القائلين، وهو بأسلوبه الأدبي قد خط منهجا جديدا للقول، وحين نهى عن الثرثرة والتشادق والتفيهق لم يكن يدعو إلى الإيجاز لذات الإيجاز، ولكنه يعلم أن الإطناب

---

(١) ألقيت بمؤتمر رابطة الأدب الإسلامي بجامعة الزقازيق.

(٢) الموشح ص ٧١.

داعية التزيد لمن يطلق القول على عواهنه ، وأن التحفظ وليد النظر المتأمل ، وباب القصد المعتدل ، وقد كان يصغى الإصغاء الواعى لما يسمع من الروائع ، وقد استمع إلى قول النابغة الجعدى :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فسأله : إلى أين ياأبا ليلى ؟

فقال مبتسما : إلى الجنة يارسول الله فانتلق وجهه الكريم بالبشر ، ودعا له بهذا القول المأثور لا يفضض الله فاك .

أما مكانة عمر رضى الله عنه فى النقد الملتزم فأظهر من أن يشار إليها ، فقد شاع بين الناس تفضيله زهيراً على غيره من شعراء الجاهلية ، وذكر فى أسباب الترجيح أنه مقتصد لا يمدح أحداً بما ليس فيه ، ولا يعاظل فى قوله ، والفاروق لا يقف عند ذلك وحده بل يسبر غور زهير الفكرى ، فيتعجب لوصوله إلى الحقائق العميقة عن المعية دقيقة حين يقول :

فإن الحق مقطعه ثلاث
يمين أو نفار أو جلاء

وله مع ابن عباس التفاتات «جيدة» إلى المأثور من شعر هذا الحكيم المتأمل ، مما يؤكد أن ابن عباس كان ينحو منحاه ، ويقتفى أثره . نقول ذلك لنشك فى روايات مبتذلة ، ذكر بعضها صاحب العمدة تشير إلى أن ابن عباس كان ينطق بالرفث وهو متوضىء بالمسجد ، فى أبيات غثة ثم يتجه إلى الصلاة ، وواضع هذه الأكذوبة قد بالغ فيها مبالغة دلت على افترائها ، فإذا جاز عقلاً أن ينشد ابن عباس بيتا منحدرا ، لا يجوز أن يكون ذلك عن وضوء ثم فى ساحة المسجد ثم فور النهوض إلى الصلاة ! وقد تأثر الشعر الإسلامى فى عهد النبوة بأسلوب القرآن معنى ومبنى ، ويذكر بهذه المناسبة رأى للأصمعى فحواه أن شعر حسان بن ثابت قد لان فى الإسلام ، لأن الشعر نكد لا يقوى إلا فى الشر ويخيل إلى أن الذين فهموا منه أن الأغراض الحميدة لا تكون الميدان الأول للسبق فى الشعر قد أبعدوا المرمى ، لأن من يصف الليل الدامس لا يعجزه أن يصف الصباح الوضىء ، ولم يلن شعر حسان فى الإسلام لأن الشعر نكد ، بل لأن أكثر شعره اللين كان مما يرتجل حين يدعى على عجل ، لينشد الوافدين ، والروية غير الارتجال ، وقد كان يقضى الأمد الأطول فى قصيدة يقولها فى مدح أمثال (جبلة) من الغساسنة ، فحق له أن يجيد ولكن كيف تتسنى له التؤدة ، وأمامه وفد كوفد تميم يتحدث شاعره منتظراً الرد الفورى من شاعر الإسلام ! على أن الشاعر فى شيخوخته غيره فى شبابه ، وقد أسلم حسان بعد الستين ! أفمنتظر أن يقول فى الثمانين والمائة ما كان يقوله فى الأربعين ! هيهات . وله بيت نقدى صائب يدل على منحاه الشعرى ، وقد استحسنه أكثر من رووه ذلك قوله :

وإن أحكم بيت أنت قائله
بيت يقال - إذا أنشدته : صدقا !

والذى يؤكد لنا اتجاه الأصمعى فى نقده ، ما جاء فى الجزء الثالث من كامل[3] المبرد ، حيث ذكر أبو العباس أن الأصمعى كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله - ﷺ - : «إذا ذكرت النجوم فأمسكوا» ، وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هجاء ، ولا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن ! فالذى

←

(٣) الكامل ٣/٣٦ .

يمتنع عن رواية شعر الهجاء لا يرى أن الشر مصدر الجودة فى الشعر ، بل يراه ضرباً من اللغو يترفع عنه ذو الخلق الكريم ، وربما يتجه بقوله عن شعر حسان «إنه لين» إلى سهولة الألفاظ ، لا إلى سطحية المعانى ، وسهولة حسان فى عصر النبوة تتضح فيما قال ! وإلا فأين أثر القرآن فى صقل الطباع ، وسلاسة البيان !

وحين جاء العصر الأموى وكان النقد فيه لايزال فطريا كعهده الجاهلى يعتمد على الذوق الذاتى ، والإحساس المنفرد ، رأينا فى الناقدين من يؤيد الشعر الهابط كشعر النقائض ، ويرى أصحابه أئمة الفن ، مع أنهم يتقاذفون بالأوضار ، ويختلقون المثالب المندية ، كما وجدنا من يحبون طرائف الغزل من أمثال أبى السائب المخزومى وابن أبى عتيق وغيرهما ، ولكن وجهة رسمية سديدة قد حاولت أن تربأ بالشعر عن المنحدرات الهابطة تلك هى وجهة عبدالملك بن مروان ، وعمر بن عبدالعزيز من ناحية ووجهة أصحاب الشعر العذرى وبعضهم من كبار الفقهاء كعروة بن أذينة وعبيد بن عبدالله بن مسعود من ناحية ثانية ، فعبدالملك بن مروان ، يجلس فى ملأ من أصحابه فيتساءل عن أشعر العرب ، فيروون له طرائف من شعر امرىء القيس ، وطرفة والأعشى ، وهو منصت يستمع ، حتى إذا فرغوا مما ردده قال عبدالملك أشعر هؤلاء من يقول(٤) .

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه
بحلمى عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمى لا يحاول غيره
وكالموت عندى أن يحل به الرغم

وهى قصيدة من نماذج الأدب الخلقى الرفيع لأنها تتغمد الإساءة بالمغفرة ، وتتغضى عن قوارض لاذعة تتعدد وتتنوع حتى لا تكاد تبقى فى قوس الصبر منزع ، وكذلك كان يستجيد أبيات عروة بن الورد فى الكرم والمروءة ، ومن نحا نحوه من ذوى المثل الإنسانية .

أما عمر بن عبدالعزيز فأمره مع الشعراء بعد أن تولى الخلافة ذائع مردد ، وقد رفض مقابلتهم ، واستشهد ببعض ما يؤخذ عليهم من هجر القول ، وارتاح لأبيات سمعها من نُصيب تنحو منحى التصون والعفاف ، ولا نطيل بتفصيل ما كان فأمره مدون فى كتب التراث ! كذلك نعرف جيداً منزع العذريين ، ومنهم فقهاء المدينة الذين شاركوا قيسا وجميلا وكثيراً وغيرهم لوعة الصبابة ، وطهر العفاف ! ولو اطرد الأمر على هذا المنوال ، لما رجحت كفة اللهو على كفة الجد ، ولكن العصر العباسى جاء بتلاطم الحضارات ، وتعدد الثقافات ، واختلاف الأعراق ، فنزع أكثر شعرائه إلى المجون الخليع ، وخلص الكثير منهم إلى الترفع الشريف، ولنا بصدد الحديث عن الأدب بل بصدد الحديث عن النقد ، فقد جاء من النقاد من ارتفع بأمثال بشار وأبى نواس وغيرهما من العابثين إلى أرفع مستوى شعرى ، ولو كان الخطب خطب الشعراء لقال الناس : وأنهم يقولون مالا يفعلون ، ويتبعهم الغاوون ، ولكن ناقداً كبيراً يعد رأس أهل البيان فى عصره قد دافع عن التبذل دفاعا متكرراً ، وأخذ يبدى ويعيد فى حب البطالات وأساليب اللهو ، ذلكم هو أبو عثمان الجاحظ ، وكتاب الحيوان ورسالة القيان والغلمان ينديان بكل مخزية إذ دافع الجاحظ عن المنحدرات السافلة فى رسالة القيان والغلمان بالذات دفاعاً يخجل منه القارىء إذ يرى كاتبا جهيرا يعدد

(٤) الأغانى جـ١٠ ص ١٥٨ .

محاسن الشذوذ الجنسى[٥] ! واغرب ما نعهده فى كتب التراث أن آراء العابثين تتردد كثيراً وتتناقل كأنها حق ، على حين نجد آراء المترفعين لا تجد الذيوع ، فابن قتيبة مثلاً على جلالة علمه قد أباح حديث التبذل فى مقدمة عيون الأخبار فتناقله الناس ، وحرم ذلك المبرد فى الكامل فلم يعرفه غير قارئى أبى العباس ، فكيف تعلل هذا الانحياز إلا بانجذاب النفوس إلى الشهوات وولوعها بالبطالات إلا من عصم الله ، ونشير إلى رسالة محمد بن القاسم الأنبارى وهو من ائمة أهل زمانه فى الأدب والشعر ، وقد كتبها إلى تلميذه ابن المعتز ليرتفع به عن رواية المجون والخلاعة ويقول فى صراحة[٦] جرى فى مجلس الأمير ذكر الحسن بن هانىء .. فكان حق شعر هذا الخليع الا يتلقاه الناس بألسنتهم ، ولا يدونوه فى كتبهم ، ولا يحمله متقدمهم إلى متأخرهم ، فإن صنع فيه غناء كان أعظم لبليته ، لأنه إنما يظهر فى غلبة سلطان الهوى ، فيهيج الدواعى الدنيئة ، ويقوى الخواطر الرديئة ، والنفس فى انصبابها إلى لذاتها بمنزلة كرة متحدرة من رأس رابية إلى قرار فيه نار إن لم تحبس بزواجر الدين والحياء اداها انحدارها إلى ما فيه هلكها ، والحسن بن هانىء ومن سلك سبيله ، كشفوا للناس عوارهم ، وهتكوا عندهم أسرارهم ، وأبدوا لهم مساوئهم ومخازيهم ، وحسنوا ركوب القبائح ، فعلى كل متدين أن يذم أخبارهم وأفعالهم وأن يستقبح ما يستحسنونه ويتنزه من فعله وحكايته ، ولكن ابن المعتز لم يرحب برسالة أستاذه ورد عليه بأن الشعر ميدان اللهو ، وغالط فى الرد فزعم أن السلف الصالح من الخلفاء المهديين كانوا يروون شعر الخلاعة ! ونسأل ابن المعتز عن هذا السلف الصالح من الخلفاء المهديين فلا نجد أدنى دليل إذا كان يريد الخلفاء الراشدين وأضرابهم فهم على غير طريقه ! اما سواهم فهم ناس كالناس !

أجل ، لقد ارتفعت أصوات ناقدة ، تدعو إلى مجافاة العبث الماجن فى النتاج الأدبى شعراً ونثراً ، ولكن المسألة قد انتقلت من القول إلى القائل ، وهنا وجد الناقد منفذا للحكم على الشعر بعيداً عن اتجاه قائله ، ومن أسبق من عرض لذلك ابو بكر الصولى ، إذ رد على من ادعوا على أبى تمام أنه كافر ملحد ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره وتقبيح حسنه فقال فى أخبار أبى تمام (وما أظن كفرا ينقص من شعر ، ولا أن إيمانا يزيد فيه) ثم قال فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل شعره كله يشهد بغير ما اتهموه به[٧] .

ونحن مع الصولى فى أن أبا تمام ليس بكافر ، وفى أن شعره ينطق بحميته الإسلامية حين تحدث عن الحروب الإسلامية ضد الأعداء بروح مسلم صادق ، ولكن القضية ليست حول كفر الشاعر وإيمانه ، ولكنها حول ما قاله من الرفث تغزلا فى بعض الغلمان ، أيرفع هذا الشعر من قدره الفنى ، وهل إذا حذفت هذه المقطوعات الخليعة من شعره انتقص قليلاً من معدنه الأدبى لدى النقاد ! لو حصرنا الحكم فى هذه الناحية بعيداً عن كفر الشاعر وإيمانه لأمكن لشيخ معتدل كأبى بكر الصولى أن يقول : إنه لم يأت بجديد يحسب له فيما انحدر إليه ، كما أن من شرفه الإنسانى أن يرفع عن هذا الهبوط .

● ● ●

وما نقوله عن أبى بكر الصولى نقوله عن على بن عبدالعزيز الجرجانى صاحب الوساطة فقد قال بصدد الدفاع عن المتنبى[٨] ولو كانت

←

(٥) رسائل الجاحظ جـ ٢ ص ٩٢ .
(٦) أسس النقد عند العرب ص ٣٩٦ .
(٧) أخبار أبى تمام ص ١٧٢ .
(٨) الوساطة ص ٦٤ .

الديانة عاراً على الشعر وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول الرسول ـ ﷺ ـ بالهجاء وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر .

ويخيل إلى أن القاضى الكبير قد تجاوز قليلاً حين جمع أبا نواس مع شعراء الجاهلية وأعداء الدعوة فى قرن ، لأن الإسلام يجب ما قبله وقد عفا عما قال كعب وابن الزبعرى ! وشعراء الجاهلية قبل البعثة غير مسئولين ، وأبو نواس مسلم مسئول ، وأنا مع القاضى فى أن سوء الاعتقاد ـ إن وجد ـ لا يخل بمعدن الشاعر الفنى ، ولكنه لا يرفع مستواه الأدبى بمجد أو يلحد ، ولن يكون المتنبى أقل حظا فى باب الشاعرية لو جانب ما يدعو إلى الاستخفاف ، وأنصاره المخلصون هم الذى عابوا عليه مثل قوله :

يترشفن من فمى رشفات
هن أحلى فيه من التوحيد

فقد قال عبدالقاهر الجرجانى معقبا[9] : وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعته شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجد ، وعبدالقاهر مع الذين لا يحكمون على الشاعر من زاوية الدين ، ولكنه لمح العبث فازدراه ، ورأى الاستخفاف فعاداه ، وهل نريد غير هذا ؛ حين نلزم الشاعر بموثق الأخلاق !

وابن بسام الأندلسى قريب من عبدالقاهر الجرجانى حين شن الحرب على المعانى الإلحادية فأورد قول من يسمى بالسميسر من شعراء الأندلس حيث قال :

يـاليتنا لم نـك من آدم
أورطنـا فى بثـة الأسر
إن كان قد أخرجه ذنبه
فما لنا نشرك فى الأمر

فعلق عليه ابن بسام قائلا[10] : والسميسر فى هذا الكلام ممن أخذ الغلو بالتقليد ونادى الحكمة من مكان بعيد ، صرح عن ضيق بصيرته ، ونشر يطوى سريرته ، فى غير معنى بديع ، ولا لفظ مطبوع ، ولعله أراد أن يتبع أبا العلاء فيما كان ينظمه من سخيف الآراء ، وهبه ساواه فى قصر باعه ، وضيق ذراعه ، أين هو من حسن إبداعه ، ولطف اختراعه .

ويقول ابن بسام فى مثل هذا الموقف تعليقاً على شاعر[11] يتفلسف :

«وهذا معنى فلسفى قلما عرج عليه عربى ، وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عنه منهج الصواب ، فاستراحوا إلى هذا الهذيان استراحة الجبان إلى تنقص أقرانه واستجادة سيفه وسنانه .. وإنى لأعجب من أبى الطيب على سعة نفسه ، وذكاء قبسه فإنه أطال قرع هذا الباب ، والتمرس بهذه الأسباب ، وكذلك المعرى ، كثر به انتزاعه وطال إليه إيضاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشياعه ، وحسبك من شر سماعه» .

ويطول القول لو تتبعنا هذه «الشذرات فى كتب التراث ، ولكننا ندعو إلى استيعابها فى بحث

(٩) أسرار البلاغة ص ٢١٥ .
(١٠) الذخيرة ص ١/٢ : ٣٧٨ .
(١١) الذخيرة ـ الورقة ١٩٥ خ

مستقل لتقارن بنقائضها ، ويتسع المجال للترجيح والتعديل. .

هذا بعض ما يقال عن تيار النقد الإسلامى فى الأدب القديم ، أما ثبات هذا التيار فى الادب الحديث فكان يتطلب معجزة خارقة لأن سيطرة الثقافة الأوروبية على العالم العربى قد خلقت منابر جهيرة فى الصحف والجامعات والإذاعات وأدوات النشر المختلفة تعارض هذا التيار ، وتمكن لأصحابها من النفوذ والجاه ما يمد جهودهم إلى أوسع مدى يتاح ، ولكن ذوى العقيدة الملتزمة قد قاوموا دعاة (الفن للفن) وناصروا قضية (الالتزام) مناصرة يدعمها الدليل من واقع الحياة المعاصرة ، وغابر الماضى التليد ، . ولعل زعيم هذا التيار الملتزم فى أحلك ظروفه الدامسة كان المغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعى حيث كان حرباً على كل اتجاه أدبى لا يوائم روح الإسلام ، ولقى من المصاعب الشاقة ما ثبت له ثبوت الرواسخ من الأطواد ، وقد اشتهر انه يجالد تحت راية القرآن ، نظراً لكتاب نقدى الفه تحت هذا العنوان تعددت طبعاته ، ولقى من الاحتفاء مازال يتردد صداه بين أصحاب المنهج الملتزم ، واذكر أن ناقداً معاصراً جابه الرافعى بالمعارضة المتهكمة لا لينقض الحقائق الادبية بما يملك من البرهان ، بل ليقول : إنه لا يحب من يقاتل تحت راية ! أى راية كانت ، مع أنه نفسه يقاتل تحت راية ما ، لأن هناك أمام الرافعى راية تعارض الاتجاه القرانى فى الانتماء الأدبى ، وإذا كنت لا تحب راية الرافعى فأنت تجنح لسواها إذ يستحيل على ناقد ما ، أن يكون فى غير اتجاه ! وإذا استقل برأى فله اتجاهه المستقل الذى تحلل بواعثه ، وتعرف أهدافه ومراميه ، وكان للرافعى حواريون يلتقون معه فى طريقه النقدى نذكر منهم الأساتذة : محمود محمد شاكر ، وعلى الطنطاوى ومحمد أحمد الغمراوى ، ومحمد بهجة الأثرى ، وعبدالله كنون وغيرهم من أعلام العالم العربى ، ولكنهم لم يجدوا من أضواء الإعلام ما وجد المناوئون ومع ذلك فالراية لم تسقط فى الميدان .

وقد تعددت القضايا التى بسطت فى هذا المجال ، ونستشهد هنا بقضية أثارها الباحث الكبير أحمد أمين حين كتب مقاله الممتاز (أدب الروح وأدب المعدة) وقد قال فيه ببعض التصرف[١٢] :

أدب الروح هو الأدب الذى يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها ، فالقرآن الكريم أدب روح ، لأنه يسمو بالإنسان عن عالم المادة ويأخذ بيده إلى السماء لينظر إلى الارض نظرة تريه الحق حقاً ، والباطل باطلاً ، وباب الحماسة أدب روح لأنه صادر عن نفوس قوية وباعث لمشاعر قوية ، وداعٍ لمواجهة هذا العالم وما فيه بنفوس ابية ، فى غير خضوع ، ولا استجداء وغزل جميل وكثير والعباس بن الأحنف أدب روح لأنه يصهر النفس ويطهرها ، ويجعل من الامها وآمالها مبعثا يفيض الرحمة والعطف والحنان على العالم والإنسانية كلها .

وأدب الطبقة أدب الروح لأنه شعور بالجمال مجرد عن الرغبة ، وتقدير للحسن منزها عن الأثرة ومزيجا من شعور بجلال يحد من كبرياء الإنسان .

على هذا النحو دار المقال النقدى الهادف ليحارب أدب التهتك والانحلال والوصولية ، والهتاف للأشخاص بعيداً عن المبادىء ، وملء الأعمدة فى الصحف والمجلات ابتغاء للمال دون هدف ، وكان الظن بهذه الدعوة الإنسانية أن تجد الترحيب ، وبخاصة إذا كان صاحبها هادىء الطبع مسالم القلم لا يميل إلى الصيال الدامى ، ولا يفتخر بالأسلاب الموهومة ، ولكن

←

(١٢) فيض الخاطر جـ ٢ ص ٨٢ .

النقد الأدبي من وجهة إسلامية

الذين ناوءوها كثيرون ، ومنهم من لم يدرس الأدب العربي ليزن الأحكام النقدية في ضوء دراسته ، بل اكتفى بالرد الخطابي ، والتهكم الذي لا مجال له مع باحث محايد يهدف إلى إبراز الحقائق الواضحة من أقرب طريق .

والعجيب أن دارسا كبيراً ، كالدكتور زكي مبارك قد تصدى لهدم هذه الفكرة السامية في إسهاب صاخب لا يحفظ حق المناظرة في الموضوعية النائية عن الغرض ، إذ اندفع يقرر أن أحمد أمين يحتقر أدب المعدة ليصح له التطاول على الأدب العربي ، وتلك مجاراة للعوام لأننا عبيد إحساساتنا وأعصابنا ، والجمهور مدين في تكوين ذوقه لما يأكل ويشرب ! هكذا قال مبارك وهذا شرود بالقضية عن وجهها الصحيح فالأستاذ أحمد أمين لم يحارب الطعام ويدع إلى الصيام ، ولكنه يرمز بأدب المعدة إلى النفع الذاتي الدافع إلى الكسب دون اعتبار إنساني ! وكأن الأستاذ أحمد أمين يجهل نظرية الفن للفن ، وقد ألف جزءين كبيرين في النقد الأدبي ، وقام بتدريسهما عدة سنوات لطلابه بكلية الآداب ، حتى يقول الدكتور مبارك[١٣] : «إن أحمد أمين غفل عن نظرية تعد من البديهيات ، وهي أول ما يدرس طلبة الكليات ، وهي النظرية التي تقول بأن للفن والأدب غاية أصيلة هي الصدق في وصف ما ترى العيون وما تحس القلوب ، وما تدرك العقول ، وليس من الحتم أن يكون الأدب والفن جنديين في جيش الأخلاق ، فبعض أشعار ديك الجن وأبي نواس أرفع قيمة من بعض ما كتب ابن مسكويه والغزالي من الناحية الفنية وإن كانت أضعف من الناحية الدينية والخلقية» .

وهكذا يوازن الناقد بين شاعرين وباحثين ، يوازن بين ابن مسكويه وأبي نواس ! كأن لغة الشعر بتنظيم لغة البحث العلمي في مسلك واحد !! ونحن نقول له : إذا سلمنا بارتفاع المستوى الفني لأمثال أبي نواس ، أين العيب لهؤلاء أن يكون إنتاجهم الفني الرائع كنتاج الشريف الرضي والعذريين من المتصوفين ؟ وأيهما أمتع للروح أن تقرأ غزل العباس بن الأحنف أو غزل أبي نواس ؟

هذه لبنات متواضعة حاولت أن أجعل منها قاعدة لبناء مكتمل تنهض به السواعد القوية من ذوي العزم ليصبح لدينا ما يسمى بالنقد الإسلامي واضح المعالم ، مكتمل القسمات ، دون أن نتكلف ما لا يتصل به من استطرادات تضل ولا تهدي ، وتنأى ولا تقترب ، فهل من سميع ؟

إن في النفس خواطر كثيرة ، ولكن الوقت محدد ، وللسامع طاقة ، فسلام عليكم[١٤]

---

(١٣) مجلة الرسالة - العدد ٣١٣/ ١٩٣٩/٧/٣ م .

(١٤) أثار الكاتب الكبير أستاذنا الفاضل الدكتور محمد رجب البيومي في تلك الكلمة أكثر من أمر ينبغي أن يكون محل نظر ودراسة ، وأقول - بصفتي الشخصية : إن بعض ما أثاره الدكتور أخذ مجراه في الجانب الفقهي مما يجعل نقده ألزم ما يكون بالرجوع إلى نفس المصدر لتستبين قيمة الشعر من نفس المنطلق : وليس يكفي لإنكاره مجرد الشك الشخصي إزاءه ، فإنه لا يسقط ما ترتب عليه من حكم . كذلك .

كم نرجو أن يخرج فضيلة الأستاذ الدكتور إلى بعض النصوص الواردة عن أصحاب رسول الله - ﷺ - ورضي الله عنهم - في هذا الشأن لإثباتها ، أو نفيها - في ضوء أحكام - هي أدق آلاف المرات من أحكام النقد الأدبي ، وأعني بها قواعد معرفة الصحيح من الضعيف من الموضوع في باب الحديث الشريف ، وهو أجل وأعلى مما نسميه الأدب عامة . ولازلنا نطلب الفائدة .

د/ علي أحمد الخطيب

تحاول مجلة الأزهر فى هذا الباب أن تقتطف أحسن ثمار المطبعة فى شهر وتقدمها للقارىء، نسأل الله التوفيق ... مجلة الأزهر

من خير ما نشر

إعداد: عادل خفاجة
أحمد تقى الدين

قرآن وسنة

لفضيلة الدكتور: عبد الجليل شلبى

يعز على أن أودع أستاذ الجيل المرحوم الشيخ حسنين مخلوف مفتى جمهورية مصر الأسبق، كانت حياته مائة عام كوامل، وكان يمتاز بصفات المسلم الكامل الإسلام، له نشاط إسلامى متعدد الجوانب، ومن أثر رسوخ الإسلام فى نفسه، وطول ممارسته العمل كان يتحلى برجولة وجلد والتجاء إلى الله وحده لا أظنه كان يشعر أنه ذو شجاعة بالغة وصبر شديد على تحمل الأرزاء، والصبر شجاعة وإيمان.

ذهب شيوخ الأزهر مرة لمقابلة الرئيس أنور السادات فى مصيفه بالقناطر الخيرية، وكانت بعض الأحداث النابية قد أغضبت الرئيس فلما تحدث عنها بدا عليه الانفعال، وقال: إن هذه الأحداث لا يرضاها الإسلام، وزاد انفعال الرئيس فقام الشيخ مخلوف ـ ولم يكن قريبا من الرئيس فصاح بصوت جهير ـ وقال أنا صعيدى من أسيوط لماذا ياسيدى الرئيس تحملنا مسئولية عمل لم نقترفه، وأفاض فى حديثه كمن يلقى محاضرة، وكان حديثه كالماء البارد يصب على النار الملتهبة، وهدأ الرئيس واستقر المجلس.

ترى هل كان الشيخ مدركا أنه كان ذا شجاعة نادرة فى موقفه؟

وتوفى مرة أحد أولاده، وذهبت لعزائه ومشاركته وداعه ابنه فوجدت الجنازة أمامه فى المسجد وهو جالس فى صمت وطلبت تنحيتها حتى تحين الصلاة، فقال: لاداعى، ثم طلب إلى أن أصلى الجنازة ففعلت، وفى ضميرى أنه شق عليه أن يصلى على ابنه، فلما قضيت الصلاة، وحملت الجنازة، وكانت العربة التى ستنقلها إلى المقبرة غير بعيدة عن المسجد، ألقى الشيخ نظرة دامعة على جثمان ابنه، ثم رجع إلى مسجد الحسين ليلقى على الناس الدرس الذى يلقيه كل يوم، وألقاه فى ثبات وهدوء!

ترى هل كان يشعر أنه فى موقفه هذا بلغ قمة الشجاعة وغاية الصبر؟

لقد رحم الله إمامنا الكبير وأجزل له المثوبة والرحمة.

عن «الجمهورية»

«دور الشباب فى بناء المجتمع وقيمته فى الميزان العالمى»

تحت هذا العنوان جاءت افتتاحية «البعث الإسلامى» التى تصدر عن «ندوة العلماء» بـ «لكنو» جاء فيها:

الآباء يجب أن يكونوا مرآة صادقة تعكس

من خير ما نشر

لابنائهم الواجب الذى لابد أن يعرفوه فى انفسهم نحو عقيدتهم ومجتمعهم ، ليحرصوا على كل أمر حسن فينقلوه لأبنائهم من بعدهم ، أمراً وتوجيهاً للابناء بعد التطبيق والعمل فى النفس ، فهم القدوة . ومثل هذا فى كل من يتحمل أمانة التوجيه كالمعلم والمرشد والداعية والمربى والرئيس فى العمل وغيرهم .

وإلى جانب هذا الدور الذى يجب أن يدركه الموجهون للشباب لأخذ ايديهم إليه ، يجب ربطهم بمصدرى التشريع فى الإسلام كتاب الله ، وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وما فيهما من توجيه وتربية ورعاية ، لأن الإسلام يدعو للعمل والإخلاص فيه وإتقانه .

ولذا فإن هناك أمانة أخرى من جانب الشباب أنفسهم تتمثل فى أمانة التقبل والعمل وأمانة السؤال والاسترشاد . وأمانة الإخلاص والمحبة ، وأمانة الوفاء للآباء والأمهات .

وهذه الأمور كلها لبنات فى بناء المجتمع ، وتشييد كيانه . فإذا بنى المجتمع بمثل هذه الدعائم التى تقوى الشخصية الفردية فإن ذلك امكن ، لأن البناء الحضارى لابد أن يريده الشباب بعقولهم الناضجة ، وجهودهم المستمرة فى بناء الشخصية فى الإسلام من حيث الصدق والأمانة والرجولة والمعرفة .

طريق الخلاص

وفى مجلة منبر الإسلام كتب الأستاذ عبد اللطيف فايد رئيس التحرير مقالا تحت عنوان « طريق الخلاص للأمة الإسلامية » ومما جاء فيه :

لم نتعمق بعد فى باطن الارض لنرى مافيها من خيرات الله التى ظهرت لنا والتى لم تظهر ومن أهمها البترول والنحاس ولم نستشرف بعد جبالها لنرى مافيها من خيرات الله من الحجر والمعدن النفيس كالذهب إلى غير ذلك مما هو مشاهد بالرؤى العلمية واستنتاجاتها الثرية .

كذلك لم نتحدث عن القوى البشرية التى يمكنها فى البداية أن تعمل بأيديها محققة استقلالها عن عالم التكنولوجيا المتطورة ، وفى هذا ينبغى لنا الا ننسى دولاً بدأت نهضتها بالمغزل اليدوى تصنع به ملابسها وكان ذلك منذ نحو نصف قرن ، والآن هى تملك القنابل الذرية بل وتحارب المسلمين من حولها وهذا يؤكد لنا حقيقة يجب ألا تغيب عن البال وهى أن الاستقلال الاقتصادى هو الباب الطبيعى للاستقلال السياسى ونفى التبعية .

ومايوقع المسلمين بين شقى رحى الاستعمار إنما هو احتياجهم إلى رغيف الخبز الذى ياكلون ، وأول الاستقلال الاقتصادى هو العمل باليد فى بلاد لا تملك (التكنولوجيا) ولا يمكن لدول الاستعمار التى تملك التكنولوجيا أن تبيعها بسهولة إلى الدول التى تقع تحت سيطرتها ، فإذا أكدت هذه الدول ذاتها بالعمل فإن دول الاستعمار ستعود تخطب ودها من جديد وبخاصة أنّ دول التكنولوجيا تتقارب فيما بينها وتشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية بعيدة المدى ، وذلك بعد أن أسقطت الشيوعية نفسها بأيدى الشيوعيين وبدلت مظاهر التقارب بينها وبين دول الاستعمار القديم ليحدث فى العالم كله نمط جديد من العلاقات .

كلمة حب

للاستاذ : محمد الحيوان

فى سلطنة عمان كما يبدو خبير فى الدعاية والإعلام يجمل صورة السلطنة كل يوم ويقدم إنجازاتها إلى العالم فى صورة براقة وجميلة وإنسانية فى صورة تدخل إلى القلب .. لأنها حديث عن الجمال والحضارة والتاريخ العريض .

فتشت عمان فى تاريخها .. ووجدت أنها أرسلت من قرن ونصف أول سفينة إلى أمريكا .. وعليها أول بعثة دبلوماسية من عمان إلى واشنطون وقررت الاحتفال بهذه المناسبة .. كانت السفينة سلطانة وتحمل الشيخ أحمد الكعبى كأول دبلوماسى عربى يصل إلى الأرض الجديدة . ولذلك قامت السلطنة بإعادة بناء سفينة السندباد .. وسارت السفينة فى نفس الخط البحرى الذى طرقه السندباد فى رحلاته الأسطورية وكانت لقطة تحدث عنها العالم ونشرت صورها صحف العالم . والاقتراب من الإنسان فى أى مكان سهل ... بأن تخاطبه بنفس لغته واهتماماته .. والمعارض التى تقيمها السعودية عن تاريخها وحاضرها مثال آخر للتقارب بين الإنسان العربى والعالم .. ونحن نحتاج إلى هذه اللمسات التى تقدم صورة حضارية للإنسان العربى .. بعد أن قامت الدعاية السوداء بتشويه صورة العرب والمسلمين ... وعلينا نحن أن نقدم للعالم الصورة الصحيحة ، صورة العربى الذى يحب الجمال ويتصرف بإنسانية ، ولدينا آلاف الأمثلة التى يمكن أن نستغلها لتصحيح الصورة .

عن « الجمهورية »

« ابن أثر الإيمان وثماره فى حياتنا نحن المسلمين ؟ » كان هذا العنوان افتتاحية لمجلة الرائد جاء فيها :

الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله تعالى للبشر ، ولا يقبل منهم سواه ، وهو يقوم على عقيدة وشريعة .

أما العقيدة فهى الأصول التى تقوم عليها الشريعة ، وتنبثق منها الفروع .

وأما الشريعة فهى الفروع التى تعتبر امتداداً للعقيدة التى آمن بها المسلم ، ويسعى إلى تطبيقها فى الحياة فالعقيدة والشريعة يرتبطان ارتباط النتائج بالمقدمات أو الثمار بالأشجار ..

وإن شئت فقل : إن العقيدة للإنسان هى الروح التى بها يحيا الحياة الطيبة ويفقدها يفقد هذه الحياة الإيمانية الطيبة . وهى النور الذى إذا فقده الإنسان ضل فى حياته وفقد الطريق . قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ .

ولعل ذلك هو السبب فى ارتباط العمل النافع بالإيمان فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وعقيدة الإسلام « الإيمان » هى التى تملأ القلب وتصدر عنها آثارها فى السلوك والجوارح كما تصدر عن الشمس أشعتها ، وكما تصدر عن الزهور روائحها ..

أنباء وآراء

إعداد الشئون الفنية لمكتب
فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لقاء الإمام الأكبر بسفراء الدول الاسلامية

التقى فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عقب اجازة عيد الفطر المبارك فى مكتب فضيلته مع عدد من سفراء الدول الإسلامية من بينهم سفير مالى وسفير سرى لانكا .

وتم فى لقاء كل منهم بحث سبل التعاون بين الأزهر وبلادهم ، وقد طالب السفراء بالمزيد من علماء الأزهر الموفدين للتدريس والوعظ والمنح الدراسية لاتمام دراسة بعض ابنائهم بالأزهر ولتنشيط نشر الثقافة والدعوة فى أوطانهم .

• • •

قرار الإمام الأكبر ببعثة الحج

أصدر فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قراراً بتكليف فضيلة الشيخ محمد محمد عباس الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر برياسة بعثة الأزهر للحج هذا العام ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج وأداء رسالتها فى الأراضى المقدسة للإرشاد الديني

حلقات الامام الأكبر من « الحَلِف » فى القرآن الكريم

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة التليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم أحاديث فضيلة الإمام الاكبر الشيخ جادالحق على جادالحق شيخ الأزهر التى تناولت أحكاماً شرعية وفتاوى تهم المجتمع الإسلامى عن الأقسام « الحَلِف » فى القرآن الكريم ، كما نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين بحلول شهر رمضان وعيد الفطر المبارك .

• • •

بيت القرآن

افتتح فى المنامة عاصمة البحرين مؤخراً مركز إسلامى عالمى فريد أطلق عليه اسم « بيت القرآن » .

يتكون المركز من متحف يضم مخطوطات إسلامية نادرة ، ومصاحف قديمة بخط اليد ، ومكتبة تضم خمسين ألف كتاب ومسجداً ، ومدرسة للدراسات الإسلامية وقاعة محاضرات .

مخططات الهندوس

مستمرة ضد المسلمين

نشر الكاتب الهندوسي - راج شيكر - مخططات الهندوس المستمرة لطمس هوية مسلمي الهند ، وقال: إن بعض الهندوس درسوا خطة إخراج المسلمين وإبعادهم من أسبانيا وبدأوا مثل هذه الخطة ضد المسلمين الهنود . كما تحدث راج عن نوعيات من أشكال الاضطهاد الهندوسي ضد المسلمين .

● ● ●

توبة نصوح

أعلن سكان قرية جيجني بجمهورية مالي براءتهم من القاديانية وتوبتهم منها بعد أن مكثوا فترة مخدوعين بضلالها .

تجيء هذه التوبة النصوح تتويجاً لجهود جمعية (ختم النبوة) التي تبذل الآن جهوداً مكثفة في محاربة نشاط القاديانية في العالم كله ..

● ● ●

الاسلام في كندا

شهدت مدينة تورنتو الكندية افتتاح أول مدرسة إسلامية نظامية لاستقبال نحو ٣٠٠ طالب اعتباراً من العام الدراسي المقبل .

جدير بالذكر أن مدينة تورنتو تضم أكثر من مائة الف مسلم .

● ● ●

المسلمون في النمسا

يقدر عدد المسلمين في النمسا بنحو ١٥٠ الف شخص وهم من جاليات متعددة : اتراك وعرب ويوغوسلاف يعملون أو يتعلمون في النمسا .

يوجد بالنمسا ٢٥ مسجداً منها خمسة مساجد في العاصمة فيينا .

تعتبر الحكومة النمساوية الإسلام إحدى العقائد الرسمية بالوطن النمساوي .

وخلال شهر رمضان المعظم هذا العام وبدءاً من العام الماضي كانت تبث القناة الأولى في التليفزيون النمساوي برنامجاً أسبوعياً بعنوان « صوت الإسلام » ، تقدم خلاله تلاوة من آيات القرآن الكريم طوال شهر رمضان .

أقام المسلمون في النمسا احتفالاً كبيراً بمناسبة عيد الفطر المبارك نظموا من خلاله مسابقات لتلاوة القرآن الكريم وحفظه ووزعت الهدايا والجوائز التشجيعية للفائزين .

● ● ●

قيام حزب إسلامي في بريطانيا

أعلن - في لندن مؤخراً - قيام حزب إسلامي تم تشكيله أخيراً ، ويعد الأول من نوعه في البلاد .

يحمل الحزب اسم : (الحزب الإسلامي البريطاني)

وجه قادة الحزب الدعوة إلى جميع المسلمين المقيمين ببريطانيا للانضمام إلى عضويته ، عدد المسلمين في بريطانيا مليون مسلم .

يسعى الحزب إلى تحقيق تعميم قانون حماية المقدسات الإسلامية في بريطانيا .

جدير بالذكر أن الحكومة البريطانية ، ساندت بقوة سلمان رشدي باعتباره مهاجماً للإسلام ، والدستور البريطاني يحمي الديانة المسيحية فقط .

● ● ●

معاناة المسلمين في اليونان

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية في برقية عاجلة أن الدكتور / صادق أحمد النائب اليوناني

←

المستقل لمدينة (جومولجينة) فى اليونان قد طالب الحكومة اليونانية بإعادة جوازات سفر ٣٠٠ من مسلمي تراقيا الغربية كانت السلطات اليونانية قد صادرتها عند البوابة الحدودية (أسبالة) .

جاء ذلك خلال مقابلة الدكتور / صادق أحمد مع رئيس الحكومة اليونانية (جانيستاكيس) عبر الدكتور / صادق خلال اللقاء عن استيائه من قيام السلطات اليونانية بإسقاط الجنسية عن كل مسلم يغادر اليونان إلى الخارج .

طالب النائب المسلم بإنهاء مشكلة عدم منح رخص للمسلمين فى تراقيا الغربية لبناء مساكنهم مما يدفعهم إلى بناء مساكن بطرق تعرضهم للمساءلة القضائية .

الجدير بالذكر أن اليونان تعارض توطين مسلمى بلغاريا من أصل تركى فى شمال قبرص الذى يسيطر عليه المسلمون الأتراك .

جاء هذا على لسان المتحدث الرسمى اليونانى . (كاتيلوبولوس) .

●●●

اسلام كبير قساوسة الكنيسة الكاثوليكية بالعاصمة الزائيرية كينشاسا

أشهر (القديس جان) كبير قساوسة الكنيسة الكاثوليكية كينشاسا عاصمة زائير إسلامه خلال هذا الشهر .

أثار إسلام السيد جان فزع القساوسة فعقدوا اجتماعاً موسعاً لكبار رجال الكنائس فى زائير أبدوا فيه قلقهم ودهشتهم لتزايد انتشار الإسلام فى البلاد مؤكدين أن إسلام القديس جان سيؤثر على باقى المسيحيين ، خاصة بعد إعلانه رأيه فى (المسيح عليه السلام) وبين أن دراسته لنصوص الأناجيل ، هى التى حملته على اعتناق الدين الحق : الإســلام .

أيد الاجتماع ضرورة الاحتياط للمستقبل القريب وما يجب فعله نحو هذا المسلم الجديد .

●●●

اسلام أستاذ أمريكي

أشهر الأستاذ الدكتور فيليب باسون (٥٨سنة) إسلامه .. أعلنت الخبر وكالة الأنباء الإسلامية .

قال الدكتور : إنه لم يعتنق الإسلام فجأة ، وإنما استقرت العقيدة الإسلامية فى ضميره وفكره طوال ٢٢ عاماً قضاها فى منطقة الشرق الأوسط مختلطاً بالمسلمين فى جامعات : بيروت العربية ـ الجامعة الأردنية ـ ثم جامعة البحرين .

فهـــرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية ـ الحب الخالص	
د . على أحمد الخطيب	١٠٨٩
مع الإمـــام الأكبر	
● الحج منحة ربانية	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٠٩٢
● حديث فضيلة الإمام الأكبر إلى مجلة التضامن	١٠٩٧
● حجاب المرأة وولايتها .	
لفضيلة أ . د . أحمد فهمى أبو سنة	١١٠٤
● الصبر عند البلاء .	
للأستاذ / محمد زين العابدين محمد العزازي	١١٠٨
● التابعون تلامذة الصحابة : مجاهد بن جبير .	
لفضيلة الشيخ / أحمد حسن جابر	١١١١
● الأشهر الحرم .	
للدكتور / فتحى عبد العزيز شحاته	١١١٨
● من تراث رسول الله ﷺ .	
لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطوة عوض	١١٢١
● الناسك الزاهد : عبد الله بن عمر .	
للأستاذ الدكتور / عبد العزيز غنيم	١١٢٦
● المستشرقون والموضوعية .	
للأستاذ الدكتور / أحمد عبد الحميد غراب	١١٣١
● الفتـــــاوى .	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	١١٣٧
بـاب الشعــر	
● الصـــلاة .	
للأستاذ / محمد على جمعه الشايب	١١٤٠
● إلى القادة العرب .	
شعر / أحمد المنشاوى الورداني	١١٤١
● تحية للأزهر الشريف .	
شعر / رشاد محمد يوسف	١١٤٢
● من أعلام مجمع البحوث الإسلامية .	
للدكتور / أحمد الحفناوى	١١٤٣
باب العلوم الكونية	
● الإنسان وقضايا العلم المعاصر .	
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا	١١٤٨
● معلومات علمية عن الخنزير .	
للدكتور / عمر عثمان على والى	١١٥٣
● طرائف ومواقف .	
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١١٥٦
● من روائع الماضي .	
إعداد وتقديم / عبد الفتاح حسين الزيات	١١٥٨
باب اللغة والأدب والنقد	
● من قضايا الاختزال .	
للأستاذ / عبد الستار عبد اللطيف أحمد	١١٦٤
● قراءة فى نص من التراث .	
للدكتور / حامد الخطيب	١١٧٠
● النقد الأدبي من وجهة نظر إسلامية .	
للدكتور / محمد رجب البيومي	١١٧٤
● من خير ما نشر .	
إعداد عادل خفاجة .	
أحمد تقي الدين	١١٨١
● انبـاء وآراء .	
أ . عبد المنعم فودة .	
أ . مصطفى عبد المجيد عبد الفتاح	١١٨٤
القســم الانجليزي	
● المقالة الثانية :	
روبرت د . كران	١١٩٣
● المقالة الأولى :	
للدكتور أنس مصطفى النجار	١١٩٨

abstraction. The "node" which encompasses all contributions to understanding purpose and meaning. The "mode" which encompasses all general principles and analytical techniques connecting purpose with fact. The "lode" which encompasses all conclusions and all techniques to process the numerous facts identified in the informed observation.

The fourth requirement in the process of Islamization is the introduction of "Automation Science" in the doctrines of Tawhid, what the author terms as "Tawhid Cybernetics". This should aim at a final tangible data bank assembling all human knowledge in a form that gives real purpose to the science of Artificial Intelligence. This should perform highly complex computerized capabilities. It should perform a "nodal" function using deductive and inductive logic designed to formulate patterns and build idealized models. It should perform a "modal" function at the level of macro techniques to reveal common principles among diverse situations. It should perform a "lodal" function at the micro-analytical level to support and complement the "nodal and modal" functions. This besides several other quantitative functions which should be so designed to enhance the dynamic purposiveness and qualitative richness of the Islamic Information environment. Such sophisticated computerized Islamic encyclopedia would be of real benefit for perpetual Islamic educational process, and the cultural transformation of the world academic community. This science of "Tawhid Cybernetics" would bring about unity in diversity within the Muslim Ummah at large. It will also optimize and promote the process of functional "Islamization of Though" throughtout the Muslim populous and the global population. It will also help establish the Muslim faith and the doctrinal teachings of Islamic Shariyah as the "Universal Deen" for all mankind.

is known in Islamic law as Al shirk Al-Khafi or hidden polytheism. It is therefore important in paradigmatic analysis to distinguish what is compatible with Tawhid and leads towards knowledge of Allah, from what is incompatible with Tawhid and leads to denial of Allah and to evil epitomized by deceit and illusion. The secular metaphysics and values of the Western educational system in which all the developed empirical knowledge and premises are embeddd, will eventually lead the entire world to accept the false paradigms that cause man to worship himself as the greatest of all false gods.

The methodology of Islamization should focus on rejecting whatever deviates from submission to Allah, because forgetting Allah is the worst evil and the origin of all sin. Western thought should be assessed by a process of paradigmatic analysis in the light of this focus of basic premise of Islamic understanding. The paradigms of Western thought should be critically and comprehensively analysed at deep levels where purpose and meaning originate.

The second requirement for Islamization, would be the optimization and development of the Shariyah paradigm of thought. This initially calls for systematization of the fundamental premises of Islamic thought, the unities of Tawhid, and the universal derivitives of the combined frame work of such premises and unities. The Holy Quran and the Sunnah of the Prophet constitute definite guidelines for the psychological harmony of the individua, and the sociological harmony of the community; which provide the integrated paradigm of human relationships. This value oriented paradigm of Islamic thought recognizes that every person is endowed by Allah with spiritual intellect, and with an instinctual drive to know and implement Divine purpose. Consequently, man can be happy only when he has an inner balance of freedom to do what is right. When the basic components of society which are the individuals who form it and sustain it, are therefore free to integrate in sharing their spiritual wealth of truth, beauty, and moral sensitivity; they can therefore live in a harmonious community, in which social institutions based on principles of justice can promote equal opportunities. That is the true paradigm of Islamic teachnigs, and the integral prosperity of the Ummah through true social justice and freedom of spiritual intellect.

The third requirement in the process of Islamization is the development and implementation of Islamic disciplines by identifying the elements of observational and experimental knowledge that truely reflect reality. These can be characterized by dividing knowledge into three levels of

intricate complexity of structure worship Allah, the Creator. Every person is created with an intuitive capability to seek, and a corresponding need to know and recognize Transcendent Divine Reality. The human intellect (soul and mind), and power of rational reason (material brain) are so designed to know Relality and to facilitate submmission to Allah in thought and action.

The process of Islamization of thought necessitates several stages of action. The first should be a paradigmatic analysis of Western thought. This is followed by optimizing and developing the Shariyah paradigm of thought. This will eventually lead to the development and implementation of Islamic doctrinal disciplines. The final step should be the indoctrination of automation in the sciences of Tawhid "Tawhid Cybernetics".

The process of "Islamization of Thought" by paradigmatic analysis of Western thought should start at the holistic level which is best suited to reflect the basic unities of Tawhid and contrast them with their opposites of Western thought. A paradigm is a framework of thought that denotes to reflect all of reality and therefore to be the exclusive source of design meaning. Paradigms control thought, either consciously or unconsciously. A conscious paradigm becomes a powerful tool of thought control when it has become condensed into a simple symbol, words, pharse, numbers, tones, colours or even mathematical dimensions. The initial categorization of reality into symbols is the most fundamental tool of thought. The author's research has identified several tens of operational paradigms in modern Western thought that are the cardinal sources of polytheism. Most paradigms in actual practice are subconscious. An operative paradigm may be an overiding goal in life, such as power, wealth, prestige, or pleasure; which is used in fact to integrate thought and justify action. Most people are controlled by several paradigms of thought simultaneously; some conscious, some not; some compatible with each other, some not; some compelling to action or inaction, and some not. This "paradigmatic pluralism" may provide checks and balances and may therefore counter the distortion of reality.

The most reliable criterion for paradigmatic analysis is whether a particular paradigm or set of paradigms deviates from the basic premises of Tawhid, in which case it becomes a form of polytheism or false god; or whether it flows and conforms directly with Tawhid and therefore is functionally Islamic and facilitates the proper worship of Allah. When a paradigm is a hidden premise of thought that falsifies reality and therefore leads away from true belief in Allah,

Islamic conceptualization of knowledge. Pouring the Islamic content into the framework of Western thought would capture the Islamic input; and mold it into a caricature of Western thought. The third is Revolutionary Regerneration which believes that Muslims should devise totally new disciplines of knowledge reflecting the doctrinal teachings of Islam, and the essential values inherent in Shariyah. An entire new educational system should be developed from the top down emanating from the Islamic conceptualization of Tawhid.

The syndrome of internal strategic conflicts within Islam (and for that matter within all other religions), derives from the fact that its followers are concerned and responding more to the challenges from man, and less to the challenges given to us directly from "Allah". The very term "Islamization of Knowledge" is essentially wrong, because "Knowledge" by epistemological definition is fundamentally Islamic. All disciplines of science are the outcome of Divine Creative power into a pattern of unitary integrated harmony of supreme infinite complexity. The real challenge for Muslims is to "Islamize Thought" throughout the world. The "Islamization of Thought" in the functional sence is the real task, because even human thought is Islamic in potential. The most basic fundamental premise of Islamic Thought is Tawhid. The entinre created cosmic order exists inside a reality of forces which are derived from Allah. These forces do not exist inependently of Allah's purpose in creation. The ontology of Tawhid means that purpose and meaning derive deductively from preexisting knowledge of the whole, and are not derived inductively by analysis of the parts. The second premise is derived from the Esthetic and beautiful artistry of creation. Beauty consists of unity, symmetry, harmony, depth of meaning and breadth of applicability. the supreme grade of beauty is Tawhid itself, because without Tawhid, there could be no purpose, no science, and no human thought at all. This means that "Islamization" process should be simple, symmetrical, deep, practical, comprehensive and optimized.

The third premise is epistemological. This is based on the understanding that the process of Islamization consists in giving meaning to everything man can observe. Meaning comes from Allah, and this meaning is percieved through the function of thought which in turn, relates that to the Divine purpose of creation. Everything in creation is a sign an "Ayah" of Allah, designed to manifest the sublime beauty and perfection of Allah's Will of meaning and purpose for our instruction. Everything in creation is a powerful lesson for every branch of human knowledge, from physics to politics and economics. All knowledge is derivitive and affirmation of the Unitary harmony of creation. All creations in their most

understanding derived and originating from Divinely Revealed purpose. The ultimate justifications of Islamizing knowledge should be (1) To multiply the bounties of earth for the material benefit of all human race (2) To defend human rights of the weak against the unjust (3) To promote individual happiness and social harmony that can come only from personal and social freedom to recognize Divine purpose and submit to Allah.

The real challenge of "Islamization of Knowledge" is to incorporate the results of natural and Social Sciences within a framework of Divine Purpose into the human Society that accepts it, without absorbing the positivist materialistic cultural baggage of secular thought and education. The modern Euro-American materialistic paradigm of thought explains all things a priori only in terms of matter. Since matter cannot act freely, there can be no free choice and therefore no purpose in the universe. The appearances of purpose indepedent of man must be explained by theories, such as the false theory of evolution. There has been no scientific proof for such a theory because it is contrary to all that is scientifically established about the basic process of organizmal qualitative change in nature. The illogic of such unscientific subterfuge has forced its proponents to seal off thought by imposing the totalitarian belief of secular freethinking humanism throughout the public educational system in most of the world.

The conflict among the Muslim schools of thought on how to "Islamize Knowledge" focusses on the utilitarian, axiological, and epistemological goals of education. The question arises, should education serve primarily to train cadres of specialists in technological and managerial sciences prominent in Western educational systems; or should it serve primarily to teach normative guidelines and values for social integrated action in order to promote justice in society; or should it serve primarily to seek truth for its own sake to transform the thought patterns of the individual person.

The need to set priorities among the goals of education will dictate following one of three strategies for the process of "Islamization of knowledge". The first is Static Transfer which accepts Western academic educational disciplines in both definition and content without concern over the subliminal subconscious values and thought patterns that accompany the transfer process. The second is Evolutionary Adaptation which primarily accepts the general jurisdiction and Scope of Western disciplines which accomodates a specific approach to reality, and pour into it an Islamic content or system of values. This bottom up strategy fails to develop its own practical alternative of

PREMISE AND PROCESS IN ISLAMIZATION OF THOUGHT

by: Robert D. Crane

During the Fourteenth Century after Hijrah, ending in 1980, A.C. Western Euro-American civilization dominated the entire world and became the first global civilization in human history. Building its roots on secular unspiritual materialism of disintegrated Roman and Greek cultures. This Euro-American civilization became the first in human history proudly to reject the power of the Creator "Allah" and to worship man and materialism as the ultiamte reality. This denial of the Transcendant Divine power developed into a serious denial not only of "Allah" but of all purpose of life. Without purpose, there can be no values and no standards of right or wrong, the truth becomes buried in distortion.

There is a powerful upsurge to religious fundamentalism in reaction to the world entropy of western culture. However, much of this reaction reflects the exclusivism and totalitarian mentality of hatred, including self hatred, found wherever the nihilistic Euro-American civilization has corrupted the minds of the educated youth. This spells the end of all values in the practical life of people, and will eventualy destroy even the institutions of law and order. The only source of remedial value is the Holy Quran and Sunnah; and the major challenge facing mankind in general and the Muslim Ummah in particular, is to present the teachings of the Quran and the Sunnah in such ways that meet and appropriate the needs of human societies. Muslims must design an Islamically - Informed Educational System. The false premises of modern Euro-American thought must be identified and contrasted with the genuine premises of the Holy Revelation. In order to fit such programme into the main stream of Islamic thought, a rigorous critical study of the process of "Islamization of Knowledge" must be undertaken.

The technical term "Islamization of knowledge" means to incorporate the facts, observations and conclusions derived from scientific experiment into a framework of thought and

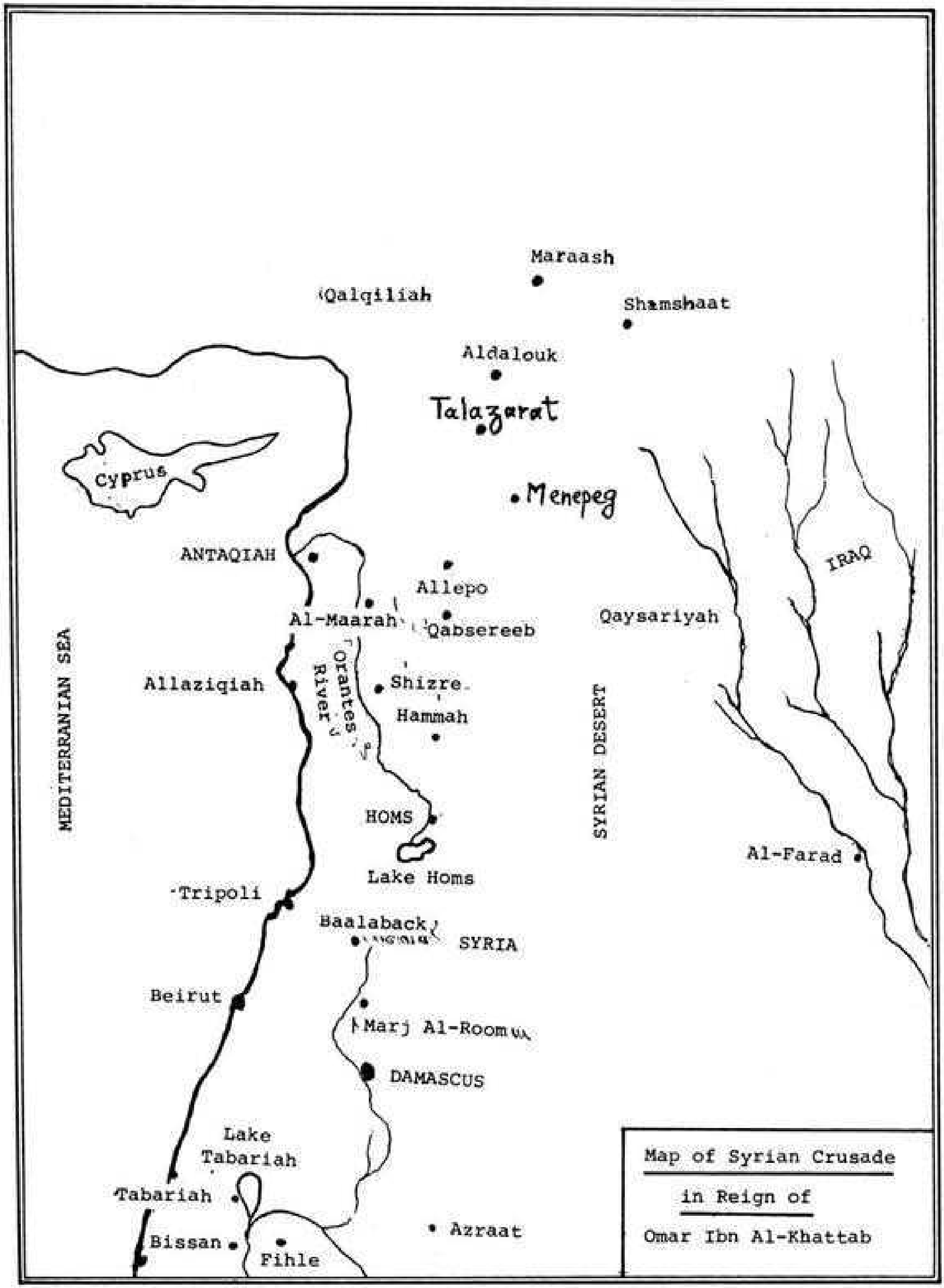
Maraash
Qalqiliah
Shamshaat
Aldalouk
Talazarat
Cyprus
Menepeg
ANTAQIAH
Allepo
IRAQ
Al-Maarah
Qabsereeb
Qaysariyah
MEDITERRANIAN SEA
Orantes River
Allaziqiah
Shizre
Hammah
SYRIAN DESERT
HOMS
Al-Farad
Lake Homs
Tripoli
Baalaback
SYRIA
Beirut
Marj Al-Room
DAMASCUS
Lake Tabariah
Tabariah
Bissan
Fihle
Azraat
Map of Syrian Crusade
in Reign of
Omar Ibn Al-Khattab

→

moved further north to Constantinople. In the science of social and military history, an analysis of the marked change that took place in the military strength and zeal of Roman military power, leads to the understanding of possible reasons for that contradicting change. Most analysts attribute the decay of Roman military strength to the Roman system of rule, the Roman system of taxation and the suppression of the creedal freedom of the community.

The nomad Arab tribes of the Syrian territories were sympathetic with the Muslim warriors from south of the borders. The triumphant supremacy of the Muslim warriors was very attractive to the passions and emotions of the Syrian nomad Arabs. Several tribes and clans declared their Islam.

The whole Syrian territory was now safely under Muslim presence, the teachings of Muslim culture was on the way, and the implementation of Islamic law of Shariah gave the proper ground for real social justice and the attainment of objective human rights. Syria remained as a muslim state ever since.

moderation, the inhabitants of Qansereen revolted when the Muslims marched to Allepo. Muslim contingents were dispatched to subdue the revolt, and remained in the city for control, and act as rear guard to the advancing army.

Abu Ubaydah advanced Ayyadh ibn Ghanam as vanguard of the Muslim warriors marching towards Allepo. Ayyadh besieged the city for short period, after which the inhabitants demanded truce requesting safety for themsleves, families, property, churches, and their fortifications. They were granted their conditions of truce, and the Muslims requested some land for the construction of a Mosque. All the retreating Roman forces had gathered at Antaqiah the stronghold of the Romans, the city of great beauty, grandeor and distinctive importance, the gateway to the East, the capital city of Roman military and civilian administration. The City of unique natural defences and fortification surrounded by mountains, very difficult to assault. Antaqiah was openly supplied from the sea with all necessary equipment and reinforcements. The Muslims were well aware of the whole situation and made plans for a long and difficult confrontation with the Romans, if they were to occupy Antaqiah the champion city of the Roman Eastern Byzantine Empire. The entire Muslim Ummah and Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah were all awaiting the news of Muslims at Antaqiah. The situation was similar to Al-Qadissyah in Iraq. It was expected that the high military command of the Roamn Legions in Syria would make a stand at Antaqiah against the advancing Muslim warriors. Emperor Heraclius the reputed hero and master of the Eastern Roman Byzantine Empire did not care to defend Antaqiah, he was hopelessly depressed and lost all interest in defending the last stronghold of the Eastern Roman Empire. Heraclius left Antaqiah without defences. The inhabitants confronted the advancing Muslim warriors, and were bitterly defeated. Abu Ubaydah victoriously entered Antaqiah with the Triumphant Muslims to sign truce terms of Antaqiah. However, the inhabitans of Antaqiah revolted and werre subdued by Ayyad ibn Ghanam.

Omar ibn Al-Khattab wrote to Abu Ubaydah ibn Al-Garrah to establish a garrison at Antaqiah and proceed to clear the rest of Syrian territories from pockets of Roman Legions. Upon such instructions, Abu Ubaydah advanced east and north east to Allepo, Wamanpeg; and sent Khalid ibn Al-Waleed north to Al-Dalouk, Maarash and the rest of Qualqiliah. The whole north of Syria was clear of Roman presence and the Muslim forces were very close to their brethern warriors who were present in the north of Iraq. In the meantime, Yazied ibn Abi Suffyan caputred Beirut, and all the locations around. The Roman Emperor Heraclius therefore came to realize that the Eastern Roman Byzantine Empire had lost Syria foreover. He

→

patient in that siege, and resisted the bitter winter which was contrary to their nature. By the end of the winter season, an earthquake seized the city, and the inhabitants capitulated to the Muslim forces according to truce terms. The Muslim warriors recuperated after the long winter siege of the city of Homs. Abu Ubaydah ib Al-Garrah rallied to his side several nomad tribes and recruited some of their members. According to instructions from Omar Ibn Al-Khattab, he made plans with Khalid ibn Al-Walid to proceed north to ANtaqiah. and Allepo. The road to Antaqiah moves along the Orantes river passing by Hamah and Shizre. The way to Allepo passes by Qansereen with its plateaus and fortified bastions and strongholds. Ubadah ibn Al-Samet was left commanding Homs, the rest of the army moved along the Orantes river. The inhabitants of Hamah surrendered, and also Shizre, on terms of peace. Abu Ubaydah proceeded at the head of Muslim armies to reach Allaziqiah. The inhabitants of the city fortified themsleves and prepared to resist the Muslims as they advanced, they hoped for support from the sea. Abu Ubaydah resorted to maneuver and battlecraft. He camped away from the city, and ordered his men to dig deep trenches that will shelter the men and horses from sight. The whole Muslim army was ordered to move away from the city in open daylight under sight of the inhabitants. The whole city returned to normal life again, and during the night, the Muslims returned to conceal themselves in the trenches. During the day, the Muslims surprised the city by a swift attack and captured Al-Laziqiah. The inhabitants surrendered and the Muslims agreed to sign terms of truce inspite of having captured the city by force of arms.

Abu Ubaydah moved from Allaziqiah to Al-Ma'arah which he occupied with very little resistance. Abu - Ubaydah instructed Khalid ibn Al-Waleed to command part of the Muslim forces to march to Qansereen and further north to Allepo. The Roman command had news of Khaled's march to Qansereen, upon which massive Roman battalions were mobilized to confront Khalid with his Muslim warriors. The strategic wisdom of Khalid ibn Al-Waleed enabled him to attack and defeat the Roman battalions with very heavy losses inspite of their huge numbers. Those who escaped retreated to Qansereen, to take protection behind the fortifications of the city. After a short siege, the inhabitants of Qansereen realized that surrender was the only way. Khalid, however, refused their terms of peace and insisted that he should storm the city. The inhabitants of Qansereen fled to Antaqiah leaving behind their families and belongings. When Abu Ubaydah arrived at Qansereen, he followed a medium policy of destroying the city fortification and bastions leaving the rest of the city, and arranged terms of truce. Inspite the policy of leniency and

OMAR IBN AL–KHATTAB
THE ROMAN EVACUATION OF SYRIA

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The City of Damascus had capitulated to Muslims, and the whole of the Jordan valley had accepted Muslim presence, and signed terms of peace. Omar ibn Al-Khattab wrote to Abu-Ubaydah ibn Al-Garrah to move north to Homs, and leave Amre ibn Al-Aas and Sherahbeyl ibn Hassanah to crusade into Palestine moving south from the Jordan valley. In the meantime, Abu Ubaydah instructed Hashem ibn Utbah to return to Iraq with the men who had come from Iraq with Khalid ibn Al-Waleed to reinforce the Muslim forces at Al-Yarmook during the reign of Abu-Bakre Al-Siddiq.

Ubu Ubaydah moved north towards Homs. When the Muslims reached Marj Al-Room, they encountered Roman troops, and both armies stood facing each other. Another cavalry Roman legion soon appeared but remained separate. Abu Ubaydah and Khalid ibn Al-Waleed confered and decided that each would separately engage one of the Roman armies. By the next morning, one of the Roman armies had completely disappeared from sight, and Khalid ibn Al-Waleed quickly realized that the Roman army had stealthly moved under cover of dark to reoccupy Damascus, knowing that the Muslim garrison at Damascus would be unable to defend the city against the storming Roman army. Khalid ibn Al-Waleed took leave, and followed the Roman army, and outside Damascus the Roman army was trapped between the Muslim garrison of Damascus commanded by Yazied ibn Abi Suffyan and Khalid ibn Al-Waleed who had followed the Romans back to Damascus. The Roman army was bitterly defeated, Damascus was saved, and another Muslim victory was accomplished which greatly added to the enthusiasm and avidity of the Muslim warriors.

Khalid ibn Al-Waleed returned to Marj Al - Room to find Abu-Ubaydah ibn Al-Garrah had also defeated the other Roman army. Both men moved to Homs after occupying Baalaback. The inhibitants of Homs refused to surrender to the Muslims, who were forced to besiege the city. The Muslims were very

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART XI

ZU AL-QIDA, 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab

The Roman Evacuation of Syria.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Premise and Process in Islamization of Thought

By: Robert D. Crane.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ذو الحجة ١٤١٠ هـ
يولية ١٩٩٠ م
الجزء الثانى عشر
السنة الثانية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

النبوة ... والكعبة ... وأبو حنيفة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد:

فأبو حنيفة الإمام الثبت الثقة صاحب تراث جمع نوادر تكاد تكون وقفا عليه، وهى نوادر لها معلوماتُها الدينيةُ والتاريخية والثقافية، ليس يحظى باستنارتها من غَفَلَ عنها، وليس من المبالغة أن تفقد بعضُ المعلومات الحيوية دِقّتَها العلمية بفقدها مصادر هذا الإمام الجليل. فتصبح معلومات محدودة مألوفة كثيرة الثغرات.

هذا الإمام الجليل وريث فقه عمر بن الخطاب - رضوان الله عليهما.

روى الإمام أبو يوسف - بسنده - قال:

←

« تَفَقَّهَ من أصحاب النبي ﷺ ستةُ رهط : ثلاثةٌ يُلْقِي بعضهم على بعض ، وثلاثة يلقى بعضهم على بعض ؛ فكان ابن مسعود وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت يلقى بعضهم على بعض ، وكان على بن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وأُبَىُّ بن كعب يلقى بعضهم على بعض »[1] أ . هـ ، فعبد الله بن مسعود ، وعمر وزيد بن ثابت مدرسة فقهية واحدة .

واضطر عمر أن يرسل بعبد الله بن مسعود إلى الكوفة « مُعَلِّماً ووزيراً » فذهب هذا الصحابى الجليل إليها لتمتد هذه المدرسة فيتفقه على ابن مسعود ـ رضى الله عنه : علقمة وحماد .. فأبو حنيفة .

وإليك خبراً من الأخبار النادرة بهذا التراث قد يجعل بعض المؤرخين ـ وهذا البعض كثير ـ يضربون كفاً بكف لفوات تدارك ماكتبوه خاصاً بخلاف الصاحبين الجليلين : على ومعاوية ـ رضوان الله عليهما .

« .. عن أبى حنيفة عن موسى بن أبى كثير عن علىّ ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : لأبى موسى رضى الله عنه حين حَكَّمَهُ : خَلِّصْنِى منها ولو بعرق رقبتى »[2] أ . هـ .

فلينظر قوم ما كتبوا !!

وللكعبة حديث لدى الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه :

روى ـ رضى الله عنه ـ خاصاً بالكعبة ، عن سالم الأفطس :

« ..... إنَّ حولها لقبرَ ثلاثمائة نبى »[3] أ . هـ .

وأخباره ـ رضى الله عنه ـ فى هذا المقام دالة على كثرة هجرة الأنبياء إليها ، أولئك الأنبياء الذين أدوا رسالتهم على أتم أمانة فعصت أقوامهم فاستحقت عذاب المولى ـ عز وجل ـ فأوحى إلى رسله بالهجرة بمن آمن معهم ، كما قال تعالى ـ فى شأن هود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ هود ٥٨ ، ونبوة « هود » ـ عليه السلام ـ من أقدم النبوات فى العرب البائدة .

وخبر أبى حنيفة يشير إلى الرحلة النهائية لأولئك الأنبياء ، كذلك هو يرجح وجود الكعبة من قبل الخليل إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ولقد وجد الأنبياء العرب الثلاثة مقامهم الكريم حولها .

روى ـ رضى الله عنه ـ قال : حدثنا عطاء بن السائب قال :

« قبر هود وصالح وشعيب ـ عليهم السلام ـ فى المسجد الحرام »[4] .

ويعضد أخبار أبى حنيفة بالنسبة للكعبة ما رواه الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ بمسنده ـ قال : أخبرنا سفيان عن ابن أبى لبيد عن محمد بن كعب القرظى ـ أو غيره ـ قال : « حجَّ آدم ـ عليه السلام ـ فلقيته الملائكة فقالوا : بَرَّ نُسُكُكَ آدمُ ، لقد حججنا قبلك بألفى عام »[5] .

وتعنى تلك الأخبار أن الكعبة أشرقت بنور ربها من قديم لتكون قبلة الموحدين إلى يوم الدين[6] .

د. على أحمد الخطيب

---

(١) انظر لأبى يوسف ـ الآثار ص ٢١٢ ، ولابن القيم ـ أعلام الموقعين ١٥/١ ، وللإمام الشيبانى ـ الآثار ص ١٤٥ .

(٢) المرجع الأول ص ٢٠٨ ط أولى مطبعة الاستقامة ١٣٥٥ .

(٣) الإمام محمد بن الحسن الشيبانى ـ رضى الله عنه ـ الآثار ص ٤٩ ، ٥٠ ط الهند .

(٤) نفس المرجع ص ٥٠ ، وانظر للإمام أبى المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمى ـ مسانيد الإمام الأعظم ٥٠١/١ ط ـ الهند .

(٥) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ـ مسند حبر الأمة وإمام الأئمة ص ٤٠ ـ شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ .

(٦) راجع أدوار بناء الكعبة بموسوعات التفسير .

مع الإمام الأكبر

فضل الليالي العشر

فتوى في توريث الإخوة

فتوى في حكم الإقراض والاقتراض بفائدة

فضل الليالى العشر

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

جرت سنة الله فى تفضيل بعض خلقه على بعض ، ففى سورة النساء قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .. وفى سورة النحل : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ ..

وفضل بعض الرسل على بعض فقال فى سورة البقرة : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .. وقال فى سورة الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ..

وفيما يؤكل قال الله فى سورة الرعد : ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ﴾ .. فهو سبحانه يخلق مايشاء ويختار : ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ ..

وفضل بعض الأماكن على بعض فاختص ما فضله بمزيد من التكريم ..

وفضل بعض الأزمنة على بعض .. ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ . هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ ..

ففى هذه الآيات الخمس اقسام خمسة ، أولها : (وَالْفَجْرِ) ..

وقد اختلف فى (الفجر) فقال قوم : الفجر فى هذا القسم : انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم ، وعن ابن عباس انه النهار كله ، وعبر عنه بالفجر لأنه أوله ، ونقل ابن محيصن عن عطية عن ابن عباس يعنى فجر يوم المحرم ، وبمثله قال قتادة : هو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السَّنَة . وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ يريد صبيحة يوم النحر لان الله جل ثناؤه جعل لكل يوم ليلة قبله إلا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده .. لأن يوم عرفة له ليلتان : ليلة قبله وليلة بعده ، فمن أدرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد أدرك الحج إلى طلوع الفجر ، فجر يوم النحر .. وهذا قول مجاهد .

وقال عكرمة : (وَالْفَجْرِ) قال : انشقاق الفجر من يوم جمع (مزدلفة) .

وقال الضحاك : فجر ذى الحجة لأن الله قرن الأيام به فقال : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ اى ليال عشر من ذى الحجة .

ونقل عن ابن عباس أنها العشر الآخر من رمضان ، ونقل عنه وعن غيره أنها العشر الأول من المحرم التى عَاشِرُهَا يوم عاشوراء(١) ..

وقال الشيخ محمد عبده فى تفسيره : هى عشر الليالى فى أول كل شهر ..

لكن الأكثرين على أنها العشر الأول من ذى الحجة .. ثم إن القسم بهذه الأزمان من حيث إن فيها دلائل بديع صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وسعة قدرته فيما أوجد من نظام متكامل ، متناسق ، فوقت الفجر جامع بين انتهاء ظلمة الليل وابتداء ضوء النهار ، ووقت الليل الذى تمحضت عنه الظلمة ، ومع هذا فهى أوقات لأعمال البر وعبادة الله وحده ، مثل الليالى العشر ، والليالى الشفع ، والليالى الوتر .

والمقصود من القسم ـ فى الأصل ـ تحقيق المقسم عليه ، إذ القسم فى الكلام من طرق تأكيد الخبر ، وبهذا الاعتبار يكون القسم إشهاد المقسم به على ما تضمنه كلامه .

لكن قسم الله سبحانه وتعالى ببعض مخلوقاته ـ كهذه الأقسام الخمسة ـ توجيه إلى النظر فى بديع صنع الله وسعة قدرته .

والقصد من تعداد الأشياء المخلوقة المقسم بها التشويق إلى القسم عليه وترقب معرفته : ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ وقد استغنى عن تعريفها بتوصيفها بعشر ، حيث دل هذا الوصف العددى على تتابعها وليس ـ على الأظهر ـ فى ليالى السنة القمرية عشر ليال متتابعة عظيمة القدر مثل عشر ذى الحجة التى هى وقت مناسك الحج ، ففيها الإحرام ، ودخول مكة وأعمال الطواف وثامنتها ليلة التروية ، وتاسعتها ليلة عرفة ، وعاشِرَتُها ليلة النحر .

ولقد أوحى الله إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى السنة العاشرة من الهجرة عام حجة الوداع أن أشهر الحج فى تلك السنة وافقت ما كانت عليه السنة فى عهد إبراهيم عليه السلام .

فقال الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته فى حجة الوداع : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .. إشارة إلى انقضاء أيام النسىء الذى أدخله أهل الجاهلية ، وتغيير أهل الجاهلية لليالى وأيام الحج بما ابتدعوه من النسىء لايرفع بركة الأيام الجارية فيها المناسك قبل حجة الوداع ، لأن الله عظمها لأجل ما يقع فيها من مناسك الحج الذى هو عبادة الله خاصة .

ومن ثم فأوقات العبادات متعينة لإيقاع العبادة ، وأن للوقت المعين لإيقاعها حكمة علمها الله سبحانه ، ولهذه الأوقات حرمات بجعل الله ، فإذا اختلت واختلطت لم يكن هذا الاختلال أو الاختلاط قاضيا بسقوط العبادة المعينة لها . والشفع ما يكون تاليا لغيره والوتر : أى الشىء المفرد ، وهما صفتان بمحذوف .

روى أحمد والنسائى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إن الشفع يوم النحر ، وأن الوتر يوم عرفة) .. وفى الشفع والوتر فى هذه السورة ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ أقوال أخرى استقصاها القرطبى وأكثرها بعيد عن حمل الآية عليه .

---

(١) جـ ٢٠ من الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٣٨ فى تفسير سورة والفجر ط الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٧ وراجع الألوسى جـ ٩ فى تفسير هذه السورة

فضل الليالى العشر

ومن تلك الأقوال أن ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ أى صلاة الصبح قاله قتادة وأخرج مثله ابن جرير عن ابن عباس فقال : يعنى صلاة الفجر . والليالى العشر من ذى الحجة لها فضلها وقدرها .

جاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا : (ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام) .. يعنى عشر ذى الحجة . قالوا : (ولا الجهاد فى سبيل الله) قال : (ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء) ..

وهذه الأيام العشرة قد اختصها الله بفضله وسابغ رحمته على عباده ، وجعلها موسما لطاعته بشتى القربات .

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد فيها من عشر ذى الحجة) ..

وهذه الليالى العشر المباركات من أوائل ذى الحجة هى أيام الاشتغال بأعمال الحج .. وكأن هذا القسم من الله سبحانه بالفجر تنبيه إلى ما يكون فيه من خشوع القلب فى حضرة الرب وبالليالى الفاضلة المباركة ، وبالشفع والوتر ، وقد قيل إن هذا القسم يعنى الزوج والفرد من كل شىء من مخلوقاته ، فكأنه تعالى أقسم بكل شىء لأن الأشياء إما زوج ، وإما فرد ، أو أنه أقسم بالخلق والخالق ، فإن الله تعالى واحد (وتر) والمخلوقات شفع (ذكر وأنثى) كما قال سبحانه : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ..

وعشر ذى الحجة قد أخرج الطبرانى فى شأنها قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ (ماأعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير) ..

وفى رواية البيهقى : (من التهليل ، والتكبير وذكر الله ، فإن صيام يوم منها يعدل صيام سنة ، والعمل فيها يضاعف بسبعمائة ضعف) ، وفى أخرى له : (ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجرا من خير يعمل فى عشر الأضحى) .. وفى رواية عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لهذا الحديث وفيها : (وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا يباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : (انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى .. فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة) ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا لأمته عشية عرفة فأجيب : (إنى غفرت لهم ما خلا المظالم فإنى آخذ للمظلوم من الظالم) ..

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (أى رب إن شئت أعطيت المظلوم الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشية عرفة ، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سئل) .. أخرجه ابن ماجه والبيهقى .

فهذه الأيام والليالى العشر التى يبدأ بها شهر ذى الحجة يضاعف الله فيها الحسنات ويمحو فيها السيئات ، ويقيل فيها العثرات ، ويرفع الدرجات ، ويجيب فيها الدعوات ، وفيها يوم عرفة المخصوص بالفضل العظيم الواسع ، سَنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صومه للمقيم ، وأخبر أنه مأمول فى

أن يكفر الله بصيامه السنة التى قبله والتى بعده ، فقد روى أبو قتادة رضى الله عنه عن النبى - صلى الله عليه وسلم قال : (صيام يوم عرفة إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده) .. أخرجه الترمذى .

فكأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : أحتسب على الله : أى أرجوه .. ورجاؤه - صلى الله عليه وسلم - من الله محقق ، أن يكفر بصومه ذنوب السنة الماضية والسنة الآتية إن وقعت فيها ذنوب تقع مغفورة ، وإن لم تكن فيرجى التخفيف من الكبائر ، وإلا رفع لصائمه الدرجات) ...

هذا : ولم يصم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم عرفة فى حجته .

فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أفطر بعرفة وأرسلت إليه أم الفضل زوجة عمه العباس لبنا فشرب ، وسئل ابن عمر رضى الله عنهما عن صوم عرفة للحاج فقال : حججت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ، ومع أبى بكر ، ومع عمر ، ومع عثمان فلم يصوموا يوم عرفة ، وأنا لا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه .

والمفهوم من كل هذا : أن صوم يوم عرفة فضله عظيم لأنه يكفر ذنوب السنة الماضية والسنة الآتية ، إلا لمن كان فى الحج فصومه غير مستحب لأنه يضعفه عن المطلوب فى عرفة من كثرة الذكر والتلبية والدعاء والابتهال إلى الله تعالى ، وتلاوة القرآن .. هذا : فضلا عن أن الحاج فى سفر .. وقد ورد : ليس من البر الصوم فى السفر ..

وقد روى مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء ..

وعن عبد الله بن عمرو عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول : (انظروا إلى عبادى أتونى شعثا غبرا) .. رواه أحمد .

إن الله قد اختص بعض الأوقات وبعض الأيام والشهور بفضله ، واتخذها لعباده موسما لطاعته تزكو فيها نفوسهم ، وتتطهر ، وتسمو فيها أرواحهم رغبة فى الله وطمعا فى رضوانه ، فهذه أوقات الصلوات ، وهذا شهر رمضان ، وهذه الأيام العشرة من ذى الحجة ، والتاسع والعاشر من شهر المحرم ، أوقات وأيام استحبها الله لعباده باسطا رحمته مناديا الصالحين : دأبا على صالح الأعمال ، ومذكرا العصاة ، فإن رحمة الله قريب من المحسنين ، فأحسنوا وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ..

لعلنا نغتنم هذه الليالى التى بدات .. ونحييها بالصلاة وبالذكر .. وليس أحب إلى الله من تلاوة كتابه وتدبر آياته والعمل بها ، ونصوم أيامها احتساباً لله تعالى رجاء أن يمحو بها خطايانا ، وأن يقود خطانا إلى الصراط المستقيم .. صراط الذين أنعم الله عليهم .. غير المغضوب عليهم .. ولا الضالين .. آمين .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

فتوى فى توريث الإخوة لأم مع الإخوة لأبوين أو لأب

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

وبعـد :

فقد سأل السيد / عبد الفتاح احمد بيومى عطا الله من علماء الأزهر عن ميراث الإخوة لابوين او لاب مع الإخوة لام واقترح فى نهاية خطابه ان يرث الإخوة لام ثلث الباقى عند وجود الإخوة لابوين او لاب ، وعلل ذلك بتحقيق العدالة بين الورثة لان الإخوة لام لو اخذوا ثلث التركة لظلم الإخوة لابوين او لاب لأن الإخوة لابوين اقوى واقرب من الإخوة لام ، وقد بنى اقتراحه هذا بعدما عرضت عليه مسألة ميراث وافتى فيها بما تقرر فى كتاب الله وسنة رسوله وما علمه من علم الفرائض ، ولكنه بملاحظته وجد ان الاخ لام يحصل على اربعة اسهم فى حين يحصل الأخ الشقيق على سهم ونصف من اصل ٢٤ . كما جاء فى رسالته ونص المسألة هكذا :ـ

توفى رجل وترك زوجة ، اماً ، اربعة إخوة اشقاء ، اخاً واختاً لام ، وقد اجاب على المسألة بما هو مدون فى كتب الفقه وكانت النتيجة للزوجة الربع فرضاً وللام السدس لوجود الإخوة وللاخ والأخت لام الثلث فرضا يقسم بينهما بالتساوى وللإخوة الاشقاء الباقى تعصيباً . ثم قال السائل والمسألة من ٢٤ للزوجة ٦ وللام اربعة وللإخوة لام ثمانية وللإخوة الاربعة الاشقاء الباقى وهو ستة ، ثم رتب على ماسبق بقوله ، وحيث إن ماذهب إليه شيوخنا وماقرروه فى احكام الميراث نفتى به ولا نحيد عنه ، إلا انه فى هذه المسألة يترتب عليه ان الاخ الشقيق يحصل على واحد ونصف ، والاخ لام فقط يحصل على اربعة ، وفى هذا ظلم للاخ الشقيق والله عز وجل منزه عن الظلم ، إذ احكامه كلية تحقق العدل للجميع ، وفهمنا فيها هو الذى ادى إلى هذا الظلم ، ولابد لنا من أن نقف وقفة لنتبين الرشد من الغى ونصل إلى فهم يحقق العدالة بين الورثة مع احترام النصوص .. هذا ماأجاب به ومارتبه عليه ثم

حاول السائل بعد ما تقدم ان يدفع الظلم ويحقق العدالة فقال : إن الإخوة لابوين (لم يذكر السائل الإخوة لاب مع انه اوردهم سابقاً ولاحقاً) يرثون بالتعصيب والإخوة لام يرثون بالفرض والإرث بالتعصب اقوى من الإرث بالفرض وليس من العدل ان يرث الاقوى والاقرب اقل مما يرثه الاضعف والابعد ... فلو اردنا من الثلث المقرر للإخوة لام ثلث الباقى بهذا القيد فلا إشكال ، وكم من قاعدة دخلها الاستثناء عند وجود مايقتضيه ، ثم اعطى السائل مثالاً لثلث الباقى بنصيب الأم فإنها ترث الثلث عند عدم وجود الفرع الوارث او جمع من الإخوة والأخوات والمراد من الثلث ثلث التركة ولكنه يفسر بثلث الباقى عندما تترك المتوفاة زوجاً وأباً وأماً فللزوج النصف ، فلو اعطينا الام الثلث لكان نصيبها ضعف مايأخذه الاب .

ثم يقول : ومن هنا قرر العلماء تخصيص الثلث الذى هو حق الأم بثلث الباقى ثم ينتهى إلى قوله : وقياساً على ذلك فلم لا يكون المراد من الثلث الذى هو حق الإخوة لام هو ثلث الباقى عند وجود الإخوة لابوين او لاب ولهذا مثيل فى القرآن وفى باب الميراث وفى الختام يقول : ارجو مخلصاً بيان الراى والإفادة .

والجـــــواب

١ ـ علم الميراث منزلته بين العلوم رفيعة لأن الله عز وجل تولى تقدير سهام الورثة وبين نصيب كل مستحق فى التركة بياناً واضحاً فى ثلاث آيات بينات من سورة النساء أرقامها (١١ ، ١٢ ، ١٧٦) .

ختم الأولى منها بقوله تعالى : ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ .

وختم الثانية بقوله : ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ وختم الثالثة فقال : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ والخواتيم الثلاث تؤكد لنا أن تقدير انصبة الورثة كان من علم الله وحكمته وحلمه وعلى هدى ، لا خشية من ضلال فيه وبصلاح لاضرار منه ذلك لأنه الله الذى أوصانا بما فرضه ، ونحن لا ندرى أى الورثة اقرب نفعاً وواجبنا الالتزام بما فرضه وقدره لأنه يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

٢ ـ تكفلت الآيات الثلاث السابق بيانها بتقدير الفرائض الست : (النص ـ الربع ـ الثمن ـ الثلثان ـ الثلث ـ السدس) ، والمستحقين لها كما بينت العصبة بالنفس ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ﴾ والعصبة بالغير ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ و ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ ، وقد اكدت السنة المطهرة العصبة بالنفس فيما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر » كما بينت العصبة مع الغير بقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « اجعلوا الأخوات مع البنات عصبة » .

←

فتوى فى توريث الإخوة لأم

٣ ـ استقر الأمر فى الميراث على ماسبق من بيان فى كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستقبل المسلمون ذلك بالقبول علماً وعملاً ، عقيدة وشريعة من غير تدخل بتغيير فى فرض من الفراض ، أو اجتهاد بإعطاء فرض لغير مستحقه أو إنقاص مستحق عما يستحقه من غير داع كموافقة قاعدة عامة فى باب الميراث .

٤ ـ ومن أجل هذا لا يقال بعد توزيع الانصبة على مستحقيها شرعاً إن أحداً منهم ظلم لأنه استحق من التركة أقل من غيره (كما ورد فى اقتراح السائل) فمن المعلوم أن أصحاب الفروض يستحقون أنصبتهم المقدرة لهم أولاً حسب القواعد المقررة ثم إن بقى من التركة شىء استحقه العاصب أو العصبة فإن لم تبق الفرائض شيئاً فلا تستحق العصبة شيئاً أيضاً لأن العاصب يحوز التركة إذا انفرد أو يأخذ ما أبقته الفرائض أو لا يأخذ أصلاً إذا استغرقت الفرائض التركة ، وقضية الظلم فى تقسيم الميراث غير واردة مادمنا نطبق شريعة الله المبينة فى كتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ثم فلا محل لما جاء فى السؤال : « وفى هذا ظلم للأخ الشقيق » ..

بناء على أن الإخوة الأشقاء فى المسألة التى عرضت عليه وعددهم أربعة استحق الواحد منهم سهماً ونصفا وأن الإخوة لأم وعددهم اثنان استحق الواحد منهم أربعة أسهم ...

ذلك لأن المسألة المعروضة خاصة ، تأثر التوزيع بين كل فريق بالعدد زيادة فى جانب الإخوة الأشقاء ونقصاً فى جانب الإخوة لأم مما ترتب عليه نقص السهام فى جانب الأشقاء لكثرتهم وزيادتها بجانب الإخوة لأم لقلتهم .

ولذا لو فرضنا وكان واقع المسألة هكذا « زوجة ، أم ، شقيقان أربعة إخوة لأم » لاختلف الأمر وأصبح للشقيق ثلاثة أسهم وللأخ لأم سهمان ، وهكذا وجدنا أثر زيادة العدد فى جانب ونقصه فى جانب آخر مما تسبب فى الفهم الوارد فى السؤال فضلاً عن أن القواعد العامة الثابتة لاتتأثر بجزئيات خاصة كما سبق أن أوضحنا ...

٥ ـ ذهب السؤال إلى الاستدلال على أن يكون نصيب الإخوة لأم ثلث الباقى مع وجود الإخوة الأشقاء أو لأب بقياس حالة الإخوة لأم على حالة الأم حينما ترث ثلث الباقى فى المسألتين الغراوين لشهرتها أو لعمريتين لقضاء سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ ..

وهذا قياس مع الفارق حيث إن ثلث الباقى فى الغراوين محدد بما يكون بعد فرض أحد الزوجين مع الأب والأم فى المسألتين ، وذلك خاص بوجود الأم مع الأب والزوج فى الأولى والزوجة فى الثانية ، وإنما ردت الأم هنا من ثلث التركة إلى ثلث الباقى ، لأن القاعدة العامة المستفادة من دلالة نصوص القرآن والسنة فى باب الميراث أن تكون الأنثى على النصف من الذكر الذى هو فى درجتها ، ولا تزيد أنثى فى الميراث على ذكر فى مرتبتها ، ومن المعلوم أن ميراث الأم فى الغراوين وهو ثلث الباقى بعد فرض أحد

الزوجين مشروط بوجود الاب معها وأحد الزوجين ، فلو كان بدل الأب جد لورثت الأم ثلث التركة لا ثلث الباقى » وإذا كان ثلث الباقى فى العمريتين محدداً ، فإن ثلث الباقى المراد جعله نصيباً للإخوة لأم مع وجود الإخوة الأشقاء غير محدد ، ولذا نقول للسائل : أين الباقى الذى نأخذ ثلثه ؟ » .. وإذا كان هناك باق فبعد فرض من ؟ .

إننا إذا تصورنا مسائل اجتماع الإخوة لأبوين أو لأب مع الإخوة لأم .. نجد صوراً متعددة يمكن حدوثها فى الواقع المعاش ، وفى بعض تلك الصور يقع « الحجب » لكل من الإخوة الأشقاء أو لأب والإخوة لأم ... كما يحدث الحجب تارة للإخوة لأم وتارة للإخوة لأب ولهذا صور أربع ..

الأولى والثانية :

فيها حجب لجميع الإخوة وهما :

١ ـ ماتت وتركت زوجاً ، ابناً ، إخوة أشقاء ، إخوة لأم ..

٢ ـ مات وترك زوجة ، اباً ، إخوة أشقاء ، إخوة لأم .. فى هاتين المسألتين اجتمع الإخوة لأم مع الإخوة الأشقاء ولا يوجد باق ولا ثلثه لحجب الإخوة لأم فيهما بالفرع الوارث والأصل المذكر ، وعدم بقاء شىء من التركة للعصبة وهم الأشقاء فى الحالين فضلاً عن حجب الأشقاء ولأم فى الحالين بالابن وبالأب ، ولذا صح القول : ليس كلما اجتمع الإخوة لأبوين أو لأب يكون فى التركة باق نورث ثلثه للإخوة لأم أو يكونوا مستحقين للإرث .

الثالثة :

لايرث الإخوة لأم مثلاً : ماتت وتركت بنتا ، إخوة لأبوين إخوة لأم ، إخوة لأب ، فلا ميراث للإخوة لأم لحجبهم بالبنت كما لا يرث الإخوة لأب فى هذه الصورة لحجبهم بالاخوة الأشقاء للمتوفاة .

الرابعة :

مثلاً ماتت وتركت زوجاً ، أماً ، إخوة لأب ، إخوة لأم ، فلا ميراث للإخوة لأب لاستغراق التركة بفروض الزوج والأم والإخوة لأم ، كما لا يوجد سبب لتشريك الإخوة لأب مع الإخوة لأم فى نصيبهم لأن الأم مختلفة كما سنبين ذلك فى الفقرة التالية :ـ

٦ ـ هناك فى علم الميراث حالة يجتمع فيها الإخوة لأم مع الإخوة الأشقاء ذكوراً وإناثاً او ذكوراً فقط وصورة المسألة : ماتت امراة وتركت زوجا ، أماً ، إخوة ، اشقاء ذكوراً وإناثاً او ذكوراً فقط ، إخوة لأم ، وفى هذه المسألة يرث الزوج النصف وترث الأم السدس ويرث الإخوة لأم الثلث ... ولا شىء للإخوة الأشقاء لأنهم عصبة يرثون الباقى ولا باق فقد استغرقت الفروض التركة .. وعرضت مثل هذه المسألة

فتوى فى توريث الإخوة لأم

على سيدنا عمر وقال الإخوة الأشقاء لسيدنا عمر هب أن أبانا حجرا فى اليم فقضى سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ بمشاركة الإخوة الأشقاء للإخوة لأم فى نصيبهم وهو الثلث يقسم بينهم بالسوية لأن أمهم جميعاً واحدة ، وقد أخذ فقه الشافعية والمالكية بقضاء سيدنا عمر فى هذه الواقعة بإهدار الأب ، ولكن الإمام أبا حنيفة والإمام أحمد لم يهدرا الأب ولم يشركا الإخوة الأشقاء للإخوة لأم أخذا بنص سابق فى واقعة لسيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ قال ابن قدامة فى « المغنى » إنه الموافق لظاهر الكتاب والسنة والقياس وهذا اختلاف فى تفسير النص الوارد فى نصيب الإخوة لأم متى كانوا أكثر من واحد وليس تزيداً على النص .

أما المسألة موضوع هذا السؤال فقد بقى بعد استحقاق أصحاب الفروض أنصبتهم ، الربع ورثه الإخوة الأشقاء .

ومن المفيد أن نعلم أن القانون المصرى رقم ٧٧ لسنة ١٩٥٣ بأحكام المواريث أخذ برأى الشافعية والمالكية فقضى بمشاركة الإخوة الأشقاء ذكوراً وإناثاً أو ذكوراً فقط للإخوة لأم فى الثلث وذلك إذا استغرقت الفروض التركة ولم يبق من التركة شئ يرثه الإخوة الأشقاء بالتعصيب ..

هذا : ويجب ملاحظة ما يأتى عند مشاركة الإخوة الأشقاء للإخوة لأم فى الثلث :ـ

أولاً :

أن يكون الإخوة لأم أكثر من واحد فإن كانوا واحداً استحق فرضه وهو السدس والسدس الباقى للإخوة الأشقاء تعصيباً .

ثانياً :

أن يكون الإخوة الأشقاء ذكوراً وإناثاً أو ذكوراً فقط فلو كانوا إناثاً فقط فرض لهن وفقاً لنص القرآن وتعول المسألة ولا تشريك ..

ثالثاً :

ألا يكون الإخوة العصبة إخوة لأب فقط لأنه فى هذه الحالة الأم مختلفة فلا تشريك .

وبعد ...

فقد اتضح الأمر وتبين أن ما جرى فى توريث الصورة الواردة فى السؤال صحيح دون ضرورة تدعو لما اقترحه السائل بعد أن حدد الله سبحانه فى كتابه الوارثين بالفرض وصدق قول الله سبحانه فى ختام سورة النساء : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . .

فتوى في حكم

الإقراض والاقتراض بفائدة

بين الجهات الحكومية

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب السيد رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية الاستهلاكية لمحافظة الجيزة المؤرخ ١٩٩٠/٢/١٧ م وقد جاء به:

إن وزارة التموين قررت منح هذه الجمعية قرضاً قدره مائتا الف من الجنيهات لتشغيلها في تمويل المواد الغذائية التى تعمل فيها الجمعية وان هذا القرض بفائدة = ٦٪ .

وطلب بيان الحكم الشرعى لهذا القرض على هذا الشرط .

والجـــواب

إن الله سبحانه وتعالى قال فى سورة البقرة[١] :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ .

ثم قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

(١) الآيات ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ .

فتوى فى حكم الإقراض والاقتراض بفائدة

وفى السُّنَّة النبوية الشريفة وردت أحاديث كثيرة فى البخارى ومسلم وغيرهما من كتب السنة تحرم الربا وتحدد معاييره منها ما رواه البخارى وأحمد عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء)(٢).

ومن آيات القرآن الكريم المتلوة وغيرها ومن جملة الأحاديث النبوية ومنها هذا الذى تقدم يتبين :

اولا : أن زيادة أحد العوضين الربويين على الآخر هو من جنسه لا تجوز وهى من الربا المحرم تحريما باتا ، قليله وكثيره سواء ، وأن ذلك عام فى جميع الأموال الربوية (الواردة فى الحديث الشريف سالف الذكر) سواء أكانت المبادلة من قبيل الصرف كما فى الذهب بالذهب والفضة بالفضة أم كانت من قبيل المقايضة ، وهى مبادلة السلعة ـ غير الذهب والفضة ـ بسلعة أخرى من جنسها كالتمر بالتمر .

ثانيا : أنه ليس فى تحريم هذا الربا خلاف معتبر يؤثر عن أحد من أهل العلم ، اللهم إلا مثل ما ورد عن ابن عباس وابن عمر من أنهما قالا أولا بجوازه أخذا بما رواه أسامة بن زيد من قوله ﷺ « الربا فى النسيئة » وفى رواية « إنما الربا فى النسيئة» حيث يفيد بظاهره حصر حرمة الربا فيما كان نسيئة وعدم تعديلها إلى ربا الفضل .

ثالثا : قد ثبت رجوع عبدالله بن عباس وعبد الله بن عمر عما قالا به إلى القول بما صحت به الأحاديث مما رواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى وهو ما يقتضى تحريم التفاضل فى بيع أو مقايضة الجنس بعضه ببعض حتى من غير نسيئة .

قال الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم لحديث أبى نضرة معنى ما ذكر أولا عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا يعتقدان انه لا ربا فيما كان يدا بيد وأنه يجوز بيع درهم بدرهمين و دينار بدينارين وصاع تمر بصاعين من التمر وكذا الحنطة وسائر الربويات ، كانا يريان جواز بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلا وأن الربا لا يحرم فى شىء من الأشياء إلا إذا كانت نسيئة ، وكان معتمدهما حديث أسامة بن زيد « إنما الربا فى النسيئة» ثم رجعا عن ذلك وقالا بتحريم بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلاً حين بلغهما حديث أبى سعيد كما ذكره مسلم من رجوعهما صريحا »(٣) .

ومن ثم فإن حرمة الربا مطلقا أى بقسيمة : ربا الفضل وربا النسيئة ثابتة بالقرآن وبالسنة الصحيحة لا فرق بين القليل والكثير ..

وبناء على هذا فقد قرر مؤتمر علماء المسلمين الثانى المنعقد فى الأزهر الشريف بمجمع البحوث الإسلامية فى المحرم ١٣٨٥ هـ مايو ١٩٦٥ م فى شأن فوائد القروض ما يلى :

---

(٢) شرح صحيح مسلم جـ ١١ كتاب الربا ص ١٤ و ١٥ طبعة بيروت .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١١ ص ٢٣ و ٢٤ طبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

١ - الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى لأن نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .
٢ - كثير الربا وقليله حرام كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾(٤) .

٣ - الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة والاقتراض بالربا محرم كذلك ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة .

لما كان ذلك تأكد أن الربا محرم بالدليل الشرعى من القرآن والسنة وإجماع الأمة وربا الفضل وهو الزيادة المشروطة لأحد المتعاقدين فى عقد معاوضة بلا مقابل .

وربا النسيئة على ما قال به الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره لآيات الربا هو الأمر الذى كان مشهوراً متعارفا فى الجاهلية .

وذلك أنهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقيا ، ثم إذا حل الدين طالبوا المدين برأس المال فإن تعذر عليه أداؤه زادوا فى الحق والأجل .

وهذا صريح فى أن المداينة الأصلية فى الجاهلية كانت تشترط فيها الزيادة على أصل الدين فى مقابلة تأجيله ، ويؤكد أن آيات القرآن الكريم فى تحريم الربا شاملة لمطلق الربا الشامل للجلى والخفى أو لربا الزيادة وربا النسيئة .

والقول بأنه لا ربا بين المصالح الحكومية ، لأن الحكومة تقرض الحكومة غير صحيح لأن القرض بفائدة مشروطة محددة مقدما يدخل فى معنى الربا شرعا وقانونا ، والربا والتعامل به محرم فى الإسلام بين الأفراد والجماعات والدول ، ولم يرد فى النصوص الشرعية استثناء طائفة من الناس أو الحكومة أو مصلحة من مصالحها وهيئاتها من سريان تحريم التعامل بالربا .

لما كان ذلك وكانت المسألة المطروحة مما يدخل فى نطاق القروض بفائدة مشروطة محددة فتكون عقداً اشتمل على الربا فصار محرما وأطرافه آثمون إذا أتموه وتعاملوا به وفقا لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة حسبما تقدم بيانه وليتذكر المسلمون دائما هذا التحذير الصادر من الله سبحانه فى القرآن فى قوله تعالى فى سورة البقرة :
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾(٥) .

ومشيخة الأزهر تحيى فى هذه الجمعية صاحبة السؤال ورئيسها الحرص على معرفة حكم الشرع فى هذا القرض للعمل به ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾(٦) .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(٤) من الآية ١٣٠ سورة آل عمران .
(٥) الآيتان ٢٧٨ ، و ٢٧٩ .
(٦) سورة الطلاق من الآيتين ٢ ، ٣ .

التعاطف والتراحم والتعاون

سبيل أهل الإسلام

لفضيلة الشيخ
أحمد بن محمد طاحون

قال الله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ « آل عمران ١٠٣ »

في ظلال الآية الكريمة :

يأمر الله عز وجل بالألفة وينهى عن الفُرقة ، فإن الفرقة هلكة ، والجماعة نجاة .

وينهى سبحانه عباده عن الافتراق كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم ، كما ينهى عن التفرق متابعة للهوى والأغراض المختلفة ، ليكونوا في دين الله إخواناً ، وليكون تمسكهم بدينهم وقرآنهم مانعاً لهم عن التقاطع والتدابر .

وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

واجبنا عند الاختلاف :

لقد أوجب الله علينا التمسك بكتابه ، وبسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً ، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي تتم به مصالح الدنيا والدين ، والسلامة من الاختلاف والتمزق .

لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالاجتماع والتساند والتآزر والتساعد ونهاهم عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين .

كما أمر الله ـ عز وجل ـ عباده بتذكر نعمه وأعظمها نعمة الإسلام واتباع النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن به زالت العداوة والفرقة ، وكانت المحبة ، والألفة : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .

المسلمون إخــوة :

لقد صار أهل الإسلام بفضل الدين إخوانا في العقيدة ، كلٌّ واحد منهم يتوخى مصالح أخيه ، ويؤازره ، ويناصره ، ويعينه ، فهم متعاضدون لحماية عقائدهم ومقدساتهم إذ الفرقة هلاك وضياع في الدنيا ، ووبال وعذاب في الآخرة : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .

لقد كان بين القبائل العربية في « يثرب » وغيرها حروب كثيرة في الجاهلية ، وعداوة شديدة ، وأحقاد طال بسببها تحاسدهم وتقاتلهم وكثرت الوقائع بينهم ، فلما جاء الإسلام ودخل فيه الناس أفواجا صاروا إخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين في ذات الله ، متعاونين على البر والتقوى ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ « الأنفال ٦٢ ـ ٦٣ » .

وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم وضلالهم فأبعدهم الله منها أن هداهم للإيمان ، وللاعتصام بكتابه العظيم ، والتمسك بسنة نبيه الأمين ، وهداهم للوفاء بعهد الله عز وجل ، وهذا من أجل النعم ، أن يُهدى العباد إلى الخير ، وأن يسيروا في حياتهم على نور الوحي وهداه ، وأن تزول الأحقاد من الصدور ، وأن تلتئم الجراح ، وتتحد القلوب ، وتتوحد الغايات ، وألا يطاع الهوى ، وألا تتفرق كلمة أهل التوحيد .

شـماتة الأعـداء :

إن في التفرق شماتة الأعداء ، إن في الاختلاف ومتابعة الأهواء إغضاباً للرب ، وإضعافاً للأمة ، وإضاعة لهيبتها ، وإن الفشل والتنازع والتحاسد لمن أقوى الدواعي لطمع العدو ، ولانتقاص الأرض ، وتسلط أهل الإلحاد ، والله عز وجل يحذر عباده الصالحين مغبة التنازع والفشل ، ولنتدبر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « الأنفال ٤٥ ـ ٤٦ » .

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يحذر أمتـه أسـباب الاختلاف :

وهذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو المبلغ عن ربه الحريص على أمته ، الرحيم بالمؤمنين .. ها هو ذا ينهاهم عن تعاطي أسباب التباغض وهي الأهواء المضلة ، والأفكار التي تبعد بهم عن شريعة الله ، والأغراض الخاصة التي تنأى بهم عن نور الوحي وهداه ... ولنتدبر قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » .

« رواه أنس وخرّجه البخاري »

إن التباغض بين أهل التوحيد حرام ، وإن بغض أهل الصلاح والتقوى ومناوأتهم حرام ، وإن الحسد لمن أسباب التباغض والأحقاد ، لذا نهى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحسد لأنه من دواعي الفرقة والعداوات .

كما نهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن التدابر وهو التهاجر بأن يقطع المسلم صلته بأخيه ، ويترك مكالمته ، وإذا لقيه لا يسلم عليه .

إن التدابر يتسبب عن المعاداة أو الاستئثار أو الجدال أو عدم التعاون أو عدم إفشاء السلام ، لذا جاء التحذير منه والنهي عنه وعن أسبابه ، وإذا ترك المسلمون التباغض والتحاسد

←

التعاطف والتراحم والتعاون

والتدابر صاروا إخوانا متحابين متعاونين يرهبهم العدو ، ويسر بهم الصديق ، وتأمن أوطانهم ، وتُصان أعراضهم ، وتحفظ حرماتهم وكراماتهم .

وكأن الرسول الحبيب - صلى الله عليه وسلم - يقول لأمته وهو يخشى عليهم الاختلاف والتفرق ، كأنه - صلى الله عليه وسلم - يقول لهم : « اكتسبوا ماتصيرون به إخوانا كإخوان النسب : من الشفقة ، والرحمة ، والمحبة ، والمواساة ، والنصيحة ، وعدم التباغض والتحاسد والتدابر وغير ذلك مما تقتضيه الأخوة ، وسلامة الصف والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ « الحجرات ١٠ » .

الهجر والخصام له حدود :

قال العلماء : يحرم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بمنطوق هذا الحديث : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » ، وإنما عُفي عن ثلاثة الأيام لأن الآدمي مجبول على الغضب فسومح بذلك القدر لتهدأ نفسه ، ويعود إلى مصالحة إخوانه ومصافاتهم استجابة لأمر الله - عز وجل .

احسنوا الظن بالمسلم :

وقد جاء النهي عن سوء الظن بالمسلم السالم في دينه وعرضه ، وعن كل سبب يؤدى إلى القطيعة بين المسلمين وإثارة العداوات والحزازات والشكوك بينهم في قوله - صلى الله عليه وسلم - : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا » .

« رواه أبو هريرة / البخارى »

فنهى - صلى الله عليه وسلم - عن ظن السوء بالمسلم وحث على طرد الخواطر السيئة عن النفوس ، كما نهى عن تتبع عورات المسلمين والبحث عن عيوبهم « ولا تحسسوا » ، وعن تتبع أخبارهم والبحث عن أحوالهم لإيقاع الضرر بهم بلا مبرر شرعى أو غرض سامٍ يقره الدين وتعالوا بنا - ياأهل الإسلام - نتدبر بوعى وفهم توجيهات الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وما تضمنته من الخير لأمتنا أفراداً وجماعات .

ولنسمع ماجاء عند الترمذى من الحديث الذي رواه أبوهريرة : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه ، التقوى هاهنا - أي في القلب - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث الزبير بن العوام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء : هى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أوَلاَ أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

وفى الحديث الذى رواه أبو بكر وخرجه الترمذى : « ملعون من ضار مسلما أو مكر به » .

وفي الصحيحين عن أبى أيوب أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .

إن الإسلام يأمر باكتساب ما يصير به المسلمون إخواناً متساندين متعاونين متعاضدين متساعدين ، ويدخل في ذلك أداء الحقوق .. حقوق المسلم على أخيه المسلم من رد السلام ، وتشميت العاطس ، وزيارة المريض ، وإجابة

البقية ص - ١٢٢٩ -

الحج
فريضة دينية ورحلة قدسية

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .. ﴾ (سورة آل عمران ٩٧) .

الحج رحلة قدسية وهو فريضة دينية وامتثال لأمر الرحمن ، وفيه الخشوع والإذعان ، وهو تربية للنفس ، وترقية للحس ومحاربة للهوى والشيطان ، ونبذ للأهواء الذاتية والنزغات الشيطانية ، والنزوات النفسية بالتواضع لله والخضوع . والحج فيه إقبال على الله بقلب مجيب بصلة بالله غافر الذنب وقابل التوب ، لأن الحج فرصة للتوبة إلى الله بصدق وإخلاص ليعود المسلم من رحلته المباركة وهو معبأ بلمسات نورانية وإشراقات روحية تجعله أطيب سيرة وأطهر سريرة وأنقى بصيرة وأقوى عزيمة وأصدق قولا وفعلا وأصلب عودا أمام نوازع الشر والفتن ما ظهر منها وما بطن ليتزود في حياته بخير زاد وهو التقوى بعد تدريب عميق عند بيت الله العريق العتيق على حب الله ورسوله حبا يملأ النفس بطاقات من الهداية التي يمنحها الله للأبرار المقربين من عباده المخلصين ليستمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . آل عمران ١٠١ .

ولا ريب أن التقوى تجعل للمتقين من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ؛ لأن الله مع المتقين والله يقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (سورة الطلاق ـ ٢ ، ٣) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (سورة الطلاق ـ ٤) .

ولكل امرىء منا صحيفة مدخرة عند الله مدون فيها كل ما قدم وأخر ومعنا ملائكة يكتبون أعمالنا في سجل خاص بنا : كتبت بأيدي كرام بررة : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الانفطار ـ ١٠ ـ ١٢) . ولكن الإنسان قد ينسى أن في صحبتنا ملائكة يكتبون أعمالنا المحمولة على أكتافنا إن

←

خيرا فخير وإن شرا فشر : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ .. ﴾ (المجادلة ـ ٦) ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (سورة الزلزلة ٧ ـ ٨) .

فإذا تاب العبد إلى ربه من ذنبه فى يوم الحج الاكبر فعليه الا يعود للذنوب والعيوب ابداً ، لأن الله يعلم ما تكسب كل نفس فقد لمس العبد تدفق الرحمات فى يوم عرفات حين تتدفق المشاعر وتتيقظ الضمائر بتعظيم شعائر الله فينهى النفس عن الهوى ويخشى الله اينما حل وانى وجد الله يقول : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (سورة الحج ٣٢) .

الحج فى القرآن الكريم

قال تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ . وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (سورة البقرة ١٩٦ ـ ٢٠٣) .

ويقول عز وجل فى سورة الحج :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ . ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ .. ﴾

(سورة الحج ـ ٢٦ ـ ٣٠)

الحج فى السنة

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من اراد الحج فليتعجل » : رواه ابو داود وأحمد ، وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « سئل رسول الله ﷺ أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال حج

مبرور » .. متفق عليه :

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال : رسول الله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . رواه البخارى ومسلم .

على من يجب الحج

الحج فرض على المسلم الحر العاقل البالغ المستطيع ، والاستطاعة هى القدرة على الزاد والراحلة وأمن الطريق ويشترط أن يكون مع المرأة محرم : ولا يعتبر المريض المقعد مستطيعا وكذلك من أصابه شلل .

بداية أعمال الحج

التهيؤ للإحرام :

يجب معرفة مواقيت الإحرام ـ زمانية كانت أو مكانية .

فأما الزمنية : فهى شهر شوال وذو القعدة وذو الحجة (عشر من ذى الحجة) لقوله تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ .

وأما المواقيت المكانية : فهى التى لا يتجاوزها قاصد الحج والعمرة إلا محرما وهى .

١ ـ ميقات أهل المدينة واسمه ذو الحليفة على بعد ٤٥٠ ك . م من مكة المكرمة شمالا .

٢ ـ ميقات أهل الشام . واسمه الجحفة بالقرب من رابغ ميقات أهل مصر على بعد ٢٠٤ كم من مكة .

٣ ـ ميقات أهل نجد .. واسمه قرن المنازل وهو جبل يطل على عرفات على بعد ٩٤ كم من مكة .

٤ ـ ميقات أهل اليمن .. اسمه يلملم وهو جبل يبعد عن مكة ٥٤ ك م جنوبا .

٥ ـ ميقات أهل العراق .. واسمه ذات عرق يقع فى الشمال الشرقى من مكة ويبعد عنها ٩٤ كم .

وقال بعضهم فى هذا :

عرق العراق يلملم اليمنى

وبذى الحليفة يحرم المدنى

والشام جحفة إن مررت بها

ولأهل نجد قرن فاستبن

معنى الإحرام

والإحرام : نية الدخول فى الحج أو العمرة ، والإحرام للحج كتكبيرة الإحرام للصلاة ، والإحرام يقترن بالتلبية دائما .

كيف يكون الإحرام ؟

على من يريد الإحرام أن يغتسل قبل أن يلبس ملابس الإحرام « لتلبس على طهارة » وعليه أن يقلم أظافره . ويحلق شعره الداخلى المعروف ، ويتطيب ويسرح شعر رأسه ولحيته . ثم يتجرد من جميع ملابسه العادية ليلبس ملابس الإحرام وهى رداء يغطى النصف الأعلى من البدن ما عدا الرأس ، وإزار يغطى النصف الأسفل ، وحذاء مكشوف يسمى « شبشب » ويشترط أن تكون ملابس الإحرام طاهرة نظيفة ، ويستحسن أن تكون جديدة بيضاء . ولا تكون مزركشة ، وأما المرأة فتلبس ما تشاء من الملابس المحتشمة الفضفاضة الطاهرة النظيفة وتغطى رأسها ، ولا تلبس قفازين فى يدها ، ومتى أحرم حرم عليه الرفث والفسوق والجدال لأنه بالإحرام دخل فى أعمال الحج والله يقول : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .

←

انواع الاحرام

١ - الإفراد .
٢ - التمتع .
٣ - القران .

الإفـــراد

هو أن ينوى الإحرام بالحج وحده من الميقات قائلا : نويت الحج وأحرمت به لله تعالى فيسره لى وتقبله منى يا الله .

التمتـــع

هو أن ينوى الحج والعمرة معا وذلك بأن يؤدى العمرة أولا ، ثم يتحلل من ملابس الإحرام ويلبس الملابس العادية ويتمتع بكل مباح يتمتع به غير المحرم فإذا جاء يوم الثامن من ذى الحجة عليه أن يحرم - ثانيا - بالحج من محل إقامته بمكة ليؤدى أعمال الحج : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ والمتمتع لابد له من إحرامين إحرام للعمرة أولا ، وإحرام من مكة - ثانيا - للحج .

القران

هو أن يحرم بالحج والعمرة معا ويستمر محرما بهما إلى أن يؤدى أعمال الحج والعمرة معا بإحرام واحد فى سفر واحد ولهذا سمى قرانا .

ما يجب على القارن والمتمتع

يجب على القارن والمتمتع ذبح شاه أو يشترك سبعة فى ذبح بقرة أو بدنة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله شكرا لله على توفيقه ونعمه .

والإحرام يذكر المسلم بيومين

١ - بيوم مولده يوم جاء إلى الدنيا لا يلبس شيئا ولا يعلم شيئا ثم توالت عليه النعم والخيرات التى تستحق الشكر والحمد والثناء .

٢ - ثم بيوم خروجه من الدنيا لا يملك شيئا إلا ما قدم من عمل : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (النحل ٧٨) ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف ٢٩) .

وما هى أعمال العمرة

اعمال العمرة اربعة :
١ - الإحرام من الميقات .
٢ - الطواف بالبيت سبعة أشواط .
٣ - السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط .
٤ - التحلل بالحلق أو التقصير .
هذا وليس للعمرة وقت معين .

فكرة عن أعمال الحج

اعمال الحج عشرة اهمها :
١ - الإحرام من الميقات .
٢ - الطواف بالبيت سبعة أشواط
٣ - السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط يعتبر الشوط الواحد هو المسافة من الصفا إلى المروة وليس مجموع السعى من الصفا إلى المروة ثم الرجوع إلى الصفا .
٤ - الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة .

٥ ـ المبيت بمزدلفة ليلة النحر .
٦ ـ المبيت بمنى .
٧ ـ رمى الجمرات .
٨ ـ طواف الإفاضة .
٩ ـ ذبح الهدى لمن عليه هدى .
١٠ ـ التحلل من الإحرام بالحلق أو التقصير .

الطواف

١ ـ طواف القدوم : وهو واجب على المفرد بالحج .
٢ ـ طواف العمرة : للقارن والمتمتع .

٣ ـ طواف الإفاضة : بعد رمى جمرة العقبة والتحلل الأصغر بالحلق أو التقصير ، وهو ركن من أركان الحج .

٤ ـ طواف التطوع ويكون فى أى وقت .
٥ ـ طواف الوداع قبل ترك مكة بقليل ليكون آخر أعماله قبل سفره .

جدول ميسر لأعمال الحج الهامة ابتداء من الثامن ٨ من ذى الحجة

فى اليوم الثامن « ٨ » من ذى الحجة « ويسمى يوم التروية » .
إذا كان الحاج محرما بالعمرة أولا : أى متمتعا ، فأداها ثم تحلل وعاد إلى حياته الطبيعية العادية وظل كذلك حتى جاء اليوم الثامن من ذى الحجة فعليه أن يحرم من مكة للحج ، أما غير المتمتع فيظل محرما لأنه لم يتحلل منه فلا يعيد الإحرام مرة أخرى (وهذا فى المفرد بالحج والقارن) .

يوم عرفة

وفى اليوم التاسع « ٩ » من ذى الحجة : وهو يوم عرفة : لابد أن يكون موجودة بعرفة بعد الزوال والمقصود بالزوال وقت دخول الظهر ، ويكون محرما ، ومن لم يوجد بعرفة يومئذ خاصة بعد الغروب فلا حج له ، لأن الحج عرفة ، وفى جبل عرفات تكون التجليات وتستجاب الدعوات فليكثر الحاج من تلاوة القرآن والتضرع إلى الله بخشوع وليستغفر لله ربه غافر الذنب وقابل التوب فى يوم الرحمات والبركات والفيوضات ، ويظل الحاج بعرفات بعد أن يصلى الظهر والعصر قصرا « بجمع تقديم » وحتى جزء من الليل ، ثم يترك عرفات إلى المزدلفة ليصلى المغرب والعشاء « جمع تأخير » ويقصر العشاء ويصليهما معا فى وقت العشاء وعليه أن يذكر الله عند المشعر الحرام بعد الإفاضة من عرفات لأن الله يقول : ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ . . ﴾

يوم العاشر من ذى الحجة

على الحاج فى هذا اليوم أن يرمى جمرة العقبة فى منى بسبع حصيات متعاقبات ويكبر مع كل حصاة ثم يقطع التلبية برمى جمرة العقبة : ولا يرمى فى هذا اليوم غيرها وبعد رمى جمرة العقبة يذبح الهَدْى مَنْ عليه هَدْى ، ومن السنة أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق أو يقصر ثم يطوف ، فإن قدم نسكا على نسك جاز ولا حرج ، وبعد رمى الجمرة المذكورة يتحلل التحلل الأصغر بالحلق أو التقصير ولكن التحلل الأكبر يتم بعد طواف الإفاضة .

البقية ص ١٢٥٩

السُّنَّة والحج المبرور

لفضيلة الشيخ
معوض عوض إبراهيم

لا يكاد ينتهي عطاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهداياته لمريدي الحج والعمرة، منذ صح عزمهم وانعقدت على ذلك نيتهم، وتوافرت لهم الاستطاعة التي اشترطها الله للفريضة الخاتمة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ « آل عمران ٩٧ ».

وهدايات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في ذلك وجه من وجوه امتنان الله تعالى بمصطفاه في قوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ « التوبة ١٢٨ ».

وقوله: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ...... ﴾ « الأحزاب - ٦ ».

أخرج الإمام البخاري بسنده عند ذكر هذه الآية عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرأوا إن شئتم: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فأيما مؤمن ترك مالا فليورثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه »، وهو عند أحمد وأبي داود وغيرهما.

وهي هدايات يريد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن نستثمرها حتى يكون حجنا مبروراً تصلح به الحياة، ويطيب المصير. وقد روى جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل: وما بره؟ قال: إطعام الطعام، وطيب الكلام .. رواه أحمد في مسنده، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وهو عند الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه.

وتفسير النبي - صلى الله عليه وسلم - المبرور بإطعام الطعام ولين الكلام، جليل وجميل فإن لين اليد بالبذل، ولين اللسان بطيب القول، أمارة إيمان قوي وضمير حي وشعور بمراقبة العليم الذي لا تخفى عليه خافية، تعصم من اقتراف الآثام وإتيان مانهى الله عنه.

وقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع

كما ولدته أمه » .. وفى رواية أخرى : « كيوم ولدته أمه » .

إن الحج دورة عملية لدعم العقيدة ، وتصحيح العبادة ، ومراجعة السلوك ، حين يأتى الحاج هذه المشاعر التى عجت حينا بالآثام والأصنام بعد أن كانت فى مراحل من الزمان منذ أن قام فيها « أول بيت وضع للناس » لا تشوبها شوائب الوثنية التى أطلت بعد برأسها حتى أرسل الله نوحاً - عليه السلام - فلم يغن عن قومه فيها شيئاً فكان الطوفان ماسحاً كاسحاً مطهراً الأرض كلها من هذا الشر ، ثم عاود الشرك الناس فكان إبراهيم - عليه السلام - فى قومه كما تحدث القرآن الكريم فى غير سورة منه وكان مقيماً قواعد البيت على التوحيد الذى أرسى الإسلام من بعد بنيانه وأعلى جدرانه وكان الحج لبنة فى كيان عقيدة المسلم ، يأتى الحاج منزل الوحى ، ويلقى أخوة العقيدة فى صلاته ومعاملاته ، فيتعلم القدوة ، ويعلم غيره كيف تكون العبادة ، ويكون السلوك والمعاملات على أساس - رضوان الله تعالى - ويعودون إلى الديار نموذجاً صادقاً للحج المبرور ، فلا يراهم الناس إلا وقد صلح منهم القول والعمل على نحو جديد فريد لم يكن معروفاً عنهم ولا مألوفاً قبل الحج منهم ..

ولقد سن لنا النبى - صلى الله عليه وسلم - أن نتعجل الحج ، وأن لا نفلت أول فرصة تتاح لأداء فريضة العمر ، فإن الفرص لا تواتى دائماً ، وكم تصير الفرصة حين تنفلت بغير عذر غصة ؛ لأننا نريدها بعد انقلاب الزمان ، وتعذر الإمكان فتشق وتمتنع .. وهل ينفع شيئاً ليت ؟

أخرج الإمام أحمد بسنده وأبو داود عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تعجلوا إلى الحج » .. « يعنى الفريضة - فإن أحدكم لا يدرى مايعرض له » .

وهو واجب على الفور على من توافرت له شروط الاستطاعة عند الأحناف والمالكية والحنابلة وبعض أصحاب الشافعى [1] للحديث المذكور عن ابن عباس ، وحديثه الذى أخرجه أحمد وأبوداود والبيهقى .

إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة » .

والإمام الشافعى يرى وجوبه على التراخى فيؤدى فى أى وقت على أن لا يطول التأجيل حتى يتعذر إمكان الفريضة ناظراً إلى تأخير النبي - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع إلى السنة العاشرة بعد إيجاب الحج فى السنة التاسعة على الأصح ، وهو فى ذلك يرى قول الجمهور على الندب فيما أوردوا من الأحاديث الصحيحة ويقرر استحباب مبادرة المكلف أول فرصة يستطيع فيها الحج .

ويحفز الرسول - صلى الله عليه وسلم - العزائم على الحج بمثل قوله - صلى الله عليه وسلم - : « الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » ..

رواه أبوهريرة وأخرجه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .

والعمار هم قاصدو البيت للعمرة فى أشهر الحج أو غيرها ، وإليهم يتجه قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ .. « البقرة ١٩٦ » .

والعمرة فى رمضان تعدل حجة معه أو حجة مطلقة كما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والإمام مسلم يورد بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال العمرة إلى العمرة كفارة لما

←

(١) فى هذا الإطلاق نظر .. مجلة الأزهـر .

السنة والحج المبرور

بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ...

والعمرة فرض كالحج عند الشافعي وأحمد ابن حنبل وحجتهم هذه الآية : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ والحديث الذى أخرجه مسلم بسنده عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى حجة الوداع : « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » .

ويراها الأحناف والمالكية سنة لأن شواهد إيجاب الحج : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ « آل عمران ٩٧ » .. ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ « الحج ٢٧ » .

هذه الشواهد لم تذكر العمرة كما لم تذكرها الأحاديث التى ذكرت قواعد الإسلام ، فإنها اقتصرت على « حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » كما أخرج الإمام البخارى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أخرجه الإمام مسلم بسنده .

وأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعائشة وهى تستأذنه فى الجهاد : « جهادكن الحج » ..

وبعد فقد روى ابن جريج بإسناد حسن عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله ، إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده أن يرده ، بأجر وغنيمة » .

وليحرص الحجاج والمعتمرون على طيب النفقة وطهارة المال من حقوق الآخرين فقد روى الطبرانى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الرجل إذا خرج حاجاً بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه من السماء لبيك وسعديك ، زَادُكَ حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور » ..

وإذا خرج الرجل بنفقة خبيثة فوضع رجله فى الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك زَادُكَ حرام ونفقتك حرام » .

والطيبات من الرزق هى حاجة المسلم ونهمته ، وزاده إلى حسن الخلافة فى الدنيا ، والتزود بالصالحات التى لا تطيب بغيرها العاقبة ..

رؤية في الطواف

للأستاذ / عبد الجواد محمد الخضري

لا ريب أن الارتباط ببيت الله العتيق يقوى لدى المسلم كلما امتدت الأزمان وطالت الأعصر بيد انه مجبول على فطرة الدين ، ومن ثم فهو يهفو إليه ليشحذ همته ، ويشد من عزيمته ، ويطرد الياس عن قلبه !!

إنه يتمثل العبودية بمعناها السامى الخاضع للأمر الإلهى حين تتساقط الألقاب ، وتتلاشى الحدود ، ويتجه الجميع بلسان واحد « لبيك اللهم لبيك » .

والحج هو الركن الخامس من اركان الإسلام ، فرضه الله لتاليف الجماعة وتوحيد الصفوف ، وفيه فوق هذا وذاك مصالح للفرد والجماعة على السواء ولا ضير على العقل إن استكشف دلالات العبادة ، وأهدافها .

خواص الكون

فطر الله الكون على « الطواف » والدوران من الذرة إلى المجرة بل كل العوالم العلوية ، والأرضية ، المرئية واللامرئية ، الجميع يتسم بصفة الحركة ، سواء كانت فى مدارات دائرية او إهليجية (بيضاوية) .

فى الذرة تطوف الالكترونات حول النواة .

وفي الخلية الحية نشاهد السيتوبلازم الحى يدور حول النواة ليعطيها الغذاء ، ويدفع لها بمركبات أخرى ، وكذلك فى خلية ورق النبات الخضراء نوع آخر من أنواع الطواف إذ نرى البلاستيدات الخضراء التى تحتوى على الكلوروفيل تتخذ لنفسها مساراً دائرياً ، فى مستوى عمودى على اتجاه حزمة الضوء التى تسقط عليها .

وتعال معى ـ بصرك الله ـ إلى السماء التى حوت خلائق لا حصر لها ، إن عدد نجومها مثل عدد ذرات الرمال الموجودة متناثرة على سواحل البحار فى الدنيا كلها « واقرب حركة منا هى حركة القمر التى تبعد عنا (٢٤٠و٠٠٠) ميل ، وهو يدور حول الأرض ويكمل دورته فى مدة تسعة وعشرين يوماً ، ونصف وكذا أرضنا تبعد عن الشمس (١٣و٠٠٠و٠٠٠) ميل ، وهى تدور فى محورها بسرعة الف ميل فى الساعة .. وآلاف من النجوم ذوات الأذناب وشهب لا حصر لها كلها تدور فى وسطها ذلكم السيار العملاق : الشمس ، وقطرها (٨٦٥و٠٠٠) ميل .

من هنا تأكد لنا أن الكون كتاب مفتوح ينطق بكمال قدرة الله وعظيم صنعه مَنْ شاهد آياته المعجزة سلم بوحدانية الخالق ، واصبح منفذاً

←

لطاعته بلا جدال ، أو لحج لأن مصدر الأمر أعلم بدلالته .

العلم والكعبة

يقول تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ « سورة الانعام الآية ٩٢ » .

أم القرى هى : مكة المكرمة زادها الله تشريفاً ، وتعبير القرآن بلفظ « أم » يوحى بدلالة الثبات والقصد إذ أنها تتوسط الأرض لتكون ملجأ لأهلها ، ولا غرو فالعلم الحديث يؤكد أن مكة مركز الأرض فهى تقع على الدرجة ٢١ و٢٨ من العرض الشمالى ، وعلى الدرجة ٣٧ و٥٤ من الطول الشرقى .

واستطاع الدكتور : محمد الشافعى عبد اللطيف أن يرسم دائرة يكون مركزها الكعبة ، وحدودها خارج القارات الست ، ومحيطها يدور مع حدودها ومن خلال بحثه توصل إلى معرفة الحكمة الإلهية فى اختيار مكة المكرمة موئلاً للناس . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ « سورة آل عمران الآية ٩٦ » .

ومادام ذلك كذلك فلم لا تكون الكعبة بمثابة النواة الجاذبية للناس من حولها ؟ ولعل الحكمة الجليلة فى هذا البناء الذى وضع لبناته الأولى الملائكة ترينا الهدف من تكوينه هكذا .

إنها بهذا الشكل « مركز للجاذبية الروحية التى ينبغى أن تكون بين العبد وبيت الله ، ونظراً للجذب الكهربى فإن الله قضى للمادة بالوجود ، ومنع انزلاق (الاليكترون) نحو النواة بأن جعله يدور حولها ليكتسب بذلك قوة طاردة تتعادل مع قوة الجذب فيحدث الاتزان الالكترونى فى مداره ... » وعليه فإن حركة الإنسان الطائف تشبه حركة « الالكترون » الدائرية ، وإن حركة السعى بين الصفا تشبه حركة « الالكترون » المستقيم والتى ينشأ عنها مغناطيس قطباه عند نهايتى الحركة ، والمجال الروحى متصل بالبيت المعمور الذى تتساقط منه طاقات نورانية تؤثر فى الطائف .

بقى أن نعرف لماذا يتميز ركن الحجر الأسود عن الركن اليمانى ، وهنا يأتى دور المسعى فحركة السعى جيئة وذهاباً تجعله كالمغناطيس أحد قطبيه الصفا أقرب مايكون من ركن الحجر الأسود ، ولذا فهو يجذب الطاقة النورانية نحوه فتتركز ناحية ركن الحجر اكثر منها فى الركن اليمانى ، وإذا لم يستطع استلام الحجر رفع يده لتؤدى عمل الهوائى فى (جهاز التلفزة) حتى تتلقى الموجات وتوصلها إلى جسم الإنسان .

ولا يملك المرء إزاء تلك الشعيرة إلا أن يستحضر الحديث النبوى الشريف : « الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أحل فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير » رواه الترمذى .

وعن انس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فيغفر له ذنوبه كلها بالغة مابلغت ، طواف بعد صلاة الفجر فراغه مع طلوع الشمس وطواف بعد صلاة العصر فراغه مع غروب الشمس » وهذا خبر لم اقف على سنده .

على أن الإمام البخارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ وضع عنواناً فى صحيحه لأحد أبواب الطواف فقال : « باب الطواف بعد الصبح والعصر » واستقلال الطواف بعدهما بباب لدى الإمام دليل على أهمية هذين الطوافين : « وكان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يصلى ركعتى الطواف ما لم

تطلع الشمس » .. رواه البخارى .

وربما فى اختيار هذين الوقتين ما يشعر بالنقاء الجوى ، والصفاء الروحى لاستقبال الانوار الساطعة التى لا يدرك كنهها سوى اصحاب الجلاء النفسى ، وكلما كان الإنسان طاهراً اصبح التاثير واضحاً فلا يصح الطواف بلا وضوء ، ولا يجوز من الحائض والنفساء .

حكمة الطواف

كل ذرة فى الكون فيها طائف ومطوف به ، ولا سلطان لمخلوق على التحكم فى دورانها ، ويمكن القول بأن كل نوع من الكائنات يطوف حول شيء ما ، يختلف باختلاف نوعه : فى المجموعة الشمسية الكواكب ، وفى الذرة « الإلكترون » ، وفى البيت العتيق المسلم حول الكعبة .

والطواف فى جوهره عهد بين العبد وربه أن يظل مرتبطاً بدينه محافظاً على الاعتصام بحبله ، ملتزماً بالبناء الكلى الذى تتحقق فيه وحدة الصف والهدف والغاية بين أبناء الأمة الإسلامية يقول تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

« سورة الحج ٢٧ ـ ٢٩ »

ركائز المقالة

(١) احمد عبدالوهاب (إعجاز النظام القرانى) ط وهبة ١٤٠٠ هـ .

(٢) على محمد مطاوع (الكعبة والعلم الحديث) ط الأزهر ١٣٩٧ هـ .

(٣) ف . اجنكنز (اساسيات البصريات) ط دار ماكجر وهيل ١٩٨١ .

(٤) محمد احمد الغمراوى (الإسلام فى عصر العلم) ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٨

(٥) وحيد الدين خان (الإسلام يتحدى) ط المختار الإسلامى ١٩٧٧ .

(٦) جريدة (اخبار العالم الإسلامى) ع (٥١٠) ط مكة .

(٧) مجلة (الوعى الإسلامى) ع (١٨٠) ط الكويت .

التعاطف والتراحم والتعاون - بقية -

الدعوة ، والابتداء بالسلام عند اللقاء ، والنصح بالغيب .

قال مجاهد : بلغنى انه إذا تراءى المحبان فضحك أحدهما إلى الآخر وتصافحا تحاتت خطاياهما كما يتحات الورق من الشجر .

لقد أمر الإسلام المسلمين بكل ما يوجب تآلف القلوب واجتماعها ، ونهاهم عما يوجب تنافر القلوب واختلافها ، فالمسلمون يجب أن يكونوا يداً واحدة ، يتناصحون ، ويسعون لتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، ويكف بعضهم أذاه عن الآخرين ، ويوالي بعضهم بعضا ..

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

« المائدة ٥٥ ـ ٥٦ »

توجيهات كريمة :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ » فالتعاطف والتراحم واجب بين المسلمين .

وفى الحديث الذي رواه أبو موسى : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

« فى الصحيحين »

وعند أبى داود : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلما .

الاستغفار نفسيًّا

للدكتور/ محمد رجب البيومي

ضمني مجلس مع أحد الأفاضل من أصحاب الدراسات المقارنة بين الأديان ، فتشقق الحديث حتى تطرق إلى مسألة (الاعتراف) حين يجلس المذنب إلى رجل الدين في المسيحية ، فيفضي إليه بجرمه ، ويستمع إلى نصحه ، ويخرجه خفيف الظهر مما حمل ، وذلك في رأى صاحبي أرقى ما عرف من وسائل التطهير للنفس ، ثم سألني لماذا لا يكون في الإسلام مثل هذا الاعتراف ؟

نظرت إلى صاحبي مفكراً ، ثم قلت له : إن في الإسلام ما يفوق هذا الاعتراف البشرى بين المخلوق والمخلوق ، وهو الاعتراف الخالص لله وحده عن طريق الاستغفار ، إذ أن المذنب حين يحس بفداحة الذنب لا يغنيه في شىء أن يعترف لبشر مثله لا يملك له ضرا ولا نفعا ، أما اللجوء إلى الواحد الأحد ، فهو اعتصام بصاحب العفو والمغفرة ، وقد دعا عباده إلى الاستغفار والتوبة ، وحث على الطهارة العاجلة بالندم ، الخالص على المعصية ، والابتهال إلى الله أن يمحو أثرها ، وقد وعد بقبول التوبة إن أديت على وجهها الصحيح !

ماذا يكون شعور المسلم إذا قرأ قول الله : ﴿ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ ؟ (1) إنه باستغفاره ينجو من هواجسه الملحة ، فهو لا يتخفف منها فحسب ، بل يطرحها طرح الواثق من صاحب العفو الواسع ، وإذ ذاك يرجع إلى نفسه وقد خلق خلقاً جديداً ، لأن التوبة الصادقة ميلاد حقيقى للمذنب ينتقل به من ضيق الرجس إلى فضاء الطهر ، وإذا تحقق ذلك فسينام هادىء النفس رخى البال ، لأنه باستغفاره الصادق قد أوى من ربه إلى ركن شديد .

نصوص قرآنية

ولدينا نصوص قرآنية رائعة تنطق بفضل الاستغفار ، وقد يظنها القارىء المتعجل ذات مدلول قريب ، لا تنكشف له أبعاده المترامية ، أما القارىء المطمئن فتتفتح له عن باحات فسيحة من المعانى الرائعة التى ترتفع بالاستغفار إلى أعلى الدرجات ! وليسمع معى القارىء الكريم هذا النص الشريف .

١ - يقول الله عز وجل : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

(1) سورة طه : ٨٢ .

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(٢) .

إن الله عز وجل أعد جنته الواسعة ، ذات الأكل الطيب ، والماء المتدفق من الأنهار الصافية ، لأصناف من الناس ، جاء فى مقدمتهم المتصدقون الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمون الغيظ الذين يتحملون مرارة العداء ابتغاء رضا الله وقد ضاقت بهم الصدور لما يرون ويسمعون ، وكذلك من يعفو ويصفح عمن أسلف إليه الجريرة ! هؤلاء جميعا قد بذلوا من ذوات نفوسهم ما أهلهم لجنة عرضها السموات والأرض ، فقدموا من الأعمال الإيجابية ما ارتفع بهم إلى مقعد صدق فى فردوس الرحمن فإذا عرفت ثوابهم الرفيع على ما قدموه ، فاعلم أن مثلهم فى ذلك من فعلوا الفاحشة ، وظلموا أنفسهم ، ثم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ، ولم يصروا على ما فعلوه ! وإذن فجميع هؤلاء قد اندرجوا فى دائرة واحدة وياله من فوز باهر ، لمن فعل الفاحشة ثم استغفر وأناب !

هذا نص رائع التوجيه بارع الدلالة نقرنه بنص آخر فى موضوعه الجليل .

٢ ـ يقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا . وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٣) .

فماذا يرى القارىء فى هذا النص الكريم ؟!

قوم من المنافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، يخاصمون بعض اليهود ، فيرحبون بالتحاكم إلى الطاغوت ، ويرفضون أن يكون رسول الله حكماً ! وإذا نبهوا إلى ضرورة الإذعان لحكمه صدوا صدودا ، ونفروا شرودا ، ولا يحدث ذلك إلا ممن كفر بقلبه وآمن بلسانه ! وكان جزاؤه الطرد العاصف من ساحة الإيمان ، ولكن الله عز وجل يعلم أن النفس أمارة بالسوء ، فمع فداحة المعصية وبشاعة الجريرة يقول الله لرسوله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بما صدوا عن سبيلك . ثم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما !!

الجرم فادح ! ولكن الاستغفار الصادق يمحوه ! أبعد هذا صفاء يبهج النفس ، وهدوء يبعث الطمأنينة وراحة البال ؟! هذه بعض مزايا الاستغفار .

←

(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) النساء : الآيات من ٦٠ إلى ٦٤ .

الاستغفار نفسياً

الاستغفار النادم

ولكن ما هو الاستغفار الذى يمحو الخطيئة ؟ أهو الاستغفار الوقتى الذى يردد صاحبه كلمات التوبة فى عجلة ثم لا يستقر فى أعماقه فرح الخلاص ، ولا تستشعر روحه حلاوة النجاة ! لو كان الأمر كذلك ما كان للاستغفار أدنى فائدة ، إنما الثمرة الحقيقية للمستغفر أن يشعر بحرارة الندم على ما كان ، بحيث يعزم عزماً أكيداً على الإقلاع النهائى ، مهما تيسرت وسائل المعصية ، وتمهد لها السبيل فى يسر واطمئنان .

فالذى يترك المعصية لأنها أنهكت بدنه ، وأضعفت قوته ، وأفلست جيبه ، لا يعتبر تائبا ، إذ لو تيسرت القوة المساعدة ، والمال الرافد لعاود الكرة دون استحياء ، فهو إذن تائب على يد الضعف إن كان منهوكا ، وعلى يد الإفلاس إن كان معدماً !

والذى يترك المعصية لأن الحراس يقظون فلا يستطيع السرقة ، متنبهون فلا يتمكن من الولوج إلى وكر الفحش ، محاصرون له من كل جانب فلا يقدر على التلفت عن يمين وشمال ، هذا ليس مقلعا عن المعصية ، ولكنها منه فى صميم الصميم !

بل إنه فى هواجسه الدافقة ، ذو إثم صريح ، لأنه يأثم بالتفكير الهابط وإن لم يفعل ، ونحن نعلم أن من همَّ بسيئة ولم يفعلها لم تكتب له ، وعدم الفعل هنا عن رغبة صادقة ، أما الذى لم يفعل لأنه لم يستطع فلن يسوى بينه وبين من لم تفد الجريمة له على بال ! وأمامه الاستغفار الصادق ليطرد عنه وساوس الشيطان .

على أننا نعلم أن النادم الصادق يكون أشد حرصا على الطاعة ممن لم يزاول المعصية ، لأن الطائع بفطرته الصادقة هادىء النفس ، لا يستمع إلى هواتف منكرة تشرد نومه ، وتقض مضجعه ، فهو آمن السرب ، رخى البال ! أما الذى ولج باب الشر من قبل ، فهو ذو صراع جاذب يشجر فى صدره ، وكأنه من هواجسه المتناقضة فى حرب أهلية داخل ضميره ، ولكل جبهة أبطالها المحاربون فإذا انتصرت جبهة الفضيلة ذاق حلاوة المغفرة ، وهنا يكون ثوابه كبيراً لأنه قاوم ودافع وصارع الموج حتى بلغ الساحل بسلام . أما إذا انقاد إلى الشر ، وعاود المعصية بعد الإقلاع فهو فى توبته السابقة مستهزىء بربه ! وياله من وصف ذميم .

أنواع التائبين

تحشد بعض كتب الأخلاق فى الحديث عن التوبة نقولاً مختلفة لكبار العلماء ، تتعارض وتتناقض حتى ليختلف الحكم أحياناً فى مسألة واحدة فى سطر واحد ! وحشد هذه الأقوال فى منطق التأليف المعاصر دون ترجيح وتفنيد تذكر أسبابهما الواضحة مما يضر ولا يفيد ، ولكننا فى معرض الحديث عن أقسام التائبين لا نجد صعوبة فى تحرير المراد مادام النص القرآنى بوضوحه السافر كافياً كل تعقيب دون نظر إلى تأويل بعض المفسرين .

يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٤) .

---

(٤) سورة النساء : ١٧ ، ١٨ .

فهذا النص الصريح يدل على أن التائبين على ضروب ثلاثة :

فمنهم الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ، وسواء كان معنى الجهالة السفاهة ، أو عدم العلم بالحرمة كما اختلف المفسرون فإن الحكم لا يختلف ، وهو أن هؤلاء التائبين الذين يتجهون إلى الله من قريب ، قبل أن يأتى الموت بعرضه المنذر ، سيتوب الله عليهم فهم من الناجين .

اما الضرب الثانى فالذين يعملون السيئات حتى إذا حضر احدهم الموت ، قال إنى تبت الآن ، وهؤلاء يظلون سادرين فى شهواتهم المحرمة حتى تلوح نذر الموت فيسارعوا بالتوبة اضطرارا ، ومثلهم مثل فرعون الذى ادعى الألوهية واصر على العناد حتى إذا ادركه الغرق قال : ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٥) فكان الرد الحاسم : ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ .فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾(٦) وهذا الضرب لا توبة له بصريح النص الشريف .

ويأتى الضرب الثالث وهم الذين يموتون وهم كفار ، وقد قال عز وجل بصددهم ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

ومتى اتضحت هذه الفروق فعلى الذين يريدون التوبة أن يعجلوا بها ، ليستشعروا حلاوة الإيمان قبل أن يفارقوا الحياة ، فإذا أخذهم الموت على غرة دون توبة إلا ساعة النزع ، فقد حقت كلمة ربك ، ولا تبديل لكلمات الله .

ابــــواب القبــــول

إن آيات الرحمة فى كتاب الله أكثر من آيات العذاب ، وإذا اعتقد المؤمن أنه قريب من رحمة الله ، وطالع بعينه قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٧) .

إذا استمع إلى هذا النص ، وعرف أن الذين أسرفوا على أنفسهم لن يقنطوا من رحمة الله ، فإنه باستغفاره من الذنب ، وإقباله على التوبة ، سيجد الاستراحة النفسية التى تغنى عن كل اعتراف يتقدم به مخلوق إلى مخلوق ، لأن أحدا من البشرية كائناً من كان ، لا يغنى عن احد من الله شيئاً .

فالتائب المقر بذنبه ، المستغفر ربه ، ذو سعادة نفسية ، وراحة وجدانية ، إذا صدق النية ، وأخلص العزيمة ، وكان الاستغفار بهذا الوضع علاج نفسى ، يمحو اسقاما ، ويبرىء أوجاعاً ، ثم هو بعد ذلك أقوى من كل اعتراف يلجأ إليه بعض المذنبين .

---

(٥) يونس : ٩٠ .
(٦) يونس : ٩١ ، ٩٢ .
(٧) الزمر : ٥٣ ، ٥٤ .

التعليم والثقافة

في ظلال الإسلام

من عصر النبوة إلى العصر الحديث

للأستاذ الدكتور
السيد تقي الدين

العلم الأول :

يبدأ التعليم في الإسلام أول مايبدأ بزرع العقيدة الصحيحة في النفوس لتزكو وتنمو وتستقيم على منهج الحق منذ اللحظة الأولى لا تزيغ عنه ولا تنحرف إلى سواه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ الشمس ٧ ـ ١٠ .

وبذلك لاتضل النفس طريقها في الحياة ولا تتشعب بها الأهواء فتؤتى أطيب الثمار في جيلها ، وتخلف للأجيال اللاحقة قدوة صالحة آمنت بالله وحده وكفرت بكل ماعداه فعاشت حرة سعيدة .

من هنا يبدأ التعليم من اعتقاد أن الله واحد لاشريك له ، هذا هو العلم الأول عند المسلمين .

فحين نبدأ من هنا نجد أمامنا كتبا شتى مفتوحة تدعونا إلى التأمل والتدبر ، فالنفس البشرية كتاب من كتب الله يحتاج إلى بصيرة نيرة وعقل حصيف ليرى وحدانية الله في الخلق ، والكون كتاب مفتوح ، في كل شيء خلقه الله حكمة وعلم ، على الإنسان أن يحاول قدر طاقته الاهتداء إلى شيء من هذه الحكمة ، وإلى قبس من ذلك العلم .

إن هذا فارق جوهري في العلم عند المسلمين وغيرهم سواء في علوم الدين أو في علوم الدنيا إن عقيدة التوحيد ومراقبة الله لاتفارق المسلم حين يقرأ ويفهم ويحكم ويجرب ويلاحظ ، ومن هنا فعلمه طريق إلى الخير والفلاح .

أما غير المسلمين فيتعاملون مع المادة وحسب وقلما فكروا وهم يعملون أن الله معهم يسمع ويرى ، ومن هنا فقد يتجه علمه نحو الخير وقد يتجه نحو الشر ؛ لأن الذي يحكمه إنما هو الهوى وليس العقيدة .

مكانة التعليم في الإسلام :

ومنذ فجر الإسلام وللتعليم مكانته السامية وخطره الكبير ، وكان أول نداء موجه من السماء إلى الأرض من المولى جل وعلا إلى رسوله الكريم ﷺ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ

الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ العلق ١ ـ ٥ . بل هو هدف من أهداف الرسالة الخالدة لتنتقل به الإنسانية من الضلالة والجهالة إلى الهداية والحكمة ، من الظلام إلى النور : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة ـ ٢ .

التعليم دعوة أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل لهذه الأمة النجيبة .. ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة ـ ١٢٩ .

فالتعليم فى الإسلام فريضة مقدسة ، والعلم أمنية غالية أرشد إليها المولى جل وعلا وتمناها أصفياؤه وأخلاؤه ، وتدل الأحاديث النبوية على أن النبى ﷺ كان يحث على طلب العلم ويعجب به فيقول : « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »[١] ويقول : يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء دم الشهداء » .[٢]

والذى لاشك فيه أن العلم سبيل الرقى والتحضر ومن أهم الأسباب فى تحويل الأمم والشعوب من حياة البداوة الخشنة إلى حياة الحضارة المترفة .

ولم يكد المسلمون يسمعون آيات التنزيل تتلى عليهم حتى أقبلوا على العلم بنهم وشغف ، وكانت الحكمة ضالتهم المنشودة يبحثون عنها هنا وهناك فى مشارق الأرض ومغاربها يشاركون فى البحث العلمي وينافسون غيرهم من الأمم فى هذا المضمار العظيم .

اتصال العرب بغيرهم :

وقد كان اتصال العرب بالثقافة اليونانية فى بلاد الشام مما أيقظ فيهم روح المنافسة العلمية القوية لليونان ، ولم يمض إلا زمن قليل حتى أصبح العالم والأديب من أصحاب المكانة العليا فى بلاد الإسلام .

أقبل المسلمون على التعليم استجابة لتعاليم دينهم أولا ، ولم يمنعهم دينهم من أن يستفيدوا علما من جميع الشعوب التى اختلطوا بها ثانيا ، وأدركوا قيمة العلم والتعليم فأبدوا اهتماما كبيرا وحضاريا فى هذا المجال فاعتنوا به ونظموه ولم يتركوه بلا ضوابط أو حدود .

التعليم الأولى :

فكان تعليم الأطفال يبدأ منذ اقتدارهم على الكلام ، وكانوا منذ هذه اللحظة يعلمون النطق بالشهادتين : « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » فإذا بلغ الأطفال السادسة من العمر الحقوا بمدارس أولية[٣] ، عادة ماتكون المدرسة بأحد المساجد ، وفى بعض الأحيان بجوار عين ماء عامة فى الخلاء ، وكان التعليم فى هذه المدارس عادة بالمجان أو بأجر قليل يستطيع أداءه جميع الناس ، فقد كان المعلم يتناول من والد الطفل ما لايزيد على « مليمين » فى الأسبوع أما باقى النفقات فكان يؤديها المحسنون الخيرون .

وكان منهاج التعليم فى هذا النوع من المدارس غاية فى اليسر يشمل مايكفى لأداء الصلاة ويمكن الطفل من قراءة القرآن ثم حفظ القرآن وتجويده ومعرفة شىء من أحكام الدين وبعض القصص ومبادىء الأخلاق والشريعة الإسلامية ، وتركت

←

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) وكان بعض المسلمين يأتون بمعلمين لأبنائهم ، كما كان البعض فى سنوات الصدارة الأولى يرسل بهم إلى البادية لتلقى اللغة سليمة من أربابها .

التعليم والثقافة في ظل الإسلام

الكتابة والحساب للتعليم الأعلى من هذه الدرجة .

وكان جزء صغير من القرآن يحفظ كل يوم عن ظهر قلب ، ثم يتلى بصوت عال ، وكان الهدف الذى يبغيه كل متعلم أن يحفظ الكتاب كله عن ظهر قلب ، والذين يصلون إلى هذا الهدف يسمون الحفاظ وتكون لهم فى البلاد مكانة عالية . وكان من يتعلم الكتابة والرمى بالقوس والسباحة هو عندهم الرجل الكامل .

أما طريقة التعليم فتتضح من أقوال هارون الرشيد لمعلم ولده الأمين :

« ولا تمر بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإذا أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

فهذه الطريقة تهدف إذن إلى تحصيل المعرفة وإلى التربية النفسية والذهنية وتقويم السلوك بالتى هى أحسن باللين أولا فإن لم يجد فبالشدة . فهل تطمع أرقى الدول حضارة فى أن تحقق من التعليم فوق هذا ؟

كان التعليم الأولى يهدف إلى تقويم الأخلاق ، والثانوى إلى معرفة العلم وكان المعلم يجلس مستندا إلى عمود أو جدار فى مسجد ويلقى دروسا فى التفسير والحديث والفقه والشريعة ، وحدث فى وقت غير معروف أن وضعت الحكومة هذه المدارس الثانوية تحت إشرافها وتكفلت بالإنفاق عليها ، وأضيف إلى المنهج الدينى الأساسى علم النحو وفقه اللغة والبلاغة والأدب والمنطق والعلوم الرياضية والفلك . وكان علم النحو يلقى اهتماما خاصا ؛ لأن اللغة العربية تعد أقرب اللغات إلى الكمال وكان استعمالها صحيحة أهم مايمتاز به الرجل المثقف المهذب .

وكان التعليم فى هذه المدارس بالمجان وكان المعلمون والطلاب يتقاضون مرتباتهم ونفقاتهم فى بعض الأحيان من الحكومة أو من أموال البر والصدقات .

وكان شأن المعلم فى هذه المدارس أعلى من شأن النصوص التى يعلمها .

وذكر عن الكلبى أنه قال : بعث إلىّ سليمان ابن عبد الملك فدخلت عليه وقد انتفخ سحرى فسلمت عليه بالخلافة فرد على السلام ثم أومأ إلىّ فجلست فسكت عنى حتى إذا سكن جأشى .

قال لى : ياكلبى إن ابنى محمدا قرة عينى ، وثمرة قلبى . قد رجوت أن يبلغ الله به أفضل مابلغ رجلا عن أهله وأهل بيته وقد وليتك تأديبه فعلمه القرآن ورَوِّه الأشعار ، فإن الشعر ديوان العرب ، وفهمه أيام الناس وخذه بعلم الفرائض وفَهِّمْهُ السنن ولاتفتر عنه ليلا ونهارا فإذا أخطأ بكلمة أو زل بحرف أو هفا بقول فلا تؤنبه بين يدى جلسائه ، ولكن إذا خلا لك مجلسك لئلا تمحكه[٤] ، وإذا دخل عليه الناس للتسليم فخذه بألطافهم وإظهار برهم وإذا حيوه فليحيهم بأحسن منها ، وأطيبا لمن حضر بمائدتكما الطعام ، واحمله على طلاقة الوجه وحسن البشر وكظم الغيظ وقلة القذر والتثبت فى المنطق والوفاء بالعهد ، وتنكب الكذب ولايركبن فرسا محذوفا[٥] ولا مهلوبا[٦] ، ولا يركبن بسرج صغير فتبدو البتاه[٧] .

---

(٤) حتى لا تغضبه والمحك اللحج .
(٥) الفرس المحذوفة التى تحرك جنبيها فى مشيتها .
(٦) الفرس المهلوب التى تتابع الجرى .
(٧) الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى ص ٣٣٠ .

الثقافة والحضارة :

وفى القرون الأربعة الأولى للهجرة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية ولم يكن العلماء فى آلاف المساجد المنتشرة فى البلاد الإسلامية من قرطبة غربا إلى سمرقند شرقا إلا رواد الحضارة الإنسانية الرفيعة ورسل الهداية والرقى يحملون مشاعل النور والعرفان للعالمين ، وكانت أعدادهم فى تزايد مستمر ، آلاف تتلوها آلاف ، وكانت طرقات الدولة لاتخلو من الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الدين يسعون كلهم إلى طلب العلم والحكمة ، وكان بلاط مئات الأمراء يردد أصداء قصائد الشعراء والمناقشات الفلسفية ، ولم يكن أحد يجرؤ على جمع المال دون أن يعين بماله الآداب والفنون ، وسرعان ما استوعب العرب ذوو البديهة الوقادة ثقافة الأمم التى فتحوا بلادها بل انضم إليهم كثير من علماء البلاد المفتوحة أسلموا وحذقوا العربية وصاروا من أعلامها المبرزين ، وساعد الجميع على جعل اللغة العربية أعتى لغات العالم فى العلوم والآداب . ومهما يكن من شىء فلم يدخر المسلمون جهدا فى هذه القرون المجيدة من تاريخ الحياة الإسلامية فعملوا على إيجاد نهضة علمية مترامية الأطراف .

الرحلة فى طلب العلم :

وكان الطلاب يجوبون أطراف البلاد الإسلامية ليقابلوا معلما مشهورا ، وكان على كل طالب وعالم يريد أن تعلو مكانته فى بلده أن يسافر إلى مكة أو بغداد أو دمشق أو القاهرة ليستمع فى واحدة منها أو أكثر من واحدة إلى كبار العلماء .

لغة التعليم :

وكان من الأسباب التى يسرت التعليم وساعدت على انتشار الأدب العربى فى بلاد الإسلام وجعلته أدبا حضاريا عالميا موحدا أن لغة التعليم والأدب فى جميع البلاد الإسلامية مهما اختلفت أجناس أهلها هى اللغة العربية التى بلغت من سعة الانتشار ما لم تبلغه اللغة اليونانية ولاغيرها من اللغات فلم يكن الزائر إذا دخل مدينة فى أى بلد من بلاد الإسلام يخالجه شك فى أنه يستطيع الاستماع إلى محاضرة علمية فى مسجد المدينة الأكبر فى أى ساعة من ساعات النهار تقريبا ، وكان الطالب الجائل فى كثير من الأحيان يجد فى المدرسة المأوى والطعام مدة من الزمان فضلا عن التعليم المجانى .

الشهادة الدراسية :

ولم تكن المدرسة تمنح درجات علمية وكل ما كان يبتغيه الطالب أن يحصل على شهادة فردية من الأستاذ الذى حضر عليه تثبت كفايته فيما درسه .

وكانت تسمى (إجازة) ...

الهدف من التعليم :

وكان الهدف من التعليم متعدد المناحى باعتبار التخصص الدقيق الذى يمارسه طالب العلم فبرزت نجوم لامعة : أئمة فى الفقه ، وأئمة فى الحديث ولغويون ومؤرخون ، وأدباء كان هدفهم تحصيل الأدب بأوسع معانيه : « العادات الحسنة وسمو الذوق وسرعة البديهة والكياسة والتظرف والمعارف الصحيحة الميسرة التى تكون فى مجموعها صفات الرجل الكامل المهذب[٨] .

يتبع

(٨) قصة الحضارة - ول ديورانت المجلد الرابع ٢/٢٦٧ .

رؤية إسلامية

للديمقراطيات الغربية

العلمانية وموقف الإسلام منها

٣

لواء أ.ح.
د. فوزى محمد طايل

العلمانية فكرة فلسفية ومخرج عملي اخترعه أصحاب الديمقراطيات الغربية للتخلص من سلطان رجال الدين وتعاليمهم الكنسية التى شكلت - خلال قرون طويلة - حجر عثرة فى سبيل التقدم العلمي والاجتماعي.

وقد ظهرت فكرة «العلمانية» منذ نهاية القرن السابع عشر فى ظل مذهب يعرف باسم «ديزم Deism» ، ومضمونه الاعتراف بوجود الله تعالى وإنكار أصحاب هذا المذهب الفاسد لقدرته سبحانه ، وإنكارهم لوحيه ومشيئته وسائر الأمور الغيبية التى يتعين على المؤمنين أن يؤمنوا بها .

تطورت هذه الفكرة إلى اعتبار الدين أمرا يلتزم به الشخص بينه وبين ضميره ، فالدين لا يعدو مجرد الإحساس البعيد عن الإدراك العلمى فى نظر هؤلاء .

ظلت الفكرة فى تطور إلى أن صاغها الانجليزى «جورج هوليوك» عام ١٨٤٦ م تحت الاسم الذى تعرف به الآن «علمانية» «Secularism» ، وتنطق بالفرنسية «لاييك» «Laique» وهى فكرة فلسفية مفادها : الفصل بين الأمور الدينية من جهة وبين كل من التعليم العام ، وأمور إدارة الدولة من جهة أخرى ، وعدم اعتبار الدين عند صياغة القوانين واتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية ، وإطلاق حرية البحث العلمى من أى قيود دينية ، والسماح بالبحث فى وجود الله ، وعدم فناء الروح ، وسلطة الضمير وما إليها .

مبررات فكرة العلمانية :

إن فكرة العلمانية هى فكرة نبعت فى المجتمع الأوروبى المسيحى الذى ورث الامبراطورية الرومانية ، وهى تخص ذلك المجتمع ومن تبعه من المجتمعات للآتى :

١ - العلمانية هى الحلقة الأخيرة فى سلسلة حلقات تخلص السلطة المدنية فى الدولة «الديمقراطية» من سلطة الكنيسة .

٢ - المسيحية لم تأت بمنهج تشريعى اجتماعى اقتصادى سياسى متكامل ، وحتى يمكن إيجاد هذا المنهج لابد من إجراء تعديلات تمس صلب العقيدة المسيحية ، كفكرة «الطبيعة» الإلهية

الإنسانية للمسيح ، وكفكرة «الخطيئة الموروثة» ، وهذا أمر فى غاية الخطورة والصعوبة ، والأيسر منه الأخذ بفكرة «العلمانية» .

٣ - إن تاريخ أوروبا ملىء بوقائع اضطهاد العلماء واعتبار أعمالهم ضربا من الكفر والخروج عن الملة ، وحتى يمكن إحداث انطلاقة للبحث العلمى وللتقدم التقنى فى أوروبا كان - لزاما - التخلص من وصاية الكنيسة على التعليم والبحث العلمى ، وهذا ما تقرره فكرة «العلمانية» .

ذلك ومما تجدر ملاحظته أن «العلمانية» لا تعدو أن تكون فكرة فلسفية وضعت لتبرر مسلك الدولة فى التخلص من سلطة الكنيسة ، فى حين تتبنى الدولة فى كل من دول الديمقراطيات الغربية - عملا - حماية التبشير المسيحى والإنفاق عليه واعتباره أحد أدوات التحرك الخارجى ، فضلاً عن انتشار الأحزاب الديمقراطية المسيحية فى أوروبا ، وهى تعتبر العقيدة جزءا من برامجها الحزبية ، بالإضافة إلى أن منظومة القيم فى دول الديمقراطيات الغربية ، وثقافاتها وحضاراتها لما تزل مسيحية قلبا وقالبا ، بل إن قوانين تلكم الدول توفر الحماية الكافية لممارسة وحفظ العقيدة المسيحية .

المجتمعات الإسلامية المعاصرة والعلمانية :

لقد تمكنت «دول الديمقراطيات الغربية» - فى إطار حربها الصليبية الشاملة - من أن توحى لمعتنقى ثقافتها المهزومين أمام حضارتها بفكرة «العلمانية» فمزقت بذلك جسد الأمة الإسلامية ودعمت الدعوة إلى القوميات والوطنيات ، وبذا جردت الأمة الإسلامية من أهم مقوماتها وهى : الوحدة . وفصلت بين ركيزتيها «الدين والدولة» ودفعت بالمجتمعات الإسلامية إلى المادية المجردة .

إن العجب كل العجب أن تتلقف معظم النظم السياسية المكونة للأمة الإسلامية المعاصرة فكرة «العلمانية» فتطبقها ظنا منها أنها المدخل إلى التطور وإلى الحضارة ، فنصت دساتير بعض هذه الدول صراحة على هذا المبدأ الفاسد ، فى حين يتم تطبيقه دون اعلان فى بعض آخر منها دون اعتبار لتعارض هذا المبدأ والإسلام ، وأن مجتمعاتنا ليست فى حاجة إليه .

لقد أخفق هؤلاء وأولئك فى تشخيص الداء فأخفقوا فى وصف الدواء .

إن آفتنا - نحن الأمة الإسلامية - أننا جعلنا كتاب الله وراءنا ظهريا ، وابتغينا الهدى فيما سواه فأضلنا الله .. إن الغالبية العظمى من المسلمين فى وقتنا الحاضر أميون بالمخالفة لما أمر به الإسلام إذ جعل من طلب العلم فريضة .. وأن الغالبية العظمى من المجتمعات الإسلامية المعاصرة لا تجعل من الإسلام شريعة تحكم كل جوانب الحياة فى المجتمع .. فهل الإسلام سبب تخلف المنتسبين إليه ؟

موقف الإسلام من العلمانية :

إن الإسلام وهو دين الله الخالد الذى ارسل به رسوله محمداً ﷺ هاديا ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً هو دين توحيد لا يعرف الثنائية ولا التثليث ، ومحمد ﷺ بشر هو رسول الله يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ... ﴾ (فصلت/٦ - الكهف/١١٠) . وقد أقام عليه الصلاة والسلام بين المسلمين يعلمهم دينهم ، وكان مما علمه المسلمين أصول تنظيم المجتمع وإقامة السلطة التى تحكم بين الناس وتقيم العدل بينهم وتطبق شرع الله ، وتدعو إلى الحق وتجاهد فى سبيله .. كما علمهم أن الرسالة التى بعث بها ما أنزلت إلا لتطبق تطبيقا عمليا .

وقد أنزل الله تعالى القرآن على نبيه شاملاً

لأمور الدين والدنيا من أحكام اجتماعية واقتصادية وسياسية متكاملة ، وأمره الله تعالى بأن يتخذ من هذا القرآن شريعة (أى قانونا) يحكم المسلمون به ، ومنهاجا ينظم كل حياة المجتمع يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة/٤٨) .

فلا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله تعالى لقوله سبحانه : ﴿ ... وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة/٤٤) .

فإذا كان القانون الذى يحكم كل جوانب الحياة فى الدولة واحدا فلا ثنائية فى السلطة ، ولا حاجة لفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية . وهذا ما كان فى عهد رسول الله ـ ﷺ ـ إذ كانت شريعة الله هى القانون فلا ازدواجية ومنذ عهد الخلفاء الراشدين لم تشهد الدولة الإسلامية سوى سلطة واحدة هى السلطة المدنية التى تطبق شرع الله . ولما كانت الدولة والقانون فى حالة تساند ، فلا قانون دون دولة ولا دولة دون قانون ، فإنه يستحيل الفصل بين الدين والدولة فى الإسلام .

إذاً المسلمون ليسوا فى حاجة إلى العلمانية لتحل مشكلة عندهم بل إن الأخذ بهذا المبدأ يستبعد تطبيق شرع الله ، فلا توصف الدولة حينئذ بأنها إسلامية بل إن من شروط الدولة العلمانية الا تذكر فى دستورها أن دينها الإسلام .

أما عن موقف الإسلام من العلم فهو واضح وضوحا لا نجده فى أى شريعة أخرى فقد بدأ نزول القرآن بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ ﴾ ، وشرف الله تعالى العلماء بأن جعل شهادتهم دليلا على وحدانيته فى قوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران/١٨) .

لقد جعل الإسلام العلم فريضة ، ورفع الله تعالى درجة العلماء ، وجعل من خير الدعاء قول الله تعالى : ﴿ ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه/١١٤) ، وأمرنا الله تعالى بالبحث العلمى بكل صوره بالمشاهدة والتجربة والتدبر وإعمال العقل إذ يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت/٢٠) .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج/٤٦) .

﴿ ... إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء/٣٦) .

ولا حدود فى الإسلام للبحث العلمى يقول الله تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (الرحمن/٣٣) ، كما انه لا فرق بين ما يسمى بالعلم الدينى والعلم الدنيوى ، فقوانين الكون من خلق الله والنظريات العلمية والمخترعات النافعة التى يتوصل إليها الإنسان هى منح وتعليم من لدن عزيز حكيم .. وقد سجل ذلك القرآن الكريم فى قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة/ ٣١ - ٣٢) ، بل إن التخاذل عن التوصل بالفكر إلى خبايا الكون وأسراره يعتبر كفرانا بنعمة من نعم الله تعالى .

إن الكتاب العزيز ناقش قضية وجود الله سبحانه وتعالى : وحدانيته ، كيفية الخلق والبعث ، ولم ينكر ذلك على بنى البشر ، بل دعاهم إليه فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد/ ٢٤) .

فماذا يبقى حجة يحتج بها دعاة «العلمانية» من المستغربين ؟ الا إن حجتهم داحضة . أليس الأجدر بالمسلمين أن يعوا قول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد/١٦) .

الأحزاب السياسية فى الديمقراطيات الغربية :

نشأت الأحزاب السياسية Political parties بصورتها ومفهومها الحالى كركيزة هامة من ركائز الديمقراطية الغربية ، أول مانشأت مرتبطة بفكرة «الاقتراع العام» وتكوين المجالس التشريعية النيابية (البرلمانات) ، فعرفت الولايات المتحدة الأمريكية الأحزاب السياسية منذ مطلع القرن التاسع عشر ، فى حين عرفتها فرنسا منذ عام ١٨٤٨ م ، وانجلترا منذ عام ١٨٦٧ م ، ومنها انتشر نظام الأحزاب السياسية فى كثير من دول العالم باعتبارها وعاء شعبيا يجمع الشعب حول برامجها وتقوم هذه الأحزاب بتثقيف الأفراد سياسيا ، وانتقاء العناصر السياسية القيادية وتقديمها للناخبين ، كما أن الأحزاب السياسية تقوم بالتأثير فى الرأى العام وتوجيهه فتدعم سياسة الحكومة إذا كانت هذه الأحزاب فى الحكم ، وتنظم معارضة سياساتها ونقدها إذا كانت خارج الحكم .

وللأحزاب فى علم السياسة تعريفات لا تخرج كلها عن أنها : « مجموعة منظمة من الأفراد تتفق فيما بينها على مجموعة من المبادىء تشكل برنامج عملها ، وتسعى إلى الاستيلاء على السلطة من أجل التمتع بالمزايا التى تنتج عن هذه السلطة » :

« Organized group of individuals seeking to seize the power of government in order to enjoy the benefits to be derived from such control » .

وهذا على حد تعبير رجل الدولة الانجليزى «أدموند بورك» إذ أن أول ما يفعله الحزب بعد فوزه فى الانتخابات هو قيامه باستبعاد أنصار الأحزاب الأخرى ومكافأة مؤيديه بالمناصب الوزارية والإدارية العليا فيما يسمى بنظام «توزيع الغنائم» Spail system .

وقد ثارت انتقادات أخرى كثيرة وجهت لنظام الأحزاب السياسية باعتبارها عاملا من عوامل تمزيق وحدة الأمة وإعلاء مصالح مجموعة معينة على المصلحة العامة إلى درجة أن الملكة فكتوريا ملكة انجلترا قالت : « إن الحزبية ستدمر البلاد » :

«Will ruin the country» .

كما أنها وسيلة لتشويه الرأى العام من أجل الاستيلاء على السلطة ، بل إنها وسيلة من وسائل إفساد الذمم عن طريق الدعاية الكاذبة ودفع النائب فى المجلس التشريعى إلى الامتثال لأوامر حزبه بغض النظر عن رأيه الشخصى فى المشكلة المعروضة ، وهذا ضرب من الانقياد والنفاق معا يجعل النائب الحزبى مجرد أداة فى يد قيادة الحزب .

ولعل أهم انتقادين وجها إلى نظام الأحزاب

←

مما : أنه نظام يؤدى إلى حكم «الأقلية الغوغائية» Oligarchy على حد تعبير عالم السياسة الفرنسى «موريس دى فيرجيه» ، وأنه نظام يؤدى إلى أن تحل الفوضى فى البلاد وينعدم الأمن والاستقرار ، الأمر الذى دعا «الجنرال ديجول» الرئيس الفرنسى الأسبق إلى التحذير من الممارسات الحزبية وإلا «ستكون كارثة على فرنسا» على حد تعبيره ويزداد الحال سوءا عندما لا يتمكن حزب معين من الحصول على أغلبية تمكنه من تشكيل الحكومة فتتكون حكومة ائتلافية يتولاها عدد من الأحزاب فيكون ما بين أعضائها من تنافر أكثر مما بينهم من تناسق .

ويزعم أنصار نظام الأحزاب السياسية أن الشعوب يمكنها أن تشارك بشكل أفضل وبإيجابية أكثر فى حكم بلادها من خلال انضمام الأفراد إلى الأحزاب السياسية ، وأن ممارسة حرية الرأى ، وحرية النقد والمعارضة تكون أكمل من خلال تنظيم هذه الأحزاب .. ولقد تولى الرد على هذه الحجة أحد علماء علم الاجتماع السياسى وهو الإيطالى «روبرت ميشيلز» من خلال بحثه فى الأحزاب السياسية وإخراجه لما يسمى «بقانون ميشيلز الحديدى» الذى يقول فيه إن طبيعة الأحزاب من حيث تنظيمها وأسلوب عملها تؤدى بالضرورة إلى تكوين «صفوة» معينة تتولى اتخاذ القرارات والتصرف نيابة عن كل أعضاء الحزب ، وما على هؤلاء إلا الطاعة والإذعان .. فإذا ما أضفنا إلى هذا أن الأحزاب السياسية لا تضم عادة إلا أعدادا محدودة من أبناء الشعب لا تشكل إلا أقلية حتى فى البلدان التى تتبنى نظام الحزب الواحد وتطلق على نفسها لذلك «دول الديمقراطيات الشعبية» .. فإذا كان الأمر كذلك فأين هى المشاركة الشعبية فى الحكم التى يعتبرونها أهم مبررات تكوين الأحزاب ؟

الفتاوى

إعداد الشيخ على حامد عبد الرحيم

« الأضحية »

س : ما حكم الأضحية ، وماحكمتها ، وماشروطها ، وفى اى وقت تذبح وهل يجوز للمسلم الموسر الا يضحى ، وكيف يكون توزيع الأضحية ؟

محمد على يوسف .. بنها

جـ : الأضحية واجبة عند الأحناف ، وسنة عند الشافعية والمالكية والحنابلة .. قال الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ .

وروى مسلم : « ضحى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكبشين أملحين (الأملح الأبيض) أقرنين (الأقرن الذى له قرنان معتدلان) ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما » .

كما أجمع المسلمون على مشروعيتها تقرباً إلى الله تعالى .

والحكمة فى مشروعيتها التوسعة على الفقراء والمساكين ، وتذكير المسلمين بالذبح العظيم الذى فدى به إسماعيل عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾

وشروط وجوبها عند الأحناف القدرة بأن يملك نصاب الزكاة وعند من يرى سنيتها يشترط القدرة كذلك ويفسرونها بالقدرة على الحصول على ثمنها ولو دينا عند الحنابلة .

وعند الشافعية : القدرة أن يملك ثمنها زائداً على حاجته وحاجة من يعول يوم العيد وأيام التشريق .

وتذبح أو تنحر بعد صلاة العيد لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أول مانبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر ، من فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل ذلك فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك فى شىء » .. رواه البخارى ومسلم .

والموسر إذا بخل بالأضحية يكون آثماً ، لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من كان له سعة ولم يُضح فلا يقربن مصلانا » . رواه الحاكم عن أبى هريرة مرفوعاً وصححه ..

إذا كانت الأضحية عبادة وقربة إلى الله فلا يليق بالقادر على ادائها أن يحرم نفسه من فضلها ، قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى معنى الحديث : « من ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار » .

والسنة فى توزيعها أن يقسمها أثلاثاً ، ثلث لنفسه وأهله وثلث لمن حوله من الجيران ، وثلث للفقراء والمساكين ، او أن يجمع بين الأكل والصدقة والهدية ـ قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ اى السائل والمتعرض بدون سؤال .

←

فتاوى

هل هناك عذاب فى القبر ؟

س : هل هناك عذاب فى القبر ، وإذا كان هناك عذاب فى القبر فهل يتم ذلك بدون حساب ؟

مهدى الجميل المحامى ـ منيا القمح ـ شرقية

جـ : اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قبر أو لم يقبر .

قال ابن القيم : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة الجسد منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين .

روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن البراء بن عازب أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : المسلم إذا سئل فى قبره فشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .. فذلك قول الله : ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الْآخِرَةِ ﴾ وفى لفظ نزلت فى عذاب القبر . يقال له من ربك فيقول : « الله ربى ، ومحمد نبيي ...... » .

روى البخارى ومسلم عن قتادة عن أنس : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم . أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ماكنت تقول فى هذا الرجل (ـ يعنى النبي محمد) ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله ، قال فيقولان : انظر إلى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً .

وأما الكافر ، والمنافق ، فيقال له ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين .

وقد جاء فى الحديث أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « مر بقبرين ، فقال إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير . أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة .... » .

وجاء فى سورة غافر قول الله عز وجل : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .. وأول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة .. فيما يتعلق بعبادة الخالق ..

وأول مايقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء .. فيما يتعلق بمعاملات الخلق ...

ـ والله أعلم ـ

ميراث

س : توفيت امرأة عن زوج ، وأم ، وإخوة لأم ذكور وإناث ، فمن يرث وما نصيبه ؟

أ ـ ح . ع

جـ : للزوج النصف فرضا لعدم الفرع الوارث ، قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَاتَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ .. ﴾ .

وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة . قال تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ .

وللإخوة من الأم السدس فرضا لعدم وجود من يحجبهم ، يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين .

قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِى الثُّلُثِ ﴾ .

ـ والله أعلم ـ

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

مشاعر حاج

وأنت في رحاب بيت الله

مشاعر حاج

للأستاذ / محمد أحمد الخولى

أقبلتُ واستقبلتُ بالعبراتِ ... فيض الرضا من واسع الرحمات

وحملت أوزارى على ظهرى وما ... جنت اليدان وبُحْتُ بالحسرات

فالقلب فى محرابه متبتل ... ويداى تبتهلان بالدعوات

أبصرت بالبيت العتيق فراعنى ... نور يموج هناك فى الشرفات

طافت حواليه الحمائمُ فى الحِمَى ... مبهورة من روعة الصلوات

فوجدتنى فى هالة وضاءة ... خلعت علىَّ سكينة الإخبات

ووجدت للتوحيد فى قلبى هوى ... وعلى لسانى أرخم النبرات

ودخلت من باب السلام مطاطئا ... رأسى لمن تعنو له سجداتى

وبدات فى شوق إلى الحَجَر الذى ... راحت تسابق نحوه عبراتى

فلثمته وكان كل مقبِّل ... هاو له من لهفة القبلات

وبذرت فى الساح الطهور مدامعى ... ونظمْتُ عقد التوب من قبضاتى

حتى انتهيت إلى المقام وقبلتى ... فى البيت رب البيت والآيات

وشربت من نبع بزمزم ماؤه ... فيه الشفاء لسائر العلات

أدعو وأدعو والسماء كأنها ... باب يصب سوابغ الرحمات

وأفاض من عرفات جمع ذاكر ... مستغفر كم عد من حصيات

يارب بلغنى رضاك بحجة ... لك لا لنفسى واعف عن زلاتى

وأنت في رحاب بيت الله

للأستاذ / محمد على جمعة الشايب

هنالك إن مست فؤادك هِزَّةٌ ... وفاضت باشواق قلوب وادمع
وصفق سرب للحمام مرحبا ... يغنى بالحان الصفاء ويسجع
سل الله يكفينا هموما تقضُّنا ... وتشرق شمس بالرجاء وتسطع

وان يكتب الرحمن نصر انتفاضة ... فاحجارها تبنى الفخار وترفع
وتغدو فلسطين الأبية دولة ... لأعلامها تعنو الطغاة وتركع
ويرضخ للسلم الكريم معاندٌ ... إذا بزغت شمس السلام يُفَزَّعُ

يحاول إطفاء لها متجبرا ... ولكن يمين الله للبغى تدفع
ومهما تغب شمس السلام فإنها ... ولو كره الباغون يوما ستطلع
ولبنان ذاك الجرح فى صدر امتى ... يصبحها سقما وتمسى تَوَجَّعُ

تقاتل فيه إخوة وتصارعوا ... كنفس اصيبت بالصراع تصدع
سل الله أن يرعى للبنان وحدة ... ويحميه من كل ما يتوقع
وقِفْ خاشعا تدعو لامة يعرب ... بصالح دعوات بها الخير اجمع

بأن يحفظ الله التجمع بينهم ... وللوحدة الكبرى يقود التجمع
فجمعنا فى العسر واليسر جامع ... إذا بعضنا يشكو راى الكل يسمع
وما قيمة النعماء إن لم يفز اخى ... بحظ له منها يسر ويُمتِع

وكيف اطيق العسر ينهش من اخى ... وفى صدره هم يقض ويوجع
ففى وجهه تبدو ملامح صورتى ... شقيقين نحيا والعروبة مرضع
وسل للشباب النصر فى عزماته ... فخير شباب من إلى المجد يسرع

وتعزف عن رجس الغواية نفسه ... وما بيسير الحظ يرضى ويقنع
ويضرب وجه الصخر حتى يجيبه ... مطيعا وقلب الصخر بالماء ينبع
ويكشف عن كل الكنوز قناعها ... وكم من كنوز لو غفلنا تُضَيع

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية

الشيخ محمد فرج السنهوري

نائب رئيس المحكمة العليا الشرعية ووزير الأوقاف الأسبق

١٨٩١م - ١٩٧٧م

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

عالم جليل من علماء الإسلام وباحث مدقق ومتحدث مقنع داب فى احاديثه على احترام الاخلاق والغيرة على الدين ، كما كان القاضي المنصف عندما كانت له ولاية القضاء فى نظام القضاء الشرعي قبل إدماجه فى نظام القضاء الوطني .

ذلك هو الشيخ محمد فرج السنهوري الذى شق طريقه فى الحياة العامة مبتدئا بالقضاء ثم اختتمها بالعمل وزيرا للأوقاف واخيرا بالمحاماة .

مولده واصل معتقده ونشاته :

ولد - رحمه الله - فى ٤ من يناير عام ١٨٩١ ميلادية بقرية (المندورة) مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ ونشأ نشأة دينية خالصة فقد بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم فى كتاب قريته ثم التحق بالجامع الدسوقي بمدينة دسوق لاستكمال دراساته الدينية ، إذ كان هذا المسجد فى ذلك الزمان إضافة لبعض المساجد الكبرى فى شتى أنحاء البلاد المصرية أشبه بروافد للأزهر الشريف تقوم مقام معاهده فى زماننا المعاصر ، ولما انتهى من دراساته هناك توجه إلى القاهرة حيث التحق بالأزهر ومنه إلى مدرسة القضاء الشرعي فحصل منها على شهادة العالمية عام ١٩١٧ ميلادية .

الوظائف التى قام بها :

على أثر حصوله على العالمية من مدرسة القضاء الشرعي عين فى سلك القضاء الشرعي وأخذ يتبوأ مناصبه بجدارة حتى انتهى به المطاف إلى نائب رئيس المحكمة العليا الشرعية ثم وقع عليه الاختيار ليكون وزيراً للأوقاف فى أحد التشكيلات الوزارية قبل يوليو عام ١٩٥٢ ، ثم خرج من الوزارة ليعمل بالمحاماة(١) .

إسهاماته الأخرى :

كان لغزارة علمه وسعة افقه وتنوع معارفه وبعد نظره ماجعله يسهم فى مجالات متعددة :

١ - فقد عهد إليه بتدريس العلوم الشرعية فى مدرسة القضاء الشرعي .

٢ - وقام بإلقاء محاضرات فى اقسام التخصص بالأزهر الشريف .

---

(١) لمحة من حياة فضيلة الشيخ محمد فرج السنهوري مرفقة بكتابه عن الأسرة فى التشريع الإسلامي .

٣ ـ وكلف بالتدريس فى معهد الدراسات العربية .

٤ ـ وكان عضوا بهيئة التدريس فى اقسام الدراسات العليا بكليتى الحقوق بجامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية .

اللجان التى كان عضوا بها حتى تاريخ وفاته :

اشترك المرحوم الشيخ محمد فرج السنهورى فى لجان متعددة حال حياته نذكر منها :

١ ـ اللجنة العليا لتطوير القوانين المصرية .

٢ ـ لجنة تطوير الأزهر .

٣ ـ اللجنة العليا لتطوير الجامعات .

٤ ـ اللجنة العليا لوضع دائرة المعارف العربية .

٥ ـ لجنة التراث .

٦ ـ وقام برئاسة لجنة إحياء المؤلفات والتراث الإسلامى بدار التأليف والترجمة والنشر .

٧ ـ ثم عمل عضوا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حتى وفاته فى ١٤ من مارس عام ١٩٧٧ م .

احاديثه الدينية المذاعة :

كانت له أحاديث دينية أذيعت بأجهزة الإذاعة المسموعة زمن حياته وقد جمعتها وزارة الثقافة فى كتابين هما :ـ

١ ـ كتاب الأسرة فى التشريع الإسلامى .

٢ ـ كتاب حاجة المجتمع إلى الدين[٢] .

وسنتكلم عن واحد من هذين الكتابين وهو الكتاب الأول بما يناسب المقام فى هذا المقال نظرات فى كتابه (الأسرة فى التشريع الإسلامى) ومختارات لبعض الموضوعات التى عالجها :ـ

الشيخ محمد فرج السنهورى

مما ذكره فى بداية كتابه المشار إليه عن عناية التشريع الإسلامى بأمر الأسرة قوله : (إن التشريع الإسلامى وضع من الأحكام والحقوق والواجبات والآداب مايكفل لها إرساء الدعائم ، وسلامة البنيان والحياة الطيبة المباركة ، ويهيىء منها عضوا سليما صالحا لأن يؤدى وظيفته اداء كاملا للمجتمع الإنسانى الذى تعيش فيه .

وأحكام الأسرة تعالج امورا ، سداها ولحمتها الإحساس والعاطفة وتقوم اكثر ما تقوم على المشاعر والروابط النفسية وهى فى الاغلب من الأمور الدقيقة الخفية ، ورسول الله ﷺ ـ (وما ينطق عن الهوى) ـ قد أكثر من الأمر بالزواج وبالغ فى الحث عليه وأعلن انه سنته وتبرأ ممن يرغب عنه .

وقد اختلف الأئمة الفقهاء فى شان هذه الأوامر :ـ

١ ـ فذهب فريق منهم إلى ان الزواج سنة محكمة وفريضة واجبة على كل من يستطيعه وإن لم يخش الفتنة .

(٢) المرجع السابق

٢ ـ وذهب الباقون إلى غير ذلك من الآراء والتفصيلات طبقا لما توضح فى كتب الفقه الإسلامى المختلفة .

٣ ـ وأياً ما كان أمر تلك الأقوال فإنهم قد أجمعوا على أن الزواج رغيبة من أفضل الرغائب وهدى إلهى وسنة نبوية يجب الحرص على إحيائها .

السر فى مبالغة التشريع الإسلامى بأمر الزواج .

١ ـ ذلك لأنه السبيل الوحيد إلى الحياة الهانئة السعيدة ، فهو وحده الذى يكفل للرجل والمرأة على السواء حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب والثقة المتبادلة .

٢ ـ وهو وحده الذى يكفل لهما المودة الخالصة والمحبة الصادقة .

٣ ـ وهو وحده الذى يكفل لهما التراحم والتعاون فى السراء والضراء .

٤ ـ وهو أفضل وسيلة لحفظ النوع وخلق جيل صالح ينشأ فى كنف الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة .

٥ ـ كما أن فيه تعويد رب الأسرة على الاضطلاع بأعباء الرعاية وتحمل المسئولية ومشتقاتها فى جراة وإقدام .

الأسرة نواة المجتمع :

فمن مجموعها يتكون بناء المجتمع الكبير يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها ويصح بصحتها ويمرض بأمراضها ، وقد قام التشريع الإسلامى على هذه المعانى فى صورة واضحة مكتملة قل أن اكتملت فى غيره ، فسن لها من الأحكام والآداب ما يكفل لها الدعائم الراسية المكينة والبناء القوى المتين .

وقد امتلأت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية بالدعوة إلى بناء الأسرة وإرساء قواعدها على أساس سليم من المقاصد السامية التى يبتغيها من تكوينها ترمى إلى سعادة الإنسانية وسعيها إلى الرقى والكمال وهى : **الإحصان والعفاف وسد الذرائع ومقاومة الفساد والقضاء على فوضى الاختلاط وتهيئة حياة سعيدة لأفرادها تسودها الثقة** والاطمئنان والتعاون وتحمل الأعباء فى مودة وتراحم **وخلق جيل صالح** يشب فى جو من مكارم الأخلاق ، ويبتعد بها عن المتعة المجردة الجسمانية وعن الحياة المادية المرذولة إلى حياة روحية هانئة سعيدة قال : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] .

الإسلام يرفع من شان المراة :

لما كانت أمور الأسرة لاتسير فى طريقها القويم إلا إذا تساوت دعامتاها الرجل والمراة وتمكن كل منهما من القيام بواجبه وأحس بالعزة والكرامة وأمن جور الآخر وبطشه جاء التشريع الإسلامى فرفع من شأن المرأة وأعز مكانتها وكفل لها أهلية كأهلية الرجل وفرض لها من الحقوق المالية مايتلاءم مع تبعاتها لذا قامت حقوقها على أصل ثابت هو المساواة اللهم إلا مامنحه لكل من الزوجين مما يلائمه ويحسن القيام به كما أوجب

(٣) سورة الروم الآية ٢١ .

التشريع الإسلامى من أن تسود الأسرة التربية الدينية التى تغرس فى النفوس العقائد السليمة الراسخة وتربيها فى جو من الإيمان الصحيح مما يحمل المرأة على التزام طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويحليها بمكارم الأخلاق فلقد ألزمها الله سبحانه أن تتأدب بآداب الدين وأن تتحلى بالحشمة والوقار فى نظراتها وفى لباسها وزينتها .

فقال جل وعلا : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾(٤) .

وقال رسول الله ﷺ : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهن خلقا وخياركم لنسائهم)(٥) .

وقال فى حديث آخر (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى)(٦) .

وعن الاختيار فى الزواج يقول :

لاريب أن الفتيان والفتيات فى أول مرحلة من مراحل النضوج الجسمى يمرون بطور هو الغاية فى الخطر بسبب ما تملؤه فيهما فورة الشباب الجامحة مع قلة الخبرة والتجارب ولين العود فى الوازع الدينى والوازع الخلقى مع الاختلاط الذى بلغ الذروة اليوم بينهم فى الطرقات وفى دور العلم وفى الحقل وفى المصنع وفى المتجر وفى كل مرافق الحياة والتى امتلأت بأساليب من الخبث والخديعة لم تكن مألوفة من قبل ، فضلا عن أن السلطان الدينى لتقاليد الأسرة ضعفت شعلته ومن هذه العوامل مجتمعة وقعت مآس هى الغاية فى القسوة شهدت دور القضاء الكثير منها ، وعلى الدوام تبدأ المأساة باسم الزواج فى ظروف تحمل على اعتقاد أن الأسرة لاترضى عنه لذلك فإنه ـ رحمه الله ـ يرى قبل بلوغ الفتاة الخامسة والعشرين ـ الأَخْذَ بما ذهب إليه بعض الائمة من أنه لايحل للمرأة نكاح ـ ثيبا كانت أم بكرا ـ إلا بإذن وليها بمعنى أنه لابد لصحة الزواج فيما بين بلوغ الحلم وانقضاء الخامسة والعشرين من اجتماع رضاء الزوجة وإذن الولى وإن لم يأذن الولى ترفع الأمر إلى القضاء فيأذن لها متى تبين له أن فى هذا الزواج مصلحة لها .

الصفات الواجب مراعاتها لكلا الزوجين عند الزواج :

عند اختيار المسلم لزوجته والمسلمة لزوجها يجب مراعاة الصفات التى تكفل للأسرة سلامة البنيان وتحقق المقاصد السامية التى شرع من أجلها الزواج وهى مبثوثة فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية ويمكن إجمالها فى : (الإحصان والعفاف والتوالد والسكن والمودة والتراحم وما إلى ذلك) ولاحرج على مسلم ولا مسلمة أن يبتغى عليها صفات أخرى كالمال والجمال والجاه .

وعن الزواج بالاجنبيات يقول :

إنه يعنى بالأجنبية فى هذا المقام الأجنبية غير المسلمة ، أما المسلمة فإنها لاتسمى فى عرف فقهاء الإسلام أجنبية ، مهما كانت دارها . وزواج المسلم بغير المسلمة نزل فيه من الكتاب آيات ، ووردت فيه من السنة آثار وعند النظر فى هذه الأدلة يتبين :ـ

١ ـ أن أئمة المسلمين اتفقوا على أن زواج المسلم بغير المسلمة زواج باطل لايصح بحال إذا

---

(٤) سورة النور الآية ٣١ .

(٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح أورده الإمام محيى الدين أبى زكريا النووى فى كتابه ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، . باب الوصية بالنساء .

(٦) أخرجه ابن ماجه وابن سعد والطبرانى فى الكبير ورواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه . أورده الإمام السيوطى فى مجمع الجوامع ، العدد الخامس عشر من الجزء الثانى من السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م .

من أعلام مجمع البحوث

لم تكن كتابية .

٢ ـ أما الكتابية إذا كانت يهودية أو نصرانية فقد اختلفوا فى صحة زواج المسلم بها :

(أ) فذهبت طائفة منهم إلى انه زواج باطل .

(ب) وذهب جمهورهم إلى انه زواج صحيح ، ومن هؤلاء الإمام محمد بن إدريس الشافعى لكنه اشترط لصحته أن تكون من قوم علم أن آباءهم الأولين آمنوا بموسى عليه السلام وبعثة المسيح عليه السلام او من قوم علم أن آباءهم الأولين آمنوا بالمسيح عليه السلام وبعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما إذا علم عن قومها خلاف هذا أو جهل حالهم فإنها تكون محرمة على المسلم كغير الكتابية وهذا الشرط يقضى بتحريم كثير من الكتابيات فى هذه الايام .

والفوارق بين المسلم وبين الزوجة الاجنبية فوارق جسيمة جدا لا يلتقيان معا فهما مفترقان فى الدم والدين واللغة وهو شرقى وهى غربية تخالفه فى الإحساس والشعور وفى النشأة والتربية وفى الأخلاق والعادات والتقاليد ، ولن ينال المسلم من هذا الزواج إلا لوثة فى دينه وذوبان فى شخصيته وانحلال فى قوميته .

فمن حق هذه الأجنبية أن تأكل وتشرب فى بيته ما هو حل لها ومحرم عليه . ومن حقها أن تؤدى فيه شعائر دينها وبهذا تصبح حياته المنزلية خليطا من إيمان وكفر ، ومهما كان أمر مابينهما من الروابط الروحية الحقة ، فإنه على أية حال مفتون بها وهو لابد متودد إليها وفى هذا التودد نقصان دينه .

قال الله تعالى﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(٧)

ثم تأتى كارثة الأولاد وتربيتهم فهم بيدها عجينة لينة طيعة تغرس فى نفوسهم منذ الطفولة الأولى ماتحب وتهوى ويألفون من أعمالها وسيرتها مايطغى على تعاليم دينهم ويطفىء نور الإيمان فى قلوبهم ويميت القومية فى نفوسهم وفى الزواج بهؤلاء الأجنبيات محاربة سافرة لفتياتنا المسلمات وجرح لكرامتهن على غير جرم اقترفنه .

وعن آداب عشرة النساء يقول :

لما كان الرجل قواما على زوجه وربا لأسرته وراعيها فعليه أن يحسن القيام وأن يسوس رعيته بلين فى غير ضعف وبحزم فى غير عنف وأن يرعى لزوجه حقوقها المشروعة وأن يتأدب فى هذا بآداب دينه فقد قال الله تعالى فى تعظيم حق النساء على ازواجهن :﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٨) وقال جل وعلا : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٩) .

ومن حق المرأة على زوجها دينا وخلقا أن يرعى فطرتها والا يشتد عليها إذا غضب وأن يسوسها باللين والرفق إذا ندت ، وأن يتحمل منها الأذى المحتمل فى حلم وهوادة فهى بفطرتها ، وبحكم الوظيفة التى هيأها الله لها ـ خلقت مرهفة الحس ، رقيقة الشعور ، جياشة العاطفة ، سريعة التأثر ثم هى على إحساس دائم ، بأنها مرءوسة لارئيسة فهى أطمع من الرجل فى اللين والمحاسنة وهى أقرب منه إلى الغضب والحدة وإرسال العبرات والبكاء ، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ تمثيلا بقوله : « استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع . وإن

البقية ص ١٢٥٨

(٧) سورة المجادلة ٢٢ .
(٨) سورة النساء ٢١ .
(٩) سورة النساء ١٩ .

العلوم الكونية

الإنسان وقضايا العلم المعاصر

الإنسان..

وقضايا العلم المعاصر

٢

أ.د./ أحمد فؤاد باشا

ثانيا : قضية البحث فى اصل الكون :

نسوق هذه القضية الهامة من علم الكونيات Cosmology لنوضح كيف ان العلوم المعاصرة تتناول الآن من القضايا بالبحث النظرى والعملى ما كان يوما قد يعتبر من خرافات الميتافيزيقا .

فقد انشغل الإنسان منذ بدء الخليقة بالتامل فى كل ما يحيط به من سماء وارض ، وما يحدث حوله وامام ناظريه من ظواهر طبيعية واحداث كونية ، كانما يريد ان يستطلع أسرار الكون الفسيح ، ويقف على حقيقة نشاته وطبيعة حركته وتفاصيل نظامه .

وقد ظل الإنسان ردحاً طويلاً من الزمن يعتقد أن الكون هو فقط مجموعتنا الشمسية التى يعيش على أرضها ، بالإضافة إلى مجموعة النجوم «الثابتة» كما يراها ليلاً . ولم يستطع الخروج من إطار تأملاته الفلسفية ونظرياته الخرافية بسبب عجزه عن الاهتداء إلى منهج البحث العلمى السليم ، إلا بعد أن جاء عصر الحضارة الإسلامية الذى شهد البداية الحقيقية لتطور العلوم الكونية ، حيث أخذ بالمنهج التجريبى طريقا إلى المعرفة ، وصنعت الأدوات والأجهزة لتعزيز الملاحظات وتعزيز التجارب ، واقيمت المراصد فى مختلف العواصم الإسلامية لمتابعة أحوال الظواهر الجوية والفلكية ، ووضعت الأزياج[1] لتدوين حركات الكواكب والنجوم ، وبدأ علم الفلك فى حث الخطى نحو التقدم . وكان للنظريات والأزياج التى وضعها

(١) الازياج : جمع « زيج » ، وهى كلمة من اللغة البهلونية ، أى الفاسية القديمة ، وتعنى السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم أطلقت الفرس هذا الاسم على الجداول الرياضية المشابهة خطوطها الراسية لخيوط السدى ، وهناك ازياج كثيرة وضعت فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة منسوبة للعديد من العلماء أمثال ؛ البتانى والبوزجانى والهمدانى وابن يونس وغيرهم .

علماء الحضارة الإسلامية أكبر الأثر فى النتائج التى جمعها علماء النهضة الأوروبية الحديثة ، وترتب عليها صياغة «كبلر» لقوانينه المعروفة عن حركة الكواكب ، واستنتاج «نيوتن» لقوانينه الشهيرة عن الحركة والجاذبية .

لكن أبحاث علم الكونيات قد شهدت منذ بضع سنوات خلت ثورة هائلة لم يكن يحلم بها العلماء حتى وقت قريب ، وساعد على هذا تقدم العلوم الأساسية والتقنية التى يسرت للإنسان سبل البحث العلمى فى مسائل عديدة تتصل بنشأة النجوم وتطورها، أو بنشأة الموجات الراديوية وخصائصها ، أو بنشأة الأشعة الكونية وطبيعتها ، أو بنشأة الكون المادى كله واستقصاء حقائق حجمه وتاريخه ونظامه .

وفيما يتعلق بنشأة الكون فقد ساعدت الحقائق العلمية التى توصل إليها العلماء على وضع تصورات نظرية أهمها نظريتان حديثتان هما :

١ ـ **نظرية الكون الثابت** : وتقضى بأن الكون مستقر فى معالمه الكبرى على الدوام وأن المادة فى حالة خلق مستمر متجدد .

٢ ـ **نظرية الانفجار الأعظم** : ومؤداها أن مادة الكون كانت فى البدء مركزة تركيزاً شديدا ، ثم انفجرت وتناثرت فى جميع ارجاء الكون .

ويحاول كل من أنصار النظريتين المتعارضتين تعليل ما أظهرته الأرصاد من ابتعاد المجرات البعيدة بسرعات تتناسب مع أبعادها عنا على أساس النظرية التى يدافع عنها . وكان العلماء: هبل Hubble وهيوماسون Humason وبادا Baade وغيرهم قد توصلوا إلى أن الكون يتمدد على النطاق الواسع لا المحلى . فأبعاد مجموعتنا الشمسية لا تتمدد وكذلك المسافات داخل مجرتنا . ولكن التمدد يبدأ بعد حدود مجموعتنا المحلية ، أى بعد نحو نصف مليون بارسك(٢) ويحدث فى جميع الاتجاهات. وقد حصل «هبل» على معادلة خطية بين سرعة ابتعاد المجرة عنا وبين المسافة التى تفصلنا عنها ، وأوضح أن السرعة تزداد باطراد مع المسافة وفق معامل تتراوح قيمته بين ٧٥ كيلومترا فى الثانية إلى ١٥٠ كيلومترا فى الثانية على مسافة تساوى مليون بارسك . لكن العلماء حالياً يختلفون حول قيمة هذا المعامل ، ومرجع هذا الاختلاف هو أن المجرات لا تتحرك حركة واحدة فى الابتعاد عنا ، بل هناك تعقيدات أخرى فى حركاتها .

وأياً ما كان الأمر بالنسبة لاختلاف العلماء حول تقديرات «معامل هبل» إلا أن معادلة هبّل الخطية تعتبر الآن من المعالم الأساسية للكون ، والتى جاءت وليدة الرصد والمشاهدة الفلكية لمختلف أنواع الأجرام السماوية وأنظمة المجرات .

ومن المسلم به أن هذا الخط يمكن مده بغير حد إلى أية مسافة نختارها مهما كبرت . أما إذا كان هذا الامتداد له ما يبرره من الناحية الواقعية أم لا ، فهذا أمر لم يحسم بعد ويحتاج إلى سند علمى عاجل ، بيد أن تحقيق ذلك إلى ما يقرب من سرعة الضوء نفسه ربما يقع لسوء الحظ وراء متناول الرصد .

ولما كانت كلتا النظريتين المتنافستين تستندان

←

(٢) البارسك هو وحدة القياس الفلكى للمسافة ويساوى البعد الذى عنده تبلغ الزاوية المقابلة لنصف القطر المتوسط لمدار الأرض حول الشمس مقدار ثانية قوسية واحدة . وهذه المسافة تساوى أيضا ٣,٢٦ سنة ضوئية ، حيث السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة واحدة .

إلى نتائج أرصاد التمدد الكونى ، فإن نظرية الكون الثابت تتحدث عن ترقق المادة الكونية ونقصان كثافتها نتيجة الانتشار المتواصل للكون . وتبعا لهذه النظرية تكون المجرات القديمة أخذة باستمرار فى الارتداد تدريجيا ، أو هى ماضية فى الابتعاد عنا شيئا فشيئا ، فى حين تتكون مجرات جديدة بتكاثف المادة المستحدثة فى الفراغات الكونية ، وهكذا يستمر المشهد على تجدد دائم بلا بداية وبلا نهاية ، فهو أشبه ما يكون بحالة بلد يظل تعداده السكانى على ما هو عليه بتساوى عدد المواليد وعدد الوفيات .

ومن الواضح أن هذه النظرية عن الكون الثابت تتعارض مع القوانين الفيزيائية الخاصة بحفظ المادة والطاقة ، وهى قوانين ومبادىء لا تزال صالحة حتى عصرنا هذا .

أما بالنسبة لنظرية الانفجار الأعظم فإن العلماء لم يجدوا صعوبة فى تصور بداية الكون بالرجوع إلى الماضى البعيد وتخيل مادة الكون بجميع مجراته فى حالة انضغاط شديد تولدت عنه درجة عالية جداً من الحرارة ودرجة عالية جداً من الكثافة ومعنى ذلك أن البيضة الكونية الأولى[٣] First cosmic egg إنما كانت فى حالة مواتية لجميع التفاعلات النووية[٤] وحينئذ حدث الانفجار الكونى ، ونتج عنه تنابذ المجرات وتباعدها كما أخذت درجة الحرارة فى النقصان تدريجيا ، وأخذت الكثافة فى التخلخل نسبيا حتى أصبحتا من الخصائص الهامة التى توضح لنا طبيعة الكون .

من ناحية أخرى ، أظهرت الأرصاد الحديثة أن تمدد الكون يتباطأ متناسباً مع كثافة المادة الكونية ، وإذا صح هذا الاستنتاج يكون هناك احتمالان لمستقبل التمدد الكونى : فإما أن تكون كثافة المادة الكونية صغيرة جداً ، بحيث يكون تباطؤ تمدد الكون بسيطا وتستمر عملية الانتشار إلى ما لا نهاية ، وإما أن تكون كثافة المادة الكونية كبيرة نسبيا ، فيحدث تباطؤ التمدد بدرجة كبيرة أيضاً مما يجعل انتشار الكون يتوقف عند حد معين ليبدأ فى التقلص من جديد، ويتوقف تحديد أحد الاحتمالين لمستقبل الكون على تحديد كثافة المادة المكون منها ، وقد حسبت القيمة الحرجة لكثافة المادة التى تشكل حداً فاصلاً بين احتمال التقلص أو مواصلة الانتشار بمقدار ١٠-٢٩ جرام/سم٣ ، وهى أكبر بكثير من القيمة المتوسطة التى قدرها العلماء لكثافة مادة الكون بحوالى ٣×١٠-٣١ جرام/سم٣ . وهذا يعنى أن مستقبل الكون تبعا لهذه التقديرات فى تمدد متواصل ، إذا كانت نتائج قياسنا صحيحة ، وإذا لم يكن هناك أجسام مادية بين المجرات لم نتمكن من رصدها بعد !!

من ناحية ثالثة ، تزايد الآن عدد الباحثين فى الفيزياء الفلكية الذين يعتقدون بأن كثافة المادة والطاقة فى الكون هى على صورة معينة بحيث أن كتلة الكون فى مجموعها لابد أن تساوى صفراً على وجه التحديد وكتلة الكون تعتبر من المعطيات

---

(٣) يشير حجم التمدد ومعدل سرعته الحاليان إلى أن الكون بدأ منذ ما يتراوح ما بين ١٢ ، ٢٠ مليار سنة ، وكانت مادته معبأة فى مساحة أصغر كثيرا من الكثير من الحيز الذى يشغله بروتون واحد .

(٤) راجع ما كتبناه فى العدد السابق من مجلة الأزهر عن وحدة القوى الطبيعية وعلاقتها بنشأة الكون .

الفيزيائية التى يمكن تحديدها عن طريق القياس العلمى التجريبى . فإذا كان مقدارها يساوى الصفر فعلاً ، فإن الكون عندئذ يشارك حالة الفراغ التام فى خاصية «انعدام الكتلة» ، وقد ظهرت حديثا نظرية جريئة تنطلق من هذه الفرضيات لتعتبر الكون على صورة تقلبات كمية Quantum Fluctuations حول الفراغ ، وهى حالة من اللاشيئية فى الزمان والمكان خلقت من العدم . وهنا نحتكم مرة أخرى إلى التجربة العلمية فى إحدى مسائل ما وراء الطبيعة ، فعن طريق قياس كثافة المادة فى الفراغ يمكن لنا أن نعرف مدى صحة هذه النظرية . وقد ذكرنا لتونا أن ما نعرفه حالياً عن كثافة مادة الكون يعتبره العلماء مقدارا ثابتا متناهيا فى الصغر .

وهكذا نرى تعدد النظريات العلمية عن أصل الكون ، لكن التصور الأرجح يميل إلى الأخذ بتمدد الكون ، حيث تدفع المجرات متباعدة عن بعضها فى جميع الاتجاهات ، محمولة بنسيج متصل من الزمان والمكان يكبر بانتظام . يضاف إلى رأى جديد مؤداه أن المجرات ليست ساكنة بالنسبة لهذا النسيج المنتشر ، فهى تقوم بحركات خاصة تساعدنا على النفاذ إلى بنية الكون ومعرفة مدى التقلبات فى كثافة مادته .

وما تم معرفته عن هذه الحركات يوحى بأن المادة تتكتل مع بعضها بمقاييس كبيرة لا يمكن تصورها ، فتعطينا صورة عن الأحداث التى جرت فى بواكير نشوء الكون .

وقد تجيب هذه الحركات أيضاً عن سؤال حول النهاية الأخرى للزمن : فهل سيستمر تمدد الكون ؟ أم أن قوة الجاذبية سوف توقف هذا التمدد فى نهاية المطاف ، أو حتى تعكسه بحيث ينهار الكون ثانية ويعود إلى كثافته الأولية ؟! لكل هذا ينهمك الباحثون الآن فى رسم نموذج

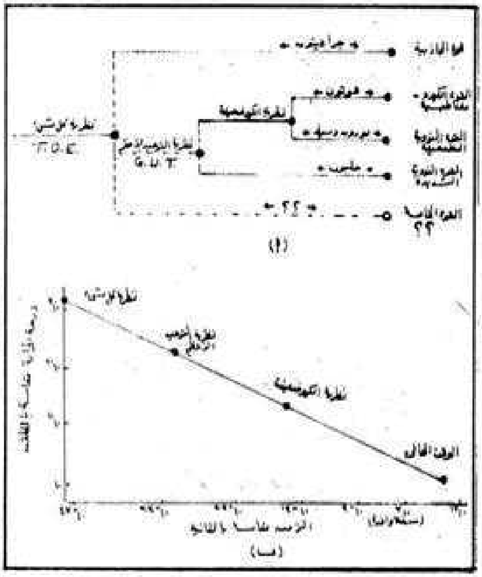

رسم يوضح : (أ) تطور محاولات الكون (؟) لتوحيد القوى ...
(ب) تصور انخفاض حرارة الكون منذ الانفجار العظيم حتى الوقت الحالى

للجريان الكونى باستخدام أحدث التقنيات ، وقد ظهر لهم بالفعل من النتائج والبيانات ما يجعلهم يتعاملون مع النظريات السائدة حالياً بحذر شديد .

ثالثا : قضية العلاقة بين العلم والتقنية :

نقدم هذه القضية كنموذج للكثير من التجارب العملية التى تجرى فى مختلف فروع العلم باستخدام أحدث الوسائل التقنية ، ويكون لها أثرها البالغ فى عملية التصحيح المستمرة لنظريات العلم وتصورات الإنسان على حد سواء والمثال الذى نسوقه هو تجربة قياس بعد القمر عن الأرض ، والمعروفة باسم LURE ، وهى الحروف الأولى من الاسم الأجنبى لتجربة تحديد بعد القمر عن الأرض باستخدام أشعة الليزر ، أو Lunar laser Ranging Erperinent التى

الإنسان وقضايا العلم المعاصر

يشرف عليها عالم الفيزياء الشهير «كارول الى» Carroll O. Alley من جامعة ميريلاند . بدأ تنفيذ هذه التجربة فى ٢٠ يوليو عام ١٩٦٩ مع أولى خطوات الإنسان على القمر فى رحلة سفينة الفضاء أبوللو ١١ ، وذلك عندما قام رواد الفضاء على هذه السفينة بوضع جهاز يحوى عشرات المرايا الصغيرة لكى تعكس نبضات أشعة الليزر الموجهة إليها من محطات أرضية فى أماكن مختلفة فوق قارات الأرض ، ويقوم الفريق العلمى القائم على هذه التجربة بمتابعة تسجيل ودراسة بعد القمر عن الأرض على مدى عدة سنوات لمعرفة مدى تغير هذه المسافة بمرور السنين . وقد بدأت التحاليل العلمية لهذه التجربة العلمية التقنية تؤتى بالفعل ثمارها عندما أعلن حديثاً عن نتيجة هامة مؤداها أن القمر يبعد عن الأرض بمعدل ٣,٥ سنتيمتر سنوياً .

ويوالى الباحثون جهودهم لتحسين ظروف القياس بصورة مستمرة كلما ظهرت مستويات تقنية أفضل ، إيمانا منهم بأهمية النتائج التى يحصلون عليها فى تفسير الكثير من المسائل المتعلقة بحركة كل من الأرض والقمر والتوزيع الكتلى لمادتيهما ، وبنظريات الجاذبية وأصل الكون وتزحزح القارات وغيرها .

ألم نقل فى بداية حديثنا أن العالم اليوم على أعتاب ثورة علمية وتقنية يتهاوى تحت معاولها أساس الكثير من النظريات العلمية السائدة والمذاهب الفلسفية القائمة عليها ، ويطرأ بسببها تحول كبير على وعى الإنسان وتصوره لنفسه وللكون الذى يعيش فيه ؟!

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية - بقية

أعوج ما فى الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته . وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء » (١٠) .

ومن الآداب الدينية التى يجب على الزوج أن يأخذ بها نفسه فوق الخلق والمعاشرة بالمعروف والصبر على مايحتمل من المكاره ، أن يعمل جاهدا على إدخال السرور إلى نفس زوجه ، وأن يخلق لها جوا يسوده المرح والبشر تأسيا برسول الله ﷺ فقد كان يمزح مع نسائه ومن تأدب بآداب الدين ويسر لزوجه المسرات كان مثابا مأجورا .

وهكذا يمضى المرحوم الشيخ محمد فرج السنهورى فى معالجة باقى موضوعات الأسرة فى كتابه هذا فيتكلم عن الاختيار فى الزواج ، وخطبة النساء ، وحقوق الزوج على زوجته ، ومسئولية رب الأسرة ، وتنقية الأسرة من الدخيل ، وعن ربة البيت ، ومركز المرأة ، وواجب الأبناء ، واستيفاء حقوق الأسرة ، وعن أسباب الشقاق بين الزوجين ، وحرمة المساكن وحماية الأسرة ، وتبرج النساء ، ورفع الحرج عمن يرتبطون بالأسرة ، وحماية الأعراض مما يعطى صورة جلية واضحة عن عناية التشريع الإسلامى بالأسرة وعن سر هذه العناية ويبين وسيلة بناء الأسرة على أساس مكين ..

---

(١٠) متفق عليه ، أورده الإمام محيى الدين أبى زكريا النووى فى كتابه رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - باب الوصية بالنساء المرجع السابق .

الحج فريضة دينية ورحلة قدسية ـ بقية

اليوم الحادى عشر من ذى الحجة

وفى اليوم العاشر من ذى الحجة على الحاج أن يكون بمِنًى ليرمى الجمار الثلاث بالترتيب يبدأ بالصغرى ثم بالوسطى ثم بالكبرى ، وكل جمرة بسبع حصيات ، والإقامة تكون بمنى فى ايام الرمى الثلاثة او الأربعة ، وهى يوم النحر ويومان بعده أو ثلاثة والله يقول : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى . . ﴾ (البقرة ٢٠٣) .

فمن تعجل فنفر فى اليوم الثانى عشر فلا إثم عليه ، ومن تأخر إلى اليوم الثالث عشر فلا إثم عليه ، ومن السنة الا يرمى فى الأيام الحادى عشر وما يليه إلا بعد طلوع الشمس .

اليوم الثانى عشر من ذى الحجة

ترمى الجمار الثلاث كما حدث فى اليوم الحادى عشر تماما : ويكون قبل الغروب ، فإذا غربت الشمس والحاج بمنى عليه أن يبيت بها ويرمى الجمرات فى اليوم الثالث عشر : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

الحكمة من الرمى

قال ابو حامد الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين :

وأما رمى الجمار فليقصد به الرامى الانقياد للأمر وإظهار الرق والعبودية لله وحده وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس والعقل فى ذلك ، تشبها بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله فى ذلك الموضع ليفتنه فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له .

فضل يوم عرفة

ورد فى الأثر : « ما رؤى الشيطان فى يوم أصغر ولا ادحر ولا أحقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة » ـ رواه مالك والحاكم .

وذلك لأنه يرى الرحمات تتوافد وتتواكب على ضيوف الرحمن فى يوم الغفران ، فلا يشهد ذلك الموقف خلق ممن قال : لا إله إلا الله إلا غفر له إن شاء الله لأن العباد يتضرعون هناك إلى الله ليغفر لهم الذنوب ويطهرهم من علل الدنيا وآفاتها ومطامع الحياة وشهواتها بالتوبة المخلصة فى يوم الله ، يوم الحج الأكبر .

والله يقول :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (سورة البقرة ـ ١٨٦) .

طرائف ومواقف

للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مكارم الأخلاق

قال الإمام على بن ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير، وإنى لأعجب برجل يجيئه اخوه فى حاجة، فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا، لكان لنا أن نطلب مكارم الأخلاق تدلنا على سبيل النجاة.

بالعمل تصل إلى ماتريد

قال ابن مسعود: من اشتاق إلى الجنة نازع فى الخيرات.

ومن خاف النارَ ترك الشهوات.

ومن ترقب الموت زهد الدنيا وهانت عليه المصيبات.

حتى نفوز

قال يحيى بن معاذ: من أقر لله بإساءته جاد الله عليه بمغفرته، ومن لم يمن على الله بطاعته، أوصله إلى جنته، ومن أخلص لله فى دعوته منّ الله عليه بإجابته.

أخى

لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضا، وذلك أن العدو خصم تصرعه بالحجة وتغلبه بالحكام، وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض، فإنما حكمه رضاه.

إذا توالت تولت

إن يكن نالك الزمان ببلوى
عظمت عندها الأمور وجلّت
وأتت بعدها مصائب أخرى
سئمت عندها النفوس وملّت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها
فالرزايا إذا توالت تولّت

يا مفلس

شكا أصحاب هشام إلى «اسلم بن الأحنف» احتباس أرزاقهم فدخل على هشام؛ وقال: ياأمير المؤمنين، لو أن منادياً نادى: «يا مفلس» ما بقى أحد من أصحابك إلا التفت، فضحك وأمر بصلة أرزاقهم.

حقــا

الدنيا دول ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

لا يوجــد

لا يوجد الفخور محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً، ولا الملول ذا إخْوان .

انتظر الرخــاء

قال أبو تمام :

رأيت الحـرَّ يجتنب المخــازى
ويحميـه عن الغـدر الوفــاء
ومــا من شـدة إلا سيأتى
لهـا من بعد شـدتهـا رخاء

ألف و لام

مر رجل بـأديب فقال : كيف طـريق « البغداد » ؟

فقال : من هنا ..

ثم مر به آخر ، فقال : كيف طريق « كوفة» ؟

فقال : من هنا ، ثم عقَّب ـ فمع ذلك المار « ألف و لام » لا يحتاج إليهما ، وهو مستغن عنهما ، فخذهما فإنك أحوج إليهما منه .

فوائد التدخين

قالوا : إن المدخن يجنى من التدخين ثلاث فوائد :

هى أن شعر رأسه لا يشيب .

وأن الكلاب لا تعضه .

وأن اللصوص لا تدخل بيته .

ذلك : أنه يموت قبل أن يبلـغ سن الشيخوخة ، وأنه يصاب بارتجاف فى أعصابه فيضطر إلى التوكؤ على عصاه فلا تقربه الكلاب ، وأنه يسعل كثيراً فى الليل فيظنه اللص مستيقظاً فلا يدخل بيته .

نعم

الناس صنفان موتى فى حياتهم
وآخرون ببطن الأرض أحياء

البيت العتيق

قال الإمام النووى : إن الكعبة ـ شرفها الله ـ بنيت ست مرات :

إحداهن بناء الملائكة ثم آدم ـ عليه السلام ـ ثم سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم عبد الله ابن الزبير ، ثم الحجاج الثقفى ، ولذلك وصفها الله بالبيت العتيق .

وقالت طائفة : سمى عتيقا لأن الله يعتق فيه رقاب المذنبين من المؤمنين .

وقيل : لأن الله أعتقه من الغرق أيام الطوفان .

وقيل : أعتقه من أيدى الجبابرة .

دعــاء

اللهم إنى أستغفرك لما تبت منه ثم عدت فيه .

وأستغفرك لما وعدتك من نفسى وأخلفتك .

وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ما ليس لك .

وأستغفرك للنعم التى أنعمت بها علىّ فتقويت بها على معصيتك .

وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها .

تشابه مقاصد القرآن

لفضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

اشتهرت الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم بأنها الأمة التى تحمل كتابها فى صدرها ؛ بآياته تتعبد ، وعلى سنى ضوئه تهتدى ومنه تأخذ العبرة وتستلهم الرشاد ، لأنه كتاب ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ .

قال فيه صلى الله عليه وسلم ـ كما روى ذلك الإمام على كرم الله وجهه : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم . قلت : يارسول الله . وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تعالى : فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »[1] .

ولذلك عنى المسلمون به منذ فجر التاريخ عناية كبرى ، فتناولوه بالدرس والبحث فى شتى النواحى ، فمنهم من فسر مفرداته ؛ ومنهم من شرح معانيه ومنهم من اهتم بأسباب النزول ومنهم من شغل بألوان فصاحته وبلاغته وصور البيان المعجز فيه ومنهم من شغل بالمتشابه منه ، قال الكاتب رحمه الله :

قال الله تعالى فى الآية ٢٣ من سورة الزمر : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ فوصف القرآن بأنه كتاب متشابه ، وجعل هذا صفة مدح له ؛ وذلك لأن القرآن يشتمل على أنواع من الأوامر والنواهى والوعد والوعيد والقصص والمواعظ ، وما إلى هذا من الأنواع التى يشتمل عليها ، وتتكرر فى كل سورة من سوره ، وكلها أنواع متشابهة المقاصد ، متقاربة الأغراض ، لا تخرج عن الوظيفة الدينية للقرآن ، ولا تحيد عن الغاية الدينية التى نزل من أجلها ، لأنه نزل لتشريع العقائد والأحكام ، فيجب أن يقف عند حدودها ، وأن يكون كل ما فيه من أوامر ونواهٍ ، ووعد ووعيد ، وقصص ومواعظ ، وغيرها ، متصلاً بها ، فلا يقصد منه غير هذا من بيان مسائل التاريخ أو الطب أو غيرهما من العلوم ، لأنه لم ينزل لغرض من هذه الأغراض ، وإنما نزل للأغراض السابقة التى لا سبيل إلى معرفتها إلا بالوحى ؛ أما هذه الأغراض العلمية فإنها تعرف بالعقل ، ولا تتوقف معرفتها على الوحى ،

(١) رواه الترمذى

فلا يصح أن يخلط بينها وبين الأغراض السابقة فى كتاب دينى كالقرآن أو غيره .

وقد حددت الوظيفة الدينية للقرآن فى فاتحته ، وهى أول سورة منه ، فقال تعالى فيها: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ . وهو فى هذا يبين أنه يراد من القرآن الهداية إلى صراط مستقيم ، وهو الدين الذى بعث به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والكتاب يقرأ من فاتحته ، فهى التى تحدد المقصود منه ، وتبين الغرض الذى يريد تحقيقه . وقد توالت سور القرآن بعد هذه الفاتحة ، فسارت فى هذا الغرض الذى حدد فيها ، ولم تحد سورة منها عنه ؛ وبهذا تشابهت سوره فى أغراضها ومقاصدها ، كما تشابهت أوامره ونواهيه وما إليها مما اشتمل عليه .

فلم تعن سورة من سور القرآن بتدوين تاريخ الخلق مثلا ، أو تاريخ شعب من الشعوب ، أو تاريخ رسول من الرسل ، فتستن فى هذا أسلوبا تاريخيا يقصد منه الاطلاع ، ومعرفة الأخبار ، ويراد منه الكشف عما يجهله الناس منها ؛ لأن هذا ليس فى شىء من وظيفة الكتب السماوية ، ولا يتوقف أمره على تنزيل سماوى ، حتى ينزل به وحى من عند الله تعالى ، وإنما هو أمر فى متناول البشر ، يصلون إليه بعقولهم ، ويعرفونه باجتهادهم وبحثهم .

وقد يقال إن القرآن قد جاء فيه كثير من أخبار الماضين ، وقد نزلت فيه سور تكاد تكون مقصورة على أخبار رسول من الرسل ، ومن هذا سورة « يوسف » وسورة « طه » ، فالأولى مقصورة على أخبار يوسف عليه السلام ، والثانية تكاد تكون مقصورة على أخبار موسى عليه السلام .

والجواب أن القرآن لا يقص علينا أخبار الماضين كما يقصها المؤرخون ، لا يريدون منها إلا إفادة العلم بها ، وكشف المجهول منها ، وإنما يقصها ليستخلص منها العظة الدينية التى تدخل فى وظيفته ، وليكون منها تذكرة نافعة لنا فى دنيانا وأخرانا ، فلا يقص منها إلا الأخبار التى يمكن أن يستخلص هذا منها ، فيختارها اختياراً دون غيرها من الأخبار التى لا يقصد منها إلا الفائدة الإخبارية التاريخية . وهنا تختلف وظيفة الكتاب المنزل عن الكتاب التاريخى ، فالكتاب المنزل إذا ذكر أخبار قوم من الماضين يذكرها نتفا من هنا ونتفا من هناك . فيختارها اختياراً يوافق غايته الدينية ، أما الكتاب التاريخى فيذكرها كاملة غير منقوصة ، ويرتبها ترتيبا يوافق ترتيبها فى حوادث الزمن .

ويندر أن يقع فى القرآن قصة ترتب حوادثها ذلك الترتيب الزمنى ، ولا يكاد هذا يجاوز عدد أصابع اليد من السور ، ومن هذا قصة يوسف عليه السلام ، فإنها مرتبة ترتيبا زمنيا يبتدىء من صغره إلى أن وصل أمره فى مصر إلى ما وصل إليه ، ولكنها لا يذكر فيها مع هذا إلا ما يدخل فى باب العظة والعبرة ، فيحذف فيها ماعداه مما يدخل فى باب التاريخ المحض ، ولا يقصد منه إلا المعرفة والاطلاع ، لتوسيع الثقافة التاريخية ، وزيادة الثروة العلمية .

ولهذا كله امتاز القرآن من بين الكتب بأنه الكتاب الذى يقرأ ويتلى ، وتكرر تلاوته وقراءته ، فلا يمل ذلك قارئه وتاليه ، لأنه يتلوه للعظة

←

من روائع الماضى

والتذكرة ، والإنسان كثيراً ما يعتريه النسيان ، وتعتوره الغفلة ، فيحتاج إلى تكرير ما يعظه ويذكره ، لتستمر له أسباب العظة والتذكير ، وتتهيأ له وسائل السعادة فى دنياه وأخراه ، لأنه يكرر ذكر خالقه وما له عليه من حقوق ، وهى حقوق ترجع إلى تهيئة وسائل تلك السعادة له ، ليعيش فى الدنيا رغيد العيش ، محبا لكل من تربطه به صلة قرابة أو دين أو وطن أو إنسانية أو حيوانية ، وبهذا ينال السعادة فى أخراه كما نالها فى دنياه ، لأن الدنيا قنطرة الآخرة .

ولهذا كله امتاز القرآن بهذا الاسم من بين الكتب ، لأن القرآن مصدر قرأ يقرأ قرءا وقراءة وقرآنا ، فتعرف حقيقته من عنوانه ، وتدرك وظيفته من اسمه وقديما قالوا : إن الكتاب يقرأ من عنوانه .

فإذا أردنا أن نوازن فيما امتاز القرآن به من ذلك كله وبين التوراة الموجودة الآن ، وجدنا أن التوراة تشتمل على خمسة أسفار :

١ ـ سفر التكوين ، وهو يشتمل على التاريخ القديم ، من بدء الخلق إلى موت يوسف عليه السلام .

٢ ـ سفر الخروج ، وهو يشتمل على تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر ، كما يشتمل على كثير من المسائل التشريعية والطقوس الدينية .

٣ ـ سفر اللاويين ، وهو يشتمل على الطقوس الدينية الخاصة بتقديم القرابين ، وعلى طقوس الكهان من أبناء هارون .

٤ ـ سفر العدد ، وهو يشتمل على تاريخ خروج بنى إسرائيل من سيناء إلى شرق الأردن ، وعلى بعض الرسوم الخاصة بالطقوس والعبادات .

٥ ـ سفر التثنية ، ويراد منه تثنية الشريعة أى إعادتها مرة ثانية لتطهير طقوسها .

وإذا تركنا التوراة إلى الأناجيل الأربعة الموجودة الآن ، نجدها تمضى فى أسلوب التوراة ، وهى : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا ؛ والأربعة لا يقصد منها إلا تدوين تاريخ المسيح عليه السلام ، فتذكر فيها سيرته إلى نهايتها ، وتدون فيها أفعاله وأقواله .

ولا شك أن التوراة والأناجيل تجمع فى هذا بين وظيفة المشرع والمؤرخ ، وهما وظيفتان لا تتشابهان بل تتباينان ، لأن الوظيفة الأولى إلهية ، والوظيفة الثانية بشرية ، ولها وسائلها التى تعتمد عليها من المشاهدة والرواية ، بخلاف وظيفة التشريع ، فإنها تعتمد على الوحى من الله تعالى .

اللغة والأدب والنقد

من قضايا الاختزال

دفاع عن السيرة النبوية

من قضايا الاختزال

في كلام العرب

٣

للأستاذ / عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد

ويقول الأشموني : فإن قلت : جعلُ هذا المنصوب حالاً مبنى على أن « كان » تامه ، فلم لا جعلت ناقصة والمنصوب خبرها ، لأن حذف الناقصة اكثر ؟

فالجواب انه منع من ذلك امران :

أحدهما : انا لم نر العرب استعملت في هذا الموضع إلا اسماء منكورة مشتقة من المصادر فحكمنا بانها احوال ، إذ لو كانت اخباراً « لكان » المضمرة لجاز ان تكون معارف ونكرات ومشتقة وغير مشتقة .

الثاني : وقوع الجملة الاسمية مقرونة بالواو موقعة كقوله عليه الصلاة والسلام : اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد(٤٨) .

ثم يقول ايضاً : فإن قلت فما المحوج إلى إضمار كان لتكون عاملة في الحال وما المانع أن يعمل فيها المصدر ؟ فالجواب : أنه لو كان العامل في الحال هو المصدر لكانت من صلته فلا تسد مسده ، فيفتقر الأمر إلى تقدير خبر ليصبح عمل المصدر في الحال فيكون التقدير : ضربي العبد مسيئا موجود ، وهو رأى كوفي(٤٩) .

ويدفع الصبان هذا المعنى قائلاً : وهو معترض بفوات المعنى المقصود عليه من الحصر أي حصر الضرب مثلاً على كونه حال الإساءة(٥٠) .. وعلى كلامهم يكون الحذف جائزاً لا واجباً لعدم سد شيء مسده(٥١) .

هذا وقد رأى الأخفش أن الخبر المحذوف مصدر مضاف إلى صاحب الحال فيقدر في ضربي زيد قائماً ، ضربه قائماً(٥٢) .

وقد منع « الفراء » أن تكون الحال ـ هنا ـ فعلاً مضارعاً ، وأجازه « سيبويه »(٥٣) ومنه قول رؤبة :

ورأى عيني الفتى أخاك

يعطى الجزيل فعليك ذاكا

ومنه قولهم : سمع أذني زيدا يقول ذاكا(٥٤) ، فجملة يعطى الجزيل ، « يقول ذاكا »

(٤٨ ، ٤٩) شرح الأشموني ٢١٩/١ .
(٥٠) جعل المصدر المضاف مشابها للمعرف بأل الجنسية .
(٥١) حاشية الصبان ٢١٩/١ .
(٥٢) منار السالك ١٢١/١ ، شرح الأشموني ٢٢٠/١ .
(٥٣) شرح الأشموني ٢٢٠/١ .
(٥٤) كتاب سيبويه ١٩١/١ .

حاليتان ، وقد سدتا مسد الخبر ..

وإذا صلحت الحال لتكون خبر المبتدأ يتعين فيه الرفع ، فلا يجوز : ضربى زيدا شديداً(٥٥) وشذ من ذلك قولهم - العرب فى أمثالهم - : « حكمك مسمطا » ، فى « مسمطا » حال من الضمير المستتر فى الخبر المحذوف وجوبا ، وتقديره : لك ، ووجه شذوذه أمران : نصب الحال من صلاحيته للخبر ، ومجىء الحال من ضمير المصدر المستتر فى الخبر ، لا من ضمير معمول المصدر(٥٦) .

ويعد هذا الفكر النحوى الرصين فى تلك المسألة يرى الدكتور « شوقى ضيف » فى مقدمات كتاب « الرد على النحاة » لابن مضاء القرطبى ، أن هذه الحال التى سدت مسد الخبر هى الخبر ، فهو يقول : « وقد جاء الخبر منصوباً فى مثال يقره النحاة ، وهو ضربى العبد مسيئا غير أنهم يعربونه حالاً ، ولكننا لا نوافقهم على هذا الإعراب ، بل نحن نعربه خبرا منصوبا(٥٧) .

وأعتقد أن إحالة الباحث على فهم ما يقوله النحاة - هنا - هو خير رد عليه وعلى من يسير وراءه ، وليس فى ذلك جمود وحبس للفكر على ما قاله القدماء ، لأن الباحث يدعى أنه يقول بذلك الرأى تعميما للقواعد ، فأى تعميم هنا إذا قلنا : إن خبر المبتدأ يعرب مرفوعاً حينا ويعرب منصوبا فى حين آخر ؟..

ثم إن دلالة الحال غير دلالة الخبر من حيث المعنى ، وإن كانت الحال تتضمن اخبارا عن صاحبها ، إلا أنها ليست الخبر من كل الوجوه ، ولنأخذ مما قاله النحاة فى نفس المثال شاهداً على الفرق بين الحال والخبر ، ففى قولنا : « ضربى العبد شديد » ، تعرب « شديد » خبرا فقط ، لأن الشدة تصلح أن تكون خبرا عن الضرب ، وفى قولنا : ضربى زيدا قائماً « قائما » ، تعرب حالا فقط ، والخبر مختزل وجوبا ، وقد سدت هذه الحال مسده ، و لايصح أن نقول : إن « قائم » خبر عن الضرب ، لأن الضرب لا يوصف بالقيام .

٢ - حذف النون من مضارع يكون فى حالة الجزم :

اجاز النحاة حذف لام « يكون » إذا كان مجزوماً بالسكون وغير متصل بضمير نصب ولا بساكن نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ حذفت النون من المضارع المجزوم فى الوصل تخفيفاً(٥٨) .

٣ - حذف « كان » وبقايا اسمها وخبرها :

قال النحاة : يكثر ذلك الاختزال بعد أن المصدرية فى مثل : أما أنت منطلقاً انطلقت ، أصله انطلقت لأن كنت منطلقاً ثم قدمت اللام وما بعدها على انطلقت للاختصاص ، ثم حذفت اللام للاختصار ، ثم حذفت « كان » لذلك أيضاً ، فانفصل الضمير ، ثم زيدت « ما » للتعويض ، ثم ادغمت النون فى الميم للتقارب وعليه قول الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر
فإن قومى لم تأكلهم السبع

وأصله : لأن كنت ذا نفر فخرت(٥٩) .

ويرى الدكتور شوقى ضيف أن هذا التحليل النحوى عناء لا طائل تحته ، ويرى أن الأسهل إعراب « ذا نفر » خبر منصوب شذوذا(٦٠) ..

(٥٥) منار السالك ١٢١/١ .
(٥٦) منار السالك ١٢١/١ ، مسمطا : مرسلاً أو متمماً وتاج العروس ١٦٢/٥ .
(٥٧) مقدمة كتاب الرد على النحاة ص ٥١ .
(٥٨) منار السالك ١٤١/١ .
(٥٩) منار السالك ١٣٩/١ .
(٦٠) مقدمة كتاب الرد على النحاة ص ٥١ .

من قضايا الاختزال

ونقول للباحث : أيهما أولى بالأخذ به ؛ الحكم بنصب الخبر شذوذا أم التأويل والتقدير بما يكشف المعنى المراد لدى صائغ العبارة ؟

أعتقد أن التأويل والتقدير هو المنهج الأمثل والأفضل ..

٤ ـ حذف « كان » مع اسمها وبقاء خبرها :

يكثر هذا اللون من الاختزال بعد « إن » و« لو » الشرطيتين ، وقد صاغ ابن مالك هذه الحقيقة قائلاً :

ويحذفونها ويبقون الخبر : وبعد «إن» و«لو» كثيرا ذا اشتهرا فمثال ذلك بعد : قول ليلى الأخيلية .

لا تقربن الدهر آل مطرف
إن ظالما أبداً وإن مظلوماً

وقول العرب : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر أى : إن كان عملهم خيرا فجزاؤهم خير ، وإن كان عملهم شرا فجزاؤهم شر ، وإن كنت ظالماً وإن كنت مظلوماً[٦١] ومثاله بعد « لو » قوله عليه الصلاة والسلام : « **التمس ولو خاتما من حديد** » أى ولو كان الملتمس خاتما من حديد ، ومثله قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا
جنوده ضاق عنها السهل والجبل

أى : لا يامن صروف الدهر صاحب ظلم ولو كان ملكاً[٦٢] ..

٥ ـ حذف كان مع خبرها مع بقاء اسمها :

وقد أثبت النحاة أن هذه الصورة من الاختزال ضعيفة ، وعليه فيضعف أن نقول : الناس مجزيون بأعمالهم « إن خيرا فخير »[٦٣] ..

٦ ـ حذف الفعل :

لا يشك باحث فى أن الفعل من أهم أجزاء الكلام ، والجملة الفعلية أكثر الجمل شيوعاً فى الاستعمال ، بل التعبير بالفعل أساس التعبير فى العربية ، وهذا يقتضى أن يكون الفعل مذكوراً ، ولكن مناسبات القول قد تقتضى أحياناً عدم ذكره ، فيختزل ، وترك اظهار الفعل ظاهرة واسعة الحدود فى العربية ، فهناك كثير من التعبيرات لا يظهر فيها فعل[٦٤] .. وأعرض فيما يأتى صورا من التراكيب التى قضى النحاة فيها باختزال الفعل :

١ ـ اطراد حذف الفعل لوجود مفسرة :

يقول ابن هشام فى المغنى : « يطرد حذفه ـ الفعل ـ مفسرا ـ بفتح السين ـ نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ﴾ « التوبة ـ ٦ » ، ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ « الانشقاق ١ » ، ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ « الإسراء ـ ١٠٠ »[٦٥] .

ويقول الرضى : « إنما كان الحذف واجباً مع وجود المفسر نحو « استجارك » الظاهر ، لأن الغرض من الإتيان بهذا الظاهر تفسير المقدر ، فلو أظهرته لم تحتج إلى مفسر لأن الابهام المحوج إلى التفسير إنما كان لأجل التقدير ، ومع الإظهار

---

(٦١) كتاب سيبويه ١/٢٥٨ ، ٢٦١ .
(٦٢) منار السالك ١/١٣٨ .
(٦٣) منار السالك ١/١٣٩ .
(٦٤) فى النحو العربى قواعد وتطبيق ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٦٥) مغنى اللبيب ٢/٦٣٢ .

لا إبهام ، والغرض من الإبهام ثم التفسير إحداث وقع فى النفوس لذلك المبهم لأن النفوس تتشوق إذا سمعت المبهم إلى العلم بالمقصود منه وايضاً فى ذكر الشيء مرتين ، مبهماً ثم مفسراً توكيد ليس فى ذكره مرة ، وإنما لم يحكم بكون أحد مبتدأ واستجارك خبره لعلمهم بالاستقراء باختصاص حرف الشرط بالفعلية(٦٦) وقد ارتضى معربو القرآن الكريم هذا التحليل فالعكبرى يقول فى إعراب « أحد » : فاعل لفعل محذوف دل عليه ما بعده(٦٧) و« ابن الانبارى » يرى نفس الرأى فيقول : ارتفع « أحد » بفعل مقدر دل عليه الظاهر وتقديره : وإن استجارك أحد من المشركين استجارك ، لأن « إن » أم حروف الشرط فاقتضت الفعل ، فوجب تقديرى ، فارتفع الاسم بعده لأنه فاعله(٦٨) .

ويرى بعض الباحثين أن « أحد » فى الآية الكريمة تعرب « فاعل » للفعل « استجارك » ، وهذا مبنى على رأى من يقدم الفعل على فاعله(٦٩) وقد ارتضيت رأى من يرى عدم جواز ذلك لالتباس الفاعل بالمبتدأ .

وقد أورد « الرضى » رأيا نسب للاخفش بجواز وقوع الجملة الاسمية بعد « إن » الشرطية بشرط كون الخبر فعلاً(٧٠) .

وقد مال إلى رأى « الأخفش » صاحب « نظرية النحو القرآنى »(٧١) . ولكن الرضي أبطل ما نسب للأخفش(٧٢) .

ومثل ماسبق يقال فى قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ، وفى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ .. ﴾ « الإسراء ـ ١٠٠ » يرى « البلاغيون » أن الغرض من حذف الفعل هو : الدلالة على الاختصاص « فالأصل : لو تملكون تملكون » بالتكرار للتوكيد ، ثم حذف الفعل ، فانفصل الضمير ، وافاد « الاختصاص » ، أى أن الناس هم المختصون بالشح المتناهى ، ونظيره قول حاتم الطائى : « لو ذات سوار لطمتنى(٧٣) » .

٢ ـ كثرة حذف الفعل فى جواب الاستفهام :

من أمثلة هذا الاختزال قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ « العنكبوت ـ ٦١ » أى ليقولن خلقهن الله ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ « النحل ـ ٣٠ » أى قالوا أنزل خيراً(٧٤) وواضح مما سبق أن لسؤال ظاهر وقد يكون مقدرا كما فى قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ﴾ (النور ـ ٣٧) . فى قراءة من قرأ « يسبح » بالبناء للمجهول فكأنه قيل من يسبح فقيل : يسبح رجال(٧٥) .. ومثل الآية قول ضرار بن نهشل يرثى اخاه يزيداً :

لبيك يزيد ضارع لخصومه
ومختبط مما تطيح الطوائح

ببناء الفعل « يبك » للمجهول(٧٦) . فكأن سائلاً سأل : من يبكيه فقيل : يبكيه ضارع .. ومن الواضح هنا أن ذلك الحذف تدل عليه

البقية ص ١٢٧٦

(٦٦) شرح الرضى ١٩٩/١ .
(٦٧) التبيان ٦٣٦/٢ .
(٦٨) البيان فى غريب إعراب القرآن ٣٩٤/١ .
(٦٩) فى النحو العربى قواعد وتطبيق ١٢٩ .
(٧٠) شرح الرضي ١٩٩/١ .
(٧١) د . أحمد مكى الانصارى ٦٣ .
(٧٢) شرح الرضى ٢٠٠/١ .
(٧٣) علوم البلاغة (مبحث حذف المسند) ٩٩ .
(٧٤) انظر مغنى اللبيب ٦٣٢/٢ .
(٧٥) انظر علوم البلاغة ص ٨٦ وانظر حجة القراءات ص ٥٠١ .
(٧٦) علوم البلاغة ص ٨٦ وشرح الرضى ١٩٨/١ ، ١٩٩ .

على هامش النقد

دفاع عن السيرة النبوية

للأستاذ: السيد حسن قرون

يقول المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

ومن القادرين على التمام الدكتورة عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطىء، أستاذ التفسير والدراسات العليا كلية الشريعة - جامعة القرويين، مملكة المغرب.

والدكتور عبد الجليل شلبي الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية وعميد معهد إعداد الدعاة، إنهما يكتبان في السيرة النبوية ويفوتهما ما به يتم العمل ويكمل البناء.

ولنبدأ بالدكتورة بنت الشاطىء.

فلقد أتحفتنا ببحوث قيمة في رمضان هذا العام ١٤١٠ هـ.

بحوث تستهدف قضايا عصرية تمتد جذورها إلى العصور الخالية، وتربط بين الحديث والقديم برباط دائم الجدة وهو آيات الذكر الحكيم.

ومن عادتها أن تنتهز فرصة ذكرى غزوة بدر وهي في السابع عشر من رمضان، فتتذكر الأحداث والأسباب والشخصيات الإسلامية وأعداء الدعوة، وهنا تقع في هفوات طالما نبهت عليها. على أن الدكتورة - حسب علمي - أنها عرفت السيرة قارئة ودارسة ومؤلفة. نبهت عليها أن تراجع ما كتبت قبل، وأن تبعد عن هفوات هي قادرة على أن تنأى عنها.

في العام الماضي أخذت عليها أنها جعلت أبا سفيان ممن حضر غزوة بدر مع صهره عتبة ابن ربيعة وكان يمكنها أن تراجع، ولكنها في هذا العام وقعت في هفوة مماثلة جعلت خالد ابن الوليد ممن حضر غزوة بدر.

وهذا نص عبارتها قالت: «ومضى بها النفير إلى مكة (تقصد اعتراض المسلمين لقافلة قريش) فسرعان ما تمت التعبئة لقتال المسلمين في دار هجرتهم، وخرج من مكة أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي في نحو من ألف رجل بينهم أشراف قريش. معهم مائة فارس عليهم خالد بن الوليد بن المغيرة ..».

هذا كلامها ولا أدري من أي مرجع استقت الدكتورة خبر اشتراك خالد بن الوليد في غزوة

بدر وأنه على مائة فارس ، والمعروف أن خالد ابن الوليد لم يظهر على مسرح الحوادث إلا منذ غزوة أحد كفارس من الفرسان ، ولم يظهر فى أمر غزوة بدر إلا أنه سعى لفك أخيه الوليد بن الوليد من الأسر بدفع فدائه ، ومثل خالد لا يجهل أمره ، ولو اشترك فى بدر لجاء ذكره فى النزال والقتال وإطعام الجيش فهو لا يقل ثراء عن ابن عمه أبى جهل الذى عد من المطعمين (مطعمى أفراد الجيش) .

ولم أركن إلى معرفتى فراجعت الكتب المؤرخة للسيرة النبوية فلم أجد ذكرا لخالد بن الوليد ، ورجعت إلى « الطبقات الكبرى » لابن سعد كاتب الواقدى ، فوجدت فيها ترجمة لخالد وفيها إسلامه وتاريخ إسلامه فى صفر سنة ثمان من الهجرة ، وأردت معرفة موقفه من غزوة بدر فراجعت ترجمة أخيه الوليد بن الوليد ، فأمدنى ابن سعد بقوله عن الوليد : خرج إلى بدر يومئذ فأسره عبد الله بن جحش (من المهاجرين) ويقال سليط بن قيس من الأنصار ، فقدم فى فدائه أخواه : خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة فتمنع عبد الله بن جحش حتى افتكه بأربعة آلاف ، واستكثر خالد المبلغ فقال له أخوه هشام : إنه ليس بابن أمك ، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لقبلت . ويقال إن النبى ﷺ أبى أن يفديه إلا بشكة أبيه الوليد فوافق هشام وأبى خالد .

وكانت الشكة درعا فضفاضة وبيضة (خوذة) فأقيم ذلك بمائة دينار وطاعا وسلما ـ وهكذا يقول ابن سعد .

ومن العجيب أن الوليد أسلم فور أخذ حريته ورجع إلى النبى ﷺ وخالد يناديه : هلا كان هذا قبل أن تفتدى وتخرج مأثرة أبينا من أيدينا ؟

ثم رجعت إلى « عبقرية خالد » للمرحوم العقاد فوجدته يحكى قصة أسر الوليد وحديث فدائه ، ويذكر تأثير الوليد على خالد ليستجيب لدعوة الإسلام . فكان من واجب التمام والمناسب لعلم الدكتورة أن تتحقق من خالد بن الوليد وموقفه من غزوة بدر فلا تجعله على رأس مائة فارس ولم يكن فى المعركة ولم يكن بين من خرجوا لقتال المسلمين فى يثرب .

وفى أهرام ١٨ رمضان ١٤١٠ هـ عادت تتحدث عن غزوة بدر وتوازن بين موقف عتبة ابن ربيعة المائل إلى السلم وموقف أبى جهل الداعى إلى الحرب ـ ومؤاخذتى لها تنحصر فى فهم نصوص السيرة تقول الدكتورة : « فلما سمع ذلك حكيم بن حزام بن خويلد الأسدى (تقصد وصف جيش المسلمين) ـ سار إلى عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس فقال : ياأبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لاتزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ ترجع بالناس وتحمل دية حليفك عمرو بن الحضرمى ؟ قال عتبة قد فعلت . فاذهب إلى ابن الحنظلية ـ أبى جهل ابن هشام بن المغيرة المخزومى ـ فإنى لا أخشى أن يفرق غيره » ثم قام عتبة خطيبا فدعا إلى السلم . تقول الدكتورة : « وكان من أمر حكيم بن حزام أن أتى أبا جهل فأبلغه رسالة عتبة ، فسخر أبو جهل من عتبة وعيره بأنه تخوف على ابنه الوليد .. » .

هنا يحق لى أن أقول : إن الدكتورة لم تستوعب غزوة بدر كما ينبغى لمثلها أن تفعل ، وكان ينبغى أن تعلم أن عتبة له ولدان : ولد معه فى الجيش اسمه « الوليد » ، وآخر مسلم فى جيش محمد اسمه « أبو حذيفة » . وأن الدراسة تقول أن أبا جهل يقصد تخوف عتبة على ابنه « أبى حذيفة » لا على الوليد لأن أبا جهل يعتقد أن قريشا ستنتصر ويهلك أبو حذيفة . وإليك نص عبارة ابن هشام فى كتابه « السيرة النبوية » ، قال حكيم : (يخاطب أبا جهل) ياأبا الحكم إن عتبة

أرسلنى إليك بكذا وكذا للذى قال . فقال : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكن قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه حتى تخوف عليه » تأمل « أكلة جزور » إنها تفيد قلة جيش محمد وأصحابه ، وأين أكلة الجزور من أكلة العشر أو التسع التى قدرت بألف مقاتل أو تسعمائة وخمسين مقاتلاً ، وتأمل « وفيها ابنه » يعنى فى أصحاب محمد أبو حذيفة بن عتبة ، فهو الذى يخاف عليه وهو الذى يعنيه أبو جهل ، فلو قرأ المؤرخ غزوة بدر من بدء الاستعداد إلى اللقاء إلى نتيجة المعركة ، وما قيل فيها وعنها لوضع كل شخص فى محله . وخلاصة القول أن الوليد ليس مقصود أبى جهل ، وإنما مقصوده أبو حذيفة ، ويرضينى ويرضى الحقيقة أن تراجع الدكتورة أحداث السيرة النبوية قبل أن تشرع قلمها فى الكتابة أو التأليف .

ولا أترك أبا حذيفة حتى أعطيك صورة موجزة عنه : أسلم أبو حذيفة وهاجر بزوجته بنت سهيل بن عمرو العامرى إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وشارك فى غزوة بدر وأراد مبارزة أبيه عتبة فمنعه رسول الله ﷺ ، وحينها ذمته أخته « هند بنت عتبة » ووصفته بالحول .

ولما قتل أبوه وعمه شيبة وأخوه الوليد فى المعركة كان فرحا بالنصر بيد أنه بدت منه أمور سجلها كتاب السيرة .

١ ـ قال النبى ﷺ لأصحابه : أنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ولا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ... فقال أبو حذيفة أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لو لقيته لألحمنه السيف .. فبلغت رسول الله فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ـ قال عمر : والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ﷺ بأبى حفص ـ أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق ـ فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيداً .

٢ ـ ولما أمر رسول الله ﷺ أن يلقى القتلى من قريش فى القليب أخذ عتبة بن ربيعة فحسب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ فى وجه أبى حذيفة ابن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه فقال يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء فقال : لا والله يارسول الله ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك . فقال له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً .

هذا ما يتعلق بعتبة بيناه حتى لا نضل فى فهم السيرة النبوية . ومن ثم أقول للسيدة الفاضلة بنت الشاطىء :

ولم أر فى عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

ابن عوف

وما قلته للدكتورة بنت الشاطىء أقول مثله للدكتور عبد الجليل شلبى ، وهو زميلى فى الدراسة وأعرف حرصه على الحقيقة ، ولكن قلمه زل حين تحدث عن عبد الرحمن بن عوف وأبيه ، فقد كتب مقالاً فى جريدة الوفد بتاريخ ١٩/٤/١٩٩٠ عنوانه « الوليد بن الوليد مجاهد

باع دنياه بآخرته ، جاء فيه حديث عن جبابرة قريش وأبنائهم ما فيه العجب ، ولكن ذوى الميزة فيهم هم الذين أسلموا قبل الفتح وخالفوا آباءهم ، ولا نذكر أبا حذيفة وطلبه أن يحارب أباه وعبد الرحمن بن عوف وقتله أباه » .

كنت أود أن يراجع السيرة النبوية حتى لا يصف عبد الرحمن بن عوف بأنه قتل أباه ، وهذه تهمة لا دليل عليها كما نقول اليوم ، ولو بحثت فى كتب السيرة النبوية وكتب التاريخ عن هذا الخبر فلن تجد له أثراً ، وتجد فيه من اعطاء الفضائل بغير حساب ما لا يرضى الحقيقة ، ولبيان ذلك أقدم لك ما سجله التاريخ عن عبد الرحمن وأبيه عوف ، ولولا ما حدث لبنى جذيمة بعد فتح مكة بقليل ما عول التاريخ على أحداث الجاهلية ومقتل « عوف الزهرى » فبعد فتح مكة أرسل النبى ﷺ خالد بن الوليد على رأس كتيبة إلى ما حول مكة ولم يأمرهم بقتال ، ولما بلغ خالد بنى جذيمة أمرهم بوضع السلاح فامتثلوا إلا واحداً اسمه جحدم قال لقومه : ويلكم يابنى جذيمة ، إنه خالد ، والله لا أضع سلاحى أبداً ، ولكن قومه مازالوا به حتى نزعوا سلاحه ، فلما وضعوا السلاح أمر خالد بتكتيفهم ، فكتفوا ، ثم قتل منهم من قتل ، فلما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ : رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثم دفع الرسول ديات القتلى .

وما شأن عبد الرحمن بن عوف بهذا ؟ تقول الرواية وهى عن ابن هشام . قال عبد الرحمن لخالد : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال (خالد) إنما ثأرت بأبيك ، قال عبد الرحمن كذبت ، قد قتلت قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ، ثم انفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا روحة » .

ولم يترك ابن هشام الأمر عند هذا الحد ففصل ما أجمله وجعلوا عنوانه « ما كان بين قريش وبنى جذيمة فى الجاهلية » .

كان الفاكه بن المغيرة ، وعوف بن عبد مناف الزهرى ، وعفان بن أبى العاص بن أمية قد خرجوا تجارا إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما رجعوا إلى مكة حملوا معهم مال رجل من بنى جذيمة مات باليمن إلى ورثته ، فتعرض لهم رجل من جذيمة اسمه خالد بن هشام يمنعهم من الوصول إلى أهل الميت وأراد أخذ المال فأبوا فقاتلهم بمن معه من قومه فقتل عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عفان وابنه عثمان ، وأصابوا مال عوف والفاكه فانطلقوا به ، ولم يترك عبد الرحمن بن عوف الميدان حتى ثأر لأبيه فقتل خالد بن هشام . ونتج من ذلك تأهب قريش لحرب جذيمة ، وانتهى الأمر بالصلح ودفع ديات قتلى قريش .

فالصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف لم يقتل أباه ، ولكنه ـ فى الجاهلية ـ قتل قاتل أبيه كما قال ذلك لخالد أثناء الحوار . ولذا أقول للدكتور عبد الجليل تثبت قبل أن تبعث قضايا فى حاجة إلى بينة ، وما أكتبه أنا بالنسبة لما يكتب عن الصحابة والأحداث أعده دفاعاً عن السيرة النبوية ، والله الموفق ...

من خير ما انتشر

عادل رفاعى خفاجة
أحمد تقى الدين

الالتزام بكتابة القرآن الكريم بالحرف العربى :

أصدرت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى بياناً ، تحذيراً للمسلمين من كتابة النص القرآنى بغير الحرف العربى .. جاء فيه :

درجت كثير من الصحف والمجلات والمطبوعات الإسلامية وغيرها على كتابة النصوص القرآنية بغير الحرف العربى ، الأمر الذى يؤدى إلى إخراج الرسم القرآنى عن إعجازه المنطوقى والمدلولى والجمال التجويدى ، فيذهب بجمال القرآن ورونقه . وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه عربى مبين فقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ ولا يكون القرآن كذلك إلا إذا كان الخط واللفظ عربيين ، ولقد اهتم المسلمون بالمحافظة على كتاب رب العالمين فذهب البعض يحفظونه بالصدور حسبما انزل ، وذهب آخرون يحفظونه بالصدور والتدوين والكتابة ، وعبر جميع العصور يقيض الله لكتابه من يحافظ عليه من حيث العابثين وباطل المبطلين ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ولقد عرض موضوع كتابة القرآن الكريم بغير الحرف العربى على المجمع الفقهى الإسلامى التابع للرابطة . فأصدر المجمع فتوى بعدم جواز ذلك ، وحافظ على الرسم الذى كتب به مصحف عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضى الله عنه ، والذى اجتمع عليه المسلمون إلى يومنا هذا ، ومن هنا ندعو جميع الإخوة المسلمين إلى الالتزام بكتابة النص القرآنى عند الاستشهاد به بالحرف العربى وعدم كتابته بغير ذلك تأدباً مع كتاب الله وامتثالاً لأمره .

والله من وراء القصد .

مجلة رابطة العالم الإسلامى

قرآن وسنة

لفضيلة الأستاذ : عبد الجليل شلبى

ليس فى استطاعة الحكومات أيا كان سلطانها وأيا كانت دقتها أن تقضى على الفساد فى الدولة إلا بسلطان الدين ، وإيقاظ مشاعره فى قلوب الناس ، وإن عظات الواعظ أفعل فى قلوب الناس واقضى على الشر من فيلق من الحراس . ذلك أن الواعظ يشعر كل واحد أن عين الله ترقبه ، وأن الله معه فى كل مكان ، فيرجو رحمة الله ويخاف عذابه وبذا يستقيم سلوكه تلقائياً .

وحياتنا الآن تحيط بها وتغمرها أنواع من المفاسد والشرور لن يقضى عليها إلا بإحياء مشاعر الدين ، فقد ضاعت حقوق ، وظلم ضعاف ، وأخذ كبار ما ليس من حقهم .

وساد فساد الأعمال وعدم إتقانها لنوم الضمائر وخراب الذمم ، وإن الله يحب لكل

شخص إذا عمل عملاً أن يتقنه ، وهو سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولكن يدرك ذلك الذين يدركون حقائق الدين .

ونحن بحاجة إلى مراجعة موقفنا ، وإعطاء داعية الدين حقه ، والعمل على إعادة ما كان له في النفوس ، ليس الإسلام مجرد عقوبات تتمثل في قطع أيدى السراق ، إنما هو قوانين واسعة مفصلة وأول باب فيها باب الإخلاص .

عن صحيفة « الجمهورية »

الأقليات الإسلامية مستقبل الأمة

الأقليات المسلمة لها دور مهم في مستقبل الأمة الإسلامية لأنها بمثابة الممثل الحقيقى للإسلام في هذه المجتمعات التى تحتاج إلى معرفة الإسلام معرفة صحيحة من مصادره .... وإلى معرفة حقائق الإسلام ومفاهيمه وما يقدمه من حلول إيجابية للمشكلات المعاصرة التى تواجه البشرية .

وتنمية الأقليات المسلمة يعطيهم مكانة داخل مجتمعاتهم ويجعل لهم وزناً مؤثراً للدفاع عن حقوقهم وللدفاع عن قضايا الإسلام وتقديمه للغير والدعوة إلى اعتناقه نظراً لأن هذه الأقليات هى في حقيقتها وواقعها بعثة إسلامية مقيمة إقامة دائمة في نطاق المجتمعات الدولية على اختلاف انتماءاتها العقدية .

والسبيل إلى الحفاظ على الأقليات المسلمة وحمايتهم يتمثل في الحفاظ على هويتهم الإسلامية المتمثلة في عقيدتهم وشريعتهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الدينية وأن ترفع عنهم الذلة أو الاضطهاد أو التهجير الذى تمارسه ضدهم بعض الدول .

فالجهود الإسلامية يجب أن توجه وأن تنسق للإبقاء على العقيدة الإسلامية نقية لدى الأقليات المسلمة لأن الأخطار التى يواجهها هؤلاء متمثلة في أخطار العزلة عن العالم الإسلامى وما ينتج عنها من ترك الميدان خالياً أمام المنظمات المعادية للإسلام والمسلمين كى تغتال عقيدتهم وتعمل على طمس معالم هويتهم .

ونحن نحب أن [ينتشر] الدين الإسلامى في العالم كله لا من منطلق التعصب لديننا ولكن من منطلق أن الإسلام هو الدين الذى اختاره الله تعالى لإنقاذ البشرية من المشكلات التى تواجهها ، باعتباره الدين الخاتم الذى يحقق السعادة للبشرية .

المجلة العربية

بدون تعليق

إذا كان زعيم كتلة الليكود إسحاق شامير قد نجح في تشكيل حكومة برئاسته من الأحزاب الدينية الصغيرة والكتل اليمينية المتطرفة ، فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : إلى أين ستتجه هذه الحكومة بالنسبة للموضوعات الأساسية وعلى رأسها المسيرة السلمية في الشرق الأوسط ؟

إن التوقعات تشير طبقاً لما يراه المراقبون إلى أن عملية السلام ستظل متوقفة وسيتم بناء مزيد من المستوطنات في الأراضى العربية المحتلة ، وستقوى الانتفاضة الفلسطينية وتتضاعف وفي المقابل فإن الجيش الإسرائيلى سيقوى قبضته .. ومثل هذا الأمر إذا استمر يمكن أن يخلق حالة حرب يصعب التنبؤ بنتائجها ، وتعد هذه التوقعات نتيجة طبيعية للخطوط العريضة لسياسة الحكومة الإسرائيلية الجديدة والمتمثلة فيما يلى :

←

من خير ما نشر

١ ـ العمل على استيعاب الهجرة اليهودية المتدفقة إلى إسرائيل والتى من المتوقع أن تصل إلى ٢٥٠ ألف مهاجر خلال العام الحالى .

٢ ـ القضاء على الانتفاضة الفلسطينية فى الأراضى العربية المحتلة .

٣ ـ معارضة إقامة دولة فلسطينية بين البحر الأبيض المتوسط ونهر الأردن .

٤ ـ عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

٥ ـ التعهد بتعزيز الجيش الإسرائيلى .

وجدير بالذكر أن وزارة العلوم والتكنولوجيا فى الحكومة الإسرائيلية الجديدة سيتولاها « يوفال نئمان » الذى يطلقون عليه فى إسرائيل : أبو القنبلة الذرية ، ولأول مرة تشارك فى الحكومة الإسرائيلية أحزاب متطرفة تنادى بالترحيل الجماعى للفلسطينيين وهى أحزاب « هاتحياه » و « تسومت » ولهما خمسة مقاعد فى الكنيست الإسرائيلى .

ولا يرى شامير أن حكومته متطرفة بل يقول إنها تمثل أوساطاً واسعة من الشعب الإسرائيلى .

صحيفة « الأخبار »

من قضايا الاختزال « بقية »

القرائن والأحوال ، « ومتى توافرت الدلائل على شىء من الكلام ترك إظهاره[٧٧] ..

ويكثر حذف الفعل أيضاً إذا كان قولا ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾ « الرعد ٢٣ ، ٢٤ » ، أى يقولون : سلام عليكم ، وينقل ابن هشام عن أبى على قوله : « حذف القول من حديث البحر ، قل ولا حرج »[٧٨] ..

ومما ذكره « ابن هشام » فى حذف الفعل قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (النساء ـ ١٧١) ، التقدير : وأتوا خيرا لكم ، وقال الكسائى : يكن الانتهاء خيرا ، ورأى الفراء أنه لا حذف للفعل هنا بل التقدير : انتهاء خيرا لكم « فخيرا نعت لمصدر محذوف »[٧٩] .. وفى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (الحشر ـ ٩) .

يقدر ابن هشام الفعل قائلا : أى : واعتقدوا الإيمان[٨٠] .. ويقدر الزمخشرى الفعل قائلا : وأخلصوا الإيمان[٨١] .. وفى قول الشاعر :

علفتها تبنا وماءا باردا
حتى شتت هما له عيناها

يقدر ابن هشام الفعل المحذوف بـ « سقيتها » ، ثم يورد رأيا يقضى بعدم الحذف على تضمين علفتها معنى : أنلتها وأعطيتها[٨٢] .

---

(٧٧) فى النحو العربى قواعد وتطبيق ص ١٢٦ .
(٧٨) مغنى اللبيب ٢/٦٣٢ .
(٧٩ ، ٨٠) مغنى اللبيب ٢/٦٣٢ .
(٨١) الكشاف ٢/٤٤٧ الأولى .
(٨٢) مغنى اللبيب ٢/٦٣٢ .

أنباء وآراء

إعداد الشئون الفنية لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

أنهى المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة جلسات الاجتماع الثامن لهيئة الرئاسة والذى تم عقده بمقر المجلس بالقاهرة يومى (١٦ ، ١٧ من ذى القعدة ١٤١٠ هـ الموافق التاسع والعاشر من شهر يونيو الحالى برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر حيث تمت مناقشة موضوع هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل ، وقرار الكونجرس الأمريكى المتعلق بالقدس ، وأثر ذلك على المستوى الرسمى والشعبى ، وما قامت به المنظمات الأعضاء فى العواصم الإسلامية المختلفة من جهود حول هذه القضية .

« واستعرض المجلس ما تم من إعداد لعقد ندوة دولية فى عمان فى أواخر الشهر الحالى لمناقشة ما جدّ فى القضية الفلسطينية والقدس ، واستمرار دعم المؤسسات الدينية والثقافية والمساجد فى المناطق المحتلة وقرر المجلس دعم القائمين على أمر المسجد الأقصى بكافة الإمكانات . كذلك درس المجلس ظروف الانتفاضة الفلسطينية الباسلة ، ودعا الحكومات والشعوب الإسلامية إلى ضرورة دعمها وتطويرها وقرر العمل على التنسيق بين المنظمات الأعضاء لتعزيز جهودها فى مناصرة الانتفاضة .

وأمام ما ينشر من حملات فى الغرب ضد الإسلام قرر المجلس عقد ندوة إعلامية فى بغداد لدراسة هذه الظاهرة ورصد تطوراتها ، ووضع أساليب مواجهتها ، وإنشاء مركز إعلامى فى أوروبا لمواجهة هذه التحديات والتنسيق بين المنظمات الإسلامية العاملة حالياً فى أوروبا وفق خطة موحدة للإسهام فى هذا المجال .

كذلك تقرر عقد سلسلة من الاجتماعات للتنسيق بين هيئات الإغاثة العاملة فى كل من افغانستان وفلسطين والسودان بهدف تكثيف الجهود وتفادى الازدواجية ، كذلك درس المجلس اوضاع بعض الشعوب والأقليات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى ، وبلغاريا ، واليونان وغيرها من خلال التقارير التى تلقتها الأمانة العامة فى هذه الفترة وتقرر مساعدة المسلمين فى هذه المناطق فى الحقول الثقافية والاجتماعية .

واستمع المجلس إلى شرح لظروف قضية كشمير من ممثل عن الوفد الباكستانى الوطنى ، وقرر المجلس الاستمرار فى دعم شعب كشمير ، وحقه فى تقرير مصيره . وإجراء الاستفتاء الذى اقرته الأمم المتحدة وقبلت به الحكومة الهندية باعتباره الحل الوحيد للمشكلة . ودعا المجلس الدول الإسلامية إلى دعم الباكستان ، ودعوة الهند للقبول بقرارات الأمم المتحدة ، والتجاوب مع مطالب الشعب الكشميرى العادلة .

وقد أقر المجلس اللوائح الداخلية للجانه المتخصصة وهى :

لجنة التعليم والدعوة ومقرها القاهرة.

ولجنة التمويل والاستثمار ومقرها الكويت .

←

أنباء وآراء

ولجنة المعلومات والمتابعة ومقرها مكة المكرمة .

ولجنة الإغاثة العامة ومقرها جدة .

ولجنة النشر والإعلام ومقرها بغداد .

وتمت الموافقة على تعيين ضباط اتصال بين المنظمات الأعضاء فى المجلس ، وإنشاء مركز لدراسة القضايا الإسلامية المعاصرة يلحق بالأمانة العامة بالقاهرة وتكون مهمته متابعة القضايا المطروحة على الساحة بهدف تحديد مواقف موحدة إزاء تلك القضايا .

كما تقرر عقد الاجتماع السنوى للهيئة التأسيسية للمجلس فى منتصف شهر أكتوبر القادم حيث ستعرض المشاريع المشتركة التى تعدها الأمانة العامة لإقرارها من الهيئة التأسيسية وتحديد إسهام كل منظمة فى تلك المشاريع .

ودرس المجلس ما تم من اتصالات حول الإسهام فى إنهاء النزاع الموريتانى السنغالى والحيلولة دون التفاعلات السلبية فى أفريقيا نتيجة لهذا النزاع ، الذى تغذيه الدوائر الصهيونية والاستعمارية ، وقد أرسل المجلس برقية للرئيس محمد حسنى مبارك تأييدا لمساعيه وجهوده التى يبذلها للوصول إلى حل هذا النزاع ، ومساعيه إزاء مشكلة هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل .

وشكل المجلس وفدا للتوجه إلى كل من موريتانيا والسنغال يحمل دعوة المجلس للمسئولين فى البلدين للتجاوب مع المساعى المبذولة لحل هذا النزاع بالطرق السلمية وكذلك تكثيف أعمال الإغاثة فى البلدين .

وإزاء الحملة الظالمة ضد العراق الشقيق فى أجهزة الإعلام الغربية والتهديدات الإسرائيلية قرر المجلس القيام بنشاط إعلامى لتوضيح أبعاد هذه المؤامرة ، ودعوة الدول الإسلامية والصديقة لمناصرة العراق ووجه المجلس برقية للرئيس صدام حسين تأييدا لموقفه .

كما قرر المجلس المشاركة فى المؤتمر الإسلامى الشعبى لنصرة العراق والذى سيعقد فى بغداد فى السادس عشر من هذا الشهر .

وقرر المجلس دعم القائمين على أمر المسجد الأقصى بكافة الإمكانات .

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفداً يمثل البرلمان الباكستانى من أحزاب الحكومة والمعارضة وقد دار الحوار حول توضيح قضية كشمير من وجهة النظر الباكستانية أمام فضيلة الإمام الأكبر .

دعا فضيلته المسلمين هناك إلى التمسك بوحدتهم والإعلان عن قضاياهم أمام كافة المحافل والمؤسسات الدولية .

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته وفدا من علماء نيجيريا برياسة الشيخ (آدم عبد الله إلورى) كبير علماء نيجيريا وقد قدم الوفد دعوة لفضيلة الإمام الأكبر مؤكدة من رئيس جمهورية نيجيريا وعدة دعوات من كبار الشخصيات والمؤسسات الإسلامية فى نيجيريا لحضور الاحتفالات بمناسبة مرور أربعين عاما على إنشاء مركز التعليم العربى والإسلامى فى لاجوس . وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الدعوة .

■ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وفداً من علماء وأساتذة

الجامعة الإسلامية الحكومية بأندونيسيا وقد تفضل الإمام الأكبر بإلقاء كلمة جامعة فى هذا اللقاء ، وفى نهاية اللقاء شكر الأعضاء لفضيلة الإمام الأكبر حسن استقباله وكريم نصحه وتوجيهه .

حزب إسلامي وصحيفة إسلامية فى روسيا

ذكرت جريدة (الحياة اللندنية) فى عددها الصادر يوم الخميس ١٤ من ذى القعدة الموافق ٧ من يونيو ١٩٩٠ م أنه تم إنشاء أول حزب إسلامى فى روسيا منذ الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م .

وسوف يعقد الحزب مؤتمره التأسيسى فى التاسع عشر من ذى القعدة ١٤١٠ هـ فى مدينة (استخان) الواقعة جنوب روسيا وهى العاصمة القديمة لدولة القبيلة الذهبية الإسلامية التى نشأت فى القرن الثالث عشر الميلادى على ضفاف نهر القوقاز وضمها القياصرة الروس فى القرن السادس عشر إليهم .

جاء ذلك على لسان ممثل الجبهة الشعبية الأذربيجانية (تيمور عثمان) وذكر بأنه سوف تصدر صحيفة إسلامية باسم «نور الإسلام» .

المسلمون فى كينيا

يبلغ عدد المسلمين فى كينيا حوالى (٧) ملايين مسلم يمثلون ٢٥٪ من عدد السكان البالغ عددهم ٢٤ مليون نسمة وينتشر التعليم الإسلامي واللغة العربية فى (الخلاوى) والمدارس الأهلية .

وقد وافقت الحكومة الكينية مؤخراً على إدخال التعليم الإسلامى واللغة العربية فى المدارس الحكومية ، ولكن هناك بعض الصعوبات التى تواجه انتشار التعليم الإسلامى بكينيا منها : عدم توافر المدرسين الأكفاء وعدم توافر المدارس الثانوية الإسلامية باستثناء مدرستين فقط .

وناشدت الحكومة الجاليات والمؤسسات الإسلامية المساعدة فى بناء المدارس لعدم قدرتها على البناء فى الوقت الحاضر .

تشكيل أول مجلس محلى للمساجد فى كندا

شُكل مؤخراً فى كندا مجلس محلي للمساجد فى تورنتو وهو فرع للمجلس العالمى للمساجد .

وقد حدد المجلس المحلى أعماله وأعد لائحته الداخلية وبدأ نشاطه لصالح الدعوة الإسلامية فى كندا ومشاريع المساجد بها بشكل خاص.

قوات النظام العنصرى بجنوب أفريقيا تهاجم المسلمين أثناء الصلاة

وقع صدام عنيف بمدينة (أثلان) التى تقطنها أغلبية مسلمة بجنوب افريقيا بين قوات النظام العنصرى وبعض المواطنين المسلمين .

حيث اطلق رجال الأمن النار على المصلين أثناء صلاة الجمعة فى مسجد المدينة .

احتجاجات شعبية فى بنجلاديش على نقل الجامعة الإسلامية

اجتاحت مدن (دكا) و (غازى فور) مظاهرات عارمة بسبب اعتزام الحكومة نقل الجامعة الإسلامية من مدينة غازى فور إلى القرية المسماة « شانتى مانقا » التى تقع فى المنطقة الغربية (كوسيتا) قرب الحدود الهندية وأوضحت الأنباء أن هذا القرار أثار القلق بين أبناء الشعب البنجلاديشى المسلم وأعلنوا الاستياء العام والتحذير من هذا الإجراء .

الفهرس السنوى

المجلد الثانى والستون ١٤١٠ هـ

مرتبا حسب الحروف الهجائية

المقالات

إعداد
أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد زكى حسن

الموضوع	الصفحة
حرف الألف	
الائتمان فى البنوك التجارية وآثاره الربوية	٢٥
إبراهيم عبد القادر المازنى إسهام رائد فى درس الأدب المقارن	٨٢٨
أجرنى (قصيدة)	٨١٩
الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرنا على وفاة الإمام الطبرى	٨
أحمد السيد الكومى (الدكتور) (من أعلام الأزهر)	٢٥٩
أحمد الطاهر الحامدى (الشيخ) (من أعلام الأزهر)	٦٩٠
أحمد فهمى أبو سنة (الدكتور) (من أعلام الأزهر)	١٤٣
أحمد محمد شاكر (الشيخ) (من أعلام الأزهر)	٥٧٦
اختلاف الرأى لا يبرر الجريمة (من روائع الماضى)	١٠٤٦
الإخلاص روح التقوى	٥٦٩
إدارة الرسول - ﷺ - للصراع فى شبه الجزيرة العربية ونتائجه الاستراتيجية	٢٠٨
	٢٤٣
أسباب تأخر المسلمين فى العصور الأخيرة وعلاج هذا الموقف (من روائع الماضى)	١١٥٨
استخلاف الإنسان فى الأرض	٦٦٠
الاستغفار نفسياً	١٢٣٠
الإسراء والمعراج (من روائع الماضى)	٧١٢
الإسراء والمعراج نعمة من الله ومنحة أذهبت المحنة	٨٧١

(١) جرى الترتيب على نظم الحروف الهجائية بدون اعتبار (الـ) فى اسم المقال ، فعلى الباحث فى هذا الفهرس أن يسقط (الـ) من اسم المقال وينظر ما يليه ، وإذا كان (الـ) فى علم فإنه يعتد به ويدرج فى باب الألف .

الموضوع	الصفحة
الإسراء والمعراج ومشاهد التكريم للنبى - ﷺ -	٦٦٦
الأشهر الحرم (من روائع الماضى)	١٥٦
الأشهر الحرم وواجب المسلمين نحوها	١١١٨
أضواء على رحلات اليهود من الشرق	٤٦٠
إلى جولة جديدة	٥٢٩
إلى القادة العرب (قصيدة)	١١٤١
الإمام على - كرم الله وجهه -	٥٠٦
الأمطار الحمضية	٦٩٨، ٨١٠
أنباء وآراء	٨٢، ١٧٦، ٣٠٥، ٤٠١، ٥١٢، ٦٢٤، ٧٣٣، ٨٤٨، ٩٥٩، ١٠٧٠، ١١٨٤، ١٢٧٧
انتفاضة الأشبال فى فلسطين (قصيدة)	٤٨٣
الانتفاع بالوقت	١١٧
الاندماج النووى	٨١٤
الإنسان وقضايا العلم المعاصر	١١٤٨
الإنسان وقضايا العلم المعاصر	١٢٥٤
الانشطار النووى فى توليد الكهرباء	٥٩١
أهلاً بقدومك ياعيد (قصيدة)	١٠٤٢

الموضوع	الصفحة
أهلاً وسهلاً (قصيدة)	٥٩٦
الإيدز وباء وبلاء	١٥١
إيماءات وإيحاءات من الإسراء والمعراج مع الإمام الأكبر	٦٤٦
أين المبادىء ؟	٣٢١
حرف الباء	
بالهجرة قامت أمة وتأسست دولة	١
بدر البطولة والفداء (قصيدة)	٩٤٠
بروحى أراك (قصيدة)	٨١٨
بشارة الإيمان والعمل الصالح	٣٢٦
بمولد الرسول - ﷺ - ولدت أمة وقامت دولة	٣٢٣
بيان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فيما يتداول من حديث البنوك	٩٩
حرف التاء	
التابعون تلامذة الصحابة	
(أ) عكرمة - رضى الله عنه -	٥٤٣، ٦٧٤، ٧٧٥، ٨٨٦
(ب) مجاهد بن جبر	١٠٠٠، ١١١١
تحية شهر رمضان (من روائع الماضى)	٩٤٤
تحية للأزهر الشريف (قصيدة)	١١٤٢

الموضوع	الصفحة
تزكية النفوس فى عالمنا المعاصر	١٠٠٤
تشابه مقاصد الإسلام (من روائع الماضي)	١٢٦٢
التعاطف والتراحم والتعاون	١٢١٦
تعدد الزوجات فى الإسلام والحكمة فى هذا التعدد	٤٥٠
التعليم والثقافة فى ظلال الإسلام	١٢٣٤
تقديم المصلحة المطلقة على القرآن والسنة تشريع بالهوى وتعطيل لهذه الأدلة	٧٧٨
	٩١٠
توبة (قصيدة)	٣٦٢
حـــرف الحـــاء	
الحب الخالص	١٠٨٩
الحج فريضة دينية	١٢١٩
الحج منحة ربانية	١٠٩٢
حديث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر إلى مجلة (المجتمع)	٦٥٠
حديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى مجلة (التضامن الإسلامى)	١٠٩٧
حرارة الجو إلى أين ؟	٥٥
	٢٦٨
	٣٧٤
الحرب بين الجاهلية والإسلام قراءة فى نصوص شعرية	٧٢٥
حرية الرأى فى الإسلام (من روائع الماضى)	٥٩٩
الحسد داء اجتماعى خطير	٧٧٢
حصاد الدعوة الإسلامية فى جنوب افريقية	١٣٣

الموضوع	الصفحة
حكمة التشريع القرآنى	٣٣
الحكمة فى شعر العقاد	٩٤٨
الحمد لله والشكر لله	٥٤٠
حق المرأة فى الميراث	٤٤٧
حوار مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أجرته جريدة (القبس الكويتية)	٧٥٩
حوار مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق أجرته وكالة « تونس / افريقيا للأنباء »	٨٧٦
حول التأثير السلبى للدراما	٦١٧
حول زواج المتعة وإقامة حدود الله	٦٧٧
حول ليلة القدر	٩٠٥
الحياة الطيبة جزاء للمتقين	٩٩٥
حـــرف الخـــاء	
الخلايا الحية اللُّبَيْنَات الأساسية فى الكائن الحى	٧٠١
الخليفة الشهيد عبد الله بن الزبير بن العوام	٩٨٩
حـــرف الـــدال	
دراسة التاريخ	١٦٦
دراسة فى كتاب	٧٥
المسلمون والاستعمار الأوروبى لأفريقيا	١٦٨
الدراما إلى أين !!	٢٩٠
الدعاء وليلة النصف من شعبان	٧٨٥
دعابة النبى ـ ﷺ ـ	٣٢٩
دفاع عن السيرة النبوية	١٢٧٠

الموضوع	الصفحة
الدعوة الإسلامية على أبواب	٧٩٣
قرن جديد	
دور الإيمان والعقيدة فى	٩١٥
نصر العاشر من رمضان	
الدين القيم والفكر المستنير	٥٤٥
حـــرف الـــراء	
رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية	٤٣٣
	٥٥٨
رؤية إسلاميه	١٢٢٨
رؤية فى الطواف	١٢٢٧
الربا حول مقالين	٢١٥
	٣٣٦
الربا فى عمليات البنوك	١٢٨
الربا فى القانون الإسلامى	١٠٥
	٢٢٢
الربا والوديعة المصرفية	٣٤٠
	٤٣٨
	٥٥٠
	٦٨٣
ربح الودائع الاستثمارية	١١١
رجل المهام : حذيفة بن	٣٣٢
اليمان ـ رضى الله عنه ـ	
رحم الله شيخنا فضيلة	٩٨١
الأستاذ حسنين محمد مخلوف	
رسالة إلى الإمام الأكبر	٤١٩
وجوابها (مع الإمام الأكبر)	
الرسول المهاجر ـ ﷺ ـ	٥٤
(قصيدة)	
الرفق فى العبادة	٣٨٦
(من روائع الماضى)	
رمضان الحبيب (قصيدة)	٩٣٩

الموضوع	الصفحة
حـــرف الـــزاى	
زاد الآخرة (قصيدة)	١٠٤٣
زينب ـ رضى الله عنها ـ والقلادة	٧١
حـــرف السين	
السنة والحج المبرور	١٢٢٤
سيد الأنبياء فى شعر أمير	٦٢
الشعراء (من روائع الماضى)	
حـــرف الشين	
شهادات الاستثمار ا ، ب	٢٣٤
فى ضوء حقائق الفقه الإسلامى وأدلته	
حـــرف الصاد	
الصبر عند البلاء	١١٠٨
صحوة العودة (قصيدة)	٥٩٨
الصلاة (قصيدة)	١١٤٠
الصوم فى القرآن الكريم	٨٩٠
حـــرف الطـــاء	
الطبرى إمام المؤرخين	٢٤٣
	٣٤٨
طرائف ومواقف	٦٠
	١٣٨
	٢٧٦
	٣٨٤
	٤٨٨
	٦٠٣
	٧١٦
	٨٢٠
	٩٤٢
	١٠٤٤
	١١٥٦
	١٢٦٠

←

الموضوع	الصفحة
طموحات روحية تثيرها الهجرة	٢٩
الطير الأبابيل	١١٢
حـــرف الظـــاء	
حـــرف العيـــن	
عائشة ـ رضى الله عنها ـ (قصيدة)	٥٩٧
عبد الرحمن محمد النجار (الدكتور)	٩٢٢
من أعلام الأزهر	
عبد الرحيم فرج الجندى (الشيخ)	٨٠٤
من أعلام الأزهر	
عبد العزيز جاويش (الشيخ)	٤٦
من أعلام الأزهر	
عبد الله بن عباس	٥٦٤
ترجمان القرآن	
عبد الله بن كنون	١١٤٣
(شيخ علماء المغرب)	
من أعلام مجمع البحوث الإسلامية	
عبرة الهجرة (قصيدة)	٥٢
عُدْ ياربيع (قصيدة)	١٤٢
عصمة الأنبياء	٩٨٦
العلم فى منظوره الجديد دعوة	٩٣٢
إلى الإيمان على بصيرة	١٠٣٦
العلوية (قصيدة)	٢٥٣
	٣٦٤
	٤٨٤
على هامش النقد	
(أ) أبو العتاهية وروافد الزهد	٣٩٦
فى شعره	
(ب) أولئك هم الراشدون	١٠٥٨
(ج) التعقية	٦١٠

الموضوع	الصفحة
العمران فى قرطبة زمن الإسلام	٣٥٧
عمر بن عبد العزيز	٤٥٤
حياته ـ خلافته	
عمر بن عبد العزيز وأولاده	١٢٤
منهجا وتربية	
العمل للآخرة	٤٤٤
عيد الفطر	٩٧٧
حـــرف الفـــاء	
الفتـاوى	٤٤
	١٣٧
	٢٤٩
	٤٦٤
	٥٧٣
	٦٨٧
	٨٠١
	٩٢٠
	١٠١٦
	١١٣٧
	١٢٤٣
فتح جزيرة قبرص أول عملية	١٠٠٩
إبرار بحرى فى تاريخ المسلمين	
عام ٢٨هـ ـ ٣٣هـ	
الفتوة فى القرآن الكريم	٣٧
فتوى فى توريث الاخوة الأم	١٢٠٨
فتوى فى حكم الإقراض والاقتراض	١٢١٢
فتوى (متى يثبت اليوم بظهور الهلال)	١٠١٦
فضل الليالي العشر	١٢٠٤
فقه مختلف	٨٦٥
فوائد القروض والبنوك حرام	١٤
بيّن فكيف تطرح للمناقشة !	
فى ذكرى الإسراء والمعراج	٧١٠
(قصيدة)	

الموضوع	الصفحة
في روضة المصطفى (شعر)	٢٥٢
في شهر شعبان فضائل ومزايا	٧٩٩
في طريق العودة (شعر)	٣٦٣
حرف القاف	
قضية إريتريا	٢٧٢
	٣٧٩
	٤٧٥
قراءة في نص من التراث	١٠٥٦
(متمم بن نويره يرثى مالكا اخاه)	١١٧
حرف الكاف	
كتاب خير البِشر بخير البَشر من روائع المخطوطات	٢٠٣
كتاب الوحوش لأبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي ـ رحمه الله ١٢٢ ـ ٢١٦ هـ	٦٨
	١٦٠
	٢٨٤
	٣٩٠
	٤٩٤
	٦٠٦
	٧٢٠
	٨٣٣
كلمة الأزهر الشريف في مستهل شهر رمضان ـ تهنئة ونصيحة (مع الإمام الأكبر)	٨٦٧
كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق التى القاها في الاجتماع الثالث للجمعية العامة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ ٢٦/١٠/١٩٨٩ م	٥٣١
كلمة في الغرانيق	٦٤١
	٧٥٣

الموضوع	الصفحة
حرف اللام	
لا إكراه في الدين (من روائع الماضي)	٨٢٢
اللغة والنحو في مقدمة ابن خلدون	٢٩٤
لقاء فضيلة الإمام الأكبر :	
(أ) بالدكتور حَمَد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي	٨٧٩
(ب) بسفير الفاتيكان انطونيو مايوني	٦٥٨
(ج) بوفد القساوسة الأمريكي برياسة الأسقف روجي مايكل ماهوني	٥٣٤
(د) بالسيد سفير يوغسلافيا بالقاهرة	٧٦٦
(هـ) بوفد من البرلمان السويدي	٤٢٥
لماذا علم الله آدم الأسماء كلها ؟	٧٦٨
ليلة النصف من شعبان (مع الإمام الأكبر)	٧٥٦
حرف الميم	
المال حلاله وحرامه	٥
	٩٧
ما وراء فوائد البنوك	٢٣٨
مأساة الزعامة في حياة إمامي النحاة	٦١٣
مثالان من الكتاب العزيز	١١
مثل في الكتاب العزيز	٤٣٠
المحبة وأنواعها وبعض آثارها الجليلة (من روائع الماضي)	٢٧٨

←

الموضوع	الصفحة
محمد إبراهيم السمالوطى (الشيخ)	٣٧١
(من أعلام الأزهر)	
محمد البهى (الدكتور)	١٠٢٨
(من أعلام الأزهر)	
الشافعى الصغير	
محمد حسن فقرة (الشيخ)	٤٦٦
(من أعلام الأزهر)	
محمد فرج السنهوري (الشيخ)	
من أعلام مجمع البحوث	١٢٤٨
المخدرات من القلق	٥٠٠
إلى الاستعباد	
المدخل الإسلامى للطب	٤٧٠
	٥٨٦
المستشرقون والموضوعية	١٠١٣
	١١٣١
المسلمون فى شهر رمضان	٩٢٨
(قصيدة)	
المسلمون الممتحنون والمأساة	٧٨٨
فى بلغاريا	
مشاعرحاج (قصيدة)	١٢٤٦
مشيخة علماء الاسكندرية	٣٥٣
المعاملات المصرفية بين	٢٢٨
الحلال والحرام	
مع رمضان الكريم	٩٠٢
كانوا اية الله فى حفظ كتابه	
مع النبى الكريم فى شهر	٨٩٦
القرآن العظيم	
معلومات علمية عن الخنزير	١١٥٣
معنى واستثناء فى الكتاب العزيز	٦٦٣
مناقشة امثلة من الاجتهاد	١٠٢١
الجديد التى صوبها مؤلف	
كتاب الاجتهاد	٦٩٣

الموضوع	الصفحة
من اعلام الثقافة الإسلامية فى نيجيريا	٥٨١
من تراث رسول الله ـ ﷺ ـ فى	١١٢١
المكتبة الألمانية	
من تراث الشيخ الطير	٤٤٠
كيف يحيى الله الموتى	
من خير ما نشر	٧٩
	١٧٢
	٣٠٢
	٣٩٩
	٥١٠
	٦٢٠
	٧٢٩
	٨٤٢
	٩٥٥
	١٠٦٤
	١١٨١
	١٢٧٤
من ذكريات شهر رمضان	٩٤١
(الفتح المبين)	
من صفات إبليس :	٨٨٢
الاباء والاستكبار	
من عجائب صنع الله	١٤٠
(قصيدة)	
من فقه الكتاب والسنة :	١١٠٤
(حجاب المراة وولايتها)	
من قضايا الاختزال فى	١٠٥٠
كلام العرب	١١٦٤
	١٢٦٦
من المسجد الحرام إلى	٦٧١
المسجد الأقصى	
من نعم الله علينا الإحياء والتسخير	٥٣٦
المولد النبوى والإعجاز القرآني	٢٠٠

الموضوع	الصفحة
حـرف النـون	
الناسك الزاهد : عبد الله بن عمر - رضى الله عنه -	١١٢٦
النبوة والكعبة وابو حنيفة	١٢٠١
النبى - ﷺ - عربى	٤٢
نظر الإسلام إلى النفاق والمنافقين (من روائع الماضى)	٤٩٠
نعم ... والأزهراه (الأزهر الحاضر والمستقبل)	١٩٥
النقد الأدبى من وجهة إسلامية	١١٧٤
حـرف الهـاء	
هل لقارىء أن يشاركنا النظر ؟	١٩٣

الموضوع	الصفحة
حـرف الـواو	
وأنت فى رحاب بيت الله (قصيدة)	١٢٤٧
وحدانية الله	١٠١
وجهة نظر	٩٢٦
دوران الأرض حقيقة علمية اثبتها القرآن الكريم	
وقفة على مشارف كتاب التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى	٩٥١
وما توفيقى إلا بالله	٥٥٤
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا	٤١٧
حـرف اليـاء	
يارب (قصيدة)	٤٨٢
ياصاحب الإسراء (قصيدة)	٧٠٨
يافتى الإسلام (قصيدة)	٧١١

أسماء الكتّاب

إعـــداد
سيد أحمد الغرباوى
محمد عبد اللطيف عثمان

اسم الكاتب	الصفحة
حرف الألف	
إبراهيم عبد الحميد الصياد (الدكتور)	٤٧٠
	٥٨٦
إبراهيم عطوة عوض (الشيخ)	١١٢١
إبراهيم محمد الجمل (الشيخ)	١٢٤
أبو الوفا المراغى (الشيخ)	٤٩٠
أحمد الحفناوى (الدكتور)	١١٤٣
أحمد السيد تقى الدين (محرر)	٧٥
	١٦٨
	٥٠٠
	٦٢٠
	٧٢٩
	٨٤٢
	٩٥٥
	١٠٦٤
	١١٨١
	١٢٧٤
أحمد المنشاوى الوردانى (الشاعر)	٥٤
	٤٨٢
	١١٤١
أحمد أمين فؤاد (الأستاذ)	٢٢٨
أحمد حسن جابر رجب (الشيخ)	٥٤٣

اسم الكاتب	الصفحة
أحمد حسن جابر رجب	٦٧٤
	٧٧٥
	٨٨٦
	١٠٠٠
	١١١١
أحمد عبد الحميد غراب (الدكتور)	١٠١٣
	١١٣١
أحمد عزت البرادعى (الشيخ)	٣٧
نشر خطأ باسم الأستاذ أحمد عزت البرادعى موضوع (الصوم فى القرآن الكريم) والموضوع للأستاذ الدكتور محمد الدسوقى	٨٩٠
أحمد فؤاد باشا (الدكتور)	٥٥
	٢٦٨
	٣٧٤
	٤٧٠
	٥٨٦
	٦٩٨
	٨١٠
	٩٣٢
	١٠٣٦
	١١٤٨
	١٢٥٤

(١) الترتيب ـ فى هذا الفهرس ـ تابع للحرف الأول لاسم الكاتب .

اسم الكاتب	الصفحة
أحمد فهمى ابو سنة (الدكتور)	١١١
	٢٣٤
	٢٤٠
	٤٣٨
	٥٥٠
	٦٨٣
	٧٧٨
	٩١٠
	١٠٢١
	١١٠٤
أحمد فهمى خطاب (الشاعر)	٥٢
احمد محمد طاحون	١٢١٦
أحمد محمود مبارك (الشاعر)	٨١٩
إسماعيل يحيى (الشاعر)	٢٥٢
السيد تقى الدين (الدكتور)	٥٤٥
	٦٧١
	١٢٣٤
السيد حسن قرون (الأستاذ)	٧١
	٣٩٦
	٥٠٦
	٦١٠
	٦٦٦
	٩٤٨
	١٠٥٨
	١٢٧٠
السيد العراقى (الدكتور)	٨٢٨
السيد المختار أحمد العيساوى (طرابلس)	٤١٩
أيمن محمد ميدان (الأستاذ)	٦٨
	١٦٠
	٢٨٤
	٣٩٠
	٤٩٤

اسم الكاتب	الصفحة
	٦٠٦
	٧٢٠
	٨٢٣
حــرف التــاء	
توفيق عمر حلوانى (الأستاذ)	١٠٩٧
توفيق محمد شاهين (الدكتور)	٧٩٣
	١٠٢٨
حــرف الجيم	
جاد الحق على جاد الحق (شيخ الأزهر)	١
	٨
	٩٩
	١٩٥
	٣٢٣
	٤٢٥
	٥٣١
	٥٣٤
	٦٤٦
	٦٥٠
	٦٥٨
	٧٥٦
	٧٦٦
	٨٦٧
	٨٧١
	٨٧٩
	٩٧٧
	١٠٩٢
	١٢٠٤
	١٢٠٨
	١٢١٢

اسم الكاتب	الصفحة
جريدة « القبس الكويتية »	٧٥٩
جمال الدين محمود أبو العيون (السفير)	٤٢
حـــرف الحـــاء	
حامد الخطيب (الدكتور)	١٠٥٦
	١١٧٠
حسن حسين (الشيخ)	٨٢٢
حسن مأمون « الإمام الأكبر الأسبق »	٩٤٤
حلمي محمد القاعود (الدكتور)	٢٥٣
	٣٦٤
	٤٨٤
حسين خضيري موسى (الأستاذ)	٤٦٦
حـــرف الـــراء	
رشاد محمد يوسف (الشاعر)	١٤٢
	٣٦٣
	٥٩٨
	٧٠٨
	٩٤٠
	١٠٤٢
	١١٤٢
حـــرف الـــزاي	
زكريا أحمد نور (الأستاذ)	٣٣٢
زكي مشعل (الدكتور)	٥٦٩
	٧٩٩
حـــرف السين	
سعد الدين عبد الرحيم الجندي (الأستاذ)	٨٠٤

اسم الكاتب	الصفحة
سليمان موسى (المحاضر)	٥٨١
	٦٩٣
حـــرف الصاد	
صادق إبراهيم عرجون (الشيخ)	٥٩٩
صفوت عبد الجواد (محرر)	٣٠٥
	٤٠١
	٥١٢
	٦٢٤
	٧٣٣
	٨٤٨
	٩٥٩
	١٠٧٠
صلاح عبده الحناوي (الأستاذ)	١٤٠
حـــرف العيـــن	
عادل رفاعي خفاجة (محرر)	٧٩
	١٧٢
	٣٠٢
	٣٩٩
	٥١٠
	٦٢٠
	٧٢٩
	٨٤٢
	٩٥٥
	١٠٦٤
	١١٨١
	١٢٧٤
عاطف شحاته زهران (الأستاذ)	٢٩٠
	٦١٧
عايض علوش عوض المطيري (الشاعر)	٥٩٦

اسم الكاتب	الصفحة
عبد البصير خليفة حسن (الدكتور)	٩٠٥
عبد الجواد محمد الخضرى (الأستاذ)	٣٢٩ ١٢٢٧٠
عبد الحفيظ فرغلي على القرني (الأستاذ)	٢٩ ١٦٦ ٢٠٣ ٥٥٤ ٨٩٦
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب « سكرتير التحرير »	٦ ١٣٨ ٢٧٦ ٣٨٤ ٤٨٨ ٦٠٣ ٧١٦ ٨٢٠ ٩٤٢ ١٠٤٤ ١١٥٦ ١٢٦٠
عبد الحق الشكيرى (عرض لكتابه التنمية الاقتصادية فى المنهج الإسلامى)	٩٥١
عبد الحميد عنتر (الدكتور)	٦٢ ١١٥٨
عبد الرءوف محمد عثمان (الدكتور)	٦١٣
عبد الرحمن تاج (الإمام الأكبر الأسبق)	٢١٥ ٣٣٦
عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد (الأستاذ)	٢٩٤
	١٠٥٠ ١١٦٤ ١٢٦٦
عبد العزيز عزت عبد الجليل (الدكتور) (أنباء وآراء)	٦٢٤ ٧٣٣ ٨٤٨ ٩٥٩ ١٢٧٧
عبد العزيز غنيم عبد القادر (الدكتور)	٢٤٣ ٣٤٨ ٤٥٤ ٥٦٤ ٩٨٩ ١١٢٦
عبد الفتاح حسين الزيات (الأستاذ)	٦٢ ١٥٦ ٢٧٨ ٣٨٦ ٤٩٠ ٥٩٩ ٧١٢ ٨٢٢ ٩٤٤ ١٠٤٦ ١١٥٨ ١٢٦٢
عبد الله عبد الرازق إبراهيم (الدكتور)	٧٥ ١٦٨
عبد الله نجيب محمد (الدكتور)	١٣٣
عبد المقصود محمد محمد نصار (الدكتور)	١٠٥٨

اسم الكاتب	الصفحة
عبد المنصف محمود عبد الفتاح (الشيخ)	٩٢٢
عبد المنعم فودة (أنباء وآراء)	٨٢
	١٧٦
	٣٠٥
	٤٠١
	٥١٢
	٦٢٤
	٧٣٣
	٨٤٨
	٩٥٩
	١٠٧٠
	١٢٧٧
عسر عسران أحمد طه (الشاعر)	٧١٠
على أحمد الخطيب (رئيس التحرير)	٥
	٩٧
	١٩٣
	٣٢١
	٤١٧
	٥٢٩
	٦٤١
	٧٥٣
	٨٦٥
	٩٨١
	١٠٨٩
	١٢٠١
على السالوس (الدكتور)	١٤
على حامد عبد الرحيم (محرر)	٤٤
	١٣٧
	٢٤٩
	٤٦٤
	٥٧٣
	٦٨٧

اسم الكاتب	الصفحة
على حامد عبد الرحيم (محرر)	٨٠١
	٩٢٠
	١٠١٦
	١١٣٧
	١٢٤٣
علية الجعار (الشاعرة)	٥٩٧
عمر عثمان على والى (الدكتور)	١١٥٣
عمر موسى البرعى (الشاعر)	٣٦٢
	٤٨٣
	٩٤١
حـــرف الفاء	
فتحى عبد العزيز شحاته (الدكتور)	١١١٨
فكرى ياسين (الشيخ)	٣٨٦
	٧١٢
فوزى محمد طايل (الدكتور)	٢٥
	١٢٨
	٢٢٨
	٤٣٣
	٥٥٨
	١٢٣٨
حـــرف الكاف	
كارم السيد غنيم (الدكتور)	١٠٠٤
كامل أمين (الأستاذ)	١٠٤٣
حـــرف الميم	
ماهر زكريا الشيمى (الأستاذ)	٢٧٢
	٣٧٩
	٤٧٥
مجاهد توفيق الجندى (الدكتور)	٣٥٣
محمد أحمد الخولى (الشاعر)	١٢٤٦
محمد أنيس عبادة (الدكتور)	٢٣
محمد بركات السيد (الأستاذ)	٤٥٠
محمد جمال الدين محفوظ (اللواء)	٢٠٨
	٣٤٣

اسم الكاتب	الصفحة
	٩١٥
	١٠٠٩
محمد حافظ سليمان (الشيخ)	١١٧
	٩٩٥
	١٢١٩
محمد حسن عبد الخالق (الدكتور)	٤٦٠
محمد رأفت عثمان (الدكتور)	٦٧٧
محمد رجب البيومى (الدكتور)	١١٣
	١١٧٤
	١٢٣٠
محمد زين العابدين محمد العزازى (الأستاذ)	٧٨٥
	١١٠٨
محمد صابر البرديسى (الأستاذ)	٤٤٤
	٥٤٠
	٧٧٢
محمد عبد التواب (الشيخ)	١٠٤٦
محمد عبد الرحمن سلامة (الدكتور)	٥٩١
	٨١٤
محمد عبد الرحمن صان الدين (الأستاذ)	٧١١
	٨١٨
	٩٥١
محمد عبد العليم العدوى (الدكتور)	٧٨٨
محمد عبد الله دراز (الدكتور)	١٠٥
	٢٢٢
محمد عبد المنعم القيعى (الدكتور)	١١
	١٠١
	٢٠٠
	٣٢٦
	٤٣٠
	٥٣٦
	٦٦٠
	٧٦٨
	٨٨٢

اسم الكاتب	الصفحة
	٩٨٦
محمد عزت الطهطاوى (المستشار)	٤٦
	٣٥٧
	٥٧٦
	٦٩٠
	١٢٤٨
محمد على جمعة الشايب (الأستاذ)	١١٤٠
	١٢٤٧
محمد على الصابونى (الشيخ)	٩٢٦
محمد محمد على الرماح (الشيخ)	٦٦٣
محمد محمد المهنى (الدكتور)	١٥٦
محمد محمود الهوارى (الدكتور)	٥٠٠
محمد مهدى يوسف (الأستاذ)	١٥١
	٧٠١
محمود عبد الرازق عقباوى (الأستاذ)	٣٧١
محمود محمد بكر هلال (الشاعر)	٩٣٨
محمود محمد رسلان (الدكتور)	٤٤٧
مصطفى أحمد دردير (الأستاذ)	٧٢٥
	٩٣٩
مصطفى عبد المجيد	١١٨٤
مصطفى محمد الحديدى الطير (الدكتور)	٤٤٠
معوض عوض إبراهيم (الشيخ)	٩٠٢
	١٢٢٤
حرف النون	
ناصر محمود وهدان (الأستاذ)	١٤٣
	٢٥٩
حرف الواو	
وكالة تونس افريقيا للأنباء	٨٧٦
حرف الياء	
يوسف الدجوى (الشيخ)	٢٧٨

هدايا المجلة

اسم الهدية	المؤلف	تاريخ الصدور
الأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل	الإمام زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر بن عبد المحسن الرازى الحنفى المتوفى ٦٦٦ هـ	(فى ستة أجزاء) صدرت فى : المحرم - صفر - ربيع الأول - جمادى الأولى - جمادى الآخرة - رجب .
حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار فى الفقه الإسلامى	د . على السالوس	ربيع الآخر
الربا والقضايا المعاصرة	تحضير الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم (سكرتير التحرير)	شعبان
من فتاوى الإمام الأكبر شيخ الأزهر	لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر	رمضان
من أحكام القرآن وعلومه	لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	شوال
الإمام ابن ماجه صاحب السنن	فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العزيز عزت عبد الجليل	ذو القعدة
الإعلام بحدود قواعد الإسلام	أبو الفيض عياض ابن موسى اليحصبى	ذو الحجة

فهــرس

الموضوع	الصفحة
● النبوة والكعبة وابو حنيفة — د .علي أحمد الخطيب	١٢٠١
● فضل الليالي العشر — لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٢٠٤
● فتوى في توريث الاخوة لام — لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٢٠٨
● فتوى في حكم الإقراض والاقتراض بفائدة — لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر	١٢١٣
● التعاطف والتراحم والتعاون — الشيخ أحمد بن محمد طاحون	١٢١٦
● الحج فريضة دينية — الشيخ محمد حافظ سليمان	١٢١٩
● السنة والحج المبرور — الشيخ معوض عوض إبراهيم	١٢٢٤
● رؤية في الطواف — للأستاذ عبد الجواد محمد الخضري	١٢٢٧
● الاستغفار نفسياً — للدكتور محمد رجب البيومي	١٢٣٠
● التعليم والثقافة في ظلال الإسلام — د .السيد تقي الدين	١٢٣٤
● رؤية إسلامية للديمقراطيات الغربية — لواء :فوزي محمد طايل	١٢٣٨
● الفتــاوى — للشيخ علي حامد	١٢٤٣
« باب الشعر والشعراء »	
● مشاعر حاج — للأستاذ / محمد أحمد الخولي	١٢٤٦
● وانت في رحاب بيت الله — للأستاذ / محمد علي جمعة	١٢٤٧
● من اعلام مجمع البحوث الإسلامية « الشيخ فرج السنهوري » .. — للمستشار محمد عزت الطهطاوي	١٢٤٨
« باب العلوم الكونية »	
● الإنسان وقضايا العلم المعاصر — د .احمد فؤاد باشا	١٢٥٤
● طرائف ومواقف — للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٢٦٠
● من روائع الماضي — إعداد / عبد الفتاح حسين الزيات	١٢٦٢
« باب اللغة والأدب والنقد »	
● من قضايا الاختزال — للأستاذ / عبد الستار عبد اللطيف	١٢٦٦
● دفاع عن السيرة النبوية — للأستاذ / السيد حسن قرون	١٢٧٠
● من خير مانشر — إعداد / عادل خفاجي، احمد تقي الدين	١٢٧٤
● انباء وآراء — د .عبد العزيز عزت عبد الجليل، عبد المنعم حافظ فودة	١٢٧٧
● الفهرس العام العربي — إعداد / ابو القاسم عبد الكريم عبد الموجـود، محمد زكي حسن، سيد أحمد الغرباوي، محمد عبد اللطيف عثمان	١٢٨٠
« القســم الانجليزي »	
● الفهرس العام الانجليزي	١٢٩٦
● المقالة الثالثة — للأستاذ أحمد عبد الخالق	١٢٩٨
● المقالة الثانية — للأستاذ / لطفي علي سلطان	١٣٠٤
● المقالة الاولى — للدكتور / أنس مصطفى النجار	١٣١٠

AL-AZHAR MAGAZINE
INDEX TO THE YEAR 1410, Hijrah
ENGLISH SECTION

Moharam
1. Omar Ibn Al Khattab
The Early Years.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. The Inherent Potency of Faith.
By: Fathy Mahmoud Yousef.

Safar:-
1. Omar ibn Al-Khattab
The Submission to Islam
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Islam and Human Salvation.
By: Magdi Abdel Hamid Basheer.

Rabie Al Awal:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Companion.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Islam: A Refuge for Manking.
By: Loutfi Ali Soultan.

Rabie Al Akher:-
1. Omar ibn Al Khattab.
The Councelor
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Islam and Human Behaviour
By: Saad Moustafa Moustafa.

Jummadah Al Ula:
1. Omar ibn Al Khattab.
"Compelling Issues"
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Islam and Human Values
By: Loutfi Ali Soultan.

Jummadah Al Akhira:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Iraqi Crusade
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. The Traditionalist Path.
By: Robert D. Crane.

Rajab:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Triumph at Al-Qadissyah.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. The Economic Integration in Islam - Part I
By: Lotfi Ali Soultan.

Shabaan:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Conquest of Al-Mada'in.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. The Economic Integration in Islam, Part II.
By: Loutfi Ali Soultan.

Ramadan:
1. Omar ibn Al Khattab
The Muslims in Iraq
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. The Economic Integration in Islam, Part III
By: Loutfi Ali Soultan.

Shawwal:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Triumph at Damascus.
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Mankind in the Holy Qur'an.
By: Fathy Mahmoud Youssef.

Zu Al-Qida:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Roman Evacuation of Syria
By: Anas Moustafa El Naggar.
2. Premise and Process in Islamization of Thought.
By: Robert D. Crane.

Zu Al-Hijjah:-
1. Omar ibn Al Khattab
The Truce of Jerusalem
By: Anas Moustafa El Naggar
2. Al Tawbah
The Concept of Repentance in Islam.
By: Loutfi Ali Soultan.

Question: Could you elaborate more on what you stated, that what Islam calls upon is agreeable to life in our modern age ?

Answer: I meant that Islamic teachings present a paradigm of life that is very much wanted and compatible with human life at present. Islam calls for several highly essential values that are basic requirements for the integrity of human communities. These values propagate respect of humanity, family structure, true balance, and personality wholeness of man-woman relationship; child education and culture, social justice, human rights and the true understanding of the concept of freedom. Such values are called upon by all thinkers throughout history, and have become fundamental articles in the United Nations Charter.

Question: Did you read about morality in Islam ?

Answer: I believe that the basic issues of morality in Islam is chastity, purity of soul and body, truthfulness, kindness, mercy, generosity, cooperation and magnanimity. Most of these fundamentals of morality are found in other religions. However, in Islam, these values constitute the basic thought patterns of the Muslim individual against which all actions and conduct are measured. Therefore, we notice that Muslim societies still retain high levels of morality, in contrast to other non-Muslim societies.

Question: What is your opinion regarding drinking intoxicants and eating pork ?

Answer: Personally, I have not eaten pork all my life, though pork meat is commonly served as food in Western Communities. I always made sure not to have it in my food. As for Alcohol, I used to drink it daily. However, after Allah blessed me and enlightened my heart with Islam, I learned that all intoxicants were prohibited, and I abstained from having alcohols.

Question: Finally, what do you expect after having become a Muslim ?

Answer: After being a Muslim, I pray to Allah to assist me to become a good Muslim, with true conviction and firm adherence to the faith. I pray to Allah to grant me light of knowledge that I may further and deepen my practice of the duties of my faith. I pray to Allah to provide me with the strength, patience, and devotion to make all my efforts on the path of Allah. I pray to Allay to extend His Mercy and the grace of Islam upon us all who are delighted to follow the religion of Light, Truth and Reality.

After this dialogue was completed and after making certain that the young miss knew the essential elements of worship, she declared the Shehadah "There is no god save Allah, and Muhammad is the Messenger of Allah". Upon the completion of the Shehadah, a certificate was issued declaring her adoption of Islam. The certificate number 2641 was signed by His Eminence the Grand Imam of Al-Azhar on 29th Shaaban, 1410, 26th March, 1990.

WHY I BECAME A MUSLIM

A DIALOGUE AT THE OFFICE OF SHIEKH AL-AZHAR

By: Ahmad Abdel-Khalik

On the morning of March 26, 1990 AD corresponding to the 29th of Shaaban, 1410 Hijrah, a young female of foreign descent came to the office of His Eminence the Grand Shiekh of Al-Azhar to declare her willing decision to adopt the Faith of Islam as the Doctrine of Belief. She was received with cordiality, and invited to introduce herself. Her name is Nicola Dimildon, aged twenty years, British nationality, passport number 705966, no job was identified.

The important significance of her visit necessitated to communicate with her through a suitable dialogue in order to reveal the solidity, confidence and self awareness of her purpose. Few relevant questions were asked to which she responded with convincing answers.

Question: We would like to know the true motives behind your belief in Islam?

Answer: I have heard much about the Religion of Islam, which I know is the belief of the majority in the Middle East countries and the Arab World. It is also evident to everybody that the Faith of Islam is rapidly spreading and proliferating in Europe and America during the last decade. This made me anxious to seek knowledge and truth about that religion. I bought and borrowed books and publications which presented and explained the teachings and doctrines of Islam in authenticity and truth. Actually, I learned much, and realized that what Islam calls upon is suitable and very agreeable to life in this modern age.

Question: What is your comment about those who give false image and unreal ideas about Islam; especially in Western Countries ?

Answer: Such false image and unreal ideas about Islam are in fact fabricated by those whose purpose is to impede the proliferation of Islam in Western Communities. On the other hand, fanatic extremist groups in Muslim countries, also present an incorrect notion of Islamic principles. There are also anti-Islamic fixation obsessed groups in the western countries who deliberately disfigure and ridicule the religion of Islam.

→

←

The Holy Qur'an expresses the high significance of "Al Tawbah" penitence in several instances. Collectively, they signify the overall doctrinal concept of Repentance in Islamic Theology. Four examples of these Qur'anic verses are cited.

"Know they not that Allah doth accept repentance from His votaries and receives their gifts of charity, and that Allah is verily. He, the Oft Forgiver, Most Merciful" (Surat Al-Tawbah, IX, 104).

"He is the One that accepts Repentance from his subjects, and forgives sins, and He knows all that you do" (Surat Al-Shura, XLII, 25).

"And those who do wrong, but repent thereafter and turly believe - verily thy Lord is thereafter Oft-Forgiving, Most Merciful" (Surat Al-A'raf, VII, 153).

and he says, 'Now, have I repented indeed', nor of those who die rejecting Faith : for them have we prepared a punishment most grievous". (Surat Al-Nisa, IV : 17 - 18). That sort of repentance is futile and certainly not acceptable.

Allah forgives all sins on sincere repentance and amendment of conduct. So, man must repent and work righteousness before it is too late; for no help will come to him when the Judgement is actually established. Man's aim should be to follow the highest standard and Allah' shall grant Grace. Man must do so in this life, he must not delay a moment, for Judgement may come at any time, suddenly, before he even perceives where he stands.

Exhorting the Muslims, the Glorious Qur'an says: "Be quick in the race for forgiveness from your Lord, and for a Garden whose width is that of the whole of the heavens and of the earth, prepared for the righteous. Those who spend freely whether in prosperity, or in adversity; who restrain anger, and pardon all men; for Allah to mind and ask for forgiveness for their sins, - and who can forgive sins except Allah ? - And are never obstinate in persisting knowingly the wrong they have done. (Surat Al-Imran, III, 133 - 138).

Islam teaches mankind that sincere repentance after wrong-doing is accepted and compensated with grace and forgiveness; it further exhorts us to pardon and forgive other people when we are wronged or oppressed. If we really show patience and forgiveness, that would certainly be an exercise of courageous will and resolution in the conduct of affairs. Indeed, it is difficult to be patient and forgive the wrong doing of others. It may look futile or lacking in purpose; but in reality, it is the highest and noblest form of courage, resolution and distinction. Ultimately, it may carry out the purpose of reform and the suppression of evil even better than stern punishment. The gentleness of innocence often persuades when stronger measures fail', though in some cases severity may be called for; but it should be from a strict judicial motive, and not merely from personal anger or spite, or any other lower motive in disguise.

O our Lord ! Lord of the Worlds, and Master of the Day of Judgement ! We are in dire need of Your Help and Your Grace, we come back to You in sincere repentance, and ask You forgiveness and guidance. No one can forgive except You ...

→

"Annafs-ul-Mutma' innah': and this is the highest state of all, when it achieves full rest and satisfaction, free from all pain, sorrow, doubt, disappointment, struggle, desire or passion.

Every human act has to be accounted for, and evil must have its recompense at the Resurrection; and man's own soul has a conscience which would reproach for sin.

If we study the Signs of Allah around us and in ourselves in the correct understand and appraised, we learn the highest lessons for our spiritual life : on the one hand, patient perseverance with reliance on Allah, and on the other, a feeling or attitude of grateful thanks to Our Creator, that he enables us to achieve so much in spite of our shortcomings, and forgives us so much which deserves punishment and disaster. Allah's decree works without fail. If Allah were to punish for every wrong or shortcoming, not a single living creature on earth would escape punishment. But through Divine infinite Mercy and Forgiveness, Allah grants grace and respite: Allah provides time for repentance and making amends, repentance is forthcoming, Allah's Mercy is forthcoming without fail.

The Holy Qur'an states: "If Allah were to punish man for his wrong-doing, He would not leave on the earth a single living creature: but Allah grants them respite for a stated term: when their term expires, they would not be able to delay (the punishment) for a single hour, just as they would not be able to anticipate it (for a single hour) (Surat Al-Nahl, XVI, 16). For this reason, the Creator - the All-Knowing, the All-Wise, out of His infinite Mercy and Grace - left His Door always open for repentance, and promised forgiveness to those who seek Divine pardon and guidance in true restitution and penitence.

Repentance (Al-Tawbah) is returning to correct action after error. It means that the wrong-door feels apologetic and regretful for the evil he has done. He turns to Allah asking forgiveness. If sincere, he abandons his wrong conduct, makes amends and works righteousness. True Repentance must also be in good time, before it becomes too late. Whatever the sin, Allah's Mercy is always open to sincere repentance, at all times. : "Allah accepts the repentance of those who do evil in ignorance and repent soon afterwards; to them will Allah turn in mercy : for Allah is full of knowledge and wisdom. Of no effect is the repentance of those who continue to do evil, until death faces one of them,

shall have wrought an atom's weight of good shall behold it, and that whosoever shall have wrought an atom's weight of evil shall behold it, and that Allah is Strong and Mighty.

This event is symbolic of human imperfection, however, this imperfection does not necessarily prevent spiritual growth and moral reformation. Mankind can actually recognize his sins and transgression, and is capable of knowing where to turn for guidance. Much more important is the fact that Allah is very prepared to respond to the sincere calls of those who seek Divine guidance. Mankind according to Islam is born in a natural state of Purity (fitrah). The imperfect nature of man is supported by revelations, fortified by reason and freedom of choice, and guided by various social and psychological dispositions to seek and achieve relative betterment. The Islam concept upholds that the constant gravitation of the forces of good and evil is the struggle of life (Jihad). Also, that sin is acquired not inborn, emergent not built - in, avoidable not inevitable. It is a deliberate conscious violation of the unequivocal law of Allah. In confrontation to that, the gateway of penitence is always the remedy and restitution.

The way to repentance is always simple and easy, there is no mediation and there is no hierarchy of priesthood in Islam, no dogmas, no more beliefs forces upon a man for his alleged salvation. Everybody approaches the Holy Qur'an, the Book of Allah, and translates its dictates into practice. Islam established a direct relationship between man and his Creator. It abolished all kinds of mediation between Allah and mankind. Any human being can turn directly towards Allah, his Creator, and can repent to Him for any committed sins, or make his request, without any mediation.

Man is born innocent, uninhibited by any past sins or blemish on his conscience; but he is weak; and is always subject to temptation in his life. The suggestions of the Evil One (Satan) are always clever; they are not doubt false and wicked, but of a plausible nature.

Muslim scholars postulate three states of the human soul: "Annafs-ul-Ammarah" which is impelling, headstrong and prone to evil. This is the unregenerate soul which seeks its satisfaction in the lower earthly desires, and, if not checked and controlled, will lead to perdition.

'Annafs-ul-Lawwamah' : this is the self-reproaching soul which is conscious of sin, resists it and asks for Allah's grace and pardon after sincere repentance, and tries to amend, hoping to reach salvation:

➔

what your hands have wrought, and for many (of them). He grants forgiveness" (Surat Al-Shura, XLII, 30).

These verses from the Holy Qur'an indicate that Islamic doctrines emphasize that all evil, all sorrow, all pain and affliction are things not normal, things twisted from the pure and holy unadulterated nature as created Allah. As far as man is concerned, his misfortunes and sufferings are but the consequences of the things he has done. He must bear personal responsibility for them and not throw the blame on others, every evil deed or word or thought must have its consequences : However, when Allah forgives and He forgives much, it is Allah's will and plan.

According to Islam, Man is born sinless and uninhibited by any past sins, strain, or defect on his conscience. He becomes only responsible for the deeds of his lifetime. However, the understanding one's sin or fault, and the true willingness to rectify and redeem is an open gateway for mankind to atonement and reparation. This act of reparation is a perpetual process of spiritual cleanliness and purity, and falls within the wider concept of penitence. This concept is accepted in almost all Divine religions, however, it is very vital in both Christianity and Islam.

The comparative differentiation of the concept of penitence in both faiths is beyond the scope of this treatise. However, in Christianity, the notion of the "Original Sin" of Adam when he transgressed the command of the Creator is highly enunciated in Christian Theology. The theory proceeds to include the doctrine of "Crucifixion and Atonement", according to which Jesus Christ (peace be upon him) was crucified to atone for the "original sin" for all mankind.

Islamic teachings affirm a different understanding which establishes that Adam's sin and transgression was atoned at once by Adam himself when he received the grace of Allah. No sin has been passed to the progeny of mankind. The Holy Qur'an states: "And Adam disobeyed his Lord chose him for His Grace: He turned to him and gave him guidance. (Surat Taha, XX, 121 in part, 122). Adam has been given the will to choose, and he chose wrong and was about to be lost in the throng of the evil ones, when Allah's Grace came to his aid. His repentance was accepted, and Allah chose him for His Mercy. The Glorious Qur'an also enunciates that nothing shall be reckoned to a man but that for which he has made efforts, and that the burdened soul shall not bear the burden of another, than man is born completely innocent, that whosoever

"AL-TAWBAH"

THE CONCEPT OF REPENTANCE IN ISLAM

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Among the fundamental messages of the Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) that he gave to mankind was sinlessness at birth: that man is born sinless and uninhibited by any past sins or blemish upon the purity of conscience. It is the deeds of his lifetime which either lead him to angelic purity and goodness, or tarnish his conscience and make him the very embodiment of evil. Mankind is not to be haunted by shadows of any sins committed in a past life, nor is he the inheritor of a sin committed by any remote ancestor needing the sacrifice of anyone else for his salvation.

Islamic doctrines provide means to safeguard against two conceptions which are incongruent with the maxim of Allah's absolute justice. No man can be held responsible for any factual or legendary sin committed by his original ancestor; or in a past he neither remembers nor can do anything to atone. The Prophet proclaimed that redemption and damnation are individual channels and everyone is his own redeemer, for he bears within his heart all potentials for spiritual success or earthly failure.

Islam furnishes to man a clean and pure state, and it is for him to fashion life in the manner of his choice, and to make or mar his destiny. Islam is the religion of instinct and clarity - the instinct which is perfect and genuine; and the clarity which does not make the human mind fatigued or unable to understand or realize any of the principles or the teachings brought by it. Through these, Islam addresses the mind, the heart and the intuition all together as the elements of human conceptualization.

The Glorious Qur'an says: "We have indeed created man in the best of moulds, but allowed him to fall to the lowest of the low, save those who believe and do righteous deeds, for they shall have a reward unfailing" (Surat Al-Teen, XCV, 4-6). "Man shall have nothing but what he strives for". (Surat Al-Najm, L111, 39).

"On no soul does Allah place a burden greater than it can bear. It gets every good that it earns, and it suffers every ill that it earns..." (Surat Al-Baqarah II, 286). "And whatever misfortune happens to you, is because of

→

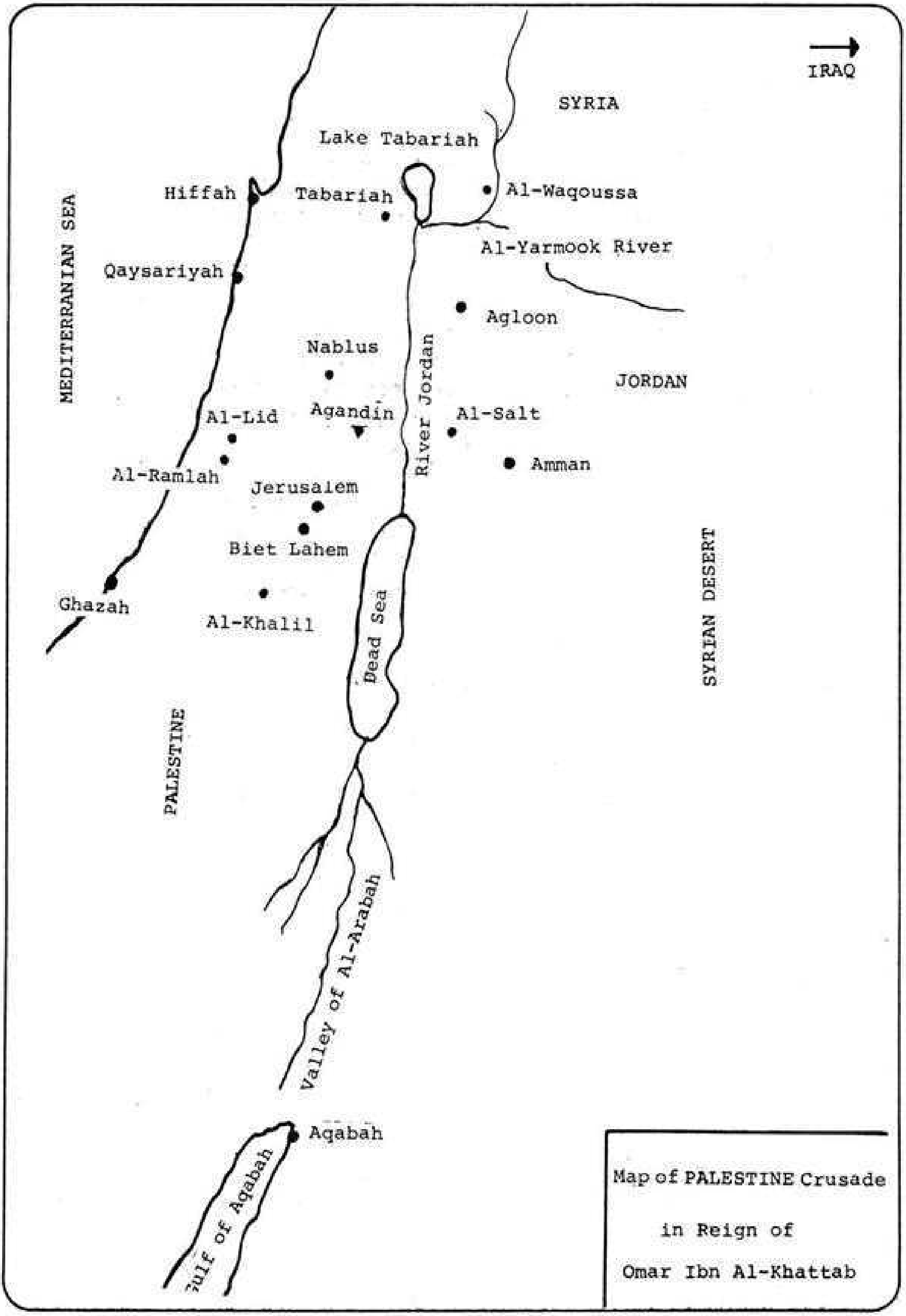

Map of PALESTINE Crusade

in Reign of

Omar Ibn Al-Khattab

the Bishop that his prayer inside the church would give reason to other Muslims to pray inside the church, and that would crowd Christians in their place of worship. Instead, Omar ibn Al-Khattab prayed outside the church, where a mosque was later on erected known today as the mosque of Omar. The inhabitants of Jerusalem and the dignitaries were very impressed by the distinctive personality of Omar ibn Al-Khattab. They discovered his humble just and pious sagacious personality. The Muslim administration of Palestine appeared to take a 'different policy to that of Roman occupation. The Muslim administration was based on a divine creed of teachings.

At the end of his visit to Jerusalem, and after all issues of peace had been settled and established, Omar ibn Al-Khattab returned to Al-Madinah to resume the great responsibility of government. The extensive stretch of territories of Iraq, Syria, and Palestine, now under Muslim administration will impose more demand and responsibility of government.

Omar ibn Al-Khattab had wished that if a barrier were to exist between Muslims in Iraq and Persians, he also now wished that a barrier would exist between the Muslim in Syria and Palestine and the Romans. However, the destiny and fate of men had different issues in store.

Omar ibn Al-Khattab, Ameer Al-Momineen offered to the inhabitants of Jerusalem as terms of safety, security and protection for themselves and their property, their churches, their crosses, their articles of faith and everything that comes under the domain of that definition. These churches and their courts are not to be ruined, nor occupied, nor decreased in area or building. There should be total preservation of their churches, crosses, and personal property and belongings. There should be absolutely no compulsion in faith. The city of Jerusalem should be Christian in the first place. The inhabitants of city of Jerusalem should pay the "Jiziah", and should order all Roman forces out of the city and also robbers. Those who depart accordingly are granted safe conduct to reach their destination. Those who remain are also granted the safety that is granted to the inhabitants of Jerusalem, also submitting to the "Jiziah". Those of the inhabitants of Jerusalem who wish to depart with their belongings are granted safe safe conduct to reach their destination. These are also given the liberty to return to be under the same conditions. No "Jiziah" is to be taken except after harvest. All the details of this document of truce are the truce of Allah, the Prophet, the custody of the Khalifah of Muslims, and the custody of Muslims. Omar ibn Al-Khattab signed the document in person, and made those present of the companions sign as witnesses, Abd Al-Rahman ibn Aof, Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, Khalid ibn Al Waleed, Amre ibn Al-Aas, Yazied ibn Abi Suffyan and others.

The delegation of Bishop Safferneyoss returned with the sealed document, the articles and contents of which were very pleasing to the Bishop and to the inhabitants of the city. It gave them safety to their lives and property, places of worship with no compulsion in faith. It gave them liberty to remain or to depart in peace. The inhabitants of Jerusalem could not hope for better terms of truce. These terms constituted the elements of human justice, freedom and respect inherent in Islamic teachings. Omar ibn Al-Khattab carried out similar peace terms with the remaining territories around Jerusalem. By these treaties, the whole of Palestine had become under Muslim administration. After completing all that, Omar ibn Al-Khattab dismissed Abu Ubaydah ibn Al-Garrah and Khalid ibn Al-Waleed to their commands in north Syria. He then prepared accompanied by Amre ibn Al-Aas and Sherahbyl ibn Hassanah to enter Jerusalem where Bishop Safferneyoss and all the dignitaries of Jerusalem were awaiting the arrival of Omar ibn Al-Khattab Ameer Al-Momineen to hand him the key of the city of Jerusalem. During Omar's tour of the city with Bishop Safferneyoss, it was time for prayers while they were in the church of Christ. The Bishop asked Omar to pray inside the church, but Omar refused and prayed outside the church. Omar explained to

details of the events that took place between the time Omar received the letter of Amre ibn Al-Aas, and the time Omar went to Jerusalem and processed himself the terms of truce of the great holy city.

The inhabitants of Jerusalem were highly concerned and apprehensive about the fate of the Holy City of Christianity. The Muslims had defeated the Romans at Agnadin, and were securing a tight siege on the city of Jerusalem. They recognized that the ultimate outcome would be the triumph of the Muslims and a total Roman defeat. They moved the Great Cross and the precious articles of gold, silver and diamond, and sent all to the church of Aya Sophia in Constantinople. The Roman Tribune and his Roman legions evacuated the city to Egypt, and left Jerusalem in charge of Bishop Safferneyoss to negotiate peace terms with the Muslims. The evacuation of the Romans from Jerusalem took place after a long stubborn siege of the city by Muslim warriors under Amre ibn Al-Aas. This siege lasted for months during the Fifteenth year of Al-Hijrah (636 AD). The Holy city is said to have offered great resistance to the Muslims and it is because of this stubborn resistance that Amre ibn Al-Aas wrote to Omar ibn Al-Khattab informing him of the bitter situation the Muslims were confronting in the siege of the Great Holy City of Jerusalem.

At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab convened with his advisors regarding the critical situation of the Muslims in Palestine, and in particular the siege of Jerusalem. The final decision was that Omar ibn Al-Khattab was to command reinforcements and supervise personally the siege of Jerusalem. Omar deputized Ali ibn Abi-Taleb to assume authority at Al-Madinah during his absence. Omar travelled north to reach the south territories of Palestine. He wrote to his army commanders in Syria to meet with him at a rendezvous which he specified. They came, Yazied ibn Abi Sufyan, Abu Ubaydah ibn Al-Garrah, Khalid ibn Al-Waleed, Amre ibn Al-Aas, Sherahbyl ibn Hassanah. They all convened with Omar ibn Al-Khattab and discussed the most suitable strategy for Muslims to enter Jerusalem. As Omar was discussing plans with Muslim army commanders, delegates of Bishop Safferneyoss of Jerusalem arrived to discuss peace terms. They insisted that Omar ibn Al-Khattab should in person preside over and personally officiate the terms of truce for the capitulation of the city of Jerusalem.

The exact document of the Truce as quoted from Al-Tabari was as follows: " In the name of Allah Most Merciful, Most Compassionate. This is what

→

across the Roman camp to meet the Roman Tribune. With his cunning skill and shrewdness as Muslim Commander, Amre ibn Al-Aas was able to discover and discover the fallible imperfections of the Roman enforcements. The Roman Tribune had doubts about the real personality of his visitor the Muslim delegate, and secretly ordered his killing on his departure. Amre ibn Al-Aas was, however, more cunning than the Roman Tribune. Amre informed the Tribune that there were ten councillors for the Muslim Commander of whom he was one. Amre promised to bring the remaining nine on the following day to negotiate peace terms with the Romans. The Roman Tribune thought it was better to kill ten Muslim Councillors of the Muslim high command than kill just one. He ordered that Amre should have a safe passage back to the Muslim camp.

Amre ibn Al-Aas was now ready to advance on Agnadin, both Amre and the Roman Tribune knew the critical importance of that battle both to the Bezantine Empire in Palestine, and to the Muslim crusade. The inhabitants of Palestine stood as spectators with no sentiments to either Romans or Muslims. They hated Roman occupation and Roman domination, and were alien to Muslim presence. These inhabitants mostly of Christian faith knew nothing about the progressive teachings of justice, freedom and equality of Islam as the Divine doctrinal continuity of Christianity, both originating from the same root. The battle started at Agnadin and both combatants were engaged in fierce fighting. By the end of the day, the Roman Tribune recognized that the odds were against him, and decided to withdraw his forces to Jerusalem whose strong fortresses could offer him better means to confront the Muslim warriors. Amre ibn Al-Aas ordered his men to allow the retreat of the Roman legions into Jerusalem, and thereby have victory at Agnadin, save his men further toil of battle, and prepare to campaign for the capture of Jerusalem. The Muslim command decided to safeguard Muslim presence in the territories surrounding Jerusalem, and thereby the Muslims cleared the whole surrounding territories of Roman pockets. This situation left Jerusalem totally surrounded by Muslim presence.

Amre ibn Al-Aas once again wrote to Omar ibn Al-Khattab the exact details of the situation. In this letter, Amre stated "The Muslim warriors in Palestine are facing a fierce bitter stringent war against very strong enemy. This land here is for Muslims to take, decide what you may .....". The ultimate events upon which all chroniclers agree, is that Omar ibn Al-Khattab went to Jerusalem and personally negotiated and arranged the terms of truce of its capitulation to Muslim authorities. What the chroniclers differ about are the

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE TRUCE OF JERUSALEM

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

During the time Muslim warriors were crusading in north Syria under the general command of Abu-Ubaydah ibn Al-Garrah assisted by Khalid ibn Al-Waleed; Amre ibn Al-Aas and Sherahbyl ibn Hassanah were confronting the Roman legions in Palestine. These Roman legions were formidable in numbers and armour, commanded by a famous Roman Tribune. The Roman forces were well positioned at Jerusalem, Nablus, Al-Lid and other strategic places. The Roman commander was highly confident of achieving victory over the Muslim crusaders.

Amre ibn-Al Aas considered the crucial situation, and realized his inability to confront the consortium of the Roman legions if they were to join together. Amre ibn Al-Aas wrote to Omar ibn Al-Khattab the details of the situation, pointing out the exact positions of the Roman legions and Muslim warriors, and finally asked Omar ibn Al-Khattab to send reinforcements to assist Amre ibn Al-Aas against the forces of the great famous Roman Tribune.

Omar ibn Al-Khattab planned the whole strategy of the Palestinian campaign. He wrote to Yazied ibn Abi Sufyan to dispatch his brother Muawiyah ibn Abi Sufyan to Qaysariah and Gaza both of which are sea ports. The Muslim warriors succeeded in capturing the two cities and therefore prevented any help reaching the Romans from the sea. Omar ibn Al-Khattab also instructed Amre ibn Al-Aas to send Alqamah ibn Hakim and Masrouq Al-Aaky towards Jerusalem to engage its Roman garrison, and to direct Abu Ayoub Al-Malky to Al-Ramlah.Omar ibn Al-Khattab wrote these instructions to Amre ibn Al-Aas, and also sent him reinforcements. When these reinforcements arrived, Amre ibn Al-Aas dispatched part to Jerusalem, part to Al-Ramlah, and marched at the head of the bulk of his forces towards Agnadin to confront the masses of the Roman legions.

At Agnadin, the Roman legions were strategically well established, and all the means that Amre took to know the weak points, in the Roman enforcements were futile. Amre decided to go to the Roman camp personally incognito posing as an emissary of the Muslim commander. Amre walked

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 62, PART XII

ZU AL-HIJJAH, 1410, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar ibn Al Khattab
The Truce of Jerusalem.
By: Anas Moustafa El Naggar

2. Al Tawbah
The Concept of Repentance in Islam.
By: Loutfi Ali Soultan.

3. Why I Became a Muslim
Dialogue By: Ahmad Abdel-Khalik.

4. Index to the Year 1410 Hijjrah

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION